

T.C
İZMİR
HİSAR KÜTÜPHANESİ
SAYI
304

فهرست تفسير سورى كه درين مجلد است



قد انتظم في سلك ممتلكات أمين حلمي الله العزيز
لرجاء الدين نور الدين عفي



Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı İzmir
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No. 46-1



رب يسر ياكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الله الكريم ارغب في ابداع غرايب القران وبفضله العظيم ارهب لابداع رغايب الفرقان واليه منتهى
الامل والسول وهذا حين افتتح ما قصدت له
الحمد لله الذي جعلنا ممن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه وجبلني ذا نفس ابية وهمة علية
لا تكاد تستانس الا بذكر حبه واعاف سفساف الامور واخاف الموبقات الموجبات للثبور ابعدني عن حزب
الدنيا وزبرجها واكره النفس ان تحوم حول مخرجاتها موجها بي النفس ما حملتها تتحمل ان ارسلت استرسلت
وان قدعت انقدعت في الاول فلله السلف الشريف العيوف الى الاماني القارعة الغانية والاباطيل الملهية
المثبطة عن السعادات الباقية تاقت قلوبهم الى الكرامات الدايمات واشتاقت ارواحهم الى اللذات
الحقيقيات وتاهت ضمايرهم في بيداء عظمة الملك والملكوت وتلاشت سرايرهم في دأماء ديمومة العزة والجبروت
فخلصوا من الناسوت ووصلوا الى اللاهوت وفنوا بشهوده وبقوا بوجوده ورضي كل منهم بقضا معبوده
فتجلت لهم الذات وانحدرت عنهم المخلفات فطابت لهم الغدوات واعتدلت لهم العشيات ولم تطمح
اعينهم الا الى تحصيل ما يقرب الى الله زلفى وما جرت السنتهم الا بذكر الحق طوبى لهم وبشرى اسالك اللهم
الاقتداء بآثارهم والتوفيق لشكر ما اسبغت علي من عطاياك واتممت من نعمايك واعوذ بك ان
ازل واضل فيما اتي واذر او اركن الى الذين ظلموا فتمسني النار يوم العرض الاكبر ثبت اقدام اقلامي على
الصدق ولا تقيض ان ينطق في كلام سوى الحق واجعلني بفضلك ممن لا ينظر الا اليك ولا يرغب الا فيما لديك
ورزقني من غير سابقة عمل مني ورفعتني من غير حق يوجب ذلك عليك فان انحرفت فيما انعمت علي وقدمت
واما بنعمة ربك فحدث وان استغفرت فيما اسرفت على نفسي وقد قلت ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم
يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما يا من لا يوجد في وجوده شوب عرض ولا علة شرفني في الاخرة بالعزة
واحرسني في دنياي من الذلة ولا تواخذني بالنقصان الامكاني ولا تعاقبني بالنسيان الانساني حتى يكون
لك الفضل في الاخرة والاولى والثناء في المبداء والحمد في العقبى ادعوك دعاء البايس الفقير المستعين
واتضرع اليك تضرع الذليل المهين المستكين الماثل بين يدي مولاه الايس بالكلية عن سواه فاسمع
انك سميع الدعاء واجب فانك قادر على ما تشاء والصلوة والسلام على عبيدك المخصوصين بتاييدك المنزهين
عن الادناس الجسمية المطهرين عن الارجاس النفسية الفايزين باشرف مراتب الانس الواصلين الى
اعلى مدارج الانس الصاعدين في ارقى معارج القدس لا سيما محمدا الذي اشرق في سماء النبوة بدرا
واشرف على بساط الرسالة صدرا سيد الثقلين وسند الخافقين امام المتقين ورسول رب العالمين
الكاين نبيا وادم بين الماء والطين المعفر له جباه الاملاك المشرف بلولاك لما خلقت الافلاك صلى الله
عليه وعلى اله مفاتيح الجنة واصحابه مصابيح الدجنة وسلم تسليما كثيرا وبعد فان الفقير
الى عفو ربه الكريم الحسن بن محمد القمي المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله احواله في اولاه واخراه
يقول لمن العلوم عنده ذوي الافهام ان كلام الملوك ملوك الكلام وبقدر البون بين الواجب الذات وممكن
الذات يعد التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام المخلوقات ولا سيما اذا وقع في معرض التحدي الذي
ابنى هنالك من التنبي وهذا شان القران العظيم والفرقان العظيم الذي اخرس شقاشق المناطق
فصحايهم بقضيضهم واوقر مسامع المصاقع فيما بين اوجههم وحضيضهم حتى اختاروا المقارعة بالسيوف
على المعارضة بالحروف والمقاتلة بالاسنة على المقاولة بالالسنة والمكالمة بالهادم على المكالمة
بالهاذم ومبارزة الاقران على الاتيان باقصر سورة من القران قال الله تعالى قل لين اجتمعت الانس



١

والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله وقال ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
وقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله درج لهم الامر فاوقع التحدي على القران
جملة ثم على عشر سور ثم على سورة فاضطرهم التعجيز الى ايثار الاصعب على الاسهل فتبين ان الاسهل في النظر
هو الاصعب في نفس الامر وذلك من ادل دليل على حقيقة المنزل وصدق المنزل عليه وكيف لا وفيه نبا
الاولين وخبر الاخرين وحكم ما بين الخلايق اجمعين قال صلى الله عليه وسلم فهو الفصل ليس بالهزل
من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم
وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق
على كثرة الرد ولا تنقضي عجايبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي
الى الرشد فامنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدي الى صراط
مستقيم ولقد انتصب جم غفير وجمع كثير من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين
والايمة المتقنين في كل عصر وحين للخوض في تيار بحاره والكشف عن استار اسراره والفحص عن غرايبه
والاطلاع على رغايبه نقلا وعقلا واخذا واجتهادا فتباعدت مطامح هماتهم وتباينت مواقع نياتهم
وتشعبت مسالك اقدامهم وتفننت مناطق اقلامهم فمن بين وجيز واوجز ومطنب وملغز ومن مقتصر
على حل الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك نكت المعاني والبيانات ونعم الملاحظ فشكر الله مساعيهم وصان عن
ازراء القادح معاليهم ومنهم من اعرض عن التفسير واقبل على التاويل وهو عندي ركون الى الاضاليل
وسكون على شفا جرف الاباطيل الا من عصمه الله وانه لقليل ومنهم من مرج البحرين وجمع بين الامرين
فللراغب الطالب ان ياخذ العذب الفرات ويترك الملح الاجاج ويلتقط الدر الثمين ويسقط السبج الزجاج
واذ قد وفقني الله تعالى لتحريك القلم في اكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه
فيما اشتهر بين اهل الزمان وكان علم التفسير من العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين من الانسان
وكان قد رزقني الله من ابان الصبا وعنفوان الشباب حفظ لفظ القران وفهم معنى الفرقان وطالما طالبني
بعض اجلة الاخوان واعزة الاخدان ممن كنت مشارا اليه عندهم في البيان والله المنان يجازيهم
على حسن ظنونهم ويوفقنا لاسعاف سولهم وانجاح مظنونهم ان اجمع كتابا في علم التفسير مشتملا
على المهمات مبنيا على ما وقع الينا من نقل الاثبات واقوال الثقات من الصحابة والتابعين ثم من العلماء
الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتاخرين جعل الله سعيهم مشكورا وعملهم مبرورا فاستعنت
بالمعبود وشرعت في المقصود معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي ساير الفنون لا لكن هو بابنه
وبشعره مفتون كيف وقد قال عز من قايل وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومن اصدق من الله قيلا
وكفى بالله وليا وكفى بالله وكيلا ولما كان التفسير الكبير المنسوب الى الامام الافضل والهمام الامثل
والحبر النحرير والبحر الغزير الجامع بين المعقول والمنقول الفايز بالفروع والاصول افضل المتاخرين فخر الملة والدين
محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي تغمده الله برضوانه واسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابق
لمسماه وفيه من اللطايف والبحوث ما لا يحصى والزوايد والعلوم ما لا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونثل
موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين واعوز تحصيله على الراغبين حاذيت سياق مرامه
واوردت حاصل كلامه وقربت مسالك اقدامه والتقطت عقود نظامه من غير اخلال بشيء من الفوايد
واهمال لما يعد من اللطايف والفوايد وضممت اليه ما وجدت في الكشاف وفي ساير التفاسير من
اللطايف المهمات وما رزقني الله من البضاعة المزجاة واثبت القراءات المعتبرات والوقوف المعللات
ثم التفسير المشتمل على المباحث اللفظيات والمعنويات مع اصلاح ما يجب اصلاحه واتمام ما ينبغي اتمامه

بالبنان

بالفروع



من المسايل الموردة في التفسير الكبير والاعتراضات ومع حل ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات
سوى الابيات العقدات فان ذلك يورده من ظن ان تصحيح القران وغرايب القران انما يكون
بالامثال والمستشهدات كلا فان القران حجة على غيره فلا علينا ان نقتصر في غرايب القران على تفسيرها
بالالفاظ المشهورات وعلى ايراد بعض المتجانسات التي يعرف منها اصول الاشتقاقات وذكرت طرفا من الا
المقنعات والتاويلات الممكنات والحكايات المبكيات والمواعظ الزاجرات ومن النهيات الباعثة على اداء
الواجبات والتزمت ايراد لفظ القران الكريم اولا مع ترجمة على وجه بديع وطريق منيع مشتمل على ابراز المقدرات
واظهار المضمرات وتاويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات فلهذا النوع
من الترجمة مما يسكب فيه العبرات ويزن المترجمون هنالك الى العثرات وكلما تقطن له الناشي الواقف
على متن اللغة العربية فضلا عن الدخل القاص في العلوم الادبية واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل
الرشاد ووضعت الجميع على طرف الثمام ليكون الكتاب كالبدر في التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام
من غير تطويل يورث الملام ولا تقصير يوعر مسالك السالك ويبدد نظام الكلام فخير الكلام ما قل
ودل وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق مسئول
ممن بيده مفاتيح الفضل والاحسان وخزاين البر والامتنان وهذا اوان الشروع في تفسير القران ولنقدم
امام ذلك مقدمات **المقدمة الاولى في فضل القراة والقاري وادب القراة** وجواز اختلاف القراآت
وذكر القراء المشهورين المعتبرين عن علي ابن ابي طالب امير المومنين عليه السلام قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا القران فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله الجنة و
شفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار وعنه كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال خيركم من تعلم القران وعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال
احب الى الله قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القران الى اخره كلما
حل ارتحل وفي الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر
في القران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا القران ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وعن
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله
عز وجل ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملايكة وذكرهم الله فيمن عنده
وعن سهل بن معاذ الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا القران وعمل به البس والداه
تاجا يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل
بهذا وفي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القران مثل الابل
المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت وفيهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اذن الله لشي ما اذن لنبي يتغنى بالقران وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما ترتل في الدنيا فان منزلك عند
اخر اية تقرؤها وفي الصحاح كلها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن
حزام يقرا سورة الفرقان في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراته فاذا هو يقرا
على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلاة فتربصت
حتى سلم فلببته بردايه فقلت من اقراك هذه السورة التي سمعتك تقراها قال اقرانيها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله قد اقرانيها على غير ما قرات فانطلقت به اقوده الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اني سمعت يا رسول الله هذا يقرا سورة الفرقان على حروف



لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا يا هشام فقرا القراة التي سمعته يقراها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرا يا عمر فقرات القراة التي
اقراني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ان القران انزل على سبعة احرف فاقرؤا
ما تيسر منه اذا تقرر ذلك فنحن نذكر في الكتاب من القراات السبع المنسوبة الى القراء السبعة والاربع
المنسوبة الى الايمة المختارين ونرى ان نفصل ههنا اساميهم واسامي رواتهم ليتعين ما نسبت في اثنايه التفسير
الى كل منهم والله ولي التوفيق **ذكر القرا السبعة وتسمية نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات**

ابو عمرو

ابو عمرو زبان بن العلا البصري روى عن مجاهد بن جبير وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن
ابي ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات سنة اربع وخمسين ومايه رحمه الله تعالى وروايه
ثلثه **ابو محمد** يحيي بن المبارك اليزيدي روى عنه ابو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري طريق ابي الحارث علي
عبد الرحمن بن عبدوس وابو الفتح عامر بن صالح الموصلي المعروف بادريه طريق ابي قبيصة حاتم ابن اسحاق
الموصلي وابو شعيب صالح ابن زياد السوسي طريق ابي الحارث محمد بن احمد الرقي وابو اسحق ابراهيم بن
حماد طريق ابي عيسى موسى بن عبد الله الهاشمي رحمهم الله **ابو نعيم** شجاع بن ابي نصر الخراساني روى
عنه ابو عمر محمد بن عمر بن روى طريق ابي علي الحسن بن الحسين الصواف رحمه الله تعالى **عباس بن فضل**
الانصاري روى عنه ابو عمر محمد بن عمر بن روى طريق ابي اسحق ابراهيم بن كعب الموصلي وطريق شباب

ابن كثير

ابن خليفة وهو الاصح وادقيه طريق ابن اسحق ايضا عن ادقيه رحمه الله تعالى **ابن كثير** هو ابو محمد
عبد الله بن كثير المكي يروي عن مجاهد بن جبير عن ابن عباس عن ابي ابن كعب عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتوفي في سنة عشرين ومايه ورواته اربعة **ابو الحسن** احمد بن محمد بن عبد الله
بن القسم بن نافع بن ابي بزة البزي وبينه وبين ابن كثير رجال لانه يروي عن عكرمة بن سليمان
بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير وروى البزي ابو ربيعة
محمد بن اسحق بن اعين الربعي طريق الزينبي وهو الهاشمي وطريق ابي بكر محمد بن الحسن المعروف بالنقاش
الموصلي وابو محمد بن اسحق احمد الخزاعي المكي طريق ابن شنبوذ وطريق الهاشمي طريق ابي بكر محمد بن احمد
الطوابيقي وطريق ابي القسم السرنديبي وطريق ابي الحسن علي بن ذوابة القزاز وطريق ابي بكر محمد بن عيسى
بن بندار الجصاص وابو علي الحسين بن محمد الحداد طريق الهاشميين عن البزي **ابو الحسن** احمد بن محمد بن
عون القواس وبينه وبين ابن كثير ايضا رجال لانه يروي عن ابي الاخريط وهب بن واضح عن اسمعيل بن عبد
الله ومعروف بن مشكان وشبل عباد عن ابن كثير روى عن القواس قنبل طريق الزينبي طريق ابي ربيعة
طريق بن مجاهد طريق ابن ابي عون القاضي طريق ابن شنبوذ طريق ابي القسم السرنديبي زمعة بن صالح
عن ابن كثير طريق عبد الله بن سعوة وطريق شعيب ابن مرة **عبد الله بن فليح** عن رجاله عن ابن
كثير ورجاله محمد بن سبعون وداود بن شبل عن اسمعيل بن عبد الله عن ابن كثير روى عن ابن فليح

نافع

ابو علي الحلاد طريق النقاش وطريق الهاشمي وطريق الخزاعي وطريق ابن شنبوذ **نافع** ابن ابي نعيم
المدني قرا على ابي جعفر القاري وعلى سبعين من التابعين على ابن عباس وابي هريرة على ابي بن كعب
على النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة تسع وستين ومايه ورواته ثلثه **اسمعيل** بن جعفر
بن كثير الانصاري روى عنه ابو الزعراء بن سيار النحوي وابو بكر الحسن بن علي وابو جعفر احمد بن فرج
الضرير **قالون** واسمه عيسى ابن مينا النحوي روى عنه ابو علي الحسن بن عباس الرازي طريق ابي بكر
احمد بن حماد المقري وابو ابراهيم مصعب ابن ابراهيم الزبيري طريق ابي بكر محمد بن عبد الله بن فليح وابو
نشيط محمد بن هرون المروزي طريق ابي حسان محمد بن الاشعث الجيزي وابو الحسن احمد بن يزيد الحلواني

ابن عامر

طريق الحسن بن العباس الرازي وطريق ابي عون القاضي ورش واسمه عثمان بن سعيد المصري روى
عنه محمد بن عبد الرحيم الاصبهاني طريق ابي الحسن محمد بن احمد المروزي وطريق ابي القسم هبة الله
بن جعفر بن محمد بن الهيثم وابو عبد الله محمد بن اسحق البخاري طريق ابي الاسد احمد بن ابراهيم الفقيه
وطريق ابي بكر محمد بن مرثد التميمي عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي قرا على المغيرة بن شهاب
المخزومي على عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي رحمه الله تعالى سنة
ثمان عشرة ومائة وله راويان روى عنه عن رجال ابو محمد عبد الله بن احمد بشير بن ذكوان
الدمشقي ورجاله ايوب بن تميم عن يحيى بن الحارث عن ابن عامر روى عنه احمد بن محمد بن العبا
بن مجاهد طريق الحسن بن عبد الله المقرئ وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي المفسر طريق الحسن
ايضا وابو الحسن محمد بن النضر بن موسى بن مر بن ابن الحر الربعي المعروف بابن الاخرم عن الاخفش عن
ابن ذكوان هشام بن عمار عن رجاله عن ابن عامر ورجاله ايوب بن تميم وسويد بن عبد
العزيز عن يحيى بن الحرث روى عنه البخاري عن الحلواني عن هشام طريق احمد بن الحسين
بن مهران وابو الحسين احمد بن يزيد الحلواني الصفار طريق ابي الحسن علي ابن حماد الازرق
وابو اسحق ابراهيم بن يوسف الرازي طريق البخاري عاصم بن بهدلة الاسدي قرا عاصم على
زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا ايضا على
عبد الرحمن السلمي معلم الحسن والحسين عليهما السلام على علي عليه السلام على رسول الله صلعم
وتوفي في سنة ثمان وعشرين ومائة ورواته اربعة ابو عمرو حفص بن سليمان المغيرة البزاز الاسدي
وكان شريك ابي حنيفة روى عنه ابو محمد عبيد بن محمد التمار طريق الحسون بن الهيثم وطريق احمد
بن علي الخزاز وابو حفص عمرو بن الصباح طريق عبد الصمد بن محمد ابو بكر شعبة بن عياش روى
عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريق جعفر بن غالب البشكري وابو زكريا يحيى ادم القرشي طريق ابي
حمدون الطيب بن اسمعيل وطريق شعيب بن ايوب بن رزيق الصريفيني وابو يوسف يعقوب بن
خليفة بن سعد بن هلال الاعشى وله راويان روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب ومحمد بن حبيب الشموني
حماد ابن ابي زياد طريق يحيى بن محمد العليمي الانصاري رحمه الله تعالى المفضل ابن محمد الضبي
روى عنه جبلة بن مالك البصري طريق ابي زيد عمرو بن شبيبة وابو زيد سعيد بن اوس الانصاري
طريق محمد بن يحيى القطعي رحمه الله تعالى حمزه بن حبيب الزيات العجلي قرا على سليمان بن
مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على علي ابن ابي طالب وعثمان وابن مسعود
رضي الله عنهم وتوفي في سنة خمسين ومائة ورواته اربعة ابو اسحق ابراهيم دربي طريق ابي
المثنى رجا ابن عيسى بن رجا الجوهري عبد الرحمن ه قلونا طريق ابي المثنى ايضا ابو محمد عبد الله
بن صالح العجلي طريق ابي حمدون الطيب ابن اسمعيل وطريق ابي اسحق بن نصر بن عبد العزيز المقرئ
ويروي نصير بن عبد الله المقرئ وهو الاصح سليم بن عيسى الحنفي روى عنه خلاد بن خالد
الصيرفي طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القسم بن محمد الوزان وابو محمد خلف بن هشام
البزاز طريق ابي الحسين ادريس بن عبد الكريم الحداد وابو جعفر محمد بن سعدان النحوي طريق محمد
بن سليمان وطريق ابي واصل احمد بن واصل وابو عمرو الدوري طريق ابي الزعراء علي بن حمزه
الكسايي قرا على حمزة بن حبيب على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود
على النبي صلى الله عليه وسلم توفي سنة تسع وثمانين ومائة رحمه الله تعالى وله ست رواة ابو
عبد الرحمن بن قتيبة بن مهران الاذاني روا عنه ابو الفرج محمد بن احمد بن ابراهيم المقرئ طريق ابي

عاصم

حمزه

الكسايي

الفضل العباس بن الوليد بن مرداس وابو بكر احمد بن الحسين بن مهران طريق احمد بن حدي
ابو المنذر نصير بن يوسف النحوي روى عنه محمد بن ادريس الاشعري المعروف بالدنداني طريق
ابي علي الحسن بن علي بن حماد الازرق وابو عبد الله محمد بن عيسى الاصبهاني طريق ابي علي
الحسن بن العباس الرازي وابو جعفر احمد بن محمد بن رستم الطبري طريق بكار بن احمد المقرئ وابو
جعفر بن علي ابن ابي نصر النحوي طريق الازرق المذكور ابو الحارث الليث بن خالد طريق ابي
عبد الله محمد بن يحيى الكسايي حمدويه بن ميمون الزجاج طريق ابي العباس احمد بن يعقوب
المسار ابو حمدون الطيب بن اسمعيل طريق ابي علي الحسن بن الحسين الصواف ابو عمرو
حفص بن عمرو بن عبد العزيز الدوري روى عنه ابو بكر الحسن بن علي بن بشار النحوي طريق
ابي الفرج محمد بن احمد بن ابراهيم وابو الزعراء بطريق ابي بكر مجاهد وابو الحسن علي بن سليم طريق
ابي القسم هبة الله بن جعفر وطريق ابراهيم ابن احمد الخرقي وابو جعفر احمد بن فرج الضرير طريق
ابي بكر النقاش الموصلي ذكر الايمة المختارين وتسمية رواتهم ابو جعفر يزيد بن القعقاع القاري
المدني وقارئ موضع من المدينة ورواته اثنان ابو عيسى موسى بن وردان الحذاء طريق قالون
عيسى بن ميناء النحوي ابو مسلم سليمان بن مسلم الجماز الزهري طريق ابي عبد الرحمن قتيبة بن
مهران ابو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمي توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وقرا على
ابي المنذر سلام بن سليمان الطويل على عاصم وابي عمرو ورواته ثلثة روح بن عبد الملك طريق
احمد بن يحيى المعدل ابو بكر محمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقب برويس طريق ابي بكر محمد بن هرون
وطريق ابي الحسن احمد بن محمد بن يعقوب بن مقسم الفقيه ابو احمد زيد بن احمد بن اسحق طريق
المعدل ايضا وطريق محمد بن هارون ابو محمد خلف بن هشام بن طالب بن غراب البزاز
طريق ابي الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله ابو بكر محمد بن يعقوب مقسم العطار وقرا خلف على
سليم على حمزة رحمهم الله تعالى ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني طريق
ابي الحسن بن تميم وطريق ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد وطريق مسبح بن حاتم وقرا سهل على
يعقوب وايوب بن المتوكل رحمهم الله تعالى فهذا هو المعول عليه من القراآت واما الشواذ فلا
يتعرض منها الا لما فيه نكتة او غرابة وذلك في اثنا التفسير لا في خلال القراآت والله اعلم بالصواب
المقدمة الثانية الاستعاذة المندوب اليها في قوله عز من قائل فاذا قرات القران فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم قراها ابو عمرو ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وعاصم غير هبيرة اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وقراها ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة
وعلي والكسايي وخلف اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وقد يروى عن حمزة
استعيذ بالله او نستعيذ مخيرا وقراها سهل اعوذ بالله من السميع العليم من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم ومنشا هذه الاختلافات انه قد جاء في سورة النحل فاذا قرات القران
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وفي حم السجدة فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وروى جبير بن
مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلوة قال الله اكبر كبيرا ثلث مرات والحمد لله كثيرا
ثلث مرات وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاث مرات ثم قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من
همزه ونفخه ونفثه وروى البيهقي في كتاب السنن عن ابي سعيد الخدري انه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل كبر ثلثا وقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما نزل جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله
عليه وسلم

ابو جعفر

يعقوب

خلف

بحث الاستعاذه

بحث معنى الاستعاذة

قال قل يا محمد استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم في المقدمة مسائل **الاولى** الاكثرون على ان وقت الاستعاذة قبل القراءة اذ المراد من قوله تعالى فاذا قرأت اذا اردت قراءة القرآن كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا المراد اذا اردتم القيام الى الصلوة فالاخبار المذكورة تؤيد ذلك وعن النخعي ويروى عن حمزة وابن سيرين ايضا ان وقتها بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ ولانه قد يدخل المرء اعجاب بسبب القراءة حيث انها طاعة موجبة للثواب فيناسب ان يستعيذ من ذلك **الثانية** الاكثرون على ان الاستعاذة مندوبة لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلوة ورد بان الخبر غير مشتمل على بيان جملة واجبات الصلوة فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها وعن عطا ان الاستعاذة واجبة في كل قراءة في الصلوة وغيرها وان النبي صلى الله عليه وسلم واظب عليها وقد قال تعالى فاتبعوه ولان الامر في فاستعذ للوجوب وانما تجب عند كل قراءة لانه قال فاذا قرأت القرآن فاستعذ وذكر الحكم عقيب المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة ولان الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وعن ابن سيرين وجوبها في العمر مرة واحدة وعن مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة الا في قيام رمضان **الثالثة** المستحب فيها الاسرار في الصلوة وان كانت جهرية الحاقا بما قبلها من الذكر وهو دعا الاستفتاح ولان الجهر كيفية وجودية والاخفا عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم وانما تستحب في كل ركعة لما مر من ان الحكم يتكرر بتكرر العلة ولكنها اكد في الاولى **الرابعة** اعلم ان الكلام في معنى قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة اركان الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ به والمستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فههنا ابحاث **البحث الاول** معنى العوذ الالتجاء او الالتصاق يقال اطيب اللحم عوذه وهو ما التصق منه بالعظم اي التجئ الى رحمة الله اي التصق بفضله والباء في بالله للالصاق كما ان في التعوذ من الشيطان للابتداء لانه ابتدي بالتبري من الشيطان والتصق برحمة الله واعانته والاستعاذة لا تتم الا بان يعلم العبد كونه عاجزا عن جلب المنافع الدينية والدنياوية والمضار العاجلة والاجلة وان الله تعالى قادر على تحصيل المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لاحد سواه ويتولد عن هذا العلم في القلب حالة هي انكسار وخضوع ويحصل منها في القلب ان يصير العبد مريدا لان يصونه الله تعالى عن الافات ويفيض عليه الخيرات ثم يصير بلسانه طالبا لذلك فيقول اعوذ بالله فالركن الاعظم في الاستعاذة هو ان يعلم العبد ان الله سبحانه وتعالى عالم بكل المعلومات والا لجاز ان لا يعلم حاله فيقع الاستعاذة عبثا وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا لربما كان عاجزا عن تحصيل مراد العبد وان يعلم انه جواد مطلقا والا لجاز ان يبخل بمقصوده وان يعلم انه لا يقدر احد سوى الله على تحصيل مرامه والا لم يكن صادق الرغبة في الاستعاذة به والحاصل ان العبد ما لم يعرف عز الربوبية وذلة العبودية لم يصح منه الاستعاذة ومما دل على ذلة الانسان وعجزه ان بعض الاكياس ربما لقي في شبهة واحدة طول عمره ولا ينكشف له الى ان يجي بعده من يحلها ولهذا وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب ولولا اعانة الله تعالى وارشاده لم يتخلص سفينة فكره من امواج الضلالات وايضا كل واحد يريد ان يحصل له الدين الحق ولا يرضى لنفسه الجهل والكفر وكم من مضل مبطل في الدنيا فلا خلاص من ظلمات الشبهات الا باعانة رب الارض والسموات ولا يقع الحد الاوسط للمطالب في الذهن الا بهداية من بيده مفاتيح الخيرات وايضا البدن يشبه الجحيم وعليها تسعة عشر من الزبانية وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة

والقوى الطبيعية السبع والشهوة والغضب ومجال تصرف كل منها غير متناهية بحسب الشخص والعدد ويحصل من كل منها اثر في القلب يجره من اوج عالم الروحانيات الى حضيض الجسمانيات فلا خلاص للقلب عن هذه الظلمات الا بنور الله تعالى وايضا كما انه لا نهاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الجسمانية والخيالات كما انه لا يمكن تحصيل الكمالات التي لا نهاية لها فكذلك لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى واهب السعادات الحقيقيات وفي بعض الكتب الالهية قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاقطعن امل من يؤمل غيري باليأس ولالبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ثم الكلام في صحة الاستعاذة كالكلام في ساير الادعية والعبادات التي جعلها الله تعالى سببا وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والاجلة للعبد وذلك انه تعالى فعال لما يريد خالق لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد من خلقه عليه ولا على افعاله وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه وبه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه اذا امرك بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع الوساوس والهواجس كما انه اذا جعل الاكل والشرب سببا لدفع الجوع والعطش فانك تاكل وتشرب ولا تقول ما الفائدة في الاكل والشرب ان كان الاشباع والارواء من الله تعالى او ان كان بقدرة الله تعالى وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة للجبري والمعتزلة لانها تحوم حول ما اشرنا اليه ولا ينبئك على سر الاستعاذة مثل قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك

بحث معنى المستعيذ

البحث الثاني المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق مفتقر الى الاستعاذة به تعالى ولهذا قال نوح عليه السلام رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم فاعطي السلام والبركات في قوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وقال يوسف عليه السلام معاذ الله انه ربي احسن مثواي فصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى عليه السلام اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فاعرف الله تعالى عدوه واورثه ارضهم وديارهم واموالهم وقالت امرأة عمران اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وقد امر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس فوقي شر النفاثات في العقد وكفي شر الوسواس الخناس

بحث المستعاذ به

البحث الثالث المستعاذ به وانما هو الله او كلمات الله كما جاء في الاخبار اعوذ بكلمات الله التامة اما البحث عن اسم الله فسيجي في تفسير البسملة واما كلمات الله فالمراد بها المبدعات الصادرة عنه بكلمة كن من غير مادة ومدة فكان الارواح البشرية تستعيذ وتستعين بالارواح العلوية المقدسة في دفع شرور الارواح الخبيثة وانما يحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان قد بقي في نظره التفات الى ما سوى الله واما اذا تغلغل في بحر التوحيد لم يستعذ الا بالله ومن الله كما قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك واذا فني عن نفسه وفني ايضا عن فناء نفسه قال انت كما اثنيت على نفسك

بحث المستعاذ منه

البحث الرابع المستعاذ منه الشيطان وما لاجله الاستعاذة دفع شره فنقول اما اشتقاقه فمن شطن ويقال شطنت الدار اي بعدت والشيطان بعيد عن السداد والرشاد وقد يسمى كل متمرد من انس او جن شيطانا قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس وركب عمرو برذونا فطفق يتبختر به فجعل يضربه ولا يزداد الا تبخترا فنزل عنه

وقال ما حلفوا في الاعلي شيطان هذا الحد قولي سيبويه وعلى هذا فنونه اصليه ووزنه فيعال وقد جعل سيبويه في موضع اخر النون زايدة وجعله فعلان من شاط يشيط اذا ابطل ولما كان كل متمرد كالباطل في نفسه لانه مبطل لوجود مصالح نفسه سمي شيطانا والرجيم معناه المرجوم كاللعين بمعني الملعون ومعني المرجوم اما الملعون من قبل الله تعالى واما لانه امر الملايكة برمي الشياطين بالشهب الثواقب ثم وصف بذلك كل شرير متمرد واما من ضم الي الاستعاذة قوله ان الله هو السميع العليم فوجه ذلك بعد الاقتداء بما ورد في القران ان العبد كانه يقول يا من يسمع كل مسموع ويعلم كل سر خفي انت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها وانت القادر علي دفعها عني فادفعها عني بفضلك ✽ ولنتكلم في الجن والشياطين فنقول انكره من الكرهم لوجوه **الاول** لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب ان يراه كل من كان سليم الحس كما نراه وان كان جسما لطيفا لوجب ان يتمزق ويتفرق عند هبوب الريح العاصفه ولزم ايضا ان لا يقدر علي الاعمال الشاقه التي ينسبها اليه المثبتون والجواب انه لم لا يجوز ان يكون جوهرا مجردا وبتقدير ان يكون جسما كثيفا فلم لا يجوز ان يصرف الله تعالى عنه ابصار الانسان لحكمة في ذلك كما قال عز من قايل انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وعلي تقدير كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز ان يكون تركيبه محكما كالافلاك **الوجه الثاني** انهم قالوا الظاهر الغالب انهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس وشوهدت منهم العداوة والصداقه وليس كذلك واهل التعزيم اذا تابوا من صنعتهم يكذبون انفسهم فيما ينسبون اليهم ومجال المنع في هذا الوجه لا يخفى الثبوت الاختلاط والعداوة منهم بالنسبة الي اكثرين قال عز من قايل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ومن الجن من يعمل بين يديه يا معشر الجن والانس وقال صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا ان الشيطان قد يجري من ابن ادم مجرى الدم ما منكم احد الا وله شيطان قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم **الوجه الثالث** قالوا ان اخبار الانبيا عنهم لا يفيد اثباتهم اذ علي تقدير ثبوتهم يجوز ان يقال كل ما اتي به الانبيا فانما حصل باعانة الجن فمن الجايز ان حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن في الجذع وكل فرع ادي الي ابطال الاصل فهو باطل والجواب ان الدليل الدال علي صحة نبوة الانبيا كما يدل علي صدق اخبارهم ومن جملة ما اخبروا عنه وجود الجن والشياطين فنجزم بوجودهم واعلم ان كثيرا من الناس اثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة في المتحيز وزعموا انها مجردات عن شوايب الجسمانيات وهم الملايكة المقربون الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويليها مرتبة الارواح المعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم ملايكة الكرسي ثم ملايكة السموات طبقة فطبقة ثم ملايكة كرة الاثير ثم ملايكة كرة النسيم ثم ملايكة كرة الزمهرير ثم الملايكة المسلطة علي البحار ثم علي الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة في هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد تكون مشرقة خيرة وهم من قبل الملايكة وقد تكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظ الجن ماخوذ من الاستتار عن العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لانها ساترة للانسان وطوايف المكلفين اربعة الملايكة والجن والانس والشياطين وان الاختلاف من الجن والشياطين قيل بالذاتيات كما بين الانسان والفرس وقيل بالعوارض فالجن اخيارهم والشياطين اشرارهم والمشهور ان الجن لهم قدرة علي النفوذ في بواطن الانسان لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد لكونهم متصرفين في باطن الانسان وان كانوا اجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطن الادمي كيف وقد ورد في القران لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وفي الحديث ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم ولا خلاف في ان الملايكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون الليل والنهار

بحث الجن والشياطين

لا يفترون واما الجن والشياطين فبخلاف ذلك قال صلى الله عليه وسلم في العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفي القران افتتخذونه وذريته اولياء من دوني واما كيفية الوسوسه فيروي ان عيسى عليه السلام دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من ابن ادم فاراه ذلك فاذا راسه راس الحية وضع راسه على قلبه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكره وضع راسه علي حبة قلبه وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون علي قلوب بني ادم لنظروا الي ملكوت السموات وقال صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا الايه فمن الخواطر ما هو اصل السعادة ومنها ما هو اصل الشقاوه وسبب اشتباه خطاء الخواطر بصوابها احد اربعة اشيا اما ضعف اليقين او قلة العلم بصفات النفس واخلاقها او متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا جاهها ومالها فمن عصم من هذه الاربعة نفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها فلا ✽ واتفق المحققون علي انه من كان اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بان النفس تطالب وتلح فلا تزال النفس حتى تصل الي مرادها والشيطان اذا دعا الي زلة ولم تجب يوسوس باخرى اذ مراده الاغواء كيف امكن وحقيقة الوسوسة راجعة الي ان الانسان بينما هو كذلك ذاهل عن الشيء ذكره الشيطان ذلك فيحدث له ميل ويترتب الفعل علي حصول ذلك الميل فكان الذي اتي به الشيطان من خارج ليس الا ذلك التذكر واليه الاشارة في القران حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ولا يتسلسل هذا التذكير وانما يقدم الشيطان علي ذلك لعدم قابلية وقع في فطرته الاولى لحكمة عرفها الله تعالى منه والمقصود من الاستعاذة لا ينحصر في دفع وسوسة الشيطان الا ان ذلك معظم المقاصد ولهذا اختص بالذكر في القران العظيم ولو نوى المستعيذ دفع جميع المضار الدنيويه والاخرويه فلا ضير **نكت في الاستعاذه**

الاولى اعوذ بالله عروج من الخلق الى الحق ومن الممكن الي الواجب لان اعوذ اشارة الي الحاجة التامة وبالله اشارة الي المعبود القادر علي تحصيل كل الخيرات ودفع كل الافات ومن عرف نفسه بالقصور عرف الله بانه قادر علي كل مقدور ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب **الثانية** سر الاستعاذة الالتجا الي قادر يدفع عنك الافات وقراة القران من اعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراة القران عن مسيلتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين فلهذا خصت الاستعاذه بالقراة **الثالثة** عند القرار من العدو الغدار يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبعد الاستقرار في حضرة الملك الجبار يقول بسم الله الرحمن الرحيم **الرابعة** الاستعاذة تطهير اللسان عما جرى عليه من غير ذكر الله واذا حصل الطهور استعد للصلوة الحقيقيه هي ذكر الله تعالى فتقول بسم الله **الخامسة** العبد ما مور بمحاربة العدو الظاهر قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر وبمحاربة العدو الباطن ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا حاربت العدو الظاهر كان مددك الملك يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة مسومين واذا حاربت العدو الباطن كان مددك الملك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو الباطن اولى لان العدو الظاهر ان غلب يفني الدنيا والبغي وكنا ماجورين وان غلب العدو الباطن كنا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا ولا خلاص من شره الا بان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **السادسة** قال الله تعالى يا عبدي قلبك بستاني وجنتي فلما لم تبخل علي بستانك بل انزلت معرفتي فيه لم ابخل عليك ببستاني وانزلك فيها وهي هنا لطيفة وهي ان الله تعالى كان يقول

للعبد انت الذي انزلت سلطان المعرفة في حجرة قلبك ومن اراد ان ينزل سلطانا في حجرة نفسه يجب
عليه كنس الحجرة وتنظيفها فنظف حجرة قلبك من تلوث الوسوسة وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
السابعة اقسم في حق ابويك انه لمن الناصحين فدليهما بغرور واقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين فما
ظنك بعاقبة معاملته معك فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الثامنة انما اختص اسم الله للاستعاذة
به من بين ساير الاسما لان العدو كلما كان اشد احتيج الي علة اكثر والاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية
انما هو الله فكان العبد قال اعوذ بالقادر العالم الحكيم الذي لايرضى بشي من المنكرات من الشيطان
الرجيم التاسعة الشيطان اسم والرجيم صفة له ثم انه تعالى لم يقتصر علي الاسم بل ذكر صفته تنبيها
للعبد ان الشيطان بقي في الخدمة الوفا من السنين ولم يقدم على مرضاتنا ومع ذلك رجمناه وطردناه وانت
لو صاحبك الشيطان لحظة واحدة اخلدك النار فكيف لاتشتغل بطرده فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
العاشرة يقول الله تعالى عبدي انه يراك وانت لاتراه فينفذ كيده فيك فتمسك بمن يرى الشيطان
ولايراه الشيطان وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحادية عشر الالف واللام في الشيطان للجنس
ليفيد الاستعاذة من هذا الجنس مطلقا مرئيا اوغير مرئي ولو جعل للعهد جاز ليدخل ذريته فيه تبعا
الثانية عشر الشيطان بعيد وانت قريب ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فكما ان الشيطان لايجعله الله
قريبا لقوله تعالى فلن تجد لسنة الله تبديلا فاعرف انه لايجعلك بعيدا اخبث جعلك قريبا الثالثة عشر
انه شيطان رجيم وانا رحمن رحيم فاحذر من الشيطان الرجيم لتصل الي الرحمن الرحيم الرابعة عشر
الشيطان عدو غالب انه يريكم هو وقبيله من حيث لاترونه والله تعالى حبيب غالب علي امره واذا
قصدك العدو الغالب فافزع الي الحبيب الغالب المقدمة الثالثة في مسايل مهمة المسئلة الاولى
القراآت السبع متواترة لابمعنى ان سبب تواترها اطباق القرا السبعة عليها بل بمعنى ان ثبوت التواتر
بالنسبة الي المتفق على قراته كثبوته بالنسبة الي كل من المختلف في قراته ولامدخل للقارئ في ذلك
الامن حيث ان مباشرته لقراته اكثر من مباشرته لغيرها حتى نسب اليه واما قلنا ان القراة متواترة
لانه لولم يكن كذلك لكان بعض القران غير متواتر كملك ومالك ونحوهما اذ لاسبيل الي كونهما غير
متواتر فان احدهما قران بالاتفاق وتخصيص احدها بانه متواتر دون الاخر تحكم باطل لاستوايهما في النقل
فلا اولوية فكلاهما متواتر وانما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف الهمزة
ونحوها الثانية اتفقوا على انه لايجوز القراة في الصلوة بالوجوه الشاذة لان الدليل ينفي جواز القراة
بها مطلقا لانها لوكانت من القران لبلغت في الشهرة الي حد التواتر عدلنا عن الدليل في جواز القراة
خارج الصلاة للاحتمال فوجب ان يبقى قراتها في الصلوة على اصل المنع الثالثة السبعة الاحرف التي
نزل القران بها في قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا القران انزل على سبعة احرف لكل اية منها
ظهر وبطن ولكل حد مطلع عند اكثر العلماء انها سبع لغات من لغات قريش لايختلف ولايتضاد
بل هي متفقة المعنى وغير جايز عندهم ان يكون في القران لغة لايعرفها قريش لقوله تعالى وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وذلك ان قريشا نجا وهم البيت وكانت احيا العرب
تاتي اليهم للحج فيسمعون لغاتهم فيختارون من كل لغة احسنها وصفا كلامهم واجتمع لهم مع ذلك
العلم بلغة غيرهم ومما يدل على ان سبعة الاحرف هي سبع لغات متفقة المعنى ماروى عن ابن سيرين
ان ابن مسعود قال اقرا القران على سبعة احرف وهو كقول احدكم هلم وتعال واقبل وقال بعضهم
انها سبع قبايل من العرب قريش وقيس وتميم وهذيل واسد وخزاعة وكنانة لمجاورتهم قريشا
وقيل سبع لغات من اي لغة كانت من لغات العرب مختلفة الالفاظ متفقة المعاني لقوله صلى الله عليه وسلم

بحث تواتر القرات السبع

٧

انه قد وسع لي ان اقرا كل قوم بلغتهم وقيل معناها ان يقول في صفات الرب تعالى مكان قوله غفورا رحيما
عزيزا حكيما سميعا بصيرا لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال القران على سبعة احرف مالم تختموا مغفرة
بعذاب وعذابا بمغفرة اوجنة بنار ونارا بجنة وقيل ان لفظ السبعة في الخبر جاء على جهة التمثيل لانه لو
جاء في كلمة اكثر من سبع قراات جاز ان يقرا بها وعن مالك ابن انس انه كان يذهب في معنى السبعة الاحرف
الي انه كالجمع والتوحيد في مثل وتمت كلمات ربك وكالتذكير والتانيث في مثل لايقبل ولاتقبل وفي
وجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله وكوجوه التصريف في مثل يعرشون ويعرشون وكاختلاف
الادوات في مثل قوله ولكن الشياطين بالتشديد ونصب مابعدها وبالتخفيف والرفع وكاختلاف
الحروف نحو تعلمون بالتاء والياء وننشزها بالراء والزاء وكالتفخيم والامالة والمد والقصر وتركه والاظهار
والادغام ونحوها وذهب جماعة الي حملها علي المعاني والاحكام التي ينظمها القران دون الالفاظ من حلال
وحرام ووعد ووعيد وامر ونهي ومواعظ وامثال واحتجاج وغير ذلك واستبعده المحققون من قبل ان
الاخبار الواردة في مخاصمة الصحابة في القراة يدل علي ان اختلافهم كان في اللفظ دون المعنى قال بعض
العلما اني تدبرت الوجوه التي تختلف بها العرب فوجدتها على سبعة انحا لايزيد ولاينقص وبجميع ذلك نزل
القران الوجه الاول ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس وكالعهن المنفوش قراها ابن مسعود كالصوف
المنفوش الثانية ابدال الحرف بحرف كالتابوت والتابوه الثالثة تقديم وتاخير اما في الكلمة
نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد واما في الحرف نحو افلم ييأس الذين امنوا افلم يايس الرابعة
زيادة حرف او نقصانه نحو ماليه وسلطانيه وقلاتك في قرية الخامسة اختلاف حركات البنا نحو
يحسبن ويحسبن بفتح السين وكسرها السادسة اختلاف الاعراب نحو ماهذا بشرا وقرا ابن مسعود
بالرفع السابعة التفخيم والامالة وهذا اختلاف في اللحن والتزيين لا في نفس اللغة والتفخيم اعلى
واشهر عند فصحا العرب فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلف لغات العرب قد انزل الله بالاختلاف فيها
القران متفرقا فيه ليعلم بذلك ان من زل عن ظاهر التلاوة بمثله او من تعذر عليه ترك عادته فخرج الي
نحو ما نزل به فليس بملوم ولامعاقب عليه وكل هذا فيما اذا لم يختلف فيه المعاني فان قيل فاقولكم في
القراآت التي يختلف بها المعاني قلنا انها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه السبعة
احرف وليس يجوز ان يكون فيما انزل الله من الالفاظ التي يختلف معانيها ما يجري اختلافها مجرى التضاد
والتناقض لكن يجري التغاير الذي لاتضاد فيه ثم انها تتجه على وجوه فمنها ان يختلف بها الحكم
الشرعي على المبادلة بمنزلة قوله وارجلكم بالجر والنصب جميعا فاحدى القرائتين تقتضي فرض المسح
والاخرى الغسل وقد بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسح للابس الخف في وقته والغسل
لحاسر الرجل وهذا الضرب هو الذي لايجوز القراة الا اذا تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه وليس بعذر من
زل في مثله عاهو المنزل حتى يراجع الصواب ويفزع الي الاستغفار وقد يكون لما يختلف الحكم فيه على
غير المبادلة لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولاتقربوهن حتى يطهرن من الطهر وحتى يطهرن
مشددة الطاء من التطهير فان القرائتين منها يقتضيان حكمين مختلفين يلزم الجمع بينهما وذلك ان الحايض
لايقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولايجوز القراة في امثال هذه الابالنقل
الظاهر فمن زل في مثله الي مايقتضي امرا قد علم ثبوته ولم يقرابه لم يلزمه فيه حرج كمن قرا له تعالى ولا
تقربوا الزنا لو صحفه واحد فيقراه الربا بالراء والباء من الربا في المال فانه منهي عنه كالزنا فان كان عمدا له
عن ظاهر التلاوة على سبيل العمد فهو ملوم على ذلك واما التضاد والتنافي فغير موجود في كتاب الله
والنسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد الزمان شرط التنافي وعند ورود الناسخ ينتهي المنسوخ ويبقى ان

اقراوام

لغات

قدم

في علم الله حكم المنسوخ كان موجلا الي ورود الناسخ والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم لكل اية ظهر
وبطن اي ظاهر وباطن فالظاهر ما يعرفه العلما والباطن ما يخفى عليهم فنقول في ذلك كما امرنا ونكل علمه الي
الله تعالى وقيل ظهره ان يؤمن به باطنا كما يؤمن به ظاهرا وقوله لكل حد مطلع اي لكل طرف من حدود الله
الذي يوقف هناك ولا يتجاوز عنه من مامور او منهي او مباح مصعد وما يرتقى منه ويفهم كما هو او
مقدارا من الثواب والعقاب بغايته في الاخرة ويطلع عليه كما قال عمر رضي الله عنه لو ان لي ما في الارض
من صفراء وبيضا لافتديت به من هول المطلع يعني مما يشرف عليه من امر الله بعد الموت **المقدمة**
الرابعة في كيفية جمع القران روي عن زيد بن ثابت انه قال ارسل الي ابو بكر مقتل اهل اليمامة
واذا عنده عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر بقراء القران يوم اليمامة واني اخشى ان يستحر — بحث جمع القران
القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قران كثير واني ارى ان تامر بجمع القران قال فقلت كيف افعل شيئا لم
يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله
صدري له فرايت فيه الذي راى عمر قال زيد بن ثابت قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد
كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القران فاجمعه فتتبعت القران اجمعه من
الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال فكانت الصحف عند ابي بكر حتى مات ثم كانت عند عمر حتى
مات ثم كانت عند حفصة مدة الي ان ارسل عثمان الي حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف
ثم نردها اليك فارسلت الي عثمان فارسل عثمان الي زيد والي عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص
وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فامرهم ان ينسخوا الصحف في المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة
ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في
المصاحف بعث عثمان في كل افق مصحف من تلك المصاحف وامر بما سوى ذلك من القران ان يحرق او يخرق
قال زيد بن ثابت فرايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون احسن والله عثمان احسن والله عثمان
وقال علي كرم الله وجهه لو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان الا ان عبد الله بن مسعود
كره ان ولي زيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال يا معشر المسلمين اعزل عن نسخ كتاب الله ويولاها رجل
والله لقد اسلمت واني لفي صلب رجل كافر يعني زيدا فكان اول من امر بجمع القران في الصحف ابا بكر الصديق
مخافة ان يضيع منه شي غير انه لم يجمع الناس عليه وكان الناس يقرؤون بقراآت مختلفة على سبيل ما
اقراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الي وقت عثمان ثم ان عثمان جمع الناس على مصحف واحد
ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما واعلموا ان القران كان مجموعا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه ما نزلت اية الا وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يكتب له ان يضعها في
موضع كذا من سورة كذا وما نزلت سورة الا وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضعها بجنب
سورة كذا روي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزلت عليه سورة
دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وعن انس قال جمع
القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو
زيد وزيد قيل لانس من ابو زيد قال احد عمومتي غير انهم لم يكونوا قد جمعوها فيما بين الدفتين ولم
يلزموا القرانة الي سورها وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورة انزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم او كتبها ثم خرج في سرية فنزلت في وقت مغيبه سورة فانه كان اذا رجع ياخذ في حفظ
ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له فيقع فيما يكتبه تقديم وتاخير
من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب من حفظ انسابها

وانشاد

وانشاد شعرائها من غير كتابة ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسيب ثقة
منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن فلا يرون باكثرهم حاجة الي مصحف ينظرون فيه فلما
ان مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبيله وجند المهاجرون والانصار اجنادا فتفرقوا في اقطار
الدنيا واستحر القتل في بعضهم كما مر خيف حينئذ ان يتطرق اليه ضياع فامروا بجمعه في المصحف **المقدمة**
الخامسة في معاني المصحف والكتاب والقران والسورة والاية والكلمة والحرف وغير ذلك المصحف
مفعل من اصحف اي جمع فيه الصحف والمصحف جمع الصحيفة والصحيفة قطعة من جلد او ورق يكتب فيه
وقد يقال مصحف بكسر الميم وروي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه استشار الناس بعد جمع القران في
اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الي بعض لانه مصدر كتب اي جمع
بحث تسمية القران — قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي جمع حتى امنوا بجميع ما يجب عليهم فالكتاب فعل الكاتب ولكنه
قد يسمى الشي باسم الفاعل نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله والقران اسم للكتاب المنزل على
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما ان التورية اسم للكتاب المنزل على موسى والانجيل للمنزل على عيسى
والزبور المنزل على داود عليهم السلام والقران يهمز ولا يهمز فمن همز وهو الاكثرون فوزنه فعلان
مثل قربان فالتركيب يدل على الجمع والضم منه القرء للحيض باجتماع الدم في ذلك الوقت ومنه قريت
الماء في الحوض فالقران نزل شيئا بعد شي فلما جمع بعضه الي بعض سمي قرانا وقيل سمي قرانا لانه جمع
السور وضمها قال تعالى ان علينا جمعه وقرانه اي تاليفه وضم بعضه الي بعض وقولك قرات معناه اي
جمعت الحروف بعضها الي بعض ومن لم يهمز القران وهو قراءة اهل مكة فاما على تخفيف الهمزة واصله
كما مر واما على ان وزنه فعال من قرنت والنون لام الكلمة سمي بذلك لانه قرن السور وما فيها بعضها
الي بعض وقيل ان القران اسم موضوع على فعال من غير اشتقاق كالتورية والانجيل ويسمى القران
بحث السورة — فرقانا لانه يفرق بين الحق والباطل والمومن والكافر والحلال والحرام واما السورة من القران فانها تهمز
ولا تهمز وهذا اكثر وعليه اكثر القرا والسورة اسم للاي جمعت وقرنت بعضها الي بعض حتى تمت وكملت
وبلغت في الطول المقدار الذي اراده الله تعالى ثم فصل بينها وبين سورة اخرى ببسم الله الرحمن الرحيم
ولا تكون السورة الا معروف المبتدا معلوم المنتهى وقيل اشتقاقها من سور البنا والمدينة لان السور
يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهي الي الارتفاع الذي يراد فالقران ايضا وضع اية اية حتى
بلغت السورة في عدد الاي المبلغ الذي اراد الله تعالى وقيل سميت سورة لانها وضعت بالعلو والرفعة
كما ان سور المدينة سمي سورا لارتفاعه قال النابغة **شعر** الم تر ان الله اعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب اي شرفا ورفعة وقيل سميت سورة لاحاطتها بما فيها من الايات كما
ان سور المدينة محيط بمساكنها وابنيتها وجمع سورة القران سور بفتح الواو مثل حلة وحلل وجمع سورة
البنا سور بالسكون مثل صوفة وصوف ومن همز سورة جعلها من اسارت في الاناء سورا اي افضلت
منه بقية ومنه سور الدواب كانها قطعة من القران على حدة واما الاية فقد قال جمع من العلما
بحث الاية — انها في القران عبارة عن كلام متصل الي انقطاعه وانقطاع معناه فصلا فصلا ولا يخفى توقف الاية
على التوقيف وقال غيرهم معناه العلامة لانها تدل على نفسها بانفصالها عن الاية المتقدمة عليها
والمتاخرة عنها وقيل معناها جماعة حروف من قولهم خرج القوم بايتهم اي بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم
شيئا وقيل معناها العجيبة لانها عجيبة لمباينتها كلام المخلوقين من قولهم فلان اية من الايات
واختلف في وزنها فقال الفرا وزنها فعلة بسكون العين واصلها ايية فاستثقلوا التشديد فاتبعوه
الفتحة التي قبله وقال الخليل واصحابه وزنها فعلة بالفتح والاصل اييه قلبت اليا الاولى الفا لتحركها وانفتاح

ماقبلها وقال الكسائي اصلها ايية فاعلة كضاربة فكان يلزم البابين الادغام على نحو دابة
وخاصة ويكون مستثقلا فحذفوا الياءين واما الكلمة فان تراكيب كلم تفيد القوة
والشدة وتقاليب هذه الحروف الثلثة بحسب الاشتقاق الكبير ستة واحد مهمل والبواقي معتبرة منها
كلم فان الكلام لانه يقرع السمع ويوثر فيه وايضا يوثر في الذهن بواسطة افادة المعنى ومنه
الكلم للجرح وفيه شدة ومنها كمل لان الكامل اقوى من الناقص ومنها لكم وهي الشدة
في اللكم واضح ومنها مكل ومنه بئر مكول اذا قل ماؤها واذا كان كذلك كان ورودها مكروها
فيحصل نوع شدة عند ورودها وايضا انها تدل على شدة متابعها ومنها ملك ملكت العجين اذا
انعمت عجنه ومنه ملك الانسان لانه نوع قوة ولفظ الكلمة قد يستعمل في اللفظة الواحدة وقد
يراد بها الكلام الكثير المرتبط بعضه ببعض ومنه قولهم للقصيدة كلمة ومنه كلمة الشهادة والكلمة
الطيبة صدقة ولان المجاز خير من الاشتراك فاطلاق الكلمة على الكلام المركب مجازا اما من باب
اطلاق الجزء على الكل واما من باب المشابهة لان الكلام المرتبط يشبه المفردة في الوحدة وانما الله
تعالى كلمات اما لانه حدث بقوله كن اولانه حدث في زمان قليل كما يحدث الكلمة كذلك وعند
النحويين الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد وفائدة القيود تذكر في ذلك العلم والكلام ما تضمن كلمتين
بالاسناد ومثبتوا الكلام النفسي اتفقوا على ان الكلام اسم لنفس الالفاظ والكلمات والاشاعرة يثبتون
الكلام النفسي ويقولون **شعر** ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
وقد يسمي الكلمات والعبارات احاديث لان كل واحدة منها تحدث عقيب صاحبتها قال تعالى فليأتوا
بحديث مثله وجمع الكلمة كلم والتاء في الكلمة ليست للوحدة كالتبنة والتبن والرطبة والرطب لان
الرطب والتبن مذكر والكلم مونث وتصغير الرطب رطيب وتصغير كلم كليمات بالرد الى كلمة ثم جمعه
بالالف والتاء وقد يكون الكلام مصدرا بمعنى التكلم كالسلام بمعنى التسليم قال تعالى يسمعون كلام
الله ثم يحرفونه فسرها ابن عباس بتكلم الله موسى وقت المناجات واما الحرف فهو الواحد من حروف
المعجم سمي حرفا لقلته ودقته ولذلك قيل حرف الشي طرفه لانه اخره والقليل منه والحرف ايضا القناة
بكمالها والعضيلة بتمامها والحرف ايضا الناقة المهزولة وقد يقال للسمينة ايضا حرف فهو من الاضداد
والحرف ايضا اللغة قال صلى الله عليه وسلم انزل القران على سبعة احرف والحرف ايضا احد اقسام
الكلمة وذلك ان الكلمة ان احتاجت في الدلالة على معناها الافرادي الى ضميمة نحو من وقد فهو
حرف والا فان دلت في اصل الوضع بهيئتها التصريفية على احد الازمنة الثلثة الماضي والحال والاستقبال
فهو فعل نحو نصر ينصر والا فهو اسم كالانسان فان معناه لا يقترن بالازمان اصلا ومثل اليوم والزمان
والساعة فان الزمان كل معناه ومثل الصبوح والغبوق لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل وضرب
فان معناها يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ومثل ضارب ومضروب فانه لو سلم انه معناه يدل
على الزمان بحسب الهيئة اولكل منها هيئة مخصوصة لكنها ليست في اصل الوضع ولا يخرج من
حد الفعل نحو عسى مما لا يدل على زمان لان تجرده عن الزمان عرض كعرض الانشاء ولا الفعل المستقبل
لكن معناه مقترنا بزماني الحال والاستقبال لان قولنا باحد الازمنة يعد بدلا في درجات الاقتران
ولو سلم انه يجب الاقتران باحد الازمنة فقط فذلك في اصل الوضع ولا مانع من اقترانه بعد ذلك
بزمان اخر مجازا **المقدمة السادسة** في ذكر السبع الطول والمثاني والمائين والطواسيم والحواميم
والمفصل والمسبحات وغير ذلك فالسبع الطول مضمومة الطاء مفتوحة الواو جمع الطولى كالفضلى والفضل
هي البقرة وال عمران والنسا والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة لانهما نزلتا جميعا في مغازي

بحث الكلمة

بحث الحرف

بحث السبع الطول

٩

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقال بعضهم
السابعة من السور سورة يونس لا الانفال مع التوبة **واما المثاني** فسبع سور تتلوا السبع الطول اولها
سورة يونس واخرها سورة النحل لانها تثنت الطول اي تلتها واحدها مثنى مثل معنى ومعاني وقد
يكون المثاني سور القران كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقوله ولقد
اتيناك سبعا من المثاني وقد قيل المثاني في هذه الاية ايات الفاتحة لانها نزلت مرتين اولانها
تثنى في كل صلوة واما المائون فهي سبع اولها سورة بني اسرائيل واخرها سورة المؤمنون لان كل سورة
نحو من مائة اية وقيل المائون ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وقيل ان ما بعد السبع الطول هي المائون
الى الحواميم وبعد الحواميم المفصل واما الطواسيم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت الطواسين
شعر وبالطواسين التي قد ثلثت وفي الحديث واعطيت طه والطواسيم من الواح موسى واعطيت
فاتحة الكتاب واما الحواميم فان شئت قلت الحم قال ابن عباس ان لكل شي لبابا وان لباب القران
الحم اوقال الحواميم فكان من قال الحم نسب السور كلها الى حم وهو من اسما الله تعالى بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وتسمى الحواميم عرائس القران عن عاصم عن زر
بن حبيش الاسدي قال قرات على علي ابن ابي طالب عليه السلام القران بالمسجد الجامع بالكوفة فلما بلغت
الحواميم قال لي يا زر بن حبيش قد بلغت عرائس القران فلما بلغت راس العشرين من حم عسق والذين
امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير بكى حتى
ارتفع نحيبه ثم رفع راسه الى السما فقال يا زر امن على دعائي ثم قال اللهم اني اسالك اخبات المخبتين
واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم
ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار يا زر اذا ختمت القران فادع بهؤلاء
الدعوات فان حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان ادعوا بهن عند ختم القران **واما**
المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الى اخر القران لكثرة التفصيل فيها بالبسملة **واما**
المسبحات فسورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والاعلى لان في اوائلهن ما يدل على
التسبيح وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرا المسبحات ويقول ان فيها
اية كالف اية وافضل المسبحات سبح اسم ربك الاعلى فقد كان العلما يقرؤن هذه السورة في التهجد
ويتعرفون بركتها **واما المقشقشتان** فسورة الكافرون والاخلاص لانهما تبريان من
النفاق والشرك يقال قشقشته اذا برأته وتقشقش المريض عن علته اذا افاق منها وبرأ
واما المعوذتان فالفلق والناس وقد يضم اليهما الاخلاص فيقال المعوذات **المقدمة**
السابعة في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف وهي في الاصل واحدة
فاول ذلك بسم الله كتب بحذف الالف التي قبل السين وكتب اقرأ باسم ربك وسبح اسم ربك وبئس
الاسم ومنه اسمه بالالف والاصل في ذلك كله واحد وهو ان يكتب بالالف وانما حذفناها من باسم
الله فقط لانها الف وصل ساقطة من اللفظ فقط كثر استعمال الناس اياها في صدور الكتب وفواتح
السور وعند كل امر يبتدا به فامنوا ان يجهل القارئ معناها وكتب فيما موصولا كل القران الا في
البقرة في ما فعلن في انفسهن بالمعروف وفيها وفيما فعلن في انفسهن من معروف وفي الانعام في ما
اوحي الي محرما وفيها ليبلوكم في ما اتيكم وفي الانفال في ما اخذتم عذاب عظيم وفي الانبيا في ما
اشتهت انفسهم وفي النور في ما افضتم وفي الشعرا في ما ههنا امنين وفي الروم في ما رزقناكم
وفي الزمر في ما هم فيه يختلفون وفي ما كانوا فيه يختلفون وفي الواقعة في ما لا تعلمون فذلك اثنا عشر

بحث السبع المثاني

المائون

الطواسيم والحواميم

هكذا ... قلت

المفصل

المسبحات

المقشقشتان

المعوذتان

بحث المقطوع والموصول

فيما المنفصل

٣٣

حرفا مقطوع وماسوى ذلك فموصول وكتب مما موصولا كل القران الا ثلثة مواضع في النسا فمن ماملكت
ايمانكم وفي الروم من ماملكت ايمانكم وفي المنافقين من مارزقناكم وكتب انما موصولا كل القران الا
في الحج انما تدعون من دونه هو الباطل وفي لقمن وان ما تدعون من دونه الباطل وفيها ولو انما في الارض
وكتب انما موصولة كل القران الا في الانعام ان ما توعدون لات وكتب لكيلا مقطوعة كل القران
الا ثلثة مواضع في الحج لكيلا يعلم وفي الاحزاب لكيلا يكون عليك حرج وفي الحديد لكيلا تاسوا وكتب
بئس ما مقطوعا حيث كان الا ثلثة مواضع في البقرة بيسما يامركم به ايمانكم وفيها بيسما اشتروا به انفسهم
وفي الاعراف بيسما خلفتموني وكتب اينما مقطوعا في جميع القران الا اربعة مواضع في البقرة فاينما تولوا وفي
النحل اينما يوجهه وفي الشعرا اينما كنتم وفي الاحزاب اينما ثقفوا وكتب الا موصولا كل القران الا عشرة
مواضع في الاعراف ان لا اقول على الله الا الحق ومنها ان لا تقولوا على الله الا الحق وفي التوبة ان لا ملجا
من الله الا اليه وفي هود ان لا تعبدوا الا الله ومنها ان لا اله الا هو وفي الحج ان لا تشرك بي شيا وفي
يس ان لا تعبدوا الشيطان وفي الدخان وان لا تعلوا على الله وفي الممتحنة ان لا يشركن بالله
شيا وفي القلم ان لا يدخلنها واختلف في يوسف الا تعبدوا الا اياه وما سواهن فهو الا مدغما بغير نون
وكتب الا باسقاط النون كل القران من غير استثناء مثل الا تفعلوه والا تغفر لي وكتب الم موصولا
في كل القران الا في الانعام ان لم يكن ربك وفي البلد ان لم يره احد وكتب في هود فان لم يستجيبوا
لكم موصولا مدغما وفي القصص فان لم يستجيبوا لك مقطوعا وكتب امن موصولا في كل القران
الا اربعة مواضع في سورة النسا ام من يكون عليهم وكيلا وفي التوبة ام من اسس بنيانه
وفي الصافات ام من خلقنا وفي حم السجدة ام من ياتي امنا وكتب امما فاما موصولا الا في الرعد
وان ما نرينك وكتب عما موصولا الا في الاعراف عن ما نهوا عنه وكتب ان لن مقطوعا الا ثلثة مواضع
في الكهف الن نجعل لكم موعدا وفي المزمل الن تحصوه وفي القيمة الن نجمع عظامه وكتب كلما موصولا الا
خمسة مواضع في النسا كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا وفي الاعراف كل ما دخلت امة وفي سبحانه كل ما
خبت وفي الملك كلما القي فيها وفي نوح كلما دعوتهم وكتب يومهم موصولا الا في المومن يوم هم بارزون
وفي الذاريات يوم هم على النار يفتنون وكتب الرحمة في جميع القران بالهاء الا سبعة مواضع في البقرة
اولئك يرجون رحمت الله وفي الاعراف ان رحمت الله قريب وفي هود رحمت الله وبركاته وفي مريم ذكر
رحمت ربك وفي الروم الى اثار رحمة الله وفي الزخرف اهم يقسمون رحمت ربك وفيها رحمت ربك فانها
بالتاء وكتب النعمة بالهاء الا احد عشر موضعا في البقرة واذكروا نعمت الله عليكم وفي ال عمران واذكروا
نعمت الله عليكم وفي المايدة واذكروا نعمت الله اذ هم وفي ابراهيم بدلوا نعمت الله كفرا وفيها
وان تعدوا نعمت الله وفي النحل وبنعمت الله هم يكفرون وفيها يعرفون نعمت الله وفيها واشكروا نعمت الله
وفي لقمان في البحر بنعمت الله وفي الملايكة واذكروا نعمت الله وفي الطور بنعمت ربك بكاهن وكتبت
امراة بالهاء الا سبعة مواضع في القران في ال عمران اذ قالت امرات عمران وفي يوسف امرات العزيز
تراود فتيها امرات العزيز الان وفي القصص امرات فرعون وفي التحريم امرات نوح وامرات لوط وامرات
فرعون وكتب سنة بالهاء كل القران الا خمسة مواضع في الانفال مضت سنت الاولين وفي فاطر
الا سنت الاولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا وفي المومن سنت الله التي قد خلت
وكتب معصية بالهاء حيث كانت الا في موضعين في المجادلة ومعصيت الرسول بالتاء وكتب لعنت
بالهاء كل القران الا في ال عمران فنجعل لعنت الله وفي النور ان لعنت الله وكتب جنة بالهاء الا في الواقعة
وجنت نعيم وكتب شجرة بالهاء الا في الدخان ان شجرت الزقوم كتب قرة بالهاء الا في القصص قرت

من ما المنفصل ٣
ان ما المنفصل ٣
اين ما المنفصل
كيلا المنفصل ٣
بيسما المتصل
ايما المتصل ٣
الا المنفصل
ان لم المنفصل ٢
ام من المنفصل ١
ان ما المنفصل ١
عن ما المنفصل ١
ان لن المنفصل ٣
كلما المنفصل ٥
يوم هم المنفصل ٢
الرحمت بالتاء ٧
النعمت بالتاء ١١
امرأت بالتاء ٧
سنت بالتاء ٥
معصيت بالتاء ٢
لعنت بالتاء ٢
جنت بالتاء ١
شجرت بالتاء ٢
قرت بالتاء ١

عين لي ولك وكتب بقية بالهاء الا في هود بقيت الله وكتب من ثمرة بالهاء الا في حم من ثمرت
من اكمامها وكتب كلمة بالهاء الا اربعة مواضع في الانعام وتمت كلمت ربك وفي يونس حقت كلمت ربك
وفي المومن حقت كلمت ربك وكتب غيابت الجب بالتا فهم على بينت منه بالتاء وكتب كل ما في القران من ذكر
الاية بالهاء الا في العنكبوت لولا انزل عليه ايت فانها بالتاء وكتب فطرت الله وغيبت افرايتم اللات
ولات حين وذات بهجة وهيهات هيهات ومريم ابنت عمران ومرضات كلها بالتاء وكتب الملاء بالالف
الا اربعة مواضع في المومنون فقال الملؤا الذين كفروا وفي النمل يا ايها الملؤا اني يا ايها الملؤا افتوني
يا ايها الملؤا ايكم ياتيني فانها كتبت بالواو وكتب في البقرة يبصط بالصاد وما سواه بالسين وكتب
في البقرة بسطة بالسين وفي الاعراف بالصاد وكتب في ال عمران منهم تقية بالبا وحق تقاته بالالف
وكتب في اول يوسف والزخرف قرانا عربيا بغير الف وساير القران قرانا بالالف وكتب في الاعراف ويونس
بكل سحر عليم بغير الف وفي الشعرا سحار عليم بالف بعد الحاء وكتب في الذاريات سحر او مجنون
بالالف وما سواه بغير الف وكتب في يونس لننظر كيف تعملون بنون واحدة واختلف في قوله انا لننصر
رسلنا في المومن وكتب في يونس ننج المومنين بنون بحذف اليا وفي اخر يوسف فنجي من نشاء بنون
واحدة وفي الانبيا وكذلك نجي المومنين وكتب جميع ما في القران من ذكر الايد بيا واحدة الا في الذاريات
والسما بنيناها بايد فانها كتبت بيايين والاصل كتبه بياء واحدة وكتب الن بغير الف كل القران الا في الجن
فمن يستمع الان فانه بالالف وكتب في حم السجدة سماوات بالالف وما سواه كتب سموات بغير الف
وكتب في اول سبا عالم الغيب بغير الف وكتب في البقرة خطيتكم بحرف واحد بين الطا والكاف وفي
الاعراف بحرفين بينهما وكتب را كل القران بغير يا الا في النجم لقد راى من ايات ربه الكبرى وما
كذب الفواد ما راى وكتب في يونس وما تغني الايات بالبا على الاصل وفي القمر وما تغني
النذر بغير يا على اللفظ وكتبت في البقرة يوت الحكمة بالياء وفي النسا وسوف يوت الله بغير ياء
وكتب ويمحوا الله ما يشا بالواو والالف وكتب الداع بغير يا حيث كان الا قوله اجيبوا داعي الله
وكتب ثمودا بالالف في حال النصب وهي في اربعة مواضع في هود والفرقان والعنكبوت والنجم
وكتب ثمود الناقة بغير الف وكتب في النمل وما انت بهادي بالبا وفي الروم بهاد بغير يا والاصل
فيهما اليا وكتب في الحج ولولوا بالالف وفي فاطر بغير الف وكتب في الاعراف قال ابن ام بالالف مقطوعا
وفي طه يا بنوم بالواو موصولا وكتب في الحجر وق واصحاب الايكة بالالف وفي الشعرا وص ليكة بغير
الف وكتب في يوسف لذو علم لما علمناه وفي المومن ذو العرش وفي السجدة لذو مغفرة وذو عقاب اليم
وفي الجمعة ذو الفضل العظيم وفي البروج ذو العرش بغير الف في هذه المواضع وما سواها ذوا بالالف وكتب
الربوا بواو بعدها الف كل القران الا في الروم وما اتيتم من ربا فانه بغير واو وكتب لدا الباب بالالف ولدى
الحناجر باليا وكتب ولا اوضعوا خلالكم ولا اذبحنه بزيادة الف في مصاحف الشام ولا امة مومنة
بزيادة الف ايضا وكتب ايه المومنون وايه الساحر وايه الثقلان بغير الف وما سواها يا ايها ويا ايتها
بالالف وكتب في الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا بالالف وفي الفرقان ام هم ضلوا السبيل وفي الاحزاب
وهو يهدي السبيل في راس اية وكتب في الانسان قواريرا بالالف قوارير من فضة بغير الف وكتب في
الانعام ايتكم لتشهدون وفي الاعراف اينكم لتاتون الرجال وفي العنكبوت اينكم لتاتون الرجال وفي
حم السجدة اينكم لتكفرون باليا وما سواها بغير ياء وكتب في الاعراف ان لنا بغير ياء وفي الشعرا
اين لنا لاجرا وكتب في النمل اينا لمخرجون باليا وكذا في الصافات اينا لتاركوا وما سواها فهو اينا
بغير يا وكتب في الواقعة اينا ليا وفي ساير القران اذا بغير ياء وكتب في هود في اموالنا ما نشاوا

ثمرت بالتاء ١
بقيت بالتاء ١
ايت بالتاء ١
ملئوا بالواو ٣
بصطة بالصاد
يبصط بالصاد
قرءنا بغير الف
سحر بغير الف ساحر بغير الف
الان بالالف
سماوات بالالف ١

بالالف بعد الواو ومثله في الانعام يا ابنهم انبواء وفيها انهم فيكم شركوا وفي عسق ام لهم شركوا وفي
الروم من شركايهم شفعوا وفي ابراهيم فقال الضعفوا وفي الشعرا فسياتيهم انبواء وفيها ايضا
ان يعلمه علموا وفي فاطر من عباده العلموا وفي الصافات لهو البلواء وفي حم الاولى وما دعوا الكافرين
وفي الدخان ما فيه بلواء وفي الممتحنة انا برءاء وكتب جزاو بالواو الا في الكهف فله جزاء الحسنى وكتب
ان امروء هلك ويتفيؤ ظلاله ويعبوا فليتوكلوا عليها وتفتوا تذكر وبدءوا عنها وينبوا الخصم وينبوء
الذين وينشؤ في الحلية ولا تظمؤ فيها ويبدؤ الخلق وما اشبههما او والي ليعلو بها الهمزة المضمومة
او على لغة من لا يهمز ولو كتب كلها بالواو وحدها او بالالف وحدها لجاز وكتب في الانعام من نباي المرسلين
بياء بعد الهمزة وكذلك في يونس من تلقاء نفسي وفي النحل وايتاء ذي القربى وفي طه ومن اناي الليل
وفي عسق من وراء حجاب وكتب ما في القران من ذوات الواو بالالف مثل دعا وعفا وتلا الا ضحيها وتليها
وطحيها وسجى وما زكى وذوات الياء تكتب بالياء مثل هدى ورمى ونفى الا احرفا هي ومضى مثل الاولين
وجنا الجنتين دان وطغا الما واقصا المدينة واحيا الناس وكل يا بن اجتمعا في كلمة مثل الدنيا والعليا حطت
الاخرة الفا كراهة الجمع بين اليائين الا قوله نحيي واماتا واحيي في بعض المصاحف وكتب الزكوة والحيوة
ومنوة ومشكوة وبالغدوة بالواو وكتب الصلوة بالواو الا في الانعام وهم على صلاتهم يحافظون وصلاتي
ونسكي وفي الانفال وما كان صلاتهم وفي اول المومنين في صلاتهم خاشعون وفي الواقع على صلواتهم
وفيها على صلاتهم يحافظون وفي ارايت عن صلاتهم ساهون وكتب فاذا الا يوتون الناس نقيرا
وليكونا من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف والوقف عليها بالالف وكتب في البقرة واخشوني ولاتم
بالياء وفي المائدة واخشون اليوم واخشون ولا تشتروا بغير ياء وكتب في يوسف ومن اتبعني وسبحان الله بالياء
وفي ال عمران ومن اتبعن وقد بغير يا وكتب في سبحان اخرتن بغير يا وفي المنافقون لولا اخرتني بالياء
وكتب في يوسف ما نبغي بالياء وفي الكهف ما نبغ بغير ياء وفي هود يوم يات لا تكلم بغير ياء وفي النحل يوم
تاتي كل نفس بالياء وفي الدخان يوم تاتي السماء بدخان بالياء وفي الانعام وقد هدان بغير ياء وانني هداني
بالياء وفي الاعراف ثم كيدون بغير ياء في هود فكيدوني جميعا بالياء وفي هود فلا تسالن بغير ياء وفي
الكهف فلا تسالني بالياء وفي الكهف ان يهدين ربي بغير ياء وفي القصص ان يهديني سواء السبيل بالياء
وفي طه فاتبعوني واطيعوا امري بالياء وفي الزخرف واتبعون هذا بغير ياء وكذلك في المومن وفي
الاعراف فهو المهتدي بالياء وفي سبحان والكهف فهو المهتد بغير ياء وفي ابراهيم قل لعبادي الذين امنوا
بالياء وفي الزمر فبشر عباد الذين بغير ياء وكتب الذي والذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين
وكتب جزاؤ بغير واو وهزؤا وكفؤا بالواو وكتب بين المرء وجزء مقسوم تخرج الخبء وملء الارض
ودفء باسقاط الهمزة ومن غرايب الهجا ونوادره ما كتب في الفرقان وعتوا عتوا كبيرا بغير الف وفي سبا
والذين سعو بغير الف وفي الحشر والذين تبوءو الدار بواوين من غير الف وفي المعصرات كنت ترابا بغير الف
وفي القلم بايكم المفتون وفي ال عمران افاين مات بالياء وفي الانبيا افاين مت بغير يا وكتب انا قلتم ونحوه
بالالف وكتب فاردتم ليس بين الدال والراء ولا بين الزاء والتاء الف في جميع المصاحف وكتب في الحاقة لبيان
الحركة كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وفي القارعة ماهيه باثبات الهاء واختلف في لم يتسنه
وفبهداهم اقتده ان الهاء فيهما لبيان الحركة او لغير ذلك وكتب في سورة النساء فمال هولاء القوم وفي
الكهف مال هذا الكتاب وفي الفرقان مال هذا الرسول وفي الواقع فمال الذين كفروا اللام مع ما مقطوعة
عما بعدها واعلم ان هجاء المصحف كثير وقد ذكرنا منها ما هو انفع للقاري واكثر فايدة واما الجزئيات
كلها فقد راعيناها الا ما شاء الله في كتابة متن القران من هذا الكتاب كما بلغنا عمن تقدمنا من الس

الصالحين والعلماء المتقين وردوا انهم وجدوا في مصحف الامام كذلك وستراها في مواضعها ان شاء الله تعالى
وانما كتبت هذه الحروف بعضها على خلاف بعض وهي في الاصل واحدة لان الكتابة بالوجهين جايزة عندهم
فكتبوا بعضها على وجه وبعضها على وجه اخر جمعا بين المذهبين على انهم كتبوا اكثرها على الاصل
وكل ما كتب في المصحف على اصل لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القران يلزمه لكثرة الاستعمال
ما لا يلزم غيره واتباع المصحف في هجايه واجب ومن طعن في شي من هجايه فهو كالطاعن في تلاوته لانه بالهجاء
تتلى والغاية للقاري في معرفته ان يكون على يقين ان الذي يقراه هو القران الذي انزله الله على نبيه
محمد صلى الله عليه بلا اختلاف فيه من جهة من الجهات وقال جماعة من الايمة ان الواجب على القراء والعلماء
والكتاب ان يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان امين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكاتب وحيه وعلم من هذا العلم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلم غيره فما كتب شيا من ذلك
الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة وان قصر عنها راينا الا ترى انه لو كتب على صلواتهم وان صلواتك بالالف بعد
الواو وبالالف من غير واو لما دل ذلك الا على وجه واحد وقراة واحدة وكذلك وسيعلم الكفار لمن عقبى
الدار وسيعلم الكفر بغير الف قبل الفاء ولا بعدها ليدل على القراتين والله تعالى اعلم

المقدمة الثامنة

في اقسام الوقف الوقف قطع الكلمة اسما او فعلا او حرفا عما بعدها ولو دهنا وله عند اكثر الايمة خمس مراتب
لازم ه ومطلق ه وجايز ه ومجوز لوجه ه ومرخص لضرورة ه فاللازم من الوقف ما لو وصل طرفاه غير المرام وشنع
الكلام كقوله تعالى وما هم بمومنين اذ لو وصل بقوله يخادعون الله صارت الجملة صفة للمومنين فانتفى
الخداع عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ما هم بمومنين مخادعين ومراد الله جل وعز نفي الايمان
واثبات الخداع وفي نظاير ذلك كثيرة يوصل المرء بها الى العثور عليها والمطلق ما يحسن الابتدا بعده كالاسم
المبتدا به نحو الله يجتبي اليه من يشا وكالفعل المستانف مع السين نحو سيقول السفها سيجعل الله
بعد عسر يسرا وبغير السين نحو يعبدونني لا يشركون بي شيا الى غير ذلك من النظاير والجايز ما يجاذب
فيه طرفا الوصل والوقف مثل وما انزل من قبلك لان واو الوصل يقتضي العطف وتقديم المفعول على الفعل
يقطع النظم فان التقدير ويوقنون بالاخرة والمجوز لوجه مثل اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
لان الفا في قوله فلا يخفف لتعقيب يتضمن معنى الجزاء والجواب وذلك يوجب الوصل الا ان نظم الفعل على
الاستيناف يري الفصل وجها والمرخص ضرورة ما لا يستغني ما بعده عما قبله لكن يرخص الوقف ضرورة
انقطاع النفس لطول الكلام ولا يلزمه الوصل بالعود لان ما بعده جملة مفهومة كقوله والسماء بناء لان قوله
وانزل لا يستغني عن سياق الكلام فان فاعله ضمير يعود الى الضمير المذكور قبله غير انها جملة مفهومة
لكون الضمير مستكنا وان كان لا يبرز الى النطق واما ما لا يجوز الوقف عليه ففي مواجبه وموافقه كثرة
وسيتلى عليك مواقع الفصل والوصل في جميع القران مع علل ذكر مفصلة ان شاء الله تعالى وبعضهم قسم
مراتب الوقوف الى ثلاث التام والكافي والحسن ولا مشاحة في الاصطلاحات بعد رعاية المعنى ولكن
علامة اللازم م وعلامة المطلق ط والجايز ج والمجوز ز والمرخص ص وما لا وقف عليه فعلامته
لا وعلامة الاية دايرة صغيرة هكذا ۝ فاما التزمنا ايراد هذه الوقوف لدقة مسلكها وبلوغها في الغموض
الى حيث قصر البلاغة على معرفة الفصل والوصل الان ذلك بحسب الصياغة وما نحن فيه بحسب الصناعة
وكل منها لا يتبع الارتباط المعنى بالمعنى وانفصاله بالكل او بالبعض وسيتلى عليك تفاصيلها وبالله التوفيق

المقدمة التاسعة

في تقسيمات يعرف منها اصطلاحات مهمة اللفظ اما ان يعتبر دلالته على تمام
مسماه او على جزء مسماه او على لازمه الذهني **الاول** دلالة مطابقة كدلالة البيت على مجموع الحايط
والسقف **الثاني** دلالة تضمن كدلالة البيت على السقف والحايط **الثالث** دلالة الالتزام كدلالة السقف

بحث الوقوف

اسم الجنس

العلم واللقب

على الحائط والدلالة الاولى وضعية صرفة والباقيتان بمشاركة الوضع والعقل **تقسيم آخر** اللفظ اما ان يقصد بجزء منه دلالة على جزء معناه وهو المركب كعبد الله غير علم او لا يقصد وهو المفرد ويشتمل ما لا جزء له اصلا مثل ق علما وما كان له جزء ولكن لا يدل على معنى اصلا نحو زيد وما كان له جزء دال على معنى لكن لا في ذلك المسمى نحو اسد الله علما لشخص انساني وما له جزء دال على معنى في ذلك المسمى لكنه لم يقصد مثل عبد الله علما **تقسيم آخر** للفظ المفرد باعتبار وحدته وكثرته مع وحدة مدلوله وتعدده اربعة اقسام **الاول** اللفظ واحد والمدلول واحد **الثاني** مقابل ذلك اي اللفظ كثير والمعنى كثير **الثالث** اللفظ واحد والمعنى كثير **الرابع** عكسه والمعنى واحد واللفظ كثير فالاول ان اشترك في مفهومه كثيرون مجردا عن تسبب من خارج فهو الكلي ويقال له اسم الجنس وهو اقسام ستة لانه اما موجود او معدوم والموجود اما واحد او كثير والواحد اما ان يكون مثله ممكنا كالشمس او غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكوكب او غير متناه كالعدد والمعدوم اما ممكن الوجود في الخارج كجبل من ذهب او غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير فان تفاوت وقوعه على افراده بان يكون لبعضها اولى او اقدم او اشد كالموجود للخالق والمخلوق فان وقوعه على الخالق اول واولى واشد وكالابيض على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج اشد فاللفظ مشكك لانه يشكك السامع في انه متواطئ نظرا الى اشتراك الكل في اصل المعنى او مشترك نظرا الى اختلافها في ذلك وان لم يكن في وقوعه تفاوت فمتواطئ كالانسان بالنسبة الى افراده فان كلها متوافقة في الانسانية مستوية فيها وان لم يشترك في مفهومه كثيرون فهو الجزئي علم ان استقل في الدلالة بحيث لا يحتاج الى امر ينضم اليه من قرينة التخاطب والتكلم وتقدم الذكر ولام العهد والاشارة مضمر ان احتاج الى احد القرائن الثلث الاول ومبهم ان احتاج الى شيء من الباقيتين والعلم اما اسم كابراهيم وموسى وعيسى واما ان يكون لقبا اشعر المسمى به مدحا او ذما كاسرائيل او كنية تختص بما في اوله الاب او الام او البنت او الابن نحو ابي لهب وام القرى وابنة عمران وابن مريم وقد يكون العلم علم الجنس باسره بحيث لا يكون بعض افراده الخارجية اولى بذلك من بعض لكونه للحقيقة الخارجية واذا اطلق على فرد من الافراد نحو هذا اسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل لمطابقة الحقيقة الذهنية لكل فرد خارجي مطابقة كل طبيعي لجزئياته فهذه اقسام **القسم الاول** وهو ان اللفظ واحد والمعنى واحد الثاني من الاربعة متباينة كالانسان والفرس الثالث ان كان اللفظ حقيقة المتعدد من مدلولاته بان كان موضوعا للجميع فمشترك والا فمنقول ان نقل من الموضوع له الى معنى آخر لعلاقة واشتهر فيه عرفي ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحي ان كان العرف الخاص وشرعي ان كان الشرع والا فبالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان انتقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان كان بالعكس وان نقل لا لعلاقة فمرتجل **الرابع** من الاقسام مترادفة كالليث والاسد ولا يخفى ان القسمين الاولين والقسم الرابع ثلاثتها نصوص في معناها اما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدم احتمال الغير وهو معنى النص واما المتكثر اللفظ والمعنى فلانه ح يكون لكل معنى لفظ فلا يحتمل اللفظ غير ذلك واما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى واما القسم الثالث وهو ان اللفظ واحد والمعنى كثير فينقسم الى مجمل وظاهر ومأول لان اللفظ بالنسبة الى تلك المعاني ان كان متساوي الدلالة فهو المجمل وبازائه المبين وان كانت متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المأول فالاول كقوله تعالى ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني نحو واقيموا الصلوة فان الامر كما يحتمل الوجوب يحتمل الندب والصلوة كما يحتمل ذات الاركان يحتمل الدعاء الا ان الامر بالنسبة الى الوجوب راجح والصلوة بالنسبة الى العبادات المخصوصة راجحة

والثالث

المجاز

والثالث نحو يد الله فوق ايديهم فان اليد يحتمل القدرة والجارحة لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر ويسمى بالمحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والمأول ويشملهما المتشابه والنص يمتاز عن الظاهر بانه لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل يتميز بكونه غير مرجوح والمأول مرجوح والتاويل اشتقاقه من الاول اي رجع وفي الاصطلاح كما تقرر حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فيشمل التاويل الفاسد والتاويل الصحيح فان اريد التاويل الصحيح فقط زيد في الرسم بدليل يصيره راجحا اي بحسب ذلك الدليل وان كان مرجوحا بحسب مفهوم اللفظ وضعا او عرفا كما قلنا في اليد بمعنى القدرة واذا عرفت الاقسام الاربعة باسرها فنقول كل منها قد يكون مشتقا ان وجد له اصل يرجع اليه كالموجود والضارب بالاضافة الى الوجود والضرب فان معنى الاشتقاق ان يجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فيرد احدهما الى الآخر وقد يكون غير مشتق ان فقد له اصل كالوجود والا وغير المشتق صفة ان دل على معنى قائم بالذات كالعلم والكتابة وغير صفة ان لم يدل كالجسم مثلا **تنبيه** العلاقة المعتبرة في المجاز انما تتبع بحكم الاستقراء على نيف وعشرين وجها منها الاشتراك في صفة ظاهرة كالاسد على الرجل الشجاع الاعلى الابخر لخفاء ذلك وهذا اعظم انواع المجاز لانه اطلاق اسم الملزوم واكثر المجازات بل جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك في الشكل كالانسان في الصورة المنقوشة ومنها كونه آيلا الى ذلك كالخمر للعصير او كائنا عليه كالعبد على من اعتق ومنها المجاورة مثل جرى الميزاب اذ الجاري في الحقيقة الماء لا الميزاب المجاور له ومنها اطلاق اسم الحال على المحل مثل واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون اي في الجنة لانها محل الرحمة ومنها عكسه كقوله لا يفضض الله فاك اي اسنانك اذ الفم محل الاسنان ومنها اطلاق اسم السبب على المسبب كقوله صلى الله عليه وسلم بلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها فانهم لما راوا بعض الاشياء يتصل بالنداوة استعاروا البل للوصل ومنها عكس ذلك كقولهم للخمر اثما لكون الاثم مسببا عنها ومنها اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون اصابعهم في آذانهم اي اناملهم ومنها العكس نحو كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته ومنها اطلاق اسم المطلق على المقيد كقوله **شعر** فيا ليت كل اثنين بينهما هوى من الناس قبل اليوم يلتقيان اي قبل يوم القيمة ومنها العكس كقول شريح اصبحت ونصف الخلق علي غضبان يريد المحكوم عليهم وظاهر انهم ليسوا النصف سواء ومنها اسم الخاص على العام كقوله سبحانه وحسن اولئك رفيقا اي رفقاء ومنها العكس كقوله سبحانه وتعالى حكاية عن محمد صلى الله عليه وسلم وانا اول المسلمين لان الانبياء قبله كانوا كذلك ومنها كون المضاف محذوفا نحو واسال القرية ومنها كون المضاف اليه محذوفا كقوله **شعر** انا ابن جلا وطلاع الثنايا اي انا ابن رجل جلا ومنها اطلاق اسم آلة الشيء عليه مثل واجعل لي لسان صدق اي ذكرا حسنا لان اللسان آلة الذكر ومنها اطلاق اسم الشيء على بدله كما يقال فلان اكل الدم اي ديته قال يا كلن كل ليلة اكافا اي ثمن الاكاف ومنها اطلاق النكرة للعموم كقوله علمت نفس ما احضرت اي كل نفس ومنها اطلاق اسم احد الضدين على الآخر مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها اذ جزاء السيئة حسنة ومنه قولهم قاتله الله ما احسن ما قال يريدون الدعاء له ومنها اطلاق المعرف باللام وارادة واحد منكر كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا اي بابا من ابوابها وسيجيء ومنها الحذف نحو يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا ومنها الزيادة نحو ليس كمثله شيء واعلم ان المجاز بالحقيقة فرع من فروع التشبيه لانك اذا قلت زيد اسد فكانك قلت زيد كالاسد في الجراة فيستدعي مشبها ومشبها به ووجه الشبه بينهما والمشبه والمشبه به قد يكونان حسيين كقولك خد كالورد او عقليين كالعلم اذا شبه بالحيوة او احدهما محسوسا والآخر معقولا كالعطر اذا شبه بخلق كريم او كالعدل اذا شبه بالقسطاس والخياليات كالشقيق اذا شبه

باعلام يا قوت منشرة ملوية في قرن الجبال والوهاد في قولك نطقت الحال بشيء هو لها بسبب بالمسموع
وانه صورة وهمية محضة وكذا الوجد انيات كاللذة والالم والشبع والجوع ملحقة بالعقليات ووجه التشبيه
اما ان يكون امرا واحدا اولا وح اما ان لا يكون في حكم الواحد كما اذا شبهنا انسانا بالشمس في حسن الطلعة
ونباهة الشان وعلو المرتبة او يكون وذلك لكونه اما حقيقة ملتئمة من اوصاف كسقط الناس اذا شبه
بعين الديك في الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكري والمقدار المخصوص واما اوصافا مقصودا من
مجموعها الى هيئة واحدة كقوله شعر كان مثار النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه فليس
المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النقع الاسود
والسيوف البيض حال كون السيوف متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانب
منه ويسمى هذا تشبيه المركب بالمركب ومتى كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من
عدة امور خص باسم التمثيل كما في قوله عز من قائل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وسيجي تفسيرها
ثم ان التشبيه التمثيلي اذا فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير يسمى تمثيلا كقولك للذي يتردد في امر
تقدم رجلا وتؤخر اخرى اي تتردد انك كمن يقدم رجلا ويؤخر اخرى وذلك ان الاستعارة هي ان تذكر احد طرفي
التشبيه وتريد به الطرف الاخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه
ما يخص المشبه به كما تقول في الحمام اسد وانت تريد الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت للشجاع ما
يخص المشبه به وهو اسم جنسه اعني الاسد مع سد طريق التشبيه بافراده في الذكر لان التشبيه لا بد له
من طرفين مشبه ومشبه به فاذا افردت بالذكر احدهما فكانك قد سددت طريق التشبيه فاذن الاستعارة
نوع من المجاز لان المستعير وهو زيد مثلا في قولك زيد اسد يبرز في معرض المستعار منه وهو الاسد
نظرا الى الدعوى وهذا شان المجازية ولما جراه على الدعوى ما بينهما من الاشتراك في اللازم وهو
الشجاعة والاستعارة في نحو عندي اسد اذا لم تقترن بصفات او تفريع كلام لا يكون مجردة ولا مرشحة
لفقد موضع التجريد والترشيح واما محققة التجريد والترشيح اذا اعقبت بذلك فمتى اعقبت بصفات ملائمة
المستعار له سميت مجردة نحو رايت اسدا شاكي السلاح طويل القناة واذا اعقبت بصفات ملائمة
للمستعار منه سميت مرشحة نحو شاهدت اسدا في البراثن مصورا وقد بقي من الاصطلاحات
في لهم هذا عام او خاص او مطلق او مقيد فالعام ما دل على مسميات باعتبار امر اشتركت فيه مطلقا
ضربة فقولنا ما دل ليشمل العموم باللفظ والمعنى جميعا فان العموم من عوارض المعاني ايضا حقيقة كعم
المطر والخصب وكذلك المعنى الكلي كالانسان لشموله الجزئيات التي تحته وقولنا على مسميات
ليخرج المثنى وليدخل المعدوم والمستحيل اذ لو قلنا على اشياء لخرجا بناء على انهما ليسا بشيء وقولنا باعتبار
امر اشتركت تلك المسميات فيه ليخرج نحو عشرة وغيرها من اسماء العدد النكرات فانها وان دلت على
مسميات هي احادها لكن لا باعتبار امر اشتركت هي فيها بل باعتبار وضع اسم العدد المجموع وكذا الكلام
في كل ذي اجزاء حسية او عقلية وقولنا مطلقا ليخرج الرجال المعهودون فانها بقرينة العهود وضع به
احترازا من نحو رجل فانه وان دل على مسميات نحو باعتبار كون كل منها ذكرا من بني ادم مطلقا
لكن لا دفعة بل على سبيل البدل ولهذا يخرج نحو رجال اذا تاملت فهذا حد العام والخاص بخلافه وهو ما دل
لا على مسميات الى اخره فمن صيغ العموم اسماء الشرط والاستفهام نحو من وما والموصولات نحو الذي والتي
والجموع المعرفة تعريف جنس كالرجال والمسلمات والجموع المضافة نحو عبيدي حر واسم الجنس المضاف
او المعرف تعريف الجنس مثل غلامي والغلام والنكرة في سياق النفي نحو ما في الدار احد والتخصيص قصر العام
على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص ايضا على قصر اللفظ على بعض ما يتناوله وان لم يكن ذلك اللفظ

صيغ العموم

٣

عاما كما يطلق عليه ايضا انه عام لتعدده وتكثره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين المعهودين
وكضاربا لجمع لا يستقيم تخصيص الا فيما يستقيم توكيده بكل لكونه ذا اجزاء يصح افتراقها حسا او حكما نحو
التكرمة مثل قوله تعالى تلك عشرة كاملة وجاء في رجال كلهم والمخصص اربعة اشياء الاول الاستثناء
بالا ونحوها الثاني الشرط وهو ما يتوقف تاثير المؤثر عليه لا وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه اقتضاء الرجم
لا وجود الزنى الثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة الرابع الغاية نحو اتموا الصيام الى الليل هذا هو التخصيص
بالمتصل وقد يتحقق بالمنفصل وذلك اما العقل كقوله تعالى الله خالق كل شيء واما الحس نحو اوتيت من كل شيء
واما الدليل السمعي كقوله عز من قائل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء وخصصه الاية الاخرى واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ويوصيكم الله في اولادكم خصصه قوله صلى الله عليه وسلم القاتل لا يرث والمطلق
هو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي هي ويلزم منه تمكن المامور من الاتيان بفرد منها اي فرد كان لانه لا
يمكن الاتيان بالماهية الا باتيان فرد منها وذلك اما في معرض الامر مثل اعتق رقبة او مصدر الامر كقوله
تعالى فتحرير رقبة او الاخبار عن المستقبل مثل ساعتق رقبة ولا يتصور الاطلاق في معرض الخبر المتعلق
بالماضي مثل رايت رجلا ضرورة تعيينه باسناد الرؤية اليه والمقيد بخلاف المطلق فهو لفظ دال على مدلول غير شايع
في جنسه فيدخل فيه الدال على المتعين مطلقا نحو زيد وهذا الرجل وانا وانت والدال على شايع لا في جنسه
بل في افراده كالعام فهو مقيد لغة لا اصطلاحا ويطلق المقيد على ما اذا اخرج من شايع بوجه بان يذكر
الدال على الماهية بوصف زايد عليها كرقبة مؤمنة فانها وان كانت مطلقة في جنسها من حيث هي رقبة
مؤمنة الا انها مقيدة بالنسبة الى مطلق الرقبة فهي مطلقة من وجه مقيدة من وجه وتقييد المطلق
شبيه بتخصيص العام فيجوز التقييد بالمتصل استثناء كان او صفة او شرطا او غاية او بدل بعض وبالمنفصل
عقلا كان او نقلا كتابا او سنة تقسيم اخر التركيب المفيد اعني الكلام قسمان احدهما الذي يحتمل ان
يقال لقائله صدقت او كذبت من حيث ذلك التركيب لا من امر خارج عن ذات التركيب ويقال له الخبر
اذا بلغ رواة الخبر مبلغا احال العقل تواطؤهم على الكذب فهو متواتر والا فخبر الواحد والثاني ما لا يحتمل
ذلك ويقال له الطلب والاول عبارة عن الجمل الاربع الاسمية والفعلية والشرطية والظرفية والثاني نوع لا
يستدعي في مطلوبه امكان الحصول وهو التمني ونوع يستدعي في مطلوبه ذلك ثم ان كان طلب فعل فامر ان
كان طلب ترك فنهي وان كان طلب فهم فاستفهام وان كان طلب اقبال فنداء ومتى امتنع اجراء هذه الابواب
على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالاستبطاء والاغراء والتعجب والتوبيخ ونحو ذلك تقسيم اخر
الحكم خطاب الله او مفاد خطابه متعلقا بافعال المكلفين بالاقتضاء او التخيير او الوضع اما التخيير فيراد
به الاباحة واما الاقتضاء فاما اقتضاء فعل مع امتناع الترك وهو الوجوب او مع جواز الترك وهو الندب
واما اقتضاء ترك مع امتناع الفعل وهو الحظر والتحريم او مع جوازه وهو الكراهة واما الوضع فيراد به ما
جعله الشارع بوضعه دليلا على شيء كدلوك الشمس على وجوب الصلوة او سببا لشيء كالزنا لوجوب الحد
او شرعا كالوضوء لصحة الصلاة واما الصحة والبطلان والحكم بهما فامر عقلي لا حكم شرعي لان صحة العبادات
اما كون الفعل مسقطا للقضاء كالفقهاء واما موافقة امر الشرع كالمتكلمين ولا شك ان العبادة اذا اشتملت
على اركانها وشرايطها حكم العقل بصحتها بكل من التفسيرين سواء حكم الشارع بها او لا والصحة في المعاملات
ايضا حكم عقلي لانها بمعنى كون الشيء بحيث يترتب عليه اثره واذا كان البيع مشتملا على الاسباب والشرايط
وارتفاع الموانع حكم العقل بترتب اثره عليه سواء حكم الشرع بها او لم يحكم وقس البطلان والفساد على
ما قلنا وكل حكم ثبت على خلاف الدليل لعذر فهو رخصة كحل الميتة للمضطر والقصر والفطر للمسافر واجبا
ومندوبا ومباحا والا فعزيمة واذا عرفت ما ذكرنا من التقسيمات لا يخفى عليك المقصود من ايرادها لان معاني

المخصص اربعة

كتاب الله تعالى منها محكم ومتشابه ومنها مجمل ومبين وبندرج فيهما المنسوخ والناسخ باعتبار لان النسخ
بيان انتهاء امد الحكم الشرعي ومنها مطلق ومقيد ومنها امر ونهي ومنها ظاهر ومأول ومنها حقيقة
ومجاز ومنها تشبيه وتمثيل ومنها كناية وتصريح ومنها الكلي والجزئي ومنها الخبر والطلب باقسام
ومنها الاحكام باصنافها ولا ريب ان تصور هذه الاصطلاحات وتذكرها في علم التفسير امر مهم والله اعلم

المقدمة العاشرة في ان كلام الله تعالى قديم اولاً ذكر قوم من ابناء الامة ان كلامه تعالى قديم
بعد ان عنوا بكلامه هذه الحروف المنتظمة المسموعة اما ان كلامه تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى وان
احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ومعلوم ان المسموع ليس الا هذه الحروف واما انها
قديمة فلان الكلام صفة الله تعالى ومن المحال قيام الحادث بالقديم وايضا كل حادث متغير والتغير على ذات
الله تعالى وصفاته محال وزعم قوم ان الكلام المولف من الحروف والاصوات يمتنع ان يكون قديما بالبديهة
وكيف لا وانها اصوات تحدث عن القاري شيئا بعد شي فلو قلنا انها غير كلام الله تعالى لزمنا القول بان الصفة
الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى وحالة في بدن هذا الانسان وهذا معلوم الفساد وجمع قوم بين
المذهبين فقالوا للشي وجود في الاعيان ووجود في الاذهان ووجود في العبارة ووجود في الكتابة فللقران
وجود عيني هو القائم بذات الله وانه قديم لا محالة لا يتطرق اليه شي من سمات النقص ووجود ذهني كما
لحفاظ القران ووجود في العبارة وهو على لسان القاري ووجود كتابي وهو مثبت في المصاحف ولا ريب
ان القران من حيثيات هذه الوجودات حادثة بل القران ما يطلق على المحفوظ والمتلو والمكتوب بالمجاز
من حيث انها دالة على الكلام القائم بذات الله تعالى واعلم انه لا برهان على ان كل صوت فانه يقوم
بجسم ولا على ان كل حرف فانما يقدر عليه ذو جارحة بل لعل ذلك في الشاهد فقط فالكلام القديم كمال
قديم نطق وسمع وبصر ولا آلة ولا جارحة كما انه ادرك وعلم من غير ماقوي وعضو ومن لم يدركه كما ينبغي
لم يدرك ادراكه كما ينبغي فلا يلوم الا نفسه كلامه كتاب وكتابه صواب وقوله فصل وحكمه عدل نور
ظهور وجوده شهود وعيانه بيان والكفر بما سواه ايمان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام

المقدمة الحادية عشر في كيفية استنباط المسايل الكثيرة من الالفاظ القليلة اذا شرعنا مثلا في تفسير
قول القايل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فههنا مباحث لفظية ومباحث معنوية اما اللفظية فمنها ما
يتعلق بالقراة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بعلم الاشتقاق ومنها ما يتعلق بعلم الصرف ومنها ما
يتعلق بالنحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع اعني المحسنات اللفظية واما المعنوية فمنها ما يتعلق بالمعاني ومنها
ما يتعلق بالبيان ومنها ما يتعلق بالاستدلال ومنها ما يتعلق باصول الدين ومنها ما يتعلق باصول الفقه
ومنها ما يتعلق بالفقه ومنها ما يتعلق بعلم الاحوال اما القراة فكما مر واما اللغة فاذا قلنا العوذ معناه
كذا واسم الله معناه كذا والشيطان كذا والرجيم كذا والباء واللام ومن معانيها ههنا كذا فكل واحد
منها مسلة واما الاشتقاق فان اعتبرنا الاشتقاق الكبيرة قلنا ان التراكيب الستة الممكنة من ع
وذ هل هي مستعملة او مهملة وكذلك كل من تراكيب الش ط ن او ش ي ط ومن تراكيب رج م واذا كانت
مستعملة فاصل المعنى في كل من المستعملات كيف يعتبر فيحصل مسايل كثيرة وان اعتبرنا بالاشتقاق
الصغير فهل للعوذ معنى آخر غير الالتجاء وان كان فما به الاشتراك بينهما اي شي هو فيحصل مسايل واما
الصرف فكان تقول اعوذ بالله مضارع متكلم واصله اعوذ مثل اطلب نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها
تخفيفا والله اصله الاله كالناس اصله الاناس فعال بمعنى مفعول نقلت الكسرة من الهمزة الى اللام
وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمعت لامان فاسكنت الاولى فادغمت في الثانية وقالوا يا الله في النداء
خاصة بالقطع لان الالف كالعوض من المحذوفة فكانك قلت يا اله وقيل اصله لاه الحقوا بها الالف واللام وشدد

شعر كحلفة من ابي رياح يسمعها لاهه الكبار ولو عد هذه المسلة من اللغة جاز لانه غير قياسي
والشيطان فعلان او فيعال والرجيم فعيل بمعنى مفعول وكلاهما للمبالغة فهذه مسايل واما النحو فاعوذ
فعل فاعله ضمير المتكلم المستتر وهو انا والمجموع جملة فعلية وبالله متعلق به وكذا من الشيطان الرجيم
نحو سرت من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة للشيطان معرف مثله وشيطان منصرف لانه اسم جنس لا
علم فهذه مسايل واما البديع فانا نقول انما اختير الرجيم دون اللعين او المرجوم مثل التوافق الفاصلة الاخرى
وهو الرحيم اذا ابتدي القاري بعد الاستعاذة بالبسملة وهو الاكثري مع ان اول القران ايضا البسملة
واعتبار الاستعاذة ههنا اولى وليكون عجيبا حظا وترصيعا واما المعاني فانا نقول انما اختير
المضارع على الماضي ليدل على الاستمرار والمقام اي شاني ان اعوذ كقولك يشرب الخطيب وانما لم يقل
انا اعوذ وانا عايذ وان كانت الجملة الاسمية تدل على الثبات لان المراد ان على تجدد هذا القول ملحظة
فلحظة ثابت مستمر لان عوذي مستمر وانما لم يقل بالله اعوذ ليفيد الحصر كما يقال في باسم الله ابتدي
لان الاستعاذة ههنا هو امتثال للامر ولانه لا يعود الا بانقطاع عن المعتبر والتبري عمن سوى الحق جل
ذكره فلا حاجة الى التخصيص ولانه موافق لما ورد في القران فاستعذ بالله وانما اختير اسم الله لانه
كالعلم والمقام مقام احضاره في ذهن السامع بعينه ليكون ادل على انقطاعه عما سواه وانما ذكر الشيطان
معرفا باللام الجنسي ليدل على هذه الحقيقة التي هي مادة كل شر فيشمل كل فرد منها ضرورة وجود
الحقيقة في اي فرد تعرض ولو اريد العهد ايضا جاز كما مر ولو نكرت فان قلت من شيطان رجيم
لم يفد العموم وان قلت من كل شيطان لاطنبت والمقام مقام اختصار وانما وصف بالرجيم لان المقام
مقام تاكيد وذم لانه ما ابلغ من البعد عن حضرة من هو منشا كل كلام ومصدر كل جنس واما البيان
فان قوله اعوذ معناه التصق ولا ريب ان الالتصاق بالله محال لان ذلك من شان الاجسام فالمراد التصق
برحمة الله وفضله فهو اذن مجاز لغوي وفي نفس الالتصاق ايضا بعد تقدير الرحمة يجوز تجدد على ما لا يخفى
ولو اريد بالشيطان شيطان الانس ايضا وثبت كون اللفظ موضوعا لشيطان الجن فقط كان استعارة
واذا قدرنا الاستعاذة من شر الشيطان كما مر كان مجازا بالنقصان واما ما يتعلق بالاستدلال فاما
من جهة التصور واما من جهة التصديق اما الاول فنحو كيفية اقتناص التصورات الواقعة في
التركيب من مفهوم العوذ ومفهوم اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم الرجيم وان كلا منها كيف يعرف
بالحد او الرسم فان عرف بالحد فكيف يتركب جنسه وفصله وان عرف بالرسم فكيف يركب لوازمه واما
معرفة الجنس والفصل واللوازم انفسها لكل منها فمن الامور العامة واما الثاني فان قولنا اعوذ لفظه
خبر ومعناه اما دعاء اي اللهم اعذني واما انشاء نحو بعت واشتريت واذا كان كذلك فلا يتطرق
اليه احتمال الصدق والكذب فلا يحتاج الى البرهان الى احدهما واستعمال الخبر في معنى الطلب من مسايل
علم المعاني ايضا واما ما يتعلق باصول الدين فان يعلم ذات الله تعالى وصفاته من انه قادر مختار عليم
الى غير ذلك من الصفات التي بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار والشرور عن المستعيذ بحيث لا يمنعه
مانع ولا يغلبه منازع وتصور الشيطان ولوازمه وكيفية وسوسته نحو ما سبق في المقدمة الثانية
واما ما يتعلق باصول الفقه فان يعرف ان الاستعاذة الواردة في الكتاب والسنة واجبة لا
مندوبة وان كانت واجبة فتتكرر بتكرر القراة ام لا وانها تقتضي الفور او تحتمل التراخي واما ما يتعلق
بالفقه فانها تستحب في الصلوة ام لا وان استحبت فتجهر في المكتوبة ام لا وان جازت ففي كل ركعة ام في
الاولى وحدها وتسر بها ام تجهر واما ما يتعلق بعلم الاحوال فالنكت الذي ذيلنا بها المقدمة الثانية فما
لا نكاد نحصر فهكذا يجب ان نستنبط المسايل من كل كلام يراد تفسيره من غير ان يخطي في شي من ذلك الى

ما ليس من العلم كان يقول في قراءات الاستعاذة القراءات المشهورة سبع هي كذا وكذا وروات كل قراءة
من هم وما منشأ كل قراءة وفي اللغة ان واضعها من هو وكيف تفاوت اللغات وما معنى الاشتقاق وما
وما فايدته وفي الصرف انه معرفة احوال الكلم التي ليست باعراب ومن جملة الاحوال صيغة المضارع وما
معناه وما حد الفعل والكلمة الى غير ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث الحرف والصوت
بل مقولة الكيف وفي النحو ان التركيب مشتمل على الاسم والفعل والحرف والاسم معرب منصرف وغير
منصرف ومبني وما سبب الاعراب والبناء والصرف ومنع الصرف وانواع الاعراب كم هي وكل منها ما
يختص باي شي من الفاعل والمفعول والمضاف اليه ولم يختص بكل صنف ما يختص واصناف الفعل كم هي
واصناف الحرف كم هي ولا سيما حروف الجر وما معنى كل منها الى غير ذلك وبالجملة فمن كل علم يوجد نكت
مخصوصة بهذه المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا الى ما فوق ذلك من القواعد والقوانين
لزم ايراد كل العلوم واكثرها في تفسير كلام واحد فانه محال تشنيع اذ يلزم تداخل العلوم واضطراب
القوانين وايضا لو نسي الشيطان الرجيم بما يلزمه من انواع الضلالات والجهالات والعقايد الفاسدة
والمذاهب الباطلة في الملة الاسلامية وغيرها او فسرها بما هو مباين عنه كانواع الآفات واصناف
المخافات حتى يلزم تكثير المسايل لم يخلو عن التعسف والاعنات ومن ارتكب شيئا من ذلك فقد
نطق بالخلق وزاغ عن الجادة وانحرف عن سواء السبيل نعم لو اورد طرف من الاصطلاحات او المسايل
على سبيل التصديق من غير اشارة الى ما حدها الاصلية ودلايلها الكلية الا نادرا احاز بما مالم
يتجاوز حد الضرورة ومقدارها كما اشرنا اليها في المقدمات وقد بقي ما يمكن ان يعد من المقدمات ذكر
ابتدا الوحي وكيفية نزول القرآن شيئا بعد شي وبيان كيفية اعجازه ونحن قد راينا الاليق بها
ايرادها في مواضعها اذا اقتضت الموبة اليها فنشرع الآن في المقصود وهو التفسير المسمى بغرايب
القرآن ورغايب الفرقان ۞ والله المستعان ۞ وعليه التكلان ۞ والله حسبي ونعم الوكيل

سورة فاتحة الكتاب مكية ويقال مدنية سبع آيات الآن المكي والكوفي عدوا التسمية
آية دون انعمت عليهم ومذهب المدني والبصري والشامي بالعكس كلماتها خمس
وعشرون وحروفها ماية وثلثة وعشرون حرفا ۞

بسم الله الرحمن الرحيم ۝
الحمد لله رب العالمين ۝ الرحمن الرحيم ۝ مالك يوم
الدين ۝ اياك نعبد واياك نستعين ۝ اهدنا الصراط
المستقيم ۝ صراط الذين انعمت عليهم ۝ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ۝

القراءة مالك بالالف سهل ويعقوب وعاصم وعلي وخلف والباقون ملك مد عما ابو عمرو وكذلك يدغم
كل حرفين التقيا من كلمتين اذا كانا من جنس واحد مثل قال لهم او مخرج واحد مثل ولتات طايفة او قريبي
المخرج مثل خلقكم ولقد جاءكم سواء كان الحرف المدغم ساكنا مثل انبتت سبع سنابل ويسمى بالادغام الصغير
فاسكن للادغام مثل قيل لهم ولذهب بسمعهم ويسمى الادغام الكبير الا ان يكون مضاعفا مثل احل لكم ومستقرا

سفرا او منقوصا مثل ما كنت ترجوا وكنت ترابا ونعني بالمنقوص الاجوف المحذوف العين او مفتوحا
قبله ساكن مثل البحر لتاكلوا والحجر لتركبوها الا في مواضع اربع كاد تزيغ وقال رب كل القرآن والصلوة
طرفي النهار وبعد توكيدها ويكون الاظهار احق من الادغام نحو افانت تهدي افانت تسمع وعن يعقوب
ادغام الجنسين في جميع القرآن اذا التقيا من كلمتين الصراط باشمام الزاء وههنا وفي جميع القرآن
حمزة وعن يعقوب بالسين كل القرآن وعن الكسائي باشمام السين كل القرآن الباقون بالصاد عليهم
واليهم ولديهم بضم الهاآت كل القرآن حمزة وسهل ويعقوب ضم كل ميم جمع يزيد وابن كثير ونافع غير
ورش مخير ورش يضم الميم عند الف القطع فقط نحو الذين انتم ام الوقوف العالمين ۝ لا لاتصاف الصفة
بالموصوف الرحيم ۝ لا كذلك الدين ۝ ط للعدول عن الغايب الى المخاطبة نستعين ۝ لا لابتداء الدعا المستقيم ۝ لا لاتصال
البدل بالمبدل انعمت عليهم ۝ لا لاتصال البدل او الصفة الضالين ۝ التفسير روي عن جندب
عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برايه فاصاب فقد اخطا ۝
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير
علم فليتبوا مقعده من النار فذكر العلماء ان النهي عن تفسير القرآن لا يخلوا اما ان يكون المراد به الاقتصار
على النقل والمسموع وترك الاستنباط والمراد به امر آخر وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في
القرآن الا بما سمعه فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس
كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه
التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل فما فايدة تخصيصه بذلك وانما النهي يحمل على وجهين احدهما
ان يكون في الشي راي واليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القرآن على وفق هواه ليحتج على تصحيح
غرضه ولو لم يكن له ذلك الراي والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا قد يكون مع
العلم بان المراد من الآية ليس ذلك ولكن يلبس على خصمه وقد يكون مع الجهل ذلك اذا كانت
الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برايه وهواه ولولا رايه
لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه
بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعوا الى مجاهدة القلب القاسي فيقول المراد بفرعون في قوله تعالى اذهب الى فرعون
انه طغى هو النفس الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع
والنقل فيما يتعلق بغرايب القرآن وما يتعلق به من الالفاظ المبهمة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم
والتاخير فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع
التفهم والاستنباط والغرايب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها
معناه ولا يدري بماذا ظلموا فانهم ظلموا غيرهم وانفسهم وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه
ما دام على قوانين العلوم العربية والقواعد الاصلية والفرعية واعلم ان مقتضى الديانة اذ لا يأول المسلم
شيئا من القرآن والحديث بالمعاني بحيث تبطل الاعيان التي فسرها النبي صلى الله عليه وسلم والسلف
الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغير ذلك ولكنه
يجب ان يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها حقايق اخرى ورموزا او لطايف بحسب ما كوشف فلا
باس فان الله تعالى ما خلق شيئا في عالم الصور الا وله نظير في عالم المعنى وهو الآخرة الا وله حقيقة
في عالم الحق وما خلق في العالمين شيئا الا وله انموذج في عالم الانسان والله تعالى اعلم والتفسير
اصله الكشف والاظهار وكذلك سايرتقاليبه من ذلك سفرت المراة كشفت عن وجهها والفرس لانه يكتنى
به عن وجوه الحوايج ومنه السفر لانه يكتشف عن ماله حينئذ والرفس لانه يكتشف عن عضوه والكتاف

حال المفيد في رستاته واضح فمن التفسير ما يتعلق باللغة ومنه ما يتعلق بالصرف او النحو او المعاني
او البيان الي غير ذلك او العلوم كما اشرنا الي ذلك في اخر المقدمة العاشرة منه اسباب النزول
وذكر القصص والاخبار وغيره ذلك ونحن على ان نورد بعد القران مع الترجمة الفرائد الوقوف ثم
التفسير الشامل الجميع ذلك ثم التاويل ان كان ولم نذكره في التفسير ونذكر منه ما هو اقرب الي الامكان
والله المستعان فلنشتغل بتفسير الفاتحة فنقول في البسملة مسايل الاولى الجار والمجرور لا بد له من
متعلق فيكون مقدرا اما انه يكون فعلا او اسما فيه رجحة الفعل وعلى التقديرين فاما ان يقدر مقدما او
موخرا نحو ابدا بسم الله او ابتدي بسم الله او بسم الله ابتدي او بسم الله ابتدا اي الابتداء وتقدير
الفعل اولي من تقدير الاسم لان كل فاعل يبدا في فعله بسم الله يكون مضمرا ما جعل التسمية مبدا
له فيكون المراد ان انشاء ذلك الفعل انما هو على اسم الله فيقدر ههنا بسم الله اقرا او اتلو او ابدا
لان الذي يتلوا التسمية مقروء ومبدو به كما ان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله والبركات
كان المعنى بسم الله احل او ارتحل وكذلك الذبح ونظيره في حذف متعلق الجار قولهم في الدعاء
للعرس بالرفاء والبنين اي بالوفاق اعرست وتقدير المحذوف متاخرا اولي على نحو قوله عز من قائل
بسم الله مجراها ومرسيها لان تقديم ذكر الله تعالى ادخل في التعظيم ولان ما هو السابق في الوجود
يستحق السبق في الذكر ولهذا قال المحققون ما راينا شيا الا وراينا الله قبله ولانهم كانوا يبداون
باسماء الهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزي فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله
عز وعلا بالابتدا وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما في اياك نعبد صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص
قال في الكشاف وانما قدم الفعل في اقرا باسم ربك لان تقديم الفعل هناك اوقع لانها اول سورة نزلت فكان
الامر بالقراءة اهم وقال صاحب المفتاح الصواب ان يقال معنى اقرا اوجد القراءة ويكون باسم ربك متعلقا
باقرا الثانية وذكر في معنى تعلق اسم الله بالقراءة وجهان اما تعلق الكتبة بالقلم في قولك
كتبت بالقلم كان فعله لا يجي معتدا به شرعا الا بعد تصديره بذكر الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم
كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر واما تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن اي متلبسا
باسم الله اقرا كما في قوله بالرفاء والبنين اي اعرست متلبسا بالرفاء وهذا اعرب واحسن اما كونه ادخل
في العربية فلانه لا يعرفه الا من له دربة بفنون الاستعمالات بخلاف الاول فانه مبتذل واما كونه
احسن فلان جعل اسم الله كالالة خروج عن الادب لان الالة من حيث انها الة غير مقصودة بالذات
واسم الله تعالى عند الموحد اهم شي واقدمه وانه مقول على السنة العباد تعلقا كيف يتبركون باسمه
ويعظمونه وكذلك الحمد لله رب العالمين الي اخره الثانية انهم استحسنوا تفخيم اللام وتغليظها من لفظ
الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فللفرق بينه وبين اللات في الذكر ولان التفخيم مشعر
بالتعظيم ولان اللام الرقيقة يذكر بطرف اللسان والغليظة تذكر بكل اللسان فكان العمل به اكثر فيكون
ادخل في الثواب وهذا كما جاء في التوراة احبب ربك بكل قلبك واما الثاني فلان النقل من الكسرة الي
اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار وانما جعل اللام الغليظة حرفا والرقيقة
حرفا اخر كما عد الدال حرفا والطاء حرفا اخر مع ان نسبة الرقيقة الي الغليظة كنسبة الدال الي الطاء فان
الدال بطرف اللسان والطاء بكل اللسان لاطراد استعمال الغليظة مكان كل رقيقة ما لم يعق عائق الكسرة وعدم
اطراد الطاء مكان كل دال الثالثة طولوا الباء من بسم الله اما للدلالة على همزة الوصل المحذوفة واما لانهم
ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله الا بحرف معظم وكان يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه طولوا الباء واظهروا السين
ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله وقال اهل الاشارة الباء حرف منخفض في الصورة فلما اتصل بكتبة لفظة الله

ولبس بذكر رحيم

ارتفعت واستعلت فلا يبعد ان القلب اذا اتصل بحضرة الله يرتفع حاله ويعلو شانه الرابعة ابقاء لام
التعريف في الخط على اصله في لفظ الله كما في ساير الاسماء المعربة واما حذف الالف قبل الهاء فلكراهتهم
اجتماع الحروف المتشابهة في الصورة في الكتابة ولانه يشبه اللات في الكتابة قال اهل الاشارة والاصل في
قولنا الله الا لاه وهو ستة احرف ويبقى بعد التصرف اربعة في اللفظ الف ولامان وهاء فالهمزة من
اقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من اقصى الحلق وهذا حال العبد يبتدي من النكرة والجهالة
ويترقى قليلا في مقامات العبودية حتى اذا وصل الي اخر مراتب الوسع والطاقة ودخل في عالم المكاشفات
والانوار اخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهي الي الفنا في بحر التوحيد كما قيل النهاية رجوع الي البداية
واما حذف الالف قبل النون من حرف الرحمان فجايز في الخط والتركيب ولو كتب حسن الخامسة اسم احد
الاسماء العشرة التي بنوا اوايلها على السكون فهو عند البصريين في الاصل سمو ابدل لكثرة على اسماء
وتصغيره على سمي ونحر يفه على سميت ونحوه فاشتقاقه من السمو العلو وهو مناسب لان التسمية
تنويه بالمسمي واشارة بذكره وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف مقدم على المعرف في المعلومية فهو عامل عليه
حذف عجزه كما في يد ودم فبقي حرفان اولهما متحرك والثاني ساكن فلما حرك الساكن للاعراب اسكن
المتحرك للاعتدال فاحتيج الي همزة الوصل اذ كان دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن حذرا من
الكلفة والبشاعة ومنهم من لم يرد الهمزة وابقى السين عاله قال شعر باسم الذي في كل سورة سمه وقد
يضم السين فيقال سم كان الاصل عنده سمو وعند الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم والسمة والسمة لان
الاسم كالعلامة المعرفة وزيف بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما وجمعه اوساما السادسة قال بعض
المتكلمين ومنهم الاشعري ان الاسم عين المسمي وغير التسمية وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمي
معدوما كلفظ المعدوم والمنفي ونحو ذلك وقد يكون بالعكس كالحقايق التي لم توضع لها اسماء ولان الاسماء
قد تكون كثيرة مع كون المسمي واحدا كالاسماء المترادفة وكالاسماء التسعة والتسعين او بالعكس كالاسماء
المشتركة ولان كون الاسم اسما للمسمي وكون المسمي مسمى له من باب الاضافة كالمالكية والمملوكية والمضافان
متغايران لا محالة ولا يشكل ذلك بكون الشخص عالما بنفسه لانهما متغايران اعتبارا ولان الاسم اصوات
وحروف وهي اعراض غير باقية والمسمي قد يكون باقيا بل واجب الوجود لذاته ولانه لا يلزم من التلفظ بالعسل
وجود الحلاوة في اللسان ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة قالت المعتزلة الاسم نفس المسمي كقوله تعالى
تبارك اسم ربك مكان تبارك ربك والجواب انه يجب علينا تنزيه ذات الله تعالى من النقايص
يجب تنزيه اسمه عما لا ينبغي وايضا قد يراد لفظ الاسم مجازا كقول لبيد شعر الي الحول ثم اسم السلام عليكما
قالوا اذا قال الرجل زينب طالق وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعا قلنا المراد الذات التي يعبر عنها
هذا اللفظ طالق فلهذا وقع الطلاق عليها والتسمية ايضا متغايرة للمسمي وللاسم لانها عبارة عن تعيين
اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه قصد الواضع وارادته والاسم عبارة عن
ذلك اللفظ المعين فافترقا السابعة وضع الاسماء والافعال على وضع الحروف لان الحروف رابطة
بينهما والظاهر ان وضع الاسما سابق على وضع الافعال لان الاسم لفظ دال على الماهية والفعل لفظ
دال على حصول الماهية لشي من الاشيا في زمان معين فكان الاسم مفردا والفعل مركب والمفرد سابق
على المركب طبعا فيكون سابقا عليه وضعا وايضا الفعل مفتقر الي الفاعل والفاعل لا يفتقر الي الفعل
وايضا الاسم مستغن في الافادة عن الفعل دون العكس والاظهر ان اسماء الماهيات سابقة بالرتبة
على الاسما المشتقات لان الاولي مفردة والثانية مركبة ويشبه ان يكون اسماء الصفات سابقة بالرتبة
على اسماء الذوات القايمة بانفسها بانا لا نعرف الذوات الا بتوسط الصفات القايمة والمعرف معلوم قبل المعرف

فيناسب السبق بالذكر الثامنه اقسام الاسماء الواقعة على المسميات تسعة اولها الاسم الواقع على
الذات ثانيها الاسم الواقع على الشي بحسب جزء من اجزائه كالانسان على الحيوان ثالثها الواقع عليه
بحسب صفة حقيقية قايمة بذاته كالاسود والحار رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا
للشي انه معلوم ومفهوم ومالك ومملوك خامسها الواقع عليه بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها
الواقع عليه بحسب صفة حقيقية مع صفة اضافية كالعالم والقادر عند القايل بان العلم صفة حقيقية
ولها اضافة الى المعلومات وكذا القدرة سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع
قولنا قادر لا يعجز عن شي وعالم لا يجهل شيا ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية كالاول فان معناه سابق
غير مسبوق تاسعها صفة حقيقية مع صفة اضافية وصفة سلبية فهذه اقسام الاسما لا يكاد تجد
اسما خارجا عنها سوا كان لله تعالى او لمخلوقاته التاسعه هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة
اسم لا ذكر بعضهم ان حقيقته تعالى لما كانت غير مدركة للبشر فكيف يوضع له اسم مخصوص بذاته وما
الفايدة في ذلك واقول لا ريب ان الادراك التام عبارة عن الاحاطة التامة والمحاط لا يمكن بان يحيط بمحيطه
ابدا وانه تعالى بكل شي محيط فلا يدركه شي مما دونه كما ينبغي الا ان وضع الاسم للذات لا ينافي عدم ادراكه
مطلقا فيجوز ان تعالى الشي الذي تدرك منه هذه الاثار واللوازم مسمى بهذا اللفظ وايضا اذا كان الواضع
هو الله تعالى وانه يدرك ذاته على ما هو عليه فله ان يضع لذاته اسما مخصوصا لا يشاركه فيه غيره
حقيقة واذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة المخصوصة ممكنا فينبغي ان يكون ذلك الاسم اعظم الاسما
وذلك الذكر اشرف الاذكار لان شرف العلم والذكر بشرف المذكور والمعلوم فلو اتفق لعبد من عبيده المقربين
الوقوف على ذلك الاسم حالما يكون قد تجلى له معناه لم يبعد ان ينقاد له عوالم الجسمانيات والروحانيات
ثم القايلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه على وجوه منهم من قال هو ذو الجلال والاكرام ورد
بان الجلال من الصفات السلبية والاكرام من الاضافية ومن البين ان حقيقته المخصوصة مغايرة
للسلوب والاضافات ومنهم من يقول انه الحي القيوم لقوله صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ما اعظم
اية في كتاب الله فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم ليهنك العلم يا ابا المنذر ورد بان الحي هو الدراك الفعال
وهذا ليس فيه عظمة ولانه صفة واما القيوم فمعناه كونه قايما بنفسه مقوما لغيره والاول مفهوم سلبي
وهو استغناوه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان اسماء الله تعالى كلها عظيمة لا ينبغي ان
تفاوت بينها ورد بما مر من ان اسم الذات اشرف من اسم الصفة ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله
وهذا اقرب لانا نستقيم للدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى العلم في حقه سبحانه واذا كان كذلك
كان دالا على ذاته المخصوصة ويويد ذلك ما روت اسما بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة
ال عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا
يقول اللهم اني اسالك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
احد فقال والذي نفسي بيده لقد سال الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سيل اعطى
ولا شك ان اسم الله في الاية والحديث اصل والصفات مرتب عليه هذا واما الاسم الدال على المسمى
بحسب جزء من اجزايه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى مبراء عن شايبة التركيب بوجه من
الوجوه واما الاسم الدال بحسب صفة حقيقية قايمة بذاته المخصوصة فتلك الصفة اما ان تكون
هي الوجود واما ان تكون كيفية من كيفيات الوجود واما ان تكون صفة اخرى مغايرة للوجود
ولكيفيات الوجود فهذه ثلثة اقسام القسم الاول الاسما الدالة على الوجود منها الشي ويجوز اطلاقه

على الله تعالى عند الاكثرين لقوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم كل شي هالك
الا وجهه وفي الخبر كان الله ولم يكن شي غيره ولان الشي عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه وذاته تعالى كذلك
حجة المخالف قوله تعالى الله خالق كل شي فلو كان الله تعالى شيا لزم ان يكون خالق نفسه ومثله وهو على
كل شي قدير قلنا خص بدليل العقل قالوا ليس من صفات المدح قلنا نعم من خيرا لا من شي وان كان ساير الاشيا
مشتركة معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم
ولا حلم بل الشي بالحقيقة هو وباقي الاشيا يشبيهها مستعارة منها الوجود واطبق المسلمون على جواز اطلاقه
عليه تعالى ولكن لا ومعنى قول الموحد لا اله الا الله اي لا اله في الوجود الا الله ومنها الذات لا شك في
جواز اطلاقه اذ يصدق على كل حقيقة انها ذات الصفات اي صاحبة الصفات القايمة بها ويويد ذلك
ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم لم يكذب الا في ثلث ثنتين في ذات
الله اي في طلب مرضاته ومنها النفس قال الله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال صلى
الله عليه وسلم انت كما اثنيت على نفسك اي على ذاتك وحقيقتك ومنها الشخص قال صلى الله عليه وسلم
لا شخص اغير من الله ومن اجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص احب اليه العذر
من الله ومن اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه المدحة من الله والمراد
بالشخص الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداها ومنها النور قال عز من قايل الله نور السموات والارض
وليس المراد به ما يشبه الكيفية المبصرة وانما المراد انه الظاهر في نفسه المظهر لغيره اذ لا ظهور ولا اظهار
فوق ظهوره واظهاره فانه واجب الوجود لذاته ازلا وابدا ومخرج جميع الممكنات من العدم الى الوجود
فاذن هو نور الانوار تعالى وتقدس وسوف ياتيك تمام التحقيق اذا وصلنا الى صورة النور وهو اعلم بحقايق
الامور ومنها الصورة فقد ورد في الخبر ان الله خلق ادم على صورته فقيل معناه خلق ادم على صورته
التي كان عليها يعني ما تولد من نطفة ودم ما كان جنينا ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا كاملا دفعة واحدة
وقد في حديث اخر لا تقبحوا الوجه فان الله تعالى خلق ادم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة
كما يقال صورة هذه المسئلة كذا اي خلقه على صفته في كونه خليفة في ارضه متصرفا في جميع الاجسام
الارضية كما انه تعالى نافذ القدرة في جميع العالم ويمكن ان يقال الصورة اشارة الى وجه المناسبة التي ينبغي
ان يكون كل علة ومعلولها فان الظلمة لا تصدر عن النور وبالعكس وبانا قد كتبنا في هذه الرسالة ومنها
الجوهر وانه لا يطلق عليه بمعنى موجود لا في موضوع اي اذا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم
به ويستغني المحل عنه لان ذلك ينبي عن كون وجوده زايدا على ماهيته وانما يمكن ان يطلق عليه بمعنى
اخر وهو كونه قايما بذاته غير مفتقر الى شي في شي اصلا لكن الاذن الشرعي حيث لم يرد بذلك وجب
الامتناع عنه ومنها الجسم ولا يطلقه عليه الا المجسمة فان ارادوا الجوهر القابل للابعاد الثلثة
فمحال للزوم التركيب والتجزي وان ارادوا معنى يليق بذاته من كونه موجودا قايما بالنفس غنيا عن
المحل فالاذن الشرعي لم يرد به فلزم الامتناع ومنها الماهية والانية الحقيقة التي يسال عنها بما هي
وثبوته الدال عليه لفظة ان ولا باس باطلاقهما عليه اذ لا يريد بها الحقيقة والذات المخصوصة
لا من حيث الشرع ومنها الحق انه تعالى احق الاشيا بهذا الاسم اما بحسب ذاته فلانه الموجود الذي
يمتنع عدمه وزواله والحق يقال بازاء الباطل والباطل يقال للمعدوم قال لبيد شعر الا كل شي ما خلا الله باطل
واما بحسب ما يقال ان هذا الخبر حق وصدق فهذا الخبر احق واصدق واما بحسب ما يقال هذا الاعتقاد حق فلان
اعتقاد وجوده ووجوبه اصوب الاعتقادات المتطابقة القسم الثاني في الاسما الدالة على كيفية
الوجود منها القديم وهو في اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع يرادفه الازلي ويراد بهما ما لا اولية له في طرف

السرمدي اشتقاقه من السرد

الماضي كالابدي في طرف المستقبل وكذا السرمدي في اشتقاقه من السرد التوالي والتعاقب زيدت الميم للمبالغة ويعني بالنسبة في هذه الالفاظ انه تعالى منسوب الى عدم البداية والنهاية في كلا طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان ومنها المتمد والمستمر ويعني بهما تلاحق الاجزا وتعاقب الالفاظ ولا يخفى ان امثال هذه الالفاظ انما يصح اطلاقها بالحقيقة على الزمان والزمانيات واما في حق الله جل ذكره فلا يصح الا بالمجاز بعد التوقيف ومنها الباقي قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وانه تعالى احق الاشيا بهذا الاسم ومنها الدايم وهو كالباقي ومنها واجب الوجود لذاته اي ذاته اقتضى وجوده وما بالذات لا ينفك عنه ابدًا فهو ممتنع الفنا والعدم ازلا وابدا ولهذا قيل حذاي معناه خود اي انه جاء بنفسه ومنها الكاين قال الله تعالى وكان الله عليما حكيما وفي بعض الادعية الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم يا كاينا قبل كل كون ويا حاضرًا مع كل كون ويا باقيًا بعد انقضاء كل كون واعلم ان لفظة كان تقيد الحصول والثبوت والوجود الا ان هذا قسمان منه ما يفيد حصول الشي في نفسه ومنه ما يفيد حصول موصوفية شي بشي والاول يسمى باسناده الى ذلك الشي وهي التامة والثاني لا يتم الا بذكر شيين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما اي حصول موصوفية زيد بالعلم وكلا القسمين يجوز اطلاقه عليه تعالى

القسم الثالث في الصفات الحقيقية المغايرة في الوجود للكيفيات الفلاسفة والمعتزلة انكروا قيام مثل هذه الصفات بذات الله تعالى اشد انكار لان واجب الوجود لذاته يجب ان يكون واحدًا من جميع جهاته ولان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود لزم شريك الباري مع ان الجمع بين الوجوب الذاتي وبين كونه صفة للغير والصفة مفتقر الى الموصوف محال وان كانت ممكنة الوجود فلها علة موجبة ومحال ان يكون هو الله تعالى لانه قابل لها فلا يكون فاعلا لها ولانه ذاته لو كانت كافية في تحصيل تلك الصفة فيكون ذاته بدون تلك الصفة كاملة في العلية وهو المطلوب وان لم يكن كافية لزم النقص المنافي لوجوب الوجود حجة المثبتين ان اله العالم يجب ان يكون عالما قادرا حيًا ثم انا ندرك التفرقة بين قولنا ذات الله ذات وبين قولنا ذاته عالم قادر وذلك تدل على المغايرة بين الذات وهذه الصفات واذا قلنا باثبات الصفات الحقيقية فنقول كون العلم صفة يلزمها كونها متعلقة بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صحة تعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية العارية عن النسب والاضافات وصفته تعالى ليست الا صفة الحيوة ان لم نقل انها عبارة عن الدراكية والفعالية بل نقال انها صفة باعتبارها ويصح ان يكون عالما وقادرا والتحقيق ان الحيوة عبارة عن كون الشي بحيث يصدر عنه ما من شانه ان يصدر عنه ولا ريب ان واجب الوجود تعالى احق الاشيا بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضي اتصافه بجميع الصفات الكمالية وصدور الاشيا الممكنة عنه على النحو الافضل ولهذا امدح الله نفسه قايلا الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم واما الاسما الدالة على الصفات الاضافية فمنها التكوين وهو عند المعتزلة والاشعرية نفس المكون وقال غيرهم انه غيره حجة الاولين ان الصفة المسماة بالتكوين اما ان تؤثر على سبيل الصحة وهي القدرة لا غير او على سبيل الوجوب ويلزم كونه موجبًا بالذات لا فاعلا بالاختيار وايضا ان كانت قديمة لزم قدم الاثار وان كانت حادثة افتقرت الى تكوين اخر وتسلسل الاخرون قالوا كونه خالقا رازقا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية بصفة اضافية لان المعقول من كونه موجدًا مغايرًا للمعقول من كونه قادرًا فان القادر قد يوجد وقد لا يوجد ومنها كونه معلومًا مذكورًا مسبحًا محمدًا فيقال يا ايها المسبح بكل لسان ويا ايها الممدوح عند كل انسان ويا ايها المرجوع اليه في كل حين واوان ولما كان هذا النوع من الاضافات غير متناه كانت الاسما الممكنة لله بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية ومنها الفاظ متقاربة تدل على مجرد كونه موجدا ومعناه المؤثر في الوجود

والمحدث وهو اخص لانه الذي جعله موجودًا بعد العدم والمكون وهو كالموجد والمنشي ومعناه ينبي عن التدريج والمبدع والمخترع ويفهم منها الايجاد الدفعي وكذا الفاطر ومثل الصانع ويفهم منه تكلف واما الخالق فهو التقدير وانه في حق الله تعالى يرجع الى العلم واما الباري فهو الذي يحدثه على الوجه الموافق للمصلحة يقال بري القلم اذا اصلحه وجعله موافقا لغرض معين ومنها الفاظ تدل على ايجاد شي بعينه وانها تكاد تكون غير متناهية فمنها الفاظ تدل على ايجاد النوع الفلاني لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع سمي نافعا واذا خلق الالم سمي ضارًا واذا خلق الحياة سمي محييا واذا خلق الموت سمي مميتا واذا خصهم بالاكرام سمي برًا لطيفا واذا اخصهم بالقهر سمي قهارًا جبارًا واذا اقل العطا سمي قابضا واذا اكثر سمي باسطا واذا جازى الذنوب بالعقاب سمي منتقمًا واذا ترك ذلك الجزا سمي عفوا غفورًا رحمانا رحيما واذا حصل المنع والاعطاء في المال سمي قابضا باسطا واذا حصلا في الجاه والحشمة سمي خافضا ورافعا واما الصفات السلبية فمنها ما يعود الى الذات كقولنا انه ليس جوهرًا ولا جسمًا ولا مكانيا ولا زمانيا ولا حالا ولا محلا ولا مفتقرًا الى شي غيره في ذاته وفي صفاته وانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا احد ومنها ما يعود الى الصفات ولا يخفى ان كل صفة من صفات النقص يجب تنزيه الله عنها وذلك اما راجع الى اضداد العلم كنفي النوم لا تاخذه سنة ولا نوم وكنفي النسيان وما كان ربك نسيا وكنفي الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وكان لا يمنعه العلم ببعض المعلومات من العلم بغيره لا يشغله شان واما راجع الى اضداد القدرة لكونه منزها في افعاله عن التعب والنصب وما مسنا من لغوب وانه لا يحتاج في فعله الى الالات وتقديم المادة والمدة انما امرنا اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وانه لا يتفاوت في قدرته القليل والكثير وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وانه لا ينتهي قدرته ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى صفة الوحدة كنفي الانداد والاضداد ليس كمثله شي ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله او الى صفة الاستغنا وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ومنها ما يعود الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين لا يخلق العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثًا لا يرضى بالكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يودي من غير سابقة جرم ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم لا ينتفع بطاعات المطيعين ولا يتضرر بمعاصي المذنبين ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها ليس لاحدان يعترض عليه في افعاله واحكامه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا يخلف الميعاد ومن اسماء السلوب القدوس والسلام لانه منزه وسالم عن نقايص الامكان ومنها العزيز وهو الذي لا يوجد له نظير ولا يغلبه شي والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من اتصال الرحمة والصبور الذي لا يعاقب المسيء مع القدرة عليه واما الاسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك والمليك والقوي وذو القوة ومعانيها ترجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون بشي من علمه عالم الغيب والشهادة وهو بكل شي عليم علام الغيوب الله اعلم حيث يجعل رسالاته علم الله انكم كنتم تختانون والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وعلم الاسماء ولم يرد علامة وان كان يفيد المبالغة لان ذلك ينبا وبل امة وجماعة والخبير يقرب من العلم وكذا الشهيد اذا فسر بكونه مشاهدًا لها فاذا اخذ من الشهادة كان من وصف الكلام والحكمة تشارك العلم من حيث انه ادراك حقايق الاشيا كما هي وتباينه بانه ايضا صدور الاشيا عنه كما ينبغي واللطيف قد يراد به ايصال المنافع الى الغير بطرق حقيقية عجيبة والتحقيق انه الذي ينفذ تصرفه في جميع الاشيا ومنها ما يرجع الى الكلام وكلم الله موسى تكليما وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيًا

لم يرد علامة في صفاته تعالى

واذ قال ربك ما يبدل القول لدي ومن اصدق من الله قيلا انما امره ان الله يأمركم وعد الله حقا
فاوحى الى عبده ما اوحى وكان الله شاكرا وكان سعيهم مشكورا وذلك انه اثنى على عبيده
بمثل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وهذا صورة الشكر ومنها ما
يرجع الى الارادات يريد الله بكم اليسر رضي الله عنهم اي صار مريدا لافضالهم يحبهم ويحبونه والله
يحب المطهرين يريد ايصال الخير اليهم كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها والاشعرية الكراهية
عبارة عن عدم الفعل المعتزلة صفة اخرى عن الارادة ومنها ما يرجع الى السمع والبصر انني معكما
اسمع وارى انه هو السميع البصير لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار واما الصفات الاضافية مع
السلبية فكالاول لانه مركب من معنيين احدهما انه سابق على غيره والثاني لا يسبق عليه غيره
وكالاخر فانه الذي يفتقر اليه غيره ولا يفتقر هو الى غيره والظاهر اضافة محضة والباطن كذلك
اي انه ظاهر بحسب الدلايل باطن بحسب الماهية واما الاسم الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية
والاضافية والسلبية فالاله ولا يجوز اطلاق هذا اللفظ في الاسلام على غير الله تعالى واما الله
فسيأتي انه اسم علم وقد بقي ههنا اسما يطلقها عليه تعالى اهل التشبيه لكونه متحيزا او حالا في
المتحيز استبعادا منهم انه كيف يكون موجودا خاليا عن كلا الوصفين وهو عند اهل التقديس محال
للزوم الانقلاب اللهم الا ان تعالى استصحاب المكان لا يستلزم الافتقار الى المكان ومنها العظيم
والكبير وهما متقاربان لقوله تعالى في موضع وهو العلي العظيم وفي اخر وهو العلي الكبير وقد يفرق بينهما
بانه ورد الكبرياء ردائي والعظمة ازاري والرداء ارفع من الازار وايضا اختص تحريم الصلوة بالله اكبر
دون الله اعظم ولا ريب ان اطلاق العظم والكبر على الله بحسب الحجمية والمقدار كما للاجسام محال تعالى
عن ذلك للزوم التجزية والتبعيض ومنها العلي والمتعالي فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على
الله تعالى فاما ان يراد بمثل هذه الالفاظ مبدعي الرتبة والشرف على الممكنات واما ان يقال انا نطلق هذه
الاسماء للاذن الشرعي ونكل معانيها الى مراد الله تعالى واما ان نستمد في ادراكها بضرب من الكشف
والعيان **العاشر** في الاسماء المضمرة قال عز من قايل انني انا الله لا اله الا انا ولا يصح لغيره هذا الذكر
الا حكاية وما جاء من قول بعض اهل الكمال شعر انا من اهوى ومن اهوى انا اشارة الى كمال المحبة وغاية
ارادة الاتصاف بصفة المحبوب وفناء ارادته في ارادته وقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
ولا يصح هذا الا من العبد بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله الا هو وانما يصح هذا من الغايبين واعلم
ان درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلي ونقصانه فكل حاضر غايب بالنسبة الى ما فوق تلك
الدرجة ورب غايب حاضر كما قيل شعر ايا غايبا حاضرا في الفواد سلام على الغايب الحاضر وفي
لفظة هو اسرار عجيبة منها ان العبد اذا قال يا هو فكانه يقول ما للتراب ورب الارباب وما المناسبة
بين المتولدة من النطفة والدم وبين الموصوف بالازلية والقدم فلهذا اتى بنداء الغايبين ويقول بالهو
ومنها انه اذا قال يا هو فقد حكم على ان كل ما سوى الله نفي محض لانه لو حصل في الوجود شيء
لكان قوله هو صالحا لهما جميعا فلا يتعين النداء ومنها اذا قال يا رحمن فكانه يذكر رحمته او يطلب رحمته
وكذا اذا قال يا كريم وغيرهما من الصفات فاما اذا قال يا هو فكانه استغرق في بحر العرفان وفني عما
سوى الذات ومنها اذا قال يا هو فكانه يقول اجل حضرتك ان امدحك واثني عليك بسلب نقايض
المخلوقات عنك وهي صفات الجلال نحو لا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا في المحل او باسناد كمالات
الممكنات اليك وهي صفات الاكرام ككونه موجدا للموجودات على النحو الاكمل بل لا امدحك ولا اثني عليك الا
بهويتك من حيث هي ومنها ان هذا الذكر يفيد ان هذا المنادى بسيط محض لا طريق الى تصوره الا بالاشارة

شعر

اسماء الله توقيفية ام لا

العقلية ومنها ان العبد كانه دهش ودهل عن كل ما يوصف به ماله الا عن هذه الاشارة وللاختصاص
هذا الذكر بهذه الاسرار ذكر الغزالي رحمه الله على لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص
وذلك ان قوله لا هو معناه كل شيء هالك وقوله الا هو معناه الا وجهه ومن جملة الاذكار الشهيرة يا هو يا من
لا هو الا هو يا ازلي يا ابدي يا دهر يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت ولقد لقنني بعض المشايخ من الذكر يا هو يا
من هو يا من لا هو الا هو يا من لا هو بلا هو الا هو فالاول فناء عما سوى الله والثاني فناء في الله والثالث فناء عما سوى
الذات والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات **الحادي عشر** في بقية مباحث الاسماء اختلفوا في ان
اسماء الله توقيفية ام لا فذهب بعضهم الى التوقيف لانا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه
طبيبا وفقيها ومستيقنا فلولا ان اسماءه توقيفية لوصف بمثلها وان كان على سبيل التجوز القايلون بعدم
التوقيف احتجوا بان اسماء الله تعالى وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وان شيئا منها لم يرد في القران
ولا في الاخبار مع ان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها والجواب ان عدم التوقيف في غير اللغة العربية لا
يوجب عدمه في العربية وبان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها فكل اسم دل على صفات
الكمال ونعوت الجلال كان حسنا فيجوز اطلاقه والجواب انه يجوز ولكن بعد التوقيف لم قلتم انه
ليس كذلك والغزالي فرق بين اسم الذات وبين اسماء الصفات فمنع الاول وجوز الثاني واعلم انه ورد
في القران الفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى منها الاستهزاء الله يستهزئ بهم
والاستهزاء مذموم لكونه جهلا قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ومنها
المكر ومكروا ومكر الله ومنها الغضب وغضب الله عليهم ومنها التعجب بل عجبت ويسخرون
ممن تواضع لنا والتعجب حالة للقلب عند الجهل بسبب الشيء ومنها المتكبر الجبار المتكبر ومنها الحياء
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا والحياء تغير يعرض للقلب والوجه عند فعل شيء قبيح والقانون في تصحيح
هذه الالفاظ ان يقال لكل واحد من هذه الاحوال امور توجد معها في البداية واثار يصدر منها في النهاية
مثاله الغضب حالة يحصل في القلب عند غليان دم وسخونة مزاجه والاثر الحاصل منها في النهاية
ايصال الضرر الى المغضوب عليه فالغضب في حقه تعالى محمول على الاثر الحاصل في النهاية لا الامر الكاين
في البداية وقس على هذا قيل ان لله تعالى اربعة الاف اسم الف منها في القران والاخبار والف في التورية
والف في الانجيل والف في الزبور وقد يقال الف اخر في اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك الى البشر وهذا غير مستبعد
فان اقسام صفات الله تعالى بحسب السلوب والاضافات لا تكاد تنحصر فكل من كان اطلاعه على
اثار حكمة الله في اثار تدبير العالم العلوي والعالم السفلي اكثر كان اطلاعه على اسماء الله اكثر
وان قلنا ان له بكل مخلوق اسما وكذا لكل خاصية ومنفعة فيه كمنافع الاعضاء والحيوان والنبات
والاحجار خرجت الاسماء عن حيز العد والاحصاء كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت
انا نرى في كتب العزايم اذكارا غير معلومة وحروفا غير مفهومة وقد تكون كتابتها غير معلومة
فما بال تلك الاذكار والرقى قلنا لا نشك ان تلك الكلمات ان لم تدل على شيء اصلا لم تفد وان دلت فاحسن
احوال تلك الكلمات ان يكون شيئا من هذه الادعية ولا ريب ان الاذكار المعلومة ادخل في التاثير من
قراءة تلك المجهولات الا ان اكثر الناس اذا قرؤا هذه الاذكار المعلومة ولم يكن لهم نفوس مشرقة تجذب
بهم الى عالم القدس ويلوح عليهم اثر الالهيات لم يكد يظهر عليهم شروق انوارها ولهذا قد ورد رب
تال للقران والقران يلعنه نعوذ بالله من هذه الحالة اما اذا قرؤا تلك الالفاظ المجهولة ولم يفهموا منها شيئا
وحصلت عندهم اوهام انها كلمات عالية استولى الفزع والرعب على قلوبهم فيحصل لهم بهذا تجرد عن
الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فتتاثر نفوسهم وتؤثر وهذا وجه مناسب عجيبة والنفوس

القول في لفظ الجلالة

مختلفة والجنسية علة الضم فكل اسم يغلب معناه على بعض النفوس فاذا واظب صاحبه على ذلك الاسم
كان انتفاعه اقرب والله الموفق ٭ حكي ان الشيخ ابا النجيب البغدادي كان يامر المريد بالاربعين مرة او مرتين
بقدر ما يرى مصلحته فيه ثم يقرا عليه الاسماء التسعة والتسعين وكان ينظر في وجهه فان راه عدم
التاثر عند قراءتها عليه قال له اخرج الى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك ما خلقت بهذا الطريق
فان راه تاثر مزيد تاثر عند استماع اسم خاص امره المواظبة على ذلك الذكر وقال ان ابواب المكاشفات
ينفتح عليك من هذا الطريق وذلك ان الرياضة والمجاهدة لا تقلب النفوس عن احوالها الفطرية ولكنها
تضعفها بحيث لا يستولي على الانسان ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب
والفضة والارواح جنود مجندة اعملوا فكل ميسر لما خلق له فهذا اتمام البحث من مطلق الاسماء ٭

الثالثة عشر في الابحاث المختصة باسم الله المختار عند الخليل ومتابعيه وعند اكثر الاصوليين
والفقهاء ان هذا اللفظ ليس بمشتق البتة وانه اسم علم له سبحانه لانه لو كان مشتقا لكان معنى كليا لا
يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه وحينئذ لا يكون الا الله موجبا للتوحيد المحض فلا يدخل
الكافر بقوله اشهد ان لا اله الا الله في الاسلام كما لو قال اشهد ان لا اله الا الرحيم او الا الملك لا يدخل
بذلك في الاسلام بالاتفاق وايضا الترتيب العقلي ذكر الذات ثم تعقيبه بالصفات نحو زيد الفقيه
الاصولي النحوي ثم انا نقول الله الرحمن الرحيم العالم القادر ولا نقول بالعكس فدل ذلك على ان الله اسم
علم وقراءة من قرا الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض بخفض اسم الله
ليست لاجل انه جعله وصفا وانما هو للبيان فوزانه وزان قولك مررت بالعالم الفاضل الكامل زيد وايضا
قال الله تعالى هل تعلم له سميا وليس المراد به الصفة والا لزم خلاف الواقع فوجب ان يكون المراد اسم
العلم وليس ذلك الا الله حجة القائلين باشتقاقه قوله عز من قائل وهو الله في السموات وفي الارض
فانه لا يجوز ان يقال هو زيد في البلد وانما يقال هو العالم في البلد قلنا لم لا يجوز ان يكون ذلك جاريا مجرى
قولك زيد الذي لا نظير له في البلد قالوا لما كانت الاشارة ممتنعة في حقه تعالى كان اسم العلم
له ممتنعا وايضا العلم للتمييز ولا مشاركة فلا حاجة الى التمييز قلنا وضع العلم لتعيين الذات
المعينة ولا حاجة فيه الى الاشارة الحسية ولا يتوقف على حصول الشركة وكان النزاع بين
الفريقين لفظي لان القائلين بالاشتقاق متفقون على ان الاله مشتق من اله بالفتح الاهة اي عبد
عبادة وانه اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما
ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب
على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود الحق ولم يطلق على غيره وينبغي ان يكون
المراد من كون الله تعالى معبودا كونه مستحقا ومتاهلا لان يعبده كل من سواه كما يليق بجلال
العابد فان اللائق بحال المعبود لا يقدر عليه احد ولا يخفى ان الاستحقاق والاستيهال حاصل له ازلا
وابدا وان كل ما سواه عابد له بقدر استعداده وعلى حسب حاله حتى النبات والجماد والكافر والفاسق
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا
والعبد الصالح من يعبد الله لذاته لا لغرض رغبة في الثواب ورهبة في العقاب حتى لو فرض حصول
المرغوب او فقد الموهوب لم يكن عابدا ومع ذلك فينبغي ان يقطع النظر عن عبادته ايضا وقيل اشتقاقه
من الهت الى فلان اي سكنت اليه فالنفوس لا تسكن الا اليه والعقول لا تقف الا لديه لان الكمال
محبوب لذاته الا بذكر الله تطمئن القلوب وقيل من الوله وهو ذهاب العقل سواء فيه الواصلون
الى ساحل بحر العرفان والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان وقيل من لاه اذا ارتفع لانه تعالى

ارتفع

ارتفع عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات وقيل من اله في الشيء اذا تحير فيه لان العقل وقف
بين اقدام على اثبات ذاته نظرا الى وجود مصنوعاته وبين تكذيب نفسه لتعاليه عن ضبط وهم وحس
فلم يبق الا ان يقر بالوجود والكمال مع الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه الجلال والجمال فههنا العجز عن
درك الادراك ادراك وقيل من لاه يلوه اذا احتجب لانه بكنه صمديته محتجب عن العقول فانا انما نستدل
على كون الشعاع مستفادا من الشمس بدورانه معها وجودا وعدما وشروقا وافولا ولو كانت الشمس ثابتة
في كبد السماء لما حصل اطمينان بكون الشعاع مستفادا منها ولما كان ذاته تعالى باقيا على حاله وكذا الممكنات
التابعة له فربما يخطر ببال الضعفاء ان هذه الاشياء موجودة بذواتها فلا سبب لاحتجابه بعد الاكمال ظهوره
فالحق محتجب والخلق محجوب وقيل من اله الفصيل اذا ولع بامه لان العباد يتضرع اليه في البليات واذا

كلام لبعض ارباب القلوب

مس الانسان ضر دعوا ربهم منيبين اليه هذا شان الناقصين واما الكاملون فهو جليسهم وانيسهم ابدا
شكى بعض المريدين كثرة الوسواس فقال الشيخ كنت حدادا عشر سنين وقصارا عشرا وبوابا عشرا
فقيل وكيف وما رأينا قال القلب كالحديد الينه بنار الخوف عشرا ثم شرعت في غسله عن الاوضار والادناس
عشرة اسل سيف لا اله الا الله فلم اترك حتى يخرج منه حب الله ويدخل فيه حب غير الله فلما خلت عرصة
القلب عن غيره وقويت فيه محبته سقطت من بحر عالم الجلال قطرة من الغيب فغرق القلب فبقي في تلك
العظمة وفني عن الكل ولم يبق فيه الا محض سر لا اله الا الله وقيل من اله الرجل ياله اذا فزع من امر
نزل به فالهه اي اجاره والمجير للخلائق من كل المضار هو الله وهو يجير ولا يجار عليه ومن لطائف اسم
الله انك اذا لم تتلفظ بالهمزة بقي لله ولله جنود السموات والارض فان تركت من هذه البقية
البقية على صورة له له ما في السموات وما في الارض وان تركت اللام الباقية ايضا بقي الهاء المضمومة
من هو قل هو الله احد والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع هما هم هذا بحسب اللفظ واما
بحسب المعنى فاذا دعوت الله به فكانك دعوته بجميع الصفات بخلاف سائر الاسماء ولهذا صحت كلمة
الشهادة به فقط والله اعلم ٭

ما يتعلق بالرحمن الرحيم

الثالثة عشر فيما يتعلق بالرحمن والرحيم الرحمن فعلان من رحم
والرحيم فعيل منه واشتقاقه من الرحمة وهو ترك عقوبة من يستحقها او ارادة الخير لاهله واصلها
الرقة والتعطف ومنه الرحم لرقتها وانعطافها على ما فيها واختلف في منع صرف رحمن اذ ليس له مؤنث
على فعلى كعطشى ولا على فعلانة كندمانة فمن شرط في منع صرف فعلان صفة وجود فعلى صرفه
ومن شرط فيه انتفاء فعلانة لم يصرفه واذا تساقط الدليلان المتعارضان فللصرف وجه وهو ان الاصل
في الاسماء الصرف ولمنع الصرف وجه وهو القياس على اخواته من بابه نحو عطشان وغرثان وزعم قوم
انهما بمعنى واحد كندمان ونديم وجمع بينهما للتاكيد والاتساع كقولهم جاد مجد قال طرفة شعر
متى ادن منه ينأ عني ويبعد ٭ وقدم الرحمن اشد مبالغة استدلالا بالزيادة في اللفظ على الزيادة
في المعنى ولهذا قالوا ولهذا جاء رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وربما يقال رحمن الدنيا ورحيم الاخرة
لان رحمته في الدنيا عمت المومن والكافر والبر والفاجر وفي الاخرة اختصت بالمومنين فالرحمن (خاص م) اللفظ
عام المعنى والرحيم بالعكس اما خصوص الرحمن فمن حيث لا يسمى به الا الله تعالى لانه من الصفات
الغالبة كالدبران والعيوق واما عمومه فمن حيث انه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق
والنفع واما عموم الرحيم فاشتراك تسميته الخلق واما خصوصه فرجوعه الى اللطف الى المومنين والتوفيق
الضحاك الرحمن باهل السماء حيث اسكنهم السموات وطوقهم الطاعات ونطق السنتهم بانواع التسبيحات
وجنبهم الافات وقطع عنهم المطاعم واللذات والرحيم باهل الارض حيث ارسل لهم الرسل وانزل
عليهم الكتب ٭ عكرمة الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى

ما يفرحه فانه انزل رحمة واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر
تسعًا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة ﻫ ابن المبارك الرحمن اذا سيل اعطى والرحيم الذي اذا
لم يسئل غضب قال صلى الله عليه وسلم من لم يسال الله يغضب عليه الرحمن بالنعماء وهي ما اعطى وحبا
والرحيم بالالاء وهي ما صرف وذوى الرحمن بالانقاذ من النار وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها
والرحيم بادخالهم الجنان ادخلوها بسلام امنين الرحمن الراحم القادر على كشف الضر والرحيم الراحم وانه لم
يقدر على كشف الضر وتسمية مسيلمة الكذاب بالرحمن تعنت منهم واقتطاع من اسما الله تعالى قال عطولذلك
قرنه الله بالرحيم لانه هو المجموع لم يسم به غيره وانما قدم الرحمن وهو الاعلى على الرحيم والعادة التدرج
من الادنى الى الاعلى لان الرحمن تناول عظايم النعم واصولها فارد افه بالرحيم كالتتمة ليتناول مادق منها
ولطف واعلم ان الاشيا التي انعم الله تعالى بها على الخلق اربعة اقسام الاول ما يكون نافعًا وضروريا
معًا وذلك في النفس لانه لو انقطع لحظة واحدة مات وفي الاخرة معرفة فانها اذا زالت عن القلب لحظة
مات القلب واستوجب عذاب الابد الثاني ان يكون نافعا لا ضروريا كالمال في الدنيا وكساير العلوم والمعارف
في الاخرة الثالث ان يكون ضروريا لا نافعا كالافات والعلل ولا نظير لهذا القسم في الاخرة الرابع ان لا يكون
نافعًا ولا ضروريا كالفقر في الدنيا والعذاب في الاخرة وبالجملة فكل نعمة او نقمة دنيوية او اخروية فانما
تصل الى العبد او يندفع عنه برحمة الله تعالى وفضله من غير شايبة عرض ولا ضميمة علة لانه
الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر فينبغي ان لا يرجي الا رحمته ولا يخشى الا عدابه **الرابعة عشر**
في نكت شريفة الاولى كل العلوم يندرج في الكتب الاربعة وعلومها في القران وعلوم القران في الفاتحة
وعلوم الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم وعلومها في البا من بسم الله وذلك ان المقصود من كل العلوم
وصول العبد الى الرب وهذا البا للالصاق فهو يوصل العبد الى الرب وهو نهاية الطلب واقصى الامد وقيل
انما وقع ابتدا كتاب الله البا دون الالف لان الالف تطاول وترفع والبا انكسر وتساقط ومن تواضع
لله رفعه الله الثانية مرض موسى عليه السلام واشتد وجع بطنه فشكى الى الله فدله على عشب في
المفازة فاكله فعوفي باذن الله ثم عاوده ذلك المرض في وقت اخر فاكل من ذلك العشب فازداد مرضه فقال
يا رب اكلته اولا فانتفعت به واكلته ثانيا فضرني فقال لانك في المرة الاولى مني ذهبت الى الكلا فحصل
فيه الشفا وفي الثانية ذهبت منك الى الكلا فازداد المرض اما علمت ان الدنيا كلها سم وترياقها اسمي
الثالثة باتت رابعة ليلة في التهجد والصلوة فلما انفجر الصبح نامت فدخل السارق دارها واخذ ثيابها وقصد
الباب فلم يهتد الى الباب فوضعها فوجد الباب ففعل ذلك ثلث مرات فنودي من زاوية البيت ضع القماش
واخرج فان نام الحبيب فالسلطان لا ينام **الرابعة** كان بعض العارفين يرعى غنما فحضر في غنمه الذيب ولا
يضر اغنامه فمر عليه رجل فناداه فقال متى اصطلح الذيب والغنم قال الراعي منذ حين اصطلح الراعي مع الله
الخامسة يروي ان فرعون قبل ان ادعى الالهية فقصد وامر ان يكتب بسم الله على بابه الخارج فلما
ادعى الالهية وارسل الله اليه موسى ودعاه فلم ير به اثر الرشد قال الهي كم ادعوه ولا ارى به خيرا
فقال يا موسى لعلك تريد اهلاكه انت تنظر الى كفره وانا انظر الى ما كتب على بابه والنكتة ان من كتب
هذه الكلمة على بابه الخارج صار امنًا عن الهلاك وان كان كافرا فالذي كتبه على سويداء قلبه من اول
عمره الى اخره كيف يكون حاله **السادسة** سمي نفسه رحمانا رحيما فكيف لا يرحم يروي ان سايلا وقف
على باب رفيع فسال شيا فاعطى قليلا فجاء بفاس واخذ يخرب الباب فقيل له لم تفعل فقال اما ان يجعل
الباب لايقا بالعطيه او العطيه لايقا بالباب الهي كما اثبت في اول كتابك صفة رحمتك فلا تجعلنا محرومين
من فضلك **السابعة** اذا اشترى العبيد شيا من الدواب او المتاع وضعوا عليه سمة الملك لئلا يطمع فيه

لم قدم الرحمن على الرحيم

نكت شريفة في البسملة

العدد فالله تعالى يقول عبدي عدوك الشيطان فاذا شرعت في عمل وطاعة فاجعل عليها سمتي وقل بسم
الله الرحمن الرحيم **الثامنة** اجعل ذكر الله قرينك حتى لا تبعد عنه في اعمالك روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم دفع خاتما الى ابي بكر رضي الله عنه وقال اكتب لا اله الا الله فدفعه الى النقاش وقال اكتب فيه لا اله
الا الله محمد رسول الله فكتب النقاش ذلك فاتى ابو بكر بذلك الخاتم الى النبي صلى الله عليه وسلم فراى فيه
لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق فقال يا ابا بكر ما هذه الزوايد فقال يا رسول الله ما رضيت ان
افرق اسمك من اسم الله فلم يرض الله ان يفرق اسمي عن اسمك **التاسعة** ان نوحا عليه السلام لما ركب
السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها فنجا بنصف هذه الكلمة فاظنك بمن واظب على الكلمة طول عمره
العاشرة الناس ثلاثة سابق بالخيرات ومقتصد وظالم لنفسه فقال انا الله للسابقين الرحمن
للمقتصدين الرحيم للظالمين الله معطي العطايا الرحمن المجاوز عن زلات الاوليا الرحيم الساتر لعيوب
الاغنيا يعلم منك ما لو علمه ابوك لفارقك ولو علمت المراة لجفتك ولو علمت المراة لا قدمت على الفراق
ولو علم الجار لسعى في القتل عن الله يوجب ولايته الله ولي الذين امنوا الرحمن يستدعي محبته ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الرحيم يقتضي رحمته وكان بالمومنين رحيما الله بصفة الالهية
يربيك بواسع العطاء وبصفة الرحمانية والرحيمية ينزعنك عن الاحباء والاعداء وهو رحيم في سنة
مواضع في القبر وحسابه والقيمة وظلماته وقراة الكتب وفزعاته والصراط ومخافاته والنار ودركاته والجنة
ودرجاته **الحادية عشر** مر عيسى عليه السلام بقبر فراى ملايكة العذاب يعذبون ميتا فلما انصرف
من حاجته مر بالقبر فراى ملايكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك فصلى ودعا الله فاوحى الله
تعالى اليه يا عيسى كان هذا العبد عاصيا وكان قد ترك امراته حبلى فولدت وربت ولده حتى كبر فسلمته
الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت ان اعذبه بنار تحت الارض وولده يذكر
اسمي على ظهر الارض **الثانية عشر** كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم واوصى ان يجعل في كفنه فقيل له
في ذلك فقال اقول يوم القيمة الهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملني بعنوان
كتابك **الثالثة عشر** بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا والزبانية تسعة عشر فالله يدفع بلسيهم
بهذه الحروف التسعة عشر **الرابعة عشر** اليوم بليلة اربع وعشرون ساعة فرض خمس صلوات في خمس
ساعات فهذه التسعة عشر حرفا تقع كفارات للذنوب الواقعة في تلك التسعة عشر **الخامسة عشر** لما
كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراة لم يكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم وايضا السنة
ان يقال عند الذبح بسم الله والله اكبر ولا يقال بسم الله الرحمن الرحيم فلما وفقك الله لذكر هذه الكلمات
كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوة المفروضة دل على ذلك انه ما خلقك للقتل والعذاب وانما خلقك للرحمة والفضل
السادسة عشر قال صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا
لله تعالى كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا مشركين وعن علي عليه السلام قال
لما انزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما انزلت هذه الاية على ادم قال
امن ذريتي من العذاب ما داموا على قراتها ثم رفعت فانزلت على ابراهيم صلوات الله عليه فتلاها وهو في كفة
المنجنيق فجعل الله عليه النار بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما انزلت الا على سليمان عليه السلام وعندها
قالت الملايكة الان تم والله ملكك ثم رفعت فانزلها الله تعالى علي ثم ياتي امتي يوم القيمة وهم يقولون
بسم الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم في الميزان رجحت حسناتهم وعن ابي هريرة انه صلى الله
عليه وسلم قال يا ابا هريرة اذا توضات فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك لا يستريحون ان يكتبوا لك
الحسنات حتى تفرغ واذا غشيت اهلك فقل بسم الله فان حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من

بحث اسماء سورة الفاتحة

من الجنابة فان حصل من تلك الوقعة ولد كتب له من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد انفاس
اعقابه ان كان له عقب حتى لا يبقى منهم احد يا ابا هريرة اذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله يكتب
لك الحسنات بعدد كل خطوة واذا ركبت سفينة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات حتى يخرج وعن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستر ما بين اعين الجن وعورات بني ادم اذا نزعوا ثيابهم ان يقولوا
بسم الله الرحمن الرحيم والاشارة فيه انه اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين اعدائك من الجن في
الدنيا افلا يصير حجابا بينك وبين الزبانية في العقبى **شعر** كانت لنفسي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك
النفس اهوائي فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي تركت للناس
دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي هذا تمام الكلام في تفسير البسملة **واما**
تفسير الفاتحة ففيه ايضا مسائل الاولى في اسماء هذه السورة هي كثيرة وكثرة الاسماء تدل
على شرف المسمى فالاول فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح بها في المصاحف وفي التعليم وفي القراءة
في الصلوة ولان الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القران وقيل لانها اول سورة نزلت من السماء الثاني سورة
الحمد لان اولها الحمد الثالث ام الكتاب وام القران لانها اصل القران واصل كل كتاب منزل لاشتمالها على
الالهيات والمعاد واثبات القضا والقدر والنبوات اولان فيها حاصل جميع الكتب السماوية وهو الثنا على الله
والاشتغال بالخدمة والطاعة وطلب المكاشفات والمشاهدات اولان المقصود من جميع العلوم معرفة عزة
الربوبية وذلة العبودية اولانها افضل سور القران كما ان مكة وهي ام القرى اشرف البلدان او اصل لجميع
البلدان حيث دحيت من تحتها وكما ان الحمى ام ملدم لانهم جعلوها معظم الاوجاع واللدم الضرب الرابع السبع
المثاني لانها سبع ايات ولانها تثنى في كل صلوة اولان نصفها ثناء العبد للرب والنصف الاخر اعطاء الرب للعبد
اولانها مستثناة لهذه الامة قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما انزلت في التورية والانجيل ولا في
الزبور مثل هذه السورة وانها السبع المثاني والقران العظيم اولانها انزلت مرتين اولانها انثنية ومدايح الله
الخامس الوافية لانها تجب قراءة كلها ولا يجزي بعضها في الصلوة السادس الكافية قال صلى الله عليه وسلم
ام القران عوض عن غيرها وليس غيرها عوض عنها السابع الشفا والشافية لقوله صلى الله عليه وسلم
والثامن الاساس لانها اول سورة القران فهو كالاساس اولانها تشتمل على سائر العبادات والمطالب قال الشعبي سمعت
عبد الله بن عباس يقول اساس الكتب القران واساس القران الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله
الرحمن الرحيم فاذا اعتللت او اشتكيت فعليك بالاساس تشف باذن الله تعالى التاسع الصلوة قال النبي صلى
الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين يعني الفاتحة وهو من
باب التسمية من معظم اركانه ومنه يعلم وجوب قراءة الفاتحة في الصلوة العاشر سورة تعليم المسئلة
لان الله تعالى علم عباده فيها اداب السؤال وبدا بالثناء ثم بالاخلاص ثم بالدعاء الحادي عشر الكنز
لما روي عن علي ابن ابي طالب عليه السلام قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش ولهذا قال
اكثر العلما بانها مكية وخطاوا مجاهدا في قوله انها مدنية وكيف لا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث ابي بن كعب انها اول ما نزل من القران وانها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا خلاف وفيها
قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني ولا يسعنا القول بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث بضع عشرة سنة
بلا فاتحة الكتاب وقد جمع طايفة من العلماء بين القولين فقال انها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وعلى
هذا فانها لم تثبت في المصحف مرتين لانه لم يرتفع التواتر على نزولها مرتين ومن فضايل هذه السورة انه
لم يوجد فيها الثاء وهو الثبور لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم وان جهنم لموعدهم
اجمعين والخاء وهو الخزي يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه والزاء وهو الزفير والزقوم والشين

وهو

بحث معنى الحمد لله

وهو الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهو لظى كلا انها لظى والفاء وهو الفراق ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون فلما اسقط الله تعالى من الفاتحة هذه الحروف الدالة على العذاب وهي بعدد ابواب
جهنم لقوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم غلب على الظن ان من قرا الفاتحة
يخلص من جهنم ودخول ابوابها ويتخلص من دركات النار وعذابها الثانية في المباحث اللفظية
الحمد مبتدا او لله خبره اي الحمد ثابت لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله كقولهم شكرا
وعجبا وسبحانك ومعاذ الله نعدل الى الرفع للدلالة على اثبات المعنى واستقراره نحو قالوا سلاما قال
سلام ولهذا كان تحية ابراهيم صلوات الرحمن عليه احسن من تحيتهم كما جاء واذا حييتم بتحية فحيوا
باحسن منها ومما يدل على انه اصله النصب ان قوله اياك نعبد بيان لحمدهم وكانه قيل كيف تحمدونه فقيل
اياك نعبد والاصل توافق الجملتين واللام في الحمد لتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد
من ان الحمد ما هو والاستغراق وهم لانه لو سلم كون اللام للاستغراق نحمد الله به مثلا لا يدخل فيه
ايضا حمد الله سبحانه لا يفهم منه الا حقيقة الحمد من حيث فكذا ما نحن فيه وهو الحمد لله وقراء بعضهم بكسر
الدال اتباعا وبعضهم بضم اللام اتباعا الرب المالك ربه يربه فهو رب او مصدر وصف به للمبالغة كالعدل
وهو مطلقا مختص بالله تعالى ومضافا يجوز اطلاقه على غيره نحو رب الدار ارجع الى ربك وقرئ
بالنصب على المدح او بتقدير نحمد والعالم اسم موضوع للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل من الملائكة و
الثقلين قاله ابن عباس والاكثرون وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر والاعراض لقوله قال فرعون
وما رب العالمين قال رب السموات والارض فعلى الاول مشتق من العلم وخصوا من الذكر للتغليب
وعلى الثاني من العلامة وجمع ليشمل كل جنس مما سمي به وبالواو والنون تغليبا لما فيه من صفات
العقلاء مالك يوم الدين صفة اخرى واليوم هو المدة من طلوع نصف جرم الشمس الى غروب نصف جرمها
او من ابتداء طلوعها الى غروب كلها او من طلوع الفجر الثاني الى غروبها وهذا في عرف الشرع ويراد
به في الاية الوقت لعدم الشمس ثمة والدين الجزاء بالخير والشر كما تدين تدان واضافة اسم الفاعل الى
الظرف اتساع واجراء الظرف مجرى المفعول به مثل يا سارق الليلة اهل الدار وانما افادت التعريف حتى جاز
وقوعه صفة للمعرفة لانه اما بمعنى الماضي نحو ونادى اصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا او بمعنى الاستمرار
نحو زيد مالك العبيد فيكون من يملك المقيد للاستمرار نحو فلان يعطي ويمنع وحينئذ لا يعمل فيكون
الاضافة حقيقية وقرئ بنصب الكاف وفيهما مدحا وسكون اللام تخفيف مالك مكسور اللام وبجعله
فعلا ماضيا ونصب يوم وملك رفعا ونصبا وجرا اياك ضمير منصوب منفصل ولا محل لكاف الخطاب نحو
ارأيتك وهو مذهب الاخفش والمحققين وحكاية الخليل اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب شاذ
والاصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك
بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال الطفيل **شعر** فهياك والامر الذي ان تراحبت
موارده ضاقت عليك مصادره فان قيل لم عدل عن الغيبة الى الخطاب قلنا هذا يسمى الالتفات في علم
البيان وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والتنقل من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع وقد
يختص مواقعه بفوايد ويتنظم لك في سلك التقرير فائدته في هذا الموضع والعبادة اقصى غاية الخضوع
وطريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة في غاية الصفاقة وقوة النسج هدى يتعدى باللام او بالى
ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار
موسى قومه والاصل فيه الامالة ومنه انا هدنا اليك اي ملنا والهدية لانها تمال من ملك الى ملك
والهدي للذي يساق الى الحرم اي امل قلوبنا الى الحق والصراط الجادة واصله السين من سرط الشيء

ابتلعه لانه يسرط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم ومثله مسيطر ومصيطر والصراط يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل وصراط الذين انعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم وفائدته التوكيد كقولك هل ادلك باكرم الناس وافضلهم فلان ويكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم والافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم وغير المغضوب بدل من الذين او صفة وانما جاز وقوعه صفة للمعرفة لان تعريف الذين كلا تعريف شعر ولقد امر على اللئيم يسبني او لان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك بالحركة غير السكون ويجوز ان تكون بدلا وان كان من معرفة ولا نعت للافادة والفرق بين عليهم الاولى والثانية ان الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على انه مفعول اقيم مقام الفاعل واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدوا فانعمت دقه اي بالغت في دقه وكل ما في القران بذكر النعم بكسر النون فهي المنة والعطية والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش ونعمة كانوا فيها فاكهين والغضب في اللغة الشدة وقد عرفت معناه بحسب الملائكة على الخلق وعلى الخالق واصل الضلال الغيبوبة ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وقيل الكافر غاب عن الحق قال تعالى ائذا ضللنا في الارض وغير ههنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز عطف احدهما على الاخر ويقول انا زيدا غير ضارب كما يقول انا زيدا لا ضارب وبعضهم يقرا وغير الضالين وقرا ايوب ولا الضألين بالهمز كما قرا عمرو بن عبيد ولا جأن وامين مدا وقصرا معناه استجب كما ان رويد معناه امهل وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه افعل

الثالثة في المباحث الفقهية

البحث الاول اجمع الاكثرون ومنهم الشافعي على ان قراءة الفاتحة واجبة في الصلوة فان ترك منها حرفا واحدا وهو يحسنها لم تصح صلوته وعند ابي حنيفة قراءتها غير واجبة لنا انه صلى الله عليه وسلم واظب طول عمره على قراءتها في الصلوة فيجب علينا لقوله فاتبعوه ايضا واقيموا الصلوة معناه الصلوة التي اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه كان يقرا الفاتحة فيها فيجب وايضا روي في ذلك اخبار كثيرة مثل لا صلوة الا بفاتحة الكتاب كل صلوة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج وروى رفاعة بن مالك ان رجلا دخل المسجد وصلى فلما فرغ من صلاته وذكر الخبر الى ان قال الرجل علمني الصلاة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجهت الى الصلوة فكبر واقرا بفاتحة الكتاب وظاهر الامر للوجوب ولا سيما في معرض التعليم وايضا الخلفاء الراشدون واظبوا على قراءتها طول العمر وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين وايضا المواظبة على قراءة الفاتحة توجب هجران سائر السور وذلك غير جائز ان لم تكن واجبة فثبت انها واجبة **حجة** ابي حنيفة فاقرؤا ما تيسر من القران قلنا الفاتحة هي المتيسرة المحفوظة على جميع الالسنة ثم قرا اذا قرا اية واحدة طويلة مثل اية الدين

البحث الثاني قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست اية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء اهل مكة والكوفة وفقهاؤها على انها اية من كل سورة وعليه الشافعي واصحابه لما روي عن ام سلمة انها قالت قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فعد بسم الله الرحمن الرحيم اية الحمد لله رب العالمين اية الرحمن الرحيم اية مالك يوم الدين اية اياك نعبد واياك نستعين اية اهدنا الصراط المستقيم اية صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اية وعن سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وروي في تفسيره باسناده عن ابي بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باية لم تنزل على احد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى فقال

بحث الحرمين
جهت الفقه

قالم

باي

باي اية تفتتح القران اذا افتتحت الصلوة قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي وباسناده عن جعفر ابن محمد عن ابيه عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقول اذا افتتحت الصلوة قال اقول الحمد لله قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وباسناده عن علي ابن ابي طالب عليه السلام انه كان اذا افتتح السورة في الصلوة يقرا بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص وباسناده عن ابن عباس في قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب فقيل لابن عباس فاين السابعة فقال بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول سبحانه قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سال الى غير ذلك من الاخبار وايضا التسمية مكتوبة بخط القران في مصاحف السلف مع توصيتهم بتجريد القران عما ليس منه ولذلك لم يثبتوا امين وقال صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ما اعظم اية في كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم انها ليست اية تامة في قوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فيكون اية في غير هذا الموضع وايضا ان اكثر الانبياء اوجبوا على انفسهم الابتداء بذكر الله قال نوح عند ركوب السفينة بسم الله مجريها ومرسيها وكتب سليمان الى بلقيس عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم وقوله انه من سليمان من قول بلقيس قبل فتح الكتاب فلما فتحت الكتاب قرات التسمية فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم ولما ثبت الابتداء في التسمية في حقهم ثبت في حق نبينا ايضا اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وعن عبد الله بن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عمر قال نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وايضا البسملة من القران في النمل ثم انا نراه مكررا بخط القران فيجب ان نعتقد كونه من القران مثل فباي الاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين **حجة المخالف** خبر ابي هريرة ايضا في رواية اخرى قال يقول الله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي الى اخره فلم يذكر البسملة ولو كانت اية من الفاتحة لذكرها قلنا اذا تعارضت الروايتان فالترجيح للمثبت لا للنافي قالوا التنصيف انما يحصل اذا لم تعد التسمية اية حتى يحصل للرب ثلث ايات ونصف وللعبد ثلاث ايات ونصف من اياك نستعين الى اخر السورة واما اذا قلنا التسمية اية صار القسم الاول اربع ايات ونصف فينخرم التنصيف قلنا نحن نعد التسمية اية ولا نعد انعمت عليهم اية وهذا اولى رعاية لتشابه المقاطع ولان غير صفة او بدل وتجويز الكلام بجعله منقطعا عما قبله لان طلب الاهتداء بصراط المنعم عليهم لا يجوز الا بشرط كون المنعم عليهم غير مغضوب ولا ضالين بدليل قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا فهذا المجموع كلام واحد وهذا بخلاف الرحمن الرحيم فانا لو قطعنا النظر عن الصفة كان الكلام مع الموصوف غير مختل النظام قالوا روت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلوة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قلنا قال الشافعي لعل عائشة جعلت الحمد لله رب العالمين اسما لهذه السورة كما يقال قرا فلان الحمد لله الذي خلق السموات والارض قالوا لو كانت من الفاتحة لما لزم التكرار في الرحمن الرحيم قلنا التكرار للتاكيد غير عزيز في القران فان قيل اذا عدت التسمية اية من كل سورة على ما روي عن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله فما وجه ما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في سورة الملك انها ثلثون اية وفي الكوثر انها ثلث ايات مع ان العدد حاصل بدون التسمية قلت

امان بعد التسمية مع ما بعدها اية وذلك غير بعيد الا ترى ان في قوله الحمد لله رب العالمين اية تامة دون قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين بعض اية واما ان يراد ما هو خاصة الكوثر ثلث ايات فان التسمية كالشئ المشترك فيه بين السور **البحث الثالث** عن احمد بن حنبل ان التسمية اية من الفاتحة ويسر بها في كل ركعة ابو حنيفة ليست باية ويسر بها مالك لا ينبغي ان يقراء بها في المكتوبة لا سرا ولا جهرا الشافعية نجهر بها لانها بعد ما ثبت كونها من الفاتحة او القران لا يعقل فرق بينها وبين باقي الفاتحة حتى يسر بعضه ويجهر بذلك وايضا انه ثناء على الله وذكر له فوجب ان يكون الاعلان به مشروعا لقوله عز من قائل فاذكروا الله كذكركم اباكم او اشد ذكرا وايضا الاخفا والستر انما يليق بما فيه نقيصة ومثلبة لا بما فيه مفخرة وفضيلة قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن بات ولسانه رطب من ذكر الله وكان علي ابن ابي طالب عليه السلام يقول يا من ذكره شرف للذاكرين وكان مذهبه الجهر بها في جميع الصلوات وقد ثبت هذا منه تواترا ومن اقتدى به لن يضل قال صلى الله عليه وسلم اللهم ادر الحق معه حيث دار وروى البيهقي في السنن الكبير عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر في الصلوة بسم الله الرحمن الرحيم وروى عن عمر وابنه وابن عباس رضي الله عنهم وابن الزبير مثل ذلك وروى الشافعي باسناده ان معوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معوية سرقت من الصلوة اين بسم الله الرحمن الرحيم اين التكبير عند الركوع والسجود ثم انه اعاد الصلوة مع التسمية والتكبير قال وكان معوية شديد الشكيمة ذا شوكة فلولا ان الجهر بالتسمية كان مقررا عند كل الصحابة لم يجسروا على ذلك **حجة المخالف** ما روى البخاري في صحيحه عن انس قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكانوا يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين وفي رواية ولم اسمع منهم احدا قال بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية لم يجهر احدا منهم ببسم الله الرحمن الرحيم وعن عبد الله بن المغفل انه قال سمعني ابي وانا اقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال اي بني اياك والحدث في الاسلام فاني صليت خلف ابي بكر فقال الحمد لله رب العالمين وصليت خلف عمر فقال الحمد لله رب العالمين وصليت خلف عثمان فقال الحمد لله رب العالمين فاذا صليت فقل الحمد لله رب العالمين والجواب ان حديث انس معارض بما يروى عنه ايضا ان معوية لما ترك التسمية في الصلوة انكر عليه المهاجرون والانصار وروى ايضا ابو قلابة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وروى ايضا انه سئل عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاسرار به فقال لا ادري هذه المسئلة واذا اضطربت الروايات عنه وجب الرجوع الى ساير الدلائل وايضا ففيها تهمة اخرى وهي ان عليا عليه السلام كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما كان زمن بني امية بالغوا في المنع من الجهر سعيا في ابطال اثار علي عليه السلام فلعل انسا خاف منهم فلهذا اضطربت اقواله وايضا من المعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدم اولي الاحلام والنهى والاكابر والعلماء على غيرهم ولا شك ان عليا وابن عباس وابن عمر كانوا اعلى حالا من انس فراب العقل واقرب موقفا وانه صلى الله عليه وسلم ما كان يبالغ في الجهر لقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فلهذا لم يسمعه وانه المثبت اولى من النافي والدلائل العقلية معنا ويؤيدها عمل علي ابن ابي طالب كما مر **البحث الرابع** تقديم التسمية على الوضوء سنة عند عامة العلماء وليست بواجبة خلافا لبعض اهل الظاهر حيث قالوا لو تركها عمدا او سهوا لم يصح صلوته لنا قوله صلى الله عليه وسلم توضأ كما امرك الله والتسمية غير مذكورة في اية الوضوء والصحيح عندنا ان الجنب والحائض لا

نقولها بقصد القراءة والتسمية عند الذبح وعند الرمي وعند ارسال الكلب مستحبة فلو تركها عامدا او ناسيا لم تحل الذبيحة عند الشافعي ولكن تركها عمدا مكروه وعند ابي حنيفة ان ترك التسمية عمدا لم يحل وان نسي حل والعلماء اجمعوا على انه يستحب ان لا يشرع في عمل من الاعمال الا ان تقول بسم الله فاذا قال بسم الله واذا انتبه قال بسم الله واذا قام من المقام قال بسم الله واذا اكل او شرب واعطى او اخذ قال بسم الله ويستحب للقابلة اذا اخذت الولد من الام ان تقول بسم الله وهذا اول احواله من الدنيا واذا مات وادخل القبر قيل بسم الله وهذا اخر احواله من الدنيا واذا قام من قبره قال بسم الله واذا حضر الموقف قال بسم الله فلا جرم يدخل الجنة ببركة اسم الله **البحث الخامس** قال الشافعي ترجمة القران لا تكفي في صحة الصلوة لا في حق من يحسن القراءة ولا في حق من لا يحسنها وقال ابو حنيفة انها كافية في حق القادر والعاجز وقال ابو يوسف ومحمد كافية في حق العاجز الا القادر لنا انه صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرؤا في الصلوة الا هذا القران العربي فوجب علينا اتباعهم ويكون بحثنا عاقل قيام الترجمة باي لغة كانت وهي كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر قالوا روي عن عبد الله بن مسعود انه كان يعلم رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والرجل لا يحسنه فقال قل طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطا في القران ان يقرأ مكان العليم الحكيم بل ان تضع اية الرحمة مكان اية العذاب قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك قالوا وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ولا ريب ان القران بهذا اللفظ ما كان في زبر الاولين بل بالعبرية والسريانية قلنا ان القصص والمواعظ موجودة لا باللفظ بل بالمعنى ولا يلزم من ذلك ان يكون الموجود فيها قرانا فان النظم المعجز جزء من ماهية القران والكل بدون الجزء مستحيل **البحث السادس** الشافعي في القول الجديد قال تجب قراءة الفاتحة على المقتدي سواء اسر الامام بالقراءة او جهر بها وفي القديم تجب اذا اسر ولا تجب اذا جهر وهو قول مالك واحمد وابو حنيفة يكره القراءة خلف الامام بكل حال لنا قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القران وقوله [illegible] لا صلوة الا بفاتحة الكتاب يشمل المنفرد والمقتدي وايضا روى الترمذي في جامعه باسناده عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اني اراكم تقرؤن خلف امامكم قلنا اي والله لا تفعلوا الا بام القران فانه لا صلوة لمن لم يقرأ بها قال وهذا حديث حسن وايضا فانها لا تبطل الصلوة عندهم ولكن تجوز وتبطلها عدم القراءة عندنا فالاحوط قراءتها احتج المخالف بقوله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا وباخبار بين ضعفها البيهقي في كتابه ونحن نقول اما القران فمخصوص بغير الفاتحة لما مر واما الاخبار فيجب انها صحيحة الا ان الترجيح معنا لان الاشتغال بقراءة القران من اعظم الطاعات ولانه احوط **البحث السابع** مذهب الشافعي ان الفاتحة واجبة في كل ركعة فان تركها في كل ركعة بطلت صلوته وبه قال ابو بكر وعمر وعلي وابن مسعود ومعظم الصحابة لانه صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها في كل ركعة ولانه قال للاعرابي الذي علمه الصلوة وكذلك فافعل في كل ركعة وعن ابي سعيد الخدري انه قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نقرأ فاتحة الكتاب في كل ركعة احوط فيجب المصير اليها وقيل غير واجبة وقيل تجب في كل ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وعند ابي حنيفة يجب في الركعتين الاوليين لقول عايشة فرضت الصلوة في الاصل ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فما اصل فلا بد منه قلنا ما ذكرنا احوط وقيل تجب الفاتحة في الاوليين وتكره في الاخريين وعند مالك تجب في اكثر الركعات ففي الثنائية فيهما وفي الثلاثية في اثنتين وفي الرباعية في ثلث **البحث الثامن** اذا ثبت ان القراءة شرط في الصلوة فلو تركها او حرفا من حروفها عمدا ابطلت صلوته وكذا سهوا على الجديد وما روي ان عمر ابن الخطاب صلى المغرب فترك القراءة

بحث تفسير فوائد الحمد

فقيل له تركت القراة قال كيف الركوع والسجود قالوا حسنًا قال فلا باس معارض بما روي الشعبي وايضا العمد
ترك الجهر بالقراة لا نفس القراة **البحث التاسع** يجب الترتيب في اجزاء الفاتحة وما وقع عن مرتب فغير
محسوب **البحث العاشر** اذا لم يحفظ شيئا من الفاتحة فيقرا بقدرها من غيرها من القراة ثم من ذكر من الاذكار
ثم عليه وقفه بقدرها فان تعلم قرا ما لم يفرغ منه **البحث الحادية عشر** ما نقل عن ابن مسعود انه كان
ينكر ان تكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القران الظن به ان هذا النقل عنه كاذب والانجحد المتواتر كيف يليق بعالم
الرابعة فيما يختص بتفسير الحمد لله من الفوايد **الفائدة الاولى** في الفرق بين الحمد والمدح والشكر
المدح للحي ولغير الحي كاللؤلؤة واليا قوتة الثمينة والحمد للحي فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون
بعده والحمد انما يكون بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في
وجوه المداحين والحمد مامور به مطلقا قال صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الناس لم يحمد الله والمدح عبارة عن
القول الدال على انه مختص بنوع من انواع الفضايل باختياره وبغير اختياره والحمد قول دال على انه مختص
بفضيلة معينة وهي فضيلة الانعام اليك والى غيرك ولابد ان يكون على جهة التفضل لا على سبيل التهكم
والاستهزاء والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب والجوارح شعر
افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان
ذكر النعمة باللسان والثنا على موليها ادل على مكانها من الاعتقاد واداب الجوارح لخفا عمل القلب
وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد نقيضه الذم
ولهذا قيل الشعير يوكل ويذم والمدح نقيضه الهجاء والشكر نقيضه الكفر اذا عرفت ذلك فنقول لو قال
المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا لما مران المدح قد يكون لغير المختار ولو قال الشكر لله
كان ثنا بسبب انعام وصل ذلك القايل فاذا قال الحمد لله فكانه يقول انك شاكر لا ولي النعمتين فكيف باعلاها
ويمكن ان يقال ان المنع غير متناه والاعطاء متناه والابتدا بشكر دفع البلا الذي لا نهاية له اولى وايضا دفع
الضرر اهم من جلب النفع فتقديمه احري **الثانية** لو قال احمد الله افاد كون ذلك القايل على حمده واذا قال
الحمد لله افاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وايضا الحمد لله معناه ان مطلق الحمد
والثنا حق الله وملكه كما ينبي عنه اللام الجنسي واللام الجارة وذلك بسبب كثرة اياديه وانواع الآئه
على عبيده وامائه ولا يخفى ان هذا اولى من ان يحمده شخص فقط ولهذا لو سيلت هل لفلان عليك
نعمة فان قلت نعم حمدته لكن حمدا ضعيفا ولو قلت في الجواب بل نعمه على كل الخلايق كان اكمل فان قيل
اليس ان المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاد يستحق الحمد من التلميذ والسلطان العادل يستحق الحمد
من الرعيه وقال صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لان تلك
الداعية في ذلك المنعم في الحقيقة هو الله وسلط المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع وامنه
من فوات الانقطاع ولهذا قال عز من قايل وما بكم من نعمة فمن الله وايضا كل مخلوق ينعم على غيره فانه
يطلب بذلك الانعام عوضا اما ثوابا او ثناء او تحصيل خلق او تخليصا من رذيلة البخل وطالب العوض لا
يكون منعما ولا مستحقا للحمد في الحقيقة اما الله سبحانه وتعالى فانه كامل لذاته والكامل لذاته لا يطلب الكمال
لان تحصيل الحاصل محال وكان عطاوه جودا محضا فثبت ان لا مستحق للحمد الا الله تعالى **الثالثة**
انما لم يقل احمد ما الله لان الانسان عاجز عن الكمال بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يكلف فوق ما يستطيعه
وذلك ان انعم الله على العباد غير محصورة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها
امتنع اقتداره على الشكر والثنا اللايق وايضا انما يمكنه القيام بحمد الله وشكره اذا اقدره الله على الحمد

الي ح

والشكر وخلق في قلبه داعية ذلك وازال عنه العوايق والصوارف وكل ذلك انعام من الله فيتسلسل
وايضا الاشتغال بالحمد والشكر معناه ان المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه ومن اعتقد ان حمده
وشكره يساوي نعمة الله فقد اشرك وهذا معنى قول الواسطي الشكر شرك اما اذا قال الحمد لله فالمعنى
ان كمال الحمد حقه وملكه سوا قدر الخلق على الاتيان به او لم يقدروا ونقل ان داود عليه السلام قال يا رب
كيف اشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك علي وهو ان توفقني لذلك الشكر فقال يا داود لما علمت عجزك
عن شكري فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك **الرابعة** عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله
على عبد فيقول الحمد لله يقول الله تعالى انظروا الى عبدي اعطيته ما لا قدر له فاعطاني ما لا قيمة له ومعناه
ان ما انعم الله على العبد شي واحد واذا قال الحمد لله فمعناه المحامد التي اتى بها الاولون والآخرون من الملايكة
والثقلين لله تعالى وكذا المحامد التي سيذكرونها الى وقت قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها
سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والى ابد الابدين ودهر الداهرين فالمنعم به متناه واذا اسقط
المتناهي من غير المتناهي فالذي بقي للعبد طاعات غير متناهية فلابد من مقابلتها بنعم غير متناهية
فلهذا يستحق العبد من الثواب الابدي والخير السرمدي **الخامسة** لا شك ان الوجود خير من العدم ان وجود
كل ما سوي الله فانه حصل بايجاد الله وجوده فانعام الله تعالى واصل الى كل من سواه فاذا قال العبد الحمد
لله فكانه قال الحمد لله على كل محدث احدثه من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني
وانسي وذات وصفة وجسم وعرض من ازل الازال الى ابد الاباد وانا اشهد انها باسرها لك لا شركة لاحد
فيها معك **السادسة** التسبيح مقدم على التحميد لانه يقال سبحان الله والحمد لله فما السبب في وقوع البداية
بالتحميد والجواب ان التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه مبرا في ذاته وصفاته
عن النقايص والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد ولا يكون محسنا اليهم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات
ليعلم مواقع الحاجات والا اذا كان قادرا على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليه والا اذا
كان غنيا في دفعه والا شغله عن حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت ان كونه محسنا لا يتم الا بعد كونه
منزها عن النقايص والآفات **السابعة** الحمد له تعلق بالماضي وهو وقوعه شكرا عن النعم السابقة وتعلق
بالمستقبل وهو اقتضاء تجدد النعم لقوله لين شكرتم لازيدنكم فبالاول يغلق عنك ابواب النيران وبالثاني يفتح
لك ابواب الجنان فان الحمد لله ثمانية احرف بعدد ابواب الجنة **الثامنة** الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجب ان تذكر
في موضعها ليحصل المقصود قال السري منذ ثلثين سنة استغفر الله لقولي مرة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق
في بغداد واحرقت دكاكين الناس فاخبرني واحد ان دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين
والمروة ان لا افرح بذلك فانا في الاستغفار منذ ثلثين سنه فالحمد على نعم الدين افضل من الحمد على نعم الدنيا
والحمد على اعمال القلوب اولى من الحمد على اعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث عطية المنعم اولى من الحمد
عليها من حيث هي نعم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى تقع الحمد في موضعه اللايق به **التاسعة** اول
ما بلغ الروح الى سرة آدم عليه السلام فقال الحمد لله رب العالمين وآخر دعوى اهل الجنة الحمد لله رب العالمين
ففاتحة جنبة من الحمد فاجتهد ان يكون اول اعمالك وآخرها مقرونا بكلمة الحمد **العاشرة** لا يحسن عندنا
ان نقدر قول الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الوالد اذا قال لولده اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا
فالاولى ان يقول الامر القايل ينبغي ان يفعل ثم ان كان الولد بارا فانه يجيبه ويطيعه وان كان عاقا كان
اثمه اقل فكذلك اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان اثمه اقل بخلاف ما لو قدر قول
الحمد لله **الحادية عشر** تشبث الجبريه على المعتزلة ومن يجري مجراهم بانكم تثبتون فعلا واختيارا
واستحقاق الحمد على انما يكون على اشرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو

بان الاشهاد

العبد والجواب انا الايمان باختيار العبد لكن الاختيار ايضا مستندا الى الله تعالى فاستحق العبد لم
وشنعت المعتزلة على المجبرة بان قوله الحمد لله لايتم على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذي
لاقبح في فعله ولاجور في قضيته وعندكم لاقبيح الا هو فعله ولاجور الا وهو حكمه والجواب ان القبح
انما يثبت اذ لو امكن تصور الفعل المخصوص احسن دائما مما صدر لكنه محال فانه تعالى حكيم وكل ما يصدر
عن الحكيم كان على افضل ما يمكن بالنسبة الى المحل المخصوص الثانية عشر اختلفوا في ان شكر المنعم واجب
عقلا او شرعا فمنهم من قال عقلا وجملة ادلتهم قوله الحمد لله فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق
وايضا عقبه بقوله رب العالمين وترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك
الوصف فدل ذلك على ان استحقاقه للحمد ثابت بكونه ربا للعالمين قبل مجيء الشرع وبعده والجواب ان
استحقاقه لمثل هذا الحمد عرفناه من الشرع واعلم ان الجملة بسبيله سبيل ساير الاذكار والعبادات في انها انما يوفي
بها لا لان الله تعالى مستكمل بها ولا تعالى يجازي بها ولكنها لتحقيق نسبة المعبودية واضافة المكان الله حبي
الخامسة في فوايد قوله رب العالمين الاولى اما واجب لذاته وهو الله سبحانه وتعالى فقط واما
ممكن لذاته وهو كل ما سواه ويسمى العالم كما مر وذلك اما متحيزا وصفة للمتحيز اولا هذا ولا ذاك
القسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر الفرد والجسم اما علوي او سفلي والعلوي كالسما
وات وتندرج فيها العرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط
وهو العناصر الاربعة الارض بما عليها وفيها والما وهو البحر المحيط وما ينشعب منه في القدر المكشوف
من الارض والهواء ومنه كرة البخار وكرة النسيم ومنه الهوا الصافي والنار واما مركب وهو المعادن
والنبات والحيوان على ساير انواعها واصنافها القسم الثاني الاعراض باجناسها وانواعها القسم الثالث
الارواح وهي اما سفلية خيرة كالجن او شريرة او علوية متعلقة بالاجسام كملائكة السموات قال
صلى الله عليه وسلم ما في السموات موضع شبر الا وفيه ملك قايم او قاعد او غير متعلقة وهي الملائكة
المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو اولا ان كل موجود سوى الواجب يحتاج الى الواجب في الوجود وفي البقا
ايضا فهو اله العالمين من حيث اخرجها من العدم الى الوجود ورب العالمين من حيث انه يبقيها حال استمرارها
فكل من كان اكثر احاطة باحوال الموجودات وتفاصيلها كان اكثر وقوفا على تفسير قوله رب العالمين
الثانية المربي قسمان احدهما انه يربي ليربح عليهم والثاني ان يربي ليربحوا عليه والاول شان المخلوقين
الذين غرضهم اما ثواب او ثناء او تعصب او غير ذلك والثاني ذات الحق سبحانه وتعالى كما قال خلقتكم
ليربحوا علي لا لاربح عليكم وكيف لا يربحون عليه وانه متعال عن الاستكمال منزه عن ان يحدث في خزائنه
بسبب التربية والافادة والافاضة اختلال يجب المحبين في الدعا يزيد في الخلق ما يشا يكفي عليه من المقال
ويغني كرمه في السوال وسع كل شي رحمة وعلما ويربي كل حي كرما وحلما ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين فلينظر الانسان الى
طعامه انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق
غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وجعلنا نومكم سباتا
وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا
وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا الثالثة لما كان الله احسن الاسما
عقبه باكمل الصفات وهو رب العالمين اذ معناه ان وجود ما سواه فايض عن تربيته واحسانه وجوده
وامتنانه فالاول يدل على التمام والثاني على انه فوق التمام الرابعة رب العالمين ثم انه يربيك كانه ليس

عبد

بحث فوايد رب العالمين

T.C. Kültür Bakanlığı HİSAR KİTAPSARAYI

عبد سواك وهو الله الواحد الصمد وانت تخدمه كان لك اربابا غيره فما انصفك ايها الانسان قل من يكلوكم
بالليل والنهار من الرحمن خلقت لعبادة الرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب الادمي بنيان الرب ملعون
من هدم بنيان الرب السادسة في فوايد قوله الرحمن الرحيم الاولى الرحمن بما لا يتصور صدوره من
العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد انا الرحمن لانك تسلم الي نطفة مذرة فاسلمها اليك صورة حسنة انا الرحيم
لانك تسلم الي طاعة ناقصة فاسلم اليك جنة خالصة الثانية ذهب بعضهم الى ملك فقال جيتك لمهم
يسير فقال اطلب المهم اليسير من الرجل اليسير فكان الله تعالى يقول اقتصرت على الرحمن لاحتشمت مني
ولتعذر عليك سوال الامور اليسيرة فانا الرحمن لتطلب مني الامور العظيمة وانا الرحيم لتطلب مني شراك
نعلك وملح قدرك الثالثة الوالد اذا اهمل حال ولده ولم يؤدبه ظن ان ذلك رحمة وهو في الحقيقة عذاب
ومن لم يؤدبه الابوان ادبه الملوان وعكسه حال من تقطع يده لاكلة فيها او يضرب لتعليم حرفة والتادب
بخصلة شريفة فكل ما في العالم من محنة وبلية فهو في الحقيقة رحمة ونعمة عسى ان تكرهوا شيا وهو
خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم وقصة موسى مع الخضر كما يجي في موضعها يويد ما ذكرنا والحكيم المحقق
هو الذي يبني الامور على الحقايق لا على الظواهر فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الرابعة
اعطى مريم عليها السلام رحمة ولنجعله اية للناس ورحمة منا فصارت سببا لنجاتها من توبيخ الكفار والنبي
واعطانا رحمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا نتخلص بسبيله من عذاب النار الخامسة وصف النبي
صلى الله عليه وسلم بالرحمة فكان من حاله انه لما كسروا اسنانه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وانه
يوم القيمة يقول امتي امتي فلما وصف نفسه بكونه رحمانا رحيما ايضا فكانه يقول الرحمة الواحدة لا تكفي
لصلاح المخلوقات فذرني وعبيدي فاني انا الرحيم ورحمتي غير متناهية ومعصيتهم متناهية والمتناهي
لا يدرك غير المتناهي فيستغرق بعضهم في بحار رحمتي ولسوف يعطيك ربك فترضى السادسة
حكي عن ابراهيم بن ادهم انه قال كنت ضيفا لبعض القوم فقدم المايدة فنزل غراب وسلب رغيفا
فاتبعته تعجبا فنزل في بعض التلال فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين فالقى الغراب ذلك الرغيف
على وجهه وعن ذي النون انه قال كنت في البيت اذ وقعت في قلبي داعية ان اخرج من البيت
فانتهيت الى شط النيل فرايت عقربا قويا يعدو فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النهر
فقفز العقرب عليه واخذ الضفدع يسبح فركبت السفينة فاتبعته حتى اذا وصل الضفدع الى الطرف
الاخر نزل العقرب عن ظهره واخذ يعدو فتبعته فرايت شابا نايما تحت شجرة وعنده افعى يقصده
فلما قرب الافعى من ذلك الشاب وصل العقرب الى الافعى ولدغها والافعى ايضا لدغتها فماتا جميعا
وفي ادعية العرب يا رازق النعاب في عشه وحكايته ان ولد الغراب كما يخرج من البيض يكون كانه
قطعة لحم فتهجره امه لتنفر حتى اذا خرج ريشه عادت اليه فيبعث الله اليه في تلك المدة ذبابا يغتذي
به وروي ان فتى قرب وفاته واعتقل لسانه من شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي صلى الله عليه
وسلم واخبروه فقام ودخل عليه وكان يعرض عليه الشهادة ولا يعمل لسانه فقال صلى الله عليه وسلم
اما كان يصلي اما كان يزكي اما كان يصوم فقالوا بلى فقال هل عق والديه قالوا نعم قال هاتوا بامه فاتي
بعجوز عوراء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلا عفوت عنه فقالت لا اعفو لانه لطمني ففقا عيني فقال
صلى الله عليه وسلم هاتوا بالحطب والنار فقالت وما تصنع بالنار فقال صلى الله عليه وسلم احرقه بالنار
بين يديك جزاء بما عمل فقالت عفوت عفوت الهذا حملته تسعة اشهر الهذا ارضعته سنتين فاين
رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر اشهد ان لا اله الا الله والنكتة انها كانت رحمة فقط ولم
تجوز الاحراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق عبد واظب على ذكر الرحمن الرحيم سبعين قال صلى الله

الرحيم

الله عليه وسلم ان لله مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكرمه بلا غاية ورحمته بلا نهاية السابعة في فوائد قوله مالك يوم الدين الاولى من قضية العدالة الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي والموافق والمخالف ولا يظهر ذلك الا في في يوم الجزاء ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره روي انه يجاء برجل يوم القيمة فينظر في احوال نفسه ولا يرى لنفسه حسنة البتة فياتيه النداء يا فلان ادخل الجنة بعملك فيقول الهي ماذا عملت فيقول الله الست لما كنت نائما تقلب من جنب الى جنب ليلة كذا فقلت في خلال ذلك الله ثم غلبك النوم فنسيت اما انا فلا تاخذني سنة ولا نوم فلا انسيت ذلك ويجاء برجل يوزن حسناته سيئاته فتخف حسناته فتاتيه بطاقة فيثقل ميزانه فاذا فيها شهادة ان لا اله الا الله فلا يثقل مع ذكر الله غيره واعلم ان حقوق الله تعالى على المسامحة لانه غني عن العالمين واما حقوق العباد فهي اولى بالاحتراز عنها وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال ان المفلس من ياتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار الثامنة من قرا مالك احتج بوجوه الاولى ان فيه حرفا زائدا فيكون ثوابه اكثر الثانية في القيمة ملوك ولا مالك الا الله الثالثة المالكية سبب لاطلاق التصرف والملكية ليست كذلك الرابعة العبد ادون حالا من الرعية فيكون القهر في المالكية اكثر منه في الملكية الخامسة الرعية يمكنهم اخراج انفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك السادسة الملك يجب عليه رعاية حال الرعية كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ولا يجب على الرعية خدمة الملك اما المملوك فيجب عليه خدمة مالكه وان لا يشتغل في امر الا باذنه حتى انه لا يصح منه القضاء والامامة والشهادة ويصير مسافرا اذا نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة حجة من قرا ملك ان كل واحد من اهل البلد يكون مالكا والملك لا يكون الا اعلاهم شانا وايضا قل اعوذ برب الناس ملك الناس لم يقرا فيه غير ملك فيتعين وايضا الملك اقصر ومالك يلزم منه تطويل الامل فانه يمكن ان يدركه الموت قبل تمام التلفظ به واجيب بان العزم يقوم مقام الفعل ولو مات قبل الاتمام كما لو نوى بعد غروب الشمس تحسب صومه بخلاف ما لو نوى في النهار عن الغد ثم يتفرع على كل من القرائتين احكام المتفرعة على الاولى فقرا المالك ارجى من قراة الملك لان اقصى ما يرجى من الملك العدل والانصاف وان ينجو الانسان منه راسا براس والمالك يطلب العبد منه الكسوة والطعام والتربية والانعام يا عبادي كلكم جايع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم الملك يطمع فيك والمالك انت تطمع فيه الملك لا يختار من العسكر الا كل قوي سوي ويترك من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه وان ضعف اعانه الملك له هيبة وسياسة والمالك له رافة ورحمة واحتياجنا الى الرافة والرحمة اشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة واما المتفرعة على الثانية فانه في الدنيا ملك الملوك قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وفي الاخرة لا ملك الا هو لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ملكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا بذلوا قلت خزائنهم ونفدت ذخائرهم وانه سبحانه كلما كان اكثر عطاء كان اكثر ملكا فان اعطاك عشرة اولاد زاد في ملكه عشرة اعبد منا لنا ثم ملكه بكمال الرحمة فلذا قرن بقوله ملك يوم الدين قوله

رب العالمين الرحمن الرحيم ومثله الملك يومئذ الحق للرحمن قل اعوذ برب الناس ملك الناس فمن اتصف بهذه الصفة من ملوك الدنيا صدق عليه ظل الله في الارض الكفر سبب لخراب العالم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة تتضمن صلاح المعاد من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم لما وصف نفسه بانه مالك يوم الدين اظهر العالمين كمال عدله بنفي الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل اخرى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا خلة للملك اعم نفعا واتم دفعا من ان يكون عادلا ومن هنا يظهر البركة في العالم او ترتفع ان كان السلطان عادلا او جائرا يحكى ان انوشروان خرج يوما الى الصيد عن عسكره واستولى عليه العطش فراى بستانا فيه رمان فلما دخله قال للصبي فيه اعطني رمانة فعصرها فاخرج منها ماء كثيرا فشربه واعجبه ذلك فعزم ان ياخذ ذلك البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبي اعطني رمانة اخرى فاعطاه فعصرها فخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا فقال ايها الصبي لم صار الرمان هكذا فقال الصبي لعل ملك البلد عزم على الظلم فلشوم ظلمه صار هكذا فتاب انوشروان في قلبه واناب فقال للصبي اعطني رمانة اخرى فعصرها فوجدها اطيب من الاول فقال للصبي لم بدلت هذه الحالة قال لعل الملك تاب عن ظلمه فلما وجد انوشروان مقالة الصبي مطابقة لاحواله في قلبه تاب بالكلية فكان من ميامن عدله انه ورد في حقه قول نبينا صلى الله عليه وسلم ولدت في زمن الملك العادل الثالثة كونه مالكا وملكا معناه انه قادر على ترجيح جانب وجود الممكنات على عدمها وانه قادر على نقلها من صفة الى صفة كيف يشاء من غير مانع ومنازع وعلى قضية الحكمة والعدالة فهو الملك الحق وانه ملك يوم الدين ايضا لانه قادر على احياء الخلق بعد اماتتهم بتلك الاجزاء المتفرقة من ابدان الناس لا يختص به احد غيره فاذا كان الحشر والنشور لا يتاتى الا بعلم يتعلق بجميع المعلومات وقدرة تنفذ في كل الممكنات فلا مالك ليوم الا الله فان قيل لا يكون مالكا الا اذا كان المملوك موجودا لكن القيمة غير موجودة فينبغي ان يقال مالك يوم الدين بالتنوين بدليل انه لو قال انا قاتل زيد كان اقرارا ولو قال انا قاتل زيدا كان تهديدا قلنا لما كان قيام القيمة امرا حقا لا يجوز الاخلال به في الحكمة جعل وجوده كالشيء القائم في الحال ولو قيل من مات فقد قامت قيامته زال السؤال قالت القدرية ان كان الكل من الله فثواب الرجل على من لم يعمله عبث وعقابه على ما لم يفعله ظلم فيبطل كونه مالكا ليوم الدين قلنا خلق الجنة واهلها وذلك ان له صفة لطف وصفة قهر كما ينبغي لكل ملك فخلق لكل صفة مظهرا ولا يسال عما يفعل لان كل سؤال ينقلب فهو باطل الخامسة في هذه السورة من اسماء الله تعالى خمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك كانه يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك باصناف النعم فانا الرب ثم عصيت فسترت عليك فانا الرحمن ثم تبت فغفرت لك فانا الرحيم ثم اجازيك بما عملت فانا مالك يوم الدين وذكر الرحمن الرحيم مرة في التسمية ومرة في السورة دليل على ان العناية بالرحمة اكثر منها بسائر الاوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين كيلا يغتروا بها ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب السادسة الحمد والمدح والتعظيم فيما يكون بين الناس انما يكون لكونه كاملا في ذاته وان لم يكن له احسان اليك واما لكونه محسنا اليك واما رجاء وطمعا في المستقبل واما خوفا ورهبة فكانه سبحانه يقول ان كنتم تعظمون للكمال الذاتي فاحمدوني فاني انا الله وان كنتم تعظمون للاحسان السابق فانا رب العالمين وان كنتم تعظمون للاحسان المترقب فانا الرحمن الرحيم وان كنتم تعظمون رهبة عن العقاب فانا مالك يوم الدين الثامنة في فوائد قوله اياك نعبد الاولى لا شك ان تقديم المعمول مفيد للاختصاص اي لا نعبد احدا سواك والحاكم فيه الذوق السليم واستحقاق هذا الاختصاص لله

تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم ولا يليق الا بمن صدر منه غاية الانعام وهو الله تعالى وذلك ان للعبد احوالا ثلثة الماضي والحاضر والمستقبل اما الماضي فقد كان معدوما فاوجد وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا او ميتا فاحييناه وكنتم امواتا فاحياكم وكان جاهلا فعلمه اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم اسمعه وابصره واعقله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو اله بهذه المعاني واما الحاضر فحاجاته كثيرة ووجوه افتقاره غير محصورة من اول عمره الى اخره مع انفتاح ابواب المقتضي والطلاع بنعمة الطاعة فهو رب رحمن رحيم من هذه الوجوه واما المستقبل فامور المتعلقة بما بعد الموت وانه مالك يوم الدين بهذه الحيثية فلا مفزع للعبد في شيء من احواله الا اليه فلا يستحق عبادة العبد الا هو وايضا ثبت بالدلائل القاطعة وجوب كونه تعالى عالما قادرا جوادا غنيا حكيما الى غير ذلك من الصفات الكمالية واما كون غيره من الفلكيات والطبايع والنفوس كذلك فمشكوك فيه وان لم نجزم بانه لا تاثير له وجب طرح المشكوك والاخذ باليقين فلا معبود بالحق الا الله سبحانه وايضا العبودية ذلة ومهانة فكلما كان المولى اشرف واعلى كانت العبودية اهنأ وامرأ ولما كان الله تعالى اشرف الموجودات واعلاها واولى بالصفات العلى فعبوديته اولى وايضا كل ما سوى الواجب الغني ممكن مفتقر والفقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه افادة غيره فدفاع الحاجات هو الله فلا يستحق العبادة الا هو وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الثانية تقديم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى لا يلتفت في العبادة يمينا وشمالا بخلاف العكس يحكى ان واحدا من المصارعين الاستاذين صارع بعض من هو دونه ولا يعرفه فصارع الاستاذ مرارا فقيل له فلان الاستاذ فانصرع في الحال وما ذاك الا لاحتشامه بعد عرفانه وايضا ذكره تعالى اولا يورث العبد قوة يسهل عليه بها ثقل المعبودية فوجب تقديمه كما ان من اراد حمل ثقيل تقدم عليه دواء او غذاء يعينه على ذلك وكان العاشق يسهل عليه جميع الالام عند حضور معشوقه وايضا ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ۝ فالنفس اذا مسها طائف الشيطان من الكسل والغفلة والبطالة طلع له جلال الله من مشرق اياك نعبد فيصير مبصرة مستعدة لاداء حق العبودية وايضا ان بابا العبادة نقض ابليس عليه ان المعبود من هو فيلقي في نفسه وساوس اما اذا عين هذا التعيين وقال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وايضا الواجب لذاته متقدم في الوجود فيناسب ان يكون مقدما في الذكر وايضا المحققون نظرهم على المعبود لا على العبادة وعلى المنعم لا على النعمة ولهذا قيل لبني اسرائيل اذكروا نعمتي ولامة محمد اذكروني فذكر المعبود عندهم اولى من ذكر العبادة الثالثة النون في قوله نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انه تشريف من الله للعبد حيث لقنه لفظا ينبئ عن التعظيم كقوله حكاية عن نفسه نحن نقص عليك احسن القصص كانه قال لما اظهرت عبوديتي ولم تستنكف ان تكون عبدا لي جعلناك امة ان ابراهيم كان امة ومنها انه لو قال اياك اعبد كان اخبارا عن كونه عبدا فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه اني واحد من عبيدك ولا ريب ان الثاني ادخل في الادب والتواضع ومنها ان يكون تنبيها على ان الصلوة بالجماعة اولى قال صلى الله عليه وسلم التكبيرة الاولى في صلوة الجماعة خير من الدنيا وما فيها ومنها نكتة وهي ان الانسان اذا اكل الثوم او البصل فلا ينبغي له ان يحضر الجماعة كيلا يتاذى منه جاره واذا كان ثواب الجماعة لا يفي بهذا القدر من الايذاء فكيف يفي بما هو اكثر من ذلك ايذاء المسلمين من الغيبة والنميمة والسعاية وسائر انواع الظلم ومنها ان يكون المراد اعبدك والملائكة معي والحاضرون بل جميع عبادك الصالحين ومنها ان المؤمنين اخوة فكان الله تعالى لما اثنيت علي بقولك الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ارتفع منزلتك عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك السعي في اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك

نعبد واياك نستعين ۝ ومنها ان العبد يقول الهي عبادتي مخلوط بالتقصير ولكن اخلطها بعبادة جميع العابدين فلا يليق بكرمك ان تميز بين العبادات ولان ترد الكل وفيها عبادة الانبياء والاولياء بل الملائكة المقربين وهذا كما ان الرجل كما باع من غيره عشرة اعبد فالمشتري اما ان يقبل الكل او يرد الكل وليس له ان يقبل البعض دون البعض في تلك الصفقة الرابعة من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال بغيرها لان الكمال محبوب لذاته واكمل احوال الانسان اشتغاله بخدمة مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جلاله ولهذا قد ورد من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وايضا التكليف امانة انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان واداء الامانة واجب عقلا وشرعا ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واداء الامانة من الجانبين سبب لادائها من الجانب الاخر ۝ قال بعض الصحابة اتى اعرابي باب المسجد فنزل عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فزدنا تعجبا فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهي اديت امانتك فاين امانتي قال الراوي فزدنا تعجبا فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقد قطع يده وسلم الناقة اليه وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس يا غلام احفظ الله في الخلوات يحفظك في الفلوات وايضا الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم الغرور الى دار السرور وركون من الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة حكي عن ابي حنيفة ان حية سقطت من السقف وتفرق الناس وهو في الصلوة فلم يشعر به وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين يشرع في الصلوة كانوا يسمعون من صدره ازيزا كازيز المرجل ومن استبعد هذا فليقرأ فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن فاذا كان لجمال البشر مثل هذا التاثير على قلب الموحد العابد وقد يحدث الحيرة والدهش عند رؤية بعض السلاطين فكيف جلال الله وعظمته اذا تجلى رب العالمين ۝ واعلم ان العبادة لها ثلث درجات لانه اما ان يعبد الله تعالى رغبة في ثوابه او رهبة من عقابه ويخص باسم الزاهد حيث يعرض متاع الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو اشرف منها وادوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين ۝ واما ان يعبد الله تشرفا بعبادته او بقبول تكاليفه او بالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة وتسمى بالعبودية واما ان يعبد الله لكونه الها ولكونه عبدا له والالهية توجب العزة والهيبة والعبودية تقتضي الخضوع والذلة وهذه اعلى الدرجات وتسمى بالعبودة واليه الاشارة بقول المصلي اصلي لله فانه لو قال اصلي لثواب الله او هربا من عقابه لفسدت صلوته ۝ يحكى ان عابدا في بني اسرائيل اعتزل وعبد الله تعالى سبعين سنة فارسل الله اليه ملكا ان عبادتك غير مقبولة فلا تتعب على نفسك ولا تجاهد فاجاب العابد بان الذي علي هو العبودة واني لا ازال افعل ما علي فاما القبول وعدم القبول فموكول الى المعبود فرجع الملك فقال الله تعالى بم اجاب العابد فقال انت اعلم يا رب انه قال كذا وكذا فقال الله تعالى ارجع اليه وقل له قبلنا طاعتك بسبب تنبهك على التحقيق ان اثبات نسبة الامكان هو قصارى مجهود العابدين ونهاية مطامح ابصار العارفين وفي العبادة انشراح صدور المؤمنين وانها عاقبة حال المتقين قال عز من قائل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ۝ ولان العبودية اشرف المقامات مدح الله تعالى به نبيه في قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وافتخر عيسى بذلك اول ما تكلم فقال اني عبد الله وكان علي عليه السلام يقول كفى بي فخرا ان اكون لك عبدا وكفى بي شرفا ان تكون لي ربا اللهم اني وجدتك الها كما اردت فاجعلني عبدا كما اردت ۝ ومنهم من قال العبودية اشرف من الرسالة فبالعبودية ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل من التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا قال في شرف التقدم في قول الموحد اشهد ان

لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون **التاسعة في فوايد قوله واياك نستعين** الاولى لا شك ان للعبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان بمرجح ولو كان ذلك المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلا بد ان ينتهي الى الله تعالى وايضا كل الخلايق يطلبون طريق الحق مع استوايهم في القدرة والعقل والجد والطلب ولا يفوز به الا بعضهم فليس ذلك الا باعانة الحق وايضا قد يطلب الانسان حاجة من غيره ويدافعه مدة مديدة ثم يقضي حاجته فالقاء تلك الداعية في القلب ليس الا من الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ويظهر فايدة الاستعانة في انه ربما جعل الله ذلك واسطة الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب اكل الطعام ونحوه فيسقط اعتراض الجبري والقدري فافهم الثانية لقايل يقول الاستعانة على العمل انما تحسن قبل الشروع فيه لا بعده فلم قدمنا الاستعانة على ذكر العبادة والجواب كانه يقول شرعت في العبادة فاستعين بك في اتمامها حتى لا يمنعني مانع ولا يعارضني صارف فان قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وايضا ان قيل الاستعانة مطلقة تتناول كل مستعان فذكر العبادة كالوسيلة الى طلب الاعانة على الحوايج وتقديم الوسيلة مناسب الثالثة لا اريد بالاعانة غيرك اقتداء بالخليل عليه السلام حين قيد نمرود يديه ورجليه ورماه الى النار فجاءه جبريل عليه السلام فقال هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فاسأل الله قال حسبي من سوالي علمه بحالي وههنا نكتة وهي ان المومن في الصلاة مقيد رجلاه عن المشي ويداه عن البطش ولسانه الا عن القراءة والذكر فكما ان الله تعالى قال يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم فكذلك تقول له نار جهنم جز يا مومن فقد اطفا نورك لهبي الرابعة لا استعين غيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا اعنته فانا اقطع الواسطة ولا انظر الا الى اعانتك الخامسة اياك نعبد يورث العجب بالعبادة فاردفه بقوله واياك نستعين لانا له ذلك السادسة ههنا مقامات معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم اما معرفة الربوبية فكمالها مذكور في قوله الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين فاستنقاذ العبد من العدم السابق الى الوجود يدل على كونه الها وحصول الفوايد للعبد حال وجوده يدل على كونه ربا رحمانا رحيما واحوال معاده يدل على انه مالك يوم الدين واما معرفة العبودية فبداءها اياك نعبد وكمالها اياك نستعين في جميع المطالب واذا تم الوفا بالعهدين ترتبت عليه الثمرة وهو قوله تعالى اهدنا الى اخره وعند ترتيب لا يتصور منه السابعة في الالتفات الواردة في السورة وجوه منها ان المصلي كان اجنبيا عند الشروع في الصلوة فلا جرم اثنى الله بالفاظ المغايبة الى قوله مالك يوم الدين ثم ان الله تعالى كانه يقول حمدتني واقررت باني اله رب رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد انت يا عبد رفعنا الحجاب وابدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة وقل اياك نعبد ومنها انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجري عليه تلك الصفات العظام من كونه ربا لا يخرج شيا من ملكوته منعما على الخلق بانواع النعم جلايلها ودقايقها مالكا للامر كله في العاقبة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة في المهام فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقال اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به ومنها ان الدعا بالحضور كما ان الثنا في الغيبة ادفع واحري وهكذا فعل الانبيا عليهم السلام ربنا ظلمنا انفسنا رب هب لي رب زدني علما رب ارني رب لا تذرني فردا ومنها انه اذا شرع في الصلوة نوى القربة الى الله بما هو اهله فاستجاب الله دعاه في تحصيل تلك القربة ونقله الى مقام الحضور من مقام الغيبة الثامنة اعلم ان المشركين طوايف منهم من اتخذ الهه من الاجسام المعدنية كالحجر والذهب والـ

علم

والنحاس

والنحاس ومنهم من اتخذه من النبات كالشجر المعين ومنهم من اتخذه من الانسان كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذه من الاجسام البسيطة اما السفلية كعبدة النار وهم المجوس او العلوية كعبدة الشمس والقمر وساير الكواكب ومنهم من قال مدبر العالم نور وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال الملايكة عبارة عن الارواح الفلكية ولكل اقليم روح من الارواح الفلكية يدبره وكذا لكل نوع من انواع العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها وهم عبدة الملايكة ومنهم من قال للعالم الهان احدهما خير وهو الله والاخر شرير وهو ابليس اذا عرفت ذلك فنقول قد مر ان الحمد لله يتضمن التسبيح له وساير الصفات منبية عن سبب اثبات جميع انواع المحمدة واياك نعبد يدل على التوحيد المحض والبراءة من كل ما يعبد من دون الله وان الله اكبر من جميع المعبودين فيقوم مقام قوله لا اله الا الله والله اكبر واياك نستعين يدل على قول لا حول ولا قوة الا بالله فثبت ان سورة الفاتحة مشتملة الى هنا على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

العاشرة في فوايد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سيل ان طلب الهداية من المومن وهو مهدي تحصيل للحاصل والجواب منه صراط الاولين المنازل العظيمة لاجل مرضات الله تعالى يحكى ان نوحا عليه السلام كان يضرب في كل يوم مرات بحيث يغشى عليه وكان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وايضا ان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط وهما مذمومان والحق هو الوسط والصواب من بعد ان عرف الله بالدليل صار مهتديا لكنه لا بد مع ذلك من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط بين طرفين ومستقيم بين المنحرفين ففي القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان والوسط وهو استعمالها في موضعها على قضية العدالة والشريعة محمود وهو عفة وكذا في القوة العصبية طرفا التهور والجبن مذموم والوسط فهو الشجاعة محمود وفي القوة النفسانية الجربزة والبله مذمومان والوسط وهو محمود وبالجملة فانه يحصل من توسط استعمال القوة الشهوية الحياء والرفق والصبر والقناعة والورع والسخا ومن توابع السخاء والكرم والايثار والعفو والمروة والمسامحة وبالجملة من توسط استعمال القوة العصبية كبر النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والسكون والتحمل والتواضع والحمية والرقة ومن توسط استعمال القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن وسهولة التعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط في القوى الثلث كمال العدالة وتتبعها الصداقة والوفا والشفقة وصلة الرحم والمكافاة وحسن الشركة والتسليم والتوكل وتعظيم المعبود الحق وملايكته وانبيايه واولي الامر وانقيادا لاوامرهم ونواهيهم والتقوى تكمل هذه المعاني وتتمها ولان القوة النطقية ذاتية للانسان والشهوية والغضبية حصلتا له بواسطة التعلق البدني فكمال التوسط في النطقية ان يستعملها بحيث لا يمكن ازيد منها وكمال التوسط في الاخريين ان يستعملهما بحيث لا يمكن اقل من ذلك لبعضي الى تحصيل سعادة الدارين وايضا العلم النظري يقبل الزيادة بمعنى تواصل ادلته وقلة الفترات وتغني زيادة الادلة فليس من علم بدليل كمن علم بادلة فلا موجود من اقسام الممكنات الا وفيه دلالة على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وجوده ورحمته وحكمته وربما صح دين الانسان بالدليل الواحد وبقي غافلا عن ساير الدلايل فكانه يقول عرفنا الهنا في كل شي من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وعلمك وقدرتك وايضا قد يراد بالصراط المستقيم الاقتدا بالانبيا وهو ان يكون الانسان معرضا عما سوى الله مقبلا بكلية قلبه وفكره وذكره على الله حتى لو امر بذبح ولده لاطاع كالخليل ولو امر ان يذبح انقاد كاسمعيل ولو امر بالقاء نفسه في البحر امتثل كيونس ولو امر بتلمذ من هو اعلم منه بعد بلوغه على منصب النبوة كموسى مع الخضر وعن حنان قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة

فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه وايضا كان العبد يقول الاحباب يدعونني الى طريق والاعداء الى طريق ثان والشيطان الى ثالث وكذا القول في الشهوة والغضب والاعتقادات والاراء والعقل ضعيف والعمر قصير والقضاء عسير فاهدني الصراط السوي الذي لا تزيغ به حكي عن ابراهيم ابن ادهم انه كان يسير الى بيت الله فاذا اعرابي على ناقة له فقال يا شيخ الى اين فقال الى بيت الله قال كانك مجنون لا ارى لك مركبا ولا زادا والسفر طويل فقال ابراهيم ان لي مراكب كثيرة ولكنك لا تراها قال وما هي قال اذا نزلت على بلية ركبت مركب الصبر واذا اسديت الى نعمة ركبت مركب الشكر واذا لم يات القضاء ركبت مركب الرضا واذا دعتني النفس الى شيء علمت ان ما بقي من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابي سر باذن الله فانت الراكب وانا الراجل وقيل الاسلام او القران وليس بشيء اذ يصير المعنى اهدنا الصراط المتقدمين مع انه لم يكن لهم قران ولا اسلام اللهم الا ان يراد اصول هذه الشريعة وقوانينها كما قال فبهداهم اقتده وعن علي عليه السلام ثبتنا على الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فكم من عابد ترك ومهتد تضلل وفي اختيار لفظ الصراط دون الطريق او السبيل تذكر للصراط الذي هو الجسر الممدود بين طرفي جهنم سهل الله علينا وروده وعبوره الثانية انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء متى كان اعم كان على الاجابة اقرب ولهذا قال بعض العلماء لتلميذه اذا قلت قبل القراءة رضي الله عنك وعن جماعة المسلمين واياك وان تتساهل في ذلك وجماعة المسلمين فان ذلك انفع عندي من قولك رضي الله عنك لان هذا تخصيص بالدعاء ويجوز ان لا يقبل واما قولك وعن المسلمين فانه ارجى لانه لا بد ان يكون في المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله دعاء في البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ومن هنا ورد في السنة ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم قبل كل دعاء وبعده لان الدعاء في الطرفين مستجاب البتة لانه في حق النبي فيستجاب الوسط بتبعيته ذلك لا محالة وايضا قال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك وايضا الحمد لله شامل لجميع حمد الحامدين واياك نعبد لعبادة الجميع واياك نستعين لاستعانة الكل فلا جرم لما طلب الهداية علمها للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين جميعا في قوله صراط الذين انعمت عليهم والفرار من الطالحين جميعا في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين واذا كان كذلك في الدنيا يرجى ان يكون كذلك في الاخرة ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا الثالثة الخط المستقيم اقرب خط يصل بين كل نقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق المستقيم واحد وما سواه معوجة يشبه بعضها بعضا في الاعوجاج فكان ابعد من الخوف واقرب الى الخلاص وايضا ميل الطباع الى الاستقامة اكثر فلهذه الاسباب سال الصراط المستقيم

الحادية عشر في فوائد قوله صراط الذين انعمت عليهم

الاولى حد النعمة بانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو قصد الفاعل منفعة نفسه او لا على جهة الاحسان لم يكن نعمة فلا يستحق الشكر ثم نقول كل ما يصل الى الخلق من نفع او دفع فهو من الله تعالى لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ولان الواصل من جهة غير الله ينتهي اليه ايضا لانه الخالق لتلك النعمة ولذلك المنعم ولداعية ذلك الانعام فيه والنعم الواصلة الينا نطا غيرنا هي ايضا من الله تعالى لانه بتوفيقه واعانته بان اباح الاسباب وازاح الاعذار واول نعمة من الله تعالى على عبده الحيوة التي بها يمكن الانتفاع بالمنافع والاحتراز عن

دنعم

المضار

المضار قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم عقب ذلك بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا امر لا انكر ذلك بعض اصحابنا لوجوه منها صراط الذين انعمت عليهم فانه لو كان له على الكفار نعمة لزم طلب صراط الكفار لان المبدل منه وهو الصراط المستقيم في حكم المنحى والجواب قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين يدفع ذلك ومنها قوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما والجواب انه لا يلزم من ان لا يكون الاملاء خيرا ونعمة لهم ان لا يكون اصل الحيوة وسائر اسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء تاخير النعمة بعد ثبوت استحقاقها فما قبل هذه الحالة لا يكون كذلك على ان نفس الاملاء ايضا تمتع حالي قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وليس هذا كمن جعل السم في الحلواء على ما ظن وانما هو كمن لا ينبغي افسد مزاج الحلو ايضا وصيره كالسم القاتل بالنسبة اليه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكيف لا يعم نعم الله تعالى وقد قال على العموم يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء وقال وكنتم امواتا فاحياكم كل ذلك في معرض الامتنان وشرح النعم وقال وقليل من عبادي الشكور ولا تجد اكثرهم شاكرين والشكر لا يكون الا بعد النعمة الثالث ما المراد بالنعمة المذكورة في قوله انعمت عليهم قلنا يتناول كل من انعم الله عليه نعمة دينية ودنيوية ثم انه يخرج بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين كل من انعم عليه دنيوية فقط ويبقى الذين انعم الله عليهم في الدنيا والاخرة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكان اصل النعم الدنيوية هو الحيوة المستتبعة لكل المنافع فكذلك اصل النعم الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات وكما ان كمال البدن بالحيوة فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده انك لا تسمع الموتى وما انت بمسمع من في القبور وكما ان حيوة البدن من الله فكذا الايمان منه دون توفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة الاثر الى القابل وبذلك القبول يستاهل الثواب والمؤمن لا يبقى مخلدا في النار فان من شرفه الله تعالى باعظم الانعام لن يعاقبه باشد الالام الا بالاثام قيل لو كان رعاية الاصلح على الله واجبا لم يكن ذلك انعاما لان اداء الواجب لا يسمى انعاما قلت النزاع لفظي لان الاصلح لا بد ان يصدر عنه ولا يليق بحكمته وكماله خلاف ذلك ثم ما شئت فسمه

الثانية عشر في فوائد قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين

الاولى من المغضوب عليهم ومن الضالون قلت المغضوب عليهم هم المائلون في كل خلق او اعتقاد الى طرف التفريط ومنهم اليهود والضالون هم المائلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان الغضب يلزمه البعد والطرد والمفرط في شيء هو المعرض عنه غير مجد بطائل فهو بعيد عن ذلك واما المفرط فقد اقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فغاب عن المقصود فعني بالحرمان كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران فاليهود فرطوا في شان نبي الله ولم يطيعوه واذوه حتى قالوا بعد ان نجاهم الله من عدوهم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولهذا قال عز من قائل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا والنصارى افرطوا قالوا المسيح ابن الله ان الله ثالث ثلثة روى عدي بن حاتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غير المغضوب اليهود والضالون النصارى وتصديق ذلك كتاب الله حيث قال في اليهود وباؤا بغضب من الله وفي النصارى وضلوا عن سواء السبيل هذا شان الفريقين واما المؤمنون فطلبوا الوسط بين المنحرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم وكذلك جعلناكم امة وسطا وكنتم خير امة اخرجت للناس وخير الامور اوسطها الثانية الاية تدل على ان احدا من الملائكة والانبياء ما اقدم على عمل او اعتقاد

بخالف الحق والا كان ضالا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ولم يصلح للاقتداء به والاهتداء بطريقه
الثالثة ما الفائدة في ان عدل من ان نقول اهدنا الصراط الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين الى ما عدل تلك الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف كما قال صلى الله عليه وسلم
لو وزن خوف المومن ورجاؤه لاعتدلا فقوله صراط الذين انعمت عليهم تدل على الرجاء وما في الاية
تدل على الخوف فيكمل الايمان بطرفيه وركنيه **الثالثة عشر في تفسير السورة مجموعة وفيه مناهج**
المنهج الاول نسبة عالم الغيب الى عالم الشهادة نسبة الاصل الى الفرع والنور الى الكل فكل شاهد
فله في الغايب اصل والا كان كسراب زايل وخيال باطل وكل غايب فله في الشاهد مثال والا كان شجرة
بلا ثمرة ومدلول بلا دليل وكل شئ فهو بالنسبة الى ما دونه مطاع كما قال عز من قائل ذي قوة عند ذي
العرش مكين مطاع ثم امين ولكل مطاع في عالم الروحانيات مطاع في عالم الجسمانيات والمطاع
في عالم الارواح هو المصدر ~~[illegible]~~ والمطاع في عالم الاجسام هو المظهر ولا بد من ان يكون بينهما ملاقاة
ومجانسة ونهايتهم سعادة الدارين لا نهاية دعوات الى الله بالرسالة وحاصل الدعوة امور
سبعة يشتمل عليها خواتم سورة البقرة اربعة منها تتعلق بالمبدا وهي معرفة الربوبية اعني معرفة
الله وملائكته وكتبه ورسله امن الرسول بما انزل اليه والمومنون كل امن بالله وملائكته وكتبه
ورسله لا نفرق بين احد من رسله واثنان منها تتعلق بالوسط احدهما مبداء العبودية وقالوا
سمعنا واطعنا والثاني كمال العبودية وهي الالتجاء الى الله وطلب المغفرة غفرانك ربنا وواحد
يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى حضرة الملك الوهاب واليك المصير ويتفرع على هذه المراتب سبع
مراتب في الدعاء والتضرع اولها ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا فضد النسيان هو الذكر واذكر
ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته
على الذين من قبلنا ودفع الاصرار والثقل يوجب الحمد الحمد لله رب العالمين وثالثها ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الى كمال رحمته الرحمن الرحيم ورابعها واعف عنا لانك انت المالك للقضا
والحكومة في يوم الدين وخامسها واغفر لنا لالتجائنا بكليتنا اليك وتوكلنا في جميع الامور عليك
اياك نعبد واياك نستعين وسادسها وارحمنا لانا طلبنا الهداية منك اهدنا الصراط المستقيم
وسابعها انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين هذه المراتب ذكرها محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الروحانيات عند صعوده الى المعراج
فلما نزل من المعراج فاض اثر المصدر على المظهر في فتح التفصيل عنها بسورة الفاتحة فمن قراها في صلوته
صعدت هذه الانوار من المظهر الى المصدر كما نزلت في عهد محمد صلى الله عليه وسلم من المصدر الى
المظهر فلهذا السبب قال صلى الله عليه وسلم الصلاة معراج المومن **المنهج الثاني** المداخل التي يأتي
الشيطان من قبلها في الاصل ثلثة الشهوة والغضب والهوى والشهوة بهيمية والغضب سبعية
والهوى شيطانية فالشهوة افة لكن الغضب اعظم منها والغضب افة لكن الهوى اعظم منه قال
تعالى وينهى عن الفحشاء الشهوة والمنكر الغضب والبغي الهوى فبالشهوة يصير الانسان ظالما
لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوى لربه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الظلم ثلثة فظلم لا
يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذي لا يترك
هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم الانسان نفسه ونتيجة الشهوة
الحرص والبخل ونتيجة الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة وتحصل من اجتماع هذه
الستة في بني ادم خصلة سابعة هي الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية في

الاشخاص ولهذا السبب ختم الله تعالى مجامع الشرور الانسانية بالحسد في قوله ومن شر حاسد اذا
حسد كما ختم جوامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة في قوله يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
روي ان ابليس اتى باب فرعون فقال فرعون من هذا قال ابليس لو كنت الها ما جهلت فلما دخل قال فرعون
تعرف في الارض شرا مني ومنك قال نعم الحاسد وبالحسد وقعت فيما وقعت ثم نقول الاسماء الثلثة
في التسمية دافعة للاخلاق الثلثة الاصلية والايات السبع التي هي الفاتحة دافعة للاخلاق السبعة بان
ذلك من عرف الله تعالى تباعد عنه شيطان الهوى افرايت من اتخذ الهه هواه يا موسى خالف هواك فاني
ما خلقت خلقا نازعني في ملكي الا هواك ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان منشا الغضب طلب الولاية
والولاية للرحمن الملك يومئذ الحق للرحمن ومن عرف انه رحيم صح نسبته اليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها
بالافعال البهيمية واما الفاتحة فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فقد زالت شهوته
ومن عرف انه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجد وبخله فيما وجد ومن عرف انه مالك يوم الدين بعد
من عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه ومن قال اياك نعبد واياك نستعين زال الكبر بالاول والعجب
بالثاني واذا قال اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان الهوى واذا قال صراط الذين انعمت عليهم
زال عنه كفره واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته واذا زالت عنه الاخلاق
الستة اندفع عنه الحسد ثم ان جملة القران كالنتاج والتشعب من الفاتحة وكذا جميع الاخلاق الذميمة
كالنتاج والتشعب من تلك السبعة فلاجرم القران كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة [illegible]
تتعلق بالرب والملك والاله وسببها ختم القران عليها كانه قال ان اتاك الشيطان من قبل الشهوة فقل اعوذ
برب الناس وان اتاك من قبل الغضب فقل ملك الناس وان اتاك من قبل الهوى فقل اله الناس **المنهج
الثالث** في ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما يفتقر اليه الانسان في معرفة المبداء والوسط والمعاد الحمد
لله اشارة الى اثبات الصانع المختار العليم الحكيم المستحق للحمد والثناء والتعظيم رب العالمين يدل على
ان ذلك الاله واحد وان كل العالمين ملكه وليس في العالم اله سواه ولهذا جاء في القران الاستدلال
بخلق الخلائق كثيرا قال ابراهيم ربي ~~ارني كيف تحيي الموتى~~ الذي يحيي ويميت الذي خلقني فهو يهدين
ربنا الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ربكم ورب ابائكم الاولين اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وهذه الحالة كما انها في نفسها انعام
عظيم وذلك ان تولد الاعضاء المختلفة الطبايع والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن الا اذا
قصد الخالق ايجاد تلك الاعضاء على تلك الصور والطبايع وكل منها مطابق للمطلوب والموافق للغرض
كما يشهد به علم التشريح الابدان فلا احق بالحمد والثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الرحيم الذي
شمل احسانه قبل الموت وبعد الموت وعند الموت مالك يوم الدين يدل على ان من لوازم حكمته
ورحمته ان يقدر بعد هذا اليوم يوما اخر يظهر فيه تمييز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم وههنا
تمت معرفة الربوبية ثم من قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لا بد من معرفتها الى تقرير العبودية
وهي نوعان الاعمال والاثار المتفرعة على الاعمال والاعمال لها ركنان احدهما الاتيان بالعبادة وهو قوله
اياك نعبد والثاني علمه بانه لا يمكنه ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك نستعين والاثار المتفرعة على
الاعمال وهي حصول الهداية والتحلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطريقين المستقيمة بين المنحرفين
اهدنا الصراط المستقيم الى اخره وفي قوله صراط الذين انعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة بانوار ارباب
الكمال خلة محمودة وسنة مرضية هم القوم لا يشقى بهم جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وفي قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى ان التجنب عن مرافقة اصحاب البدع والاهواء واجب

شعر عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه ** فكل قرين بالمقارن يقتدي ** والجمر يوضع في الرماد فيخمد المنهج الرابع
قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد
بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي
واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي فوض الي
عبدي واذا قال اياك نعبد يقول الله عبدني عبدي واذا قال واياك نستعين يقول الله توكل علي عبدي
وفي رواية اذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول الله هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط
المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سال فقوله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي اشارة الى
مهمات العبد ان يستنير قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة الربوبية لانه انما خلق لرعاية هذا العهد وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فلاجرم انزل الله السورة جامعة لكل ما يحتاج
اليه العبد في الوفا بذلك العهد وقوله اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله تعالى ذكرني عبدي
مناسب لقوله تعالى فاذكروني اذكركم انا جليس من ذكرني فاذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه والذكر مقام عال شريف ذكره الله تعالى في القرآن
كثيرا يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر ربك في نفسك تذكروا فاذا هم مبصرون
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون ولهذا وقع الابتداء به وقوله ذكرني
عبدي يدل على ان ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على ان اسم الله
علم وقوله اذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى من مقام الذكر
لانه اول كلام في اول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك واخر كلام في الجنة ان الحمد لله رب
العالمين ولان التفكر في ذات الله غير ممكن تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في ذات الله وكل من تفكر في مخلوقاته
ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله واحسانه اكثر فحمد الله تعالى اكثر فقوله حمدني عبدي
شهادة من الله تعالى على وقوف العبد بعقله وفكره على وجوه فضله وانعامه في ترتيب العالم وترتيب
العالمين وانه اقر بقلبه ولسانه بكرمه واحسانه وقوله واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي
ويدل على ذلك على ان الاله الكامل المنزه عن الشريك والنظير والند والضد هو في غاية الرحمة والفضل
والكرم مع عباده ولا شك ان غاية ما يصل اليه العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس الا
هذا المقام وهو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي نزهني وقدسني عن الظلم
ومن شبهة الظلم حيث نيطت معاد الحشر اليه العباد يقتص فيه بين الظالم والمظلوم والقوي والضعيف
شعر ايحسب الظالم في ظلمه ** اهمله القادر ام امهلا ** ما اهملوه بل لهم موعد ** لن يجدوا من دونه موئلا وقوله واذا
قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي معناه ان اياك نعبد يدل على اقدام
العبد على الطاعة والعبادة ولا يتم ذلك الا باعانة الله بخلق داعية فيه خالصة عن المعارض فان
العبد غير مستقل بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا قال اهدنا الصراط
المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سال تقريره ان اهل العالم مختلفون بالنفي والاثبات في
جميع المسائل الالهية او اكثرها وفي المعاد والنبوات وغيرها مع استواء الكل في العقل والنظر فالاهتداء
الى ما هو الحق في الامر نفسه ليس الا بهداية الله تعالى واشارة كما قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
وقال ابراهيم صلوات الرحمن عليه لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقال موسى رب اشرح لي صدري
ويسر لي امري المنهج الخامس ايات الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلوة ايضا سبعة القيام
والركوع والانتصاب منه والسجود الاول والانتصاب منه والسجود الثاني والقعدة فهذه الاعمال كالشخص

والفاتحة لها كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام الا
ترى الباء في بسم الله لما اتصل باسم الله حصل قائما مرتفعا وايضا التسمية لبداية الامور كل امر ذي بال لم يبدا
فيه باسم الله فهو ابتر والقيام ايضا اول الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوحيد
نظرا الى الحق والمنعم والنعمة لانه الثنا على الله بسبب الانعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة
بين الاعراض والاستغراق كما ان الركوع متوسطة بين القيام والسجود وايضا ذكر النعم الكثيرة مما يثقل الظهر
فينحني وقوله الرحمن الرحيم لان العبد لما تضرع الى الله بالركوع فاللائق برحمته ان يرده الى الانتصاب ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين مناسب السجدة
الاولى لدلالته على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع وقوله
اياك نعبد واياك نستعين مناسب القعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة التي تقدمت
واياك نستعين استعانة بالله في ان يوفقه للسجدة الثانية وقوله اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم
الاشيا فيليق به السجدة الثانية ليدل على نهاية الخشوع وقوله صراط الذين انعمت عليهم الى اخره مناسب
القعود لان العبد لما اتى بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه وحينئذ يقرأ التحيات
لله كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم قرأها في معراجه فالصلوة معراج المومن المنهج السادس ايات
الفاتحة سبع واعمال الصلوة المحسوسة سبع كما تقرر ومراتب خلق الانسان سبع ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين فنور ايات
الفاتحة يسري الى الاعمال السبعة ونور الاعمال السبعة يسري الى هذه المراتب فيحصل في القلب نور على
فينعكس الى وجه المومن من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار المنهج السابع انه كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم معراجان من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم من المسجد الاقصى الى عالم الملكوت
هذا في عالم الحس واما في عالم الارواح فمن الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى غيب الغيب وهذا بمنزلة
قوسين مثلا صفين فتخطاهما محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين وقوله او ادنى اشارة الى فنائه
في نفسه والمراد بعالم الشهادة كل ما يتعلق بالجسم والجسمانيات وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح
السفلية ثم المتعلقة بسما سماء الى الملائكة الحافين من حول العرش ثم الى حملة العرش ومن عند الله
طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وانسهم بالثناء عليه ولذتهم في خدمته لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهكذا يتصاعد الى ان ينتهي انوار الانوار ومرجع الارواح
ولا يعلم تفاصيلها الا الله ومن ارتضاه والمقصود ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عرج واراد ان يرجع
قال رب العزة المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه وان تحفة امتك الصلاة الجامعة بين المعراجين الجسماني
بالافعال والروحاني بالاذكار فليكن المصلي نقي بدنه طاهرا لانه بالوادي المقدس طوى وايضا عنده ملك وشيطان
ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل وطيش وقناعة وساير الاخلاق
المتضادة والصفات المتنافية فلينظر ايهما يختار فانه اذا استحكم المرافقة تعذرت المفارقة اختار الصديق
صحبة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه في الدنيا وفي القبر ويكون معه في القيامة وفي الجنة وصحب كلب اصحاب
الكهف فلزمهم في الدنيا وفي الاخرة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ثم اذا تطهر
فليرفع يديه اشارة الى توديع الدنيا والاخرة وليوجه قلبه وروحه وسره الى الله ثم ليقل الله اكبر اي من
كل الموجودات بل هو اكبر من ان يقاس اليه غيره بانه اكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وفي المقام ينكشف له
نور سبحات الجلال ثم ليقل تبارك اسمك اشارة الى الدوام المنزه عن الافناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل في

العدم وحقيقة الابد في البقاء فيتجلي له نور الازل والابد ثم ليقل وتعالي جدك اشارة الي انه اعظم
واعلي من ان يكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة في القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة
الي ان كل صفات الجلال وسمات الكمال له لا لغيره فهو الكامل الذي لا كامل الا هو وفي الحقيقة لا هو الا هو
وحينئذ يكل اللسان ويدهش الالباب ثم عد ايها المصلي الي نفسك وحالك وقل وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض فقولك سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة المقربين حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك وهو ايضا معراج محمد صلي الله عليه وسلم لان معراجه مفتتح بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وقولك
وجهت وجهي معراج الخليل عليه الصلوة والسلام وقولك ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي معراج الحبيب
صلي الله عليه وسلم فقد جمع المصلي بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظما الانبيا والمرسلين ثم اذا فرغت
من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لتدفع العجب عن نفسك وفي هذا المقام يفتح لك احد
ابواب الجنة وهو باب المعرفة وبقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين
يفتح لك باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم يفتح باب الرجا وبقولك مالك يوم الدين يفتح لك باب الخوف
وبقولك اياك نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية
وبقولك اهدنا الصراط المستقيم يفتح باب الدعا والتضرع ادعوني استجب لكم وبقولك صراط الذين انعمت
عليهم الخ يفتح ابواب الاقتداء بالارواح الطيبة والاهتدا بانوارهم فتحت ابواب الجنات المعارف الربانية انفتحت لك
ابوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية فهذا بيان المعراج الروحاني في الصلوات واما الجسماني فاولها ان
ان تقوم بين يدي الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض بل قيام اهل
القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم اقرا سبحانك اللهم وبحمدك ثم وجهت وجهي الفاتحة وبعدها
ما تيسر لك من القران واجتهد في ان تنظر الي الله الي عبادتك حتي تتحققها واياك ان تنظر من عبادتك
الي الله فانك ان فعلت ذلك فهذا من قولك اياك نعبد واياك نستعين واعلم ان نفسك الي الان جارية
مجري خشبة عرضتها علي نار حرق الجلال فلانت فاجعلها منحنية بالركوع ثم اتركها لتستقيم مرة اخري
فان هذا الدين متين فاوغل فيه بالرفق ولا تبغض طاعة الله الي نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا
ابقي فاذا عادت استقامتها فانحدر الي الارض بغاية التواضع واذكر ربك بغاية العلو وقل سبحان ربي الاعلي
واذا سجدت ثانية فقد حصل لك ثلثة انواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع تنجو من
عقبة الشهوات وبالسجود الاولي من عقبة الغضب الذي هو رئيس الموذيات وبالسجود الثاني تنجو من
عقبة الهوي الداعي الي كل المضلات فاذا تجاوزت هذه الصفات وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الي
الدرجات العاليات وملكت الباقيات الصالحات وانتهيت الي عقبة جلال مدبر الارض والسموات فقل عند
ذلك التحيات المباركات باللسان والصلوة بالاركان والطيبات بالجنان وقوة الايمان بالله فيصعد
نور روحك وينزل نور محمد صلي الله عليه وسلم فيتلاقي الروحان فتحصل هناك الروح والريحان فقل السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد صلي الله عليه وسلم سلام علينا وعلي عباد الله
الصالحين فكانه قيل لك بم نلت هذه الكرامات فقل بقولي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فقيل ان محمد الذي هداك اي شي هديته له فقل اللهم صلي علي محمد وعلي ال محمد فقيل لك ان ابراهيم الذي قال لك
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤك له فقل كما صليت علي ابراهيم وعلي ال ابراهيم فيقال لك هذه الخيرات
من محمد وابراهيم او من الله فقل بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله بهذه الاثنية
والمدايح ذكره الله تعالي في محافل الملايكة اذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه فاذا سمع
الملايكة ذلك اشتاقوا الي العبد فقال الله تعالي ان الملايكة اشتاقوا الي زيارتك وقد جا كل من ابواب

فابداء بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين وعن الشمال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فلا جرم اذا دخل المصلون الجنة فالملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار
المنهج الثامن اعظم المخلوقات جلالة ومهابة المكان والزمان فالمكان فضاء لا نهاية له وخلاء لا
غاية له والزمان امتداد وهمي شبه بنهر خرج من قعر جبل الازل فامتد ودخل في قعر الابد فلا يعرف لانفجاره
مبداء ولا لاستقراره منزل فالاول والاخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة المكان وكمال هذه الاربعة
الرحمن الرحيم فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرا وباطنا ووسع الزمان اولا واخرا وهو منزه عن الانتقال الي
المكان والزمان فانه كان ولا مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وعقد
الزمان بالعرش وكان عرشه علي الماء لان جري الزمان يشبه جري الماء فالعلو صفة الكرسي وسع
كرسيه السموات والعظمة صفة العرش رب العرش العظيم وكمال العلو والعظمة لله ولا يوده حفظهما وهو
العلي العظيم والعلو والعظمة صفة العرش رب العرش العظيم درجتان من درجات الكمال الا ان العظمة
اقوي وفوق الكل درجة الكبرياء الكبرياء ردائي والعظمة ازاري ولا يخفي ان الردا اعظم من الازار
وفوق جميع الصفات صفة الجلال وهي تقدسه في هويته المخصوصة من مناسبة الممكنات وبه
استحق الالهية ولهذا قال صلي الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام وفي التنزيل ويبقي وجه
ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلي يبتغي وجه الله والداخل علي السلطان يجب ان يتطهر من الادناس
والانجاس والارجاس واولي المراتب التطهر من دنس الذنوب توبوا الي الله توبة نصوحا ثم من
الدنيا حلالها وحرامها وهو الزهد ثم من الكونين الدنيا والاخرة وهو مقام المعرفة ثم من الالتفات
الي اعماله وهو مقام الاخلاص ثم من الالتفات الي عدم الالتفات وهو مقام المحسنين ثم من الالتفات
الي كل ما سوي الله وهو مقام الصديقين ثم قم قائما فاقم وجهك للدين حنيفا واستحضر في نفسك جميع
اقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات فقل الله اكبر اي من الكل او من ان لا يراني ولا يسمع كلامي
كما قال النبي صلي الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك او اكبر
من ان يصل اليه عقول الخلق وافهامهم كما قال علي بن ابي طالب عليه السلام التوحيد ان لا يتوهمه
او اكبر من ان يقدر الخلق علي قضاء حق عبوديته كما قلت الله اكبر فاجل طرف عقلك في ميادين جلال
الله وقل سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهي ثم انتقل الي عالم الامر والتكليف واجعل
سورة الفاتحة مرآة لك تبصر فيها عجائب الدنيا والاخرة وتطلع منها علي انوار اسماء الله الحسني وصفاته
العليا والاديان السالفة والكتب والشرايع النبوية فتصل الي الشريعة ومنها الي الطريقة ومنها
الي الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين ودركات الناقصين فاذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم
ابصرت به الدنيا فباسمه قامت السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين ابصرت به الاخرة
فبالحمد قامت الاخرة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين واذا قلت الرحمن الرحيم ابصرت به عالم
الجمال المشتمل علي اصول النعم وفروع النوال واذا قلت مالك يوم الدين ابصرت به عالم الجلال وما يحصل
هناك من الاحوال والاهوال واذا قلنا اياك نعبد ابصرت به عالم الشريعة واذا قلت اياك نستعين ابصرت
به عالم الطريقة واذا قلت اهدنا الصراط المستقيم ابصرت به عالم الحقيقة واذا قلت صراط الذين انعمت
عليهم ابصرت درجات ارباب السعادات واصحاب الكرامات واذا قلت غير المغضوب عليهم ولا الضالين
لاحظت دركات التفريط والافراط واذا انكشف لك هذه المقامات فلا تظنن انك قد بلغت الغايات
بل عد الي الاقرار بالحق بالكبرياء ولنفسك بالهوان وقل الله اكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الي العظمة وقل سبحان
ربي العظيم ثم انتصب ثانيا وادع لمن وقف موقفك وحمد حمدك وقل سمع الله لمن حمده فانك اذا سالتها الخير

وحد ربها لنفسك فالله في عون العبد مادام العبد في عون اخيه المسلم ولا تكبير في هذا المقام لان التكبير من الكبرياء الهيبة والخوف وهذا مقام الشفاعة يرتعد الى التكبير ما تعدى به الى غاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى لان السجود اكثر تواضعا روي ان لله ملكا تحت العرش اسمه حزقيل فاوحى اليه ايها الملك طر فطار ثلثين الف سنة ثم ثلثين ثم ثلثين فلم يبلغ من احد طرفي العرش الى الثاني فاوحى الله اليه لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ من الطرف الى العرش فقال الملك عند ذلك سبحان ربي الاعلى ٥ اما فوائد السجدتين فالاولى الازل والثانية الابد والغفلة بينهما هي الدنيا فتعرف بازليته انه لا اول له فتسجد له وبابديته انه لا اخر له فتسجد له ثانيا وايضا الاولى فناء الدنيا في الاخرة والثانية فناء الاخرة في جلال الله تعالى وايضا الاولى فناؤ الكل في انفسها والثانية بقاؤها ببقائه وايضا الاولى انقياد عالم الشهادة لقدرته والثانية انقياد عالم الارواح لعزته الا له الخلق والامر وايضا الاولى سجدة الشكر بمقدار ما اعطانا من معرفة ذاته وصفاته والثانية سجدة الخوف مما فاتنا من اداء حقوق كبريائه وايضا صلوة القاعد على النصف من صلوة القائم فتواضع السجدتين بازاء تواضع ركوع واحد وايضا ليكونا شاهدين للعبد على اداء العبادة وايضا ليناسب الوجود الاخذ من الوحدة الى الكثرة ومن الفردية الى الزوجية وايضا الانتصاب صفة الانسان والانحنا صفة الانعام والجثوم صفة النبات ففي الركوع هضم للنفس بمرتبة واحدة وفي السجود بمرتبتين ولعلها فاتنا من الفوائد اكثر مما ذكرنا **المنهج التاسع** في اللطائف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابرهيم صلوات الرحمن عليه سال ربه فقال ما جزاء من حمدك فقال تعالى الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته فقال اهل التحقيق ومن هنا جعلها الله فاتحة كتابه وخاتمة كلام احبابه في جنته واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وعن علي كرم الله وجهه ان اول ما خلق الله العقل من نور مكنون ثم قيل له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اعز علي منك ونقل ان ادم عليه السلام لما عطس قال الحمد لله فاول كلام لفاتحة المحدثات الحمد واول كلام لخاتمة المحدثات الحمد فلا جرم جعلها الله تعالى فاتحة كتابه وايضا اول كلام الله الحمد لله واخر انبيائه محمد رسول الله وبين الاول والاخر مناسبة فجعل الحمد لله اول اية من كتاب محمد رسول الله ولما كان كذلك وضع لمحمد رسول الله من كلمة الحمد اسمان محمد واحمد وعند هذا قال صلى الله عليه وسلم ان في السماء احمد وفي الارض محمد فاهل السما في تحميد الله ورسول الله احمدهم والله تعالى في تحميد اهل الارض كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا ورسول الله محمدهم اخرى الحمد لا يحصل الا عند الفوز بالرحمة والنعمة فلما كان الحمد اول الكلمات وجب ان يكون النعمة والرحمة اول الافعال فلهذا قال سبقت رحمتي غضبي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه احمد اي اكثر الحامدين حمدا فوجب ان يكون رحمة الله في حقه اكثر فلهذا جا رحمة للعالمين اخرى ان من اسماء الرسول سوى محمد واحمد الحمد والحامد والمحمود على ما جاء في الروايات وكلها تدل على الرحمة لان الحمد يتضمن النعمة وقال تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم فقوله نبئ اشارة الى محمد فهو مذكور قبل العباد والياء في قوله عبادي ضمير الله سبحانه وكذا في اني وانا الغفور الرحيم صفتان لله فالعبد يمشي يوم القيمة وقدامه الرسول صلى الله عليه وسلم مع خمسة اشيا تدل على الرحمة ورحمة الرسول كثيرة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ورحمة الله تعالى غير متناهية ورحمتي وسعت كل شي فكيف يضيع المذنب بين هذه الاصناف من الرحمة اخرى في الفاتحة عشرة اشيا خمسة من صفات الربوبية ٥ الله ٥ الرب ٥ الرحمن ٥ الرحيم ٥ المالك ٥ وخمسة من صفات العبودية ٥ العبادة ٥ الاستعانة ٥ طلب الاستقامة ٥ طلب النعمة ٥ في قوله انعمت عليهم فكانه قيل اياك نعبد لانك انت الله واياك نستعين يا رب اهدنا يا رحمن

وارزقنا

٣٤

وارزقنا الاستقامة يا رحيم وافض علينا سجال فضلك يا مالك اخرى الانسان مركب من خمسة اشيا بدن ونفس شيطانية ونفس سبعية ونفس بهيمية وجوهر ملكي عقلي فتجلى اسم الله للجوهر الملكي فاطمان اليه الا بذكر الله تطمئن القلوب وتجلى للنفس الشيطانية باسم الرب فلان وانقاد لطاعة الديان رب اعوذ بك من همزات الشياطين وتجلى للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من اللطف القهر الملك يومئذ الحق للرحمن فترك الخصومة والعدوان وتجلى النفس البهيمية باسم الرحيم احل لكم الطيبات فترك العصيان وتجلى للابدان بصفة القهر والمالكية لان البدن غليظ كثيف فيحتاج الى قهر شديد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فغدا فلما كان هذه التجليات انغلقت له ابواب النيران وفتحت عليه ابواب الجنان وترجع القهقرى كما جاء فلطاعة الابدان قال اياك نعبد ولطاعة النفس البهيمية قال واياك نستعين على ترك اللذات وارتكاب المنكرات ولطاعة النفس السبعية قال اهدنا واي ارشدنا وعلى دينك ثبتنا ولطاعة النفس الشيطانية طلب الاستقامة فقال اهدنا الصراط المستقيم ولجوهر العقل الملكي طلب مرافقة الارواح المقدسة لا المدنسة فقوله صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اخرى بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت فشهادة ان لا اله الا الله من تجلي نور اسم الله واقام الصلوة من تجلي نور اسم الرب لان الرب من التربية والعبد يربي امانة بعدد الصلوة وايتاء الزكوة من تجلي اسم الرحمن لان الزكوة سببها الرحمة على الفقرا وصوم رمضان من تجلي اسم الرحيم لان الصايم اذا جاع يتذكر جوع الفقرا فيعطيهم يحكى ان يوسف عليه السلام حين تمكن من مصر كان لا يشبع قيل له في ذلك فقال اخاف ان اشبع فانسى الجياع وايضا الصايم يرحم نفسه لانه اذا جاع حصل له فطام عن الالتذاذ بالمحسوسات فعند الموت يسهل عليه مفارقتها ووجوب الحج من تجلي اسم مالك يوم الدين لان الحج يوجب هجرة الوطن ومفارقة الاهل والولد وذلك يشبه سفر القيامة وايضا الحاج يكون عاريا حافيا حاسرا وهو يشبه احوال القيمة اخرى الحواس خمس ولكل ادب فادب البصر ما زاغ البصر وما طغى فاعتبروا يا اولي الابصار وادب السمع الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وادب الذوق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وادب الشم اني لاجد ريح يوسف وادب المس والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فاستغن بالتوازي الاسماء الخمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك على تاديب هذه الحواس الخمس الشطر الاول من الفاتحة مشتمل على الاسماء الخمسة فيفيض انوارها على الاسرار ٥ والشطر الثاني مشتمل على الصفات الخمس للعبد فيصعد منها اسرار تلك الانوار فتحصل للعبد معراج في قرائته وتقرير الاسرار ان حاجة العبد اما لدفع ضر او جلب خير وكل منهما اما في الدنيا واما في الاخرة فهذه اربعة وههنا قسم خامس هو الاشرف وذلك الاقبال على طاعة الله وعبوديته لا لاجل رغبة او رهبة فان شاهدت نور اسم الله لم تطلب منها شيا سوى الله وان طالعت بعين الرب طلبت منه خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه خيرات الدنيا وان طالعت نور الرحيم طلبت منه العصمة عن مضار الاخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه الصون عن افات الدنيا الموقعة في عذاب الاخرة اعاذنا الله تعالى منها اخرى للتجلي ثلث مراتب تجلي الذات قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا للعظماء الانبيا والملايكة المقربين وهذه نهاية الاحوال ويدل عليها اسم الله وتجلي الصفات وهو اوسط الاحوال ويكون للاوليا واولي الالباب الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ويدل عليه اسم الرحمن وتجلي الافعال والايات وهو في بداية الاحوال ويكون لعامة العباد الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزلنا من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات

يشتي كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهي ويدل علي لفظ الرحيم ربنا وسعت كل شي رحمة
وعلما اخري في الفاتحة كلتان مضا فتان الي اسم الله بسم الله والحمد لله بسم الله لبداية
الامور الحمد لله لختم الامور بسم الله ذكر الحمد لله شكر بسم الله استحق الرحمة رحمن الدنيا وبالحمد لله
استحق رحمة اخري رحيم الاخره وكلتا اضيف اليهما اسمان لله رب العالمين مالك يوم الدين فالربوبية
لبداية حالهم الست بربكم قالوا بلي والملك لنهاية حالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وبينهما
اسمان سطلقان لوسط حالهم الراحمون يرحمهم الرحمان ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء
المنهج العاشر للخلق خمس احوال اولها الايجاد والتكوين والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها
التربية في مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب وثالثها التربية في معرفة المبداء ويدل عليه اسم الرحمن
ورابعها في معرفة المعاد ويدل عليه اسم الرحيم كي يقدم علي ما ينبغي وتحجم عما لا ينبغي وخامسها
نقل الارواح من عالم الاجساد الي المعاد ويدل عليه مالك يوم الدين ثم العبد اذا انتفع بهذه الاسما
صار من اهل المشاهدة فقال اياك نعبد لانك انت الله الخالق واياك نستعين لانك الرب الرازق
اياك نعبد لانك الرحمن واياك نستعين لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك واياك نستعين لانك المالك
اياك نعبد لانا ننتقل من دار الشرور الي دار السرور ولابد من زاد وخير الزاد العبادة واياك
نستعين لان الذي نكتسب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا فان السفر طويل والزاد قليل ثم اذا حصل الزاد
فالشقة شاسعة والطرق كثيرة فلا طريق الي ان تطلب ممن هو رشاد السالكين حقيقة اهدنا
الصراط المستقيم ثم انه لابد للسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين انعمت عليهم فالانبياء
ادلاء والصديقون والشهداء والصالحون رفقاء غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان الحجب قسمان
نارية هي الدنيا بما فيها ونورية وهي ما سواها اللهم ادفع عنا كل ما يحجب بينك وبيننا انك رب العالمين

سورة البقرة وقد يقال السورة التي يذكر فيها البقرة مدنية غير اية نزلت يوم عرفة يعني
قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الي الله حروفها ٢٥٥٠٠ كلماتها ٦١٢١ اياتها
٢٨٦ اية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ
أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

القراءة لا ريب بالمد خلف والعجلي عن حمزة وخلف لنفسه وكذلك قوله تعالى لا خير لا جرم وذلك
لاجتماع الفتحة مع الالف او لتاكيد معنى النفي للجنس فيهما ابن كثير وكذلك يتبع كل هاء كناية في
جميع القران هدى للمتقين مدغما من غير غنة حمزة وعلي وخلف ويزيد ورويس من طريق اليماني والنها
عن ابن كثير وكذلك يدغمون النون الساكنة والتنوين في الراء حيث وقعت ابو عمرو بالوجهين ادغام
الغنة واظهارها الباقون باظهار الغنة ولا خلاف بين القراء في ادغام اصل النون والتنوين في اللام والواو

والراء والياء والميم انما الخلاف بينهم في اظهار الغنة واسقاطها وهي صوت من الخيشوم يؤمنون غير
مهموز ابو عمرو ويزيد وورش والاعشي وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الافعال الا في احرف
تذكر في مواضعها الباقون بالهمز باب في المد بما انزل اليك وما انزل من قبلك بالمد عاصم وعلي
وحمزة وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين الكلمة والكلمتين وكذلك روي ورش عن نافع الباقون يفرقون
فيمدون الكلمة ولا يمدون الكلمتين فاطول الناس مدا ورش عن نافع وحمزة وخلف في اختيار ومدهم بمنزلة
اربع الفات واوسطهم مدا علي وابن ذكوان وعاصم غير الاعشي وانقصهم مدا ابن كثير وابو جعفر
ونافع غير ورش وابو عمرو وسهل ويعقوب وهشام واصل المد الف ساكنة علي قدر فتحة فتك فتحا
تاما وبالاخرة بترك الهمزة ونقلها الي الساكن الذي قبلها حيث كان ورش وكذلك حمزة في الوقف فان
مذهبه ان يقف علي كل كلمة مهموزة بغير همزة باب السكتة روي عن حمزة وحماد والشموني
انهم يسكتون علي كل حرف ساكن بعده همزة سكتة لطيفة نحو الارض والانهار وقالوا امنا واشباه
ذلك والسبب فيه التمكين والمبالغة تخفيفا لان الهمزة بعد السكتة كالمبتداء بها والاختيار في الكلمة الواحدة
ان لا يسكت علي ساكن غير لام التعريف احترازا عن قطع الكلمة الوقوف الم للاختلاف لا ريب ج علي حذف
خبر لا تقديره لا ريب فيه عند المومنين والوقف علي النفي يبني علي فيه وهدي خبر محذوف اي هو هدي
ومن جعل هدي حالا للكتاب باعمال معنى الاشارة في ذلك علي تقدير اشير الي الكتاب هاديا لم يقف فيل هدي
للمتقين لا لان الذين صفتهم ينفقون لا للعطف ليدخل عبد الله بن سلام واصحابه في المتقين فان القران لهم هدي
وليدخل الصحابة المومنون بالغيب في ثناء الهدي ووعد الفلاح ولو ابتدي والذين كان اولئك علي هدي خبرهم
مختصا بهم واختص هدي القران واسم التقوي بالذين يؤمنون بالغيب من قبلك ج لاختلاف النظم بتقديم المفعول
يوقنون ط لان اولئك مبتداء وليس بخبر عما قبله وكذلك علي كل اية دفق الامام اعلم بعلامة لا المفلحون التفسير
وفيه ابحاث البحث الاول في الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجي بها في قولهم الف با تا ثا اسما مسمياتها الحروف
المبسوطة التي منها ركبت الكلم لان الضاد مثلا لفظ مفرد دال علي التواطؤ علي معنى مستقل بنفسه غير مقترن
باحد الازمنة وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون لفظ الضاد اسما ولهذا قد يتصرف في بعضها بالا
نحو باتا ثا منهجاة مقصورة غير لا ولهم كتبت باالمد نحو كتبت لا يدل علي انها حروف مثل لا فانهم انما قالوا كذلك
في التهجي لكثرة الاستعمال واسند عنا نها التخفيف والذي رواه ابن مسعود ان النبي صلي الله عليه وسلم قال من
قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف
وايضا وقع في عبارات المتقدمين انها حروف التهجي خليق بان يصرف الي التسامح والتجوز لانه اسم للحرف وهما
متلازمان او لان الحرف قد يطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع ويحكي عن الخليل انه سال اصحابه كيف
تنطقون في الباء الذي في ضرب والكاف التي في كك فقالوا نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم لا الحرف وقال اقول
ب ك ثم انهم راعوا في هذه التسمية لطيفة وهي انهم جعلوا المسمي صدر كل اسم منه الا الالف فانهم استعا
الهمزة مكانها مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ابداع اللفظ دالا لتعلي المعنى البسملة والحيعلة
والتهليل ونحوها وحكم هذه الاسماء سكون الاعجاز ما لم تلها العوامل فيقال الف لام ميم موقوفا عليها لفقد مقتضي
الاعراب نحو واحد اثنان ثلثة وارتوب جارية فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب نحو هذه الف وكتبت الفا
ونظرت الي الف والدليل علي ان سكونها وقف وليس بناء انها لو بنيت لحذي بها حذو ابن وكيف وهو لا ولم
يقل صاد وقاف نون مجموعا فيها بين الساكنين وللناس في الم وما يجري مجراه من فواتح السور قولان احدهما
ان هذا علم مستور وسر محجوب استاثر الله به والتخاطب بالحروف المفردة سنة الاحباب في سنن المحاب
فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب شعر بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه

العرج

عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسره في القران اوايل السور وعن علي كرم الله وجهه
ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وقال بعض العارفين العلم بحر اجري منه واديا
اجري من الوادي نهرا ثم اجري من النهر جدولا ثم اجري من الجدول ساقية فالوادي لا يحتمل النهر لا يحتمل
الوادي ولهذا قال اعز من قايل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فبحور العلم عند الله فاعطى
الرسل منها اودية ثم اعطى الرسل من اوديتهم انهارا الى العلماء ثم اعطى العلماء الى العامة جداول صغارا على
قدر طاقتهم ثم اجرت العامة سواقي الى اعاليهم بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما ورد في الخبر للعلماء سر
وللخلفاء سر وللانبياء سر وللملايكة سر ولله تعالى من بعد ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء
لابادوهم ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء
على سر الملايكة لاتهموهم ولو اطلعوا الملايكة على سر الله لطاحوا حايرين وبادوا بايدين والسبب في
ذلك ان العقول الضعيفة لا تحمل الاسرار القوية كما لا تحمل نور الشمس ابصار الخفافيش وسيل الشعبي عن هذه
الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وقيل هو من المتشابه
وزيف هذا القول بنحو قوله تعالى افلا يتدبرون القران تبيانا لكل شي هدى للمتقين فانما يمكن التدبر ويكون
تبيانا وهدى اذا كان مفهوما وبقوله صلى الله عليه وسلم اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتي فكيف يمكن التمسك وهو غير معلوم وايضا لا يخاطب المكلف بما لا يفهم كما لا يخاطب العربي بالعجمي ولا يجوز التحدي
بما لا يكون معلوما وعورض بقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والوقف هنا لان الراسخين لو كانوا عالمين بتاويله
لما كان الايمان به كالايمان في المحكم فلا يكون في الايمان به مزيد مدح ولا يكون في قوله كل من عند ربنا
فايدة على ما يخفى وبقوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد روينا عن اكابر
الصحابة ما رويناه وايضا الافعال التي كلفنا بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلوة فان فيها تواضعا
للمعبود والصوم ففيه كسر الشهوة والزكوة ففيها سد خلة المساكين ومنها ما لا يظهر فيه الحكمة كاكثر
من افعال الحج فيحسن من الله تعالى الامر بالنوعين لظهور الامتثال بهما بل كمال الانقياد في النوع
الثاني فلم لا يجوز ان يكون في الاقوال ايضا مثل ذلك مع ان فيه فايدة اخرى هي اشتغال السر بذكر الله
والتفكر في كلامه **القول الثاني** ان المراد من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه الاول
انها اسماء للسورة وهو قول اكثر المتكلمين واختار الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة بن لام الطايي
وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل قاف وللحوت نون وسيعود تمام الكلام في هذا القول
الثاني انها اسماء الله تعالى وروي عن علي عليه السلام انه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ولعل
منه ما روي عن سعيد بن جبير انها ابعاض اسم الله تعالى فان الرحمن مجموعها اسم الرحمن لكننا لا نقدر
على كيفية تركيبها في الجميع الثالث انها اسماء القران وهو قول الكلبي والسدي وقتادة الرابع
كل واحد من الحروف دال على اسم من اسماء الله تعالى او صفة من صفاته فالالف اشارة الى انه احد اول
اخر ازلي ابدي واللام اشارة الى انه لطيف والميم الى انه مجيد ملك منان وفي كهيعص الكاف كاف
لعباده والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق والكاف محمول على الكبير والكريم والياء جبه
والعين على العزيز والعدل وروي هذا عن ابن عباس وعنه ايضا في الم انا الله اعلم وفي المص انا الله اعلم
وافصل وفي الر انا الله ارى الخامس انها صفات الافعال الالف الاوه واللام لطفه والميم مجده قاله محمد
بن كعب القرظي السادس الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة
جبريل على محمد عليهما السلام السابع الالف انا واللام لي والميم مني قال بعض الصوفية الثامن ان
ورودها مسرودة هكذا على نمط التعديد ليكون كالايقاظ وقرع العصا لمن يتحدى بالقران اي ان هذا

المنبر

٣٦

المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خالق القدر لم
يعجز معشر البشر الاتيان بمثل اقصر سورة قاله المبرد وجمع غفير التاسع كانه تعالى يقول اسمعوها فقطعه حتى اذا وردت
عليكم مولفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك وهذا على طريقة تعليم الصبيان قاله عبد العزيز بن يحيى العاشر
ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه انزل الله تعالى هذه الاحرف رغبة في اصغايهم ليهجم
عليهم القران من حيث لا يشعرون قاله ابو روق وقطرب الحادي عشر قول ابي العالية انه حساب على ما
روي عن ابن عباس انه مر ابو ياسر بن اخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو سورة البقرة
الم ذلك الكتاب ثم اتى اخاه وهو حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف فسالوا عن الم وقال ننشدك الله الذي لا اله الا
هو احق انها اتتك من السماء فقال صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت فقال حيي ان كنت صادقا اني لاعلم
اجل هذه الامة من السنين ثم قال كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى
مدته احدى وسبعون سنة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حيي فهل غير ذلك فقال نعم المص
فقال حيي مائة واحدى وستون فهل غير هذا فقال نعم الر فقال حيي نشهد ان كنت صادقا ملكت امتك
الى مايتين واحدى وثلثين فهل غير هذا فقال نعم المر فقال حيي باي ذلك ناخذ فقال ابو ياسر اما انا
فنشهد ان انبياءنا قد اخبروا عن ملك هذه الامة ولم يوقتوا انها كم تكون فان كان محمد صادقا فيما
يقوله اني لاراه سيجمع له هذا كله فقام اليهود قالوا اشتبه علينا امرك فانزل الله تعالى هو الذي انزل
عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الثاني عشر يدل على انقطاع
كلام واستيناف كلام اخر الثالث عشر قال الاخفش ان الله تعالى اقسم بهذه الحروف المعجمة لشرفها
من حيث انه اصول اللغات بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه واقتصر على البعض والمراد الكل
كما تقول قرات الحمد وتريد السورة كلها اقسم الله بها ان هذا الكتاب هو المثبت في اللوح المحفوظ الرابع عشر
ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون واهل الخط والكتاب بخلاف النطق
باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا فلما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بها من غير تعلم خط وقراءة
كان ذلك دليلا على انه استفاد ذلك من قبل الوحي الخامس عشر قال القاضي الماوردي معناه الم يكن ذلك
اي نزل وهذا لا يتاتى في كل فاتحة السادس عشر الالف اشارة الى ما لا بد من الاستقامة على الشريعة
في اول الامر انه الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واللام اشارة الى الحاصل عند المجاهدات وهي رعاية
الطريقة والذين جاهدوا فينا والميم اشارة الى صيرورة العبد في مقام المحبة كالدايرة التي تكون نهايتها
عين بدايتها وهو مقام الفنا في الله بالكلية وهو الحقيقة قل الله ثم ذرهم السابع عشر الالف من اقصى
الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وهو اخر المخارج اي اول ذكر العبد
ووسطه واخره ولا ينبغي الا الله الثامن عشر سمعت بعض الشيعة يقول هذه الفواتح اذا حذف منها
المكررات يبقى ما يمكن ان يركب على صراط حق نمسكه وهذا غريب مع انه متكلف ولهذا اوردته واعلم
ان الباقية من الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية تشتمل على انصاف
اجناس الحروف المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم
والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الطق ومن الرخوة نصفها الر مص هع سحي
ومن المطبقة نصفها صط ومن المنفتحة نصفها الر كهو سح قي نه ومن المستعلية نصفها ق ص ط ومن
المنخفضة نصفها ال مر ك ه ي ع سح نه ومن حروف القلقلة نصفها ق ط واكثر الفاظ القران من
هذه الحروف وهذا دليل على ان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم
والزاما لتعجيزهم كما مر في الوجه الثامن ويويد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما دارتا في معظم هذه

الفواتح مكور ثبت والله تعالى اعلم التاسع عشر نبل معناه الست بربكم الالف واللام من اوله والميم
اي اخذت منكم كتاب العهد في يوم الميثاق والمختار من هذه الاقوال عند الاكثرين القول بانها اسما السور
ثم انه عورض بوجوه الاولى انا نجد سورا كثيرة اتفقت بالم وحم والمقصود رفع الاشتباه الثانية انه
لو كانت اسما لاشتهرت ولو اشتهرت الثالثة العرب لم يتجاوزوا ما سموا به مجموع اسمين نحو معد يكرب وبعلبك
ولم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسما واربعة وخمسة فالقول بانها السور خروج عن لغتهم الرابعة
لو كانت اسما لاشتهرت السورة بها لكنها اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وال عمران الخامسة هذه
الالفاظ داخلة في السور وجزء الشي متقدم على الشي بالرتبة واسم الشي متاخر عن الشي فيلزم ان يكون
متقدما متاخرا معا وهو محال وليس كهذا التسمية صاد للحرف الاول منه فان هذا كتسمية المفرد
بالمؤلف ويلزم المحال المذكور واجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام المشتركة من انها ليست بوضع واحد
مع انه لا يبعد ان يجعل مشتركا حتى يتميز كل واحد من الاخر بعلامة لحكمة خفية وعن الثاني بان تسمية
السورة بلفظة معينة ليست من الامور العظام التي يتوفر والدواعي على نقلها وعن الثالث بان التسمية
بثلثة اسما خروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا فاما منثورة نثر اسماء العدد فلا
استنكار لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية نحو برق نحره وكما لو سمي ببيت شعر او بطائفة
من اسماء حروف المعجم وعن الرابع انه لا يبعد ان يصير اللقب اشهر من الاسم وعن الخامس ان تاخر
ما هو متقدم باعتبار اخر غير مستحيل وفي لسان الصوفية ان هيئات الصلوة ثلث القيام والركوع والسجود
فالالف اشارة الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود اي من قرا فاتحة الكتاب في الصلوات
التي هي معراج المؤمن شرفه بالهداية في قوله هدى للمتقين وعلى هذا يكون ذلك الكتاب اشارة
الى الفاتحة لانها ام الكتاب ثم ان هذه الاسماء ضربان احدهما ما لا يتاتى فيه الاعراب لكونه
اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسما عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة
لهابيل وقابيل وكذلك طسم اذا فتح نونها صار كدارابجرد فالنوع الاول يحكى ليس الا والثاني فيه
امران الحكاية والاعراب فاذا اعرب منع الصرف للعلمية والتانيث شعر تذكرني حاميم والرمح شاجر
فهلا حاميم قبل التقدم والحكاية ان تجي بالقول بعد نقله على استيفاء صورته نحو قولك بدات بالحمد
قال ذو الرمة شعر سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا واما من قرا صاد وقاف
ونون مفتوحات فبفعل مضمر نحو اذكر او حركت لالتقاء الساكنين واستكره مقسما بها على طريقة قولهم
نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القران والقلم محلوف بهما واستكرهوا الجمع بين
القسمين على مقسم عليه واحد ولهذا قال الخليل الواو الثانية في قوله عز من قائل والليل اذا يغشى والنهار
اذا تجلى واو للعطف لا للقسم نحو وحيوتي ثم حيوتك لافعلن ولو كان لا يقضي قسمه بالاول على شي جاز
ان يستعمل كلما اخر نحو بالله لافعلن تالله لاخرجن ولا سبيل فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف
لمخالفة الثاني الاول في الاعراب اللهم الا ان يقدر مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها وقد جاء عنهم
الله لافعلن مجرورا غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واما من قرا صاد وقاف بالكسر
فلالتقاء الساكنين وهذه الفواتح جاءت في المصحف مكتوبة على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها
لان المالوف انه اذا قيل للكاتب اكتب صاد مثلا فانه يكتب مسماها وايضا اشتهار امرها ان المراد
بها الاسامي لا المسميات امن وقوع اللبس فيها وايضا خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة
وخط العروض لان المعتبر هنالك الملفوظ ومن لم يجعل هذه الفواتح اسما للسور فلا محل لها عنده كما لا
محل للجمل المبتداة والمفردات المعدودة ومن جعلها اسما فستخبرك عن تاليفها مع ما بعدها الله حسبي

البحث الثاني

البحث الثاني في قوله تعالى ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك الى ما ليس
ببعيد لانه وقعت الاشارة بذلك الى بعد ما سبق التكلم به والمنقضي في حكم المتباعد ولهذا يجيب الحاسب
ثم يقول فذلك كذا ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعيد كما تقول لصاحبك وقد
اعطيته شيئا احفظ بذلك او لانه وان كان حاضرا نظرا الى الناطق لكنه غائب نظرا الى اسراره وحقائقه
او لانه على مقتضى الوضع اللغوي لا العرفي او لانه اشارة الى ما نزلت بمكة قبل سورة البقرة وقد
يسمى بعض القران قرانا او لانه اشارة الى ما وعد به الرسول عند مبعثه انا سنلقي عليك قولا ثقيلا
او لانه اشارة الى ما اخبر به الانبياء ان الله سينزله على النبي المبعوث من ولد اسمعيل او المراد ان
هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم الثانية
انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة في بعض الوجوه نظرا الى صفته وهو الكتاب
كقولك هند ذلك الانسان قال الرياشي شعر نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري
وان جعلت الكتاب خبرا فنظرا الى ان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما
اجري عليه في التانيث في قولهم من كانت امك الثالثة للقران اسماء كثيرة منها الكتاب والقران
ومنها الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان لانه نزل متفرقا في نيف وعشرين سنة او لانه يفرق بين الحق
والباطل ومنها التذكرة والذكرى والذكر وانه لتذكرة للمتقين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
وانه لذكر لك ولقومك اي من ذكر الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه وشرف وفخر ومنها
التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل احسن الحديث شبهه بما يتحدث به فان الله تعالى
خاطب به المكلفين ومنها الموعظة قد جاءتكم موعظة من ربكم الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك
انزلناه حكما عربيا حكمة بالغة يس والقران الحكيم كتاب احكمت اياته ومنها الشفا والرحمة وننزل
من القران ما هو شفا ورحمة ومنها الهدى والهادي هدى للمتقين ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم
ومنها الصراط المستقيم وان هذا صراطي مستقيما ومنها حبل الله واعتصموا بحبل الله جميعا ومنها
الروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لانه سبب لحيوة الارواح ومنها القصص لان هذا هو القصص
الحق ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان للناس تبيانا لكل شي تلك ايات الكتاب المبين ومنها
البصائر هذا بصائر من ربكم ومنها الفصل انه لقول فصل ومنها النجوم فلا اقسم بمواقع النجوم لانه نزل
نجما نجما ومنها المثاني مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم لانه يثني فيه القصص والاخبار
ومنها النعمة واما بنعمة ربك فحدث قال ابن عباس رضي الله عنه اي القران ومنها البرهان قد جاءكم برهان
من ربكم ومنها البشير والنذير قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا ومنها القيم قيما لينذر باسا شديدا
ومنها المهيمن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ومنها النور واتبعوا النور الذي انزل معه
ومنها الحق وانه لحق اليقين ومنها العزيز وانه لكتاب عزيز ومنها الكريم انه لقران كريم ومنها
العظيم ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ومنها المبارك كتاب انزلناه اليك مبارك فهذه
جملة الاسماء وينبغي تفاسيرها في مواضعها الرابع في تاليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة
ففي التاليف وجوه الاولى ان يكون الم مبتدا وذلك مبتدا ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول
اي هو الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما يقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية وكقوله شعر
هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر
مبتدا محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة
وذلك الكتاب اخرى وفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره

الكتاب اي ذلك المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او فذلك مبتداء محذوف اي هو يعني المولف
من هذه الحروف ذلك الكتاب وقراة عبد الله بن مسعود الم تنزيل الكتاب **البحث الثالث** في قوله لا ريب
فيه الريب مصدر رابني وحقيقته قلق النفس يروي الحسن بن علي عن النبي عليه وعليهما الصلوة والسلام
دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة اي كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له
النفس وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة وفي الحديث ان النبي صلى
الله عليه وسلم مر بظبي حاقف اي معوج منطو وهو محرم فقال لا يريبه احد بشيء اي لا يزعجه والحاصل
ان الريب شك وان بادة ظن سوء فان قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من شقي مرتاب
فيه قلت ما نفي ان احد لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع
البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه ومثله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة
من مثله لم يقل واذ كنتم مع وقوع الشك منهم في الواقع دلالة على الشك فيه مما لا ينبغي ان يوجد الا على
سبيل الفرض ولو فرض فوجه ازالته ان يحرزوا انفسهم ويروا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام
تتضاءل دونها فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلنا لان
المقصود ههنا ليس الا نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق ولو عكس لافاد ذلك مع ما ليس بمراد ولا
هو بصادق في نفس الامر وهو التعريض بان ريبا في غيره من الكتب كما ان في قوله لا فيها غول تعريض
بان خمور الدنيا تغتال العقول وقرا ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع وقيل ما الفرق بينها وبين المشهورة
ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن ان يقال كلاهما يوجب الاستغراق الا ان الاول بطريق
نفي الماهية والثاني لان قوله لا ريب جواب القابل هل ريب فيه وهذا يفيد نفي ثبوت فرد واحد فنفيه سلب
جميع الافراد **البحث الرابع** في قوله هدى للمتقين وفيه مسائل الهدى هو مصدر على فعل كالسرى
وهو على الاصح عبارة عن الدلالة وقيل بشرط كونها موصلة الى البغية بدليل وقوعه في مقابلة
الضلال اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولانه يقال مهدي في معرض المدح فلو احتمل ان يقال هدي
فلم يهتد لم يكن مدحا ولان مطاوعه اهتدى فيلزمه واجيب بان مقابل الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قولنا
مهدي انما افاد المدح لانه من المعلوم ان الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت كالعدم وبالمنع من ان
اهتدى لازم هدى لزوما كليا او يجيء في العرف ان يقال هديته فلم يهتد قال عز من قائل واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى وقال بعضهم الهدى الاهتداء فان زعم مطلقا فخطاء لو وقع صفة للقران
وان زعم حسنا فصحيح لو وقع في مقابلة الضلالة الثانية المتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية
فرط الصيانة وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابها ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهي تتقي حافره ان
يصيبه ادنى شيء وهو في الشرع المؤمن بالمامور المجتنب عن المحظورات واختلف في الصغاير انه اذا
لم يتقها فهل يستحق هذا الاسم روي عنه صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا
باس به حذرا مما به باس فحقيقته التقوى الحقيقية يا ايها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها الايمان والزمهم
كلمة التقوى اي التوحيد وقد يراد بها التوبة ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا اي تابوا وقد يراد الطاعة ان انذروا
انه لا اله الا انا فاتقون وقد يراد ترك المعصية واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله وقد يراد الاخلاص
فانها من تقوى القلوب اي من اخلاصها والتقوى مقام يشرف ان الله مع الذين اتقوا وتزودوا فان خير الزاد
التقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن احب ان
يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وقال علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه التقوى

الاوليم

ترك

٣١

ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن ابراهيم ابن ادهم ان لا يجد الخلق في لسانك
عيبا ولا الملائكة المقربين في افعالك عيبا ولا ملك العرش في سرك عيبا وقال الواقدي ان تزين سرك للحق
كما زينت ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولله در القائل شعر خل الذنوب صغيرها وكبيرها
فهو التقى كن مثل ماش في طريق الشوك يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى وفي قوله
هدى للمتقين ثم في موضع اخر شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس دليل على ان الناس مخصوص
في المتقين والباقون كالانعام بل هم اضل الثالثة لم اختص كون القران هدى بالمتقين وايضا المتقي مهتد
فكيف يهتدى ثانيا والجواب ان المتقين لما كانوا المنتفعين بالهداية خصوا بالذكر مدحا لهم كقوله
انما انت منذر من يخشاها انما تنذر من اتبع الذكر مع انه صلى الله عليه وسلم منذر كل الناس وايضا فقوله
هدى للمتقين كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة واستدامة ما هو ثابت فيه
ووجه اخر سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين نحو من قتل قتيلا فله سلبه فهذا مجاز
من باب تسمية الشيء بما هو ايل اليه واللطف فيه انه لو قال هدى للصائرين الى التقوى بعد الضلال كان
اطنابا في غير موضعه فان تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القران واول المثاني بذكر اولياء الله
والمرتضين من عباده هو اللائق بالمقام فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فان قلت كيف وصف
القران بان كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدى فيه الى المقصود الا بحكم العقل فيكون الهدى في ذلك
للعقل لا للقران ومما يؤكد ما قلنا ما نقل عن علي انه قال لابن عباس حين بعثه رسولا الى الخوارج لا تحتج عليهم الا
بالقران فانه خصم ذو وجهين ولهذا فان فرق الاسلام المحق منهم والمبطل يحتجون به قلنا المتشابه لما لم ينفك
عما يبين المراد معه على التعيين عقلا كان او سمعا صار كله هدى فان قيل كل ما يتوقف صحة كون القران
هدى على صحته كمعرفة الله تعالى وصفاته ومعرفة النبوة فالقران ليس هدى فيه فكيف جعل
هدى على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى في تعريف الشرائع والمطلق لا يقتضي العموم او كونه هدى في ما
في العقول ايضا فيعم الرابعة محل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتداء محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك
او مبتداء اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف
والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يقال الم جملة براسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك
الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وفقد العاطف بينها لمجيئها متاخية اخذا
بعضها بحجزة بعض لانه نبه اولا على ان الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال
تقريرا لجهة التحدي ثم نفي عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة بكماله فلا كمال اكمل مما
للحق واليقين ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر كونه يقينا لا يحوم الشك حوله ثم في كل الجمل نكتة
ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه كما مر في الوجه الثامن وفي
الثانية ما في التعريف من الفخامة اي الكتاب الذي يستاهل ان يقال له الكتاب وفي الثالثة ما في تقديم
الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والابهام
في ذكر المتقين **البحث الخامس** في قوله الذين يؤمنون الاية وفيه مسائل الاولى الذين يؤمنون
اما موصول بالمتقين صفة او نصب على المدح او رفع لذلك بتقدير اعني الذين او هم الذين او مرفوع بالابتداء
مخبر عنه باولئك على هدى الثانية الذين يؤمنون على تقدير كونه صفة يكون اما واردة بيانا وكشفا
وذلك اذا فسر المتقي بانه لذي الحسنات ومجتنب السيئات لان الايمان اساس الحسنات والصلوة ام
العبادات البدنية قال صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وبين العبد وبين الكفر ترك الصلوة والزكوة
افضل المالية قال صلى الله عليه وسلم الزكوة قنطرة الاسلام فاختصر الكلام اختصارا بذكر ما هو كالعنوان

بذلكم

لساير الطاعات وكالاصول لساير الحسنات وبتدريج اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله عز وجل ان
الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر واما مسروديته مع التقوى ومقبلة عنه فلانها وذلك اذا فسر التقوى بالتجنب
عن المعاصي فقط ثم انه يكون قد وصف بالايمان وهو فعل القلب واداء الصلوة والزكوة وهما من افعال الجوارح
وهذا ترتيب مناسب لان لوح القلب يجب تخليته عن النفوس الفاسدة اولا ثم تحليته بالعقايد
الحقة والاخلاق الجميلة واما معدودة عنا على سبيل المدح والثناء وذلك اذا فرض المتقي موسوما بهذه
السمات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات الله الجارية عليه تمجيدا
وتعظيما الثالثة الايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته
امنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمينه معنى اقر واعترف او وثق به قال في التفسير الكبير
اختلف اهل القبلة في مسمى الايمان على اربعة اقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية واهل
الحديث اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا الايمان اذا عدي بالباء فمعناه التصديق
على تضمين الاقرار والوثوق كما مر حيث اللغة واما اذا ذكر مطلقا فمنقول الى معنى اخر وهو ان يعتقد
الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان تشهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة
فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن عطا والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان
عبارة عن فعل كل الطاعات سواكانت واجبة او مندوبة او من الاقوال او الافعال او الاعتقادات
وبعضهم كابي علي وهاشم انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام انه
عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكباير ما لم يرد فيه الوعيد فالمومن عند
الله من اجتنب كل الكباير والمومن عندنا من اجتنب كل ما ورد فيه الوعيد والخوارج قالوا الايمان يتناول
المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا او نقليا من الكتاب والسنة وكل ما يتناول طاعة
الله في جميع ما امر به من الافعال والتروك صغيرا كان او كبيرا فمجموع هذه الاشياء هو الايمان وترك خصلة
من هذه الخصال كفر واهل الحديث ذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة
ايمان على حدة وهذه الطاعات لا يكون شي منها ايمانا الا اذا كانت مرتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا
ان الجحود انكار القلب كفر ثم كل معصية بعده كفر على حدة ولم يجعل شيا من الطاعات ايمانا ما لم يوجد
المعرفة والاقرار والاشيا من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها
فريضة ونافلة الا انه اذا ترك فريضة انتقص ايمانه وان ترك نافلة لم ينتقص ومنهم من قال الايمان
اسم للفرايض دون النوافل والقول الثاني قول من قال الايمان بالقلب واللسان معا ثم اختلفوا على مذاهب
الاول ان الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب ابي حنيفة وعامة الفقها ثم اختلفوا في
موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم من قال هي الاعتقاد الجازم سواكان اعتقادا تقليديا
او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم من فسرها بالعلم الصادر
عن الاستدلال وثانيهما في ان العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله
وبصفاته على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى فلا جرم اقدم كل
طايفة على تكفير من عداه من الطوايف والانصاف ان المعتبر العلم بكل ما علم من الضرورة كونه من دين محمد
صلى الله عليه وسلم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او بذاته او مريئا وغير مرئي لا يكون داخلا
في مسمى الايمان المذهب الثاني الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو مذهب ابي الحسن الاشعري
وبشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القايم بالنفس المذهب الثالث كلام بعض الصوفية الايمان اقرار
باللسان واخلاص بالقلب القول الثالث قول من قال الايمان عبارة عن عمل القلب فقط فمن هولاء من قال

الايمان معرفة الله بالقلب حتى ان من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل ان يقر به فهو مومن كامل
الايمان وهو قول جهم بن صفوان ومن زعم ان معرفة الكتب والرسل واليوم الاخر غير داخلة في حقيقة الايمان
وحكى الكعبي عنه ان الايمان معرفة الله مع معرفته كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم
ومنهم من قال الايمان مجرد التصديق بالقلب القول الرابع قول من قال الايمان هو الاقرار باللسان فقط ثم
منهم من قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من قال لا حاجة بنا الى هذا الشرط ايضا بل
المنافق مومنا الظاهر كافر السريرة فثبت له حكم المومنين في الدنيا وحكم الكافرين في الاخرة وهذا
قول الكرامية ثم قال الامام عندي ان الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة كونه من
دين محمد صلى الله عليه وسلم مع الاعتقاد فيهما قيود الاول ان الايمان عبارة عن التصديق وذلك الايمان
اكثر الالفاظ دورانا على السنة المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على
نقل هذا النقل متواترا وليس كذلك وايضا الايمان المعدى بالباء على اصله اتفاقا فغير المعدى يكون كذلك
وايضا كلما ذكر الله تعالى الايمان في القران اضافه الى القلب وقلبه مطمين بالايمان كتب في قلوبهم الايمان
ولما يدخل الايمان في قلوبكم وايضا قرن الايمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا في الايمان لزم التكرار
وايضا قرن الايمان بالمعاصي الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وان طايفتان من المومنين اقتتلوا الذين
امنوا ولم يهاجروا مع عظم الوعيد في ترك الهجرة قال ابن عباس في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب
عليكم القصاص انما يجب القصاص على القاتل المتعمد ومع ذلك دخل في الخطاب ثم قال فمن عفي له من
اخيه شي وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان انما المومنون اخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة
وهذا لا يليق الا بالمومن القيد الثاني ان الايمان ليس عبارة عن تصديق اللسان لقوله تعالى ومن
الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين القيد الثالث ليس عبارة عن مطلق
التصديق لان من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مومنا القيد الرابع لا يشترط التصديق بجميع
صفات الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم اعتقها فانها مومنة بعد قوله صلى الله عليه وسلم
لها اين الله قالت في السما ويعلم مما ذكرنا ان من عرف الله بالدليل وكما تم العرفان مات او وجد من
الوقت ما امكنه التلفظ بكلمة الشهادة لكنه لم يتلفظ بها كان مومنا وكان الامتناع عن النطق
جاريا مجرى المعاصي التي يوتى بها مع الايمان وبهذا احكم الغزالي رحمه الله قلت وبالله التوفيق
التحقيق في المقام ان للايمان وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان ووجودا في العبارة ولا ريب
ان الوجود العيني لكل شي هو الاصل وباقي الوجودان فرع وتابع فالوجود العيني للايمان هو النور
الحاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور قابل للقوة والضعف والاشتداد والتنقص كساير الانوار واذا تليت عليهم زادتهم ايمانا
كلما ارتفع حجاب ازداد نور فيتقوى الايمان ويتكامل الى ان ينبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على
حقايق الاشيا وتتجلى له الغيوب ويعرف كل شي في موضعه فيظهر له صدق الانبيا
عليهم السلام ولا سيما محمدا خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم في جميع ما اخبروا عنه اجمالا وتفصيلا على
حسب نوره وبقدر انشراح صدره وينبعث من قلبه داعية العمل بكل مامور والاجتناب عن كل محظور
الى نور معرفة انوار الاخلاق الفاضلة والملكات الحميدة نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور
يهدي الله لنوره من يشا واما الوجود عن كل فهملاحظة المومن لهذا النور ومطالعته له والموافقة
واما الوجود اللفظي فملاحظة ما اصطلح عليه الشارع شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولا
يخفى ان مجرد التلفظ بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله من غير النور المذكور لا يفيد الا كما يفيد للعطشان

لتلفظ بالماء الزلال الا ان التعبير عما في الضمير لما لم يتيسر الا بواسطة النطق المفصح عن كل خفي والمعرب عن كل مشتبه كان بالتلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها مدخل عظيم في الحكم بايمان المرء وكفره فصح جعل ذلك وانما يخرط في ملكه من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليهما وتفويض امر الباطن الى عالم الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا فعلوا ذلك فالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله الرابعة يجوز ان يكون بالغيب صلة الايمان اي يعترفون ويتيقنون به وعلى هذا يكون الغيب بمعنى الغايب اما تسميته بالمصدر كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن غيبا واما ان يكون مخفف فيعل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك ان يكون بالغيب حالا والغيب بمعنى الغيبة والخفاء اي يؤمنون غايبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب نحو الذين يخشون ربهم بالغيب اني لم اخنه بالغيب ومنه تعريض بان المنافقين حيث ان باطنهم يخالف في ظاهرهم وغيبتهم تباين حضورهم واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض الشيعة المراد بالغيب المهدي المنتظر الذي وعد الله في القران وورد في الخبر وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصلحات ليستخلفنهم في الارض لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من امتي يواطي اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما الخامسة معنى اقامة الصلوة احد ثلثة اشيا اما تعديل اركانها وحفظها عن ان يقع في فرايضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه واما الدوام عليها والمحافظة والذين هم على صلوتهم دايمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال الاسدي شعر اقامة غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا

غزالة اسم امراة شبيب الخارجي قتله الحجاج حاربته سنة تامة والضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقميطا اي كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشي النافق الذي يتوجه اليه الرغبات واما التجلد والتشمر لادايها وان لا يكون في مودتها فتور عنها ولا توان من قولهم قام في الامر خلاف تقاعد عنه فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت القيام وبالركوع والسجود وبالتسبيح يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي فلولا انه كان من المسبحين ولا يخفى ان اقامة الصلوة بجميع هذه المعاني يستحق المدح والثناء السادسة الصلوة في عرف الشرع عبارة عن الهيات والاقوال المخصوصة التي مفتتحها التحريم ومختتمها التسليم فرضا كانت او نفلا الا انه يحتمل ان يقال المراد بها في الاية الفرض لان الفلاح قد نيط به في قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي افلح وابيه ان صدق بعد قول الاعرابي والله لا ازيد على هذا ولا انقص اي على الصلوة المفروضة واشتقاقها لغة اما من الصلوة بمعنى الدعا قال الاعشى شعر وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم اي وضع عليها الرسم وهو الخاتم واما من قوله صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها شعر فلا تعجل بامرك واستدم فما صلى عصاك كمستديم والمصلي يسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذي يعرض على النار واما من قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا اي ملازما للسابق لان راسه عند صلوه والصلا ما عن يمين الذنب وشماله فالمصلي ملازم لفعله من حين شروعه الى اوان فراغه والصلوة اسم وضع موضع المصدر يقال صليت صلوة ولا يقال تصلية قال في الكشاف الصلوة فعلة من صلى كالزكوة

من

من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من التعسف السابعة الرزق لغة ما ينتفع به فيشمل الحلال والحرام والماكول وغيره والمعتزلة ومن يجري مجراهم زادوا قيدا اخر وهو ان لا يكون ممنوعا من الانتفاع به وعلى هذا لا يكون الحرام عندهم رزقا قال في الكشاف اي تعسفا للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والحق ان التمكين من الانتفاع بالمرزوق مسند الى الله تعالى على الاطلاق اذ كل بقدره الا ان مذهب المعتزلة الى الادب اقرب ولا سيما في هذا العالم استحقوا المدح بالانفاق منه الثامنة انفق الشي وانفده اخوان وكلما فاؤه نون وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب وما قرب منه ويدخل في هذه الانفاق الواجب من الزكاة التي هي اخت الصلوة وشقيقتها ومن الانفاق على النفس وعلى من يجب نفقته ومن الانفاق في الجهاد ويمكن ان يتناول كل منفق في سبيل الخير للاطلاق قال تعالى مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت والمراد به الصدقة لقوله فاصدق واكن من الصالحين

البحث السادس في قوله تعالى والذين يؤمنون الاية وفيه مسايل الاولى يحتمل ان يراد بهولاء مومنوا اهل الكتاب كعبد الله ابن سلام واضرابه الذين اشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله تعالى سالف ومترقب سبيله سبيل السالك لكونه معتقدا بعضه ببعض ومن يواطئه بما جنبه وبالاخرة يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة من كان هودا او نصارى والنار لن تمسهم الا اياما معدودة وان اهل الجنة لا يلتذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك فيكون المعطوف غير المعطوف عليه اما مغايرة المباينة وذلك اذا اريد بالاولين كل من امن ابتداء بمحمد صلى الله عليه وسلم من غير ايمان قبل ذلك بموسى وعيسى عليهما السلام واما مغايرة الخاص للعام وذلك اذا اريد بالاولين كل من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى عليهما السلام او لم يكن ويكون السبب في ذكر هذا الخاص بعد العام اثبات شرف لهم وترغيبا لامثالهم في الدين ويحتمل ان يراد بهؤلاء الاولون ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب الثانية قال في التفسير الكبير المراد من انزال الوحي ان جبريل عليه السلام سمع في السماء كلام الله تعالى فنزل على الرسول كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يسمع الرسالة في علو فينزل فيؤدي في سفل وقول الامير لا يفارق ذاته ولكن السامع يسمع فينزل فيؤدي بلفظ نفسه قال فان قيل كيف سمع جبريل كلام الله وكلامه ليس حرفا ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله تعالى له سمعا لكلامه ثم اقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز ان يكون خلق الله في اللوح المحفوظ كتابة هذا النظم المخصوص فقراه جبريل فحفظه ويجوز ان يخلق اصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص في جسم مخصوص فيتلقفه جبريل ويخلق له علما ضروريا بانه هو العبارة المودية لمعنى ذلك الكلام واقول انك اذا تاملت ما اشرت اليه في المقدمة انكشف لك الغطا عن هذه المسئلة الثالثة الايمان بجميع الكتب السماوية اعني التصديق بها واجب لان الفلاح منوط بذلك ويجب تحصيل العلم بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل التفصيل لتقوم بمواجبه علما وعملا لكنه فرض كفاية لقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين الاية واما المنزل على الانبيا المتقدمين فالايمان به واجب

لان الله تعالى ما نعبدنا الان به حتى يلزمنا معرفته مفصلة لكنا ان عرفنا شيا من تفاصيله فهنالك يجب
علينا الايمان بتلك التفاصيل الرابعة الاخرة صفة الدار تلك الدار الاخرة وهي من الصفات الغالبة
تانيث الاخر نقيض الاول وكذلك الدنيا تانيث الادنى لانها اقرب واليقين هو العلم بالشي ضرورة
واستدلالا بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه متيقن ولا يقال تيقنت
ان السماء فوقي اواني موجود في تقديم الاخرة وبناء يوقنون عليهم تعريض باهل الكتاب فيما كانوا عليه
من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته ومن غير ايقان وان اليقين ما عليه من امن بما انزل على
محمد وعلى غيره من الانبيا وهذا في معرض المدح ومعلوم انه لا يمدح بتيقن وجود الاخرة فقط بل به وبما
يتبعه من الحساب والسوال وادخال المومنين الجنة والكافرين النار عن النبي صلى الله عليه وسلم
يا عجبا كل العجب من الشاك في الله وهو يرى خلقه وعجبا ممن يعرف النشاة الاولى ثم ينكر النشاة
الثانية وعجبا ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيى يعني النوم واليقظة وعجبا ممن
يومن بالجنة وما فيها من النعيم ثم يسعى لدار الغرور وعجبا من المتكبر الفخور وهو يعلم ان اوله
نطفة مذرة واخره جيفة قذرة **البحث السابع** في قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم الاية
وفيه مسايل الاولى في كيفية تعلق هذه الاية بما قبلها وجوه احدها ان ينوي الابتدا بالذين
يومنون بالغيب على سبيل الاستيناف واولئك على هدى الجملة خبره كانه لما قيل هدى للمتقين
فخص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسايل ان يساله فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك
فاجيب بان الذين هولاء عقايدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح وهذا النوع
من الاستيناف يجي تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث نحو قد احسنت الى زيد زيد حقيق
بالاحسان وتارة باعادة صفته مثل احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف
باعادة الصفة كما في الاية احسن وابلغ لانطوايها على بيان الموجب وتلخيصه وثانيها ان يجعل الذين
والذين تابعا للمتقين ويقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا
بالهدى فقيل اولئك الموصوفون غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا
وثالثها ان يجعل الموصول الاول صفة للمتقين ويرفع الثاني على الابتدا واولئك خبره ويكون
اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يومنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم سيفلحون عند الله تعالى والفصل من هذه الوجوه
لاولها لان الكلام المبني على السوال والجواب اكثر فايدة ولان الاستيناف باعادة الصفة ابلغ
ولان السوال على الوجه الاخير كالضايع لان موجب اختصاصهم بالهدى قد علمت وايضا انه يجعل
الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل الموصول الاول ركنا من الكلام الثانية الاستعلاء في قوله
على هدى مثل لتمكنهم من الهدى كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد يصرح بذلك فيقال
جعل الغواية مركبا وامتطى الحق واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده
واوتوه من قبله وهو اما اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي من الافضل
الى الافضل واما الارشاد الى الدليل الموجب للثبات على ما اعتقدوه والدوام على ما عملوه ونكر هدى
ليفيد ضربا من المبالغة اي هدى لا يبلغ كنهه فال الهذلي **شعر** فلا وابي الطير المربة بالضحى
على خالد لقد وقعت على لحم اي لحم واربت بالمكان اذا اقام به والاب منهم للاستعظام اذ
الكنى انما يكون للاشراف كما ان الاقسام بالطير ايضا لاستعظامهن لوقوعهن على لحم عظيم وعن
بعضهم الهدى من الله كثير ولا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا يسير الا ترى ان نجوم السما يبصرها

البصراء ولا يهتدي بها الا العلما الثالثة في تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاختصاص
بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ووسط العاطف بينهما لاختلاف خبريهما بخلاف قوله
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة الانعام شي
واحد الرابعة هم فصل وفايدته بعد الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة التوكيد وايجاب ان فايدة
المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك
الخامسة المفلح الفايز بالبغية والمفلج بالجيم مثله كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وكذلك اخواته
في الفاء والعين يدل على معنى الشق والفتح نحو فلق وفلذ ومنه سمي الزارع فلاحا ومعنى التعريف في
المفلحون اما للعهد اي المتقون هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الاخرة او للجنس على معنى انهم
الذين ان حصلت منه المفلحين فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما
جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين
بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة فان في ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه فالمذكور
قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحين و
توسيط الفصل اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم اولى الزهراوين
قد ورد في الخبر يحشر الناس يوم القيمة ثم يقول الله عز وجل لهم طالما كنتم تتكلمون وانا ساكت فاسكتوا
اليوم حتى اتكلم اني رفعت نسبا وابيتم الا انسابكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقاكم وابيتم انتم فقلتم لا بل
فلان ابن فلان فرفعتم انسابكم ووضعتم نسبي فاليوم ارفع نسبي واضع انسابكم سيعلم اهل الجمع
من اصحاب الكرم اين المتقون فليأخذ العاقل بحكمة الله تعالى وهو نوط الثواب وتعليق العقاب بالعمل
الصالح والسيئ الا بما هو غير مضبوط من عفوه عن بعض المذنبين وردته طاعة بعض المطيعين كما ان
حكمته لما اقتضت بترتب الشبع والري على الاكل والشرب لم يعهد الاتكال على ما يمكن ان يقع بالنسبة الى
قدرته من اشباع شخص او اروايه من غير تناول طعام وشراب او بالعكس وهذه نكتة شريفة ينتفع بها
من وفق لها ان شا الله تعالى بمنه وكرمه والله اعلم

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ **القراءة** ءانذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وخلف وابن ذكوان وروي
الحلواني عن هشام ءا انذرتهم بهمزتين ومدة الباقون يهمزون الاولى ويلينون الثانية والتليين جعل الهمزة
بين بين اي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة الهمزة وعلى ابصارهم بامالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابي
حمدون وحمدويه وحمزة في رواية ابن سعدان ولابي عمرو وكذلك قوله عز وجل بقنطار وبالاسحار وكالفجار
والغار ومن انصار واشعارها واشباه ذلك وحيث كان يعني اذا كان قبل الالف حرف مانع وبعدها راء مكسورة
في موضع اللام لان الراء المكسورة تقلب الحروف المستعلية غشاوة المفضل وقرا حمزة في رواية خلف وابي سعدان
وخلف لنفسه وابو اسحق ابراهيم بن احمد عن ابي الحرث عن علي ورويس من طريق النخاري مدغمة النون والتنوين
في الواو في جميع القران عظيم بالاشمام في الوقف وكذلك اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلي وخلف وهو
الاختيار عندنا **الوقوف** لا يومنون ه على سمعهم ه لان الواو للاستيناف غشاوة لا لان الجملتين وان اتفقتا نظما

نظما فالاولى بيان وصف موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم التفسير وفيه مسايل الاولى
فيما يتعلق بان اما عمله من نصب الاسم ورفع الخبر فمعلوم من علم النحو واما فايدته فما ذكره المبرد في جواب الكندي
من ان قولهم عبد الله قايم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قايم جواب عن سوال سايل وقولهم ان عبد الله
لقايم جواب عن انكار منكر لقيامه وقد يضاف اليه القسم ايضا نحو والله ان عبد الله لقايم قال ابو نواس
عليك باليأس من الناس ان غنى نفسك في الياس حسن موقع ان لان الغالب على الناس خلاف هذا الظن
وقد يجي اذا ظن المتكلم في الذي وجب انه لا يوجد كقولك كان مني اليه احسان فقابلني بالسوء فكانك ترد على
نفسك ظنك الذي ظننت وتبين الخطا فيما توهمت كقوله تعالى حكاية عن ام مريم قالت رب اني وضعتها
انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قول نوح رب ان قومي كذبون الثانية لما قدم ذكر اوليايه وخالصة عباده
بصفاتهم الموجبة لامتداحه اياهم بها عقب ذلك بذكر اضدادهم وهم المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى
وسواء عليهم الانذار وعدمه وانما فقد العاطف بين القصتين خلاف ما في نحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم لتباين الجملتين ههنا في الغرض والاسلوب اذ الاولى مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى
للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وكذلك اذا جعلنا الذين يومنون مبتدا واوليك خبره
لان الكلام المبتدا على سبيل الاستيناف مبني على تقدير سوال وذلك ادراج له في حكم المتقين وتبعه
تبعا له في المعنى فحكمه حكم الاول وكذا اذا جعلت الموصول الثاني مبتداء واوليك خبره لان الجملة برأسها
من مستتبعات هدى للمتقين لارتباط بينهما من حيث المعنى الثالثة التعريف في الذين اما ان يراد به
ناس معهودون باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واما ان يراد بهم الجنس
متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده فقط دون من عداهم من الكفار الذين اسلموا بدليل
الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم الرابعة الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه باختلاف
تعريف الايمان وقد تقدم واصل الكفر الستر والتغطية ومنه الكافر لانه يستر الحق ويجحده والزارع
كافر لانه يستر الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شي والكافر الذي كفر درعه بثوب اي غطى
ولبس فوقه قال في التفسير الكبير كفروا اخبار عن كفرهم بصيغة الماضي فيقتضي كون المخبر عنه
متقدما على ذلك الاخبار فللمعتزلة ان يحتجوا بهذا على ان كلام الله محدث فان القديم يستحيل ان يكون
مسبوقا بالغير قلت التحقيق في هذا وامثاله ان كلامه تعالى ازلي الا ان حكمته في باب التفهيم والتعليم
اقتضت ان يكون كلامه على حسب وصوله الى السامعين ضرورة كونهم متزمنين فكل ما هو متقدم على
زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ الماضي وكل ما هو متاخر عن زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ
المستقبل نحو لتدخلن المسجد الحرام سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب والا اختل نظام التفاهم والتخاطب
ومن هنا يعلم ان قوله سنلقي ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا بالنسبة الى المخاطبين وانما المقصود
استقباله بالنظر الى زمان نزول الاية فافهم الخامسة سواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسايلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر ان وا
انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الفاعل اي مستو عليهم انذارك وعدمه نحو ان زيدا مختصم اخوه وابن
عمه ويحتمل ان يكون ءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتدا وسواء خبر مقدم والجملة خبر ان وانما
صح وقوع الفعل مخبرا عنه مع انه ابدا خبر نظرا الى المعنى كقولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه
لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهرا للفظ على ما لا يصح من عطف الاسم فان ان مع الفعل في تقدير
المصدر على وجه النهي وقد جردت الهمزة وام لمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال
سيبويه جرى هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام

كما ان ذاك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء في الداخل عليهما الهمزة وام استواؤهما في علم المستفهم
لانه قد علم ان احد الامرين كاين لكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين والحاصل ان يلزمه معنيان
احدهما استواء طرفي الحكم في ذهن المستفهم والثاني طلب معرفة احدهما فجرد هذا التركيب لمعنى
الاستواء وسلخ عنه الطلب وفايدة العدول عن العبارة الاصلية وهي سواء عليهم الانذار وعدمه
ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول الياس عنهم انما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل ذلك مرجوا عنهم الايمان لا في علم الله
تعالى بل في علمنا فنزلت الاية بحسب ما يليق بحالنا في باب التقريب والتصوير او يقول فايدته ان يعلم ان
استواء الطرفين بلغ مبلغا يصح ان يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب التجانب وترجيح احد الطرفين بوجه
فان قول القايل الانذار وعدمه مستويان عليهم يمكن ان يحمل التقريب لا التحقيق بخلاف ما لو اخبر عن الاستوا
بطريق الهمزة وام فافهم والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي وانما ذكر الانذار دون البشارة
لان المقام مقام المبالغة فناسب الانذار في الفعل والترك اقوى لان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقوله لا يومنون
اما جملة موكدة للتي قبلها او خبر لان والجملة قبلها اعتراض السادسة الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق
من الشي بضرب الخاتم كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه والغشاوة والغطا فعالة من غشاه اذا غطاه
وهذا البناء لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة والقلب يراد به تارة اللحم المودع في التجويف الايسر من
الصدر وهو محل الروح الحيواني الذي هو منشا الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضا بتوسط
الاوردة والشرايين ويراد به تارة اللطيفة الانسانية التي بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال
الاوامر والنواهي والقيام بموجب التكاليف انه في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وهي من عالم الامر الذي
لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد ارادة موجده انما امرنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
كما ان البدن بل اللحم الصنوبري من عالم الخلق الذي هو نقيض ذلك الا له الخلق والامر وقد يعبر عنها
بالنفس الناطقة ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقويها وبالروح قل الروح من امر ربي ونفخت فيه
من روحي والسمع قوة مرتبة في العصب المتفرق في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتادى اليه بتموج الهوا
المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت فيتادى الى الهوا
المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه ويماس امواج تلك الحركة فتسمع قاله ابن
سينا ولعل هذا في الشاهد فقط واما البصر فقال ابن سينا هي قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك
صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتادية في الاجسام الشفافة
بالفعل الى سطوح الاجسام الصقيلية وزعم جمع ان البصر يخرج منه شي فيلاقي المبصر وياخذ صورته من
خارج ويكون ذلك ابصارا وفي اكثر الامر يسمون ذلك الخارج شعاعا والحق عندي ان نسبة البصر الى
العين نسبة البصيرة الى القلب ولكل من العين والقلب نور اما نور العين فمنطبع لانه من عالم الخلق
فهو نور جزئي ومدركه جزئي واما نور القلب فمفارق لانه من عالم الامر وهو نور كلي ومدركه كلي وادراك
كل منهما عبارة عن وقوع مدركه في ذلك النور ولكل منهما بل لكل فرد كل منهما حد ينتهي اليه بحسب شدته
وضعفه ويتدرج في الضعف بحسب تباعد المرئي حتى لا يدركه ادراكه اصغر ما هو عليه ولا يلزم من
قولنا ان للبصر نورا ان يشتد النور اذا اجتمع بصراء كثيرة في موضع واحد قياسا على انوار الكواكب
والسرج فان ذلك الانضمام من خواص الانوار المحسوسة والمزدوجات المختلفة لا يستدعي الاشتراك
في اللوازم وهذا القدر ممكن التحقيق في نفس القلب والسمع والبصر كان بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل
ان يكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية الا ان الاولى دخولها في حكم الختم لقوله تعالى
وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة ولهذا توقف على سمعهم دون قلوبهم وفي نكرة

العام ايذان باستقلال الختم على كل من القلب والسمع ٤ وانما وحد السمع لوجوه منها امن اللبس كما في قوله
شعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا ٥ فان زمانكم زمن خميص ٥ اذ لا يلبس ان لكل واحد بطنا ولهذا اذا لم
يومن تحوف من سمعهم دون جمع والمراد الجمع نظيره ٥ ومنها ان السمع في الاصل مصدر والمصادر لا تجمع فلمح
الاصل ولهذا جمع الاذن في قوله وفي اذاننا وقر ٥ ومنها ان يقدر مضاف محذوف اي حواس سمعهم
الاستدلال بما قبله وبما بعده على ان المراد به الجمع مثل عن اليمين والشمايل يخرجهم من الظلمات الى النور
السابعة من الناس من قال السمع افضل من البصر لتقديمه في اللفظ ولانه شرط النبوة فما بعث رسولا
اصم بخلاف البصر فمن الانبيا من كان مبتلى بالعمى ولان السمع سبب وصول المعارف ونتايج العقول الى الفهم
والبصر سبب وصول المحسوسات الى المبصر ولان السمع يتصرف في الجهات الست دون البصر ولانه
فاقد السمع في الاصل فاقد النطق بخلاف فاقد البصر ومنهم من فضل البصر لان متعلق الابصار النور ومتعلق
السمع الريح والبصر يرى من بعيد دون السمع ولان عجايب الله تعالى في تخليق العين اكثر منها في تخليق
السمع وقد اسمع كلامه موسى من غير سبق سوال ونوقش في الروية وفي المثل ليس وراء العيان
بيان وفي العين جمال الوجه دون السمع والحق ان من فقد حسا فقد فقد علما وهو المتوقف على ذلك
الحس ولا ريب ان معظم الامور يتوقف تحصيلها على البصر والارشاد والتعلم على الاطلاق يتوقف
على السمع فكل من الحواس في موضعه ضروري وتفضيل البعض على البعض تطويل بلا طايل فسبحان
من دقت في كل مصنوع حكمته واحسن كل شي خلقه الثامنة الاولى فيها الاخبار بان الذين كفروا لا يومنون
بالانذار وعدمه عليهم سيان والاية الثانية فيها بيان السبب الذي لاجله لم يومنوا وهو الختم
والتغشية فاحتج اهل السنة بالايتين ونظايرهما على تكليف ما لا يطاق وعلى ان الله تعالى خلق
فيهم الداعية الموجبة للكفر وختم على قلوبهم ومنعهم عن قبول الحق والصدق وكل بتقديره ولا
يسال عما يفعل واما المعتزلة وامثالهم فيقولون كيف ينشي فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون و
خلق فيهم لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل ونحو ذلك من الايات الدالة على ان الكفر
باختيار العبد وقدرته فتاولوا الاية على انها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه
يريدون انه بليغ في الثبات عليه او على انها تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليهم من التجافي عن
الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى دخلوا في زمرة الانعام لا تعي شيئا ولا تفقهه كقولهم سال به الوادي
اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طال به الغيبة وليس للوادي ولا العنقاء عمل في هلاكه ولا في
طول غيبته وانما مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وبطول غيبته بحال من طارت به العنقا
او الشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه
الختم كما يسند الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير المدينة او لانهم لما ترامى امرهم والتصميم على الكفر
الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء بالختم او يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما
بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ويحكى ان الامام
ابا القسم الانصاري سيل عن تكفير المعتزلة في هذه المسلة فقال لا لانهم نزهوه عما يشبه الظلم والقبح ولا
يليق بالحكمة وسيل عن اهل الجبر فقال لا لانهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة وتاثير وايجاد وزعم الامام
فخر الدين ان اثبات الالية يلجي الى القول بالجبر لان الفاعلية لو لم تتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن
من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يلجي الى القول بالقدر لانه لو لم يقدر العبد على الفعل
فاي فايدة في بعثة الرسول وانزال الكتب او نقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا ان ما استوى
الوجود والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الاخر الا لمرجح وهذا يقتضي الجبر ونجد بفطرته ضرورية

بين حركات الانسان وسكناته وبين حركات الجمادات والحركات الاضطرارية وذلك يقتضي مذهب الاعتزال
فلذلك بقيت هذه المسلة في حيز الاشكال قلت وبالله تعالى التوفيق عندي ان المسلة في غاية الا
ستنارة والسطوع اذ لو لوحظت المبادي ورتبت المقدمات فان مبدا الكل لو لم يكن قادرا على كل الممكنات
وخرج شي عن الاشيا عن علمه وقدرته وتاثيره وايجاده بواسطة او بغير واسطة لم يصلح لمبداية الكل
فالهداية والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وساير المتقابلات كلها مستندة ومنتهية
الى قدرته وتاثيره وعلمه وارادته والايات الناطقة بصحة هذه القضية كقوله تعالى ولو شاء لهديكم اجمعين
ولو شينا لاتينا كل نفس هديها قل كل من عند الله كثيرة وكذا الاحاديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له
كل شي بقدر حتى العجز والكيس احتج ادم وموسى عند ربهما فحج ادم موسى الحديث فهذه القضية مطابقة
للعقل والنقل بقي الجواب عن اعتراض المخالف اما حكاية التنزيه عن الظلم والقبايح فاقول لا ريب انه
تعالى منزه عن جميع القبايح لكن لا بالوجه الذي يذكره المخالف اذ يلزم منه النقص من جهة اخرى وهو
الخلل في مبدايته للكل وفي كونه مالك الملك بل الوجه ان يقال ان لله تعالى صفتي لطف وقهر ومن الواجب
في الحكمة ان يكون الملك ولا سيما ملك الملوك كذلك اذ كل منهما من اوصاف الكمال ولا يقوم احدهما مقام
الاخر ومن منع ذلك كابر وعاند ولا بد لكل من الوصفين من مظهر فالملايكة ومن ضاهاهم من الاخيار مظاهر
اللطف والشياطين ومن والاهم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال المستتبعة
لها ومظاهر القهر هم اهل النار والافعال المعقبة اياها وههنا سر وهو ان اللطف والقهر والجنة والنار
انما يصح وجود كل منهما بوجود الاخر فلولا القهر لم يتحقق اللطف ولولا النار لم يثبت الجنة كما انه لولا الالم
لم يثبت اللذة ولولا الجوع والعطش لم يظهر الشبع والري ولله در القايل شعر فبضدها تتبين الاشياء
فخلق الله تعالى للجنة خلقا يعملون بعمل اهل الجنة وللنار اهلا يعملون بعمل اهل النار ولا اعتراض لاحد عليه
في تخصيص كل من الفريقين به فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله وههنا يظهر حقيقة الشقا
والسعادة فمنهم شقي وسعيد وقال صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم في بطن امه اربعين يوما
نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا
باربع كلمات فكتب عمله واجله ورزقه وشقي ام سعيد الحديث واذا تاملنا فيما قلت ظهر ان لا وجه بعد
ذلك لاسناد الظلم والقبايح الى الله تعالى لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم الوجود والايجاد كما تشهد به
العقل الصريح ولا سيما عند المخالف القايل بالتحسين والتقبيح العقليين وليت شعري لم لا ينسب الظلم
الى الملك المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيرا قريبا وبعضهم كناسا بعيدا لان كلا منهما
من ضروريات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى في تخصيص كل من عبيده بما يخصص به مع ان كلا منهم ضروري
في مقامه فهذا القايل يهدم بناء حكمته تعالى ويدعي انه يحفظه فافسد من اصلح واما قوله اي فايدة
في بعث الرسل وانزال الكتب فهي غاية السخافة لانا لما بينا انه تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد فكيف
يبقى للمعترض ان يقول لم جعل الله تعالى الشي الفلاني سببا وواسطة للشي الفلاني كما انه ليس له ان
يقول مثلا لم جعل الشمس سببا لانارة الارض غاية ما في الباب ان يقول اذا علم الله تعالى ان الكافر لا
يومن فلم يامره بالايمان ويبعث اليه النبي فاقول فايدة بعث الانبيا وانزال الكتب بالحقيقة يرجع الى المومنين
الذين جعل الله بعثهم وانزالها سببا وواسطة لاهتدايهم انما انت منذر من يخشيها كما ان نور فايدة الشمس
تعود الى اصحاب العيون الصحاح واما فايدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم فكفايدة نور الشمس
بالنسبة الى الاكمه واما الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ذلك
الزام الحجة واقامة البينة عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم

نعذاب من قبله لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا وهو بالحقيقة النفي عليهم بانهم في اصل الخلقة ناقصون
اشقياء وهذا المعنى لا يظهر لهم ايضا لغاية نقصانهم كما ان الاكمه ربما لا يصدق الضرار ولا يعرف ان النقص
في النقصان منه وان سائر الشرائط من محاذاة المرئي وطهر البين موجودة وانما يعرف نقصانهم ارباب
النقصان واما حديث تفرقة الضرورية بين الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية كالرعشة مثلا
فما قوله لاريب ان للانسان ارادات وقوى بها يتم له حصول الملائم واجتناب المنافي الا ان تلك الارادات
والقوى مستندة الى الله تعالى فكانه لا اختيار له كالمفرقة المذكورة سببها ان في الرعشة نقصت
واسطة هي التابعة وفي الحركة المسماة بالاختيارية زادت واسطة فافهم هذه الحقائق والاشارات
واستعن بها في سائر ما يقرع سمعك من هذا القبيل فلعلنا لا نكررها في كل موضع حذرا من التطويل ومن
لم يستضئ بمصباح لم يستعد باصباح والله يقول الحق وهو يهدي السبيل التاسعة العذاب مثل النكال
بناء ومعنى انك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش
ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ثم اتسع فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عذابا يردع
به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير ويستعملان
في المعاني والاعيان جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم
نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله نعوذ بالله
منه العاشرة اتفق المسلمون الكرام على انه يحسن من الله تعالى تعذيب الكفار وقال بعضهم لا يحسن
وفسروا قوله تعالى ولهم عذاب عظيم وكذا كل وعيد ورد في القرآن بانهم يستحقون ذلك لكن كرمه
يوجب عليه العفو وذكروا ايضا دلائل عقلية مبنية على الحسن والقبح كقولهم التعذيب ضرر خال عن
المنفعة لان الله تعالى منزه عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم انه ينتفع به فالله تعالى قادر على ايصال
النفع اليه من غير توسط ذلك العذاب والضرر الخالي عن المنافع قبيح بالبديهة وكقولهم علم ان الكافر
لا يظهر منه الا العصيان فتكليفه امر متى حصل ترتب عليه العقاب وما كان مستعقبا للضرر من غير
نفع كان قبيحا فلم يبق الا انه تعالى لم يوجد هذا التكليف او وجد لكنه لا يستعقب العقاب وكقولهم انه
سبحانه هو الخالق للداعية المعصية فيقبح ان يعاقب عليها وكقولهم ان العبد لو واظب على الكفر لطول عمره
فاذا تاب عفا الله عنه ابدي هذا الكريم العظيم ما بقي في الاخرة او تسلبت عقول اولئك المعذبين فلا يتوبون
عن معاصيهم واذا تابوا فلم لا يقبل الله منهم توبتهم ولو كان في الدنيا بحيث قال ادعوني استجب لكم وفي
الاخرة لا يجيب عن دعائهم الا بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون واجيب بان تعذيبهم نقل البنا بالتواتر عن
النبي صلى الله عليه وسلم فلا يصير الى انكاره والشبهة التي يتمسكون بها تنهدم بانهدام قاعدة الحسن والقبح
واقول قد تبينت بالبرهان النير في المسئلة الثامنة ان وقوع فريق في طريق القهر ضروري في حكمته
تعالى وكل ما يقتضيه حكمته تعالى وكماله كان حسنا ومن انه قبيحا كان خلل في عقله وقصور في
فهمه فلا قبيح في النظر الا وهو حسن من جهات اخرى لا يعلمها الا منشئها وموجدها وهل يستقبح
احد وقوع الحدث وقوع بعض الاحجار للملوك بنحو ان وبعضها للحشوش جدرانا اووقوع بعض انواع
الحديد سيفا يتقلده الناس وبعضه نعلا يطأها الافراس حيث يرى كلا منها في مصالح الوجود
ضروريا ثم العذاب وهو في الحقيقة البعد من الله لازم للكفر والعصيان والملزوم لا ينفك من
اللازم واما سبب عدم انتفاع الكافر والعاصي بالايمان والتوبة بعد المفارقة فذلك ان محل الكسب
هو الدنيا والتكليف بامتثال الاوامر والنواهي انما وقع فيها فليس لاحد ان يؤخر الامتثال الى الاخرة
الا ترى انه لو قال طبيب حاذق لمريض اشرب الدواء الفلاني في اليوم الفلاني فقصر واخر حتى اذا مضى

وفتنة

٤٤

وفتنه واشرف على الهلاك قال اني اشرب الان لم ينفعه ذلك الدواء ولا يسعه الا الهلاك وكذا لو قال ملك
لواحد افعل الامر الفلاني في هذا الوقت ففعله في وقت اخر لم يعد ممتثلا ولا ينفعه الاتيان به لان غرض
الاتيان قد فات ولا سيما اذا فعل بعد ان يرى امارات الغضب وعلامات العذاب فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْذِبُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ
مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا
إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ
وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى
فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ القراءة

ومن الناس بامالة قتيبة ونصير كل القرآن ما كان مكسورا من تقول مدغمة النون والتنوين في الياء
حيث وقعت حمزة وخلف وورش من طريق النجاري يومنين غير مهموز ابو بكر وعن شجاع ويزيد والاعشى
وورش وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الاسماء وما يخادعون ابو عمرو وابن كثير ونافع فزادهم
الله وبابه مما كان ماضيا بالامالة حمزة ونصير وابن ذكوان من طريق ابن مجاهد والنقاش ابن الاخرم
ههنا بالامالة فقط يكذبون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف قيل وغيض وجيء بالاشمام علي وهشام ورويس
السفهاء الا انهم بين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر السفهاء ولا يقلب الثانية واوا ابو عمرو وسهل ويعقوب
وابن كثير وابو جعفر ونافع السفهاء والا يقلب الالف واوا يروي الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة وكذلك
ما اشبهها مما اختلف الهمزتان فيها الا ان تكون الاولى منها مفتوحة مثل شهداء اذ وجاء امه واشباه ذلك
مستهزءون بترك الهمزة في الحالين يزيد ووافق حمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها وعن حمزة في الوقف وجهان
الحذف والتليين بشبه الواو والياء طغيانهم حيث كان بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو بالهدى وما اشبهها
من الاسماء والافعال من ذوات الياء والامالة حمزة وعلي وخلف وقرأ بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب

وكذلك كل كلمة يجوز فيها الامالة وذلك طبعهم وعادتهم **الوقف** بمؤمنين ٥ لما مر في المقدمة الدينية امنوا ج
لعطف الجملتين المتفقتين مع ابتداء النفي يشعرون ٥ للاية وانقطاع النظم والمعنى فان تعلق الجار بما بعده مرض لا
لان الفاء للجزاء وكان تاكيدا لما في قلوبهم مرضا ج لعطف الجملتين المختلفتين يكذبون في الارض لا لان قالوا جواب
اذا وعامله مصلحون ٥ لا يشعرون ٥ كما امن السفهاء ط للابتداء بكلمة التنبيه ومن وصل فليعمل في السفه عليهم
لا يعلمون ٥ امنا ج لتبدل وجه الكلام معنى مع ان الوصل اولى لبيان حالتيهما المتناقضتين وهو المقصود شياطينهم لا
لان قالوا جواب اذا معكم لا تحرزا عن قوله بقوله مسلم فان جاز الابتداء بانما مستهزءون ٥ يعمهون ٥
بالهدى ص لانقطاع النفس والا يلزم العود لان ما بعده بدون ما قبله مفهوم مهتدين **التفسير**
وفيه مباحث **البحث الاول** في قوله تعالى ومن الناس من يقول الاية وفيه مسائل الاولى عن مجاهد
قال اربع ايات من اول هذه السورة نزلت في المؤمنين واثنتان بعدها نزلتا في الكافرين وثلث عشرة بعدها
نزلت في المنافقين فاقول احوال القلب اربع الاعتقاد المطابق عن الدليل فهو العلم والاعتقاد المطابق لا عن
الدليل وهو الاعتقاد المقلد المحق والاعتقاد غير المطابق وهو الجهل وخلو القلب عن كل ذلك واحوال اللسان
ثلث الاقرار والانكار والسكوت كل منها بالاختيار او بالاضطرار فيحصل من التراكيب اربعة وعشرون
قسما فلنتكلم في الاحوال القلبية ويحصل الباقي تبعا لها في الذكر النوع الاول العرفان القلبي ان انضم
اليه الاقرار باللسان اختيارا فصاحبه مؤمن حقا بالاتفاق واضطرارا فهو منافق لانه لولا الخوف لما اقر
فهو بقلبه منكر مكذب وجوب الاقرار وان انضم اليه الانكار اضطرارا فهو مسلم لقوله تعالى الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان واختيارا فهو كافر معاند وان انضم اليه السكوت اضطرارا فهو مسلم حقا لانه خاف
او كما عرف مات فجاءة فيكون معذورا واختيارا فمسلم ايضا عند الغزالي وعند كثير من الايمه لقوله
صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان النوع الثاني الاعتقاد التقليدي
ان وجد معه الاقرار اختيارا فهو المسيلة المشهورة من ان المقلد مؤمن ام لا والاكثرون على ايمانه واضطرا
فنافق بالطريق الاولى كما مر في النوع الاول وان وجد معه الانكار اختيارا فلا شك في كفره واضطرا
فمسلم عند من يحكم بايمان المقلد وان وجد معه السكوت اضطرارا فمسلم بناء على اسلام المقلد وا
ختيارا فكافر معاند النوع الثالث الانكار القلبي مع الاقرار اللساني اضطرارا نفاق وكذا اختيارا
لانه اظهر خلاف ما اضمر ومع انكار اللسان كفر كيف كان وكذا مع السكوت النوع الرابع
القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الاقرار اللساني ان كان اختياريا ان كان صاحبه في مهلة النظر
لم يلزمه الكفر لكنه فعل ما لا يجوز له حيث اخبر عما لا يدري انه هل هو صادق فيه ام لا وان لم
يكن في مهلة النظر ففيه نظر اما اذا كان اضطراريا فلا يكفر صاحبه للانوثقه اذا كان في
مهلة النظر وكان يخاف على نفسه من الاقرار لم يكن عمله قبيحا والقلب الخالي مع الانكار اللسا
كيف كان نفاق والقلب الخالي مع اللسان الخالي ان كان في مهلة النظر فذلك هو الواجب وان
كان خارجا عن مهلة النظر وجب تكفيره ولا نفاق فظهر من التقسيم ان المنافق هو الذي لا يطابق
ظاهره باطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره او كان باطنه خاليا عما يشعر به ظاهره ومنه النافقاء
احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا اوتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق
اي خرج **الثانية** زعم قوم ان الكفر الاصلي اقبح من النفاق لان الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان
والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الاخرون المنافق ايضا كاذب باللسان لانه يخبر عن كونه
على ذلك الاعتقاد مع انه ليس عليه قال عز من قائل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وايضا انه
قصد التلبيس والكافر الاصلي لا يقصد ذلك وايضا الكافر الاصلي على طبع الرجال والمنافق على طبيعة

الخناثى وايضا الكافر ما رضي لنفسه الكذب بل استنكف منه ورضي بالكذب وايضا المنافق ضم الى
كفره الاستهزاء والخداع دون الكافر الاصلي ولغلظ كفر المنافق قال الله تعالى ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الكفار في ايتين وحال المنافقين في ثلث عشرة اية يعني عليهم فيها
خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بهم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم
ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة **الثالثة** قصة المنافقين عن اخرها معطوفة على
قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس بدليل انسان وانس واناسي حذفت
الهمزة تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم وقوله **شعر** ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا
قليل ونويس عن المصغر الاتي على خلاف مكبره كانيسان سموا بذلك لظهورهم وانهم يونسون اي يبصرون
كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لانه الزنة على الاصول كما يقال وزن افعل وهو اسم جمع كرخال
للانثى من اولاد الضأن واما الذي مفرده رجل بكسر الخاء فرخال بكسر الراء ومن في من يقول موصوفة
ان جعلت اللام في الناس للجنس كقوله من المؤمنين رجال ليكون معنى الكلام ان في جنس الانس طائفة
كيت وكيت فتعود فائدة الكلام الى الوصف وان لم يكن مفيدا من حيث الحمل لان الطائفة الموصوفة تكون
لا محالة من الناس ولا يجوز ان يكون من موصولة حينئذ لان الصلة يكون جملة معلومة الانتساب الى
الموصول فيبطل فائدة الوصف ايضا فيبقى الكلام غير مفيد راسا وان جعلت اللام للعهد فمن يكون موصولة لا
نحو ومنهم الذين يؤذون النبي ويكون اللام اشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم ولا يجوز ان يكون من
موصوفة اذ ذاك لان فائدة الكلام تعود الى الوصف ايضا لكن لا يجاوبه نظم الكلام اذ يصير المعنى
ان من المختوم على قلوبهم طائفة يقولون كيت وكيت وما هم بمؤمنين ومن البين ان مدلول قوله وما
هم بمؤمنين ومن البين ان مدلول قوله وما هم بمؤمنين معلوم من المطبوع على قلوبهم فيقع ذكره ضايعا
والضمير العائد الى من يكون موحدا تارة باعتبار اللفظ نحو ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم
اكنة ومجموعا اخرى باعتبار المعنى مثل ومنهم من يستمعون اليك وقد اجتمع الاعتباران في الاية في يقول
امنا وانما اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الاخر لانهما قطب الايمان ومن احاط بهما فقد حاز الايمان
بحذافيره وفي تكرير الباء ايذان بانهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت
ان كان هؤلاء المنافقون من المشركين فظاهر عدم ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته
فقولهم هذا الوصف عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه
النفاق خديعة واستهزاء وتخييلا للمسلمين انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا
الى كفر والمراد باليوم الاخر اما طرف الابد الذي لا ينقطع لانه متاخر عن الاوقات المنقضية او الوقت
المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة التي لا حد
للوقت بعده فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم امنا والاول في ذكر شان الفعل لا
الفاعل والثاني بالعكس قلت لما اتوا بالجملة الفعلية ليكون معناها احدثنا الدخول في الايمان لترويج
دعواهم الكاذبة جيء بالجملة الاسمية ليفيد نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع وانهم
ليس لهم استيهال ان يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين فكان هذا اوكد وابلغ من ان يقال انهم لم يؤمنوا
ونظم الاية قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ثم ان قوله وما هم بمؤمنين
يحتمل ان يكون مقيدا وترك لدلالة التقييد في امنا ويحتمل الاطلاق اي انهم ليسوا من الايمان في شيء
قط لا من الايمان بالله واليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما **البحث الثاني** في قوله يخادعون الله
الى يكذبون اعلم ان الله تعالى ذكر من قبائح افعال المنافقين اربعة اشياء احدها المخادعة واصلها

الاخفا ومنه سميت الخزانة المخدع والاخدعان عرقان في العنق خفيان وخدع واصلها الاخفا ومنه سميت
المخدع اذا توارى في جحره فلم يظهر الا قليلا والخديعة مذمومة لانها اظهار ما يوهم السداد والسلامة وابطان
ما يقتضي الاضرار بالغير والتخلص منه وهي بمنزلة النفاق في الكفر والرياء في الافعال الحقيقية فان قيل
مخادعة الله والمومنين لا يصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح
لا يخدع والمومنون وان جاز ان يخدعوا كما قال ذو الرمة شعر تلك الفتاة التي علقتها عرضا
ان الحليم وذو الاسلام يختلب لم يجز ان يخدعوا قلنا كانت صورة صنيعهم مع الله حيث يتظاهرون
بالايمان وهم كافرون صورة صنيع الخادعين وصورة صنيع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين
عليهم وهم عنده اهل الدرك الاسفل من النار صورة صنيع الخادع وكذلك صورة صنيع المومنين معهم
حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم ويحتمل ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم
ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاوه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته فلم يبعد
من مثله تجويز ان يكون الله مخدوعا ومصابا بمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدع
ويحتمل ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته والناطق باوامره ونواهيه مع عباده ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله ويحتمل ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة
هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المومنون من الله بمكان سلك بهم هذا المسلك ومثله والله
ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يوذون الله ورسوله وقولهم علمت زيدا فاضلا الغرض ذكر الاحاطة
بفضل زيد لان زيدا كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكره توطئة وتمهيد وحده الاختصا
يخادعون على واحد ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمبالغة والمباراة
والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة
الداعي اليه ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم تدعون الايمان كاذبين فقيل
يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن انفسهم احكام الكفار من القتل والنهب وتعظيم المسلمين
اياهم واعطايهم الحظوظ من المغانم واطلاعهم على اسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسوال الذي يذكر
ههنا انه تعالى لم ابقى المنافق على حاله من النفاق ولم يظهر امره حتى لا يصل من اغراض الخداع الى ما
يصل والمراد على استيفاء الكفار وسائر اعداء الدين بل على استيفاء ابليس وذريته ويحل العقدة
في الجميع بما سلف لنا من الحقائق ولاسيما في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وقراءة من قرا وما يخادعون
الا انفسهم اي وما يعاملون تلك المعاملة المشابهة لمعاملة المخادعين الا انفسهم لان مكرها يحيق بهم
وود ابرتها تدور عليهم لان الله تعالى يدفع ضرر الخداع عن المومنين ويصرفه اليهم كقوله ان المنافقين
يخادعون الله وهو خادعهم ويحتمل ان يراد حقيقة المخادعة لانهم يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل
وانفسهم ايضا تمنيهم وتحدثهم بالاكاذيب وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة
والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام لقوله تعلم ما في نفسي والشعور علم الشيء علم حس
ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم يتمادى غفلتهم كالذي لا حس له
والمرض حالة توجب وقوع الخلل في افعاله الصادرة عن موضعها واستعمال المرض في القلب يجوز ان
يكون حقيقة بان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض ومجازا بان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء
الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي فان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
غلا وحنقا واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وناهيك بما كان من ابن ابي قول
سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي

اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة وذلك شيء منظوم بالجواهر شبه التاج اي يجعلوه
ملكا فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك ابي او ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن لانهم كانوا
يطمعون ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تركد فكانت تقوي قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين
واعلاء كلمة الحق وما قذف الله في قلوبهم من الرعب ضعفت جبنا وخورا ومعنى زيادة الله مرضا كما انزل
على رسوله الوحي فكفروا به ازدادوا كفرا الى كفرهم فاسند الفعل الى المسبب له كما اسند الى السورة في
قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم ومنه كما قال الحكيم البدن غير النقي كلما غذوته زدته شرا وكلما زاد
رسوله نصرة وتبسطا ازدادوا حسدا وبغضا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع ويحتمل ان يقال الغل والحسد
وقد يقضي مزاج القلب ويودي الى تلف صاحبه شعر اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله النار تاكل
بعضها ان لم تجد ما تاكله فافضا صاحبه الى الهلاك هو المعنى بالزيادة والاليم الوجيع ووصف العذاب به على
طريقة قولهم جد جده والالم بالحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر
وفي ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب وسماجته وما روي عن ابراهيم صلوات الله عليه انه
كذب ثلث كذبات احدها اني سقيم وثانيها قوله لسارة حين اراد ان يغصبها ظالم انها اختي وثالثها قوله
بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ولكن لما كانت صورته صورة
الكذب سمي به والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وقد يعتبر فيه علم المخبر بكون المخبر عنه
مخالفا للخبر والصدق بنقيضه وقراءة من قرا يكذبون بالتشديد اما من كذبه الذي هو نقيض صدقه
واما من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق نحو بان الشيء وبين ومنه
قولهم قد بين الصبح لذي عينين او بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى
شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره مذبذب بين ذلك وقال صلى الله عليه وسلم
مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وما في قوله بما كانوا مصدرية
اي بكذبهم وكان مقحمة ليفيد الثبوت والدوام اي ثبت ان هذا شانهم وهجيراهم

البحث الثالث

في قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا الى قوله ولكن لا يشعرون هذا هو النوع الثاني من قبائح افعال المنافقين
فقوله واذا قيل اما معطوف على كانوا يكذبون اي ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا
اذا قيل لهم كذا واما على يقول اي من الناس من اذا قيل لهم ويحتمل ان يقال الواو للاستئناف والاسناد الى
لا تفسدوا وامنوا ليس من اسناد الفعل الى الفعل فانه لا يصح ولكنه اسناد الى لفظ الفعل اي واذا
قيل لهم هذا القول نحو زعموا مطية الكذب والقائل لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عنهم
النفاق ولم يقطع بذلك نصحهم فاجابوا بما يحقق ايمانهم وانهم في الصلاح واما بعض من كان يلقون
اليه الفساد وكان لا يقبل منهم او بعضهم واما بعض المومنين ولا يجوز ان يكون القائل من لا يختص بالدين
والفساد خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة
عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي ان المراد بالافساد المنهي عنه اظهار معصية الله تعالى فان
الشرائع سنن موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل احد شانه فحقنت الدماء
وضبطت الاموال وحفظت الفروج فكان ذلك صلاح الارض واهلها اما اذا اهملت الشريعة واقدم كل واحد
على ما يهواه واشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدثت المفاسد وقيل هي مداراة المنافقين الكافرين وقيل
مخالطتهم اياهم لانهم اذا مالوا الى الكفار مع انهم في الظاهر مومنون اوهم ذلك ضعف امر النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه فيصير سببا لطمع الكفار في المومنين فيهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون في السر
الى تكذيبه ويلقون الشبه ويفشون اسرار المومنين ولما نهوا عن الافساد في الارض كان قولهم انما نحن

مصطلحون كالمقاتل فيهما احتمالات احدها انهم اعتقدوا في دينهم انه هو الصواب وكان سعيهم لاجل تقوية ذلك الدين فزعموا انهم مصلحون ثانيها اذا فسر الافساد بموالاة الكافرين ان يكون مرادهم ان تلك الموالاة هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم فيما حكى الله سبحانه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها ان يكون المراد اذاعة انكار اسرار المسلمين ونسبة انفسهم الى الاستقامة والسداد وجيء باداة القصر دلالة على ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت اي حالنا مقصورة على الاصلاح لانه يتعداها الى غيره والا من كلمة من همزة الاستفهام وحرف النفي فيفيد التنبيه على تحقق ما بعده كقوله اليس ذلك بقادر ولافادتها التحقيق لا يكاد يقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلايعها قال **شعر** اما والذي ابكى واضحك والذي اماتَ واحيا والذي امره الامر رد الله ما ادعوه من الانتظام في زمرة المصلحين ابلغ رد من جهة الاستيناف فان ادعاهم ذلك مع توغلهم في الفساد مما يتشوف السامع ان يعرف ما حكم الله عليهم فكان وروده بدون الواو وهو المطابق ومن جهة ما في ألا وان من التاكيد ومن فصل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون **البحث الرابع** في قوله واذا قيل لهم امنوا الآية هذا هو النوع الثالث من قبايح افعال المنافقين وذلك ان المومنين اتوهم في النصيحة من وجهين احدها تقبيح ما كانوا عليه مما يجر على الفساد والفتنة والثاني دعوتهم الى الطريقة المثلى من اتباع ذوي الاحلام وبعبارة اخرى امروهم اولا بالتخلية عما لا ينبغي وثانيا بالتحلية بما ينبغي لان كمال الحسنى حال الانسان في هاتين فكان من جوابهم فيما بينهم او المقابل ان سفهوهم لتمادي سفههم وفي هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل **شعر** فاذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل وما في كما يجوز ان يكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل ويفيد تشبيه الجملة بالجملة كقولك يكتب زيد كما يكتب عمرو اي بالصدق كما عرف الحق ويجوز ان يكون مصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما امن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون اي ليكن ايمانكم ثابتا كما ان ايمان هولاء ثابت او ليحصل ايمانكم كما حصل ايمان هولاء وامنوا كما امن عبد الله بن سلام واتباعه لانهم من جلدتهم اي كما امن اصحابكم ويحتمل ان يكون للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانية من الاقرار اللساني الناشي عن الاعتقاد القلبي وجعل المومنون كانهم الناس ومن عداهم كالنسناس في عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انومن بمعنى الانكار له واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه او للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم اعرف الناس في السفه وهو ضد الحلم واصله الخفة والحركة يقال تسفهت الريح الشجر اذا مالت به قال ذو الرمة **شعر** جرين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم وانما سفهوا المومنين مع رجحان عقول اهل الايمان لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه الحق ولانهم كانوا في رياسة وثروة وكان اكثر المومنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم كما قال قوم نوح وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا وارادوا عبد الله بن سلام واتباعه لما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم عن انس انه سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخترف فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سايلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي فما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه قال اخبرني بهن جبريل عليه السلام انفا اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد واذا سبق ماء المراة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسالهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وسيدنا

[اذ الغرض]

وابن سيدنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله ثم قال الله تعالى اقلب عليهم هذا اللقب موكدا بالموكدات التي بيناها في قوله الا انهم هم المفسدون وذلك لان من اعرض عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه وهو سفيه وكذا من باع اخرته بدنياه قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وايضا من السفه معاداة المحدود يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم **شعر** كالطود يحقر نطحة الاوعال وانما فصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان الوقوف على ان المومنين على الحق وهم على الباطل امر عقلي نظري واما النفاق وما يؤول اليه من الفساد من الارض فامر دنيوي مبني على العادات خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قايما بينهم من التحارب والتجارب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكانه ذكر العلم معه احسن طباقا له **البحث الخامس** في قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا الايات هذا هو النوع الرابع من قبايح افعا[لهم] والفرق بين هذه الاية وبين قوله ومن الناس من يقول امنا ان تلك في بيان مذهبهم والترجمة وهذه في بيان معاملتهم مع المومنين من التكذيب لهم والاستهزاء لهم عن ابن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابي انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فقال له علي رضي الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافق شر خليقة الله فقال له عبد الله الي تقول هذا والله ان ايماني كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاذا رايتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى او خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت به وهو من قولك خلى فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه اذا انهوا السخرية بالمومنين الى شياطينهم وحدثوهم كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك اي انهي اليك حمدي لفلان او ذمي وعن ابن عباس رضي الله عنهما اني احمد اليكم غسل الاحليل اي اعلمكم انه امر محمود وشياطينهم رؤساهم واكابرهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم اما اكابر المنافقين فالقايلون انا معكم اي مصاحبوكم وموافقوكم على امر دينكم اصاغرهم واما الكافرون فالقايلون يحتمل ان يكون جميع المنافقين وانما فسرنا الشياطين بالرؤسا لانهم هم القادرون على الافساد في الارض وانما خاطبوا المومنين باضعف الجملتين وهي الفعلية وشياطينهم باقواهما اعني الاسمية المحققة بان لانهم في الدعا حدوث الايمان الناشي عن صميم القلب منهم لا في ادعاء انهم اوحديون كاملون اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه وهكذا قول لم يصدق عن صدق رغبة وباعث داخلي واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار القايلين ربنا اننا امنا واما مخاطبة اخوانهم فعن وفور نشاط ورغبة وفي حيز القبول والرواج وكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وانما فقد العاطف بين قوله انا معكم وبين قوله انما نحن مستهزءون لان الاول معناه الثبات على الكفر والثاني رد للاسلام لان المستهزئ بالشيء منكر له دافع ودفع نقيض الشيء اثبات وتاكيد للشيء او لان الثاني بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او لانه استيناف كانه قيل ما بالكم ان صح معكم توافقون اهل

[لهم]

الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية والاستخفاف والخفة من الهزء وهو القتل السريع
ثم ان الله تعالى اجابهم باشياء احدها قوله الله يستهزئ بهم وفي اللطائف من الحكاية من الظهر ان الله عز وجل
هو الذي يستهزئ والاستهزاء الابلغ الذي استهزاءهم بالنسبة الى ذلك كالعدم وفي تخصيص الله بالذكر
مع القرينة ان المومنين هم الذين استهزئ بهم دلالة على ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما
للمومنين ولا يخرج المومنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قيل الاستهزاء جهالة قالوا اتتخذنا هزوا
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزاء الله بهم قلنا معناه انزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصد
الاقصى للمستهزئ او سمى جزاء الاستهزاء استهزاء فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او عامله الله تعالى
معاملة المستهزئ في الدنيا كانه كان يطلع الرسول على اسرارهم ومع كونهم مبالغين في اخفائها وفي الاخرة
على ما روي عن ابن عباس اذا دخل المومنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم في
الموضع الذي هو مسكن المنافقين فاذا راى المنافقون الباب مفتوحا اخذوا يخرجون
من الجحيم ويتوجهون الى الجنة واهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة فهناك يغلق دونهم الباب
فذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هذا هو الاستهزاء وانما لم
يقل الله مستهزئ ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون لان المراد تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت
وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الايات في شانهم ولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
وكان المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون وثانيها
قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون وهو من مد الجيش وامده اذا زاده الحق به ما يقويه وكذلك مد الدواة
والسراج زادها ما يصلحها وانما قلنا انه من المدد لان المد في العمر والامهال لغة نافع في موضع اخر
واخوانهم يمدونهم في الغي على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملي له قاله في الكشاف وهو
مخالف لنقل الجوهري مده في غيه اي امهله والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة في العتو ومعنى
مد الله تعالى اياهم في الطغيان يعرف من تفسير ختم الله على قلوبهم وقد يوجه بانه لما منعهم الطافه
التي منحها المومنين بقيت لهم بتزايد الرين والظلمة فيها تتزايد الانشراح والنور في صدور المومنين فسمي
ذلك التزايد مددا او بانه لم يقسرهم او بانه اسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره
ولا يخفى ما في هذا التوجيه من التكلف لان انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ومن هذا القبيل ما قيل ان
النكتة في اضافة الطغيان اليهم هي ان يعلم ان التمادي في الضلال مما اقترفته انفسهم وان الله بريء
منه فان الانتهاء الى الله لما كان ضروريا فكيف يتبرا من ذلك يعمهون في موضع الحال والعمه كالعمى
الا ان العمى في البصر والراي والعمه في الراي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه وثالثها
قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به وهذه استعارة
لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر قال ابو النجم شعر اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدردرا وبالطويل العمر عمرا حيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بني
اسرائيل يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويبتاعون الدنيا بعمل الاخرة جعلوا لتمكنهم من الهدى
بحسب الانسانية المتخصصة كانه في ايديهم يتركونه واستبدلوا به الضلالة وهي الجور عن القصد
وفقد الاهتداء وفي المثل ضل دريص نفقه اي جحره والدريص ولد الفارة ونحوها يضرب لمن يعيى بامره فاستعير
الضلالة للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على راس المال والتجارة مصدر وانما اسند الخسر
اليها وهو لصاحبها اسناد المجاز بالملابسة التجارة بالمشتري وقد يقال ربح عبدك وخسرت جاريتك مجازا
اذا دلت الحال ولما ذكر الله سبحانه شرى الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ما يشاكله ويواخيه من الربح

والتجارة لتكون الاستعارة مرشحة شعر ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري
لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة
لان مطلوب التاجر في متصرفاته شيئان سلامة المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس
مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة والضلالة امر عدمي فلا عوض ولا معوض فلا ربح ولا راس المال
وهكذا حال من يدعي الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق اراد
الجمع بين عشرة الكفار وصحبة المسلمين والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم واذا اقبل الليل من ههنا وادبر
النهار من ههنا نعوذ بالله من الغواية ونسال الله ان يعصمنا من الضلالة بعد الهداية

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ
بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ
أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ
مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ القراءة

اذانهم ونحوه بالامالة نصير وابو عمرو بالكفرين وما اشبههما مما كان في محل الخفض بالامالة ابو عمرو وقتيبة وابو
عمرو ويعقوب غير روح شاء الله حيث كان بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان الوقوف نارا ج لان جواب
لما ينتظر لما فيها من معنى الشرط مع دخول فاء التعقيب فيها لا يبصرون ه لا يرجعون ه للعطف باو وهو للتخيير
ومعنى التخيير لا يبقى مع الفصل ومن جعل او بمعنى الواو جاز وقفه لعطف الجملتين مع انها راس اية وقد اعترضت
بينهما اية على تقدير ومثلهم كصيب وبرق لان قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبر محذوف اي هم يجعلون او حالا
عامله معنى التشبيه في الكاف وذو الحال محذوف اي كاصحاب صيب الموت ط بالكافرين ه ابصارهم لان كلما استيناف فيه
لان تمام المقصود بيان الحال المضاد للحال الاول قاموا ط وابصارهم ط قدير ه التفسير لما جاء بحقيقة صفة
المنافقين عقبها بضرب المثل تتميما للبيان ولضرب الامثال شان ليس بالخفي في رفع الاستار عن الحقائق حتى يريك
المتخيل في معرض اليقين والغايب كانه شاهد وفيه تبكيت للخصم الالد ولامر ما اكثر الله تعالى في كتبه
امثاله وتلك الامثال نضربها للناس وفشت من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ظلك
ان طلبته تباعد وان تركته تتابع مثل الجليس الصالح كمثل الداري وامثال العرب اكثر من ان تحصى حتى
صنف فيها كتب مشهورة والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه
بمورده مثل ولا يخلو من غرابة ومن ثم حوفظ عن التغيير واما ههنا فاستعير المثل للحال او الصفة
او القصة التي فيها غرابة ولها شان شبهت حالهم العجيبة الشان من حيث انهم اوتوا ضربا من الهدى بحسب
الفطرة ولما نطقت به السنتهم من كلمة الاسلام فحقنوا دماءهم واموالهم اجلا ثم لم يتوا صلوا بذلك الى النعيم الابد

باستبطائهم الكفر فبدل حالهم الى انواع الحسرات واضاف للعقوبات بحال الذي استوقد نارا في توجه الطمع الى
تمني مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب ما المراد الذي استوقد
اما جمع كقوله وخضتم كالذي خاضوا وحذف النون لاستطالته او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او
الفوج الذي استوقد نارا ولولا عود الضمير الى الذي مجموعا في قوله بنورهم وتركهم لم يحتج الى التكلفات اذ لا
يمكن ان يشبه قصة جماعة بقصة واحد نحو مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار وقودها الناس
سطوعها وارتفاع لهبها واوقدتها انا واستوقدتها ايضا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها
وضوء كل نير واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والاضاءة فرط الانارة جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتاء نبيث للحمل على المعنى
لان ما حوله المستوقد اماكن واشياء ويستتر في الفعل اللازم ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله
بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه
الدوران والاطافة والعام حولا لانه يدور وجواب لما ذهب الله بنورهم فالضمير يعود الى الذي استوقد
نظرا الى المعنى لكان الضمير في حوله يرجع اليه من حيث اللفظ والاولى ان يقال جوابه محذوف مثل فلما
ذهبوا به لما فيه من الوجازة من الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من الذكر في
اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله كان لما كان من حصولهم خابطين في ظلام متحيرين خائبين بعد
الكدح في احياء النار ثم ان سائلا كانه يسال ما بالهم قد شبهت حالهم بحال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله
بنورهم اي بنور المنافقين وعلى هذا يحتمل ان يكون الذي مفردا ويمكن ان يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل
البيان اي مثلهم كمثل الذي استوقد كمثل ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد الفعل الى الله تعالى انه اذا طفئت
النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد او يكون المستوقد مستوقدا نارا
لا يرضاها الله ثم اما ان يكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة ومدة
اشتعالها ما صادتها فانما فيها الدنيوية قليلة البقاء والباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت
ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا
بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفاها الله وخيب اماني‌هم وانما لم يقل اذهب
الله بضوئهم على سياق فلما اضاءت لان في ذكر النور ابلغ في الغرض وهو ازالة النور عنهم راسا وطمسه
اصلا فان الضوء شدة النور وزيادته وذهاب الاصل يوجب زوال الزيادة عليه دون العكس والفرق بين اذهب
وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به بعد له وذهب
السلطان بماله اخذه فما مسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا
علق بواحد واذا علق بشيئين كان متضمنا معنى صيره فجرى مجرى افعال القلوب كقول عنترة شعر
فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات والظلمة عدم النور عما من شانه ان يستنير وقيل
عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد الرؤية
وتمنع الظلمة وفي جمع الظلمة وتنكيرها واتباعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون
دلالة على ان الظلمة بلغت مبلغا يبهت معها الواصفون وكذا في اسقاط مفعول لا يبصر وجعله من قبيل
المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى احضاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا ومحل لا
يبصرون اما جر صفة لظلمات اي لا يبصرون فيها شيئا واما نصب مفعول اخر فاتيا او حال عنهم مثل
ويمدهم في طغيانهم اي حال كونهم ليسوا من اهل بصائر عن سعيد بن جبير نزلت الاية في اليهود وانتظارهم
لخروج النبي صلى الله عليه وسلم واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وكان انتظارهم

له كانقاد النار وكفرهم به بعد ظهوره كزوال ذلك النور ثم انه كان من المعلوم من حالهم انهم يسمعون و
ينطقون ويبصرون ولكنهم شبهوا بمن ايفت مشاعرهم فقيل صم بكم عمي حيث سدوا عن الاصاخة الى الحق
مسامعهم وابوا ان ينطق به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم واما قلنا ان ما في الاية تشبيه لا استعارة
مع ان المشبه مطوي ذكره كما هو حق الاستعارة لان ذلك في حكم المنطوق به والا بقي الخبر بلا مبتدا او معنى
لا يرجعون لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم
بمنزلة المتحيرين الذين لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتداء منه كيف يرجعون شعر
وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متاخر عنه ولا متقدم ومثله حال مريد الطريقة الذي له بداية
ولازم خلوة وصحبة حتى تشرقت له من صفات القلب شوارق الشوق وبرقت له من انوار الروح بوارق
الذوق نطرقته الهواجس وازعجته الوساوس فيرجع القهقرى الى ما كان من حضيض عالم الطبيعة
فتغاربت شمسه واظلمت نفسه وتضل عنه انسه ثم ان الله ضرب للمنافقين مثلا اخر ليكون كشف حالهم
بعد كشف بعد كشف وايضاحا غب ايضاح لان المقام مقام تفصيل واشباع فيكون تقدير الكلام مثل المنا
كمثل المستوقدين او كمثل ذوي صيب على معنى ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء
في صحة التشبيه بهما فانت مخير بالتشبيه بايتهما شئت نحو جالس الحسن او ابن سيرين والتمثيلان جميعا
من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به بل يراعى الكيفية
المنتزعة من مجموع الكلام وهي انهم في المقام المطمع في حصول المطالب ونجح المارب لا يحظون الا بضد
المطموع فيه من مجرد مقاسات الاهوال وشدائد الاحوال ولا يخفى ان التمثيل الثاني ابلغ لانه ادل على
فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر وتدرجا من الاهون الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف المحذوف
حيث قلنا او كمثل ذوي صيب مع انه لا يلزم في التشبيه ان يكون حرف التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به الا ترى الى
قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء كيف ولي الماء الكاف اذ التشبيه مركب لان الضمير في يجعلون لا بد له من راجع
هذا هو التحقيق وقد يقال شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يتعلق به
من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا
والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق وعلى هذا يكون تقدير المضاف ضروريا ليصح تشبيه المنافقين بهم ويكون
المعنى مثلهم كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا ويكون ذكر المشبهات مطويا على سنن
الاستعارة والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا وتنكير صيب لدلالة
على انه نوع من المطر الشديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول والسماء هذه المظلة والفائدة في ذكره
والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واخذ من
بين سائر الافاق ولكنه غمام مطبق اخذ بافاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب
من صوب والبناء على فيعل والتنكير امده ذلك بان جعله مطبقا واعلم انه اذا وقعت القوى الفلكية
في العناصر باذن الله بحركتها وخلطها حصل من اختلاطها موجودات شتى فاذا اهيج الفلك باسخانه اجزاء
من الاجسام المائية ودخن من الاجسام الارضية واثار شيئا من البخار والدخان من الاجسام المائية
والارضية اما الدخان فانه قد يتعدى صعود حيز الهواء الى ان يوافي تخوم النار فيشتعل وربما سعى فيه
الاشتعال فيرى كانه كوكبا يقذف به وربما لم يشتعل بل احترق وثبت فيه الاحتراق فترى العلامات الهائلة
الحمر والسود واما البخار الصاعد فمنه ما يلطف ويرتفع جدا فيتراكم ويكثر مدته في اقصى الهواء عند
منقطع الشعاع فيبرد كما يوافيه برد الليل قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في
الاعالي اعني السحاب فنزل مكان الطل وربما جمد البخار الغير المتراكم في الاعالي اعني مادة الكل فنزل

وكان ضعيفا وما يسقط بالليل من السماء شبيها بالثلج وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات ماء فكان بردا
وانما يكون جموده في الشتاء وقد فارق السحاب وفي الربيع هو داخل السحاب وذلك اذا اسخن خارجه فبطنت
البرودة الى داخله فتكاثف داخله واستحال ماء واجمده شدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد
فاستحال سحابا فاستحال واما الجواهر البخارية الدخانية المركبة من مادتي الرطوبة واليبوسة فمنها ما
يتخلص من الارض فيكون منها الرياح واذا تصعدت فتميز البخار من الدخان انعقد البخار سحابا وبرد وتعلق
فيه الدخان طلبا للنفوذ الى العلو فحصل من تقلقله فيه ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة في سحاب كثيف وربما
امتد ذلك التقلقل لكثرة وصول الموارد ويكون اعالي السحاب اكثف لان البرد هناك اشد او يكون هناك
ريح مقاومة بعوقها من النفوذ فيندفع الى اسفل وقد اشعلته الحاكة والحركة تارة تبرق فينشق السحاب
شعلة بحمرة تطفى فيسمع من ذلك ضرب من الرعد وان كان قويا شديدا غليظ المادة كان صاعقة فربما
وجل مثل نعاقه فيسهل الانشقاق فيخرج بلا رعد والاشتغال فهذا القدر من الحقائق في هذا المقام لا يضر في
معرفتها بعد ان يعتقد انتهاء اسبابها الى مدبر الكل سبحانه وتعالى ولنرجع الى ما نحن فيه فنقول ارتفع ظلمات
بالظرف على الاتفاق من سيبويه والاخفش لاعتماده على موصوف والصيب ان كان سحابا فظلماته سحمته
وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل وان كان مطرا فظلماته تكاثفه وانتساجه تتابع القطر وظلمة اظلال
الغمام مع ظلمة الليل ثم ان كان الصيب سحابا فكونه مكانا للرعد والبرق ظاهر وان كان مطرا فكونه
ملتبسين به بالجملة سوغ ذلك وانما لم يجمع الرعد والبرق كما قال البحتري شعر يا عارضا متلفعا ببروده
يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات لانهما في الاصل مصدران فروعي حكم الاصل ويمكن ان يراد بهما
الحدث كانه قيل وارعاد وابراق ونكرت هذه الاشياء لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية
ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب لانه في حكم المذكور فقال
حسان شعر يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل ذكر يصفق لان المعنى
ماء بردى وهو واد بدمشق والبريص نهر منه انها نهرا يصفق اي يمزج والرحيق الخمر ولا محل لقوله
يجعلون لكونه مستأنفا كانه قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم ثم سئل فكيف حالهم
مع ذلك البرق فاجيب يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما لم يقل اناملهم مع انها هي التي تجعل في الاذان لان في
ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ولان اسم الكل قد يطلق على البعض نحو فاقطعوا
ايديهما والمراد الى الرسغ وليس بعض الاصابع كالمسبحة مثلا لجعلها في الاذن اولى من بعض حتى تنال
ذكر العام والمراد الخاص وقوله من الصواعق يحو سقاه من العيمة وقد تحصل مما ذكرنا ان الصاعقة
قصفة رعد ينقض منها شعلة من نار تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة
لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحترقت نحو النصف
ثم طفئت ويقال صعقته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة
الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدرا كالعاقبة والكاذبة وحذر الموت مفعوله شعر
واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض
يعاقب الحياة لا يصح معه احساس واحاطة الله بالكافرين مجاز اي لا يفوتونه كما ان لا يفوت المحاط به المحيط
والجملة معترضة لا محل لها يكاد من افعال المقاربة كاد يفعل كذا يكاد كودا ومكادة وضعت لمقاربة
الشيء فعل او لم يفعل فمجرده ينبئ عن نفي الفعل ومقرونه بالجحد ينبئ عن وقوع الفعل ومجيئه كاد فعل مضارع
يفعل وهو ههنا يخطف والبرق اسمه والخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم استيناف ثالث كانه قيل
كيف يصنعون في حالتي خفوق البرق وخفيته واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول

محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره والمشي جنس الحركة المخصوصة وفوقها السعي
ودونه العدو وما ظلم اما لازم وهو الظاهر واما متعد منقول من ظلم الليل اي اظلم البرق الطريق عليهم بان
تنزع عن لمعانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم من قام الماء جمد وانما قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام
اذا لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكانا المشي وتابعه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها
بخطوات يسيرة وليس كذلك التوقف والتحبس ولو شاء الله لزاد في قصف الرعد فاصمهم او في ضوء
البرق فاعماهم ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم
لذهب بها واطرد الحذف في شاء واراد كثيرا لا يكاد يبرز مفعول الا في الشيء المستغرب كقوله شعر
فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع قال عز من قائل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه
وكلمة لو تفيد انتفاء الثاني لانتفاء الاول وقد يجيء للمبالغة كقوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم
يخف الله لم يعصه والمراد ان عدم العصيان ثابت على كل حال لانه لا يقدر على تقدير عدم الخوف ثابت فعلى
تقدير الخوف اولى والشيء العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على
المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل العقل فمن الاشياء ما لا تتعلق به القادرية كالمستحيل والواجب وجوده
لذاته واما الممكن فابقاؤه على العدم وكذا ايجاده وابقاؤه على وجوده لا جميع ذلك بقدرة القادر ولا يستغني
انا من الانات ولحظة من اللحظات على تأثير القادر فيه وقدير كل قادر على مقدار قوته واستطاعته ونقيضه
العجز فلا قادر بالحق الا هو سبحانه وتعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

القراءة خلقكم مدغما ابو عمرو وكذلك كل ما قبلها متحرك وزاد
عباس كل ما كان قبلها ساكن مثل ما خلقتكم وصدقكم ورزقكم وميثاقكم واشباه ذلك وكل صواب

الوقوف تتقون لان الذي صفة الرب تعالى بناء لعطف الجملتين المتفقتين لكم لانقطاع النظم مع فاء
التعقيب تعلمون

التفسير لما قدم الله تعالى احكام فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين
وذكر صفاتهم ومجاري امورهم عاجلا وآجلا اقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات التي يورث الكلام
رونقا وبهاء ويزيد السامع هزة ونشاطا ومن لطائف المقام انه تعالى كانه يقول جعلت الرسول واسطة
بيني وبينك اولا والان ازيد في اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل لك مع التنبيه على الادلة
شرف المخاطبة والمكالمة وفيه اشعار بان العبد مهما اشتغل بالعبودية زاد قربا وحضورا وايضا
الايات المتقدمة حكايات احوالهم وهذا امر وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة وهي
ان يرفع ملك الملوك الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته فيستطاب التكليف ويسلك هذا وقد صح الاسناد
عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين امنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا
ربكم خطاب لمشركي مكة بحسب هذا النقل وان كان من الجائز ان يخاطب المؤمنون باسم جنسهم ويؤمروا
بالاستمرار على العبادة والازدياد منها ويا حرف وضع لاجل التخفيف مقام انادي الانشائية لا الاخبارية

وههنا نكتة وهي ان اقوي المراتب الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه لايليق الاسم بالحرف تكذا اقوي الموجود
هو الحق سبحانه وتعالي وخلق الانسان ضعيفا فقالت الملايكة ما للتراب ورب الارباب اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء فقيل لهم قد يايتلف الاسم مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع
والدعاء ادعوني استجب لكم واذا سالك عبادي عني فاني قريب فاذكروني اذكركم وياء وضع في اصله لنداء
ما ليس بقريب حقيقة او تقديرا لكونه ساهيا او غافلا او نايما او لتبعيد المنادي عن ساحة عزة المنادي
هضما واستنصارا كقول الداعي في جوار يا رب يا الله مع انه اقرب اليه من حبل الوريد ليستحق الاجابة
بمقتضي قوله انا عند المنكسرة قلوبهم وقد ينادي القريب الفاطن في غير هذه الصورة بيا وقد يكون المراد به ان
الخطاب الذي يتلوه معني به جدا نحو يا ايها الذين امنوا يا عبادي يا ايها النبي لان ما يعقبها امور عظام وخطوب
جسام من الاوامر والنواهي والعظات عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم ويصابروا اليها واي وصله الي
نداء ما فيه الالف واللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليصح المقصود بالنداء مع ضرب من التاكيد المستفاد
من الابهام ثم التوضيح وفي عرف التنبيه المحجم فايدتان معاضدة حرف النداء بتاكيد معناه ووقوعها
عوضا مما يستحقه اي من الاضافة ثم ان قلنا ان الخطاب عام لجميع المكلفين لان الجمع المعرف باللام يفيد
العموم بدليل صحة تاكيده بكل واجمعون في مثل قوله فسجد الملايكة كلهم اجمعون وبدليل صحة الاستثناء
فالاقرب انه لا يتناول الا الموجودين في ذلك العصر وانما يثبت في الذين سيوجدون بدليل منفصل
هو ما عرف بالتواتر من دين محمد صلي الله عليه وسلم ان حكم الموجودين في عصره حكم من سيوجد
الي قيام الساعة وان قلنا ان الخطاب لمشركي مكة فيدخل سائر الناس بالتبعية علي قياس ما قلنا
والمراد من قوله اعبدوا صححوا نسبة العبادة وذلك ان من عرف نفسه بالامكان يعرف ربه بالوجوب ويعرف
نفسه بالمملوكية يعرف ربه بالمالكية ويعرف نفسه بالمقهورية والمقدورية يعرف ربه بالقاهرية
والقادرية ويعرف نفسه بالمامورية والذل يعرف ربه بالامرية والعزة فلا يتجاوز حده ولا يعكس عهده
وانما يكون عبدا ذليلا ماثلا بين يدي مولاه طايعا بكل ما يامره وينهاه لانه اذا انقضي كونه عبدا فلا بد ان يطلب لنفسه سيدا
القضايا ولا يري لنفسه تصرفا بوجه من الوجوه ولا قدرة بنوع من الانواع
واذا وجد السيد فلا محالة يوطن نفسه لطاعته وانقياده ولا يري مخالفته في شي اصلا اذ قال له ربه
اسلم قال اسلمت لرب العالمين والا لم يصح نسبة عبوديته عن الاصمعي اني بغلام ليشتريه فقال
له ما اسمك فقال ما تسميني قال ايش تاكل قال ما تطعمني قال ما تشرب قال ما تسقيني قال فغيز بد
ان اشتريك قال العبد لا يكون له ارادة والامر بالعبادة بهذا المعني يشمل الكافر والمومن وكل من له
اهلية الخطاب ويتفرع فيه المبادي والنهايات والاصول ثم انه تعالي لما علم القصور البشري وضعف
قواهم الفطرية والفكرية ارشدهم اليه ونبههم عليه بقوله ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
واعلم ان الطريق الي معرفة الواجب سبحانه وتعالي بعد ما قلنا الي الرجوع الي النفس والنسبة لسمة
العبودية اما الامكان او الحدوث او مجموعهما كل منهما في الجواهر وفي الاعراض اما الاستدلال بامكان
الذوات فاليه الاشارة بقوله تعالي والله الغني وانتم الفقراء وان الي ربك المنتهي واما الاستدلال
بامكان الصفات خلق الله السموات والارض الذي جعل لكم الارض فراشا وبحدوث الاجسام
قول ابراهيم صلوات الرحمن عليه اني لا احب الافلين وبحدوث الاعراض دلايل النفس ودلايل الافاق
فان كل احد يعلم بالضرورة انه كان معدوما قبل ذلك والموجود بعد العدم له موجد وليس هو نفسه ولا
الابوان ولا سائر الناس لعجز الكل ولا الطبايع الفصول والافلاك والافلاك في افق الامكان فهي شي
غير منتسم بسمة الحدوث والنقصان وهذا الطريق اقرب الطرق الي الافهام فلهذا درده الله تعالي

في فاتحة الكتاب لينتفع الخاص والعام مع ان فيه تذليل النعمة السابغة وعطيته السابقة عليهم
وعلي ابايهم وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل الي الانصاف وترك الجدال واما قوله لعلكم تتقون
ففيه بحثان الاول كلمة لعل للترجي او الاشفاق ولا يحصلان الا عند الجهل بالعاقبة وهو علي الله محال
والجواب ان الترجي راجع الي العباد لا الي الله تعالي كقوله لعله يتذكر او يخشي اي اذهبا انتما علي
رجايكما وطمعكما في ايمانه ثم الله عالم بما يئول اليه امره وايضا فمن دين الملوك ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون
انفسهم لانجازها علي ان يقولوا عسي ولعل وحينيذ لا يبقي لطالب ما عندهم شك في الفوز والنجاح بالمطلوب
او جاء علي طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد مثل توبوا الي الله توبة نصوحا عسي ربكم ان يكفر
عنكم سيئاتكم او وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب
فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين واراد منهم الخير والتقوي فهم
في صورة المرجو ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل
وبين ان لا يفعل ونظيره ليبلوكم ايكم احسن عملا وهذا الجواب مبني علي ان قوله لعلكم متعلق بخلقكم
مثل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولا يعبدوا وقيل لعل بمعني كي ووجهه بانها للاطماع والكريم الرحيم
اذا اطمع فعل يجري اطماعه مجري وعده المحتوم فلهذا قيل بمعني انها كي قال القفال في لعل معني التكرير والتا[كيد]
اي افعل كذا لعلك تظفر بحاجتك معناه افعله فان فعلك له يوكد طلبك له ويقويك عليه البحث الثاني
اذا كانت العبادة تقوي فقوله لعلكم تتقون جار مجري قوله اعبدوا ربكم لعلكم تعبدون واتقوا ربكم لعلكم
تتقون والجواب المنع من اتحاد مفهوميهما وخصوصا علي ما فسرنا اذ المعني يعود الي قولنا صححوا نسبة العبو[دية]
لتتصفوا بصفة التقوي وهي الاجتناب عن المعاصي فقط او هو مع الاتيان بالاوامر واما قوله الذي جعل لكم
الارض فراشا فنقول فيه لفظ الذي مع صلته اما ان يكون في محل النصب بدلا من الذي خلقكم او علي المدح
والتعظيم واما ان يكون رفعا علي المدح ايضا اي هو الذي وكلمة الذي موضوعة للاشارة الي مفرد
عند محاولة تعريفه بقضية معلومة فقوله جعل لكم الارض فراشا قضية معلومة فادخل عليها الذي كي
ينتبهوا الجاعل ويعترفوا به والحاصل انه تعالي عد عليهم في هذا المقام خمسة دلايل اثنين من الانفس
وهما خلقهم وخلق اصولهم وثلثة من الافاق جعل الارض فراشا والسماء بناء والامور الحاصلة من مجموعها
وهي انزال الماء من السماء واخراج الثمرات بسببه وسبب هذا الترتيب ظاهر لان اقرب الاشياء نفسه ثم ما
منه منشاوه واصله ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم
علي فراشه ثم السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية علي هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج
بين المقلة والمظلة من انزال الماء عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الحيوان انواع الغذاء والوان
الثمار رزقا لبني ادم وايضا خلق المكلفين احيا قادرين اصل لجميع النعم واما خلق الارض والسماء فذاك
انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحيوة والقدرة والشهوة وذكر الاصول مقدم علي ذكر الفروع وايضا
كل ما في السماء والارض من الدلايل علي وجود الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحيوة والقدرة والشهوة
والعقل ولما كان وجود الدلالة فيه اتم كان تقديمه في الذكر اهم ولنرتب ههنا مسايل الاولي في منافع الارض
الفراش اسم لما يفرش كالمهاد لما يمهد والبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش ان يكون مسطحا
مستويا كالفرش علي ما ظن فسواء كانت كذلك او علي شكل الكرة فالافتراش غير منكر ولا مدفوع
لعظم جرمها وتباعد اطرافها ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو
وسط الافلاك لان الاثقال بالطبع تميل الي تحت كما ان الخفاف بالطبع يميل الي فوق والفوق من جميع الجوانب

بالي السماء والتحت ما يلي المركز فكما انه يستبعد صعود الارض فيما يلينا الي جهة السماء فليستبعد هبوطها في مقابلة ذلك لان ذلك الهبوط صعود ايضا الي السما فاذن لاحاجة في سكون الارض وقرارها في حيزها الي علاقة من فوقها ولا الي دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك ما اعطاها خالقها وركز فيها من الميل الطبيعي الي الوسط الحقيقي بقدرته واختياره ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ومما من الله تعالى به علي عباده في خلق الارض ان لم تجعل في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار كالماء ليسهل النوم والمشي به عليها وامكنت الزراعة واتخاذ الابنية منها وتاتي حفر الانهار واجراوها ومنها انها لم تخلق في نهاية اللطافة والتشفيف ليستقر الانوار عليها ويتسخن منها فيمكن جوارها ومنها ان جعلت بارزة بعضها من الماء مع ان طبعها الغوص فيه ليصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها وسبب انكشاف ما برز منها وهو قريب من ربعها ان لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت هي والماء بحيث اذا انجذب الماء بطبعه الي المواضع الغائرة والمنخفضة منها بقي شي منها مكشوفا وصار مجموع الارض والماء بمنزلة كرة واحدة تدل علي ذلك فيما بين الخافقين طلوع الكواكب وغروبها المشرقيين علي طلوعها وغروبها المغربيين وفيما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب وتركب الاختلافين لمن يسير علي سمت بين السمتين الي غير ذلك من الاعراض الخاصة بالاستدارة يستوي في ذلك راكب البر وراكب البحر ونتو الجبال وان شمخت لا تخرجها عن اصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة الكرة لا في استدارتها ومنها الاشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والاثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها ومنها ان يتخمر الرطب به فيحصل التماسك في ابدان المركبات ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض والحاجات وفي الارض قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات والارض ذات الصدع ومنها جذبها الماء المنزل من السماء وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ومنها العيون والانهار التي فيها والارض مددناها ومنها ان لها طبع الكرم تاخذ واحدة وترد سبعمائة كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ومنها حيوتها وموتها واية لهم الارض الميتة احييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها من كل دابة ومنها النباتات المتنوعة وانبتنا فيها من كل زوج بهيج واختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روايحها دلالة منها قوت البشر ومنها قوت البهايم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر به نباتية كالقطن والكتان وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها الاحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية فانظر الي الحجر الذي يستخرج منه النار مع كثرته وانظر الي الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الي كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما اودع الله فيها من المعادن الشريفة كالذهب والفضة ثم تامل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنايع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير من اوج الهوا لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه ان معظم فايدتهما يرجع الي الثمنية وهذه الفايدة لا تحصل الا عند العزة والقدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلهذا ضرب الله دونهما بابا مسدودا ومن ههنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيميا افلس ومنها ما يوجد علي الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب وما اشتد اليه الحاجة في الخبز والطبخ ولعل ما تركنا من المنافع اكثر مما ذكرنا فاذا تامل العاقل في هذه الغرايب والعجايب اعترف بمدبر حكيم ومقدر عليم ان كان ممن يسمع ويعي ويبصر ويعتبر

الثانية في منافع السماء البنا مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء وابنية العرب اخبيتهم ومنه بني علي امراته لانهم

كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا ثم ان الله تعالى زين السماء بمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا وبالشمس وجعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وباللوح في لوح محفوظ وبالقلم ن والقلم وسماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا وسبعا شدادا وذكر ان خلقها مشتمل علي حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء ومحل الضياء والصفاء وجعل لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير وجعل فيها رجوما للشياطين وعلامات يهتدي بها في ظلمات البر والبحر وبقيض للشمس طلوعا يسهل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاطراف وغروبا يصلح معه الهدو والقرار في الاكنان لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الاغذية في الاعضاء وايضا لولا الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة والكثافة فافضت الي خمود الحرارة الغريزية وانكسار سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة علي تضادهما متظاهرين علي ما فيه صلاح قطان الارض وههنا نكتة كان الله تعالى يقول لو وقفت الشمس في جانب من السماء لكان الغني يرفع بناءه علي كوة الفقير فلا يصل النور الي الفقير لكني ادير الفلك واسيرها حتى يجد الفقير نصيبه كما وجد الغني نصيبه اما ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعلها الله سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات ويتولد منه مواد الثمار ويستكثف الهواء فيكثر السحاب والمطر وتقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطباع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء ويثور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيا للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس فيدرك الثمار ويستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب وتنضبط مواقيت الشرعية ومنه يحصل النماء والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غروبه مصلحة يحكى ان اعرابيا نام عن جمله ليلا ففقده فلما طلع القمر وجده فنظر الي القمر وقال ان الله صورك ونورك وعلي البروج دورك فاذا شاء نورك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا اسأله لك وان اهديت الي سرورا فقد اهدى الله اليك نورا ثم انشا يقول

شعر

ماذا اقول وقولي فيك ذو قصر ... وقد كفيتني الاحصاء والجملا

ان قلت لا زلت مرفوعا فانت كذا ... او قلت زانك ربي فهو قد فعلا

وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول القمر يهتك الهارب ويفضح العاشق ويبلي الكتان ويهدم الشباب وينسي ذكر الاحباب ويقرب الدين ويدني الحين وكيفية ارتباط القمر بسائر الكواكب بالشمس وكمية حركاتها وبيان اختلافات اوضاعها وعلل كل منها فن براسه لا يحتمل ايراده ههنا قال الجاحظ اذا تاملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيأة لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة في مصالحه وهذه جملة واضحة دالة علي ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية

الثالثة في ان السماء افضل ام الارض قال بعضهم السماء افضل لانها متعبد الملائكة وما فيها بقعة عصي الله فيها ولما اتى آدم عليه السلام بتلك المعصية اهبط من الجنة وقال تعالى لا يسكن في جواري من عصاني وقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا وقد ورد في الاكثر ذكر السماء مقدما علي ذكر الارض والسماء مؤثرة والارضيات متأثرة والمؤثر اشرف من المتأثر فقال آخرون بل الارض افضل لان الله تعالى

وصف بقاعا من الارض بالبركة ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا في البقعة المباركة الى المسجد
الاقصى الذي باركنا حوله مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني ارض الشام ووصف جملة
الارض بالبركة وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام فان قيل فاي بركة في المفاوز المهلكة قلنا
انها مساكن الوحوش ومرعاها ومساكن الناس اذا احتاجوا اليها ومساكن لا يعلمها الا الله تعالى فلهذه
البركات قال وفي الارض ايات للموقنين تشريفا لهم لانهم هم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وخلق
الانبياء من الارض منها خلقناكم واودعهم فيها وفيها نعيدكم واكرم نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم
فجعل الارض له كلها مسجدا وطهورا ولما خلق الله الارض كانت كالصدفة والدرة المودوعة فيها ادم
واولاده ثم علم الله حاجاتهم قال يا ادم لا احوجك الى شيء غير هذه الارض التي هي لك كالام فقال انا
صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وانزل به من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يا عبدي
انا اعز الاشياء عندك الذهب والفضة ولو اني خلقت الارض منهما هل كان يحصل منها هذه المنافع ثم اني
جعلت هذه الاشياء في الدنيا مع انها سجن لك فكيف الحال في الجنة فالحاصل ان الارض امك بل اشفق من
الام لان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك انواعا من الاطعمة ثم قال منها خلقناكم
وفيها نعيدكم معناه نردكم الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بامه وذلك لان مقامك من
الام التي ولدتك اضيق من مقامك من الارض ثم انك كنت في بطن الام تسعة اشهر فما مسك جوع ولا
عطش فكيف اذا دخلت بطن الام الكبرى ولكن الشرط ان تدخل بطن الام الكبرى كما كنت في بطن الام
الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا لله حيث دعاك مرة بالخروج
الى الدنيا خرجت اليها بالراس طاعة منك لربك واليوم تدعوك سبعين مرة الى الصلاة فلا تجيبه
برجلك **الرابعة** معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته انه جعل الماء سببا
في خروجها ومادة لها كالنطفة في خلق الولد وهو قادر على انشاء الاشياء بلا اسباب ومواد كما انشا
نفوس الاسباب والمواد ولكن له في هذا التدريج والتسبيب حكما يتوصل بها من يستبصر ويتفطن
لها من يعتبر ومن في من الثمرات للتبعيض كما انه قصد بتنكير ماء ورزقا معنى البعضية لانه مورد
في سياق الاثبات فكانه قيل وانزل لنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات فهذا معنى صحيح
لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات فيكون كل الثمرات
بعض الرزق فضلا عن بعضها ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا ثم ان كانت من
للتبعيض كان انتصاب رزقا بانه مفعول له وان كانت للبيان كانت مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية
على الرزق ان اريد به العين وان جعل مصدرا فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم وانما قيل الثمرات
على لفظ القلة وان كان الثمر المخرج بماء السماء جما كثيرا لانه قصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك
فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره كقولهم للقصيدة كلمة وللقرية مدرة اولان الملك وضعت موضع
الكثرة نحو ثلاثة قروء او تنبيها على قلة ثمار الدنيا في جنب ثمار الاخرة **الخامسة** قوله فلا تجعلوا اما
ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل
لله ند ولا شريك او بلعل فينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع في
رواية حفص عن عاصم او بالذي جعل لكم ان رفعته على الابتداء اي هو الذي نصب لكم هذه الادلة القاطعة
والايات الناطقة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي من ناددت
الرجل خالفته ونافرته وند ندودا اذا نفر ومعنى قول الموحد ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي
ما ينافيه وقوله وانتم تعلمون بترك المفعول معناه وانتم من اهل العلم والمعرفة وبدقائق الامور وغوامض

الاحوال وهكذا كانت العرب خصوصا قطان الحرم من قريش وكنانة لا يشق غبارهم في الدهاء والفطنة
والتوبيخ فيه اكد اي انتم العرافون المميزون ثم ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو
غاية الجهل ونهاية سخافة العقل فيجوز ان يقدر وانتم تعلمون بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون
انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء واعلم انه ليس في العالم
احد يثبت لله شريكا يساويه في الوجوب والعلم والقدرة والحكمة لكن الثنوية يثبتون الهين
حكيم يفعل الخير وسفيه يفعل الشر اما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين اليه كثرة **الفريق
الاولى** عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعالى خلق الكواكب وهي المدبرات في
العالم فيجب علينا ان نعبد الكواكب تعبد الله تعالى **والفريق الثانية** عبدة المسيح عليه السلام **والفريق
الثالثة** عبدة الاوثان فيقول لا دين اقدم من دين عبدة الاوثان لان اقدم الانبياء الذين نقل الينا تاريخهم
هو نوح عليه السلام وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث
ويعوق ونسرا ودينهم باق الى الان والدين الذي هذا شانه يستحيل ان يعرف فساده بالضرورة لكن العلم
بان هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والارض علم ضروري فيمتنع اطباق
الجمع العظيم عليه فوجب ان يكون لهم غرض اخر سوى ذلك وللعلماء ذكروا فيه وجوها احدها ما ذكره
ابو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخي ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته ويعتقدون
انه جسم ذو صورة كاحسن ما يكون من الصور وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسماء وان
الواجب عليهم ان يصوغوا تماثيل انيقة المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الملائكة والاله
فيعتكفون على عبادتها قاصدين به طلب الزلفى الى الله تعالى وملائكته فعلى هذا السبب في عبادة
الاوثان هو اعتقاد التشبيه وثانيها ما ذكره اكثر العلماء وهو ان الناس لما راوا تغيرات احوال هذا العالم
مربوطة بتغيرات احوال الكواكب واعتقدوا ان المنحوسة في البيوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع
الناس بالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العالم ومنهم
من اعتقد انها مخلوقة لله الاكبر لكنها خالقة لهذا العالم وانها الوسائط بين الله والبشر فلا جرم اشتغلوا
بعبادتها والخضوع لها ثم لما راوا الكواكب مستترة في اكثر الاوقات عن الابصار اتخذوا لها اصناما
واقبلوا على عبادتها قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العالية ومتقربين الى اشباحها الغائبة ولما
طالت المدة تركوا ذكر الكواكب وتجردوا العبادة لتلك التماثيل فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب وثالثها ان
اصحاب الاحكام كانوا يعينون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون ان من اتخذ طلسما
في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في احوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الافات
وكانوا اذا اتخذوا الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة
ثم نسوا مبداء الامر بتطاول المدة واشتغلوا بعبادتها ورابعها انه متى مات منهم رجل كبير
يعتقدون فيه انه مجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته وعبدوها
على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعا لهم يوم القيمة عند الله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وخامسها لعلهم اتخذوها قبلة لصلواتهم وطاعاتهم ويسجدون اليها لا لها كما انا نسجد
الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم انه يجب عبادتها وسادسها انهم كانوا
من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التاويل فهذه هي الوجوه التي يمكن حمل
مذهبهم عليها حتى لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة فان قيل لما رجع حاصل مذاهب عبدة الاوثان
الى الوجوه التي ذكرت فما وجه المنع عنها قلنا لما تقربوا عنها وعظموها وسموها الهة اشبهت حالهم

الي من يعتقد ان الهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكانهم قالوا لهم
ونهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادًا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط ولا
يقيد في طريق عبادته الا الحنيفية والاخلاص ودفع الوسايط من البين واعلم ان اليونانيين كانوا قبل
خروج الاسكندر عمدوا الي بناء هياكل لهم معروفة باسماء القوي الروحانية والاجرام النيرة واتخذوا
معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولي وهي عندهم الامر الالهي وهيكل العقل الصريح وهيكل
السياسة المطلقة وهيكل النفس والصورة مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدسًا وهيكل المشتري
مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا وهيكل الشمس مربعًا وهيكل الزهرة مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد
مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا وزعم اصحاب التاريخ ان عمرو بن لحي لما ساد قومه وترأس على
طغاتهم وولي امر البيت الحرام اتفقت له سفرة الي البلقاء فراي قومًا يعبدون الاصنام فسالهم عنها
فقالوا هذه اوثان نستنصر بها فننصر ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم ان يأتوا بواحد منها فاعطوه
الصنم المعروف بهبل فصار به الي مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس الي تعظيمه وذلك في اول ملك
شابور ذي الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة
صنعاء وخربه عثمان بن عفان ومنها نوبهار الذي بناه منوجهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبائل
العرب اوثان معروفة مثل ودّ بدومة الجندل لكلب وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان
ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي
مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاهم
عن عبادتها ويدعوهم الي عبادة الله تعالى وتقدست وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه
وهو الذي يقول شعر اربًّا واحدًا ام الف رب ٭ ادين اذا تقسمت الامور ٭ تركت اللات والعزى جميعًا ٭
كذلك يفعل الرجل البصير ٭

وَاِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِنْ مِثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ ط فَاِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ اُعِدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ

القراءة ما يتعلق بها من ضم ميم الجمع ومن امالة الناس يعرف مما مر الوقوف من مثله
صادقين والحجارة على تقدير هي اعدت بدل الجملة الاولي في كونها صلة للتي للكافرين التفسير
لما نبه بالايتين السابقتين على طريق الاعتراف بوجود الصانع ووحدانيته اعقبهما بما يدل على صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما نزل عليه وقد ذكر في كون القرآن معجزًا طريقان الاولي انه
اما ان يكون مساويا لكلام ساير الفصحاء او زايدًا عليه بما لا ينقض العادة او بما ينقضها والاولان
لانهم وهم زعماء الحوار وملوك الكلام تحدوا منثورة مجتمعين او منفردين ثم لم يأتوا بها مع انهم كانوا
متهالكين في ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن وكانوا في الحمية والانفة
لا يقبلون الحق كيف الباطل فتعين القسم الثالث الطريق الثانية ان يقال ان بلغت السورة المتحدي بها
في الفصاحة الي حد الاعجاز فقد حصل المقصود والا فامتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم الي

ترغيب

٥٧

توهين امره معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل ومما يريبك انه ان يعارض في مستانف
الزمان وان لم يعارض الي الان قلت لا احتياج الي المعارضة اشد مما في وقت التحدي والالزم تقدير المبطل
المشبه للمحق وحيث لم يقع المعارضة وحينئذ علم ان لا معارضة والي هذا اشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا
كالنهي واعلم ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن يدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة
فمدرك الاعجاز هو الذوق ومن فسر الاعجاز بانه صرف الله تعالى البشر عن معارضته او بانه هو كونه اسلوبه
مخالفا لاساليب الكلام او بانه هو كونه مبراءً عن التناقض او بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب
وربما ينخرط في سلك هذه الاراء فقد كذب ابن اخت خالته فانا نقطع ان الاستغراب من سماع القرآن
انما هو من اسلوبه ونظمه المؤثر في القلوب تاثيرًا لا يمكن انكاره لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
لا من صرف الله تعالى من البشر عن الاتيان بمثله كما قال احد معجزتي ان اضع الساعة يدي على راسي و
يتعذر ذلك عليكم وكان كما قال جاء الاستغراب من التعذر لا من نفس الفعل وايضا تسمية كل اسلوب
غريب معجزًا باطل وكذا تسمية كل كلام مبراء عن التناقض او مشتمل على الغيب ككلام الكهان ونحوها فان
قيل لم نعتقد اعجاز القرآن بحيث يعجز عنه الثقلان فقط والزايد غير معلوم الحال اذ يحتمل ان يعجز عنه
المخلوقات باسرها قلت لا ريب ان الحق هو القسم الثاني الان التحدي لم يقع الا بالقدر الاول وبه تثبت
صحة النبوة لكن النبي صادق وقد اخبر بانه كلام الله تعالى ونحن نعلم انه كلامه صفته وصفته يجب ان
يكون في غاية الكمال ونهاية الجلال فالقرآن اذًا في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة والبلاغة هي بلوغ
المتكلم حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التركيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها
وهي فيما كانها هبة اجتماعية حاصلة من معرفة قوانين علم المعاني والبيان والفصاحة اما معنوية
وهي خلوص الكلام عن التعقيد والتعقيد ان يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشيك طريقك الي المعنى
ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويتشعب ظنك فلا تدري من اين تتوصل وباي طريق معناه
تتحصل واما لفظية وهي ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان يكون على السنة الفصحاء
من العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالها لهم اكثر وان يكون اجرى على قوانين اللغة العربية وان
يكون سليمة عن التنافر عذبة على العذبات سلسة على الاسلات والحاكم في ذلك على الذوق السليم
والطبع المستقيم فقلما يجتمع هنالك الا ذلك ثم انه قد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة يقتضي نقصان الفصاحة
ومع ذلك فانه بلغ في الفصاحة النهاية التي لا غاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزًا منها ان فصاحة العرب
اكثرها في وصف المشاهدات كبعير او فرس او جارية او ملك او ضربة او طعنة او وصف حرب او
وصف غارة وليس في القرآن من هذه الاشياء مقدار كثير ومنها انه تعالى راعى طريق الصدق وتنزه
عن الكذب وقد قيل احسن الشعر اكذبه ولهذا فان لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت لما اسلما وتركا
سلوك سبيل الكذب والتخييل ركّ شعرهما ومنها ان الكلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق في بيت
او بيتين من قصيدة والقرآن كله فصيح لكل جزء منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلامه لم يكن
الثاني في الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر في القرآن فهو في غاية الفصاحة وغاية الملاحة شعر
اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره ٭ هو المسك ما كررته يتضوع ٭ ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم
المنكرات والحث على مكارم الاخلاق والزهد في الدنيا والاقبال على الاخرة ولا يخفى ضيق عطن
البلاغة في هذه المواد ومنها انهم قالوا ان شعر امرء القيس يحسن في النساء وصفة الخيل وشعر
النابغة عند الحرب وشعر الاعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء والقرآن
جاء فصيحًا في كل فن من الفنون فانظر في الترغيب الي قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي

الترهيب وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت وفي الزجر فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من
أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وفي الوعظ أفرأيت إن متعناهم سنين ثم
جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وفي الالهيات الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض
الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ومنها أن القرآن أصل العلوم
كلها كعلم الكلام وعلم أصول الفقه وعلم الفقه واللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان وعلم الأحوال وعلم
الأخلاق وما شئت ومن يطق وصف القرآن وبلاغته فإنه كما أن الإتيان بأقصر سورة فوق حد البشر
ووصفه كما هو فوق طاقة البشر شعر ودع عنك بحرا ضل فيه السوابح وإنما قيل وإن كنتم دون وإذ
كنتم كما عرفت في تفسير لا ريب فيه وإنما اختير نزلنا على لفظ التنزيل دون الإنزال لأن المراد النزول على سبيل
التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك أنهم كانوا يقولون لو أنزله الله لأنزله جملة واحدة
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة أي على خلاف ما نزل عليه أهل الخطابة والشعر من
وجود ما وجد منهم مفرقا شيئا فشيئا وحينا فحينا وحسب ما يعن لهم من الأحوال المتجددة والحاجات
السانحة فقيل لهم إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا أنتم نوبة واحدة
من نوبه وهلموا نجما من نجومه أصغر سورة وهي الكوثر ومعنى السورة مذكور في المقدمة الرابعة وإنما
قيل على عبدنا دون أن يقول على محمد كقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد
تشريفا له صلى الله عليه وسلم وإعلاما بأنه من صح نسبة العبودية المأمور بها في قوله يا أيها الناس
اعبدوا وإضافة العبد إلى الضمير أيضا يؤكد ذلك كقوله إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وتنبيها أن السعادة
كل السعادة في نسبة العبدية فهي التي توصل إلى العبدية في مقعد صدق عند مليك مقتدر أنا
عند المنكسرة قلوبهم لأجلي وكمال العبدية في كمال الحرية عما سوى الله وأما فائدة تفصيل القرآن
وتقطيعه سورا فمن ذلك أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع واشتمل الأنواع على الأصناف كان أقوى كل من
صاحبه أحسن ولهذا وضع المصنفون كتبهم على الأبواب والفصول ونحوها ومنها أن القارئ إذا ختم
سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له كالمسافر إذا قطع ميلا أو طوى فرسخا ومن ثم جزئ
القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا ومنها أن الحاذق إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب
الله طائفة مستقلة بنفسها فيجل في نفسه ومنه حديث أنس كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا
ولهذا كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة أفضل ومن مثله متعلق بمحذوف أي بسورة كائنة من مثله
والضمير لما نزلنا أو لعبدنا ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد فمعناه فأتوا بسورة مما هو على
صفته في البيان الغريب والنظم الأنيق أو فأتوا ممن هو على حالة من كونه بشرا عربيا أو أميا لم يقرأ
الكتب ولم يقصد إلى مثل ونظير معنى ولكنه كقول من قال للحجاج وقد توعده بقوله لأحملنك على الأدهم
والأشهب أراد من كان على صفة الأمير من السلطان والقدرة وبسطة ولم يقصد أحدا يجعله مثل الحجاج
ورد الضمير على المنزل أوجه وعليه المحققون ويروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن لأن
ذلك يطابق للآيات الأخر فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله ولأن البحث إنما وقع في المنزل
لا في المنزل عليه إذ المعنى وإن ارتبتم أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم شيئا مما يماثله ولو كان
الضمير مردودا إلى الرسول اقتضى الترتيب أن يقال وإن ارتبتم في أن محمدا منزل عليه فأتوا بسورة
ممن يماثله وأيضا لو كان عائدا إلى القرآن اقتضى أن يكون عاجزين عن الإتيان بمثله مجتمعين أو
متفرقين أميين أو قارئين ولو عاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم اقتضى أن يكون الشخص الواحد الأمي

الذي هو مثله عاجزا ولا شك أن الإعجاز على الوجه الأول أقوى ولا سيما فإنه يلزم بالوجه الثاني تقرير
نقص للنبي صلى الله عليه وسلم وإيهام أن الإتيان بالقرآن عمن يكون قارئا ممكن وأيضا الأول هو
الملائم لقوله وادعوا شهداءكم إذ لو كان المراد فليأت واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد لم يحتج
أن يستظهر بالشهداء وهي جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة والمراد بها آلهتهم كأنه قيل إن
كان الأمر كما تقولون من أنها تستحق العبادة لما أنها تنفع وتضر فقد دفعتم في منازعة محمد إلى فاقة
شديدة فتعجلوا الاستعانة بها وإلا فاعلموا أنكم مبطلون فيكون في الكلام محاجة من جهتين من جهة
إبطال كونها آلهة ومن جهة إبطال ما أنكروه من إعجاز وأما الا بقع دون ساهم أي ادعوهم ليعينوكم على
المعارضة أو ليحكموا لكم أو عليكم ومعنى دون أدنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الحقير ودون
الكتب إذا جمعها بتقليل المسافة بينها ويقال هذا دون ذاك إذا كان أحط منه قليلا ودونك هذا أي خذه من
دونك أي من أدنى مكانك فاختص واستعير للتفاوت في الأحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في
الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد كان يثني عليه أنا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع
فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي حكم إلى حكم قال الله لا يتخذ المؤمنون الكافرين
أولياء من دون المؤمنين أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين ومن دون الله متعلق
بشهداءكم أو بادعوا وعلى الأول يحتمل ثلاثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم
أنهم يشهدون لكم يوم القيمة أنكم على الحق وادعوا الذين زعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيمة أنكم على
الحق وادعوا الذين زعمتم أنهم يشهدون لكم بين يدي الله من قول الأعشى شعر تريك القذى من دونها
وهي دونه أي تريك القذى قدام الزجاجة والحال أن الخمر قدام القذى لرقتها وصفائها وفي أمرهم
بأن يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم وادعوا شهداءكم
من دون الله أي من دون أوليائه ومن دون المؤمنين ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله وهذا من المساهلة
وإرخاء العنان والإشعار بأن شهداءهم وهم فرسان البلاغة تأبى الطباع وتجمح بهم الإنسانية والأنفة
أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة الفاسد وعلى الثاني يحتمل معنيين ادعوا من دون الله شهداءكم
يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد أن ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن إقامة البينة
على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهاداتهم ظاهرة تصح بها الدعاوي عند الحكام وهذا
تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وأن الحجة قد بهرتهم ولم يبق لهم متشبث غير قولهم الله يشهد أنا
صادقون سئل بعض العرب عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك والحمد لله في هذا المقام
ريبة أو المراد بالشهداء الله تعالى وكل من له أهلية الحضور من الجن والإنس والآية وإنما استثنى الله
لأنه القادر وحده على أن يأتي بمثله دون كل شاهد واعلم أن التحقيق في التحدي هو أن النبي صلى
الله عليه وسلم يقول إني مخصوص من الله بمزيد الكرامة والنور وجعلني واسطة بينكم وبين هدايتكم
فاتبعوني أهدكم سبيل الخير والرشاد وإن كنتم في ريب مما أقول فانظروا إلى هذا الذي أقدرني عليه بإظهار
الله تعالى إياه على يدي وأنتم لا تقدرون عليه أقدارا لتعرفوا أني خصصت بمزيد فضل من عنده
وأني صادق فيما أقول فإن اتصفوا بمشية الله تعالى ونور هدايته اتبعوه واهتدوا وإلا بقوا في
الضلالة خائبين وكل هذا من عالم الأسباب التي ربط الله بها الوقائع والحوادث حسب ما أراد
ولا يلزم من هذا أن يكون للعبد قدرة مستقلة بنفع التحدي عليها بل الله يهدي من يشاء وكل بقدر
وقوله إن كنتم صادقين قيد لقوله فأتوا ولقوله وادعوا المعطوف عليه ويجوز أن يكون قيدا
لقوله وادعوا لأنه قوله فأتوا مقيد بقوله وإن كنتم وجواب الشرط الثاني محذوف لدلالة ما قبله

وهو مثله عليه التقدير وان كنتم في ريب فاتوا ان كنتم صادقين في ان اصنامكم تعينكم او في ان القران غير معجز فادعوا شهداءكم وانما قلنا الجواب محذوف لان الجزاء لا يتقدم في الشرط فان للشرط صدر الكلام كالاستفهام ولهذا لم يلزم الفاء في قولك انت مكرم ان جئتني وانما تقدم ما يدل عليه ومثل هذا في القران كثير فاعتبر في كل موضع فماسافى له فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الاية فاقول اولا انها تدل على اعجاز القران وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من وجوه احدها انا نعلم بالتواتر ان العرب كانوا يعادونه اشد المعادات ويتهالكون في ابطال امره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج منهم من اقوى ما يدل على ذلك فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع وهو قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو امكنهم الاتيان بمثله لاتوا به وحيث لم ياتوا به ظهر كونه معجزا وثانيها انه صلى الله عليه وسلم ان كان متهما عندهم فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال في وفور العقل فلو خاف عاقبة امره لتهمه منه حاشاه عن ذلك لم يبالغ في التحدي الى هذه الغاية وثالثها انه لو كان لم يكن قاطعا بنبوته لكان يجوز خلافه ويتقدر بخلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع في الكلام قطعا وحيث جزم دل على صدقه ورابعها ان قوله ولن تفعلوا وفي ان التاكيد يبلغ في نفي المستقبل الى يوم الدين اخبار بالغيب وقد وقع كما قال لان احدا لو عارضه لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه عادة لا سيما والطاعنون فيه اكثف عددا من الذابين عنه واذ لم يقع المعارضة الى الان غلب على الظن بل حصل الجزم انها لا تقع ابدا لا سيما والاسلام قد قل شوكة الطاعنين وانما جئ بان الذي للشك دون اذا الذي للوجوب والقطع مع انتفاء اتيانهم بالسورة واجب تبنا على حسبانهم وطمعهم فانهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة لاتكالهم على بلاغتهم وايضا فيه تهكم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق بنفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وانما اختير قوله ولن تفعلوا على قوله فان لم تاتوا بسورة من مثله طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال وحذف مفعول فعل كثير دون مفعول جاء فهو جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا يغنيك عن طول المكنى عنه كما لو قلت اتيت فلانا واعطيته درهما فيقال لك نعم ما فعلت وقوله ولن تفعلوا جملة معترضة لا محل لها وليس الواو للحال وانما هي للاستيناف والمعترضة تجئ بالواو وبدون الواو وقد اجتمعتا في قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما لم يقل فان لم تفعلوا فاتركوا العناد كما هو الظاهر لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره قول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاتبعوني وافعلوا ما هو نتيجة السخط فهو من باب الكناية وفائدة الايجاز الذي هو من حلية القران وتهويل شان العناد بانه الموجب للنار ولهذا شنع بتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح فان قيل صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة قلنا لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوا من رسول الله او يكون اشارة الى ما نزلت بمكة قبل نزول هذه الاية بالمدينة وذلك في سورة التحريم قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ولهذا عرفت ههنا مشارا بها الى ما عرفوه ثمه اولا والمعنى اتقوا نارا ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة او بانها تتقد بنفس ما يراد احراقه واحماؤه او بانها لافراط حرها اذا اتصلت بما لا يشتعل به نارا اشتعلت وارتفع لهيبها ولعل الكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب والحجارة قيل هي حجارة الكبريت وقيل هي ما نحتوها اصناما انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لانهم انما اعتقدوا فيها انها شفعاؤهم عند الله وانهم ينتفعون

بها ويدفعون المضار عن انفسهم جعلها الله عذابهم ابلاغا في ايلامهم وتوبيخا لنقيض مطلوبهم ونحوه ما يفعلون بالذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله انهم يمنعون حقوقها حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم والثاني في الحجارة لتاكيد التانيث في الجماعة وخصصت وقد يدعى في الخلد من هذه الاية ومن قوله نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ان المراد بالحجارة هي الافئدة اي وقودها الناس وقلوبهم وتخصيص القلب بالذكر لانه اشرف الاعضاء واولى بالاحراق ان كان مقصرا في درك ما خلق الانسان لاجله ومعنى اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم وانما فقد العاطف لانها بدل من الصفة واستيناف كانه قيل لمن اعدت هذه النار فقيل اعدت للكافرين ٢٤

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ط أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ط كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ط وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٥

الوقوف الانهار ط رزقا لا لان قالوا جواب كلما متشابها ط خالدون ○ التفسير انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة واجر الكلام الى ذكر عقاب الكافرين شفع ذلك بذكر ثواب المومنين جريا على سنته المعهودة من ذكر الترغيب في الترهيب وضم البشارة الى الانذار والجمع بين الوعد والوعيد والجنة والنار وهل هما مخلوقتان ام لا ظاهر الايات نحو قوله اعدت للمتقين اعدت للكافرين والاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث صلوة الخسوف اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ورايت النار فلم ار كاليوم منظرا قط يدل على وجودهما وكذا اسكن ادم وحوا الجنة وقد جمع الله تعالى في الاية جوامع اللذات من المسكن وهو الجنات ومن المطعم وهو الثمرات ومن المناكح وهو الازواج المطهرات ثم ازال عنهم بعض النقصان بقوله وهم فيها خالدون اتماما للنعمة والحبور وتكميلا للبهجة والسرور والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولهذا قال العلماء اذا قال السيد لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي سره بخبره ولو قال بشرني من اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما قوله فبشرهم بعذاب اليم فمن باب التهكم والاستهزاء فان قيل علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلنا ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى تطلب له مشاكل من امر او نهي انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المومنين على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وقال بعض المحققين وهو معطوف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس فان تقدير القول في القران مع وجود القرينة غير عزيز كقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا اي يقولان ربنا ثم المامور به في قوله وبشر اما الرسول صلى الله عليه وسلم واما كل من له استيهال ان يبشر فالصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة شعر

كيف الهجاء وما ينفك صالحة ○ من ال لام بظهر الغيب تاتيني ○

واللام للجنس والمراد بالصالحات جملة الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المومن في مواجب التكليف واستدل بهذه الاعمال

من قال ان الاعمال غير داخلة في مسمى الايمان والالزام المتكرر ولمن زعم ان الايمان هو المجموع ان يقول عطف بعض الاجزا على كل جايز لغرض كقوله وملايكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال ثم ان ههنا مذاهب منهم من قال ان العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا استحقاقا عقليا واجبا وهو قول اهل السنة ولا يرد عليه اشكال ومنهم من زعم انه يستحق الثواب بالايمان والعمل الصالح بشرط ان لا يحبطها المكلف بالكفر والاقبال على الكبائر والندم على ما اوجد من الطاعة وترك المعصية بدليل نحو قوله لئن اشركت ليحبطن عملك واما طوى ذكر هذا الشرط في الاية للعلم به فانه قد تركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثنا اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وهذا قول المعتزلة ومن يجري مجراهم ومنهم من احال القول بالاحباط لان من امن وعمل صالحا استحق الثواب الدايم فلو فرضنا احباطه بكفره لا يستحق العقاب الدايم والجمع بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب فان الامور بخواتيمها قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل اهل النار وانه من اهل الجنة ويعمل عمل اهل الجنه وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المتظلل بالتفاف اغصانه والتركيب داير على معنى الستر كانها فعلة من جنه اذا ستره وتسمى دار الثواب كلها جنة لما فيه من الجنان على استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فلهذا نكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من باب الاسناد المجازي لان الجاري هو الماء وكذا من تحتها اي من تحت اشجارها وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولاها كانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حيوة لها وانما عرفت الانهار لان المراد بها الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفاكهة تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب ويراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة مثل واشتعل الراس شيبا ويشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير اسن وكلما رزقوا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف اي هم كلما رزقوا او جملة مستانفة لانهم لما قيل ان لهم جنات لم يخلو خلد السامع ان يقع فيها اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس الاخرة لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله ومن في منها ومن ثمرة لابتداء الغاية كما لو قلت رزقني فلان فيقال لك من اين فيقول من بستانه فيقال من اي ثمرة فيقول من الرمان فالرزق قد ابتدا من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدا من ثمرة وليس بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا وتريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة لان التفاحة الواحدة مثلا يصدق عليها انها رزق كما ان التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف ابتداء الرزق من الجنات فاذ ذلك انما يكون بنوع التفاح اولا وبالذات وبتشخصه ثانيا وبالعرض لان التشخص امر زايد على حقيقة الشي فاعلم وانتصاب رزقا على انه مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذي اي هذا مثل الذي رزقنا من قبل نحو ابو يوسف ابو حنيفة لان ذات الذي رزقوه في الجنة لا يكون هي ذات الذي رزقوه في الجنة لا يكون هي ذات الذي رزقوه في الدنيا والضمير في قوله واتوا به يرجع الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين والغرض في تشابه ثمر الاخرة ان الانسان بالمالوف انس والى المعهود اميل ولانه اذا ظفر بشي من جنس ما سلف له به عهد وراى فيه مزية ظاهرة افرط ابتهاجه وطال استعجابه وتبين كونه للنعمة فيه فاذا ابصروا

الدنيا ثم

الرمانة والتفاحة في الدنيا وحجمها حجمها ثم ابصروا رمانة الدنيا تسع السكن والتفاحة كقلال هجر كما يروى الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها كان ذلك ابين للفضل وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك التفاح من غير عهد سابق بجنسهما وترددهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر في ظهور المزية وكمال الاستغراب في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود و العنقود اثنتا عشرة ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا في نفسه اما لتساوي ثوابهم في كل الاوقات في القدر والدرجة حتى لا يزيد ولا ينقص واما لان الانسان اذا التذ بشي واعجب به لا يتعلق بنفسه لا بمثله فاذا جاءه بما يشبهه الزوجه من كل الوجوه كان ذلك نهاية اللذة وعن الحسن ان الاشتباه في الكون فقط قال يوتى احدهم بصحفة فياكل منها ثم يوتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك ويحتمل ان يقال ان كمال اللذة ليس الا في معرفة ذات الله تعالى وصفاته وافعاله من الملايكة الكروبية والملايكة الروحانية وطبقات الارواح وعالم السموات بحيث يصير روح الانسان كالمراة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل في الدنيا ولكن لا يحصل بها كمال الالتذاذ لانها لمكان العلايق البدنية فاذا زال العايق بعد الموت وشاهد تلك المعارف قال هذه هي التي كانت حاصلة لي في الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور وقال اهل التحقيق الجنة جنة الوصول واشجارها هي الملكات الجميلة والاخلاق الفاضلة والثمرات ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار والاشارات والالهامات وعينها من المواهب وانهم يشاهدون احوالا شتى في صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيقول بعض المتوسطين منهم ان هذا المشاهد هو الذي شاهدته قبل هذا فيكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقة اخرى كما ان موسى شاهد نور الهداية في نار فيكون تارة تلك النار نار صفة غضبه كما كان لموسى اذا اشتد غضبه اشتعل قلنسوته نارا وتارة تكون نار المحبة تقع في محبوبات النفس فتحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فانهم وايضا كل شي له صورة في الدنيا فله في الاخرة معنى غيبي كقوله صلى الله عليه وسلم اللون لون الدم والريح ريح المسك وقوله واتوا به متشابها جملة معترضة تفيد زيادة التقرير كقولك فلان احسن الى فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهير الازواج تطهيرهن من الاقذار والادناس لا سيما التي تختص بالنساء وكذا من الاخلاق الذميمة وعادات السوء وهما لغتان فصيحتان النساء فعلت وهن فاعلة والمعنى وجماعة ازواج مطهرات وفي مطهرة فخامة لصفتهن ليست فيما لو قيل طاهرة وهي الاشعار لان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد لعباده ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم وههنا نكتة وهي ان المراة اذا حاضت فالله يمنع من مباشرتها قال فاعتزلوا النساء في المحيض مع انها معذورة في نجاستها فاذا كانت اللواتي في الجنة مطهرات فلان يمنعك عنهن اذا كنت نجسا بالمعاصي مع انك غير معذور فيها كان اولى وايضا من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع الدخول في المسجد الذي يدخل فيه كل بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التي لا يسكنها الا المطهرون وكفى دليلا على ذلك باخراج ادم منها بسبب الزلة الصادرة عنه وايضا من كان على ثوبه ذرة من النجاسة لا يجوز صلوته او يستكره فكيف بمن صلى وعلى قلبه جبال من نجاسات الذنوب والمعاصي والخلود عند المعتزلة الثبات الدايم

قوتها

تارة

والبقا اللازم الذي لا ينقطع بدليل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد نفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم
ومنكم من يرد الى ارذل العمر وعند الاشاعرة الخلد والثبات الطويل دام او لم يدم ولو كان التابيد
داخلا في مفهوم الخلد كان قوله خالدين فيها ابدا تكرارا ويقال في العرف حبسه حبسا مخلدا
ووقف وقفا مخلدا والحق ان خوف الانقطاع ينغص النعمة وذلك لا يليق باكرم الاكرمين وهو اعلم

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ط فَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ه وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَا
ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ط يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ط وَمَا يُضِلُّ
بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ٥ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ط وَيَقْطَعُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ط أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ج

الوقوف فما فوقها ط من ربهم ه لان الجملتين وان اتفقتا وكلمة اما للتفصيل بين المجمل مثلا لانه لو وصل صار ما
بعده صفة له وليس بصفة انما هو ابتداء اخبار من الله عز وجل جوابا لهم ويهدي به كثيرا ط الفاسقين لا لان
الذين صفتهم ميثاقه لعطف المتفقتين في الارض الخاسرون **التفسير** لما بين كون القران معجزا اورد شبهة
اوردها الكفار قدحا في ذلك واجاب عنها عن ابن عباس لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعني قوله
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب قالوا الله اجل واعلى من ان يضرب الامثال فانزل الله هذه الاية
وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما
يشبه هذا كلام الله فنزلت والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واجناس
الارض وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجرأ من
الذباب واضعف من بعوضة وكلفني مخ البعوضة ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان
حب يخالط البر وكحبة من خردل والنخل والحصاة والارضة والدود والزنابير قال مثل ملكوت السماء
كمثل رجل زرع في قريته حنطة جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة فلما نبت
الزرع واشتد غلبه الزوان فقال عبيد الزارع يا سيدنا اليس حنطة جيدة نقية زرعت في قريتك فقال
بلى قالوا فمن اين هذا الزوان قال لعلكم ان ذهبتم ان تقلعوا الزوان ان تقلعوا معه حنطة دعوهما يتربيان
جميعا حتى الحصاد فامر الحصادين ان يلتقطوا الزوان من الحنطة وان يربطوه حزما ثم يحرق بالنار وتجمعوا
الحنطة الجرين وافسر لكم ذلك الرجل الذي زرع الحنطة الجيدة هو ابو البشر والقرية هي العالم والحنطة الجيدة
النقية هو ابناء الملكوت الذين يعملون بطاعة الله والعدو الذي زرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصي
التي زرعها ابليس واصحابه والحصادون هم الملائكة يتركون الناس حتى يدنو اجالهم فيحصدون اهل الخير
الى ملكوت الله واهل الشر الى الهاوية وكما ان الزوان يلتقط ويحرق بالنار فكذلك رسل الله وملائكته
يلتقطون من ملكوته المتكاسلين بجميع عمال الاثم فيلقونهم في اتون الهاوية فيكون هنالك البكاء وصريف
الاسنان ويكون الابرار هنالك في ملكوت ربهم من كانت له اذن تسمع فليسمع ه واضرب لكم مثلا اخر

يشبه ملكوت السماء رجلا اخذ حبة الخردل وهي اصغر الحبوب فزرعها في قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت
كاعظم شجرة من البقول وجاء طير السماء تعشش في فروعها فكذلك الهدى من دعا اليه ضاعف الله
اجره وعظمه ورفع ذكره ونجا به من اهتدى وقال لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم
تخرج الحكمة من افواهكم وتبقون الغل في صدوركم وقال قلوبكم كالحصاة التي لا ينضجها النار ولا يلينها الماء
ولا ينسفها الرياح وقال لا تدخروا ذخائركم عباد الله تختبر فقد ذاب عليها لباسها وهناك رزقها وهن لا يزرعن
ولا يحصدن ومنهن ما هو في جوف الحجر الاصم وفي جوف العود من ياتيهن بلباسهن وارزاقهن الا الله افلا
تعقلون وقال لا تثيروا الزنابير فيلدغكم كذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتموكم ونحن نرى ان الانسان
يذكر معنى فلا يلوح كما ينبغي فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف وذلك ان من طبع الخيال حب المحاكات فاذا
ذكر المعنى وحده ادركه العقل ولكن مع منازعة الخيال واذا ذكر التشبيه معه ادركه العقل مع معاونة الخيال
ولا شك ان الثاني يكون اكمل واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب ذكره في الكتاب الذي
انزل تبيانا لكل شيء ثم ان الله تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير وحكمته في كل ما خلق وبراه عامة بالغة
وليس الصغير احب اليه من الكبير ولا الكبير اصعب عليه من الصغير فالمعتبر اذن ما يليق بالقصة
فاذا كان اللائق بها الذباب والعنكبوت فحسنة مذهب المثل ودونه فكيف يضرب بالفيل ويشبه بمستحكم
النسج والصفاقة وهذا انما لا يخفى على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت دفع الواضح وانكار
المستقيم **شعر** وكم من عائب قولا صحيحا ه وآفته من الفهم السقيم ه والحياء تغير وانكسار يعتري
الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي اذا اشتكى
النسا والحشا فكان الحيي صار منتقص القوة منتكس الحيوة وقد عرفت في الاسماء الحسنى ان امثال
هذه الصفات انما يجوز ان يطلق على الله تعالى بعد الاذن الشرعي باعتبار النهايات لا باعتبار المبادي
كحديث سلمان رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه
العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا انما جاء على سبيل لانه مثل لتركه العبد ترك من يترك
رد المحتاج اليه حياء منه معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي
ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان يقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب
مثلا بالذباب والعنكبوت فجاء على سبيل المقابلة والطباق وهو فن بديع قال ابو تمام **شعر** من مبلغ افناء
يعرب كلها ه اني بنيت الجار قبل المنزل ه فلولا بناء الدار لم ينصح بناء الجار وقد استعير الحيا فيما لا يصح منه
اذا استحيى الماء يعرض نفسه ه كرعن بسبت في اناء من الورد ه يصف كثرة مياه الامطار في طريقه وانه
انما ذهب راي الماء وكانه يعرض نفسه على الذوق فتستحيي فتكرع فيه مسافرا كانها السبت وهو الجلد
المدبوغ بالقرظ وشبه الارض وفيها الماء وحواليه الازهار باناء من الورد وفيه لغتان استحييت منه واستحييته
وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اصطنع
رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية اقترنت باسم نكرة زادته شياعا وعموما
كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم اي مثلا حقا
او البتة وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا وذلك ان ما يضرب به المثل قد يسمى مثلا كما يقال حاتم
مثل في الجود او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليها او انتصابا مفعولين يجري ضرب مجرى
جعل والبعوض في الاصل صفة على فعول من البعض القطع فغلبت ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه
وفي معناه البضع والعضب ومن غرائب خلقه انه مع صغره اعطي كل ما اعطي الفيل مع كبره ففيه اشارة
الى خلق احدهما ليس باصعب من خلق الاخر واشارة الى حالة الانسان وكمال استعداده كما قال صلى الله عليه

وسلم ان الله خلق ادم علي صورته اي علي صفته فاعطاه علي ضعفه من كل صفة من صفات جماله وجلاله انموذجا ليشاهد في مرآة نفسه جمال صفات ربه ومن العجائب ان خرطومه في غاية الصغر ومع ذلك مجوف ومع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص في جلد الجاموس والفيل علي ثخانته كما يضرب الرجل اصبعه في الخبيص وذلك لما ركب الله تعالي في راس خرطومه من السم وقوله فما فوقها اي فالذي هو اعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب فان القوم انكروا تمثيل الله بكل هذه الاشيا او اراد فما فوقها في الصغر كجناح البعوضة حيث ضربه النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وهذا اولى لان الاية في بيان ان الله تعالي لا يمتنع من التمثيل بالشي الحقير فيجب ان يكون المذكور ثانيا اخص من الاول والفاء ههنا تفيد الترتيب في الذكر لانه يذكر في هذا المقام الاخس فالاخس كقوله شعر يا دارمية بالعلياء فالسند لانه يذكر في تعريف الامكنة الاخص فالاخص فكان العليا موضع وسبع يشتمل علي مواضع منها السند واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك اجاب بالفاء وفايدته التوكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت التوكيد وان الذهاب منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شي فزيد ذاهب وليس مراده من هذا التفسير ان اما بمعنى مهما كيف وهذه حرف ومهما اسم بل قصده الي المعنى البحت اي ان لم يكن في الدنيا شي يوجب ذهاب زيد فهذا جزم بوقوع ذهابه لانك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول اي شي في الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول شي فيها ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي علي الكافرين رميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره حق الامر ثبت ووجد والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعني الذي فيكون كلمتين ما مبتداء وخبره ذا مع صلته وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون منصوب المحل في حكم ما وحده فقلت ما اراد الله وجوابه علي الاول مرفوع وعلى الثاني منصوب وقد يجي علي العكس كما تقول في جواب من قال ماذا رايت خير اي المرئي خير وجواب ما الذي رايت خيرا اي رايت خيرا والارادة نقيض الكراهة قال الامام الرازي ماهية يجدها العاقل من نفسه ويدرك التفرقة البديهية بين علمه وقدرته والمه ولذته والمتكلمون انها صفة تقتضي رجحان احد طرفي الجائز علي الاخر لا في الوقوع بل في الايقاع واحترز بهذا القيد الاخير عن القدرة واختلفوا في كونه تعالى مريدا مع اتفاق المسلمين علي اطلاق هذا اللفظ علي الله تعالى فزعم النجاري انه معنى سلبي ومعناه انه غير ساه ولا مكره ومنهم من قال انه ثبوتي ثم اختلفوا فالجاحظ والكعبي وابو الحسين البصري معناه علمه تعالي باشتمال الفعل علي المصلحة او المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعي او الصارف والاشاعرة وابو علي وابو هاشم واتباعهما انه صفة زايدة علي العلم ثم القسمة في تلك الصفة انها اما ان تكون ذاتية وهو القول الاخر للنجار واما ان تكون معنوية وذلك المعنى اما ان يكون قديما وهو قول الاشعري او محدثا وذلك المحدث اما ان يكون قايما بالله تعالى وهو قول الكرامية او قايما بجسم اخر ولم يقل به احد او موجودا لا في محل وهو قول ابو علي وابي هاشم واتباعهما وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عايشة في عبد الله بن عمرو بن العاص حين افتى بنقض ذوايب النساء في الاغتسال يا عجبا لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا نصب علي التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف ينتفع بهذا سلاحا او علي الحال نحو هذه ناقة الله لكم اية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما واهل الهدى كثير في انفسهم وحيث يوصفون بالقلة وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بالقياس الي اهل الضلال وايضا فان المهديين كثير

في الحقيقة وان قلوا في الصورة شعر ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الي الله تعالي اسناد الفعل الي السبب البعيد لانه لما ضرب المثل ازداد المؤمنون نورا الي نورهم فتسبب لهداهم وزادت الكفرة رجسا الي رجسهم فتسبب لضلالهم عن الحق والفسق الخروج عن القصد قال ذو الرمة شعر فواسقا عن قصدها جوايرا يذهبن في نجد وغورا غايرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو عند اهل السنة من اهل الايمان الا انه عاص وعند الخوارج كافر وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين لانه حكمه حكم المومن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلوة لا تجوز خلفه ويقال للخلعاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يعني اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون النقض الفسخ وفك التركيب وانما ساغ استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل علي سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك عالم يغترف منه الناس فتنبه بالاغتراف عن العالم بانه بحر وسكت عن المستعار لانك رمزت اليه بذكر شي من روادفه والعهد الموثق عهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد بالناقضين اما كل من ضل وكفر لانهم نقضوا عهد الله الذي ارتمه الله بادلة وحدانيته في الافاق وفي انفسهم وبما ركز في عقولهم من اقامة البينة علي الصانع وعلي توحيده وعلي حقية شرايعه بعد ان ازاحة العلات وازالة الشبهات واما قوم من اهل الكتاب قد اخذ عليهم العهد والميثاق في الكتب المنزله علي انبيايهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وبين لهم امره وامر منه فنقضوا ذلك واعرضوا عنه وجحدوا نبوته وقيل عهد الله الي خلقه ثلثة عهود العهد الذي اخذه علي جميع ذرية ادم واذ اخذ ربك من بني ادم الاية وعهد خص به النبيون ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلما واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد والميثاق اما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة واما اسم لما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يرجع الضمير الي الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من اياته وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل اما قطيعة ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والرحم او قطعهم موالاة المومنين الي موالاة الكافرين او ما بين الانبيا من الوصلة والاتحاد والاجتماع علي الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعوا اليه من يتولاه شبه بامر يامره فقيل له امر تسمية بالمفعول به بالمصدر كانه مامور به وللامر حرف واحد وهو اللام الجازم نحو ليفعل وصيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل ونزال وصه وقد يستعمل في الدعاء والالتماس بمعونة وظاهره للوجوب وغيره من الندب والاباحة يتوقف علي القرينة وقوله ان يوصل بدل الاشتمال من الضمير المجرور والجار الذي ينبغي ان يعاد مقدر تقديره بان يوصل اي بوصله والافساد في الارض اما اظهار المعاصي واما التنازع واثارة الفتن اوليك هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفا والقطع بالوصل والافساد بالاصلاح وعقاب هذه الامور بثوابها ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ

ترجعون ۝ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسوىهن سبع سموات ط وهو بكل شيء عليم ۝ ۝

القراءة ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم كل القران يعقوب وهي وبابه بسكون الهاء ابو جعفر ونافع غير ورش وعلي وابو عمرو فاحياكم وبابه بالامالة علي الوقوف فاحياكم ج للعدول اي ثم هو يميتكم مع اتحاد مقصود الكلام ترجعون ۝ سموات ۝ عليم ۝ التفسير هذه الاية لبيان التعجب من حال الكفرة وذلك ان الاستفهام من علام الغيوب يمتنع اجراؤه على اصله فيتولد بمعونة قرائن الاحوال ما ذكرنا ووجهه ان الكفار حين صدور الكفر منهم لابد ان يكونوا على احدي الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين ولا ثالثة فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله ومن المعلوم ان كيف للسؤال عن الحال والكفر لابد له من اختصاص من بين سائر احوال الكافر بالعلم بالصانع والجهل به لانه لا يمكن تصور كفر الكافر بالصانع مع الذهول عن كونه عالما او جاهلا به بخلاف سائر احواله المتقابلة كالقعود والقيام والسكون والحركة فانه يمكن تصور كفر الكافر مع الذهول عنها وان كان لا ينفك الكافر في الوجود عنها كما لا ينفك من العلم بالصانع او الجهل به في الوجود توجه الاستفهام الي ذلك الذي له مزيد اختصاص فافاد الاستفهام اي حال العلم بالله كيف تكفرون ام في حال الجهل بعيد عن العاقل لان الحال الحال علم بهذه القصة وهي ان كانوا امواتا فصاروا احياء وسيكون كذا وكذا من الاماتة ثم الاحياء ثم الرجع اليه فينفي ان يكون الحال حال العلم بالصانع الموجبة للصرف عن الكفر بصدور الفعل عمن له صورة اجتناب في الترك مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ مكانه قيل ما اعجب اكفركم والحال انكم عالمون بهذه القصة وهي ان كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة وهذه مما لا يشك فيها لانها من المشاهدات ثم يحييكم حتى ينفخ في الصور او حين تسألون في القبور ثم اليه اي الي حكمه ترجعون اي بعد الحشر للثواب والعقاب او من قبوركم وهذه القضايا ايضا مما لا يشك فيها لنصب الادلة وازاحة العلة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد كقوله بلدة ميتا ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس ويحتمل ان يقال المراد به خمول الذكر كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال ابو نخيلة السعدي شعر واحييت لي ذكري وما كنت خاملا ۝ ولكن بعض الذكر انبه من بعض ولا يخفى ان الاية بالنسبة الي العامة واما بعض الناس فقد اماتهم ثلث مرات فاماته الله مائة عام ثم بعثه فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ۝ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ۝ وكذلك بعثناهم ليتسائلوا بينهم ۝ واعلم ان هذه الاية دالة على امور منها اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع وانبائه اهله ومثلهم معهم ومنها الدلالة على انه لا قدرة ولا اماتة الا لله فيبطل قول الدهري وما يهلكنا الا الدهر ومنها الدلالة على صحة الحشر مع التنبيه على الدليل العقلي الدال عليه لان الاعادة اهون من الابتداء ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على وجوب الزهد في الدنيا لانه قال فاحياكم اي بعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة اخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضاء مهلة الحيوة ثم بين انه لا يترك على هذا لابد من حيوة ثالثة للسؤال وللحشر ثانيا ثم من الرجوع اليه للثواب او العقاب وبين سبحانه انه بعد ما كان نطفة فانه احياه وصوره احسن صورة وجعله بشرا سويا واكمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملكه الاموال والاولاد

والدرر والقصور ثم انه تعالى يزيل كل ذلك عنه بانه يميته ويصيره بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى منه في الدنيا اثر ولا عثير ويبقى مدة في اللحد ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فينادي ولا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم لا يزوره الاقربون بل ينساه الاهل والبنون شعر بينا اتاني بجذاء فرحي كان اقاربي لي يعرفوني اذا اتانا من ترى في الاجداث مغبرة رؤسنا شاحبة وجوهنا جائعة بطوننا مثقلة من حمل الاوزار ظهورنا بادية لاهل الغيبة سوآتنا فلا تضعف مصائبنا بالاعراض عنا يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ولما ذكر الله تعالى في الاية الاولى اصل جميع النعم وهو الاحياء الذي من حقه ان يشكر ولا يكفر اعقبها بذكر ما هو كالاصل لسائر النعم وهو خلق الارض بما فيها وخلق السموات وتسويتهن لاجلكم ولانتفاعكم في دنياكم وذلك ظاهر وفي دينكم من النظر في عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم من التذكير بالاخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والالم والنيران والصواعق والسباع والاجناس والسموم والغموم والمخاوف وظاهر الاية لا يدل الا على خلق ما خلق لاجلهم دون الارض فان اريد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد به الجهات العلوية جاز ان يراد خلق لكم الارض وما فيها وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني وهو ما اي مجموعة والمجموع الذي جمع من هيهنا وهيهنا وان لم يجعل كالشيء الواحد ويندرج فيها جميع البسائط من الماء والهواء والنار وجميع المواليد من المعادن والنبات والحيوان ونوع الصنائع والحرف وبعضهم يستدل على ان الاصل في الاشياء الاباحة عقلا لكل احد ان يتناولها وينتفع بها ويمكن ان يقال بل بعكسه الاية والا كان تصرفنا في ملك الغير من غير اذنه ولا يلزم من انه تعالى خلق ما في الارض لاجل المكلفين ان يكون فعله معللا بغرض وان كان لا يخلو من فائدة وغاية والا كان عبثا لانه لا يلزم من استتباع الفعل الغاية ان يكون تلك الغاية علة لعلية فاعله لان هذا انما اذا كان فاعليته ناقصة تستكمل بتلك الغاية اما اذا كانت فاعليته تامة فانه يوجد الشيء ذا الغاية من غير ان تكون تلك الغاية حاملة له على ذلك وهذا فرق دقيق يتنبه له من يسر عليه فان قيل انه تعالى خلق الكل للكل فلا يكون لاحد اختصاص بشيء اصلا قلنا قابل الكل بالكل مقابلة الفرد بالفرد والتعيين يستفاد من دليل منفصل والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام وانه تعالى منزه عن ذلك وايضا ثم تقتضي التراخي فلو كان المراد بهذا الاستواء العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا ازلا ولم يكن متاخرا عن خلق ما في الارض فيجب التاويل وتقريره انه يقال استوى العود اذا اعتدل ثم قيل استوى كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الي السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الي فوق او هذا كقولك اعمل هذا الثواب وانما معه غزل على انها كانت دخانا ثم سويها بسبع سموات وثم هيهنا اما للتراخي في الوقت والمراد انه حين قصد الي السماء لم تحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر كما قلنا او للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات على خلق الارض كقوله ثم كسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر ۝ وكقوله ثم كان من الذين امنوا ونقيض هذه الاية قوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ۝ يعني تقدير الارض في يومين وتقدير الاقوات في يومين كما يقول القائل من الكوفة الي المدينة عشرون والي مكة ثلثون يريد ان جميع ذلك هذا القدر ثم استوى الي السماء في يومين اخريين ومجموع ذلك ستة ايام كما قال خلق السموات والارض في ستة ايام فان قيل اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها قلنا اجاب

في الكشاف لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السما واما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض
في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات
وامسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق ه ورد بان الارض
جسم عظيم يمتنع انفكاك خلقها عن التدحية وايضا قول الله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى
السماء يدل على ان خلق الارض وخلق ما فيها مقدم على خلق السما لكن خلق الاشيا في الارض لا يمكن الا اذا كانت
مدحوة وقال بعض العلما في رفع التناقض والارض بعد ذلك دحيها يقتضي تقدم خلق السماء على الارض
ولا يقتضي ان يكون تسوية السما مقدمة على خلق الارض ورد ايضا بان قوله ءانتم اشد خلقا ام السماء
بناها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها يقتضي ان يكون خلق
السما وتسويتها مقدمة على تدحية الارض بل على خلقها لانها مثلا زمان وحينئذ يعود التناقض والمعتمد
عند بعضهم في دفعه ان يقال ثم ليس للترتيب ههنا وانما هو على جهة تعديد النعم مثاله ان تقول لغيرك
الست قد اعطيتك نعما عظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت عنك الخصوم ولعل بعض ما اخرته في الذكر
مقدم في الوقوع قلت وهذا صحيح معقول من حيث ابتداء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف
ان ساعده النقل والا فلا احالة في انه تعالى خلق الارض اولا في غاية الصغر وجعل فيها اصول الجبال ووضع
فيها البركة وقدر فيها الاقوات ثم استوى الى السما فسويهن سبعا ثم دحا الارض بان جعلها اعظم مما كانت
عليه كهيئته الان والله تعالى اعلم والضمير في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره نحو ربه
رجلا وفائدة الابهام اولا ثم البيان ثانيا ان الكلام هكذا اوقع في النفس لان المحصول بعد الطلب اعز
من المساق بلا تعب وقيل الضمير راجع الى السما والسما في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه
العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور واتمام خلقهن وهو
بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب الحاجات
وكذا المصالح ومقتضى الحكمة والتدبير وهذا عام لم يدخله التخصيص قط وفيه يهدم بناء من زعم انه غير
عالم بالجزئيات لانه لو لم يعرف تفاصيلها لم يكن مخلوقا نه في غاية الاتقان والاحكام فسبحانه من خبير يعلم
الذرة في الاجواف والدرة في الاصداف والقطرة في البحر والمنطوق في الحجر وعلى هذا ابدع نظام العالم وبه
يحصل قوام مناهج بني ادم ثم ان النقل قد دل على وجود سبع سموات وتخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي
الزايد فاثبت اهل الارصاد تسعة افلاك على ما استقر عليه رايهم اولها من الجانب الاعلى للحركة اليومية
لان هذه الحركة اليومية لان هذه الحركة تشتمل على جميع الاجرام فيجب ان يكون فلكها حاويا بالكل وثانيها
بالثوابت جميعها تجد بذا الادنى الدرجات لاتحاد الحركات وان كان كونها على فلك شتى جائزا والسبعة الباقية
للسيارات السبعة جميع ذلك يوجد اختلاف المنظر وعدمه وعلى ترتيب خسف بعضها على بعض اولها
ما يلينا للقمر وفوقه لعطارد ثم للزهرة ثم للشمس ثم للمشتري ثم لزحل ونانه عنهم بعض الناس لزيادة
الفلكين الثامن والتاسع فقال من المحتمل ان يتصل نفس بمجموع السبعة يحركها حركة الكل ثم يكون لكل فلك نفس
على حدة تحركه حركته الخاصة به ويكون الثوابت على محدب ممثل زحل مثلا وبالجملة فلم يتبين لاحد من
الاوايل والاواخر كمية اعداد السموات على ما هي عليه لا عقلا ولا سمعا وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ
فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

القراءة خليفة واشباهها بالامالة عند الوقف ابو عمرو وحمزة وعلي والاعشى والبرجمي الا ان يكون
قبلها من الحروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف نحو خاصة وقبضة
وحطه وغلطه وصبغة وصاخة وشقة واما العين والحاء والراء فعلى الاختلاف عن اهل المدينة والاشدهم
امالة حمزة وعلي فاما ابو عمرو والاعشى والبرجمي فانهم يميلون بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب اني
اعلم بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف خليفة ط على ان عامل محذوف اي اذكر ومن
جعل قالوا اذ يصل الدماء لان انتهاء الاستفهام على قوله ويسفك الدماء يقتضي الفصل واحتمال الواو
لمعنى الحال في قوله ونحن نسبح يقتضي الوصل ونقدس لك ط ما لا تعلمون ٣٠ التفسير هذا ابتداء
الاخبار عن كيفية خلق ادم عليه السلام وعن كيفية تعظيمه اياه فينخرط في سلك ما تقدمه من
النعم فان النعمة على الاباء نعمة على الابناء واذ ههنا مجرد لمعنى الظرفية اي اذكر وقت قول ربك كقوله
واذكر اخا عاد اذ انذر قومه اي وقت انذاره على انه بدل من اخا عاد لان الذكر في ذلك الوقت ممتنع
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل احد من بني ادم ويجوز ان ينتصب بقالوا فيكون للحكاية والملائكة
جمع ملاك والاصل مالك بتقديم الهمزة من الالوكة وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملاك وجمع
على فعائل مثل شمال وشمائل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال والقيت حركتها على اللام والحاق التاء
لتانيث الجمع نحو حجارة وقد لا تلحق واعلم ان الملك قبل النبي بالشرف والعلية وان كان بعده في عرف لنا
واذهاننا وقد جعله الله واسطة بينه وبين رسله في تبليغ الوحي والشريعة وقدم ذكر الايمان بالملائكة
على ذكر الايمان بالانبياء والمومنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا خلاف بين العقلا في
ان شرف العالم العلوي بالملائكة كما ان شرف العالم السفلي بوجود الانبيا فيه وللناس في حقيقة الملائكة
مذاهب منهم من زعم انهم اجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات
وهو قول اكثر المسلمين ومنهم عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هي هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد
والانحاس وانها احياء ناطقة فالمسعدات ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب ومنهم معظم
المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران قادران متضاد
النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا
يضر وينفع ولا يمنع ويحيي ولا يبلي وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة لا على سبيل
التناكح بل كتولد الحكمة عن الحكيم والضوء من المضيء وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين تولد
السفه من السفيه ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم طوايف من
النصارى انها هي الانفس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية خيرة فالملائكة وان كانت
خبيثة كثيفة فالشياطين وقال اخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية
وانها اكمل قوة واكثر علما ونسبتها الى النفوس البشرية نسبة الشمس الى الاضواء فمنها نفوس ناطقة
فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من اثبت انواعا اخر من الملائكة وهي الارضية المدبرة لاحوال
العالم السفلي خيرها الملائكة وشريرها الشياطين ولكل من الفرق دلايل على ما ذهب اليه يطول ذكرها
ههنا وقد يستدل عليها اصحاب المجاهدات من جهة المكاشفات واصحاب الحاجات والضرورات
من جهة مشاهدة الاثار العجيبة والهداية الى المعالجات النادرة الغريبة وتركيب المعجونات واستخراج
صنعة الترياقات كما يحكى ان جالينوس وجع في الكبد فراى في المنام كان امرا امره ان يفصد
الشريان الذي ظهر الكف اليمنى بين السبابة والابهام ففعل فعوفي ومما يدل على ذلك حال الرؤيا الصادقة
ولا نزاع بين الانبياء في اثبات الملائكة وذلك كالامر المجمع عليه بينهم واما شرح كثرتهم فقد قال

٤٠ صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع
وروي ان بني ادم عشر الجن والجن وبنو ادم عشر حيوانات البر وهولاء كلهم عشر الطيور وهولاء
كلهم عشر حيوانات البحر وكلهم عشر ملايكة الارض الموكلين وكل هولاء عشر ملايكة السماء الدنيا وكل
هولاء عشر ملايكة السما الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملايكة السماء السابعة ثم الكل في مقابلة
الكرسي نزر قليل ثم كل هولاء عشر ملايكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستماية الف
طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيها وما بينها كلها شيئا يسيرا وقدرا
قليلا وما مقدار قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع او قايم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هولاء في
مقابلة الملايكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم الا الله ثم مع هولاء
ملايكة الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام فالملايكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام وهم
كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون عن عبادته ولا يسامون واما اصنافهم فمنهم حملة العرش
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم اكابر الملايكة جبريل صاحب العلم والوحي وميكاييل
صاحب الرزق والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزراييل ملك الموت ومنهم ملايكة الجنة والملايكة
يدخلون عليهم من كل باب ومنهم ملايكة النار عليها تسعة عشر ومنهم الموكلون ببني ادم عن اليمين
وعن الشمال قعيد ومنهم الموكلون باحوال هذا العالم والصافات صفا واما اوصافهم فكما قال امير
المومنين عليه السلام منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون
لا يسامون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على
وحيه والسنة على رسله ومختلفون بقضايه وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه
ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السما العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار
اركانهم والمناسبة لقوايم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة
بينه وبين من دونهم حجب العز واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير عنها ولا يجرون عليه
صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه ثم انه روى الضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه سبحانه انما قال هذا القول للملايكة الذين كانوا محاربين مع ابليس لان الله تعالى
لما اسكن الجن الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في جند
من الملايكة فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزاير البحر فقال تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة
وقال الاكثرون من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة الملايكة من غير تخصيص لان لفظ
الملايكة يفيد العموم والتخصيص خلاف الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان معناه مصير
في الارض خليفة وانما لم يقل اني خالق كما قال اني خالق بشرا من طين لانه باعتبار الخلافة من عالم
الامر لا من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها ما بين الخافقين وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الارض ههنا ارض مكة التي دحيت الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره ويقوم
مقامه اسم يصلح للواحد والجمع والمذكر والمونث وجمعه خلايف مثل كريمة وكرايم وجاء خلفاء
لانهم جمعوه على اسقاط الها مثل ظريف وظرفاء والمراد به ادم اما لانه صار خليفة لاوليك الجن الذين
تقدموه واما لانه يخلف الله في الحكم بين خلقه كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم
بين الناس بالحق وهو المروي عن ابن مسعود والسدي وعن الحسن ان المراد بالخليفة ابناء ادم لانه
يخلف بعضهم بعضا وبه قوله وهو الذي جعلكم خلايف الارض وانما وحد بتاويل من يخلف او خلفا
يخلف وبالحقيقة الانسان يخلف جميع الكونات من الروحانيات والجسمانيات والسماويات والارضيات

ولا

ولا يخلفه شي منها ان لم يجتمع في شي منها ما اجتمع فيه وليس للعالم مصباح يضيء بنار نور الله فيظهر
انوار صفاته خلافة عنه الا مصباح الانسان لانه اعطي مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في
مشكوة الجسد وفي زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها يضيء من صفا ولو لم تمسسه نار النور وفي
مصباح السر فتيلة الخفي فاذا استنار مصباحه بنار نور الله كان خليفة الله في ارضه فيظهر انوار صفاته
في هذا العالم بالعدل والاحسان والرافة والرحمة واللطف والقهر ولا يظهر هذه الصفات لا على الحيوان
ولا على الملك فاعلم والفايدة في اخبار الملايكة بذلك اما تعليم العباد المشاورة في امورهم وان كان بحكمته
البالغة غنيا عن ذلك وليسالوا سوال ذلك فيجابوا بما اجيب واعلم ان الجمهور من علماء الدين على
ان الملايكة كلهم معصومون عن جميع الذنوب لقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يومرون
فلا شي من المامورات بل ومن المنهيات لان المنهي مامور بتركه الا ويدخل فيه بدليل صحة الاستثنا
وايضا لقوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون الى غير
ذلك من الايات وطعن فيهم بعض الحشوية بانهم قالوا اتجعل والاعتراض على الله من اعظم الذنوب
وايضا نسبوا بني ادم الى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكباير وايضا مدحوا انفسهم بقولهم ونحن
نسبح بحمدك وهو عجب وايضا قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا اعتذار والعذر دليل الذنب وايضا قوله
ان كنتم صادقين دل على انهم كانوا كاذبين فيما قالوه وايضا قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض يدل على انهم كانوا مرتابين في انه تعالى عالم بكل المعلومات وايضا علمهم بالافساد وسفك الدما
اما بالوحي وهو بعيد والا لم يكن لاعادة الكلام فايدة واما بالاستنباط والظن وهو منهي ولا تقف ما
ليس لك به علم وايضا قصة هاروت وماروت وان ابليس كان من الملايكة المقربين ثم عصى الله
وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله ان غرضهم من ذلك السوال لم يكن هو الانكار ولا تنبيه
الله على شي لا يعلمه فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك امور منها ان الانسان اذا كان قاطعا
بحكمة غيره ثم راه يفعل فعلا لا يهتدي ذلك الانسان الى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجبا
فكانهم قالوا اهله النعم الظام من يفسد ويسفك لا تفعله الا لوجه الدقيق وسر غامض فما ابلغ حكمتك
ومنها ان ايراد الاشكال طلبا للجواب غير محذور فكانه قيل الهنا انت الحكيم الذي لا يفعل السفه البتة
وتمكين السفيه من السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين الامرين وهذا جواب المعتزلة واستدلوا
به على ان الملايكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله تعالى فكانوا على مذهب اهل العدل قالوا ومما يوكد
ذلك انهم اضافوا الفساد وسفك الدما الى المخلوقين لا الى الخالق وايضا قالوا ونحن نسبح والتسبيح
تنزيه ذاته عن صفة الاجسام والتقديس تنزيه افعاله عن صفة الذم ونعت السفه
ومنها ان الخيرات في هذا العالم غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر
كثير فالملايكة نظروا الى الشرور فاجابهم الله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون اي من الخيرات الكثيرة التي
لا يتركها الحكيم لاجل الشرور القليلة وهذا جواب الحكما ومنها ان سوالهم كان على وجه المبالغة
في اعظام الله تعالى فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان يكون له عبد يعصيه ومنها ان قولهم
اتجعل مسالة منهم ان تجعل الارض او بعضها لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول موسى اتهلكنا بما فعل السفها
اي لا تهلكنا فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من صلاحكم بصلاح هولاء فتبين ان الاختيار لهم السماء ولهولاء
الارض ليرضى كل فريق بما اختاره الله له ومنها ان الاستفهام خارج مخرج الايجاب كقول جرير شعر
الستم خير من ركب المطايا اي انتم كذلك والا لم يكن مدحا فكانهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك
لانا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب والحكمة فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهره وهو

الفساد والقتل وانا اعلم ظاهرهم وما في باطنهم من الاسرار الخفية التي تقتضي ايجادهم وفيه ان استحقاق
ملك الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه ببيان العناية وانه تعالى غني عن طاعة المطيعين كما انه
لا يضره معصية المذنبين والجواب عن الغيبة ان من اراد ايراد السؤال وجب ان يتعرض لمحل الاشكا
ولذلك ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة وعن العجب ان مدح النفس غير ممنوع منه مطلقا واما
بنعمة ربك فحدث فكانهم قالوا ما سالناك للقدح في حكمك يا رب فانا نعترف لك بالالهية والحكمة بل لطلب
وجه الحكمة وعن الاعتذار لم يكن للذنب بل لان ترك السؤال كان اولى ويروى عن الحسن وقتادة
ان الله تعالى لما اخذ في خلق ادم همست الملائكة فيما بينهم وقالوا ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق فلن يخلق الا
كنا اعظم منه واكرم عليه فلما خلق ادم عليه السلام وفضله عليهم وعلمه الاسماء كلها فقال انبئوني
باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في انه لا يخلق خلقا الا وانتم اعظم منه وافضل ففزعوا الى التوبة وقالوا
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا في اخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوها منها
انهم قالوا ظنا اما لانهم قاسوه على حال الجن الذين كانوا قبل ادم عليه السلام في الارض وهو مروي
عن ابن عباس والكلبي واما لانهم عرفوا خلقته وعلموا انه مركب من الاركان المتخالفة والاخلاط المتنا
فية الموجبة للشهوة التي منها الفساد والغضب الذي منه سفك الدما ومنها انهم قالوا ذلك عن اليقين
ويروى عن ابن مسعود وناس من الصحابة وذلك انه تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا
ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية في الارض يفسدون ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند
ذلك قالوا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما وانه تعالى كان قد اعلم انه اذا كان في الارض خلق
عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدما او لانه لما كتب القلم في اللوح ما هو كائن الى يوم القيمة فلعلهم طالعوا اللوح
فعرفوا ذلك او لان معنى الخليفة اذا كان النائب لله في الحكم والقضاء والاحتياج الى الحاكم انما هو عند التنازع
والتظالم كان الاخبار عن وجود الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام وقيل لما خلق الله
النار خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا لم خلقت هذه النار قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق
الا الملائكة ولم يكن في الارض خلق البتة فلما قال اني جاعل في الارض خليفة عرفوا ان المعصية منهم
تظهر ومناقضة ابليس وهاروت وماروت فنبحث الكلام فيهما واختلف الناس في ان الملائكة لهم
قدرة على المعاصي والشرور ام لا فالفلاسفة وكثير من اهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم على
الشر والمعتزلة اثبتوا لهم قدرة على الامرين لان قولهم اتجعل اما معصية او ترك الاولى وعلى التقديرين
فالمقصود حاصل وايضا قال تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا يقتضي كونهم
مزجورين وقال لا يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار
ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله تعالى يمتنع عليه تركه مع انه يستحق المدح على
الثواب والواو في ونحن نسبح للحال كقولك اتحسن الى فلان وانا احق بالاحسان والتسبيح تبعيد
الله من السوء وكذا التقديس من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد والتبعيد عن
السوء اما في الذات ويحصل بنفي الامكان المستلزم لنفي الكثرة المستلزم لنفي الجسمية والعرضية والضد
والند واما في الصفات بان يكون مبرأ عن العجز والجهل والتغيرات محيطا بكل المعلومات قادرا
على كل المقدورات واما في الافعال بان لا يكون افعاله لجلب المنافع ودفع المضار بقول الله تعالى انا
المنزه عن قول الظالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون انا الغني عن الكل سبحانه هو الغني انا الذي كل
شيء سوائي فهو تحت قهري وتسخيري فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء انا المنزه عن الصاحبة قالوا
سبحانه ان يكون له ولد انا الذي اخلق الولد من غير اب سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون

انا الذي سخرت الانعام الموذية للبشر الضعيف سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين انا الذي لا اعلم
الا بتعلم المتعلمين ولا بارشاد المرشدين لا علم لنا الا ما علمتنا انا الذي اغفر معصية سبعين سنة بتوبة
ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان اردت رضوان الله فسبح ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار
لعلك ترضى وان اردت الخلاص عن النار فسبح سبحانك فقنا عذاب النار وان اردت الفرج عن البلا
فسبح لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ايها العبد واظب على تسبيحي وسجوده يكون واصلا
والا فالضرر يعود اليك فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يسبح لي
البحر والمدر والجبال والشجر والدواب والليل والنهار والظلمات والانوار والجنة والنار والزمان والمكان
والعناصر والاركان والارواح والاجسام سبح لله ما في السموات والارض وان من شيء الا يسبح بحمده ايها
العبد انا الغني عن تسبيح هذه الاشيا وهذه الاشيا ليست من الاحيا فلا حاجة بها الى ثواب هذا التسبيح
ولا اضيع ثواب هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بي وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لكني اوصل
ثواب هذه الاشيا اليك لتعرف ان من اجتهد في خدمتي اجعل كل العالم في خدمته وان العالم ليستغفر له من في
السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء ايها العبد اذكرني بالعبودية لتنتفع به لا انا سبحان ربك
رب العزة فانك ان ذكرتني في الخلوات ذكرتك في الصلوات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله
لهم مغفرة واجرا عظيما ارضني وان كنت انا الغني حتى ارد عليك الواحد عشرة ان تقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعفه لكم لا حاجة لي الى العسكر ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن اذا انصرتني نصرتك ان تنصروا
الله ينصركم احدمني يا ايها الناس اعبدوا ربكم لا اني احتاج الى احد منكم فاني انا الملك ولله ملك السموات
والارض ولكن اصرف في خدمتي عمرا قصيرا لتنال ملكا كبيرا وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك الفوز العظيم
قوله تعالى بحمدك في موضع الحال اي نسبحك ملتبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام افضل فقال ما اصطفى الله للملائكة سبحان الله وبحمده
ويروى ان اهل سماء الدنيا سجود الى يوم القيمة يقولون سبحان ذي الملك والملكوت واهل السماء الثانية
قيام الى يوم القيمة يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيمة يقولون
سبحان الحي الذي لا يموت وعن ابن عباس وابن مسعود نسبح اي نصلي والتسبيح الصلوة وعن
مجاهد نقدس لك نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء لمرضاتك وقيل نطهر قلوبنا عن الالتفات
الى غيرك حتى تصير مستغرقة في انوار معرفتك اني اعلم ما لا تعلمون معناه لا تعجبوا او لا تتعجبوا بما فيهم
من يفسد ويسفك فاني اعلم ان فيهم من لو اقسم على الله لابره واعلم ان معكم من في قلبه من الكبر والحسد
والنفاق ما فيه اولكم لما وصفتم انفسكم بهذه المدائح فانتم في تسبيح انفسكم لا في تسبيحي اصبر حتى اخلق البشر
فيكون فيهم من يعبد وبي ثم يخشون يودون حق العبادات ثم لا يتكلون على تلك الطاعات انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذين هم من خشية ربهم مشفقون والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين واعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم ولكم في عقد الاجمال
ما يغنيكم عن التفصيل فان افعالي كلها حكمة ومصلحة وان خفي عليكم وجه كل واحد على انه قد بين لهم بعض ذلك في قوله تعالى

وَعَلَّمَ آدَمَ الْاَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ اَنْبِئُونِي بِاَسْمَاءِ
هٰؤُلَاءِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا اِنَّكَ اَنْتَ

العليم الحكيم ❁ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ط قال ألم
أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض ط وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ❁

القراءة أنبئوني وكذلك خاطئون وخاطئين فالئون يحيى المنشئون ولينطفئوا وليواطئوا ومتكئين
وقل استهزئوا ومتكأ وسيئتين وبابه برئ وبرئون وبابه وكهيئة وأشباه ذلك ابن كثير وأبو جعفر ونافع
وأبو عمرو هؤلاء بهاء بغير المد أولاء بالمد يزيد ويعقوب داود وقتيبة ومصعب عن نافع قال أبو إسحق كلمتان
لا مد ها وبمد أولا هؤلاء إن بهمزتين عاصم وحمزة وخلف وعلي وابن عامر وقرأ أبو عمرو والبزي من طريق
الهاشمي بترك الهمزة الأولى وإثبات الثانية وكذلك في المضمومتين وعن نافع تليين الأولى وإثبات الثانية
وكذلك في المضمومتين وأما في المفتوحتين فكأبي عمرو أنبئهم عن ابن عامر بهاءين مهموزة مكسورة
والهاء والباقون مهموزة مكسورة الوقوف صادقين ط علمتنا ه الحكيم ه أنبئهم بأسمائهم ه لمكان فاء التعقيب
بأسمائهم لأن قال جواب فلما تكتمون التفسير وفيه أبحاث الأول الأشعري والجبائي والكعبي
على أن اللغات كلها توقيفية بمعنى أن الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الألفاظ موضوعة لتلك المعاني
بدليل قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها لا علم لنا إلا ما علمتنا وهذا يدل على أن الملائكة وآدم لا يعلمون إلا تعليم
الله إياهم وخالفهم أصحاب أبي هاشم الذاهبين إلى أن اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحدا وجماعة وحصل
التعريف للباقين بالإشارة والقرائن كالأطفال فقالوا المراد لهم ونحن بعث داعية على الوضع مثل وعلمناه صنعة
لبوس أي ألهمناه والمراد علمه ما سبق من اصطلاحات قوم كانوا قبل آدم وأجيب بأن الأصل عدم العدول عن
الظاهر قالوا ثم عرضهم يدل على أن المراد بالأسماء المسميات قلنا تعليم المسميات غير معقول فإذن المراد
أسماء المسميات وعوض الألف واللام عن المضاف إليه كما في قوله واشتعل الرأس شيبا أي علمه أسماء كل
ما خلق من أسماء المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولده اليوم من العربية والفارسية والرومية
وغيرها وكان ولد آدم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات وتفرق ولده في نواحي العالم تكلم كل واحد بلغة معينة
من تلك اللغات فلما طالت المدة ومضت القرون نسوا سائر اللغات ثم لا يبعد بل ينبغي أن يكون الله تعالى قد
علمه مع ذلك صفات الأشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية لأن اشتقاق الاسم
إما من السمة أو من السمو فإن كان من السمة فالاسم هو العلامة وصفات الأشياء وخواصها دالة على ماهياتها
وعلامة عليها وإن كان من السمو فدليل المسمى كالمرتفع على ذلك الشيء فإن العلم بالدليل قبل العلم بالمدلول وإنما
قلنا ينبغي ذلك لأن الفضيلة في معرفة حقائق الأشياء أكثر من الفضيلة في معرفة أسمائها ثم من الحقائق
ما يتوقف إدراكها على آلة يدرك بها كالمبصرات والمسموعات وغيرها فإن كانت تلك الآلات وقد عرفها ولم
يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وأيضا العربي لا يحسن منه أن يقول لغيره تكلم بلغتي لأن العقل لا طريق له إلى
معرفة اللغات بل إن حصل التعليم حصل العلم بها وإلا فلا أما العلم بحقائق الأشياء فالعقل متمكن من تحصيله
فصح وقوع التحدي به وإنما قيل ثم عرضهم بلفظ التذكير لأن في جملة المسميات الملائكة والثقلين هم
العقلاء فغلب الكامل على الناقص والتذكير على التأنيث ومن الناس من تمسك بقوله أنبئوني بأسماء
هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف لأنه إنما استنبأهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم بدليل
قوله إن كنتم صادقين أي في أني لا أخلق خلقا إلا كنتم أعلم منهم وقيل أي في قولكم إنه لا شيء مما يتعبد به
الخلق إلا وأنتم تصلحون به وتقومون وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل أعلموني بأسماء هؤلاء إن كنتم
تكونون صادقين في ذلك الإعلام وقيل أخبروني ولا تقولوا إلا حقا وصدقا فيكون الغرض منه التوكيد

لما هم عليه من الفضيلة لأنه متى تمكن في أنفسهم العلم بأنهم إن أخبروا لم يكونوا صادقين ولا لهم إليه
سبيل لم يجترئوا على الجواب ه ثم إن الذين اعتقدوا معصية الملائكة في قولهم أتجعل قالوا إنهم لما عرفوا
خطأهم تابوا واعتذروا بقولهم سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا والذين أنكروا معصيتهم قالوا ذلك على وجه
الاعتراف بالعجز والتسليم كأنهم قالوا لا نعلم إلا ما علمتنا فإذا لم تعلمنا ذلك فكيف نعلمه أما أنهم قالوا أتجعل
فيها من يفسد فيها لأن الله أعلمهم ذلك فكأنهم قالوا إنك علمتنا أنهم يفسدون في الأرض فقلنا أتجعل
وأما هذه الأسماء فإنك ما علمتناها ومعنى سبحانك نسبحك تسبيحا أي ننزهك تنزيها وهو مصدر غير منصرف
أي لا يستعمل إلا محذوف الفعل منصوبا على المصدرية وإذا استعمل غير مضاف كان سبحان علما للتسبيح
فإن العلمية كما تجري في الأعيان تجري في الأعيان قالت المعتزلة ههنا إنه لا علم لنا إلا من جهتك إما بالتعليم
وإما بنصب الأدلة وقالت الأشاعرة بالتعليم لأن المؤثر في وجود العلم ليس هو ذات الدليل بل النظر في الدليل
وأنه يستند إلى توفيق الله تعالى وتسهيله ه ثم احتج أهل الإسلام بالآية على أنه لا سبيل إلى معرفة المغيبات
إلا بتعليم الله تعالى ولا يمكن التوصل إليها بعلم النجوم والكهانة ه وللمنجم أن يقول للمعتزلي إذا فسرت التعليم
بوضع الدليل فعندي حركات النجوم دلائل خلقها الله تعالى على أحوال هذا العالم فيكون من جملة ما علمه
الله إنك أنت العليم بكل المعلومات فأمكنك تعليم آدم الحكيم في هذا الفعل المصيب فيه وعن
ابن عباس أن مراد الملائكة من الحكيم أنه هو الذي حكم بجعل آدم خليفة في الأرض وقوله ألم أقل لكم
إني أعلم غيب السماوات والأرض استحضار لقوله لهم إني أعلم ما لا تعلمون على أنه جاء به أبسط وأشرح
فيه ترتيب عليه بأحوال آدم قبل أن خلقه وفيه دليل على أنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها فيبطل مذهب
هشام بن الحكم أنه لا يعلم الأشياء إلا عند وقوعها ه وقد روى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود أنه
مريد بقوله ما تبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون ما أسر إبليس
في نفسه من الكفر والكبر وأن لا يسجد وقيل لما خلق آدم رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء فلن
يخلق ربنا خلقا إلا كنا أكرم عليه منه فهذا هو الذي كتموه ويجوز أن يكون هذا القول سرا أسروه
بينهم فأبداه بعضهم لبعض وأسروه عن غيرهم فكان في هذا الفعل الواحد إبداء وكتمان والظاهر أنه
عام كقوله إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون إنه يعلم الجهر وما يخفى البحث الثاني قالت المعتزلة
ما ظهر من آدم معجز دل على نبوته في ذلك الوقت كان مبعوثا إلى حواء أو إلى من توجه التحدي إليهم لأنهم وإن
كانوا رسلا فقد يجوز الإرسال إلى الرسل كبعثة إبراهيم إلى لوط عليهما السلام واحتجوا بأن حصول ذلك
العلم له ناقض للعادة ومنع بأن حصول العلم بالأسماء لمن علمه الله وعدم حصوله لمن لم يعلمه ليس بناقض
للعادة وأيضا إنهم علموا أن تلك الأسماء موضوعة لتلك المسميات أولا فإن علموا فقد قدروا على المعارضة
وإلا فكيف عرفوا أن آدم أصاب فيما ذكر اللهم إلا أن يقال إن لكل صنف منهم لغة من اللغات ثم إن جميع
الأصناف حضروا وإن آدم عرض عليهم جميع تلك اللغات فكان معجزا وأن يقال إنه تعالى عرفهم قبل أن سمعوا
من آدم تلك الأسماء فاستدلوا به على صدق آدم والظاهر أنهم قد عرفوا صدقه بتصديق الله
تعالى إياه وإن سلم أنه ظهر منه فعل خارق العادة فلم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات أو من باب
الإرهاص وهما عندنا جائزان القاطعون أنه عليه السلام ما كان نبيا في ذلك الوقت قالوا صدرت الكبيرة
منه بعد ذلك والإقدام عليها يوجب الطرد والتحقير فوجب أن تكون النبوة متأخرة عنها كيف وقد قال عز
من قائل ثم اجتباه ربه والرسالة هي الاجتباء فيكون بعد الزلة وأيضا لو كان رسولا فإن لم يكن مبعوثا
إلى أحد فلا فائدة وإن كان مبعوثا فأما إلى الملائكة وهم أفضل من البشر عند المعتزلة ولا يجعل الأدون
رسولا إلى الأشرف وإن الرد إلى قبول القول ممن هو إلى جنسه أسكن ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا

واما الي الانسان ولا انسان الاحوا وانها عرفت التكليف لا بواسطة ادم بدليل ولا تقربا هذه الشجرة واما
الي الجن وماكان في السماء احد من الجن

البحث الثالث في فضيلة العلم

لوكان في الامكان شي
اشرف من العلم لاظهر الله تعالي فضل ادم بذلك الشي ومما يدل علي فضيلته بالكتاب والسنة والمعقول اما
الكتاب فمن ذلك ما يروي عن مقاتل ان الحكمة في القران علي اربعة اوجه احدها مواعظ القران وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعني الفهم والعلم واتيناه الحكم صبيا ولقد اتينا
لقمن الحكمة وثالثها الحكمة بمعني النبوة ولقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة ورابعها القران يوتي الحكمة
من يشا ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه عند المحققين ترجع الي العلم ومن
ذلك انه تعالي فرق بين سبعة نفر في كتابه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قل لا يستوي
الخبيث والطيب لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وما يستوي الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحيا ولا الاموات فاذا تاملت وجدت كل ذلك ماخوذا من الفرق
بين العالم والجاهل ومن ذلك اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي العلما في اصح الاقوال
لان الملوك يجب عليهم طاعة العلما في اصح الاقوال ولا ينعكس شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا
العلم في الاية في المرتبة الثالثة ثم زاد في الاكرام فجعلهم في المرتبة الثانية وما يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم قل كفي بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن ذلك قوله تعالي
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومن ذلك وصفهم بالايمان والراسخون في العلم
يقولون امنا به وبشهادة التوحيد شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قايما بالقسط وبالبكا
والسجود والخشوع ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلي عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا
ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وبالخشية انما يخشي الله من
عباده العلما واما الاخبار فمنها ما روي انس عن النبي صلي الله عليه وسلم من احب ان ينظر الي عتقاء
الله من النار فلينظر الي المتعلمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف الي باب العالم الا كتب الله
له بكل قدم عبادة سنة وبني له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي علي الارض والارض تستغفر له
ويمسي ويصبح مغفورا وشهدت الملايكة لهم بانهم عتقاء الله من النار وعن انس ايضا ان النبي
صلي الله عليه وسلم من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتي ياتي عليه العلم فيكون لله ومن
طلب العلم لله فهو كالصايم نهاره والقايم ليله وان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من ان يكون ابو قبيس
ذهبا فانفقه في سبيل الله وعن الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام
كان بينه وبين الانبيا درجة في الجنة وعنه رحمة الله علي خلفايي فقيل يا رسول الله ومن خلفاوك
قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وعن ابي موسي الاشعري مرفوعا يبعث الله العباد يوم
القيمة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلما اني لم اضع فيكم نوري الا لعلمي بكم ولا اضع علمي فيكم
لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وقال صلي الله عليه وسلم معلم الخير اذا مات بكي عليه طير السماء
ودواب البحر وحيتان البحر وعن ابي هريرة مرفوعا من صلي خلف عالم من العلما فكانما صلي خلف نبي
من الانبيا وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم علي العابد بسبعين درجة حضر الفرس سبعين عاما
وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم فيزيلها والعابد يقبل علي عبادته لا يتوجه اليها
ولا يعرف وقال صلي الله عليه وسلم لعلي عليه السلام حين بعثه الي اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا
خير لك مما طلعت عليه الشمس وتغرب وعن ابن مسعود مرفوعا من طلب العلم ليحدث الناس ابتغاء
وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبيا وعن عامر الجهني مرفوعا يوزن مداد العلما ودم الشهدا يوم

العبد

القيمة لا يفضل احدهما علي الاخر وفي رواية فيرجح مداد العلما وعن ابي واقد الليثي ان النبي
صلي الله عليه وسلم بينما هو جالس والناس معه اذ اقبل ثلثة نفر اما احدهم فراي فرجة في الحلقة
فجلس اليها واما الاخر فجلس خلفهم واما الثالث فانه رجع ففر فلما فرغ من كلامه قال الا اخبركم عن النفر
الثلثة فاما الاول اوي الي الله فاواه الله واما الثاني فاستحي من الله فاستحي الله منه واما الثالث
فاعرض الله عنه وعنه صلي الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة ثلثة الانبيا ثم العلما ثم الشهداء
قال الراوي فاعظم بمرتبة هي الوسط بين النبوة والشهادة وعن ابي هريرة مرفوعا اذا مات
الانسان انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له بالخير وعن النبي
صلي الله عليه وسلم اذا سالتم الحوايج فاسلوها الناس قيل يا رسول الله ومن الناس قال اهل القران
قيل ثم من قال ثم اهل العلم قيل ثم من قال صباح الوجوه قال الراوي المراد باهل القران من يحفظ معانيه
وقال صلي الله عليه وسلم كن متعلما او عالما او مستمعا او محبا ولا تكن خامسا فتهلك قال
الراوي وجه التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية الاخري الناس رجلان عالم ومتعلم وساير الناس
همج لا خير فيه ان المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما احسن قول بعض الاعراب لولده كن مستمعا
جالسا او ذيبا خالسا او كلبا حارسا واياك ان تكون انسانا ناقصا وعن النبي صلي الله عليه وسلم
انه يحدث انسانا فاوحي الله تعالي اليه انه لم يبق من عمر هذا الرجل الذي تحدثه الا ساعة وكان
هذا وقت العصر فاخبره رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك فاضطرب الرجل وقال يا رسول الله
دلني علي اوفق عمل في هذه الساعة قال اشتغل بالعلم فاشتغل بالتعلم وقبض قبل المغرب قال الراوي
ولو كان شي افضل من العلم لامره النبي صلي الله عليه وسلم به في ذلك الوقت واما الاثار فان مصعب بن
الزبير قال لابنه تعلم العلم فانه ان يك لك مال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال علي ابن
ابي طالب لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وقيل مثل العالم بالله وبامر الله كمثل
الشمس لا يزيد ولا ينقص وهو الجالس علي الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة
مع الله بالحب له وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الي الخلق صار كواحد منهم واذا
خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين ومثل
العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينتقص اخري وهو المستغرق في المعارف الالهية غير متفرغ
لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه ومثل العالم بامر الله فقط وهو العارف بالحلال والحرام دون اسرار جلال
الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضي غيره وقال سفيان الناس يقومون من مجلسي علي ثلثة اصناف
وذلك اني افسر القران فاقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدقني فهو كافر محض ومن ضاق قلبه فهو
منافق ومن ندم علي ما صنع وعزم ان لا يذنب كان مومنا مخلصا وقال ايضا ثلثة من النوم يبغضها الله
وثلثة من الضحك النوم بعد صلوة الفجر وقبل صلوة العتمة والنوم في الصلوة والنوم عند مجلس الذكر والضحك
خلف الجنازة والضحك في المقابر والضحك في مجلس الذكر وقيل العالم اراف بالتلميذ من الاب والام لان
الاباء والامهات يحفظونهم من نار الدنيا وافاتها والعلما يحفظونهم من نار الاخرة وشدايدها وقيل
لابن مسعود بم وجدت هذا العلم قال بلسان سوول وقلب عقول وقال بعضهم سل مسالة الحمقي
واحفظ حفظ الاكياس وقيل الدنيا بستان زينت بخمسة اشيا علم العلما وعدل الامراء وعبادة العباد
وامانة التجار ونصيحة المحترفين فجاء ابليس بخمسة اعلام واقامها بجنب هذه الخمس فجاء بالحسد فركزه
في جنب العلم وجاء بالجور فركزه بجنب العدل وجاء بالريا فركزه بجنب العبادة وجاء بالخيانة فركزه
بجنب الامانة وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة وقال امير المومنين عليه السلام العلم افضل من المال

بسبعة اوجه العلم ميراث الانبيا والمال ميراث الفراعنة العلم لا ينقص بالنفقة والمال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه اذا مات الرجل خلف ماله والعلم يدخل معه قبره المال يحصل المومن والكافر والعلم لا يحصل الا المومن جميع الناس محتاجون الى العالم فى امر دينهم ولا يحتاج الى صاحب المال العلم يقوى الرجل عند المرور على الصراط والمال يمنعه منه وقال الفقيه ابو الليث من جلس عند العالم ولا يقدر ان يحفظ من ذلك العلم شيا فله سبع كرامات ينال فضل المتعلمين وكان محبوسا من الذنوب ما دام جالسا عنده واذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه واذا جلس فى حلقة العلم نزلت الرحمة عليهم حصل له نصيب وما دام يكون فى الاستماع يكتب له طاعة واذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه وانكسر فيكون فى زمرة انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلى واذا راى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق تنفر عن الفسق ومال الى طلب العلم وقيل اربع لا ينبغى للشريف ان يانف منه وان كان اميرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته للعالم الذى يتعلم منه والسوال عما لا يعلم ممن هو اعلم منه واعلم ان الله تعالى علم سبعة نفر سبعة اشيا علم ادم الاسماء وعلم ادم الاسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمتنى من تاويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدروع وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير علمنا منطق الطير وعلم عيسى عليه السلام التورية والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل وعلم محمدا صلى الله عليه وسلم علم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم فعلم ادم كان سببا لحصول السجدة والتحية وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى ويوشع وعلم يوسف لوجود الاهل والمملكة وعلم سليمان لوجدان بلقيس والغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن امه وعلم محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ساير الانبيا والمرسلين وعلى اله اجمعين لوجدان الشفاعة فمن علم اسماء المخلوقات وجد ادم تحية الملا فمن علم ذات الخالق وصفاته اما يجد تحية الملايكة سلام قولا من رب رحيم والخضر بعلم الفراسة وجد صحبة موسى فامة محمد بعلم الحقيقة الا يجدون صحبة محمد فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين ويوسف بتاويل الرويا نجا من حبس الدنيا فمن كان عالما بتاويل كتاب الله الا ينجو من حبس الشبهات ويهدى من يشا الى صراط مستقيم وايضا فان يوسف ذكر منة الله على نفسه حيث قال وعلمتنى من تاويل الاحاديث فانت يا عالم اما تذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك مفسرا لكلامه وسميا لنفسه ووارثا لنبيه وداعيا لخلقه وواعظا لعباده وسراجا لاهل بلاده وقايدا الخلق الى جنته وذايدا من ناره وعقابه كما جاء فى الحديث العلما سادة والفقها قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء روى عن نافع بن الازرق قال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد لطلب الماء قال لان الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فقال نافع الفخ يغطى له باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس اذا جاء القضا عمى البصر وقال لقمن لابنه يا بنى عليك بالادب فانه دليل على المروة وانس فى الوحشة وصاحب فى الغربة وقريب فى الحضر وصدر فى المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسايل وغنى عند العدم ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال للملك وقال سقراط من فضيلة العلم انك لا تقدر على ان يخدمك فيه احد كما ان تجد من يخدمك فى ساير الاشيا بل تخدمه بنفسك ولا يقدر احد على سلبه وقيل لبعض الحكما لا تنظر فغمض عينيه قيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على فيه فقيل له لا تعلم فقال لا اقدر عليه وعن بعض الحكما عظم العلم فى ذلك وصغر الدنيا فى عينيك وكن ضعيفا عند الهزل قويا عند الجد ولا تلم احدا على فعل يمكن ان يعتذر منه ولا تنزع شكايتك الا الى من ترى نفعه عندك حتى تكون حليما فاضلا وقال بعضهم افة الزعماء ضعف السياسة

دافة

وافة العلما حب الرياسة واما النكتة فالمعصية عند الجهل لا يرجى زوالها وعند الشهوة يرجى زوالها انظر الى زلة ادم فانه بعلمه استغفر والشيطان عصى وبقى فى الغى ابدا لان ذلك كان بسبب الجهل وان يوسف عليه السلام لما صار ملكا احتاج الى وزير فسال جبريل عن ذلك ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فراه فى اسوا الاحوال فقال لجبريل كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله فقال له جبريل عليه السلام ان ربه عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة ان من ذب عن يوسف استحق الشركة فى مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل ان احدا اراد خدمة ملك فقال الملك اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتى فلما شرع فى التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه وقال اترك التعلم فقد صرت اهلا لخدمتى فقال كنت اهلا لخدمتك حين لم ترنى اهلا لخدمتك وحين رايتنى اهلا لخدمتك رايت نفسى اهلا لخدمة الله وذلك لانى كنت اظن ان الباب بابك لجهلى والان علمت ان الباب باب الرب وقال حكيم القلب ميت وحيوته بالعلم والعلم ميت وحيوته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوى بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمناظرة واذا ذهب بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا لا اخر له ٥ وان نملة واحدة نالت الرياسة بمسلة لحرمة علمها وذلك قولها وهم لا يشعرون كانها اشارة الى تنزيه الانبيا عن المعصية وايذاء البرى من غير جرم فقالت لو حطمكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل السهو فمن علم حقايق الاشيا من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة فى الدين والدنيا وان الكلب المعلم يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع انه نجس فى الاصل فالنفس الطاهرة فى الفطرة اذا تلوثت باوضار المعاصى كيف لا تطهر ببركة العلم واذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لى وكذا الشارب يقول حسبته خلالا وكذا الزانى يقول تزوجتها فانه لا يحد واما الحكايات فيحكى ان هارون الرشيد كان بحضرته فقها فيهم ابو يوسف فاتى برجل فادعى عليه اخر انه اخذ من بيتى مالا بالليل ثم اقر الاخذ بذلك فى المجلس فاتفق العلما على انه تقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه اقر بالاخذ وانه لا يوجب القطع بل لا بد من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل فى ذلك ثم قالوا للاخذ اسرقتها فقال نعم فاجمعوا على القطع لانه اقر بالسرقة فقال ابو يوسف لا قطع لانه اقر بالسرقة لكن بعد ما وجب الضمان عليه باقراره بالاخذ واذا اقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه فلا يسمع اقراره فتعجب الكل وعن الشعبى كنت عند الحجاج فاتى بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا فى الحديد فقال الحجاج انت زعمت ان الحسن والحسين من ذرية الرسول فقال بلى فقال الحجاج لتاتينى ببينة واضحة من كتاب الله او لاقطعنك عضوا عضوا فقال اتيك ببينة واضحة من كتاب الله يا حجاج قال ولا تاتنى بهذه الاية ندع ابناءنا وابناءكم فقال اتيك بها واضحة من كتاب الله قال تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى فمن ابو عيسى فقد الحق عيسى بذرية نوح قال فاطرق مليا ثم رفع راسه فقال كانى لم اقرا هذه الاية من كتاب الله تعالى حلوا وثاقه واعطوه من المال كذا وكذا ويحكى ان جماعة من اهل المدينة جاوا الى ابى حنيفة ليناظروه فى القراة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكننى مناظرة الجميع فوضوا امر المناظرة الى اعلمكم لاناظره فاشاروا الى واحد فقال هذا اعلمكم قال نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة معكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا نعم قال وان ناظرته ولزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا انا رضينا به اماما فكان قوله قولا لنا قال ابو حنيفة فنحن لما اخترنا الامام فى الصلوة فقراته قراة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالعلم ٥ ويحكى ان المنصور دعا ابا حنيفة يوما فقال الربيع وهو يعاديه يا امير هذا يخالف جدك حيث يقول الاستثنا

المنفصل جابر وابو حنيفة يتكرم فقال ابو حنيفة يقول هذا الربيع ليس لك بيعة في رقبة الناس فقال كيف قال انهم يعتقدون البيعة لك ثم يرجعون الي منازلهم فيستثنون فيبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال اياك يا ربيع وابا حنيفة فلما خرج الربيع قال سعيت في دمي قال كنت البادي ٥ ويحكى ان اللصوص دخلوا علي رجل واحد واخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ان لا يعلم احدا فاصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر ان يتكلم من اجل يمينه فجا الرجل يشاور ابا حنيفة فقال احضرني امام مسجد واهل محلتك فادخلهم في دار واحدة واخرج واحدا واحدا وقال للرجل انه لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت فلما سكت قبض على اللص ورد الله عليه جميع ما سرق ٥ ويحكى انه كان في جوار ابي حنيفة فتى يغشي مجلس ابي حنيفة فقال يوما له اني اريد التزوج من ال فلان وقد خطبتها اليهم فطلبوا مني من المهر فوق طاقتي قال استقرض وادخل عليها فان الله تعالي يسهل الامر عليك بعد ذلك فاقرضه ابو حنيفة ذلك الفتى ثم قال له بعد الدخول اظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الي بلد بعيد وانك تسافر باهلك معك فاظهر الرجل ذلك فاشتد على اهل المراة وجاوا الي ابي حنيفة يشكونه ويستفتونه فقال لهم له ذلك والطريق ان ترضوه بان تردوا عليه ما اخذتموه فاجابوا اليه فقال الزوج اني اريد شيا اخر فوق ذلك فقال ابو حنيفة ترضى بهذا والا اقرت لرجل بدين فلا يمكن المسافرة بها حتى تقضي ما عليها فقال الرجل الله الله لا تسمعوا بهذا فرضي بذلك وحصلت ببركة علم ابي حنيفة فرح كل واحد من الخصمين ٥ وسيل ابو حنيفة عن رجل حلف ليفطرن امراته في نهار رمضان فلم يعرف احد وجه الجواب فقال يسافر بامراته فيطاها نهارا في رمضان ٥ وقال بشر المريسي للشافعي كيف تدعي انعقاد الاجماع مع اهل المشرق والمغرب على شي واحد وكان هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجتماع الناس على خلافة هذا الجالس فاقر به خوفا وانقطع ٥ ويحكى ان اعرابيا سال الحسين بن علي عليهما السلام حاجة فقال سمعت جدك يقول اذا سالتم حاجة فاسلوها من احد اربعة اما عربيا شريفا او مولى كريما او حامل القران او صاحب الوجه الصبيح فاما العرب فشرفت بجدك واما الكرم فدابكم وسيرتكم واما القران ففي بيوتكم نزل واما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اردتم ان تنظروا الي فانظروا الي الحسن والحسين فقال الحسين عليه السلام ما حاجتك فكتبها على الارض فقال الحسين سمعت ابي عليا يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وسمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المعروف بقدر المعرفة فاسالك عن ثلث مسايل ان احسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت عن ثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الثلاثة فلك ما عندي وقد حمل الي الحسين صرة مختومة من العراق فقال سل ولا قوة الا بالله فقال اي الاعمال افضل قال الاعرابي الايمان بالله قال فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال فان اخطا ذلك قال فمال معه كرم قال فان اخطا ذلك قال ففقر معه صبر قال فان اخطا ذلك قال فصاعقة تنزل من السما فتحرقه فضحك الحسين ورمى بالصرة اليه ٥ واما الوجوه العقلية فمنها ان الامور اربعة اقسام قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكاره الدنيا وقسم عكس ذلك كالمعاصي وقسم يرضاه الشهوة والعقل والعلم والجنة وقسم لا يرضاهما الشهوة والعقل وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضي بالنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة وكما يعيش يموت وكما يموت يبعث ومنها ان اللذة ادراك المحبوب وكلما كان المدرك اكمل واشرف كان اللذة اكمل واتم ومدرك العقل هو الله تعالى وجميع مخلوقاته من الملايكة والافلاك والعناصر والمواليد وجميع احكامه واوامره واي معلوم اشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا قال عز من قايل اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كانه قال كنت في اول

حالك

حالك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت في اخر حالك في غاية الشرف وايضا ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية ٥ وهذا يدل على انه انما يستحق الكرمية لانه اعطى العلم فالعلم اشرف عطية واعظم موهبة ومنها انه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من اهل الخشية واهل الخشية اهل الجنة لقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري الي قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل ليس اهل الجنة الا العلما وذلك لكلمة انما المفيدة للحصر ولاجل لام الاختصاص في قوله لمن خشي والسبب في ان العلماء هم اهل الخشية ان من لم يكن عالما بالشي استحال ان يكون خايفا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل لا بد معه من العلم بامور ثلثة احدها العلم بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته على افعاله القبيحة ولكن لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه وثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند السلطان يعلم بكون السلطان قادرا على منعه عالما بقبايح افعاله لكنه يعلم قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف العبد من الله لا يحصل الا اذا علم كونه عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم العلم بالله وهذا يعرف نباهة قدر العلم ومن هنا امر حبيبه صلى الله عليه وسلم بالازدياد منه حيث قال وقل رب زدني علما ولم يكتف نبي الله موسى بما علم بل قال للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ولم يفتخر سليمان بالمملكة العظيمة بل افتخر بالعلم علمنا منطق الطير ولولا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه ان يتكلم عند سليمن بقوله احطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار نافذ القول على السلاطين وما ذلك الا ببركة العلم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وذلك ان التفكر يوصلك الي الله والعبادة يوصلك الي ثواب الله وايضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح ومنها ان ساير كتب الله ناطقة بفضل العلم اما التورية فقال لموسى عليه السلام عظم الحكمة فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والاخرة واما الزبور فقال سبحانه قل لاحبار بني اسرايل ورهبانهم حادثوا من الناس الا تقيا فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلما فان لم تجدوا عالما فحادثوا العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد من خلقي وانا اريد هلاكه وانما قدم سبحانه التقى على العلم لان التقى لا يوجد بدون العلم كما بينا ان الخشية لا تحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين اشرف من الموصوف بامر واحد ولهذا السر ايضا قدم العالم على العاقل فان العالم لا بد ان يكون عاقلا واما العاقل لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمر واما الانجيل فقد قال عز من قايل في السورة السابعة عشر منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الي النار اطلبوا العلم وتعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم فنعمل اذ العلم يشفع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه وانا الله يقول يوم القيمة يا معشر العلما ما ظنكم بربكم فيقولون ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول فاني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا في صالح عبادي الي جنتي برحمتي ٥ وبالجملة فكون العقل صفة شرف وكمال وكون الجهل صفة نقصان امر معلوم للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل للرجل العالم يا جاهل تاذى بذلك وان كان يعلم انه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك والعلم انما وجد كان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا راى الانسان احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار وان كان ذلك الحيوان اقوى

بكثير من الانسان والعلما اذا لم يتعاندوا وكانوا روسا بالطبع على من دونهم في العلم وان كثيرا ممن كانوا يعاندون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون قتله وكانوا اذا وقع نظرهم عليه القى الله في قلوبهم الرعب منه فهابوه وانقادوا له شعر لو لم يكن فيه ايات مبينة * كانت بداهته تنبيك عن خبره * وما فضل الانسان على سائر الحيوان الا لاختصاصه بالمزية النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صارت مستعد الادراك حقائق الاشيا والاشتغال بعبادة الله تعالى والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا اخرج يده لم يكد يراها والعالم كانه يطير في اقطار الملكوت ويسبح في بحار المعقولات فيطالع الموجود والمعدوم والواجب والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط والمركب ويبالغ في تقسيم كل منها الى انواعها واجزايها واجزاء اجزايها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي يمتاز عن غيره ويعرف اثر كل شي ومؤثره ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكلية وجزئية فيصير كالنسخة التي اثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها وانه في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجساد كاملا ومكملا وواسطة بين الله وعباده لم يجعل الله سبحانه ساير صفات الجلال من القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغنا عن المكان والحيز جوابا للملايكة ومرجحا لسكوتهم وانما جعل صفة العلم جوابا لهم حيث قال اني اعلم ما لا تعلمون وهكذا اظهر فضيلة ادم بالعلم بعد افتخارهم بالتسبيح والتقديس وان ابراهيم صلوات الله عليه اشتغل في اول امره بطلب العلم منتقلا تفكره من الكواكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى ان وصل بالدليل الباهر والبرهان الزاهر الى المقصود وهي الملة الحنيفية وان الله تعالى سمى العلم تارة بالحيوة او من كان ميتا فاحييناه وتارة بالروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وتارة بالنور يهدي الله لنوره من يشا ويضرب المثل في العلم بالماء فعلم التوحيد كالعين لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر وكذا لا ينبغي طلب كيفية الله كيلا يفضي الى الكفر وعلم الفقه كماء القناة يزداد بالاستنباط والحفر وعلم الزهد كالمطر ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهوا كذلك علم الزهد صاف ويتكدر بالطبع وعلم البدع كالسيل يهلك الاحيا ويميت الخلق واما الاخبار والاثار الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه او طلب العلم لغير ذات الله فمنها انه صلى الله عليه وسلم قال لا تجالسوا العلما الا اذا دعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة ومن الريا الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد وقال صلى الله عليه وسلم الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم * وعن عدي بن حاتم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوتى بناس يوم القيمة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا ريحها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم لا نصيب لهم فيها فيرجعون عنها بحسرة ما رجع احد مثلها ويقولون يا ربنا لو ادخلتنا قبل ان ترينا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فيقول ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بي بارزتموني بالعظايم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراوون الناس بخلاف ما تضمرون عليه في قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني تركتم المعاصي ولم تتركوها لي اكنت اهون الناظرين عليكم فاليوم اذيقكم اليم عذابي مع ما حرمتم من النعيم * وقيل اطلب اربعة في اربعة من المواضع السلامة ومن الصاحب الزيارة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من الصاحب الزيارة والكرامة فالكلب خير منه واذا لم تجد من المال الفراغة فالتراب خير منه واذا لم تجد من العلم المنفعة فالموت خير منه * وقيل لا تتم اربعة اشيا الا باربعة لا تتم الدين الا بالتقوى ولا تتم القول الا بالفعل ولا تتم المروة الا بالتواضع ولا تتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهدر والمروة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر

والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر وقال امير المومنين عليه السلام لجابر رضي الله عنه قوام الدنيا بعالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع اخرته بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير دينه بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة وقيل اذا وضعت على سواد عينيك جزءا من الدنيا لا ترى شيئا فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى شيئا البحث الرابع في حد العلم الاشعري العلم ما يعلم به وربما قال يصير الذات به عالما * القاضي العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه * القفال اثبات المعلوم على ما هو به والكل داير * المعتزلة العلم هو الاعتقاد المقتضي لسكون النفس * الفلاسفة صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى خروج علم الله عنها فانه لا يطلق هناك النفس وفيه مفاسد اخر يطول ذكرها هيهنا * وعند كثير من المحققين هو بديهي وقيل اصح الحدود صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض والحق في هذا المقام هو ان نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كل ما يقع في ذلك النور فهو مدرك له فكذا للبصيرة نور كل ما يقع فيها فهو مدرك لها ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من له نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور * وهكذا ادركات جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازداد النفس نورية وشرفا ازداد انبساطه فيقع فيه المعلومات اكثر وهكذا يكون في كل مستكمل فاما اذا كان العالم بحيث يكون كمالاته الممكنة له موجودة معه بالفعل فلا يزداد في رتبته ولا يجاوز مرتبته في العلم وما منا الا له مقام معلوم ثم ان كان الكمال والنور بحيث لا يمكن اكمل منه ولا انور كان جميع الاشيا واقعة في نوره بل يكون نوره نافذا في الكل متصرفا فيها محيطا بها اولا وابدا ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السما وهيهنا اسرار اخر لا يجوز التعبير عنها لعزتها يتفطن لبعضها من وفق لها من اهلها البحث الخامس من الفاظ تقرب من العلم الاول الادراك هو الوصول الى القوة لان القوة العاقلة تصل الى حقيقة المعقول الثاني الشعور وهو ادراك بغير استثبات وهو اول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تعالى الثالث التصور مشتق من الصورة فكان حقيقة المعلوم حلت في العاقلة حلول الشكل في المادة الرابع الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة في العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها الخامس التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانه بالحقيقة التفات النفس الى عاملها السادس الذكر وهو وجدان الصورة بعد محاولة استرجاعها ولا محالة يكون مسبوقا بالزوال قال شعر * الله يعلم اني لست اذكره * وكيف اذكره اذ لست انساه * وقد يوصف القول لانه ذكر بانه سبب حضور المعنى في النفس قال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر السابع المعرفة وقد اختلفوا في تفسيرها فمن قائل انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق وجعل العرفان اشرف من العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقته فامر وراء الطاقة البشرية وقال بعضهم من ادرك شيئا وانحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشي ثانيا وعرف ان هذا المدرك الذي ادركه ثانيا هو الذي كان ادركه اولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معترفة بالربوبية الا انها في ظلمة العلاقة البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت من قيد العلاقة عرفت ربها وعرفت انها كانت عارفة الثامن الفهم وهو تصور الشي من لفظ المخاطب والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع التاسع الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال الله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يقفون على المقصود الاصلي من التكاليف العاشر العقل وهو العلم بصفات الاشيا من حسنها وقبحها وكمالها ونقصها ونفعها وضرها حتى يبصر ما نفعا من الفعل مرة ومن الترك اخرى فيجري ذلك مجرى عقال الناقة ومن هنا قيل هو العلم

بخير الخيرين وشر الشرين والعاقل من عقل عن الله امره ونهيه الحادي عشر الدراية وهي المعرفة
الحاصلة بضرب من الحيلة وهي بترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها عليه تعالى الثاني عشر الحكمة وهي اسم
لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملي اخص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم وقيل
هي الاقتداء بالخالق سبحانه بقدر القوة البشرية وذلك ان يجتهد ان ينزه علمه عن الجهل وفعله عن الجور وجوده
عن البخل وحلمه عن السفه الثالث عشر علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق
النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقق الانفصال
عن لوث الصلصال بورود رائد الاتصال الرابع عشر الذهن وهو قوة النفس على اكتساب الحدود
والاراء الخامس عشر الفكر وهو انتقال النفس من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة
وقيل انه يجري مجرى التضرع الى الله تعالى في استنزال العلوم من عنده السادس عشر الحدس وهو قوة
للنفس بها تهتدي بسرعة الى الحد الاوسط في كل قياس السابع عشر الذكاء وهو شدة هذا الحدس
وبلوغه الغاية القصوى من ذكت النار اشتعلت الثامن عشر الفطنة وهي التنبه لشيء قصد تعريضه
كالاحاجي والرموز التاسع عشر الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل حق او حفظ العشرون الوهم وهو
الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم بامور جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة بصداقة
الام وعداوة الذئب الحادي والعشرون الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عند امارات قوية قبل ومدح
وعليه مدار اكثر احوال العالم وان كان عن امارات ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم الثاني والعشرون
الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك في النوم وقد يخص
باسم الطيف الثالث والعشرون البديهة وهي المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل
اعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات الرابع والعشرون الروية وهي ما كان من المعارف بعد فكر كثير
الخامس والعشرون الكياسة وهي تمكن النفس من استنباط ما هو انفع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت السادس والعشرون الخبر وهو معرفة تحصل بطريق التجربة
وجدت الناس اخبر تقله السابع والعشرون الراي وهو احالة في المقدمات التي يرجى منها انتاج
المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة من الراي راي والراي للفكرة كالالة للصانع ولهذا قيل اياك
والراي الفطير الثامن والعشرون الفراسة وهي اختلاس المعارف من درس السبع الثناة فضرب منها
يحصل للانسان من باطنه ولا يعرف له سبب الا صفاء جوهر الروح وهو شبه الالهام واياه عنى النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله ان في امتي لمحدثين وان عمر منهم وقد يسمى النفث في الروع وضرب يحصل بالاستدلال
من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه
الى الثاني والله اعلم **التأويل** عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم فتجلى فيه فالتجلي عليه
التخلق باخلاقه والاتصاف بانصافه وهذا هو سر الخلافة بالحقيقة لان المراة تكون خليفة المتجلي فيه
انبئوني باسماء هؤلاء اي باسماء المخلوقات دون اسماء الله وصفاته ان كنتم صادقين في دعوى الفضيلة
فان الفضيلة ليست بمجرد الطاعة فان ذرات الموجودات مسبحات بحمده وانما الافضلية بالعلم لان
الطاعة من صفات الخلق والعلم من صفات الخالق والفضل لمن له صفة الحق والفضل لمن له الحق والخلق
جميعا فيختلف عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاتهم وانما قال انبئهم ولم يقل علمهم كقوله وعلم ادم لان
الملائكة ليس لهم الترقي في الدرجات والمكونات لهم شهادة كالجسمانيات لنا ولا يتجاوزون ما فوق
سدرة المنتهى كما قال جبرئيل ولو دنوت انملة لاحترقت والجسمانيات مرتبة دون مرتبتهم فيمكن ايجادها
لان الجسمانيات هم كالحيوانات بالنسبة الينا واما الالهيات فليس لهم استعداد الترقي اليها فلهذا

لم يقل انبئهم باسمائهم كلها وعلم ادم الاسماء كلها لئلا يكون تكليفا بما لا يطاق ولما كان ادم مخصوصا بعلم الاسماء
واحتاجت الملائكة اليه في انباء اسمائهم واسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم
بما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة فكما ان الثمرة تظهر على اجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على اعلى الشجرة كذلك
ادم عبر على اجزاء شجرة وكان في كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل
من ذلك اسم يلايمه حتى اتى اسما الله تعالى جاءت على وفقه فضلا عن اسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا
كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان الله رازقا ولما كان عبدا كان الله معبودا ولما كان معيوبا كان
ساترا ولما كان مذنبا كان الله غفارا ولما كان تائبا كان الله توابا ولما كان منتفعا ومتضررا كان نافعا
ولما كان ظالما كان الله عادلا ولما كان ظلوما كان الله منتقما وعلى هذا فقس

وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوٓا اِلَّآ اِبْلِيسَ اَبٰى وَاسْتَكْبَرَ
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا يَآ اٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا
مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ
فَاَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَاَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ اِلٰى حِينٍ فَتَلَقّٰٓى اٰدَمُ
مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا
جَمِيعًا فَاِمَّا يَاْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

القراءة للملائكة اسجدوا برفع الهاء للاتباع يزيد وقتيبة وروى ابن مهران عنهما انهما يشمان
الكاف الكسر وبرفعان الهاء وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة الملائكة بغير همز وكذلك كل كلمة في وسطها
همزة مكسورة الاوله السايلين والسائل والبائس فانهما بالهمز شئتما وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى
وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف فازلهما حمزة ادم نصب كلمات برفع ابن كثير فلا خوف عليهم
بالفتح حيث كان يعقوب هداي ومحياي ومثواي بالامالة كل القران عن ليث الناس بالامالة كل القران
وكذلك كل كلمة في اخرها راء مكسورة بعد الالف في موضع اللام من الكلمة قراها على غير ليث وابي حمدون
وحمدويه والنجاري وورش وحمزة في رواية سعدان وابي عمرو الا انه لا يميل الجار والغار في بعض الروايات
وروى ابراهيم بن حماد عن اليزيدي الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن اليزيدي الغار بالامالة وسائر
الروايات عنه بالتفخيم لقلة دورهما واختلفوا في وقف ابي عمرو في مثل النار واشباه ذلك فروى ابن
مجاهد والحسن بن عبد الله عن النقاش وكثير من اهل العراق انه يقف كما يصل وروى سلمة بن
عاصم انه يقف بالتفخيم والاول اكثر **الوقوف** ابليس لانه معرف والجملة بعده لا تكون صفة له الا
بواسطة الذي ولا عامل فيجعل الجملة حالا الكافرين شئتما لاتفاق الجملتين الظالمين كانا فيه لعطف

المحلين المتفقتين عددة لاختلاف المحلين حتى فتاب عليه الرحيم جميعا لانتفاء الشرط مع فاء
التعقيب يحزنون النار لان ما بعدها مبتدأ وخبر وقيل الجملة خبر بعد خبر لاولئك لان تمام المقصود بوعيد
هو الخلود مثل رمان حلو حامض خالدون التفسير لما اختص الله تعالى ابانا ادم بالخلافة ثم علمه
من العلم ما ظهر بذلك مرتبته على جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة ان جعله مسجودا لهم وهذا مقتضى النسق
ههنا ظاهر الا ان قوله في موضع اخر فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين يقتضي ان
يكون الامر بالسجود قبل تسويته خلقه وانه كما صار حيا صار مسجودا لهم وتعليم الاسماء ومناظرته مع
الملائكة في ذلك حصل بعد سجدتهم والله اعلم بذلك ثم ان المسلمين على ان اجمعوا ان ذلك السجود ليس
للعبادة لانه تعالى لا يامر بالكفر والعبادة لغيره كفر فزعم بعض ان السجود كان لله تعالى وادم كالقبلة
فقوله اسجدوا لادم كقوله صل للقبلة قال حسان بن ثابت شعر ما كنت اعرف ان الامر منصرف
عن هاشم ثم منها عن ابي حسن اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن
وهو ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم ادم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه اعظم حالا
من الساجد وزعم اخرون ان المراد بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى اللغة مثل والنجم والشجر يسجدان
ورد في انه يعرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الارض فوجب ان يكون في اصل اللغة كذلك
الاصل عدم التغيير واصح الاقوال ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية كالسلام
منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم قال قتادة في قوله وخروا له سجدا وكان
تحية الناس يومئذ سجود وبعضهم لبعض ويجوز ان تختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة
والاوقات واختلف المتكلمون في ان ابليس كان من الملائكة ام لا فقال اكثر المتكلمين ولاسيما المعتزلة
انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم حجة الاولين انه من الجن لقوله تعالى في الكهف الا
ابليس كان من الجن فلا يكون من الملائكة وايضا قال ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن
قد يطلق على الملك لاستتاره عن العيون وبان كان يحتمل ان يكون بمعنى صار والثاني بانه يلزم من كون الجن
في هذه الاية نوعا مغايرا للملائكة ان يكون في الاية الاولى ايضا مغايرا للملائكة انه يجوز في الاية
الاولى ايضا لاحتمال كونه على مقتضى اصل اللغة وهو الاستتار قالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى
افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والملائكة لا ذرية لها لانها لا تحصل من الذكر والانثى ولا اناث فيهم
لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا منكرا عليهم وايضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس
لم يكن منهم وايضا انه من النار خلقتني وانهم من النور لقوله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور
وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهري عن عروة عن عائشة ومن المشهور الذي لا يدفع ان
الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح او من الروح وايضا الملائكة رسل جاعل الملائكة
رسلا ورسل الله معصومون الله اعلم حيث يجعل رسالاته حجة الاخرين انه استثناه من الملائكة
وحمله على المتصل اولى لان تخصيص العمومات في كتاب الله اكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه
جني واحد مغمور بين ظهراني الوف من الملائكة فغلبوا عليه وهذا لا ينافي كون الاستثناء متصلا
واجيب بان التغليب انما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا عن درجة الاعتبار اما اذا كان معظم
الحديث فيه فلا يصار الى التغليب وايضا لو لم يكن من الملائكة لم يتناوله الخطاب باسجدوا وحينئذ
لم يستحق بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن ان يقال انه نشأ معهم والتصق بهم فتناوله الامر لما تبين
في اصول الفقه ان خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة بين الصنفين ولان

تعالى

٧٠

تعالى انه وان لم يدخل في هذا الامر الا انه تعالى امره بلفظ اخر ما حكاه في القران بدليل قوله تعالى ما منعك
الا تسجد اذ امرتك لانه قوله ابى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا مشعر بان المخالفة بسبب
هذا الامر هذا ما قيل من الجانبين ومما يناسب تفسير الاية الكلام في ان الانبياء افضل من الملائكة او بالعكس
قال اكثر اهل السنة الاول وقالت المعتزلة والشيعة الى الثاني واختاره الباقلاني وابو عبد الله الحليمي
من فقهاء اهل السنة المعتزلة احتجوا بوجوه احدها ومن عنده لا يستكبرون وليس المراد عندية المكان
بل عندية القرب والشرف وعورض بما حكي عنه سبحانه انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي بل هذا ابلغ لان كون
الله عند العبد ادخل في التعظيم من كون العبد عنده قالوا الاية تدل على انه تعالى نفى عن الملائكة مع شدة
قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات والارض وامنهم من الهرم والمرض والافات لا يتركون العبودية
لحظة واحدة فالبشر مع غاية ضعفهم ونقصهم اولى بذلك واجيب بانه لا نزاع في ذلك وانما النزاع في
الافضلية بمعنى كثرة الثواب الوجه الثاني عباداتهم اشق من عبادات البشر فيكون ثوابهم اكثر لقوله
صلى الله عليه وسلم لعائشة اجرك على قدر نصبك ولقوله افضل العبادات احمزها اي اشقها واما بيان
عباداتهم اشق فمن وجهين احدهما انهم سكان السموات وهي جنات ومنتزهات وهم مع ذلك لا
يلتفتون الى نعيمها ويقبلون على طاعاتهم خائفين وجلين وكانه لا يقدر واحد من بني ادم ان يبقى كذلك
يوما واحدا فضلا عن تلك الاعصار المتطاولة ان الانسان ليطغى ان راه استغنى واعتبر بادم فانه اطلق له في الجنة جميع الاشجرة واحدة ومع ذلك لم يملك نفسه والثاني ان انتقال المكلف
من نوع عبادة الى نوع اخر كالانتقال الى طعام من طعام والاقامة على نوع واحد يورث السامة وهذا
شان الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنهم ركع ومنهم خلقوا وعورض الوجه
الاول بان اسباب البلاء مجتمعة على البشر ثم انهم يلعنون نفسا والله مواظبون على تكاليفهم
ولذلك فان العبيد والخدم تطيب قلوبهم بالخدمة في حال الرفاهية ولا يصبر احدهم على مشقة الخدمة
الا من كان في نهاية الاخلاص الوجه الثاني بان الفاقة طبيعة خامسة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
افضل الصوم صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما الوجه الثالث عباداتهم ادوم يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وخير الاعمال ادومها مع ان اعمارهم اكثر وعلى الاية سؤال روي عن عبد الله بن الحرث بن
نوفل قال قلت لكعب ارايت قول الله عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا ولك عليهم
لعنة الله والملائكة افلا يكون الرسالة واللعن مانعين عن التسبيح فاجاب ان التنفس لا يمنعنا
من الاشتغال بشيء اخر فكذلك التسبيح لهم وزيف بان الة التنفس غير الة الكلام واما اللعن والتسبيح
فهما من جنس الكلام فاجتماعهما في الة واحدة محال واجيب باحتمال ان يكون لهم السنة كثيرة يسبحون الله
تعالى ببعضها ويلعنون اعداءه ببعض اخر وبان ثناء الله يستلزم بغض من اعتقد في الله ما لا ينبغي
والمراد لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللائقة به كما يقال فلان مواظب على الجماعات يعنون
انه عازم على ادائها في اوقاتها ونوقضت الحجة بان الطاعة القليلة من الانسان على وجه يحيى بها
ثوابا اكثر من ثواب طاعاتهم الوجه الرابع انهم اسبق السابقين في كل العبادات والسابقون السابقون
اولئك المقربون من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الوجه الخامس الملائكة رسل الى
الانبياء علمه شديد القوى نزل به الروح الامين والرسول افضل من الامة قياسا على الشاهد ومنع ان هذا
اذا كان الرسول حاكما على المرسل اليهم ومتى لنا لا مبعوثا كالانبياء المبعوثين الى امرهم اما في مطلق
الرسول فلم قلتم انه كذلك اما كما لو ارسل الملك عبدا من عبيده الى وزيره او الى ملك اخر الوجه السادس
انهم اتقى من البشر لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع شرافة النوع والرياسة فيهم ولهذا

قالوا انجعل فيها وان لم يكن لهم شهوة الوقاع فوجب ان يكونوا افضل ان اكرمكم عند الله اتقيكم ورد بان تقوى
الانسان اكمل فان لهم مع شهوة الرياسة شهوة البطن والفرج ايضا الوجه السابع لن يستنكف المسيح
ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون خرج الثاني مخرج التاكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر
الافضل بعد الافضل كقولك هذا العالم لا يستنكف من خدمة الوزير ولا الملك فتفيد افضلية الملائكة
المقربين في المعاني المصححة للعبودية من نهاية الخضوع والخشوع وما يتبعهما من شدة وطيهم
وفوق حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا يستنكف عن عبادته القاضي ولا السلطان ولا يفيد
الا ان السلطان اكمل من القاضي في بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه اكمل من القاضي
في ساير الدرجات كالعلم والزهد فلم قلتم انهم افضل من البشر في كثرة الثواب قلت والحق ان جميع
الدرجات مندرجة تحت العبودية كما اشرنا اليه فيما مر فيفيد افضلية الملائكة لكن المقربين
منهم فقط دون غيرهم ومفضولية المسيح فقط دون غيره كمحمد صلى الله عليه وسلم الوجه الثامن
ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فهذا وان كان حكاية قول ابليس الا ان ادم
وحوا لو لم يعتقدا افضلية الملك لم يغترا بذلك فاعتقادهما حجة ورد بان ادم لعله اخطاء في ذلك الاعتقاد
اما لان الزلة جايزة على الانبيا او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وايضا ذهب انه حجة لكنه قبل
الزلة لم يكن نبيا من مفضوليته وقتئذ من مفضوليته وقت نبوته وان سلم مفضوليته ونبوته
وقتئذ فلا نسلم ان ذلك في باب الثواب بل في باب القدرة والقوة والحسن والجمال ونحو ذلك فانهم
خلقوا من الانوار وادم خلق من التراب فاغتر فيما لهم من هذه الامور وايضا يحتمل ان يكون المراد
الا ان تنقلبا ملكين فيصح اسناد الحكم وان يكون المراد ان النهي مختص بالملائكة الخالدين دونكما
كما تقول ما نهيت انت عن كذا الا ان يكون فلانا ويكون المعنى ان المنهي عنه هو فلان دونك
فكان غرض ابليس ايهام انهما لم ينهيا وايضا غاية ما في الباب ان الاية تدل على مفضولية
ادم ولا يلزم مفضولية جميع الانبيا كمحمد صلى الله عليه وسلم الوجه التاسع ولا اقول لكم عندي
خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك اي لا ادعي القدرة على كل المقدورات والعلم بكل المعلومات
ولا ادعي قدرة مثل قدرة الملك ولا علما مثل علمهم وذلك انه لم يرد به نفي الصورة لانه لا يفيد الغرض
وانما نفي ان يكون له مثل ما لهم من الصفات الجسمية والقوى العظيمة ورد بانه لا يلزم من عدم الاستوا
في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها الوجه العاشر ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ولا
يخفى ان التشبيه في التنزه من غض البصر وقمع النفس عن المحرمات بدلالة وصفه في الكرم لا في الصورة
ورد بان قوله الذي لمتنني فيه كالتصريح بان مراد النساء تعظيم حال يوسف في الحسن والجمال فقد
يظهر عذرها في عشقها وان سلمنا ان التشبيه في الاخلاق المرضية فذلك لا يوجب مفضولية من
جميع الجهات على ان قول النسا لا يصلح لان يكون حجة الوجه الحادي عشر وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا وذلك ان المخلوقات اما غير المكلفين والانسان افضل منهم واما المكلفون
وهم الملائكة والانس والجن والشياطين ولا ريب ان الانس افضل من الجن والشياطين فلو كانوا
افضل من الملك ايضا لزم كون البشر افضل من كل المخلوقات فينبغي ان يقال وفضلناهم على جميع ممن
خلقنا ورد بان كونهم افضل من كثير لا يدل على انه ليس بافضل من الباقي الا بدليل الخطاب وهو غير
حجة ٥ وهب ان جنس الملائكة افضل من جنس بني ادم ولكن لا يلزم من كون احد المجموعين افضل
من المجموع الاخر ان يكون كل واحد من افراد المجموع الاول افضل من افراد المجموع الثاني وايضا
الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامة المذكورة في اول الاية ولقد كرمنا بني ادم ولا يلزم من كون

الملك افضل من البشر في تلك الكرامات وهي حسن الصورة والطهارة واستخراج الاعمال العجيبة ان يكونوا
افضل منهم في الاشيا الموجبة للثواب الوجه الثاني عشر الانبيا ما استغفروا الا بدأوا بانفسهم قال
نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا وقال ابراهيم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ثم قال
اغفر لابي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات والملائكة لم يستغفروا
لانفسهم ولكن طلبوا المغفرة للمومنين فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ورد بان هذا لا يدل الا على صدور
الزلة من البشر وعدم صدورها عنهم وهذا لا يوجب افضليتهم في القرب والثواب على الاطلاق ومن الناس
من قال ان الاستغفار هم للبشر كالعذر عما طعنوا فيهم بقولهم اتجعل فيها الوجه الثالث عشر وان عليكم
لحافظين ويدخل فيه الانبيا وغيرهم والحافظ للمكلف عن المعصية افضل من المحفوظ وايضا جعل كتابتهم
حجة للبشر وعليهم فيكونون افضل ورد بان الحافظ والشاهد قد يكون ادون حالا من المحفوظ والمشهود
الوجه الرابع عشر يوم يقوم الروح والملائكة صفا والمقصود بيان عظمة الله وجلاله ورد بان هذا
يفيد فوقهم وبطشهم فقط كما يقال ان السلطان لما جلس وقف حول سريره ملوك الاطراف ولا يدل على
انهم اكرم عند السلطان من ولده الوجه الخامس عشر والمومنون كل امن بالله وملائكته وكتبه
ورسله والتقدم في الذكر يدل على التقدم في الدرجة ولهذا لما قال الشاعر شعر كفى الشيب والاسلام
للمرء ناهيا قال عمر الخطاب لو قدمت الاسلام لاجزتك ولما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمشركين وقع التنازع في تقديم الاسم وكذا في كتاب الصلح بين علي ومعوية ومنع ان الواو يفيد
الترتيب وعورض بتقديم نبت على الاخلاص الوجه السادس عشر ان الله وملائكته يصلون
على النبي جعل صلوات الملائكة كالتشريف للنبي وعورض بقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
ولا تشريف بل يتشرف الامة بذلك الوجه السابع عشر ان جبريل افضل من محمد لان الله سبحانه وصفه
بست من صفات الكمال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم وصف
محمد بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان بين الوصفين ورد بانه انما وصفه هاهنا بهذا القدر لاقتضا المقام
ذلك فقط فقد وصفه في مواضع اخر بما يليق به يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا الوجه الثامن عشر ان جبريل كان معلما للنبي صلى الله عليه وسلم
ولغيره من الانبيا لا في العلوم التي لا يتوصل اليها الا بالعقل كالعلم بذات الله تعالى بل في العلم بكيفية مخلوقاته
وما فيها من العجايب والعلم باحوال العرش والكرسي والجنة والنار واطباق السموات واصناف الموجودات
واحوال الامم الخالية والقرون الماضية والعلم افضل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع
من كون الملائكة اعلم بدليل قصة ادم ولان تعليم جبريل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبريل
الا واسطة ولئن سلم مزيد علمهم منع كثرة ثوابهم الوجه التاسع عشر ومن يقل منهم اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم وهذه تدل على انهم بلغوا في الترفع الى حد لو خالفوا امر الله لما خالفوه الا في ادعا الالهية
ورد بان مزيد قدرتهم لا يوجب مزيد ثوابهم الوجه العشرون قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن
الرب تعالى اذا ذكرني عبدي في ملا ذكرته في ملا خير من ملائه وهذا يدل على ان الملا الاعلى
اشرف ورد بعد قبول خبر الواحد انه لا يلزم منه الا ان الملا الاعلى خير من ملا عوام البشر ولا يلزم
من ذلك كونهم افضل من الانبيا واعلم ان الفلاسفة اتفقوا على ان الارواح السماوية المسماة بالملائكة
عندهم افضل من الارواح الناطقة البشرية لوجوه الاول ذواتها بسيطة مبرأة عن الكثرة والبشر مركب
من النفس والبدن ولكل منهما قوى واجزاء والبسيطة خير من المركب لان اسباب العدم الى المركب
اكثر منها من البسيط وعورض بان المستجمع للروحاني والجسماني ينبغي ان يكون افضل مما له طرف الروحاني

فقط ولهذا جعل ابو البشر مسجود الملايكة وبان الملايكة ليس لها الا الاستغراق في مقاماتها والقوي
والنفوس البشرية ذو اعوانه بكلا الطرفين ومحيطة بضبط احوال العالمين فيكون افضل الثاني
الجواهر الروحانية بريئة من الشهوة والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدما بخلاف البشر ورد بان
الخدمة مع كثرة العلايق ادل على الاخلاص مما يصدر من البري أن درجتهم حين قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا
اعلى منها حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك الا بسبب الانكسار الحاصل من الزلة وهذا في
البشر اكثر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه انين المذنبين احب الي من زجل المسبحين
الثالث انها بريئة من طبيعة القوة فان كل ما كان ممكنا لها بحسب انواعها المنحصرة في اشخاصها فقد
خرج الى الفعل والانبيا ليسوا كذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم واني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة
مرة ولاحقانها بالفعل التام اشرف مما بالقوة ورد بان بعض الامور فيها لعلها بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها
للافلاك لاجل استخراج التعقلات من القوة الى الفعل كالتحريكات العارضة لارواحنا الحاملة القوى الفكر
والتخيل الا ان هذا المنع لا يجري في الملايكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة وانما يجري في النفوس
الفلكية الرابع الروحانيات ابدية الوجود مبراة عن التغير في الفنا والنفوس الناطقة البشرية
ليست كذلك ورد بانه لا قديم في الوجود الا الله ولين سلم اتفاقا ان كانت ممكنة الوجود لذاتها
فهي واجبة الوجود بما دونها على ما عليه كثير من المحققين ان النفوس البشرية ايضا ازلية بمادتها
كانت كالظلال تحت العرش يسبحون بحمد ربهم الى ان مبداء الاول امرها بالنزول الى عالم الاجساد في
شبكات المواد فلما تعلقت بهذه الاجسام عشقتها واستحكم الفه بها فبعث من تلك الظلال اشرفها واكملها
لتخليص تلك الارواح عن تلك الشبكات وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكورة في كتاب كليلة
ودمنة الخامس الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فاين
احدهما من الاخر ورد بان الشرف عندنا ليس بالمادة وانما هو بالانقياد الى رب العالمين السادس
الارواح السماوية تفضل الارضية بقوي العلم والعمل اما الاول فبالاتفاق على احاطة الارواح السماوية
بالمغيبات ولان علومهم فعلية فطرية كلية دايمة تامة وعلوم البشر بالضد من ذلك واما العمل
فلقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون واعترض على ان المواظب على تناول الاغذية اللطيفة لا يلتذ
بها كما يلتذ المبتلى بالجوع فلا يكون لذة الملايكة من العلم والعمل كلذة البشر لعروض الفترات لهم
في كثير الاوقات بسبب العلايق الجسمانية والحجب الظلمانية فهذه المزية من اللذة مما يختص به البشر ولهذا
هو المراد من قوله انا عرضنا الامانة الاية ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الدق اشد منها في
حمى الغب لكن الحرارة لما دامت واستقرت بطل الشعور بها فهذه الحالة ليست للملايكة لاجل الاستمرار
ولا لغير الانسان لعدم الاستعداد فكان الانسان لها بالمرصاد السابع الروحانيات لها قوة على تقليب
الاجسام وتصريف الاجرام وقوام ليست من جنس القوي المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب وانك ترى
الحمامة اللطيفة تشق الصخرة الصما وما ذاك الا لقوة بائنة فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك
الجواهر انفسها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين على الامور الصعاب ولين سلم
فالارواح العلوية اقدر على ذلك مع انهم يصرفون قواها الى مناظم العالم السفلي لا فيما هو شر لهم واعترض
بانه لا مانع من ان تنفق نفس ناطقة بشرية كاملة مستولية على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف
الثامن الملايكة لهم اختيارات فايضة عن انوار جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات
البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما يتوجه الى الخير باعانة الملك على ما ورد في
الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه فيحتمل ان يكون اذن اعمالهم اشق فيكون ثوابهم اكثر

التاسع

التاسع الافلاك كالابدان والكواكب كالقلوب والملايكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان
الى الابدان وكما ان اختلافات احوال الافلاك مبادي لحصول الاختلافات في هذا العالم فكذا ارواح العالم العلوي
يجب ان تكون مستولية على ارواح العالم السفلي بل تكون عللا ومبادي لها فهي الاباء وهناك المنافع
والمعادن فكيف يليق بالعقل ادعاء المساوات فضلا عن الزيادة واجيب بانه لا موثر عندنا الا الله تعالى
العاشر الروحانيات الفلكية مبادي لروحانيات هذا العالم ومعاد لها منها نزلت فتوسخت باوضار
الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية وصعدت الى عالمها ومصدر الشي ومصعده اشرف منه
المبدا واليه المنتهى واعترض بان هذا مبني على عدم حشر الاجساد دون ذلك خرط القتاد الحادي عشر
اليس ان الانبيا لا ينطقون الا عن الوحي اليس ان الملايكة يعينونهم في المضايق ويهدونهم الى المصالح كما في
قصة لوط ويوم بدر وحنين وكما في قصة نوح من عمل السفينة فمن اين تفضل الانبيا مع افتقارهم الى
الملايكة في كل الامور واجيب بان ادل الفكر احز العمل ولا يلزم من كون الشي واسطة افضليته الثاني
عشر القسمة العقلية اما الاحيا ما خيره محضة وهم الملايكة او شره محضة وهي الشياطين او خيره من
وجه شره من وجه اخر وهم البشر نحكم بافضلية الملك وكذا التقسيم الناطق المايت وهو الانسان
والمايت غير المايت وهو الملك والمايت غير الناطق وهي البهايم يرشد الى ان الانسان متوسط الرتبة
بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل قلب للقسمة العقلية ونزاع في ترتيب الوجود واجيب بما
مر غير مرة من ان النزاع في كثرة الثواب حجة القايلين بتفضيل الانبيا على الملايكة الاول ان
الله تعالى امر الملايكة بالسجود لادم وثبت ان ادم لم يكن كالقبلة وامر الاشرف بنهاية التواضع للادون
مستقبح والجواب ان القبح العقلي غير ثابت الثاني جعله خليفة له خلافة الولاية كما مر وخلق الدنيا منفعة
لبقايه والاخرة مملكة لجزايه ولعن ابليس بسبب التكبر عليه وجعل الملايكة حفظة اولاده ومنزلين
لارزاقهم ومستغفرين لاتباعهم ومع جميع هذه المناصب يقول ولدينا مزيد فاذن لا نهاية لهذا الشرف والكمال
الثالث انه كان اعلم لقوله انبيهم باسمايهم والاعلم افضل الرابع ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم
وال عمران على العالمين والعالم كل ما سوى الله تعالى فيلزم اصطفاوهم على الملايكة ولا يشكل هذا بقوله
يا بني اسرائيل الى قوله واني فضلتكم على العالمين لان تلك الاية دخلها التخصيص لما يعلم انهم غير مفضلين
على محمد صلى الله عليه وسلم وههنا لا دليل فواجب اجراوه على الظاهر من العموم الخامس وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين والملايكة من العالمين والتقريب ظاهر السادس عبادة البشر اشق لان
الادمي له شهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملايكة ولان الادمي مامور بالاستنباط والقياس فاعتبروا يا
اولي الابصار ولا يخفى ما فيه من المشقة والملايكة لا يعلمون بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولما تعرض للادمي
من الشبهات ككون الافلاك والانجم اسبابا للحوادث اليومية فيحتاجون الى دفعها والملايكة حيث انهم
يشاهدون عالم الملكوت امنوا من ذلك ولان الشيطان من الادمي دون الملك واذا كانت طاعتهم اشق
فيكون ثوابهم اكثر السابع خلق للملايكة عقولا بلا شهوة وللبهايم شهوة بلا عقل وجمع الامرين
للادمي ثم اذا غلب هواه عقله صار ادون من البهيمة اولئك كالانعام بل هم اضل فاذا غلب عقله هواه
وجب ان يصير اشرف من الملك اعتبارا لاحد الطرفين من الاخر الثامن الملايكة حفظة بني ادم
والمحفوظ اعز من الحافظ التاسع روي ان جبريل اخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى اركبه على
البراق ليلة المعراج ولما وصل محمد بتعليم الى بعض المقامات تخلف عنه جبريل قال لو دنوت انملة لاحترقت
العاشر قوله صلى الله عليه وسلم ان لي وزيرين في السماء ووزيرين في الارض اما الذي في السماء فجبريل
وميكاييل واما الذي في الارض فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم كالملك وجبريل وميكاييل

من يران فهذا تمام الكلام في بحث العزيقين وعليك الاختبار بعقلك دون هواك ثم انه تعالى
لما استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجايز ان يظن به عذر ابين انه غير ذي عذر بقوله
ابى لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ولهذا فقد العاطف نحو قولك ابشر ثم اسرك عبني تختلج
لا تقول فعيني لانهما يباتان ثم انه جاز ان لا يكون الاباء مع الكبر فعطف عليه واستكبر ليعرف
ان الاباء منضم الى الاستكبار وكان من ان يظن ان كبره لم يوجب الكفر فان بل الظن بقوله وكان من
الكافرين وللعقلاء هيهنا قولان احدهما ان ابليس حين اشتغاله بالعبودية كان منافقا كافرا
اما عند من يمنع الاحباط فلان ختمه لما كان على الكفر علم انه ما كان مومنا قط واما عند غيرهم فلما
حكاه الشهرستاني في اول الملل والنحل عن شارح الاناجيل الاربعة شبه مناظرة بين ابليس والملايكة
بعد الامر بالسجود قال ابليس لعنه الله اني سلمت ان الباري تعالى الهي واله الخلق قادر حكيم عالم
الا ان لي على مساق حكمه اسوله الاول انه قد علم قبل خلقي ان شئ يصدر عني فلم خلقني وما الحكمة
في خلقه اياي الثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة
في التكليف مع انه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصيته وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على
تحصيله لهم من غير واسطة التكليف الثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة
فاطعت وعرفت فلم كلفني بطاعة ادم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان
لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي والرابع اذ خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم اسجد
فلم لعنني واخرجني من الجنة واوجب عقابي مع انه لا فايدة له في ذلك ولي فيه اعظم الضرر الخامس
ثم لما فعل ذلك فلم يمكنني من الدخول في الجنة ومن وسوسته بعد ان لو منعني من دخول الجنة
استراح مني ادم وبقي خالدا في الجنة والسادس اذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني
الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين ادم فلم سلطني على اولاده حتى اراهم من حيث لا يروني ويوثر
فيهم وسوستي ولا يوثر في حولهم وقوتهم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة والقاهم على
ذلك فيعيشوا لما معي سامعين مطيعين كان احرى بالحكمة والسابع سلمت هذا كله فلم اذا استمهلته
امهلني وما الحكمة في ذلك بعد ان لو اهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر في العالم اليس
بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر فقال شارح الانجيل فاوحى الله تعالى الى الملايكة
قولوا له اما تسليمك الاول اني الهك واله الخلق فغير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت اني اله العالمين
ما احتكمت علي بلم فانا الله الذي لا اله الا انا لا اسال عما افعل والخلق مسولون هذا مذكور في
التورية ومسطر في الانجيل وهذه الشبهات بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور ولسن يعدوها
عقايد فرق الزيغ والكفر وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق ويرجع جملتها الى انكار الامر بعد
الاعتراف بالخلق والى الجنوح الى الهوى في مقابلة النص ولا جواب عنها بالتحقيق الا الذي ذكره
الله تعالى فالعجب لما ان حكم الحكم على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجري حكم الخالق في الخلق او حكم
الخلق في الخالق فالاول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثاني تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق
بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا التحكيم الرجال وقالوا لا حكم الا لله فقوله لا اسجد لبشر خلقته من
صلصال لا اسجد لك فالشبهات كلها ناشية من اللعين وتلك في الاول مصدرها وهذه في الاخر مظهرها
ولهذا قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبي صلى الله عليه وسلم كل
فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السابقة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة
يهود هذه الامة والرافضة يعني الغلاة نصاريها وقال صلى الله عليه وسلم جملة لتسلكن سبل الامم

قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه القول الثاني ان ابليس كان مومنا
ثم كفر بعد ذلك ثم اختلفوا فمن قايل معناه وكان من الكافرين في علم الله اي كان الله عالما في الازل
انه سيكفر فصيغته كان متعلقا بالعلم لا بالمعلوم ومن قايل ان كان بمعنى صار يعني صار لما كفر في
وقت معين بعد ان كان مومنا بعد لحظة يصدق عليه انه كان من الكافرين وانما حكم بكفره على هذا
القول الثاني لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد بدليل قوله انا خير منه والا فمجرد المعصية
لا يوجب الكفر عندنا وان كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل في الكفر نعم عند
الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله من الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة
قبله حتى يكون هو واحدا منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان من للتبعيض وانما يتبعض البعض الموجود بالاضافة
الى كل الموجود لا الى كل سيوجد ومما يوكد ذلك ما روي عن ابن بريدة قال انه تعالى خلق خلقا من
الملايكة ثم قال لهم اني خالق بشرا من طين قالوا لا نفعل ذلك فبعث الله نارا فاحرقتهم وكان ابليس من
اوليك وقال الاخرون معنى الاية انه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك لان الكفر كان ظاهرا
عند نزول الاية اولان الافراد الذهنية تكفي في صحة الجمع وان الحيوان المخلوق اولا يصح ان يقال انه فرد
من افراد الحيوان اي من افراد هذه الماهية وعلى هذا يكون ابليس اول من سن الكفر فهو قول
الاكثرين واعلم ان الملايكة المامورين بالسجود كل الملايكة عند اكثر الايمة لان الجمع المعرف للعموم
ويوكده قوله تعالى فسجد الملايكة كلهم اجمعون وايضا استثنا الشخص الواحد يدل على ان ما
عداه داخل في الحكم ومن الناس من انكر ذلك وقال هم ملايكة الارض واستعظموا ان يكونوا
اكابر الملايكة مامورين بذلك واما الحكما فانهم يحملون الملايكة على الجواهر الروحانية واستحالة
انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المامورون بالسجود القوى الجسمانية البشرية المطيعة
للنفس الناطقة قوله تعالى يا ادم اسكن الاية الاصح ان هذا الامر يشتمل على ما هو اباحة لانه
كان ماذونا في الانتفاع بجميع الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد فان المنهي عنه كان حاضرا روي عن
قتادة انه قال ان الله ابتلى ادم باسكان الجنة كما ابتلى الملايكة بالسجود وذلك انه كلفه ان يكون في
الجنة ياكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة ان لا ياكل منها فما زال به البلا حتى وقع فيما نهي عنه
فاسكانه موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع انه منعه من تناوله من اشد التكاليف وانما لم
يقل وهبت منك الجنة لانه مخلوق لخلافة الارض وكان اسكان الجنة كالتقدمة لذلك فلو قال يجعل لعين
اسكنتك داري لا يصير الدار ملكا له واجمعوا على ان المراد بالزوج حوا وانه لم يتقدم ذكرها في هذه السورة
ففي ساير القران ما يدل على ذلك وانها مخلوقة منه خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال
صلى الله عليه وسلم ان المراة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت وبها
عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من
الصحابة ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكن ادم الجنة بقي فيها وحده وما كان معه من يستانس
به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما فخلق حوا منه
فلما استيقظ وجد عند راسه امراة قاعدة فسالها من انت قالت امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي
فقالت له الملايكة امتحانا لعلمه ما اسمها فقال حواء قالوا ولم قال لانها خلقت من شيء حي فقيل فلما اراد ادم
مد يده اليها منعته الملايكة وقالوا ادم مهرها قال فاصداقها قالوا ان تصلي على محمد قال ومن محمد قالوا من
اولادك خاتم النبيين ولولاه لما خلقت وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملايكة فحملوا ادم
وحوا عليهما السلام على سرير من ذهب كما يحمل الملوك والباسهما النور على كل واحد منهما اكليل من ذهب

مكلل بالياقوت والمرجان وعلى ادم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخل الجنة فهذا الخبر يدل
على انهما خلقت قبل ادخاله الجنة والمعنى الاول على انها خلقت في الجنة والله اعلم بحقيقة الحال ثم هذه
الجنة كانت في الارض او في السما وعلى تقدير كونها في السما فهي جنة الثواب وهي جنة اخرى نقل ابو القسم البجلي وابو مسلم
الاصفهاني انها في الارض وحملا الهبوط على الانتقال من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا
قالا لان دار الثواب الخلد ولو كان في جنة الخلد لما الحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى ولان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين ولان ابليس بعد
غضب الله عليه كيف يقدر ان يصل الى جنة الخلد ولان دار الجزا يدخل المكلف فيها بعد العمل ولا
عمل لادم وقد قبل ولانه تعالى خلقه في الارض ولم يذكر نقله الى السما ولو كان قد نقله لكان ذكرها اولى
لان ذلك النقل من اعظم النعم ۞ وقال الجبائي هي في السماء السابعة اهبط منها الى السماء الدنيا ثم منها
الى الارض وقال الجمهور هي دار الثواب والدليل عليه ان اللام في الجنة ليست للعموم في جميع الجنان
محال فهي للعهد ولا معهود بين المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن امر من السكنى
والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه
ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها حيث للمكان المبهم اي مكان من الجنة شئتما
او اي زمان شئتما فان حيث قد يعبر عن زمان مجهول ولما قيل ههنا وكلا بالواو وفي الاعراف
فكلا لان كل فعل عطف عليه شي وكان بينهما واسطة السببية يعطف الثاني على الاول بالفاء والا فبالواو
كقوله تعالى في البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفا لان الدخول سبب الوصول الى الاكل فكانه
قال ان دخلتموها اكلتم وفي الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى وهي
طول اللبث لا يختص وجوده بوجوده الاكل لان المختار قد ياكل ايضا فلهذا لم يعطف ههنا بالفا اذ المراد
اسكن من السكنى واما في الاعراف فالمراد اسكن بمعنى الدخول ثم السكون فصح العطف بالفاء والنهي
في لا تقربا للتنزيه او التحريم الاصح الاول لان الصيغة وردت في كليهما والاصل عدم الاشتراك فيجعل حقيقة
في القدر المشترك بينهما وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير دلالة على المنع من الفعل والجواز
لكن الجواز ثابت بحكم الاصل فان الاصل في الاشيا الاباحة فاذا ضممناه هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار
المجموع دليلا على التنزيه وهذا اولى ليرجع حاصل معصيته الى ترك الاولى فيكون اقرب الى عصمة الانبيا
وقيل نهي تحريم قياسا على قوله ولا تقربوهن حتى يطهرن ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا
من الظالمين ولانه استحق الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب التحريم في ولا تقربوهن بدليل
منفصل والظلم قد يراد به ترك الاولى والاخراج لم يكن بهذا السبب بل لما سبق ان شا الله تعالى ۞
ثم النهي عن القرب يفيد النهي عن الاكل بطريق الكناية فان القرب اليها من اسباب الاكل منها ومما يدل
على النهي عن الاكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما ۞ وروي عن ابن عباس ان الشجرة هي
السنبلة وفي رواية عنه عن ابن مسعود انها الكرم وعن مجاهد وقتادة انها التين وعن الربيع ابن انس
كانت شجرة من اكل منها احدث ولا ينبغي ان يكون في الجنة حدث قال المبرد واحسب ان كل ما له اغصان
وعيدان فالعرب تسميه شجرة اذ قد لا يختص له ساق قال تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين واصل هذا
انه اسم لكل ما شجر اي اخذ نمته وبسوقه والتشاجر الاختلاف ۞ واعلم انه ليس في الظاهر ما يدل على ما يدل على
التعيين ولا حاجة ايضا الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما لم يكن مقصودا فذكره لا يجب على
الحكيم بل يكون عبثا كما لو اراد احدنا ان يقيم عذره في التخلف فقال اشتغلت بضرب غلام لاسائته الادب
كان هذا المقدار احسن من ان يذكر عين الغلام واسمه وصفته ولا يظنن احد ان ابهامه نقص في البيان فكما

جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي من الظالمين ظلموا انفسهم بمعصية الله في قوله فازلهما
الشيطان الاية تحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة عن في هذه الاية كهي في قوله وما فعلته عن امري فالضمير
للشجرة قيل اذهبهما وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل لسانه قدمه فالضمير للجنة ومن قرا ازالهما فهو من الزوال
عن المكان مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من المكان الذي هو الجنة ان كان الضمير في عنها للشجرة واعلم
ان الناس اختلفوا في عصمة الانبيا عليهم السلام والنزاع اما في باب الاعتقاد او في باب التبليغ او في باب
الاحكام والفتيا او في افعالهم وسيرتهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند اكثر الامة وقالت
الفضيلية انه قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت
الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية واما ما يتعلق بالتبليغ فاجمعت الامة على عصمتهم من الكذب
والتحريف في ذلك لا عمدا ولا سهوا ولا ينفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لان الاحتراز غير ممكن واما
المتعلق بالفتيا فاجمعوا انه لا يجوز الخطا فيه عمدا واما السهو فجوزه بعضهم واباه اخرون واما المتعلق
بافعالهم فالحشوية جوزوا الكباير عليهم عمدا واكثر المعتزلة جوزوا الصغاير عمدا الا ما ينفر عن الكذب
والتطفيف والجبائي لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التاويل وقيل لا يقع منهم الذنب الا على
جهة السهو والخطا ولكنهم يواخذون به وان كان ذلك موضوعا عن امتهم لان معرفتهم اقوى وهم على
التحفظ اقدر والشيعة لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة ولا عمدا ولا سهوا ولا على سبيل التاويل والخطا وفي وقت
عصمتهم ثلثة اقوال فمذهب الشيعة انهم معصومون من وقت مولدهم والمعتزلة من وقت بلوغهم ولم يجوزوا
الكفر والكبيرة قبل النبوة وبعضهم واكثر اصحابنا على تجويز ذلك قبل النبوة والمختار انه لم يصدر عنهم
الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة الاولى لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من عصاة لوجوه
الامة مصداقه قوله تعالى يا نسا النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين شعر
وصغار الرجل الكبير كبار ولا يجوز ان يكون النبي اقل حالا من الامة بالاجماع الثانية ينفذ بر اقدامه على
الفسق لا يكون مقبول الشهادة لقوله ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا لكنه شاهد عدل من الله بانه شرع
الدين وكذا يوم القيامة ويكون الرسول عليكم شهيدا الثالثة وبتقدير على الكبيرة يجب زجره وايذا
لكنه محرم ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة الرابعة انه صلى الله عليه
وسلم لو اتى بمعصية لوجب علينا الاقتدا به لقوله واتبعوه والوجوب بين الوجوب والحرمة محال الخامسة
يعلم بالبديهة انه لا شي اقبح من نبي رفع الله درجته وجعله خليفة في عباده وبلاده ثم انه يقدم على
ما نهاه عنه ترجيحا لهواه حتى يستحق اللعن والعذاب السادسة اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
يكون حينئذ منزلا في شانه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه السابعة انهم كانوا يسارعون
في الخيرات واللفظ للعموم فيشمل فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي الثامنة وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار
الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفا ينافي الذنب التاسعة انه تعالى حكى
عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين والانبيا من المخلصين لقوله تعالى في حق يوسف انه من
عبادنا المخلصين وفي حق موسى انه كان مخلصا فكذا غيرهما العاشرة ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين ولا يخفى وجوب كون الانبيا منهم والا كان غير النبي افضل من النبي
الحادية عشر الخلق قسمان حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
والعصاة حزب الشيطان ان يكون النبي عاصيا الثانية عشر انهم افضل من الملك والملائكة لا يعصون الله النبي
ما امرهم فالنبي اولى الثالثة عشر اني جاعلك للناس اماما والامام من يوتم به والمذنب لا يجوز الاقتدا
به في ادمته الرابعة عشر لا ينال عهدي الظالمين فلو كانت النبوة تثبت المطلوب واذا كان عهد الامامة فالنبوة

اولي الخامسة عشر روي ان خزيمة بن ثابت شهد لرسول الله صلي الله عليه وسلم علي وفق دعواه
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم كيف شهدت لي فقال يا رسول الله اني اصدقك علي الوحي النازل
عليك من فوق سبع سموات فلا اصدقك في هذا القدر فصدقه رسول الله فيه فسماه ذي الشهادتين
ولو كانت المعصية جايزة علي الانبيا لما جازت تلك الشهادة ٥ المخالف تمسك في باب الاعتقاد بقوله
هو الذي خلقكم من نفس واحدة الي قوله جعلا له شركا وهذا يقتضي صدور الشرك عنهما
والجواب ما سيجي في الاعراف ان شا الله تعالي من ان الخطاب لقريش والمعني خلقكم من نفس قصي
وجعل من جنسها زوجة عربية ليسكن اليها فلما اتاهما ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة
بعبد مناف وعبد العزي وعبد الدار وعبد قصي ٥ وقالوا ان ابراهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم الاخر
بقوله هذا ربي ولكن ليطمين قلبي والجواب هذا تعجب منه استفهام منه بطريق الانكار وقوله
ليطمين قلبي اراد به ان يوكد علم اليقين بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا فان كنت في شك فلا
تكونن من الممترين يدل علي انه كان شاكا في الوحي قلنا الخطاب له والمراد الامة مثل يا ايها
النبي اذا طلقتم قالوا في التبليغ سنقريك فلا تنسي الا ما شا الله هذا الاستثنا يدل علي النسيان
نوع من النسخ كما سيجي في قوله ما ننسخ من اية او ننسها قالوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمني القي الشيطان في امنيته والجواب سوف يجي في سورة الحج ان شا الله تعالي قالوا عالم الغيب
فلا يظهر علي غيبه احدا ان قد ابلغوا رسالات ربهم ولولا الخوف في وقوع التخبيط في الوحي لم
يستظهر في الرصد قلنا هذا عليكم لا لكم لدلالته علي كونهم محفوظين عن التخبيط قالوا وداود
وسليمان اذ يحكمان في الحرث ما كان لنبي ان يكون له اسري عفا الله عنك لم اذنت لهم قلنا الجميع
محمول علي ترك الاولي وسوف يجي قصة كل في موضعها علي انا نقول شعر يا سايلي عن رسول الله كيف سها
والسهو من كل قلب غافل ساهي ٤ قد غاب عن كل شي سره فسها ٥ عما سوي الله في التعظيم لله ٥ قالوا
في هذه الافعال وعصي ادم ربه فغوي والعصيان يوجب الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له نار
جهنم والغي ضد الرشد قد تبين الرشد من الغي ثم انه تاب والتوبة دليل الذنب وانه ظالم لقوله
فتكونا من الظالمين والظالم ملعون الا لعنة الله علي الظالمين انه احتج وكل هذه دليل ارتكاب
الكبيرة والجواب المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لنفرض انه صدر ذلك الفعل عن ادم
بعد النبوة فاقدامه اما ان يكون في حال كونه ناسيا او في حال كونه ذاكرا ٥ الذاهبون الي الاول وهم
طايفة من المتكلمين ٥ احتجوا بقوله فنسي ولم نجد له عزما ومثله من يغفل عن صومه فياكل في اثنايه
ذلك السهو عن قصد قيل عليه ان قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين الي قوله
وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين يدل علي انه ما نسي ٥ وروي عن ابن عباس لما اكل منها وبدت لهما
سواتهما خرج ادم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله افرارا مني فقال بل حياء منك
فقال له اما كان فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلي يا رب ولكن وعزتك ما
كنت اري احدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي لاهبطنك منها ثم لا تنال العيش الا نكدا وايضا لو كان
ما عوتب عليه لانه غير قادر علي تركه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها رفع القلم عن ثلث ٥ واجيب
بالمنع من ان اقدامه علي ذلك الفعل انما وقع عقيب قول ابليس لانه كان عالما بتمرد ابليس عن سجوده
وكونه عدوا له ولزوجه ولانها لو صدقاه لكانت المعصية في تصديقه اعظم من اكل الشجرة ولانه القي
اليهما سو الظن بالله وانه ناصح والمهب غاش وما روي عن ابن عباس فهو من باب الاحاد ولا يلزم
من رفع النسيان من هذه الامة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن الامة رفعه عن النبي صلي الله عليه

عليه م

اشد الناس بلاء الانبيا ثم الاوليا ثم الامثل فالامثل ٥ ابي ادعك كما يدعك الرجلان منكم بقبيل حواد
سقته الخمر فسكر ثم اقدم علي ذلك وهذا انما يصح اذا حملت الشجرة علي غير الكرمة حتي يكون ماذونا
في تناول غيرها الا انه يرد عليه ان خمر الجنة لا يسكر لا فيها غول ٥ الذاهبون الي انه فعل عامدا
اربع فرق منهم من قال النهي نهي تنزيه لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عمدا من ادم وكان كبيرة
مع ان ادم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال قوله عمدا لكن كان معه من اعمال القلب
من الاخلاص والوجل والاشفاق ما صيره صغيرة ٥ ومنهم بان المقدم علي ترك الواجب او فعل المنهي عمدا
لا يعذر ويدعوي الخوف فلا يصح وصف الله نبيا بذلك ومنهم وهو اختيار اكثر المعتزلة انه اقدم
علي الاكل بسبب اجتهاد اخطا فيه وذلك لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد انه لما قيل له ولا
تقربا هذه الشجرة فلفظة هذه قد يشار بها الي التشخص وقد يشار الي النوع كما روي انه صلي الله عليه
وسلم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذا حرامان علي ذكور امتي وتوضا ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله
الصلوة الا به واراد نوع الحرير والذهب ونوع الوضو فان اراد الله تعالي من كلمة هذا ذلك النوع لا التشخص
وكان ادم ظن ان النهي قد ورد علي الشجرة المعينة فتركها وتناول من شجرة اخري من ذلك النوع واعترض
بان هذا في اصل اللغة للاشارة المشخصة واذا حمل ادم اللفظ علي موضوعه فكيف يعد مخطيا وايضا
هب ان لفظ هذا مردد بين التشخص والنوع وان كان معه قرينة الاشارة النوعية فقد قصر في
معرفتها فيكون مذنبا وان عرفها ومع ذلك اقدم علي التناول فكذلك وان لم يكن قرينة فلا يعد
مخطيا وايضا الانبيا لا يجوز لهم الاجتهاد لانهم قادرون علي تحصيل اليقين بالوحي فلا قدام علي الاجتهاد
عين المعصية وايضا هذه المسلة ان كانت قطعية فالخطا فيها كبيرة وان كانت من الظنيات فان قلنا
كل مجتهد مصيب فلا خطاء وان قلنا المصيب واحد فالمخطي فيها معذور بالاتفاق واجيب بان
لفظ هذا استعمل في الاشارة النوعية ايضا كما مر وبان ادم لعله قصر في معرفة القرينة او عرفها
ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبان المسلة القطعية لما نسيها صار النسيان عذرا حتي لا يصير الذنب
كبيرا وقد تكون ظنية وترتب التشديد بدا علي الخطا فيها لان النبي قد يواخذ بما لا يواخذ به الامة
قيل وقد يحمل الخطاء في الاجتهاد من جهة ان ادم ظن ان النهي في قوله ٥ ولا تقربا تناولهما معا فيجوز
لكل واحد علي الانفراد اكله ٥ فان قيل كيف تمكن ابليس من وسوسة ادم مع ان ابليس كان خارج
الجنة وادم فيها قلت اما لانه دخل فم الحية خافيا عن الخزنة ولهذا سقطت قوايم الحية عقوبة لها
علي ما روي وانه كان ٥ عن ابي هريرة انه صلي الله عليه وسلم قال ما سالمناهم منذ حاربناهم ومن ترك
منهم شيا خيفة فليس منا يعني الحيات واما لانه دخل الجنة في صورة دابة واما لانهما كانا يخرجان الي باب
الجنة وابليس كان يقرب من الباب ويوسوس واما لانه كان يدنوا من السما فيكلمهما وقيل وسوس لهما
علي لسان بعض اتباعه لانهما كانا يعرفان ما عنده من الحسد والبغضاء ويستحيل ان يقبلا قوله عادة ف
اسناد الازلال والاخراج الي الشيطان لانه حصل بسبب منه وعن بعض العرفاء انه قيل له ادم هبط انها
كانت بوسوسة ابليس فمعصية ابليس بوسوسة من ولا بد من الانتها الي الذي لا يسال عما يفعل فان
قيل كيف كانت الوسوسة قلنا هي التي حكاها الله تعالي ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين فلما لم يلتفتا عدل الي اليمين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين ولكن من شياطين الانس ترا هم
يوسوسون اليك علي هذا الترتيب اعاذنا الله منه ٥ ثم بعد ذلك يحتمل ان لم يصدقاه فعدل الي يشغلهما
باللذات المباحة حتي استغرقا فيها وسبا النهي فوقعا فيما وقعا واعلم بحقايق الامور ٥ اهبطوا خطاب
لادم وحوا وابليس اما في وقت واحد بناء علي ان ابليس قد دعا الي الجنة لاجل الوسوسة واما لادم وحوا

ولادم

وله في اخر قبل ذلك وقيل خطاب لهما وللحية وقيل الصحيح ان الخطاب لهما وذريتهما مراده ايضا لانهما لما كانا اصل الانس جعلا كانهما الناس كلهم والدليل عليه ما جاء في طه اهبطا منها جميعا وقوله فاما يأتينكم وما هؤلاء حكم يعم الناس كلهم واهبطوا امر واباحة والا لشبه الاول لان مفارقة ما كانا فيه من النعيم الى دار الهوان اشق التكاليف وانما قيل انه تكليف لا عقوبة لما ترتب عليه من الثواب العظيم ويمكن ان يقال نفس الاهباط عقوبة ولا ثواب عليه وانما الثواب على حسب العمل بعد ذلك ثم بعضكم لبعض عدو عدو وما عليه من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض وليست هذه هي العداوة المامور بها في قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا يدخل تحت الامر بل المراد اهبطوا وسيكون حالكم كذا لانه عالم التضاد والتنافي ليس كعالم الانوار الذي لا تعاند فيه ولا تمانع مستقر استقرار او موضع استقرار حال الحيوة والموت ومتاع تمتع بالعيش الى حين هو يوم القيمة او حين انقضاء اجالكم والحين مدة طويلة او قصيرة ولهذا لو قال انت طالق الى حين قصدت لحظة طلقت وفي قصة ادم وما جرى عليه معتبر عجيب و موعظة بليغة لنبيه في اجتناب الخطايا واتقاء الماثم ولله در القائل شعر يا ناظرا يرنو بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان ودرك فوز العابد انسيت ان الله اخرج ادما منها الى الدنيا بذنب واحد وعن فتح الموصلي كنا قوما من الجنة فسبانا الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها شعر تطلب الراحة من دار العنا خاب من يطلب شيئا لا يكون قوله تلقى الا انه اصل التلقي التعرض للقاء ثم وضع موضع الاستقبال للشيء الجائي ثم وضع موضع القبول والاخذ وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم اي تلقنه ثم بعض الافعال قد يشترك فاعله ومفعوله في صلاحية وصف كل منهما بالفعل ويتعارضان عمله فيهما تقول بلغني ذاك وبلغته واصابني خير واصبته ونالني وانلته فتلقى ادم من ربه كلمات اي حفظها ودعا بها واستقبلها بالقبول وتلقى ادم كلمات اي جاءت واتصلت ولا يجوز ان يكون معنى التلقي من الرب ان الله تعالى عرفه حقيقة التوبة لان المكلف لا بد ان يعرف ماهية التوبة ويتمكن بعقله من تدارك الذنوب فضلا عن الانبيا فاذن المراد به نبهه على المعصية على وجه ال امره الى التوبة او عرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة او ذكره نعمه العظيمة عليه حتى صار الداعي الى التوبة او علمه كلمات لو حصلت التوبة معهن كمل حالها وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وفي رواية عن ابن عباس ان ادم عليه السلام قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال رب الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم وقال النخعي اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقى ادم من ربه فقال علم الله ادم وحوا امر الحج فحجا فهي الكلمات التي تقال في الحج فلما فرغا من الحج اوحى الله تعالى اليهما اني قبلت توبتكما وعن ابن مسعود احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقالت عايشة لما اراد الله تعالى ان يتوب على ادم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمرا فلما صلى الركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سولي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا تباشر به قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى الى ادم يا ادم قد غفرت لك ذنبك ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنوبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها وفي كلام الغزالي رحمه الله ان التوبة تتحقق من ثلثة امور مترتبة اولها علم وثانيها حال وثالثها عمل فالعلم هو معرفة ما في الذنب من الضرر وكونه حجابا

بين العبد ورحمة الرب فاذا استحكمت هذه المعرفة تالم القلب بسبب فوات محبوبه وتاسف على الفعل الذي كان سببا لذلك الفوات ويسمى ذلك التاسف ندما وهذه الحالة لها تعلق بالماضي وهو تلافي ما فات بالجبر والقضا ان كان قابلا للجبر وتعلق بالحال وهو ترك الذنب كان ملابسا له وتعلق بالمستقبل وهو العزم على ان لا يعود اليه ابدا وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على الندم وحده ويجعل العلم السابق كالمقدمة والترك اللاحق كالثمرة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة ويجمع هذه الامور بتوفيق الله ولطفه انه هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع ويشترك فيه العبد والرب فاذا وصف به العبد فالمعنى رجع الى ربه لان العاصي هارب عن ربه وقد يتارك الرجل خدمة سيده فينقطع السيد معروفه عنه فاذا عاد الى السيد عاد السيد اليه باحسانه ومعروفه وهذا معنى قبول التوبة وغفران ذنوب العباد والتايب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى المبالغة في التواب ان واحدا من ملوك الدنيا اذا عصاه انسان ثم تاب قبل توبته ثم اذا عاد الى المعصية والى الاعتذار فربما لا يقبل عذره لان طبعه يمنعه من قبول العذر والله تعالى يخالف ذلك لانه انما يقبل التوبة لا لامر يرجع اليه من جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الاحسان واللطف والرحمة والجود وان فيضه لا ينقطع ولا انقصار الا من القابل فكلما ارتفع المانع من قبل القابل وجد الفيض البتة لا محالة وايضا تتحقق المبالغة من جهة اخرى وهي كثرة عدد المذنبين المستلزمة لكثرة التائبين المستتبعة لكثرة قبول التوبة ووصفه بالرحمة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو جمع بكا اهل الدنيا الى بكا داود لكان بكا داود اكثر ولو جمع بكا اهل الدنيا الى بكاء نوح لكان بكا نوح اكثر ولو جمع بكا اهل الدنيا وبكا داود وبكا نوح الى بكا ادم على خطيئته لكان بكا ادم اكثر فان الحال الى هذه الخطيئة واحدة فمن احاطت به خطاياه احق بالبكا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فنحن احق بالاستغفار فان الغين يكاد يكون بالنسبة الينا رانا وذلك ان الغين شي يغشى القلب ويغطيه بعض التغطية كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس ولكن يمنع كمال ضوئها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممتنعا بالكلية عن قبول الحق وذلك صفة الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل في تاويل الحديث ان الله اطلع نبيه على ما سيكون في امته من الخلاف والشقاق فكان اذا ذكر ذلك وجد غينا فاستغفر لامته وقيل كان ينتقل من حالة الى ارفع من الاولى فيستغفر مما كان وقيل الغين عبارة عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو استغفر عن ذلك وهذا تاويل ارباب الحقيقة وقال اهل الظاهر ان القلب لا ينفك عن الخطرات والشهوات وانواع الارادات فكان يستعين بالرب تعالى في دفع تلك الخواطر وعن ثابت البناني ان ابليس قال يا رب انك خلقت ادم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال سبحانه جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدني قال لا يولد لادم ولد الا ولد لك عشرة قال يا رب زدني قال تجري منه مجرى الدم قال يا رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد قال فشكا ادم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضا وسلطته علي وانا لا اطيقه الا بك فقال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها قال رب زدني قال لا احجب عن احد من ولدك التوبة ما لم يغرغر والغرغرة تردد الروح في الحلق وسئل ذو النون عن التوبة فقال انها اسم جامع لمعان ستة الاولى الندم على ما مضى الثانية العزم على ترك الذنوب في المستقبل الثالثة اداء كل فريضة ضيعتها فيما بينك وبين الله الرابعة اداء المظالم الى المخلوقين في اموالهم واعراضهم الخامسة اذابة كل لحم ودم نبت من الحرام السادسة اذاقة البدن مرارة الطاعات كما اذاق حلاوة المعاصي وكان احمد بن الحرث يقول يا صاحب الذنوب الم يان لك ان تتوب يا صاحب الذنوب

شرايط التوبة

ان الذنب في الديوان مكتوب يا صاحب الذنوب انت بها في القبر مكروب ويا صاحب الذنوب انت غدا
بالذنوب مطلوب ٭ وانما اكتفي بذكر توبة ادم دون توبة حوا لانها كانت تبعًا له كما طوي ذكر النساء
في اكثر القران لذلك علي انها قد ذكرت في موضع اخر قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية قوله تعالى قلنا
اهبطوا الاية قيل فايدة تكرير الامر بالهبوط انهما هبوطان الاول من الجنة الي السماء الدنيا والثاني من
السماء الدنيا الي الارض وضعف بانه لو كان كذلك لكان ذكر قوله ولكم في الارض مستقر عقيب الهبوط
الثاني اولا وايضا قوله منها يدل علي ان الهبوط الثاني ايضا من الجنة والاوجه ان ادم وحوا لما اتيا
بالزلة وتابا بعد الامر بالهبوط يرتفع بزوال الزلة فاعيد الامر مرة ثانية ليعلما انه حكم باق تحقيقا للوعد
المتقدم في قوله اني جاعل في الارض خليفة ووجه ثالث وهو ان التكرير للتاكيد ولما نيط من زيادة
قوله فاما ياتينكم مني هدي في الاخبار ان ادم هبط بجزيرة سرنديب من الهند وحواء بجدة من ارض الحجاز
وابليس بالابلة من نواحي البصرة والحية باصفهان فلم يتلاقيا مائة سنة ثم ازدلفا اي تقاربا بالمزدلفة
واجتمعا بجمع وتعارفا بعرفات يوم عرفة وتمنيا علي الله تعالي بالمغفرة والتوبة بمني فحصلت اسماء هذه
المواضع من هذه المعاني وما في اما مزيدة لتاكيد الشرط ولذا يؤكد الفعل بالنون المؤكدة والشرط الثاني
وجزاؤه مجموعين جواب الشرط الاول تبع واتبع بمعني وانما جاء فمن اتبع موافقة لقوله فيها يتبعون الداعي
وفي الهدي وجهان احدهما المراد منه كل دلالة وبيان فيدخل فيه دليل العقل وكل كلام ينزل علي نبي
وفيه تنبيه علي نعمة اخرى عظيمة فكانه قال واذ قد اهبطتكم من الجنة الي الارض اوحى الله
تعالى اليه يا ادم اربع خصال فيه كل الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك
وواحدة بينك وبين الناس اما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا واما التي لك فاذا عملت اجزيتك واما التي
بينك وبيني وبين الناس فان تصحبهم بما تحب ان يصحبوك به وقيل رسول وكتاب بدليل والذين كفروا
وكذبوا باياتنا في مقابلة فمن تبع هداي في الاقدام علي ما يلزم والاحجام عما يحرم فانه سيصير الي حالة
لا خوف فيها ولا احتراز وهذه الجملة مع اختصارها تجمع شيئا كثيرا من المعاني لان قوله فاما ياتينكم
مني هدي دخل فيه الانعام بجميع الادلة العقلية والشرعية وزيادات البيان وجميع ما لا يتم ذلك به من العقل ووجوه
التمكين وجمع قوله ولا هم يحزنون جميع ما اعد الله تعالى لاوليائه لان الخوف لا يحصل للنفس من توقع مكروه
او انتظار محذور وزواله يتضمن السلامة من جميع الافات والحزن الم يعرض للنفس لفقد محبوب او فوت
مطلوب ونفيه يقتضي الوصول الي كل اللذات والمرادات وانما قدم عدم الخوف علي عدم الحزن لان زوال
ما لا ينبغي مقدم علي حصول ما ينبغي وهذا يدل علي ان المكلف الذي اطاع الله تعالى لا يلحقه خوف عند الموت
ولا في القبر ولا عند البعث ولا عند حضور الموقف ولا عند تطاير الكتب ولا عند نصب الميزان ولا عند الصراط
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون وقال قوم من المتكلمين ان اهوال يوم القيمة تعم الكفار والفساق والمومنين بدليل قوله تعالى
يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنسالن الذين
ارسل اليهم ولنسالن المرسلين ٭ وفي الحديث تدني الشمس يوم القيمة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل
فيكون الناس علي قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون الي كعبيه ومنهم من يكون الي ركبتيه ومنهم
من يكون الي حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الي فيه
وحديث قول كل نبي نفسي نفسي الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه يقول امتي امتي مشهور ٭ قلت لا ريب
ان وعد الله حق فمن وعده الامن يكون امنا لا محالة الا ان الانسان خلق ضعيفا لا يستيقن الامن الكلي ما لم

يصل

يصل الي الجنة لانه لا يطمين قلبه ما لم ينضم له الي علم اليقين عين اليقين ٭ وايضا ان جلال الله وعظمته
يدهش الانسان برا كان او فاجرا وايضا ظاهر العمل الصالح لا يفيد اليقين الي الجنة فلا عمل الا بالاخلاص
ولا حكم بالاخلاص الا الله تعالى لانه من عمل القلب وقلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها
كيف يشا ولهذا جاء والمخلصون علي خطر عظيم وكان داب الصديقين ان يخلطوا الطمع بالخوف والرغبة
بالرهبة يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا وقيل لا خوف عليهم امامهم فليس شي اعظم
في صدر الذي يموت مما بعد الموت فامنهم الله تعالى ثم سلاهم فقال ولا هم يحزنون علي ما خلفوه بعد وفاتهم
في الدنيا ثم ان الايمة خصصوا نفي الخوف والحزن بالاخرة لان مجاري الامور في الدنيا لا تخلوا من مواجب
الخوف والحزن وقال صلى الله عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم بالاوليا ثم الامثل فالامثل قلت المومن
الراضي بقضا الله وقدره لا يرى شيئا من المكاره مكروها وانما مراده مراد حبيبه فلا وربك لا يومنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فيترك الارادة
تصح نسبة العبودية بالرضوان يحصل مفاتيح الجنان وينكشف الهموم والاحزان ويتساوي الفقر والوجد
ويثبت حقيقة الايمان والذين كفروا وجحدوا مولاهم وكذبوا باياتنا لا اثباتهم حكما لهم بحسب منتهاهم
وهواهم اولئك اصحاب النار ملازموها وانما سرمدا كانوا من الانس او من الجن اعاذنا الله منها
بفضله وجسيم طوله

التاويل

الم تسجدون لله بالطبيعة الملكية الروحانية اسجدوا لادم
بخلاف الطبيعة تعبدا وانقيادا للامر وامتثالا للحكم اسجدوا له تعظيما لشان خلافته وتكريما
لفضيلته المخصوصة فمن سجد له فقد سجد لله تعالى كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اسجدوا
لادم لاجل ادم فان عبادتكم وطاعتكم لا توجب قربا لكم ولا تزيد في درجاتكم ولكن فايدتها تعود الي الانسان
لقوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ولان الانسان تقتدي بهم في الطاعة ويتادب
بادابهم في امتثال الاوامر والانزجار عن الاباء والاستكبار كيلا يلحقه من اللعن والبعد ما لحق ابليس
فسجدوا الا ابليس لانهم خلقوا من نور والنور من شانه الانقياد وانه خلق من نار والنار من شانها
الاستعلا طبعا وكان من الكافرين لانه ستر الحق علي ادم كما سمي ابليس الحق ولا تقربا هذه الشجرة اي محبة
لك نعيم الجنة بما فيها وما كان لك فيها حق لانك ما عملت بعد عملا تستحق به الجنة فاعطي هذه الشجرة الواحدة
دعها لي وانا خلقتها فان طمعت فيها ايضا فاعلم ان الانسان له همة عالية وحرص شديد لا يزال يقول جهنم
حرصه هل من مزيد ولا تمتلي حتى يضع الجبار فيها قدمه الي سابقة رحمته وعنايته سبقت رحمتي غضبي
ثم انه ابيح له ولزوجه مشتهيات النفس كلها فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقيل لهما فتتعا بها
ولا تفتدانا بالفتنة علي انفسكما ولا تقضيا من قربة المحبة ماء المحبة علي راسكما ولا تقربا شجرة
المحبة وقد غرست لاجله في الحقيقة يحبهم ويحبونه ولكن سبب النهي الدلالة الذي يقتضيه غاية
الجمال وايضا لولم ينه عنها لكثرة انواع المرادات النفسانية وكانت المحبة اعدى رحابنا وتركها لكان
كالتحريض عليها فان الانسان حريص علي ما منع وايضا انه تعالى وسع اسباب الانبساط اولا ثم ضيق
عليه الامر اخر شعر يا دنيتي حتى اذا ما فتنتني ٭ بقول يحل العصم سهل الاباطح تجافيت عني حين لا لي
حيلة ٭ وغادرت ما غادرت بين الجوانح ٭ خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملايكته فاسكنه
الجنة في جواره وزوجه حواء حتى يشاهد جمال الحق في مراة وجهه وانبت شجرة المحبة بين يديه
ثم منعه عنها وكان في ذلك المنع تذكير وتحريض ايضا كما مر ثم عاتبه بقوله فتكونا من الظالمين
وهذا ما اسكر موسى باقداح الكلام والقه في شراب السماع وقربه نجيا حتى اشتاق الي جماله
فطمع في وصاله فقال رب ارني فاجيب عاقبة سطوة لن تراني وذلك ان البلا والولاء توامان والمحبة والمحنة

بصنيعا لبان والمطلوب كلما كان اعز وامنع والجمال لابد له من الدلال وبه يتميز العاشق الصادق من
المدعي المحتال فلماذا اقاشجرة الغرام خرجا من دار السلام فالاهل الغرام ودار السلام وابن الفارغ السالي
من المحب المغالي شعر "فبتنا على رغم الحسود وبيننا * حديث كطيب المسك بيبيب به الحرف فلما اضاء الصبح
فرق بيننا * واي نعيم لا يكدره الدهر" وبالجملة لما جاء القضا ضاق الفضا فلم يبق بعد ان كان مسعود الملك
محسود الشمال والسمك منزول الرعاية موفور العناية حتى نزع عنه لباس الامن والفراغ باستيناسه الا
ستيعها شي يدفعونه الملائكة بعنف ان اخرج من غير مكث ولا بحث فاذلهما بدالمقدر بن يحسن الذي يركان
الشيطان المسكين كذيب يوسف لطخ خرطومه بدم نصح فلما وقعا من القربة في الغربة ومن الالفة في
الكلفة لماذا انا من شجرة المحبة المورثة للمحنة استوحشا من كل شي واتخذاه عدوا بعضكم لبعض عدو
وهكذا اشترط المحبة عداوة ما سوى المحبوب فكما اذ انه لا تقبل الشركة في المتعبد فكذلك لا يقبل
الشركة في المحبة فلما استقرحبة المحبة في ارض قلب ادم جعل الارض مستقر شخصه ليمنع بتربية
بذر المحبة بماء الطاعة والتكليف الي حين ادراك ثمرة المعرفة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال
صلي الله عليه وسلم ان داود قال يا رب لم خلقت الخلق فقال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت
الخلق لاعرف ثم انه بعد ما ابتلي بالهبوط بشره بان وحيه لا ينقطع وعدانيه لا ترتفع وان من ربي بذر
المحبة بماء الطاعة والمتابعة فلا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى من الهبوط الي الارض
لانهم يرجعون بجذبات العناية والهداية الي ذروة حظاير القدس والله ولي التوفيق

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ
بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا
أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ۝ وَلَا تَلْبِسُوا
الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْ
كَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ
تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ
إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

القراءة اسرايل بغير همز حيث كان يزيد وحمزة في الوقف نعمتي وكذلك ما بعدها ساكنة الياء
ابو زيد عن المفضل فارهبوني فاتقوني في الحالين يعقوب وكذلك كل يا محذوف في الخط عند راس
الاية وبهي مسبح بن حاتم وابو زيد عن سهل وعباس بالياء في الوصل اول كافر بالامالة قتيبة
واحمد بن فرح **الوقوف** فارهبون ط ربع الجزء كافر به ط لاتفاق الجملتين وعلى قليلا اجوز لاختلاف
النظم بتقديم المفعول فاتقون ه تعلمون ه الراكعين ه الكتاب ط تعقلون ه الصلوة ط الخاشعين ه لان الذين صفتهم

التفسير انه تعالى لما اقام دلايل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعامات العامة للبشر ومن جملتها
خلق ادم الي تمام قصته اردفها الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود لتكثيرهم واشتما له القلوب بهم وتنبيها على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث كونه اخبارا بالغيب مندرجا في مطاوي ذلك ما يرشدهم الى اصول
الاديان ومكارم الاخلاق واسرايل هو يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام غير منصرف للعلمية والعجمة
المعتبرة لقبه له ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله لان اسر بالعبرية هو العبد وايل الله وقوله يا بني اسرايل
خطاب مع جماعة اليهود والذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في ايام محمد صلى الله عليه وسلم ووحد النعمة وما
يتعلق بها قد سبق في تفسير الفاتحة والعايد من الصلة محذوف اي انعمت بها عليهم قال بعض العارفين عبيد
النعم كثيرة وعبيد المنعم قليلون فان الله تعالى ذكر بني اسرايل نعمه عليهم ولما ال الامر الي امة محمد صلى
الله عليه وسلم ذكرهم المنعم فقال اذكروني اذكركم عن ابن عباس انه قال من نعمه تعالى على بني
اسرايل ان نجاهم من ال فرعون وظلل عليهم في التيه الغمام وانزل عليهم المن والسلوى واعطاهم الحجر
الذي يسقيهم ما شاؤوا واعطاهم عمودا من النور اضاءة لهم بالليل وكان رؤوسهم لا تتشعث وثيابهم
لا تبلى وفي تذكير هذه النعم فوايد منها ان فيها ما يشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوراة
والانجيل والزبور ومنها ان كثرة النعم يوجب عظم المعصية فذكرهم اياها ليحذروا مخالفة ما دعوا
اليه من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران ومنها ان تذكير النعم الكثيرة يوجب الحيا من اظهار المخالفة
ومنها ان كثرة النعم تفيد ان المنعم خصهم بها من بين ساير الناس ومن خص احدا بنعم كثيرة فالظاهر
انه لا يزيلها عنهم كما قيل اتمام المعروف خير من ابتدايه فتذكير النعم السالفة مطمع في النعم الاتية وذلك
الطمع يمنع من اظهار المخالفة والمخاصمة والنعمة على الاباء نعمة على الابناء اذ لولاها لم يبق نسلهم ولان
الانتساب الي اباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد ولانهم اذا علموا
ان اباهم انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه الطريقة لان
مجبول على اتباع الاب ومن اشبه اباه فما ظلم والعهد يضاف الي العاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي
اي بما عاهدت عليه واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه والمعنى اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان
بي والطاعة لي اوف بعهدكم اي ارض عنكم وادخلكم الجنة حكاه الضحاك عن ابن عباس وتحقيقه في
قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله وقيل المراد من هذا العهد ما
اثبته في الكتب المتقدمة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه سيبعثه واليه الاشارة في قوله
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الي قوله ولادخلنكم جنات تجري من
تحتها الانهار وفي الاعراف فساكتبها للذين يتقون الاية وفي ال عمران واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من الاية وفي الصف واذ قال عيسى ابن مريم الاية وعن ابن عباس ان الله كان عهد الي بني اسرايل
في التوراة اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالتوراة الذي ياتي به اي بالقران غفرت
له ذنبه فادخلته الجنة وجعلت له اجرين اجرا باتباع ما جاء به موسى وجاءت به ساير الانبياء بني اسرايل
واجرا باتباع ما جاء به محمد النبي الامي الذي من ولد اسمعيل وتصديق هذا في القران يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا ثلثة يؤتون اجرهم مرتين
رجل من اهل الكتاب امن بعيسى ثم امن بمحمد فله اجران ورجل ادب امته فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها
فاعتقها وتزوجها فله اجران ورجل اطاع الله واطاع سيده فله اجران فان قيل لو كان الامر كما قلتم
فكيف يجوز من جماعتهم جحده قلنا اما الان هذا العلم كان حاصلا عند العلماء بكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير

هر

لان م

فجاء منهم كتمانه واما لان ذلك النص كان نصا خفيا لعدم تعيين الزمان والمكان بحيث يعرفه فجاز وقوع
الشكوك والشبهات فيه جاء في الفصل التاسع من السفر الاول من التورية ان هاجر لما غضبت عليها
سارة تراءى لها ملك الله تعالى فقال لها يا هاجر اين تريدين قالت اهرب من سيدتي سارة فقال لها ارجعي
الى سيدتك واخفضي لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين اسمعيل من اجل ان الله سمع
خشوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع فقيل هذا الكلام
قد خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون عن الدخول في اوايل
العراق واوايل الشام الا على اتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الخافقين بالاسلام وما زجوا الامم
ووطئوا بلادهم ومازجتهم الامم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة واياي فارهبون
فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته اي زيدا رهبت رهبته بتقديم المفعول للاختصاص
فتقديره واياي ارهبوا فارهبون وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان الفاء المؤذنة
بتلازم ما قبلها وما بعدها اي ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ومن قبيل التكرير ولاجل الاضمار والتفسير والرهبة
هي الخوف والخوف من العقاب وهو نصيب اهل الظاهر واما من الجلال وهو وظيفة ارباب القلوب والاول
يزول والثاني لا يزول ومن كان تخوفه في الدنيا اشد كان امنه يوم القيمة اكثر وبالعكس يروى انه ينادي
مناد يوم القيمة وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا خوفته يوم القيمة
ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيمة قوله وامنوا معطوف على اذكروا والمراد بما انزلت القران ومصدقا
حال موكدة من الراجع المحذوف وفيه تفسيران احدهما ان في القران ان موسى وعيسى حق والتورية
والانجيل حق والتورية انزل على موسى والانجيل على عيسى فكان الايمان بالقران موكدا للايمان بالتورية والانجيل
والثاني انه حصلت البشارة بمحمد وبالقران في التورية والانجيل فكان الايمان بمحمد والقران تصديقا
للتورية والانجيل وتكذيب محمد والقران تكذيبا لهما وفي هذا التفسير دلالة على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم من جهة ان شهادة كتب الانبيا لا يكون الا حقا ومن جهة انه اخبر عن كتبهم ولم يكن له
معرفة بذلك الا من قبل الوحي ولا تكونوا اول كافر به اي اول من كفر به او اول فريق او اول فوج كافر به
او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وههنا سوالان الاول
كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب والجواب فيه وجوه الاول
انه تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان
محمد والمستفتحين به على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس
فلما جاءهم ما عرفوا به الثاني ولا تكونوا اول مثل كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم
تعرفونه موصوفا في التورية مثل من لم يعرفه لانه لا كتاب له الثالث ولا تكونوا اول كافر به من اهل
الكتاب لان هؤلاء كانوا اول من كفر بالقران من بني اسرائيل الرابع ولا تكونوا اول كافر به يعني بكتابكم
يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبكم بمحمد يوجب تكذيبكم بكتابكم الخامس المراد بيان تغليظ كفرهم وذلك
ان السابق الى الكفر كفره اغلظ من سن سنة فله وزرها ووزر من عمل بها والكافر عن دليل ومعرفة
يوجب الايمان كفره اغلظ ممن كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا من هذا الوجه فصح اطلاق احدهما
على الاخر السادس ولا تكونوا اول من جحد مع المعرفة السابع اول فريق كفر من اليهود لان النبي صلى الله
عليه وسلم قدم المدينة وبها قريظة والنضير فكفروا به ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر الثامن ولا تكونوا
اول الكافرين به عند سماعكم بذكره بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه السوال الثاني كانه يجوز لهم الكفر اذا لم
يكونوا اولا والجواب ليس في ذكر الشيء دلالة على ما عداه بخلافه وايضا في قوله وامنوا دلالة على ان

كفرهم

كفرهم اولا واخرا محظورا وايضا قوله ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا لا يدل على اباحة ذلك بالثمن
الكثير وقوله يرفع السماء بغير عمد ترونها لا يدل على وجود عمد لا ترونها فكذلك ههنا قال هذا الكلام خطابا
لقوله خوطبوا به قبل غيرهم فقيل لهم لا تكفروا بمحمد فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا انتم اول الكفار فانه
يكون عليكم وزر من كفر الى يوم القيمة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا في اشتروا الضلالة بالهدى
اي لا تستبدلوا باياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم
خافوا عليها الفوات وابتغوا دين الاسلام وقيل الثمن هو الرشى باخذها علماؤهم على تحريف الكلم عن مواضعه
وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرايع واياي فاتقون مثل واياي فارهبون وقيل الاتقاء انما يكون عند الجزم
بحصول ما يتقى عنه فكانه امرهم بالرهبة على ان جواز العقاب قايم ثم امرهم بالتقوى على ان تعين العقاب قايم
قوله ولا تلبسوا امر بترك الاغواء والاضلال كما ان قوله وامنوا امر بترك الكفر والضلال ولاضلال الغير طريقان
لانه ان سمع الدلايل فاضلاله بتشويشها عليه وان لم يسمعها فاضلاله بكتمانها ومنعه من الوصول اليها
فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا المجزوم بلاء المقدرة المنهي عطفا على النهي قبله
اشارة الى القسم الثاني والباء التي في الباطل اما للوصل في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته فكان المعنى
ولا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بينهما واما للاستعانة
فالمعنى ولا تلبسوا الحق ملتبسا بباطلكم وهي الشبهات التي توردونها على السامعين وذلك
ان النصوص الواردة في التورية والانجيل في امر محمد كانت نصوصا خفية يحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم
كانوا يجادلون ويشوشون وجه الدلالة على المتاملين وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
وتكتموا منصوبا باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق نحو لا تاكل السمك وتشرب
اللبن قلت هذا التقديم يوهم ان المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع بين اكل السمك وشرب اللبن حتى لو اتى
بكل منهما منفردا جاز اللهم الا ان يحال ذلك على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا اذ لا يجوز ان
يريد اطع احدهما لقرينة الاثم والكفر وانتم تعلمون ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العايد عليكم يوم القيمة
من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والنهي عن اللبس والكتمان وان قيد بالعلم لم يدل على جوازهما
حال الجهل لان السبب في ذكره ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا افحش من الاقدام عليه عند الجهل
بكونه ضارا والنهي وان كان خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ثم لما امرهم
بذكر نعمته وبالايمان برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم ما الزمهم من اصول الشرايع فقال واقيموا
الصلوة اي التي عرفتموها بوصف النبي بناء على انه لا يجوز تاخير بيان المجمل عن وقت الخطاب واما القايلون
بجواز التاخير فقد جوزوا ورود الامر بالصلوة وان لم يعرف حقيقتها ويكون المقصود وان يوطن السامع
نفسه على الامتثال وان كان لا يعلم ان المامور به هو كما لو قال السيد لعبده اني امرك غدا بشيء فلا بد ان
يكون الغرض ان يعزم العبد على الحال على ادايه في الوقت الثاني ومعنى الصلوة لغة وشرعا تقدم في
اول البقرة واما الزكوة فهي في اللغة الزيادة والنماء وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لانها تزيد في
بركة المخرج عنه ويمكن ان يقال ماخوذة من التطهير من زكى نفسه تزكية اذا مدحها وطهرها من العيوب
قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج يطهر ما بقي من المال قال صلى الله عليه
وسلم عليك بالصدقة فان فيها ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الاخرة فاما التي في الدنيا فتزيد في الرزق
وتكثر المال وتعمر الديار واما التي في الاخرة فتستر العورة وتصير ظلا فوق الراس وتكون سترا من
النار وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع وفي قوله واركعوا مع
الراكعين وجوه احدها ان اليهود لا ركوع في صلوتهم فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الاتيان بصلوة

المسلمين وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار لان الاول امر اقامتها والثاني امر بالجماعة وثالثها الركوع
والخضوع لغة سوا فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وامرا بالتذلل للمومنين ثم انه سبحانه لما امر
بالايمان والشرايع بناء على ما خصهم به من النعم وبخهم في ذلك بناء على ما اخذ اخو وهو ان التغافل عن
افعال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول والهمزة في اتامرون للتقرير مع التقريع والتعجب
من حالهم والبر اسم جامع لاعمال الخير ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما وعمل مبرور مرضي واختلف في البر
هيهنا فقال السدي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ثم يرتكبونها
وقال ابن جريج يامرون الناس بالصلوة والزكوة ويتركونها ابو مسلم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوا الى الحق ويرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله تعالى محمدا
صلى الله عليه وسلم حسدوه واعرضوا عن دينه الزجاج يامرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل يامرون
من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل يامرون
غيرهم باتباع التورية وانهم خالفوه لانهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ثم ما امنوا
به وقيل لعل المنافقين من اليهود وكانوا يامرون باتباعه في الظاهر وينكرونه في الباطن فوبخهم الله
تعالى على ذلك والنسيان هو السهو الحادث بعد حصول العلم والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم
على ما صدر عنه فان المراد وتغفلون عن حق انفسكم وتعدلون عما لها فيه من النفع وانتم تتلون الكتاب
اي التورية وتدرسونها وتعلمون ما فيها من اعمال البر ومن نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن الوعيد
على ترك البر ومخالفة القول للعمل افلا تعقلون وهو تعجب للعقلا من افعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل
بعد همزة الاستفهام للعلم به والتقدير افعلتم ذلك افلا تعقلون وقس على هذا نظايره في القران
فانها كثيرة وللتعجيب وجوه منها ان المقصود بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير الى
المصالح وتحذيره عن المفاسد وارشاد النفس اليها وتحذيرها منها اهم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ
ولم يتعظ فكانه اتى بما لا يقبله العقل فمن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بما لا يقبله العقل الصحيح ومنها
ان مثل هذا الوعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لولا ان هذا الواعظ مطلع على انه لا اصل لهذه
التخويفات لما اقدم على المناهي فيكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجراءة على المعاصي وهذا
مناف للغرض من الوعظ فلا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض الواعظ ترويج كلامه وتنفيذ مرامه فلو
خالف ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول قال بعضهم ليس للعاصي ان يامر
بالمعروف وينهى استدلالا بهذه الاية وبقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وبان الزاني بامراة يقبح منه
ان ينكر عليها واجيب بان المكلف مامور بشيئين ترك المعصية ومنع الغير عنها والاخلال باحد التكليفين
لا يقتضي الاخلال بالاية والذم في الاية مرتب على الشق الثاني وهو نسيان النفس لا على مجموع الامرين
فان قلت وحديث القبح ممنوع قلنا والحق انه مكابرة فعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت
ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا اخي جبريل من هؤلاء قال خطباء
اهل النار كانوا يامرون بالبر وينسون انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار رجلا يتاذى اهل
النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله قال عالم لا ينتفع بعلمه وقال مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به
كالسراج يضيء الناس ويحرق نفسه وعن الشعبي تطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار
فيقولون لم دخلتم النار فانا دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ
بالقول ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل عمل رجل في الف رجل ابلغ من قول الف
رجل في رجل وروي ان يزيد بن هارون مات وكان واعظا زاهدا فرؤي في المنام فقيل ما فعل الله بك

قد

٨

فقال غفر لي واول ما سالني منكر ونكير فقالا من ربك فقلت اما تستحيان من شيخ دعا الناس الى الله
كذا كذا سنة فتقولان له من ربك وقيل للشبلي عند النزع قل لا اله الا الله فقال شعر ان بيتا انت ساكنه
غير محتاج الى السرج ولما امرهم الله تعالى بالايمان وترك الاضلال وبالتزام الشرايع وموافقة القول للفعل
وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسة والاعراض عن المال والجاه عالج الله تعالى هذا المرض
بقوله واستعينوا بالصبر والصلوة كانه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا والدخول فيما تستثقله
طباعكم من قبول دين محمد بالصبر اي حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم انفسكم ذلك مرنتموها عليه
وخف عليها ثم اذا ضممتم الصلوة الى ذلك كمل الامر لان المشتغل بالصلوة مشتغل بذكر لطفه وقهره فاذا
تذكر لطفه مال الى الطاعة واذا تذكر قهره انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن
المفطرات ومنه يقال شهر الصبر لشهر رمضان ومن حبس نفسه عن قضاء شهوتي البطن والفرج زالت
عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلوة استنار القلب بانوار معرفة الله وانما قدم الصوم على
الصلوة لان تاثير الصوم في ازالة ما لا ينبغي وتاثير الصلوة في حصول ما ينبغي والنفي مقدم على الاثبات
ويجوز ان يراد بالصلوة الدعا اي استعينوا على البلا بالصبر والالتجا بالدعا والابتهال في دفعه الى فاطر
الارض والسما وهذا الخطاب وان كان خاصا ببني اسرائيل والا لزم تفكك النظم لكن المعنى على العموم
فعلى كل مكلف ان يستعين على حوايجه الى الله بالصلوة والصبر على تكاليفها مراعيا في ذلك ما
يجب من الاخلاص وحسن الادب واستحضار العلم بانها انتصاب بين يدي الجبار العلام بالطويات
والاسرار ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ومن خواص الصلوة اندفاع
البلايا وانكشاف الهموم والرزايا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احزنه امر فزع الى
الصلوة وانها اي الصلوة او الاستعانة او جميع المامورات والمنهيات في هذه الايات لكبيرة لشاقة
ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا جزاء ربهم
وانهم الى حكمه راجعون فيصدر عنهم الاعمال من طيب نفس واستراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين
الذين اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا فالملحد اذا لم
يعتقد في فعلها منفعة لا يرى اتيانها فيبعد في الاشتغال بها وان كان زمانا يسيرا فيثقل عليه والموحد
حيث اعتقد في فعلها اعظم المنافع وهو الفوز بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم يهون عليه
تزجية الاوقات بوظايف العبادات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حتى تورمت قدماه
ومع ذلك يقول يا بلال روحنا وجعلت قرة عيني في الصلوة والخشوع والخضوع اخوان وهما التطامن
والتواضع ومنه الخاشعة للاكمة المتواضعة وفي الحديث كانت الارض خاشعة على الماء ثم دحيت
وللظن هيهنا تفسيران احدهما انه بمعنى العلم تجوزا لان الظن هو الاعتقاد بناء على تجويز النقيض
وتجويز نقيض لقاء الرب اي البعث والنشور كفر فكيف يمدح وسبب هذا التجوز انهما يشتركان في رجحان
الاعتقاد وان افترقا بتجويز النقيض وعدمه فصح اطلاق احدهما على الاخر ولا سيما اذا كان الظن
عن امارة قوية تقربه من العلم وثانيهما ان الظن بمعناه الحقيقي والمراد ملاقات الرب اما لقاء ثوابه
وذلك مظنون لا معلوم واما الموت الذي هو سبب اللقاء ووقته غير معلوم الا انه متوقع كل لحظة
توقعا راجحا عند المومن لانه قطع امله او لانه يحب لقاء ربه ان زعمتم انكم اولياء الله من دون الناس
فتمنوا الموت ويحتمل ان يقال معناه على هذا التفسير الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان
الانسان الخاشع قد يسيء ظنه بنفسه وباعماله فيغلب على ظنه انه يلقى الله بذنوبه فعند ذلك يتسارع
الى التوبة وذلك من صفات المدح وبقي هيهنا بحثان الاول استدل اهل السنة بالاية على جواز رؤية الله

تعالى واكثرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الرؤية لقوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافق لا يرى ربه ولقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ويشمل الكافرون والمومن وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان واجيب بان اللقاء في اللغة وصول احد الجسمين الى الاخر اتصال المماسة وهذا اللقاء سبب الادراك بحيث يمتنع حمله عن اصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق السبب على المسبب من اقوى وجوه المجاز فان منع من ذلك ايضا مانع اضمر بحسب ذلك فان الاضمار خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففي قوله الى يوم يلقونه دعت الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفي الاية لا ضرورة فحمله على الادراك اولى البحث الثاني المراد من الرجوع الى الله الرجوع الى حيث لا مالك لهم سواه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما كانوا كذلك في اول الخلق بخلاف ايام حياتهم في الدنيا فانه قد ملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى قالت المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال اهل التناسخ الرجوع الى الشيء مسبوق بالكون عنده فدلت الاية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ۝ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ۝

القراءة ولا يقبل بالتاء الفوقانية ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف العالمين ينصرون

التفسير انما اعاد سبحانه هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ان لم تطيعوني لاجل سوالف نعمي عليكم فاطيعوني للخوف من عقابي والمستقبل والمراد بالعالمين هاهنا الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين ويقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة لقرينة العلم بانه لم ير كل الناس ويمكن ان يراد المراد فضلتكم على العالمين لان الشخص الذي سيوجد بعد ذلك لا يكون من جملة العالمين ويحتمل ان يكون لفظ العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد ولكنه مطلق في الفضل والمطلق يكفي صدقه صورة واحدة فالاية تدل على انهم فضلوا على كل العالمين في امر ما وهذا لا يقتضي ان يكونوا افضل من كل العالمين في كل الامور فلعل غيرهم يكون افضل منهم في اكثرها وقيل الخطاب لمومني بني اسرائيل لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير وفي جميع ما يخاطب الله سبحانه وتعالى بني اسرائيل تنبيه العرب لان الفضيلة بالنبي قد لحقتهم وجميع اقاصيص الانبياء تنبيه وارشاد لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وروي عن قتادة قال لقد ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله بنو اسرائيل وما يعني بما يسمعون غيركم واتقوا اليوم هو اتقاء ما يحصل في ذلك اليوم من الشدائد والاهوال لان نفس اليوم لا يتقى وقوله لا تجزي الى اخر الاية الجمل منصوبات المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه ومنهم من يقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول فيه فحذف الجار وهي في فبقي لا تجزيه ثم حذف الضمير في قوله ام مال اصابوا شعر فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا اي اصابوه ولا يخفى ان هذا التكلف لا يتمشى في سائر الجمل بل ينبغي تقدير الجار والمجرور والعائد ومعنى لا تجزي لا تقضي منها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في الجذعة ضحاها ابن نيار قبل الموت تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في تقدير مصدر اي قليلا من الجزاء مثل ولا يظلمون شيئا

ومعنى تنكير النفس ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القاطع للمطامع ولذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى وفي الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة لانها تصرف من الحال الذميمة الى الحال الجميلة والافداء والضمير في ولا يقبل منها يرجع الى النفس الثانية العاصية المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة انها ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم يقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون الضمير عائد الى ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد او الاناسي مثل ثلاثة انفس وفي وصف اليوم بهذه الصفات تهويل عظيم وتنبيه على ان الخطب شديد لانه اذا وقع احد في كريهة وحاولت اعزته دفاع ذلك عنه بدات بما في نفوسها الابية من مقتضى الحمية فتتحمل عنه ما يلزمه وتذب عنه كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فان رأى من لا طاقة له بما تعتمد عادت بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال والمثال تحاول بالملاينة فاخبر الله تعالى ان شيئا من هذه لا يدفع يومئذ عن عذابه وفي هذا تحذير عن المعاصي وترغيب في تلافي ما فات بالتوبة لانه اذا تصور انه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم انه لا ينفعه الا الطاعة وتلافي البوادر فالاية وان كانت في بني اسرائيل الا انها تعم كل من يحضر ذلك اليوم فان قيل قدم في هذه الاية قبول الشفاعة على اخذ الفدية وفي موضع اخر من هذه السورة عكست القضية فما الحكمة في ذلك قلنا من الناس من ميله الى حب المال اشد من ميله الى علو النفس فيتمسك اولا بالتشفيع ثم يتزحزح الى بذل المال ومنهم من على العكس فيقدم الفدية على الشفاعة فتغيير الترتيب اشارة الى الصنفين والله اعلم ۝ واعلم ان الشفاعة هي ان تستوهب احد لاحد شيئا ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كان صاحب الحاجة كان فردا فصار بالتشفيع شفعا ثم ان الامة اجمعت على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم رتبة الشفاعة في الاخرة وعليه حمل قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى واجمعوا انه لا شفاعة للكفار بقي الخلاف فيمن عداهم فاهل السنة اثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب بقي خالدا في النار ولا شفاعة له وسائر الناس لهم الشفاعة قالوا ان هذه الاية تدل على نفي الشفاعة مطلقا والايات والاحاديث الدالة على وجود الشفاعة كثيرة فعرفنا ان الاية ليست على عمومها لكن الايات الواردة في وعيد صاحب الكبيرة كثيرة لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها فخرج غير صاحب الكبيرة وبقيت الاية حجة في الكفار وفي صاحب الكبيرة ۝ وزعم اهل السنة ان اليهود كانوا يدعون ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فايسوا من ذلك فاجيب بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسوف يجيء سائر الحجج العقلية في الايات المناسبة ان شاء الله تعالى وقالت الفلاسفة في تحقيق الشفاعة انه فاض من عالم الفيض والنقصان من القابل وجائز ان لا يكون الشيء مستعدا لقبول الفيض من واجب الوجود الا انه يكون مستعدا لقبول ذلك الفيض من شيء قبله عن واجب الوجود فيكون ذلك الشيء متوسطا بين الواجب وذلك الشيء مثاله في المحسوس الشمس فانها لا تضيء الا القابل المقابل والسقف لما لم يكن مقابلا لم يكن مستعدا لقبول النور منها لكنه لو وضع طست مملو من الماء الصافي انعكس منه الضوء الى السقف فارواح الانبياء كالوسائط بين واجب الوجود وبين ارواح عوام الخلق كالماء بين الشمس والسقف وهذا يدل على انه لا واسطة بين الله وبين عباده اشرف من نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم حيث انه لا شفاعة الا له

واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ۝ واذ فرقنا بكم

علم

البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون ٥ واذ واعدنا
موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون
ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ٥ واذ آتينا
موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون **القراءة**
سوء العذاب وسوء الحساب بغير همز حيث وقعنا مغني حلتن الاصفهاني عن ورش وعدنا كلبث كان ابو عمرو وسهل
ويعقوب ويزيد وموسى بالامالة المفرطة كل القران حمزة وعلي وخلف وعن ابي عمرو وجهان ان جعله فعلى فبالامالة
بين الفتح والكسر وان جعل على مفعل فبالفتح لاغير ثم اتخذتم باب الاظهار ابن كثير وحفص والمفضل والاعشى والبرجمي
والفرقان لعلكم مدغما عباس وكذلك يدغم اذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين وهي الواو المضموم ما قبلها
مثل ونكون لكما الكبرياء والياء المكسورة ما قبلها مثل ميثاق النبيين لما والالف المفتوح ما قبلها وما كان لموسى وما اشبهه
ذلك **الوقوف** نساءكم ط عظيم ٥ تنظرون ٥ ظالمون ٥ تشكرون ٥ تهتدون ٥ **التفسير** انه سبحانه لما قدم ذكر
النعم على بني اسرائيل اجمالا اخذ في تفصيلها واحدة واحدة ليكون ابلغ في التذكير واعظم في الحجة كانه قال اذكروا نعمتي
واذكروا اذ نجيناكم واذ فرقنا واذ كان كذا وكذا واذ في جميع هذه القصص مجرد الوقت مفعول به لاذكروا واصل
الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة للمكان العالي لان من صار اليه نجا اي تخلص من ان يعلوه سيل ولان الموضع
يخلص مما يحطه واصل آل اهل بدليل اهيل واهال في تصغيره وتكسيره على الاعرف فابدلت الى ال على خلاف
القياس ثم الى الف على وجوبا فالالف فيه بدل عن همزة بدل عن هاء ولا يستعمل الآل الا فيمن له خطر يقال آل النبي
وآل الملك ولا يقال آل الحائك وانما يقال اهله وهكذا لا يقال آل البلد وآل العلم وانما يقال اهلها وعند الكسائي اصله
اول بدليل تصغيره عند بعضهم على اويل كانهم يؤولون الى اصل قلبت الواو الفا على القياس وفرعون علم
لمن ملك العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وخاقان
للترك وتبع لليمن واختلف في اسمه عن ابن جريج ان اسمه مصعب بن ريان وعن ابن اسحق انه الوليد بن مصعب ولم يكن
من الفراعنة اغلظ واقسى قلبا منه وعن وهب ابن منبه واهل الكتابين قالوا ان اسمه قابوس وكان من القبط
وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وضعف اذ كان بين دخول يوسف مصر وبين دخول موسى اكثر من
اربعمائة سنة وقال محمد بن هو غير فرعون يوسف وان اسم فرعون يوسف الريان بن الوليد والمراد بآل فرعون اتباعه
واعوانه الذين عزموا على اهلاك بني اسرائيل بامره ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر
ويسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم **شعر** اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر
الخسف فينا ٥ واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء
مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة
الى سائره او المراد عذابا من غير استحقاق ولان العذاب بالاستحقاق حسن واختلف في سوء العذاب فابن
اسحق انه جعلهم خدما وخولا وصنفهم في اعماله فمن بان وحارث وزارع ومن لم يكن ذا عمل وضع عليه جزية
يؤديها والسدي كان يجعلهم في الاعمال القذرة ككنس الكنيف ونحوه ولا ريب ان كون الانسان تحت تصرف الغير
كيف يشاء لا سيما اذا استعمله في الاعمال الشاقة القذرة من غير ان ياخذه بهم رافة واشفاق من اشد العذاب
حتى ان من هذه حاله ربما يتمنى الموت ٥ سئل عن حكيم اي شيء اصعب من الموت قال ما يتمنى فيه الموت فبين تعالى
عظم نعمته عليهم بان نجاهم من ذلك ثم اتبع نعمة اخرى يذبحون ابناءكم ومعناه يقتلون الذكور من اولادكم
دون الاناث والذي دعاهم الى ذلك امور منها ان ذبح الابناء يقتضي افناء الرجال وانقطاع النسل بالآخرة ومنها
ان هلاك الرجل يقتضي فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والضر ومنها ان قتل الولد عقيب الحمل

والكد

٨٢

والكد والرجاء القوي في الانتفاع بالمولود من اعظم العذاب ومنها ان الابناء احب وارغب من البنات ولهذا قيل
ان سرك ان ينالها ثالث حيوة البنين وموت البنات لقول النبي صلى الله عليه وسلم دفن البنات من المكرمات
ومنها ان يقال النسوان دون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات للاعداء وذلك غاية الذل والهوان
وقال بعضهم المراد بالابناء الرجال ليطابق النساء اذ النساء اسم للبالغات وجمع المراة من غير لفظها قالوا انما كان
يامر بقتل الرجال الذين يخاف منهم الخروج عليه والتجمع لافساد امره والاكثرون على ان المراد بالاية الاطفال الظاهر
اللفظ ولانه كان يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم ولانهم كانوا محتاجين اليهم في الاعمال الشاقة ولانه لو كان كذلك
لم يكن لالقاء موسى في اليم معنى وانما لم يقتل البنات في مقابلة الابناء لانهن لما لم يقتلن كن بصدد ان يبلغن فحسن
اطلاق اسم النساء عليهن مثل اني اعصر خمرا وعن ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله وعد
ابراهيم ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فخافوا ذلك واتفقت كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون في بني
اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما راوا ان كبارهم يموتون وصغارهم يذبحون خافوا فناءهم وان
لا يجدوا من يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون عام وعن السدي ان فرعون راى نارا اقبلت من
بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسالهم
عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون هلاك القبط على يده وقيل ان المنجمين اخبروا فرعون بذلك
وعينوا له السنة فلهذا امر بقتل ابنائهم في تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان المستفاد من علم النجوم والتعبير
لا يكون امرا مفصلا والا قدح ذلك في كون الاخبار عن الغيب معجزا بل يكون امرا محتملا والظاهر من حال
العاقل ان لا يقدم على هذا الامر العظيم بسببه قلت كون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك في اجلى البديهيات
وهو انه ممكن الوجود فعده من العقلاء لا يكون من العقل ثم قال ذلك القائل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق
الانبياء الا انه كفر بالجحود والعناد او يقال انه كان شاكا متحيرا في دينه وكان يجوز صدق ابراهيم عليه الصلوة والسلام
واقدم على ذلك الفعل احتياطا قلت اذا اخبر الله تعالى عنه بانه قال انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيري
فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر جحود ومن اصدق من الله قيلا ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور فان قلت لم ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفي سورة ابراهيم بالواو فالوجه فيه انه اذا
جعل يسومونكم سوء العذاب مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا باسائر النكال
الشاقة سوى الذبح وجعل الذبح شيئا اخر احتيج الى الواو وانما جاء ههنا وفي الاعراف يقتلون بغير واو
لانهما من كلام الله تعالى فلم يرد تعداد المحن عليهم والذي في ابراهيم من كلام موسى فعدد المحن عليهم وكان مامورا
بذلك في قوله وذكرهم بايام الله وعن بعضهم ان معنى يستحيون يختبرون حياء المراة اي فرجها هل بها حمل ام لا وفيه تعسف
والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير الى الانجاء والحمل على النعمة اوجب لانها هي التي
يحسن اضافتها الى الرب تعالى ولان موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى على اسلافهم حيث عاينوا اهلاك
من حاول اهلاكهم واذلال من بالغ في اذلالهم ٥ وههنا نكتة وهي انهم كانوا في غاية الذل وخصمهم في غاية
الاستيلاء والغلبة الا انهم كانوا محقين وخصومهم مبطلين فانقلب الحق غالبا والمبطل مغلوبا فكانه قيل
لا تغتروا بفقر محمد وقلة انصاره في الحال فانه سينقلب العز الى جانبه والذل الى جانب اعدائه وفيه تنبيه
على ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا ويبني امر الاخرة قال اهل الاشارة
النفس الامارة وهي صفاتها الذميمة واخلاقها الردية ليسوم الروح الشريف ذبح ابناء الصفات الروحانية
الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستعمالهن في الاعمال القذرة الحيوانية والانجاء من ذلك الا انه
تعالى قوله واذ فرقنا نوعه اخرى في نعمة اي فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم على عدد
الاسباط وكانوا اثني عشر ومعنى بكم انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم كما يفرق بين الشيئين بما توسط بينهما
او يراد فرقناه بسبب انجائكم او يكون حالا اي ملتبسا بكم روي انه تعالى لما اراد غرق فرعون والقبط وبلغ
بهم الحال في معلوم الله تعالى انه لا يؤمن احد منهم امر موسى عليه السلام بني اسرائيل ان يستعيروا حلي القبط

اي

اما اخرجوا خلفهم لاجل المال واما ليبقى اموالهم في ايديهم ثم نزل جبريل عليه السلام قال اخرج ليلا كما قال تعالى
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي ليلا وكانوا ستمائة الف كل سبط خمسون الفا فلما خرجوا وبلغ الخبر فرعون قال لا
تتبعوهم حتى يصيح الديك قال الراوي والله ما صاح ليلة ذلك فلما اصبحوا دعا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا افرغ
من تناولي كبد هذه الشاة حتى يجتمع الي ستمائة الف قبط قال قتادة فاجتمع اليه الف الف وسبعمائة الف كل واحد منهم
على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله فاتبعوهم مشرقين اي بعد طلوع الشمس فلما سار بهم موسى الى البحر
قال له يوشع ابن امرني ربك فقال موسى الى امامك واشار الى البحر فاقحم يوشع فرسه في البحر وكان يمشي في الماء
حتى بلغ الغمر فسبح الفرس وهو عليه ثم رجع فقال له يا موسى اين امرك ربك فقال البحر فقال والله ما كذبت وما
كذبت ففعل ذلك ثلث مرات فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فانشق البحر اثني عشر طريقا فقال له
ادخل وكان فيه وحل فهب الصبا نحو البحر حتى صار طريقا يبسا فاخذ كل سبط منهم طريقا ودخلوا فيه فقالوا
لنبيهم اين اصحابنا لا نريهم قال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني
على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان الماء فصارت فيه كوى فتراءوا
وتسامعوا كلامهم ثم اتبعهم فرعون فلما بلغ راى ابليس واقفا فنهاه عن الدخول فهم بان لا يدخل البحر فجاء جبريل
على مهرة فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون فدخل وصاح ميكائيل بهم الحقوا اخركم باولكم فلما دخل
البحر بالكلية امر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تعالى واغرقنا ال فرعون وقيل ذلك اليوم
كان يوم عاشورا فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى ومعنى قوله وانتم تنظرون انكم ترون التطام
امواج البحر بفرعون وقومه وقيل ان قوم موسى ان يريهم الله تعالى حالهم فسال موسى ربه فلفظهم البحر
الف الف وستمائة الف نفس فنظروا اليهم وقيل المراد وانتم بالقرب منهم قال الفراء هو مثل قولك لقد ضربك
واهلك ينظرون اليك فما اعانوك تقول ذلك اذا قرب اهله منه وان كانوا لا يرونه ومعناه راجع الى العلم
قال اهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى القلب وفرعون النفس الامارة وقومه صفات
النفس والعصا عصا الذكر فيتعلق بحر الدنيا بنفي لا اله وينشق ماء شهواته يمينا وشمالا ويرسل الله تعالى
ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته
فيعبرونه وينجيهم عناية الا الله الى ساحل وان الى ربك المنتهى وتغرق فرعون النفس وقومه والله تعالى اعلم
ولما دخل بنوا اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ونسبه موسى
بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم عليهم السلام ان ينزل عليه التورية
وضرب له ميقاتا ذي القعدة وعشر ذي الحجة وانما قيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقال اهل
التحقيق لان الليلة وقت العبادة والخلوة فخصت بالذكر لشرفها ولعدد الاربعين خاصية لم ينكرها اهل
الذوق ولهذا جاء في الحديث من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه والجنين
يتقلب في الاربعينات في الاطوار قال ابو العالية وبلغنا انه لم يحدث حدثا في الاربعين ليلة حتى هبط من
الطور ولا بد من تقدير مضاف اي انقضاء اربعين كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اي تمام الاربعين
ومن قرا واعدنا من المواعدة فمعناه ان الله تعالى وعد الوحي ووعد هو المجي الى الميقات الى الطور وذكر الاربعين
ههنا مجمل ومفصلة في الاعراف كقوله ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة فصل اولا
ثم اجمل ومعنى ثم في قوله ثم اتخذتم استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم مناسبته له لانه تعالى
لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التورية عليه بحضور المستبعين تنبيها للحاضرين وتقريعا للغائبين
واظهارا لدرجة موسى وسائر بني اسرائيل واتوا عقيب ذلك باشنع انواع الجهل والكفر كان ذلك في محل التبعد
والتعجب كما تقول اني احسنت اليك وفعلت كذا وكذا ثم انك تقصدني بالايذاء والسوء والاتخاذ افتعال من الاخذ
الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم انه لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا
منه فعل يفعل قالوا اتخذ يتخذ وقد اجري اتخذ مجرى الافعال القلبية في الدخول على المبتداء والخبر فجعل خبر

فالتقدير

فالتقدير اتخذتم العجل الها الا انه حذف الثاني للعلم به ولذكره في مواضع اخرى منها في طه فقالوا هذا الهكم
واله موسى وقوله من بعده اي من بعد مضيه الى الطور قال اهل السير لما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقي
مع بني اسرائيل الثياب والحلي التي استعاروها من القبط قال لهم هارون ان هذه الثياب والحلي لا تحل لكم فاحرقوها
فجمعوا نارا فاحرقوها وكان السامري مع موسى عليه السلام في البحر نظر الى حافر دابة جبريل حين تقدم في البحر
فقبض قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامري اخذ ما كان معه من الذهب وصور منه عجلا والقى فيه
ذلك التراب فخرج صوت كانه الخوار فقال هذا الهكم واله موسى فاتخذ القوم الها لانفسهم ولهذا وصفهم الله تعالى
بالظلم فوضع احسن الاشيا مكانا اشرف الموجودات والواو في وانتم اما للحال واما للاعتراض اي وانتم قوم من
عادتكم الظلم وقال اهل التحقيق ان لكل قوم عجلا يعبدونه قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد
الدينار تعس عبد الخميصة وقال ما عبد اله ابغض الى الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادوه كانه قال ان هؤلاء انما يفتخرون باسلافهم ثم ان اسلافهم كانوا في
البلادة والجهالة والعناد الى هذه الغاية فكيف بهؤلاء الاخلاف وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما كان يشاهد
من مشركي العرب واليهود والنصارى من الخلاف والمشاقة فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وتحذير للعقلاء
من الجهل والتقليد وما افظع شان الجهلة المقلدة رضوا بان يكون العجل الها وما رضوا بان يكون البشر نبيا وقد تحمل
بعضهم لتصحيح واقعة عبدة العجل حيث استبعد وقوعها منهم مع انهم شاهدوا تلك المعجزات الباهرة التي
تكون قرينة من حد الالجاء في الدلالة على الصانع وصدق النبي ان السامري القى الى القوم ان موسى عليه
السلام انما قدر انما اتى به لانه كان يتخذ طلسمات على قوى ملكية فقال للقوم انا اتخذ لكم طلسمات مثل
طلسمه وروج عليهم ذلك بان جعله حيث خرج منه صوت عجيب واطمعهم في صيرورتهم مثل موسى في اتيان
الخوارق او لعل القوم كانوا مجسمة حلولية فجوزوا حلول الاله في بعض الاجسام فوقعوا في تلك الشبهة الركيكة
وههنا يظهر التفاوت بين امة موسى وامة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم بعد مشاهدة الايات العظام
القريبة من الافهام عبدوا الاصنام بل الانعام وامة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان معجزتهم القران الذي
لا يعرف اعجازه الا بالنظر الدقيق والفكر العميق لم يخالفوا نبيهم طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يزيغون عن سواء السبيل ولا يميلون الى معتقدات اهل الاباطيل
مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل قوله ثم عفونا عنكم اي حين تبتم بان قتلتم انفسكم من بعد ذلك الامر
العظيم الذي ارتكبتموه من اتخاذ العجل لعلكم تشكرون نعمة العفو والترجي في كلام الله تعالى قد مر
في لعلكم تتقون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق به بين الحق والباطل
يعني التورية نحو رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجرادة او التورية والبرهان الفارق
بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبق هناك ان ذلك لاجل موسى ذنبه
هذه الاية بين ذلك التخصيص على ذلك التنصيص وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى
يوم الفرقان يعني يوم بدر وقيل اتينا موسى التورية ومحمد الفرقان لكي تهتدوا به يا اهل الكتاب وفيه تعسف

وَاِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا
اِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ
اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى
اللَّهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ

معنى م

مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى
كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝

القراءة بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو طريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وقرأ ابو عمرو
بالاختلاس انه هو مدغما ابو عمرو غير عباس وكذلك كل ما كان بينهما باء ادوا وملفوظة مثل من دونه هو وانه
هو واشباه ذلك حتى حيث كان بالامالة نصير والعجلي نري الله مكسورة الراي روى ابن رومي عن ابن عباس
وابو شعيب عن اليزيدي وكذلك كل راء بعدها ياء واستقبلها الف ولام مثل ولو يري الذين والنصاري المسيح
مفتوحة الهاتيه السلوي بالامالة الشديدة حمزة وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذا كل ما كان
علي مثال فعلي الوقوف فاقتلوا انفسكم ط عند باريكم ط لان التقدير ففعلتم فتاب عليكم ط الرحيم ۝ تنظرون ۝ تشكرون ۝
السلوي ط ما رزقناكم ط يظلمون ۝ التفسير انه سبحانه وتعالي نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون
منه وذلك من اعظم النعم في الدين وايضا لما امرهم بالقتل ورفع ذلك الامر عنهم قبل فنائهم بالكلية كان ذلك نعمة
في حق اولئك الباقين وفي اعقابهم الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم وايضا لما بين ان توبة اولئك ما تمت الا بالقتل ظهر
انه بعثه محمد صلى الله عليه وسلم نعمة ورحمة لانه لا يا مرهم بشيء من ذلك متى رجعوا عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد
صلى الله عليه وسلم في التوبة فان امة موسى لما رغبوا في تلك التوبة مع نهاية مشقتها على نفسها فلان يرغب
احدنا في مجرد الندم كان اولي هذا وقد مر ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الا انه لابد فيه من تعدي ضرر فيتبين
ههنا انه يعود على انفسهم فبذلك استحقوا العقاب الابدي والفرق بين الفاآت الثلث في الاية ان الاولى
للسبب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب اما لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم على ان
التوبة مفسرة بقتل النفس في شرعهم لا بالندم واما لان القتل تمام توبة المهذ في شرعهم والمعنى فتوبوا فاتبعوا
التوبة بالقتل تتمة لتوبتكم كان القاتل عمدا لا يتم توبته في شرعنا الا بتسليم النفس حتى يرضى اولياء
المقتول او يقتلونه ومعني الي باريكم النهي عن الرياء في التوبة كانه قيل لو اظهرتم التوبة لا عن القلب فانتم ما
تبتم الي الله وانما تبتم الي الناس وقوله ذلكم خير لكم عند باريكم جملة معترضة تفيد التنبيه على ان ضرر الدنيا
اهون من عذاب الاخرة اذ لا نسبة للمتناهي الي غير المتناهي والموت لابد واقع فليس في تحمل القتل الا التقدم
والتاخير والثالثة هي الفاء الفصيحة اي المفصحة عن محذوف تقديره فامتثلتم فتاب عليكم وعلى هذا
يكون الكلام خطابا من الله تعالي لهم على طريقة الالتفات ويمكن ان يقال المحذوف شرط منتظم في جملة
قول موسى كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم وانما اختص هذا الموضع بذكر الباري لان معناه كما مر في
الاسماء الذي خلق الخلق على الوجوه الموافقة للمصالح والاعراض ففيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة
العليم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة براء من التنافر مناسبة للحكم والمقاصد الي عبادة
العجل الذي هو مثل في البلادة والغباوة فلا جرم كان جزاؤهم بتفكك ما ركب من خلقهم وتبديد ما نظم من
اشكالهم حتى لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها باتخاذ من لا يقدر على شيء منها والمراد بقتل الانفس اما
ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه والقتل اسم للفعل المودي الي زهوق الروح في الحال
او في المال واما قتل بعضهم بعضا وعليه المفسرون كقوله ولا تقتلوا انفسكم ولا تلمزوا انفسكم وذلك ان المؤمنين
كنفس واحدة ثم اختلفوا فقيل انه امر من لم يعبد العجل من السبعين المختارين لحضور الميقات ان يقتل من عبد
العجل منهم وقيل لما امرهم موسى عليه السلام بالقتل اجابوا فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا
مجتمعين كل قبيلة على حدة واتاهم هارون بالاثني عشر الفا الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف فقال ان هولاء
اخوانكم قد اتوكم شاهرين للسيوف فاحتبوا بافنية بيوتهم واتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه
او مد طرفه اليهم واتقاهم بيد او رجل ويقولون امين ط روي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه

فلم

٨٤

فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها فخلوا يقتلونهم الى المساء فقام موسى
وهارون يدعوان الله ويقولان هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة ونزلت التوبة وامرهم ان يكفوا عن القتل
وتاب على من لم يقتل وقالوا وكانت القتلى سبعين الفا وقيل كانوا اثني عشر منهم من عبد العجل ومنهم من لم يعبد
ولم ينكر على من عبده فامر من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل محل الهوي قالوا
معني قتل الانفس قمع الهوي لان الهوي حيوة النفس قوله واذ قلتم يا موسى ذهب بعض المفسرين الى ان هذه
الواقعة كانت قبل ان كلفهم الله عبدة العجل القتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى عليه السلام من الطور الى قومه
فراهم وما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه والسامري ما قال واحرق العجل ونسفه في اليم اختار سبعين
رجلا من خيارهم فلما خرجوا الي الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسال موسى ذلك فاجابه الله اليه
فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى عليه السلام من ذلك الغمام حتى دخل فيه
فقال للقوم ادخلوا ادخلوا وكان موسى متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني اسرائيل النظر
اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول له افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم
من ارض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك
لن نؤمن لك اي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهرت بالقراءة وبالدعاء
كان الذي يرى بالعين جاهرا بالروية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على نحو انتصاب قعد القرفصاء
لان هذا نوع من الروية كما ان تلك نوع من القعود ويحتمل ان يكون منصوبا على الحال بمعنى ذوي جهرة ومن قرأ جهرة
بفتح الهاء فاما لانه مصدر كالغلبة واما لانه جمع جاهر وانما اكدوا بهذا لئلا يتوهم ان المراد بالروية العلم والتخيل
على ما يراه النائم فاخذتكم الصاعقة وهي ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة
جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وصعقة موسى
في قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشية بدليل افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم
تنظرون فرفع موسى يديه الى السماء يدعو ويقول الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي
بقبول توبتهم فارجع اليهم وليس معي واحد فما الذي يقولون في فلم يزل يدعو حتى رد الله اليهم ارواحهم
وذلك قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما
كفرتموها فطلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم وقيل ان هذه الواقعة
كانت بعد القتل قال السدي لما تابت بنو اسرائيل عن عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله ان ياتيه موسى في
ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وماتوا فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني
امرتهم بالقتل ثم اخترت من بينهم هولاء فاذا رجعت اليهم ولا يكون معي احد فماذا اقول لهم فاوحى الله الي
موسى ان هولاء السبعين ممن اتخذ العجل الها فقال موسى ان هي الا فتنتك فاحياهم الله تعالى فقاموا
ونظر كل واحد الى الاخر كيف يحييه الله تعالى فقالوا يا موسى انك لا تسال الله شيئا الا اعطاك فادعه يجعلنا
انبياء فدعا بذلك فاجاب الله دعوته هذا ما قال المفسرون وليس في الاية ما يدل على ترجيح احد القولين على
الاخر ولا على ان الذين سالوا الروية عبدة العجل ام لا والصحيح ان موسى لم يكن من جملة الصعقين في هذه
الواقعة لانه خطاب مشافهة ولانه لو تناوله لوجب تخصيصه بقوله في حق موسى فلما افاق مع ان لفظة الافاقة
لا تستعمل في الموت ثم في الاية فوائد منها التحذير لمن كان في زمان نبينا عن فعل ما يستحق بسببه اي بفعله
ما فعل باولئك ومنها تنبيه تجحدهم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم بجحود اسلافهم نبوة موسى عليه السلام
مع مشاهدتهم بعظم تلك الايات ليتنبهوا انه انما لا يظهر على النبي صلى الله عليه وسلم مثلها لعلمه بانه لو اظهرها
لجحدوها ولو جحدوها لاستحقوا العقاب كما استحق اسلافهم ومنها التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت
لفواده كي يصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول ان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لو صحت

لكان اولى الناس بالايمان به اهل الكتاب حيث عرفوا خبره وذلك انه تعالى بين ان اسلافهم بعد مشاهدة تلك الايات كانوا يتمردون كل وقت ويتحكمون عليه فكيف تتعجب من مخالفتهم محمدا صلى الله عليه وسلم وان وجدوا في كتبهم اخبار نبوته ومنها ان اخبار محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه القصة مع كونه اميا يبين ان ذلك من قبل الوحي بقي ههنا بحث وهو ان المعتزلة استدلوا بالاية على امتناع رؤية الله تعالى لانه لو كان امرا جائز الوقوع لم ينزل بهم العقوبة كما لم ينزل بهم حين التمسوا النقل من قوت الى قوت في قولهم لن نصبر على طعام واحد واجيب بان امتناع رؤيته تعالى في الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته في الاخرة الذي هو محل النزاع ولعل رؤيته تقتضي زوال التكليف عن العبد والدنيا مقام التكليف وايضا اقتراح دليل زائد على صدق المدعي بعد ثبوته تعنت وايضا لا يمتنع ان الله تعالى علم فيه مفسدة كما علم في انزال الكتاب من السماء يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فلهذا جاء الاستنكار لان مطالبة الرؤية جهرة مطالعة الذات غفلة وقلة من سوء الادب وترك الحرمة مما لا يستحسنه قضية العزة والحشمة قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام تظللكم وذلك في التيه كما يجيء في المائدة سخر الله لهم السحاب فيسير بسيرهم يظلهم من الشمس [illegible] وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى اذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان لادم قبل الزلة وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع لا ادخار وبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه لا ادخار وعن مجاهد المن صمغ حلو وعن وهب هو الخبز السميد الرقاق وقال الزجاج هو ما من الله تعالى به عليهم وهذا كما يروى مرفوعا الكماة من المن وماؤها شفاء للعين وقيل السلوى العسل وقيل طائر احمر كلوا على ارادة القول اي وقلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات ما رزقناكم وهذه الاباحة وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم فجعلوا موضع الشكر كفرا وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ولكن كانوا انفسهم يظلمون لان وبال الظلم عائد اليهم لا الى غيرهم ولا الى الله تعالى وانما قال ههنا وفي الاعراف والتوبة والروم بزيادة لفظة كانوا لانها اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا بخلاف قوله تعالى في ال عمران ولكن انفسهم يظلمون لانه مثل ٤٠ والله اعلم

وَاِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَاَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

القراءة يغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وجبلة يغفر بضم التاء الفوقانية وفتح الفاء ابن عامر خطاياكم وبابه بالامالة علي وقرأ غير بالاخفاء يزيد ونشيط عن قالون وكذلك بخفاء النون والتنوين عند الخاء والعين سواء وسط الكلم او اولها **الوقوف** خطاياكم ط المحسنين ه يفسقون ه **التفسير** القرية مجتمع الناس من قريت الماء في الحوض اي جمعت وبهذا الاعتبار كثيرا ما يطلق القرية على البلدة والجمع القرى على غير قياس وانما قياسه في المعتل اللام فعال نحو ركوة وركاء وظبية وظباء والنسبة اليها قروي وهو على القياس عند يونس حيث قال الظبيي في النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان ظبيي على مثال الصحيح والقرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل باب القبة التي يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب تواضعا وشكرا لله تعالى وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم باخبات وخشوع وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم وحطة فعلة من الحط كالجلسة

خبر مبتدا محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك حطة واصلها النصب معناه اللهم حط ذنوبنا حطة فرفعت لافادة الثبوت كقوله شعر شكا الي جملي طول السرى يا جملي ليس الى المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى الاصل صبرا اي اصبر صبرا كان القوم امروا ان يدخلوا الباب على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم التماس حطة حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وذلك ان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكي توبته لمن شاهد منه الذنب لا لان التوبة لا تتم الا به اذ الاخرس تصح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى التوبة ولازالة التهمة عن نفسه وكذا من عرف بمذهب خطأ ثم تبين له الحق فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطأ عدوله عنه لتزول التهمة عنه في الثبات على الباطل وليعودوا الى موالاته بعد معاداته ويحسنوا الظن به وعن ابي مسلم الاصفهاني ان معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها واصل الغفر الستر والتغطية ومعنى القراءات في نغفر لكم لان الخطيئة اذا غفرها الله تعالى فقد غفرت فانما يغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل جاز التذكير والتانيث والخطأ الذنب قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا تقول منه خطئ يخطأ خطأ وخطاءة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا واصله خطائي بياء ثم همزة ابدلت الهمزة الفا وفتحت الياء لاجلها وسنزيد المحسنين المفعول الثاني محذوف للعلم به ولمكان الفاصلة اي سنزيدهم احسانا او ثوابا وسعة وذلك ان المراد من المحسنين اما من هو محسن بالطاعة في هذا التكليف واما من هو محسن بطاعات اخرى في سائر التكاليف وعلى الاول فالزيادة الموجودة اما منفعة دنيوية فالمعنى ان المحسن بهذه الطاعة نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه القرية واما منفعة دينية اي المحسن بها نزيده على غفران الذنوب ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى انا نجعل دخولكم الباب سجدا وقولكم حطة في غفران الذنوب ثم ان انتم بعد ذلك بطاعات اخر زدناكم ثوابا ويحتمل ان يكون المراد انهم صنفان فمن مخطئ تصير الكلمة سببا لغفرانه ومن محسن تصير سببا لزيادة ثوابه قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعولين واحد بنفسه والاخر بالباء والذي مع الباء يكون هو المتروك والذي بغير باء هو الموجود ويجوز ان يكون بدل بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول والمعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ معين وهو لفظ حطة فجاءوا بلفظ اخر لانهم لو جاءوا بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك او نتوب اليك او اللهم اعف عنا ونحو ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية والنبط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب على استاههم وقالوا حبة في شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وهو ان وضعوا غير ما امروا به مكان ما امروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات بالطاعون منهم اربعة وعشرون الفا في ساعة واحدة وقال ابن زيد بعث الله عليهم الطاعون حتى ماتوا من الغداة الى العشي عشرون الفا وقيل سبعون الفا ومعنى من السماء يحتمل ان يكون تشبيها بان لا منجى منه كالعلو كثلج ونحوه ويحتمل ان يراد من قبل الامر النازل من عند الله تفظيعا لشان العذاب والفسق هو الخروج عن طاعة الله تعالى الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفائدة التكرار التأكيد واما ان يراد انهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل وترتب الرجز عليهم من السماء بالفسق الذي كانوا يفعلونه قبل ذلك التبديل مستمرا الى اوان الظلم وهذا اظهر لزوال التكرير ولان لفظة كانوا تنبئ عن خصلة مستمرة والخصلة الواحدة المعينة لا يتصور فيها الاستمرار فلو كان المراد ذلك لقيل بما فسقوا وربما احتج اصحاب الشافعي بقوله تعالى فبدل الذين ظلموا انه لا يجوز تحريم الصلوة بلفظ التمجيد والتعظيم والتسبيح ولا يجوز القراءة بالفارسية وكذا لا يجوز تغيير ما ورد به التوقيف من الاذكار بغيرها واجيب بانهم انما استحقوا

الذم لتبديلهم القول الى قول اخر يضاد معناه معنى الاول فلا جرم استوجبوا الذم فاما من غير اللفظ مع بقاء المعنى فليس كذلك ورد بان ظاهر الاية ينبئ ان كل من بدل قولا بقول اخر سوا اتفق القولان في المعنى او لم يتفقا ؏ اسولة لم قال في البقرة واذ قلنا وفي الاعراف واذ قيل لانه صرح بالقائل في اول القران ازالة للابهام ولان الكلام مرتب على قوله اذكروا نعمتي وفي الاعراف لم يبق الابهام ولم قال ههنا ادخلوا وهناك اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة مقدمة في الذكر على الاعراف ولم قال في البقرة فكلوا وفي الاعراف وكلوا بالواو لما بينا في قوله وكلا منها رغدا وفي الاعراف فكلا ولم قال في البقرة خطاياكم وفي الاعراف خطيئاتكم جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة وقد اضاف القول ههنا الى نفسه فكان اللائق بكرمه غفران الذنوب الكثيرة وهناك لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجبا ولمثل هذا الجواب ذكر ههنا رغدا ليدل على الانعام الاتم ولم يذكر في الاعراف ولم قال ههنا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف بالعكس لان الواو للجمع المطلق ولان المخاطبين صنفان محسن ومذنب واللائق بالمحسن تقديم العبادة والخضوع ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وازالة العجب واللائق بالمسيء عكس ذلك ولانه ذكر في هذه السورة ادخلوا هذه القرية فقدم كيفية الدخول ولم قال في البقرة وسنزيد وفي الاعراف سنزيد لانه في الاعراف ذكر امرين قول الحطة وهو اشارة الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزائين احدهما الغفران والاخر الزيادة فترك الواو ليفيد توزيع الجزائين على الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين اعني دخول الباب وقوله الحطة فاحتيج الى الواو وايضا الاتصال اللفظي حاصل في هذه السورة بين قوله واذ قلنا وقوله سنزيد بخلاف الاعراف لان اللائق به في الظاهر سنزاد فحذف الواو ليكون استينافا للكلام واما الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف لان اول القصة مبني على التخصيص ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه واوامره عليهم فلما انتهت القصة قال فبدل الذين ظلموا هناك ذكر امة عادلة وههنا ذكر امة جائرة فصار اخر الكلام مطابقا لاوله واما في البقرة فلم تذكر في اول الايات تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في اخر القصة مثل ذلك لم قال في البقرة فانزلنا وفي الاعراف فارسلنا لان الانزال يفيد حدوثه في اول الامر والارسال يفيد تسلطا عليهم واستيصالهم بالكلية وذلك انما يحدث بالاخرة وقيل لان لفظ الارسال في الاعراف اكثر فروعي التناسب لم قال في البقرة بما كانوا يفسقون وفي الاعراف يظلمون لانه لما بين في البقرة كون الظلم فسقا اكتفى بذلك البيان في الاعراف وايضا انهم ظلموا انفسهم وخرجوا عن طاعة الله تعالى فوصفهم بالامرين في موضعين والله اعلم ؏

وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ط فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ط كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ط قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ط اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ط وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ط ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ

القراءة عامة القراء اثنتا عشرة بسكون الشين للتخفيف عليهم بضم الهاء والميم حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وكذلك كلما كان قبل الهاء ياء ساكنة وافق سهل اذا كان قبل الياء فتحة فقط واذا ابو عمرو بكسر الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم النبيين وبابه بالهمز نافع الا في موضعين في الاحزاب ان وهبت نفسها للنبي وبيوت النبي الا فوادي اسمعيل وقالون عنه بغير همز **الوقوف** الحجر ط لحق المحذوف اي ضرب فانفجرت عينا ط مشربهم ط مفسدين ط ويصلها هو خبر سالتم ط لان قوله وضربت ابتداء اخبار عما يؤل اليه حالهم من الله ط بغير الحق ط يعتدون ؏ **التفسير** جمهور المفسرين سوى ابي مسلم على ان هذا الاستسقاء كان في التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر اما العصا فقال الحسن كان اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة واما الحجر فاللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلثة اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امران يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا وقيل اهبطه ادم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل ورماه بنو اسرائيل بالادرة ففر به فقال له جبريل عليه السلام يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة لك وفيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة ثم انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليس فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا القاه واما الصنف والشكل فقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل له اربعة اوجه كما مر وهذا اذا لم يعين الموقف ومقابله واما الضرب فقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون والفاء في قوله فانفجرت فاء فصيحة كما سبق في فتاب عليكم وفي الحذف دلالة على ان موسى لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به والانفجار والانبجاس واحد ومعناه خروج الماء بسعة وكثرة واصل الفجر الشق ومنه الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بمخالفتهم وقيل الانبجاس خروج الماء قليلا ووجه بان الفجر في الاصل هو الشق والبجس الشق الضيق فلا يتناقضان كما لا يتناقض المطلق والمقيد والعام والخاص او لعله انبجس اولا ثم انفجر ثانيا وكذا العيون يظهر الماء فيها قليلا ثم يكثر لدوام خروجه او لعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر وتضعف اخرى فينبجس قد علم كل اناس اي كل سبط مشربهم كانه امر كل سبط ان لا يشرب الا من جدول معين حسما لمادة التشاجر فان العادة في الرهط الواحد ان لا يقع بينهم من التنازع مثل ما يقع بين المختلفين وهذا ايضا من تمام النعمة عليهم وانما ترك العاطف لان قوله قد علم بيان او تفصيل لما اجمل في قوله اثنتي عشرة كانه قيل هذا المجموع مشاع بينهم او مقسوم فقيل قد علم كلوا على ارادة القول اي وقلنا كلوا او قال لهم موسى كلوا من المن والسلوى الذي بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا الماء وقيل اي الاغذية لا تنبت الا بالماء فلما اعطاهم الماء فكانما اعطاهم المأكول والمشروب والعثو اشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها ان يكون مقررها لمضمون جملة اسمية وقيل حال مستقلة ومعناه النهي عن التمادي في حالة الافساد اما مطلقا او مقيدا بانه ان وقع التنازع بسبب ذلك الماء فلا يبالغوا في التنازع ويرد على هذا القول ان الافساد منهي عنه مطلقا وهذا التفسير يقتضي ان يكون المنهي عنه هو التمادي في الافساد لا نفس الافساد والصحيح ان المنصوبات في قوله عز من قائل ولا تعثوا في الارض مفسدين ثم وليتم مدبرين وفي نحو قولهم جاء زيد راكبا قائما من الصفات القائمة مقام المصدر نحو اقاعدا وقد سار الركب بقي في الاية بحث وهو انه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير والجواب على القول بالفاعل المختار ظاهر فان له ان يحدث اي فعل خارق شاء من غير ان يطلب له سبب وواسطة واما عند طالب الاسباب والوسايط فان

العناصر الاربعة لهاهيولي مشتركة عندهم وجوزوا انقلاب صور بعضها الى بعض جاز استمداد الماء الكاين في
الحجر من الهواء المجاور له ومثل هذا ما رواه انس انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم باناء وهو بالزوراء فوضع يده
في الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضاء القوم قال قتادة لانس كم كنتم قال ثلثماية اوزهاء ثلثماية
بل معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة اما نبوعه من بين الاصابع فغير معتاد
قال اهل الاشارة الروح الانساني وصفاته في عالم الغيب بمثابة موسى وقومه وانه يستسقي ربه لاهل بيتها
من ماء الحكمة والمعرفة فيضرب عصا لا اله الا الله ولها شعبتان من النفي والاثبات تتقدان نورا عند
استيلاء ظلمات النفس على حجر القلب فينفجر اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف لا اله الا الله
قد علم كل سبط من اسباط الانسان وهي خمس حواس ظاهرة وخمس باطنة مع القلب والنفس مشربهم فيسقي
حظه بحسب مشربه قوله سبحانه واذ قلتم يا موسى الاية زعم بعض المفسرين ان هذا السوال منهم كان معصية
فان اللائق بحال المكلف الصبر على ما ساقه الله تعالى خصوصا اذا كان نعمة وعفوا اصفعوا ولاسيما اذا كان
المسؤل ادون واحقر ولهذا انكره موسى عليهم فقال انستبدلون وقال الاخرون انه غير معصية لان قوله
كلوا واشربوا عند انزال المن والسلوى وانفجار الماء امر اباحة لا ايجاب ثم انهم كانوا اهل فلاحة فنزعوا الى ما الفوه
ورغبة الانسان فيما اعتاده في اصل التربية وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاده وان كان شريفا
لعلهم سئموا عن التيه فسالوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وغرضهم البلاد وايضا المواظبة على
الطعام الواحد تميت الشهوة وتضعف الهضم فيصح ان يكون التبديل مطلوبا للعقلاء ولهذا اجابهم الله تعالى
الى ما سالوا ولو كان معصية لم يجبهم الى ذلك اللهم الا ان يكون من قبيل ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
وما له في الاخرة من نصيب وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى لانهم ارادوا بالوحدة نفي التبدل
والاختلاف ولو كان مائدة الرجل الوان عدة تداوم عليها ويأكل كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما
واحدا ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترفه ونحن اهل زراعة ما نريد
ما الفناه ومعنى يخرج لنا يوجد ويظهر ما انبتته الارض من الخضر والنعناع والكرفس وغير ذلك من
اطايب البقول التي يأكلها الناس عادة والقثاء الخيار والفوم الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها وهو
للعدس والبصل اوفق وقال بعضهم الفوم الحمص لغة شامية ويقال هو الحنطة ومنه قولهم فوموا لنا اي
اختبزوا قال الفراء هي لغة قديمة الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادون مقدارا كقولهم في ضده
هو بعيد المحل بعيد الهمة يعنون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي
اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين المقدس الى قنسرين اثنا عشر فرسخا في ثمانية ومصر
اما مصر معرف والتنوين فيه في القراات المعتبرة مع ان فيه العلمية والتانيث لسكون وسطه كما في نوح
ولوط وفيها العلمية والعجمة واما مصر من الامصار كانه قيل لهم ادخلوا بلدا اي بلد كان لتجدوا فيه هذه الاشيا
ولما ذكر الله سبحانه صنوف نعمه على بني اسرائيل اجمالا ثم تفصيلا اراد ان يبين مآل حالهم ليكون
عبرة للنظار وتبصرة وتحذيرا للانسان عن الجحود والكفران المستتبعين للخزي والهوان فقال وضربت
عليهم الذلة اي جعلت محيطة بهم مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص او الصقت بهم حتى لزمتهم
ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلصق به فاليهود صاغرون اذلا اهل مسكنة ومدقعة اما
على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف الجزية وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدال
على كون القران وحيا نازلا من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم هذا حالهم في الدنيا واما حالهم في الاخرة
فذلك قوله وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته
اي صاروا احقاء جعوا بغضبه وهو ارادة انتقامه ذلك الذي ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة
بالغضب بسبب كفرهم بآيات الله اي القران بل وبالتورية لان الكفر به مستلزم للكفر بها وقتلهم الانبيا
وقد قتلت اليهود شعيبا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق اي من غير ما شبهة عندهم توجب استحقاق

النكل

القتل فان الاتي بالباطل قد يكون اعتقده حقا لشبهة عنت له وقد يأتي به مع علمه بكونه باطلا ولا
شك ان الثاني اقبح وادخل في القبحة او كرر للتاكيد نحو ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به ومحال ان يكون لمدعي
الا لله الثاني برهان والنبي بالهمز فعيل بمعنى فاعل من نبأ وبالتخفيف اي اخبر لانه نبأ عن الله قال سيبويه ليس احد
من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمز غير انهم تركوا الهمز في النبي كما تركوا في الذرية والبرية والخابية الا اهل
مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون في غيرها ويخالفون العرب في ذلك قيل اصله من نبأت من ارض الى
الى ارض اي خرجت منها الى اخرى وهذا المعنى اراد الاعرابي بقوله يا نبئ الله اي خرج من مكة الى المدينة فانكر عليه
الهمز وقيل النبي بالادغام من النبوة وهي ما ارتفع من الارض اي انه شرف على ساير الخلق فعيل بمعنى مفعول والجمع
انبياء على الاول انما جمع على انبياء لان الهمز لما ابدل والزم الابدال جمع جمع ما اصل لامه حرف العلة ذلك بما عصوا تاكيد
بتكرير الشيء بغير اللفظ الاول كقول السيد لعبده وقد احتمل منه ذنوبا سلفت منه فعاقبه عند اخرها هذا
بما عصيتني وخالفت امري هذا بما تجرات على واغتررت بحلمي ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر والقتل على معنى
انهم انهمكوا في العصيان والاعتدا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبيا او يكون الباء بمعنى
مع اي ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ساير انواع المعاصي واعتدوا حدود الله في كل شيء وقيل هو اعتداؤهم
في السبت واعلم انه سبحانه لما ذكر انزال العقوبة بهم بين سبب ذلك اولا بما فعلوه في حق الله وهو
جهلهم به وجحدهم لنعمه ثم ثناه بما يتلوه في العظم وهو قتل الانبياء ثم تلاه بما يكون منهم من المعاصي المتعدية
الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك في نهاية الترتيب وقيل الاول اشارة الى متقدميهم والثاني اشارة
الى من كان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانه تسبب ما نزل بين الفريقين من البلا ليظهر
للخلايق ان ذلك على قانون العدالة وقضية الحكمة فان قيل لم قيل ههنا ويقتلون النبيين بغير الحق وفي
ال عمران ويقتلون الانبياء بغير حق منكرا قلت الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل ما في قوله
صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس
بغير حق فالحق المعرف اشارة الى هذا واما الحق المنكر فالمراد تاكيد العموم اي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولا غيره البتة

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ط خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ
ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ۝
فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝

القراءة النصارى بالامالة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وورش من طريق البخاري والخزاز عن
هبيرة وكذلك كل راء بعدها ياء وردي قتيبة بكسر الصاد والراء وكذلك كل راء بعدها ياء بامالة ما قبل الالف

واسماعيل

والصابين بغير همز ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الوقوف عند ربهم لنوع عدول عن الاثبات الى النفي مع اتفاق الجملتين يحزنون ه الطور ط لان التقدير وقلنا لكم خذوا تتقون ه من بعد ذلك ج لان لولا للابتدا وقد دخل الفاء فيه الخاسرين ه خاسئين ه للاية والعطف بالفا المتقين ه التفسير قد انجر الكلام في الاي المتقدمة الى وعيد اهل الكتاب ومن نقف اثارهم فقرن به ما يتضمن الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب مع الترهيب فقال ان الذين امنوا واختلف المفسرون ههنا لان قوله في اخر الاية من امن يدل على ان المراد من قوله امنوا شيا اخر كقوله يا ايها الذين امنوا امنوا فعن ابن عباس المراد الذين امنوا قبل مبعث محمد وعيسى عليهما الصلوة والسلم مع البراة من اباطيل اليهود والنصارى كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وابي ذر الغفاري كانه قيل ان الذين امنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل لليهود والذين كانوا على الدين الباطل للنصارى كل من امن بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بالله واليوم الاخر وبمحمد فلهم اجرهم وعن سفيان الثوري ان الذين امنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون والذين هادوا يقال هاد يهود وتهودا اذا دخل في اليهودية والنصارى والصابيين كل من اتى منهم بالايمان الحقيقي فلهم كذا او قيل الذين امنوا في الماضي واليهود والنصارى والصابيين كل من امن منهم وثبت على ذلك في المستقبل والهود واشتقاق اليهود قيل من قولهم انا هدنا اليك اي تبنا ورجعنا عن ابن عباس وقيل نسبوا الى يهودا اكبر اولاد يعقوب وقيل انهم يتهودون اي يتحركون عند قراة التورية واشتقاق النصارى قيل من ناصرة قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم اي لنصرة بعضهم بعضا وقيل لان عيسى عليه السلام قال للحواريين من انصاري الى الله واحد النصارى نصران ونصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري والصابيين بالهمز اشتقاقه من صبا الرجل صبوا اذا خرج من دينه الى دين اخر وكانت العرب يسمون النبي صلى الله عليه وسلم صابيا لانه اظهر دينا على خلاف اديانهم عن مجاهد والحسن هم طايفة من اليهود والمجوس لا تؤكل ذبايحهم ولا تنكح نساوهم وعن قتادة قوم يعبدون الملايكة ويصلون للشمس كل يوم خمس مرات وقيل وهو الاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب ثم فيهم قولان الاول ان خالق العالم هو الله سبحانه وتعالى الا انه امر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها قبلة للصلوة والدعا والثاني انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وفوض التدبير اليها فيجب على البشر تعظيمها لانها هي الالهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه وينسب هذا المذهب الى الكلدانيين الذين جاءهم ابرهيم صلوات الرحمن عليه فبين الله تعالى ان هذه الفرق الاربع اذا امنوا بالله ويدخل فيه الايمان بكل ما وجب كالايمان برسله وامنوا باليوم الاخر وبما وعد فيه فان اجرهم متيقن جار مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من امن رفع على انه مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او نصب على انه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبر ان فلهم اجرهم والفاء لتضمن من او الذين معنى الشرط قال اهل البرهان قدم النصارى على الصابيين لانهم اهل الكتاب وعكس الترتيب في الحج لان الصابيين مقدم على النصارى بالزمان وراعى في المايدة المعنيين فقدمهم في اللفظ واخرهم في التقدير لان تقديره والصابيون كذلك قوله سبحانه واذ اخذنا ميثاقكم مخاطبة فيها معاتبة لاشتمالها على تذكير النعم وتقرير النقم وللمفسرين في هذا الميثاق اقوال احدها انه ما اودع الله العقول من الدلايل الدالة على وجود الصانع وقدرته وحكمته وعلى صدق انبيايه ورسله وهو اقوى المواثيق والعهود لانه لا يحتمل الخلف والكذب والتبدل بوجه من الوجوه وهو قول الاصم وثانيها ما روي عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ان موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالالواح فراوا ما فيها من الاصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها امر جبريل عليه السلام بقلع الطور من اصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى عليه السلام ان قبلتم والا القي عليكم فحينيذ قبلوا واعطوا الميثاق وعن ابن عباس ان لله ميثاقين الاول حين اخرجهم من صلب ادم واشهدهم على انفسهم والثاني انه الزم الناس متابعة الانبيا والمراد ههنا هو هذا العهد وانما قال ميثاقكم ولم يقل مواثيقكم للعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا اي كل واحد منكم او لان الميثاق شي واحد اخذه من كل

واحد

واحد منهم ولو قال مواثيقكم لاشبه ان يكون لكل منهم ميثاق اخر والواو في ورفعنا اما واو عطف ان جعل الميثاق متقدما على رفع الجبل في قول الاصم وابن عباس واما واو الحال ان جعل مقارنا للرفع كانه قال واذ اخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم والطور قيل الجبل مطلقا عن ابن عباس انه جبل من جبال فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب انه الجبل الذي وقع المناجاة عليه وقد يجوز ان ينقله الله تعالى الى حيث هم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على ان يسكن الجبل في الهوا قادر على ان ينقله اليهم من المكان البعيد خذوا على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة غير متكاسلين ولا متغافلين وقيل بقوة بنية واذكروا ما فيه احفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وانما لم يحمل على نفس الذكر لان الذكر الذي هو ضد النسيان من فعل الله تعالى فكيف يجوز الامر به لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا ارادة ان تتقوا ثم توليتم معطوف على محذوف اي فقبلتم والتزمتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفا به ويمكن ان يقال اخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة الى تقدير من بعد ذلك اي من بعد القبول والالتزام قال القفال قد يعلم في الجملة انهم بعد قبول التوبة ورفع الطور تولوا عن التورية بامور كثيرة فحرفوا التورية وتركوا العمل به وقتلوا الانبيا وكفروا بهم وعصوا امرهم ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله اوايلهم ومنها ما فعله متاخروهم ولم يزل اولهم في التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب ليلا ونهارا يخالفون موسى ويعترضون عليه ويلقونه بكل اذى ويجاهرونه بالمعاصي في عسكره حتى لو خسف ببعضهم واحرقت النار وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور في تراجم التورية يقرؤنها ثم فعل متاخروهم ما لا خفا به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا بالمسيح وهموا بقتله فغير عجيب انكارهم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب فجحودهم لحقه وحالهم في كتابهم ونبيهم ما ذكر فلولا فضل الله عليكم بامهالكم وتاخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين اي من الهالكين الذين باعوا انفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران لان الله تعالى تفضل عليكم بالامهال حتى تبتم فان كلمة لولا تدل على امتناع الثاني بوجود الاول فامتنع الخسران لوجود فضل الله ويحتمل ان يكون الخبر قد انتهى عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون قوله فلولا فضل الله عليكم ورحمته رجوعا بالكلام الى اوله اي لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على رد الكتاب ولكنه تفضل عليكم ورحمكم ولطف بكم بذلك حتى تبتم قوله عز من قائل ولقد علمتم اللام للابتدا ولا يكاد يدخل الماضي بدون قد لانها لتاكيد مضمون الجملة الاسمية نحو لزيد قايم او لتاكيد المضارع نحو ليقضي زيد ولكن قد تقرب الماضي من الحال فيصير كالمضارع مع تناسب معنى قد ومعنى اللام في التحقيق وعند الكوفيين بتقدير القسم نزلت عن ابن عباس ان هؤلاء القوم كانوا في زمن داود عليه السلام بايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل ارب في شهر من السنة حتى لكثرتها وفي غير ذلك الشهر في كل سبت خاصة فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الماء في الجداول وكانت الحيتان يدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم ثم انهم اخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم خايفون من العقوبة فلما طال العهد استن الابناء بسنة الاباء واتخذوا الاموال فمشى اليهم طوايف من اهل المدينة الذين كرهوا الصيد في السبت ونهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن في هذا العمل منذ زمان فما زادنا الله به الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا بذلك فربما نزل بكم العذاب والهلاك فاصبح القوم وهم قردة خاسئون فمكثوا ثلثة ايام ثم هلكوا قال بعضهم وفي الكلام حذف اي ولقد علمتم اعتدا الذين اعتدوا ليكون المذكور من العقوبة جزاء لذلك والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت والاعتدا فيه اما نفس الاصطياد لانهم امروا فيه بالتجرد للعبادة فجاوزوا ما حد لهم واشتغلوا بالصيد واما الاصطياد مع استحلاله وقوله كونوا المراد منه سرعة الايجاد واظهار القدرة وان لم يكن هناك قول انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد عن مجاهد انه مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم لا انه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان يقول الاستاذ للمتعلم البليد الذي

لا ينجع فيه تعليمه لكن حمارا واحتج بان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس فاذا ابطله وخلق مكانه تركيب القردة
ويرجع حاصل المسخ الي اعدام الاعراض التي باعتبارها كان ذلك الجسم انسانا وايجاد اعراض اخر باعتبارها صار قردا
وايضا الوجوز نا ذلك لم نامن في كل ما نراه قردا وكلبا انه كان انسانا عاقلا وذلك يشكك في المجاهدات واجيب بان
الانسان ليس هذا الهيكل بالسمن والهزال فهو امر وراء ذلك اما جسماني سار في جميع البدن او جزء في جانب من
البدن كالقلب او دماغ او مجرد كما تقوله الفلاسفة وعلي التقادير فلا امتناع في بقاء ذلك الشي مع تطرق التغير الي هذا الهيكل
وهذا هو المسخ وبهذا التاويل يجوز في الملك الذي يكون جثته في غاية العظم ان يدخل حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم
ولانه لم يتغير منهم الا الخلقة والصورة والعقل والفهم باق فانهم يعرفون ما نالهم بشوم المعصية من تغير الخلقة و
تشويه الصورة وعدم القدرة علي النطق وساير الخواص الانسانية فيتالمون لذلك ويتعذبون ثم اولئك القردة
بقوا وافناهم الله وان بقوا فهذه القردة التي في زماننا من نسلهم ام لا الكل جائز عقلا الا ان الرواية عن ابن عباس
انهم ما مكثوا الا ثلثة ايام ثم هلكوا فجعلناها اي المسخة والقردة او قرية اصحاب السبت او هذه الامة نكالا عقوبة
شديدة رادعة عن الاقدام علي المعصية والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم يقصد بذلك ما يقصده الناس
من التشفي واطفاء نايرة الغيظ وانما جعلناها عبرة لما قبلها معها وبعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب
الاولين فاعتبروا بها وسيبلغ خبرها الي الآخرين فيعتبرون او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم او
جعلناها عقوبة لجميع ذنوب تقدمت المسخة ولاجل ذنوب تاخرت عنها لانهم ان لم يكونوا ممسوخين لم ينتهوا عنها
فهم في حكم المرتكبين لها ولا يلزم من ذلك تجويز العقاب علي الذنب المفروض الموهوم لانه امر اعتباري والعقوبة
في نفسها واحدة ثابتة علي حالها لم يزد لاجل الدنيا المتاخرة شي فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق
المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق المتاخر شي فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتاخر المترقب
مائة اخرى ولكنه كمن قيد عبده او حبسه لاجل الاباق المتقدم والاباق المترقب والله اعلم وموعظة للمتقين لان منفعة
الانعاظ تعود اليهم لا الي غيرهم مثل هدي للمتقين او ليعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم

وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖٓ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ط قَالُوٓا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ط
قَالَ اَعُوذُ بِاللّٰهِ اَنْ اَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ط قَالَ
اِنَّهٗ يَقُولُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ط عَوَانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۝ قَالُوا
ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ط قَالَ اِنَّهٗ يَقُولُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ
النَّاظِرِينَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ اِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ط وَاِنَّآ اِنْ شَآءَ
اللّٰهُ لَمُهْتَدُونَ ۝ قَالَ اِنَّهٗ يَقُولُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْاَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ط
مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ط قَالُوا الْـٰٔنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۝
وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادّٰرَءْتُمْ فِيهَا ط وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ
بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِي اللّٰهُ الْمَوْتٰى وَيُرِيكُمْ اٰيٰتِهٖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ثُمَّ قَسَتْ

نصف الحزب

قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ اَوْ اَشَدُّ قَسْوَةً ط وَاِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْاَنْهَارُ ط وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ ط وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ
مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ ط وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

نصف الجزء

القراءة

يأمركم بالاختلاس ابو عمرو وكذلك كل فعل مستقبل مجزوم من ذوات الراء هزوا ساكنة الزاي مهموزة حمزة
وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقراءة حمزة مبدلة الواو من الهمزة في الوقف لمكان الخط وقرا حفص عن
الخوارزمي مثقلا مهموزا جيت وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى عن اصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف
عما يعملون بالياء التحتانية ابن كثير الوقوف بقرة ط هزوا ط الجاهلين ۝ نصف الجزء ما هي ط ولا بكر لان التقدير هي
عوان بين ذلك ط علي تقدير هي لكم فافعلوا ما تؤمرون ۝ ما لونها ط صفراء ط الي آخر الآية لان الجملة صفة بعد صفة
الناظرين ما هي لان التقدير فان البقر او لان البقرة ابتداء لعدم تكرير السوال علينا لمهتدون الحرث لان قوله
مسلمة صفة بقرة او خبر محذوف اي هي مسلمة لا شية فيها ط جئت بالحق ط لان التقدير فطلبوها فوجدوها
فذبحوها يفعلون ۝ فادارأتم فيها ط تكتمون ۝ ج لان الآية والتي بعدها ببعضها ط لان التقدير فضربوه فحيي فقتل لهم كذلك
يحيي الله الموتى ط تعقلون ۝ قسوة ط الانهار ط الماء ط خشية الله ط للتفصيل ولا بل القدرة تعملون

التفسير

عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل قتل قريبا له لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكى ذلك الي موسى عليه
السلام فاجتهد موسى في تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل ربك حتي يبينه فساله فاوحى اليه ان الله يامره
ان تذبحوا بقرة فعجبوا من ذلك فشددوا علي انفسهم بالاستفهام حالا بعد حال واستقصوا في طلب الوصف فلما
تعين لم يجدوها بذلك النعت الا عند يتيم وذلك انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال
اللهم اني استودعكها لابني حتي يكبر وكان بارا بوالديه فنشت وكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم
وامه حتي اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة اربعين سنة
فذبحوها فامر موسى عليه السلام ان ياخذوا عضوا منها فيضربوا بها القتيل فصار المقتول حيا وسمى لهم قاتله
وهو الذي ابتدا بالشكاية فقتلوه قودا واعلم ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند
مجوزي تكليف ما لا يطاق واما تاخيره الي وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوزون استدلوا بالآية قالوا امروا
بذبح بقرة معينة بدليل تعيينهم سواء اليهم اخرا وبدليل انه لم يومر بمتجدد بل الماموربه في الثانية هو
هو المامور في الاول بالاتفاق فهو بدليل المطابقة لما ذبح والمانعون قالوا معناه اذبحوا اية بقرة شئتم بدليل تنكير
بقرة وهو ظاهر في ان المراد بقرة غير معينة وبدليل قول ابن عباس لو ذبحوا بقرة ما لاجزاهم ولكنهم
شددوا علي انفسهم فشدد الله عليهم وبدليل التعنيف في قوله وما كادوا يفعلون ولو كانت معينة لما
استحقوا التعنيف علي السوال واجيب بان ترك الظاهر يجوز لموجب راجح وما نقل عن ابن عباس خبر الواحد
والتعنيف يجوز ان يكون لتفريطهم في الامتثال بعد حصول البيان التام ويتفرع علي قول المانعين ان التكليف
يكون متغايرا فكلفوا في الاول اي بقرة كانت وثانيا ان يكون لا فارضا ولا بكرا عوانا فلما لم يفعلوا ذلك كلفوا
ان يكون صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ان تكون لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القائلون بهذا
المذهب منهم من قال في التكليف الواقع اخيرا يجب ان يكون مستوفيا كل صفة تقدمت حتي تكون
البقرة مع الصفة الاخيرة لا فارضا ولا بكرا وصفراء فاقعا لونها ومنهم من يقول انما يجب كونها بالصفة الاخيرة
فقط وهذا اشبه بظاهر الكلام اذا كان تكليفا بعد تكليف دل علي ان الاسهل قد ينسخ بالاشق فان
المرتب لولده قد يامره بالسهل اختبارا فاذا امتنع الولد منه فقد يرى المصلحة في ان يامره بالصعب ويدل ايضا
علي جواز النسخ قبل الفعل فان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الي البداء ويدل علي وقوع النسخ في

خبرية

شرع موسى عليه السلام و يدل ايضا على ان الزيادة في الخطاب سنخ له اتتخذنا هزوا استفهام بطريق الانكار
معناه لا تجعلنا مكان هزوا واهل هزو و مهزوا بنا والهزء نفسه لفرط الاستهزاء كان القوم ظنوا انه يداعبهم لانه من المحال
ان موسى عليه السلام امرهم بذبح البقرة مما اعلمهم انهم اذا ذبحوا البقره وضربوا القتيل ببعضها صار حيا فلا جرم
وقع هذا القول منهم موقع الهزء ويحتمل انه وان كان قد بين كيفية الحال الا انهم تعجبوا من ان القتيل كيف يحيي بان يضرب
ببعض اجزاء البقره واختلف العلماء هيهنا فعن بعضهم تكفيرهم بهذا القول لانهم شكوا في قدرة الله تعالى على احياء
الموتى فقد كفروا وان شكوا في ان الذي امرهم به موسى عليه السلام هل هو بامر الله فقد جوزوا الخيانة على موسى
في الوحي وذلك ايضا كفر وعن اخرين انه لا يوجب الكفر لان المداعبة على الانبيا جائزة ولعلهم ظنوا انه يداعبهم
مداعبة حقه او المراد ما عجب هذا الجواب كانك تستهزئ بنا لا انهم حققوا على موسى الاستهزاء من الجاهلين
اطلاق لاسم السبب على المسبب فان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب الجهل ومنصب النبوة يجل عن ذلك
كما يقول الرجل عن مثل ذلك اعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى او اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين بما في
الاستهزاء من نقصان الدين والعقاب الشديد وقيل نفس الهزء قد يسمى جهلا فان الجهل ضد الحلم كما انه ضد
العلم ثم ان قيل ان المامور بذبحه بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن موقع سوالهم لان المامور به
لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام اما على قول القائل انها للعموم فلا بد من بيان انه ما الذي حملهم على هذا
الاستفسار فذكروا وجوها احدها انها لما امرهم بشان البقره تعجبوا وظنوا ان البقرة التي لها مثل هذه الخاصة
لا تكون الا بقرة معينة فلا جرم استقصوا في السوال عن وصفها كعصا موسى المخصوصة من بين سائر العصي
بتلك الخواص الا ان القوم كانوا مخطئين في ذلك لان هذه الاية العجيبة لا تكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها
الله على يد موسى اولعل القوم ارادوا قتل اي بقرة كانت الا ان القاتل خاف من الفضيحة فالقى شبهة في التبيين وقال
المامور به بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة رجعوا الى موسى او الخطاب وان افاد العموم الا ان القوم
ارادوا الاحتياط فسالوا مزيد البيان وازالة الاحتمال الا ان المصلحة تغيرت واقتضت بذبح البقرة المعينة فان قيل
السوال بما هو لطلب الحقيقة والحقيقة لا تعلم باجزائها ومقوماتها لا بصفاتها الخارجة فالجواب بالاوصاف الخارجة
لا يكون مطابقا للسوال قلنا من التبيين ان مقصودهم من قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها النوعية فان ذلك كالمفروغ
عنه عندهم وانما وقع السوال عن المشخصات فالظاهر يقتضي ان يقال اي بقرة هي فان مطلب اي للسوال عن
الصفات الذاتية او الخواص فسبب العدول اما اقامة الحقيقة الشخصية مقام الحقيقة النوعية فان الشخص
من حيث هو شخص حقيقة ايضا قد يطلب تصورها واما لانهم تصوروا البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة
حقيقتها مغايرة لحقيقة سائر البقرات وان كانت صورتها موافقة لصورتها واما لان السوال عن الجزئيات كزيد
وعمرو وانما يكون بمن اذا كان مطلبنا العوارض وههنا الجزئي غير ذي عقل فناسب ان يقام ما مقام من الفارض
المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض كطالق كانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها البكر الفتية وكان الاظهر
انها لم تلد كما في الانسان والعوان النصف قال شعر نواعم بين ابكار وعون ✓ وقيل ان العوان ✓ قيل انها نصف
✓ ان الطيب نصفها الذي ذهبا وقد عونت ✓ وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد واستعمال غلبة الظن في
الاحكام اذ لا يعلم انها بين الفارض والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظة ذلك مع انه يدخل
على متعدد لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما اشير بذلك على مونث
وهو للاشارة الى واحد مذكر على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام ما تؤمرون اي ما تؤمرون به
مثل امرتك الخير فافعل ما امرت به بمعني ما تؤمرون به او امركم بمعنى مأموركم تسمية بالمفعول بالمصدر كضرب
الامير ولما بين لهم كمال حالها في السن شرعوا في تعرف حال اللون والفقوع اشد ما يكون من الصفرة يقال
في التوكيد اصفر فاقع مثل اسود حالك واحمر قاني وارتفع اللون على انه فاعل سبب لفاقع والفرق بين قولك
صفرا فاقعة وصفرا فاقع لونها ان في الثاني تاكيدا ليس في الاول لان اللون اسم في الهيئة وهي الصفرة
فكانه قيل شديد الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع

الشمس يخرج من جلدها والسرور حالة نفسانية تعرض عند اعتقاد او علم او ظن بحصول شي لذيذ او نافع
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لبس نعلا صفرا قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري وصفراء
فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى
جمالات صفر ان البقر تشابه علينا لان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير وانا ان شاء الله لمهتدون ✓
عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لولم يقولوا ان شاء الله لحيل بينهم وبينها ابدا وفيه دليل على ان الاستثنا
مندوب في كل عمل صالح يراد تحصيله وفيه استعانة بالله وتفويض الامر اليه والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيته
الازلية وارادته السرمدية ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والمعنى انا بمشية الله نهتدي للبقرة المامور
بذبحها عند تحصيلها اوصافها التي تمتاز بها عما عداها وانا ان شاء الله تعريفها ايانا بالزيادة لنا في البيان نهتدي
لها وانا ان شاء الله على هدى في استقصاء السوال اي نرجوا انا لسنا على الضلالة فيما تفعله من هذا البحث او
انا بمشيئة الله نهتدي للقاتل لا ذلول صفة البقره مثل لا فارض اي بقرة غير ذلول لم تذلل تثير وانا تثير
الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحرث لا الاولى للنفي والثانية مزيدة للتوكيد لان المعنى
لا ذلول وتثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية والذل بالكسر اللين ضد
الصعوبة ودابة ذلول بينة الذل كانه فعول بمعنى فاعل ولهذا استوى فيه المذكر والمونث تقول جمل صعب
وامرأة صبور مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب مطلقا او معناه من العمل وحشيته من العمل ومخلصة
اللون لم يشب صفرتها شي من الالوان فيها يخالف سائر لونها وهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي
في الاصل مصدر وشاه اذا خلط بلونه لونا اخر واصلها وشية حذفت فاؤها كما في علة من وعد الان اسم
للوقت الذي انت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة وليس الالف واللام فيه للتعريف لانه ليس ما يشركه
وهو بالحق جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف
فذبحوها فالذبح هو قطع العنق وهو المستحب في الغنم والبقر والنحر هو قطع اللبة اسفل العنق وهو المستحب في
الابل والمرعي في الحالتين قطع الحلقوم والمري لكن عنق الابل طويل فاذا قطع اعلاها تباطا الزهوق ولا يكره الذبح
في الابل والنحر في البقر والغنم وان كان خلاف المستحب وما كادوا يفعلون استبطاء لهم وانهم لكثرة استكشافاتهم
ما ذكاد تنقطع خبط اسبابهم وقيل وما كادوا فذبحوها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقد يستند
بهذا على ان الامر للوجوب بل الفور والا لما ترتب هذا على تثاقلهم ✓ واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود
القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او ينفي
كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه الى غيره او يدفع بعضكم بعضا عن التهمة والبراءة واصله تدارأتم ادغمت
التاء في الدال فاجتيج الى همزة الوصل ويحتمل ان يراد الضمير في فيها الى القتلة المعلومة من قتلتم والله مخرج
مظهر لا محالة ما كنتم من امر القتل وقد حكى ما كان مستقبلا في وقت النداء كما حكي الحاضر في قولهم وكلبهم
باسط ذراعيه ولهذا صح على اسم الفاعل وهذه الجملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد
على السبب الخاص لان هذا يتناول كل المكنونات وفيها دليل على ان الله لا يحب الفساد وانه لا يجعل الى زواله
سبيلا وان ما يستره العبد من خير وشر ودام ذلك منه فالله يظهره ويفضحه قوله صلى الله عليه وسلم
ان عبدا لو اطاع الله من وراء سبعين حجابا لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية والضمير
في اضربوه عائدا الى النفس والتذكير على تاويل الشخص او الانسان ويحتمل ان يعود الى القتيل بدلالة
قتلتم او ما كنتم تكتمون ✓ واختلف في البعض من البقره فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها
وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والظاهر انهم
كانوا مخيرين بين اي بعض ارادوا وههنا محذوف بدلالة الفاء الفصيحة والمعنى فاضربوه يحيي فقلنا
كذلك يحيي الله الموتى يروى انهم لما ضربوه قام باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان
ابنا عمي ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قول نبينا صلى الله عليه وسلم

لیس للقاتل من المیراث شی والسر فیه انه استعجل المیراث فناسب ان یعارض بنقیض مقصوده وهو قول
الشافعی ولم یفرق بین ان یکون القتل مستحقا کالعادل اذا قتل الباغی او غیر مستحق عمدا کان او خطاء وعند
ابی حنیفه لا یرث فی العمد والخطاء الا ان العادل اذا قتل الباغی فانه یرثه وقال مالک لا یرثه من دیته ویرث
من سایر امواله ومحل کذلک نصب علی المصدر ان یحیی الله الموتی مثل ذلک الاحیا وهذا الکلام اما مع الذین
حضروا حیوة القتیل لانهم ان کانوا مومنین بذلک الا انهم لم یومنوا بذلک من طریق العیان فلما شاهدوا ذلک انتقلوا
من علم الیقین وعین الیقین واما ان یکون مع منکری البعث فی زمن رسول الله صلی الله علیه وسلم
وعلی هذا لا یحتاج الی تقدیر فقلنا بعد تقدیر فضربوه فحیی ویریکم ایاته دلایله علی انه قادر علی کل شی
فدلالة هذه القضیة علی وجود الصانع القادر علی کل المقدورات العالم بکل المعلومات المختار فی الایجاد
والاعدام اية ودلالتها علی صدق موسی علیه السلام اية ودلالتها علی براءة ساحة من موسی القاتل ودلا
علی حشر الاموات اية فهی وان کانت واحدة الا انها فی الحقیقة ایات عدة ویمکن ان یراد بالایات غیر هذه
ای مثل هذه الاراءة یریکم سایر الایات کما ان مثل هذه الاحیاء یحیی سایر الاموات وفی قوله کذلک دون
ان یقال کهذا تعظیم للمشار الیه بتبعیته کما قلنا فی ذلک الکتاب لعلکم تعقلون تعملون علی قضیة عقولکم فان
من قدر علی احیاء نفس واحدة قدر علی احیاء الانفس کلها لا اثر للمخصصات فی ذلک فان قیل ما الفایدة
فی ضرب المقتول ببعض البقرة مع انه قادر علی احیایه ابتداء قلنا الفایدة فیه کون الحجة اکد وعن الحیلة
ابعد فقد کان لمجدان یتوهم ان موسی علیه السلام انما احیاه بضرب من السحر ولیعلم بما امر من مس المیت
وحصول الحیوة عقیبه ان الموثر هو المسبب لا الاسباب ولما فی ذبح البقرة من القربان واداء التکلیف واکتسا
الثواب والاشعار بحسن تقدیم القربة علی طلب الحوایج وما فی التشدید علیهم لاجل تشدیدهم من اللطف
لهم وللاخرین فی ترک التشدید والمسارعة الی امتثال اوامر الله والعوض ونفع الیتیم بالتجارة الرابحة والدلا
علی ترکة البر بالابوین والاشفاق علی الاولاد وتجهیل المستهزی بما لا یعلم تاویله من کلام الحکیم وبیان
ان من حق المتقرب به الی الرب ان یکون من احسن ما یتقرب به فتی السن حسن اللون بریا من العیوب ثمینا
نفیسا سمینا ضخما یا کم فانها علی القصر المطابا کم فان قیل هلا قدم ذکر القتل علی الامر بذبح البقرة کما هو
حق القصة لانها کانت تکون حینیذ قصة واحدة ویذهب فی تثنیة التقریع بالاستهزاء وترک المبادرة
بالامتثال اولا وبقتل النفس المحرمة وتبعه من الایة ثانیا علی انها دلت علی اتحاد القصتین برجوع الضمیر
فی بعضها الی البقرة وهی مذکورة فی الاولی قوله ثم قست قلوبکم الایة خطاب لاولیک الیهود الذین
کانوا فی زمن موسی علیه السلام والذین هم فی زمن محمد صلی الله علیه وسلم من بعد ذلک الاحیاء ومن
بعد ذلک الذی عددنا من جمیع الایات الباهرات والمعجزات الظاهرات ومعنی ثم استبعاد القسوة
من بعد ما یوجب اللین والرقة وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وعدم الاتعاظ فهی
کالحجارة مثلها فی القسوة او هی اشد قسوة من الحجارة فمن عرفها شبهها بالحجارة او قال هی اقسی من
الحجارة ویجوز ان یقدر مضاف ای هی کالحجارة او مثل اشد قسوة فمن عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر
اقسی من الحجارة کالحدید وانما قیل اشد قسوة مع امکان بناء التفضیل من فعل القسوة لکونه ادل علی
فرط القسوة او لانه لم یقصد معنی الاقسی ولکن قصد وصف القسوة بالشدة کانه قیل اشتدت قسوة
الحجارة وقلوبهم اشد قسوة منها وحذف هذا المراجع لعدم الالتباس نحو زید کریم وعمرو اکرم وکلمة
او هیهنا لیست للشک فعلام الغیوب لا یشک فی شی وانما هی للتخییر بایهما شبهت فکنت
صدوقا ولو جمعت بینهما جاز ثم اخذ فی بیان فضل قلوبهم علی الحجارة فی شدة القسوة فقال وان من الحجارة
لما یتفجر منه الانهار ای منها الذی فیه خروق واسعة یتدفق منها الماء الغزیر وان منها الذی تشقق
انشقاقا طولا او عرضا فینبع منه الماء وذلک بحسب کثرة المادة وقلتها فان الابخرة تجتمع فی باطن الارض
ثم اذا کان ظاهر الارض رخوا نفست وانفصلت وان کان صلبا حجریا اجتمعت وصارت میاها ولا یزال یتزاید

مددها الی ان تنشق الارض من مزاحمتها وتسیل انهارا او عیونا واما قلوب هولاء فلا تترشح الحق ولا تتاثر من
الوعظ والنصح بعد مشاهدة الایات ومعاینة الدلایل ویشقق اصله یتشقق فادغم التاء فی الشین کقولهم یذکر فی
یتذکر لما یهبط للذی یتردی من اعلی الجبل وذلک من خشیة الله اما لانه تعالی خلق فیه الحیوة والعقل والادراک کما
یروی من تسبیح الحصی فی کف النبی صلی الله علیه وسلم واما لان الخشیة مجاز عن انقیادها لامر الله وانها
لا تمتنع عما یرید بها من الاهباط والانفصال عن کلها وقلوب هولاء لا تنقاد ولا تاثر وقیل ان یتنزل من اجل ان یحصل
خشیة الله فی قلوب عباده فیفزعون الیه بالتضرع والدعا وما الله بغافل عما تعملون وعید والمعنی انه بالمرصاد
لهولاء القاسیة قلوبهم وحافظ لاعمالهم فیجازیهم فی الدنیا والاخرة فلا یعجل علیهم انما نعد لهم عدا ووصفه
تعالی بانه لیس بغافل لا یوهم جواز الغفلة علیه لان النفی الصفة عن الشی لا یستلزم ثبوت صحتها مثل لا تاخذه
سنة ولا نوم **التاویل** ذبح البقرة اشارة الی ذبح النفس البهیمیة فان فی ذبحها حیوة القلب الروحانی وهو
الجهاد الاکبر موتوا قبل ان تموتوا شعر اقتلونی یا ثقاتی ان فی قتلی حیاتی وحیاتی فی مماتی ومماتی فی حیوتی
مت بالارادة تحیی بالطبیعة وقال بعضهم مت بالطبیعة تحیی بالحقیقة ما هی انه بقرة نفس تصلح
للذبح بسیف الصدق لا فارض فی سن الشیخوخة فیعجز عن وظایف سلوک الطریق لضعف القوی البدنیة
کما قیل الصوفی بعد الاربعین بارد ولا بکر فی سن شرخ الشباب سنهو به سکره عوان بین ذلک کقوله
حتی اذا بلغ اشده وبلغ اربعین سنة بقرة صفرا اشارة الی صفرة وجوه اصحاب الریاضات فاقع لونها
یرید انها صفرة زین لا صفرة شین فانها سیما الصالحین لا ذلول تثیر الارض لا یحتمل ذلة الطمع ولا تثیر بالة الحرص
ارض الدنیا لطلب زخارفها ومشتهیاتها ولا تسقی حرث الدنیا بما وجهه عند الخلق وبما وجاهته عند الخالق فیذهب
ماؤه عند الحق وعند الخلق مسلمة من افات صفاتها لا شیة فیها علامة طلب غیر الله وما کادوا یفعلون بمقتضی الطبیعة
لولا فضل الله وحسن توفیقه واذ قتلتم نفسا یعنی القلب فادارءتم فاختلفتم انه کان من الشیطان ام من الدنیا او من
النفس الامارة فقلنا اضربوه ببعضها اضرب لسان بقرة النفس المذبوحة بسکین الصدق علی قتیل القلب
بمداومة الذکر یحیی باذن الله عز وجل وقال ان النفس لامارة بالسوء وان من الحجارة لما یتفجر منه الانهار
مراتب القلوب فی القسوة مختلفة فالتی تتفجر منها الانهار قلوب یظهر علیها الغلبات انوار الروح بترک الدنیا
والشهوات بعض الاشیا المشبهة بخرق العادات کما تکون لبعض الرهابین والهند والتی تتشقق فتخرج
منها الماء هی التی یظهر علیها فی بعض الاوقات عند انخراق الحجب البشریة من انوار الروح فیریه بعض
الایات والمعانی المعقوله کما یکون لبعض الحکما والتی یهبط من خشیة الله ما یکون لبعض اهل الادیان
والملل من قبول عکس انوار الروح من وراء الحجب فیقع منها الخوف والخشیة وهذه المراتب المشترکة بین المسلمین
وغیرهم والفرق انها فی المسلمین موبدة بنور الایمان وکرامات وفراسات تظهر لهم من تجلی انوار الحق وزینة
برهانه فاراءة الایات للخواص سنریهم ایاتنا فی الافاق وفی انفسهم ویریکم ایاته لعلکم تعقلون لکن اراءة
البرهان لاخص الخواص کما قال فی حق یوسف علیه السلام لولا ان رای برهان ربه سیل الحلاج عن البرهان فقال
واردات ترد علی القلوب فتعجز النفوس عن تکذیبها والله اعلم بالصواب والیه المرجع والماب

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ط قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ط لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ
رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمِنْهُمْ

أمّيّون لا يعلمون الكتاب إلّا أمانيّ وإن هم إلّا يظنّون ع فويل للذين يكتبون
الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ط فويل
لهم ممّا كتبت أيديهم وويل لهم ممّا يكسبون ع وقالوا لن تمسّنا النار إلّا أيّاما
معدودة ط قل أتّخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله
ما لا تعلمون ع بلى من كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب
النار ج هم فيها خالدون ع والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنّة ج هم فيها
خالدون ع **القراءة** الاماني حيث كان خفيفا يزيد الاقوله تلك امانيهم وليس باما نيكم
ولااماني وغيرهم الاماني فان ابا جعفر يشددهن بالاسكان عنده بايديهم بضم الهاء يعقوب وكذلك كل هاء كناية قبلها
ياء ساكنة خطيئاته بالجمع ابو جعفر ونافع **الوقوف** يعلمون ه امنا ج والوصل اجوز لبيان حاليهما المتنافيين وهو
المقصود عند ربكم ط افلا تعقلون ه يعلنون ه يظنون ه قليلا ط يكسبون ه معدودة ط ما لا تعلمون ه النار ج لان الجملة
مبتداء وخبر بعد خبر خالدون ه الجنة ط خالدون ه **التفسير** لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح اسلاف اليهود
وسوء معاملتهم مع نبيهم اردفها قبائح اخلاف اليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانه قيل
اذا كان هذا افعالهم فيما بينهم فكيف تطمعون ايها النبي والمومنون في ان يومنوا اي يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم
وتستجيبوا لكم كقوله فامن له لوط وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه
من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واية الرجم وقيل هم قوم من الذين
حضروا الميقات سمعوا كلام الله حين كلمه موسى بالطور وما امر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول
في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه
بعقولهم من غير ما شبهة وهم يعلمون انهم مفترون كذابون والمعنى ان كفر هولاء وحرفوا فلهم سابقة
في ذلك كما تقول للرجل كيف تطمع ان يفلح فلان واستاذه فلان ياخذ عنه لا عن غيره فهولاء المقلدة لا يقبلون
الا قول معلميهم واحبارهم الذين تعودوا التحريف عنادا او لضرب من الاغراض الدنيوية واذا لقوا اي
اليهود قالوا امنا قوم امنا بانكم على الحق ونشهد ان صاحبكم صادق ونجده بنعته وصفته في كتابنا
واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا عايبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
بما بين لكم في التورية ونعته وصفته ماخوذ من قولهم قد فتح على فلان في علم كذا اي رزق ذلك
وسهل له طلبه او قال المنافقون لغيرهم يريدون التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم
شيا في كتابهم فينافقون المومنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم
في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله
هكذا وهو عند الله كذا بمعنى واحد وعن الحسن ليحاجوكم في ربكم لان المحاجة فيما الزم تعالى من اتباع
الرسل محاجة فيه الى دينه وقال الاصم يحاجوكم يوم القيمة عند المسائلة فيكون زيادة في توبيخكم وكان
القوم يعتقدون ان ذلكم مما يزيد في فضيحتهم في الاخرة وقيل ليحاجوكم به على صحة الديانة والنصيحة
لان من يذكر الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه ازحت علتك عند الله واقمت عليك الحجة بيني وبينك
فان قبلت احسنت الى نفسك وان جحدت كنت الخاسر الخايب ه وقيل لتنصروا محجوبين تلك الدلايل فحكم

الله كما يقال فلان عندي عالم اي في اعتقادي وحكمي وهذا عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا افلا تعقلون
ذلك لا يليق بما انتم عليه فانكم اذا حدثتموهم بالذي يحاجوكم به رجع وباله عليكم اولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون
وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان حوفهم الله تعالى بذلك لانهم كانوا يعرفون ان الله يعلم السر والعلانية
ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعون التورية ويتحققوا ما فيها كانه منسوب الى الام وهو اصل الشي فالامي على
اصل فطرته لم يكتسب علما وكتابة لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني واحدها امنية على افعولة من مني اذا قدر منه
تقول منه تمنيت الشي ومنيت غيري تمنية لان المتمني يقدر في نفسه ويحوز ما يتمناه واما في اليهود فهي ان الله يعفوا
عنهم ولا يواخذهم بخطاياهم وان اباهم الانبيا يشفعون لهم وما يمنيهم الاحبار من ان النار لا يمسهم الا ايام معدودة وقيل
الاماني الاكاذيب المختلقة التي سمعوها من علمايهم فيقبلوها على التقليد يقال هذا شي رويته او تمنيته اي اختلقته
وذلك لان المختلق يقدر ان كلمة كذا بعد كذا وفي الصحاح انه مقلوب المين وهو الكذب وقيل الا ما يقرؤن من قولهم
تمنيت الكتاب قراته قال الشاعر في عثمان **شعر** تمنى كتاب الله اول ليلة ع واخرها لاقى حمام المقادر ع والقاري يقدر
الكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا كانه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه وبقدر
ما يذكر لهم فيقبلونه ثم انهم لا يتمكنون من التدبر والتامل وعلى الاول يكون استثناء منقطعا ومن قرا اماني بالتخفيف
حذف الدكما يقال مفاتح وان هم الا يظنون كالمحقق لما تقدمه من قوله لا يعلمون الكتاب الا اماني ذكر الفرقة الضالة
المضلة المحرفة ثم الفرقة المنافقين منهم ثم الفرقة المجادلة لاجل النفاق ثم العوام المقلدة ونبه على انهم في الضلال
سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن ان كان متمكنا من العلم ولا سيما في اصول
الدين الويل كلمة يقولها كل مكروب وعن ابن عباس انه العذاب الاليم وعن الثوري صديد اهل الجحيم
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال عطا
ابن يسار الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره ولا شبهة في دلالتها على نهاية الوعيد والتهديد
يكتبون الكتاب المحرف تاكيد كما تقول لمنكر هذا ما كتبته بيمينك حكى عنهم امرين كتبة الكتاب واسناده الى الله
والوعيد مرتب على كل منهما وعلى مجموعها الا انه من الثاني ابلغ ولهذا جي بثم قوله ليشتروا به ثمنا قليلا تنبيه
على شقاوتهم فانهم استبدلوا النفع الحقير العاجل الزايل بالاجر العظيم الاجل الدايم فويل لهم مما كتبت ايديهم اي مما
اسلفت من كتبة ما لم يكن لهم تحل وويل لهم مما يكتسبون من ذلك يعد من الرشي على التحريف في اعادة الويل في الكسب
دليل على ان الوعيد كما يلحقهم بسبب الكتبة واسنادها الى الله فكذلك يلحقهم بسبب اخذ المال عليه ليعلم ان اخذه
المال على الباطل محرم وان كان بالتراضي وقالوا لن تمسنا النار نوع اخر من قبايح افعالهم وهو جزمهم بان الله
تعالى لا يعذبهم الا اياما قليلة وهذا الجزم مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا دليل سمعيا فلا يجزم به عاقل والايام
المعدودة قالوا اربعين يوما هي ايام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب
مكان كل الف سنة يوما لان يوما عند الله الف سنة وايام معدودة ومعدودات كلاهما فصيح مثل الايام
مضت ومضين والعهد ههنا يجري مجرى الوعيد والخبر لان خبره سبحانه كالعهود الموكدة منا بالقسم
والنذر ربما اتخذتم استفهام يتضمن الانكار وانه يدل على عدم الدليل السمعي فلن يخلف الله عهده لتنزهه سبحانه
عن كل نقيصة وخلاف الخبر انقص النقايص فان قيل هب ان الخلف في الوعد لوم ونقيضه لكنه في الوعد
كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوزه كامل فلعل المكروم طريقا اخر سوى هذا فتامل
ام اما معادلة بمعنى اي الامرين كاين على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما وهذا من الكلام
المنصف نحو وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويجوز ان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون كانه اعرض
عن الاستفهام الاول واستانف سوالا ثانيا فالاستفهام الاول لتقرير النفي والاستفهام الثاني للاثبات
وفي الاية تنبيه على ان القول بغير دليل باطل وان كل ما جاز وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير الى
الاثبات او الى النفي الا بدليل سمعي ولا حجة لمنكري القياس وخبر الواحد فيه لانه لما دل على وجوب
العمل عند حصول الظن المستند الى القياس او الى خبر الواحد كان وجوب العمل معلوما فكان القول به

قولا بالمعلوم بل اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بل تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون عن
ابن عباس وجدوا ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين فقالوا لن نعذب في النار الا ما وجدنا في التورية فاذا كان يوم
القيمة اقتحموا في النار فساروا في العذاب حتى انتهوا الى سقر وفيها شجرة الزقوم الى اخر يوم من الايام المعدودة
قال لهم خزنة اهل النار يا اعداء الله زعمتم انكم لن تعذبوا في النار الا اياما معدودة فقد انقضى العدد وبقي
الابد قلت وفي مثل حالهم ضلال الفلاسفة القائلون بان الارواح وان صارت مكدرة بقبائح افعال الاشباح
الا انها بعد المفارقة ورجوع العناصر الى اصلها تصير الى حظائر القدس ولا يراحها شيء من نتائج الاعمال الا اياما
معدودة بقدر فطام الارواح عن لبان التمتعات الحيوانية ثم يتخلص من العذاب ويرجع الى حسن المآب
ومنهم من زعم ان استيفاء اللذات الحسية يقلل التعلقات الدنيوية ويسهل عروج الروح الى عالمه العلوي وهذا
خيال فاسد ومتاع كاسد وانه قول من لم يجرب ومن لم يجد من نفسه انها كيف تتدنس وتتكدر بالاخلاق
الذميمة البهيمية والسبعية وكيف تتصفى وتتطهر بالاخلاق الحميدة الروحانية الملكية فقد يصدأ مرآة القلب
بحيث لا يبقى فيه شيء من الصفاء الفطري كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يجلوها الا مر
الدهور وكرور الاعصار وقد ينضم الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى خالدا مخلدا في النار في ويل طويل
وثبور وعويل نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات خطايانا والسيئة اصلها سيوئة من ساء
يسوء سوءا ومساءة فقلبت الواو ياء وادغمت وهي من الصفات الغالبة وتتناول
جميع المعاصي صغرت او كبرت فضم اليها شرط اخر وهو كون السيئة محيطة به ليختص بالكبيرة
ولفظ الاحاطة حقيقة في الجسمانيات كاحاطة السور بالبلد والظرف بالمظروف فنقل الى الخطيئة وهي عرض لمعنيين
من جهة ان المحيط يستر المحاط به والكبيرة تستر الطاعة ومن جهة ان الكبيرة تحبط الطاعات وتستولي
عليها كاحاطة العدو بالانسان بحيث لا يتمكن الانسان من الخلاص عنهم والاية وردت في اليهود فالعبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب وبمثلها يتمسك المعتزلة في اثبات الوعيد لاصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة وفسر بعضهم
الخطيئة المحيطة بالكفر فبه تحقق الاحاطة التامة واعلم ان في المسئلة خلافا لاهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم
اما مؤبدا وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج وهو قول بشر المريسي والخالدي ومنهم من قطع بانه لا وعيد لهم
وينسب الى مقاتل بن سليمان المفسر والذي عليه اكثر الصحابة والتابعين واهل السنة والامامية القطع بانه سبحانه
يعفو عن بعض العصاة وانه اذا عذب احدا فلا يعذبه ابدا لكنا نتوقف في حق البعض المعفو عنه والبعض
المعذب على التعيين اما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت في وعيد الفساق كقوله ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وقوله ان الفجار لفي جحيم وقوله ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا ومن الحديث من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها لم يشربها في الاخرة
من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة الذي يشرب في انية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار
جهنم وعن ابي سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت رجل
الا دخل النار واذا استحق النار بعضهم فلان يستحق النار بقتلهم اولى واجيب من ان المنع بعدم الصيغ
للعموم بدليل صحة ادخال الكل والبعض عليها نحو كل من دخل داري فله كذا او بعض من دخل ولا يلزم
منه تكرير ولا تناقض ولان الاكثر قد يطلق عليه لفظ الكل ولاحتمال المخصصات و القاطعون بنفي العقاب
عن اهل الكبائر احتجوا بنحو قوله ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى
وبالعمومات الواردة في الوعد مثل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك الا انه حكم بالفلاح على
كل من امن وعورض بعمومات الوعيد اما اصحابنا الذين قطعوا بالعفو في حق البعض والتوقف في
البعض فقد تمسكوا بنحو قوله عز من قائل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وبان
عمومات الوعد والوعيد لما تعارضتا فلا بد من الترجيح لجانب الوعد بصرف التاويل اليه لان العفو عن الوعيد

مستحسن

مستحسن في العرف واهمال الوعد بالضد وايضا القران مملوء من قوله عفوا غفورا رحيما كم بما وكذا الاخبار في هذا المعنى
تكاد تبلغ حد التواتر وايضا ان صاحب الكبيرة اتى بما هو افضل الخيرات وهو الايمان ولم يات بما هو افتح القبائح وهو
الكفر ولا يهدمه ما سوى الكفر من المعاصي ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازي الهي اذا كان توحيد ساعة يهدم كفر خمسين
سنة كيف لا يهدم معصية ساعة الهي لما كان الكفر لا ينفع معه شيء من الطاعات كان مقتضى العدل ان الايمان لا يضر
معه شيء من المعاصي واذا دلت الايات على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما ان يصل العبد الى
الثواب ثم الى دار العقاب وهو باطل بالاجماع او يصل اليه العقاب ثم ينتقل الى دار الثواب ويبقى هناك ابد الاباد
وهو المطلوب واعلم ان مذهب الاصحاب الى الادب اقرب من حيث انهم يصفونه بصفات الجمال كالعفو
والمغفرة وبصفات الجلال كالقهر والانتقام ولكن لا يوجبون عليه ثوابا ولا عقابا لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
ومن حيث انهم لا يعينون البعض المستحق للثواب ولا البعض المستحق للعقاب من المسلمين لان فعله مبرأ
عن التعليل بلواحق الغايات وسوابق البواعث ومذهب المعتزلة الى الاحتياط اقرب فان من خوفك حتى تبلغ الامن خير ممن امنك حتى

تلقى الخوف والله الموفق

وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي
القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون ه وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ه ثم
أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم
بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم
أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم
إلا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل
عما تعملون ه أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون

القراءة لا يعبدون بالياء للغيبة ابن كثير وحمزة وعلي والمفضل القربى بالامالة المفرطة حمزة
وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا حمزة ويعقوب وعلي
وخلف والمفضل تظاهرون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف حذف احدى التائين للتخفيف الباقون بالتشديد
ووجهه ادغام التاء في الظاء اسارى بالامالة تفدوهم ابو عمرو وخلف اسارى مفخما ابن كثير وابن عامر اسرى
بالامالة تفدوهم حمزة اسارى بالامالة تفادوهم علي والبخاري عن ورش والخزاعي عن هبيرة الباقون اسارى
تفادوهم تردون بتاء الخطاب ابو زيد عن المفضل يعملون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وابو بكر وحماد
بناء اخر الكلام على اوله الباقون بالتاء تغليبا للمخاطبين على الغيب الوقوف الزكوة لان ثم لترتيب الاخبار اي
ومع ذلك توليتم معرضون تشهدون من ديارهم لا لان تظاهرون يشبه استينافا وكونه حالا اوجه والعدوان

اخراجهم بعضهم لابتداء الاستفهام او النفي معناه التعقيب الدنيا لعطف الجملتين المختلفتين العذاب يعملون بالجرم
لان الفعل مستانف ومنه فاء التعقيب للجزا لا ينصرون ۝ **التفسير** انه سبحانه كلفهم باشياء **الاول** قوله لا تعبدون
الا الله من قرا بياء الغيبة فلانهم غيب ومن قرا بتاء الخطاب فلحكاية ما خوطبوا به وفي اعرابه اقوال احدها انه اخبار
في معنى النهي كقولك تذهب الي فلان تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي كانه تسورع الي الامتثال فهو يخبر
عنه ويويد هذا القول عطف وقولوا واقيموا عليه وثانيها التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفعت كقوله **شعر**
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فيحتمل ان يكون مفسرة وان تكون مع الفعل بدلا من الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق
بني اسرائيل توحيدهم وثالثها هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراه مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا
عليهم لا تعبدوا وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن جميع ما لا بد منه في الدين لان الامر بعبادة الله والنهي عن عبادة
غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وجميع ما يجب له ويستحيل عليه ومسبوق ايضا بالعلم بكيفية تلك العبادة
التي لا سبيل الي معرفتها الا بالوحي والرسالة **التكليف الثاني** قوله وبالوالدين احسانا انما يناسب لا تعبدون
او احسنوا ليناسب وقولوا ويمكن ان يقدر وصاهم عطفا على اخذنا وهذا انسب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول
اما قبل لا تعبدوا واما قبل احسنوا واما قبل قولوا وانما جعل الاحسان الي الوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها
انهما سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سبب التربية فقط فلا انعام بعد انعام الله
تعالى اعظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما يشبه انعام الله تعالى من حيث انهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا
ثوابا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها انه تعالى لا يمل من انعامه على العبد وان اتى باعظم
الجرائم فكذا الوالدان لا ينقطعان عنه مواد كرمهما وان كان غير بار بهما ومنها ان الوالد المشفق يتصرف في مال ولده بالا
والغبطة والله سبحانه يأخذ الحبة ويربيها مثل جبل احد ومنها ان المناسبة والميل والمحبة بين الوالد وولده ذاتية
حتى عمت جميع الحيوان كما ان المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية وههنا اسرار فليتامل ومنها
انه لا كمال يمكن للولد الا ويطلبه الوالد لاجله ويريده عليه كما ان الله تعالى لا خير يمكن للعبد الا وهو يريده عليه
ولهذا ارسل الرسل وانزل الكتب ونصب الادلة وازاح العلة ومن فائدة شفقة الوالدين انهما لا يحسدان على
ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى بان يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين امر
معتبر في جميع الشرائع ومركوز في كل العقول وقد ورد الامر بالوالدين وان كانا كافرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه نهى حنظلة ابن ابي عامر الراهب عن قتل ابيه وكان مشركا ولهذا اطلق الاحسان اليهما في الاية اطلاقا وقد
تلطف ابراهيم صلوات الرحمن عليه في دعوة ابيه من الكفر الى الايمان في قوله يا ابت والاحسان اليهما ان يحبهما من صميم
القلب ويراعي دقائق الادب والخدمة والشفقة ويبذل وسعه في رضاهما قولا وفعلا ولا يمنع اعزة اوقاته
وكرايم امواله عنهما ويجتهد في تنفيذ وصاياهما ويذكرهما في صالح دعائه كما ارشدهما الله تعالى الي جميع ما ذكرنا
في قوله فلا تقل لهما اف الي اخر الاية **التكليف الثالث** الاحسان الي ذوي القرابة ويعبر عنه بصلة
الرحم مشتقة من الرحمن يعني انها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك الحروف والسبب العقلي في تاكيد رعاية
هذا الحق ان القرابة مظنة لاتحاد الالفة والرعاية والنصرة ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل
به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعي لو اوصى لاقارب زيد يدخل فيه الوارث وغير الوارث والمحرم
وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغني والفقير والاجداد والاحفاد والاخوان والولد على الاظهر لان
الوالد والولد لا يعرفان في العرف بالقريب وفيهما دقيقة وهي ان العرب يحفظون الاجداد العالية ليرتفع نسبهم
ونحن لو رفعنا الي الجد العالي وحسبنا اولاده شافع فانه منسوب اليه ولا يدخل فيها اولاد علي والعباس وان كان
شافع وعلي والعباس كلهم اولاد السايب بن عبيد والشافعي هو محمد بن ادريس بن عباس بن عثمان بن شافع
بن السايب بن عبيد بن عبد بن يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف قال المحققون هذا في زمان الشافعي
واما في زماننا فلا يصرفه الي اولاد الشافعي ولا يرتقي الي بني شافع لانه اقرب من يعرف اقاربه في زماننا
ولا يدخل الاقارب من الام في وصية العرب لان قرابة الام لا تعدها العرب قرابة ولا تفتخر بها اما لو اوصى لذي

رحم زيد فيدخل فيهم قرابة الام في وصية العرب والعجم لان لفظ الرحم لا يختص بطرف الاب بحال وذهب طايفة
الي ان الاقوى ما اجاب به العراقيون ومال اليه ابو حنيفة من ان اقارب الام يدخل في الوصية مطلقا سواء
كانت في وصية العرب او وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله صلى الله عليه وسلم سعد خالي فليريني
امراة خاله والاحسان الي الاقارب قريب من الاحسان الي الوالدين وذلك بان يجتهد في رضاهم بما يتيسر له
عرفا وشرعا وينفق عليهم بالمعروف وان كانوا معسرين وهو موسر **التكليف الرابع** الاحسان الي اليتامي واليتيم
من الاطفال الذي مات ابوه الي ان يبلغ الحلم فيجب علي الولي حفظ ماله واستنماؤه قدر النفقة والزكوة ومؤن
الملك بما امكنه والقيام بمصالحه مع رعاية دقائق الغبطة وتضاحوف النصيحة قال ابن عباس يرفق بهم ويدنيهم
ويمسح راسهم واليتيم في غير الانسان من قبل امه واليتيم من الدر ما لا اخت له وانما جمع يتيم على يتامى
لان اليتيم لما كان من صفات العيوب حمل على الوجع والخبط فكما قالوا في وجع وخبط للمنتفخ البطن وحباطى
وحباطى قيل في يتيم يتامى وفي الكشاف انه اجري يتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتائم ثم يتامى وفي
الكشاف انه اجري على القلب وكذا في اليتيمة **التكليف الخامس** الاحسان الي المساكين واحدها مسكين
اخذ من السكون لان الفقر سكنه او لانه الدائم السكون الي الناس لانه لا شيء له كالسكير الدائم السكر وهو سواء
حالا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وهو قول ابي حنيفة ومالك واحتجوا عليه بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وعند
الشافعي واحمد الامر بالعكس قالوا اشتقاق الفقير من فقار الظهر كان فقاره انكسر لشدة حاجته والمسكين
قد يملك ما يتعلق به قال تعالى اما السفينة فكانت لمساكين ويظهر اثر الخلاف فيما لو اوصى للفقراء والمساكين ينبغي
ان يكون متغايرا لمذكورة لان العطف يقتضي التغاير **التكليف السادس** وقولوا للناس حسنا بالوصف
اي قولا حسنا وحسنا على المصدر اي قولا ذا حسن او قولا هو الحسن في نفسه لافراط حسنه او ليحسن قولكم
حسنا والظاهر ان المخاطبين بذلكم هم الذين اخذ ميثاقهم لاتحاد القصة فقيل انه مخصوص اما بتخصيص الناس اي
قولوا المومنين حسنا بدليل اية القتال اشداء على الكفار رحماء بينهم واما بتخصيص القول اي قولوا للناس
حسنا في الدعاء الي الله والامر بالمعروف وقال اهل الحقيقة انه على العموم وذلك لان كلام الناس مع الناس
في الامور الدينية ان كان بالدعوة الي الايمان وجب ان يكون بالرفق واللين كما قال لموسى فقولا له قولا لينا
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الي الطاعة كالفساق
فحسن القول ايضا معتبر ادع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتي هي احسن واما في الامور
الدنيوية فمن المعلوم انه اذا امكن التوصل الي الغرض بالطيف من القول لم يعدل الي غيره ما دخل الرفق
في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء الا شانه فثبت ان جميع اداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول
وعن الباقر عليه السلام قولوا للناس ما تحبون ان يقال لكم **التكليف السابع والثامن** قوله واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة وقد تقدم تفسيرهما ولا شك في وجوب هذه التكاليف عليهم بدليل اخذ الميثاق ولان ظاهر الامر للوجوب
لترتب الذم عليهم بتوليهم ونظيرها التكاليف ايضا واجبة في شرعنا وعن ابن عباس ان الزكوة نسخت كل حق
وضعف بان اغاثة المضطر واجبة وان لم تجب علينا الزكوة واعلم ان التكليف اما بدني او مالي وكل منهما اما
عام او خاص فالبدني العام هو العبادة المطلقة وهي ان يكون بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا متوفرا
لامر الله تعالى بحيث لا يري لنفسه شيئا من التصرف والاختيار كالعبد الماثل بين يدي مولاه واليه الاشارة
بقوله لا تعبدون الا الله والبدني الخاص هو الصلوة واشار اليه بقوله واقيموا الصلوة وللصلوة اوقات مخصوصة
واركان وشروط محدودة والمالي الخاص هو الزكوة لتخصيصها بالاصناف الزكواتية وبالنصاب والحول وغير ذلك
والمالي العام لكونه مندرجا في الاسكان بسببه اما نسب او لا والنسب اما سابق او مقارن او لاحق فالسابق الوالدان
والمقارن الاقارب واللاحق اليتامى لانهم اولاد وذلك اذا كان الولي جدا او بمنزلة الاولاد وذلك اذا كان الولي
غيره وغير النسب اما الاحتياج وهو الفقر والمساكين والاشتراك في النوع ولا يمكن الا بالقول الحسن وما ينخرط
في سلكه من مكارم الاخلاق الفعلية انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم فالقول الحسن يشمل الا
صناف

المقدمة ايضا بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب مما لا يعترض عليه وقد ذكر في التزهة المعاني في سورة النساء بغرب
من التأكيد فاكد العبادة بقوله ولا تشركوا به شيئا واكد الاحسان الى ذي القربى وما يليه بتكرير الجار وهو الباء
وبعض اصنافا اخرجهم الجار وعيره اليه فكانه للتفصيل لقوله وقولوا للناس حسنا قوله تعالى ثم توليتم قيل الخطاب
للمتقدمين بني اسرائيل على طريقة الالتفات ووجهه ان اول الكلام معهم فكذا اخره الا بدليل يوجب الانصراف عن هذا
الظاهر وقيل انه خطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود كانه تعالى يبين ان تلك المواثيق كما
لزمهم التمسك بها فكذلك هي لازمة لكم لانكم تعلمون ما في التورية من نعت محمد وصحة نبوته فيلزمكم من الحجة
مثل الذي لزمهم وانتم مع ذلك توليتم الا قليلا منكم وهم الذين امنوا وانتم معرضون الواو للاعتراض اي وانتم
قوم من عادتكم الاعراض اعرضتم بعد ظهور المعجزات كاعراض اسلافكم وقيل ثم توليتم للمتقدمين وانتم معرضون
للمتأخرين واما قوله واذ اخذنا ميثاقكم فقيل خطاب العلماء باليهود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد
اخذنا ميثاق اباءكم وقيل خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف وقوله لا تسفكون دماءكم اشكال وهو ان
الانسان ملجأ الى ان لا يقتل نفسه فاي فائدة في النهي والجواب انه بهذا الالجاء قد يتغير كما ثبت من اهل الهند
انهم يتقربون في قتل النفس التخلص من عالم الفساد والحزن بعالم النور وكثير ممن يصعب عليه الزمان او المراد لا
يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا او انه اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه
لانه يقتص او لا تتعرضوا لمقاتلة من يقتلكم فتكونوا قد قتلتم انفسكم ولا تخرجون انفسكم لا تفعلوا ما تستحقون
بسببه ان تخرجوا من دياركم او المراد اخراج بعضهم بعضا من ديارهم لان ذلك مما يعظم فيه المحنة حتى يقرب
من الهلاك واعراب لا تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقرر في لا تعبدون ثم اقررتم وانتم تشهدون
اي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد
عليها او اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم على بعض بذلك لانه كان شائعا فيما بينهم مشهورا او وانتم تشهدون
يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم معنى ثم الاستبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء وا
لعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره اي انتم بعد هؤلاء المشاهدون
يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه
الذي دخلت به وتقتلون بيان لانتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذي وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون
كون اسماء الاشارة بمعنى الموصول والتظاهر التعاون ولما كان الاخراج من الديار وقتل البعض بعضا مما يعظم فيه
الفتنة واحتيج فيه الى اقتدار وغلبة بين تعالى انهم فعلوه على وجه الاستعانة بمن يظاهرهم على الظلم
والعدوان واحتيج فيه دليل على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة ولا يشكل هذا
بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجره ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم
ويحسنه في عينه مع انه تعالى لا يفعل اسرى جمع اسير كجرحى جمع جريح واسارى جمع اسرى كسكرى
وسكارى وقيل اسارى من الجموع التي ترك مفردها كانه جمع اسرة كعجالى وعجلان قوله تفادوهم جمهور
المفسرين على انه وصف لهم بما هو طاعة وهو التخليص من الاسر ببذل مال او غيره ليعود الى وطنه وهو
ضمير الشان واخراجهم مبتدأ ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز ان يكون هو مبتدأ مبهما ومحرم خبره
واخراجهم تفسيره افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان
قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج وكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا
ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم
ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى
على المناقضة اذ اتوا ببعض الواجب وتركوا البعض والعلم صرحوا باعتقاد وجوبه فلهذا سماه كفرا
وقد يكون المناقضة ادخل في الذم وفي ذلك تنبيه على انهم في تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد صلى الله
عليه وسلم والحجة في امرهما على سواء نحوا ونحوه طريقة السلف منهم في الايمان ببعض والكفر ببعض والكل

في الميثاق سواء الخزي والذل والهوان خزي بالكسر يخزى خزيا اي ذل وهان وخزي ايضا يخزى خزاية
اي استحيى فهو خزيان فاذا قيل اخزاه الله فالمراد اهانه او اوقعه موقعا يستحيى منه وتنكير خزي يدل
على فظاعة شانه وانه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه والاظهر انه غير مختص ببعض الوجوه وقيل هو قتل بني قريظة
واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وعلى هذا فالخزي بمن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم ومن يخلفهم دون اسلافهم فان قيل عذاب منكري الصانع كالدهرية يجب ان يكون اشد
في حق اليهود يردون الى اشد العذاب قلنا اما لان كفر العناد اغلظ واما لان يكون المراد اشد فكيف يقال
لا الاشد مطلقا وفي قوله وما الله بغافل وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لان الخزي لا
مع عدم الغفلة يدل على وصول الحقوق الى مستحقيها لا محالة اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
استبدلوها بها فلا يخفف عنهم العذاب لا ينقطع ولا يفتر بل يدوم على حالة واحدة ولا هم ينصرون بدفع هذا
العذاب عنهم وفيه تنبيه على ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا اذا كانت على وفق الهوى لا الشرع وبين
لذات الاخرة ممتنع يستتبع وجود احدهما عدم الاخرى والله ولي التوفيق التاويل واذ اخذنا ميثاقكم في عهد
الست بربكم لا تسفكون دماءكم بامتثال اوامر الشيطان واتباع خطواته كما قيل شعر الى حتفي مشى قدمي
اراق دمي ولا تخرجون انفسكم من ديار عبوديتكم التي كنتم فيها في اصل الفطرة فتخرجون فريقا منهم
من ديارهم لا تقتصرون على ضلالكم بل يتعاون بعضكم بعضا على الاعراض عن حقوق الله تعالى والاقبال على
حظوظ النفس وان ياتوكم اسارى تفادوهم فمن اسير في حب الدنيا فخلاصه في كثرة ذكر المولى ومن اسير
في ايدي الشكوك والشبهات ففداؤه ارشاده الى اليقين بنتائج البراهين ولوامع البينات ومن اسير في
حبس وجوده فنجاته فيما يحل عنه وثاق الكون ويوصله الى معبوده ومن اسير في قبضة الحق فليس لاسرائه
فدا ولا تتلافه قود ولا لربطهم خلاص ولا لقومهم مناص ولا منهم فرار ولا اليهم بغيره سبيل ولا الديهم الا بهم
دليل افتؤمنون ببعض الكتاب وهو ما سمعتم في اول الخطاب الست بربكم فقلتم بلى وتكفرون ببعض
وهو الذي عاهدتم عليه الا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى والله حسبي وكفى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا
كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا
مَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ
يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الْكَافِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
مُهِينٌ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ

وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ط قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

القراءة القدس بسكون الدال حيث كان ابن كثير بيشما وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف ينزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف القدس ط استكبرتم ج لتناهي الاستفهام مع تعقب فاء التعقيب بعده كذبتم ز لعطف المستقبل على الماضي مع تقديم المفعولين بينهما تقتلون ٥ غلف ط لان بل اعراض عن الاول وتحقيق الثاني يؤمنون ٥ لما معهم لا لان الواو للحال كفروا ج لان لما متضمنة للشرط وجوابها منتظر والوصل اجوز لان لما مكرر وجوابها متحد وقوله وكانوا من قبل معترض كفروا به ج لان ما بعده مبتداء لكن الفاء تقتضي تعجيل جزائهم الكافرين من عباده لطول الكلام مع فاء التعقيب على غضب ط مهين ٥ لما معهم ط مؤمنين ٥ التفسير لما ذكر سبحانه في الاي المتقدمة صنيع اليهود في مخالفتهم امره تعالى ومناقضة حالهم اكد ذلك في هذه الاي بتكرير انعامه عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران ونقض المقصود زيادة في تبكيتهم اما الكتاب فهو التورية اتاه الله تعالى اياه جملة واحدة وعن ابن عباس انها لما نزلت امر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله لكل اية منها ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى عليه السلام فحملها القفو الاتباع والتقفية الاتباع وهو من القفا كالتذنيب من الذنب اي اتبعنا على اثره رسلا كثيرا اي وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم ويروى ان هؤلاء الرسل كانوا على شريعة واحدة الى ايام عيسى عليه وعليهم السلام فانه جاء بشريعة مجددة ناسخة لاكثر شرع موسى وكان المقصود من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السالفة واحياء بعض ما اندرس منها ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل سنة من يجدد لها دينها وقيل عيسى بالسريانية ايشوع اي المبارك ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وهو الذي يحب النساء لمجالستهن سمي بذلك لكثرة زيارته لهن وبه فسر قول رؤبة شعر قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند اهل الصرف مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب واسم ولد البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك ايدناه قويناه من الايد القوة وروح القدس الروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ورجل صدق اي بجبريل سمي بذلك لانه سبب حيوة الدين كما ان الروح سبب حياة البدن ولان الغالب عليه الروحانية ولانه لم تضمه اصلاب الفحول ولا ارحام الامهات وقيل بالانجيل كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لان العلم سبب حيوة القلوب وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل الذي نفخ فيه والقدس والقدوس هو الله واضافة الروح اليه تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله عن الربيع وكون الروح ههنا جبريل اظهر لان اختصاصه بعيسى اكثر لانه بشر مريم بولادتها وقد تولد عليه السلام من نفخة جبريل عليه السلام في امه وهو الذي رباه في جميع ترف وكان يسير معه حيث سار وكان معه حيث صعد الى السما قوله افكلما وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من قوله ولقد اتينا لافادة التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يكون الفاء بالعطف على مقدر معناه اعرضتم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم البلو للتعدية او بمعنى مع وذلك انهم كانوا اذا اتاهم رسول بخلاف ما يهوون كذبوه وان تهيأ لهم قتله قتلوه ترفعا وترؤسا على عامتهم واخذ اموالهم بغير حق يوهمون اعوامهم انهم على الحق والنبي على الباطل ويحتجون على ذلك بالتحريف وهو التاويل ومنهم من كان يتكبر على الانبياء استكبار ابليس على ادم عليه السلام ففريقا كذبتم على التمام وما بقي منه غير مكذب وفريقا تقتلون اي ما تيسر لكم قتله بعد على التمام لانكم حول قتل محمد لولا الله عصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري والعدد اهتياج وجع اللديغ بعد كل سنة والابهر عرق يخرج من القلب اذا انقطع مات صاحبه ويجوز ان

يراد

يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب كقوله فاضربها بلا دهش فخرت وفائدة تقديم المفعول به على الفعلين بعد رعاية الفاصلة في يقتلون غاية عنادهم وفرط عتوهم حيث جعلوا الرسل فريقين احدهما مختص بالتكذيب والاخر بالقتل كان وصف الرسالة عندهم هو الذي اقتضى عندهم احد هذين حتى خص المبعوث به دون سائر الناس باحد الامرين ونهاية الجهالة حيث استثقلوا اشرف الانام لاكرم الاوصاف بغاية الاستخفاف غلف جمع اغلف وهو كل ما في غلاف ومنه الاغلف الذي لم يختتن اي قلوبنا مغشاة باغطية فلا تتاثر من دعوتك لمكان الحايل بينهما وقيل غلف تخفيف غلف بضمتين جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلوم والحكمة فنحن مستغنون بها عن غيرك ولا حاجة بنا الى شرعك بل لعنهم الله رد الى قولهم وان تكون مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكنهم لعنوا اي طردوا عن رحمة الله وابعدوا عن الخيرات بسبب كفرهم الذي احدثوه بعد نصب الادلة وازاحة العلة وفي هذا لطف للمكلفين اي لا تتسلقوا الى المعاصي بابلاء العذر وابداء مثل هذه الحجة ولكن شمروا عن الاجتهاد فكل ميسر لما خلق له فقليلا ما يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب او كقليل مما كلفوا به يؤمنون فانتصب بنزع الخافض وما صفة اي بشيء قليل من الاشياء والمكلف بها ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم اي لا يؤمنون اصلا لا قليلا ولا كثيرا كما يقال قليلا ما تفعل اي لا تفعل البتة وذلك ان الايمان بالله انما يعبأ به اذا كان مؤمنا بجميع ما انزل الله فاذا فرق بين اوامره فهو عن الايمان بمعزل ولما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه ويجوز ان يكون جواب لما الثانية المكررة للتاكيد لطول الكلام نحو قوله فلا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن واتفقوا على ان المراد بالكتاب هو القران ووجه تصديقه لما معهم ليس هو الموافقة في اصول الشرائع لان جميع كتب الله كذلك بل المراد ما يختص بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من العلامات والنعوت والصفات والتحقيق ان ذكر الكتاب ههنا كناية عن الرسول لان الرسول يلزمه الكتاب عرفا ومجازا لان الكتاب مستلزم للرسول لا محالة يدل على ذلك قوله تعالى يستفتحون على الذين كفروا وذلك ان اليهود قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القران يسألون به الفتح والنصرة على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فيقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو نبوة محمد ويجوز ان يكون ما بمعنى من نحو سبحان ما سخركن لنا اي فلما جاء النبي الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كفروا به اما لانهم كانوا يظنون ان المبعوث يكون من بني اسرائيل لكثرة مجي الرسل منهم ويرغبون الناس في دينه ويدعونهم اليه فلما بعث الله محمدا من العرب من ذرية اسمعيل عظم عليهم فاظهروا التكذيب بغيا وحسدا ولدادا واما لانهم ظنوا انه مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته كان يوجب عليهم ذلك زوال رياستهم ومكاسبهم فابوا واصروا على الانكار فكفرهم اذن كفر عناد فلعنة الله وهي الابعاد عن الخيرات الحقيقية الباقية على الكافرين اي عليهم فوضع الظاهر على المضمر ليدل على ان اللعنة انما لحقتهم لكفرهم واللام للعهد او للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا فان قيل اليس ان الله تعالى ذكر وقولوا للناس حسنا قلنا العام قد يخص وايضا لعن من يستحق اللعن حسن وايضا اولئك بالنسناس اشبه منهم بالناس اولئك كالانعام بل هم اضل بئس الاستاد النم وفاعله قد يكون مظهرا نحو بئس الرجل زيد وقد يكون مضمرا يعود الى معهود ذهني فيفسر حينئذ بنكرة منصوبة وبعدها المخصوص بالذم فما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واختلف في اعراب المخصوص فقيل مبتدا والجملة قبله خبره وقيل خبر مبتدا محذوف اي هو ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا لان الكفر حاصل تعلق نفوسهم بابدالهم كما ان الثمن حاصل ملك المالك وقيل ان المكلف اذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله فاتى باعمال يظن بها انها تخلصه من العقاب فكانه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال فهؤلاء اليهود لما اعتقدوا فيما اتوا به انها تخلصهم من العقاب وتوصلهم الى الثواب

فقد ظنوا انهم قد اشتروا بها المراد بما انزل الله بها القران لانهم كانوا مومنين بغيره ثم بين الوجه الذي لاجله اختاروا
هذا الكفر فقال بغيا اي حسدا وطلبا لما ليس لهم ولولا هذا البيان لجاز ان يكون الباعث لهم على ذلك الكفر هو الجهل لا
البغي ولما كان الباعث على البغي قد يكون وجوها شتى بين ان الحامل لهم على البغي هو ان ينزل الله من فضله الذي
هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته ارساله وههنا هو اللائق بما حكينا من انهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم يحصل في
قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي والحسد وعلى هذا يكون الجار المحذوف هو لام الغرض لاجل
ان ينزل ويحتمل ان يقال المحذوف على اي حسدوه على ان ينزل فباءوا بغضب على غضب لابد من اثبات سبب غضبين
احدهما تكذيب عيسى وما انزل الله عليه والثاني تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه فصار
ذلك سببا لسخط بعد سخط وهو قول الحسن والشعبي وعكرمة وابي العالية وقتادة وقيل الاول لعبادتهم
العجل والثاني لكفرهم بمحمد وجحدهم نبوته عن السدي وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد
اثبات انواع من الغضب مترادفة لاجل امور متوالية صدرت عنهم كقولهم عزير ابن الله يد الله مغلولة
ان الله فقير ونحن اغنياء عن عطاء وعبيد بن عمير وقيل المراد تاكيد الغضب وتكثيره لاجل ان هذا الكفر
وان كان واحدا الا انه عظيم وهو قول ابي مسلم ومعنى الغضب في حقه تعالى قد عرفت مرارا انه عبارة عن
لازمه وهو ارادة الانتقام واما تابيده وتكثره فيصح فيه ذلك كتضعفه في العذاب فلا يكون غضبه على من
كفر بخصال كثيرة وللكافرين عذاب مهين من وضع الظاهر موضع المضمر اي ولهم عذاب وفائدته ما
ذكرنا في قوله فلعنة الله على الكافرين ووصف العذاب بالمهين والمهين هو المعذب لان الاهانة لما حصلت
مع العذاب جاز ان يجعل ذلك من وصفه لانها بسبب منه ولا يلزم من اقتران العذاب بالاهانة تكرار فقد يكون
العذاب ولا اهانة كالولد يؤدب واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله بكل ما انزل الله من كتاب وقد يستدل به على عموم
ما قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتوراة وكتب سائر الانبياء الذين اتوا بتقرير شرع موسى عليه السلام ويكفرون
بما وراءه التوراة وهو الانجيل والقران وهو الحق الضمير يعود الى ما وراءه او الى القران فقط ومصدقا حال
موكدة لوجود شرطها وهو كونها مقررة لمضمون جملة اسمية او كون مضمونها لازما لمضمون الجملة الاسمية
فان التصديق لازم حقية القران فصار كانه هو والعامل في مصدقا محذوف وهو ثبت او اثبت على الاصح واما
الواو في وهو الحق فيجوز ان يكون معترضة فلا محل للجملة ويجوز ان يكون للحال وحينئذ اما ان يكون العامل
فيها هو العامل في قوله ويكفرون على ان كلا منهما حال لها واما ان يكون العامل فيها هو يكفرون على انهما
حالان متداخلتان وفي قوله وهو الحق مصدقا لما معهم دلالة على وجوب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
لانه لما ثبتت نبوته بالمعجزات ثم انه اخبر ان هذا القران منزل من عند الله وانه امر المكلفين بالايمان
به كان الايمان به واجبا لا محالة وعند هذا يظهر ان الايمان ببعض الانبيا وبعض الكتب مع الكفر ببعض
ونقضها محال وايضا انه صلى الله عليه وسلم لم يتعلم علما ولم يقرا ولم يخط ثم انه اتى بالقصص والاخبار
مطابقة لما في التورية فيعلم بالضرورة انه استفادها من قبل الوحي وايضا القران يدل على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فلما اخبر الله تعالى انه مصدق التورية وجب اشتمال التورية على الاخبار عن نبوته
فيجب الايمان بالتورية يجب ان يومن بمحمد والا كان كاذبا ثم انه تعالى بين من وجه اخر كذب دعواهم
وهو ان التورية لا تسوغ قتل الانبيا وانهم سوغوا ذلك وفيه دليل على ان ايراد المناقضة على الخصم الالد
والكلام وان كان على وجه الخطاب الا ان المراد اسلافهم بدليل من قبل ويقتلون حكاية حال ماضية
واصله لما بادخال لام التعريف في ما الاستفهامية حذفت الالف للتخفيف اي لاي غرض وباي
حجة كان اسلافكم تقتلون الانبيا وفي قوله ان كنتم مومنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة
دعواهم الايمان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما تقدمه وفيه تنبيه على ان اليهود المعاصرين
خرجوا بتكذيب محمد عن الايمان بالتورية كما ان اسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبيا عن الايمان بها
والله اعلم **التاويل** هذا حال اكثر البطالين المتشبهين بالطالبين يصغون الى كلمات العلماء الراسخين

فما استحلته نفوسهم قبلوه وما استغربته نبذوه ما انكروه ففريقا منهم يكذبون فرارا عن تحمل اعباء الطلب ويقتلون
الفتنة على طريق الحسد والانكار والفتنة اشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف فيه اشارة الى ان الطالب اذا ابتلي
في اثناء الطلب بالوقفة او الفترة لم يعتره ذلك ما دام متمسكا بالارادة فيرجى رجوعه باذن الله وبهمة مدد الاستاد
واما اذا زلت قدمه عن جادة الارادة واظهر الانكار والاعتراض فلن يرجى فلاحه ولما جاءهم كتاب فيه اشارة
الى اهل كل زمان يتمنون ان يدركوا احدا من العلماء والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى
الله تعالى عند دفع حوائجهم في صالح دعائهم ويظهرون محبتهم عند الخلق فلما وجدوا واحدا منهم ما عرفوا قدره
وحسدوه واظهروا عداوته وما انصفوه فباءوا بغضب لمنكرة ولاية الاولياء على غضب من الله للاولياء
كما جاء في الحديث من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني اغضب لاوليائي كما يغضب الليث لجروه والله اعلم

ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ○ واذ
اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ط خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا
سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ط قل بئسما يامركم به ايمانكم
ان كنتم مؤمنين ○ قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من
دون الناس ط فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ○ ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم ط والله
عليم بالظالمين ○ ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ج ومن الذين اشركوا ط يود
احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر ط والله بصير بما يعملون ○

القراءة ولقد جاءكم مدغمة الدال في الجيم كل القراء ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام جاءكم بالامالة
حمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم العجل بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب وقرا حمزة وعلي وخلف بضم الهاء
والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما التقى الميم حرف ساكن وقبل الهاء كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب
الوقوف ظالمون ○ الطور ط لتقدير القول واسمعوا ط بكفرهم ط مؤمنين ○ صادقين ○ ايديهم ط بالظالمين ○ على حيوة ج ومن الذين
اشركوا ج يود مستانف للبيان وانما لم يدخل من في الناس ودخل في الذين اشركوا لان اليهود من الناس وليسوا
من المشركين كقولك الياقوت افضل من الحجارة وافضل من الديباج سنة لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا ان يعمر ط
يعملون ○ **التفسير** السبب في تكرير قصة اتخاذ العجل ههنا القدح بوجه اخر في قولهم نؤمن بما انزل علينا وبيان صنيعهم
بالعناد والتكذيب تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فان قوم موسى عليه السلام بعد ظهور المعجزات
الواضحات على يده اتخذوا العجل الها ومع ذلك صبر وثبت على الدعاء اليه والتمسك بدينه وشرعه وكرر
ذكر رفع الطور للتاكيد ولما نيط به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا الدال على نهاية لجاجهم وذلك انهم اسمعوا
سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وظاهر الاية يدل على انهم قالوا هذا القول اعني سمعنا
وعصينا وعليه الاكثرون وعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك
بالقول مثل قالتا اتينا طائعين واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب
الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا وفي هذه الاستعارة لطيفة

وهي كما ان الشرب مادة لحيوة ما يخرجه الارض فكذلك المحبة كانت مادة للقبائح الصادرة عنهم في قولهم اشربوا
دلالة على ان فاعلا غيرهم فعل ذلك كالسامري وابليس وشياطين الجن والانس وذلك بسبب كفرهم واعتقادهم
التشبيه على الله تعالى ولاريب ان جميع الاسباب ينتهي الى الله تعالى وقد عرفت التحقيق في امثال ذلك مرارا
بئسما يامركم به ايمانكم المخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يامركم به ايمانكم بالتورية عبادة العجل فليس في التورية
عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك وكذا اضافة الايمان اليهم واعلم
ان الايمان عرض صحيح ولا يصح منه الامر والنهي لكن الداعي الى الفعل والسبب فيه قد يشبه بالامر كقوله ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قل ان كانت لكم الدار الاخرة الدار اسم كان وفي الخبر ثلثة اوجه الاول خالصة وعند
الله ظرف لخالصة او للاستقرار الذي في لكم ويجوز ان يكون عند حالا من الدار والعامل فيها كان او الاستقرار واما لكم فيكون
على هذا متعلقا بكان لانها تعمل في حرف الجر ويجوز ان يكون للتبيين فيكون موضعها بعد خالصة اي خالصة
لكم فيتعلق بنفس خالصة ويجوز ان يكون صفة لخالصة قدمت عليها فيتعلق حينئذ بمحذوف الثاني ان يكون
خبر كان لكم وعند الله ظرف وخالصة حال والعامل كان والاستقرار الثالث ان يكون عند الله هو الخبر وخالصة
حال والعامل ان ما عند او ما يتعلق به او كان او لكم وسوغ ان يكون عند خبرا كان لكم اذا كان فيه تخصيص وتبيين
نحو ولم يكن له كفوا احد وقوله من دون الناس نصب بخالصة لانك تقول خلص كذا من كذا والمراد بالدار الاخرة
الجنة لانها هي المطلوبة من الدار الاخرة دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمله على عندية
المكان ممكن ههنا اذ لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم اي سالمة خاصة لكم لاحق لاحد فيها سواكم ودون ههنا
يفيد التجاوز والتخطي في المكان كما تقول لمن وهبت له ملكا هذا لك من دون الناس لا يتجاوز منك الى غيرك والناس
للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس اولى لقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولانه لم يوجد
ههنا معهود فان قلت من اين ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا لانه لا يجوز ان يقال في معرض الاستدلال على
الخصم ان كان كذا وكذا فافعل كذا الاول مذهبه ليصح الزامه بالثاني لقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباؤه ولما اعتقدوا في انفسهم انهم هم المحقون لان النسخ غير جائز
عندهم ولزعمهم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه الاسباب عظموا شان انفسهم
وكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة في ان النبي المنتظر المبشر في التورية منهم لا من العرب وكانوا يصرفون
الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى فساد معتقدهم بالاية وبيان
الملازمة ان متاع الدنيا قليل في جنب نعيم الاخرة وذلك القليل كان ايضا منغصا عليهم بعد ظهور محمد ومنازعته
معهم بالجدال والقتال فالموت خير لا محالة لانه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن البغض ولا يفوت
الا القليل النكد والوسيلة وان كانت مكروهة نظرا الى ذاتها لكنه لا يتركها العاقل نظرا الى غاياتها كالفصد
ونحوه والنهي عن تمني الموت في قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به وان كان ولا
بد فليقل اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وامتني ما كانت الوفاة خيرا لي محمول على تمن بسببه عدم الصبر
على الضر ونكد العيش كما قال القائل شعر الا موت يباع فاشتريه ** فهذا العيش ما لا خير فيه ** الا رحم المهيمن نفس حر
تصدق بالوفاة على اخيه ** فان ذلك نوع من عدم الرضا بالقضا ويدل على الجزع وضيق العطن وينافي قضية التو
والتسليم او على تمن بسبب الجزم بالوصول الى نعيم الاخرة فان ذلك خارج عن قانون الادب ونوع من الاجتراء
بالغيب لا يليق الا ببعض اولياء الله روي ان عليا كرم الله وجهه يطوف بين الصفين في غداة وهي شعار
يلبس تحت الثوب وتحت الدرع ايضا فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على
الموت سقط او سقط الموت عليه وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة
لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة
المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن اليه لجزمهم بلقاء الله ونيل ثوابه وذلك لمكان البشارة فاما احدنا فلا يليق
به تمني الموت الا على الرجاء وحسن الظن بالله انا عند ظن عبدي بي وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا

الموت

الموت لغص كل انسان بريقه ومات مكانه ولا يبقى على الارض يهودي فليس لهم ان يقلبوا هذا السؤال على
محمد صلى الله عليه وسلم فيقولوا انك تدعي ان الدار الاخرة خالصة لك ولامتك دون من ينازعك في الارض
فارض بان نقتلك ونقتل امتك فانا نراك في الضر الشديد والبلاء العظيم وبعد الموت تتخلصون الى دار الكرامة
والنعيم لانه صلى الله عليه وسلم بعث لتبليغ الرسالة وتنفيذ الاحكام ولا يتم المقصود الا بحيوته وحيوة امته
فله ان يقول لاجل هذا لا ارضى بالقتل مع ان المؤمن من هذه الامة قلما يخلو من النزاع والشوق الى لقاء ربه فالعبد
المطيع يحب الرجوع الى سيده والعبد الآبق يكره العود الى مولاه ولهذا جاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله وبذلوا ارواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى
نحبه ومنهم من ينتظر عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب لقاء الله احب
الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة او بعض ازواجه انا لنكره الموت فقال ليس
ذلك ان المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله
واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه كره لقاء
الله وكره الله لقاءه ثم انه تعالى بين انتفاء اللازم بقوله ولن يتمنوه ابدا وبرهن عليه بقوله بما قدمت
ايديهم اي بما اسلفوا من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وكتحريف كتاب الله
وسائر قبائح افعالهم وذكر الايدي مجاز لان الاعمال اتم مباشرة اليد وقوله لن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه
اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا وذلك ان التمني ليس من اعمال القلب حتى لا يطلع عليه احد وانما
هو قول الانسان بلسانه تمنيت او ليت لي كذا ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب فلو انهم تمنوا لنقل ذلك
كما ينقل سائر الحوادث العظام ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن اكثر من الذر وايضا لولا
انه تعالى اوحى اليه انهم لم يتمنوا لم يكن للعاقل رخصة الاقدام على مثل هذا الالزام لانه في غاية السهولة واذا
ثبت انتفاء اللازم ثبت انتفاء الملزوم بالضرورة وهو ان لا تكون الدار الاخرة لهم خالصة واما انها ليست لهم
بالاشتراك ايضا فيستفاد من الاية الثالثة وفي قوله والله عليم بالظالمين اشارة ايضا الى ذلك لانه اذا
كان محيطا بسرهم وعلانيتهم وقد قدموا من القبائح ما قدموا فيجازيهم ما يستحقون له وفي وضع الظاهر
موضع بالظالمين مقام المضمر وهو بهم اشارة اخرى الى سوء منقلبهم وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون واللام اما للعهد واما للجنس فيشملهم اولا وغيرهم من الظلمة ثانيا فان قيل ما الفائدة في قوله
ههنا ولن يتمنوه وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه قلنا لان الدعوى ههنا كون الدار الاخرة خالصة لهم
وهناك كونهم اولياء لله من دون الناس والاول مطلوب الذات والثاني وسيلة له فناسب ان ينفي
الاول بما هو ابلغ في افادة النفي وهو لن او لان الدعوى الثانية اخص فانه لا يلزم بان يكون كل من له الدار الاخرة
وليا بمعنى انه يلي النبي في الكمال والكمال ونفي العام ابعد على نفي الخاص في قولك فلان بن فلان موجود ابعد من
اثبات العام في قولك الانسان موجود فحيث كان الدعوى الاولى ابعد احتيج الى اداة هي باب النفي ابلغ ثم انه
سبحانه لما اخبر عنهم في الاية المتقدمة بانهم لا يتمنون الموت اخبر بعد ذلك انهم في غاية الحرص على
الحيوة لان ههنا قسما ثالثا وهو ان لا يتمنى الحيوة ولا الموت فقال ولتجدنهم احرص الناس مؤكدا
باللام والنون والقسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم وقوله على حيوة بالتنكير لانه اراد نوعا من الحيوة
مخصوصا وهي الحيوة المتطاولة او حيوة واي حيوة وفي جعلهم احرص من الذين اشركوا توبيخ عظيم لان
المشركين لا يؤمنون بمعاد وعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فهي جنتهم فلا يستبعد حرصهم عليها فاذا
زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بالتوبيخ وسبب زيادة حرصهم هو علمهم بانهم صائرون
الى النار لا محالة والمشركون غافلون عن ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم الف
نيروز والف مهرجان عن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال فتحسن ان يقال ومن الذين اشركوا كلام
مبتداء ومنهم ناس يود على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وما منا ملك لقوة الدلالة

عليه بذكر ما اشتمل عليه قبله وكانه مذكور وعلي هذا يلزم توبيخ اليهود من جهة الاخرى وهي انضمامهم في
زمرة المشركين وكونهم بعضا منهم وذلك لحق لهم عن توبيخ الله وقال ابو مسلم في الاية تقديم وتاخير اي لتجدنهم
طايفة من الذين اشركوا واحرص الناس على حيوة ثم فسر بقوله يود احدهم اي كل واحد بعوض لو يعمر وحكاية نود
ادتهم وكان يجوز ان يجري علي الحكاية على انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم لو حلف بالله ليفعلن وتخصيص
الالف بالذكر بناء على العرف ولانه اخر العقد بيتخيل وقوعه في اعمار بني ادم او يتذكر الضمير في قوله وما هو يعود
الى احدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من العذاب تعميره ويجوز ان يكون الضمير لما دل
عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب ان يعمر ويجوز ان يكون
هو مبهما وان يعمر موضحة والزحزحة المباعدة والتنحية والله بصير بما يعملون فيه لاهل البغي والعناد وزجر
للعصاة عن الفساد والبصير قد يراد به العلم فلان بصير بهذا الامر اي عارف به وقد يراد به على انه صفة لو وجد
المبصرات لابصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه مالم يثبت لجارحة فان قلنا ان من الاعمال ما لا يصح ان يرى تعين حمل البصير

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ
هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ
فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ۝ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ
أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ط بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ط كِتَابَ
اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ **القراءة**

لجبريل مفتوحة الجيم مكسورة الراء غير مهموزة ابن كثير وقرا حمزة وعلي وابن كثير غير حفص ويحيى مفتوحة
الراء والجيم مهموزا مشبعا وقرا يحيى مختلسا الباقون مكسورة الراء والجيم غير مهموز ميكال ابو عمرو وسهل ويعقوب
وحفص وقرا ابو جعفر ونافع مختلسا مهموزا الباقون ميكاييل مهموزا مشبعا **الوقوف** للمومنين ۝ للكافرين ۝ بينات
لان هذه الواو للابتداء او الحال والحال اوجه لاتحاد القصة الفاسقون فريق منهم لان بل للاعراض عن الاول لا يومنون
اوتوا الكتاب ط قد قيل يوقف لبيان ان كتاب الله مفعول نبذ لا بدل ما قبله لا يعلمون ۝ قد يجوز للاية والوصل للعطف على
نبذ لا تمام سوء اختيارهم في النبذ والاتباع **التفسير** هذا نوع اخر من تبايح افعال اليهود والسبب في نزوله انه
صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة اتاه عبد الله بن صوريا من احبار فدك فقال يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم
النبي الذي في اخر الزمان فقال صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرني عن الولد من
الرجل يكون او من المراة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المراة
فقال صدقت فما بال الولد يشبه اعمامه دون اخواله او يشبه اخواله دون اعمامه فقال ايهما غلب ماؤه ماء صاحبه
كان الشبه له قال صدقت قال اخبرني اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفي التورية ان النبي الامي يخبر عنه
فقال صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا
فطال سقمه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب على نفسه وهو لحمان الابل
والبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة ان قلتها امنت بك اي ملك ياتيك بما تقول من الله قال جبريل

قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكاييل ياتي باليسر والرخاء فان كان هو الذي ياتيك امنا بك فقال عمر
ما مبدا هذه العداوة فقال ابن صوريا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس يخرب في زمان رجل يقال له بخت
نصر ووصفه لنا فطلبناه فلما وجدنا بعثنا لقتله رجالا فدفع عنه جبريل فقال ان سلطكم الله على قتله فهذا ليس
هو ذاك وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه ثم انه كبر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا
واما ميكاييل فهو عدو جبريل فقال عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبريل فهو عدو ميكاييل وهما عدوان لمن
عاداهما فانكر ذلك على عمر فانزل الله تعالى هاتين الايتين وقيل كان لعمر ارض باعلى المدينة وكان ممره
على مدراس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم
لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد واري اثاره في كتابكم ثم سالوه فقالوا
من صاحب صاحبكم فقال عمر جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب
وان ميكاييل يجي بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله فقالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكاييل
عن شماله وميكاييل عدو لجبريل فقال عمر لئن كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا
لاحدهما كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وعن مقاتل زعمت
اليهود ان جبريل عدونا امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا والاقرب في سبب عداوتهم اياه كان ينزل
بالقران على محمد صلى الله عليه وسلم كما يشعر بذلك قوله فانه نزله اي ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه
نزله عليك القران مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقران ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا محرفين
ويجحدون موافقته كقولك ان عاداك فلان فقد اذيته واسات اليه فان عادي بهم جبريل احد من
اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له
صنيعه في النزول بما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ويمكن ان يتوجه الجزاء الى قوله باذن الله اي فهوه اي
ان عاداه احد فلا وجه لعداوته لانه لم ينزل بالقران من تلقاء نفسه وباختياره وانما جاء به باذن الله وامره
والذي لا محيص عنه ولا سبيل الى مخالفته وجاء به مصدقا هاديا مبشرا فهو من حيث انه مامور وجب
ان يكون معذورا من حيث انه اتى بالهداية والبشارة يلزم ان يكون مشكورا فعداوة من هذا سبيله
عداوة الله ولو انه تعالى امر ميكاييل بذلك لانقاد امره ايضا لا محالة ولتوجه الاشكال عليه فما الوجه في
تخصيص جبريل بالعداوة وجبريل ممتنع من الصرف للعلمية والعجمة بشرطها وعن ابن عباس وغيره
ان معناه عبد الله والضمير في نزله للقران وان لم يجر له ذكر لانه كالمعلوم مثل قوله تعالى ما ترك على ظهرها
من دابة وهذا النوع من الاضمار فيه فخامة لشان صاحبه حيث جعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه واكتفى
الامة على ان القران انما نزل على محمد لا على قلبه لكن خص القلب بالذكر لان السبب في تمكنه من الاداء
اثباته في قلبه فالمعنى على قلبك حفظه اياك وفهمك وقيل اي جعل قلبك متصفا باخلاق القران ومتادبا
باداب كما في حديث عايشة كان خلقه القران ولان حق الكلام ان يقال على قلبي الا انه جاء على حكاية كلام
الله تعالى كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك ومعنى مصدقا
لما بين يديه موافقا لما قبله من كتب الانبياء فيما يرجع الى المبادي والغايات دون الاوساط التي تتطرق
اليها الاختلاف بتبدل الازمان والاوقات ومعنى قوله هدى وبشرى ان القران يشتمل على امرين احدهما
بيان ما وقع التكليف به من اعمال القلوب وافعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى وثانيهما بيان ان الاتي
بتلك الاعمال كيف يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى والاول مقدم على الثاني في الوجود فقدم في الذكر
ايضا ولا ريب ان البشرى يختص بالمومنين واما الهدى فلانهم المنتفعون به كما مر في هدى للمتقين ولما
بين في الاية المتقدمة ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل القران على قلب محمد وجب ان يكون عدوا لله تعالى
بين في الاية التالية ان من كان عدوا لله وللمخصوصين بكرامته فان الله تعالى يبغضه في الاية التالية الاخرى

من قرلجام

يعاديهم وينتقم منهم والعداوة بالحقيقة لا تصح الا فينا لان العدو للغير هو الذي يريد انزال المضار به وهذا
يستحيل في حقه تعالى من العاقل المتفاطن لا العاقل المتغابي فمعنى قوله من كان عدوا لله اي لاولياء الله
كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ان الذين يؤذون الله ورسوله او يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعتهم
وبعدهم من التمسك بدينه لان العدو لا يكاد يوافق عدوه وينقاد لامره قال اهل التحقيق عداوتهم لله وملائكته
نتيجة عداوة الله لهم ونظره اليهم في الازل بالقهر هؤلاء في النار ولا ابالي كما ان محبة المؤمنين نتيجة محبة
الله اياهم يحبهم ويحبونه وذلك ان صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق محدثة والاولى علة للثانية
وافراد الملكين بالذكر دلالة على فضلهما كانهما من جنس اخر فان التغاير في الوصف قد نزل منزلة التغاير
في الذات ولان الاية نزلت فيما يتعلق بهما بخصوص اذ نص على اسميهما وتقديم جبريل في الذكر يدل على انه افضل
من ميكائيل وايضا ان جبريل ينزل بالوحي والعلم وذلك سبب بقاء الارواح وميكائيل ينزل بالخصب والرزق وهو
سبب بقاء الابدان والواو في جبريل وميكائيل بمعنى او لان عداوة احد هؤلاء توجب عداوة الله وكلهم توجب
ذلك ويحتمل ان يكون الواو على الاصل ويعرف ما ذكرنا من القرينة وقوله للكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر
دلالة على ان عداوة هؤلاء كفر الايات بينات البينات هي ايات القرآن ولا يبعد ان يشتمل سائر معجزاته
وان كان لفظ الانزال نابيا عنه بعض النبو ومعنى كون الاية بينة اذ العلوم تنقسم الى ما يكون طريق تحصيله والدليل
الدال عليه اكثر مقدمات فيكون الوصول اليه اصعب والى ما يكون اقل مقدمات فيكون الوصول اليه اقرب وهذا هو
الاية البينة والكفر بها اما جحودها مع العلم بصحتها واما جحودها مع الجهل وترك النظر فيها والاعراض عن دلائلها
وليس في الظاهر تخصيص فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الانسان عما حد له الى الفساد ويقرب منه الفجور لانه
ماخوذ من فجور السد الذي يمنع الماء من ان يصير الى الموضع الذي يفسد عن الحسن اذا استعمل الفسق في
نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره ولهذا لا يوصف صاحب الصغيرة بالفسق وانه تجاوز
عن امر الله تعالى كمن فجر من النهر نفسا صغيرا لا يقال انه فجر النهر وفي قوله الا الفاسقون وجهان احدهما
ان كل كافر فاسق ولا ينعكس وكان ذكر الفاسق اولى ليأتي على الكافر وغيره والثاني ان المراد وما يكفر بها الا
الكافرون والمجاوزون عن كل حد في كفرهم وهذه الايات لما كانت بينة لم يكفر بها الا الكافر الذي بلغ في الكفر
النهاية القصوى وهذا نوع اخر من قبائح اليهود عن ابن عباس انهم كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج
برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم
معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتخبروننا انه مبعوث
وتصفونه لنا بصفته فقال بعضهم ما جاءنا بشيء من البينات وما هو بالذي كنا نذكر لكم فنزلت واللام في الفاسقون
للجنس او اشارة الى اهل الكتاب اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالايات البينات وكلما عاهدوا
واليهود موسومون بالغدر ونقض العهد وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن ابائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وفيه تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لان من يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس مخالفته كصعوبة من لم تجر عادته
بذلك والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وانما قال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا
من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول اي كتاب [illegible] منهما بدليل كتاب الله
وهو القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم بذلك رصين من قبل
التوراة ولكن المكابرة حملتهم ونبذوه وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه وتركهم العمل به وقيل كتاب الله
التوراة لانهم لكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كافرون بها وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير
وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه اللهم الهمنا العلم بكتابك والعمل به امين ٥

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ

كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ط وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ط
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ط فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ
بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ط وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ط وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنْفَعُهُمْ ط وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ج وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ ط لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ط لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٥

القراءة ولكن خفيفا الشياطين بالرفع ابن عامر وعلي وخلف وكذلك قوله ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى الملكين
بكسر اللام ههنا وفي سورة الاعراف قتيبة على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل الوقوف على ملك سليمان ط
لان الواو قد تفصلها حالا لبيان نزاهة سليمان ورد ما افتروا عليه السحر قد قيل على جعل ما نافية ولا يتضح لمناقضة
ما في سياق الاية من اثبات السحر بل ما خبرية معطوفة على قوله انها وان كانت نافية يحتمل كون الواو حالا
يعلمون الناس السحر غير منزل فلا يفصل وفي الاية عشر ماءات احدها كافة في انما والاخرة نكرة منصوبة في
لبئسما والباقية خبرية ثم نافية ثم خبرية ثم نافية ثم خبرية على التعاقب وماروت ط فلا تكفر ط من زوجه ط باذن
الله ط ولا ينفعهم ط من خلاق ج لجواز الوقف لابتداء اللام انفسهم ط يعلمون ٥ خير ط يعلمون ٥ التفسير من قبائح افعالهم
انهم نبذوا كتاب الله واقبلوا على السحر ودعوا الناس اليه وهذا شان اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل انهم الذين تقدموا من اليهود وقيل انهم الذين كانوا في زمن سليمان عليه السلام من السحرة لان اكثر
اليهود ينكرون نبوة سليمان ويعدونه من جملة ملوك الدنيا فالذين كانوا منهم في زمانه لا يمتنع ان يعتقدوا فيه
انما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر والاولى ان يقال اللفظ يتناول الكل قال السدي لما جاء محمد صلى الله عليه
وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة واخذوا بكتاب اصف وسحر
هاروت وماروت ومعنى تتلوا تقرأ على ملك سليمان اي على عهده في زمانه وقيل تتلو عليه اي تكذب فالقوم
لما ادعوا ان سليمان انما وجد تلك المملكة بسبب العلم فان ذلك الادعاء كان افتراء على ملك سليمان واما الشياطين
فالاكثرون على انهم شياطين الجن وانهم كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها
الى الكهنة وقد دونوها يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا ان الجن يعلم الغيب وكانوا
يقولون هذا علم سليمان وما تم ملكه الا بهذا العلم وقيل انهم شياطين الانس لما روي في الخبر ان سليمان كان قد
دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه خوفا على انه ان هلك الظاهر منها يبقى ذلك
المدفون فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم من المنافقين الى ان كتبوا في خلال ذلك اشياء من السحر تناسب
تلك الاشياء من بعض الوجوه ثم من بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموا الناس انه من عمل سليمان
وانه ما وصل الى ما وصل الا بهذه الاشياء ويرد قول الاكثرين بان شياطين الجن لو قدروا على تغيير كتب
الانبياء وشرائعهم بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيا فيما بين الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرائع وهذا بخلاف
ما يفعله الانسان فانه لا يكاد يخفى على بني نوعه واختلف في سبب اضافتهم السحر الى سليمان فقيل لترويج
ذلك منهم وقيل لانهم ما كانوا مقرين بنبوته وقيل لانه لما خالط الجن واظهر اسرارا عجيبة غلب على ظنونهم
انه استفاد ذلك من الجن وقوله وما كفر سليمان تبرئة له عما نسب القوم اليه من السحر المستلزم للكفر فان
كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين ان الذي برأه منه لاصق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا
ثم ذكر ما به كفروا فقد كان من الجائز انهم كفروا لا بالسحر فقالوا يعلمون الناس السحر وما انزل اي يعلمونهم

الذي انزل على الملكين وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ممتنعان من الصرف للعلمية و
العجمة ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقيل بدلان منهما ولنذكر هيهنا حقيقة
السحر وقصة هاروت وماروت اما السحر ففي اللغة عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه ومنه السحر العالم
وسحره وخدعه والسحر الرئة وفي الشرع مختص بكل امر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه
والخداع ومتى اطلق ولم يقيد افاد ذم فاعله قال تعالى سحروا اعين الناس يعني موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم
وعصيهم تسعى وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا سمي
بعض البيان سحرا لان صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر
على تحسين القبيح وتقبيح الحسن فيسخط تارة فيقول اسوء ما يمكن ويرضى تارة فيقول احسن ما يعلم ثم السحر على
اقسام منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا
العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادات والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية
بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه الصلوة والسلام مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم مذاهبهم
ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية بدليل ان الجذع الذي يتمكن الانسان من المشي عليه لو كان موضوعا
على الارض لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر وما ذاك الا لان تخيل السقوط متى قوي اوجبه وقد اجمعت الاطباء
على نهي المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان والدوران وما ذاك الا ان
النفوس خلقت مطيعة للاوهام وحكي عن الشفاء عن ارسطو ان الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديكة في الصوت
وفي الحراب مع الديك نبتت على ساقها مثل الشيء النابت على ساق الديك وهذا يدل على ان الاحوال الجسمانية تابعة
للاحوال النفسانية واجمعت الامم على ان الدعاء مظنة الاجابة وان الدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الاثر
ويحكى ان بعض الملوك عرض له فالج فتدخل عليه بعض الحذاق على حين غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح في
العرض فاشتد غضب الملك وقفز من مرقده قفزة اضطرارية فزالت تلك العلة المزمنة والاصابة بالعين
مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه ان النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب الى عالم
السموات كانت كانها روح من الارواح السماوية وكانت قوية التاثير في مواد هذا العالم اما اذا كانت ضعيفة
شديدة التعلق بهذه اللذات فحينئذ لا يكون لها تصرف البتة الا في هذا البدن فاذا اراد ان يتعدى تاثيرها
الى بدن اخر يتخذ تمثال ذلك الغير ويضعه عند الحس فيشتغل الحس به ويتبعه الخيال عليه واقبلت
النفس الناطقة بالكلية على ذلك فقويت التاثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية وبعضهم الانقطاع عن
المالوفات والمشتهيات وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس ثم ان كانت النفس مناسبة لهذا الامر
بحسب ماهيتها وخاصيتها عظم التاثير واما الرقى فان كانت بالفاظ معلومة فالامر فيها ظاهر لان الغرض منها ان
حس البصر كما اشتغل بالامور المناسبة بالغرض فحس السمع ايضا يشتغل فان الحواس متى تطابقت متوجهة
الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه اقوى وان كانت بالفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة
شبيهة بالحيرة والدهشة فيحصل لها اذ ذاك انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل
فيقوى التاثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا القول في الدخن قالوا فثبت ان هذا القدر من القوة
النفسانية مستقل بالتاثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تاثير الكواكب قوي الاثر جدا
لا سيما ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها وهي الارواح الفائضة من النفوس
الفلكية ومنها سحر من يستعين بالارواح العلوية وهي المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات
الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وذلك ان اغلاط البصر كثيرة فان راكب السفينة اذا نظر الى الشط
راى السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والعنبة ترى في الماء كالاجاصة
ويرى العظيم من البعيد صغيرا ثم قد لا تقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفا تاما اذا ادركت المحسوس
في زمان صغير جدا فيختلط البعض بالبعض ولا يتميز فان الرحى اذا اخرجت من مركزها الى محيطها خطوط

كثيرة

كثيرة ثم اديرت فان البصر يرى لونا واحدا كانه مركب من كل تلك الالوان وايضا النفس اذا كانت مشتغلة بشيء
فربما حضر عند الحس شيء اخر فلا يشعر الحس به البتة كما ان الانسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه انسان
ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما ان قلبه مشغول بشيء اخر وكذا الناظر في المراة ربما قصد ان يرى سطح المراة
هل هو مستو ام لا فلا يرى شيئا مما في المراة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل اذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم
اليه حتى اذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئا اخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا
لتفاوت الشيئين اشتغالهم بالاول وسرعة اتيانه بالثاني ومنها الاعمال العجيبة التي تظهر من الالات المركبة على النسب
الهندسية او لضرورة الخلاء ككفارسين يقتتلان فيقتل احدهما الاخر ومنها الصور التي يصورها الروم والهند حتى
لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد يصورونها ضاحكة او باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل
ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر عرفا لان لها اسبابا معلومة
يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية والاحجار ومنها تعليق القلب وهو ان يدعي الساحر انه قد عرف
الاسم الاعظم وان الجن ينقادون له في اكثر الامور فاذا اتفق ان كان السامع ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد انه
حق وتعلق قلبه بذلك وتعلق عليه بنوع من الترغيب وح بضعف قوى الحساسة فيتمكن الساحر ان يفعل
به ما يشاء وان من جرب الامور وعرف احوال الناس علم ان لتعليق القلب اثرا عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء
الاسرار ومنها السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة وذلك شايع في الناس فهذه جملة الكلام في اقسام
السحر وعند المسلمين كلها مستندة الى قدرة الله تعالى فانه لا يمتنع وقوع هذه الخوارق بجري العادة عن السحرة
السحرم واتفقوا على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف ولعموم قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز ممكن به الا ان اجتنابه اقرب الى السلامة كتعليم الفلسفة الذي لا يؤمن
ان يجر الى الغواية واما ان الساحر هل يكفر ام لا فلا نزاع بين الامة فان من اعتقد الكواكب هي المدبرة لهذا العالم
وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه كافر على الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر
اما النوع الثاني وهو ان يعتقد انه قد يبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الى حيث يقدر على ايجاد الاجساد
واعدامها وتغيير البنية والشكل فالاظهر اجماع الامة ايضا على تكفيره واما ان يعتقد الساحر انه قد يبلغ
التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الادوية الى حيث يخلق الله تعالى عقيب افعاله على سبيل العادة الاجسام
والحيوة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك قالوا لانه مع هذا الاعتقاد
لا يمكنه ان يعرف صدق الانبياء والرسل ورد بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فانه لا يجوز
من الله تعالى اظهار الخوارق على يده لئلا يحصل التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان المحق يحصل له
هذه الاشياء مع ادعاء النبوة والمبطل لا يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت لم تتم صولة الباطل
كنار العرفج واما سائر انواع السحر فلا شك انها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد واذا سحر انسانا
فمات فان قال اني سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه اسمه فخطا
وعن ابي حنيفة انه قال يقتل الساحر اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني اترك السحر واتوب منه
فاذا اقر انه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان على انه ساحر او وصفوه بصفة يعلم انه ساحر قتل ولا
يستتاب وان اقر باني كنت اسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل واما قصة هاروت وماروت
فقد روي عن ابن عباس ان الملائكة لما قالت اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فاجابهم الله بقوله اني
اعلم ما لا تعلمون ووكل عليهم جمعا من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وكانوا يعرجون باعمالهم الخبيثة فعجبت
الملائكة منهم ومن تبقية الله مع ما ظهر منهم من القبائح ثم اضافوا اليها اعمال السحر فازداد تعجب الملائكة فاراد
الله ان يبتلي الملائكة فقال لهم اختاروا ملكين من اعظم الملائكة علما وزهدا وديانة لانزلهما الى الارض
فاختبرهم فاختاروا هاروت وماروت وركب فيهما شهوة الانس وانزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنا والخمر
ونزلا فامر الله تعالى الكوكب المسمى بالزهرة والملك الموكل به تهبط الى الارض فجعلت الزهرة في صورة امراة والملك في صورة

رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها ونصب الملك نفسه في منزلها في تمثال صنم
فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا لا نشرب الخمر ثم غلبت الشهوة عليهما فشربا ثم
دعواها الى ذلك فقالت بقيت خصلة لست امكنكما من نفسي حتى تفعلا قالا وما هي قال تسجدان لهذا الصنم
فقالا لا نشرك بالله شيئا ثم غلبت الشهوة عليهما فقالا نفعل ثم نستغفر وسجدا للصنم ثم دخل سائل عليهم
فقالت ان اظهر هذا السائل للناس ما راى منا فسد امركم فان اردتم الوصول الي فاقتلا هذا الرجل فامتنعا منه
ثم اشتغلا فقتلاه فلما فرغا من القتل ارتفعت الزهرة وملكها الى موضعها من السماء فعرفا حينئذ انه انما
اصابهما ذلك بسبب تعييرهما بني ادم ۞ وفي رواية اخرى ان الزهرة كانت فاجرة من اهل الارض وانهما واقعاها
بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا للصنم وعلماها الاسم الاعظم الذي كانا يعرجان به الى السماء فتكلمت
المراة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها هذا الكوكب ثم ان الله تعالى خيرهما بين عذاب
الاخرة اجلا وبين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين في بير الى يوم القيمة وهما يعلمان
الناس السحر ويدعون اليه ولا يراهما احد الا من ذهب الى ذلك الموضع لتعلم السحر خاصة وهذه القصة
عند المحققين غير مقبوله فليس في كتاب الله ما يدل عليها ولان الدلايل على عصمة الملايكة تنافيها
ولاستبعاد كونهما معلمين السحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف يعقل انها صعدت الى السماء وجعلها
الله تعالى كوكبا مضيا ولانه ذكر في القصة ان الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به ادم لعصيتماني
فقالا لو فعلت بنا يا رب لما عصيناك وهذا منهم تكذيب لله وتجهيل فاذن السبب في انزالهما ان السحرة
كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى الملكين ليعلما
الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اوليك الكاذبين ولا شك ان هذا من احسن الاغراض والمقاصد
وايضا تعريف حقيقة السحر ليتميز بينه وبين المعجزة حسن وكذا السحر لايقاع الفرقة بين اعداء الله والالفة
بين اوليايه ولعل الجن انواعا من السحر لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك وارشاده ويجوز ان يكون
ذلك تشديدا في التكليف من حيث انه اذا علمه ما امكنه ان يتوصل به الى اللذات العاجلة ثم منعه من
استعماله كان ذلك في تمام المشقة ويستوجب مزيد الثواب كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس
مني ومن لم يطعمه فانه مني ويقال هذه الواقعة كانت في زمان ادريس لانهما اذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر
لهذا الغرض فلا بد من رسول في وقتهما ليكون ذلك معجزا له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس يجب ان
لا يكون الا منهم قوله تعالى وما يعلمان اي وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة
ابتلاء واختبار من الله تعالى فلا تكفر بان تتعلم معتقدا انه حق او متوصلا به الى شي من المعاصي والاغراض
العاجلة فيتعلمون الضمير لما دل عليه العموم في من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه
اما لانه اذا اعتقد ان السحر حق كفر فبانت منه امراته واما لانه يفرق بينهما بالنميمة والاحتيال كالنفث في
العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله بارادته وقدرته لانه ان شاء احدث عنده شيا من افعاله وان شاء لم يحدث وكان الذي
يتعلمون منهما لم يكن منحصرا على هذه الصورة ولكن المذكور كونه الى زوجه لما كان اشد خص بالذكر ليدل
بذلك ان ساير الصور بتاثير السحر فيها اوليه فرادا الاعتني وما هم بضارين به من احد فجعل الجار جزءا من المجرور وهو
احد واضاف الجار الى المجموع وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يستعملونه في وجوه الفساد ولقد
علم هولاء اليهود اللام فيه للابتداء وكذا في لمن اشتريه استبدل ما تتلوا الشياطين واختاره على كتاب الله
ماله في الاخرة من خلاق من نصيب كانه قدر له هذا المقدار وقيل الخلاق الخلاص وقيل معنى الاية ان الملكين
انما قصد بتعليم السحر الاحتراز الى منافع الاخرة فلما استعمل السحر للدنيا فكانه اشترى بمنافع الاخرة منافع
الدنيا ولبئسما شروا به انفسهم اي باعوها والمخصوص محذوف وهو السحر او منافع الدنيا وجواب لو محذوف
يدل عليه ما قبله اي لو كانوا يعلمون لعلموا قبح ما شروا ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا كما تقدم من الترجي في

لعلكم تتقون وحينيذ لا يحتاج الى الجواب بقي ههنا سوال وهو انه كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على
سبيل التوكيد بلام القسم ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون فان لو لامتناع الاول الثاني لامتناع الاول ولذا
لو كان للتمني فان التمني استدعا امر هو كالممتنع والجواب ان الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا
السحر ودعوا الناس الى تعلمه ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون هم الجهال الذين يرغبون في تعلم
السحر سلمنا ان القوم واحد ولكنهم علموا شيا وجهلوا شيا اخر علموا انهم لا خلاق لهم في الاخرة وجهلوا مقدار
ما فاتهم من منافع الاخرة وحصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا ان القوم واحد والمعلوم واحد نسبوا الى
الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل صم بكم عمي حيث لم ينتفعوا بالحواس ولما اوعدهم بقوله
ولقد علموا اتبع ذلك الوعد جامعا بين الترهيب والترغيب ليكون ادعى لهم الى الطاعة وانهى الى المعصية فقال ولو
انهم امنوا بعين ما نبذوه من كتاب الله وهو القران والتورية التي يصدقها القران او كلاهما واتقوا فعل المنهيات وترك
المامورات واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله لشي من ثوابه
خير ولا بد من تقدير فعل يكون ان مع ما بعده فاعلا اي ثبت انهم امنوا وجواب لو محذوف ايضا يدل عليه هذه الجمله
الاسمية المصدرة باللام اي لاثيبوا وانما تركت الفعلية الى هذه ليدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز ان
يكون القسم مقدرا وهو قوله لمثوبة جوابه سادا مسد الشرط مغنيا عنه ودخول اللام الموطية في لو مستقل فشبه
ان يكون الاكثر بل الواجب ههنا عدم الدخول ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا عن ارادة الله ايمانهم كانه قيل
وليتهم امنوا ثم ابتدا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه لامنوا واتقوا وقد علموا
لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم ويجوز ان يكون لو بمعنى التمني كما تقرر والله تعالى اعلم التاويل واتبعوا ما تتلوا
شياطين النفوس على ملك سليمان الروح الذي هو خليفة الله في ارضه وما كفر سليمان الروح ولكن شياطين
النفس والهوى كفروا يعلمون الناس السحر من تخيلات الهواجس وتمويهات الوساوس وما انزل فتنة
فتنة وخللا لانا من العلوم الضارة غير النافعة كتمويهات الفلاسفة والمبتدعة على ملكي الروح والقلب ببابل
الجسد وهاروت الروح وماروت القلب فانهما من عالم العلوي الروحاني اهبطا الى ارض العالم الجسماني الخلا
باقامة الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة زهرة الدنيا وانخداعهما في شبكة الشهوة التي ركبت
بينهما ابتلاء وامتحانا وشربا خمر الحرص والغفلة التي تخامر العقل وزنيا ببغي الدنيا الدنية وعبدا صنم الهوى فعذبا
منكسين رءوسهما بالالتفات الى السفليات واعراضهما عن العلويات بحرمان استماع صفات الحق وكشف
حقايق العلوم النافعة الموجبة للجمعية ومع هذا من خصوصية الملكية الروحانية ما يعلمان احدا من الصفات
البهيمية والسبعية والشيطانية والقوى البشرية حتى تلهمهما انما نحن فتنة فيتعلمون منهما ما يفرقون به من القلب وزوج دينه

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ۝ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ
مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ط وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ط وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ط أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ط وَمَنْ

يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ ط فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ القراءة

ما ننسخ بضم النون وكسر السين ابن ذكوان ننسأها بهمزة ابن كثير وابو عمرو غير ادغام ورويس ادغمه بغير همز
الباقون ننسها من الانساء نات بخير بغير همز ابو عمرو وعن ابراهيم بن حماد ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف
الباقون وابراهيم بن حماد بالهمز لانه جواب الشرط ومن شرطه ان يهمز كلما كان ساكنا اي عطفا على المجزوم اوجوابا
للمجزوم كل القران مثل قوله عز وجل وان تصبروا وتتقوا وياتوكم وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها واشباه
ذلك فقد ضل بالاظهار حجازي غير ورش وعاصم غير الاعشى وكذلك يظهرون اللام عند الزاي والظاء
حيث وقعا مثل قوله تعالى فقد ظلم ولقد ذرانا واشباه ذلك الوقوف واسمعوا ط اليم ۝ من ربكم ط من يشاء
العظيم ۝ او مثلها ط قدير ۝ والارض ط ولا نصير ۝ يريع الجزوس قبل السبيل ۝ التفسير لما شرح الله قبائح افعال السلف
من اليهود شرع في قبائح اخلاف المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجدهم واجتهادهم في القدح فيه والطعن
في دينه واعلم ان الله تعالى خاطب المومنين في ثمانية وثمانين موضعا من القران قال ابن عباس وكان يخاطب في التورية
يا ايها المساكين وكانه سبحانه لما اطبقهم اولا بالمساكين اثبت لهم المسكنة اخرا حيث قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وهذا يدل على انه تعالى لما خاطب هذه الامة اولا بالايمان فانه تعالى يعطيهم الامان عن العذاب اخرا ويبشر
المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولاسيما فان المومن اسم من اسمائه العظام ففيه دليل على انه تعالى تغفر لهم
منه في دار السلام وقيل امنوا على الغيبة نظرا الى المظهر وهو الذين ولو قيل امنتم نظرا الى الرجاء اجاز من
حيث العربية ثم انه لا يبعد في الكلمتين المترادفتين ان يمنع الله من احدهما وياذن في الاخرى ومن هنا قال
الشافعي رضي الله عنه لا تصح الصلوة بترجمة الفاتحة عربية كانت او فارسية فلا يبعد ان يمنع الله من قول راعنا
وياذن في قول انظرنا وان كانا مترادفين ولكن جمهور المفسرين على انه تعالى انما منع من قول راعنا لاشتماله على
مفسدة ثم ذكروا منها وجوها منها ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا
من العلم راعنا يا رسول الله واليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه هذه الكلمة وهي راعينا ومعناها
اسمع لا اسمعت كما صرح بذلك في سورة النساء ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا فان الجميع كانها
متقاربة فلما سمعوا المسلمين يقولون راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يعنون تلك المسبة
فنهي المومنون عنها وامروا بلفظة اخرى وهي انظرنا ويروى ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء
الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقال اولستم
تقولونها فنزلت ومنها قال قطرب هذه الكلمة وان كانت صحيحة المعنى الا ان اهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء
والسخرية فلا جرم نهى الله عنها وقيل ان اليهود كانوا يقولون راعينا اي انت راعي غنمنا فنهاهم عنه وقيل ان
هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل على المساواة بين المخاطبين كانهم قالوا ارعنا سمعك لنرعيك اسماعنا
فنهوا عنها لتعظيم دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقيل راعنا خطاب مع الاستعلاء اي راع كلامي ولا
تغفل عنه ولا تشتغل بغيره وليس في انظرنا الا سوال الانتظار وقيل انها تشبه اسم الفاعل من الرعونة الحمق
فيحتمل انهم ارادوا به المصدر كقولهم عائذا بك اي اعوذ [illegible] عياذا بك فقولهم راعنا اي فعلت رعونة ويحتمل
انهم ارادوا صرت راعنا اي ذا رعونة فلما كان هذه الوجوه الفاسدة نهى الله عنها وقيل المراد لا تقولوا
قولا راعنا اي منسوبا الى الرعن كدارع ولابن ومنه قراءة الحسن راعنا بالتنوين وانظرنا من نظره اذا انتظره
انظرونا نقتبس من نوركم امرهم الله تعالى ان يسالوه الامهال لينقلوا عنه فلا يحتاجون الى الاستعادة كانهم قالوا له
توقف في كلامك وبيانك مقدار ما يصل الى افهامنا وهذا القدر غير خارج عن قانون الادب فقد يلتمسه المتعلم
حرصا منه على ان لا يفوت منه شيء من الفوائد وان كان المعلم غير مهمل دقائق التفهيم والارشاد من التثبت
والتاني والاعادة اذا احتيج اليها ونحو ذلك وقيل انظرنا معناه انظر الينا مثل واختار موسى قومه اي من قومه
والغرض ان المعلم اذا نظر الى المتعلم كانت افاضته عليه اظهر واقوى وفي قراءة ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا

حتى نحفظ واسمعوا معناه احسنوا سماع كلام نبيكم باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة
وطلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول وطاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا واسمعوا ما امرتم به ولا
ترجعوا الى ما نهيتم عنه من قوله راعنا وللكافرين واليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه
عذاب اليم قوله ما يود الذين الاية من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون
كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتاكيد النفي وقرئ ولا المشركون والثانية مزيدة
لاستغراق الخير فانه نكرة في سياق النفي فمعنى ما يود اي يتمنى ان لا ينزل والثالثة لابتداء الغاية والخير
الوحي وكذلك الرحمة ام يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان
ينزل عليكم شيء من الوحي ولا اثر لهذا الحسد فان يختص بالنبوة من يشاء ولا يكون الا ما يشاء ولا ما يشاء الا ما يقتضيه الحكمة
والله ذو الفضل العظيم الفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة والافضال الاحسان وفيه اشعار بان ايتاء النبوة
من غاية الاحسان وانها رشحة من بحار كماله ان فضله كان عليك كبيرا قوله عز من قائل ما ننسخ من اية نوع ثان
من تفريط مطاعن اليهود حذلهم في الاسلام روى انهم قالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم
بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وفي الاية مسائل الاولى النسخ لغة هو الازالة يقال نسخت الشمس
الظل اي ازالته والنقل ايضا وهو ان يغير الشيء في صفته وحاله مع بقائه في نفسه ومنه نسخت الكتاب والمناسخات
في المواريث لانتقال التركة من قوم الى قوم فقيل مشترك بينهما وقيل حقيقة في الاول مجاز في الثاني وقيل بالعكس
وفي الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر فيخرج المباح بحكم الاصل اذا ورد الشرع بضده رافعا للاباحة
فانه لا يسمى نسخا اذ ليس رفع حكم شرعي ويخرج ايضا الرفع بالنوم والغفلة لان ذلك الرفع ليس بمجرد الدليل الشرعي
وهو رفع عن امتي الخطاء والنسيان ونحوه بل يقتضيه العقل بخلاف الرفع بنحو دعي الصلوة ايام اقرائك فانه لا مجال للعقل
فيه ويخرج الرفع بعوض الى اخر الشهر فان الى وان اوجبت مخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا انها لا يسمى لانه ليس متاخرا
ويمكن ان يقال ان قيد متاخرا انما ينبغي ان يذكر لان دليل النسخ لا يكون الا كذلك ويخرج الى كذا امثاله من انواع
التخصيص متصلا كان او منفصلا انما خرج بقيد الرفع لان رفع الحكم لا يكون بعد ارادة حصوله على المكلف والتخصيص
ليس كذلك لان صورة التخصيص غير مرادة من اللفظ بل التخصيص مبين لمراد الشارع ونعني بالحكم ههنا ما يحصل
على المكلف بعد ان لم يكن فان الوجوب المشروط بالعقل الذي هو مناط التكليف لم يكن حاصلا عند انتفاء العقل والوقوف
عند الحادث حادث واذا كان المراد بالحكم هذا فلا يراد قول المعتزلة الحكم عندكم قديم فكيف يرتفع فكذا انا
عنينا بالحكم تعلق الخطاب بعد ما لم يتعلق وهذا الحادث يرتفع وايضا نقطع بانه اذا ثبت تحريم شيء بعد وجوبه انتفى
الوجوب الثابت اولا وهو المعني بالرفع ويحسن ايضا ان يقال النسخ بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ
فيخرج بقولنا شرعي بيان انتهاء حكم عقلي كالبراة الاصلية وبحكم شرعي يخرج به بيان انتهاء الحكم الشرعي
بطريق عقلي كانتساخ القيام عمن ينكسر رجله وقولنا متراخ يخرج التخصيص بالغاية ومن هذا يعلم تعريف الناسخ
والمنسوخ ومعنى بيان انتهاء الحكم ان الخطاب السابق له غاية في علم الله تعالى فاذا انتهى الى تلك الغاية نزل
بدله ثم ورد الخطاب اللاحق بيانا لذلك المسئلة الثانية انعقد الاجماع من اكثر ارباب الشرائع ومن المسلمين خاصة
على جواز النسخ عقلا وعلى الوقوع شرعا وخالف اليهود في الجواز وابو مسلم الاصفهاني من المسلمين في الوقوع
لنا الجواز لنا القطع بالجواز ضرورة فان له تعالى ان يفعل ما يشاء كما يشاء من غير النظر الى حكمة ومصلحة وان اعتبرت
المصالح فالقطع ان المصلحة قد تختلف باختلاف الاوقات فهذا ما يدل على جواز النسخ وفي التورية انه
امر ادم بتزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك في شريعة من بعده باتفاق فهذا ما يدل على وقوعه وكيف لا
وقد ثبت بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته يلزم نسخ شرع
من قبله ولم يكن لليهود والنصارى نص صريح يعلم منه امور شرعهم على التعيين حتى يلزم ان يكون
شرع نبينا انتهاء غاية الانتساخ حجة اليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل قول موسى المتواتر هذه
شريعة مؤبدة عليكم ما دامت السموات والارض وايضا ان نسخ الحكم الشرعي لحكمة ظهرت له تعالى لم تكن ظاهرة

فهو البداء والعبث وكلاهما محال على الله تعالى اذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء والعبث فعل لا يستتبع غاية ۞ والجواب عن الاول منع من انه نقل من موسى عليه السلام ويؤكده انه لو كان هذا القول صحيحا لعدم لقضت العادة بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولحاجوه بذلك لكن اليهود لم يتمسكوا به في عهده فدل على انه افك افتراه المتاخرون منهم وعن الثاني بعد تسليم عبارة المصالح انها تختلف الازمان والاحوال كمنفعة شرب دواء في وقت احتمال وضرره في اخر بل الزمان الممتد من الازل الى الابد قد وزع اجزاؤه فما لم يزل على الجزئيات الواقعة فيها الصادقة شيئا فشيئا بحسب وقت وقت للمصلحة تعود اليه تعالى بل لما هي اصلح بالنسبة الى المتزمنات فالظهور والخفاء والثابت واللاحق والاعدام والايجاد كلها بالنسبة الينا واما بالنسبة الى الحضرة الواجب جل ذكره فقد جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين والحاصل ان كل حكم فله غاية في علم الله تعالى ولكن يظن المكلف استمراره في الاستقبال من قرائن الاحوال فاذا ورد ما يبين امده ونص له على زواله فذلك الوارد ناسخ والمنسوخ والورود نسخ وكل هذه التجددات بالنسبة الى المكلف واما بالاضافة اليه تعالى فكل من الحكمين موجود في وقته الذي قدر له فيه الظهور متقدما احدهما او متاخرا الاخر وليس هذا في الاحكام فقط وانما ذلك في كل حادث فمن تامل نسخة الوجود ونسب الحوادث المتعاقبة بعضها الى بعض بالتقدم والتاخر والعقبة وجد وجودها المترتبة اشبه شيء بكتاب بكتاب يتراءاه القاري سطرا بعد سطر وكلمة تلو كلمة اذ انقضى مجموع من ذلك تلاه مجموع اخر حسب ما رتبه الحكيم العليم بمباينة ومقاطعة فالمقتضى في حكم المحو والتالي في حكم الاثبات والهيئة الاجتماعية بدون اعتبار التلاوة المستلزمة لانقضاء شيء وظهور ما يقتضي هي ام الكتاب وهذا سر قوله عز من قائل يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وكذا ان نعبر عن المجموع الدفعي بالقضاء وعن ظهوره التدريجي في هذا القدر كفاية للفطن المنصف المسئلة الثالثة اتفقوا على وقوع النسخ في القرآن لوجوه احدها هذه الاية اعني ما ننسخ من اية واجاب ابو مسلم بان الاية المنسوخة الى الشرايع التي في الكتب القديمة من التورية والانجيل كالسبت والصلوة الى المشرق والمغرب مما وضعه الله عنا وتعبدنا بغيره فان اليهود والنصارى كانوا يقولون لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فابطل الله ذلك عليهم بهذه الاية وايضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح المحفوظ وتحويله عنه الى سائر الكتب وايضا انما هنا بقيد الشرط والجزاء وكما ان قولك من جاءك فاكرمه لا يدل على حصول المجيء بل على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الاية لا تدل على حصول النسخ بل على انه متى حصل النسخ وجب ان ياتي بما هو خير منه وثانيها ان الاعتداد بالحول في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول نسخ بالاربعة الاشهر وعشرا اجاب ابو مسلم بان الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت حاملا ومدة حملها حول كامل لكان عدتها حولا كاملا واذا بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا ورد بان عدة الحمل تنقضي بوضع الحمل سواء حصل وضع الحمل بسنة او اقل او اكثر فجعل السنة مدة للعدة يكون ابلاء بالكلية لانها لو كانت حاملا ومدة حملها حول كامل لكانت عدتها حولا كاملا واذا بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا ورد بان علة الحمل ينقضي موضع الحمل سواء حصل وضع الحمل بسنة او اقل او اكثر فجعل السنة مدة للعدة يكون ابلاء بالكلية وثالثها اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة منسوخة بالاتفاق اجاب انه زال لزوال التعبد بها ان يمتاز المنافقون عن المؤمنين ورد بانه يلزم منه ان من لم يتصدق كان منافقا وهو باطل لما روي انه لم يتصدق غير علي عليه السلام وبدليل فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ورابعها ان اثبات الواحد للعشرة فان لم يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وخامسها تحويل القبلة قال ابو مسلم حكم تلك القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه اليها عند الاشكال او مع العلم اذا كان هناك عذر ورد بان بيت المقدس وسائر الجهات في ذلك سواء وسادسها واذا بدلنا اية مكان اية والتبديل يشتمل على رفع واثبات والمرفوع اما التلاوة واما الحكم وكيف ما كان فهو رفع ونسخ فهذه الدلايل وامثالها يدل على وقوع سببية م

النسخ

النسخ في الجملة حجة ابي مسلم لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والجواب ان الضمير للمجموع وايضا نسخه بالنسبة الى المكلف لا ينافي حقيقته في نفسه وكونه قرآنا المسئلة الرابعة المنسوخ اما ان يكون هو الحكم فقط كالايات المعدودة والتلاوة فقط كما يروى عن عمر انه قال كنا نقرأ اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويروى لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب او الحكم والتلاوة معا كما روي عن عائشة كان فيما انزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فالعشر مرفوع التلاوة باقي الحكم ويروى ان سورة الاحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال او ازيد ثم وقع النقصان ولنرجع الى تفسير الاية ما ننسخ محمولا على نسخ الحكم وازالته دون التلاوة وننسها على نسخ الحكم والتلاوة جميعا وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان يخرج من جملة ما يتلى ويقرأ في الصلوة او يحتج به فاذا زال حكم التعبد به وطال العهد ينسى وان ذكر فعلى طريق ما يذكر خبر الواحد فيصير بهذا الوجه منسيا عن الصدور ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم كان يروى انهم كانوا يقرءون السورة فيصبحون وقد نسوها قال عز من قائل سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله وانساخ الاية الامر بنسخها وهو ان يامر جبرئيل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها وننسؤها نؤخرها واذهابها لا الى الابد وقيل ما ننسخ من اية اي نبدلها اما بان نبدل حكمها فقط او تلاوتها فقط او نبدلهما وننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لان النسيان قد يجيء بمعنى الترك وقيل ما ننسخ من اية ما نرفعها بعد انزالها او ننساها بالهمز نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ ونؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال فانا ننزل بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة ولا يخفى ان قوله نات بخير منها او مثلها لا ينطبق على هذين القولين كما ينبغي ومعنى الاية عند جمهور المفسرين اية القرآن وعند ابي مسلم التورية والانجيل كما مر وقد عرفت انه يمكن حملها على معنى اعم وكل مجموع من الوجود في كل زمان من الازمنة اية من صفحة المحكومات وكل فرد من ذلك المجموع كلمة من كلمات الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ومعنى نات بخير منها ومثلها ان حملنا الاية على ما يتضمن حكما على المكلف ان الثاني اخف واصلح بالنسبة الى وقته كما ان الاول كان اصلح بالاضافة الى وقته كما ان الاول كان اصلح بالاضافة الى وقته فالثاني خير بالنسبة الى وقتها وما مثل بالنسبة الى وقتيهما او يراد ان العمل بالثاني اكثر ثوابا من العمل بالاول او مساو له فكل منهما قد يقتضيه الحكمة دون ما هو اقل ثوابا وان حملنا الاية على غير ذلك فتعين الاصلح قال اهل الاشارة المراد بالنسخ نقل السالك وترقيه من حال الى حال اعلى منه وان عصى استكمالهم ابدا ناض وحكم مصالحهم دائما زاهرا فلا ينسخ من اثار عبادتهم شيئا الا ابدل منها اشياء من انوار العبودية ولا ينسخ شيء من انوار العبودية الا اقيم مكانها اشياء من اقسام الربوبية وايضا انهم يشاهدون بعض الرقايق الشريفة في الصور اللطيفة كشفها التجلي بحسب صفاء الوقت وعلو المقام فلما ارتقوا الى مقام اخر لا يشاهدون ذلك تلك المشاهد فيظن السالك الفتر انه حجب عن ذلك المقام والحال فقيل ما ننسخ من اية من ايات المقامات او ننسها بان نمحوها من ادراك الخيال نات بخير منها من تلك المشاهد او مثلها ثم ان الائمة استنبطوا من الاية مسائل الاولى زعم قوم انه لا يجوز نسخ الحكم لا الى بدل لقوله نات بخير منها او مثلها والجمهور على خلافه لان الاية تدل على وجوب الاتيان باية اخرى اما على وجوب الاتيان بحكم اخر فلا سلمنا لكنه مخصوص بنسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى وبنسخ وجوب الامساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا يجوز ان يكون ذلك البدل عدم الحكم الذي رفع بالنسخ ويكون نسخه بغير بدل وجودي خيرا للمكلف لمصلحة علمت الثانية زعم قوم ان النسخ لا يجوز بالاثقل لان الاثقل لا يكون خيرا منه ولا مثله ورد الجمهور عليهم بان المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافي كونه اثقل اجرك على قدر نصبك وايضا قد وقع كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم حتما وصوم عاشوراء برمضان والحبس في البيوت للزاني بالحد واما النسخ الى الاخف فكنسخ العدة من الحول الى اربعة اشهر وعشرا وكنسخ صلوة الليل الى التخيير فيها واما نسخ المثل الى المثل فكالتحول من بيت المقدس الى الكعبة الثالثة عن الشافعي ان الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نات بخير منها وذلك يدل على ان الاتي من جنسه كما اذا قال الانسان ما اخذ منك من ثوب اتك بخير منه يفيد انه ياتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القرآن قرآن وايضا قوله

يدل على ان الاتي هو الله لا الرسول وايضا الماتي به خير والسنة لا تكون خيرا من القران وايضا قوله الم
تعلم أن الله على كل شيء قدير دل على أن الاتي بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريف المكلف تحت
مشيئته وارادته لا دافع لما اراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى واجيب بان قوله نات بخير منها ليس
فيه ان ذلك الخير يجب ان يكون ناسخا بل لا يمتنع ان يكون ذلك الخير شيئا مغايرا للناسخ يحصل بعد حصول
النسخ وذلك ان الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ تلك الاية مرتبا على الاتيان بذلك الخير لزم الدور
قلت ويمكن دفع الدور بان يقال المراد ما اردنا نسخها من اية نات بخير منها حتى ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع
نسخ الكتاب بالسنة بان اية الوصية للاقربين منسوخة بقوله الا لا وصية لوارث وبان اية الجلد صارت
منسوخة بخبر الرجم اجاب الشافعي بان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان الميراث
مانع من الوصية ولعل الرجم انما ثبت بقوله الشيخ والشيخة له ملك السموات والارض فهو يدبرها ويجريها
على حسب المصالح وهو اعلم بما يتعبد به المكلفين من ناسخ ومنسوخ والخطاب في الم تعلم اما للنبي صلى الله عليه وسلم
فيدخل الامة تبعا او لكل من له اهلية الخطاب ومعنى الاستفهام فيه التقرير والاثبات لظهور اثار قدرته ووضوح
ايات ملكه وسلطانه وقيل اشارة الى ما شاهد ليلة المعراج يعني اليقين فترقى من رؤية الايات الى كشف الصفات
ومن كشف الصفات الى عيان الذات ثم نسخ عن العيان واثبت في العيان والولي لضد العدو كل من ولي امر
واحد فهو وليه فعيل بمعنى فاعل وكذا النصير والواو في وما لكم يحتمل ان يكون للاعتراض فلا محل للجملة ويحتمل ان يكون
للعطف على له ملك السموات فيدخل تحت الاستفهام ويكون قوله من دون الله من وضع الظاهر موضع الضمير
ولا يوقف على الارض ام تريدون قيل الخطاب للمسلمين لقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان وهذا لا يصح الا في حق المؤمنين
ولان ام للعطف ولا معطوف ظاهرا فالتقدير وقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون هذا كما امرتم ام تريدون
ان تسالوا رسولكم ولانه سال قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة
كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول والمشروب كما سالوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم الهة وهذا قول الاصم
والجبائي وابي مسلم وقيل انه خطاب لاهل مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد ان عبد الله بن امية المخزومي
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من قريش فقال يا محمد ما او من بك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
او يكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك بعد ذلك
حتى تنزل علينا كتابا من السماء الى عبد الله بن امية ان محمدا رسول الله فاتبعوه فقال له بقية الرهط فان لم
يستطع ذلك فائتنا بكتاب من عند الله جملة واحدة فيه الحلال والحرام والحدود والفرائض كما جاء موسى
الى قومه بالالواح من عند الله كما ساله السبعون وعن مجاهد ان قريشا سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يجعل الله لهم الصفا ذهبا فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل فابوا ورجعوا وقيل المراد اليهود لان
هذه السورة من اول قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي حكاية عنهم ومحاجة معهم ولان الاية مدنية ولانه جرى
ذكرهم ولان المؤمن بالرسول لا يكاد يسال ما يتبدل الكفر بالايمان وليس في ظاهر الاية انهم اتوا بالسؤال
فضلا عن كيفية السؤال بل المرجع فيه الى الروايات المذكورة وههنا بحث وهو ان السؤال الذي ذكروه
ان كان طلبا للمعجزات فمن اين انه كفر ومعلوم ان طلب الدليل على الشيء لا يكون كفرا وان كان ذلك طلبا
لوجه التفصيلية في نسخ الاحكام فهذا ايضا لا يكون كفرا فان الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية في خلق
البشر ولم يكن ذلك كفرا اما التكفير اما لانهم طلبوا منه ان يجعل لهم الها كما لهم الهة واما لانهم طلبوا المعجزات
على وجه التعنت واللجاج قلت والاصوب في الاية ام تكون ام تريدون معطوفا على الم تعلم على انه خطاب
لكل مكلف فيكون في معنى الجمع ثم اما ان تكون منفصلة على معنى اي الامرين كائن فان العلم والتعليم يكون
احدهما لانه اما ان لا يعلم نفوذ علمه وقدرته وان الكل تحت قهره وتسخيره واما ان يعلم فيسال وجه الحكمة
في النسخ وغيره على سبيل العناد وكلا الامرين يوجب التكفير اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المعترض
لحكمته البالغة وعنايته الشاملة ورافته الكاملة وقدرته الظاهرة من حقه ان يقتصر على علمه الاجمالي ولا يتخطى

مقام الادب في البحث والتنقير عن تفاصيل حكمه التي لا تكاد تخص ويوهم ان السائل في شك مما امر به او
نهي عنه وعلى هذا لا يوقف على نصير واما منقطعة على انه اضرب عن الاستفهام الاول واستانف استفهاما
ثانيا ويحتمل ان يكون قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان حكما بتكفيرهم بسبب السؤال بل يكون تنبيها للمكلفين
على ان السؤال عما لا يعنيهم لهم مما قد يجر الى الغواية لكثرة عروض الشكوك والشبهات حتى يقفوا على الاعتقاد الحق
والتقليد الصرف فيما لا سبيل الى درك تفاصيله او لا يهم معرفتها وسواء السبيل وسطه وهو الصراط المستقيم الذي مر تفسيره

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ج حَسَدًا
مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ج فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ
اللَّهُ بِأَمْرِهِ ط إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝
وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ط تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ
أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ صلى وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ
النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ لا وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ صلى وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ط
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ج فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝

القراءة لا **الوقوف** كفارا ج لان حسدا مصدر محذوف اي يحسدون حسدا
او حال او مفعول له وهو اوجه والوصل اجوز الحق ج لعطف الجملتين المختلفتين بامره ط قدير ۝ الزكوة لان ما للشرط مصدر
عند الله ط بصير ۝ او نصارى ط امانيهم ط صادقين ۝ عند ربه لعطف الجملتين المتفقتين يحزنون النصارى على شيء لعطف
الجملتين المتفقتين على شيء لان الواو للحال الكتاب ط مثل قولهم ج لان فالله مبتدا مع فاء التعقيب يختلفون ۝

التفسير هذا نوع اخر من مكايد اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة
اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم
وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود
اما هذا فقد صبا فقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقران كتابا وبالكعبة
قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت وكفارا
نصب على الحال او مفعول ثان على انه بمعنى صيّر والحسد من اقبح الخصال الذميمة قال صلى الله عليه وسلم الحسد
ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله اعداء قيل ومن اولئك قال يحسدون
الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال ستة يدخلون النار قبل الحساب الامراء بالجور والعرب بالعصبية
والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد روي ان موسى عليه السلام لما

ذهب الى ربه رأى في ظل العرش رجلا يغتبط بمكانه فقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه ان يخبره باسمه وقال احدثك من عمله ثلثا كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وحكي ان عبد الله بن عون دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء اياك والكبر فانه اول ذنب عصى الله به ابليس ثم قرأ فسجدوا الا ابليس استكبر واياك والحرص فانه قتل ابن ادم اخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت احدا على شيء من الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار واعلم انه اذا انعم الله على اخيك بنعمة فان اردت زوالها فهذا هو الحسد المحرم الذي ذم الله صاحبه في هذه الاية وغيرها ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله ان تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وان اشتهيت لنفسك فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا وانفقه في سبيل الله ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلم الناس وهذا يدل ان الحسد قد يطلق على المنافسة وقد يكون واجبة اذا كانت النعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكاة وقد يكون مندوبة في نحو الانفاق في سبيل ونشر العلم والتعليم وقد تكون مندوبة في نحو الانفاق والحسد مراتب اربع الاول ان يحب زوال النعمة عنه وان لم يحصل له وهذا اخبث الثاني ان يحب زوالها عنه اليه لرغبة في داره الحسنة او لموافقه او ولايته فالمطلوب بالذات حصوله فاما زواله عن غيره فمطلوب بالعرض الثالث ان لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابع ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه وان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف والاولى اخبث قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض تمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه لعين ذلك مذموم واسباب الحسد سبعة الاولى العداوة والبغضاء فان من اذاه انسان ابغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه الحقد المقتضي للتشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وربما افضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل الثانية التعزز فان واحدا من امثاله اذا نال منصبا غالبا يترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك اراد زوال المنصب عنه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته الثالثة ان يكون في طبعه ان يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر ذلك الغرض وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم الرابعة التعجب او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الخامسة الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص من المتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرائر في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على تحصيل المنزلة عند الابوين وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على اهل بلدة السادسة حب الرياسة كمن يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته فان الكمال محبوب مكروه وجملة انواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا يمتنع حصوله الا لله تعالى ومن طمع في المحال خاب وخسر السابعة شح النفس بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك واذا وصف اضطراب امور الناس وادبارهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزائنه وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل البخيل من بخل بمال غيره وقد يجتمع بعض هذه الاسباب فيتعظم الحسد ويتقوى بحسبه وقلما يقع التحاسد الا في الامور الدنيوية لان الدنيا لا تفي بالمتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد بين ارباب الدين واصحاب اليقين وانما يكون بتلقاء احوا

مستانسين وبقاوا اخوانهم فرحين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين واما علاج الحسد فامران العلم والعمل اما العلم ففيه مقامان اجمالي وهو ان يعلم ان الكل بقضاء الله وقدره وان ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن لا يرد كراهية كاره ولا يجره ارادة مريد وتفصيلي وهو العلم بان الحسد قذى في عين الايمان حيث كره حكم الله وقسمته في عباده وغش للاخوان وعذاب وحزن مقيم ومورث للوسواس ومكدر للحواس ولا ضرر على المحسود في دنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك ولا في دينه بل ينتفع به لانه مظلوم من جهتك فيثيبه الله على ذلك وقد ينتفع في دنياه ايضا من جهة انك عدوه ولا يزال يزيد غمومك واحزانك الى ان يفضي بك الى الدنف والتلف شعر اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله النار تاكل نفسها ان لم تجد ما تاكله وقد يستند لتحسد الحاسد على كونه مخصوصا من الله تعالى بمزيد الفاضل شعر لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا منك الذي يكمدوا لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد وان الحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند الخالق مشترك في ابليس واصحابه مدحور عن الحق واوليائه فهل هو الا كمن رمى حجرا الى عدو ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانيا فيرميه اشد من الاول فيرجع الى عينه الاخرى فيعميه فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيرجع على راسه فيشجه وعدوه سالم في كل الاحوال وقد عاد عليه الوبال واعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون هذا له في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وابقى واما العمل فهو ان ياتي بالافعال المضادة لمقتضيات الحسد فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه على المدح له وان حمله على التكبر عليه كلف نفسه التواضع له وان حمله على قطع اسباب الخير سعى في ايصال الخير حتى يصير المحسود محبوبا محبا له فان الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك التكليف يصير بالاخرة طبعا والله الموفق واعلم ان النفرة القائمة بقلب الحاسد من المحسود لا من عمل داخل في وسعه فكيف يعاقب عليه وانما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة ثم اظهار اثارها من القدح فيه والقصد الى ازالة النعمة عنه وجر اسباب النعمة اليه ثم ان اليهود كانوا يريدون رجوع المؤمنين من الايمان من بعد ما تبين لهم ان الايمان صواب حق فالقوا اليهم ضربين من الشبهة لعلمهم ان المحق لا يعدل عن الحق الا بالشبهة احدهما يتصل بالدنيا وهو قولهم لهم قد علمتم ما نزل بكم من اخراجكم من دياركم واموالكم واستمرار الخوف عليكم فاتركوا ايمانكم الذي ساقكم الى هذه الثاني في باب الدين بالقدح في المعجزات وتحريف التورية وقوله من عند انفسهم اما ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق واما ان يتعلق بحسد اي منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح بترك المقاتلة والاعراض عن الجواب لان ذلك اقرب الى تسكين النائرة لا دائما بل حتى ياتي الله بامره عن الحسن انه المجازاة يوم القيمة وقيل قوة الاسلام وكثرة المسلمين والاكثرون على انه الامر بالقتال فعنده يتعين اما الاسلام واما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار فالاية منسوخة لان الغاية التي علق بها غير معلومة شرعا فليس كقوله ثم اتموا الصيام الى الليل بل يحمل محل قوله فاعفوا واصفحوا الى ان انسخه عنكم عن الباقر عليه السلام انه قال لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال حتى نزل جبريل بقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا وكان اول قتال اصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر فان قيل كيف يعفون ويصفحون والكفار حينئذ اصحاب قوة وشوكة والصفح لا يكون الا عن قدرة قلنا ان الرجل من المسلمين كان ينال الاذى فيقدر على بعض التشفي والاستعانة بسائر اصحابه فاذنوا ان لا يهيجوا قتالا وفتنة وايضا القليل منهم كان يقاوم الكثير من المشركين ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وايضا جعل الصابر الى القوة قويا ليظهره على الدين كله وقيل المراد بالعفو والصفح حسن الاستدعاء واستعمال ما يلزم فيهم من النصح والاشفاق وترك التشدد وعلى هذا لا يكون الاية منسوخة وكذا ان قيل المراد بالله قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة تنبيه على انه كما يلزمهم لحظ حال غيرهم بالعفو والصفح كذلك يلزمهم

لحظا انفسهم باداء الواجبات من خير من حسنة صلوة او صدقة فرضية او تطوع فعمم بعد ما خصص تنبيها على ان
الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من الطاعات ولا بد من اضمار اي تجدوا ثوابه لان وجدان عين تلك الاشيا
غير مطلوب ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شي من الاعمال وفيه ترغيب للمحسن وترهيب للمسي وقالوا لن يدخل
الجنة نوع اخر من تخليط اهل الكتاب اليهود والنصارى والضمير في وقالوا لهم والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة
الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخلها الا من كان نصارى نضم بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق
ما قاله لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه ومثله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كحائل
وبزل وعائذ وعوذ والعائد الحديثة النتاج من النوق والبازل الذي خرج نابه وحد اسم كان حملا على لفظ من وجمع
خبره حملا على المعنى ومثله فله اجره عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تلك امانيهم على حذف المضاف اي
امثال تلك الامنية امانيهم يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل هذه وهي قولهم لن يدخل الجنة او اشير
بتلك الى ما ودتهم ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم امنية وودادتهم ان يردوهم كفارا امنية وقولهم لن يدخل
الجنة امنية اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى وتلك امانيهم اعتراض على هذا وهات التي اسم فعل معناه اعط ويتصرف بحسب المامور بها
هاتيا هاتوا هاتي وقيل الصحيح انه ليس باسم فعل وانما الهاء فيه مبدلة من الهمزة واصله ءات من
الانيا وبرهانكم حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وفيه دليل واضح على ان المدعي نفيا
او اثباتا لا بد له من برهان والا فدعواه باطلة شعر من ادعى شيئا بلا شاهد لا بد ان تبطل دعواه
بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة وقوله من اسلم الى اخره جملة شرطية مستانفة ويجوز ان يكون من
اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى من يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم
وفيه اشارة ان لهولاء الداخلين برهانا وهو استسلام النفس وانقيادها لطاعة الله مع الاحسان وفيه
ترغيب لهم في الاسلام وبيان مفارقة حالهم حال من يدخل الجنة كانه قيل لهم انتم على ما انتم عليه لا تفوزون
بالجنة بل ان غيرتم طريقتكم وينبوع الفكر والتخيل فاذا تواضع الاشرف كان غيره اولى ولان الوجه قد يكنى به عن
النفس والذات كل شي هالك الا وجهه الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولان اعظم العبادات السجدة وهي انما تحصل بالوجه
وهذا الاسلام اخص الاسلام الذي ورد في الحديث الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وتقيم الصلوة وتوتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا لان هذا عبارة عن الاذعان الكلي
بجميع القوى والجوارح في كل الاحوال والاوقات وهو الاسلام الذي امر به ابراهيم صلوات الرحمن عليه اذ قال له
ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ويوكد ذلك قوله لله اي خالصا لا يشوبه شرك ولا يكون عابدا مع الله
غيره ولا معلقا رجاءه بغيره وزاد التاكيد بقوله وهو محسن اي حال كونه محسنا في عمله ومعنى الاحسان
هو الذي في الحديث الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولا ريب ان العبادة على
هذا الوجه لا تصدر الا عن صدق النية وصفاء الطوية فان مثول العبد بين يدي مولاه يشغله عن
الالتفات الى ما سواه فلا يقع فعله فيما هو فيه الا لوجه الله فلا يصدر عنه شي من السيئات واما الطاعات
والمباحات فيكون مقتضية لتزايد الحسنات ورفع الدرجات في الخبر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه
اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة وذلك ان المتطيب اذا كان قصده
التنعيم واستيفاء اللذات او التودد الى النسوان كان التطيب معصية واذا كان قصده اقامة السنة ورفع
الروايح الموذية عن عباد الله وتعظيم المسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام في المناكح والمطاعم والمشارب وفي
الضابط ان كل ما فعلته لداعي الحق فهو العمل الحق وكل ما عملته لغير الله فحلالها حساب وحرامها عقاب وروي
ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته
بين الناس فاوحى الله الى نبيهم قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما
فتصدقت به وينبغي النية ان يقول في نفسه او بلسانه عند تدريسه وتجارته نويت ان ادرس لله او اتجر لله

وانما النية انبعاث النفس وميلها الى سلوك طريق الحق في كل فعل فاجتهد في تحصيل ذلك ملكة لنفسك والناس
فيما يعشقون مذاهبه فمنهم من يعمل لباعث الخوف من النار فله ذلك ومنهم من يعمل لباعث الطمع في الجنة وهم اكثر
اهل الجنة لقصور هممهم عن طموح ما فوقها من الكمالات واللذات الحقيقيات اكثر اهل الجنة البله ومنهم من يعمل
لله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولما جمع الله تعالى اهل الكتابين في الاية المتقدمة فصل
بينهما وبين قول كل فريق في حق الاخر والظاهر حمل لفظي اليهود والنصارى على العموم وان كان السبب خاصا
لان هذا اعتقاد كل واحد من الطايفتين في حق الاخرى روي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شي من الدين وكفروا
بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية ومعنى على شي اي شي يصح ويعتد به
وفيه مبالغة عظيمة كقول العرب اقل من لا شي عن ابن عباس والله صدقوا قلت وذلك ان الايمان بالله انما
يعتد به اذا كان مومنا برسوله وبكل ما انزله وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا
ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية والانجيل وغيرهما من كتب الله ان يومن بالباقي ولا
يكفر به لان جميع الكتب السماوية متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك الكاف للتشبيه وذلك اشارة الى المذكور
اي قولا مثل الذي سمعت به قال الذين لا يعلمون ومثل قولهم مكرر للتاكيد ولطول الكلام بالموصول والصلة
والمراد بالذين لا يعلمون الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام القايلين ان المسلمين ليسوا على شي
وفيه توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم فقالوا قولا عن التشهي والعصبية مثلهم
فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى يوم القيمة عن الحسن يكذبهم جميعا ويدخلهم النار ويجوز ان يرجع
الضمير الى الكافرين الذين يعلمون والذين لا يعلمون والى المسلمين ويحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه فينتصر
الظالم المكذب للمظلوم المكذب او يريهم من يدخل الجنة عيانا ويدخل النار عيانا اعاذنا الله سبحانه وتعالى منها

وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللّٰهِ اَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعٰى فِي خَرَابِهَا
اُولٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ اَنْ يَدْخُلُوهَا اِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي
الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَاَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ
كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاِذَا قَضٰى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ اَوْ تَأْتِينَا اٰيَةٌ كَذٰلِكَ قَالَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْاٰيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ

القراءة قالوا اتخذ الله بلا واو العطف ابن عامر اتباعا لمصاحف اهل الشام كن فيكون بالنصب كل القرآن
ابن عامر الا قوله كن فيكون الحق في ال عمران وكن فيكون قوله الحق في الانعام ووافقه الكسائي في النحل ويس
الوقف خرابها للفصل بين الاستفهام والخبر خائفين لان ما بعده اخبار وعيد مبتدا مستقل عظيم وجه الله
عليم ولدا تعجيلا للتنزيه سبحانه لان ما بعده مبتدا قانتون والارض لان اذا جيت بالفاء وكانت للشرك فيكون

ابة فی لهم ط قلوبهم لان قد لتوكيد الاستيناف يو قنوت ° التفسير عن ابن عباس ان ملك النصارى غزا
بيت المقدس فخربه والقى فيه الجيف وحاصر اهله وقتلهم وسبى الذرية واحرق التورية ولم يزل خرابا حتى بناه اهل
الاسلام في زمان عمر فنزلت الاية فيهم وعن الحسن وقتادة والسدي نزلت في بخت نصر حيث خرب بيت المقدس
واعانه على ذلك بعض النصارى ورد بان بخت نصر كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل نزلت في مشركي العرب
منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعا الى الله بمكة والهجرة فصاروا مانعين له ولاصحابه ان يذكروا
الله في المسجد الحرام وقيل المراد الحديبية وجه اتصال الاية بما قبلها على القولين الاولين هو ان النصارى ادعوا
انهم من اهل الجنة فقط فبين انه لا اظلم منهم فكيف يدخلون الجنة وعلى الاخير هو انه جرى ذكر مشركي
العرب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون فعقب ذلك بساير قبايحهم ومن استفهامية لتقرير النفي اي ليس
احدا اظلم ممن منع وان يذكر ثاني مفعولية لانك تقول منعته كذا او بدل من مساجد او حذف حرف الجر
مع ان او التقدير كراهية ان يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر
الله تعالى مفرط في الظلم ولا باس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول اذى صالحا واظلم من
اظلم ممن اذى الصالحين ومثله ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وينبغي ان يراد بمن منع العموم
ايضا الا الذين منعوا من ذلك النصارى او المشركين من اعيانهم والسعي في خراب المساجد بانقطاع الذكر
او بتخريب البنيان قيل ان قوله ومن اظلم الذي في فوقه ليس احد اظلم ليس على عمومه لان الشرك اعظم من
هذا الفعل ان الشرك لظلم عظيم وكذا الزنى وقتل النفس قلت اما استعمال لفظ الظلم في هذا المعنى ففي غاية
الحسن لان المسجد موضوع لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع للشي في غير موضعه واما لا اظلم منه فلانه
ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا اظلم منه وان كان يدعي الاسلام ففعله مناقض
لان من اعتقد له معبودا اعترف وجوب عبادته له عقلا وشرعا والعبادة تستدعي متعبدا لا محالة فتخريب
المتعبد ينبي عن انكار العبادة وانكار العبادة يستلزم انكار المعبود فهذا الشخص لا يكون في الحقيقة
مسلما وانما هو منخرط في سلك اهل النفاق والمنافق كما مر اسوا حالا من الكافر الاصلي بالاتفاق اولئك
المانعون ما كان لهم اي ما ينبغي ان يدخلوها في حال من الاحوال الا خايفين على حال التهيب وارتعاد الفرايص
من المومنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المومنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب
الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل هذه بشارة للمومنين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى ساير
المساجد وانه يذل المشركين لهم حتى لا يدخلوا المسجد الحرام الا خايفين من ان يعاقبوا او يقتلوا ان لم يسلموا وقد انجز
الله هذا الوعد فمنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج ابوبكر الا لا يحجن بعد العام مشرك وامر النبي
صلى الله عليه وسلم باخراج اليهود من جزيرة العرب وصار بيت المقدس في ايدي المسلمين وقيل يحرم الدخول
في المسجد الا في امر يتضمن الخوف نحو ان يدخلوا للمخاصمة او المحاكمة او المحاجة وقيل اللفظ خبر ومعناه النهي عن
تمكينهم من الدخول والتخلية بينه وبينهم كقوله وما كان لكم ان توذوا رسول الله الاية فمن هنا قال مالك
لا يجوز للكافر دخول المساجد وخصص الشافعي المنع بالمسجد الحرام لجلالة قدره ومزيد شرفه وللتصريح
بذلك في قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وجوز ابو حنيفة دخول المساجد
كلها لما روي انه صلى الله عليه وسلم قدم عليه وفد ثقيف فانزلهم المسجد واجيب بانه في اول الاسلام ثم نسخ
بالاية خزي ذل بمنعهم من المساجد وبالجزية في حق الذمة وبالسبي والقتل في حق اهل الحرب وقيل ردعهم
عن اثباتهم على الكفر وقيل الخزي فتح مداينهم قسطنطينية وعمورية ورومية والعذاب العظيم يناسب الظلم
العظيم ولنذكر هيهنا فوايد الاولى في بيان فضل المساجد من ذلك اضافتها الى الله وذلك دليل على شرفها
وكذا في قوله وان المساجد لله الاختصاص انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر في بيوت اذن الله
ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال صلى الله عليه وسلم احب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله
اسواقها وليس ذلك الا ان المسجد يذكر الحبيب والسوق يشتغل عنه وفي الاية نكتة وهو ان تخرب المساجد

لما كان في نهاية الظلم والكفر يلزم ان عامر المساجد في غاية العدل والايمان الثانية في فضل المشي الى المساجد
عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة
من فرايض الله كانت خطواته احديها تحط خطيئة والاخرى ترفع درجته وقال صلى الله عليه وسلم لبني سلمة
حين ارادوا ان ينتقلوا الى قرب المسجد دياركم تكتب اثاركم الثالثة في تزيين المساجد عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال امرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى التشييد
رفع البناء وتطويله والزخرفة التزيين والتمويه وامر عمر ببناء مسجد فقال اكن الناس من المطر واياك ان تحمر
او تصفر فتفتن الناس الرابعة في تحية المسجد عن ابي قتادة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل احدكم
المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وتادت التحية في الفرض او النفل نواها او لا هذا مذهب الحسن البصري
ومكحول والشافعي واحمد واسحق وقيل يجلس ولا يصلي واليه ذهب ابن سيرين وعطا ابن ابي رباح والنخعي
وقتادة ومالك والثوري واصحاب الراي الخامسة في الدعاء عند الدخول في المسجد والخروج عنه روت
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابيها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى
على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك فاذا خرج صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر
لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك السادسة في فضيلة القعود فيه لانتظار الصلوة عن ابي هريرة انه صلى الله
عليه وسلم قال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه تقول اللهم اغفر له وارحمه
ما لم يحدث السابعة في كراهية البيع والشري فيه عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله
عليه وسلم نهى عن تناشد الاشعار في المساجد وعن البيع والشري فيها وان يتحلق الناس قبل الجمعة قبل
الصلوة يعني لمذاكرة العلم ونحوها وان يشتغل بالذكر والصلوة والانصات بالخطبة ثم لا باس بالاجتماع والتحلق
بعد الصلوة واما طلب الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فمكروه ايضا عن ابي هريرة انه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا اداها الله اليك فان المساجد
لم تبن لهذا وقد ذكر بعض السلف المسلة في المسجد وكان بعضهم لا يرى ان يتصدق على السائل المتعرض في المسجد
قال معاذ بن جبل ان المساجد طهرت من خمس من ان تقام فيه الحدود او يقبض فيه الخراج او ينطق فيها
بالاشعار او ينشد فيها الضالة او يتخذ سوقا ولم ير بعضهم بالقضاء في المسجد باسا لان النبي صلى الله
عليه وسلم لاعن بين العجلاني وامراته في المسجد ولاعن عمر عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وقضى شريح
والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد وكان الحسن وزرارة بن ابي اوفى يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد
الثامنة النوم في المسجد عن عباد بن تميم عن عمه انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا في المسجد
واضعا احدى رجليه على الاخرى وفيه دليل على جواز الاتكاء والاضطجاع وانواع الاستراحة في المسجد مثلها
في البيت الا الانبطاح فانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه وقال انها ضجعة يبغضها الله التاسعة في كراهية
البزاق في المسجد عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنه وعنه
صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى الصلوة فلا يبصق امامه فانه يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه
فان عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن يساره او تحت رجليه فيدفنه العاشرة عن جابر انه صلى الله عليه وسلم
قال من اكل ثوما او بصلا فليعتزل عن مسجدنا وعنه صلى الله عليه وسلم من اكل هذه الشجرة المنتنة فلا يقرب
مسجدنا فان الملائكة تتاذى كما يتاذى منه الانس الحادية عشر في بنا المساجد في الدور عن عايشة قالت
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وان ينظف ويطيب وفيه دليل على ان مجرد تسمية الموضع
بالمسجد لا يخرجه عن ملكه ما لم يسبله قوله عز وجل ولله المشرق والمغرب الاية الاكثرون على انها نزلت
في امر لا يختص بالصلوة اما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه احدها انه اراد تحويل المسلمين عن استقبال
بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب وجميع الاطراف مملوكة سبحانه ومخلوقة له فاينما امركم
باستقباله فهو القبلة ليست قبلة لذاتها بل بجعل الله تعالى فكان الاية مقدمة لما اراد من نسخ القبلة

وثانيها عن ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس انكر اليهود ذلك فنزلت رداً عليهم وثالثها
قول ابي مسلم ان كلا من اليهود والنصارى زعمت ان الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم وذلك ان اليهود انما استقبلوا
بيت المقدس لاعتقادهم انه تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا المشرق لان عيسى ولد هناك اذ
انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لا خالق
فكيف يخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق والخالق ورابعها قول قتادة وابن زيد ان الله تعالى وصف بيت
المقدس بالتخيير الى اي جهة شاؤا بهذه الاية فكان للمسلمين ذلك الا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يختار
التوجه الى بيت المقدس ثم انه تعالى نسخ ذلك التخيير بتعيين الكعبة وخامسها ان الاية في حق من يشاهد
الكعبة فله الاستقبال من اي جهة شاء وسادسها روى عبد الله بن عامر بن ربيعة قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزاة في ليلة سوداء مظلمة فلم نعرف القبلة فجعل كل واحد منا مسجده حجارة موضوعة
بين يديه ثم صلينا فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
تعالى هذه الاية عذراً لنا في خطائنا وهذا الحديث يدل على انهم حينئذ قد نقلوا الى الكعبة لان القتال فرض
بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها عن ابن عمر نزلت في المسافر يصلي النوافل حيث توجهت به راحلته
وكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعاً يومي براسه نحو المدينة فمعنى الاية اينما
تولوا فثم وجه الله اي فقد صادفتم مرضاته ان الله واسع عليم يعلم الحكم فمن ثم رخص لكم كيلا يلزم ترك
النوافل او التخلف عن الرفقة فان النوافل غير محصورة بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكليف النزول عن
الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضي فيها الى الحرج ولا يخفى ان الاية على الوجه الاول ناسخة وعلى الوجه
الرابع منسوخة وعلى ساير الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة واما الفرقة الثانية فاختلفوا ايضا فقيل الخطاب
في تولوا للمانعين والساعين في خرابها اين هربوا فان سلطاني يلحقهم وتدبيري يسبقهم وعلمي محيط بمكانهم وعن
قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه فقالوا نصلي على رجل ليس
بمسلم فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الاية فقالوا انه كان لا يصلي الى القبلة فنزلت
هذه الاية اي الجهات التي يصلي اليها اهل كل ملة لي فمن وجه نحو شي منها يريد طاعتي وجد ثوابي فكان
في هذا عذر النجاشي واصحابه الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وعن الحسن ومجاهد
والضحاك لما نزلت ادعوني استجب لكم اين ندعوه فنزلت وعن علي بن عيسى انه خطاب للمسلمين اي لا يمنعكم
تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من ارضه فلله بلاد المشرق والمغرب والجهات كلها ففي اي
مكان فعلتم التولية التي امرتم بها بدليل فول وجهك شطر المسجد الحرام فولوا وجوهكم شطره فثم الجهة المامورة
المرضية وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجداً وقيل نزلت في المجتهد في الصلوة
او في غيرها وفيه ان المجتهد اذا راعى شرايط الاجتهاد دائما فهو مصيب ومعنى تولوا في جميع الوجوه تستقبلوا
بوجوهكم اليها ويقال ولى هاربا اي ادبر فالتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمانعين احتمل ان يريد
بالتولية الادبار وثمة اشارة الى المكان خاصة وقد زعمت المجسمة من الاية ان لله تعالى وجها وايضا سماه
واسعاً والسعة من نعوت الاجسام والجواب ان الاية له لا لهم فان الوجه لو حمل على مفهومه اللغوي لزم
خلاف المعقول فانه ان كان محاذيا للشرقي استحال ان يكون حينئذ محاذيا للغربي فلا بد من تاويل هو ان الاضافة
للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه خلقهما واوجدهما فاي وجه من وجوه العالم وجهاته المضافة اليه
بالخلق والتكوين نصبه وعينه فهو قبلة والمراد بالوجه القصد والنية مثل وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض او المراد فثم مرضاة الله مثل انما نطعمكم لوجه الله فان المتقرب الى رضا احد شيأ فشيأ كالمتوجه الى
شخص ذاهبا اليه شيأ فشيأ وكيف يكون له وجه او جهة ام كيف يكون جسما او جسمانيا فانه خالق الامكنة
والاحيان والجواهر والملك وكثرة العطاء والرحمة والانعام وانه تعالى قادر على الالطاف في توفية ثواب من
يقوم بالمامورات على شرطها وتوفية عقاب من يتكاسل فيها عليم بمواقع نياتهم فيجازيهم على حسب اعمالهم

قوله

قوله وقالوا اتخذ الله ولداً نوع اخر من قبايح افعال اليهود والنصارى والمشركين جميعاً فقد مر ذكرهم في
قوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن اظلم كما مر والضمير يصلح للعود اليهم فاليهود قالوا
عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له
عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض ملكاً وخلقاً وابداعاً وصنعاً ومن جملتهم الملائكة والعزير والمسيح
والولد لا بد ان يكون من جنس الوالد ومن اين المناسبة بين واجب الوجود لذاته وممكن الوجود لذاته اللهم
الا في مطلق الوجود وذلك لا يقتضي شركة في الحقيقة الخاصة لكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه في الكبر ورجاء
الانتفاع بمعونته وذلك على الغني المطلق والقيوم الحق محال كل له قانتون التنوين عوض عن محذوف اي كل
ما في السموات والارض والقنوت في الاصل الدوام ثم الطاعة او طول القيام او السكوت فالمعنى ان دوام الممكنات
واستمرارها جميعاً به ولاجله وقيل عن مجاهد وابن عباس مطيعون فقيل ما للكفار فاجاب انهم يطيعون يوم
القيمة فقيل هذا للمكلفين وقوله بل له ما في السموات والارض يعم المكلف وغيره فعدل الى تفسير اخر فقال
المراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما فيها من اثار القدرة وامارات الحدوث او كون جميعها في ملكه وتحت
تسخيره لا يمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء وعلى هذه الوجوه جمع السلامة في قانتون للتغليب او يراد كل من الملائكة
وعزير والمسيح عابدون له ومقرون بربوبيته منكرون لما اضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا الوجه الجمع على الاصل
يحكى ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال لبعض النصارى لولا تمرد عيسى عن عبادة الله تعالى لصرت على دينه
فقال النصراني كيف يجوز ان ينسب ذلك الى عيسى مع جده في طاعة الله تعالى فقال علي عليه السلام ان كان عيسى
الها كيف يعبد غيره وانما العبد هو الذي يليق به العبادة فانقطع النصراني وبهت بديع خبر مبتدأ محذوف
اي هو بديع السموات والارض عمم اولا لان الملكية والاختصاص لا يستلزم كون المالك موجد المملوك ثم خصص
ثانيا يقال بدع الشي بالضم فهو بديع وابدعه واخترعه لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها
اي بديع سمواته وارضه وقيل بمعنى المبدع كاليم بمعنى مولم وضعف ثم بين كيفية ابداعه فقال واذا قضى امراً
فانما يقول له كن فيكون اصل التركيب من قضى يدل على القطع قضى القاضي بهذا اذا فصل الدعوى وانقضى
الشي انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج وقضى الامر اذا اتمه واحكمه لان اتمام العمل قطع له وقضى دينه
اداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وضاق الشي لانه كانه مقطوع الاطراف والامر الشان والفعل وههنا هي
تقضي امرا اتمه واحكمه قال شعر وعليهما مسرودتان قضاهما ٭ داود او صنع السوابغ تبع ٭ ثم من قرا فيكون
بالرفع على تقدير فهو يكون فلا اشكال واما من قرا بالنصب على انه جواب الامر فاورد عليه ان الامر لا بد ان يخالف
الامر في الفعل او في الفاعل او فيهما نحو اذهب تنتفع او اذهب ينفعك زيد فاما ان يتفق الفعلان نحو اذهب تذهب
فغير جائز لان الشي لا يكون شرطاً لنفسه قلت لا استبعاد في هذا لان الغرض الذي رتب على الامر قد يكون
شيأ مغايراً لفعل المامور وذلك الترتيب وقد يكون الغرض الا مجرد ذلك الفعل فيوقع في جواب نفسه ليعلم ان الغرض
منه ليس شيأ اخر مغايراً نقول القايل اذهب تذهب او فيذهب معناه اعلام ان الغرض من الامر هو نفس صدور
الذهاب عنه لا شي اخر كما ان المقصود في الاية من الامر بالوجود هو نفس الوجود فاوقع كان التامة جوابا
لمثلها لهذا الغرض على انه يمكن ان يشبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا له من حيث المعنى فان قلت
ان قوله فيكون لما كان من تتمة المقول فالصواب ان يكون بناء الخطاب نحو اذهب فتذهب قلت هذا الحادث قد ذكر
مرتين بلفظ الغيبة بقوله امراً وفي قوله له ومرة على سبيل الخطاب فغلبت جانب الغيبة ويحتمل ان يكون
من باب الالتفات تحقيراً لشانه في سهولة تكونه ولان اول الكلام مع المكلفين فروعي ذلك وههنا بحث اخر
وهو انه لا يجوز ان يتوقف على ايجاد الله الشي على صدور لفظة كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون
قديما او محدثا لا جائز ان يكون قديما لان النون لكونه مسبوقاً بالكاف يكون محدثاً لا محالة والكاف لكونه مقدماً على
المحدث بزمان مقدر يكون محدثا ايضا ولان اذا للاستقبال فالقضاء محدث وقوله كن مرتب عليه بفاء التعقيب والمتاخر
عن المحدث محدث ولان تكون المخلوق مرتب على قوله كن بالفاء والمتقدم على المحدث بزمان مخصوص محدث ايضا لا جائز

ان يكون كن محدثا والا اذا احتاج الى مثله ويلزم اما الدور والتسلسل واذا بطل القسمان بطل توقف الاشياء على كن
الثاني اما ان يخاطب المخلوق بكن قبل دخوله في الوجود وخطاب المعدوم سفه واما بعد دخوله في الوجود ولا فائدة فيه
الثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة الرابع اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فاما ان يتمكن
من الايجاد فلا حاجة الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر
الى ذاته او يرجع الحاصل الى تسمية القدرة بكن ولا نزاع في اللفظ الخامس انا نعلم بالضرورة انه لا تاثير لهذه الكلمة
اذا تكلمنا بها فكذا اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما مجموع الكاف والنون ولا وجود لهما مجموعين فعند مجي الثاني
ينقضي الاول واما احدهما وهذا خلاف المفروض فيثبت بهذه الوجوه ان حمل الاية على الظاهر غير جائز فلا بد من
تاويل والاصح ان المراد ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع
ولا توقف فشبه حال هذا المتكون بحال المامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع وفيه تاكيد لاستبعاد
الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حالة مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل انه علامة وصفها الله
تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا عن ابي العالية وقيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة
خاسئين ومن يجري مجراهم عن الاصم وقيل امر للاحياء بالموت وللموتى بالاحياء وقال الذين لا يعلمون يعني الجهلة من
المشركين وقيل من اهل الكتاب ايضا ونفى عنهم العلم ايضا لانهم لم يعملوا به فالاية الاولى فيها بيان قدحهم
في التوحيد وهذه الاية فيها بيان قدحهم في النبوة ولولا حرف تخصيص اي هلا تكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا
اراد تحصيل شي اختار اقرب الطرق المؤدية الى المطلوب ثم انه تعالى كلم الملائكة وكلم موسى وانت تقول يا محمد
انه كلمك فاوحى الى عبده ما اوحى فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك حتى يتاكد الاعتقاد وتزول الشبهة
فان لم تفعل ذلك فلم لا ياتي باية ومعجزة وهذا طعن منهم في كون القرآن اية ومعجزة فاجابهم الله تعالى بقوله
كذلك قال الذين من قبلهم من مكذبي الرسل تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به
فكما ان قوم موسى كانوا ابدا في التعنت واقتراح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد ارنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم
الهة فكذلك هؤلاء المشركون لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لولا انزل عليه الملائكة او نرى ربنا وكذا
المعاصرون من اليهود والنصارى يسالك ان تنزل عليهم كتابا من السماء قد بينا الايات لقوم يوقنون ويتقنون انها ايات
فلو كان غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها لكونها ايات ظاهرة هي القرآن العظيم اخرس شقاشق الفصحاء عن آخرهم
ومعجزات باهرة كمجي الشجر وحنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل وايضا لو كان
في معلوم الله تعالى انهم يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعلها لكنه علم لجاجهم وعنادهم فلا جرم لم يفعل ذلك
وايضا لعل في تلك الايات مفاسد لا يعلمها الا هو علام الغيوب كانضمامها الى حد الالجاء المخل بالتكليف وكايجاب
استيصالهم بالكلية اذ استمروا على التكذيب وكخروجها عن القدر الصالح لالزام الحجة وايضا كثرة الايات وتعاقبها
تنافي كونها خوارق العادة فلا يبقى ايات وكل ما في وجوده الى عدمه ففرض وجوده محال فثبت بهذه البيانات
ان عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح في صحة النبوة والله اعلم **التاويل** مساجد الله التي يذكر فيها اسامها
عند اهل النظر النفس والقلب والروح والسر والخفي وخراب السر وذكر كل مسجد منها مناسب لذلك المسجد فذكر مسجد
النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بالتنسك والتبهات والتعلق بالشهوات كما اوحى الله الى داود عليه السلام
يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها عني محجوبة وذكر مسجد الروح
الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والمسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر فيه بالركون
الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفي بذل الوجود وترك الموجود وترك الذكر فيه بالالتفات الى المشاهدات والكلام
اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين هذه المشاهدة بقدم السلوك الا بخطوات الخوف من سوء الحساب والم العقاب
لهم في الدنيا خزي من ذل الحجاب ولهم في الآخرة عذاب الحرمان ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس
المعارف ومغاربها ولله في مشرق كل قلب ومغربه شارق وطارق من هواجس النفس يطرق بظلمات المؤهدة
غليان الهوى وضوء نجم الهدى وشارق القلب من واردات الروح يشرق بانوار الفتوح عند غليان الشوق

وطلوع قمر الشهود فيكون القبلة واضحة والدلالات لائحة فاذا تجلت شمس صفات الجلال خفيت نجوم صفات
الجمال واذا استوى سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة طويت بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض
ولا السماء ولا الظلمة ولا الضياء اذ ليس عند الله صباح ولا مساء وتلاشت العبدية في كعبة العندية ونودوا بفناء الفناء
من عالم البقاء فعنت القبلة وما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده ليسعه
عليهم بتوسيع القلب لسعة بلا كيف وحيف كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن والله اعلم

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا لا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ه وَلَنْ تَرْضَى
عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ
هُوَ الْهُدَى ط وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ لا مَا لَكَ مِنَ
اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ه الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ ط وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ه يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ه وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ
عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ه

القراءات ولا تسأل على النهي نافع ويعقوب والباقون بضم التاء ورفع اللام على الخبر **الوقوف** ونذيرا
للعطف اي نذيرا ومسؤول الا من قرا ولا تسال على النهي لاختلاف الجملتين الجحيم ملتهم الهدى من العلم لان نفي الولاية
والنصرة تتعلق بشرط اتباع اهوائهم فكان في الاطلاق خطر تلاوته لان ما بعدها مبتدا اخر مع خبره وعندي
ان الاصوب عدم الوقف ليكون الجملة اعني يتلونه حالا من مفعول آتينا او من فاعله مقدرة وقوله اولئك يؤمنون
به الجملة خبر الذين لان اولئك الاحبار عن اهل الكتاب مطلقا بانهم يتلونه حق تلاوته لا يصح اللهم الا ان
تحمل الكتاب على القرآن كما يجي يؤمنون به للابتداء بالشرط الخاسرون العالمين ينصرون **التفسير** لما بين غاية
اصرارهم وتصميمهم على الكفر بعد نزول ما يكفي في باب الاقتداء والاهتداء من الايات البينات اراد ان يسلي ويسري
عن رسوله كيلا يضيق صدره فقال انا ارسلناك يا محمد بالحق والصواب حسب ما يقتضيه الحكمة وهو ان لا تكون
ذلك ان تجبرهم على الايمان بل لا يتجاوز حالك عن ان تكون بشيرا لمن تبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانك غير مسؤول عن اصحاب الجحيم هو من اسماء النار وكل نار عظيمة في مهواة
فهي جحيم من قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب واما قراءة النهي فيروى انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والا
هتمام باعداء الله وفي هذه الرواية بعد لان سياق الكلام ينبو عن ذلك ولانه صلى الله عليه وسلم مع علمه
الاجمالي بحال الكفار كيف يتمنى ذلك والاقرب ان معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من المحن كما اذا سالت عمن وقع
في بلية فيقال لك لا تسال عنه فكان المسؤول يحرج ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته او يري انك لا تقدر
على استماع خبره لانه يورث الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى فيه اقناط لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن
اسلامهم وان القوم قد بلغوا من التصميم على ما هم فيه الى حد لا يقنعون بالكفاف ولا يرضون راسا براس بل يريدون

منك عكس ما نطق منهم زاعمين ان ملتهم التي هي الهدى قل ان هدى الله هو الاسلام هو الهدى بالحق ليس وراءه هدى لانه ناسخ للاديان كلها ولئن اتبعت اهواءهم مشتهياتهم وآراءهم الباطلة المنسوخة بعد ما جاءك من العلم بامر ديانته لوضوح البراهين وسطوع الدلائل ما لك من الله من عقابه وسخطه من ولي معين يعصمك ولا نصير يذب عنك قال اهل البرهان انما قال في هذه الاية بعد ما جاءك من العلم كما قال في اية القبلة على ما يجي لان العلم في الاية الاولى علم كامل ليس وراءه علم وهو العلم بالله وبصفاته وان الهدى هدى الله وكان لفظ الذي لانه في التعريف ابلغ فان الذي يعرفه صلته ولا يتنكر قط ويلزمه الالف واللام وخصت ان القبلة بما ومن التي لابتداء الغاية لان المراد وذلك قليل من كثير العلم والتقد بر من الوقت الذي جاءك فيه العلم بالقبلة فالقبلة الاولى نسخت بعد الايات وليس الاولى موقتا بوقت اعني العلم بالله وبصفاته فلم يحتج الى زيادة من التوقيت وقريب من معنى القبلة ما في ال عمران فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فلهذا جاء بلفظ ما واما في سورة الرعد فانه قال ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم لان العلم ههنا هو الحكم العربي اي القرآن فكان بعضا من العلم بالله وبصفاته فعبر بلفظ ما ولم يزد من لانه غير موقت والله اعلم باسرار كلامه وفي الاية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حتى لا تكون اتباع الهوى ومنها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم بالمامور به كقوله بعد ما جاءك من العلم فلان لا يجوز التوعيد الا بعد القدرة على المامور به كان اولى فبطل القول بتكليف ما لا يطاق ومنها ان الذي علم الله منه انه لا يفعل الشي يجوز منه ان يتوعده على فعله ونظيره قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا الوعيد لاحتمال ان الصارف له عن ذلك الفعل هو ذلك الوعيد او هو احد صوارفه ولان فيه زجرا لشدائد لامته لانهم اذا علموا مآل حال النبي لو فرض منه اتباع اهوائهم مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر لم يبق لهم طمع في الخلاص لو وجد منهم ذلك الذين اتيناهم الكتاب قيل انهم المؤمنون الذين اتاهم القرآن لان الكتاب الذي يمدح على تلاوته هو القرآن والاصح انه لما قدم ذكر المعاندين اراد ان يذكر مؤمنيهم ومعنى يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم او يتبعونه مقتضاه من غير تكاسل ومنع متمسكين باحكامه من حلال وحرام وغيرهما او يخضعون عند تلاوته ويخشعون او يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه اولئك يؤمنون بكتابهم دون من لبس على حالهم ممن لا يتلوا الكتاب حق تلاوته كما ينبغي ان يتلى ومن يكفر به من المحرفين او من الواصفين عن حقه فاولئك هم الخاسرون حيث لم ينتفعوا بما يجب ان ينتفع به وبقيتم ورده فرجوا منه يخفي حسنى وفاتهم بكل حسنى يا بني اسرائيل الايات ان رجوع الى اول القصة تذكير النعم بعد تعداد موجب النعم ليتنبه منهم من وفق للتنبيه والله المستعان وبالله التوفيق

وَاِذِ ابْتَلٰى اِبْرٰهِيْمَ رَبُّهٗ بِكَلِمٰتٍ فَاَتَمَّهُنَّ ط قَالَ اِنِّيْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمَامًا ط قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِيْ ط قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظّٰلِمِيْنَ ه وَاِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَاَمْنًا وَاتَّخِذُوْا مِنْ مَّقَامِ اِبْرٰهِيْمَ مُصَلًّى ط وَعَهِدْنَآ اِلٰٓى اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِيْنَ وَالْعٰكِفِيْنَ وَالرُّكَّعِ السُّجُوْدِ ط وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيْمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا اٰمِنًا وَّارْزُقْ اَهْلَهٗ مِنَ الثَّمَرٰتِ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ط قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهٗ قَلِيْلًا ثُمَّ اَضْطَرُّهٗٓ اِلٰى عَذَابِ النَّارِ ط وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ ٥٠

القراءة ابراهام بالالف في البقرة والنساء الا قوله انبيا ابراهيم وفي الانعام ملة ابراهام وفي جميع

الا قوله ابراهيم وفي ابراهيم واذ قال ابراهيم وفي النحل ومريم والعنكبوت ولما جاءت رسلنا ابراهام خاصة وفي عسق وجميع المفصل الا قوله في المودة الا قول ابراهيم وفي الاعلى صحف ابراهيم هشام وابن ذكوان وروى ابي مجاهد في هذه السورة فقط واعلم ان ذكر ابراهيم في القرآن تسعة وستون موضعا منها ثلاثة وثلاثون ابراهام بالالف في قراءة ابن عامر عن ابن ذكوان وستة وثلاثون ابراهيم بالياء والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فما كتب بالالف قرئ بالالف وما قرئ بالياء قرئ بالياء والاختيار عند الائمة ان يقرا ههنا بالالف لبيان المذهب والبواقي بالياء لانه احسن باقي اللفظ والمشهور وموافقة سائر الاسماء الاعجمية كاسرائيل واسماعيل عهدي مرسلة الياء حمزة وحفص واذ جعلنا وبابه مدغمة الدال في الجيم وابو عمرو وهشام بيتي بالفتح ابو جعفر ونافع وحفص وهشام واتخذوا بفتح الخاء نافع وابن عامر والباقون بالكسر فامتعه خفيفا ابن عامر والباقون بالتشديد الوقوف فاتمهن اماما ذريتي الظالمين وامنا لمن قرا واتخذوا بالكسر لاعتراض الامر بين الماضيين مصلى كذلك ومن فتح الخاء نسق الافعال الثلاثة فلا وقف السجود واليوم الاخر عذاب النار لان نعم وبئس للمبالغة في المدح والذم فيبتدأ بهما تنبيها على المدح والذم التفسير انه تعالى لما استقصى في شرح نعمه على بني اسرائيل والمشركين وما قابلتهم بالكفر على النعم والعناد شرع في نوع اخر من البيان وهو ذكر قصة ابراهيم صلوات الرحمن عليه لان كلهم معترفون بطوله وانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته وفي قصته ما يوجب الاعتراف بدين محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشرعه منها انه امر ببعض التكاليف ثم وفى بها فنال منصب الاقتداء فيعلم ان الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد وبانقياد حكم الله والتزام تكاليفه ومنها انه طلب الامامة لذريته فقيل لا ينال عهدي الظالمين فيعرف ان طالب الحق يجب ان يترك التعصب والمراء ووضع ما رفعه الله لينال به رياسة الدين ومنها ان القبلة لما حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فاريد ازالة غيظهم بان هذا البيت قبلة ابراهيم الذي اعترفوا بتعظيمه والاقتداء به ومنها انه دعا بارسال نبي من ذريته وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما يجي فيجب على من يعترف بابراهيم ان يعترف بمحمد واما قوله واذ ابتلى العامل في اذ اما مضمر نحو واذكر ويكون بمعنى الوقت فقط او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك للناس اماما وعلى هذا التقدير يكون ظرفا لمكان او لقال وموضع قال على الاول استئنافا كانه قيل فماذا قال قال له ربه حين اتم الكلمات فاجيب قال اني جاعلك وعلى الثاني جملة معطوفة وعلى ما قبلها من الايات ولا يخفى ان الاستئناف اصوب ليناسب سياق الجملتين الاتيتين لورودها ايضا على طريقة السؤال المقدر والجواب وليكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال ابراهيم واذ يرفع والابتلاء الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه بالبلوى تشبيها لامره بامر المخلوقين وبناء على العرف بيننا فان كثيرا ما قد يامر ما يكون من المامور حينئذ والا فكيف يجوز حقيقة الابتلاء وتعالى مع انه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على التفصيل من الازل الى الابد وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك واعلم ان هشام ابن الحكم ومن تابعه زعم انه تعالى كان في الازل عالما بحقائق الاشيا وماهياتها فقط واما حدوث تلك الماهيات ودخولها في الوجود فهو تعالى لا يعلمها الا عند وقوعها بدليل هذه الاية وامثال المذكور فيها الابتلا او كلمة والجواب عنها ما مر وقد يستدل ايضا على مذهبه بوجوه معقولة منها انه تعالى لو كان عالما بالاشيا قبل وقوعها لزم نفي القدرة عن الخالق لان ما علم الله وقوعه استحال لا يقع وما علم انه لا يقع استحال ان يقع ولا قدرة على الواجب وعلى الممتنع بالاتفاق والجواب ان الوجوب بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه وانما المنافي للقدرة عليه كونه واجبا لذاته او ممتنعا لذاته ومنها انه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية او كان لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية دفعة واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء ازيد من ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه وكذا الزائد ويتوقف بمراتب الاعداد التي لا نهاية لها وايضا المجموعية والزيادة والنقصان كلها من خواص المتناهي فاما الذي لا نهاية له فغرض هذه الاعراض فيه محال ومنها ان هذه المعلومات التي لا نهاية لها هل يعلم الله عدد مفصلة او لا يعلم فان علم عددها فهي متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب والجواب الاختيار انه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل لان الجهل هو ان يكون

لماعدد معين ثم ان الله لا يعلم عددها فاما اذا لم يكن لماعدد هافي نفسها فلا جهل ومنها ان كل معلوم فهو
متميز في الذهن عما عداه وكل متميز عما عداه فما عداه خارج عنه وكل ما خرج عن غيره فهو متناه فكل معلوم
متناه فما هو غير متناه استحال ان يكون معلوما والجواب انه ليس من شرط المعلوم تميزه عن غيره عند العالم
لان العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير ويلزم منه ان لا يعلم الانسان شيئا الا اذا علم امورا
لا نهاية لها والحق ان نور الانوار لا يتناهى ووراء ما لا يتناهى واحاطة غير المتناهي بغير المتناهي غير بعيد
وقد يتعلق علمنا بكثير من الاشيا قبل حصولها فاذا كان علمنا مع تناهي قوتنا ولو بيتنا هكذا فما ظنك
بالعليم الخبير الذي هو نور النور ومدبر الامور وكل عسير عليه يسير ابراهيم ربه بالرفع هو المشهور
وهذه الصورة مما يجب فيه تاخير الفاعل وازالته عن مركزه الاصلي فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به
ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا وعن ابن عباس وابي حنيفة رفع ابراهيم ونصب ربه فالمعنى
انه دعاه بكلمات من الدعا فعل المختبر هل يجيبه تعالى اليهن ام لا واختلف المفسرون في ان ظاهر لفظ
التنزيل هل يدل على تلك الكلمات ام لا فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهي الامامة وتطهير البيت ورفع
قواعده والدعا بانبعاث محمد صلى الله عليه وسلم فكل هذه تكاليف شاقة اما الامامة فلان المراد بها النبوة وا
عباوها اكثر من ان تحصى ولهذا فان ثواب النبي اعظم من ثواب غيره واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده
فمن وقف على ما يحكى في كيفية بنايه عرف شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الخليل
بالشيطان في الموقف كرمي الجمار وغيره واما الاستغال بالدعاء ليبعث نبي اخر الزمان يحتاج فيه الى الاخلاص
وازالة الحسد عن القلب وذلك في غاية الصعوبة واعترض على هذا القول بان المراد من الكلمات لو كان هذه
لناسب ان يذكر قوله فاتمهن بعد تعداد الجميع واجيب بانه اخبر انه ابتلاه بكلمات على الاجمال ثم اخبر انه
تمها ثم فصل تلك الامور وهذا ترتيب في غاية اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع ضائعا ولا نقطع النظم
القايلون بان ظاهر الاية لا دلالة فيه على الكلمات زعم بعضهم انها الكلمات التي تكلم بها ابراهيم مع قومه
وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها اوامر ونواهي فعن ابن عباس هي عشر خصال كانت فرضا في
شرعه وهي عندنا سنة خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك
وخمس في الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل ابتلاه الله تعالى من
شرائع الاسلام بثلثين سهما عشرة في براءة التايبون العابدون الاية وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات
وعشر في المومنون الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام
والوقوف بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة اشيا بالكواكب والقمر والشمس والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة
فوفى بالكل وابراهيم الذي وفى وقيل ما ذكره في قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات
التي جرت بينه وبين ابيه ونمرود وقومه والصلوة والزكوة والصوم وقسم الغنايم والضيافة والصبر عليها جملة
القول ان الابتلا يتناول الزام كل ما في فعله كلفة واللفظ يتناول مجموع هذه الاشيا وكلا منها لان الكلام في الرواية
ثم قيل ان هذا الابتلاء كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على ان قيامه بهن كالسبب لان جعله اماما وقيل بعد النبوة
لانه لم يعلم كونه مكلفا بتلك التكاليف الا من الوحي والحق ان هذا يختلف باختلاف تفسير التكليف فمنها ما يعلم
بالضرورة كونها قبل النبوة كحديث الكوكب والشمس والقمر ومنها ما ثبت انه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة والنار
وكذا الختان فانه يروى انه ختن نفسه وكان سنه مايه وعشرين سنة ومنها بصدد الاحتمال فقد يمكن ان يكون الى
معرفته سبيل سوى الوحي كمنام او الهام والغيب في اتمهن على القراة المشهورة لابراهيم صلوات الله عليه بمعنى
فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان وفي الاخرى لله تعالى اي فاعطاه ما طلبه
لم ينقص منه شيا ويعضده ما يروى عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا
بلدا امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم لمن يوتم به فعال بمعنى مفعول كالازار
لما يوتزر به اي ياتمون بك والاكثرون على الامام ههنا النبي لانه جعله اماما لكل الناس فلو يوتم مستقلا بشرع كان

تابعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويبطل العموم لان اطلاق الامام يدل على انه امام في كل شي والذي يكون
كذلك لابد ان يكون نبيا ولان الله تعالى سماه بهذا الاسم في معرض الامتنان فينبغي ان يحمل على اجل نعم
الامامة كقوله وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا لا على من هو دونه ممن يستحق الاقتدا به في الدين كالخليفة والقاضي
والفقيه وامام الصلوة ولقد انجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه في عيون اهل الاديان كلها وقد اقتدى به من بعده من
الانبياء في اصول مللهم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وكفى به فضلا ان جميع امة محمد يقولون
في صلاتهم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وال ابراهيم ثم القايلون بان الامام لا يصير اماما
الا بالنص تمسكوا بهذه الاية وامثالها نحو اني جاعل في الارض خليفة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
ومنع بان الامام ههنا النبي سلمنا ان المراد به مطلق الامامة لكن الاية تدل على ان النص طريق الامامة وذلك لا نزاع
فيه انما النزاع في انه لا طريق للامامة سوى النص ولا دلالة في الاية على ذلك وفي الاية دليل على انه عليه السلام
كان معصوما عن جميع الذنوب لانه لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتدا به وذلك يودي الى كون الفعل
الواحد ممنوعا عنه مندوبا اليه وذلك محال والذرية نسل الثقلين من ذرا الله الخلق ذرا خلقهم الا ان العرب
تركت همزها كما في البرية ويحتمل ان يكون منسوبا الى الذر صغار النمل والضم من تغيير النسب كالدهري في النسبة
الى دهر ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال سأكرمك فيقول وزيدا ولا يخفى ان
من التبعيضية تدل على انه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم قد لا يليق بذلك لان ناسا غير معصومين
لا يخلوا عن ظالم فيهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق وقد حقق الله تعالى امله فجعل
في اولاده واحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وايوب ويونس
وزكريا ويحيى وعيسى والياس ثم محمد افضلهم واشرفهم صلى الله عليه وعليهم وانه لم يطلب الامامة الا لبعض
فكان يكفي في الجواب نعم الا انه لم يكن حينئذ نصا في ان ذلك البعض من المومنين ام من الظالمين ولو قال ينال عهدي
المومنين كان غاية ذلك خروج الظالمين بالمفهوم لا بالنص فلما كان التنصيص على اخراج الظالم قال لا ينال عهدي
الظالمين والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة تسمية عهدا لاشتمالها على كل عهد عهد به الله تعالى الى بني ادم اذ
لا رياسة اعظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ولما اخرج الظالم
تعين الصالح للامامة بطريق برهاني وذلك ان دعاءه مستجاب البتة لكل نبي مجاب ولانه لو لم يكن الصالح اماما لم يكن
لاخراج الظالم وتخصيصه بالذكر معنى نعم يحتمل ان يقال ان اراد الامامة لاولاده المومنين لا محالة لعلمه بان الكفرة
والظلمة لا تصلح لذلك فاجيب بما اجيب اسعافا لطلبته بابلغ معنى واتمه كما اذا قيل لمن اشرف اوص لابنك بشي
فيقول لا يرث مني اجنبي اي كل ما يبقى مني فهو لابني فكيف اوصي له بشي ولا يرد ان يونس قال عهده مع انه ظالم
سبحانك اني كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما في حق ادم ربنا ظلمنا انفسنا لا على الكفر والفسق
وقد يستدل الامامية على ابطال امامة غير علي كرم الله وجهه قالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام بالاتفاق وكل
مشرك ظالم ان الشرك لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد الامامة قالوا لا يقال انهم كانوا ظالمين حال كفرهم فبعد زوال
الكفر لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليهم دايما ولهذا يسمى النايم مومنا لانه
ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم وايضا المتكلم والماشي حقيقة في مفهوميهما مع ان اجزاء التكلم
والمشي لا توجد دفعة فدل هذا على ان حصول المشتق منه ليس بشرط لكون الاسم المشتق حقيقة وعورض
بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مومن في الحال الا انه كان كافرا قبل بسنين متطاولة فانه لا يحنث وبان
التايب عن المعصية لا يسمى عاصيا وكذا التايب عن الكفر وان قيل لعل هذا المنع شرعي هو تعظيم الصحابة او مانع
عرفي فهذا القدر يكفينا على انا بينا ان المراد من الامامة في الاية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة
وكذا الفاسق حال الفسق لا يجوز عقد الامامة له باتفاق الجمهور من الفقها والمتكلمين فان كل عاص ظالم والعبرة
بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السراير خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا
ومما يدل على بطلان امامة الفاسق ان العهد في كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى الاوامر الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا

الشيطان اي لم امورهم لكن المراد في الاية لا يمكن ان يكون ذلك فان اوامره تعالي لازمة للظالمين كالمطيعين فثبت ان المراد
كونهم غير موتمنين علي اوامر الله وغير مقتدي بهم فيها قال صلي الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
فالفاسق لا ينبغي ان يكون حاكما ولا ينفذ احكامه اذا ولي الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا اخبر عن النبي صلي الله عليه
وسلم ولا فتياه اذا افتي ولا يقدم للصلوة وان كان بحيث لو اقتدي به لم يفسد صلوته قال ابو بكر الرازي ومن الناس
من يظن ان مذهب ابي حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطاء
نعم انه قال القاضي اذا كان عدلا في نفسه وتولي القضا من امام جاير فان احكامه نافذه والصلوة خلفه جايزة
لان الذي ولاه بمنزلة سائر اعوانه وليس من شرط اعوان القاضي ان يكونوا عدولا الا تري ان اهل بلد لا سلطان عليهم
لو اجتمعوا علي الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتي يكونوا اعوانا علي من امتنع من قبول احكامه كان قضاه
نافذا وان لم يكن له ولاية من جهة امام ولا سلطان قال وكيف يجوز ان يدعي ذلك علي ابي حنيفة وقد اكرهه ابن
هبيرة في ايام بني امية علي قضائه وضربه فامتنع من ذلك فحبس فلج ابن هبيرة فجعل يضربه كل يوم اسواطا
فلما خيف عليه قال له الفقهاء اقبل له شيئا كانه حتي يبر ولعنك الضرب فتولي له عد احمال اللبن الذي يدخل عليه
فخلاه ثم دعاه المنصور الي مثل ذلك حتي عدله اللبن الذي كان يضرب لسور المدينة وذلك انه كان يقول
في المنصور واشياعه لو ارادوا بنا مسجد وارادوني علي عد اجره لما فعلت وقضيته في امر زيد بن علي
مشهورة وحمله المال اليه وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه وكذا امره مع محمد وابراهيم ابني عبد
الله بن الحسن وفي الاية اذا بليغ وتخويف شديد عن وخامة عاقبة الظلم وقبح موقعه فانه يحط اولا عن رتبة
النبوة لا ينال عهدي الظالمين وثانيا عن درجة الولاية الا لعنة الله علي الظالمين وثالثا عن مزية السلطنة
بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعا عن نظر الخلايق جبلت القلوب علي حب من احسن اليها وبغض من
اساء اليها وخامسا عن حظ نفسه وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولله در القايل شعر
لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا فالظلم آخره ياتيك بالندم نامت عيونك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم
ولاخر شعر مورتع ظلم الوري وخيم يا صاحب اللب والحجا لا تظلم الناس واخش نارا وقودها الناس والحجارة
ايحسب الظالم في ظلمه اهمله القادر ام امهله ما اهمله بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا اتلعب بالدعاء وتزدريه
وما يدريك ما صنع الدعاء سهام الليل لا تخطي ولكن لها امد وللامد انقضاء واعلم ان عهد الله الذي اخذ
علي عباده هو بالحقيقة عهد بالعبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذي التزمه لعباده هو عهد
الربوبية ربكم ورب ابايكم الاولين ثم انه تعالي لا يزال يلاحظك بنظر الربوبية فيربيك ويربيك وبعد نعمة
الوجود يعطيك نعم الصحة والمكنة والعافية والسلامة والايمان والامان والاحزان والاخدان وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها وانك لا تنفك عن تقصير ونسيان وجهل وعدوان وايذاء لملايكة الله وعبيده وارضاء لحزب
الشيطان وجنوده فيا ايها المغرور ما هذه التقصير فان الي الله المصير وما للظالمين من نصير قوله واذ جعلنا
البيت تقرير تكليف آخر والبيت اسم غالب الكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء التي كانت في الاصل للجنس
ثم كثر استعماله في واحد من ذلك الجنس لخصلة مختصة به من بين ساير الافراد حتي صار علما له ولا بد
ان يكون وقت استعماله لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد ليفيد الاختصاص به ويسمي بالعلم الاتفاقي
وانما لزمت اللام في مثله لانه لم يصر علما الا مع اللام فصارت كبعض حروفه الا انه تعالي لم يرد بالبيت
الكعبة نفسها فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان الحرمة نشات بسبب
الكعبة نفسها ومثله قوله تعالي هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد
الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد والله اعلم منعهم من الحج وحضور مواضع النسك
ويحتمل ان يكون المراد جعلنا البيت بسبب الامن وعلي هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلي الاول يكون معني
امنا موضع امن كقوله حرما امنا والمثابة المباءة والمرجع قيل ان مثابا ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل
التاء للمبالغة كعلامة عن الحسن اي يثوبون اليه في كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه احد الا

اشعار في وخامة عاقبة الظلم

وهو يتمني العود اليه وذلك لدعا ابراهيم عليه السلام فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وقيل مثابة اي
يحجون فيثابون عليه وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالي بناء علي ان فعل العبد مخلوق لله او بان الله تعالي
القي تعظيمه في القلوب بحيث ذلك داعيا لهم الي العود اليه مرة بعد اخري وذلك لمنافع دينية ودنيوية قال
صلي الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وقال صلي الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث
ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وقال صلي الله عليه وسلم العمرة الي العمرة كفارة ما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة
ثم ان قطان الخافقين يجتمعون هناك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم فيه النفع لمن اراد ولا شك ان قوله واذ جعلنا
البيت مثابة للناس وامنا خبر قتادة يتركه علي ظاهره ونقول انه خبر بان يكون حرما امنا يجبي اليه ثمرات كل شيء لا
ان يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيه اصلا فان الوجود بخلافه فقد يقع فيه القتل الحرام وكذا المباح قال تعالي ولا
تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتي يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وقال بعضهم يصرفه عن ظاهره ويقول انه امر بان
يجعلوا ذلك الموضع امنا من الغارة والقتل قال صلي الله عليه وسلم ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلي وانها احلت لي
ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فذهب الشافعي الي ان المعني انها لم تحل لاحد ان ينصب الحرب عليها وان ذلك احل
لرسول الله صلي الله عليه وسلم فاما من دخل البيت من الذين وجبت عليهم الحدود فقال الشافعي ان الامام يامر بالتضييق
عليه بما يؤدي الي خروجه فاذا خرج اقيم عليه الحد في الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذا لك من قاتل في الحرم جاز قتاله فيه
وعند ابي حنيفة لا يستوفي قصاص النفس في الحرم الا ان ينشي القتل فيه ولكن يضيق عليه ولا يكلم ولا يطعم ولا يعامل
حتي يخرج فيقتل ونعلم انه يستوفي منه قصاص الطرف وعن احمد لا يستوفي من الملتجي واحد من القصاص ولو التجا
الي المسجد الحرام قال الامام ومسجد اخر يخرج منه ويقتل لانه تاخير يسير وفيه صيانة المسجد وحفظ حرمته وقيل
يبسط الانطاع ويبسط في المسجد تعجيلا لتوفية الحق واتخذوا بفتح الخاء معطوف علي جعلنا اي اتخذ الناس من مقام
ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعلي هذا المراد بالمصلي بالقبلة واما من
قرا بالكسر علي الامر فعلي ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة يصلون فيه استحبابا لا وجوبا وفي مقام ابراهيم
اقوال فعن الحسن وقتادة والربيع بن انس انه لما جاء زائرا من الشام الي مكة قالت امراة اسمعيل انزل حتي نغسل راسك
فلم ينزل لان سارة شرطت ان لا ينزل غيرة علي هاجر فجاءته بحجر فوضعته علي شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتي غسلت شق
راسه ثم حولته الي شقه الايسر حتي غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه وعن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام
يبني البيت واسمعيل عليه السلام يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام علي حجر فغاصت فيه
قدماه وقيل انه الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند الاذان بالحج قال القفال ويحتمل ان يكون ابراهيم صلوات الله عليه قام
علي هذا الحجر في هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام ابراهيم الحرم كله فعلي هذا يراد بالمصلي المدعي من الصلوة بمعني الدعا
وعن عطا مقام ابراهيم عرفة ومزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا بها والقول بان مقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر
قدميه اولي لان هذا الاسم في العرب مختص بذلك الموضع يعرفه المكي وغيره ولان الحجر صار تحت قدميه في رطوبة الطين
حتي غاص فيه رجله وذلك من اظهر الدلايل علي صنع الله تعالي ومعجزات ابراهيم وكان اشد اختصاصا به فاطلاق
مقام ابراهيم عليه السلام ولما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا
نتخذه مصلي فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتي نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشي اربعة حتي اذا فرغ عمد الي مقام ابراهيم فصلي خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من
مقام ابراهيم مصلي وهو من هذه يخبر بدنه علي بحيث رايت منك اسدا ووهب الله لي منك وليا مستفقا فغيه بيان المتخذ
والمربي والموهوب وتمييزه في ذلك المعني عن غيره ولا ريب ان للصلوة له فضلا علي غيره من جهة اليمن والتبرك
بموطي قدم ابراهيم صلوات الرحمن عليه وركعتا الطواف خلف المقام ثم في الحجر ثم في المسجد اي مسجد كان حيث شاء
متي شاء ليلا كان او نهارا سنة عند الشافعي في اصح قوليه بعد الفراغ عن الطواف لقوله صلي الله عليه وسلم للاعرابي
حين قال هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع وفي قوله الاخر فرض لظاهر قوله واتخذوا لان الامر للوجوب والرواية عن
ابي حنيفة ايضا مختلفة وعهدنا المراد بالعهد هنا الامر اي الزمناهما ذلك وامرناهما امرا وثقنا عليهما فيه ان طهرا

ان كانت مخففة فالتقدير بان طهرا وان كان مفسرة فمعناه اي طهروا والمراد التطهير من كل امر لا يليق بالبيت
او من الانجاس والاقذار فلا نه موضع البيت وحواليه مصلي وامامن الشرك ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص
وكل هذا اما ان يكون موجودة هناك اصلا فالمراد اقراه على طهارته مثل ولهم فيها ازواج مطهرة ومعلوم انهم لم يطهرن
بل خلقن طاهرات واما ان يكون موجودة فامر بازالتها وقيل عرفا الناس ان يبنيا طهرهم متى حجوا للطايفين الي اخره العطف
يقتضي مغايرة فالطايف من يقصد البيت حاجا ومعتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هناك ويجاور او يعتكف والركع
السجود جمع راكع وساجد اي من يصلي هناك وعن عطا اذا كان طايفا فهو من الطايفين واذا كان جالسا فهو
من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القايمين في الصلوة
كما قال للطايفين والقايمين والركع السجود والمعنى الطايفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيات للمصلي
ولعل الوجه الاول اولي ليكون الركع السجود كلاهما فقط بمعنى المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا فسرنا
الطايفين بالغربا دلت الاية على ان الطواف للغربا افضل من الصلوة لانه تعالى مدحهم بذلك وقد روي عن ابن
عباس ومجاهد وعطا ان الطواف لاهل الامصار افضل والصلوة لاهل مكة افضل وفي اطلاق الاية دليل على
جواز الصلوة في البيت فرضا كانت او نفلا خلافا لاحمد ومالك في الفريضة فالاول وجهك شطر المسجد الحرام
ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الي المسجد بل الي جزء من اجزايه واجيب بان التوجه الي جزء كاف لان
المتوجه الواحد لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد وبان الفرق بين الفرض والنفل لا يخفي قوله تعالى واذ قال
ابراهيم قيل في الاية تقديم وتاخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا امنا لا يكون الا بعد دخول البلد في الوجود فقوله
واذ يرفع وان كان متاخرا في التلاوة فهو متقدم من حيث المعني قلت في ترتيب القصة فوايد منها انه اجمل القصة
في قوله واذ ابتلي الي فاتمهن ثم فسر في التفسير قدم الاهم فالاهم ولا ريب ان ذكر جعل ابراهيم اماما اولي بالتقديم
لعموم نفعه للخلايق ولتقدمه في الوجود ايضا ثم جعل البيت مثابة للناس وامنا لانه المقصود من عمارة البيت وقد
حصل في ضمن رعاية الاهم فوايد اخر منها انه كما كان مبني القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من اجزايها ايضا
كذلك فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا مجمل ثم فسر ذلك بان جعله ذا امن كان بسبب دعاء ابراهيم
وذكر البيت اولا مجملا ثم فسر بانه كيف بني ومنها انه ختم الكلام بادعية ابراهيم ووقع ختم الادعية بذكر
خاتم النبيين عليهما السلام وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه ولعل ما فاتنا من اسرار هذا الترتيب اكثر مما
احصينا هذا بلدا امنا ذا امن مثل عيشة راضية اوامنا من فيه كقولك ليل نايم وانما قيل هذا البلد امنا على التنكير
وفي سورة ابراهيم هذا البلد امنا لان هذا الدعا صدر منه وقيل جعل المكان بلدا فكانه قال اجعل هذا الوادي
بلدا امنا وذاك الدعا صدر وقد جعل بلدا فكانه قال اجعل هذا المكان الذي صيرته بلدا بلدا ذا امن واما لان الدعوتين
واحدة والمراد اجعل هذا البلد بلدا امنا فيفيد مبالغة نازلة كقولك هذا اليوم يوم حار معناه اجعله من البلدان
الكاملة في الامن بخلاف قوله اجعل هذا البلد امنا ففيه طلب الامن نفسه قيل سال الامن من القحط لانه اسكن
اهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع وقيل من الخسف والمسخ وقيل من القتل كيلا يكون سوال الرزق بعده
مكررا واجيب بان التوسعة في الرزق مغايرة لطلب ازالة القحط ثم انه تعالى استجاب دعاءه فجعله امنا
من الافات فلم يصل اليه جبار الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل قيل اليس ان الحجاج حارب ابن الزبير وخرب
الكعبة وقصد اهلها بسوء واجيب بان مقصوده لم يكن تخريب الكعبة نفسها وانما كان غرضه شيئا اخر من الثمرات
من لا ابتدا لا للتبعيض بدليل قوله يجبي اليه ثمرات كل شي وانما سال ابراهيم صلوات الرحمن عليه الامن وان يجبي
اليه الثمرات وان كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان امنا ذا خصب تفرغ اهله لطاعة الله ويكون سببا لاجتماع
الناس واتيانهم اليه من كل اوب زايرين وعاكفين وطلب الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين نعم المال الصالح
للرجل الصالح واختلف في ان مكة هل كانت امنة محرمة قبل دعوة ابراهيم وصار ذلك موكدا بدعايه فقيل نعم
لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولقوله عند بيتك المحرم
وقيل انما صارت حرما امنا بدعوته وقبلها كانت كساير البلاد بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان حرمت المدينة

١١٢

كما حرم ابراهيم مكة وقيل بالجمع بينهما وذلك انه كان ممنوعا قبله بمنع الله من الاصطلام وبما وقع في النفوس من
التعظيم ثم صار امنا على السنة الرسل ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المومنين من اهله خاصة كانه
قاس الرزق على الامامة حيث ميز هناك بين المومن والكافر فقيل لا ينال عهدي الظالمين فعرف الفرق بينهما فقيل ومن
كفر عطفا على من امن كما تقول ومن ذريتي اوهو مبتدا متضمن معنى الشرط جوابه فامتعه وذلك ان الاستخلاف استرعاء
يختص بمن ينتفع للرعي نبوة عن الله امره ونهيه ولا تاخذه في الدين لومة لايم ولا سطوة جبار وظالم وابعد الناس
عن النصيحة الظالم ولهذا قيل من اعتبر عن ظلم اما الرزق فلا يختص ايصاله الي المومن والكافر والصالح والفاجر
لعموم الرحمة ولانه قد يكون استدراجا للمرزوق الزاما للحجة على انه متاع قليل وامد يسير فيما بين الازل والابد
وقليلا اي امتاعا او تمتيعا قليلا او زمانا قليلا فنعمة المومنين في العاجل موصولة بنعيم في الاجل ونعمة الكافرين منقطعة
عنهم بعد الموت والزايل لا يجدي بطايل افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغني عنهم ما كانوا
يوعدون ومعنى الاضطرار ان يفعل به ما يلجيه الي النار كقوله يوم يدعون الي نار جهنم دعا وسيق الذين كفروا
الي جهنم وان يصير الفاعل بالتخويف والتهديد الي ان يفعل ذلك الفعل اختيارا كالاضطرار الي اكل الميتة مثلا
وبيس المصير ذلك الذي اضطر اليه وذلك الاضطرار فحذف المخصوص للعلم به والمصير اما مصدر بمعنى الصيرورة يقال
صرت الي فلان مصيرا واما موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش وكلاهما مستعمل والله اعلم بالصواب

وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهِيْمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰعِيْلُ ؕ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ؕ اِنَّكَ اَنْتَ
السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَآ اُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ۪ وَ
اَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۚ اِنَّكَ اَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ۝ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ اٰيٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِمْ ؕ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيْزُ
الْحَكِيْمُ ۝ وَمَنْ يَّرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ اِبْرٰهِيْمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهٗ ؕ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنٰهُ
فِي الدُّنْيَا ۚ وَاِنَّهٗ فِي الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ ۝ اِذْ قَالَ لَهٗ رَبُّهٗٓ اَسْلِمْ ۙ قَالَ اَسْلَمْتُ
لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ۝ وَوَصّٰى بِهَآ اِبْرٰهِيْمُ بَنِيْهِ وَيَعْقُوْبُ ؕ يٰبَنِيَّ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى لَكُمُ
الدِّيْنَ فَلَا تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ۝ اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ اِذْ حَضَرَ يَعْقُوْبَ الْمَوْتُ ۙ اِذْ
قَالَ لِبَنِيْهِ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْۢ بَعْدِيْ ؕ قَالُوْا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ اٰبَآئِكَ اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ
اِلٰهًا وَّاحِدًا ۚ وَّنَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ ۝ تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ ۚ وَلَا تُسْـَٔلُوْنَ
عَمَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ۝ القراءة ارنا وبابه ساكنة الراء ابن كثير ويعقوب وقرا على كسرة مختلسة
فيقال لحذف وقرا ابو عمرو بالاختلاس طلبا للخفة وحذرا من الاجحاف ويعلمهم بالاختلاس عباس وكذلك نعل مستقبل مجزوم حيث
وقع ورد في ابن ابي عن ابن عباس يكلمنا ونعدنا وكل كلمة تضمنت جمعين من الاسماء بالاختلاس مثل فباعيكم واسلحتكم

وانتقلكم داوصي من الايصاء ابوجعفر ونافع وابن عامر الباقون ووصّي بالتشديد شهداء اذ عامل وحمزة وعلي وخلف وابن
وابن عامر الباقون شهدا بينه وكذلك ما اشبهه كل القرآن **الوقوف** واسمعيل لاضمار القول اي يقولان ومحله نصب الحال
منا للابتدا بان ولجواز الوصل وجه لطيف علي تقدير فانك اولانك العليم مسلمة لك لعطف المتفقتين علينا وقد ذكر الرحيم
ويزكيهم الحكيم نفسه للفصل بين الاستفهام والاخبار في الدنيا لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين اسلم لان قوله قال
عامل اذ والا فالوجه ان يقال فقال والا انقطع النظم العالمين ويعقوب لارادة القول علي الاصح ومن وصل جعل الوصية في
معنى القول مسلمون لان ام بمعنى همزة الاستفهام الانكار الموت لان اذ بدل اذ الاول له ظرف شهدا واذ الثانية ظرف
حضر ومن قطعها عن الاولى توقف علي الموت وجعل قالوا عاملا ولم يقف علي بعد فله وجه لا يتضح لان الانكار
متوجه علي قولهم ان يعقوب اوصى بنيه بالبهودية لا علي ان يعقوب قد مات من بعدي واحدا لعطف الجملتين المتفقتين
والوصل اجوز علي الواو حالا مسلمون قد خلت لان ما بعدها تصلح صفة للامة وبصلح استينافا وهو ماضي لعطف
ولكم ما كسبتم عليها ولكم ما كسبتم لعطف الجملتين المختلفين يعملون **التفسير** عن وهب بن منبه ان ادم عليه السلام
لما اهبط الي الارض استوحش فيها لما راي من سعتها ولانه لم ير فيها فقال يا رب اما لارضك عامر يسبحك فيها
ويقدس لك غيري فقال الله اني ساجعل فيها لذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري
ويسبحني خلقي فيها منها بيتا اختاره لنفسي واخصه بكرامتي واوثره علي بيوت الارض كلها باسمي واسميه بيتي انطقه
بعظمتي واحوطه بحرمتي واضعه في البقعة التي اخترت لنفسي فاني اخترت مكانه يوم خلقت السموات والارض
اجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وامنا احرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتي فقد عظم
حرمتي ومن احله فقد اباح حرمتي ومن امن اهله استوجب بذلك اماني ومن اخافهم فقد حقاني ومن عظم شانه
فقد عظم في عيني ومن تهاون به فقد حقر في عيني سكانها جيراني وعمارها وفدي وزوارها اضيافي اجعله
اول بيت وضع للناس واعمره باهل السماء والارض يأتونه افواجا شعثا غبرا علي كل ضامر يأتين من كل فج عميق
يعجون بالتكبير عجا ويثجون بالتلبية ثجيجا فمن اعتمره لا يريد غيري فقد زارني وضافني ووفد علي ونزل
بي فحق علي ان اتحفه بكرامتي وحق علي الكريم ان يكرم وفده واضيافه وزواره وان يسعف كل واحد منهم بحاجته
تعمره يا ادم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الامم والقرون والانبيا من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبي
حتي ينتهي الي نبي من ولدك يقال له محمد وهو خاتم النبيين فاجعله من عماره وحماته وولاته يكون امينى عليه
ما دام حيا فاذا انقلب الي وجدني وقد ذخرت له من الاجر ما يتمكن به من القربة الي والوسيلة عندي
واجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده وسناه ومكرمته لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي وهو
ابوه يقال له ابراهيم ارفع به قواعده واقضي علي يديه عمارته واعلمه مشاعره ومناسكه واجعله امة واحدة
قانتا قائما بامري داعيا الي سبيلي اجتبيه واهديه الي صراط مستقيم ابتليته فصبر وعافيته فشكر وامرته ففعل
ووعدته فوفي استجيب دعوته في ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم واجعلهم اهل ذلك البيت وحماته
وسقاته وخدمه وخزانه وحجابه حتي يبدلوا ويغيروا فاجعل ابراهيم امام ذلك البيت واهل تلك الشريعة
يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق الجن والانس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت
الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه اليه ادم
من ارض الهند ماشيا تلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين
حجة من ارض الهند الي مكة علي رجليه فكان علي ذلك الي ان رفعه الله ايام الطوفان الي السماء الرابعة فهو
البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابراهيم ببنايه وعرفه جبرئيل مكانه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
البيت المعمور بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الارض
يصلي فيه كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون فيه ابدا وعن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاء ما بين السماء والارض ما مسهما
ذو عاهة ولا سقيم الا شفي وعن ابن عباس انه كان اشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا اهل الشرك واما

جعلهم

قصة اسمعيل عليه السلام وامه فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم النبي عليه
السلام قط الا ثلث كذبات ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحد في شان
سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان علم انك امرأتي يغلبني
عليك فان سألك فاخبريه انك اختي فانك اختي في الاسلام فاني لا اعلم في الارض مسلما غيري وغيرك فلما
دخل ارضه رآها اهل بعض الجبار فاتاه فقال لقد قدم ارضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها فاتي
بها وقام ابراهيم صلوات الله عليه الي الصلوة فلما دخلت لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال
لها ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت يده قبضة شديدة اشد من الاولى فقال لها مثل ذلك ففعلت
فعاد فقبضت يده اشد من القبضتين الاولتين فقال ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا
بالذي جاء بها فقال انك انما جئتني بشيطان ولم تاتني بانسان فاخرجها من ارضي واعطاها هاجر قال فاقبلت تمشي
فلما راها ابراهيم عليه الصلوة والسلام انصرف فقال لها مهيم فقالت خيرا كفى الله يد الفاجر واخدم خادما قال ابو هريرة
فتلك امكم يا بني ماء السماء قلت وذلك انها ملكتها سارة ابراهيم فولدت له اسمعيل ابا العرب واما تتمة القصة
فبعد ان غارت سارة علي هاجر حيث لم يكن لسارة من ابراهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر اسمعيل باربع
عشرة سنة فقد روي سعيد بن جبير عن ابن عباس اول ما اتخذت النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا
لتعفي اثرها علي سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم
في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى
ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا
شيء فقالت له ذلك مرارا وذلك لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق
ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فقال رب اني اسكنت
من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى
اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا
اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فهبطت الي الصفا حتى اذا بلغت
الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت
هل ترى عليها احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما
فلما اشرفت علي المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك
غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها
هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم
الله ام اسمعيل لو لم تغرف من الماء لكان زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة
فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه
السيول فتاخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في اسفل
مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور علي ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين
فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم
في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفي ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وارسلوا
الي اهاليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين
شب الغلام فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل فجاء ابراهيم صلوات الله عليه بعد ما تزوج اسمعيل يطالع
تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في
ضيق وشدة وشكت اليه قال اذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه آنس
شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة

قال فهل وصاك بشي قالت نعم امرني ان اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم عليه السلام ما شاء ان يلبث ثم اتاهم فلم يجده فدخل على امراته فسال عنه قالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه ان يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل عليه السلام قال هل اتاكم احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فهل اوصاك بشي قالت نعم يقرأ عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد ثم قال يا اسمعيل ان الله يامرني بامر فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا هاهنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسماعيل ياتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعن علي عليه السلام انه مر عليه الدهر بعد بناء ابراهيم فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر فانهدم فبناه قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا يحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج عليهم فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر في مرط ثم ترفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فوضعه واعلم ان للبيت اربعة اركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين واعادت قريش عمارته على الهيئة التي هي عليها اليوم ولم يجدوا من النفقة والهدايا والاموال الطيبة ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابراهيم صلوات الله عليه وضيقوا عرض الجدار من الحجر الاسود الى الشامي الذي يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا وهو الركن الذي يسمى الشاذروان وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعايشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابراهيم فالصقته بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه ايام دولته وبناه على قواعد ابراهيم ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه واعاده على الصورة التي هو عليها اليوم وهي بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول يرفع حكاية حالة ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة معناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة التي يبنى عليه ويوضع فوقه ويرتفع كل منها بسبب وضع الاخر عليه ورفع القواعد بما ذهب اليه الاكثرون من ان القواعد كانت موجودة وان ابراهيم عمرها ورفعها كما مر في الاحاديث وانما لم يقل قواعد البيت ليكون الكلام مبنيا على تعيين بعد ابهام ففيه تفخيم لشان المبني ثم ان الله تعالى حكى عنهما ثلثة انواع الدعا في تلك الحالة الاولى قولهما تقبل منا وقبول الله تعالى عمل العبد عبارة عن كون العمل بحيث يرضاه الله تعالى او يثيب عليه والاول الذ عند العارفين من الثاني شبه الفعل من العبد بالهدية واثابة الله تعالى عليه ورضاه بالقبول وقيل ان بين القبول والتقبل فرقا فالتقبل عبارة عن تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق ان يقبل فاختير تقبل هضما وتواضعا واستقصارا وقد يستدل بهذا على ان الفعل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتيب الصواب عليه والا لم يكن في طلبه فائدة ويحتمل ان يقال الطلب متوجه الى جعله من جملة الافعال بالاخلاص فكنى بطلب القبول عن ذلك ويؤكده قولهما انك انت السميع يعني سماع بغاية العلم بنياتنا النوع الثاني ربنا واجعلنا مسلمين لك فان يريد بالاسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب الى الثبات والدوام اي ثبتنا على ذلك والا كان تحصيلا للحاصل بالنسبة اليهما وقصدوا ان يريد الاستسلام والخضوع والاذعان الكلي بكل ما قدر وامر فتوجه الطلب الى هذه الامور انفسها غير مقيدة لانها امور خارجة عن الضبط لا يبلغ الاكثر د

تيسير الله وتوفيقه فخلا اصل الاسلام الذي وقع به التكليف فانه مضبوط وقد يظن ان للعبد اختيارا فيه وان كان اختياره على تقدير ثبوته ينتهي الى مسبب الاسباب وقوله واجعلنا اما معطوف على تقبل وقوله انك انت السميع العليم ربنا اعتراض للتاكيد واما معطوف على محذوف اي ربنا افعل هذا واجعلنا ومن ذريتنا من للتبعيض كما في قوله ومن ذريتي والامة الجماعة من الناس وقيل اراد امة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمة يحتمل فيهما اصل الاسلام والزيادة عليه ايضا وقيل اسلم مطلقا يفيد الايمان والاعتقاد ومعدى باللام معناه الاستسلام والانقياد الكلي طلب الاسلام لهم بعد ما طلب الامامة اظهارا للشفقة فالشفيق بسوء الظن مولع ويحتمل ان يكون هذا الدعا بيانا لما اجمل هناك فيكون تاكيدا وتخصيص الذرية بالدعا من بين الخلايق لانهم احق بالنصيحة واقدم قوا انفسكم واهليكم نارا اولانهم ائمة بصلاحهم يصلح غيرهم وفي سدادهم يكون سداد من وراءهم ولقد استجاب الله دعاه فلم يزل في ذريته من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ولم يزل الرسل من ذرية ابراهيم صلوات الله عليه وعليهم وقد كان في الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعده ويقال عبد المطلب بن هاشم جده رسول الله صلى الله عليه وسلم على دين الحق قايلين بالابتداء والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله ولا ياكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان وارنا ان منقولا من روية العلم فمعنا علمنا ان شرايع حجنا كيف هي اذا امرتنا ببناء البيت لنحجه وندعو الناس الى حجه وان كان منقولا من روية البصر وهو الاظهر ولذلك لم يتجاوز مفعولين ظاهرا فالمعنى بصرنا متعبدا في الحج قال الحسن ان جبريل ارى ابراهيم عليهما السلام المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال يا ابراهيم اعرفت ما رايتك من المناسك قال نعم فسميت عرفات فلما كان يوم النحر اراد ان يزور البيت عرض عليه ابليس فسد عليه الطريق فامره جبريل عليه السلام ان يرميه بسبع حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له في اليوم الثاني والثالث والرابع كل ذلك يامره جبريل عليه السلام برمي الحصيات وقيل المراد العلم والروية معا لان الحج لا يتم الا بامور بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الغرض منه الا بالروية فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا وليس ببعيد فان اللفظ المشترك لا يصح اطلاقه على معنييه معا وكذلك مدلولا الحقيقة والمجاز يصح ارادتهما معا عن لفظ واحد كالعقد والوطي عن النكاح غاية ما في الباب ان يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من يحمل المناسك على الذبايح فقد يسمى الذبح المتقرب نسكا والذبيحة نسيكة وليس لهذا التخصيص وجه فان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت اصل معنى النسك وهو التعبد فحمل المناسك على جميع اعمال الحج اولى قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم لا اراكم بعد عامي هذا بل لا يبعد ان يحمل على جميع ما شرعه الله لابراهيم اي علمنا كيف نعبدك ومتى واين نعبدك وبماذا نتقرب اليك حتى نخدمك بذلك خدمة العبد لمولاه وتب علينا التوبة عنهما محمولة على ما عسى ان يكون قد فرط منهما من الصغاير عند من يجوزها على الانبيا وعلى ترك الاولى ونحو ذلك عند غيرهم ويمكن ان يكون التوبة منهما تصويرا لانفسهما بصورة النادم العازم على التعود تشددا في الانصراف عما لا يليق بهما قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة وايضا لعلهما استتابا لذريتهما لعلمهما بان فيهم ظالمين لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين وذلك لشفقتهما عليهم وباقي مباحث التوبة قد مر في قصة ادم فليتذكره النوع الثالث ربنا وابعث فيهم رسولا منهم لا من غيرهم لان الرسول والمرسل اليهم اذا كانوا جميعا من ذريته كان رتبته اجل ولانه اذا كان منهم عرفوا مولده ومنشاه فيتقرب الامر عليهم في معرفة صدقه وامانته ولانه اذا كان منهم كان احرص عليهم واشفق من اجنبي لو ارسل اليهم واما الرسول فمحمد صلى الله عليه وسلم باجماع المفسرين وهو حجة كقوله تعالى في موضع اخر لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ولقوله صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي واما الدعوة فهذه واما البشارة فقوله تعالى في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد واما الرؤيا فرات امنة وهي حامل انه خرج منها نورا اضاء الخافقين وههنا نكتة وهي ان الخليل لما دعا الى الحبيب بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا فلا جرم قضى الله تعالى حق الحبيب للخليل بان اجرى ذكره على السنة امته الى يوم القيمة يقولون في صلواتهم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم ولهذا الذكر مناسبات اخر منها ان

ان الخليل عليه السلام دعا لنفسه بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي ابق لنا ثناءً حسنا في امة محمد صلى
الله عليه وسلم فاجابه الله تعالى وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها ان ابراهيم ابو الملة ملة ابيكم ابراهيم ومحمد ابو الرحمة
بالمومنين رؤف رحيم النبي اولى بالمومنين من انفسهم انما انا لكم مثل الوالد لولده يعني في الرافة والرحمة فلما ثبت لكل
واحد منهما الابوة قرن بين ذكرهما في المحبة ومنها ان ابراهيم منادي الشريعة واذن في الناس بالحج ومحمد منادي
الدين مناديا للايمان ومنها انه كان اول الانبيا بعد الطوفان ومحمد خاتم الانبيا ورسول اخر الزمان ومنها ان الخليل
تبرأ عن سائر الاديان اني بريء مما تشركون والحبيب تنزه عن جميع الاكوان ما زاغ البصر وما طغى ثم ان ابراهيم
عليه السلام ذكر لذلك الرسول صفات الاولى يتلوا عليهم اياتك فهو القران المتلو عليهم او جميع ما بلغه
من دلايل التوحيد وغيره اوتيت القران ومثله معه الثانية ويعلمهم الكتاب اي معانيه وحقايقه وذلك
ان التلاوة وان كانت مطلوبة لبقاء لفظها على السنة اهل التواتر فيبقى مصونا عن التحريف ولان لفظه ونظمه معجز
وفي تلاوته نوع عبادة ولاسيما في الصلوات الا ان الحكمة العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه من الدلايل والاحكام
الثالثة والحكمة اي ويعلمهم الحكمة قيل هي الاصابة في القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما الا وقد اجتمع فيه
الامران فيضع كل شي موضعه ولهذا عبر عنها بعض الحكماء بانها التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية وبمناسبة
قوله صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله وعن ابن وهب قلت لمالك ما الحكمة قال معرفة الدين والفقه
فيه والاتباع له وعن قتادة واليه ذهب الشافعي هي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ذكر تلاوة الكتاب
ثم تعليمه ثم عطف عليه الحكمة فتكون شيا خارجا عنهما وليس ذلك الا السنة الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ذكر
فلان الدلايل العقلية الدالة على التوحيد والنبوة وما يتلوها مستقلة بالفهم فحمل اللفظ على ما لا يستفاد الا من
الشرع اولى وقيل هي الفصل بين الحق والباطل وقيل المراد بالكتاب الايات المحكمات وبالحكمة المتشابهات وقيل ما في
احكام الكتاب من الحكم والمصالح الرابعة ويزكيهم لان الارشاد يتم بامرين التحلية والتخلية كما يجب على
المعلم التنبيه على نعوت الكمال ليحظى المتعلم بما يجب عليه عن بيان النقصان ليتحرز عنها وذلك نحو ما
يفعله النبي صلى الله عليه وسلم سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ والتذكير و
التشبيب بامور الدنيا ليتقوى بها دواعيهم الى الايمان والعمل الصالح ولذلك مدح بانه على خلق عظيم وانه اوتي
مكارم الاخلاق وقيل يزكيهم يطهرهم عن الشرك وساير الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبايث وقيل يشهد لهم بانهم عدول يوم القيمة ويكون الرسول عليهم شهيدا وعن ابن عباس التزكية هي
الطاعة والاخلاص انك انت العزيز القادر الذي لا يغلب الحكيم الغالب الذي لا يفعل الا على وفق المصالح
واذا كان كذلك صح منه اجابة الدعا وبعثة الرسول وانزال الكتب ومن يرغب الاستفهام فيه لتقرير النفي اي
لا يرغب احد يقال رغب عن الامر اذا كرهه ورغب فيه اذا اراده ومحله من سفه الرفع على البدل من الضمير
في يرغب وذلك انه غير موجب مثل هل جاءك احد الا زيد وسفه اما متعد ومعنى سفه نفسه امتهنها واستخفها
فاصل السفه الخفة وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط
فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن الحسن الا من جهل نفسه فلم
يفكر فيها ويستدل بما يجده فيها من اثار الصنع على وحدانية الله تعالى وحكمته ويترقى الى صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابي عبيدة اهلك نفسها واوبقها وقيل اضل نفسه واما لازم فمعناه
سفه في نفسه فحذف الجار كقوله زيد ظني مقيم اي في ظني وقيل نصب على التمييز نحو غبن رايه والم
رايه وهذا عند الكوفيين فان التمييز عندهم يجوز ان يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى ومشركي
وتعجيب من حالهم فان اعظم مفاخرهم وفضايلهم الانتماء الى ابراهيم ثم انهم لا يومنون بالرسول الذي هو دعوته
مطلوبة بالتضرع والخلاص فان قيل ملة ابراهيم عين ملة محمد في الاصول والفروع او هما متحدان في الاصول فقط
لكن نبوة محمد من جملة الاصول التي مهدها ابراهيم عليهما السلام والمراد بملة ابراهيم في الاية اصولها التي لا تختلف
بمر الاعصار وكر الدهور فلا يلزم ان يكون محمد عنها لانه امر باتباعها ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا

ردي

يروي عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية
اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يومن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى
مهاجر ان يسلم فنزلت ثم انه تعالى لما سفه من يرغب عن ملة ابراهيم بين السبب في ذلك فقال ولقد اصطفيناه في
الدنيا اي اخترناه للرسالة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل والخاتمة الباقية الى قيام الساعة
حتى نال منزلة الخلة وانه في الاخرة لمن الصالحين فيلزمه ما يلزمهم من الكرامة وحسن الثواب فليحقق كل ذي
لب ان الراغب عن سبيل من هو فاين بسعادة الدارين لا راي له والله الموفق ثم بين سبب الاصطفا فاعمل اصطفيناه
في اذ قال اخترناه في ذلك الوقت ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر اي
ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن مثل ملته واذ قال له ربه اسلم من باب الالتفات ولولا ذلك
لكان حقه ان يقال اذ قلنا له والاكثرون على انه تعالى اذ قال له ذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك عند استدلاله
بالكوكب والقمر والشمس واطلاعه على امارة الحدوث فيها فلما عرف ربه قال له اسلم فانه لا يجوز ان يقول
له قبل ان عرف ربه ويحتمل ان يكون ذلك قبل الاستدلال ولا يكون المراد منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه
كقولهم نطق الحال قال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فجعل دلالة البرهان كلاما
ويحتمل ان يكون هذا بعد النبوة والمراد استقامته على الاسلام وثباته عليه كقوله فاستقم كما امرت والمقصود
الانقياد لاوامر الله تعالى والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعتراض بالقلب واللسان وقيل الايمان صفة
القلب والاسلام صفة الجوارح وان ابراهيم عليه السلام كان عارفا بالله تعالى بقلبه وكلفه الله تعالى بعد
ذلك بعمل الجوارح وفي تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع بل باكثر قصص ابراهيم اشارة الى ان عرفانه النظر
في المربوبات فلا جرم وصل الى الرب وطريق عرفان محمد عكس ذلك الترتيب فلا جرم بدا من الله تعالى فاعلم
انه لا اله الا الله والاول طريق حسن سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق لكن
الطريق الثاني احسن اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ومن هنا يعرف اكملية محمد صلى الله عليه وسلم
شعر واني وان كنت الاخير زمانه لات بما لم يستطعه الاوايل قال ابراهيم دلالة على استقامة سيرته وسلم
محمد دليل على انه مكمل الانقطاع وبه ابتدا الامر من حيث انتهى فتمت دايرة النبوة وحصلت الخاتمية وكما
ان ابراهيم دليل وجود الاستقامة ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فالف ابليس دليل عدم الاستقامة الا ابليس
ابى واستكبر والوجود خير والعدم شر فحصل من خاء الخير مع لام الابتدا واذ ابتلى ابراهيم ربه تركيب الخلة
واتخذ الله ابراهيم خليلا ومن شين الشر مع دال الدوام على الكفر وكان من الكافرين ثم الشدة وللكافرين
عذاب شديد ثم ان الخلة ماخوذة من التخلل بين الشيئين ومنه الخلال فلا جرم كان ابراهيم صلوات الرحمن
عليه واسطة في الطريقة ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا والمحبة ماخوذة من الحبة وهو خالص كل شي وداخله ومنه
حبة القلب فلا جرم كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وحبيب رب العالمين وزبدة الكاينات وغاية
الحركات ولولاك لما خلقت الافلاك اول الفكر اخر العمل اول ما خلق الله تعالى انا اول من ينشق عنه القبر
ادم ومن دونه تحت لوايي انا سيد المرسلين ولا فخر فمحمد صلى الله عليه وسلم ابو الحقيقة وان كان ابراهيم
ابا الطريقة والحقيقة لكونها مقصودة بالذات اقوى من الطريقة لا جرم وقع الصلوة على ابراهيم في الصلوة
تبعا للصلوة على محمد اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وان الصلوة لا تتم بدون الصلوة
على محمد بخلاف الصلوة على غيره ذلك لنعد ما كان فيه ووصى الوصية من جملة الامور المستحسنة التي حكاها
الله تعالى عن ابراهيم اوصيته كذا او وصيته بمعنى واصله من وصيت الشيء بكذا بالتخفيف اذا وصلته
اليه وارض واصية متصلة النبات فالموصي يصل القربة الحاصلة له بعد الموت الى القربات الحاصلة
في الحيوة فحمل الموصي على هذا الوصل بسبب الوصية والضمير في بها قيل يعود الى الكلمة الجملة وهي اسلمت
لرب العالمين ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني
وقيل الاولى ان يرجع الى الملة لانها مذكورة صريحا في قوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم ولان الوصية بالملة

جامعة لجميع اسباب الفلاح بخلاف الوصية بالشهادة وحدها اللهم الا ان يحمل الاسلام على الانقياد الكلي وفي الاية
دقايق مرغبة في قبول الدين منها انه لم يقل وامر بها لان الوصية عند امارات الموت وعند ذلك يكون الاهتمام
بالمامور اشد ومنها انه خص بنيه بذلك في اخر عمره مع انه كان يدعو كل الناس الى الدين فدل على انه لا شي
عنده اهم من ذلك ومنها التعميم لجميع الابناء وانه لم يقيد الوصية بزمان او مكان لم يخلطها بشي اخر ثم نهاهم
ان يموتوا غير مسلمين وكل هذه دلايل شدة الاهتمام بالمامور وهو المشهود له بالفضل وحسن السيرة فيجب قبول قوله
لكل عاقل ولذلك وصى بها يعقوب بنيه وقري يعقوب بالنصب فمعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب قايلا
كل منهما يا بني الله اصله بابنين فاضيف الى ياء المتكلم فسقطت النون وصار الواو ياء للاصل المنصب فادغم اليا في اليا
ان الله اصطفى لكم الدين استخلصه واختاره لكم فانه اقام عليه الدلايل الواضحة ودعاكم اليه ومنعكم من غيره ورفعكم
للاخذ به فلا تموتن فلا يكون موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام عن الفصل الا وانتم فالمنع لا ننهاه
عن نفس الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في صلوته والنكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة ومثله
قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه في قوة قولك لجار المسجد لا تصلي الا في المسجد فكان
موتهم لا على حال الاسلام موت لا خير فيه ليس بموت السعدا ومن حق هذا الموت ان لا يحل فيهم ام كنتم شهدا يحتمل
ان يكون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بمجرد الحضور عند وفاته والخطاب للمومنين اي ما كنتم حاضرين
حين احتضر يعقوب وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي او لاهل الكتاب المعاصرين كانه قيل لهم كيف تدعون انما
انتم عليه دين الرسل ولم تشهدوا وصايا الانبيا ولو شهدتم ذلك وسمعتم قولهم لبنيهم لظهر لكم حرصهم على ملة
الاسلام والدين الحنيفي فرغبتم في دين محمد ويحتمل كونه ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف معناه اتدعون
على الانبيا اليهودية ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت قيل اي ان اوايلكم من بني اسرايل كانوا مشاهدين له اذا
اراد بنيه على التوحيد ودين الاسلام فما لكم تدعون على الانبيا ما هم منه برا وفيه نظر لان ام المعادلة احد
الامرين كاين فيها فقط فان كان الحضور ثابتا لم يكن الدعوى ثابتة ولهذا توجد الانكار عليها فالوجه
ان يقال المراد ان الحضور غير ثابت لتطاول الزمان فاذن دعوتهم يهودية الانبيا دعوى بلا دليل بل فلا
تسمع على انه تعالى نص على بطلانها بقوله اذ قال لبنيه الى اخره ويتجه على هذا التقدير ان يكون ام منقطعة
كانه استفهم اولا على سبيل الانكار اي لم تدعون ثم استانف استفهاما ثانيا لتقرير النفي اي ما كنتم شهدا او لتقرير
الاثبات على ان اوايلهم قد شهدوا فيكونون موكدا لذلك الانكار ما تعبدون اي شي تعبدون وما عام لاولي
العلم وغيرهم ومن مختص باولي العلم ولهذا قال العلما من لما يعقل ومن خصص ما بغير اولي العقل قال المراد السوال
عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك ويحكى ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر راي اهلها
يعبدون الاوثان والنيران فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا لهم على التمسك بعبادة الله
لا انهم يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد ينافي ذلك ولان المشهور من امر الاسباط انهم
كانوا قوما صالحين وابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لابايك وقدم اسمعيل لانه اسن وجعل اسمعيل وهو
عمه من جملة ابايه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد هو الاخوة قال صلى الله عليه وسلم عم الرجل
صنو ابيه اي لا تفاوت منهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وايضا اطلق اسم الاب على ابراهيم وهو جده فعن
الشافعي انه مجاز ولهذا قال الاخوة والاخوات للاب والام لا يسقطون بالجد واليه ذهب مالك وابو يوسف
ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد وقال ابو حنيفة وانهم يسقطون بالجد وهو قول ابي بكر
الصديق وابن عباس وعايشة والحسن وطاوس وعطا قالت التعليمية قالوا لا طريق لنا الى معرفة الله تعالى
الا بتعليم الرسول والامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي انت تعبده
واباوك يعبدونه فدل على ان الطريق المعرفة هو التعليم واجيب بمنع دلالة الاية على ذلك بل لعل المعرفة
حصلت لهم بالاستدلال الا انهم اختصروا الكلام فتركوا شرح صفات الله وبيان ذلك وايضا انه اقرب
الى سكون يعقوب فكانهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقتك من اليقين بالله والاخلاص له في عبادته

وايضا

وايضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود ابايك كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم الها واحدا بدل من اله ابايك مثل بالناصية ناصية كاذبة ونصب على الاختصاص والمدح ونحن له مسلمون
مذعنون او مخلصون التوحيد ومحله نصب حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير في له اليه ويجوز
ان يكون جملة معطوفة على نعبد او تكون جملة معترضة موكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم
ويعقوب وبنوهما الموحدون خلت مضت فانقرضت والغرض انهم لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا ولهذا قيل لها
ما كسبت اي ثوابه يريد اني اقتصصت عليكم اخبارهم وما كانوا عليه من الدعوة من الاسلام فليس لكم نفع
في سيرتهم دون ان تفعلوا ما فعلوه وان انتم فعلتم ذلك فزتم كما فازوا وان ابيتم خسرتم انتم دونهم ولا تسالون
عما كانوا يعملون لا تواخذون بسيئاتهم ولا تنفعكم حسناتهم وفيه تكذيب اليهود حيث قالوا يعذبون اياما
معدودة لكفر ابايهم لاتخاذ العجل وفي الاية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الاباء قال صلى الله عليه وسلم يا صفية
عمة محمد ويا فاطمة بنت محمد ايتوني يوم القيمة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيا من ابطا به
عمله لم يسرع به نسبه ثم الاية تدل على ان للعبد كسبا ولكن الايمة اختلفوا في تفسيره فالاشعري على انه
لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره اصلا لانه لو كان موجدا لافعاله لكان عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك
ولما وقع ما اراده العبد وليس كذا بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى فاذا خلقه استحال من
العبد ان لا يتصف حينئذ به واذا لم يخلقه فيه استحال ان يتصف به فاي معنى لكون العبد قادرا عليه وايضا
الذي هو مكتسب العبد اما ان يكون واقعا بقدرة الله فلا اثر للعبد فلا يكون مكتسبا له وان وقع بالقدرتين
معا فلا يكون قدرة الله مستقلة والمفروض بالخلاف فبقي ان يكون بقدرة العبد وعن القاضي ان ذات
الفعل واقعة بقدرة الله تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة طاعة او صفة معصية فهذه الصفة بقدرة العبد وضعف
بان المحرم من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحياز وهذا الشغل ان حصل بفعل الله تعالى
فبقي المنهي عنه قد خلقه الله فيه وهذا تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم الاستاذ
ابو اسحق الاسفرايني ان ذات الفعل تقع بالقدرتين وزيف بان قدرة الله مستقلة بالتاثير ومنهم من
زعم ان القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه سبحانه هو الذي وضع
الاسباب المتادية الى دخول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان الموثر بوقوع فعله هو
القدرة والداعية القايمتان به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة
ان القدرة مع الداعي لا يوجب الفعل بل العبد قادر على الفعل والترك متمكن منهما ان شا فعل وان شا ترك
وهذا هو الفعل والكسب فهذه اقرب المذاهب وقول الاشعري اقرب الى الامام وقول امام الحرمين اقرب الى التحقيق
لان نسبة الاثر الى الموثر القريب لا تنافي كون ذلك الموثر منسوبا الى اثر اخر بعيد ثم الى البعيد الى ان ينتهي
الى مسبب الاسباب وفاعل الكل ومبدا المبادي ومالك الاختيار بفعله دون هواه التاويل من
قوله واذ ابتلى البلاء للولاء كاللهب للذهب فاصدقهم ولاء اشدهم بلاء وابتلى الخليل بكلمات هي احكام
النبوة والخصال العشر في جسده ولخاتم الرسالة الصبر عند صدمات المكروهات وفقدان المالوفات
وموجبات الخلة التبري عما سوى الجليل اني بري مما تشركون وعداوة غير الخليل فانهم عدو لي الا رب
العالمين ودفع الوسايط حيث قال له جبريل في الهوا هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا والتسليم اسلمت لرب
العالمين والرضا بامره عند ذبح الولد فلما اسلما وتله للجبين بخلاف ما قال نوح ان ابني من اهلي فلا جرم
زيد له في الاصطفاء وشرف كرامة الامامة والاقتدا واذ جعلنا البيت بيت القلب كما جاء ان الله تعالى اوحى
الى داود فرغ لي بيتا اسكن فيه فقال وكيف يا رب قال فرغ لي قلبك اي جعلنا القلب الانساني مثابة
ترجعون اليه بالطلب من رب كما ترجعون الى الكعبة في الصورة وامنا للسالك من تصرفات الشيطان ومكايده
حين بلغ منزل القلب لان القلب خزانة الحق محروسة من دخول الشيطان وانما جوز لان لص الشيطان في ميادين
الصدور كقوله يوسوس في صدور الناس واتخذوا عند الوصول الى كعبة القلب من مقام ابراهيم وهو

الخلة قبلة توجهكم ليكون قصدكم الي لا الي غيري كما قال ابراهيم اني ذاهب الي ربي سيهدين وعهدنا
الي ابراهيم واسمعيل في الميثاق طهرا القلب عن ادناس تعلقات الكونين واوضار ملاحظة الاغيار للطائفين
وهي واردات الاحوال والعاكفين وهي الملكات والمقامات والركع السجود هي صفات القلب المطهرة من الارادة
والصدق والاخلاص والتواضع والخوف والرجا والتسليم والرضا والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية واذ قال
ابراهيم الاية لما اهبط ادم الروح الي ارض الجسد وفقد ما كان يجد من روايح الطاف الحق في جنة حظيرة القدس
له بان يشرف الي حظيرة رب العالمين تطلع منها شوارق الالطاف وباب يفتح الي عالم الجسد وفيه قناديل
العقل وانزل حجر الذرة المخاطبة بخطاب الست بربكم متوجا بنور جواب بلي فذ الغم كتاب العهد يوم الميثاق وهو
يمين الله في ارضه فلما كان طوفان افات الصفات البشرية من الطفولية الي البلوغ وفار تنور الشهوات رفع
بيت معمور القلب الي السماء الرابعة يعني حجب استار خواص العناصر الاربعة واخفي حجر الذرة في ابي قبيس
صفات النفس فلما امر ابراهيم الروح بعد البلوغ ببناء بيت القلب وعمارته من خمس اجبل اركان الاسلام وقد اهتدي
الي موضع بيت المقدس بدلالة السكينة هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين فجعل اسمعيل النفس المطمئنة
يجي باحجار اعمال الشريعة من جبال اركان الاسلام وتناولها ابراهيم الروح وهو يبني الي ان بلغ موضع الحجر فنودي
من ابي قبيس الهوي ان لك عندي وديعة فخذها فخلص حجر الذرة من استار صفات النفس والهوي فوضعه
مكانه وكان ابيض فلما لمسته حيض اللذات الدنيوية ومشركو الشهوات النفسانية في جاهلية الطفولية
اسود فلما فرغا من رفع قواعد بيت القلب سالا ربهما الاستسلام لاحكامه الظاهرة الشرعية التي جري القلم
بها في الازل وكذا الذرية منهما المتولدات من الصفات الروحانية والنفسانية وان يبعث فيهم رسولا منهم لامر
الحاجة من لم يكن له في القلب رسول وارد من الحق وهو السر لم يسمع كلام الرسول الخارجي ثم ان ابراهيم الروح يوصي
بنو لما تمس القلب وصفاته والسر وصفاته والنفس وصفاتها والقوي البشرية والحواس الخمس والاعضاء
والجوارح كلها بملته وفي الاية اشارة الي انه تعالي اذا تجلي لروح عبد مخلص متضرع اليه يحب له ظهور اثار انوار تجليه
علي قلبه وسره ونفسه وقواه وحواسه وجميع اعضائه فيخضعون له بكليتهم فيعبدونه الها واحدا
لا متفرقا من الهوي والدنيا والاخرة والله ولي النبي ونبوته ۝ ۝ ۝ ۝

وقالوا كونوا هودا او نصاري تهتدوا ط قل بل ملة ابراهيم حنيفا ط وما كان
من المشركين ۝ قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الي ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسي وعيسي وما اوتي النبيون
من ربهم ط لا نفرق بين احد منهم ز ونحن له مسلمون ۝ فان امنوا بمثل ما
امنتم به فقد اهتدوا ج وان تولوا فانما هم في شقاق ج فسيكفيكهم الله ج وهو
السميع العليم ۝ صبغة الله ج ومن احسن من الله صبغة ز ونحن له عابدون ۝
قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ج ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ج ونحن
له مخلصون ۝ ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط

كانوا

١١٧

كانوا هودا او نصاري ط قل ءانتم اعلم ام الله ط ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله ط وما الله بغافل عما تعملون ۝ تلك امة قد خلت ج لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ج ولا تسألون عما كانوا يعملون ۝ القراءة

ام تقولون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والفضل الباقون بياء الغيبة الوقوف
تهتدوا ط حنيفا ط المشركين ۝ من ربهم ز لطول الكلام والاستيناف والاصح انه حال اي اسلمنا مفرقين منهم لاحتمال الابتداء
والحال اوجه مسلمون اهتدوا ج لابتداء شرط اخر مع العطف شقاق ج للابتداء بسين الوعيد مع دخول الفاء فسيكفيكهم
الله ج لاحتمال الواو الابتداء والحال العليم ۝ لان الجملة الناصبة لقوله صبغة الله محذوفة يدل عليها قولهم امنا بالله وقوله
فان امنوا شرط معترض صبغة الله لابتداء الاستفهام مع ان الواو للحال صبغة علي جعل الواو للابتداء والحال او العطف
علي امنا عابدون وربكم لان الواو يصلح ان يكون عطفا علي الحال الاولي ويصلح ان يكون مستانفا اعمالكم مخلصون لمن
قرا ام يقولون بياء الغيبة ومن قرا بالتاء لم يقف لكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا او نصاري ط ام الله ط من الله
تعملون ۝ قد خلت ج ما كسبتم ج تعملون ۝ اخر الجزء الاول من الثلث الاول من التفسير انه تعالي لما بين بالدلايل المتقدمة صحة
دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصاري قالوا كذلك
لما علم من التعادي بين الفريقين كما بين كل منهما وبين المسلمين وقد مر مثل هذا في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصاري فاجابهم الله بقوله قل بل ملة ابراهيم حنيفا اي نكون اهل ملته مثل واسئل القرية اي اهلها او بل
نتبع ملة ابراهيم او نقري بالرفع اي ملتنا وامرنا ملته او نحن اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقوله رايت وجه
هند قايمة وذلك لان المضاف متضمن للحرف فيقتضي متعلقا هو الفعل او شبهه وحينئذ يشتمل علي فاعل او مفعول
فالحال عن المضاف اليه يرجع في التحقيق الي الحال عن احدهما وعند الكوفيين نصب علي القطع اراد ملة ابراهيم
الحنيف فلما سقطت الالف واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب والحنيف المايل عن كل دين باطل
الي دين الحق وتحقيق هذا الجواب ان المعول في الدين ان كان النظر والاستدلال فقد قدمنا الدلايل
وان كان التقليد فالمتفق اولي من المختلف وقد اتفق الكل علي صحة ابراهيم فاتباعه اولي وهذا جواب الزامي
ثم لما كان من المحتمل ان تزعم اليهود والنصاري انا علي دين ابراهيم فاحتج عليهم بقوله وما كان من المشركين لكن
النصاري قايلون بالتثليث واليهود بالتشبيه وايضا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله فليسوا من ملة ابراهيم
التي هي محض التوحيد وخالص الاسلام في شيء قولوا خطاب للمومنين ويجوز ان يكون للكافرين اي قولوا لتكونوا
علي الحق والا فانتم علي الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون امرا لهم اي اتبعوا ملة ابراهيم وكونوا
اهل ملته وهذا جواب اخر برهاني وذلك ان طريق معرفة الانبيا ظهور المعجز علي ايديهم ولما ظهر المعجز
علي محمد صلي الله عليه وسلم وجب الاعتراف بنبوته والايمان به وبما انزل عليه كما ل اعترفوا بنبوة ابرا
وموسي وعيسي فان تخصيص البعض بالرد يوجب المناقضة في الدليل وعن الحسن ان قوله بل ملة
ابراهيم خطاب للنبي وقوله قولوا خطاب لامته والظاهر العموم وانما قدم الايمان بالله لان معرفة النبي
والكتاب متوقفة علي معرفته وفيه ابطال ما ذهب اليه التعليمية والملحدة من ان طريق معرفة الله الكتاب
والسنة قال الخليل الاسباط في بني اسرائيل كالقبيلة في العرب وقيل السبط الحافد وكان الحسن والحسين
سبطي النبي عليهم السلام فهم حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر وعد بعض الانبيا لتعدد مهم وشرفهم
ثم عمم لتعذر التفصيل لا نفرق بين احد منهم لا نفرق بعض ونكفر ببعض كاهل الكتاب ومعني الكتاب
ومعني الايمان بجميعهم ان كلا منهم حق في زمانه او لا نقول انهم متفرقون في اصول الديانات شرع لكم من
الدين ما وصي به نوحا واحد في معني الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه ونحن له مسلمون اذعانا واخلاصا

فلا جرم لا نختص بالقبول بعض عبيده المؤيدين بالمعجزات خلاف من كان اخلاصه تقليدًا او هوى ولما بين الطريق الواضح
في الطريق وهو ان يعرف الانسان بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة برغمهم في مثل هذا الايمان
وههنا سوال وهو ان دين الاسلام وهو الحق واحد فما معنى المثل في قوله بمثل ما امنتم به والجواب ان قوله فان امنوا
بكلمة الشك دليل على ان الامر مبني على الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم ومساويا له في الصحة
والسداد فقد اهتدوا ولكن لا دين صحيحا سوى هذه السلامة عن التناقض بخلاف غيره فلا اهتداء الا بهذا ونظيره
قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الراي الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب
من رايك وانك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه وقيل الباء للاستعانة لا للالصاق
والمثل بين التصديقين اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم وقيل المثل صفة ويؤيده قراءة ابن عباس
وابن مسعود فان امنوا بما امنتم بالقرآن من غير تصحيف وتحريف فان امنوا هم بمثل ذلك في التورية فقد اهتدوا لانه
يتوسلون به الى معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الاية دليل على ان هدايته قبل هذا الاهتداء وهي الدلائل
التي نصبها الله تعالى وكشف عن وجوهها والاهتداء قبولها والعمل بها ليفوزوا بالسعادة العظمى وان تولوا عما قيل
لهم ولم ينصفوا فانهم في شقاق خلاف وعداوة وهو ماخوذ من الشق لانه فارق الجماعة وشق عصاهم او من المشقة
لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه به وفي وصف القوم بذلك دليل على معاداتهم الرسول والضمان
له كل شيء وتربصهم به الايقاع في المحن فلا جرم امنه الله تعالى والمؤمنين من كيدهم وقال فسيكفيكهم الله و
ما هيك به من كاف ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين وذلك ان فيه معنى التوكيد لوقوعها
في مقابلة لن قال سيبويه لن افعل نفي سافعل ولقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير
وضرب الجزية عليهم وهذا اخبار بالغيب ولكم من مثله في القرآن وكل ذلك مما يتاكد به اعجاز التنزيل العزيز في
حصوله بطريق الوحي الصراح وهو السميع العليم وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمع دعاك ويعلم نيتك في
اعلاء كلمة الحق واعلائها فهو يستجيب لك لا محالة ووعيد لاعدائه اي هو منهم بمرئ ومسمع يعلم ما يسرون
من الحسد والغل فيعاقبهم على ذلك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب على قوله امنا بالله مثل وعد الله قال
سيبويه وقيل بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء اي عليكم صبغة الله وفيهما فك النظم واخراج الكلام
عن الالتئام والصبغة فعلة من صبغ للحالة التي يقع عليها الصبغ كالجلسة والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر
النفس واصله ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه بالمعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه
يصير الواحد منهم نصرانيا حقا فامر المسلمون ان يقولوا امنا وصبغنا الله بالايمان صبغته لا صبغتكم وذلك على
طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان يريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره قوله
انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم وقيل اللفظ من قولهم فلان يصبغ فلانا في الشيء اي يدخله فيه ويلزمه
اياه كما يجعل الصبغ لازما الثوب وقيل سمي الدين صبغة لظهوره على صاحبه سيماهم في وجوههم من اثر
السجود من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل وصف هذا الايمان منهم بانه صبغة ليتبين ان
المباينة بينه وبين غيره ظاهرة جلية يدركها كل ذي حس سليم كما يدرك الالوان وقيل صبغة الله فطرته
اقول فذلك ان اثار المقتضى الامكاني لازمة للانسان لزوم الصبغ للثوب فيمكنه ان يتدرج منها الى وجود الصانع
والايمان به وقيل صبغة الله الختان وقيل حجة الله وقيل سنة الله ومن احسن من الله صبغة معنى الاستفهام
الانكار وصبغة تمييز اي لا صبغة احسن من الايمان بالله والدين الذي شرع لكم ليطهركم به من اوضار الكفر
وادناس الشرك ونحن له عابدون عبارة عن كمال الايمان كما تقدم مرارا قل اتحاجوننا المحاجة في اما قولهم نحن احق
بان تكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان واما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم كونوا هودا
او نصارى تهتدوا واما الخطاب فاما لاهل الكتاب واما لمشركي العرب حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم واما للكل ومعنى اتجادلوننا في شان الله او في دينه وهو ربنا وربكم وللرب ان
يفعل بمربوبه ما يعلم فيه مصلحته ويعرفه اهلا له عبيد كلهم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي ولنا

اعمالنا ولكم اعمالكم فكما ان لكم اعمالا ترجون بها الكرامة فنحن كذلك فالعمل هو الاساس وبه الاعتبار ولكن نحن
له مخلصون موحدون لا نقصد بالعبادة احدا سواه فلا يبعد ان يؤهل اخلاصه بمزيد الكرامة من عنده ام تقولون من
قرا بالتاء فالخطاب احتمل ان يكون ام منقطعة بمعنى استيناف استفهام اخر اي بل اتقولون والهمزة للانكار كما في اتحاجوننا و
احتمل ان يكون متصلة بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء انكارا
عليهم واستجهالا لهم مما كان منهم وعن الزجاج باي الحجتين تتعلقون في امرنا ابالتوحيد فنحن موحدون
ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون ومن قرا بالياء الغيبة فلا يكون الا منقطعة لانقطاع الاستفهام الاول بسبب
الالتفات قل ءانتم اعلم ام الله بل الله اعلم وخبره اصدق وقد اخبر في التورية والانجيل والقرآن بان ابراهيم
ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده ولانهم مقرون
بان الله اعلم وقد اخبر عن نقيض ما ادعوه فان قالوا ذلك عن ظن فقد بان خطاؤه وان قالوا ذلك عن جحود وعناد فالجهلهم
واشقاهم فاذن فائدة الكلام اما التنبيه واما التجهيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله واما ان يتعلق بالظلم
والمعنى لو كان ابراهيم وبنوه هودا او نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة لم يكن احد ممن كتم شهادة اظلم لان الظلم من
الاعدل اشنع واما ان تعلق بكتم اي لا احد اظلم ممن كتم شهادة ثم اندم بقيها عند الله وكتمها اخفاؤها ومنه واما
ان يتعلق بشهادة كقولك عندي شهادة من فلان ومثله براءة من الله ورسوله والمعنى ليس احد اظلم ممن
كتم شهادة عنده جاءته من الله وفيه اشارة الى ان المؤمنين لم يكتموا ما عندهم من الحق وشهدوا لابراهيم
بالحنيفية وتعريض بان اهل الكتاب قد كتموا شهادات الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية ابراهيم وغيرها كل من
تحريفاتهم وما الله بغافل عما تعملون كلام جامع لكل وعيد لهم ولاضرابهم ولو ان احدا كان عليه رقيب من قبل ملك
مجازي لكان دايم الحذر والوجل فكيف بالرقيب القريب الذي يعلم اسراره ويعد عليه انفاسه وانكان
ثم هو يقدر على ان يدخله جنته او ناره تلك امة اشارة الى ابراهيم وبنيه كما مر وانما اعيدت الاية ههنا
لغرض اخر وهو زجرهم عن الاشتغال بوصف عليه الامم السالفة من الدين فان اديانهم لا تنفع الا باقتفاء
اثارها واقتباس انوارها واما الان فالاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان النير يجب اتباع العلوم واقتفاء
والقاء الظنون والعادة ولا يسال المتاخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسيء وكل يعمله مجزي الله الحسيب حسبي

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله
المشرق والمغرب ط يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ه وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ط وما
جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على
عقبيه ط وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ط وما كان الله ليضيع ايمانكم ط
ان الله بالناس لرءوف رحيم ه قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك
قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ط وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره ط وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم ط وما الله بغافل

الجزء الثاني

عما يعملون ۝ ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما
انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد
ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ۝ الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ۝ الحق من ربك فلا
تكونن من الممترين ۝ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اين ما تكونوا
يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ۝ ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ۝ ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا
يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم
نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ۝ كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ۝ فاذكروني اذكركم واشكروا
لي ولا تكفرون ۝

القراءة بشاء الي بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون بشاء ولي بقلب الثانيه واوا وبردي الخزاعي وابن شنبود عن اهل مكة بشاء الي بقلب الاولي واوا لرهوف مهموزا مشبعا ابن كثير وابو جعفر ونافع وابن عامر وحفص والمفضل والبرجمي وقرا يزيد بتليين الهمزة والاشباع الباقون لروف علي وزن لرعف يعملون ولبي بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف وعاصم وابو عمرو ويعقوب الباقون بالتاء موليها بالالف ابن عامر الباقون بالياء وكسر اللام يعملون ومن حيث بيا المغايبة ابو عمرو الباقون بالتاء لئلا مدغمة غير مهموزة عن ورش وابن كثير وحمزة وعلي وخلف ويعقوب مدغما مهموزا الباقون مهموزا والاختيار عن يعقوب وهشام الاظهار فاذكروني بفتح الياء ابن كثير

الوقوف عليها ط والمغرب ط مستقيم ه شهيدا ط عقبيه ط هدي الله ط ايمانكم ط رحيم ه في السماء ج لان الجملتين وان اتفقتا فقد دخلت الثانيه حرفا توكيد يختصان بالقسم والقسم مصدر ترضيها لا لان فاء التعقيب لتعجيل الموعود الحرام شطره من ربهم يعملون قبلتك قبلتهم وكلاهما لتفصيل الاحوال مع اتحاد المقصود قبلة بعض ط من العلم لا لان جواب معنى القسم في لئن فلو فصل كان وصف الظلم مطلقا وفي الاطلاق خطر الظالمين لانه لو وصل صار صفة وهو مبتدا في مدح عبد الله بن سلام واصحابه ابناءهم ط يعلمون ه الممترين ه الخيرات ط جميعا ط قدير ه الحرام ط من ربك ط يعملون ه الحرام لا لان حيث متضمن للشرط شطره لا لتعلق لام كي حجة قد قيل تحرزا عن اثبات الحجة بعد النفي والوصل في العربية اوضح ولا منافاة لان المراد من الحجة الخصومة وبيان الحق لابا في الخصومة تهتدون لا اذ علق كما ارسلنا بما قبله ووقف على تعلمون وان علق بما بعده وقف على تهتدون دون تعلمون ولا تكفرون

التفسير هذه شبهة ثانية من اهل الكتاب طعنا في الاسلام قالوا النسخ اما للجهل او التجهيل لان الامر ان كان خاليا عن القيد كفى فعله مرة واحدة

فلا يكون ورود الامر بعده على خلافه ناسخا له وان كان مقيدا بالدوام فكذلك وان كان مقيدا بالدوام فان كان الامر يعتقد دوامه ثم رفعه كان جهلا وبداء وان كان عالما بلا دوامه كان تجهيلا وكل هذه من الحكيم قبيح ثم انهم حصروا هذه الصورة بمزيد شبهة وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح وهبها لا مصلحة فان الجهات متساوية وهذا دليل على ان التعيين ليس من عند الله قال القفال لفظ سيقول وان كان للاستقبال لكنه قد يستعمل في الماضي كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض اعدائه فيقول انا اعلم انهم سيطعنون في كانه يريد انه اذا ذكر مرة فيذكرونه مرة اخرى ويؤيد ذلك ما ورد من الاخبار انهم لما قالوا ذلك نزلت الاية والمشهور ان الله تعالى اخبر عنهم قبل ان ذكروا هذا الكلام انهم سيذكرونه وفيه فوائد منها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها ان مفاجاة المكروه اشد مما اذا وطن النفس له ومنها ان الجواب العتيد اقطع للخصم وقبل الرمي يراش السهم والسفهاء الخفاف الاحلام واذا كان من لا يميز بين ماله وعليه في امر دنياه يعد سفيها شرعا فالذي يضيع امر اخرته اولى بهذا الاسم عن ابن عباس ومجاهد هم اليهودية وذلك انهم كانوا يانسون بموافقة النبي صلى الله عليه وسلم اياهم في القبلة فلما تحول استوحشوا لا سيما وانهم لا يرون النسخ وعن البراء بن عازب والحسن والاصم انهم مشركو العرب قالوا رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها وليرجعن الى ديننا ايضا ولما الرجوع الى موافقتنا ولو ثبت عليه اولا كان اولى به وقيل هم المنافقون ذكروا ذلك استهزاء من حيث ان يميز بعض عن بعض ليس له دليل معقول فحملوا الامر على العبث والعمل بالراي والتشهي والاقرب ان يكون الكل داخلا فيه لان الاعداء جبلته على الغيظ وطلب التشفي فاذا وجدوا مجالا لم يتركوها فلا بد ماصرفهم استفهموا على جهة التعجب والاستهزاء عن قبلتهم التي كانوا عليها القبلة بيت المقدس وضمير الجمع للرسول والمومنين هذا هو المجمع عليه عند المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل ان يعود الضمير في كانوا الى السفهاء اي ما الذي صرف الرسول والمومنين عن القبلة التي كان السفهاء عليها فانهم كانوا لا يعرفون الا قبلة اليهود وهي المغرب وقبلة النصارى وهي الى المشرق فكانهم قالوا بتوجه احد الى غيرهما من الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله قل لله المشرق والمغرب اي بلادهما والارض كلها والجهات باسرها ملكا وملكا ثم اكد ذلك بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو القبلة التي اقتضت الحكمة في هذا الزمان توجيه الناس اليها ويحتمل ان يراد الطريقة المودية الى سعادة الدارين فيشمل القبلة وغيرها وحاصل الجواب بعد ما مر في اية النسخ انه تعالى فاعل لما يشاء لا اعتراض لاحد عليه كما لا اعتراض على من يتصرف في ملكه كما يريد وان افعاله تعالى لا تخلو عن غرض وان كانت لا تخلو عن فائدة وحكمة كما سبق وكثير منها حتى لا يهتدي عقول البشر الى تفاصيل حكمها لكنهم يستنبطون بحسب افهامهم لبعضها وجوها مناسبة اما تعيين القبلة في الصلاة فالحكمة فيه ان للانسان قوة عقلية تدرك المجردات والمعقولات بها وقوة خيالية يتصرف بها في عالم الاجسام وقلما ينفك القوة العقلية عن الخيالية واعانتها كالمهندس يضع في ادراك احكام المقادير صورة معينة وشكلا معينا ليصير الحس والخيال معينين له على ادراك تلك الاحكام الكلية وكالذي يراد ان يثني على ملك مجازي فانه يستقبله بوجهه ثم يستقبله والثناء والخدمة فاستقبال القبلة في الصلوة يجري مجرى كونه مستقبلا للملك والقراءة والثناء يجري مجرى الثناء عليه والركوع والسجود جاريان مجرى الخدمة وايضا الخشوع في الصلوة لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات دنيا في ذلك الا اذا بقي في جميع صلوته مستقبلا لجهة واحدة على التعيين واذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الاوهام فاستقباله اولى وايضا انه تعالى يحب الموافقة والالفة بين المومنين وقد من عليهم بذلك واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ولو توجه كل مصل الى اي جهة تتفق مظنة الاختلاف فلم يكن بد من تعيين جهة ليحصل الاتفاق وايضا كانه تعالى يقول يا مومن انت عبدي والكعبة بيتي والصلاة خدمتي وقلبك عرشي والجنة دار كرامتي فاستقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك الي اتبوك دار كرامتي وايضا اليهود استقبلوا مغرب الانوار وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر والنصارى استقبلوا مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمومنون استقبلوا مظهر الانوار وهو مكة فمنها محمد ومنه خلق الانوار ولاجله دار الفلك الدوار وايضا المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة عيسى وما بينهما قبلة ابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم

وخير الامور اوساطها وايضا الكعبة سرة الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط
بالوسط اولى الطيبات للطيبين وايضا العرش قبلة الحملة والكرسي قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة
قبلة المؤمنين والحق قبلة المتحيرين فاينما تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسي من الدر
والبيت من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سينا وزيتا وجودي ولبنان وحراء كانه قال ان كان عليك مثل
هذه الجبال فاتيت الكعبة حاجا او معتمرا او توجهت نحوها مصليا الصلوات الخمس غفرتها لك وايضا لما كان بناء هذا
البيت سببا لظهور دولة كان رغبتهم كان في توجهها اشد وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا قدوتكم
الى القبلة وينكسر ذلك قلوب المسلمين فان بل تشويشهم وايضا الكعبة منشأ محمد صلى الله عليه وسلم فتعظيمها يقتضي
تعظيمه وتعظيمه مما يعين على قبول اوامره ونواهيه فبمقدار حشمة المرء يكون قبول قوله فهذه هي الوجوه المناسبة
والوجه الاقوى هو الذي ذكره الله تعالى في قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن
ينقلب على عقبيه قوله وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه وفي الاسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى معنى يهدي
اي كما انعمنا عليكم بالهداية كذلك انعمنا عليكم بان جعلنا او كما هديناكم الى اوسط القبل جعلناكم امة وسطا وقيل عائد
الى قوله ولقد اصطفيناه اي كما اصطفينا ابراهيم في الدنيا جعلناكم وقيل ينصرف الى قوله ولله المشرق والمغرب
اي كما خصصنا بعض الجهات المتساويات بمزيد التشريف والتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا جعلناكم
مختصين بالعدالة برلطفنا وامتنانا مع تساوي الخلق في العبودية وقيل قد يذكر ضمير الشيء وان لم يكن المضمر مذكورا
اذا كان المضمر مشهورا معروفا مثل انا انزلناه في ليلة القدر ثم من المشهور المعروف عند كل احد انه سبحانه هو القادر
على اعزاز من يشاء واذلال من يشاء فالمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب الذي لا يقدر عليه احد غيري جعلناكم امة وسطا
الجوهري يقال جلست وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم وكل موضع صلح فيه
بين فهو وسط وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك قال والوسط من كل شيء اعدله وشيء وسط اي بين الجيد
والردي وامة وسطا اي عدلا قال زهير شعر هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا انزلت احدى الليالي بمعظم
وذلك ان العدل متوسط في الاخلاق بين طرف الافراط والتفريط ولهذا ذكره الله تعالى في معرض المدح والامتنان
وقيل الوسط الخيار لانه يستعمل في الجهات قال في الكشاف والتركيب بمكة حمل اعرابي فقال اعطني من وسطانهن
اراد من خيار الدنانير ويؤيده في قوله تعالى في موضع اخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما اطلق الوسط على الخيار
لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والعيب والاوساط محمية محوطة وقيل المراد بالوسط ههنا انهم متوسطون في
الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في شأن الانبياء كالنصارى حيث جعلوا النبي ابنا والها ولا كاليهود حيث
قتلوا الانبياء وبدلوا الكتب ولان الوسط في الاصل اسم وصف به استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
لتكونوا شهداء على الناس الاكثرون على ان هذه الشهادة في الاخرة اما بان يكون شهداء للانبياء على اممهم
الذين يكذبونهم يروى ان الامم يجحدون تبليغ الانبياء يوم القيمة فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا
وهو اعلم فيؤتى بامة محمد فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق
على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قلت والحكمة في ذلك تمييز امة محمد صلى الله
عليه وسلم في الفضل عن سائر الامم حيث يبادرون الى تصديق الله تعالى وتصديق جميع الانبياء والايمان
بهم جميعا فهم بالنسبة الى غيرهم كالعدل بالنسبة الى الفاسق فلذلك يقبل شهادتهم على الامم ولا يقبل شهادة
الامم عليهم وانما سمي هذا الاخبار شهادة لقوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد والشيء
الذي اخبر الله تعالى عنه معلوم مثل الشمس فيصح الشهادة عليه واما بان يشهدوا على الناس باعمالهم التي
خالفوا الحق فيها قال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والنبيون
ويكون الرسول عليكم شهيدا وامة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة لتكونوا شهداء على الناس ويوم تقوم
الاشهاد والجوارح يوم تشهد عليهم السنتهم وارجلهم وقيل ان هذه الشهادة في الدنيا وذلك ان الشاهد

في عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ مخصوصة على جهات فكل من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه
فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان تكون موقوفة على الاخرة لان عدالتهم في الدنيا ثابتة بدليل جعلنا
بلفظ الماضي فلا اقل من حصولها في الحال ثم يترتب كونهم شهداء على عدالتهم فيجب ان يكونوا شهداء في الدنيا
فان قيل لعل التحمل في الدنيا ولكن الاداء في الاخرة قلنا المراد في الاية الاداء لان العدالة انما تعتبر في الاداء لا في التحمل
ومن هنا يعلم ان اجماعهم حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق في نفسه بل بمعنى ان هيئتهم الاجتماعية يقتضي كونهم محقين
وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان يحصل مع ذلك لهم الشهادة في الاخرة فيجري الواقع منهم في الدنيا مجرى
التحمل لانهم اذا بينوا الحق عرفوا عنده من القابل ومن الراد ثم يشهدون بذلك يوم القيمة كما ان الشاهد على العقود يعرف ما
الذي تم وما الذي لم يتم ثم يشهد بذلك عند الحاكم او يكون المعنى لتكونوا على هداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح
الا بشهادة العدول والاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم وانما قدمت صلة الشهادة
في الثاني لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم فقط فنفي صلة الشهادة في مركزها والغرض في الاخر
اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم فانها نقلت عن مركزها لتفيد الاختصاص وانما لم يقل لكم شهيدا مع ان
شهادته لهم لا عليهم لانه ضمن معنى الرقيب مثل والله على كل شيء شهيد مع رعاية الاختصاص وانما لم يقل شهداء
على الناس في الدنيا لان قولهم يقتضي التكليف اما بفعل او بقول وذلك عليهم لا لهم في الحال قيل الاية متروكة
الظاهر لان وصف الامة بالعدالة يقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وليس كذلك فلا بد من حملها على البعض فنحن نحملها
على الائمة المعصومين سلمناه لكن الخطاب في جعلناكم للموجودين عند نزول الاية خطاب من لم يوجد محال فالاية
تدل على ان اجماع اولئك حق لكنا لا نعلم بقاء جميعهم باعيانهم الى ما بعد وفاة الرسول فلا يثبت صحة الاجماع وتقديرنا
ذلك لكن المراد بالعدالة اجتناب الكبائر فقط فيحتمل ان الذي اجمعوا عليه وان كان خطأ لكنه من الصغائر فلا يقدح ذلك
في خيريتهم وعدالتهم واجيب بان حال الشخص في نفسه غير حاله بالقياس الى غيره فلم لا يجوز ان لا يكون الشخص
مقبول القول عند الانفراد ويكون مقبولا عند الاجتماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الاية الى قيام الساعة
كما في سائر التكاليف مثل كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فللموجودات بالذات وللباقين بالتبعية
لكنا اعتبرنا اول الامة واخرها بالاشتراك لزالت فائدة الاية اذ لم يبق بعد انقضائها من تكون الاية حجة عليه
فعلمنا ان المراد به اهل كل عصر ثم ان الله تعالى من على هذه الامة بان جعلهم خيارا اوعدولا عند الاجتماع فلو
امكن اجتماعهم على الخطأ لم يبق بينهم وبين سائر الامم فرق في ذلك فلا منة وما جعلنا يريد الجعل بمعنى الشرع
والحكم التي صفة موصوف محذوف هو ثاني مفعولي جعل اي وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اي كنت
معتقدا لاستقبالها كقولك الشافعي على كذا وفي الجهة وجهان الاول ان هذا الكلام بيان الحكمة في جعل
الكعبة قبلته وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى بيت المقدس بعد الهجرة
تألفا لليهود وامتحانا للذين اتبعوه بمكة ثم حوله الى الكعبة اختبارا ثانيا اي ما رددناك الى الجهة التي كنت عليها
اولا الا امتحانا للناس وابتلاء الثاني انه بيان للحكمة في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل
الكعبة وان استقبال بيت المقدس كان امرا عارضا لغاية هي ان يمتحن الناس وينظر من يتبع الرسول ومن
لا يتبعه واللام في لنعلم ليست لاجل الغرض وانما هي لتقرير الحكمة والفائدة التي تستتبعها الجعل فان قيل
كيف تعلم ولم يزل عالما بذلك فالجواب ان معناه ليعلم حزبنا من النبي والمؤمنين كما تقول فتحنا البلد وانما فتحه
جنده او لنعلمه موجودا حاصلا وهو العلم الذي يتعلق به الجزاء ولا يلزم ان يحدث لله علم فان العلم الازلي بالحادث
الفلاني في الوقت الفلاني غير متغير وانما هو قبل حدوث الحادث كهو حال حدوثه وبعد حدوثه وانما جاء بالمضي
والاستقبال من ضرورة كون الحادث زمانيا وكون كل زماني مكتنفا بين سابق ولاحق فاذا نسبت العلم
الازلي الى الزمان السابق قلت سيعلم الله واذا نسبت الى زمانه قلت يعلم واذا نسبت الى الزمان اللاحق قلت
سيعلم الله واذا نسبت الى زمانه قلت يعلم واذا نسبت الى الزمان اللاحق قلت قد علم فجميع هذه التغيرات
انبعثت من اعتبارك وعلم الله واحد فافهم او لنميز التابع من الناكص كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب

فسمي التمييز علما له احد فوايد العلم ثم انه اولنري كما يستعمل في الرؤية مكان العلم وعن الفراء ان حدوث
العلم في الاية راجع الي المخاطبين ومثاله ان جاهلا وعاقلا اجتمعا فيقول الجاهل الحطب تحرق النار ويقول العاقل
بل النار تحرق الحطب وسنجمع بينهما لنعلم ايهما تحرق صاحبه معناه لنعلم ايها الجاهل وهذا من الكلام المنصف
مثل انا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله ممن ينقلب استعارة للكفر والارتداد كانه يرجع
الي حيث اتي ثم ان هذه المحنة حصلت بسبب تعيين القبلة او بسبب تحويلها من الناس من قال بالاول لانه
صلي الله عليه وسلم كان يصلي الي الكعبة فلما جاء الي المدينة صلي الي بيت المقدس فشق ذلك على العرب من
حيث انه ترك قبلتهم ثم اذا تحول الي الكعبة شق ذلك على اليهود والاكثرون على الثاني لان الشبهة في امر
النسخ اعظم منها في تعيين القبلة عن ابن جريج انه قال بلغني انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا مرة ههنا ومرة
ههنا لو كان يقينا من امره ما تغير وعن السدي لما توجه الي الكعبة اختلفوا قال المنافقون ما بالهم كانوا على
قبلة ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس وقال اخرون
اشتاق الي بلد ابيه ومولده وقال المشركون تحير في دينه وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها اللام الفارقة
بينها وبين ان النافية وينبها للتخفيف بالدخول على الافعال لكن البصريين اوجبوا كون الفعل الذي دخلت هي عليه
من باب كان او علمت ويبطل عمل ان في الظاهر وكذا في التقدير فلا يقدر ضمير الشان كما يقدر في ان المفتوحة
اذا خففت فقوله لكبيرة خبر كانت واسمها الضمير العايد الي القبلة لانها هي المذكورة اولي ما دل عليه الكلام السابق
من التولية في ما ولاهم او الجعلة او الردة او التحويلة في وما جعلنا ومعنى لكبيرة لثقيلة شاقة مستنكرة كقوله
كبرت كلمة تخرج من افواههم وذلك ان الامتحان ان وقع بنفس القبلة فالفطام عن المالوف شديدة والاعراض عن طريقة
الاباء والاسلاف عسير وان وقع بالتحويل فهو مبني على جواز النسخ وفيه لما فيه من الشبه والاشكال فيصعب
اعتقاد حقيقته الا على الذين هدى الله الراجع محذوف اي هداهم الله على الثبات على دين الاسلام بان نصب
لهم الدلايل ثم جعلهم متفقين بها ثابتا والا فالدلالة عامة للكل وما كان الله ليضيع ايمانكم الخطاب للمؤمنين العام
واللام لتاكيد النفي الداخل في كان ينتصب المضارع بعدها بتقدير ان اي لن يضيع الله ثباتكم على الايمان
وانكم لم تزالوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب الجزيل عن الحسن وقال ابن زيد ما كان الله ليترك تحويلكم
من بيت المقدس الى الكعبة لعلمه بان تقريركم على ذلك مفسدة لكم واضاعة لصلواتكم اي لثوابها اطلق الايمان
على الصلوة لانها اعظم اثار الايمان واشرف نتايجه او لان المراد لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك الصلوة وعن
ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم
يصلون الي بيت المقدس فنزلت وانما خوطبوا تغليبا للاحياء مثل واذ قتلتم نفسا واذ فرقنا بكم البحر والمراد اهل ملتهم
وليس هذا السوال من الشك في حقية النسخ في شي وانما هو لاجل الاطمينان وبرد اليقين ولانهم انما خصوا
السوال بالاموات لانهم ظنوا انفسهم مستغنين عن ذلك حيث يقع صلواتهم الي الكعبة بقية عمرهم مكفرة
لما سلف منهم فاجيبوا بما يخرج عنه جواب الاموات والاحياء جميعا فان المنسوخ حق في وقته كما ان الناسخ حق
صادرا عن منافق فنبه الله المسلمين على الجواب وقيل بل المعنى وفقكم لقبول هذا التكليف لئلا يضيع ايمانكم فانهم
لو ردوا هذا التكليف لكفروا ۝ عجيب عن الحجاج انه قال ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله
ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم
ان الله بالناس لرءوف رحيم ۝ الجوهري الرافة اشد الرحمة وقد رافت به اروف بالضم فيهما رافة ورافت ورافت به
اراف بالفتح فيهما ورؤفت بالكسر رافا والصفة رؤف ورءوف على فعول وفعل وقيل الرافة مبالغة في رحمة خاصة
هي دفع المكروه وازالة الضر ولا تاخذكم بهما رافة والرحمة اسم جامع خصص اولا ثم عمم والمراد ان الرؤف الرحيم
كيف يتصور منه الاضاعة او كيف لا ينقلكم من شرع الي شرع هو اصلح لكم وانما هدى لانه بالناس
رؤف رحيم فمن كان اقبل للفيض كان الاثر عليه اظهر وقوله عز من قائل قد نرى معناه كثرة الرؤية ههنا وان كان في

الاصل للتقليل قال شعر قد اترك القرن مصفرا انامله كان اثوابه مجت بفرصاد كما ان رب في الاصل للتقليل ثم
قد يستعمل في معنى التكثير كقوله شعر فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ووجه ذلك ان المادح
يستقل الشي الكثير من المدايح لان الكثير منها كانه قليل بالنسبة الي الممدوح ومثله قد يعلم الله فان الممتدح بكثرة
العلم يقول لا ينكر اذا عرف شيا من العلم تقلب وجهك تردد نظرك في السماء وذلك لانتظار تحويل القبلة بيت
المقدس الي الكعبة عن ابن عباس انه قال يا جبريل وددت ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود فقد كرهتها فقال
له جبريل عليه السلام انا عبد مثلك فسال ربك فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يديم النظر الي السماء رجاء مجي جبريل
بما سال فنزلت وانما احب ذلك لان اليهود كانوا يقولون انه يخالفنا ثم انه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل ولان
الكعبة كانت قبلة ابيه ابراهيم ولان ذلك ادعى العرب الي الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولانه احب ان
يحصل هذا الشرف للمسجد الذي في بلدته ومنشاته ولا يبعد ان يميل طبعه الي شي ثم سنتي في قلبه اذن الله فيه
وقيل انه استاذن جبريل في ان يدعو الله تعالى فاخبره بان الله تعالى قد اذن له بالدعا فكان في السماء ينتظر
مجي جبرايل للاجابة وعن الحسن ان جبرايل اخبره بان الله تعالى سيحول القبلة عن بيت المقدس من غير
تعيين للمحول اليها ولم يكن قبلة احب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة فكان ينتظر الوحي بذلك وعلى
هذا فقيل منع من استقبال بيت المقدس ولم يعين له القبلة فكان يخاف ان يدخل وقت الصلوة ولا قبلة له فلذلك
كان يقلب وجهه عن الاصم وقيل بل وعد بذلك وقبلة بيت المقدس باقية بحيث يجوز الصلوة اليها لكن لاجل الوعد
كان يقلب طرفه وهذا اولي والا لم يكن القبلة ناسخة للاولى بل كانت مبتداة لكن المفسرين اجمعوا على انها
ناسخة للاولى ولانه لا يجوز ان يؤمر بالصلوة الا مع بيان موضع التوجه واختلف في صلوته بمكة فقيل كان
يصلي الي الكعبة فلما صار الي المدينة امر بالتوجه الي بيت المقدس سبعة اشهر او عشرة اشهر او ثلثة عشر
او ستة عشر او سبعة عشر وهو الاكثر او ثمانية عشر او سنتين اقوال وقيل بل كان بمكة يصلي الي بيت المقدس
الا انه يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس واختلف ايضا في ان توجه بيت المقدس بعد الاتفاق على انه
منسوخ هل كان فرضا لا يجوز عليه غيره او كان النبي صلى الله عليه وسلم مخيرا في توجهه اليه وفي غيره فعن
الربيع ابن انس انه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب الاية ولما هو اي انه توجه قصدوا من المدينة الي مكة
للبيعة قبل الهجرة فتوجه بعضهم لصلوته الي الكعبة وبعضهم الي بيت المقدس فلما قدموا سالوا النبي عن
ذلك فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس ان ذلك كان فرضا لقوله فلنولينك قبلة ترضاها فدل على انه ما
كان مخيرا بينها وبين الكعبة ومعنى فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولهم وليته
كذا جعلته واليا له اي فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك
الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله تعالى وحكمته وعن الاصم كل جهة وجهك الله يجب ان يكون رضي
لا يسخطها كما فعل من انقلب على عقبيه وقيل ترضى عاقبتها لانك تميز بها الموافق عن المنافق فول وجهك اي
كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل القبلة بجملته لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف
الاعضا وبه يتميز الاشخاص وشطر المسجد الحرام اي نحوه وجهته قال جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين
ومن بعدهم وعن بعضهم ان الشطر نصف الشي والكعبة واقعة من المسجد في النصف من جميع الجوانب فاختير
هذه العبارة ليعرف ان الواجب هو التوجه الي نقطة الكعبة وهي تقع بالوسط بين النصفين وبين المنتصف و
المكلف مامور بالثاني دون الاول عن ابن عمر بينما الناس بقبا في صلوة الصبح اذ جاءهم ات فقال ان النبي صلى الله
عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قران وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الي الشام
فاستداروا الي الكعبة وفي الموطا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قدم المدينة ستة عشر شهرا
نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين واختلفوا في المراد بالمسجد الحرام ففي شرح السنة عن
ابن عباس انه قال البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل الشرق والغرب
وهذا قول مالك ۝ وقال اخرون القبلة هي الكعبة لما اخرج في الصحيحين عن ابن جريج عن عطا عن ابن عباس

قال اخبرني اسامة قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد وردت اخبار كثيرة في صرف القبلة الى الكعبة كما قلنا في حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة وقال اخرون القبلة هي المسجد الحرام واعلم ان الواجب عند الشافعي في اظهر قوليه ان يستقبل المصلي عين الكعبة قريبا كان او بعيدا لظاهر قوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولقوله صلى الله عليه وسلم هذه القبلة مشيرا به الى العين ولان تعظيم الكعبة من النبي صلى الله عليه وسلم بلغ مبلغ التواتر دون منيف صحة الصلوة وهي من اعظم شعائر الدين على استقبال عين الكعبة مما يوجب مزيد شرف الكعبة فوجب ان يكون مشروعا ولان كون الكعبة قبلة امر معلوم وغيره مشكوك فيه فالاخذ بالمعلوم احوط واما عند ابي حنيفة ويوافقه القول الاخر للشافعي فمحاذاة جهة الكعبة كافية لان في استقبال عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد ولان في ذكر المسجد الحرام دون الكعبة دلالة على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ولان شطر الجانب واكتفي به في الاية ولان اهل قبا استداروا الى الكعبة في اثناء الصلوة في ظلمة الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة حيث انها تحتاج الى النظر الدقيق لم يتات حينئذ ثم لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم وسمي مسجدهم بذي القبلتين ولان استقبال عين الكعبة لو كان واجبا ولا سبيل اليه الا بالدلائل الهندسية فانها هي المفيدة لليقين وغيرها من الامارات لا يفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفاء بالظن وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب لزم ان يكون تعلم تلك الدلائل واجبا ولم يذهب اليه احد والانصاف ان القول الاول اقرب الى التعبد واصابة العين غير بعيد فانا نقطع في الارض ولا في السماء الا ويمكن ان يوصل بينهما بخط والغرض ان يكون المصلي ساجدا على قوس من عظيمة ارضية مارة بقدميه وموضع سجوده ووسط البيت بشرط ان يكون القوس اقل من الدور وغير عسير معرفة هذا القدر بالدائرة الهندية وغيرها من الطرق المشهورة بين اهل الهيئة وقد برهنا على كثير منها في كتبنا النجومية وذكرها ههنا خروج عن الصناعة مع ان المتعلم لا ينتفع بها دون مقدماتها ولمعرفة القبلة امارات اخر قد يستعين بها المتحير وهي اما ارضية وهي اما الجبال والقرى والانهار وهوائية والرياح او سماوية وهي النجوم اما الارضية والهوائية فغير مضبوطة لكن ربما يكون في الطريق جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او قدامه او خلفه وكذلك الرياح قد يهب في بعض النواحي من موضع معين واما السماوية ففي النهار لابد ان يراعي قبل الخروج من البلد الشمس وعند الزوال هي بين الحاجبين ام على العين اليمنى ام على اليسرى ام تميل ميلا اكثر من ذلك فان الشمس في البلاد الشمالية قلما تعدو هذه المواقع وكذلك يراعي وقت العصر ويعرف وقت الغروب انها تغرب عن يمين المستقبل او هي مائلة الى وجهه او قفاه وكذلك يعرف وقت العشاء الاخرة موضع الشفق ووقت الصبح مشرق الشمس ويحتاط مشرق الصيف والشتاء ومغربهما وبالليل يستدل بالكوكب الذي يقال الجدي فيعرف انه على قفا المستقبل او على منكبه الايمن او الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية منها بخلاف ذلك فاذا عرف هذه الدلائل في بلده فليعول عليها في الطريق كله الا اذا طال السفر اذا انتهى الى بلد سال اهل البصيرة او يراقب هذا الكوكب وهو يستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل بها في ساير طريقه ومعرفة دلايل القبلة فرض العين ام فرض الكفاية اصح الوجهين في مذهب الشافعي الاول كاركان الصلوة وشرايطها قوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ليس بتكرار لان الاول خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا خطاب للامة ولان الامة قد دخلت في الاول تبعا واحتمل ايضا ان يكون الخطاب مختصا باهل المدينة وفي الثاني عم المكلفين جميعا في بقاع الارض واعلم ان الاستقبال يتوقف على مستقبل ومستقبل هو القبلة ولابد من حالة يقع فيها الاستقبال فلنتكلم في هذه الاركان الثلاثة على الاجمال وتفصيل ذلك في كتب الفقهية

الركن الاول الحالة وهي الصلوة للاجماع على ان الاستقبال خارج الصلوة غير واجب ولا كان طاعة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة والصلوة اما فريضة ويتعين الاستقبال فيها الا في حال الخوف واما نافلة ويجب الاستقبال فيها الا في حالة الخوف وفي السفر راكبا كان او ماشيا متوجها الى طريقه لما روي ان ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في السفر على راحلته حيث توجهت به ويحكى عن احمد خلاف

جميع

في الماشي وكذا عن ابي حنيفة ومحل يجب على المتنفل ان يستقبل القبلة عند التحرم الاصح نعم ان سهل بان لم يكن مقطورة او لا حران بها والا فلا لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سافر واراد ان يتطوع استقبل القبلة بناقته وكبر ثم صلى حيث وجهه ركابه واما عدم الاشتراط عند الصعوبة فلدفع المشقة واختلال السير عليه واما الاستقبال عند السلام فالاصح انه لا يشترط كما في ساير الاركان الا الماشي فعليه الاستقبال في كل ركوع وسجود كما عليه الاتمام بخلاف الراكب فانه لا يكلف الاستقبال فيهما ولا وضع الجبهة في السجود على السرج والاكاف بل يقتصر فيهما على الايماء ويجعل السجود اخفض وليس للراكب التعاسيف الذي لا يقصد له رخصة تلك الاستقبال في التنفل

الركن الثاني المصلي اذا وقف في جوف الكعبة وهي على هيئتها مبنية صح صلوته كانت او نافلة خلافا لاحمد ومالك في الفريضة لنا انه صلى متوجها الى بعض اجزاء الكعبة فتصح صلوته كالنافلة كما لو توجه اليها من خارج ثم يتخير في استقبال اي جدار شاء ويجوز ان يستقبل الباب ايضا ان كان مردودا وان كان مفتوحا فان كانت العتبة قدر موخرة الرحل صحت صلوته والا فلا وموخرة الرحل ثلثا ذراع الى ذراع تقريبا كانهم راعوا ان يكون في سجوده يسامت معظم بدنه الشاخص وان انهدمت الكعبة جاشناها ويبقى موضعها عرصة فان وقف خارجها وصلى اليها جاز لان التوجه الى هواء البيت ولو صلى في العرصة فالحكم كما لو وقف الان على سطح الكعبة فان لم يكن بين يديه شاخص من نفس الكعبة قدر موخرة الرحل فالاصح انه لا يجزيه خلافا لابي حنيفة وان كان المصلي خارج الكعبة فان كان حاضر المسجد الحرام وجب عليه لا محالة استقبال عين الكعبة بكل بدنه لانه قادر عليه والامام يقف خلف المقام مستقبلا والقوم يقفون مستديرين بالبيت والا فصلوة الخارجين عن محاذاة الكعبة باطلة الا عند من يرى الجهة كافية ولو تراخى الصف الطويل ووقفوا في اخريات المسجد صح صلوتهم لان البعيد يزداد محاذاته يبين ذلك اذا جعل البيت راس مثلث متساوي الساقين والصفوف خطا موازيا لقاعدته وان كان خارج المسجد فان كان يعاين القبلة سوى محرابه بنى على العيان ومن صلى ابدا ومحراب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة نازل منزلة الكعبة لانه لا يقر على الخطا فهو صواب قطعا ويتنزل ساير المحاريب عليه وفي معنى المدينة ساير البقاع التي هي جادتهم تعين التوجه اليها وكذلك في القرية الصغيرة التي نشاءها قرن من المسلمين ولابد من الاجتهاد في التيامن والتياسر ولما في محراب الرسول صلى الله عليه وسلم فلا ولا يجوز الاجتهاد في الجهة في شي من محاريب المسلمين لان الخطا منهم في الجهة بعيد بخلاف التيامن والتياسر ويقال ان عبد الله بن المبارك كان يقول بعد رجوعه من الحج تياسروا يا اهل مرو

الركن الثالث المستقبل اذا قدر على اليقين بالمعاينة او بامارات اخر فلا يجتهد ولا يقلد فان لم يجد فان وجد من يخبره عن علم وكان المخبر ممن يعتمد بقوله رجع الى قوله ولم يجتهد ايضا كما في الوقت اذا اخبره عدل عن طلوع ياخذ بقوله ولا يجتهد وكذلك في الحوادث اذا روى العدل خبرا يوخذ به وكل ذلك قبول الخبر من اهل الرواية وليس من التقليد في شي ويشترط في المخبر ان يكون عدلا يستوي فيه الرجل والمراة والحر والعبد ولا يقبل خبر الكافر بحال وكذا خبر الصبي غير المميز عند الاكثرين ثم الاخبار عن القبلة قد يكون صريحا وذلك ظاهر وقد يكون دلالة كما في نصب المحاريب في المواضع التي يعتمد عليها ولا فرق في لزوم الرجوع الى الخبر بين ان يكون الشخص من اهل الاجتهاد وبين ان لا فان لم يجد من يخبره عن علم فان قدر على الاجتهاد والاستدلال بمعرفة ادلة القبلة كما عددنا اجتهد ولم يقلد كما في الاحكام الشرعية ولو تعلم يلزمه القضاء ولا فرق في وجوب الاجتهاد ههنا بين الغايب عن مكة والحاضر بها اذا حال بينه وبين الكعبة حائل اصلي كالجبال او حادث كالابنية ولو خفيت الدلائل على المجتهد لغيم او حبس او تعارض صلى كيف اتفق بحق الوقت ويقضي وان عجز عن الاجتهاد فان لم يمكنه التعلم لعمى او لعدم البصيرة فالواجب عليه التقليد كالعامي في الاحكام والتقليد الغير هو قبول قول المستند الى الاجتهاد بعد ان كان المجتهد مسلما عدلا عارفا بادلة القبلة يستوي فيه الرجل والمراة والحر والعبد فان وجد مجتهدين مختلفين قلد من يشاء منهما والاحب ان يقلد الاوثق الاعلم عنده وان امكنه التعلم فليس له التقليد بناء على ان تعلم الادلة فرض العين فان قلد قضى وان ضاق الوقت عن التعلم صلى بحق الوقت وقضى ثم المجتهد ان بان له الخطا يقينا او كان دليل الاجتهاد الثاني ارجح ولم يشرع بعد في الصلوة عمل بمقتضى الثاني وان بان بعد الفراغ من الصلوة فان تيقن الخطا قضى على الاصح وان ظن لم يقض وان تغير الاجتهاد في

فرضا

اثنا الصلاة اعرف ديني فهذه هي المسائل المستنبطة من الاية ذكرناها لانها من اهم مهمات الدين وان الذين اوتوا الكتاب يعني احبار اليهود وعلماء النصارى بعموم اللفظ ولشمول الكتاب التورية والانجيل ولكن يجب ان يكونوا اقل من عدد اهل التواتر ليصح عنهم الكتمان وعن السدي انهم اليهود خاصة والكتاب التورية والضمير في انه الحق اما للرسول اي انه مبعوث ونبوته حق يشتمل امر القبلة وغيرها اما لهذا التكليف الخاص وهو انسب بالمقام وذلك ان علماءهم عرفوا في كتب انبيائهم خبر الرسول وانه يصلي الى القبلتين هي البيت العتيق الذي جعله الله قبلة لابراهيم واسمعيل عليهما السلام وايضا انهم كانوا يعلمون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات وبالبشارات وكل ما اتى النبي فهو حق فهذا التحويل حق وما الله بغافل عما يعملون وعد للمتقين ووعيد للناكثين والمعاندين ثم بين استمرار اهل الكتاب على عنادهم فقال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وقيل هم جميع اليهود والنصارى لعموم اللفظ وقيل هم علماؤهم المذكورون في الاية المتقدمة لانهم وصفوا باتباع الهوى في قوله ولئن اتبعت اهواءهم ومجرد اتباع الباطل لا يكفي فيه بل الذين يعلمون بقلوبهم ثم من كون الحق في الظاهر فهم المتبعون للهوى ونوقش فيه بان كل صاحب شبهة صاحب هوى قالوا الاتيان المختفيان بهذه الاية مخصوصات بالعلماء منهم لان الجمع العظيم لا يجوز منهم الكتمان فكذا اهل هذه الاية واجيب بانه لا يلزم من تخصيصها تخصيصها فانا لو اخبر عنهم بالاصرار والاستمرار فهذا شان المعاند لحجج لاداة العامي والمقلد ورد بان المقلد ايضا قد يصر قالوا الحمل على العموم يكذبه الوجود فان كثيرا من اهل الكتاب امن بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبع قبلته ووجه بان المراد من قوله ما تبعوا قبلتك انهم لا يجتمعون على الاتباع كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وسلب الاجتماع لا ينافي اتباع البعض بكل اية بكل برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المحذوف ساد مسد الشرط واللام في ولئن موطئة للقسم اي والله لئن اتيتهم بكل برهان ما اجتمعوا قبلتك لان فيهم من ترك اتباعك للشبهة تزيلها بايراد الحجة الى هذا التاويل بل يكون ما تبعوا في قوة ما تبع احد منهم وما انت بتابع قبلتهم لتحرير النسخ وبيان ان هذه القبلة لا تصير منسوخة بالتوجه الى بيت المقدس حتما لاجماع اهل الكتاب فانهم طمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان صاحبنا الذي ننتظره وفيه انه لا يجب عليه استصلاحهم باتباع قبلتهم لان ذلك معصية وانما وحد القبلة للعلم بان لليهود قبلة وللنصارى قبلة اخرى او لانهما بحكم الاتحاد في البطلان واحدة وما بعضهم بتابع قبلة بعض ان حمل على الحال فالمعنى انهم ليسوا مجتمعين على قبلة واحدة حتى تتمكن من ارضاء باتباعها او انهم مع اتفاقهم على تكذيبك متباينين في القبلة فكيف يدعونك الى شيء يختلفون او انه اذا جاز قبلتان هما للمصلحة فلم لا يجوز ان يكون المصلحة في ثالث وان حمل على الاستقبال فالمعنى ان اليهود لا تترك قبلتها الى المشرق ولا النصارى الى المغرب بحيث يبطل احدى القبلتين لان اليهودي لا يصير نصرانيا او بالعكس فلذلك قد دفع اخبر الله تعالى عن تصلب كل حزب فيما هو فيه محقا او مبطلا ولئن اتبعت كلام على سبيل الفرض والتقدير لقرينة وما انت بتابع قبلتهم المعنى لئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح الدلائل وانكشاف جلية الامر في باب الديانة انك اذا اي اذا اتبعت لمن المرتكبين للظلم الفاحش لان صغائر الرجل الكبير كبائر فكيف بكبائره وفيه ان ترك العمل من العلماء اقبح وفيه لطف للنبي صلى الله عليه وسلم فان مزيد المحبة يقتضي التخصيص بمزيد التحذير ولعله كان في بعض الامور يتبع اغراضهم كترك المخاشنة في القول واستمالة قلوبهم طمعا منه في اسلامهم ومعاضدتهم فنهي عن ذلك القدر ايضا وايس منه بالكلية كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وفيه ارشاد للامة كالرجل الحازم يقبل على ابر اولاده واصلحهم فيزجرهم عن شيء بحضرة سائر الاولاد والغرض زجرهم واصلاحهم وانهم لا محالة يواخذون بالطريق الاولى لو خالفوه الذين اتيناهم الكتاب هم علماؤهم يعرفونه اي الرسول معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالمشخصات من النعت والنسب والقبلة والحسب ما وجدوه في كتبهم كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم واما مصدرية او كافة والغرض تشبيه عرفان تشخصه بعرفان اشخاص الابناء لا تشبيه العلم بنبوة الانبياء والا كان تشبيه المعلوم بالمظنون وعن عمر انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال اني لست اشك في محمد انه نبي واما ولدي فلعل والدته قد خانت فقبل عمر راسه وجاز اضمار الرسول وان لم يجر له ذكر لدلالة الكلام عليه

وفيه

وفيه تفخيم لشانه وانه معلوم بغير اعلام ولا يصح ان يقال المراد بالمعرفة معرفتهم الخاصة من قبل ظهور المعجزات على يده لان الابناء لا تفيد الا كونه نبيا وهم لا ينكرون ذلك وانما ينكرون كونه النبي المبعوث في كتبهم فرد الله تعالى عليهم ذلك فانهم وانما خص الابناء بالذكر لانهم اعرف واشهر وبصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق ولو تساويا في الذكر فاولى بالذكر وقيل الضمير للعلم او القران او تحويل القبلة وفي الكل تكلف يدفعه قوله ابناءهم وبيانه الحديث عن عبد الله بن سلام ولما كان من علمائهم العارفين باحوال النبي صلى الله عليه وسلم من امن به واظهر الحق وهو ما يجب القول به ويجب العمل بمقتضاه كعبد الله بن سلام واتباعه قال تعالى وان فريقا منهم يريد ما سوى المؤمنين منهم ليكتمون الحق الذي هو امر محمد صلى الله عليه وسلم او امر القبلة ثم اكد ذلك بقوله وهم يعلمون فانه لا يوصف بالكتمان الا من عرف المكتوم الحق من ربك ثم في اللام يكون وجهان العهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الحق الذي ليكتمون الحق والجنس على معنى الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما سواه كالذي عليه اهل الكتاب باطل فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في كون الحق من ربك وقد يجوز ان ينهى الشخص عما يعلم انه منه لئلا ما تقرر في قوله ولئن اتبعت اهواءهم ولكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والوجهة اسم للجهة ولذلك ثبت الواو كما قالوا ولدة في جميع الوليد الصبي وانما لا يجتمع مع الهاء في المصادر وقوله هو اما ان يعود الى الكل واما الى الله وثاني مفعولي موليها محذوف اي هو موليها وجهه والله موليها اياه ثم اختلف في التفسير فالمعنى فلكل اهل دين من الاديان المختلفة قبلة ووجهة اما بشريعة واما بهوى هو مستقبلها ومتوجه اليها لصلوته التي يتقرب بها الى ربه وكل يفرح بما هو عليه ولا يفارقه ولا سبيل الى اجتماعكم على قبلة واحدة ولستم تواخذون بفعل غيركم فانما لهم اعمالهم ولكم اعمالكم فاستبقوا الخيرات الدينية وهي الشرف والفخر بقبلة ابراهيم والاخروية وهي الثواب الجزيل المعد للمطيعين واينما تكونوا من جهات الارض يات بكم الله جميعا في صعيد القيامة فيفصل بين المحق منكم والمبطل والمصيب والمخطئ انه قادر على ذلك وقيل ان الله تعالى عرفنا ان كل واحدة من بيت المقدس والكعبة قبلة فالجهتان من الله تعالى وهو الذي ولى وجوه عباده اليهما فاستبقوا الخيرات بالانقياد لامره في الحالين ولا تلتفتوا الى مطاعن السفهاء فان الله جامعكم واياهم يوم القيامة فيحكم بينكم وقيل ولكل قوم منكم يا امة محمد جهة تصلي اليها جنوبية او شمالية شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات من الجهات المسامتة الكعبة واذا اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم للجزاء ويجعل صلواتكم واحدة كانها الى جهة واحدة لمحاذاة لجميع الكعبة ولقراءة ابن عامر مولاها معنيان احدهما انا ما وليته فقد ولاك والاخر زينت له تلك الجهة واحببت اليه وقيل لكل مخلوق قبلة فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت المعمور وقبلة الانبياء الذين قبلك بيت المقدس وقبلتك الكعبة بل قبلة جسدك هي وقبلة روحك انا وقبلتي انت عند المنكسرة قلوبهم لاجلي ثم ان الشافعي رضي الله عنه استدل بقوله تعالى فاستبقوا الخيرات على ان الصلوات في اول الوقت افضل وعند ابي حنيفة التاخير افضل احرازا لفضيلة الانتظار وليكثر الجماعة ولما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقال ابن مسعود ما رايت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على التنوير بالفجر واجيب بان الانتظار قبل مجيء الوقت لقوله صلى الله عليه واله وسلم يا علي لا تؤخرها الصلوة اذا اتت والجنازة اذا حضرت والايم اذا وجدت لها كفوا وان المراد بالاسفار والتنوير هو طلوع الفجر الصادق بحيث لا يشك فيه وذلك مما لا نزاع فيه وانما النزاع فيما اذا تحقق دخول الوقت ثم تكاسل المكلف وتكاسل او بقي اسباب الصلوة تشاغل ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت يا محمد فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور للحق الذي يجب ان يقبل ويعمل به حال كونه من ربك وما الله بغافل عما تعملون وعد للممتثلين ووعيد للمتغافلين واعلم ان امر التولية ذكره الله تعالى ثلث مرات وللعلماء في سبب التكرير اقوال اولها ان الاية الاولى محمولة على ان يكون المكلف حاضر المسجد الحرام وثانيها على ان يكون غائبا عنه ولكن يكون في البلد وثالثها على ان يكون خارج البلد في اقطار الارض فقد يمكن ان يتوهم المقرب من التكليف ما ليس للبعيد فازيل ذلك الوهم وثانيها انه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر وذلك انه اكد الاول بان اهل الكتاب يعلمون حقيقته بشهادة التورية والانجيل واكد الثاني باخبار الله تعالى عن

حقيقته وكفى به شهيدا والرابع الثالث غرض التحويل وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كما ان قوله فاي الاء ربكما
تكذبان وامثال ذلك حيث نيط بكل منها فائدة وثالثها ان الاية توهم ان التحويل انما فعل رضى للنبي وطلبا لهواه
حيث قال فلنولينك قبلة ترضاها فازيل الوهم بتكرير الامر وتعقيبه بقوله وانه للحق من ربك اي نحن ما حولنا
الى هذه القبلة بمجرد رضاك وهواك كقبلة اليهود المنسوخة التي لا يتبعون عليها بمجرد الهوى والتشهي ولكنه لحق
من ربك بعد انها وافقت رضاك وفي الثالثة بيان ان الغرض الرابعة ان الاولى لتعميم الاحوال والثالثة لتعميم
الامكنة والثانية لتعميم الازمنة اشعارا بانها لا تصير منسوخة البتة الخامسة الزم هذه القبلة فان التي
تهواها الزم هذه القبلة فانها قبلة الحق لا قبلة الهوى الزم هذه القبلة فانها ينقطع عنك جح الهوى بعد اقرب
من الثالث السادسة هذه الواقعة اولى الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرير لاجل
التاكيد والتقرير السابعة قلت الاية الاولى مشتملة على تكليف خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فلنولينك
قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ثم على تكليف عام له ولامته وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره
والاية الثانية ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام لاجل تكليف اخص وهو تكليف الالتفات
عما سوى الله الى الله وهو تكليف الصديقين وهو سنة خليل الرحمن صلوات الله عليه وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض ومما يؤيد هذا التاويل تعقيبه وانه بقوله للحق من ربك لم يستظهر على هذا الا انها ذة نفسه حتى
لم يبق الاهو وهو مقام الفنا في الله بخلاف الاولى فانها ذكرت بتها ذة الغير وايضا فتخصيصهما على امر النبي دون
الامة لان هذه المرتبة هي المسجد الحرام حرام لا يليق بكل احد جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد ويطلع
عليه الاواحد بعد واحد وايضا قدم على الاية قوله ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات فدل على ان الكون
بعد مرتبة السابقين ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ثم لما كان من المحتمل ان يظن ان التكليف الاخص ناسخ
للتكليف الخاص به والعام له ولامته وكرر الاية الاولى بعينها ليعلم ان حكمها باق بالنسبة الى عموم المكلفين والله
تعالى اعلم بحقائق الامور قوله لئلا يكون اي ولوا لاجل هذا الغرض قال الزجاج يتعلق بمحذوف اي عرفتكم لئلا يكون
للناس عليكم حجة والناس قيل للعموم وقيل هم اليهود كانوا بانه يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا ويقولون ما دري
محمد اين يتوجه للصلوة حتى هديناه وقيل هم العرب قالوا انه يقول انا على دين ابراهيم والان لما ترك التوجه
الى الكعبة فقد ترك دين ابراهيم وانما اطلق الحجة على قول المعاندين لان المراد بها المحاجة او سماها حجة تهكما
او طباقا او بناء على معتقدهم يسوقونها سياق الحجة وقد تكون الحجة باطلة قال تعالى حجتهم داحضة
عند ربهم فكل كلام يقصد به غلبة الغير حجة وعلى هذا فالاستثناء منصل والمراد بالذين ظلموا المعاندون
من اليهود القائلون بانه ما ترك قبلتنا الى الكعبة الاميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق لزم قبلة
الانبياء او بعض العرب القائلون بان محمدا عاد على ديننا في الكعبة فيعود الى ديننا بالكلية وقيل الاستثناء
منقطع وقيل الا بمعنى الواو وانشد شعر وكل اخ مفارقه اخوه ۞ لعمر ابيك الا الفرقدان ۞ يعني والفرقدان
واذا طعنوا في دينكم من غير ما سبب فلا تخشوهم فانهم لن يضروكم واخشوني واحذروا عقابي ان انتم علمتم
عما الزمتكم وفرضت عليكم على وفق مصلحتكم فعلى المرء ان ينصب بين عينيه في كل افعاله وتروكه
خشية الله ومقطع الرجاء والخوف عما سواه قوله ولاتم قيل معطوف على لئلا اي حولتكم الى هذه القبلة
لحكمتين احديهما انقطاع حجتهم والثانية اتمام النعمة بحصول شرف قبلة ابراهيم وقيل متعلق بمحذوف
معناه ولاتمامي النعمة عليكم واهتدائكم امرتكم بذلك وقيل معطوف على علة مقدرة كانه قال وا
خشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وهذا الاتمام لا ينافي ما انزل في اخر عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان الله تعالى في كل وقت نعمة على المكلفين ولها
اتمام بحسبها فهذا اتمام النعمة في امر القبلة وذلك تمام النعمة في امر الدين على الاطلاق وعن علي كرم
الله وجهه تمام النعمة الموت على الاسلام وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة كما ارسلنا ما مصدرية
او كافة ثم ان الجار والمجرور يتعلق بما قبله او بما بعده وعلى الاول قيل معناه ولاتم نعمتي ببيان الشرائع

واهديكم الى الدين اجابة لدعوة ابراهيم حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا كما ارسلنا فيكم
رسولا وعلى الثاني معناه كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني اذكركم تارة اخرى وفيه ان نعمه على العبد
لا ينقطع فكل نعمة سابقة فيستضمها اليها اخرى لاحقة حتى يكون له الفضل اولا واخيرا وبداية ونهاية وفي ارساله
فيهم ومنهم اي من العرب نعمة عظيمة عليهم لما لهم فيه من الشرف ولان المشهور من حال العرب الانفة الشديدة
من الانقياد للغير فبعثه الله تعالى من واسطتهم ليكونوا الى القول اقرب وكون القران متلوا من اعظم النعم
لانه معجزة باقية ولانه يتلى فيتادى به العبادات ولانه يتلى فيستفاد منه جميع العلوم ولانه يتلى فيوقف
على جميع الاخلاق الحميدة وفي تلاوته خير الدنيا والاخرة ومعنى التزكية وتعلم الكتاب والحكمة تقدم في
دعاء ابراهيم وفي قوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون تنبيه على انه تعالى ارسله على فترة من الرسل وجهالة من
الامم فتحير الناس في امر الديانة وعلمهم ما احتاجوا اليه في اصلاح معاشهم ومعادهم وذلك من اعظم انواع النعم
فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون تكليف امرين الذكر والشكر وقد مر ذكر الشكر في تفسير الحمد لله وقوله
ولا تكفرون عطف بالواو ليعلم ان جحود النعمة منهي عنه كما ان الشكر مامور به ولو قطع عليه بعضه فوله شعر
انى لله ايها حل لا تقتضن عندنا للاوهم ان المقصود بالذات هو الثاني والاول في حكم المجيء ويحتمل من حيث العربية ان تكون
لا نافية والنون ليست للوقاية ومحل الجملة النصب على الحال اي اشكروا لي غير جاحدين لنعمتي واما الذكر
فباللسان وهو ان يحمده ويسبحه ويمجده ويقرا كتابه او بالقلب وهو ان يتفكر في الدلائل على ذاته وصفاته وفي
الاجوبة عن شبه الطاغين فيها وفي الدلائل على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعيده
ليعمل بمقتضاها ثم يتفكر في اسرار المخلوقات متوسلا من كل ذرة الى موجدها او بالجوارح وهو ان يكون مستغرقا
في الاعمال المامور بها فارغة عن الاشتغال المنهي عنها وبهذا الوجه سمى الصلوة ذكرا فاسعوا الى ذكر الله واما
ذكر الله تعالى فلا بد ان يحمل على ما له تعلق بالثواب واظهار الرضى واستحقاق المنزلة والاكرام فالحاصل اذكروني
بطاعتي اذكركم برحمتي واذكروني بالدعا اذكركم بالاجابة اذكروني في الدنيا اذكركم في الاخرة اذكروني
في الخلوات اذكركم في الفلوات اذكروني في الرخا اذكركم في البلا اذكروني بالمجاهدة اذكركم بالهداية اذكروني
بالصدق والاخلاص اذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص اذكروني بالعبودية اذكركم بالربوبية اذكروني
بالفنا اذكركم بالبقا ۞

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ط إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۞
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ط بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ۞
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ط
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ لا قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞
أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ط وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۞

القراءات انا لله بالامالة قتيبة ونصير وانما جاز مع امتناعها في الحرف لكثرة استعمال كلمة الاسترجاع الوقوف
والصلوة ط والصابرين ۞ اموات ط تشعرون ۞ والثمرات ط الصابرين لا لان الذين صفتهم مصيبة لا لان قالوا جواب اذا راجعون ط
لان اولئك مبتدا على الاصح ومن ابتدا بالذين فخبره اولئك مع ما يتلوه ووقف على الصابرين ولم يقف على راجعون
المهتدون التفسير انه تعالى لما اوجب بقوله فاذكروني واشكروا لي جميع الطاعات ورهب بقوله ولا تكفرون عن
المنهيات فان الشكر بالحقيقة صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه الى ما اعطاه لاجله ندب على الاستعانة

على تلك الوظايف بالصبر والصلاة فالصبر قصر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى والصلوة اذا اشتملت على مواجب الخشوع والتذلل للمعبود والتدبر لايات الوعد فالصبر قصر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى والصلوة اذا اشتملت على مواجب الخشوع والتذلل للمعبود والتدبر لايات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب انجر ذلك الى اداء حقوق ساير الطاعات والاجتناب عن جميع الفواحش والمنكرات ان الله مع الصابرين بالنصر والتاييد ومزيد التوفيق والتسديد ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقيل الصبر الصوم وقيل الجهاد بدليل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي هم اموات بل هم احياء وعلى الوجه الاول كانه قيل استعينوا بالصبر والصلاة في اقامة ديني وسلوك فان احتجتم في ذلك الى مجاهدة عدوي باموالكم وانفسكم فتلفت فان قتلاكم احياء عندي من قتله محبتي فديته رويتي ثم ان اكثر المفسرين على انهم احياء في الحال فمن الجايز ان يجمع الله تعالى اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وانكان في حجم الذرة فترى منظر الشهيد ميتا فلا يحس به واليه الاشارة بقوله ولكن لا تشعرون ومما يويد هذا القول الايات الدالة على على اثبات عذاب القبر النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اغرقوا فادخلوا والفاء للتعقيب وقال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار ولم يزل ارباب القلوب يزورون قبور الشهداء ويعظمونها وقيل المعنى لا تسموهم بالاموات وقولوا انهم الشهداء الاحيا والمراد فقولوا احياء في الدين وانهم على هدى ونور من ربهم لا كالكافرين والمنافقين انهم ليسوا من الدين او لا تقولوا مثل ما تقول منكروا البعث انهم لا يبعثون وقد ضيعوا اعمارهم ولكنهم سيحيون ويثابون وينعمون في الجنة وعلى هذه الوجوه لا يبقى لتخصيص الشهدا بكونهم احياء فايدة ولهذا قوله مع المومنين ولكن لا تشعرون وقيل ان الثواب وكذا العقاب للروح لا للقالب لانه مدرك للجزئيات ايضا فلا يمتنع ان يتالم او يتلذذ ثم انه سبحانه يرد الروح الى البدن في القيامة الكبرى حتى يضم الاحوال الجسمانية الى الادراكات الروحانية عن ابن عباس الاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار الاية نزلت في شهدا بدر وعن كعب ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ارواح الشهداء في حواصل طير اخضر تعلق من ثمر الجنة اي تاكل ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من اداء حقوق الطاعات وتسلمون لامر الله وحكمه وتنقلبون على اعقابكم وتظهرون الجزع على استزداد ما يذكر فيه بعد المستعين امر اولا بالشكر على اكمال الشرايع ثم بالصبر على التكاليف الدينية ثم خص التثبت عند طروق النوايب وعروض المصايب ومعنى بشيء تقليل من نفعه الاشياء وايضا لو قال باشيا لاوهم ان من كل واحد من الخوف وغيره ضروبا وليبشر بهاد وقيل ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل هو بالنسبة اليه وفيه ان رحمته معهم في كل حال لانه الملهم واعلم ان كلما يلاقيك من مكروه ومحبوب فاذا خطر ببالك وهو قد مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان في الحال ذوقا ووجدانا لانها حالة يجدها من نفسها وان تعلق بالاستقبال وغلب خطوره على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب يسمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا سمي ذلك الارتياح رجاء واما الجوع فالمراد منه القحط لتعذر تحصيل القوت من عطا والربيع بن انس ان المراد بهذه المخاطبة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقد حصل لهم عند مكاشفة العرب خوف شديد بسبب الدين وكانوا لا يامنون قصدهم اياهم واجتماعهم عليه وقد كان من الخوف في وقعة الاحزاب ما كان هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا واما الجوع فقد اصابهم في اول مهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم لقلة اموالهم حتى انه صلى الله عليه وسلم كان يشد الحجر على بطنه وقد روي انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فالتقى مع ابي بكر رضي الله عنه فقال ما اخرجك قال الجوع قال اخرجني ما اخرجك وكانوا ينفقون اموالهم في الاستعداد ثم يقتلون فهناك يحصل النقص في المال والنفس وقد يحصل الجوع في سفر الجهاد عند فناء الزاد ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله كتب لهم به عمل صالح وقد يكون النقص في النفس بموت الاخوان والاخلان واما نقص الثمرات فقد يكون بالجدوب وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد قال صلى الله عليه وسلم

اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ونقص عطف على شي ويحتمل ان يعطف على الخوف يعني وشي من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة ثم قال الامام الغزالي رحمة الله عليه الصبر من خواص الانسان ولا يتصور ذلك في البهايم لنقصانها فليس بشهواتها عقل يعارضها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقتضى مقابلة تلك الشهوة صبرا ولا في الملايكة فليس لهم شهوة تصرفهم عن الاشتغال بجذبة الكبير المتعال وتمنعهم عن الاستغراق في مطالعة حضرت ذي الجلال واما الانسان فانه في الصبي بمنزلة البهيمة ليس له الا شهوة الغذاء ثم شهوة اللعب بعد حين ثم شهوة النكاح لكنه اذا بلغ انضم له من الشهوة الباعثة على اللذات العاجلة عقل يدعوه الى الاعراض عنها والاقبال على تحصيل السعادات الباقية فيقع بين داعيي العقل والشهوة تضاد وتضادد تصد العقل اياها هو المعني بالصبر وانه ضربان بدني فعلا كتعاطي الاعمال الشاقة وانفعالا كالثبات على الالام ونفساني وهو منع النفس عن مقتضيات الطبع فان كان حبسا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان احتمال مكروه فان كان في مصيبة خص باسم الصبر ويضاده حالة هي الجزع وهي اطلاق داعي الهوى في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب ونحوها وان كان في حال الغنى سمي ضبط النفس ويضاده حالة البطر وان كان في حال مبارزة الاقران سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب يسمى حلما ويضاده البرم وان كان في نايبة من النوايب سمي سعة الصدر ويضاده الضجر وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام يسمى كتمان النفس وان كان عن فضول العيش سمي زهدا وضده الحرص وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة ويضاده الشره وليس الصبر ان لا يجد الانسان الم المكروه ولا ان يكره ذلك فانه غير ممكن وانما الصبر هو حمل النفس على ترك اظهار الجزع ولا باس بظهور الدمع وتغير اللون فان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بكى على ابنه ابراهيم فقيل له في ذلك فقال انه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال العين تدمع والقلب يجزع ولا نقول الا ما يرضي ربنا ثم الصبر عند الصدمة الاولى والا يسمى سلوا وهو مما لا بد منه ولهذا قيل لو كلف الناس ادامة الجزع لم يقدروا عليه وقد وصف الله تعالى الصبر في القران في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات اليه قال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من طاعة الا واجرها مقدر الا الصبر ولان الصوم من الصبر قال تعالى في الحديث القدسي الصوم لي فاضافه الى نفسه ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة بالصبر فقال ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم بخمسة الاف من الملايكة وجمع للصابرين امورا لم يجمعها لغيرهم اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان لان الايمان انما يتركب من ترك ما لا ينبغي والاتيان بما ينبغي والاستمرار على كل منهما انما يتاتى بالصبر فكل الايمان صبر الا ان كل واحد منهما قد يكون مطابقا لمقتضى الشهوة فلا يحتاج فيه الى الصبر فلهذا عاد الى النصف وقد جاء الايمان هو الصبر وذلك كقوله الحج عرفة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وقال يوتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويوتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى لقد انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين ومن فضيلة الصبر ان قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فان المشبه به يجب ان يكون اقوى كما قال شارب الخمر كعابد الوثن وروي ان سليمان يدخل الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا لمكان ملكه واخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه باب واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب عليه السلام ثم ان الله تعالى بين ان الانسان كيف يكون صابرا وانه متى يستحق البشارة فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة هي من الصفات الغالبة التي لا تكاد تستعمل موصوفا بها وتختص من بين ما يصيب الانسان بحاله مكروهة كالنازلة والواقعة والملمة وانما نكرت لتشتمل كل مضرة تناله من قبل الاسباب السماوية

والارضية المنتهية الى مسبب الاسباب بوساطة ظاهرة او خفية قالوا انا لله اقرار بالعبودية وانا اليه راجعون نفي بعض الاسرار اليه كما يقال ان الملك والدولة يرجع الى فلان لا يراد الانتقال بل القدرة وترك المنازعة انا لله اعتراف بالملك وانا اليه راجعون اقرار على نفسنا بالهلك انا لله اشارة الى المبدأ وانا اليه راجعون تصريح بالمعاد انا لله اعلام بالعناية وانا اليه راجعون استغاثة بالبقاء به انا لله رضى بقضائه وانا اليه راجعون ايمان بقدره واعلم ان الرضا بالقضاء انما يحصل للعبد من الله تعالى بطريقين الصرف والجذب اما الصرف فبي قلبه الحشى والتفت خاطره اليه جعله الله تعالى منشأ للافات لينصرف وجه قلبه من عالم الحدوث الى جانب القدس كما ان ادم لما تعلق قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت الجنة فبقي ادم مع ذكر الله ولما استأنس يعقوب بيوسف عليه السلام اوقع الفراق بينهما فبقي يعقوب مع ذكر الحق ولما طمع محمد صلى الله عليه وسلم من اهله في النصرة والاعانة صاروا من اشد الناس بغضا له فاخرجوه وقد لا يجعل ذلك الشيء بلاء ولكن يرفعه من البين حتى لا يبقى الا البلا ولا الرحمة فحينئذ يرجع العبد الى الله وقد يتوقع العبد من جانب خيرا فاعطاه الله تعالى ذلك بلا واسطه فيستحق العبد فيرجع الى الله واما الجذب فجذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ومن جذبه الحق الى نفسه صار مغلوبا لان الحق غالب فتصير الربوبية غالبة على العبودية والحقيقة مستعلية على المجاز كما ان العبد الداخل على السلطان المهيب ينصرف فكره اليه ويشتغل بالكلية عمن سواه فيصير فانيا عن نفسه وعن حظوظها فتحصل له مرتبة الرضى باقضية الحق سبحانه من غير ان تبقى في طاعته شبهة المنازعة عن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفي سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي فهو له مصيبة وعن ام سلمة ان ابا سلمة حدثها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يصاب بمصيبته فيفزع الى ما امره الله به من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتي فاجرني منها وعوضني خيرا الا اجره الله عليها وعوضه خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة ذكرت هذا الحديث وقلت هذا القول فعوضني الله محمدا صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس اخبر الله تعالى ان المؤمن اذا سلم لامر الله ورجع واسترجع عند مصيبة كتب الله تعالى له ثلث خصال الصلوة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى وعن عمر رضي الله عنه قال نعم العدلان انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ونعم العلاوة اولئك هم المهتدون قيل الصلوات من الله الثناء والمدح والتعظيم والرحمة النعم العاجلة والاجلة وقيل الصلوة الحنو والتعطف وضعت موضع الرافة كقوله رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب والفايزون بالكرامة والثواب او هم المتمسكون باداب والمتشبثون بالكرم وامر في الاية حكان فرض ونفل فالفرض هو التسليم لامر الله تعالى والرضا بقضائه والصبر على اداء فرايضه لا يصرفه عنها مصائب الدنيا والنفل قول انا لله وانا اليه راجعون فان في اظهاره فوايد منها ان غيره يقتدي به اذا سمعه ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله والثبات على طاعته واما الحكم في تقديم تعريف الابتلا فهو ان يوطنوا نفوسهم لهذه المصايب اذا وردت فيكونوا ابعد من الجزع وايضا اذا علموا انه سيصل اليهم تلك المحن اشتد حزنهم فيكون ذلك الحزن تعجيلا للابتلاء فيستحقون بذلك مزيد الثواب وايضا اذا اخبر بوقوع هذا الابتلاء ثم وقع كان ذلك اخبارا بالغيب فيكون معجزا وايضا فيه تمييز المنافق وتمييزه عن الموافق وكان الحكمة في تقديم الابتلاء ايضا ذلك شعر

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة ... بل في الشدايد تعرف الاخوان
اذا قلت اهدي الهجر لي حلل البلى ... يقولون لولا الهجر لم يطب الحب
وان قلت كربي دايم قال انما ... يعد محبا من لكرب [illegible]
وان قلت ما اذنبت قالت مجيبة ... وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

إن الصفا والمروة من شعائر الله ط فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ط ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ۝ ان الذين يكتمون ما انزلنا

من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ۝ الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ۝ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار ط اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ۝ لا خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون

القراءة

ومن تطوع بتشديد الطاء وبالجزم حمزة وعلي وخلف ويزيد ورويس والباقون بالتخفيف وفتح الاخر على المضي **الوقوف** الشعاير الله ط للشرط مع فاء التعقيب بهما ه لان التطوع خارج عن موجب كونهما من شعاير الله فكان استينافا حكم عليم في الكتب لا لان اولئك خبر ان اللاعنون لا للاستثناء اتوب عليهم ط لاحتمال الواو للاستيناف والحال الرحيم اجمعين لا لان خالدين حال عامله معنى الفعل في اللعنة اي لعنهم الله حتى قرأ الحسن والملائكة وما بعده بالرفع فيها لان ما بعده حال بعد حال واستيناف اخبار ينظرون **التفسير** ان في تعلق الاية بما قبلها وجوها منها ان السعي بين الصفا والمروة من شرايع كما مر في قصة هاجر فذكر عقيب تحويل القبلة التي فيه احياء شرع ابراهيم ومنها انه من اثار هاجر واسمعيل وفيه تذكر لما جرى عليهما من البلوى وحسن عاقبتها فناسب ان يردف اية البلا ليعلم ان من صبر على البلوى نال الدرجة العليا في الدنيا والعقبى ومنها ان اقسام التكاليف ثلثة الاولى ما يهتدي العقل الى حسنه وشكر المنعم وذكره واشير الى ذلك بقوله فاذكروني اذكركم واشكروا لي الثانية ما ذكر في العقول قبحه والتنفر عنه كالالم والفقر والمحن فانه تعالى لا ينتفع به والعبد يتألم منه الا ان الشرع لما ورد ببين الحكمة وهي الابتلاء والامتحان فحينئذ يعتقد الالم حسنة وكونه حكمة وصوابا وذلك قوله ولنبلونكم الثالثة ما ليس يهتدي العقل الى حسنه ولا الى قبحه بل يراها كالعبث الخالي عن المنفعة والمضرة فياتي بها بعقد محضا وهي اكثر افعال الحج من السعي ورمي الجمار ونحوها فذكر طرف من هذا القسم عقيب القسمين الاولين تتميما للاحكام واستيفاء لجميع الاقسام والصفا والمروة هكذا باللام علمان للجبلين المعروفين بمكة زادها الله شرفا والصفا في اللغة صخرة ملساء في المثل ما تندى صفاته والجمع صفا مقصورا واصفا وصفي على فعول واذا نعتوا الصخرة قالوا صفاة صفوا واذا ذكروا قالوا صفا صفوان قال تعالى كمثل صفوان عليه تراب وعن الاصمعي المرو حجارة بيض براقة يقدح منها النار الواحدة مروة والشعاير جمع شعيرة وهي العلامة وذلك ان السعي بين الجبلين من اعلام دين الله او علم من متعبداته وقد شرعه الله لامة محمد وابراهيم عليهما الصلاة والسلام قبل ذلك كما مر في قوله وارنا مناسكنا وليس السعي عبادة تامة في نفسه فانما يصير عبادة اذا كان بعضا من ابعاض الحج فلهذا قرن بقوله فمن حج البيت او اعتمر والحج لغة القصد رجل محجوج اي مقصود وهو ايضا كثير الاختلاف والتردد فلانا اذا اطال الاختلاف اليه ثم غلب استعماله في القصد الى مكة للنسك والحاج يأتي البيت اولا ليعرفه ثم يعود اليه للطواف ثم ينصرف الى منى ثم يعود اليه لطواف الصدر ومنه محجة الطريق لكثرة تردد الناس فيها والاعتمار لغة الزيارة فالمعتمر يطوف بالبيت والمروة ثم ينصرف كالزاير والعمرة اسم من الاعتمار غلبت على النسك المعروف والجناح الحرج والاثم من قولهم جنح لكذا اي مال اليه كان صاحبه مال الى الباطل ولان الناس يميلون الى صاحبه بالمطالبة ثم قوله لا جناح يدخل تحته الواجب والندب والمباح وظاهر الاية لا تدل على احد الثلثة بالتعيين فلهذا اختلف العلماء في ان السعي واجب ام لا متمسكين بدلائل اخر فعن الشافعي انه ركن ولا يقوم الدم مقامه لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا وليس المراد منه العدو بل الجد والاجتهاد في ذلك الشيء بحيث لا يفوت كقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله ولانه صلى الله عليه وسلم سعى فتجب علينا اتباعه لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم والامر للوجوب وعن ابي حنيفة انه ليس بركن ولكنه واجب وعلى تاركه دم وعن

ابن الزبير وابن عباس وانس انه تطوع ولبس على تاركه شي لان رفع الجرح دليل الاباحة لقوله بعد ذلك ومن
تطوع خيرا اجاب الشافعي بما يروي انه كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان كانا رجلا وامراة زنيا
في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما
فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك في
ذلك فرفع عنهم الجناح فالاباحة تنصرف الى وجود الصنمين حال السعي الى نفس السعي كما لو كان على الثوب نجاسة
عند ابي حنيفة او دم البراغيث عندنا فيقال لا جناح عليكم ان تصلوا فيه فان رفع الجناح ينصرف الى مكان النجاسة
لا الى نفس الصلوة ولهذا قال عروة لعايشة اري انه ما على احد من جناح ان لا يطوف بالصفا والمروة قالت بيسما قلت
يا ابن اختي ان هذه لو كانت على ما اولتها كانت لا جناح عليه ان لا يطوف بهما واصل يطوف يتطوف فادغم ومن يقرا تطوع
بالتشديد واصله يتطوع والتطوع ما تبرعت من ذات نفسك من غير ايجاب عليك ومن قال ان السعي واجب
فسر هذا التطوع بالسعي الزايد على قدر الواجب وعن الحسن المراد منه جميع الطاعات وهذا اولى لعموم اللفظ
فان الله شاكر اي مجازيهم على الطاعة سمي جزاء الطاعة شكرا تشبيها بجزاء النعمة وفيه تلطف للعباد
مثل من ذا الذي يقرض الله كانه يقول اني وان كنت غنيا عن طاعتك على اني اجعل لها من الموقع ما لو صح علي ان
انتفع بها لما ازداد وقعه على ما حصل عليهم بالشرايع فهو في كل ذي حق حقه وهو وعد يناسب قرينة الشكر وان
كان ايضا يناسب التحذير من الاخلال بوظايف الاخلاص في العبادة ان الذين يكتمون كلام مستانف بيانا لكل من كتم
شيا من الدين وقيل هم اهل الكتاب وقيل اليهود خاصة لما روي عن ابن عباس ان جماعة من الانصار سالوا نفرا
من اليهود عما في التورية من صفته عليه السلام ومن الاحكام فكتموا فنزلت والاول اولى لعموم اللفظ ولان
خصوص السبب لا يوجب خصوص الحكم ولان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية فلا ريب ان كتمان الدين
يناسب استحقاق اللعن من الله تعالى فيعم الحكم حسب عموم الوصف ولا يخفى ان القران قبل صيرورته
متواترا يمكن كتمانه والمجمل من القران اذا كان بيانه بخبر الواحد يجري فيه الكتمان فكذا القول فيما يحتاج اليه المكلف
من الدلايل العقلية فلان جماعة من الصحابة حملوه على العموم عن عايشة انها قالت من زعم ان محمدا صلى الله عليه
وسلم كتم شيا من الوحي فقد اعظم الفرية على الله والله تعالى يقول ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
فحملت الاية على العموم وعن ابي هريرة لولا ايتان من كتاب الله ما حدثت حديثا بعد ان قال الناس اكثر ابو هريرة
وتلا ان الذين يكتمون ما انزل الله قال بعض المحققين الكتمان ترك اظهار الشي مع الحاجة اليه وحصول الداعي الى
اظهاره لانه متى لم يكن كذلك لا يعد كتمانا فلما كان ما انزله الله من البينات والهدى من اشد ما يحتاج اليه في الدين
وصف من علمه ولم يظهره بالكتمان كما يوصف احدنا اذا كانت مما يقوي الداعي الى اظهارها وعلى هذا الوجه يدخل من
يتعدى على كتمان الشرايع لان الكتمان مما يشق على النفس وفي الاية دليل على ان ما يتصل بالدين ويحتاج اليه
المكلف لا يجوز ان يكتم ومن كتمه فقد عظمت خطيئته والمراد بالبينات كل ما انزله على الانبياء كتابا ووحيا
دون ادلة العقل والهدى يدخل فيه الدلايل العقلية والنقلية لان الهدى الدلالة فيعم الكل وبعبارة اخرى
الاول صح التنزيل والثاني ما يقتضيه التنزيل من الفوايد لقوله من بعد ما بيناه للناس في الكتاب فيشمل كون
خبر الواحد والاجماع والقياس حجة لان الكتاب دل على هذه الامور وهذا الاظهار فرض على الكفاية
لا على التعيين لانه اذا اظهره البعض صار بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه ولم يبق مكتوما واذا خرج
عن حد الكتمان لم يجب على الباقين اظهاره مرة اخرى قيل لم لا يجوز ان يكون كل واحد منهما عن الكتمان مامورا
بالبينات ليكثر المخبرون فيتواتر الخبر واجيب بان هذا غلط لانهم ما نهوا عن الكتمان الا وهم ممن يجوز عليهم
الكتمان ومن جاز منهم التواطؤ على الكتمان جاز منهم التواطؤ على الكذب الوضع والافتراء فلا يكون خبرهم
موجبا للعلم ومن الناس من يحتج بالاية على وجوب قبول خبر الواحد لان وجوب الاظهار دل على وجوب
العمل بالذي اظهر لا سيما وقد قال الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فحكم بوقوع البيان بخبرهم واستدل
بالاية ايضا على عدم جواز اخذ الاجرة على التعليم لانها دلت على وجوب التعليم والاجرة على اداء الواجب

وقيل

وقيل في الكتاب اي في التورية والانجيل من نعت الرسول ومن الاحكام انا لخصناه بحيث لم ندع فيه موضع
اشكال فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس وقيل المراد بالمنزل الاول كتب الاولين
وبالهدى القران اولئك تبعيد لهم عن درجة الاعتبار يلعنهم الله يبعدهم عن كل خير ويلعنهم يدعوا
عليهم باللعن اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة وصالحي الثقلين وقيل يدخل
فيهم دواب الارض وهوامها فانها تقول منعنا القطر بشوم معاصي بني ادم واللاعنون دون اللاعنات تغليب
للعقلاء وقيل هم الهوام فقط والتذكير لانه تعالى وصفهم بصفات العقلاء مثل والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقالوا لجلودهم لم شهدتم وقيل كل شي سوى الثقلين بتقدير انها لو كانت عاقلة
كانت تلعنهم او لانها في الاخرة اذا اعيدت وجعلت من العقلاء فانها تلعن من فعل ذلك في الدنيا ومات عليه وقيل
ان اهل النار يلعنونهم ايضا لانهم كتموا الدين كلما دخلت امة لعنت اختها وعن ابن مسعود اذا تلاعن المتلا
عنان وقعت اللعنة على المستحق وان لم يكن مستحق رجعت على اليهود والذين كتموا ما انزل الله سبحانه وعن
ابن عباس انالهم لعنتين لعنة الله ولعنة الخلايق قال ذلك اذا وضع الرجل في قبره فيسال ما دينك ومن ربك
فيقول لا ادري فيضرب ضربة يسمعها كل شي الا الثقلين فلا يسمع شي صوته الا لعنه ويقول له الملك لا دريت
ولا تليت الا الذين استثناء منهم وفيه من الرحمة ما فيه وقد مر ان التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لقبحه
لا لغرض سواه فان من ترك اداء الوديعة ثم ندم لان الناس لاموه او لان الحاكم رد شهادته لم يكن تايبا و
اصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما كتموه وبينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليعرفوا
بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين فاولئك اتوب عليهم اقبل توبتهم بان اسقط العقاب
عنهم تجملا واضع مكانه الثواب تفضلا بدلالة قوله وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا عام في كل من كان
كذلك وقيل مخصوص بهولاء الكاتمين ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا اذا لم يتوبوا وعلى هذا القول يكون اطلاق
الكفر عليهم وهم من اصحاب الكتاب مجازا تغليظا او يراد بالكفر جحود الحق وستره والمراد بالناس اللاعنين من
يعتد بلعنه وهم المومنون اجمعون فان يوم القيمة يلعن بعض الكفار بعضا فيعم المومن والكافر وقيل لعن الجاهل
والظالم سفيه في العقول حتى ان الظالم قد يلعن نفسه اذا تامل في حاله وقيل وقوع اللعن محمول على استحقاق
اللعن على من مات كافرا وان زال التكليف عنه بالموت على ان الكافر اذا جن لم يكن زوال التكليف عنه بالجنون
مسقطا للعنه والبراءة منه وكذلك سبيل ما يوجب المدح والموالاة من الايمان والصلاح اذا مات صاحبه او جن
لا يتغير حكمه عما كان عليه قبل حدوث الحال وفي الاية دليل على ان الامور بخواتيمها وانه اذا كفر ومات لا على
الكفر لم يكن ملعونا ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار واضمرت
وان لم يجر لها ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لمكانها والاول اولى لتقدم ذكره لفظا ولان اللعنة تشتمل النار وزيادة
ولانها تعم في الحال والمال جميعا بخلاف النار فانها في الاستقبال ومن فسر الذين كفروا بالكاتمين وجوز الخلاص
على صاحب الكبيرة فسر الخلود بالمكث الطويل وقد سلف مثل ذلك لا يخفف عنهم العذاب بل يتشابه في الاوقات
باقبال على المبلغ الذي اريح له حسبما استحق ولا هم ينظرون اذا استنظروا من الانظار الامهال ولا ينتظرون ليعتذروا
او لا ينظر اليهم نظر رحمة اعاذنا الله تعالى من تلك الحالة بعميم فضله وجسيم طوله التاويل الصفا السر
والمروة الروح والسالك بينهما يسعى في صفاء السر بقطع التعلقات عن الكونين وهو التعظيم لامر الله وفي
مروة الروح بوصل الخير الى اهله وعياله ونفسه لمراقبة احوال الباطن ومن اوله اعمال الظاهر وهو الشفقة على
خلق الله ومعنى سبع مرات ان تصل بركات سعيه الى سبعة اركانه في الظاهر والى سبعة اطواره في الباطن
والى سبعة اقاليم العالم لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ومن كمال رافته
باهل محبته ان جعل اثار اقدامهم اشرف الامكنة وساعات ايامهم اعز الازمنة فالى تلك المعاهد والاطلال يشد
الرحال والى تلك المشاهد والاثار تعظم وتزار

شعر

هوى هواها لمن قد كان ساكنها ۞ وليس لي في الدار هم ولا وطر

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ج لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ص وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝

القراءة لا اله الا هو بالمد وكذلك جميع التهليل روي الهاشمي عن ابن كثير ورد الاثر في هذه الكلمة وهو قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله ومدها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر روى ابو الفرج عن قتيبة الامالة حيث كان الرياح معرفا حمزة وعلي وخلف الباقون الرياح مجموعا **الوقوف** واحد نظرا الى ان ما بعده وصف اخر والى الاختلاف بالنفي والاثبات الرحيم ۝ من كل دابة ص ضرورة طول الاية والا فاسم ان لايات والجار وما يتصل به معترض والاولى الوصل والرجوع يعقلون ۝ **التفسير** الواحد قد يكون اسما وذلك في العدد واحد اثنان ثلاثة وقد يكون صفة كقولك شخص واحد ومعناه انه لا ينقسم الى انسانين بلى قد ينقسم الى الابعاض والاجزاء وذلك من جهة اخرى ثم زعم ان الواحدية صفة زائدة على الذات لان الجوهر قد يشارك العرض في كونه واحدا ولا يشاركه في كونه جوهرا فقط ولانه يصح تعقل الجوهر مع الذهول عن كونه واحدا والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم فاذن قولنا الجوهر واحد ليس يجري مجرى قولنا الجوهر جوهر ولان مقابل الجوهر العرض ومقابل الواحد هو الكثير ثم المفهوم من كونه واحدا امر ثبوتي لانه لو كان سلبا لكثرة فان كانت الكثرة سلبية وسلب السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية وهو المطلوب وان كانت الكثرة ثبوتية ولا معنى للكثرة الا مجموع الواحدات وان كانت الوحدة سلبية حصل من الامور المعدومة امر موجود وهو محال فثبت ان الوحدة زائدة ثبوتية ثم انه لا يمكن ان يقال انه لا تحقق لها الا في الذهن لانا نعلم بالضرورة ان الشيء المحكوم عليه بانه واحد قد كان واحدا في نفسه قبل ان وجد ذهننا واعتبارنا فثبت ان كون الشيء واحدا صفة ثبوتية زائدة على ذاته قائمة بتلك الذات والجواب ان كون الشيء واحدا في ذاته معناه كونه بحيث يصح ان يدرك الذهن منه معنى الوحدة وهذه الحيثية لا تتوقف في الخارج ثم ان الوحدة لو كانت صفة زائدة على الذات كانت الوحدات متساوية في ماهية الوحدة ومتباينة بتعيناتها فيكون للوحدة وحدة اخرى وهلم جرا وذلك محال ثم ان شيئا من الموجودات لا ينفك عن الوحدة ولكن الوحدة تغاير الوجود لان الوجود ينقسم الى الواحد والكثير والمنقسم الى شيئين مغاير لما به الانقسام والواحد الحق سبحانه وتعالى واحد باعتبارين الاول ان ذاته ليست مركبة من امور كثيرة بل من امرين ايضا واليه الاشارة بقوله والهكم اله واحد والخطاب للعقلاء بامورهم والتذكير لتغليب ذوي العقول الذكور الثاني انه ليس في الوجود ما يشاركه في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدأ لجميع الممكنات وهو المراد بقوله لا اله الا هو ويمكن ان يقال القرينتان تدلان على نفي الشريك الا ان الاولى منهما تدل على اثبات وحدته في الالهية بالمطابقة ويلزم منه نفي الشريك كقولك هو سيد واحد تريد الواحدية في السيادة فيلزم نفي ان يكون غيره سيدا والقرينة الثانية تدل على نفي الشريك ثم على اثبات المعبود الحق بالمطابقة فمعناه لا اله في الوجود الا هو وفيه نكتة شريفة وهي ان اثبات الحق وقع في تلك القرينتين بالمطابقة ليعلم انه المقصد الاسنى والغاية القصوى وتحقيقه ان العارف له عروج ونزول وذلك انه يفنى في عالم اللاهوت ويبقى ببقاء الحي الذي لا يموت ويطالع عالم الشهود فيلزمه حينئذ نفي ما سوى الحق واذا رجع الى عالم الناسوت ضرورة وجب عليه نفي كل من سواه حتى يعرج الى المقصود فهذا سر عكس الترتيب في القرينتين ولان الاولى مرتبة الصديقين السابقين فلا جرم وقع التكليف بالترتيب الاخير امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم البرهان العقلي انه تعالى واحد من جميع الوجوه لا يجمعه اجزاء متمايزة كما للاجسام والابعاض

اجزاء معنوية كما في البسائط النوعية ولا اجزاء اعتبارية كما في البسائط الجنسية هو ان كل مركب يفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه والمفتقر الى غيره لا يكون واجب الوجود لذاته وايضا فكل ممكن فان وجوده زائد على ماهيته في العقل بالاعتبار ويمكن تصور الممكن من حيث انه ممكن مع الشك في وجوده الخارجي ولكن لا يعقل الواجب من حيث انه واجب مع الشك في وجوده فلا يعقل ان يكون الوجود زائدا على الماهية او غيرها ابدا الا احد واما انه تعالى وحده لا شريك له فلان وجوب الوجود يقتضي ان لا يكون الواجب لذاته مفتقرا في شيء الى شيء اصلا ولا يكون كذلك الا اذا كان في غاية الكمال ونهاية الجمال والجلال ولا ريب ان من كمالات الجميل كونه عديم النظير ومن تحقق معنى الوجود بنور الباطن وصفاء الضمير لم يشك في وجوده تعالى ولا في ان واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته وواجب الوجود في جميع صفاته وواحد بجميع اعتباراته حتى حمل الوحدة عليه وعن تصور ذاته وههنا حالة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد وصل الى الوحدة فاعرف هذه الاسرار لتتخلص عن ظلمات شبهات الاشرار وتفوز بلمعات الابرار وتستغرق في بحار عالم الانوار بعون الجبار وتشرق انوار الواحد القهار وذلك ان تقول انه سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في ذاته لانه لو شاركه غيره في حقيقته تركب مما به الاشتراك وما به الامتياز وكل مركب مفتقر وكل ممكن واما انه واحد في صفاته فلان صفات غيره من غيره وصفاته من نفسه ولان صفات غيره زمانية دون صفاته ولان صفات غيره متناهية كعلمه مثلا فان له معلومات غير متناهية بل له في كل معلوم علوم غير متناهية بحسب اعتبار ذلك المعلوم واوقاته وسائر احواله ولان موصوفية ذاته بالصفات ليست بمعنى كونها حالة في ذاته وكون ذاته محلا لها ولا بمعنى ان ذاته تستكمل بها لان ذاته كالمبدأ لتلك الصفات ولن يستكمل المبدأ بها عن المبدأ بل ذاته مستكملة بذاته ومن لوازم ذلك الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال وقد ينتهي التقرير ههنا الى حيث تقصر العبارة عن الوفاء به وذلك انه لا خبر عند العقول من صفاته كما لا خبر عندها من ذاته فانا لا نعرف من علمه الا انه الذي لاجله ظهر الاحكام والاتقان في المحكومات كما انا نعلم من ذاته انه مبدأ جميع الممكنات من طبع على قلبه مني بالخذلان ومن طبع كشف له الغطاء صار حيران فلا احاطة للفطرة بكره الماء ولا ظهور لضوء السهى عند حلول الشمس كبد السماء **شعر** اشتاقه فاذا بدا اطرقت من اجلاله ۝ لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله ۝ فالموت في ادباره والعيش في اقباله ۝ واصد عنه اذا بدا واروم طيف خياله ۝ واما انه واحد في افعاله فلان ما سواه ممكن الوجود لذاته وبقدر البون بين الواجب الذات وممكن الذات يوجب التفاوت بين فعليهما ان فرض الممكن فعل من نفسه الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ح ثم انه تعالى خص الموضع بذكر الرحمن الرحيم لان ذكر الالهية والفردانية يفيد القهر والعلو فعقبها بذكر الصفتين ترويحا للقلوب عن هيبة الالهية وعزة الفردانية واشعارا بانه ما خلق الخلق الا للرحمة والاحسان ان في خلق السموات والارض الاية ذكر علماء المعاني ان ايجاز هذه الاية ان يقال ان في ترجح وقوع اي ممكن كان على لا وقوعه لايات للعقلاء على ان الكلام لما كان مع الانس والجن بحسب لا مع الثقلين ولا مع قرن دون قرن بل مع القرون كلهم الى انقراض الدنيا وفيهم من تكلف التقصير في باب النظر والعلم بالصانع من لا يحصى من طوائف الغواة لم يبق مقام ادعى لترك الايجاز الى الاطناب من هذا عن عطاء قال انزل بالمدينة على النبي صلى الله عليه وسلم والهكم اله واحد فقالت كفار قريش بمكة ولهم حينئذ حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما كيف يسع الناس اله واحد فنزلت ان في خلق السموات والارض الى اخرها وعن سعيد بن مسروق لما نزلت والهكم اله واحد تعجب المشركون وقالوا اله واحد فليأتنا باية فنزلت وزعم بعض الناس ان الخلق هو المخلوق لان المخلوق هو الذي يدل على الصانع والتحقيق انه غيره لان الخلق التقدير وتقدير المخلوقات غير نفس المخلوقات ولو كان عينها والخالقية صفة الله تعالى لزم اتصافه تعالى بالقاذورات والشياطين ولانه يصح تعليل حدوث الحادث بخلق الله تعالى فلا يصح تعليل حدوثه بنفس ذلك الحادث ولا يصح ان يقال خلق السواد وخلق البياض ومفهوم الخلق فيهما واحد ومفهوم السواد غير مفهوم البياض ولاتفاق المعتبرين من النحاة على ان العالم في قولنا خلق الله العالم مفعول به لا مفعول

مفتقر

مطلق ثم لا نزاع في الاستدلال على الخالق بالمخلوق لكن لا من جهة عينه بل من جهة خلق الله اياه وهذه الجملة هي التي
صيرته اية وقد عد الله تعالى في هذه الاية ثماني ايات والاولى خلق السموات وقد تكلمنا في عددها وترتيبها
في تفسير فسويهن سبع سموات وقد زعم اهل الهيئة لما شاهدوا من كل واحد من السيارات السبعة حركات مختلفة
كالبطء والسرعة بعد التوسط في الحركة والوقوف والرجوع بعد الاستقامة وهي الحركة على توالي البروج وهي عندهم
مقدمتان كليتان احديهما ان السماويات لا يتطرق اليها الاختلاف الوضعي والثانية ان حركة الكواكب في الفلكية ليست
كحركة السمك في الماء ولكن بدورين بادارة الفلك اياه ان كل واحد من افلاك السيارات تنقسم الى اقسام اخر يتضمنها
الفلك الكلي الذي مركزه مركز العالم ومراكزها تخالف مركزه في الاغلب ثم ان كان مع المخالفة في المركز محيطا بالارض
يخص باسم الخارج المركز ويبقى بعد توهم انفصاله من الفلك الكلي جسمان نعليان متبادلا وضع الغلظ والرقة
تسميان المتممين وان لم يكن محيطا بالارض اسمى بالتدوير ويسمى الكوكب مركوزا فيه كالفص في الخاتم ويلزم
له من مجموع الحركات المركبة من تلك الافلاك حركة مختلفة في النظر وان كان كل منهما متشابهة في نفس الامر
ونعني بالتشابه ههنا ان يقطع المتحرك في المحيط في ازمنة متساوية قسيا متساوية او تحدث عند المركز زوايا
متساوية والاختلاف نقيض ذلك فللقمر من تلك الافلاك اربعة اثنان متوافقان في المركز وخارج وتدوير
ولعطارد اربعة احدها يوافق مركزه مركز العالم وخارجان وتدوير وللزهرة ثلثة موافق وخارج وتدوير
وللشمس اثنان موافق وخارج ولكل من الثلثة العلوية كالزهرة ومقادير حركات هذه الافلاك ببسيطة موضحة
في الزيجات واما المختلفة فالشمس تقطع جميع الفلك في سنة شمسية وهي ثلثماية وخمس وستون يوما
وربع يوم الا كسرا والقمر في ثمانية وعشرين يوما وكل من عطارد والزهرة كالشمس وزحل في ثلثين
سنة والمريخ في سنتين والمشتري باثني عشر سنة جميع ذلك بالتقريب واذ قد تقرر ذلك على الاجمال فنقول
في كيفية الاستدلال بهذه الاحوال ان اختصاص مقادير كل واحد من الافلاك بمقدار معين مع اشتراكها في
الطبيعة الفلكية تدل على مخصص مدبر حكيم قدير قهار وكذا تخصيص كل منها بحيز معين وكذا تعيين نقطتين
من سطح الفلك القطبية مع تساوي جميع النقط المفروضة في ملوح ذلك وكذا حصول الكواكب او التدوير في
جانب معين من الفلك وكذا انفصال الافلاك الكلية الى الخوارج المراكز وانفاء المتممات على اقدار معينة
في الرقة والغلظ وكذا تعيين كل من الاجرام بحركة معينة السيارات كما قلنا انفا والثوابت بحيث يتم دورها في ستة
وثلثين الف سنة على ما في المحيط او في خمسة وعشرين الف سنة ومايتي سنة عند المتاخرين والفلك الاعظم
في يوم وليلة وكذا تعيين جهات الحركات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وكذا تعيين مبادي الحركات وتخصيصها
بزمان دون زمان فان الافلاك سواء قلنا ان ذواتها حادثة او يقال انها ازلية لا بد ان يكون لحركاتها اول فان الحركة
انتقال من حالة الى حالة وكون الحركة ازلية تنافي المسبوقية بالغير فالابتداء بالحركة بعد ان لم يكن يقتضي الافتقار
الى فاعل مختار ويكون الكل تحت قهره وتسخيره وكذا تخصيص كل من الكواكب بعظم اخر ويكون اخر كصفرة عطارد
وبياض الزهرة وكمودة زحل ودرية المشتري وحمرة المريخ وظلمة القمر في ذاته بحيث اذا حال بين الناظر وبين الشمس
وذلك في الاجتماع كسفها وكذا اختلاف تاثيراتها في هذا العالم باذن خالقها وبالجملة فان هذا الترتيب العجيب والنسق
الغريب في تركيب الافلاك وائتلاف حركاتها وارتباط اجرامها واختلاف اوضاعها المستتبعة لاتصالاتها وانصرافاتها
انري انها مبنية على حكمته وتقديره خبير قدير ام هي واقعة عبثا وجزافا هيهات فان من جوز في بناء رفيع
وقصر مشيد ان التراب والماء انضم احدهما الى الاخر ثم تولد منهما اللبنات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها
القصر ثم تزين بنقشه النقوش الغريبة والرسوم اللطيفة قضى العقل له بالجنون وسجل عليه لسخافة الراي بل بعد
من زمرة الانعام لا من جملة الانام الثانية خلق الارض ومن تامل في شكلها من الاستدارة وحيزها من كونها
واقعة في مركز العالم حتى انبعث منها بوقوع الشمس عليها مخروط ظلي في مقابلة الشمس متى وقع القمر فيه انخسف
ومن انكشاف بعضها عن كرة الماء لمكان الاستقرار عليها ومن اختلاف اوضاع بقاعها بالنسبة الى السماء
حتى اختلف مرور الشمس وسائر الكواكب سمت رؤوس قطان البلدان وتباينت الفصول والامزجة والاخلاق

وتغايرت الطوالع والمطالع بحسب تغاير الافاق ومن سائر اعراضها ومنافعها التي تقرر طرف منها في تفسير قوله الذي جعل
لكم الارض فراشا علم افتقارها الى مدبر قدير وعليم خبير واحد في ملكه وملكه يفعل ما يشاء كما يشاء من غير منازع ومعاند
الثالث اختلاف الليل والنهار اما النهار فانه عبارة عن مدة كون الشمس فوق الافق وفي عرف الشرع بزيادة ما بين طلوع
الفجر الصادق الى طلوع جرم الشمس واما الليل فعبارة عن مدة خفاء الشمس تحت الافق او بنقصان الزيادة المذكورة
وذلك لان الشمس اذا غابت ارتفع راس مخروط ظل الارض الى فوق موقع الابصار داخلة الى ان ينطبق الضلع المستنير منه
في جانب الافق الشرقي فيكون اول الفجر الكاذب ان كان الضوء مرتفعا عن الافق بعد واول الفجر الصادق اذا قرب من الافق
جدا او انبسط النور حتى اذا غاب راس المخروط تحت الافق طلع مركز جرم الشمس في مقابله فظهر ان الليل والنهار كيف
يختلفان اي يتعاقبان مجيا وذهابا كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او يختلفان ظلاما وضياء او طولا
او قصرا لان زيادة احدهما يستلزم نقصان الاخر ضرورة كون مجموعهما اربعا وعشرين ساعة وكيف يختلفان في الامكنة
فان نهار كل بقعة ليل بقعة تقابلها ضرورة كرية الارض او كيف يختلفان باختلاف البلدان فان البلد كلما ازداد عرضا
عن خط الاستواء وهو الموضع المحاذي لمنطقة الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد نهاره في الصيف طولا وفي الشتاء
قصرا وبالعكس في الليل وقد يرتقي طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب الجنوبي بحيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبالـ
الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا ونصفها الاخر ليلا وذلك اذا صار قطب الفلك الاعظم
محاذيا لسمت الراس ولا عمارة هناك ولا حيث يزيد النهار الاطول على يوم بليلة لشدة البرد اللازم من قبل انخفاض الشمس
وكون الليل والنهار في انفسهما يبنى على وجود الصانع ووحدانيته ظاهر وكذا من جهة ارتباطهما بحركة الفلك الاعظم
وكذا من جهة انتظام احوال العباد بهما بسبب طلب المعاش في الايام والنوم والراحة في الليالي ومن الغرايب تفاوت
المتنافيين على امر واحد هو اصلاح معاش الحيوان وان اقبال الخلق في اول الليل على النوم يشبه موت الخلائق اولا عند
النفخة الاولى وتيقظهم عند طلوع الفجر تضاهي عود الحياة اليهم في النفخة الثانية وانشقاق ظلمة الليل بظهور الفجر المستطيل
منه من اعجب الاشياء كانه جدول ماء صاف يسيل فيما بين بحر كدر بحيث لا يمتزجان وكل هذه الامور دلائل على وجود
مبدع عظيم الشان غني عن الزمان والمكان مبرا عن سمات الحدوث والامكان الرابعة الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او بنفع الناس والفلك بالضم والسكون السفينة للواحد والجمع فضمة الواحد ضمة برد
وضمة الجمع ضمة اسد وتانيث صفته ههنا يحتمل ان يكون لتضمين معنى السفينة ويحتمل ان يكون لمعنى الجمعية
اي المراكب التي تجري والتركيب يدل على الاستدارة والدوران ومنه الفلك للجسم الكري يحيط به سطحان متوازيان
مراكزهما واحد وفلكة المغزل وفلكة ثدي الجارية استدارتها والبحر خلاف البر قيل سمي بذلك لاتساعه وتعمقه
ومنه تبحر في العلم والمال ويسمى الفرس الواسع الجري بحرا قال صلى الله عليه وسلم في فرس ابي طلحة ان وجدناه لبحرا
وقيل من الشق بحرت اذن الناقة شققتها ومنه البحيرة هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل الذي جعل لكم
الارض فراشا ان الماء محيط باكثر جوانب القدر المعمور من الارض وذلك هو البحر المحيط وقد دخل من ذلك الماء
من جانب الجنوب متصلا بالمحيط الشرقي ومنقطعا عن الغربي الى اوسط العمارة اربعة خلجان اولها اذا ابتداء
من الغرب الخليج البربري لكونه في حد بربر من ارض الحبشة طوله من الجنوب الى الشمال مائة وستون فرسخا وعرضه
خمسة وثلثون فرسخا وعلى ضلعه الغربي بلاد كفار الحبشة وبعض الزنج وعلى الشرقي بلاد مسلمي الحبشة وثانيها
الخليج الاحمر طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه بقرب منتهاه ستون فرسخا وبين طرفيه
وفسطاط مصر الذي على شرقي النيل مسيرة ثلثة ايام على البر وعلى ضلعه الغربي بلاد بجة من البربر وبعض
بلاد الحبشة وعلى ضلعه الشرقي سواحل عليها فرضة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لقوافل مصر والحبشة
الى الحجاز ثم سواحل اليمن ثم عدن على الزاوية الشرقية منه وثالثها خليج فارس طوله من الجنوب الى الشمال
اربعمائة وستون فرسخا وعرضه قريب مائة وثمانين وعلى سواحل ضلعه الغربي بلاد عمان ولهذا ينسب البحر
اليها هناك وجملة بلاد العرب واحيائهم من الحجاز واليمن والطائف وغيرها وديارهم بين الضلع الغربي من هذا
البحر والشرقي من الخليج الاحمر فلهذا سمي العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب وبها مكة زادها الله شرفا وهي على

سواحل ضلعه الشرقي بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران ثم سواحل السند والرابع منها الخليج الاخضر مثلث الشكل
اخذ من الجنوب الى الشمال ضلعه الشرقي بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران متصل بالمحيط الشرقي وضلعه الغربي ا
خمسمائة فرسخ تقريبا وعلى سواحل هذا الضلع ولايات الغنا والصين ولهذا سمي بحر الصين ولهذا سمي بحر الصين ومن
رادنه الشرقية من بحر فارس يسمي بحر الهند لكون بعض ولاياتهم على ساحله وايضا قد يرحل الى العمارة من جانب الغرب
خليج عظيم يمر من جانب الجنوب على كثير من بلاد العرب ويحاذي ارض السودان وينتهي الى بلاد مصر والشام ومن
جانب الشمال على بلاد اندلس والجلالقة والصقالبة الى بلاد الروم والشام ويتشعب منه شعبة من شمال ارض
الصقالبة الى ارض مسلمي بلغار يسمي بحر ورنك طوله المعلوم مائة فرسخ وعرضه ثلثه وثلثون واذا جاوز تلك الحدود
امتد نحو المشرق مما وراء جبال غير مسلوكة واراض غير مسكونة ويتشعب منه ايضا شعبة يسمي بحر طرابزون
فهذه هذه البحار المتصلة بالمحيط واما غير المتصلة فاعظمها بحر طبرستان وجيلان وباب الابواب فالخزر والسكون
لكون هذه الولايات على سواحله مستطيل الشكل اخذ من المشرق الى المغرب باكثر مما بين وخمسين فرسخا ومن
الجنوب الى الشمال بقريب مما بين ومن عجايب البحار الحيوانات الاعظام والانواع والاصناف ومنها الجزاير الواقعة
فيها فقد يقال في بحر الهند من الجزاير المعمورة وغير العامرة الف وثلثمائه وسبعون منها جزيرة عظيمة في اقصى
البحر مقابل ارض الهند في ناحية المشرق وعند بلاد الصين تسمي جزيرة سرنديب دور دورها ثلثة الاف ميل فيها
جبال عظيمة وانهار كثيرة ومنها يخرج الياقوت الاحمر وحول هذه الجزيرة تسعة عشر جزيرة عامرة فيها
مداين وقرى كثيرة ومن جزاير هذا البحر جزيرة كله التي يجلب منها الرصاص القلعي وجزيرة سريرة التي يجلب
منها الكافور وغرايب البحر كثيرة ولهذا قيل حدث عن البحر ولا حرج وسيل بعض العقلاء ما رايت من عجايب البحر
قال سلامتي منه والسفينة مما الهم الله تعالى تركيبها ثم اجراها بقدرته على وجه الماء فلولا رقة الماء وخفة مادة
السفينة ثم عجيب صنعتها لما تم جريانها ولولا الرياح المعينة على تحركها لما تكامل النفع بها ولولا اعتدال الريح لما
سلمت من تلاطم الامواج ولولا تقوية قلوب راكبيها لما صبروا على شدايد ركوبها ولولا انه تعالى خص كل طرف بشيء لم
يبعث الدواعي الى اقتحام الاخطار في هذه الاسفار وحمل الامتعة الى الامصار وفي البراري والبحار فلا جرم
ينتفع الحامل من حيث انه يربح وينتفع المحمول اليه من حيث انه يجد ما اعتقده وفي الاية دليل على اباحة ركوب
السفينة واباحة الانتفاع بالتجارة الخامسة وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها اما نزول
المطر من السما فقد مر تحقيق ذلك في تفسير قوله تعالى او كصيب من السما وان المراد من السماء السحاب
والتقدير من جانب السماء واما تنكير من ماء فلان الغرض الوحدة الشخصية والصنفية يعني ما هو سبب حيوة
الارض لا المطر الذي قد لا ينبت شيا كما جاء في الحديث ليس السنة بان لا تمطر وانما السنة التي تمطر ولا تنبت
ولا ريب في انزال ذلك الماء دلالات على الصانع ووحدانيته حيث جعله في غاية الصفاء واللطافة
والعذوبة وصيره سببا للارزاق وانزله بعد قنوط الناس منه وشدة احتياجهم اليه واودع في نزوله
حيوة الارض اي حسنها ونضارتها وبهاءها وبهجتها وخضرتها بخروج اصناف النبات وضروب الاعشاب
والوان الازهار وانواع الاشجار والاثمار وجريان الجداول بينها والانهار بحيث يتردف الناظر ويبهت
السامعين وقت الربيع في الازمان كسن الصبي في الاسنان وموت الارض من ترشيح الاستعارة فانه لما
بهجتها ونضرتها وخضرتها بالحيوة عبر عن جمودها وكمودتها وبقائها على الهيئة الاصلية بالموت كانها
جسد لا روح فيه فلا رواء عليه السادسة وبث فيها من كل دابة وانه معطوف على انزل فيتخلخل الصلة
فيصح عود الضمير فيها الى الارض لانه قوله فاحيي عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد
فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة لان معاش الحيوان بل حياته يدور على الماء
وجعلنا من الماء كل شيء حي واعلم ان الحيوان اما تولدي او توالدي وكلا الصنفين يحتاج الى صانع قديم حكيم
يحكى ان شخصا قال لحضرة عمر ابن الخطاب اني اتعجب من امر الشطرنج رقعة صغيرة ولعب الانسان
به الف مرة لم يتفق مرتان فقال عمر هاهنا ما اعجب منه وهو ان مقدار الوجه شبر في شبر ثم ان مواضع الاعضا

الى

التي فيها من الحاجبين والعينين والانف والفم ولا يتغير البتة ومع ذلك لا ترى شخصين ابدا يشبهان في الصورة
فما اعظم تلك القدرة والحكمة التي فيها في هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التي لا حد لها ولولا هذا الاختلاف لاشتبه
الناس بعضهم ببعض وانقطع نظم معايشهم ومصالحهم ومن تامل كتب التشريح وقرأ كتاب الحيوان وتتبع عجايب
المخلوقات ووقف من تراكيبها وخواصها على ما يقضي منه العجب ويفضي به الى الاعتراف بوحدانية الرب السابعة
وتصريف الله الرياح مع رقتها ولطافتها وفي ذلك نفع عظيم لانتفاع الحيوان بتنشق الهواء البارد وبجريان السفن بهبوب
الريح ومن قبل تلقيح الاشجار وسوق السحاب الى حيث يرسله الله تعالى ومن جهة تفصيح الاهوية الوبائية
الى غير ذلك من المنافع والمراد بتصريفها تقليبها في جهات العالم على حسب المصالح شمالا وجنوبا وشرقا وغربا اي صبا
ودبورا وعلى كيفيات متخالفة حارة وباردة عاصفة ورخاء ومن قرأ الريح بالوحدة فليس فيها دلالة على الوحدة
في هذا المقام والذي جاء في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان اذا هبت الريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا
فلا يدل الا على ان مواضع الرحمة بالجمع اولى كما قال تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وقال في عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم وقد يختص اللفظة في القران بشيء ويكون امارة فمن ذلك ان عامة ما جاء في التنزيل من قوله
وما يدريك مبهم غير معين قال وما يدريك لعل الساعة قريب وما كان من لفظ ادراك فانه معين وما ادراك ما القارعة
وما ادراك ماهيه الثامنة السحاب المسخر بين السماء والارض سمي سحابا لانسحابه في الهوا ومعنى التسخير التذليل
وذلك ان طبع الماء يقتضي النزول فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف طبعه مسخرا وايضا لو دام لعظم ضرره
من حيث انه يستر ضوء الشمس ويكثر الانداء والامطار وينغص التردد في الحوايج ولو انقطع لعظم ضرره في استيلاء
الجدب والامحال فكان تقديره بالمقدار المعلوم والاتيان به وقت الحاجة ودفعه عند زوالها بد تر ومسخرا لا محالة وفي
نفس السحاب من عظمه وتراكمه وارتفاعه وانخفاضه وانبساطه وتخلخله وتركيبه الا في لحظة وانقشاعه في اخرى
واشتماله على الرعد والبرق والسحبة والتطبيق الى غير ذلك من العجايب دلالات واضحة على كمال حكمة موجده ومقدره
واما قوله تعالى لايات فيحتمل ان يكون السواد راجعا الى الكل اي مجموع هذه الاشياء الثمانية وايات ويحتمل ان يكون راجعا
الى كل واحد فان كل واحد منها تدل على مدلولات كثيرة كما فصلنا وايضا فكل واحد منها من حيث انها موجودة تدل على وجود
موجدها ومن حيث انها محدثة تدل على قدمه ومن حيث انها وقعت على وجه الاحكام والاتقان يدل على علم الصانع ومن حيث حدوثها واختصا
بوقت دون وقت تدل على ارادته واختياره ومن حيث انها وقعت على الاتساق والانتظام دلت على وحدانية الله
تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا واما قوله تعالى لقوم يعقلون فلما الايات بهم لانهم الذين يتمكنون من النظر فيه
والاستدلال وفي الاية من الفوايد ان التقليد مذموم فيما الى تحقيقه سبيل ومنها ان جميع المعارف ليست ضرورية والا
لم يحتج الى النظر في شي منها وانما خص الايات الثمانية بالذكر مع ان ساير الاجسام والاعراض مستوية في الاستدلال
على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات لانها جامعة بين كونها دلايل وبين كونها نعما على المكلفين ومتى كانت الدلايل
كذلك كانت انجع في القلوب واشد تاثيرا في الخاطر عن رسول الله صلعم ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبرها

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ط وَالَّذِينَ آمَنُوا
أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ط وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ لا أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا
وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ط إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا
الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ط وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ
كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ط كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ط وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ه

القراءة ولو ترى بتاء الخطاب نافع وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالياء اذ يرون بضم الياء من الاراءة ابن عامر ان القوة وان الله بكسر الالف فيهما يزيد وسهل ويعقوب بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم غاجرين بالامالة عباس وقتيبة لحيوان من النار الوقوف كحب الله ط حبا لله ط العذاب لا وكذلك جميعا الا لمن قرا انّ بالكسر فيهما يزيد وسهل ويعقوب شديد العذاب ط الاسباب ط تبرؤا منا ط عليهم ط من النار ط التفسير انه سبحانه وتعالى لما قرر التوحيد بالدلايل الباهرة عقبها بتقبيح ما يضاده فيضدها يتبين الاشيا والند المثل المنادي كما سلف والمراد بالانداد ههنا هي الاصنام التي اعتقد المشركون انها يقربهم الى الله زلفى وينذرون لها والنذور ويقربوا لاجلها القرابين وقيل يعني السادة الذين كانوا يطيعونهم ويتزلون على اوامرهم ونواهيهم محلين لما حرم الله ومحرمين ما احل الله عن السدي واستدل على تفسيره بانه قوله يحبونهم فيه ضمير للعقلا ولانه من المستبعدات يكون محبتهم لله تعالى مع علمهم بانها لا تنفع ولا تضر ولقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وذلك لا يليق الا بمن اتخذ اندادا وامثالا لله يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون لله تعالى ويمكن ترتيب الجواب بان ضمير العقلاء جار عوده الى الاصنام على اعتقاد الجهلة حيث نظموها في سلك المعبود الحق قال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وايضا علمهم بانه لا يضر ولا ينفع ممنوع ولو علموا بذلك ما اشركوا وايضا التبري لا يمتنع من الاصنام بدليل قوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم وقال اهل العرفان كل شي شغلت قلبك به سوى الله فقد جعلته في قلبك ندا لله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه يحبونهم يعبون عبادتهم والتقرب اليهم والانقياد لهم او يعطونهم ويخضعون لهم كحب الله من اضافة المصدر الى المفعول اي كما يجب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه وهم المؤمنون لانه غير ملبس وقيل كالحب اللازم عليهم لله وقيل يحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم بناء على انهم كانوا مقرين بالله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والذين امنوا اشد حبا لله لا يعدلون غيره في السراء ولا في الضراء ولا يجعلون وسايط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او يأكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس وهو الاقط والسمن والتمر عام المجاعة وفيهم قال الشاعر شعر اكلت حنيفة ربها من التقحم والمجاعة لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة واعلم ان محبة العبد لله تعالى قد ورد في القران والحديث كما في هذه الاية وكقوله يحبهم ويحبونه ويروى ان ابراهيم صلوات الله عليه قال لملك الموت وقد جاء لقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت خليلا يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت الان فاقبض وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما ذا اعددت لها فقال ما اعددت لها كثرة صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال عليه الصلوة والسلام المرء مع من احب ثم ان الايمة اختلفوا في معناها فقال جمهور المتكلمين ان المحبة نوع من انواع الارادات والارادة لا تعلق لها الا بالجايزات ويستحيل تعلق المحبة بذات الله وصفاته فمعنى قولنا يحب الله يحب طاعة الله وخدمته او يحب ثوابه واحسانه واما العارفون فيقولون انا نحب الله لذاته لا للعوض ولو كان كل شي محبوبا لاجل شي اخر دار او تسلسل واذا كان يحب الرجل العالم لعلمه والرجل الشجاع لقوته وغلبته والزاهد لبراءة ساحته عن المثالب فالله تعالى احق بالمحبة لان كل كمال بالنسبة الى كماله نقص والكمال المقصود لذاته محبوب لنفسه وكلما كان الاطلاع على دقايق حكمة الله تعالى وقدرته وصنعه اكثر كان المحبة له اتم وبحسب الترقي في درجات العرفان يزداد المحبة الى ان يستولي سلطان الحب على قلب المؤمن فيشغله عن الالتفات بغيره ويفنيه عن حظوظ نفسه فبه يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي ويتكلم بلسان الحال ليس في جبتي سوى الله فلا يعصي الله طرفة عين ولا يشتغل بحظ نفسه لمحة بصر كما قيل شعر تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع فحب الله يحب اولياءه ويغضب به وينادي اعداءه ومخالفيه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين شعر لعين تغدي الف عين وتتقى وتكرم الف للحبيب المكرم ولو يرى قرئ بالياء والتاء وان بالفتح والكسر فهاهنا اربع تقديرات الاول ولو يعلم الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الانداد اذا عاينوا العذاب يوم القيمة ان القدرة كلها لله على كل شي من العقاب والثواب دون انداده وان عذاب الله للظالمين

عند الله

شديد لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقع بظلمهم وضلالهم وحذف جواب لو دليل على فخامة شان المحذوف ليذهب كل مذهب ويقدر من الفظاعة ما لا يكتنه كنهه كقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه بخلاف ما وقع التعبير عنه بلفظ معين الثاني ولو ترى يا محمد او من يتاتى منه الرؤية هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم وقت معاينتهم العذاب معاينتهم ان القدرة كلها لله وانه شديد العذاب لرايت امرا عظيما فعلى هذا ان وان مع معموليهما بدل من العذاب قال الفرا الوجه فيه تكرير الرؤية اي يرون ان القوة لله جميعا الثالث بتاء الغيبة وكسر ان ومعناه كالاول والجملتان معترضتان او المعنى لقيل ان القوة لله والرابع على هذا القياس ودخول لو وكذا اذ في المستقبل مع ان حقهما الدخول على الماضي نظم للمستقبل في سلك الماضي المقطوع به لصدوره من الاخلاق في اخباره وقيل لان الساعة قريب فكانها قد وقعت وكذا الكلام في اذ تبرأ وانه بدل من اذ يرون وقيل هو معمول شديد والمراد بالذين اتبعوا القادة والرؤسا من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطا او شياطين الجن الذين صاروا متبوعين بالوسوسة عن السدي وقيل الاوثان والتبري اما بالقول وهو الاقرب واما بظهور العجز بحيث لا يغنون عن انفسهم من الله عتابه شيا عن عزمهم ورأوا العذاب الحال اي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ وبهم اي عنهم فان تقطع في معنى زال او وقع تقطع الاسباب ملتبسة بهم مثل لقد تقطع بينكم بضم النون والباء للتعدية كان اسباب القطع ومصالحهم انقلب عليهم مفاسد السبب في اللغة الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به وقالوا ولا يدعى الحبل سببا حتى ينزل ويصعد به والمراد ههنا الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع والعهود والعقود لو ان لنا كرة تمن ولذلك اجيب بالفا كانه قيل ليت لنا كرة رجعة الى الدنيا وحال التكليف والمتبوعون منفردون الى اتباعنا فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا ونشتفي منهم بعدم النصرة والاعانة كما فعلوا اليوم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم هو ثالث مفعولي اري ومثل ذلك التبري فاع اراءة والمراد بالاعمال قبل الطاعات لزمتهم فلم يفعلوها وضيعوها عن السدي وقيل المعاصي اعمالهم الخبيثة يتحسرون لم عملوها عن الربيع وابن زيد وقيل ثواب طاعتهم التي اتوا بها فاحبطوه بالكفر عن الاصم وقيل اعمالهم التي تقربوا بها الى رؤسايهم من تعظيمهم والانقياد لامرهم والحسرة شدة الندامة على ما فات حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة فيها والتركيب يدل على الكشف ومنه الحسير الظاهر الكشف بذهاب الشعر والحاسر لانهم لا يرون مكان اعمالهم الا حسرات فيا ايها المغرورون بالسلامة لما اعددت ليوم القيمة يوم الحسرة والندامة يوما يجعل الولدان شيبا يوم يدعوا المسرور ثبورا الدنيا دار تجارة فالويل لمن تزود منها الخسارة وما هم بخارجين من النار استدل الاشاعرة بالتقديم على التخصيص فقالوا ان اصحاب الكبيرة من اهل القبلة يخرجون من النار وزعم المعتزلة ان بناء الكلام على هم لتقوي الحكم وافادة التاكيد كما في لله تعالى فهم يخلقون فانه لا يدل على ان غير الاصنام غير مخلوق والله اعلم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ز وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ط
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ط
مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ
الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ط صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝

القراءة خطوات ساكنة الطاء حيث كان ابو عمرو غير عباس ونافع وحمزة وخلف والهاشمي وابو ربيعة

عن البزي والقواس والحماد وابو بكر غير البرجمي الباقون بالضم بل نتبع وبابه مثل هل نتبعكم وبل نقذف مدغما حيث كان
على وهشام الوقوف طيبا ط الوصل اجوز لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مبين ه ما لا تعلمون ه اباونا للابتداء
الاستفهام ولا يهتدون وندآء ط لحق المحذوف اي هم صم لا يعقلون ه التفسير قال الكلبي نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر
بن صعصعة حرموا على انفسهم من الحرث والانعام وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والاية مسوقة
لتعريض طرف من جهالات المشركين المتخذين من دون الله اندادا وحلالا مفعول كلوا او حال من لما في الارض وهو المباح
الذي انحلت عقدة الحظر عنه من الحل الذي يقابل العقد ومنه حل بالمكان اذا نزل وحل عقد الرحال وحل الدين
وجب لانحلال العقدة بانقضاء المدة والحلة لانها تحل عن الطي للبس وتحلة القسم لان عقدة اليمين تنحل به
ثم الحرام قد يكون حراما في جنسه كالميتة والدم وقد يكون حراما بعرض كملك الغير اذا لم ياذن في اكله
فالحلال هو الخالي عن القيدين والطيب ان اريد به ما يقرب من الحلال لان الحرام يوصف بالخبيث فلا يستوي
الخبيث والطيب فالوصف لتاكيد المدح مثل نفخة واحدة اي الطاهر من كل شبهة ويمكن ان يراد بالطيب اللذيذ او
يراد بالحلال ما يكون بجنسه حلالا او بالطيب ما لا يتعلق به والخطوة بالضم ما بين قدمي الخاطي كالغرفة بالضم اسم
لما يغترف والفعلة بالضم والسكون اذا كانت اسما تجمع في التصحيح بسكون العين وضمها يقال اتبع خطواته ووطي
على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لاقعدن
لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم انما يامركم بالسوء يتناول
جميع المعاصي من احوال الجوارح وافعال القلوب والفحشاء وهي التي جاوزت الحد في القبح فلهذا قد يخص الاول بما
لا يجب فيه الحد الثاني بما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا افحش الكل لان وصف الله تعالى بما
لا ينبغي من اعظم الكبائر فهذه الاية كالتفسير لقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان فالصغائر والكبائر والكفر
والجهل كلها من مامورات الشيطان بل لا يامر الشيطان الا بهذه الامور بدليل انما وهي للحصر وقد يدعوا الشيطان
الى الحسن نادرا وغرضه ان يجره الى الشر اخرا مثل ان يجره من الافضل الى الفاضل فيتمكن بعد ذلك ان يجره الى
الشر ومثل ان يجره من الفاضل السهل الى الافضل الاشق ليصير ازدياد المشقة سببا لتنفره عن الطاعة و
يدخل في قوله على الله ما لا تعلمون جميع المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة وقول الرجل هذا حلال وهذا
حرام بغير علم بل يتناول مقلد المحق لكنه قال ما لا يعلم فصار مستحقا للذم من حيث انه قادر على تحصيل العلم
بالحق ثم انه قنع بالظن والتخمين ومعنى امر الشيطان ووسوسته قد سلف في شرح الاستعاذة وفي التعبير عن
وسوسته بالامر رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه واذا كان الامر المطاع
مرجوما مذموما فكيف حال المامور المطيع وفي هذا معتبر النظراء ومزدجر العقلاء اعاذنا الله بحوله وقوته
من مكر الشيطان وكيده واذا قيل لهم اي للمتخذين من دون الله اندادا او للناس والالتفات الى الغيبة
للنداء على ضلالهم كانه يقول للعقلاء انظروا الى هولاء الحمقى ماذا يقولون وعن ابن عباس نزلت في اليهود حين
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا
منا واعلم وقد يعود الضمير الى المعلوم كما يعود الى المذكور وعلى هذا فالاية مستانفة وانما خص هذا الوضع بلفظ
الفينا لان الفيت يتعدى الى مفعولين البتة فكان نصا في ذلك فورد في الموضع الاول على الاصل واقتصر في ثاني
ولما كان على لفظ وجدنا المشترك بين المتعدي الى واحد والمتعدي الى اثنين اكتفاء بما ورد في الاول مع تغيير العادة
عارضوا ما انزل الله من الدلائل الباهرة بالتقليد فما اغفلهم وانصفهم فلا جرم اجاب الله تعالى بقوله اولو كان
الواو للعطف لا للحال على ما وقع في الكشاف والهمزة للرد والتعجيب وفعل الاستفهام محذوف وكذا جواب الشرط
والمعنى ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون الصواب اتتبعونهم ايضا وتقرير الجواب ان يقال
للمقلد اعرفت ان المقلد محق ام لا فان لم تعرف فكيف قلدته مع احتمال كونه مبطلا وان عرفت فاما بتقليد اخر فيلزم
التسلسل او بالعقل وكذلك في معرفة الحق فالتقليد ضائع وايضا على المقلد حصل بالتقليد تسلسل وان حصل
بالدليل فانما يتبعه المقلد اذا علم بذلك الدليل ايضا والا كان مخالفا فظهر ان تقول قول الغير من غير دليل وبال وضلال

ومثل الذين كفروا فيه للعلماء طريقان احدهما تصحيح المعنى باضمار اما في المشبه اي مثل من يدعو الذين كفروا
الى الحق كمثل الذي ينعق يقال نعق الداعي بالضان اذا صاح بها واما نغق الغراب فبالغين المعجمة شبه الداعي الى الحق
براعي الغنم والكفرة بالغنم ووجه التشبيه ان البهيمة تسمع الصوت ولا تعلم المراد وهولاء الكفار يسمعون صوت الرسول
والفاظه كما كانوا ينتفعون بها فكانهم لا يفهمون معانيها واما باضمار في المشبه به اي مثل الذين كفروا كبهائم الذي
ينعق والطريق الثاني التصحيح بغير اضمار اي مثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع لكن قوله الا دعاء
ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا او مثلهم في دعائهم الهتهم كمثل الناعق في دعائه عند الجبل فانه لا يسمع
الا صدى صوته فاذا قال يا زيد سمع من الصدى يا زيد فكذلك هولاء الكفار اذا دعوا الاوثان لا يسمعون الا ما تلفظوا
به من الدعاء والنداء او مثلهم في قلة عقلهم حيث عبدوا الاوثان كمثل الداعي اذا تكلم مع البهائم فكما ان البهائم دليل تخافة
العقل فكذلك عبادتهم لها او مثلهم في اتباعهم اباءهم وتقليدهم لهم كمثل الذي ينعق مع البهائم فكما ان ذلك عبث ضائع
فكذا تقليدهم واتباعهم صم عن استماع الحق والانتفاع به بكم عن اجابة الداعي الى سبيل الخير عمي عن النظر في الدلائل
فهم لا يعقلون العقل المسموع ولا المطبوع وذلك ان طريق الاكتساب الاستعانة بالحواس ولهذا قيل من فقد حسا فقد
علما فلما فقدوا فائدة الحواس فكانهم عدموها خلقة قال شاعرهم ابن ابي دشبي العقل نوعان مطبوع ومسموع ولا يصلح
واحد منهما الا بصاحبه فان احدهما بمنزلة العين والاخر بمنزلة الشمس ولا يكمل الابصار الا باجتماعهما وذلك النبي صلى
الله عليه وسلم ان لكل شيء دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله يكون عبادته لربه اما سمعتم قول الله عز وجل
حكاية عن الفجار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فقال ما اكتسب امرؤ مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى
ويرده عن ردى التاويل الذين كفروا لم يستمعوا اذا خاطبهم الحق بقوله الست بربكم الا دعاء ونداء لانهم كانوا
الصف الاخير من الارواح المجندة في اربعة صفوف الاول للانبياء والثاني للاولياء والثالث للمومنين والرابع للكافرين
فما شاهدوا شيئا من انوار الحق ولكنهم قالوا بالتقليد بلى فبقوا على التقليد بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ه

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ه إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ج
فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ط إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ه إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ه أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ
إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ج وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ه أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ج فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ه ذَٰلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ط وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ه

القراءات الميتة بتشديد الياء يزيد الباقون بالسكون فمن اضطر بسكون النون وضم الطاء ابو عمرو وسهل و
يعقوب وحمزة وعاصم فمن اضطر بضم النون وكسر الطاء يزيد الباقون بضمها الوقوف تعبدون ه لغير الله ج
للشرط مع فاء التعقيب عليه ط رحيم ه قليلا ط لان ما بعده خبر ان يزكيهم ج الوصل اولى لاتصال بعض اجزائهم بالبعض
اليم ه بالمغفرة ج للابتداء بالتعجب او الاستفهام والوصل للمبالغة في الانكار على النار ه بالحق ط للابتداء بان بعيد ه ربع الجزء

الكلام مع البهائم

حزب

التفسير انه سبحانه تكلم من اول السورة الى ههنا فى دلائل التوحيد والنبوة واستقصى شرح اهل النفاق و
الشقاق من المشركين واهل الكتاب وذيل كلا من ذلك بما يناسبه ومن ههنا شرع في بيان الاحكام الشرعية الحكم
الاول اباحة الاكل للمومنين بعد ما عمم الناس كلهم وهذا بالنظر الى الاصل وقد يصير واجبا لعارض كما لو اشرف على
الهلاك بسبب المجاعة وقد يكون مندوبا كموافقة الضيف واستدل بقوله من طيبات ما رزقناكم على ان الرزق قد
يكون حراما فان الطيب هو الحلال ولو كان الرزق حلالا البتة لم يبق فى ذكر الطيب فائدة اذ يصير المعنى كلوا
من حلالات ما احللنا لكم ولعل قوما ظنوا ان التوسع فى اكل الحلال والاستكثار من الملاذ ممنوع منه فرفع
الحرج واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى
النعم فان الشكر رأس العبادة والتركيب يدور على الكشف والاظهار ومنه كشر اذا كشف عن ثغره فشكر
النعم وصفها باللسان من الشكر وباطن الشكر ان يستعين بالنعم على الطاعة دون المعصية وقال بعضهم شعر
اولتني نعما ابوح بشكرها وكفيتني كل الامور باسرها فلاشكرنك ما حييت فان امت فلتشكرنك اعظمي في قبرها
عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر
غيري فلما احل في الاية ما اباح اكله ذيل بحصر ما هو محرم ليبقى ما عداه على اصل الاباحة فقيل انما حرم عليكم
الميتة وهي تتناول ما مات حتف انفه وما لم يدرك ذكاته على الوجه الشرعي فاذا كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها
اجماعا ولا نجاسة في تحريم ما ليس بمحرم ولا فيه ضرر ظاهر تدل على النجاسة وليس في الاية اجمال عند الاكثرين لان
المفهوم من تحريم ليس تحريم اعيانها وان المفهوم في العرف حرمة التصرف في هذه الاجسام كما لو قيل فلان يملك
التصرف فيها وعلى هذا فالاية تدل على حرمة جميع التصرفات الا ما اخرجه الدليل المخصص كالسمك والجراد لقوله
صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والنون واما الدمان فالطحال والكبد وقال
صلى الله عليه وسلم في صفة البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش الا في الماء
وان لم تكن على صورة السمكة المشهورة ولا فرق بين ما يوكل نظيره في البر كالبقرة والشاة وبين ما لا يوكل كخنزير الماء
وكلبه على اصح القولين للشافعي وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف ان السمك والجراد يخرج بنفسه لان
الميتة لا يتناولهما عرفا وعادة ولهذا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة لقوله
تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بما لو حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان عد الكافر من الدواب لقوله
تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وفيه نظر لعدم التناول عرفا انما هو بعد تخصيص الشارع فلا
يمكن ان يجعل دليلا على عمومه وكالجنين الذي يوجد ميتا عند ذبح الام عند الشافعي وابي يوسف ومحمد وهو
المروي عن علي عليه السلام وابن مسعود وابن عمر لقوله صلى الله عليه وسلم ذكاة الجنين ذكاة امه وقال ابو حنيفة
لا يوكل الا ان يخرج حيا فيذبح وحمل الحديث على الاضمار اي ذكاة الجنين كذكاة امه ورد بان الاضمار خلاف الاصل
وبانه اذا خرج لا يسمى جنينا وبانه لا يبقى للخبر حينئذ فائدة لان ذلك معلوم ولما روي عن ابن سعيد انه صلى الله
عليه وسلم سئل عن الجنين يخرج ميتا قال ان شئتم فكلوه فان ذكاته ذكاة امه وكشعر الميتة وصوفها فانهما عند
ابي حنيفة طاهران لقوله تعالى في معرض الامتنان ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين
ولقوله صلى الله عليه وسلم في شاة ميمونة انما حرم من الميتة اكلها ولانهم كانوا يلبسون جلود الثعالب ولانه
الشعر والصوف لا حيوة فيه لان حكم الحيوة الادراك والشعور ومن ههنا ذهب مالك الى تحريم العظام دون
الشعر وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالقرن والظفر والسن كلها نجسة لقوله صلى الله عليه وسلم ما ابين من
حي فهو ميت فلان الحيوة عندنا عبارة عن كونه بحيث يتعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعور والجلود لانها
فلملقفها وفيه مذاهب سبعة فاوسع الناس قول الزهري حيث جوز استعمال الجلود باسرها قبل الدباغ ثم داود قال يطهر
كلها بالدباغ لقوله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر ولان الدباغ يعيد الجلد الى ما كان عليه حال الحيوة
من عدم التعفن والفساد ثم مالك يطهر ظاهرها دون باطنها ثم ابو حنيفة يطهر كلها الا جلد الخنزير لدسومته والادمي لكرامته
ثم الشافعي يطهر الكل الا جلد الكلب والخنزير ثم الاوزاعي ابو ثور يطهر جلد ما يوكل لحمه فقط ثم احمد بن حنبل والشيعة

ظاهرها دون

لا يطهر

لا يطهر شيء منها بالدباغ لاطلاق الاية ولقول عبد الله بن عكيم اتانا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
وفاته بشهر ان لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب واختلف في انه هل يجوز الانتفاع بالميتة باطعام البازي
والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال بعضهم اذا اقدم البازي من عند نفسه على اكل الميتة وجب علينا منعه و
جوز الشافعي رضي الله عنه استعمال نجس العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كمفاجأة قتال مع فقد ان غيره وكذا
الحر والبرد المهلكين ولاجل تخليل الكلب وان لم يكن ضرورة وكذا استعمال جلد الميتة وكذا استعمال جلد الميتة قبل الدباغ
كتحليل الدابة والكلب وكذا استعمال النجس العين كودك الميتة والخنزير والزبل للاستصباح وتسميد الارض لعموم الحاجة
الغريبة من الضرورة وقد نقله الاثبات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل عليه الصلوة والسلام عن الفارة
تقع في السمن فقال استصبحوا به ولا تاكلوه والدخان وان كان نجسا لكنه قليل معفو عنه وعن ابي حنيفة اذا مات في
الماء القليل ما ليس له نفس سائلة ابن ادم كالذباب والبعوض والخنفساء والعقرب وبنات وردان لم يفسد الماء قل وان
كثر لان رطوبة هذه الحيوانات تشبه رطوبة النبات فهي حية وميتة على هيئة واحدة وعند الشافعي فيه قولان وعامة
الاصحاب عدوا دود الطعام من جملة ما ليس له نفس سائلة وقالوا لا ينجس الطعام الذي تولد منه بموته فيه بلا خلاف
فان في ماء او في مايع اخر ففيه قولان ثم الذباب والبعوض ونحوها وان حكم بطهارة ميتتها فهي محرمة لانها مستقذرة مندرجة
تحت عموم اسم الميتة وفي جواز اكل دود الطعام والفواكه والماء وجهان والاظهر تحريمها عند الانفراد ومع هذه الاشياء
يمكن ان يسامح به وسأل عبد الله بن المبارك ابا حنيفة عن طائر وقع في قدر مطبوخ فمات فقال ابو حنيفة ما تقول انت فيها
فذكر له عن ابن عباس ان اللحم يوكل بعد ما يغسل ويهراق المرق فقال ابو حنيفة بهذا نقول على شريطة ان كان وقع فيها
في حال سكونها كما في هذه الرواية ان وقع فيها حال غليانها لم يوكل اللحم ولا المرق فقال ابن المبارك ولم ذلك قال لانه
اذا سقط فيها في حال غليانها فمات فقد داخلت الميتة اللحم واذا وقع فيها في حال سكونها فمات فقد وسخت الميتة
اللحم فاستحسنه ابن المبارك وعند ابي حنيفة ذبح ما لا يوكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي لا يستعقبها
كما لا يستعقب حل الاكل وكما لو ذبح المجوسي ماكول اللحم ولبن الشاة الميتة وانفحتها طاهران عند ابي حنيفة دون
الشافعي ومالك لان الاية يتناولهما فان اللبن لا يوصف بانه ميتة بل لتنجسه بمجاورة الميتة وبيض الماكول اللحم اذا مات
ود حيث جوفه فان كان منعقدا فطاهر بعد ان يغسل والا فلا اما الدم فعند الشافعي جميعه حرام سواء كان مسفوحا
او غيره لاطلاق الاية الا الكبد والطحال للخبر عند من يقول يتناول الاية اياهما وعند من يقول بذلك لا لتخصيص وقال ابو
حنيفة دم السمك ليس بمحرم واما لحم الخنزير فاجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وتخصيص اللحم بالذكر
لان معظم الانتفاع متعلق به اما شعر الخنزير فغير داخل في الظاهر وان اجمعوا على تحريمه وتنجيسه واختلفوا في انه
هل يجوز الانتفاع للخرز فابو حنيفة ومحمد يجوز والشافعي لا يجوز احتج ابو حنيفة بانا نرى المسلمين يقرون الاساكفة
على استعماله من غير نكير ولان الحاجة ماسة اليه وما اهل لغير الله به قيل ما رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل
الجاهلية باسم اللات والعزى واهل المعتمر اذا رفع صوته بالتلبية قال العلماء لو ان مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب
الى غير الله صار مرتدا وذبيحته ذبيحة مرتد ويستثنى مما اهل به لغير الله ذبائح اهل الكتاب اذا سمى بها عليها باسم
المسيح مثلا لاطلاق قوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولان النصراني اذا سمى الله تعالى فانما يريد به المسيح
وهو مذهب عطاء والحسن ومكحول والشعبي وسعيد ابن المسيب وقال مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه اذا ذبحوا
على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم واذا ذبحوا على اسم الله فظاهر اللفظ يقتضي الحل ولا عبرة
بما لو اراد المسيح وعن علي كرم الله وجهه اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوا
فكلوا فان الله تعالى قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون واعلم ان ظاهر الاية يقتضي ان يكون سوى هذه الاشياء
محرما لكنا نعلم ان في الشرع اشياء اخر سواها من المحرمات فكلمة انما متروكة العمل بظاهرها والله اعلم فمن
اضطر افتعل من الضر وهو الضيق اي الجئ استثنى من التحريم حالة الضرورة ولها سببان احدهما الجوع الشديد وان لا
يجد ماكولا حلالا يسد به الرمق فعند ذلك يكون مضطرا الى اكل المحرم الثاني اذا اكرهه على تناوله مكره فيحل له
تناولها ما اكره عليه والاضطرار ليس من افعال المكلف حتى يقال انه لا اثم عليه فيه فلا بد من اضمار وهو الاكل اي فمن اضطر

فاكل فلا اثم عليه وانما حذف للعلم به وغيره ههنا بمعنى لا النافية كانه قيل فمن اضطر لا باغيا ولا عاديا و
البغي في اللغة الظلم والخروج عن الانصاف بغى الجرح ورم وترامي الى فساد وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذي
هو حد الشي فهو بغي والعدوان الظلم الصراح وتجاوز الحد وللائمة في الاية قولان احدهما واليه ذهب ابو حنيفة
تخصيص البغي والعدوان بالاكل وعلى هذا فالمعنى غير باغ بان يجد حلالا لا يكرهه النفس فعدل الى اكل الحرام
اللذيذ ولا عاد اي متجاوز قدر الرخصة او غير باغ اي طالب اللذة ولا عاد متجاوز سد الجوعة عن الحسن وقتادة
والربيع ابن زيد وغير باغ مضطر بالاستيلاء عليه ولا عاد في سد الجوعة والثاني واليه ذهب الشافعي والامامية
غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحققين ويتفرع على الاختلاف العاصي بسفره هل يترخص ام لا
فعند ابي حنيفة يترخص فانه مضطر او غير باغ ولا عاد في الاكل وعند الشافعي لا يترخص لانه موصوف بالعدوان
ويؤيد الاية الاخرى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم وايضا غير باغ ولا عاد حالان من الاضطرار فلا بد ان
يكون وصف الاضطرار باقيا في الحالين وليس كذلك لانه حال الاكل لا يبقى وصف الاضطرار وايضا الانسان ينفر
طبعه عن تناول الدم فلا حاجة الى نهيه عن التعدي في الاكل وايضا انه نفي ماهية البغي والعدوان ولما ينتفي عند
انتفاء جميع افرادها ويتحقق حينئذ نفي العدوان في السفر كما هو مقصودنا واما تخصيص النفي بالاكل كما ذهبتم
اليه فترجيح من غير دليل حجة ابي حنيفة قوله تعالى في اية اخرى وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه
وهذا الشخص مضطر فوجب ان يترخص وايضا قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والامتناع
عن الاكل سعي في قتل النفس فيحرم كما لو دفع اسباب الهلاك عن نفسه اذا صال عليه جمل او قتل او حية وايضا
الضرورة تبيح تناول طعام الغير من دون الرضا بل على سبيل القهر وهذا التناول محرم لولا الاضطرار فكذا ههنا
اجاب الشافعي بانه يمكنه الوصول الى استباحة هذه الرخص بالتوبة فاذا لم يتب فهو الجاني على نفسه ثم ان
الرخصة اعانة على السفر واذا كان السفر معصية فالرخصة اعانة على المعصية والسعي في تحصيل المعصية محظور
والجمع غير ممكن ثم اتفق الائمة على ان المضطر لا ياكل من الميتة الا قدر ما يمسك رمقه الا ما حكي عن السيد بمسكة فتناول
الشبع وقال عبد الله بن الحسن العنبري ياكل منها ما يسد جوعته وعن مالك ياكل منها حتى يشبع ويتزود فان
غني عنها طرحها والاول اقرب لان سبب الرخصة اذا كان الالجاء فمتى ارتفع الالجاء ارتفعت الرخصة كما لو وجد
الحلال لم يحل تناول الميتة وكما ان الجوعة في الابتداء لا يبيح اصل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه وهذه الرخصة
شاملة لجميع المحرمات عند الاكثرين وبعضهم خصصها بما سوى لحم الخنزير والشافعي منع عن شرب الخمر
لشدة العطش دون اساغة اللقمة وفي التداوي بها وجهان وسائر المحرمات يجوز فلا يجب الامتناع الى ان يشرف
على الموت فان الاكل حينئذ لا ينتفع بل لو انتهى الى تلك الحالة لم يحل التناول وحدوث مرض مخوف في جنسه
كخوف الموت وهكذا ان كان يخاف منه لطول تماديه ولا يشترط في جميع ذلك الا غلبة الظن دون اليقين ومعنى قوله
فلا اثم عليه دفع الحرج والضيق كما مر في قوله ولا جناح عليه ان يطوف بهما ورفع الحرج قدر مشترك بين الواجب
والمندوب والمباح ولا ينافي وجوب الاكل في حالة الاضطرار ومعنى قوله ان الله غفور رحيم ان المقتضي للحرمة
قائم الا انه زالت الحرمة لوجود العارض فلما كان تناوله تناول ما حصل فيه المقتضي للحرمة ذكر بعده المغفرة ثم ذكر
انه رحيم يعني لاجل الرحمة ابحت لكم ذلك او لعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة وانه لما بين هذه الاحكام المطلقة
بالنسبة اليها اما ان يعصوا فذكر انه غفور لهم اذا تابوا ويطيعوا فهو رحيم بهم حيث وفقهم للطاعة ان الذين
يكتمون عن ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب بن الاشرف وحيي بن الاخطب ونحوهما
كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث في غيرهم خافوا
ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم اخرجوها اليهم
وقالوا هذا نعت نبي اخر الزمان لا يشبه نعت هذا الذي بمكة فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه
مخالفا لصفة النبي صلى الله عليه وسلم فلا يتبعونه ويشترون به اي بالكتمان لدلالة الفعل عليه او بالمنزل وقد سبق
معنى الاشتراء والثمن القليل في بطونهم حال اي ملء بطونهم اكل فلان في بطنه وفي اكل بعض بطنه الا النار لانه اذا

اكل

اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقولهم اكل الدم اي الدية التي هي بدل منه قال شعر
اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر وذلك انهم كانوا يستنكفون عن اخذ الدية وبعيدة مهوى
القرط كناية عن طول العنق ويمكن ان يقال انهم ياكلون في الاخرة النار لاكلهم في الدنيا الحرام ولا يكلمهم مما يحبون لانهم كفوا
كلامه بل يقول اخسؤوا فيها ولا تكلمون او لا يكلمهم اصلا كغضبه عليهم كما هو ديدن الملوك عن الاعراض عند السخط
والامثال عند الرضا ولا يزكيهم بالثناء عليهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى بيان لتماديهم في الخسارة فان احسن
الاشياء في الدنيا الاهتداء والعلم واقبحها الضلال والجهل وفي الاخرة انفع الاشياء المغفرة واضرها العقاب فهم في خسران
الدارين لاستبدالهم في الدنيا اقبح الامور باحسنها وفي الاخرة اضر الاشياء باحسنها فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم
في تلبسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فان الراضي بموجب الشيء لا بد ان يكون راضيا بمعلوله ولازمه اذا علم ذلك اللزوم
كما يقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن وهذا التعجب منهم في حال التكليف واشترائهم
الضلالة بالهدى وعن الاصم ان المراد انه اذا قيل لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون فهم يسكتون ويصبرون على الياس
من الخلاص وضعف بانه خلاف الظاهر وبان اهل النار قد يقع منهم الجزع والاستغاثة وقيل ان ما في ما اصبرهم للاستفهام
بمعنى التوبيخ معناه اي شيء صبرهم عليها حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا اصل معنى فعل التعجب والتعجب استعظام
الشيء مع الخفاء بسبب حصول عظم ذلك الشيء هذا هو الاصل ثم قد يستعمل لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير
خفاء السبب كما في حقه تعالى ذلك الوعيد الشديد او ذلك الكتمان وسوء معاملتهم انما هو بسبب ان الله نزل الكتاب يعني
جنس الكتب السماوية او القرآن بالحق بالصدق او ببيان الحق وقد نزل في جملة ما نزل ان هؤلاء الرؤساء من اهل الكتاب
لا يؤمنون ولا يكون منهم الا الاصرار على الكفر فانه تعالى ختم على قلوبهم فان الذين اختلفوا في الكتاب جنسه فقالوا
في البعض حق وفي البعض باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق والذين اختلفوا في القرآن فقال بعضهم
شعر وبعضهم اساطير والذين اختلفوا في التوراة والانجيل فقدح كل منهما في الاخر فذكر كل منهما الايات الدالة
على نبوة محمد تاويلا اخر فاسدا او حرفوا كلا منها على وجه اخر لا جاحد او لئك هم فيما بينهم في شقاق بعيد
ومنازعة شديدة فلا ينبغي ان تلتفت الى اتفاقهم على العداوة فانه ليس فيما بينهم مؤالفة وموافقة وعن ابي مسلم
اختلفوا في الكتاب اي توارثوه مثل ان في اختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما واعلم ان الاية وان نزلت في اهل
الكتاب يشبه ان تكون عامة في كل من كتم شيئا من باب الدين فيكون حكما ثابتا للمسلمين ويصلح ان يتمسك به
القاطعون بوعيد اصحاب الكبائر وكان السبب في تغليظ هذا الحكم الحكم الاول ان اهل الكتاب قد حرموا بعض
ما احل الله كلحوم الابل والبانها واحلوا ما حرم الله كبعض الشحوم فسيقت الاية تعريضا بصنيعهم وتفضيحا
وجزاء اضرابهم والله اعلم التاويل الميتة جيفة الدنيا والدم هي الشهوات النفسانية ان الشيطان يجري من ابن ادم
مجرى الدم وقال ايضا صلى الله عليه وسلم سدوا مجاري الشيطان بالجوع ولحم الخنزير ومادة الشره والحرص وما
اهل به لغير الله كل ما يتقرب به الى الله سبحانه وتعالى رياء وسمعة والله سبحانه وتعالى اعلم

لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ
الْاٰخِرِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالْكِتٰبِ وَالنَّبِيّٖنَ وَاٰتَى الْمَالَ عَلٰى حُبِّهٖ ذَوِي الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى
وَالْمَسٰكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ وَالسَّائِلِيْنَ وَفِي الرِّقَابِ وَاَقَامَ الصَّلٰوةَ وَاٰتَى الزَّكٰوةَ وَالْمُوْفُوْنَ
بِعَهْدِهِمْ اِذَا عٰهَدُوْا وَالصّٰبِرِيْنَ فِي الْبَاْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِيْنَ الْبَاْسِ اُولٰئِكَ
الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ

القراءة

ليس البر بنصب الراء وحمزة وحفص الخبر ان عنه مختبرا انما تؤتون بالرفع ولكن خفيفا البر رفعا فيهما بعد نافع وابن عامر
الباقون بالتشديد والنصب **الوقوف** والنبيين ج لطول الكلام واختلاف المعنى لان ما قبله اصول الايمان وما بعده
فروع وفي الرقاب ج للطول مع انتهاء شرع الكلام وابتداء الوار من الزكوة ج عاهدوا ج للعدول عن النسق الى المدح والتقدير
هم الموفون واعني الصابرين البأس ط صدقوا المتقون ه **التفسير** هذا اخر من احكام الاسلام عن قتادة قال ذكر لنا ان
رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن البر فانزل الله تعالى هذه الاية قال وقد كان الرجل قبل الفرايض اذا شهد
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك وجبت له الجنة وقيل اكثر خوض المسلمين واهل الكتاب في
امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا لشانه عن ساير صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب صرف
الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وعلى هذا فالخطاب عام وقيل الخطاب لاهل الكتاب لان المشرق قبلة النصارى
والمغرب قبلة اليهود وانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وزعم كل من الفريقين ان البر هو
التوجه الى قبلته فرد عليه بان ما انتم عليه خارج من البر اما اولا فلانه منسوخ واما ثانيا فلانه على تقدير
صحته شرط من شرايط اعمال البر لانها من جملتها الصلوة واستقبال القبلة شرط فيها وان يكون شرط جزء الشيء
تمام حقيقة ذلك الشيء وذلك ان البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير المقربة الى الله ومنه بر الوالدين واستـ
ضادها بكل ما امكن والتركيب يدل على الاتساع ومنه البر خلاف البحر قيل ان قراءة رفع البر اولى ليكون
الاسم مقدما على الخبر على الاصل وقيل بالنصب اولى لان ان مع صلتها يشبه المضمر في انها لا يوصف والمضمر
في الاختصاص من المظهر فهو اولى بان يكون اسما ولكن البر من امن على تقدير حذف المضاف اي بر من امن وقيل
التقدير هكذا ولكن البر من امن وقيل البر بمعنى البار مثل رجل صوم اي صايم وعن المبرد لو كنت ممن يقرا القران
لقرات ولكن البر بفتح الباء وقال في تفسير الكبير انه تعالى اعتبر في تحقيق ماهية البر امورا **الاول** الايمان
بامور خمسة اولها الايمان بالله ولن يحصل العلم بالله ولن يحصل العلم بالله الا بالعلم بذاته المخصوصة والعلم بما يجب و
يجوز ويستحيل عليه ولن يحصل العلم بهذه الامور الا عند العلم بالدلايل الدالة عليها فيدخل فيها العلم بحدوث العالم
بالاصول التي عليها يتفرع حدوث العالم ويدخل في العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوبه وقدمه وبقايه
وكونه عالما بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما ويدخل في العلم بما يستحيل عليه العلم
بكونه منزها عن الحالية والمحلية والتحيز والعرضية ويدخل في العلم بما يجوز عليه اقتداره على الخلق والايجاد وبعثة
الرسل وثانيها الايمان باليوم الاخر ويتفرع على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل الممكنات وثالثها
الايمان بالملايكة ورابعها الايمان بالكتب السماوية وخامسها الايمان بالنبيين وسبب هذا الترتيب ان للمكلف مبدا
ووسطا ونهاية ومعرفة المبدا والمنتهى هو المقصود بالذات اعني الايمان بالله وباليوم الاخر واما معرفة مصالح
الوسط فلا يتم الا بالرسالة وهي منوطة بالوحي الذي ياتي به الملك فثبت ان كل ما يلزم المكلف التصديق به داخل في
الاية **الثاني** ايتاء المال على حبه اي على حب المال عن ابي هريرة انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصد
قة خير قال ان تتصدق وانت صحيح حريص تامل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان
كذا وعن ابي الدرداء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي تصدق عند الموت مثل الذي يهدي لما يشبع والسبب
انه عند الصحة يحصل ظن الحاجة الى المال وعند ظن الموت يحصل الاستغناء وبذل الشيء عند الاحتياج ادل على
الطاعة من بذله عند الاستغناء به وايضا الاعطاء عند الصحة ادل على كونه متيقنا بالوعد والوعيد من اعطاء
حال المرض والموت وايضا الهبة عند الموت تشبه الهبة عند الخوف عن الفوت وقيل الضمير يرجع الى الايتاء اي
يعطي ويحب الاعطاء رغبة في ثواب الله وقيل يرجع الى الله اي يعطي المال على حب الله وطلب مرضاته ثم ذكر
سبحانه وتعالى ممن يؤتون المال اصنافا ستة اولهم اولوا القرابة وثانيهم اليتامى وثالثهم المساكين فقد مر ما
يتعلق بكل منهم في تفسير قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وانما قدم ذوي القربى لانهم
احق قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة ولتاكيد
استحقاقه نال رتبة الوراثة وتحجر بسببه على المالك في الوصية حتى لا يتمكن من الوصية الا في الثلث والملوح ذوي القربى

واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس وتقديم اليتامى على المساكين لان الصغير الفقير الذي لا والد له ولا هو كاسب
منقطع الحيلة من كل الوجوه ورابع الاصناف ابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله جعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال لطير
الماء ابن الماء وللشجاع اخو الحرب وللناس بنو الزمان وقيل هو الضيف لان السبيل ترعف به وخامسهم السايلون وهم المستطعمون
ويدخل فيه المسلم والكافر ويقرب منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للسايل حق وان جاء على فرس وسادسهم
المكاتبون واشار اليه بقوله وفي الرقاب اي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها
وقيل في فك الاسارى والرقاب جمع الرقبة وهو مؤخر اصل العنق واشتقاقها من المراقبة وذلك ان مكانها من البدن
مكان الرقيب المشرف على القوم ولهذا يقال للمملوك رقبة كانه يراقب العذاب فلا يقال له عنق **الثالث والرابع** قوله
واقام الصلوة واتى الزكوة وقد سلف مباحثهما ثم ان الايمة حيث ذكر الله تعالى ايتاء المال في الوجوه المذكورة
ثم قفاه بايتاء الزكوة ومن حقوق المعطوف ان يغاير المعطوف عليه على ظنوا ان في المال حقا سوى الزكوة وكيف
لا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله واليوم الاخر من بات شبعان وجاره طاو الى جنبه ولا خلاف انه اذا
انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس ان يعطوه مقدار دفع الضرورة وان لم تكن الزكوة واجبة عليهم ولو
امتنعوا من الاعطاء جاز الاخذ منهم قهرا وما روي عن علي عليه السلام ان الزكوة نسخت كل حق كانه اراد الحقوق
المقدرة بدليل انه يلزم التصدق عند الضرورة والنفقة على الاقارب وعلى المملوك **الخامس** قوله والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا وهو مرفوع على المدح اي هم الموفون او عطف على من امن والمراد بالعهد ما اخذه الله من العهود على عباده
بقولهم وعلى السنة رسله اليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته فقبل العباد ذلك حيث امنوا بالانبياء والكتب و
يندرج فيه ما يلتزمه المكلف ابتداء من تلقاء نفسه ما يكون بينه وبين الله كالنذور والايمان وبينه وبين رسول
الله كبيعة الرضوان بايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره على ان لا يقولوا الا بالحق اينما
كانوا لا يخافون في الله لومة لايم او بينه وبين الناس واجبا كعقود المعوضات او مندوبا كالمواعيد فهذا
قال المفسرون هم الذين اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا او نذروا وفوا واذا ائتمنوا ادوا واذا قالوا صدقوا **السادس**
والصابرين في البأساء والضراء وهو نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في الشدايد ومواطن
القتال على ساير الاعمال قال ابو علي الفارسي اذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم فالاحسن
ان تخالف باعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع الاطناب في الوصف والابلاغ في القول
فاذا خولف باعراب الاوصاف كان المقصود اكمل لان الكلام عند اختلاف الاعراب كانه انواع من الكلام وضروب
من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا او جملة واحدة وذكر المحققون اختلاف الحركة للمدح
والذم من كلام السامع وذلك ان الرجل اذا اخبر غيره فقال له قام زيد فربما اثنى السامع على زيد فقال ذكرت والله
الظريف وذكرت العاقل وهو والله الظريف هو العاقل فاراد المتكلم ان يمدحه بمثل ما مدحه السامع فجرى الاعراب
على ذلك اي اريد الظريف او العاقل والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وهما فعلاء من البؤس والضر لا
افعل لهما لانهما ليسا بنعتين وحين البأس القتال في سبيل الله والجهاد واصل البأس الشدة اولئك الذين صدقوا
في ايمانهم وجدوا في الدين واولئك هم المتقون نظيرها ان الجملتين في القطع للاستيناف قوله اولئك على هدى
من ربهم واولئك هم المفلحون كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات وصفوا بالبر الذي هو اصل كل خير فاجيب بان
اولئك الموصوفين لهم قدم صدق في الاسلام وهم المتسمون بسمة التقوى وكل منها منطو على جميع الخيرات
ومتضمن لكل المامورات والمنهيات فلهذا اتصفوا بتلك الصفات وذكر الواحدي ههنا ان الواوات في هذه
الاوصاف للجمع فمن شرايطها البر ان يجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر
فلا ينبغي ان يظن الانسان ان الموفي بعهده من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في البأساء بل لا يكون قايما
بالبر الا عند استجماع هذه الخصال حتى قال بعضهم ان البر من خواص الانبياء والحق انه ليس يستبعد ان يوجد
في الامة موصوف الا ان كمال الامة لا يكون الا في النبي ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان اهل الكتاب اخلوا
بجميع اوصاف البر اخلوا بالايمان بالله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود

يد الله مغلولة وذهبت اليهود الى التجسيم والنصارى الى الحلول والاتحاد وانكروا المعاد الجسماني وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقالوا ان جبريل عدونا وكفروا بالكتب السماوية افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقتلوا النبيين فطعنوا في نبوة سيد المرسلين واثموا بحجة التسخ حتى اشتروا بايات الله ثمنا قليلا او نقضوا العهود او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ولن يصبروا في الاداء لن نصبر على طعام واحد ولاحين البأس فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون والعجل كل العجب منهم حيث ادعوا البر ولا اثنى ولا احد من اجزاء البر فيهم وهذه غاية الغفلة ونهاية العناد والله بصير بالعباد التاويل ليس البر بركم بتولية وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر الحقيقي هو برى معكم بتولية وجوه ارواحكم بجذبات المحبة قبل الحضرة الربوبية المحبوبية لتؤمنوا بدلالة نوري بي وبرحبي لكم تحبوني والملائكة يحبونكم ببرحبي لكم ونرجحي لكم لبس بحدث لبركم معي بل هو برقديم في الكتاب القديم ونور هذه المحبة يحبون اهل يحبني وهم النبيون فالجلسية علة الضم واتى المال على حبه اي ما حصل للعبد من بر العبد وما مال الى سر من عواطف الحق بنفقته على حب حبيبه باداء حقوق الشريعة والطريقة بالمعاملات القالبية والقلبية ذوي القربى وهم الروح والقلب والسر وذو قرابة الحق واليتامى المتولدات من الحق الحيوانية الامارة بالسوء اذا ماتت النفس عن صفاتها بسطوات تجلي صفات الحق والمساكين وهو الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوي البشرية والحواس الخمس فانهم في التردد والسفر الى عوالم المعقولات والمحسوسات والموهومات والسائلين الدواعي الحيوانية والروحانية وفي الرقاب في فك رقبة السر عن اسر تعلقات الكونين بتجريد اقام صلوة المحافظة مع الله بالله واتى زكوة مواهب الحق الى اهل استحقاقها من الخلق فهم الموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الله بالتوحيد والعبودية الخالصة يوم الميثاق والصابرين في البأساء مراعاة الحقوق وترك المخالفات الحظوظ وفنا الوجود عند لقاء الشهود وحين البأس سطوات تجلي صفات الجلال اولئك الذين صدقوا ببذل الوجود واولئك هم المتقون من شرك الانانية والله تعالى اعلم

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون

الوقوف في القتلى ط بالانثى ط لان العفو اعطاء الدية صلحا فكان خارجا عن اصل موجب القتل مستانفا باحسان ط ورحمة ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وفرعه فكان مستانفا اليم تتقون التفسير هذا حكم اخر وسببه ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو فقط واما العرب فتارة يوجبون القتل واخرى يوجبون الدية لكنهم كانوا يظهرون التعدي في كل واحد من الحكمين فاذا وقع القتل بين القبيلتين كان يقول الشريف الخسيس لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وكانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم وربما زادوا على ذلك على ما يروى ان رجلا قتل رجلا من الاشراف ثم اجتمع اقارب القاتل عند والد المقتول فقالوا ماذا تريد قال احدى ثلث قالوا وما هي قال تحيون ولدي او تملاون داري من نجوم السما او تدفعون الي جملة قومكم حتى اقتلهم لا ارى اني اخذت عوضا وكانوا يجعلون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالعدل وسوى بين عباده بالقصاص وقيل نزلت في واقعة قتل حمزة ومعنى كتب فرض واوجب كقوله كتب عليكم الصيام ولفظة على ايضا تفيد الوجوب كقوله ولله على الناس حج البيت والقصاص ان تفعل بالانسان مثل ما فعل

من قولك اقتص فلان اثر فلان اذا فعل مثل ما فعل من قولك ومنه القصة لان الحكاية تساوي المحكى والمقتص يتعادل جانبيه وقوله في القتلى اي بسبب قتل القتلى كقوله عليه السلام في النفس المؤمنة مائة ابل اي بسببها فظاهر الاية تدل على وجوب القصاص على جميع المؤمنين بسبب جميع القتلى الا انهم اجمعوا على ان غير القاتل خارج عن هذا العموم واما القاتل فقد دخله التخصيص ايضا في صور كما اذا قتل الوالد ولده والسيد عبده او المسلم حربيا او معاهدا او مسلما خطأ الا ان العام الذي دخله التخصيص يبقى حجة فيما عداه فان قيل لو وجب القصاص لوجب اما على القاتل وليس عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك واما على ولي الدم فهو مخير بين الفعل والترك وهو مندوب الى الترك العافين على الناس واما على اجنبي وليس ذلك بالاتفاق وايضا القصاص عبارة عن التسوية ووجوب رعاية المساواة على تقدير القتل قلنا عن الاول ايجاب اقامة القصاص على الامام او من يجري مجرى الامام لانه متى حصلت شرائط وجوب القود فانه لا يحل للامام ان يترك القود وهو من جملة المؤمنين فالتقدير يا ايها الائمة كتب عليكم استيفاؤه ويحتمل ان يكون خطابا مع القاتل لانه كتب عليه تسليم النفس عند مطالبة الولي بالقصاص وذلك ان القاتل ليس له ان يمتنع ههنا وليس له للزاني بل يكتم الزاني والسارق الهرب من الحدود ولهما ايضا ان يستترا بستر الله فلا يعترفا فكان امر القتل اشنع وفيه حق الادمي اكثر وعن الثاني انه ظاهر الاية يقتضي ايجاب التسوية في القتل والتسوية في القتل صفة القتل وايجاب الصفة يقتضي ايجاب الذات فالاية تفيد ايجاب القتل ثم اختلفوا في كيفية المماثلة التي يجب رعايتها فقال الشافعي ان كان قتله بقطع اليد قطعت يد القاتل فان مات منه في تلك المرة والاحزت رقبته وكذلك ان احرق الاول بالنار احرق الثاني فان مات في تلك المرة والاحزت رقبته يروى انه صلى الله عليه وسلم قال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه وروي ان يهوديا رضخ راس جارية بالحجارة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يفعل به مثله ولانه يجوز ان يقال كتبت التسوية في القتلى الا في كيفية القتل بحيث لم يستثن دخل وايضا الحكم بالعموم يوجب التخصيص في بعض الصور كما لو قتله بالسحر لانه محرم بل بالسيف وكما لو قتل صغيرا باللواط فانه يقتل بالسيف على الاصح ولو لم يحكم بالعموم لزمه الاجمال والتخصيص اهون منه وايضا لو لم يفد الاية الا ايجاب التسوية في امر من الامور فلا شيء الا وهما متساويان في بعض الامور فلا يستفاد من الاية شيء وقال ابو حنيفة المراد بالمماثلة قاتل النفس ويتعين بالسيف لقوله صلى الله عليه وسلم لا قود الا بالسيف واتفقوا على ان القاتل لم يتب واصر على ترك التوبة فان القصاص مشروع في حقه عقوبة من الله تعالى اما اذا تاب فقد اتفقوا على الله لا يجوز ان يكون عقوبة الدلائل الدالة على قبول التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فالحكمة في وجوب قتله اجاب اصحابنا بانه تعالى يفعل ما يشاء ولا يسال عما يفعل وقالت المعتزلة انما شرع ليكون لطفا وكيف يتصور هذا اللطف ولا تكليف بعد القتل قالوا فيه منفعة للقاتل من حيث انه اذا علم انه لا بد وان يقتل صار ذلك داعيا له الى الخير وترك الاصرار والتمرد ومنفعة لولي المقتول من حيث التشفي ومنفعة لسائر المكلفين من حيث الانزجار عن القتل قوله عز من قائل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى الباء للبدل يعني هذا بذاك اي الحر المقتول بدل الحر وفيه قولان الاول ويروى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة الا انه لا يكون القصاص مشروعا الا بين الحرين وبين العبدين وبين الانثيين لان الالف واللام يفيد العموم اي كل حر يقتل بحر فلو كان قتل حر بعبد مشروعا لكان الحر مقتولا بغير حر وهو تناقض ولهذا القول خرج مخرج البيان لقوله كتب عليكم القصاص وايجاب القصاص على الحر بقتل العبد اهال التسوية فلا يكون مشروعا والى هذا ذهب الشافعي ومالك وقال لما قتل العبد بالعبد فلان يقتل بالحر وهو فوقه اولى وكذا القول في قتل الانثى بالذكر واما قتل الذكر بالانثى فليس فيه الا الاجماع وكان سببه ان الذكورة والانوثة فضيلتان كالعلم والجهل والشرف والخسة فلما انه لم يفرق بين العالم والجاهل فكذلك بين الذكر والانثى وروي عن عمر بن حزام ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن ان الذكر يقتل بالانثى القول الثاني ويروى عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهذا مذهب ابي حنيفة ان الحر بالحر لا يفيد تشريع القصاص بين الذكر بين من غير ان يكون فيه دلالة على سائر الاقسام لان قوله والانثى بالانثى قوله يقتضي قصاص الحرة بالمرأة الرقيقة

فلو كان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد مانعا من ذلك تناقض وايضا قوله كتب عليكم القصاص جملة مستقلة وقوله
الحر بالحر تخصيص لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر فلا يمنع من ثبوت الحكم في ساير الجزئيات ويؤيد ما ذكرنا قوله
تعالى النفس بالنفس وقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافى دماهم وقد يقتل الجماعة بواحد فدل على ان التفاضل
غير معتبر في الانفس ثم انهم قالوا الفايدة في تخصيص بعض الجزئيات بالذكر ما ذكرنا في سبب النزول انهم كانوا يقتلون
بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل فمنعوا عن ذلك وايضا نقل عن علي كرم الله وجهه والحسن البصري ان هذه الصورة هي
التي تكتفى فيها بالقصاص اما في ساير الصور وهي ما اذا كان القصاص واقعا بين الحر والعبد وبين الذكر والانثى
فهناك لا تكتفى بالقصاص بل لا بد من التراجع فاما حر قتل عبدا فهو قوده فان شاء موالي العبد ان يقتلوا قتلوه بشرط
ان يسقطوا قيمة العبد من دية الحر ويودوا الى اولياء الحر بقية ديته وان قتل عبد احرا فهو به قود فان شاء اولياء
الحر قتلوا العبد واسقطوا قيمة العبد من دية الحر وادوا بعد ذلك الى اولياء الحر بقية ديته وان شاؤا اخذوا كل
الدية وتركوا قتل العبد وان قتل رجل امراة فهو بها قود فان شاء اولياء المراة قتلوه وادوا بعض ذلك نصف الدية
الى اوليايه فان شاؤا تركوا قتله واخذوا ديتها واذا قتل امراة رجلا فهي به قود فان شاء اولياء الرجل قتلوها واخذوا
نصف الدية الى اوليايه وان شاؤا تركوها واكلوا كل الدية فعلى هذا الغرض من الاية الاكتفاء بالقصاص
مشروع بين الحرين والعبدين والذكرين والانثيين فاما عند اختلاف الجنس فالاكتفاء بالقصاص غير
مشروع قوله فمن عفي له من اخيه شيء المعنى فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو كقولك سير بزيد اخفض
السير وطايفة من السير لا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفي لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة فان
قيل ان عفي يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له فالجواب انه يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال
عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب والى الجاني معا قيل عفوت لفلان
عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه فمعنى الاية فمن عفي له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية
وانما قيل شيء من العفو لانه يعلم اذا عفي لطرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم اذ عفي عنه بعض
الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية واخوه هو ولي الدم وانما قيل له اخوه لانه لابسه من قبل
انه ولي الدم ومطالبه به كما يقول الرجل قل لصاحبك كذا اذا كان بينهما ادنى تعلق اوذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما
على صاحبه بذكر ما ثبت بينهما من الجنسية والاسلام وقد يستدل بهذا على ان الفاسق مومن لانه تعالى اثبت الاخوة
بين القاتل وولي الدم ولا شك ان هذه الاخوة بسبب الدين انما المومنون اخوة مع ان القتل العمد العدوان بالاجماع من
الكباير وايضا انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو انما يليق عن المومن ويحتمل ان يجاب ان القاتل قبل اقدامه
على القتل كان مومنا فلعله تعالى سماه مومنا بهذا التاويل وبان القاتل قد يتوب وعند ذلك يكون مومنا ثم ادخل
غير التايب فيه على سبيل التغليب وايضا لعل الاية نازلة قبل ان يقتل احدا ولا شك ان المومنين اخوة قبل الاقدام
على القتل وايضا الظاهر ان الفاسق يتوب وعلى هذا التقدير يكون ولي المقتول اخا له وايضا يجوز ان يكون
قد جعله اخا له في النسب كقوله والى عاد اخاهم هودا فاتباع بالمعروف اي فتكون اتباع او فالامر ادفحكمه اتباع
او فعليه اتباع فقيل على العافي اتباع بالمعروف بان لا يشدد في المطالبة بل يجري فيها على العادة المالوفة فان
كان معسرا فالنظرة وان كان واجد العين المال فان لا يطالبه بالزيادة على قدر الحق وان كان واجدا لغير المال
الواجب فالامهال الى ان يستبدل وان لا يمنعه بسبب الاتباع عن تقديم الاهم من الواجبات على المعفو عنه اداء
اليه باحسان بان لا يدعي الاعدام في حال الامكان ولا يؤخره مع الوجود ولا يقدم ما ليس بواجب عليه وان
يؤدي ذلك المال على بشر وطلاقة وقول جميل من غير مطل وبخس هذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد
وقيل هما على المعفو عنه فانه يتبع عفو العافي بمعروف ويؤدي ذلك المعروف اليه باحسان ذلك قيل اشارة
الى الاتباع والاداء وعن ابن عباس وهو الاقرب انه اشارة الى الحكم بشرع القصاص والدية والعفو فان
هذه الامة خيرت بينهن توسعة وتيسيرا ولم يكن انه اشارة الى الحكم بشرع القصاص والتسامح الا العفو
واثبات الحيوة فضل من الله ورحمة في حقنا لان ولي الدم قد يكون الدية اثر عنده من القود واذا كان

محتاجا الى مال وقد يكون القود اثر اذا كان عنده راغبا في التشفي ودفع شر القاتل عن نفسه وقد يوثر ثواب الاخرة
فيعفو عن القصاص وعن بدله جميعا وهي الدية عن اهتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل
مع قتل القاتل او دونه او قتل بعض اخذ الدية والعفو فقد كان الولي في الجاهلية يومن القاتل بقبوله الدية ثم
يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة
ولا يقبل منه الدية كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية وهو مذهب الحسن وسعيد
بن جبير وضعفه غيرهم ولما كانت الاية مشتملة على ايلام العبد الضعيف وانه لا يليق بكمال رحمته عقبها بقوله ولكم في
القصاص حيوة قال المفسرون القصاص ان اله الحيوة وان اله الشي لا يكون نفس ذلك الشي فالمراد لكم في شرع القصاص
حيوة واي حياة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وايل يقتلوا
بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويحتمل ان يقال نفس القصاص سبب لنوع الحيوة وهي الحاصلة بالارتداع عن القتل لان
القاتل اذا اقيد منه ارتدع من كان يهم بالقتل فلم يقتل ولم يقتل فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرا ابو الجوزاء ولكم
في القصاص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القران اي لكم في القران حيوة للقلوب
هذا وقد اتفق علماء البيان على ان قوله سبحانه في القصاص حيوة بلغ في الايجاز نهاية الاعجاز وذلك ان العرب
عبروا عن هذا المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم قتل البعض احياء للجميع واكثروا القتل ليقل القتل واوجز ذلك قولهم القتل
انفى للقتل والترجيح مع ذلك للاية من وجوه الاول ان قولهم لا يصح على العموم لان القتل ظلما ليس انفى للقتل فضلا
بل ادعى له ولو خصص فقتل القتل قصاصا انفى للقتل ظلما طال والاية تفيد هذا المعنى من غير تكلف الثاني
ان القتل قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص وعنها الحيثية
معتبرة في الاية لا في كلامهم الثالث ان الحيوة هو الغرض الاصلي ونفي القتل انما يراد لحصول الحيوة فالتنصيص
على المقصود الاصلي اولى الرابع التكرار من غير ضرورة مستهجن وانه في كلامهم لا في الاية الخامس ان الحروف
الملفوظة التي يعتمد عليها في اعتبار الوجازة لا المكتوبة في الاية عشرة وفي كلامهم اربعة عشر السادس ان الاغلب
في كلامهم اسباب خفاف وذلك مما يخل بسلاسة التركيب والاية مع غاية وجازتها فيها السبب والوتد والفاصلة
السابع ظاهر قولهم يقتضي كون الشيء سببا لانتفاء نفسه وهو محال وفي الاية جعل نوع من القتل وهو
القصاص سببا لنوع من الحيوة ولا استبعاد فيه لظهور التغاير الثامن المطابقة مرعية في الاية لمكان التضاد
بين لفظي القصاص وحيوة بخلاف كلامهم التاسع اشتمال الاية على لفظ يصلح للتفاؤل وهو الحيوة بخلاف كلامهم
فانه يشتمل على نفي اشتقه قتلان وانه لمما يتطير بهم العاشر اشتمال الاية على اسمين واداة واشتمال كلامهم
على ثلثة اسماء واداة وان اعتبرت اداة التعريف ففي الاية واحدة وفي كلامهم ثنتان وان اعتبر التنوين في الاية
تناصفت الادوات ويبقى زيادة الاسماء بحالها على ان افعل التفضيل اذا لم يكن فيه اللام والاضافة تستدعي من
فتقدير كلامهم القتل انفى للقتل من كل شيء فاين الوجازة يا اولي الالباب يا ذوي العقول واولو جمع لا واحد له
من لفظه وواحده ذو بمعنى صاحب واولات للاناث وواحدتها ذات بمعنى صاحبة قال تعالى واولات الاحمال
واعراب اولو كاعراب جمع المذكر السالم وتزاد في اولى واو فرقا بينها وبين الى واجري اولوا عليه والب العقل
ولب النخل قلبها وخالص كل شيء لبه خاطب العقلاء اولي الذين في العقوبات وتعرف نجحها لانهم الخوف فلا يرضون باتلاف
انفسهم لا تلاف غيرهم الا في سبيل الله لعلكم تتقون يتعلق بمحذوف اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح
وحفظ النفوس لتكونوا على بصيرة في اقامته راجين ان تعملوا عمل اهل التقوى في الحكم به وهو خطاب له فضل
اختصاص بالايمة او لعلكم تتقون نفس القتل لخوف القصاص عن الحسن والاصم على الاية اتجه وهو انه قيل
اذا صح ان المقتول ان لم يقتل فهو يموت لان المقدر من عمره ذلك القدر وذلك اذا هم انسان بقتل اخر فارتدع خوفا عن
القصاص فان ذلك الاخر يموت وان لم يقتله ذلك الانسان لان كل وقت صح وقوع قتله صح وقوع موته فكيف يفيد
شرع القصاص حيوة والجواب انه تعالى قد جعل لكل شيء سببا يدور مسببه معه وجودا وعدما وشرعية
القصاص مما جعلها الله سببا لحيوة من اراد حيوته بعد ان تنقوى الهام قتله وذلك بان يتذكر القصاص فارتدع عما

به مقابلة شرع القصاص مع فائدة سائر الاسباب والوسائط ومنكر فائدته منكر فائدتها وكلا الانكارين مذموم
وصاحبها عند العقلاء ملوم والله تعالى اعلم **التاويل** كما كتب القصاص في قتلاكم كتب على نفسه الرحمة في قتلا
وقال من احبني قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اي من كان نمنو جها الى الله بالكلية كان قيضه
تعالى متصلا نه بالكلية ومن كان في رق شيء من المكونات لم يتصل به قبضه غاية الاتصال ومن كان ناقصا في دعوى
محبته لم يكن مستحقا الكمال محبته فمن عفي له من الاحباء والاصفياء شيء من انواع البلاء والابتلاء الذي هو موكل بالانبيا
والاوليا فانه معروف من معارفه فالواجب على العبد اداء شكره الى الله باحسان فمن اعتدى بعد ذلك الوفاء بملابسة
الجفا والتفات جلبات الحياء فله عذاب اليم فان الكفران مرتعة وخيم ولكم في القصاص حيوة الدارين والتقارب التقليل
يا اولي الالباب الذين بدلوا قشر الروح الانساني عند شهود الجلال الصمداني لعلكم تتقون شرك وجودكم والله اعلم

كُتِبَ عَلَيْكُمْ اِذَا حَضَرَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ اِنْ تَرَكَ خَيْرًا ۖ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْاَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۝ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَاِنَّمَا اِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ
يُبَدِّلُونَهُ ۗ اِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا اَوْ اِثْمًا فَاَصْلَحَ
بَيْنَهُمْ فَلَا اِثْمَ عَلَيْهِ ۗ اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ **القراءة**

بالامالة حيث كان حمزة موص بالتشديد يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجبلة الباقون بالتخفيف
من الايصا **الوقوف** خيرا لان قوله الوصية مفعول كتب فانما لم يؤنث الفعل لتقدمه والاعتراض ظرف وشرط
بينهما او الوصية مبتدا او للوالدين خبره ومفعول كتب محذوف اي كتب عليكم ان توصوا ثم بين لمن الوصية اولى
لئلا يحتاج الى الحذف بالمعروف لان التقدير حق ذلك حقا او كتب الوصية حقا على المتقين فان بعدها فاء التعقيب
لانه حكم اخر يبدلونه عليم كذلك عليه ط رحيم **التفسير** هذا حكم اخر وقوله كتب عليكم يقتضي الوجوب
كما مر والمراد من حضور الموت ليس معاينة الموت لان في ذلك الوقت يكون عاجزا عن الايصاء فالاكثرون قالوا
المراد ظهور امارة الموت وهو المرض المخوف كما يقال لمن قارب البلد انه وصل وعن الاصم المراد فرض عليكم في حال الصحة
الوصية بان تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا ورد بانه خلاف الظاهر ولا شك ان الخير قد ورد في القرآن
بمعنى المال وما تنفقوا من خير فانه يحب الخير لشديد من خير فقير لكن الائمة اختلفوا في المراد بالخير ههنا بعد اتفاقهم
على انه المال فعن الزهري انه المال مطلقا قليلا كان او كثيرا بدليل قوله تعالى من خير فقير فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ولانه تعالى راعى احكام المواريث فيما يبقى من المال قل او كثر قال تعالى وللنساء نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا فكذا الوصية ولانه كل ما ينتفع به فهو خير والاكثرون على ان لفظ الخير
في الاية مختص بالمال الكثير كما يقال فلان ذو مال يفهم منه ان ماله قد جاوز حد اهل الحاجة وان كان اسم المال يقع بالحقيقة
على كل ما يبقى له الانسان من قليل وكثير وكما اذا قيل فلان في نعمة من الله تعالى فانه يراد تكثير النعمة وان كان احد لا
ينفك عن نعمة الله تعالى وهو من باب المجاز مشهور ينفون الاسم عن الشي لنقصه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد ولو كانت الوصية واجبة لم يكن لقوله ان ترك خيرا فائدة لمندرة من يموت فاقد الثواب
ما يتول ثم القائلون هذا اختلفوا في ان المسمى بالخير في الاية مقدار معين ام لا فمنهم من قال انه غير مقدر وتختلف ذلك
باختلاف حال الرجل فقد يوصف المرء المقدار من المال بانه غني ولا يوصف غيره بالغني بذلك المقدار لاجل كثرة العيال
وتوسع النفقة فيكون التعيين في كل صورة موكولا الى الاجتهاد وهذا ينافي اصل الايجاب ومنهم من قال انه
ثم اختلفوا نعن علي كرم الله وجهه انه دخل في مولى لهم في مرض الموت وله سبعمائة درهم فقال الا اوصي فقال

لا قال الله تعالى ان ترك خيرا الوصية وليس لك كثير مال وعن عائشة ان رجلا قال لها اني اريد ان اوصي قالت كم مالك قال
ثلاثة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا شيء يسير فاتركه لعيالك وعن
ابن عباس اذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصي فاذا بلغ ثمانمائة درهم اوصي وعن قتادة اوصى الف درهم وعن النخعي من
الف الى خمسمائة درهم قال ابو البقاء جواب الشرط عند الاخفش الوصية بحذف الفاء اي فالوصية للوالدين على الابتداء
والخبر واحتج بقول الشاعر **شعر** من يفعل الحسنات الله يشكرها ۞ وقال غيره جواب الشرط معنى الايصا لا معنى الكتب
بناء على رفع الوصية بكتب وهو الوجه وقيل المرفوع بكتب الجار والمجرور هو عليكم وليس بشيء واما اذا فهو ظرف بمعنى الوصية
لا يحتاج الى جواب والاقربين قيل هم الاولاد عن ابن زيد وقيل من عدا الولد عن ابن عباس ومجاهد وقيل جميع القرابات
وقيل من لا يرث وقوله بالمعروف امر بان يسلك في الوصية الطريقة الجميلة فلو حرم الفقير ووصى للغني لم يكن معروفا
ولو سوى بين الوالدين مع عظم حقهما وبين بني العم لم يكن معروفا ولو اوصى لاولاد الجد البعيد مع حضور الاخوة لم يكن
ما باينه لم يكن معروفا وحقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين الذين اثروا التقوى وجعلوها مذهبا لهم ونسيرها
واعلم ان الائمة القائلين بوجوب هذه الوصية اختلفوا في انها منسوخة ام لا اما ابو مسلم فانه اختار عدم نسخها وقال
معناها كتب عليكم ما اوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين في قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على
المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله به لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم او لا منافاة بين ثبوت الميراث
للاقربا مع ثبوت الميراث عطية من الله تعالى والوصية عطية ممن حضره الموت فالوارث يجمع له بين الوصية والميراث
بحكم الايتين ولو قدرنا حصول المنافاة فهذه الاية توجب **الوصية** للوالدين والاقربين ثم انه الميراث يخرج القريب الوارث
ويبقي القريب الذي لا يكون وارثا داخلا في الاية وذلك ان من الوالدين من لا يرث بسبب اختلاف الدين والرق
والقتل ومن الاقارب من يسقط في حال ويثبت في حال ومنهم من يسقط في كل حال وان كانوا ذوي رحم فاية
الميراث مخصصة لهذه الاية لا ناسخة لها واكثر المفسرين من الفقهاء على ان الاية منسوخة قالوا نسخت باية المواريث
او بالاجتماع او بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وهذا وان كان خبرا
واحدا الا ان الامة تلقته بالقبول حتى الحق بالمتواتر ويجوز نسخ القرآن عند الجمهور ومن الائمة من قال هي منسوخة
في حق من يرث ثابتة فيمن لا يرث وهذا مذهب ابن عباس والحسن البصري ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن
يسار والعلاء بن زياد حتى قال الضحاك من مات من غير ان يوصي لاقربائه فقد ختم عمله بمعصية وقال طاوس ان
اوصى للاجانب وترك الاقارب نزع منهم ورد الى الاقارب قالوا الاية دلت على وجوب الوصية للقريب ترك العمل
به في حق القريب الوارث اما باية المواريث او بقوله لا وصية لوارث او باجماع الامة فبقيت الاية دالة على وجوب
الوصية للقريب ترك العمل به في حق القريب الوارث اما باية المواريث او بقوله لا وصية لوارث او باجماع الامة فبقيت
الاية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يكون وارثا وايضا قال صلى الله عليه وسلم ما حق امرئ مسلم له
شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده
لكن الوصية لغير الاقارب غير واجبة بالاجماع فوجب ان تختص بالاقارب وهؤلاء القائلون بان الاية ما صارت
منسوخة في حق القريب الذي لا يكون وارثا اختلفوا في موضعين نقل ابن مسعود انه جعل هذه الوصية
للافقر فالافقر من الاقربا وقال الحسن البصري هم والاغنيا سواء الثاني عن الحسن وجابر بن زيد وعبد الملك بن
يعلى انهم قالوا فيمن يوصي لغير قرابته وله قرابة لا يرثونه يجعل ثلثي الثلث لذوي القرابة وثلث الثلث لمن اوصى له
وعن طاوس ان الاقارب ان كانوا محتاجين حتى انتزعت الوصية من الاجانب وردت الى الاقارب فمن بدله
فمن غير الايصا او ما قاله الميت واوصى به عن وجهه ان كان موافقا للشرع بعد ما سمعه وتحققه فلا اثم عليه لما
لو لم يقع العلم به والمبدل اما الوصي بان يغير الوصية في **الكتابة** او في قسمة الحقوق واما الشاهد بان يغير شهادته
او يكتمها او غيرهما بان يمنع وصول ذلك المال الى مستحقه وقيل المنهي عن التغيير هو الموصي نهي عن تغيير الوصية
عن الموضع الذي بين الله تعالى الوصية فانهم كانوا يوصون في الجاهلية للاباعد طلبا للفخر والشرف ويتركون
الاقارب في الضر والفقر فامرهم بالوصية للاقربين وادعهم على تركها فانما اثمه ما اثم الايصا المغير او اثم التبديل

الوصية

والمعتبرين

الاعلى الذين يبدلونه فان احدا لايواخذ بذنب غيره ومنه يعلم ان الطفل لايعذب ببكاء ابيه وان الانسان اذا امر
الوارث بقضاء دينه فان الميت لايعذب بتقصير ذلك الوارث وان الميت لايعذب بنياحة غيره عليه ان الله سميع عليم
يسمع الوصية على حدها ويعلمها على صفتها فلا يخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها وفي ذلك وعيد للمبدل واي وعيد
ثم انه سبحانه لما اطلق الايعاد على التبديل اتبعه قوله فمن خاف ليعلم ان التغيير من الباطل الى الحق على طريق الاصلاح مستحسن
شرعا كما هو حسن عقلا والخوف ههنا تفسيران احدهما الخشية فيقال انه انما يصح في امر منتظر مظنون وعلمت واجيب
بان المراد ان هذا المصلح اذا شاهد الموصي يوصي وظهرت منه امارات الجنف الذي هو الميل عن طريق الحق مع ضرب
من التاويل او شاهد فيه اثما اي تعمدا بان يزيد غير المستحق او ينقص المستحق او يعدل عن المستحق فعند ظهور امارات
ذلك قبل تحقيق الوصية ياخذ في الاصلاح بينهم اي بين اهل الوصية لان قوله من موص يدل على سابق ملابسته فكان
الموصي يقول وقد حضر الوصي والشاهد على وجه المشورة اريد ان اوصي للاباعد دون الاقارب فان اريد فلا نامع انه غير
مستحق للزيادة او انقص فلا نامع انه مستحق للزيادة فعند ذلك يصير السامع خائفا من حيف او اثم لاقاطعا به وايضا
من الجائز ان لايستمر الموصي على وصيته فان له الفسخ مادام في حيوة فمن اين يحصل الثقة بما فعل وقد يعدل عن الحق في
اخر الامر وبتقدير ان يستقر الوصية ومات الموصي على ذلك لم يبعد ان يقع بين الورثة والموصى لهم تنازع فيما نصب الى
الموصي وقد يجري حينئذ الى الجنف والاثم فيحتاج الى الاصلاح بينهم باجرائهم على قانون الشرع والتفسير الثاني
ان خاف بمعنى علم وقد يستعمل الخوف والخشية مقام العلم لان الخوف منشاؤه ظن مخصوص وبين العلم والظن مشابهة
من وجوه كثيرة فيصح اطلاق احدهما على الاخر استعمالا شايعا من ذلك من قولهم اخاف ان يرسل السما يريدون التوقع
والظن الغالب الجاري مجرى العلم فمعنى الاية ان الميت اذا اخطاء في وصيته او جار فيها متعمدا فلا حرج على من علم ذلك
ان يرده الى الصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع وفي الاية دليل على جواز الاصلاح بين المتنازعين
اذا خاف المصلح افضاء المنازعة الى امر محذور شرعا والغرض من قوله فلا اثم عليه رفع الحرج حتى لاينافي
الوجوب وفيه مع ذلك نكتة هي ان الاصلاح بين القوم يحتاج الى الاكثار من القول وذلك قد يفضي الى الاشتباه
والتكلم ببعض مالاينبغي فبين انه تعالى لاياخذ على المصلح من هذا الجنس اذا كان غرضه الاصلي صحيحا ولهذا
اتبعه قوله ان الله غفور رحيم وايضا كانه قيل انا الذي اغفر الذنوب ثم ارحم المذنب فلان افعل رحمتي اليك
انها المصلح مع تحمل اعباء الاصلاح اولى والمراد ان الموصي الذي اقدم على الجنف او الاثم متى اصلح خلل وصيته
فان الله يغفر له ويرحمه بفضله وهذا التاويل يجوز ان يرجع الضمير في قوله فلا اثم عليه الى الموصي واعلم ان اكثر
الايمة وان ذهبوا الى ان وجوب الوصية منسوخ باية المواريث الا انهم اتفقوا على ان الان جائزة في الثلث لما روي
انه صلى الله عليه وسلم عاد سعد بن ابي وقاص فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اني ذو مال ولا يرثني الا ابنة
لي افاوصي بثلث مالي قال لا قال فبشطره قال لا قال فبالثلث قال والثلث كثير لان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة
يتكففون فافاد الحديث المنع من الزيادة واستحباب النقصان عن الثلث ان كانت الورثة فقراء والوصية اوسع
من الارث فاذا اراد الوصية فالاصل ان يقدم من لايرث من اقاربه لان الله اعطى الاقرب بين الميراث ويقدم منهم
المحارم ثم يقدم بالرضاع ثم بالمصاهرة ثم بالولاء ثم بالجوار كما في الصدقات المنجزة فان اوصى للورثة بعضهم جاز لكن
لكن بالاجازة من ساير الورثة كما لو زاد على الثلث للاجنبي فان الزايد يحتاج الى اجازة الورثة الذهبي التاويل
كتب على الاغنيا الوصية بالمال وعلى الاوليا الوصية بالحال والاغنيا يوصون في اخر اعمارهم بالثلث والاوليا يخرجون
في مبادي احوالهم عن الكل والمعنى اذا احضر قلب احدكم مع الله ومات نفسه عن الصفات الحيوانية فخلفها ان
يوصي للوالدين وهما الروح العلوي والنفس السفلي فان النفس تبدلت من ازدواجها وللاقربين وهم القلب والسر
يترك كل مشرب ظهر لهم من المشارب الروحانية والجسمانية بالمعروف من غير اسراف يفضي الى الاتلاف معرضا
عن الشهوات مجتنبا من الرسوم والعادات كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت لرفع العادات وترك الشهوات
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومن مكارم الاخلاق ان يجعل المشارب مشربا واحدا والمذهب مذهبا واحدا
وكل له سول ودين ومذهب ووصلكم سولي وديني هواكم وانتم من الدنيا مرادي وهمي منايا مناكم

واختياري

واختياري رضاكم حقا على المتقين من الشرك الخفي ولهذا لم يقل على المسلمين او المؤمنين لانهم اهل الظواهر والمتقون هم اهل
البواطن كما قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره واحكام الظواهر تحتمل النسخ واحكام البواطن وهي الحكم
والحقايق لاتحتمل النسخ فحكم الوصية في حق المتقين غير منسوخ ابدا فمن بدله ممن غير من الروح والقلب والسر الوصية الصادرة
من نفسه الميتة فانما اثمه عليهم وبسبب هذا التاكيد ان السر والقلب والروح كلهم من العالم الروحاني وصفاتهم جبلية باقية
بترك مشاربها والخروج عنها صعب جدا فمن خاف تفرس من موص جنفا في ترك المشارب بان يبالغ في المجاهدات
لنيل المشاهدات او اثما تجاوزا عن حد الشرع في رفع الطبع فاصلح بينهم بين الروح والبدن والقلب والنفس ولكن
بنظر شيخ كامل مقبول عارف فلا حرج على المصلح والله الموفق للصواب واليه المرجع والماب

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم
تتقون ايام معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له
وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذي انزل فيه القران
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه
ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا
دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم
اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود
الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون

القراءة فدية طعام مسكين ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وروى الحلواني والرازي عن هشام والبخاري

فدية بالتنوين طعام بالرفع مضافا الى مساكين الجمع الباقون مثل هذا الا ان مسكين مفرد مجرور فمن تطوع
بتشديد الطاء والواو بياء الغيبة وجزم العين وحمزة وعلي وخلف الباقون بلفظ الماضي من باب التفعل
القران غير مهموز حيث كان ابن كثير وعباس وحمزة في الوقف فاذا كان بمعنى القراءة فان عباسا فيه مخير ان
شاء لم يهمز كقوله تعالى وقران الفجر وقران الفجر ولتكملوا ولا تعجل بالقران ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه
الباقون بالهمز اليسر والعسر حيث كانا مثقلين يزيد الاوقية فالجاريات يسرا ولتكملوا من التكميل ابو بكر وحماد وعباس
ورويس الباقون من الاكمال الداعي اذا دعاني بالياء في الحالين سهل ويعقوب والى يستنبود عن قنبل وابن
ابوجعفر ونافع غير قالون وابو عمرو بالياء في الوصل الباقون بغير ياء فيهما في الحالين بي لعلهم بفتح الياء ورش
الباقون بالسكون **الوقوف** تتقون لا لان اياما ظرف الصيام او الاتقاء معدودات ط لان المرض او السفر عارضان
فكانا خارجين عن اصل الوضع اخر ط لان خبر الجار منتظر وهو فدية فلا تعلق له بما قبله مسكين لان التطوع خارج عن
موجب الاصل خير له ط لان التقدير والصوم خير لكم تعلمون والفرقان لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فليصمه ط للابتداء
بشرط اخر ايام اخر ط العسر ز فذلك تشكرون ه قريب ط لان قوله اجيب مستانف دعان للفاء يرشدون ه نسائكم ط لهن ط علمكم
لعطف الجملتين المختلفتين لكم لعطف المتفقتين من الفجر ص كذلك الى الليل وان اتفقت الجملتان لان حكم الصوم والاعتكاف
مختلفان ولكل واحد شان في المساجد لان تلك مبتداء فلا تقربوها ط لان كذلك صفة مصدر محذوف اي
يبين الله بيانا كبيانه ما تقدم يتقون **التفسير** هذا حكم اخر والصيام مصدر صام كالقيام والعياذ وهو في
اللغة الامساك عن الشيء قال الخليل الصوم قيام بلا عمل وصام الفرس صوما اي قام على غير اعتلاف وقال ابو عبيدة
كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم وانه في الشرع عبارة عن الامساك عن اشيا مخصوصة يسمى المفطر
كالاكل والشرب والوقاع في زمن مخصوص وهو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ولابد في صحته من النية في
غير يومي العيد بالاتفاق وفي غير ايام التشريق عند الاكثرين ويوافقه الجديد من قولي الشافعي وفي غير
يوم الشك بلا ورد ونذر وقضاء وكفارة ولابد للصائم من الاسلام والنقاء عن الحيض والنفاس ومن العقل كل
اليوم ومن انتفاء الاغماء في جزء من اليوم وقوله سبحانه كما كتب على الذين من قبلكم اي على الانبيا والامم من لدن
ادم الى عهدكم قال علي عليه السلام اولهم ادم يعني ان الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من افتراضها
عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها لقدمها والمعاصي لان في الصوم ظلقا عن المناهي
ومواقعة الشهوة ولعلكم تنتظمون في سلك اهل التقوى فان الصوم شعارهم وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد
الايام وهو رمضان كتب على النصارى فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل كان يقع في البرد
الشديد والحر الشديد فشق عليهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين كفارة ومعنى معدودات موقتات
بعدد معلوم او قلائل مثل دراهم معدودة واصله المال القليل يعد عدا والكثير يحثى حثيا كانه قال اني رحمتكم
فلم افرض عليكم صيام الدهر كله ولا اكثره ولكن اياما قليلة وعلى هذا يحتمل ان يكون وجه التشبيه بين الفرضين
مجرد تعليق الصوم بمدة غير متطاولة فان اختلفت المدتان ثم ان الايمة اختلفوا في هذه الايام على قولين
الاول انها غير رمضان فعن عطا ثلثة ايام من كل شهر وعن قتادة هي مع صوم عاشورا ثم اختلفوا ايضا فقيل
كان تطوعا ثم فرض فقيل بل كان واجبا واتفقوا انه نسخ بصوم رمضان واستدلوا على قولهم انها غير صوم رمضان
بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان صوم رمضان نسخ كل صوم فدل على ان صوما اخر كان واجبا وايضا
ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الاية وفي التي تتلوها فلو اتحد الصومان كان تكريرا محضا وايضا ذكر في هذه
الاية التخيير بين الصوم والفدية وصوم رمضان واجب على التعيين فيختلفان الثانية وهي اختيار ابي
مسلم والحسن واكثر المحققين انها شهر رمضان اجمل اولا ذكر الصيام ثم بينه بعض البيان بقوله اياما معدودات
ثم كمل البيان بقوله شهر رمضان وهذا ترتيب في غاية الحسن من غير زيادة ولانقصان واجيب عن استدلال اهل
الاول بانه ليس في الخبر انه نسخ عنه وعن امته كل صوم فلم لا يجوز ان يراد به نسخ كل صوم وجب بالشرائع
المتقدمة سلمنا ان المراد به صوم ثبت في شرعه ولكن لم لا يجوز ان يكون ناسخا للصيام وجب بغير هذه الاية

وعن

وعن الثاني ان صوم رمضان كان واجبا مخيرا وفي الاية الثانية جعل واجبا على التعيين فاعيد حكم المريض
والمسافر ليعلم ان حالهما ثانيا في رخصة الافطار ووجوب القضا كحالهما اولا وعن الثالث ان الاختلاف مسلم
لكن في التخيير والتعيين اما في نفس الصوم فلا وههنا سوال وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه كيف
كان ناسخا كاية الاعتداد بالحول وهذا نجد في القران اية مكية متاخرة في التلاوة عن الاية المدنية وذلك كثير
قال القفال انظروا الى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته في هذا التكليف فبين اولا ان لهذه الامة
في هذا التكليف اسوة بالامم السالفة فان الامور الشاقة اذا عمت خفت ثم بين ثانيا وجه الحكمة في ايجاب الصوم
وهو حصول التقوى ثم بين ثالثا انه مختص بايام قلايل لا بكلها ولا باكثرها ثم بين رابعا انه خصه من الاوقات بالشهر الذي
انزل فيه القران ليعلم شرفه فتتوطن النفس له ثم ذكر خامسا ازالة المشقة في الزامه فاباح تاخيره لمن شق عليه من
المسافرين والمرضى الى زمن الرفاهية والصحة وهي هيئة يكون لها بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث يصدر
عنها الافعال كلها سليمة والمرض زوالها واختلف الايمة في المرض والسفر المبيحين الافطار على اقوال احدها
ان اي مريض كان واي مسافر كان فله ان يترخص تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله وهذا قول الحسن وابن سيرين
يروى انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وعن داود الرخصة حاصلة في كل سفر ولو كان
فرسخا الثاني انه المرض الذي لو صام لوقع في مشقة وجهد وكذا السفر وهو قول الاصم وحاصله تنزيل اللفظ
على اكمل احواله الثالث وهو قول الشافعي واكثر الفقها انه الذي يؤدي الى ضرر النفس او زيادة في العلة
اذ لا فرق في العقل بين ما يخاف منه وبين ما يؤدي الى ما يخاف منه كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه والارمد
يخاف ان يشتد وجع عينه قالوا وكيف يمكن ان يقال كل مرض مرخص مع علمنا بان في الامراض ما ينفعه الصوم فاذن
المراد منه ما يؤثر الصوم في تقويته ثم اليسير لا يعتد به والنادر اليسير لا عبرة به والمرض المرخص لا يعرف فيه ان
يعرف كونه كذلك بنفسه او يخبره بذلك طبيب حاذق بشرط كونه مسلما بالغا عدلا واصل السفر من الكشف لانه
يكشف عن احوال الرجال واخلاقهم وعن الزهري سمي مسافرا لكشف قناع الكن عن وجهه وبروزه للارض الفضا
قال الاوزاعي السفر المبيح مسافة يوم وعند الشافعي مقدر بستة عشر فرسخا ولا يحسب منه مسافة الاياب كل
فرسخ ثلثة اميال باميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنى عشر
قدم هي اربعة الاف خطوة والى هذا ذهب مالك واحمد واسحق وذلك ان تعب اليوم الواحد يسهل تحمله بخلاف اذا تكرر
في يومين فيليق بمناسب الرخصة ولما روى الشافعي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا اهل مكة لا
تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان قال اهل اللغة كل بريد اربعة فراسخ وروى الشافعي ايضا ان عطا
قال لابن عباس اقصر الى عرفة فقال لا فقال الى مر الظهران فقال لا ولكن اقصر الى جدة وعسفان والطايف قال مالك بين
مكة وجدة وعسفان اربعة برد وقال ابو حنيفة والثوري رخصة السفر لا تحصل الا في ثلثة مراحل اربعة وعشرون
فرسخا قياسا على المسح والاجماع على الرخصة في هذه المدة والخلاف فيما دون ذلك فينتفي المختلف فيه على اصل
وجوب الصوم واجيب بان قوله صلى الله عليه وسلم يمسح المقيم يوما وليلة لا يدل على انه لا يحصل الاقامة في اقل
يوم وليلة لانه لو نوى الاقامة في موضع الاقامة ساعة يصير مقيما وكذا قوله والمسافر ثلثة ايام لا يوجب ان لا
يحصل السفر في اقل من ثلثة ايام وايضا الترجيح للافطار لقوله صلى الله عليه وسلم في قصر الصلوة هذه صدقة تصدق
الله بها فاقبلوا صدقته وانما قيل او على سفر دون ان يقول مسافرا كما قال مريضا لان السفر يتعلق بقصده واختياره
حتى لو عزم على الاقامة في منزل من المنازل لم يبق على قصد السفر فلا يصح الافطار وان كان مسافرا وهذا بخلاف
المرض فانه صفة ثابتة به ان حصلت والا فلا وعدة فعلة من العد بمعنى المعدودة كالطحن بمعنى المطحون وعدة المراة
من هذا وانما قيل فعدة من التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات للعلم به لا يؤمن عدد على عددها
وانه لا يابى الا بمثل ذلك العدد ظاهرا فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة والمعنى فعليه صوم عدة وقرئ بالنصب
اي فليصم عدة واخر جمع اخرى تانيث اخر وانه غير منصرف للصفة والعدل من اخر كذا واعلم ان ناسا من الصحابة
ذهبوا على انه يجب على المريض والمسافر ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر وهو قول ابن عباس وابن عمر حتى

فالا لو صام في السفر قضى في الحضر واختاره داود بن علي الاصفهاني وهو مذهب الامامية لان قوله تعالى فعدة
اي فعليه عدة يشعر بالوجوب عليه ولان قوله يريد الله بكم اليسر ينبئ عن ارادة الافطار ولقوله صلى الله عليه وسلم
ليس من البر الصيام في السفر وفي رواية بدل لام التعريف ميم التعريف وقوله الصايم في السفر كالمفطر في الحضر
وذهب اكثر الفقها الى ان هذا الافطار رخصة فان شاء افطر وان شاء صام لما يجي من قوله تعالى وان تصوموا خير لكم
ولما روى ابو داود في سننه عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة ان حمزة الاسلمي سال النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله هل اصوم في السفر فقال صم ان شيت وافطر ان شيت قالوا وفي الاية اضمار التقدير فمن كان
مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر كقوله او به اذى من راسه ففدية اي فحلق فعليه فدية ثم اختلف هولا
فعن الشافعي وابي حنيفة ومالك والثوري وابي يوسف ومحمد ان الصوم افضل وقالت طايفة الافضل الفطر واليه
ذهب ابن المسيب والشعبي والاوزاعي واحمد واسحق وقيل افضل الامرين ايسرهما على المرء واختلف ايضا
في القضا فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص في فطره وهو يريد ان يشق عليكم
في قضايه ان شيت فواتر وان شيت ففرق وعن علي عليه السلام وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي
كما فات متتابعا ويويده قراة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه فيه ثلثة
اقوال الاولى هو قول اكثر المفسرين ان المعنى وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم لكونهم مخيرين بين الصوم
ان افطروا فدية هي طعام مسكين والفدية في معنى الجزا وهي عبارة عن البدل القايم عن الشي وانه ههنا
عند اهل العراق ومنهم ابو حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره وعند اهل الحجاز ومنهم الشافعي مد
من غالب قوت البلد لكل يوم ويصرف الى الفقير والمسكين قالوا وكان ذلك في بدو الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه
فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية عن سلمة بن الاكوع لما نزلت وعلى الذين يطيقونه فدية طعام
مسكين كان من اراد ان يفطر يفطر ويفتدي حتى انزلت فمن شهد منكم الشهر فليصمه فنسختها من قرا باضافة الفدية
الى طعام فالاضافة فيه كهي في قولك خاتم حديد ومن قرا مساكين على الجمع فلان الذين يطيقونه جمع وكل واحد منهم
يلزمه طعام مسكين لكل يوم والاعتبار بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مائة وثلثة وسبعون درهما
وثلث درهم الثانية هذا راجع الى المسافر والمريض وذلك ان المريض والمسافر منهما من لا يطيق اصلا والبد الاشارة
بقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ومنهما من يطيق الصوم مع الكلفة وهو المراد بقوله وعلى الذين
يطيقونه قالوا هذا اولى لئلا يلزم النسخ اقل ما فيه نسخ التخيير بين الصوم والفدية عن المريض المطيق اقل من نسخ التخيير
عنه وهو الصحيح المقيم الثالثة انه نزل في الشيخ الهرم عن السدي وعلى هذا لا يكون الاية منسوخة ويويده
القراة الشاذة يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه والتركيب يستعمل
فيمن يعمل على شي مع ضرب من المشقة والكلفة وبعضهم اضاف الى الشيخ الهرم والحامل والمرضع اذا خافتا على نفسهما
او ولديهما واتفقوا على ان الشيخ اذا افطر فعليه الفدية واما الحامل والمرضع اذا افطرتا فقال الشافعي عليهما
القضا والفدية لكل يوم الفدية وقال ابو حنيفة لا يجب الا القضا لئلا يلزم الجمع بين البدلين فمن تطوع خيرا بان يطعم
مسكينين او اكثر او يطعم المسكين الواحد اكثر من القدر الواجب او صام مع الفدية عن الزهري فهو اي التطوع خير له
وان تصوموا ايها المطيقون والمطوقون وتحملتم متاعب الصيام خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم
في الخطاب المريض والمسافر ايضا عند من يرى ان الصوم لهما افضل ان كنتم تعلمون ان الصوم اشق عليكم وان
اجركم على قدر نصبكم او يعلمون بالله فيخشونه ويمتثلون امره انما يخشى الله من عباده العلما او يعلمون ما في
الصوم من الفوايد البدنية والاخروية عن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل
الصوم لي وانا الذي اجزي به وللصايم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه والذي نفسي بيده لخلوف فم الصايم
اطيب عند الله عز وجل من ريح المسك وعنه صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه
الصايمون يوم القيمة لا يدخل منه احد غيرهم وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا
واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وعنه ان

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فطر صايما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصايم شيا وعن النبي صلى
الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم
فانه له وجاء وفضيلة الصوم ومنافعه اكثر من ان تحصى ولو لم يكن فيه الا التشبه بالملايكة والارتقا من حضيض حظوظ
النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالروحانيات المجردة لكفى به فضلا ومنقبة هذا صوم الشريعة فاما صوم
الطريقة فالامساك عما حرم الله عز وجل والافطار بما اباح واحل وصوم الحقيقة الامساك عن الاكوان والافطار
بمشاهدة الرحمن شعر صمت عن غيره فلما تجلى كان لي شاغل عن الافطار ونشوقت مذ نم لما زاد في تجل عن يدي
الافطار قوله عز من قايل شهر رمضان الشهر ماخوذ من الشهرة وعن مجاهد رمضان اسم الله تعالى وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله
تعالى وعلى هذا الشهر رمضان اي شهر الله والاكثرون على انه اسم علم الشهر كرجب وشعبان ومنع الصرف للعلمية
والالف والنون ثم اختلف في اشتقاقه فعن الخليل انه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر ياتي وقت الخريف ويطهر
وجه الارض عن الغبار فسمي الشهر بذلك لانه يطهر الابدان عن اوضار الاوزار وقيل من الرمض بمعنى شدة الحر
من وقع الشمس والارض رمضا وفي الكشاف الرمضاء مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء سمي بذلك اما
لارتماضهم فيه من حر الجوع كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم لشدته عليهم او لان الذنوب ترمض فيه اي تحرق
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي رمضان لانه يرمض ذنوب عباده وكان هذا من قولهم رمضت
النصل جعلته بين حجرين ثم رققته لترقته وعن الازهري انهم كانوا يرمضون اسلحتهم فيه ليقضوا منها
اوطارهم في شوال قبل دخول الاشهر الحرم وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي
وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمي بذلك وشهر رمضان يجمع على رمضانات وارمضاء واضافة الشهر
اليه اضافة العام الى الخاص ولو لم يتلفظ بالشهر جاز كقوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا الحديث
لان التسمية وقعت برمضان فقط وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القران او على انه بدل من الصيام او على
انه خبر مبتدا محذوف اي هو الايام المعدودات شهر رمضان وعلى هذين الوجهين يكون الموصول مع صلته صفة لشهر
رمضان قال ابو علي وهذا اولى ليكون نصا في الامر بصوم الشهر والا كان خبرا عن انزل القران فيه وقرئ بالنصب على
صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما او على انه مفعول وان تصوموا وفي هذا الوجه نظر من قبل الفصل بين ان
تصوموا ومعموله بالخبر وفايدة وصف الشهر بانزال القران فيه التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيه وذلك انه لما
خص باعظم ايات الربوبية ناسب ان يخص باشق سمات العبودية ليقذ رهم النفس في العبد في مدارج الانس
ويصل الى معارج القدس ويعرف له الحجب الناسوتية ويطلع على الحكم اللاهوتية ويفهم معاني القران ويتبدل له
العلم بالعيان وكان جنيد من العجايب ما كان وفي انزال القران في رمضان اقوال فعن سفيان بن عيينة انه انزل
في فضيلة القران كما تقول انزل في علي كذا وقال ابن الانباري انزل في ايجاب صومه على الخلق القران كما تقول
انزل الله في الزكوة كذا اي في ايجابها وانزل في الخمر كذا اي في تحريمها والقولان متقاربان او هما واحد فانه لم ينزل سوى قوله
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام الايات واختيار الجمهور ان الله تعالى انزل القران في رمضان عن النبي صلى الله عليه
وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقران لاربع
وعشرين ثم انه لا شك ان القران قد نزل منجما مفرقا على حسب المصالح والوقايع فاولت الاية بان المراد انه ابتدئ فيه
انزاله وذلك ليلة القدر ومبادي الملل والدول هي التي يورخ بها لشرفها وانضباطها هو قول محمد بن اسحق او انه انزل
جملة الى السما الدنيا في ليلة القدر ثم نزل الى الارض نجوما وليس يبعد ان يكون للملايكة الذين هم سكان السما الدنيا
مصلحة في انزال ذلك اليهم وفيه مصلحة للرسول من حيث موقع الحي عن اقرب الجهات ولعل فيه مصلحة
لجبريل المامور بالانزال والتادية ولا سيما على راي الفلاسفة الذين جبريل عندهم هو العقل الفعال الاخير الذي
يدبر عالم الكون والفساد وخاصة نوع الانسان وعلى هذا القول يحتمل ان يقال ان الله تعالى انزل كل القران من اللوح
المحفوظ الى السما الدنيا ليلة القدر ثم نزله على محمد صلى الله عليه وسلم منجما الى اخر عمره ويحتمل ان يقال انه سبحانه كان ينزله

الى السماء الدنيا ليلة القدر كل سنة ما يحتاجون اليه في تلك السنة وكذلك ابدا الى ان تم انزاله وعلى هذا يكون تعيين رمضان
الذي انزل فيه القرآن نوعيا لا شخصيا هدى للناس وبينات منصوبات على الحالية وهو انزل وهو هداية للناس
الى الحق وهي آيات واضحات مكشوفات من جملة ما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل من الكتب السماوية وذلك
ان الهدى قسمان جلي مكشوف وخفي متشابه فوصفه اولا بجنس الهداية ثم قال انه من نوع البين الواضح ويحتمل ان
يقال القرآن هدى في نفسه ومع ذلك ففيه ايضا بينات من هدى الكتب المتقدمة فيكون المراد بالهدى والفرقان والتورية
والانجيل ويقال الهدى الاول اصول الدين والثاني فروعه فيزول التكرار نقل الواحدي عن الاخفش والمازني ان الفاء
في فمن شهد زائدة اذ لا معنى للعطف والجزاء ههنا وهذا وهم لظهور كونها للجزاء كانه قيل لما علمتم اختصاص هذا الشهر
بفضيلة انزال القرآن فيه فانتم ايضا خصوه بهذه العبادة ومعنى شهد اي حضر ثم قيل انه مفعول به محذوف والشهر منصوب
على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان الشهر
فالمعنى فمن شهد منكم في الشهر المذكور المعلوم البلد او المقام فليصم في الشهر وصاحب هذا القول ارتكب الاضمار حذرا
من لزوم التخصيص في حق المسافر الا انه يلزمه ما فر منه ايضا لذلك لان الصبي والمجنون والمريض كل منهم شهد البلد مع انهم
لا يجب عليهم الصوم اما اذا قيل الشهر مفعول به مثل شهدت عصر فلان وادركت زمانه فلا يلزم منه الا احد الامرين وهو
التخصيص بقوله ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فيكون اولى من الاول لان الاضمار والتخصيص
اذا تعارضا فالتخصيص اولى فكيف اذا وقع الاضمار والتخصيص وحده في جانب هذا ما قاله الامام فخر الدين الرازي
معترضا به على صاحب الكشاف وغيره قلت الانصاف ان الترجيح مع صاحب الكشاف لان الاضمار في الاية ممنوع
وذلك ان شهد ههنا مفعوله المتروك كقولهم فلان يعطي ويمنع ومعنى من شهد من كان على حالة الحضر سواء كان في
البلد او في منزل من المنازل ونوى الاقامة واما التخصيص فمشترك على القولين على انه على قول صاحب الكشاف
اقل لعدم دخول المسافر فيه فيكون اولى فان قيل فعلى هذا يكون قوله بعيد ذلك وعلى سفر تكرارا قلنا انما اعيد ليرتب
عليه حكم القضاء كالمريض وايضا لا يلزم من ايجاب الصوم على الحاضر عدم ايجابه على المسافر ولو سلم فبالمفهوم او
بالمنطوق ثانيا فاين التكرار وانما وضع المظهر وهو الشهر مقام المضمر حيث لم يقل فمن شهده اعتناء بشانه واعتلاء لمكانه
وتمكينا في القلوب وتعظيما في النفوس كقوله [illegible] وههنا بحث وهو ان قوله ومن شهد
منكم الشهر فليصمه جملة شرطية وما لم يوجد الشرط بتمامه لم يترتب عليه الجزاء والشهر عبارة من اوله الى اخره فظاهر الاية
يقتضي ان الصوم لا يجب عليه الا عند شهود الجزء الاخير وهو محال لانه يقتضي ايقاع الفعل في الزمان المنقضي واجيب
بان المراد من الشهر جزء من اجزائه وهذا مجاز مشهور والمعنى من شهد جزءا من اجزاء الشهر فليصم كل الشهر ثم ان كان
هذا الجزء من اول الشهر كما لو شهد هلال رمضان فهذا موافق لما نقل عن علي كرم الله وجهه ان من دخل عليه الشهر وهو مقيم
ثم سافر وجب ان يصوم الكل واما سائر المجتهدين فيقولون هذا عام يدخل فيه المسافر والحاضر الا ان قوله فمن كان مريضا
او على سفر يخصصه وان كان في اثناء الشهر فبنا على قول ابي حنيفة ان المجنون اذا افاق في اثناء الشهر لزمه قضاء
ما مضى قلت لا حاجة الى ارتكاب التجوز المذكور وهو اطلاق لفظ الشهر على جزء من اجزائه فلا يلزم منه المحال
المذكور اذ المراد من شهد الشهر اجمع ولكن بحيث توجد منه الصوم في جميع ايامه او المراد من عزم على كونه مقيما
في الشهر فليصمه ويعلم منه انه كان حاضرا في بعضه يتعلق ايجاب الصوم بذلك البعض فقط بدليل قوله ومن كان مريضا
او على سفر فانه لما علم الوجوب للحاضر في كله والرخصة للمسافر في كله علم الحكمان جميعا للحاضر في بعضه والمسافر في
البعض الاخر فكل يوم مستقل بنفسه فيما يقتضيه والصوم فيه عادة وكان ما نقل عن علي كرم الله وجهه اسم الرأي
رعاية لحرمة الشهر كالحائض الحائض من اول الوقت قدر ما يسع تلك الصلوة وفي قول قدر ركعة وفي قول
تكبيرة لزمها قضاؤها اذا طهرت فاما ان شهر رمضان لم يثبت حتى يعتبر الشهود فيه فقد قال صلى الله عليه وسلم
صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاستكملوا العدة يعني عدة شعبان ثلثين يوما ومهما شهد عند القاضي
عدل واحد انه راى الهلال ثبت لما روى ابن عمر انه راى الهلال وحده فشهد عند النبي صلى الله عليه وسلم فامر الناس
بالصوم ولما روي ان عليا عليه السلام شهد عنده رجل على رؤية هلال رمضان فصام فقال صوم يوم من شعبان

احب الي من ان افطر يوما من رمضان وللاحتياط في امر العبادة ولا يثبت الهلال في سائر الشهور الا برؤية عدلين
وعن ابي حنيفة يثبت هلال رمضان في الغيم برؤية واحد وفي الصحو يعتبر الاستفاضة واذا رئي في موضع
شمل الحكم لمن هو على دون مسافة القصر منه ولا يجب الصوم بذلك على من عداهم يريد الله بكم اليسر معناه
في اللغة السهولة ومنه اليسار الغنى لانه يتسهل به الامور وتتيسر المقاصد واليد اليسرى لبقائها على
اليسر او لان الامور تتسهل بمعاونتها اليمنى والعسر نقيضه وفي الصحاح كل اسم على ثلثة احرف اوله مضموم واوسطه
ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه اوجب الصوم على سبيل السهولة لانه ما اوجب الا في مدة قليلة
من السنة ثم ذلك القليل ما اوجب على المريض والمسافر وههنا يتحقق صدق قوله صلى الله عليه وسلم بعثت
بالحنيفية السهلة السمحاء ومن كمال رأفته تعالى انه نفى الحرج اولا ضمنا بقوله يريد الله بكم اليسر ثم نفاه صريحا بقوله ولا
يريد بكم العسر الالف واللام واليسر والعسر يفيد العموم فيمكن ان يستدل به على عدم وقوع التكليف بما لا يطاق والمعتزلة
تمسكوا بالاية انه قد يقع من العبد ما لا يريد الله تعالى فان المريض لو حمل نفسه على الصوم حتى اجهده فقد فعل ما لم
يرد الله منه اذا كان لا يريد العسر واجيب بانا نحمل اللفظ على انه تعالى لا يامره بالعسر وان كان قد يريد به العسر
فان الامر عندنا قد يثبت بدون الارادة فكما انه يجوز ان يامر ولا يريد جاز ان يريد ولا يامر قوله ولتكملوا
اجمعوا على ان الفعل المعلل محذوف فعن الفراء التقدير ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
شرع جملة ما ذكر وهو الامر بصوم العدة وتعليم كيفية القضاء والرخصة في اباحة الفطر وهذا نوع من اللف لطيف
المسلك فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر
ولعلكم تشكرون اي ارادة ان تشكروا علة الترخيص والتيسير وعن الزجاج ان المحذوف فعل امر محذوف مثله
كانه قيل لتفعلوا ما تفعلون ولتكملوا والفرق ان حذف النون في الاول للنصب وفي هذا للجزم ولا يخفى ان قوله ولعلكم
تشكرون يبقى في هذا الوجه غير مربوط بما قبله الا ان يقال انه في قوة ولتشكروا وفيه التباعد ويحتمل ان يقال ولتكملوا
معطوف على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ان يطفئوا نور الله وانما قيل لتكملوا
العدة ولم يقل لتكملوا الشهر ليشمل عدة ايام الشهر وعدة ايام القضاء جميعا وعدي فعل التكبير بعلى لتضمنه
معنى الحمد اي ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم والمراد بالتكبير قيل انه تعظيم الله تعالى والثناء عليه شكرا
على ما وفق لهذه الطاعة وتمام هذا التكبير انما يكون بالقول والاعتقاد والعمل فالقول ان تقر بصفاته العلى
واسمائه الحسنى وتنزهه عما لا يليق به من ند وصاحبة وولد وتشبيه بالخلق وكل ذلك لا يعتد به الا مع الاعتقاد القلبي
واما العمل فالتعبد بالاوامر والتقيد عن النواهي وهذا لا يختص بوقت استكمال عدة رمضان ولكنه شامل لجميع
الاحيان وقيل هو تكبير الفطر وانه مشروع في العيدين لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الفطر
والاضحى رافعا صوته بالتهليل والتكبير حتى ياتي المصلى واول وقته في العيدين جميعا غروب الشمس ليلة العيد
وعن احمد ومالك انه لا تكبير ليلة العيد وانما يكبر في يومه لنا قوله ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم
قال الشافعي رحمه الله سمعت من ارضى به من اهل العلم بالقرآن يقول لتكملوا العدة اي عدة صوم رمضان و
لتكبروا الله عند اكمالها واكمالها بغروب الشمس عند اخر يوم من رمضان واما اخر التكبير فاصح الاقوال الى ان
يتحرم الامام بصلوة العيد لان الكلام مباح الى تلك الغاية والتكبير اولى ما يشتغل به الاشتغال والمسنون في
صفته ان يكبر ثلثا نسقا وبه قال مالك وقال احمد وابو حنيفة يكبر مرتين لنا الرواية عن جابر وابن عباس
وايضا فانه تكبير هو شعار العيدين فكان وترا كتكبيرة الصلاة ۞ قال الشافعي وما زاد من ذكر الله
فحسن واستحسن في الام ان يزاد بعده ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال على الصفا وهو الله
اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله لا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو
كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله
اكبر قال في الشامل والذي يقوله الناس لا باس به ايضا وهو الله اكبر الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله
اكبر الله اكبر ولله الحمد يرفعون اصواتهم بالتكبير ليلتي العيد في المنازل والمساجد والاسواق سفرا كانوا

او حاضرين وفي اليومين في طريق المصلي وبالمصلي الى الغاية المذكورة سوا يصلي المكبر مع الامام اولا يصلي
ويستثنى من ذلك الحاج فلا يكبر ليلة الاضحى واختلف في ان التكبير في اي العيدين اوكد ففي القديم ليلة النحر اوكد لاجماع
السلف عليها وفي الجديد ليلة الفطر لورود النص فيها قوله سبحانه واذا سالك عبادي عني وجه اتصاله بما قبله
هو انه لما امر العباد بالتكبير الذي هو ذكر وبالشكر نبههم على انه مطلع على ذكرهم فيسمع دعاءهم ويجيبهم
ولا يخيب رجاءهم او انه امرهم بالثنا ثم رغبهم في الدعا تعليما للمسالة وتنبيها على حسن الطلب وسبب نزولها ما روي
ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل كان في غزاة وقد رفع اصحابه
اصواتهم بالتكبير والتهليل والدعا قال صلى الله عليه وسلم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انما تدعون قريبا سميعا وعن
قتادة ان الصحابة قالوا يا نبي الله كيف ندعوا ربنا فنزلت وعن عطا انهم سالوا في اي ساعة ندعوا فنزلت وقيل فرض
عليهم الصيام كما كتب على الذين من قبلهم اي اذا ناموا حرم عليهم ما يحرم على الصايم فشق ذلك على بعضهم حتى عصوا
ربهم في هذا التكليف ثم ندموا وسالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن توبتهم فنزلت مبشرة بقبول توبتهم ونسخ
ذلك التشديد بسبب دعايهم وتضرعهم وبهذا الوجه نظم الاية مناسبة لما قبلها ولما بعدها ثم ان سوالهم للنبي صلى
الله عليه وسلم عن الله اما ان يكون عن ذاته بان يكون السايل ممن يجوز التشبيه فيسال عن القرب والبعد
بحسب الذات واما ان يكون عن صفاته بانه هل يسمع دعاءنا او هل عن افعاله بانه اذا سمع دعانا فهل يجيبنا
الى مطلوبنا او كيف اذن في الدعا وهل اذن في ان ندعوه بجميع الاشيا وما اذن الا بان ندعوه باسماء معينة
وهل اذن ان ندعوه كيف نشاء وما اذن الا بان ندعوه على وجه معين كما قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وكل
هذه الوجوه محتملة لان قوله فاني قريب يدل على ان السوال كان عن الذات وقوله اجيب دعوة الداع دليل
على ان السوال عن الصفة لان الاجابة بعد السماع واطلاق قوله اذا دعان يرشد الى الاذن في الدعا على اي
نحو اراد ما لم يتجاوز قانون الادب عرفا كقوله سبحانه ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها قال العلما ليس القرب
ههنا بالمكان لانه لو كان في المكان كان مشارا اليه بالحس ومنقسما اذ يمتنع ان يكون في الصغر والحقارة كالجوهر
الفرد وكل منقسم مفتقر الى اجزايه في تحققه وكل مفتقر ممكن وايضا لو كان في المكان فاما ان يكون غير متناه من جميع الجوانب
وهو محال فان كل بعد متناه ببرهان تناهي الابعاد او من جانب واحد فكذلك مع ان كونه بحيث يقتضي جانب منه عدم
التناهي وجانب منه التناهي يوجب كونه مركبا من اجزاء مختلفة الطبايع او يكون متناهيا من جميع الجوانب وهو باطل
بالاتفاق وايضا هذه الاية من اقوى الدلايل على ان القرب ليس بالجهة لانه لو كان في المكان لما كان قريبا من الكل بل لو كان
قريبا من حملة العرش يكون بعيدا عن غيرهم ولو كان قريبا من المشرق كان بعيدا عن المغرب قالوا فثبت ان المراد قربه
بالتدبير والحفظ والكلاءة قال في الكشاف هو تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من ساله
بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وسلم هو بينكم
وبين اعناق رواحلكم وقد اشار بعض المحققين الى ان اضافة ماهيات الممكنات بوجودها الكائن بايجاد الصانع
فهي كالمتوسط من ماهياتها ووجوداتها فيكون اقرب الى ماهية كل ممكن من وجود تلك الماهية اليها بل ماهية كل شي
انما صارت هي هي بجعل الصانع حتى ماهية الوجود فبه صار الجوهر جوهرا والسواد سوادا والعقل عقلا والنفس نفسا فالله
اقرب الى الكل من ماهيات نفس تلك الماهيات الى نفسها قلت استصحاب المكان لا يوجب الافتقار الى المكان وان سلم ان كل مفتقر
الى المكان منقسم فانقسام كل مستصحب للمكان ممنوع وبراهين تناهي الابعاد مختلفة زيفنا في مواضعها ولا ذرة من
ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها قاهر عليها قريب منها اقرب من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الصنع ولا
فقط بل بضرب اخر لا يكشف المقال عنه غير الخيال مع ان التعبير عن بعض ذلك يوجب شنعة الجهال شعر ومن
اليه حذار الرقيب ولكنه سر الحبيب حبيب اذا ما تلاشيت في نوره تقول لي ادع فاني قريب ان سالوه اين ربنا
صح الجواب باني قريب وان سالوه هل يسمع ربنا دعانا صح الجواب باني قريب وان سالوه كيف ندعوه ابرفع الصوت
ام باخفايه صح بان يجاب باني قريب وان سالوه هل يعطينا مطلوبنا صح الجواب فاني قريب وان سالوه اذا اذنبنا
ثم تبنا فهل يقبل الله توبتنا صح ان يجاب باني قريب اي بالنظر اليهم والتجاوز عنهم واعلم ان الدعا مصدر دعوات

ادعوا

ادعوا وقد يكون اسما يقول سمعت صوتا وحقيقة الدعا استدعا العبد ربه جل جلاله العناية والاستمداد
والمعونة قال بعض الظاهريين لا فايدة في الدعا لان المطلوب به ان كان معلوم الوقوع عند الله كان واجب الوقوع والا فلا
لان الاقدار سابقة والاقضية جارية وقد جف القلم بما هو كاين فالدعا لا يزيد منها شيا ولا ينقص ولان المقصود ان كان
من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه ولان اجل مقامات الصديقين الرضا بالقضا
واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالدعا ينافي ذلك ولان الدعا شبيه بالامر والنهي وذلك خارج عن الادب ولهذا ورد
في الكلام القدسي من شغله قراءة القران عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين وقال جمهور العقلا ان الدعا
من اعظم مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين وداب الانبيا والمرسلين والقران ناطق بصحته عن الصديقين
والاحاديث مشحونة بالادعية الماثورة بحيث لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله
وقضايه وقدره غايبة عن العقول والحكمة الالهية يقتضي ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف اللذين بهما
تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله وجريان قضايه وقدره في الكل
وما روي عن جابر انه جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان ففيم العمل اليوم
فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت المقادير قال ففيم العمل قال
اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله منبه على ما قلنا فانه صلى الله عليه وسلم علقهم بين الامرين رهبهم بسابق القدر
ثم رغبهم في العمل ولم يترك احد الامرين للاخر فقال كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حياته للعمل سبق به القدر
قبل وجوده الا انك تحب ان تعلم الفرق بين الميسر والمسخر كيلا يغرق في لجة القضا والقدر وكذا القول في باب الرزق والكسب
والحاصل ان الاسباب والوسايط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسايل في قضا الاوطار
الدعاء والالتماس كما في الشاهد فلعل الله تعالى قد جعل اسباب العبد سببا للمناجحة فاذا كان كذلك فلا بد ان يدعوا
حتى يصل الى مطلوبه ولم يكن شيا من ذلك خارجا عن قانون الكتاب السابق وناسخا للكتاب المسطور ومن فوايد الدعا
اظهار شعار الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار وتصحيح نسبة العبودية والانغماس في غمرات النقصان
الامكاني والافلاس عن ذروة الترفع والاستعلا الى حضيض الاستكانة والحاجة والفاقة ولهذا ورد من لم يسال الله
يغضب عليه فاذا كان الداعي عارفا بالله وعالما بانه لا يفعل الا ما وافق مشيته وسبق به قضايه وقدره ودعا على النمط
المذكور من غير ان يكون في دعايه حظ من حظوظ النفس الامارة راجيا فيما عند الله من الخير خايفا من الاقدام من الوقف
المسالة والمناجاة وان يكون استجابته صورة الاستدراج كان دعاوه خليقا بالاجابة وجديرا بالقبول وان يعود بركته
عليه قال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخر له في الاخرة
واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال
صلى الله عليه وسلم يقول دعوت ربي فما استجاب لي واما هيئة الداعي فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعا عن قلب غافل لاه وعن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اسالوا الله ببطون اكفكم ولا تسالوا بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم واما شرايط
الدعا فمنها بعد ما مر من الاخلاص وغيره تزكية البدن واصلاحه بلقمة الحلال وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل
يطيل السفر يمد يديه الى السماء اشعث اغبر يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام
فاني يستجاب لذلك وقد ذكر المحققون ان الدعا مفتاح باب السما واسنانه لقمة الحلال واما وقت الدعاء ففي
الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث
الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وعن ابي امامة
قيل يا رسول الله اي الدعا اسمع قال جوف الليل الاخر ودبر الصلوات المكتوبات وعن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الدعا بين الاذان والاقامة لا يرد زاد في رواية قال فماذا نقول يا رسول الله قال سلوا الله العافية
في الدنيا والاخرة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل
وهو ساجد فاكثروا الدعا وعنه انه صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يستجيب الله له عند الشدايد والكرب

فليكثر الدعا في الرخاء وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلث لا ترد دعوتهم الصايم حين يفطر والامام العادل
ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها ابواب السما ويقول الرب وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين
واما كيفية الدعا فعن فضالة بن عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثنا
عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد ما شا وعن عمر بن الخطاب رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعا موقوف
بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلي علي فلا تجعلوني كغمر الراكب صلوا علي اول الدعا ووسطه واخره ومن
لطايف الاية فانه تعالى قال فاني قريب دون ان يقول فقل اني قريب كما قال في سائر الاسولة والاجوبة وذلك في مواضع
من كتابه ويسلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ويسلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يسلونك عن
الساعة قل انما علمها عند الله وهذه الاسولة اصولية يسلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين و
الاقربين ويسلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير ويسلونك عن المحيض قل هو اذى ويستفتونك في النسا قل الله
يفتيكم فيهن يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة يسلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ويستنبؤنك
احق هو قل اي وربي ويسلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا فكانه سبحانه يقول عبدي انما انت تحتاج الى الواسطة
في غير وقت الدعا اما في الدعا فلا واسطة بيني وبينك وايضا في مقام السوال قال عبادي وهذا يدل على ان
العبد له وفي مقام الاجابة قال فاني قريب وهذا يدل على انه للعبد وايضا لم يقل العبد مني قريب بل قال اني قريب
منه اشارة الى انه ما للتراب ورب الارباب وانما يصلي من حضيض الامكان الذاتي الى ذروة الوجود والبقا بفضل
الواجب وفيضه فليستجيبوا لي اجاب واستجاب بمعنى يقال استجابه واستجاب له اي فليمتثلوا امري اذا دعوتهم للايمان
والطاعة وليؤمنوا بي وليستقيموا او ليعزموا على الاستجابة وليؤمنوا بي كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم لعلهم
يكونوا من الراشدين المهتدين الى مصالح دينهم ودنياهم فان طاعة الله تعالى هي المستتبعة للخيرات عاجلا واجلا
من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وفي ضده
من اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وحاصل الكلام انا اجيب دعاكم مع اني
غني عنكم على الاطلاق فكونوا انتم مجيبين دعوتي مع افتقاركم الي من جميع الوجوه وفيه نكتة وهي انه تعالى
لم يقل اجب حتى اجيب دعاك كيلا يصير المذنب محروما عن هذا الاكرام فقال انا اجيب دعاك على جميع احوالك
فكنت انت ايضا مجيبا لدعائي وهذا يدل على ان نعمه شاملة ورحمته كاملة تعم المطيعين والمذنبين والكاملين والناقصين
وقيل الدعا في الاية هو العبادة لما روي عن نعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة
وقرا ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وعلى هذا فالاجابة عبارة
عن الوفا بما ضمن للمطيعين من الثواب كقوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله
وقيل المراد من الدعا التوبة وذلك ان التايب يدعو الله عند التوبة فاجابة الدعوة على هذا التفسير عبارة عن
قبول التوبة قوله عز وجل احل لكم جمهور المفسرين على انها ناسخة لما عليه الناس في اول الاسلام روي عن
ابن عباس انه لما نزلت كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كانوا اذا صلوا العتمة حرم عليهم الطعام
والشراب وصاموا الى القابلة فاختان رجل فجامع امراته وقد صلى العشا فلم يفطر فاراد الله ان يجعل ذلك
يسرا لمن بقي ورخصة ومنفعة وعن البرا كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صايما فحضر الافطار
فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ويومه حتى يمسي وان قيس ابن صرمة الانصاري او صرمة بن قيس او قيس بن عمر
على اختلاف الروايات كان صايما فلما حضر الافطار اتى امراته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك
وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاته امراته فلما راته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فنزلت احل لكم ففرحوا فرحا شديدا وابو مسلم خالف الجمهور بناء على مذهب من انه لم يقع في
القران نسخ البتة احتج الجمهور بوجوه منها انه تعالى شبه ايجاب الصوم على هذه الامة بايجابه على من تقدمهم
فيلزم منه حرمة الاكل والشرب والوقاع بعد النوم في شرعنا كما كانت في شرعهم واذا كانت الحرمة ثابتة فهذه

الاية رافعة ناسخة لحكمها ومنع ابو مسلم من ان مقتضى التشبيه حصول المشابهة في كل الامور فلعلهم انما كانوا
ممنوعون من الاكل والشرب والوقاع اعتقادا منهم بقاء تلك الحرمة في شرعنا كما هي في شرع من قبلنا مع جواز كونها
مباحة في نفس الامر ومع قيام هذا الاحتمال فلا جزم بالحرمة فلا جزم بالنسخ ومنها قوله علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم ولو كان ذلك حلالا لم ينسبوا الى الخيانة فقيل ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشا الاخرة فلما اغتسل
اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة
واخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا بعد العشا فنزلت قال ابو مسلم
اصل الخيانة النقص واختان وخان ويكون بمعنى واحد مثل اكتسب وكسب وتكسب والمعنى علم الله انكم كنتم تنقصون انفسكم
حظها من اللذات لا من الثواب والخير ومنها قوله تعالى فتاب عليكم وعفى عنكم والتوبة والعفو يكونان بعد المعصية والارتكاب
ما هو محرم قال ابو مسلم التوبة من العباد الرجوع الى الله بالعبادة ومن الله الرجوع الى العبد بالرحمة والاحسان والعفو
والتسهيل والتوسعة والتخفيف قال صلى الله عليه وسلم عفوت عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من اربعين درهما
درهم وقال اول الوقت رضوان الله واخره عفو الله والمراد التخفيف بتاخير الصلوة الى اخر الوقت ويقال اتاني هذا المال
عفوا اي سهلا فالمعنى عاد عليكم بالرحمة ووسع عليكم باباحة هذه الاشيا المحرمة على الذين من قبلكم واما الروايات
فاخبار احاد لا يوجب شي منها حمل القران على النسخ ولنشتغل بتفسير الالفاظ فنقول ليلة الصيام قال الواحدي اراد ليالي
الصوم فوضع الواحد موضع الجمع ويمكن ان يقال اضاف الليلة الى هذه الحقيقة فيتناول الكل من غير تكلف والرفث الجماع والرفث
ايضا الفحش من القول وكلام النسا في الجماع وقيل لابن عباس من حين انشد شعر وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا
الرفث وانت محرم فقال انما الرفث ما وجه به النسا هميسا اي مشيا لينا ولميس اسم امراة اي ان تصدق
الفال ننكها وقال ابو علي الفرج ويقال جامع الرجل او ناك فالرفث الكناية عن هذه العبارة قلت رفث الرجل وانما كني
عنه هيهنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يعبر عنه بالافضاء او الغشيان او المس وغيرها كما في مواضع اخر وقد
افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن من قبل ان تمسوهن او لامستم النسا في دخلتم بهن فاتوا حرثكم
فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة والبيان كما سماه اختيانا لانفسهم قال الاخفش
انما عدي الرفث بالى لتضمنه معنى الافضا في قوله وقد افضى بعضكم الى بعض هن لباس لكم وجه التشبيه انهما يعتنقان
فيضم كل واحد جسده الى جسد صاحبه ويشتمل عليه كالثوب قال الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقال ابن
زيد كل منهما يستر صاحبه ويشتمل عليه كالثوب قال الجعدي شعر اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا
او سميا لباسا لستر كل منهما صاحبه عما لا يحل كما في الخبر من تزوج فقد احرز ثلثي دينه او المراد تستره بها عن جميع
المفاسد التي يضيع في البيت لو لم تكن المراة حاضرة كما يستتر الانسان من الحر والبرد وكثير من المضار وعن الاصم
ان كل واحد منهما كاللباس الساتر للاخر في ذلك المحظور الذي كانوا يفعلونه ولا ريب بان هذه القرينة واردة في معرض
الانعام لا في مقام الذم ووحد اللباس اما لانه جنس واما لانه مصدر لابس ووضع موضع الصفة وموقع قوله هن
لباس لكم استينافا لانه كالبيان لسبب الاحلال فان مثل هذه المخالطة والملابسة توجب قلة الصبر عنهن ومعنى علم
الله ظهر معلومه او هو عالم ولم يذكر في الاية ان الخيانة فيما ذا الا ان الذي تقدم هو ذكر الجماع والذي تاخر هو مثله
بدليل قوله فالان باشروهن فتعين ان يكون المراد الخيانة في الجماع ومن المعلوم منهم لم يختانوا فالخطاب
لبعضهم فكل من عصى الله وهو له فقد خان نفسه لانه جلب اليها العقاب ونقص حظها من الثواب وقيل ان الاية
تدل على وقوع الخيانة منهم وانما اراد علم الله انكم كنتم تختانون لو دام هذا التكليف
الامر عليكم حتى لا تقعوا في الخيانة فتاب عليكم اي فتبتم فقبل توبتكم وعلى قول ابي مسلم لا اشكال
فالان باشروهن تاكيد لقوله احل لكم وفيه ضرب من البيان فانه حل الرفث ليلة الصيام لا يوجب حله في جميع اجزائها
حتى الصباح والجمهور على ان المراد بالمباشرة هيهنا الجماع سمي بهذا الاسم لتلاصق البشرتين فيه ومنه انه صلى الله
عليه وسلم قال لا يباشر الرجل الرجل والمراة المراة
من القوم وان الرفث ايضا يراد به ذلك لان اباحة الجماع يتضمن اباحة ما دونه نصا فيها وما نقل عن الاصم ان المراد هنا الجماع

ويرجع النزاع لفظيا واما المباشرة في قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فلا يعود النزاع فيها الى اللفظ لان المنع عن الجماع لا يدل على المنع عما دونه من الاستمتاعات وابتغوا ما كتب الله لكم جعل او قضى او كتب في اللوح من الولد اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء الغرض الاصلي من النكاح وهو التناسل قال صلى الله عليه واله وسلم تناكحوا تكثروا وقيل هو نهي عن العزل فقد وردت الاخبار في كراهته ذلك وعن الشافعي رحمه الله لا يعزل الرجل عن الحرة الا باذنها ولا باس ان يعزل عن الامة وعن علي عليه السلام انه كان يكره العزل وقيل اطلبوا المحل الذي حلله الله لكم كقوله فأتوهن من حيث امركم الله وقيل وابتغوا هذه المباشرة التي كتب الله لكم بعد ان كانت محرمة عليكم وعن ابي مسلم وابتغوا المباشرة التي كتبها الله لكم وان كنتم تظنون انها محرمة عليكم وقيل لا تباشروهن الا في الاوقات والاحوال التي اذن الله لكم في مباشرتهن دون اوقات الحيض والنفاس والعدة والردة وقيل لا تبتغوا الا من الزوجة والمملوكة وهو الذي كتب في القرآن من قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وعن معاذ بن جبل وابن عباس رضي الله عنه في رواية ابي الجوزاء اطلبوا ليلة القدر وما كتب الله من الثواب لكم ان اصبتموها واستبعده بعضهم وليس ببعيد فان نوع العكس بسبب الشهوة المبيحة قد يمنع عن الاخلاص في العبودية ولا يتفرغ المكلف حينئذ لطلب ليلة القدر التي هي حاصل صوم رمضان فقال سبحانه فالان باشروهن لتفرغوا للطلب الغاية من صيامكم والله اعلم بمراده عن عدي بن حاتم قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر من الليل ولا يستبين لي فاذا تبين لي الابيض من الاسود امسكت فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال انك لعريض القفا انما ذلك بياض النهار وسواد الليل كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك عن بلاهة عدي وقلة فطنته وفي الصحيحين ايضا عن سهل بن سعد نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعد من الفجر فعلموا انما يعني الليل والنهار واعلم ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند من يجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره عن وقت الخطاب فجائز عند الاكثرين ولما كان من مستعملات العرب اطلاق الخيط الابيض على اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود على ما يمتد معه من غبش الليل قال ابو داود شعر

فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا

والسدفة الضياء المخلوط بالظلام اقتصر على الاستعارة اولا ثم لما اشتبه الامر على بعض من لا دربة له باللغة العربية نزل من الفجر بيانا للخيط الابيض واستغنى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما تستتبع بيان الاخر وخرج الكلام من الاستعارة الى التشبيه البليغ كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فالاستعارة وان كانت ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة من حيث انها استعارة كما بين في موضعها الا ان رفع الاشتباه عن المكلفين اهم واولى فالفصاحة في هذا المقام ترك الاستعارة وليس هذا من باب تاخير البيان عن وقت الحاجة على الاطلاق لان المحتاجين ههنا الى البيان ساقطون عن درجة الاعتبار لان فهم المعنى من اللفظ انما يعتبر بالنسبة الى العارف بلغة العرب واستعمالها لا بالاضافة الى الاغبياء نعم التفهيم يعم البليد والذكي والله المستعان ولا يستبق الى الوهم ان المشبه بالخيط الابيض هو الصبح الكاذب المستطيل لانه يناقض ما ورد في الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير وانما المشبه هو الفجر الصادق وهو ايضا يبدو دقيقا ولكن يرتفع مستطيرا اي منتشرا في الافق لا مستطيلا ويمكن ان يقال الفصل المشترك بين ما يبدو من الضياء اي انشق وبين ما هو مظلم بعد يشبه خيطين اتصلا عرضا فالذي انتهى اليه الضياء خيط ابيض والذي ابتدأ منه الظلام خيط اسود وقد سبق تفسير قوله تعالى واختلاف الليل والنهار فلنذكر قيل ويجوز ان يكون من في قوله من الفجر للتبعيض لانه بعض الفجر واوله ولا شك ان حتى لانتهاء الغاية فدلت الاية على ان حد المباشرة والاكل والشرب ينتهي عند طلوع الصبح فاستدل بهذا على جواز صوم من يصبح جنبا وبقوله ثم اتموا الصيام الى الليل على ان الصوم ينتهي عند غروب الشمس لان ما بعد الى لا يدخل فيما قبلها خاصة اذا لم يكن من جنسه بل على حرمة الوصال ويؤيده ما روي انه صلى

الله عليه وسلم قال اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد غربت الشمس وافطر الصائم فيجب على المكلف ان يتناول شيئا وكيف لا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الوصال فقيل يا رسول الله انك تواصل فقال اني لست مثلكم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني اي من طعام الجنة او اني على سعة بابي لو احتجت اطعمني من الجنة قوة من طعم وشرب والتحقيق ان استغراقه في مطالعة جلال الله يشغله عن الالتفات الى ما سواه فاذا تناول شيئا قليلا ولو قطرة من الماء فبعد ذلك كان بالخيار في الاستيفاء الا ان يخاف التقصير في الصوم المستانف او في سائر العبادات فيلزم حينئذ ان يتناول بمقدار الحاجة وقد يتمسك الحنفي بالاية في جواز النية نهار رمضان لانه مطلق الامساك من النهار فيجب قصد الامساك فيه فقط ومقتضى هذا الدليل صحة الفرض بنية بعد الزوال الا انا نقول الاقل ملحق بالاغلب فابطلنا الصوم بنية بعد الزوال وصححناه بنية قبله حجة الشافعي قوله صلى الله عليه وسلم من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له ويروى من لم ينو وحجتنا في النفل انه نوى قبل الصلوة لانه صلى الله عليه وسلم كان يدخل على بعض ازواجه فيقول هل من غداء فان قالوا لا قال اني صائم اولى اذا الصائم وايضا قال الحنفي يجب اتمام الصوم النفل لقوله فاتموا والامر للوجوب والشافعي قد ورد هذا عقيب الفرض فيختص به واعلم انه سبحانه خصص بالذكر من المفطرات الرفث والاكل والشرب لان النفس تميل اليها وههنا مفطرات اخر استنبط من الاية واستفيدت من السنة فمنها الاستمناء لان الايلاج من غير انزال مبطل فالانزال بنوع شهوة اولى وكذا الانزال باللمس والقبلة دون الفكر او النظر بشهوة لانه يشبه الاحتلام وعند مالك الانزال بالنظر مفطر وعند احمد ان كرر النظر حتى انزل افطر ومنها الاستقاء لقوله صلى الله عليه وسلم من ذرعه القيء وهو صائم فلا قضاء عليه ومن استقاء فليقض ومنها دخول الشيء جوفه في منفذ مفتوح سواء كان فيه قوة محيلة تحيل الواصل اليه من غذاء او دواء اولا كالحلق جوفه وكذا باطن الدماغ والبطن والامعاء والمثانة لما روي عن ابن عباس ان الفطر مما دخل والوضوء مما خرج فالحقنة مبطلة للصوم وكذا السعوط اذا وصل الى الدماغ ولا باس بالاكتحال وليست العين من الاجواف وانه صلى الله عليه وسلم اكتحل في رمضان وهو صائم وعن مالك واحمد انه اذا وجد في الحلق طعما افطر والتقطير في الاذن اذا وصل الى الباطن كالسعوط وكذا في الاحليل وان لم يصل الى المثانة ولا باس بالفصد والحجامة لكن يكره خيفة الضعف احتجم صلى الله عليه وسلم وهو صائم محرم في حجة الوداع وقال احمد يفسد الصوم بالحجامة ولو دهن راسه وبطنه ووصل الى جوفه بتشرب المسام لم يضر كالاغتسال والانغماس عند الشافعي ولا بد ان يكون الواصل من قصد منه فلو طارت ذبابة الى حلقه او وصل غبار الطريق او غربلة الدقيق الى جوفه لم يفطر ولو فتح فاه عمدا الماء في الحفظ من العسر ولو ضبطت المراة او وطئت او وجئ بالسكين او اوجر بغير اختياره فلا افطار وكذا لو كان مغمى عليه فاوجر معالجة ولو اكره حتى اكل بنفسه افطر لانه اتى بضد الصوم ولانه لدفع الضرر كما لو اكل وشرب لدفع الجوع او العطش وعند احمد لا يفطر وابتلاع الريق الصرف الطاهر من الفم لا يفطر والنخامة ان لم تحصل في حد الظاهر من الفم لم يضر وان حصلت فيه بانصبابها من الدماغ في الثقبة النافذة منه الى اقصى الفم فوق الحلقوم فان قدر على مجه ولم يمج حتى جرى بنفسه بطل صومه لتقصيره والا فلا واذا تمضمض فسبق الماء الى جوفه او استنشق فوصل الماء الى دماغه لم يفطر على الاصح ان لم يبالغ وبه قال الامام احمد وعند ابي حنيفة ومالك يفطر وان بالغ افطر وفاقا قال صلى الله عليه وسلم للقيط بن صبرة بالغ في الاستنشاق الا ان تكون صائما ولو بقي طعام في خلل اسنانه فابتلعه عمدا افطر خلافا لابي حنيفة فيما اذا كان يسيرا وربما قدر بالحمصة وان جرى به الريق من غير قصد منه لم يفطر على الاصح ولا بد ايضا في وصول العين من ذكر الصوم فلو اكل ناسيا وان قل لم يفطر لقوله صلى الله عليه وسلم من نسي وهو صائم فاكل او شرب فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه وخالف مالك وان كثر افطر ولو جامع ناسيا للصوم فالاصح انه لا يفطر كما في الاكل ولو اكل على ظن ان الصبح لم يطلع بعد او ان الشمس قد غربت وكان غالطا لم يجز به صومه على الاشهر لانه تحقق خلاف ما ظنه واليقين مقدم على الظن ثم ان كان الصوم واجبا قضى وان كان تطوعا فلا قضاء والاحوط في اخر النهار ان لا ياكل الا بعد تيقن غروب الشمس لان الاصل بقاء النهار ولو اجتهد وغلب على ظنه دخول الليل بورد او غيره فالاصح جواز الاكل فقد افطر الناس في زمان عمر رضي الله عنه ثم انكشف السحاب وظهرت الشمس واما في اول النهار فيجوز الاكل بالظن والاجتهاد الى طلوع الفجر لان الاصل بقاء الليل فان قيل ان اول الفجر كيف يدرك ويحس ومتى عرف المترصد الطلوع كان الطلوع الحقيقي متقدما عليه فيجاب اما بان المسئلة

موضوعة على التقدير كدأب الفقها في امثالها واما انا فنعتقد بما يطلع عليه ولا معنى للصبح الا ظهور الضوء للناظر وما قبله لا حكم له كالزوال عند زيادة الظل وكذا اذا كان الشخص عارفا بالاوقات ومنازل القمر وكان بحيث لا حايل بينه وبين مطلع الفجر وترصد فمتى ادرك مبادي الصبح المعتبر وحينئذ يحرم المفطرات وعن الاعمش انه يحل الاكل والشرب والجماع الى طلوع الشمس قياسا لاول النهار الى اخره وجعل الخيط الابيض وقت الطلوع والخيط الاسود وما اتصل به من اخر الليل ومن الناس من قال لا يجوز الافطار الا عند غروب الحمرة كما انه لا يجوز الاكل الا الى طلوع وهذه المذاهب قد انقرضت والفقها على بطلانها يحكى عن الاعمش انه دخل عليه ابو حنيفة يعوده فقال له الاعمش انك لتثقل على قلبي وانت في بيتك فكيف اذا زرتني فسكت عنه ابو حنيفة فلما خرج قيل له لم سكت عنه فقال ماذا اقول في رجل ما صام ولا صلى في دهره عنى انه كان ياكل بعد الفجر الثاني قبل طلوع الشمس فلا صوم له وكان لا يغتسل من الاكسال فلا صلوة له واعلم ان في الاية ترتيبا عجيبا ونسقا انيقا وذلك ان الرفث لما كان من اشنع الامور التي يجب الامساك عنها في رمضان حتى قال بعض الناس انه كان حراما في رمضان ليلا ونهارا وفيه قد وقعت الخيانة كما مر في الاسباب قدم اباحته اولا ثم بين السبب في اباحته ثم ذكر الخيانة في شانه وعقب التوبة بالعفو وقبول التوبة ثم اعيد ذكر اباحته ليترتب عليه الغرض الاصلي من الرفث وهو النسل وليعطف عليه اباحة الاكل والشرب جميع ذلك الى اخر جزء من اجزاء الليل ثم لما بين مدة الافطار وما ابيح فيها مدة الصوم الذي هو المقصود الاصلي وتلك المدة هي ما بقي من مدة الافطار الى تمام اربع وعشرين ساعة هي مجموع اليوم بليلة اعني من اول الفجر الصادق الى غروب الشمس ثم لما كان زمان الاعتكاف مستثنى من ذلك لانه فهم من الاية ان الامساك عن الرفث كان مختصا بنهار رمضان لا بليله ولا بسائر ايام السنة ولياليها عقب اباحة الرفث فيما سوى نهار رمضان بحظره في حالة الاعتكاف فقيل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد قال الشافعي الاعتكاف حبس المرء نفسه على شيء برا كان او اثما قال تعالى يعكفون على اصنام لهم والاعتكاف الشرعي المكث في بيت الله تعالى تقربا اليه وهو من الشرايع القديمة قال تعالى وطهرا بيتي للطايفين والعاكفين وللايمة خلاف في ان المراد من المباشرة ههنا فعن الشافعي في اصح قوليه وبه قال ابو حنيفة واحمد انها الجماع ومقدماته المفضية الى الانزال لان الاصل في لفظ المباشرة ملاقاة البشرتين فالمنع من هذه الحقيقة مادام في المعتكف وحين يخرج لحاجة ولم يتم مدة الاعتكاف مع القبلة والعناق وكل ما فيه تلاقي البشرتين خالفنا الدليل فيما اذا لم تزل من هذه الامور لتبقى عدم الشهوة فيها فقد علم ان اللمس بغير شهوة جايز لانه صلى الله عليه وسلم كان يدني راسه من عايشة لترجل راسه وهو معتكف فيبقى ما فيه الشهوة على اصل المنع اصح انها لا تبطل الاعتكاف بان هذه الامور لا تبطل الصوم والحج فلا يفسد الاعتكاف لانه ليس اعلى درجة منهما واجيب بان النص مقدم على القياس واتفقوا على ان شرط الاعتكاف الجلوس في المسجد لانه متميز على ساير البقاع من حيث انه بني لاقامة الطاعات ثم اختلفوا فعن علي كرم الله وجهه انه لا يجوز الا في المسجد لقوله تعالى طهرا بيتي للطايفين والعاكفين وعن عطا فيه وفي مسجد المدينة لقوله صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي خير من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وعن حذيفة فيهما وفي مسجد بيت المقدس لقوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا ه الزهري لا يصح الا في الجامع ه ابو حنيفة لا يصح الا في مسجد له امام راتب الشافعي يجوز في جميع المساجد لاطلاق قوله في المساجد الا ان الجامع اولى حتى لا يحتاج الى الخروج لصلوة الجمعة ولا خلاف ان الاعتكاف مع الصوم افضل وهل يجوز بغير صوم ه الشافعي نعم لانه غير صوم عاكف ولانه تعالى منع العاكف من المباشرة ولو كان اعتكافه باطلا لما كان ممنوعا وايضا لو كان الاعتكاف موجبا للصوم لم يصح الاعتكاف في رمضان لان ذمته مشغولة بالصوم الواجب لشهود الشهر فلا يمكنه الاشتغال بالصوم الذي يوجبه الاعتكاف لكنهم اجمعوا على صحة الاعتكاف في رمضان وايضا ولانه لخرج المعتكف من اعتكافه بالليل كما يخرج عن الصوم لكنه لا يخرج وايضا روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة فقال صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك ومعلوم انه لا يجوز الصوم في الليلة ابو حنيفة لا يجوز لانه يجب الصيام في الاعتكاف بالنذر فيجب بغير نذر ايضا كعكسه في الصلوة فان الاعتكاف وهو ان الصلوة لما لم يجب فيه بالنذر بالاجماع لم يجب بالنذر ايضا وفرق بان الصوم والاعتكاف متغايران فكل منهما كف ما مسالك والصلوة افعال مباشرة ولا مناسبة بينها وبين الاعتكاف فلا يجعل احدهما وصفا للاخر فلهذا قلنا انه لو

نذر ان يعتكف صايما او يصوم معتكفا لزمه كلاهما والجمع بينهما ولو نذر ان يعتكف مصليا او يصلي معتكفا لزمه كلاهما دون الجمع بينهما ويتفرع على المذهبين انه يجوز ان ينذر اعتكاف ساعة عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فلا يجوز اقل من يوم بشرط ان يدخل قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك عند الخروج عن الخلاف تلك حدود الله اشارة الى جميع ما تقدم من اول الصيام الى ههنا لا الى عدم المباشرة في الاعتكاف وحده لانه حد واحد اللهم الا ان يراد امثال تلك الجملة وحد الشيء منقطعه ومنتهاه وحد الدار ما يمنع غيرها ان يدخل فيها والحد الكلام الجامع المانع فحدود الله ما منع من مخالفتها بعد ان قدرها بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة وانما قال ههنا فلا تقربوها وفي مواضع اخر فلا تعتدوها لان العامل بشرايع الله اوامر او نواهي متصرف في حيز الحق فاذا تعداه وقع في حيز الباطل فالنهي عن التعدي هو المقصود الى ان الاحوط ان لا يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيز الحق والباطل كيلا يداهن فيقع في الباطل عن النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا ولكل ملك حمى وحمى الله محارمه وقيل لا تقربوها اي لا تتعرضوا لها بالتغيير كقوله ولا تقربوا مال اليتيم وقيل الاحكام المذكورة بعضها امر واكثرها نهي فغلب جانب التحريم اي لا تقربوا تلك الاشيا التي منعتم عنها واما في الاوامر فقال لا تعتدوها اي اثبتوا عليها ولا تتخطوها كذلك اي كما بين ما امركم به ونهاكم عنه في هذا المقام يبين سائر ادلته على دينه وشرعه ارادة ان يتصف الناس بالتقوى جعلنا الله تعالى من المتقين بفضله ورحمته

التاويل

صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته الصوم عايد الى الحق على كل عضو في الظاهر صوم وعلى كل صفة في الباطن صوم فصوم اللسان عن الكذب والغيبة وصوم العين عن محل الريبة وصوم السمع عن استماع الملاهي وعلى هذا فقس الباقي فصوم النفس عن التمني والشهوات وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الاخرة ولذاتها وصوم السر عن شهود ما سوى الله كما كتب على الذين من قبلكم اي على اسلافكم واجزائكم فانها كانت صايمة عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية لعلكم تتقون مشارب المركبات وتتطهرون عن دنس الحظوظ الحيوانيات والروحانيات تحتجب بها كوكب استدعاء الحظوظ الفانية تطلع شمس حقوق الملاقات الروحانية الباقية كما قال صلى الله عليه وسلم للصايم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فمن كان منكم مريضا اي وقع له تنزل في السلوك لمرض غلبات صفات النفس وكسل الطبيعة او على سفر حصل له وقفة للعجز عن القيام باعباء احكام الحقيقة فليمهل حتى يتداركه العناية ويعالج سقمه بمعاجين الالطاف واشربة الاعطاف فيتداركه في ايام سلامة القلب وعلى الذين يطيقونه على من كان له قوة في صدق الطلب طعام مسكين فالطعام كل مشرب غير مشرب الطاف الحق والمسكين من يكون مشربه غير ما عند الله ويقنع به فيدفع تلك المشارب الى اهاليها ويخرج عما سوى الله ويواصل الصوم ولا يفطر الا على طعام مواهب الحق وشراب مشاربه وهو معنى ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فمن تطوع خيرا فمن زاد في الفدا اي كلما فطم من مشرب اخر فدى ذلك المشرب ايضا الى تركه الى ان يصير مشربه ترك المشارب كلها ودوام الصوم كقوله وان تصوموا خير لكم فيتنزل فيه حقايق القران وهذا معنى قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران فيكون على مادبة الله لا بمعنى انه ياكل من المادبة فانه دائم الصوم ولكن المادبة بالكلية حتى يغنيه عن وجوده ويبقيه بشهوده فيكون خلقه القران وحينئذ يعرف بين الوجود الحقيقي وبين الوجود المجازي كما قال وبينات من الهدى والفرقان فيقال له اصبت فالزم وهو معنى قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابو يزيد نادى ربي وقال يدك اللازم فالزم يدك رمضان يرمض ذنوب قوم ورمضان الحقيقي يحرق وجود قوم رمضان اسم من اسماء الله اي من صحح مع الله فليمسك عن غيره يريد الله بكم اليسر وهو مقام الوصول ولا يريد بكم العسر وهو ما في الطريق من الرياضة والمجاهدة كالطبيب يسقي دواء مرا فمراده حصول الصحة لا اذاقة مرارة الدواء وايضا كل ميسر لما خلق له لو لم يرد بنا اليسر لم يجعلنا طالبين لليسر شعر

لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه · من فيض جودك ما علمتني الطلبا

ولتكملوا عدة انواع الفاقات بجذبات يريد الله بكم اليسر ولتكبروا الله ولتعظموه

علي ما هداكم الي عالم الوصال بتجلي صفات الجمال ولعلكم تشكرون نعمة الوصال بتنزيه ذي الجلال عن ادراك
عقول اهل الكمال واحاطة اهل الوهم والخيال قوله سبحانه احل لكم ليلة الصيام اعلم ان للانسان تلونًا في الاحوال تارة
يكون بحكم غلبات الصفات الروحانية في نهار الولاية ذات الربانية وحينيذ يصوم عن الحظوظ الانسانية وهي حالة السكر
وتارة يكون بحكم الدواعي والحاجات البشرية مردودا الي ظلمات الصفات الحيوانية وهذه حالة الصحو فخصه الله
تعالي بنهار كشف الاستار وطلوع شمس الاسرار ليصوموا رغبة عما سواه وبليله اسبال استار الرحمة ليسكنوا
فيها ويستوفوا حوايجها كما من الله تعالي بقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدًا الايات ونعني بالرفث الي النسا
التمتع بالحظوظ الدنيوية التي تتصرف النفس فيها نظرًا الرجال في النساء هن لباس لكم اي الصفات والحظوظ
الانسانية ستر لكم يحجبكم عن حرارة شموس الجلال كيلا تحرقكم سطوات التجلي وانتم لباس لهن تسترون معايب
الدنيا بالاعمال الصالحة واستعمال الاموال علي قوانين الشرع والعقل نعم المال الصالح للرجل الصالح فالان باشروهن
بقدر الحاجة الضرورية وابتغوا بقوة هذه المباشرة ما كتب الله لكم من المقامات العقلية وكلوا واشربوا في ليالي الصحو
حتي يتبين لكم اثار المحو فالاحوال تنقسم الي بسط وقبض وزيادة ونقص وجذب وحجب وجمع وفرق وبعد وكشف
وستر وسكر وصحو واثبات ومحو وتمكين وتلوين كما قال الشاعر شعر كان شبابا لم يزل اذا اتي كان شبابا لم يكن اذا
في المساجد اي في مقامات القربة والانس وفيه اشارة الي انه يجب ان يكون الاشتغال بالضروريات من جنبات الصحو
فيكون الاسترواح والارتياح مع الحق وهذا مقام اهل التمكين فلا تقربوها بالخروج عنها يا اهل الكشوف
والعكوف وبالدخول فيها يا اهل الكسوف والخسوف الله حسبي ونعم الوكيل

وَلَا تَاكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا اِلَي الْحُكَّامِ لِتَاكُلُوا فَرِيقًا مِنْ اَمْوَالِ
النَّاسِ بِالْاِثْمِ وَاَنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْاَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ
وَلَيْسَ الْبِرُّ بِاَنْ تَاتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَي وَاْتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ اَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ الـقـراءة

البيوت بضم البا ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والبرجمي وهشام غير الحلواني والباقون
بكسر الباء الوقوف تعلمون ه عن الاهلة ه للفصل بين السوال والجواب والحج لا لابتدا وحكم احترس الملفي من اتقي ج لعطف الجملتين
المتفقتين ابوابها لعطف المتفقتين تفلحون ه التفسير لما كان الصوم منهيًا الي الافطار والافطار يتضمن الاكل والشرب
ناسب ان يردف حكم الصيام بحكم ما يصلح للاكل وما لا يصلح له ولما كان الصوم والفطر منوطين برؤية الهلال عقب
بذكر السوال عن حال الاهلة قال الامام الغزالي في الاحياء المال يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه والاول
اما ان يكون من المعادن او من النبات او من الحيوان اما المعادن والنبات فلا يحرم شي منها الا ما يزيل الحيوة
وهي السموم او الصحة وهي الادوية في غير وقتها او العقل كالخمر والبنج وساير المسكرات واما الحيوان فينقسم
الي ما يوكل والي ما لا يوكل وما يحل فانما يحل اذا ذبح ذبحًا شرعيًا واذا ذبح فلا يحل جميع اجزايه بل يحرم الدم والفرث
وكل ذلك مسطور في كتب الفقه والثاني وهو ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه نقول اخذ المال اما ان يكون
باختيار المتملك او بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لا يكون ماخوذًا من مالك كنيل المعادن واما ان
يكون ماخوذًا من مالك وذلك اما ان يوخذ قهرًا او بالتراضي والماخوذ قهرًا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك
كالغنايم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يوخذ بغير
عوض كالهبة والوصية فهذه اقسام ستة الاول ما لا يوجد من مالك كنيل المعادن واحياء الاموات والاصطياد

والاضطراب

١٤٥

والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصًا بذي حرمة من الادميين الثاني
الماخوذ قهرًا ممن لا حرمة له وهو الفي والغنيمة وساير اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منها
الخمس وقسموه بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوه من كافر له حرمة وامان وعهد الثالث الماخوذ قهرًا لاستحقاق عند
امتناع من عليه فيوخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق واقتصر علي المستحق الرابع
ما يوخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شروط العوضين وشرط العاقدين وشرط لفظي الايجاب والقبول
مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة الخامس ما يوخذ بالرضا من غير عوض كما في الهبة والوصية والصدقة
اذا روعي شروط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يود الي ضرر بوارث او غيره السادس ما يحصل
بغير اختياره كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس علي وجه حلال ثم كان بعد قضا
الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكوة والحج والكفارة ان كانت واجبة فهذه مجامع مدا
الحلال وما سوي ذلك فحرام لا يجوز اكله وكذا ان كان من هذه الجهات وصرفه الي غير المصارف الشرعية كالخمر والزمر
والزنا واللواط والميسر والسرف المحرم وكل هذه الوجوه داخلة تحت قوله سبحانه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي بالوجه
الذي لم يبحه الله تعالي ولم يشرعه وبينكم اي في المعاملات الجارية بينكم والتصرفات الواقعة منكم وليس المراد منه كل
خاصة بل غير الاكل من التصرف كالاكل في هذا الباب الا انه خص الاكل بالذكر لانه المقصود الاعظم من المال ويقال
لمن انفق ماله انه اكله والادلاء اصله من ادليت دلوي ارسلتها في البير بالاستقاء فاذا استخرجتها قلت دلوتها ثم جعل
كل القاء لقول او فعل ادلاء ومنه يقال للمحتج ادلي بحجته كانه يرسلها ليصل الي مراده وفلان يدلي الي الميت بقرابة ورحم
اذا كان منتسبًا اليه فيطلب الميراث بتلك النسبة طلب المستقي الماء بالدلو وقوله وتدلوا داخل في حكم النهي اي ولا
تدلوا بها الي الحكام اي لا ترشوها اليهم لتاكلوا طايفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح
مع العلم بان المقضي له ظالم والفرق بين الوجهين ان الحكام علي الاول حكام السوء الذين يقبلون الرشي التي هي رشاء
الحاجة فيها يصل المقصود البعيد قريبا واذ اخذها حاكم السوء مضي في الحكم من غير تثبت كمضي الدلو في الارسال وعلي
الثاني قد يكون الحاكم عادلا ولكن يشتبه عليه الحكم كما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر
وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له علي نحو ما اسمع له منه فمن قضيت له بشي من حق اخيه
فلا ياخذون منه شيا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبه فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما
ثم ليحلل كل واحد منهما صاحبه قوله فتوخيا اي اقصد الحق فيما تصنعانه من القسمة واقترعا وليا خذ كل منكما ما يخرجه القسمة
بالقرعة ثم تحالا وانتم تعلمون انكم علي الباطل وارتكاب المعاصي مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه بالتوبيخ احق روي ان
معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقًا مثل الخيط ثم يزيد حتي يمتلي ويستوي
ثم لا يزال ينقص حتي يعود كما بدا لا يكون علي حالة واحدة فنزلت يسئلونك عن الاهلة وقيل ان السايلين هم اليهود ثم
ان الله تعالي لم يجبهم بانه انما يري كذلك لانه يستفيد النور من الشمس وانه مظلم في ذاته ونصف ابدا هو المضي منه
منه دايرة والدايرتان يتطابقان في الاجتماع بحيث لا يظهر شي من المستنير وتكون القطعة المظلمة مما يلي البصر وهذه الحالة
هي المحاق وكذا في الاستقبال لكن القطعة المضية هي التي تلي البصر والقمر في هذه الحالة يسمي بدرًا وفي ساير الاوضاع
متقاطعان اما في التربيعين فعلي زوايا قوايم وفي غير التربيعين علي زوايا حادة ومنفرجة وعلي التقديرين ينقسم كرة
القمر بهما الي اربع قطع اثنان مضيتان وهما اللتان تليان الشمس والباقيتان مظلمتان وتقع مخروط البصر احد الاوليين
واحد الاخريين لكنه يحس بالمضية دون المظلمة والقطع الاربع في التربيعين متساويات تقريبا وفي غيرها يتساوي
المتجاورتان ويتساوي المتقابلتان والقطعة المرئية من المتجاورتين الواقعتين في مخروط البصر في الربعين الاول
والاخير من الشهر اصغرهما لان زاوية تلك القطعة اصغر المتبين بليان الابصار يعني انها حادة وتسمي القطعة المرئية
الصغيرة اول ما يبدو وفي ليلتين هلالا وتجمع علي اهلة لانه يتعدد اعتبارًا وفي الربعين الباقيين من الشهر القطعة
المضية المرئية اعظم المتجاورتين الموصوفتين لان زاويتها اعظم المذكورتين اعني انها منفرجة وانما لم يجابوا
بذلك لان الكلف لا يهمه معرفة هذه التصورات في باب العمل وانما الذي يعود عليه من فوايده وحكمه في باب

وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدة حملهن ومعالم الحج يعرف بها وقته والميقات من الوقت كالميزان من الوزن ولعري التكليف معرفة المواقيت وهي المعالم التي يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال دينهم وصومهم وفطرهم
انه لو منع مانع من ان ضبط هذه الامور لا يتسهل ولا ينبغي الا بوقوع الاختلاف في تشكلات القمر حيث سمي عوده من
كل تشكل الي مثله ولاسيما من الهلالية الي مثلها شهرا وبذلك قدر السنوت وضبطت الاوقات والفصول فلم يمكنه عود
فلابد له على تقدير وجوده ولم يكن فيه الا اظهار سمة الحدوث والامكان والزوال والنقصان في الفلكيات
حتى لا يظن بها وجوب الوجود والاشتراك في القدم مع مفيض الخير والجود او امتناع الخرق والالتيام كما ذهب الكل
من ذلك طائفة من اللئام لكفى به تنبيها وعناية وارشادا وهداية الى افتقار الفلكيات الى فاعل مختار ومدبر قهار
وجاعل الظلم والانوار ومصير الاهلة والاقمار وفي افراد الحج بالذكر مع ان الاهلة مواقيت عبادات اخر كالصوم والزكوة
اشارة الى ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها الله تعالى وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر الى شهر اخر كما كانت
العرب تفعل ذلك في النسيء ويمكن ان يقال توقف الصوم على الهلال قد علم من قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران
والزكوة تتعلق بالحول فالاصل في تقدير السنين لعودة الشمس من نقطة كاول الحمل مثلا الى مثلها بحركتها الخاصة والايمان
والجهاد لا يتعلقان بوقت معين والصلوة يتعلق باليوم بلياليه فلم يبق من الاركان المتعلقة بالشهر سوى الحج فتعين
ذكره في هذه الاية والله اعلم في قوله عز وجل وليس البر بان تاتوا البيوت عن البرا قال نزلت هذه الاية فينا كانت
الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك في
رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله عز وجل الاية والحاصل ان ناسا من الانصار كانوا
اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه
يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من
دخول الباب تشديدا للامر الاحرام ولكن البر من اتقى او لكن ذا البر من اتقى مخالفة الله وقيل ان الحمس وهم
قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة
كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيوتهم البتة ولم يجلسوا تحت سقف البيت ولم يستظلوا الوبر ولم ياكلوا السمن والاقط وعن
الحسن والاصم كان الرجل في الجاهلية اذا هم بشيء فتعسر عليه مطلوبه لم يدخل بيته من بابه بل ياتيه من خلفه
ويبقى على هذه الحالة حولا كاملا فنهاهم الله تعالى عن ذلك لانهم كانوا يفعلونه تطيرا او ما وجه اتصال هذا الكلام
بما قبله بناء على الاسباب المروية في نزوله وعليه اكثر المفسرين فهو انهم لما سالوا عن الحكمة في اختلاف اهل الاهلة
قيل لهم اتركوا السؤال عن هذا الامر الذي لا يعنيكم وارجعوا الى ما البحث عنه اهم ولا تعتقدوا ان جميع ما يستح
لكم هو على شاكلة الصواب وانظروا في واحدة تفعلونها انتم وتحسبونها برا وليس من البر في شيء وانه تعالى لما ذكر الحكمة
في الاهلة وهي جعلها مواقيت للناس والحج وكان هذا الامر من الاشياء التي اعتبروها في الحج حرمها عليكم الله تعالى
فيه استطرادا او اتفق وقوع القضيتين في وقت واحد فنزلت الاية فيهما معا في وقت واحد وقيل انه تمثيل لتعكيسهم الواجب
في سؤالهم فان الامر المستقيم هو الاستدلال بالمعلوم على المظنون فاما ان يستدل بالمظنون على المعلوم فذلك عكس الواجب
ولما ثبت بالدلائل ان للعالم صانعا مختارا حكيما وثبت ان الحكيم لا يفعل الا الصواب البري من العبث والسفه فاذا راينا
اختلاف حال القمر وجب ان يعلم ان فيه حكمة ومصلحة وهذا استدلال بالمعلوم على المجهول فاما ان يستدل بعدم
علمنا بما فيه من الحكمة على ان فاعله غير حكيم فهو استدلال بالمجهول على المعلوم فكانه تعالى يقول لما لم تعلموا حكمته في
اختلاف نور القمر صرتم شاكين في حكمة الخالق او فارقتم الشك فقد اتيتم الامر من ورائه وهذا ليس من البر ولا من كمال العقل
انما البر ان ياتوا البيوت من وجوهها التي يجب ان يوتى منها وهذا باب مشهود في الكناية قال الاعشى شعر
وكاس شربت على غيبة واخرى تداويت منها بها لكي يعلم الناس اني امرء اتيت المعيشة من بابها وعن
ابي مسلم ان هذا اشارة الى ما كانوا يفعلونه من النسيء فكان يقع الحج في غير وقته فذكر اتيان البيوت
من ظهورها مثلا لمخالفتهم الواجب في الحج وشهوره ثم انه تعالى امرهم بالتقوى التي تتضمن الاتيان بجميع الواجبات
والاجتناب عن الفواحش والمنكرات ارادة ان يظفروا بالمطالب الدينية والدنيوية والله ولي التوفيق

التاويل بالباطل اي تهوي النفس بالحرص والاسراف وتدلوا بها الى الحكام بعني النفوس الامارة بالسوء من اموال الناس
من الاموال التي خلقت للاستعانة بها على العبودية الاهلة للزاهدين مواقيت اورادهم وللصديقين مواقيت مراقباتهم
والحج اشارة الى ما يرد بحكم الوقت عليهم فمن كان وقته الفجر كان قيامه بالشريعة ومن كان وقته المحو فالغالب عليه احكام
الحقيقة فان تجلى لهم بوصف الجلال طاشوا وان تجلى لهم بوصف الجمال عاشوا فلبس المحبين وقت الاوقات
محبوبهم كما لبس لهم وصف الاوصاف محبوبهم والله تعالى اعلم عقائق الامور

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ
مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ
قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّٰهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى
عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

القراءة ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلي وخلف من باب الفاعلة وقيل انه من جملة ما كتب في المصحف
بغير الف كالرحمن الوقوف ولا تعتدوا ط المعتدين ه من القتل ج العارض بين الجملتين المتفقتين فيه للابتداء بالشرط مع الابتداء
فاقتلوهم الكافرين ه رحيم ه الدين لله ط لتبدل الحكم الظالمين ه قصاص ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب ونوعه
ما اعتدى عليكم لعطف الجملتين المتفقتين المتقين التهلكة ج لاختلاف المعنى اي لا تقتحموا في الحرب فوق ما يطاق و
احسنوا ج لاحتمال تقدير الفاء واللام المحسنين ه التفسير لما امر في الاية المتقدمة بالتقوى امر في هذه الاية باشق اقسامه
على النفس وهو المقاتلة في سبيل الله عن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عمن يقاتل في سبيل الله فقال
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ولا يقاتل رياء ولا سمعة الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين
الذين هم بصدد القتال بالفعل دون التاركين قيل وعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة
ومنع بان الامر بقتال من يقاتل لا يدل على المنع من لا يقاتل وكذا ما روي عن الربيع بن انس هي اول اية نزلت
في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عن كف او الذين يناصبونكم
القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء اي المستعدين للقتال سوى
من جنح للسلم او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم مستحلين لها في حكم المقاتلة
قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل في سبب نزول الاية انه صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه لارادة الحج فلما نزل الحديبية
وهو موضع كثير الشجر والماء صدهم المشركون عن دخول البيت فاقام شهرا لا يقدر على ذلك فصالحوه على ان
يرجع ذلك العام ويعود اليهم في العام القابل ويتركوا مكة ثلثة ايام حتى يطوف وينحر الهدي ويفعل ما يشاء

فرضي صلى الله عليه وسلم بذلك وصالحهم عليه وعاد الى المدينة وتجهز في السنة القابلة ثم خاف اصحابه من قريش ان لا يفوا بالوعد وان يصدوهم عن المسجد الحرام ان يقاتلوهم وكانوا كارهين لقتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فانزل الله تعالى هذه الايات وبين له كيفية المقاتلة ان احتاجوا اليها فقال وقاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا بابتداء القتال وانما كان ذلك في اول الامر لقلة المسلمين ولكون الصلاح في استعمال الرفق والدين فلما قوي الاسلام وكثر الجمع واقام من اقام منهم على الشرك بعد ظهور المعجزات وتكررها عليهم حصل الياس من اسلامهم فامروا بالقتال على الاطلاق او لا تعتدوا بقتال من نهيتم عن قتاله من عهد دعوة الى الاسلام وهذه المعاني الثلثة بازاء التفاسير الثلثة في الذين يقاتلونكم ان الله لا يحب المعتدين اي المجاوزين عما شرع الله في الصحاح ثقفته اي صادفته وفي الكشاف الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال شعر

فاما تثقفوني فاقتلوني * فمن اثقف فليس الى خلود *

امر في الاية الاولى بالجهاد بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الاية زاد في التكليف فامر بالجهاد مع شرط قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى عنه المقاتلة عند المسجد الحرام وسمي حراما لانه ممنوع ان يفعل فيه ما منع من فعله واصل الحرمة المنع من حيث اخرجوكم اي من الموضع الذي اخرجوكم وهي مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح واخرجوهم من منازلهم كما اخرجوكم من منازلكم كما اخرجوكم من منازلكم وقد اجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين من المدينة بل قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب والمراد بالاخراج تكليفهم الخروج قهرا او تخويفهم وتشديد الامر عليهم حتى اضطروا الى الخروج والفتنة عن ابن عباس انها الكفر بالله لانه فساد في الارض يؤدي الى الظلم والهرج وفيه الفتنة وايضا الكفر ذنب يستحق العقاب الدائم بالاتفاق والقتل ليس كذلك والكفر يخرج به صاحبه عن الامة دون القتل يروى ان صحابيا قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام اعظم من ذلك وقيل الفتنة اصلها عرض الذهب على النار للخلاص من الغش ثم صار اسما لكل محنة والمعنى ان اقدام الكفار على تخويف المؤمنين وتشديد الامر عليهم حتى صاروا ملجئين الى ترك الاهل والاوطان هربا من اضلالهم في الدين وابقاء على مهجهم وحصرهم اشد من القتل الذي اوجبته عليكم جزاء عن تلك الفتنة لان فيه التخلص من غموم الدنيا وافاتها شعر

لقتل بحد السيف اهون موقعا * على النفس من قتل بحد فراق *

وقيل الفتنة العذاب الدائم الذي يلزمهم بسبب كفرهم فكانه قيل اقتلوهم حيث ثقفتموهم واعلموا انه وراء ذلك من عذاب الله ما هو اشد منه قال عز من قائل يوم هم على النار يفتنون وقيل فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام لانه سعي في المنع الطاعة التي ما خلق الجن والانس الا لها اشد من قتلكم اياهم في الحرم وقيل ارتداد المؤمن اشد من ان يقتل محقا فالمعنى واخرجوهم من حيث اخرجوكم ولو اتى ذلك على انفسكم فانكم ان قتلتم وانتم على الحق كان ذلك اولى بكم من ان ترتدوا على ادباركم او تتكاسلوا على طاعة معبودكم يروى ان الاعمش قال لحمزة ارايت قراءتك اذا صار الرجل مقتولا فبعد ذلك كيف يصير قاتلا لغيره فقال حمزة ان العرب اذا قتل منهم رجل قالوا قتلنا واذا ضرب منهم واحد قالوا ضربنا واذا انه وقع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم فان انتهوا قيل اي عن القتال لان المقصود من الاذن في القتال منع المقاتلة عن ابن عباس وقيل اي عن الشرك بدليل قوله فان الله غفور رحيم الدال على انه يغفر لهم ويرحم والكافر لا ينال غفران الله ورحمته بترك القتال بل بترك الكفر عن الحسن قلت اريد بالقتال استحلالهم قتل المسلمين بلازم القولان والانتهاء عن الكفر ظاهره التلفظ بكلمة الاسلام وانه يؤثر في حقن الدم وعصمة المال وباطنه التثبت باركان الاسلام جميعا ويؤثر في استحقاق الرحمة والغفران وقد يستدل بقوله والفتنة اشد من القتل على ان التوبة عن القتل العمد بل من كل ذنب مقبولة لان الشرك اعظم الذنوب فاذا قبل الله توبته فتوبة القاتل اولى وايضا الكافر القاتل مقبول التوبة بالاتفاق اذا اسلم فالقاتل غير الكافر اولى ويمكن ان يجاب بان حق الله تعالى مبني على المساهلة وحق الخلق وايضا الايمان يجب ما قبله فلا يلزم من عدم مؤاخذة الكافر بقتله اذا اسلم ان لا يؤاخذ المسلم بقتله ولهذا يجب قضاء الصلاة الفائتة على المسلم اذا تاب عن ترك الصلاة ولا يجب على الكافر اذا اسلم قوله تعالى وقاتلوهم قيل انه ناسخ لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام وهو وهم لان البداية بالمقاتلة عند المسجد الحرام تثبت حرمته غاية ما في الباب ان هذه الاية عامة وما قبلها مخصصة اياها وهذا اجابة فان القران ليس على

ترتيب

شعر الفراق

ترتيب النزول ولو كان على الترتيب ايضا فلا يقتضي بالجواز نزول الخاص قبل العام عندنا وذلك ان الخاص قاطع في دلالته تقدم او تاخر والعام دلالته على ما يدل عليه الخاص غير مقطوع بها فلا بد من التخصيص جمعا بينهما حتى لا تكون فتنة اي شرك وكفر وعلى هذه الاية محمولة على الاغلب فان قتالهم لا يزيل الكفر بل اسا فانما القاتل الازالة لان من قتل منهم فقد زال كفره ومن لم يقتل كان خائفا من الثبات على كفره والحاصل قاتلوهم حتى تكون كلمة الله هي العليا وهو المراد ايضا من قوله ويكون الدين لله اي لا للشيطان فيه نصيب لوضوح شانه وسطوع برهانه كما قال ليظهره على الدين كله ولا يعبؤا بالمخالف لقلة شوكته وسقوطه عن درجة الاعتداد به او محمولة على قطع ازالة الكفر فترتب هذا العزم على القتال فترتب هذا العزم على القتال كي لا يتخلف عنه وقيل فتنتهم انهم كانوا يضربون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذونهم حتى ذهب بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة اي قاتلوهم حتى تظهروا عليهم ولا يفتنوكم عن دينكم وعن ابي مسلم معناه قاتلوهم حتى لا يكون منهم القتال الذي اذا بدؤا به كان فتنة على المؤمنين لما يخافون عنده من انواع المضار ولا يخفى ان قوله ويكون الدين لله يرجح القول الاول ليكون المعنى وقاتلوهم حتى يزول الكفر ويظهر الاسلام فان انتهوا عن الامر الذي وجب القتال لاجله وهو اما الكفر وهو القتال فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين فيكون مجموع قوله الا على الظالمين قائما مقام المنتهين لان مقابلة المنتهين عدوان وظلم فنهوا عنه بدليل اختصاره في غير المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين وعلى الوجهين سمي جزاء الظلم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدوا عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة سنة ست من الهجرة وصدوهم عن البيت فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضا وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة سنة سبع الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه فلم يمنعكم حرمته عن الكفر والافعال القبيحة فكيف يمنعنا عن القتال معكم دفعا لشركم واصلاحا لفسادكم والحرمات ما لا يحل انتهاكه والقصاص المساواة اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة والحرمات الشهر الحرام والبيت الحرام والاحرام فلما اضاعوا هذه الحرمات في سنة ست فقد وفقتكم حتى قضيتموها على رغمهم في سنة سبع وان اقدموا على مقاتلتكم فقد اذنت لكم في قتالهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا ولا تبالوا ثم اكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله حين تنتصرون فيمن اعتدى عليكم حتى لا تعدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والتاييد والتقوية والتسديد فان الاستصحاب بالعلم اولى لكانه ان جاز شامل المتقين وغيرهم قوله عز وجل وانفقوا وجه اتصاله بما قبله انه تعالى لما امر بالقتال وانه مفتقر الى العدة والعدد وقد يكون ذو المال عاجزا عن القتال وقد يكون القوي على القتال عديم المال فلهذا امر الله الاغنياء بالانفاق في سبيله اعزازا للرجال وتجهيزا للابطال ويروى انه لما نزل الشهر الحرام بالشهر الحرام قال رجل من الحاضرين والله يا رسول الله ما لنا زاد وليس احد يطعمنا فامر صلى الله عليه وسلم ان ينفقوا في سبيل الله وان يتصدقوا وان لا يكفوا ايديهم عن الصدقة ولو بشق تمرة ولو بمشقص يحمل في سبيل الله فيهلكوا فنزلت هذه الاية على وفق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفاق صرف المال في وجوه المصالح ولا يقال للمضيع انه منفق وانما يقال مبذر وسبيل الله دينه فيشمل الانفاق فيه الانفاق فيه الا في الحج والعمرة والجهاد والانفاق في صلة الرحم في الصدقات او على العيال او في الزكوات والكفارات او في عمارة بقاع الارض وغير ذلك والاقرب في هذه الاية وقد تقدم ذكر القتال ان يراد به الانفاق في الجهاد ولكنه عبر عنه بقوله في سبيل الله ليكون كالبينة على السبب في وجوب هذا الانفاق فالمال مال الله فيجب انفاقه في سبيل الله ولان المؤمن اذا سمع ذكر الله اهتزت نفسه ونشط وخف عليه ما دعي اليه والباء في بايديكم من يده مثلها في اعطى بيده المقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها اخذة بايديكم مالكة لكم وقيل الايدي الانفس كقوله بما كسبت ايديكم بما قدمت يداك اي لا تلقوا انفسكم الى التهلكة وقيل بل ههنا حذف اي لا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال فلان اهلك نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها عن ابي عبيدة والزجاج ان التهلكة والهلاك والهلك واحد ولم يوجد مصدر على تفعلة بضم العين سوى هذا الا ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة لشجر والتتفلة لولد الثعلب ويحتمل ان يقال اصلها التهلكة بالكسر كالتجربة والتبصرة على انها مصدر من هلك

متشدد العين فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار ولبس الغرض من هذا التكليف على ما ظن تصحيح لفظ القرآن كيلا يتحرم فصاحته فانه اجل من ان يحتاج في تصحيحه الى الاستشهاد بكلام الفصحاء من البشر وكيف لا وهو حجة على غيره ولبس لغيره ان يكون حجة عليه وانما الغرض الضبط والتسهيل ما امكن فتنبه وللمفسرين في هذا الانفاق خلاف فمنهم من قال انه راجع الى الخلاف وروى البخاري في صحيحه عن حذيفة قال نزلت هذه الآية في النفقة وذلك انهم لا ينفقوا في مهمات الجهاد اموالهم فيستولي العدو عليهم ويهلكهم او ينفقوا كل ما لهم فيبقوا جياعا ويحتاجوا فيكون نهيا عن التقتير او الاسراف او عنهما جميعا والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والمعنى انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا ان انفقنا نهلك ذلا وفقرا نهوا ان يحكموا على انفسهم بالهلاك للانفاق او انفقوا ولا تلقوا ذلك الانفاق في التهلكة بالاحباط منا واذى او رياء وسمعة ولا تبطلوا اعمالكم ومنهم من قال انه راجع الى غير الانفاق اي لا تخلوا بالجهاد فتتعرضوا للهلاك الذي هو سخط الله وعذاب النار او لا تقتحموا في الحرب حيث لا ترجون النفع ولا يكون لكم فيه الا قتل انفسكم فان ذلك لا يحل كما روي عن البراء بن عازب انه قال في هذه الآية هو الرجل يستقتل بين الصفين وانما يجب ان يقتحم اذا طمع في النكاية وان خاف القتل روى البنا في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الجنة فقال له رجل من الانصار ارايت يا رسول الله ان قتلت صابرا محتسبا قال لك الجنة فانغمس في العدو فقتلوه بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وروي ان رجلا من الانصار تخلف من اصحاب بير معونة فرأى الطير عكوفا على من قتل من اصحابه فقال لبعض من معه سأتقدم الى العدو فيقتلونني ولا اتخلف عن مشهد قتل فيه اصحابي ففعل ذلك فذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولا حسنا وروى اسلم ابو عمران قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقي بيده الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصاري فقال ايها الناس انكم تاولون هذه الآية هذا التاويل وانما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون النبي صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تبارك وتعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا فكانت التهلكة الاقامة في الاموال واصلاحها وترك الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بارض الروم وقيل ان الآية من تمام ما قبلها اي ان قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم فان الحرمات قصاص ولا يحملنكم حرمة الشهر على ان تستسلموا لمن قاتلكم فتهلكوا بترككم القتال وعن النعمان بن بشير كان الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر لي فانزل الله تعالى هذه الآية وذلك انه يرى انه لا ينفعه معه عمل فيترك العبودية ويصر على الذنب فنهي عن القنوط من رحمة الله تعالى واحسنوا في الانفاق بان تكونوا مقرونا بطلاقة الوجه او على فضيلة العدالة بين التقتير والاسراف او في فرائض الله من الحسن ان الله يحب المحسنين اذ الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا مقام القرب والقرب مقتضي الارادة الذاتية وهذا امر والله ولي كل حسن **التاويل** وقاتلوا من يمنعكم عن السير في سبيل الله او تقطع عليكم طريقه من شياطين الجن والانس حتى نفوسكم التي هي اعدى عدوكم ولا تعتدوا التجاوز عن حد الشرع فتجاهدوا بالطبع ولكن كونوا ثابتين على قدم الاستقامة بقدم الاستطاعة من غير افراط وتفريط واقتلوا كفار النفس بسيف الرياضة حيث ظفرتم بهم ومجاهدتها مخالفة هواها واخرجوهم من صفات النفس كما اخرجوكم من جمعية القلب وحضوره والفتنة اي المحنة التي ترد على القلب من طوارق صفات النفس الحاجبة عن الله اشد من قتل النفس بمخالفة هواها ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام لا تلتفتوا الى النفس وصفاتها اذا كنتم آمنين مطمئنين في مقامات القلب والروح حتى تزاحموكم في الحضور وداعية الهوى فان نازعوكم في الجمعية والحضور فاقتلوهم بسيف الصدق واقطعوا مادة تلك الدواعي عن نفوسكم بكل ما امكن لئلا تبقى لكم علاقة تضلكم عن الله فان انتهوا بان قنعت بما لا بد لها فلا تغلوا في مجاهدتها الشهر الحرام اي ما يفوتكم من الاوقات والاوراد بسبب التفات النفس ونزاعها وغلبات صفاتها فتداركوه بالشهر والشهر باليوم فمن اعتدى فكل صفة غلبت واستولت فعالجوها بضدها البخل بالسخاء والغضب بالحلم والحرص بالزهد والشهوة بالعفة واتقوا الله في طرفي الافراط والتفريط ولا تلقوا بايديكم

الى التهلكة بالتفريط في الحقوق والافراط في الحظوظ وبموافقة النفوس ومخالفة النصوص او بالركون الى الغنى بالحسبان والغرور

ولله المستعان

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

القراءة من راسه وكذلك البأس والكأس كلها بغير همز ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف **الوقوف** لله لان عارض الاحصار خارج عن موجب الاصل من الهدي لعطف الجملتين محله ج لابتداء حكم كفارة الضرورة او نسك ج لان اذا للشرط مع الفاء وجوابه محذوف اي فاذا امنتم من خوف العدو وضعف المرض فامضوا امنتم لحق الحذف ولان الشرط في حكم اخر وهو التمتع من الهدي ج رجعتم ط كاملة ط الحرام ط العقاب ه **التفسير** الحج في اللغة القصد كما مر في قوله فمن حج البيت او اعتمر وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة وهي على ثلاثة اقسام اركان وابعاض وهيئات لان كل عمل يعرض فيه فاما ان يتوقف التحلل عليه وهو الركن او لا يتوقف فاما ان يجبر بالدم وهي البعض او لا يجبر وهي الهيئة والاركان عند الشافعي خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وحلق الراس او تقصيره وخالف ابو حنيفة في السعي ولا مدخل للجبران في الاركان واما الابعاض اعني الواجبات المجبورة بالدم فالاحرام من الميقات والرمي ودنافا وفي الوقوف بعرفة الى ان تغرب الشمس وفي المبيت بمزدلفة وفي المبيت بمنى وفي طواف الوداع خلاف واما الهيئات فالاغسال وطواف القدوم والرمل والاضطباع في الطواف وفي السعي واستلام الركن وتقبيله والسعي في موضع المشي والخطب والاذكار والادعية الى غير ذلك وبالجملة ما سوى الاركان والابعاض ولا دم في تركها واما في العمرة فما سوى الوقوف من اركان الحج اركان فيها ثم ان قوله عز وجل واتموا امر بالاتمام وهل هذا الامر مطلق او مشروط قال الشافعي على انه مطلق فالمعنى افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام والكمال وابو حنيفة على انه مشروط والمعنى من شرع فيه فليتمه وفائدة الخلاف تظهر في العمرة فانها تصير واجبة على المعنى الاول دون الثاني حجة الشافعي ان الاتمام قد يراد به فعل الشيء تاما كاملا كقوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن اي اداهن على التمام والكمال وقوله عز وجل ثم اتموا الصيام الى الليل اي افعلوا الصيام تاما الى الليل وهذا اولى من تقديركم اذا شرعتم فيه فاتموه لان الاصل عدم الاضمار وعدم الشرط ولان المفسرين اجمعوا على ان اول آية نزلت في الحج حملها على الايجاب ليكون تاسيسا اولى من حملها على الاتمام بشرط الشروع فانها تكون حينئذ تبعا ولانه قرن واتموا الحج والعمرة والشاذ يصلح للترجيح وان لم يصلح للقطع كخبر الواحد ولان الوجوب المطلق مطلق الاتمام والاتمام بشرط الشروع لا يستلزم اصل الوجوب وتارة وبلينا اكثر فائدة فيكون اولى وايضا انه احوط واعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحج ولو لم تكن العمرة واجبة لكان الاشبه ان يبادر الى الحج الذي هو واجب وقال تعالى يوم الحج الاكبر وفيه دليل على وجوب حج اصغر وما ذاك الا العمرة بالاتفاق لكن الحج واجب على الاطلاق لقوله ولله على الناس حج البيت فيدخل فيه الاكبر والاصغر حجة ابي حنيفة قصة الاعرابي الذي سال النبي صلى الله عليه وسلم عن اركان الاسلام فعلمه الصلاة والزكوة والصوم والحج فقال الاعرابي لا ازيد على هذا ولا انقص فقال النبي صلى الله عليه وسلم افلح الاعرابي ان صدق وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس ولم يذكر العمرة واجيب بان العمرة الحج الاصغر فيدخل في مطلق الحج قالوا روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة اواجبة هي ام لا فقال لا وان تعتمر خير لك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الحج جهاد والعمرة تطوع واجيب

اركان الحج

بانها اخبار احاد فلا تعارض القران وايضا لعل العمرة كانت واجبة حين ماذكر النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاحاد
ثم نزل بعضها واتموا الحج وذلك في السنة السابعة من الهجرة وايضا بانها معارضة باخبار تدل على وجوبها روى النعمان بن سالم
عن عمرو بن اوس عن ابي رزين انه سال النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابي شيخ كبير ادرك الاسلام ولا يستطيع الحج
والعمرة ولا الظعن قال صلى الله عليه وسلم حج عن ابيك واعتمر امرهما والامر للوجوب وروى عن ابن عباس انه قال ان
العمرة لقرينة الحج وحمله على انهما يقترنان في الذكر تكلف وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة
مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وحمله على ان الوجوب مستفاد من الاهلال بهما تكلف وان تعسف
قالوا قرا علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله فكانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج في الوجوب واجيب بان الشاذة
لا تعارض المتواترة وبانها ضعيفة من حيث العربية لعطف الاسمية على الفعلية والخبرية على الطلبية وبان كون العمرة
عبادة الله لا ينافي وجوبها واعلم ان الاداء النسكين وجوها ثلثة الافراد والتمتع والقران الافراد ان يحج ثم بعد الفراغ
منه تعتمر من ادنى الحل او تعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة والقران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج
بان ينويهما بقلبه معا وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم قبل الطواف ادخل الحج عليها يصير قارنا والتمتع هو ان يحرم
بالعمرة من ميقات بلده في اشهر الحج ويات باعمالها ثم يحج في هذه السنة من مكة سمي تمتعا لاستمتاعه بمحظورات الاحرام
بينهما بعد التحلل من العمرة وقبل الاحرام بالحج وانه ايضا يربح ميقاتا لانه لو احرم بالحج من ميقات بلده لكان يحتاج بعدفراغه
من الحج الى ان يخرج الى ادنى الحل فيحرم بالعمرة منه واذا تمتع استغنى عن الخروج لانه يحرم بالحج من جوف مكة ولا خلاف
بين ايمة الامة في جواز هذه الوجوه وانما الخلاف في الافضلية فقال الشافعي افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران وقال في
اختلاف الحديث التمتع افضل من الافراد وبه قال مالك والامامية بل قالوا لا يجوز لغير حاضري المسجد الحرام العدول عن
التمتع الا لضرورة وقال ابو حنيفة القران افضل ثم الافراد ثم التمتع وهو قول المزني وابي اسحق المروزي وقال ابو يوسف
ومحمد القران افضل ثم التمتع ثم الافراد حجة الشافعي في الفضيلة الافراد قوله واتموا الحج والعمرة وذلك ان العطف يقتضي
المغايرة وانها يحصل عند الافراد فاما عند القران فالموجود شئ واحد وهو حج وعمرة معا وايضا الاعمال عند الافراد اكثر
فيكون الثواب اكثر وذلك هو الفضل وما روي عن انس انه قال كنت واقفا عند جران ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان لعابها يسيل على كتفي فسمعته يقول لبيك بحجة وعمرة معا معارض بما روي مسلم في صحيحه عن عايشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم وازواجه افرد الحج وهكذا جابر وابن عمر وقد رجح الشافعي رواية عايشة وجابر وابن عمر على رواية
انس بانهم اعلم واقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واقدم صحبته وان انسا كان صغيرا في ذلك الوقت فلعله
حجة القايلين بافضلية القران ان القران مسارعة الى النسكين وفي الافراد ترك المسارعة الى احدهما فيكون افضل
لقوله وسارعوا واجيب بانا لا نقول الحجة المفردة بلا عمرة افضل من الحجة المقرونة لكنا نقول من اتى بالحج في وقته والعمرة
في وقتها فمجموع هذين الامرين افضل من الحجة المقرونة واختلف في تفسير الاتمام في قوله تعالى واتموا فعن علي
عليه السلام وابن عباس وابن مسعود ان اتمامها ان يحرم من دويرة اهلك وقال ابو مسلم المعنى من نوى الحج والعمرة
لله وجب عليه الاتمام قال ويدل على صحة هذا التاويل ان الاية نزلت بعد ان منع الكفار النبي صلى الله عليه وسلم
في السنة الماضية في الحج والعمرة كغرضها في وجوب الاتمام وقال الاصم المراد اتمام الاداب المعتبرة فيهما وهي عشرة
على ماذكرنا في الاحياء الاولى في المال فينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضا الديون واعداد النفقة لكل من
يلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودايع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه ذهابا وايابة
من غير تقتير بل على وجه يمكنه مع التوسع في الزاد والرفق بالفقراء ويتصدق بشئ قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة
قوية على الحمل او يكتريها الثانية الاخوان والرفقاء المقيمون يودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جعل
في دعايهم خيرا والسنة في الدعاء ان تقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك الثالثة اذا هم بالخروج يصلي
ركعتين يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وبعد الفراغ يتضرع الى الله بالاخلاص
الرابعة اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله وكلما كانت الدعوات اكثر كان اولى
الخامسة اذا ركب قال بسم الله وبالله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان ومالم يشا لم يكن

نية الاحرام

اداب الحج

سبحان

سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون السادسة في النزول والسنة اذا اكثر سيره بالليل
ولا ينزل حتى يحمى النهار واذا نزل صلى ركعتين ودعا الله كثيرا السابعة ان تحصل عدوا وسبع بالليل او بالنهار فليقرا
اية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين ثم يقول تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت الثامنة
مهما علي نشز من الارض في الطريق يستحب له ان يكبر ثلثا التاسعة ان لا يكون هذا السفر مشوبا بشئ من الاغراض العاجلة
كالتجارة وغيرها العاشرة ان يصون لسانه عن الرفث والفسوق والجدال ثم بعد الاتيان بهذه المقدمات يأتي بجميع اركان
الحج على الوجه الاصح الاقرب الى موافقة الكتاب والسنة ويكون غرضه في كل هذه الامور ابتغاء مرضات الله تعالى ليكون
مؤتمرا لقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله اقتداء بابراهيم صلوات الرحمن عليه حين ابتلي بكلمات فاتمهن وقيل
المراد من قوله واتموا افردوا كل واحد منهما بسفره وبه يتاكد تاويل من قال الافراد افضل واقرب هذه الاقوال ما يرجع
حاصله الى معنى ايتوا بالحج والعمرة تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما وادابهما لوجه الله بدليل قوله فان احصرتم قال
احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس ومنه الحصير للملك لانه كالمحبوس في الحجاب والحصير معروف سمي به لانضمام
بعض اجزايه الى بعض فكان كل منها محبوس مع غيره والحصر المحبس ايضا والاكثرون على ان لفظ الحصر مخصوص
بمنع العدو يقال حصر العدو اذا منعه عن مراده وضيق عليه عن ابي عبيدة وابن السكيت والزجاج وغيرهم ان لفظ
الاحصار مختص بالمرض ونحوه من خوف وعجز قال تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقيل الاحصار مختص بمنع العدو
منه ما يروى عن ابن عمر وابن عباس لا حصر الا حصر العدو وفايدة الخلاف في الاية تظهر في مسلة فقهية وهي انهم اتفقوا
على ان حكم الاحصار عند حبس العدو ثابت وهل يثبت بسبب المرض وساير الموانع قال ابو حنيفة يثبت وقال الشافعي واحمد
لا يثبت بل يصبر حتى يبرا نعم لو شرط انه اذا مرض تحلل صح الشرط لما روي انه صلى الله عليه وسلم مر بضباعة بنت الزبير
فقال اما تريدين الحج فقالت اني شاكية فقال حجي واشترطي ان تحلي حيث حبست وفي حكم المرض كل عذر صحيح كضلال
الطريق ونفاد الزاد حجة ابي حنيفة ظاهر كلام اهل اللغة وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل
وعليه الحج من قابل وحجة الشافعي قول ابن عمر وابن عباس وطايفة من اهل اللغة وايضا الهمزة في احصر ليس للتعدية
لمساواته حصر في اقتضاء المفعول فيكون للوجود او للصيرورة اذا قبول المعنى الى انكم ان وجدتم او صرتم محصورين
فلا يبقى النزاع وايضا المانع انما يتحقق عنده وجود المقتضي والمريض لا قدرة له على الفعل فلا مانع بالنسبة اليه بيّن
ان لفظ الاحصار حقيقة في العدو دون المرض وايضا لفظ المانع على المرض غير معقول لانه عرض لا يبقى زمانين
وايضا لو كان المريض داخلا في المحصر لكان في قوله فمن كان منكم مريضا نوع تكرار ولزم عطف الشئ على
نفسه واعتذر عن هذا بان المريض انما خص بالذكر لان له حكما خاصا وهو حلق الراس فصار تقدير الاية ان
منعتم لمرض تحللتم بدم وان تاذى راسكم لمرض حلقتم وكفرتم وايضا فاذا امنتم يناسب الخوف من العدو اذ
يقال في المرض شفي وعوفي لا امن وقيل ان خصوص اخر الاية لا يقدح في عموم اولها قلنا لا يلزم من عدم
القدح وجود المناسبة وقيل انه منع المرض خاصة وهو باطل بالدلايل المذكورة وبزيادة وهي ان المفسرين
اجمعوا على ان سبب نزول الاية ان الكفار احصروا النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية والامة وان اختلفوا ان الاية
هل تتناول غير سبب النزول ام لا الا انهم اتفقوا على ان خروج ذلك السبب عنه غير جايز ثم في الاية اضماران والتقدير
فتحللتم او اردتم التحلل فعليكم ما استيسر فاهدوا ما استيسر اي ما تيسر مثل استعظم وتعظم واستكبر وتكبر
اما الاضمار الاول فلان نفس الاحصار لا يوجب هديا وانما الموجب هو التحلل او نيته واما الاضمار الثاني فلان قوله ما
استيسر اما مرفوع على الابتداء وخبره محذوف او منصوب على المفعولية وناصبه محذوف والهدي جمع هدية
كما يقال في حدبة السرج وهي شئ يحشو تحته وفي السرج حدي وقرئ من الهدي جمع هدية كمطية ومطي وهذا
لغة تميم ومعنى الهدي ما يهدى اليه بمنزلة الهدية عن علي وابن عباس والحسن وقتادة اعلاها بدنة واوسطها
بقرة وادونها شاة فعليه ما تيسر له من هذه الاجناس والمحصر المحرم اذا اراد التحلل ذبح وجب ان ينوي التحلل ولا
يحل له الا بنية قبل الذبح واكثر الفقها على ان حكم العمرة في الاحصار حكم الحج وعن ابن سيرين انه لا احصار فيها لانها
غير موقتة ورد بان قوله تعالى فان احصرتم مذكور عقيب الحج والعمرة فكان عايدا اليهما وبانه صلى الله عليه وسلم

تحللوا بالاحصار عام الحديبية وكان معتمرا ما ماحد الاحصار قالت العلما لو منعوا ولم يتمكنوا من المسير الا ان يبذلوا مال
ولهم ان يتحللوا ولا يبذلوا المال وان قل اذ لا يجب احتمال الظلم في اداء الحج بل يكره البذل ان كان الطالبون كفارا والاكثرون
على انه لا يجب القتال على الحجيج وان كان العدو كفارا وكان في مقابلة كل مسلم اقل من مشركين ولو قاتلوا تلوا فلهم لبس
الدروع والمغافر لكنهم يفدون كما لو لبسوا المخيط لدفع حر او برد لا فرق على الاصح في جواز التحلل بين ان يمنعوا
من المضي دون الرجوع او يمنعوا من جميع الجوانب لانهم يستفيدون بالتحلل الامن من العدو الواجه ولو صد عن طريق
وهناك طريق اخر وجدوا شرائط الاستطاعة فيه لزمهم سلوكه ولم يكن لهم التحلل في الحال واذا سلكوه ففاتهم
الحج لحزونته او لطوله تحللوا بعمل عمرة ولا يلزمهم القضا على الاظهر من قولي الشافعي لانهم بذلوا مجهودهم فصاروا كالمصد
ودين مطلقا نعم لو استوى الطريقان من كل وجه يجب القضا لان الموجود من فوات الشرط محض وفي قوله ولا تحلقوا
رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله حذف لان الرجل لا يتحلل ببلوغ الهدي محله بل لا يحصل التحلل الا بالنحر فالتقدير
حتى يبلغ الهدي محله وينحر وانما جاز تذكير الهدي لان كل ما يفرق بين واحده وبينه بالتاء وعدمه جاز تذكيره وتانيثه
قال تعالى اعجاز نخل منقعر وفي موضع اخر اعجاز نخل خاوية والمحل اسم للزمان الذي يحصل فيه الحل ومنه محل الدين
لوقت وجوب قضائه او اسم للمكان قال الشافعي يجوز اراقة دم الاحصار لا في الحرم بل حيث حبس وقال ابو
حنيفة لا يجوز ذلك الا في الحرم يبعث به فيجعل المبعوث على يده يوم امارة حجة الشافعي انه صلى الله عليه وسلم احصر بالحديبية
ونحر هناك فاجيب بان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري انه صلى الله عليه
وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة ورد بقوله تعالى هم الذين كفروا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله فان هذه الاية صريحة في انهم نحروا الهدي في غير
الحرم وايضا قوله فان احصرتم يتناول كل من كان محصرا سوا كان في الحل او في الحرم وقوله فما استيسر يدل على وجوب
النحر فيجب ان يكون المحصر قادرا على اراقة الدم حيث احصر وايضا التحلل موقوف على النحر فلو توقف النحر على وصوله
الى الحرم لم يحصل التحلل في الحال وهذا يناقض ما هو المقصود من تشريع الحكم وهو تخليص النفس من العدو في الحال
وايضا لو كان الموصل الى الحرم هو المحصر فكيف يؤمر بهذا الفعل مع قيام الخوف وان كان غيره فقد لا يجد ذلك الغير
فما ذا يفعل حجة ابي حنيفة ان المحل عبارة عن مكان الحل وقوله حتى يبلغ الهدي محله يدل على انه غير بالغ في الحال
الى ذلك المكان وايضا هب ان لفظ المحل يشمل الزمان والمكان الا ان قوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق وقوله
هديا بالغ الكعبة يزيل احتمال الزمان والبيت نفسه لا يراق فيه الدما فتعين ان يكون هو الحرم واجيب بان كل ما وجب
على المحرم في ماله من فدية وجزاء وهدي فلا يجزي فيه الا في الحرم لمساكين اهله الا اذا عطب الهدي فيذبح في طريقه
او يخلي بينه وبين المساكين والا اذا احصر فانه ينحر هديه حيث حبس بالدلايل المذكورة فالا الهدية لا يكون هديه
الا اذا بعثها الى دار المهدي اليه فالهدي كذلك ورد بان هذا المنسك بالاسم وهو محمول على الافضل عند القدرة والمحصر
اذا كان عادما للهدي فهل له بدل ينتقل اليه للشافعي فيه قولان احدهما لا بدل له ويكون الهدي في ذمته ابدا
وبه قال ابو حنيفة لانه تعالى اوجب له الهدي وما اثبت له بدلا وعلى هذا فما يفعل فيه قولان اصحهما انه يتحلل
في الحال كالصيام بدله كيلا يعظم المشقة والاخر واليه ميل ابي حنيفة انه يقيم على احرامه حتى يجده والقول
الثاني ان له بدلا وهذا اصح وبه قال احمد قياسا على ساير الدما الواجبة على المحرم وعلى هذا فما ذلك البدل الاصح
الطعام لان قيمة الهدي اقرب اليه من الصيام واذا لم يرد النص الا بالهدي فالرجوع الى الاقرب اولى ثم الصيام عن
كل يوم مدا وفي قول صوم المتمتع عشرة ايام وقيل صوم الاذى عشرة ايام وبالجملة فالاية دلت على ان المحصرين لا ينبغي
لهم ان يتحللوا ويحسبهم الا بعد تقديم ما استيسر من الهدي كما انهم امروا ان لا يناجوا الرسول الا بعد تقديم الصدقة ومعنى حتى بحلوام
يبلغ الهدي محله حتى نحر واضيف حسن او حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر
فيه اي الحرم ولكن الافضل في الحج منى وفي العمرة المروة ولا بد من نية التحلل عند الذبح لان الذبح قد يكون للتحلل وقد يكون لغيره
فلا بد من قصد صارف فان كان مصدودا عن البيت دون اطراف الحرم فهل له ان يذبح في الحل اصح الوجهين عند الشافعي
ان له ذلك فاذا احصر فتحلل نظر ان كان نسكه تطوعا فلا قضاء عليه وبه قال مالك واحمد لان المصدودين مع النبي صلى الله عليه وسلم

كانوا الفا واربعمائة والذين اعتمروا معه في عمرة القضا كانوا نفرا يسيرا ولم يامر الباقين بالقضا وقال ابو حنيفة
عليه القضا وان لم يكن نسكه تطوعا نظر ان لم يكن مستقرا عليه كحجة الاسلام فيما بعد السنة الاولى من سني
الامكان وكالنذر وكالقضا فهو باق في ذمته كما كان لو شرع في صلوة ولم يتمها تبقى في ذمته ومهما احصر بمرض ونحوه
وقد صححناه بالاية فحكم الهدي ما ترتب الاحصار بالعدو وان صححناه بان كان قد شرط التحلل بلا هدي فلا وكذا ان اطلق
على الاظهر لمكان الشرط قوله عز من قائل فمن كان منكم مريضا قيل انه مختص بالمحصر وذلك انه قبل بلوغ الهدي محله
ربما لحقه مرض او اذى من راسه ان صبر فالله تعالى اذن له في ازالة ذلك المؤذي بشرط بذل الفدية والاكثرون على انه
كلام مستانف في كل محرم لحقه مرض في بدنه فاحتاج الى علاج او اذى في راسه فاحتاج الى الحلق والنسك العبادة وقري
بالتخفيف وقيل جمع نسيكة وهي الذبيحة قال ابن الاعرابي النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة ثم قيل للمتعبد ناسك
لانه خلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث ثم قيل للذبيحة نسك لانها من اشرف
العبادات التي يتقرب بها الى الله عز وجل واتفقوا في النسك على ان اقله شاة كما في الاضاحي واما الصيام والاطعام
فليس في الاية ما يدل على كميتهما وكيفيتهما وبماذا يحصل بيانه فيه قولان احدهما وعليه اكثر الفقها ومنهم الشافعي
وابو حنيفة ان بيانه في حديث كعب بن عجرة قال حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال
ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا اما تجد شاة قلت لا قال صم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام
واحلق راسك فنزلت في خاصة وهي لكم عامة وثانيهما عن ابن عباس والحسن الصيام كصيام المتمتع عشرة ايام
والاطعام مثل ذلك في القدر قال العلما المرض قد يحوج الى اللباس او الى الطيب او الدهن وفي كل منها نوع استمتاع
فالحقوا فدية نحو هذه المحظورات بفدية الحلق لاشتراك الجميع في الترفه والحاصل انه يدخل فيه كل محظورات الاحرام
سوى الجماع ففيه بدنة ثم بقرة ثم سبع شياه ثم طعام بقيمة البدنة ثم صيام بعدد الامداد كما يجي في قوله تعالى
فلا رفث وسوى الصيد ففيه الجزاء على ما يجي تفصيله في المائدة وفي هذه الاية ايضا اضمار اي فحلق فعليه
فدية فاذا امنتم ان كان معناه الامن بعد الخوف وقيل التحلل وجواب الشرط وهو فامضوا محذوف وان كان
معناه اذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فقوله فمن تمتع الشرط مع الجزاء جواب الشرط الاول ولا وقف على
امنتم ومعنى التمتع التلذذ واصله الطول حبل ماتع اي طويل وكل من طالت صحبته مع الشي فهو متمتع به وقد
عرفت معنى التمتع بالعمرة الى الحج وهو ان يقدم مكة فيعتمر في اشهر الحج ثم يقيم حلالا بمكة حتى ينشي منها الحج
من عامه ذلك والتمتع بهذا الوجه صحيح لا كراهة فيه وما روي ان عمر خطب وقال متعتان كانتا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انهى عنهما واعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج ذكر الائمة ان تلك المتعة هي ان يجمع
بين الاحرامين ثم يفسخ الحج الى العمرة ويتمتع بها الى الحج وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لاصحابه في ذلك
ثم نسخ وعن ابي ذر انه قال ما كانت متعة الحج الا لنا خاصة يعني الركب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
وكان السبب فيه انهم كانوا لا يرون العمرة في اشهر الحج ويعدونها من افجر الفجور فلما اراد النبي صلى الله عليه وسلم
ابطال ذلك الاعتقاد عليهم بالغ فيه بان نقلهم في اشهر الحج من الحج الى العمرة وهذا لا يشاركهم فيه غيرهم فلهذا
معنى كان نسخ الحج في اشهر الحج خاصا بهم ومعنى التمتع بالعمرة الى الحج انه يتمتع بمحظورات الاحرام بسبب اتيانه
بالعمرة الى اوان الحج وقيل استمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج
ولوجوب الدم على المتمتع شروط منها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله
حاضري المسجد الحرام ويجي تمام الكلام فيه عما قريب ومنها ان يحرم بالعمرة من الميقات فان جاوزه مريدا للنسك
ثم احرم بها فان كان الباقي اقل من مسافة القصر فليس عليه دم التمتع ولكن يلزمه دم الاساءة وان كان الباقي
مسافة القصر فليس عليه دم التمتع ولكن يلزمه دم الاساءة وان كان الباقي مسافة القصر فعليه دمان ومنها
ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج ثم حج لم يلزمه الهدي لانه اشبه الافراد ولو احرم بها قبل اشهر الحج واتى بجميع افعالها
في اشهره فاصح قولي الشافعي انه لا يلزمه الدم وبه قال احمد لانه لم يجمع بين النسكين في اشهر الحج لتقدم احد اركان
العمرة ولو سبق الاحرام مع بعض الاعمال قبل اشهر الحج فعدم وجوب الدم اولى وعن مالك انه مهما حصل التحلل في اشهر

الحج وجب الدم وعند ابي حنيفة اذا اتى باكثر اعمال العمرة في الاشهر كان متمتعا ومنها ان يقع الحج والعمرة في سنة
واحدة فلو اعتمر ثم حج في السنة القابلة فلا دم عليه سواء اقام بمكة الى ان حج او رجع وعاد لان الدم انما يجب اذا
زاحم بالعمرة حجه في وقتها وترك الاحرام بحجة من الميقات مع حصوله في وقت الامكان ولم يوجد وعن سعيد
بن المسيب قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتمرون في اشهر الحج واذا لم يحجوا في عامهم ذلك لم يهدوا
ومنها ان يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة فان عاد الى ميقاته الذي انشا العمرة منه واحرم بالحج فلا دم
عليه لانه لم يربح ميقاتا وفي اشتراط نية التمتع وجهان اصحهما لا يشترط كما لا يشترط نية القران وهذا لان الدم منوط
بربح احد السفرين ولا يختلف ذلك بالنية وعدمها ويخالف اشتراط نية الجمع بين الصلوتين من حيث ان اشهر الحج كما
هي وقت الحج وقت العمرة بخلاف وقت الصلوة ثم ان دم التمتع دم جبران الاساءة حتى لا يجوز له ان ياكل منه ودم
نسك حتى يجوز ان ياكل ذهب ابو حنيفة الى الثاني ومال الشافعي الى الاول لما روي ان عثمان كان ينهى عن المتعة فقال
له علي اعمدت الى رخصة اثبتها رسول الله صلى الله عليه وسلم للغريب الحاجة فابطلتها فسمى المتعة رخصة وهذا
دليل النقص وايضا التمتع تلذذ وانه ينافي العبادة لانها مشقة وتكليف وايضا انه تعالى اوجب الهدي بالتمتع بلا
توقيت ولو كان نسكا لكان موقتا وايضا للصوم فيه مدخل ودم النسك لا يبدل بالصوم والكلام في مراتب هذا الهدي كما مر
وينبغي ان يكون الابل ثنيا وهو الطاعن في السنة السادسة وكذا البقر وهو الطاعن في السنة الثالثة فيجزي كل من الابل
والبقر عن سبعة نشركا ولو اقتصر على الغنم فليكن ثني المعز وهو الذي دخل في السنة الثالثة او جذع الضان وهو ايضا
في السنة الثالثة يستوي في هذا الباب الذكر والانثى يستحب ان يذبح يوم النحر ولو ذبح بعد ما احرم بالحج جاز لان
التمتع قد تحقق فترتب عليه الهدي جاز له وكذا قبل الاحرام بالحج وبعد التحلل من العمرة على الاصح لانه حق مالي تعلق
بسببين وهما الفراغ من العمرة والشروع في الحج فاذا وجد احدهما جاز اخراجه كالزكوة والكفارة وعند ابي حنيفة لا يجوز
بناء على انه نسك كدم الاضحية يختص بيوم النحر وبه قال مالك واحمد فمن لم يجد الهدي وفسر عليه ما اذا لم يجد ما يشتري به
به او يبيع بثمن غال فعليه صيام ثلثة ايام في الحج قال الشافعي اي بعد الاحرام بالحج لانه تعالى جعل الحج ظرفا للصوم
ولا يصلح سائر افعال الحج ظرفا له فلا اقل من الاحرام وايضا ما قبل الاحرام بالحج ليس وقتا للهدي الذي هو اصل فكذا البدل له
وقال ابو حنيفة اي وقت الحج وهو اشهره فجاز ان يصوم بعد الاحرام بالعمرة ومثله قال احمد في رواية وفي اخرى قال يجوز
بعد التحلل من العمرة ولا يجوز ان يصوم شيئا منها في يوم النحر ولا في ايام التشريق كما مر في الصوم والمستحب ان يصوم الايام
الثلثة قبل يوم عرفة فان المستحب للحاج يوم عرفة ان يكون مفطرا لكيلا يضعف عن الدعاء واعمال الحج ولم يصمه النبي صلى الله
عليه وسلم بعرفة بل روي انه صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم عرفة ويحكى عن ابي حنيفة ان الشخص ان كان
بحيث لا يضعف فالاولى ان يصوم حيازة للفضيلتين ويعلم ما ذكرنا انه يستحب ان يحرم بالحج قبل يوم عرفة ثلثة ايام
ليصوم فيها واما الواجد للهدي فالمستحب له ان يحرم يوم التروية بعد الزوال متوجها الى منى لما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا توجهتم الى منى فاهلوا بالحج فاذا فاته صوم الايام الثلثة لزمه القضا عند الشافعي لانه صوم واجب فلا يسقط بفوات
وقته كصوم رمضان واذا قضاها لم يلزمه دم خلافا لاحمد وعن ابي حنيفة يسقط الصوم بالفوات ويستقر الهدي في
ذمته وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والثاني ان المراد منه الفراغ من اعمال الحج وبه قال ابو حنيفة واحمد كانه بالفراغ
رجع عما كان مقبلا عليه من الاعمال وعلى الاصح لو توطن مكة بعد فراغه من الحج صام وان لم يتوطنها لم يجز صومه بها ولا
في الطريق على الاصح لانه تقديم العبادة البدنية على وقتها ثم اذا لم يصم الثلثة في الحج حتى فرغ ورجع لزمه صوم
العشرة عند الشافعي وهل يجب التفريق في القضا بين الثلثة والسبعة الاصح عند امام الحرمين وطائفة وبه قال احمد لا يجب
لان التفريق في الاداء يتعلق بالوقت فلا يبقى حكمه في القضا كالتفريق في الصلوات المؤداة والاصح عند اصحاب
الشافعي وجوب التفريق كما في الاداء ويفارق تفريق الصلوة فان ذلك التفريق يتعلق بالفعل وهو الحج والرجوع وما ذا
يقع به التفريق اصح الاقوال التفريق باربعة ايام ومدة الامكان مسيره الى اهله على العادة الغالبة بناء على اصلين مسلمين
احدهما ان المتمتع ليس له صوم ايام التشريق والثاني ان المراد بالرجوع الى اهله تلك عشرة كاملة طعن فيه بعض الملحدين
ان هذا من ايضاح الواضحات فمن المعلومات بالضرورة ان الثلثة والسبعة عشرة وايضا كاملة يوهم انا

هيهنا

هيهنا عشرة غير كاملة فذكر العلماء من فوائده ان الواو في قوله وسبعة ليس نصا قاطعا في الجمع بل قد يكون
للاباحة بمعنى او كما في قوله مثنى وثلاث ورباع كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين اي جالسهما جميعا او واحدا
منهما كان ممتثلا فقد ذكرت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلى هذا ابتناء
علم السياقة وكفى به افادة وايضا المعتاد ان البدل اضعف حالا من المبدل كالتيمم مع الوضوء فلعل المراد ان هذا البدل كامل في كونه
قائما مقام المبدل وهما في الفضيلة سوا وذكر العشرة لصحة التوصل به الى هذا الوصف اذ لو اقتصر على تلك جاز ان يعود الى الثلثة
او الى السبعة ملحجا فقوله تلك عشرة كاملة يدفع التخصيص الذي يتطرق الى كثير من العمومات في الشرع ويصرف الكلام الى
التخصيص وايضا ان مراتب الاعداد ثلث الاحاد والعشرات والمئات وهذه من وسطها فكانه قال انما وجبت هذا العدد
لكونه موصوفا بصفة التوسط والكمال وايضا التوكيد طريقة مسلوكة في كلام العرب يعرف منه كون المذكور مما يعتقد
به الهم ففيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها وايضا هذا الخطاب مع العرب ولم يكونوا اهل حساب
فبين الله تعالى بذلك بيانا قاطعا كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال في الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم اشار بيده ثلث مرات واخرى
وامسك ابهامه في الثالثة تنبيها بالاشارة الاولى على الثلثين وبالثانية على التسعة والعشرين وايضا فيه ازالة
الاشتباه والتصحيف الذي يمكن ان يتولد من تشابه سبعة وتسعة في الخط وايضا يحتمل ان يراد كاملة في الاجزاء حتى
لا يتوهم انها بسبب التفريق غير مجزية كما لا يجزي في كفارات الظهار في القتل ووقاع رمضان الا الصوم المتتابع ويحتمل
ان يكون خبرا في معنى الامر اي فلتكن تلك الصيامات كاملة لتسد الخلل والحج المامور به تاما كاملا كما قال واتموا الحج والعمرة
لله واعلم ان الصوم مضاف الى الله تعالى في قول النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى الصوم لي وانا اجزي
به والحج ايضا مضاف الى الله تعالى في الاية واتموا الحج والعمرة لله وكما دل هذا الاختصاص بالعقل ايضا يدل على ذلك
اما الصوم فلانه عبادة لا يطلع عليها الا الله سبحانه وهو مع ذلك شاق على النفس جدا واما الحج فلانه عبادة لا يطلع
العقل البتة على وجود الحكمة فيها وهو مع ذلك شاق جدا لانه يوجب مفارقة الاهل والولد ويقتضي التباعد عن
اكثر اللذات والاستمتاعات فكل منهما لا يؤتى به الا لمحض انقياد مرضات الله تعالى ثم ان هذا الصوم بعضه
واقع في زمان الحج فيكون جمعا بين مشقتين وبعضه واقع بعد الفراغ من الحج وهو انتقال من مشقة الى
مشقة والصبر على قدر التعب فلا جرم وصفه الله تعالى بالكمال في باب العبادة والتنكير في اللفظ ايضا
يؤيد ذلك زادنا الله اطلاعا على لطائف قرآنه العظيم ● ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام اختلف العلماء
في ان المشار اليه ماذا فقال ابو حنيفة واصحابه اشارة الى التمتع وما ترتب عليه لانه ليس البعض اولى من البعض
فيعود الى كل ما تقدم فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام وقال الشافعي بل عوده الى الاقرب اولى وهو الحكم بوجوب
الهدي على المتمتع وايضا قوله فمن تمتع عام يشمل الحرمي والميقاتي والافاقي وايضا انه تعالى شرع القران والتمتع
ابانة لنسخ ما كان عليه اهل الجاهلية في تحريمهم المتعة في اشهر الحج والنسخ يثبت في حق الناس كافة ويتفرع
على مذهب ابي حنيفة ان من تمتع او قرن من حاضري المسجد الحرام كان عليه دم وهو دم جناية لا ياكل منه وهو على
مذهب الشافعي ان يصح تمتعهم وقرانهم ولا يجب عليه شيء فان لزوم الهدي على الافاقي بسبب انه احرم في الميقات
عن العمرة ثم احرم عن الحج لا عن الميقات فيلزمه جبر الخلل بدم والمكي لا يجب عليه ان يحرم عن الميقات فلا خلل
في حجة تمتع او قرن او افرد فلا يلزمه الهدي ولا بدل له ثم اختلفوا في حاضري المسجد الحرام فعن مالك انهم
اهل مكة واهل ذي طوى وعن طاوس هم اهل الحرم وعن الشافعي الذين يكون على اقل من مسافة القصر من مكة
فان كانوا على مسافة القصر فليسوا من الحاضرين وبه قال احمد وعن ابي حنيفة انهم اهل المواقيت فمن دونها الى مكة
والمواقيت ذو الحليفة على عشر مراحل من مكة وعلى ميل من المدينة والجحفة لاهل الشام ومصر والمغرب على خمسين
فرسخا من مكة ويلملم من صوب اليمن وقرن لنجد الحجاز وذات عرق من صوب المشرق والعراق وخراسان وكل هذه
الثلثة من مكة على مرحلتين فهذه هي المذاهب ووافقها الاية مذهب مالك لان اهل مكة هم الذين يحضرون المسجد
الحرام لان الشافعي قال قد يطلق المسجد الحرام على الحرم قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ورسول
الله اسري به من الحرم لا من المسجد وقد يقال حضر فلان فلانا اذا دانه ومن كان مسكنه دون مسافة القصر فهو

ترتيب نازل منزلة المقيم في نفس مكة وفي مذهب ابي حنيفة بعد فانه يودي الى اخراج القريب من الحاضرين
وادخال البعيد فيهم لتفاوت مسافات المواقيت ثم ان مسافة القصر من نفس مكة او من الحرم الاعرف هو
الثاني ثم قلنا ان المسجد الحرام يراد به جميع الحرم قال القراء ذلك لمن لم يكن معناه ذلك الفرض الذي هو الدم او الصوم لازم على
من لم يكن من اهل مكة كقوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء اي عليهم وذكر حضور الاهل والمراد حضور
المحرم لان الغالب على الرجل ان يسكن حيث اهله ساكنون واتقوا الله في محافظة حدوده وما امركم به ونهاكم
عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن يتهاون بحدوده قال ابو مسلم العقاب والمعاقبة سيان وهو الاستقلال
في العاقبة كانه يراد عاقبة فعله الشي كقول القايل لتذوقن فعلك **التاويل** الحج الخاص حج رب البيت وشهوده
وهذه سيرة ابراهيم صلوات الله عليه كما قال اني ذاهب الى ربي ولكنه احصر في السماء السابعة فللحجوم اهدى
باسمعيل ولما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان ذهابه بالله ما احصره شي فقيل له واتموا الحج والعمرة لله وجرى ما
جرى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ثم قال لامته اسعوه في اتمام صورة الحج بقدر استطاعتكم
وفي الحقيقة بان تخرجوا من وجودكم فان احصرتم باعداء النفس والهوى او ملال القلب او كلال الروح او باستيلاء الاحوال
او بتمني الاماني فما استيسر من الهدي اعلاها الروح واوسطها القلب وادناها النفس يهدى كان الاحصار به ولا
تحلقوا ولا تشتغلوا بغير الله حتى تبلغوا المقصد فان عرض مرض في الارادة او يعلوه اذى من المزاحمات من غير تقصير من
نفسه فلم يجد بدا من الاباحة بغناء الرخص فالمجتهد ان يتدارك بالفدية فقد قيل من اقبل على الله الف سنة ثم اعرض
عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله والصيام من الامساك عن المشارب والصدقة الخروج عن المعلوم والنسك ذبح النفس
في مقاساة الشدايد فاذا امنتم الاحصار وانيل الحد الصاعد والزمان المساعد فمن تمتع بالعمرة الى الحج واستراح في الطلب
فما استيسر من الهدي من ترك مشارب القلب والروح والنفس فمن لم يجد لم يستطع ترك تلك المشارب لعلو شانها وعظم
مكانها فعليه الامساك عن مشارب القوى الثلث المدركة للمعاني والمتصرفة فيها وهي الوهم والحافظة والمتخيلة هذا اذا كان
في عالم المعنى فاذا رجع الى عالم الصورة امسك عن القوى السبع مشاربها وهي الحس المشترك والخيال لان الاولى مدركة
الصور والثانية معينتها على الحفظ وبعدها الحواس الخمس الظاهرة تلك عشرة كاملة هي الحواس الظاهرة والباطنة
ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لان الحاضر في مقام القرب والانس لا يخاطب ولا يعاتب وانما يلزم التعب والطلب
للسالك والتايب فاذا وصل استراح واتقوا ان تسكنوا في نزهة او وقفة او تركنوا الى مشرب من هذه المشارب واعلموا
ان الله شديد العقاب للغافلين عن هذا الخطاب القانعين بذل الحجاب والله اعلم

الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج
وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي
الألباب ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا
الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين
ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم فإذا قضيتم
مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول
ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا

حسنة

حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع
الحساب واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن
تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون

نصف الحزب

القراءة فلا رفث ولا فسوق بالرفع فيهما ابو عمرو ويعقوب وابن كثير ويزيد ولا جدال بالرفع الباقون
بفتح الثلثة وكذلك روى الصفي من طريق الحسن الهاشمي واتقون بالياء في الحالين سهل ويعقوب وافق
ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل بالياء ومن تاخر يروي هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش والسموني وحمزة
في الوقف بالتليين **الوقوف** معلومات في الحج يعلمه الله التقوى يا اولي الالباب من ربكم لان
الجيب بالفا فكانت شرطا في ابتداء حكم اخر الحرام لعطف المتفقتين هديكم لان الواو للحال الضالين واستغفروا
الله رحيم ذكرا من خلاق النار مما كسبوا الحساب نصف الجزء معدودات لان الشرط في بيان حكم اخر مع العطف
عليه الثانية لتعلق اللام اتقى لاختلاف النظم تحشرون **التفسير** من المعلوم ان الحج ليس نفس الاشهر فالتقدير
اشهر الحج او وقته اشهر معلومات كقولك البرد شهران او الحج اشهر معلومات اي لا حج الا فيها خلاف ما كان عليه اهل الجاهلية
من النسي قيل ويمكن ان يقال جعل الحج نفس الاشهر كما في لهم ليل قايم ونهار صايم واتفق المفسرون على ان شوالا وذا القعدة
من اشهر الحج واختلفوا في ذي الحجة فعن عروة بن الزبير ومالك كله لان اقل الجمع ثلثة وقد يفعل الانسان بعد النحر ما يتصل
بالحج من رمي الجمار ونحوه والمراة اذا حاضت فقد تؤخر الطواف الذي لا بد منه الى ايام بعد الشهر ومن هذا ذهب عروة
الى جواز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر وعن ابي حنيفة عشر ذي الحجة وهو قول ابن عباس وابن عمر والنخعي
والشعبي ومجاهد والحسن قالوا لفظ الجمع يشترك فيما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما ونزل بعض
الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما رايته في ساعة منها ورمي الجمار يفعله الانسان وقد حل بالحلق والطواف
والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحايض اذا طاف بعده فهو في حكم القضا وانما قلنا ان يوم النحر من الشهر
الحج لانه وقت لركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة ومن المفسرين من زعم ان يوم الحج الاكبر يوم النحر وعن الشافعي التسعة
الاولى من ذي الحجة مع ليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع يوم النحر ولا تفوت العبادة مع بقاء وقتها قيل انه تعالى جعل كل
الاهلة مواقيت الحج في قوله قل هي مواقيت للناس والحج وفي هذه الاية جعل وقت الحج اشهرا معلومات واجيب بان
تلك الاية عامة وهذه خاصة والخاص مقدم على العام واول الميقات علامة الوقت فلولا الاهلة لم يعلم مدخل كل شهر
على التعيين فجميع الاهلة في الاعلام سواء بالنسبة الى وقت موقوف ولا منافاة بين كون جميع الاهلة علامات الحج
من حيث تؤذن بما بقي من السنة الى اوان الحج وبين كون الاشهر المعلومات وقتا للحج ومعنى قوله معلومات ان الحج انما
يكون في السنة مرة واحدة في اشهر معينة من شهورها ليس كالعمرة التي يوتى بها في السنة مرارا واجالهم في
معرفة تلك الاشهر على ما كانوا علموه قبل نزول هذا الشرع وعلى هذا فهذا الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه
وانما جاء موافقا مقررا له والمراد انها موقتة باوقات معينة لا يجوز لاحد ان يفعل الحج قبل اشهر الحج وبه قال احمد واسحق
وايضا الاحرام بالعبادة قبل وقت الاداء لا يصح قياسا على الصلوة وايضا الخطبة في صلوة الجمعة لا تجوز قبل الوقت
لانها اقيمت مقام ركعتين من الظهر حكما فلان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة اولى وايضا الاحرام لا يبقى صحيحا
لاداء الحج قبل الوقت اولى لان البقاء اسهل من الابتداء وعن ابي حنيفة ومالك والثوري جواز الاحرام في جميع السنة لقوله
تعالى قل هي مواقيت للناس والحج والجواب ما مر فان الاحرام التزام للحج فجاز تقدمه على الوقت كالنذر والجواب الفرق
بين النذر والاحرام بان الوقت معتبر للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور الا بعقد مستند واما الاحرام
مع كونه التزاما فهو ايضا شروع في الاداء وعقد عليه فلا جرم افتقر الى الوقت قالوا اشتهر من اكابر الصحابة انهم
قالوا من اتمام الحج ان يحرم المرء من دويرة اهله وقد يبعد دويرة بعدا شديدا يحتاج الى ان يحرم قبل شوال والجواب

ان النص لا يعارضه الاثر على انه يمكن تخصيص الاثر بانه في حق من لا يكون داره بعيدا فمن فرض فيهن الحج في الزم
نفسه في هذه الشهور الحج وبماذا يحصل هذا الالزام المسمى بالاحرام لانه يحرم حينئذ عليه اشياء كانت حلالا له قال
الشافعي انه ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية نعم السنة عند النية وبه قال احمد ومالك لقوله تعالى فمن فرض
فيهن الحج على النية ادل منه على التلبية او سوق الهدي ولفرض الحج موجب لانعقاد الحج بدليل قوله فلا رفث فوجب
ان تكون النية كافية في انعقاد الحج وايضا قال صلى الله عليه وسلم لكل امرئ ما نوى وايضا انه عبادة ليس في اجزائها
ولا في اثنائها نطق واجب فكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم وعند ابي حنيفة التلبية شرط انعقاد الاحرام لاطباق
الناس على الاعتناء به عند الاحرام الا ان سوق الهدي وتقليده والتوجه معه يقوم مقام التلبية وعن ابن عمر
انه قال اذا قلد او اشعر فقد احرم وعن ابن عباس اذا قلد الهدي وصاحبه يريد العمرة والحج فقد احرم وروى
ابو منصور الماتريدي في تفسيره عن عائشة انها قالت لا يحرم الا من اهل او لبى وايضا الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع
فيها بنفس النية كالصلوة وصورة التلبية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك
لك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولا تكره الزيادة على هذا روي عن ابن عمر انه كان يزيد فيها لبيك لبيك
لبيك وسعديك والخير بين يديك لبيك والرغباء اليك والعمل فان رأى شيئا يعجبه قال لبيك ان العيش عيش الآخرة
ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات انه قال في تلبيته لبيك حقا تعبدا ورقا قال
الشافعي في اصح قوليه الافضل ان يحرم ويلبي حين تنبعث به دابته ان كان راكبا وحين يتوجه الى الطريق ان كان ماشيا لما
روي انه صلى الله عليه وسلم لم يهل حتى انبعثت به دابته قال امام الحرمين ليس المراد من انبعاث الدابة ثورانها بل المراد
استواؤها في صوب مكة فاذا استوت براحلته متوجها الى الطريق نوى اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله مني ولبى
وان كان يريد القران نوى الحج والعمرة وان كان يريد العمرة ولبى وفي القول الثاني وبه قال احمد ومالك وابو حنيفة ان الافضل
ان ينوي ويلبي كما تحلل من الصلوة اي من ركعتي الاحرام وهو قاعد ثم يأخذ في السير لرواية ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم صلى بذي الحليفة ركعتين ثم احرم وتكثير التلبية في دوام الاحرام مستحب قائما كان او قاعدا راكبا
او ماشيا حتى في حالة الجنابة والحيض لانه ذكر لا اعجاز فيه فاشبه التسبيح قال صلى الله عليه وسلم لعائشة حين
حاضت افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي في البيت قوله عز من قائل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال من قرأ بفتح الثلاثة
او برفعها فلا اشكال ومن قرأ برفع الاولين وفتح الاخير فقيل لان الاولين محمولان على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث
ولا فسوق ثم اخبر بانتفاء الجدال اي لا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر
الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء الى وقت واحد ورد الوقوف
الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج وربما يستدل على ان المنهي منه هو الرفث والفسوق دون الجدال
بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كيوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وقيل الاهتمام
بنفي الجدال اشد من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق فلذلك فرق كذلك اما الاول فلان الرفث عبارة عن قضاء الشهوة
والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل يشتهي تمشية قوله والفسوق عبارة عن مخالفة امر الله والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا
ما يقدم على الايذاء والايحاش المؤدي الى العداوة والبغضاء فدل على ان الجدال مشتمل على جميع انواع القبح واما ان
القراءة تفيد ذلك فلان الفتح يقتضي نفي الماهية وانتفاؤها يوجب انتفاء جميع افرادها واما الرفع فلا يوجب انتفاء
جميع افراد الماهية بل يجوزه فيكون الفتح ادل على عموم النفي ٥ اما تفسير الرفث فعن ابن عباس هو الجماع وله في الحج في
العمرة نتايج منها فساد النسك ٥ روي ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من الصحابة واتفق الفقهاء عليهم بعدهم
وانما يفسد الحج بالجماع اذا وقع قبل التحليل لقوة الاحرام ولا فرق بين ان يقع قبل الوقوف بعرفة او بعده خلافا لابي حنيفة
حيث قال لا يفسد بالجماع بعد الوقوف ولكن يلزمه الفدية واما الجماع بين التحللين ففي الفساد على الصحيح وعن مالك
واحمد انه يفسد ما بقي من احرامه ويفسد العمرة ايضا بالجماع قبل الحلق واعلم ان للعمرة تحللا واحدا وذلك اذا طاف
وسعى وحلق وللحج تحللان وذلك اذا اتى باثنين من رمي النحر والحلق والطواف اعني الرمي والحلق او الرمي والطواف
او الحلق والطواف حصل التحلل الاول وهو اباحة جميع المحظورات من التطيب والقلم ولبس المخيط وقتل الصيد وعقد

النكاح الا الجماع فانه لا يحل الا الاتيان بالامر الثالث فاذا اتى به حل الجماع به ايضا وهو المراد بالتحلل الثاني قال
الائمة الحج يطول زمانه ويكثر اعماله بخلاف العمرة فابيح بعض محظوراته دفعة وبعضها اخرى قال صلى الله
عليه وسلم اذا رميتم وحلقتم فقد حل لكم الطيب واللباس وكل شيء الا النساء واللواط واتيان البهيمة في الافساد كالوطي
في الفرج وبه قال احمد خلافا لابي حنيفة فيهما ولمالك في اتيان البهيمة ثم سائر العبادات لا حرمة لها بعد الفساد
ويصير الشخص بالفساد خارجا منها لكن الحج والعمرة فان فسدا يجب المضي فيهما وذلك باتمام ما كان يفعله لولا عروض
الفساد روي عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من افسد حجه مضى في فاسده وقضى من قابل ومن نتايج الفساد
الكفارة ويستوي فيها الحج والعمرة وخصالها خمس على الترتيب بدنة ان يجدها لان الصحابة نصوا على البدنة ولا يعرف
والا فسبع من الغنم والا قومت البدنة دراهم والدراهم طعاما فان لم يجد الطعام صام عن كل يوم مدا ومن نتايج القضا
باتفاق لما روينا من كتاب الصحابة ويقضى من قابل سواء كان المقضي عنه فرضا او تطوعا فان القضا واجب واصح
الوجهين في القضا انه على الفور لا على التراخي لانه لزم وتضيق بالشروع ويدل عليه ظاهر قول الصحابة ويقضي من
قابل وكذا الكلام في من ترك الصوم او الصلوة متعديا على الاشبه لان جواز التاخير نوع ترفيه وتخفيف والمتعدي
لا يستحق ذلك ولو كانت المراة محرمة فطاوعت زوجها فجامعها وهي نائمة او مكرهة لم يفسد حجها والا فسد ولكن يجب على اصح القولين
والا بدنة واحدة عنهما جميعا واذا افسد حجه بالجماع ثم جامع ثانيا فان لم يفد عن الاول لزم بدنة اخرى وان فدى لم يلزم
الا شاة وعن الحسن الرفث كل ما يتعلق بالجماع فيلبس المحرم التقبيل بالشهوة ولا المباشرة فيما دون الفرج فلو باشر شيئا منها
عمدا فالفدية روي عن علي وابن عباس انهما اوجبا بالقبلة شاة وان كان ناسيا لم يلزمه شيء ولا يفسد شيء من مقدمات
الجماع بالحج ولا يوجب البدنة بحال سواء انزل او لم ينزل وبه قال ابو حنيفة وعند مالك يفسد الحج اذا انزل وهو اظهر الروايتين
عن احمد وقيل الرفث باللسان ذكر المجامعة وما يتعلق بها والرفث باليد اللمس والغمز والرفث بالفرج الجماع وقيل الرفث
هو الجماع والفحش لقوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صايم
وعن ابي عبيدة الرفث اللغا والفحش وعنه الرفث اللغو في الكلام واما الفسوق فهو الخروج عن الطاعة يحدد الشرع
يشتمل كل المعاصي قال تعالى ففسق عن امر ربه وقيل هو التنابز بالالقاب والسباب قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس
الاسم الفسوق بعد الايمان وقال صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقيل الايذاء والايحاش ولا يضار
كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم وعن ابن زيد هو الذبح للاصنام ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق
وقيل الرفث هو الجماع ومقدماته مع الحليلة والفسوق ذلك مع الاجنبية اما الجدال فانه فعال من المجادلة واصله
من الجدل الفتل كان كل واحد من الخصمين يروم ان يفتل صاحبه عن رايه واختلف المفسرون فيه فعن الحسن هو الجدال
الذي يفضي الى السباب والتكذيب والتجهيل وانه واجب الاجتناب في كل حال الا انه مع الرفقاء في الحج اسمج كلبس الحرير
في الصلوة وقال محمد بن كعب القرظي ان قريشا كانوا اذا اجتمعوا بمنى قال بعضهم حجنا اتم وقال آخرون بل حجنا اتم
فنهاهم الله عن ذلك وقال مالك في الموطا الجدال في الحج ان قريشا كانوا يقفون عند المشعر الحرام في المزدلفة بقزح
وانه جبل هناك وغيرهم يقفون بعرفات وكل من الفريقين يقول نحن اصوب وقال القاسم بن محمد كانوا يجعلون الشهر
على العدد ويختلفون في يوم النحر بسبب ذلك فبعضهم يقولون هذا يوم عيد ويقول آخر بل غدا فكانه قيل لهم قد بينا
لكم ان الاهلة هي مواقيت الحج فاستقيموا على ذلك ولا تجادلوا فيه قال القفال ويدخل في هذا النهي ما جادلوا
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق ذلك عليهم فقالوا نروح الى منى ومذاكيرنا
تقطر منيا فقال صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة فتركوا الجدال
حينئذ وقال عبد الرحمن بن زيد جدالهم في الحج اختلافهم في ان ايهم المصيب مقام ابراهيم وقيل انه النسيء نهوا
عن ذلك فان الزمان قد عاد الى ما كان عليه الحج في وقت ابراهيم صلوات الرحمن عليه قال القاضي ابو بكر الباقلاني
ولو حمل النفي في الالفاظ الثلثة على الخبر وجب ان يحمل الرفث على الجماع والفسوق على الزنى والجدال على الشك
في الحج ليصح خبر الله تعالى بان هذه الاشياء مع الحج المعتبر وان حملنا الكلام على النهي صح ان يراد بالرفث الجماع ومقدماته
وقول الفحش وبالفسوق جميع انواعه وبالجدال جميع اصنافه فعلى هذا يكون في الاية بعث على الاخلاق الجميلة والاداب

كبرنا

الحسنة وبالحقيقة لا يرفث ينبي عن طاعة القوة الشهوية التي توجب الانهماك في الفجور ولا فسوق اشارة الى قهر
القوة الغضبية الداعية الى التمرد والاستقلال ولا جدال ومن الى تسخير القوة الوهمية التي تحمل الانسان على الخلاف
في ذات الله تعالى وصفاته وافعاله واحكامه فتنبعث الآراء المتخالفة والاهواء المتضادة والعقائد الفاسدة
والمذاهب الباطلة واعلم ان الجدال ليس منهيا عنه بجميع اقسامه وانما المذموم هو الذي منشاؤه صرف العصبية
ومحض المرا لتنفيذ الآراء الزائفة وتحصيل الاعراض الفارغة واما الذب عن الدين القديم والدعا
الى الصراط المستقيم والزام الخصم الالد وافحام المعاند اللجوج بمقدمات مشهورة وآراء محمودة حتى يستقر الحق في مركزه
ويضمحل صولة الباطل ويركد ريحه فامور به في قوله عز من قائل وجادلهم بالتي هي احسن وانه احدى شعب البلا
وقد يكون انجع من قاطع البرهان وما تفعلوا من خير يعلمه الله لم يتعرض لمقابل الخير وان كان عالما به ايضا لنكتة هي ان
اذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته واذا علمت منك سيئة اخفيته وسترته لتعلم انه اذا كانت رحمتي بك هكذا
في الدنيا فكيف في العقبى وفيه ترغيب للمطيعين وايذان بانهم من المحسنين الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان
لم تكن تراه فانه يراك والعبد الصالح اذا علم اطلاع مولاه على سريرته وخفاياه اجتهد في اداء ما امر به
واحترز عن ارتكاب ما نهاه ومن غاية عنايته حثهم على الخير بعد ما نهاهم عن الشر ليستعملوا مكان
الرفث التقى وبدل الفسوق رعاية الحقوق ومقام الجدال والشقاق الوفاق مع الرفاق تتميما لمكارم الاخلاق
تنبيها على شرف النفس وطيب الاعراق بدليل قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الآخرة
اتقاء القبائح فان ذلك خير الزاد وليس السفر من الدنيا اهون من السفر في الدنيا وهذا لا بد له من زاد فكذا ذلك
بل يزداد فان زاد الدنيا يخلصك عن عذاب منقطع موهوم وزاد الآخرة ينجيك من عذاب ابدي معلوم
زاد الدنيا يوصلك الى متاع الغرور وزاد الآخرة يبلغك دار السرور زاد الدنيا سبب حصول حظوظ النفس
وزاد الآخرة سبب الوصول الى عتبة الجلال والقدس **شعر** اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت
من قد تزودا ندمت على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصد كما كان ارصدا وقيل نزلت في ناس من اليمن كانوا
يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ثم كانوا يسالون الناس وربما ظلموهم وغصبوهم فامرهم الله سبحانه ان
يتزودوا ما يتبلغون به فان خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السوال وانفسكم عن الظلم وقيل دليل على ان
القادر على استصحاب الزاد في السفر اذا لم يستصحب عصى الله في ذلك ففيه ابطال حكمة الله تعالى ودفع
الوسايط والروابط التي تدور عليها المناجح وبها ينتظم المصالح روي ان بعض العابدين زهد فبلغ من زهده
انه فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسال من احد شيئا حتى تاتيني رزقي فاخذ يسيح فاقام في
سفح جبل سبعا لم ياته شيء حتى كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني
فالهمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة
فاقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فسمع اما
اردت ان تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت انه يرزق العباد بايدي العباد احب الي من ان يرزقهم بيد
القدرة وقيل في الآية حذف اي تزودوا للعاجل سفركم وللآجل فان خير الزاد التقوى واتقون خافوا عقابي
وفيه دليل تنبيه على كمال عظمته كقوله **شعر** انا ابو النجم وشعري شعري يا اولي الالباب يعني ان قضية العقل
تقوى الله ومن لم يتقه فلا لب له في التحقيق ولما منع الناس عن الجدال اختلج في قلب المكلف شبهة ان التجارة
لكونها مفضية في الاغلب الى النزاع في قلة القيمة وكثرتها يجب ان يكون منهية وايضا انها كانت محرمة في الجاهلية
وانه امر مستحسن ظاهرا الا ان المشتغل بخدمة الله تعالى يجب ان لا يتلوث بالاطماع الدنيوية وايضا كان من الممكن ان
يقاس التجارة على ساير المباحات من الطيب والمباشرة والاصطياد في كونها محظورة بالاحرام فلدفع هذه الشبهة
نزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تطلبوا فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو زيادة في الرزق بسبب
التجارة والربح بها كقوله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وعن ابي مسلم انه حمل الآية على ما
بعد الحج قال والتقدير واتقون في كل افعال الحج ثم بعد ذلك ليس عليكم جناح ان تبتغوا كقوله فاذا قضيت الصلوة

فانتشروا

فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وزيف بان حمل الآية على موضع الشبهة اولى من حملها الا على موضع
الشبهة ومحل الاشتباه هو التجارة في زمان الحج واما بعد الفراغ فالحل معلوم وقياس الحج على الصلوة فاسد فان الصلوة
اعمالها متصلة فلا يحل في اثنائها التشاغل بغيرها واما اعمال الحج متفرقة يحتمل التجارة في خلالها وايضا الفاء في قوله فاذا
افضتم ظاهر في ان هذه الافاضة حصلت عقيب ابتغاء الفضل وذلك يدل على ان المراد وقوع التجارة في زمان الحج ويؤيده
قراءة ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج وقال ابن عباس في سبب نزول الآية كانوا يتاثمون ان يتجروا ايام الحج واذا
دخل العشر بالغوا في الكف عن البيع والشرى فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا
بالحاج ومعنى الداج الاعوان والمكارون من الدجيج وهو الدبيب في السير قال ابن السكيت لا يطلق الدجيج الا اذا كانوا ولا يقال
ذلك للواحد وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما
جاء الاسلام تاثموا فرفع عنهم الجناح ومن المعلوم انه انما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري
في هذا الوجه يعني في طريق الحج وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سالت عنه فلم
يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون
التجارة في الحج وعن جعفر الصادق سلام الله عليه ان ابتغاء الفضل ههنا طلب اعمال اخر زائدة على اعمال الحج موجبة لفضل الله
تعالى ورحمته كاعانة الضعيف واغاثة الملهوف واطعام الجائع وارواء العطشان واعلم ان الفضل ورد في القرآن بمعان منها
ما يتعلق بالمصالح الدنيوية من المال والجاه والغذاء واللباس وهو المسمى بالرزق فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
ومنها ما يتعلق بالمصالح الاخروية وهو التفضل والثواب والجنة والرحمة تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ولولا
فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ومنها ما يتعلق بمواهب العطاء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكان فضل الله
عليك عظيما ورفع الجناح قد يستعمل في الواجب والمندوب مثل ما يستعمل في المباح كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما
فاذا افضتم اي دفعتم بكثرة ومنه افاضة الماء وهو صبه بكثرة والتقدير افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في قولهم
دفعوا من موضع كذا وصبوا وعرفات جمع عرفة وكلاهما علم للموقف كان كل قطعة من الارض عرفة فسمي مجموع تلك القطعة
بعرفات كما قيل في باب الصفة ثوب اخلاق وبرمة اعشار ثم يسئل هلا منعت الصرف وفيها سببان التعريف والتانيث
فقيل انه لم يبق علما بعد ما جمع ثم جعل علما لمجموع القطع فتركوها بعد ذلك على اصلها في الصرف وقيل ان هذا التنوين تنوين
المقابلة في نحو مسلمات ومن ذهب الى تنوين المقابلة لا وجود لها كجار وكثير من المتاخرين وان هذا التنوين تنوين
الصرف قالوا انما لم يسقط لان التانيث في نحو مسلمات وعرفات ضعيف فان التاء التي هي لمحض التانيث سقطت والباقية
علامة لجمع المونث وزيف بان عرفات مونث وان قلنا انه لا علامة تانيث فيها لا متمحضة للتانيث ولا مشتركة لانه لا
يعود الضمير اليها الا مونثا تقول هذه عرفات مباركا فيها ولا يجوز مباركا فيه الا بتاويل بعيد كما في قوله **شعر**
ولا ارض ابقل ابقالها وقيل تاؤها لا ينفك عن تانيث مصر الذي هو بناء وبقعة وقال بعض المتاخرين الاولى ان
يقال ان التنوين للصرف وانما لم يسقط في نحو من عرفات لانه لو سقط لتبعه الكسر في السقوط وتبع النصب وهو خلاف
ما عليه الجمع السالم اذ الكسر فيه متبوع لا تابع فهو فيه كالتنوين في غير المنصرف للضرورة لم يجد المانع هذا مع انه
جوز المبرد والزجاج ههنا مع العلمية حذف التنوين وابقاء الكسر كبيت امرئ القيس في رواية **شعر**
تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عال وبعضهم بفتح التاء في مثله مع حذف التنوين كساير
ما لا ينصرف فعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف والاشهر بقاء التنوين في مثله مع العلمية وقيل
التنوين عوض من منع الفتحة واعلم ان اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى يوم التروية واليوم التاسع منه يسمى
يوم عرفة وعرفة وعرفات هي الموضع المخصوص فقيل التروية هي التفكر وسببه ان آدم عليه السلام لما امر ببناء
البيت فبناه ثم تفكر فقال يا رب لكل عامل اجرا فما اجري على هذا العمل فقال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك باول
شوط من طوافك قال يا رب زدني قال اغفر لاولادك اذا طافوا به قال زدني قال اغفر لكل من استغفر له الطائفون
من موحدي اولادك قال حسبي يا رب حسبي وقيل ان ابراهيم صلوات الرحمن عليه راى في منامه ليلة التروية
كانه يذبح ابنه فاصبح متفكرا اهذا من الله او من الشيطان فلما راه ليلة عرفة يؤمر به اصبح فقال عرفت يا رب

انه من عندک وقيل ان اهل مكة يخرجون يوم التروية الى منى فيروّون في الادعية التي يذكرونها في الغد بعرفات وقيل التروية الارواء فان اهل مكة كانوا يجمعون الماء للحجيج الذين يقصدونهم من الافاق فيستسعون في الماء بعد ما يعيوا في الطريق من قلة الماء او لانهم منه دون الماء الى عرفة او لان الذين كالعطاشى يردوا بحار الرحمة فيتروا منها حتى يرووا واما يوم عرفة فقيل انه من المعرفة لان ادم وحوا عليهما السلام التقيا بعرفة فعرف احدهما صاحبه عن ابن عباس او لان جبريل علم ادم عليه السلام مناسک الحج فلما وقف بعرفات قال له اعرفت قال نعم او لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام عرفها حين راها بما تقدم من النعت او الصفة عن علي وابن عباس وعطا والسدي او لان جبريل عرف بها ابراهيم المناسک وقد مر في قوله وارنا مناسكنا او لان ابراهيم وضع ابنه اسمعيل عليهما السلام وامه هاجر بمكة ورجع الى الشام ولم يلتقيا سنين ثم التقيا يوم عرفة بعرفات وقد سبق القصة في بناء البيت في قوله واذ يرفع ابراهيم القواعد او لما ذكرنا انفا من منام او لان الحاج يتعارفون فيه اذا وقفوا او لانه تعالى يتعرف فيه الى الحاج بالمغفرة والرحمة وقيل اشتقاقها من الاعتراف لان الناس يعترفون هنالک للحق بالربوبية والجلال ولانفسهم بالفقر واختلال الحال يقال ان ادم وحوا عليهما السلام لما وقفا بعرفات قالا ربنا ظلمنا انفسنا فقال سبحانه الان عرفتما انفسكما وقيل من العرف وهو الرائحة الطيبة لان المذنبين يكتسبون بالمغفرة روايح طيبة عند الله مقام ضدها قال صلى الله عليه واله لخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسک وقد يسمى يوم عرفة يوم اياس الكفار عن الاسلام ويوم اكمال الدين ويوم اتمام النعمة ويوم الرضوان اخذا من قوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا عن عمرو ابن عباس نزلت هذه الاية عشية يوم عرفة وكان يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة في موقف ابراهيم صلوات الله عليه في حجة الوداع وقد اضمحل الكفر وهدم منار الجاهلية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلم الناس ما لهم في هذه الاية لقرت اعينهم فقال يهودي لعمر لو ان هذه الاية انزلت علينا لاتخذنا ذلک اليوم عيدا فقال عمر اما نحن فجعلناه عيدين وكان ذلک يوم جمعة ويوم عرفة ويوم صلة الواصلين اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي يوم قطيعة القاطعين ان الله بري من المشركين ورسوله يوم اقالة عثرة النادمين وقبول توبة التائبين ربنا ظلمنا انفسنا يوم وفد الوافدين في الحج الحاج وفد الله الحاج زوار الله وحق على المزور الكريم ان يكرم زائره يوم الحج الاكبر واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر يوم خصوصية بكثرة الثواب قال صلى الله عليه وسلم صوم يوم التروية كفارة سنة وصوم يوم عرفة كفارة سنتين وقال صلى الله عليه وسلم من صام يوم التروية اعطاه الله مثل ثواب ايوب على بلايه ومن صام يوم عرفة اعطاه الله مثل ثواب عيسى ابن مريم يوم اقسم الله تعالى به في قوله عز من قائل والشفع والوتر عن ابن عباس الشفع يوم التروية وعرفة والوتر يوم النحر يوم خص بكثرة الرحمة وسعة المغفرة وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم اكثر ان يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو يتجلى ثم يباهي بهم الملايكة فيقول ما اراد هؤلاء اشهدوا ملايكتي اني قد غفرت لهم ولا اضن ان نشير هنا الى اعمال الحج اشارة حقيقية اعلم انه من دخل مكة محرما في ذي الحجة او قبله فان كان مفردا او قارنا طاف طواف القدوم واقام على احرامه حتى يخرج الى عرفات وان كان متمتعا طاف وسعى وحلق وتحلل من عمرته واقام الى وقت خروجه الى عرفات وحينئذ يحرم من جوف مكة بالحج ويخرج وكذلک من اراد الحج من اهل مكة والسنة للامام ان يخطب بمكة اليوم السابع من ذي الحجة بعد ما صلى الظهر خطبة واحدة يامر الناس فيها بالذهاب غدا بعد ما صلوا الصبح الى منى ويعلمهم تلک الاعمال ثم ان القوم يذهبون يوم التروية الى منى بحيث يوافون الظهر بمنى ويصلون بها مع الامام الظهر والعصر والمغرب والعشا والصبح من يوم عرفة ثم اذا طلعت الشمس على ثبير توجهوا الى عرفات فاذا دنوا منها فالسنة ان لا يدخلوها بل يضرب له بنمرة فينزل بها فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبتين يبين لهم مناسک الحج ويحرضهم على اكثار الدعا والتهليل بالموقف وبعد الفراغ من الخطبة الاولى جلس ثم قام وافتتح الخطبة الثانية والمؤذنون ياخذون في الاذان معه ويخفف بحيث يكون فراغه منها مع فراغ المؤذنين من الاذان ثم ينزل فيقيم المؤذنون فيصلي بهم الظهر ثم يقيمون في الحال فيصلي بهم العصر وهذا الجمع متفق عليه ثم بعد الفراغ من الصلوة يتوجهون الى عرفات فيقفون عند الصخرات لان النبي صلى الله عليه وسلم وقف هناک

واذا

واذا وقفوا استقبلوا القبلة ويذكرون الله تعالى ويدعونه الى غروب الشمس والوقوف ركن لا يدرک الحج الا به ومن فاته ذلک فاته الحج لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن فاته عرفة فقد فاته الحج وقد يستدل بالاية ايضا على ذلک لانها دلت على ذكر الله عند المشعر الحرام عقيب الافاضة من عرفات والافاضة من عرفات لا تتصور الا بعد الحصول بعرفات وجمهور الفقها على ان الوقوف بالمشعر الحرام ليس بركن لانه تعالى امر بالذكر عنده فالوقوف به تبع لا اصل له بخلاف الوقوف بعرفة لانه جعله اصلا حيث لم يقل فاذا افضتم عن الذكر بعرفات ووقت الوقوف يدخله بزوال الشمس يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر من يوم النحر وذلک نصف يوم وليلة كاملة واذا احضر الحاج هناک في هذا الوقت لحظة واحدة ادركه وكفى وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر يوم النحر واذا غربت الشمس دفع الامام من عرفات واخر صلوة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشا بالمزدلفة قيل سميت بها لانهم يقتربون فيها من منى والازدلاف الاجتماع وقيل لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها ويقال للمزدلفة جمع لانه يجمع فيها بين صلوتي المغرب والعشا عن قتادة وقيل لان ادم عليه السلام اجتمع فيها مع حوا وازدلف اليها اي دنا منها ثم اذا اتى الامام المزدلفة جمع بين المغرب والعشا ثم يبيتون بها فان لم يبت بها فعليه دم شاة فاذا طلع الفجر صلوا الصبح بغلس والتغليس ها هنا اشد استحبابا منه في غيرها وهو متفق عليه فاذا صلوا الصبح اخذوا منها الحصى للرمي ياخذ كل انسان سبعين حصاة ثم يذهبون الى المشعر الحرام وهو جبل يقال له قزح فيقف في توقفه ان امكنه او وقف بالقرب منه ان امكنه فيحمد الله ويهلله ويكبره ولا يزال كذلک حتى يسفر جدا ثم يدفع قبل طلوع الشمس ويكفي المرور كما في عرفة ثم يذهبون الى وادي محسر فاذا بلغوا بطن محسر فمن كان راكبا يحرک دابته ومن كان ماشيا يسعى سعيا شديدا قدر رمية حجر فاذا اتى منى رمى جمرة العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات ويقطع التلبية اذا رمى ثم بعد ما رمى جمرة العقبة ذبح الهدي ان كان معه هدي وذلک سنة لو تركه لا شي عليه لانه ربما لا يكون معه هدي بعد ما ذبح الهدي يحلق راسه او يقصر ثم بعد الحلق الى مكة فيطوف بالبيت طواف الافاضة وهو الركن ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة ثم بعد ذلک يعود الى منى في بقية يوم النحر وعليهم البيتوتة بمنى ليالي التشريق لاجل الرمي وعن منى الى عرفات فرسخين ومزدلفة متوسطة بين منى وعرفات منها الى كل واحدة منهما فرسخ ولا يقفون بها في مسيرهم من منى الى عرفات والحاصل ان اعمال الحج يوم النحر الى ان يعود الى منى اربعة رمي جمرة العقبة والذبح والحلق والتقصير والطواف طواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة ايضا لانهم ياتون من منى زائرين البيت ويعودون في الحال والترتيب في الاعمال الاربعة على النسق المذكور مسنون وليس بواجب اما انه مسنون فلان النبي صلى الله عليه وسلم كذلک فعلها واما انه ليس بواجب فلما روي عن عبد الله بن عمر قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى للناس يسالونه فجاء رجل فقال يا رسول الله اني حلقت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج واتاه اخر فقال اني ذبحت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج واتاه اخر فقال اني افضت الى البيت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج فما سئل عن شي قدم واخر الا قال افعل ولا حرج وعن مالک واحمد وابي حنيفة ان الترتيب بينها واجب ولو تركه فعليه دم على تفصيل ليس هيهنا موضع بيانه ثم ان اهل الجاهلية كانوا قد غيروا مناسک الحج من سنة ابراهيم صلوات الله عليه وذلک ان الحمس كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون قبل ان تغرب الشمس والذين بمزدلفة يفيضون اذا طلعت الشمس ويقولون اشرق ثبير كيما نغير اي نسرع للنحر وثبير جبل هناک فامر الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بمخالفة القوم في الدفعتين فامره بان يفيض من عرفات بعد غروب الشمس وان يفيض من المزدلفة قبل طلوع الشمس فان السنة الفيض قبيل الوجه قال الواحدي المشعر الحرام هو المزدلفة سماه الله بذلک لان الصلوة والمقام والمبيت به والدعا عنده وقال في الكشاف المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة اي يوقد هناک النار في الجاهلية قال وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام قال والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقال عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلک للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة

كلها موقف الا وادي محسر او جعلنا عقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم
العبادة ووصف بالحرام لحرمته واما الذكر المامور به هناك فقيل هو الجمع بين صلوتي المغرب والعشاء والصلوة تسمى ذكرا قال الله
تعالى واقم الصلوة لذكري والدليل عليه ان فاذكروا امر وهو للوجوب ولا يجب هناك ذكر الا هذا واكثرهم على ان المراد ذكر الله
بالتسبيح والتحميد والتهليل عن ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون كما هديكم
ما مصدرية او كافة اطلق الامر بالذكر اولا ثم قيده ثانيا والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة كي تكونوا شاكرين
والهداية كل انواع الهدايات والهداية الى سنة ابراهيم في مناسك الحج واذكروا كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه
بحسب الراي والقياس فان اسماء الله توقيفية او الذكر الاول محمول على الذكر باللسان والثانية على الذكر بالقلب
او المعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته والمراد بتثنية الامر تكريره وتكثيره كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا وعلى هذا فيكون قوله كما هديكم متعلقا بالامرين جميعا او الذكر الاول مقيد بانه عند المشعر
الحرام والثاني مطلق يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال فالاول اقامة للوظيفة الشرعية والثاني ارتقاء الى
معارج الحقيقة وهو ان ينقطع القلب عن المشعر الحرام بل عن كل ما سواه من حلال وحرام والمراد بالاول الجمع بين الصلوتين
هناك وبالثاني التسبيح والتحميد وان كنتم من قبله من قبل الهدى او من قبل الرسول او انزال الكتاب الذي بين فيه معالم
دينكم لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها
وبين النافية ثم افيضوا في هذه الافاضة قولان احدهما انه الافاضة من عرفات وعلى هذا فالاكثرون قالوا انه امر
لقريش وحلفائها وهم لانهم كانوا لا يجاوزون المزدلفة ويتعللون بان الحرم اشرف من غيره فالوقوف به اولى ولانهم اهل
الله وقطان حرمه فلا يليق بحالهم ان يساووا الناس في الموقف ترفعا وكما روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لما جعل ابا بكر اميرا في الحج امره باخراج الناس الى عرفات فلما ذهب مر على الحمس وتركهم فقالوا له الى اين وهذا مقام
ابائك وقومك فلم يلتفت اليهم ومضى بامر الله الى عرفات ووقف بها وامر سائر الناس بالوقوف بها والحاصل ثم ليكن
افاضتكم من حيث افاض الواقفون بعرفات لا من المزدلفة ومعنى ثم التفاوت بين الافاضتين وان الافاضة المامور بها
صواب والاخرى خطاء كما تقول احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الاحسان الى
كريم والاحسان الى غيره وبهذا التحقيق لا يلزم عطف الشيء على نفسه ويصير نفس المعنى فاذا افضتم من عرفات ولان
تقدم تقديم هذه الاية على ما قبلها في الوضع ومن القائلين بان المراد الافاضة من عرفات من قال الناس جميعا وقوله
من حيث افاض الناس المراد به ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فان من سنتهما ذلك وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقف في الجاهلية بعرفة مخالفا الناس ويخالف الحمس وايقاع اسم الجمع على الواحد جائز اذا كان رئيسا مقتدى
به اذ ابراهيم كان امة الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس يعني ابا سفيان ووجه ثالث وهو ان يكون من
حيث افاض الناس عبارة عن تقادم الافاضة من عرفات وان ما عداه مبتدع كما يقال هذا مما فعله الناس قديما القول
الثاني عن الضحاك المراد الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وقوله من حيث افاض الناس
يعني ابراهيم واسمعيل ومتبعيهما فان طريقتهم الافاضة من المزدلفة قبل طلوع على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والعرب
الذين كانوا وقفوا بالمزدلفة كانوا يفيضون بعد طلوع الشمس فامرهم الله تعالى بان يكون افاضتهم من المزدلفة في الوقت
الذي كان يحصل فيه افاضة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام واورد على هذا القول استعمال ثم للزمان قليل ويمكن ان يجاب بان القران
اولى ما يحتج به وعن الزهري ان الناس في هذه الاية ادم عليه السلام واحتج بقراة سعيد بن جبير من حيث افاض
الناسي بكسر السين اكتفاء من الياء بالكسرة من قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفات
شرع قديم فلا تتركوه واستغفروا الله عن مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم وليكن الاستغفار باللسان
مع التوبة بالقلب وهي ان تندم على كل تقصير منه في طاعة الله وبعدم ان لا يقصر فيما بعد ابتغاء لمرضات الله لا
للمنافع العاجلة والاستغفار بالحقيقة يجب على كل مكلف وان لم يعلم من ظاهر حاله خطيئة فان النقص لازم للامكان
والقصور من خصايص الانسان وكيف لا وقد قالت الملايكة وانهم ارفع حالا ما عبدناك حق عبادتك وصورة
الاستغفار على ما روى البخاري في صحيحه عن شداد ابن اوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار

امام

اللهم

اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء
لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ولو اقتصر على قوله استغفر الله كفى ولو زاد فقال
اللهم اني استغفرك واتوب اليك وانت التواب الرحيم او قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ذو الجلال والاكرام
من كل ذنب اذنبته ومعصية ارتكبتها واتوب اليه من الذنب الذي اعلم ومن الذنب الذي لا اعلم كان احسن
لما ان المبالغة كاملة مرارا واختلف اهل العلم في المغفرة الموعودة في هذه الاية فمن قايل انها عند الدفع من عرفات الى جمع ان الله غفور رحيم
بناء على القول الاول في الافاضة ومن قايل انها عند الرفع من جمع الى منى بناء على القول الاخر فاذا قضيتم مناسككم
اي فرغتم من عبادة الحج امرتم بها في الحج او من اعمال مناسككم اذ المناسك جمع المنسك وانه يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون
اسم مكان وعن مجاهد ان قضاء المناسك هو اراقة الدماء عن ابن عباس ان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم بعد ايام التشريق
يقفون بين مسجد منى وبين الجبل ويذكر كل واحد منهم فضائل ابائه في السماحة والحماسة وصلة الرحم وبيتا شعر وينثرها
الاستعار وغرضهم الشهرة والرفع بما ترسلهم فلما انعم الله تعالى عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لربهم لا لابائهم
ثم الفاء في قوله فاذكروا الله يدل على ان الفراغ من المناسك يوجب هذا الذكر فلهذا قيل هو الذكر على الذبيحة وقيل هو التكبيرات
بعد الصلوات في ايام النحر والتشريق وقيل هو الاقبال على الدعاء والاستغفار بعد الفراغ من الحج كالادعية الماثورة عقيب
الصلوة المكتوبة وقيل معناه فاذا قضيتم مناسككم وازلتم اثار البشرية وقهرتم القوى الطبيعية وامطتم الاذى عن
طريق السلوك فاشتغلوا بعد ذلك بتنوير القلب بذكر الله فان التخلية ليست مقصودة بالذات وانما الغرض التحلية
بواجب السعادات الباقيات والاول والثاني اثبات ومعنى كذكركم اباءكم توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر
الاباء وابتغوا الثنا على الله مقام تعداد مفاخر الاباء فانه ان كان كذبا اوجب الدناءة في الدنيا والعقوبة في العقبى وان
كان صدقا استتبع العجب والتباهي ان كانوا يذكرون الاباء ليتوسلوا بذلك الى اجابة الدعا فالاقبال بالكلية على ولي
النعماء اولى مع ان حسنات ابائهم محبطة بسبب اشراكهم وعن الضحاك والربيع اذكروا الله كذكركم اباءكم وامهاتكم
وذلك قول الصبي اول ما ينطق به ابه ابه امه امه اي كونوا مواظبين على ذكر الله كما يكون الصبي مواظبا في صغره على
ذكر ابيه وامه واكتفى بالاباء عن الامهات كقوله سرابيل تقيكم الحر وقال ابو مسلم جرى ذكر الاباء مثلا لدوام الذكر
والمعنى كما ان الذكر لا ينسى ذكر ابيه فكذلك يجب ان لا يغفل عن ذكر الله وقال ابن الانباري العرب اكثر اقسامها في الجاهلية
بالاباء فقال تعالى عظموا الله كتعظيمكم اباءكم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف بالاباء وقال من
كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقيل اذكروا الله بالوحدانية كذكركم اباءكم بالواحدنية فان الواحد منكم لو نسب
الى والدين تاذى منه واستنكف وقيل كما ان الطفل يرجع الى ابيه في طلب المهمات فكونوا انتم في ذكر الله وعن ابن عباس
معنى الاية ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالدك اذا ذكر بسوء وقوله او اشد ذكرا اما في موضع جر عطفا
على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا واما في موضع نصب
عطف على اباءكم يعني او اشد ذكرا من اباءكم على ان ذكرا من فعل المذكور من فعل الاباء لا فعل الذاكر وهو الاباء
فان الذكر بل كل فعل متعد له اعتباران اعتبار وقوعه على المفعول واعتبار صدوره عن الفاعل وذلك الفعل باحد
الاعتبارين مغاير له بالاعتبار الاخر وانما لزم اعتبار الفعل ههنا من جهة وقوعه على المفعول لان الاباء المفضل عليهم
هم المذكورون لا الذاكرون ويحتمل ان تقال المعنى فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم اباءكم او اشد ذكرا ولكن رد
عليه ان افعل ان يضاف الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك احسن وجه اي احسن الوجوه فاذا
نصبت ما بعده كان غير الذي قبله كقولك زيد افره عبدا فالفراهة للعبد لا لزيد والمذكور قبل اشد ههنا قيل هو
الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال الذكر اشد ذكرا من اضافة ووجه نصبه على ما قال ابو علي ان يجعل الذكر
ذاكرا مجازا نحو نسبة الذكر الى الذكر بان يسمع انسان الذكر فيذكر فكان الذكر قد ذكر لحدوثه بسببه وعلى
جميع الوجوه فليس او ههنا هو التشكيك وانما المراد به النقل عن الشيء الى ما هو اقرب واولى كقول الرجل
لغيره افعل هذا الى شهر او اسرع منه وانما امر الله تعالى ان يكون ذكره اشد لان مفاخر ابائهم متناهية وصفات
الكاملة غير متناهية وتلك مشكوكة وهذه متيقنة وغاية الاول تضييع وحرمان ولازم الثاني نور وبرهان

ثم انه تعالى بعد ما امر بالعبادة تصفية للنفس وتحلية لها عن ظلمات الكبر والضلال وامر عقيب ذلك بتنوير
الباطن بنور الجلال والجمال بكثرة الاشتغال بذكر الكبير المتعال نبه على حسن طلب مزيد الانعام والافضال فذكر ان
الناس فريقان منهم من قصر دعاءه على طلب اللذات العاجلة ومنهم من اضاف الى ذلك طلب نعيم الاخرة واهمل
القسم الثالث وهو ان يكون دعاءه مقصورا على طلب الاخرة تنبيها على ان ذلك غير مشروع ومن حقه ان لا يوجد
فان الانسان خلق ضعيفا لا طاقة له بالالم ولا بعذاب النار فالاولى به ان يستعيذ بربه من آفات الدنيا والاخرة
عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على رجل يعوده وقد انهكه المرض فقال له ما كنت تدعو الله به قال
كنت اقول اللهم ما كنت تعاقبني به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله انك لا تطيق
ذلك الا قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفي
والانصاف انه سبحانه لو سلط الالم على عرق واحد في البدن او على شعرة واحدة عجز الانسان عن الصبر اليه فقد
يفضي ذلك به الى الجزع ويعوقه عن اكتساب الكمالات ويحمله على اهمال وظائف الطاعات ومن ذا الذي
يستغني عن امداد الله اياه في دنياه وعقباه ثم المقتصرون في الدعاء على طلب الدنيا منهم عن ابن عباس انهم
المشركون كانوا يقولون اسقنا المطر واعطنا على عدونا الظفر ويحكى عن ابي علي الدقاق رحمه الله انه قال اهل
النار يستغيثون ثم يقولون افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله في الدنيا طلب المأكول والمشروب وفي النار طلب
المأكول والمشروب فلما غلبتهم شهواتهم افتضحوا في الدنيا والاخرة وقال الاخرون يحتمل ان يكونوا مسلمين وعوتبوا
لانهم سألوا الله في اعظم المواقف واشرف المشاهد اخس البضائع وادون المطالب المنبئة تارة بكثيف واخرى باحقر
من جناح بعوضة معرضين عن العيش الباقي والنعيم وقوله ربنا آتنا في الدنيا متروك المفعول الثاني كالمعلوم ويحتمل
ان يكون من قولهم فلان يعطي اي يوجد الاعطاء معناه اجعل عطاءنا في الدنيا خاصة واعلم ان مطامح النفس في الدنيا
احدى ثلث خصال روحانية هي تكميل القوة النظرية بالعلم وتتميم القوة العملية بتحصيل الاخلاق الفاضلة وبدنية
هي الصحة والجمال وخارجية هي الجاه والمال وكل من لا يؤمن بالبعث فانه لا يطلب فضيلة روحانية ولا جسمانية
الا لاجل الدنيا فيطلب العلم لاجل الترفع على الاقران ويكتسب الاخلاق لتدبير الامور المنزلية والمدنية قال عز
من قائل وما له في الاخرة من خلاق اي طلب نصيب حذف مفعول آتنا لان كل من ليس له في الاخرة طلب ولا همة الى
اقتناء السعادات الباقيات نزاع وطموح فمطلوبه عبث وسفه ووبال وضلال اي شيء فرضت علما وعملا روحانيا
او جسمانيا اللهم اجعلنا ممن لا ينظر في اي شيء ينظر الا اليك ولا يرغب في كل ما يرغب الا لاجل ما لديك ان صلاتي ونسكي
ومحياي ومماتي لله رب العالمين ثم انه سبحانه لم يذكر في هذه الاية ان هذا الفريق مجابة دعوتهم او لا فقال طائفة
من العلماء انهم ليسوا باهل الاجابة لان كون الانسان مجاب الدعوة صفة مدح ولا يليق الا باولياء الله والمرتضين
من عبيده وقال آخرون قد يكون الانسان مجابا لا كرامة واجتباء بل مكرا واستدراجا ويؤيده قوله سبحانه من كان
يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وعلى هذا ينبغي
ان يقال في الاية اضمار اي يقول ربنا آتنا في الدنيا فيؤتيه الله في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق لان همه مقصور
على الدنيا والحسنتان في دعاء الصالحين اما في الدنيا فالصحة والامن والكفاية والولد الصالح والزوجة الصالحة والنصر
على الاعداء وقد سمى الله تعالى الخصب والسعة في الرزق وما اشبه ذلك حسنة ان تمسسكم حسنة تسؤهم قل هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين قيل اما النصر واما الشهادة واما في الاخرة فالفوز بالثواب والخلاص من العقاب ولان
دفع الضرر اهم من جلب النفع صرح بذلك في قوله وقنا عذاب النار وهذه بالجملة كلمة جامعة لجميع خيرات الدنيا
والاخرى روى حماد بن سلمة عن ثابت انهم قالوا لانس ادع لنا فقال اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
وقنا عذاب النار قالوا زدنا قال ما تريدون سألت لكم خير الدنيا والاخرة وعن علي كرم الله وجهه الحسنة في الدنيا
المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقيل الحسنة في الدنيا العلم النافع وهو الايمان والطاعة
وفي الاخرة النعيم بذكر الله والانس به وبرؤيته قلت لا تلذذ في الدنيا والاخرة الا بهذا شعر [illegible]
وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي وعن قتادة الحسنتان طلب العافية في الدارين وعن الحسن هي في الدنيا

فهم كتاب

فهم كتاب الله وفي الاخرة الجنة ومنشأ البحث مجيء الحسنة منكرة في حيز الاثبات فكل من المفسرين حمل اللفظ على ما رآه
احسن انواع الحسنة عقلا او شرعا ويمكن ان يقال التنوين للتعظيم اي حسنة واي حسنة او يريد حسنة توافق حال
الداعي وحكمة المدعو وفيه من حسن الطلب ورعاية الادب ما ليس في التصريح فانه لا يكون الا ما يشاء او يريد
حسنة ما وان كانت قليلة فان النظر الى المنعم لا الى الانعام قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل
اولئك الدعوات بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو
المنافع الحسنة فمن للابتداء ويحتمل التعليل اي من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا والكسب ما يناله
المرء بعمله ومنه يقال للارباح انها كسب فلان او لهم نصيب مما دعوا به يعطيهم بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم
في الاخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب السرعة نقيض
البطء والحساب مصدر كالمحاسبة وهو العد قال الزجاج هو مأخوذ من قولك حسبك كذا اي كفاك وذلك انه فيه كفاية
وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان ومعنى كون الله محاسبا للخلق قيل انه يعلمهم ما لهم وعليهم بان
يخلق العلم الضروري في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها ومقادير ما لهم من الثواب والعقاب ووجه
هذا المجاز ان الحساب سبب لحصول علم الانسان بما له وعليه فاطلاق الحساب على هذا الاعلام اطلاق اسم
السبب على المسبب عن ابن عباس انه قال لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله يعطون كتبهم بايمانهم
فيها سيئاتهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم ويقال هذه حسناتكم قد ضعفتها
وقيل المحاسبة المجازاة وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا ووجه المجاز ان
الحساب سبب للاخذ والاعطاء وقيل انه تعالى يكلم العباد في احوال اعمالهم وكيفية ما لها من الثواب والعقاب
فمن قال ان كلامه ليس بحرف ولا صوت قال انه تعالى يخلق في اذن المكلف سمعا يسمع به كلامه القديم كما يخلق
في عينيه رؤية يرى بها ذاته القديمة ومن قال انه صوت قال انه يخلق كلاما يسمعه كل مكلف اما بان يخلق
ذلك الكلام في اذن كل واحد منهم او في جسم يقرب من اذنه بحيث لا يبلغ قوة ذلك الصوت مبلغا يمنع الغير من فهم
ما كلف به فهذا هو المراد من كونه محاسبا لخلقه ومعنى كونه سريع الحساب ان قدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات
من غير ان يفتقر في احداث شيء الى فكر وروية ومزاولة وعلاج ولذلك ورد في الخبر انه يحاسب الخلق في مقدار
حلب شاة وروي في لمحة او انه سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم لانه قادر على ان يعطي مطالب جميع الخلائق
في لحظة واحدة كما ورد في الدعاء المأثور يا من لا يشغله سمع عن سمع او ان وقت جزائه وحسابه سريع يوشك ان
يقيم القيامة ويحاسب العباد فكفى له اقترب للناس حسابهم قوله تعالى واذكروا الله اي بالتكبير في ادبار الصلوة وعند
الجمار يكبر مع كل حصاة وفيه دليل على وجوب الرمي بالتكبير امر بالذي يتوقف التكبير على حصوله وانما اختير هذا
النسق لانهم ما كانوا منكرين للرمي وانما كانوا يتركون ذكر الله تعالى عنده في ايام معدودات هي ايام التشريق ثلثة
ايام بعد النحر اولها يوم القر لان الناس يستقرون فيه بمنى والثاني يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون في هذا اليوم
من منى والثالث يوم النفر الثاني عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر مناديا فنادى
الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج وايام منى ثلثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه واعلم ان
التكبير المشروع في غير الصلوة وخطبة العيدين نوعان مرسل ومقيد فالمرسل هو الذي لا يتقيد ببعض الاحوال بل
يؤتى به في المنازل والمساجد والطرق ليلا ونهارا كما مر في تفسير قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وذكر
صورة التكبير هناك ايضا ولا فرق في التكبير المرسل بين عيد الفطر والاضحى واما التكبير المقيد فاظهر الوجهين انه
لا يستحب في عيد الفطر لم ينقل ذلك عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه وانما يستحب في الاضحى
وتقييده هو ان يؤتى به في ادبار الصلوات خاصة واختلفوا في ابتدائه وانتهائه فقيل من ظهر يوم النحر الى ما بعد
طلوع الصبح من آخر ايام التشريق فيكون التكبيرات على هذا في خمس عشرة صلوة وهو قول ابن عباس وابن عمر
وبه قال مالك والشافعي في اشهر قوليه ووجهه ان الناس فيه تبع للحجاج وهم يبتدئون التكبير عقيب الظهر يوم

بحث التكبير

النحر الي مضي خمس عشرة صلوة فتكون اخرها صلوة الصبح من اخر ايام منى وذكرهم قبل التلبية والقول الثاني
للشافعي انه يبتدي من صلوة المغرب ليلة النحر الي الصبح من اخر ايام التشريق فيكون التكبير في اعقاب ثماني
عشرة صلوة والقول الثالث له يبتدي من صلوة الفجر يوم عرفة وينقطع بعد الصلوة العصر من يوم النحر فتكون
التكبيرات بعد ثماني صلوات وهو قول علقمة والاسود والنخعي وابو حنيفة فاعترض عليه بان هذه التكبيرات تنسب
الي ايام التشريق فوجب ان يوتى بها فيها وان انضم معها زمان اخر فلا اقل من ان تكون هي اغلب والقول الرابع يبتدا بها
من صلوة الفجر يوم عرفة وينقطع بعد صلوة العصر من اخر ايام التشريق فيكبر عقيب ثلث وعشرين صلوة وهو قول
اكابر الصحابة كعلي وعمر وابن مسعود ومن الفقها قول الثوري وابي يوسف ومحمد واحمد واسحق والمزني لما روى جابر ان
النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح يوم عرفة ثم اقبل علينا فقال الله اكبر ومد التكبير الي العصر من اخر ايام التشريق
ولان هذا هو الاحوط فتكثير الخير احسن من تقليله وعلى هذا القول انما كون التكبيرات مضافة الي ايام التشريق
لانها اكثر تلك المدة قال الجوهري تشريق اللحم تقديده ومنه ايام التشريق لان لحوم الاضاحي تشرق فيها في الشمس
وقيل هو من قولهم اشرق ثبير كيما نغير وقيل سميت بذلك لان الهدي لا ينحر حتى تشرق الشمس واما رمي ايام
التشريق فانه يجب ان يرمي كل يوم بعد الزوال والغروب كل جمرة من الجمرات الثلث بالترتيب مبتديا من الجمرة الاولى
من جانب المزدلفة ومختتما برمي جمرة العقبة وهي التي تلي مكة رميات سبعة في سبع دفعات لان النبي صلى الله عليه
وسلم كذلك رماها وقال خذوا عني مناسككم فجملة ما يرمى في الحج يرمي الي جمرة العقبة يوم النحر سبع حصاة واحدى
وعشرون في كل يوم من ايام التشريق الي الجمرات الثلث الي واحدة سبع بقدر ما يتقبل به قولا وفعلا ويكبر مع كل حصاة
وعلى الحجيج ان يبيتوا بمنى لليلتين الاوليين من ليالي التشريق فاذا رموا اليوم الثاني فمن اراد منهم ان ينفروا ان ينفر
قبل غروب الشمس فله ذلك ويسقط عنه مبيت الليلة الثالثة والرمي من الغد وذلك قوله تعالى فمن تعجل في يومين
فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت الليلة الثالثة ويرمي يوما وبه قال احمد ومالك والشافعي
وعند ابي حنيفة يسوغ النفر ما لم يطلع الفجر فاذا طلع لزم التاخر الي اتمام الايام الثلثة وذلك قوله تعالى ومن تاخر
فلا اثم عليه لمن اتقى قال في الكشاف تعجل واستعجل يجيئان متعديين مثل تعجل الذهاب واستعجله مطاوعين بمعنى
عجل وهذا اوفق لقوله ومن تاخر والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعن الشافعي
لا يجوز كسائر الايام وقد سيل هيهنا ان المتاخر قد استوفى ما عليه من العمل فكيف ورد في حقه فلا اثم عليه
وهذا انما يقال في حق المقصر الذي يظن انه قد رهقه اثام فيما اقدم عليه واجيب بان الرخصة قد تكون عزيمة كالقصر
عند ابي حنيفة والشيعة لا يجوز في السفر غيره فلما كان هذا الاحتمال يرفع الحرج في الاستعجال والتاخر دلالة على
ان الحاج مخير بين الامرين او بان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من يجعل المتعجل اثما ومنهم من يجعل المتاخر
اثما مخالفا لسنة الحج فبين الله تعالى ان الاثم على واحد منهما وقيل ان المعنى في ازالة الاثم عن المتاخر انما هو لمن
زاد على مقام الثلثة فكانه قيل ان ايام منى التي ينبغي المقام بها فيها ثلثة فمن نقص فلا اثم عليه ومن زاد على
الثلثة ولم ينفر مع عامة الناس فلا شي عليه وقيل الاية سيقت لبيان ان الحج مكفر للذنوب والاثام لا لبيان التعجيل
وتركه سيان كما ان الانسان اذا تناول الترياق فالطبيب يقول له الان اذا تناولت السم فلا باس وان لم تتناوله فلا باس
يريد ان الترياق دواء كامل في دفع المضار لان تناول السم وعدم تناوله يجريان مجرى واحدا وقيل ان جوار البيت مكروه
عند كثير من العلما لان ذلك قد يفضي الي نقص حشمة البيت ووقعه في قلبه وعينه فامكن ان يختلج في قلب
احد ان التعجيل افضل بناء على هذا المعنى ولما في التعجيل من المسارعة الي طواف الزيارة فبين تعالى انه لا حرج
في واحد منهما وقال الواحدي هذا من باب رعاية المقابلة والمشاكلة مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها بل هيهنا
اولى لان المندوب يصدق عليه انه لا يصدق اثم على صاحبه فيه وجزاء السيئة ليس بسيئة اصلا واما
قوله لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي كيلا يتخالج في قلبه اثم منهما
باذا التقوى متحرزة من كل ريبة وقيل معناه ان هذه المغفرة انما تحصل لمن كان متقيا قبل حجه كقوله انما يتقبل الله
من المتقين او لمن كان متقيا عن جميع المحظورات حال اشتغاله بالحج وقوله واتقوا الله اي فيما يستقبل به حتى على

تسمية ايام التشريق

بحث الرمي

ملازمة التقى فيما بقي من عمره وتنبيه على مجانبة الاغترار بالحج السابق كما ان قوله واعلموا انكم اليه تحشرون تاكيد للامر
بالتقوى وبعث على التشدد فيه لان الحشر هو اسم يقع على ابتداء خروج الناس من الاجداث الي انتهاء الموقف [illegible]
لزوم بسبب الاتقا عن ترك الواجبات وفعل المحظورات والمراد من قوله انه حيث لا مالك سواه ولا ملجا الا اليه ولا مستعان
الا هو يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله التاء وقيل الحج اشهر معلومات هي مدة الحيوة الفانية وقيل
الي اربعين سنة ولهذا قيل الصوفي بعد الاربعين بارد ونعم لو صدق في طلبه قبل الاربعين وما امكنه الوصول فقريب من ان
يحصل مقصوده بعد الاربعين ومن فاته الطلب في عنفوان شبابه الي ان بلغ الاربعين تجري منه عليه الحيف اذ ضيع اللبن
في الصيف لكنه يصلح للعبادة التي اخرها الجنة فلا رفث فلا يميل الي الدنيا وزينتها ولا يجعلها كالمحرم كالاغتسال لماء الجنابة
يستتر بازار التواضع والانكسار ويرتدي برداء التذلل والافتقار ولا فسوق ولا خروج من الاوامر والنواهي بل لا يخرج
من الوقت ولا يدخل فيما يورث المقت ولا جدال في الحج ولا نزاع للسالك الصادق في طلب الوصول لا بالفروع ولا بالوصول ولا
في مالها مع احد يخاصم ولا في حاجتها لاحد ينازعهم فمن نازعه في شي من ذلك يسلمها اليه ويسلم عليه واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما وتزودوا لكل سالك زاد فزاد اولي الفتوة تحلك وسوق دم الذين مقصدهم البيت ومقصودهم الجنة
وزاد اولي الالباب التقوى دم من مقصدهم ومقصودهم رب البيت وتقوى اهل الفتوة مجانبة الزلات ومواظبة الطاعات
وتقوى اولي الالباب مجانبة الصفات بالصفات والذات بالذات فلما كان مقصودهم خير المقاصد كان زادهم خير الزاد
ان تبتغوا فضلا فمقام ابتغاء الفضل يعني الرحمة بترك الوجود وبذل المجهود هو في سيره الي عرفات ومقام ابتغائه يعني
مواهب القربة ببذل الوجود وعند الوقوف بعرفات لان الحج عرفة وعرفة المعرفة ومقام ابتغائه يعني الزهد وهو قبل سيره
الي عرفات وقال جمع من المحققين انه بعد استكمال الحج الحقيقي لانه لقوة عرفانه بالله لا تفضه الدنيا بل يكون تصرفه فيها
بالله في الله لله عند المشعر الحرام يعني القلب الذي حرام غلبة الاطمينان يعني ذكر الله واذكروه كما هديكم اي كما هدى
قلوبكم يهدي نفوسكم لئلا يقع في خطر حب الدنيا فان كنتم قبل الوقوف بعرفات المعرفة من الضالين في طلب الدنيا وحظوظ
النفس من حيث افاض الناس يعني محمدا وسائر الانبيا والاوليا عليهم السلام اي لكن الاضافة من عرفات المعرفة لاجل
اداء الحقوق بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واستغفروا الله لاجل انانية عند المخالطة مع الخلق كقوله اذا جاء
نصر الله كقوله واستغفره اي اذا وجدت هذا لا تخلوا عن خطاما فاستغفر فاذا قضيتم مناسككم الوصال وبلغتم
مبلغ الرجال فلا تامنوا مكر الله وحافظوا على الذكر كذكركم اباءكم في صغركم للافتقار وفي كبركم للافتخار
او اشد ذكرا لانه يمكن الاستغنا من الاب ولا يمكن الاستغنا من الله والله سريع الحساب لان اثر الطاعة واثر
المعصية يظهر في الحال على القلب في ايام معدودات هي ايام البداية والوسط والنهاية فمن تعجل في يومين ونفى على الوسط
ليكون من اهل الجنة فلا اثم عليه ومن تاخر الي ان يصل يوم النهاية حتى يكون من اهل الله فذلك لمن اتقى الرجوع والوقوف والله ولي

التوفيق

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ
وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ
لَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُبِينٌ ۝ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا

انْ يَأْتِيَهُمُ اللّٰهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلٰئِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ط وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٥

القراءة مرضاة بالامالة والوقف بالهاء علي وكذلك يقف علي هيهات هيهات وعلي حذاق ذات وعلي ام ابنؤم اللات وعلي ولات حين ولات وعلي مؤنم ابنت واتق ابو عمرو في ولات حين بالهاء السلم بفتح السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وعلي الباقون بالكسر والملائكة بالجر يزيد عطفا علي ظلل او علي الغمام او للجوار وان كان فاعلا بأتيهم الباقون بالرفع ترجع الامور حيث كان بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بضم التاء وفتح الجيم **الوقوف** قلبه لا لان الواو للحال الخصام ٥ والنسل ط الفساد ٥ جهنم ط المهاد ٥ مرضات الله ط بالعباد ٥ كافة ص لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مع احتمال الجواز مبين ٥ حكيم ٥ وقضى الامر ط الامور ٥ **التفسير** لما امر بيانا للحج الي تعدد بذكر الناس بحسب اعراضهم في الدعا ناسب ان يعطف علي تقسيم اخر يعرف منه مطامح انظار الناس علي الاطلاق ليعرفوا ارباب النفاق من اصحاب الوفاق عن السدي نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وهو حليف بني زهرة اقبل الي النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فاظهر له الاسلام وزعم انه يحبه وقال والله يعلم اني لصادق فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم مر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فاحرق الزرع وعقر الحمر وقيل انه اشار الي بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه سائر الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به فقالوا نعم الراي ما رايت ثم خنس بثلثمائة رجل من زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمي بهذا السبب اخنس وكان اسمه ابي بن شريق فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعجبه وعن ابن عباس والضحاك ان كفار قريش بعثوا الي النبي صلى الله عليه وسلم انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك فبعث اليهم جماعة فلما كانوا ببعض الطريق ركب من الكفار سبعون راكبا فاحاطوا بهم فقتلوهم وصلبوهم وفيهم نزلت وقوله بعد ذلك ومن الناس من يشري نفسه انه الي هولاء الشهداء واختيار المحققين من المفسرين لانه لا يمتنع ان تكون الاية نازلة في الرجل ثم يكون عامة في امثاله فهذه الاية عامة في المنافقين فان السنتهم تخالف وقلوبهم امرّ من الصبر والضمير في قوله يعجبك يعود الي من ويحتمل ان يكون جمعا ولكنه افرد نظرا الي اللفظ ومعنى يعجبك يروقك ويعظم في نفسك وفي الحيوة الدنيا اما ان يتعلق بقوله اي يعجبك ما يقوله في باب الدنيا طلبا للمصالح العاجلة فقط كالامان من القتل والاخذ من المغانم واما ان يتعلق بيعجبك لان قوله وحلو كلامه انما يعجب السامع في الدنيا ولا يعجبه في الاخرة لما يرهقه في الوقف من الهيبة والحيرة ولانه لا يوذن له في الكلام والخطاب اما للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل سامع ويشهد الله علي ما في قلبه يحتمل ان يكون ذلك الاستشهاد بالحلف وان يكون بقوله الله شاهد علي ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وهو الد الخصام الالد الشديد الخصومة واللديد جانب الوادي كان كلا من المتخاصمين في جانب ومنه اللدود وهو ما يصب من الادوية في احد شقي الفم واضافة الالد بمعنى كقولهم ثبت الغدر وتلي الطرف او جعل الخصام الد علي المبالغة نحو جد جده والخصام جمع خصم كصعاب في صعب والمعنى هو اشد الخصوم خصومة والحاصل انه حلو باطل شديد الفسوق في معصية الله عالم اللسان جاهل العمل واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بالثبك المسلمين باحراق الزروع وعقر المواشي واصل السعي المشي بسرعة وقد استعار لايقاع الفتنة والتضريب بين الناس وقيل لما انصرف من بدر مر ببني زهرة وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زرعهم وعلى هذا اصح قوله ويهلك الحرث والنسل تفصيلا لما اجمله قوله ليفسد وقيل افساده القاء الشبه في عقائد المسلمين وعلى هذا فيكون اهلاك الحرث والنسل معنى اخر وهذا التقسيم مناسب لان كمال الانسان بالعلم والعمل ونقصه بضدهما فيكون الافساد اشارة الي نقص قوته النظرية والاهلاك عبارة عن فعل المنكرات وفيه نقصان قوته العملية وقيل اذا تولى اي اذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل فالحرث الزرع والنسل الولد ونسلنا الناقة يولد كثيرا والتركيب يدل علي الخروج وقيل اهلاك الحرث قتل النسوان نساؤكم حرث لكم واهلاك النسل افناء الصبيان والله لا يحب الفساد قالت المعتزلة معناه لا يريد الفساد وفيه دليل علي انه لا يريد القبائح واذا

لم يردها لم يخلقها لان الخلق لا يمكن الا بالارادة ومنعهم ان المحبة نفس الارادة بل المحبة عبارة عن مدح الشي وذكر تعظيمه ثم الدليل الدال علي ان لا مرجح لاحد جانبي كل ممكن علي الاخر الا الله ولا انسداد باب اثبات الصانع يدل علي ان الكل بارادته ومشيته وتم تحقيق ذلك فيما سلف واعلم انه سبحانه حكى عن المنافقين جملة من الافعال الذميمة الاولى حسن كلامه في طلب الدنيا الثانية استشهاده بالله كذبا وبهتانا الثالثة لجاجه في ابطال الحق واثبات الباطل الرابعة سعيه في الارض للافساد الخامسة سعيه في اهلاك الحرث والنسل وقوله والله لا يحب الفساد جملة معترضة ثم ذكر خصلة سادسة اشنع من الكل دالة علي جهلة المركب وحرد وعجب عن النزحي متصحيحي وذلك قوله واذا قيل له اتق الله في ارتكاب شي من هذه المنهيات والقائل اما الرسول صلى الله عليه وسلم قولا خاصا او عاما لجميع المكلفين فيدخل المنافق فيه واما كل واعظ وناصح اخذته العزة بالاثم من قولهم اخذت فلانا بان يفعل كذا اي الزمته ذلك وحملته عليه اي اخذته الغلبة والاستيلاء والانفة وحمية الجاهلية ان يعمل الاثم وذلك الاثم هو ترك الالتفات الي هذا الوعظ وعدم الاصغاء اليه او من قولهم اخذته الحمي اي الزمته واخذه الكبر اي اعتراه ذلك والمعنى لزمته عزة العزة الحاصلة بسبب الاثم الذي في قلبه وذلك الاثم هو الكفر والجهل وعدم النظر في الدلايل فحسبه جهنم كافية هي جزاء له يستوي فيه الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر مرتفعه علي الخبرية او علي الابتداء اذا كان ما بعده معرفة او علي الابتداء فقط اذا كان نكرة مثل حسبك درهم وعلى هذا يكون الاضافة معنوية البتة وعلي تقدير كونه خبر الوقوع المعرفة بعده تكون الاضافة لفظية اي محسب وكاف له قال يونس واكثر النحويين جهنم اسم للنار التي يعذب الله بها في الاخرة وهي اعجمية وفيها العلمية والتانيث وقال اخرون اسم عربي سميت نار الاخرة بها لبعد قعرها حكي عن روبة انه قال ركية جهنام اي بعيدة القعر وقيل اشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ ومنه رجل جهم الوجه اي غليظ سميت بذلك لغلظة امرها في العذاب والعقاب ولبيس المهاد هي ما يمهد لاجله فان المعذب في النار يلقى على النار كما يوضع الشخص علي الفراش ويحتمل ان مصدر بمعنى التمهيد والتوطية قوله تعالى ومن الناس من يشري الاية قال سعيد بن المسيب اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته واخذ قوسه ثم قال والله لا يصلون الي او اضرب بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم دللتكم علي مالي دفنته بمكة وخليتم سبيلي ففعلوا فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا الاية وقيل اخذ المشركون صهيبا فعذبوه فقال لهم صهيب اني شيخ كبير لا يضركم اكنت منكم ام من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني وديني ففعلوا ذلك وكان قد شرط عليهم راحلة ونفقة فخرج الي المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر في رجال فقال له ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى قال صهيب وبيعك فلا تخسر ماذاك فقال نزلت فيك كذا وقرا الاية وعن الحسن نزلت في ان المسلم لقي الكافر فقاتله حتى قتل نزلت في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سمع عمر بن الخطاب انسانا يقرا هذه الاية فقال عمر انا لله رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل وقيل نزلت في علي عليه السلام بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خروجه الي الغار ويروى انه لما قام علي فراشه قام جبريل عند راسه وميكائيل عند رجله ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة ونزلت الاية ثم ان الاية تدل على ان هنهنا مبايعة فاكثر المفسرين علي ان العامل هو البايع ومعنى يشري يبيع ويشروه بثمن بخس والله هو المشتري ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وعمل المكلف وهو بذل نفسه في طاعة الله من الصلوة والصيام والحج والجهاد وهو المثمن والجنة هي الثمن وقيل يحتمل ان يراد بالشري ههنا الاشتراء وذلك ان من اقدم علي الكفر والمعاصي فكان نفسه خرجت عن ملكه وصارت حقا للنار واذا اقدم علي الطاعة صار كانه اشترى نفسه من النار فصار حال المومن كالمكاتب يبذل دراهم معدودة ويشتري بها والمومن يبذل انفاسا معدودة ويشتري بها نفسه لكن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وكذا المكلف لا يخرج عن ربقة العبودية ما دام يبقى له نفس واحد في الدنيا وهذا قول عيسى عليه السلام واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وقوله عز من قايل لنبيه واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وابتغاء مرضات الله اي طلب رضوانه نصب علي العلة الغائية وفيه دليل علي ان كل مشقة يتحملها الانسان يجب ان يكون علي وفق الشرع ومطلوبا بها جانب الحق والا

كان عمله ضلالاً وكدّه وبالاً والله رؤف بالعباد فمن رأفته جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل وجوّز لهم كلمة الكفر ابقاءً على النفس الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومن رأفته انه لا يكلف نفساً الا وسعها ومن رأفته ان المصرّ مائة سنة اذا تاب ولو لحظة اسقط عقابه واعطاه ثوابه ومن رأفته ان النفس له والمال ثم انه يشتري ملكه بملكه فضلاً منه وامتناناً ورحمة واحساناً قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ويطلق ايضاً على الصلح وترك الحرب والمنازعة وهو ايضاً راجع الى هذا وانه يذكر ويؤنث واختلف في المخاطبين فقيل امر للمسلمين بما يضاد حال المنافقين اي الذين امنوا بالالسنة والقلوب دوموا على الاسلام فيما تستقبلونه من اياكم ولا تخرجوا منه ولا من شيء من شرائعه ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تلتفتوا الى الشبهات التي تلقيها اليكم اهل الغواية والكائن في الذات اذا علم الله في المستقبل خروجاً منها لا يمتنع ان يؤمر بدخولها في المستقبل حالاً بعد حال ومعلوم ان المؤمنين قد يخرجون من خصال المؤمنين بالنوم والسهو وغيرها من الاحوال ولا يبعد ان يامرهم الله في الدخول بالاسلام فيما يستأنف من الزمان وامرهم بان يكونوا مجتمعين في نصرة الدين واحتمال البلوى فيه ولا تتبعوا اثار الشيطان بالاقبال على الدنيا والحيرة والجور في امر الدين مثلاً ولا تنازعوا فتفشلوا او يكون المراد بالدخول في السلم وترك الذنوب والمعاصي فان من مذهبنا ان الايمان باقٍ مع الفسق والعصيان او يكون المراد الرضا بالقضاء والتلقي لجميع المكاره بالبشر والطلاقة كما ورد في الخبر الرضا بالقضاء باب الله الاعظم ويكون المراد ترك الانتقام وسلوك طريقة العفو والاغماض واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً وفي قوله كافة يصلح ان يكون حالاً من المأمورين اي ادخلوا باجمعكم في السلم ولا تتفرقوا واختلفوا وان يكون حالاً من السلم على انه مؤنث كالحرب اي ادخلوا في شرائع الاسلام كلها واصل الكف المنع فسمي الجميع كافة لان الاجتماع يمنع التفرق والشذ وذو رجل مكفوف اي كف بصره من ان ينظر ومنه كفة القميص لانها تمنع الثوب من الانتشار والكف طرف اليد لانه يكف بها عن سائر البدن وقيل الخطاب للمنافقين والتقدير يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا بكليتكم في الاسلام ولا تتبعوا اثار تزيين الشيطان فتشوبه بالاقامة على النفاق وقيل نزلت في مسلمي اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه حين ارادوا ان يبقوا على بعض شرائع موسى كتعظيم السبت وقراءة التورية واستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فامروا ان يدخلوا في شرائع كافة ولا تتمسكوا بشيء من الاحكام التورية لثبوت نسخها بالكلية فان التمسك بها بعد تبين نسخها من اتباع اثار الشيطان وقيل السلم الاسلام والخطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بالكتاب المتقدم اكملوا طاعتكم بالايمان بجميع انبيائه وكتبه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالشبهات التي تتمسكون بها في بقاء تلك الشريعة انه لكم عدو مبين عن ابي مسلم ان المبين من صفات البليغ الذي يعرب عن ضميره ولا يخفى انه اعرب عن عداوته لادم ولنسله وقيل مبين من الابانة القطع وذلك انه يقطع المكلف بوسوسة عن طاعة الله وثوابه ومرضاته وقوله فان زللتم المخاطبون ههنا المخاطبون في قوله ادخلوا فيجيء الخلاف فيها بحسب الخلاف هناك والمعنى العام فان دحضت اقدامكم وانحرفتم عن الطريق الذي امرتم به من بعد ما جاءتكم البينات الدلائل العقلية والسمعية على ان ما دعيتم الى الدخول فيه الى الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم وهذه نهاية في الوعيد كما لو قال الوالد لولده ان عصيتني فانت عارف بي وبشدة سطوتي كان ابلغ في الزجر من التصريح بضرب من ضروب العذاب وكما ان قوله تشتمل على الوعيد البليغ فقوله حكيم يشتمل على الوعد الحسن فان اللائق بالحكمة تمييز المحسن من المسيء وان لا يستوي بينهما في الثواب والعقاب روي ان قارئاً قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه يكون اغراء عليه قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله الاية معنى النظر ههنا الانتظار واما اتيان الله فقد اجمع المفسرون على انه سبحانه منزه عن المجيء والذهاب لان هذا من شأن المحدثات والمركبات وانه تعالى ازلي فرد في ذاته وصفاته فذكروا في الاية وجهين الاول وهو مذهب السلف الصالح السكوت في مثل هذه الالفاظ من التاويل وتفويضه الى مراد الله تعالى كما يروى عن ابن عباس انه قال نزل القران على اربعة اوجه وجه لا يعذر احد بجهالته ووجه يعرفه العلماء ويفسرونه ووجه يعرف من قبل العربية فقط ووجه لا يعلمه الا الله الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انه لابد من التاويل على سبيل التفصيل فقيل جعل مجيء الايات مجيئاً له تفخيماً لها كما يقال جاء الملك اذا جاء جيش عظيم من جهته وقيل المراد باتيان

بحث تاويل صفات الله

امر

امره وبأسه فحذف المضاف بدليل قوله في موضع اخر او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا وايضاً اللام في قوله وقضي الامر يدل على معهود سابق وما ذاك الا الذي اضمرنا ولا يقال امر الله عندكم صفة قديمة فالاتيان عليها محال وعند المعتزلة اصوات فيكون اعراضاً فالاتيان عليها ايضاً محال لانا نقول الامر قد يطلق على الفعل وما امر فرعون برشيد فجاز ان المراد ما يليق بتلك المواقف من الاهوال واظهار الايات المنبهة وان حملنا الامر على ضد النهي فلا يبعد ان ينادي منادي يوم القيمة ان الله يامركم بكذا ومعنى كونه في ظلل من الغمام ان سماع ذلك النداء ووصول تلك الظلل يكون في ان واحد ويكون المراد حصول اصوات مقطعة مخصوصة في تلك الغمامات تدل على حكم الله تعالى على كل احد بما يليق به من السعادة والشقاوة وانه تعالى يخلق نفوساً منظومة في ظلل من الغمام لشدة بياضها وسواد تلك الكتابة يعرف بها حال الموقف في الوعد والوعيد ويكون فائدة الظلل انه تعالى جعلها امارة لما يريد انزاله بالقوم ليعلموا ان الامر قد حضر وقيل الباء محذوف والمعنى الا ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله عزيز وفائدة الحذف كونه ابلغ في الوعيد لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه وقيل ان في بمعنى الباء اي يأتيهم الله بظلل من الغمام والمراد العذاب الذي يأتيهم في الغمام مع الملائكة وقيل الغرض من ذكر اتيان الله تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع كقوله والارض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا قبض ولا طي ولا يمين وانما الغرض تصوير عظمة شأنه وقيل بناء على ان الخطاب في ادخلوا في السلم لليهود والمراد انهم لا يقبلون دين الحق الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وذلك ان اليهود كانوا على اعتقاد التشبيه فيجوزون المجيء والذهاب على الله تعالى ويقولون انه تعالى تجلى لموسى عليه السلام على الطور في ظلل من الغمام فطلبوا مثل ذلك في زمن محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون حكاية عن معتقد اليهود ولا يبقى اشكال فان الاية لا تدل الا على ان قوماً ينتظرون اتيان الله وليس دلالة على انهم محقون في ذلك الانتظار مبطلون والظلل جمع ظلة وهي ما اظلك والغمام لا يكون كذلك الا اذا كان مجتمعاً ومتراكماً فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها تكون في غاية الكثافة والعظم وكل قطعة ظلة والجمع ظلل والاستفهام ههنا في معنى النفي اي ما ينتظرون الا ان يأتيهم عذاب الله في ظلل من الغمام وفيه تقطيع شأن العذاب وتهويله لان الغمام مظنة الرحمة واذا نزل منه العذاب كان اشنع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يتوقع الخير او نزول الغمام علامة لظهور الاهوال في القيمة قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً واستعير لشدة العذاب تتابع القطر واتيان الملائكة ليقوموا بما امروا به من تعذيب وتخريب ولا حاجة الى التاويل لان اتيانهم ممكن وقضي الامر فرغ من امر اهلاكهم وتدميرهم ادعا كانوا يوعدون به ولا يقال لهم عثرة ولا يصرف عنهم عقوبة ولا ينفع في دفع ما نزل بهم حيلة والتقدير الا ان يأتيهم الله ويقضي الامر ووضع الماضي موضع المستقبل اما للتنبيه على قرب العذاب او الساعة كل ما هو ات واما لان اخبار الله كالواقع المقطوع به وقيل الامر المذكور ههنا هو فصل القضاء بين الخلائق واخذ الحقوق لاربابها وانزال كل احد من المكلفين منزلته من الجنة او النار وعن معاذ بن جبل بنصب الامر مصدر مرفوع عطفاً على لفظ الله والملائكة والى الله ترجع الامور وذلك انه ملك عباده كثيراً من امور خلقه اما اذا صار الى الاخرة فلا مالك للحكم بين العباد سواه وهذا كقولهم رجع امرنا الى الامير اذا كان هو مختص بالنظر فيه فعلى المكلف ان يدخل في السلم كما امر وتحترز عن اتباع اثار الشيطان كما نهي لان الامور ترجع اليه جل جلاله وهو تعالى يرجعها الى نفسه بافناء الدنيا واقامة القيامة فهذا معنى القراءتين في ترجع وايضاً قراءة ضم التاء وفتح الجيم على مذهب العرب في قولهم فلان معجب بنفسه ويقول الرجل لغيره الى اين يذهب بك وان لم يكن احد يذهب به او المراد ان العباد يجحدون امورهم الى خالقهم ويعترفون برجوعها اليه اما المؤمنون فبالمقال واما الكافرون فبلسان الحال ولله يسجد من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والاصال التأويل النفس الامارة تظهر الاشياء المموهة والاقوال المزخرفة وتري انها ادل الاولياء ولكنها اعدى الاعداء وتسعى في تخريب ارض القلب وابطال حرث الصدق في طلب السعادة واهلاك نسل ما تولد من الاخلاق الحميدة وتشمخ بانفها عن قبول الحق فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري هذا شأن الاولياء باعوا انفسهم خالصاً

لوجه الله لا لاجل الجنة ادخلوا في السلم كافة اي بجميع الاجزاء والاعضاء الظاهرة والباطنة ودخول القلب في
الاسلام يكون بدخول الايمان في القلب ودخول الروح في الاسلام يكون بتخلقه باخلاق الله بتسليم الاحكام والانقياد
لله ودخول السر في الاسلام بفنائه في الله وبقائه بالله وهذا مقام يضيق عن اعلانه نطاق النطق ولا يسع
اظهاره في ظروف الحرف شعر وان قميصا خيط من نسج تسعة وعشرين حرفا من معانيه قاصر

سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته
فان الله شديد العقاب ۝ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين
امنوا م والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ط والله يرزق من يشاء بغير حساب ۝
كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ص وانزل معهم
الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ط وما اختلف فيه الا الذين اوتوه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ج فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من
الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ۝ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ط مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى
يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله ط الا ان نصر الله قريب ۝

القراءة ليحكم بضم الياء وفتح الكاف يزيد وكذلك في ال عمران والنور موضعين الباقون بفتح الياء وضم
الكاف يقول برفع اللام نافع الباقون بالنصب الوقوف بينة ط لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع تقدير حذف اي ومن يبدلها
ومن يبدل العقاب ۝ من الذين امنوا م لان والذين مبتدا ولو وصل صار فوقهم حينئذ ظرفا ليسخرون او حالا
لفاعل يسخرون وقبحه ظاهر يوم القيمة ط حساب ۝ ومنذرين ص لعطف المتفقتين فيما اختلفوا فيه ط بينهم ج لعطف
المختلفتين باذنه مستقيم ۝ من قبلكم ط للفصل بين الاستفهام والاخبار لانه قوله ولما ياتكم عطف على ام حسبتم
ولما ياتكم متى نصر الله ط قريب ۝ التفسير انه سبحانه لما امر بالسلم نهى عن مقابلها ثم قال فان زللتم من بعد ما جاءتكم
البينات اي فان اعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد ثم بين ذلك التهديد بقوله فاعلموا ان الله
عزيز حكيم ثم ثنى ذلك بقوله هل ينظرون الاية ثلث التهديد بقوله سل بني اسرائيل والخطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم او لكل احد والسوال سوال تقريع كما يسال الكفرة والا فكثرة الايات التي اوتوها معلومة باعلام الله تعالى
والمراد سل هولاء الحاضرين على انهم لو ثبتوا على ايات الله لوقعوا في العذاب كما وقع اولئك المتقدمون كي يعتبروا
ويتعظوا وكم يحتمل الاستفهامية والخبرية ومن انه مميزها وقد فصل بين المميز وبينها بالفعل فان كانت استفهامية
فالتقدير سلهم عن عدد اياتنا الايات اياهم حتى يخبروك عن كميتها وان كانت خبرية فالمعنى سلهم عن اتيانا
كثيرا من الايات اتيناهم والايات اما المعجزات اما معجزات موسى عليه السلام كفرق البحر وتظليل الغمام والمن والعصا
واليد ونحوها وهي تسع ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات واما الدلائل الدالة والدلائل وهي اجل اقسام النعم

لانها

لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة ثم ان قلنا الايات معجزات موسى فتبديلها ان الله تعالى اظهرها لتكون اسباب
هدايتهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وان قلنا الاية البينة هي ما في التوراة والانجيل
من الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فتبديلها تحريفها وادخال الشبه وقيل المراد بنعمة الله ما اتاهم من اسباب
الصحة والامن والكفاية فتبديلها انهم لم يجعلوها واسطة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف بل استعملوها في غير
ما اوتيت هي لاجله وعلى هذا فقوله من بعد ما جاءته معناه ظاهر واما على القول الاول وهو ان المراد من النعمة الايات فمعنى
مجيئها التمكن من معرفتها او عرفانها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها ولم يعرفها فكانها
غائبة فان الله شديد العقاب قال الواحدي الرابطة محذوفة اي له والتحقيق ان ترك هذا الاظهار اولى فانه اذا علم
موصوفا بهذا الوصف لزم من ذلك انه يعاقب المبدل ان شاء ولكن لا يلزم من كونه شديد العقاب للمبدل كونه متصفا
بذلك وصفا ذاتيا ثم قال الواحدي والعقاب عذاب يعقب الجرم ثم انه تعالى ذكر السبب الذي لاجله كان التبديل
بينهم فقال زين للذين كفروا الاية والغرض تعريف المومنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفاني من زينة الدنيا على
الباقي من نعيم الاخرة والتذكير في زين اما لان الحيوة والاحيا واحد وللفصل مع ان التانيث ليس بحقيقي عن ابن
عباس ان الاية نزلت في ابي جهل واضرابه من كبار قريش وقيل في رؤساء اليهود وعلمائهم وعن مقاتل نزلت في
المنافقين ولا مانع من نزولها في جميعهم لان كلهم كانوا في التنعم والراحة كانوا يسخرون من فقراء المومنين والمهاجرين ثم المزين
نقل عن المعتزلة انهم غواة الجن والانس قبحوا امر الاخرة في اعين الكفار واوهموا ان لا صحة لها فلا تنغصوا عيشكم في الدنيا
كقول من قال شعر اتترك لذة الصهباء نقدا لما وعدوك من لبن وخمر قالوا واما الذي يقول المجبرة من انه تعالى زين ذلك
فباطل لان المزين للشيء هو المخبر عن حسنه فاذا كان المزين هو الله تعالى فلا بد ان يكون صادقا في ذلك الاخبار فيكون
فاعله المستحسن له مصيبا وان كان كافرا واصابة الكافر كفرا فهذا القول كفر وزيف بان تزيين الكفر لجميع الكفار
لا بد ان يكون خارجا منهم وقولهم المزين للشيء هو المخبر عن حسنه مردود وانما المزين يجعل الشيء موصوفا بالاوصاف الحسنة
سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان الله تعالى يكون مخبرا عن حسنه من حيث انه اخبر عما فيها من اللذات والراحات وهذا الخبر
ما ليس بكذب والتصديق به ليس بكفر وقال ابو مسلم الكفار زينوا لانفسهم والعرب تقول اين يذهب بك لا يريدون
ان ذاهبا ذهب ومنه قوله تعالى انى يوفكون انى تصرفون ولما كان الشيطان لا يملك ان يحمل الانسان على الفعل قهرا
فالانسان بالحقيقة هو الذي يزين لنفسه والتحقيق ان المزين هو الله تعالى كما صرح بذلك في قوله انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وكيف لا وانتهاء جميع الحوادث اليه اظهر في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب
والحلاوة وركب في الطباع حب الشهوات والميل الى الطيبات لعلي سبيل الابتلاء الذي لا يمكن بتركه الا مع امكان
رد النفس عنها ليجاهد المومن هواه فيقبض نفسه عن المباح ويكفها عن الحرام فيتم غرض الابتلاء ويقول المراد
من التزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا ولم يمنعهم عن الاقبال عليها والحرص الشديد في طلبها وقيل ان الله تعالى
زين من الحيوة الدنيا ما كان من المباحات دون المحظورات وهو ضعيف لان الله تعالى خص بهذا التزيين الكفار
وتزيين المباحات لا يختص به الكفار وقيل المراد من تزيين المباح للكافر انه دائم السرور به وان قلت ذات يده لكونه
مفقود الهمة بطلب عيش غير العيش الدنيا بخلاف المومن فان تمتعه من طيبات الدنيا وبهجتها وان كثر ماله
وجاهه مكدر بالخوف والوجل من الحساب في الاخرة قلنا تزيين المباح في نظر الكافر بحيث يفضي به الى الاشتغال
عن الاخرة مستقبح ايضا فالكلام فيه كالكلام في تزيين المحظور فيبقى الاشكال بحاله ولا تخلص الا بالاسناد
الكل اليه تعالى بعد الذكر ما سلف لنا مرارا في حقيقة الجبر والقدر ولما اخبر الله تعالى عنهم بانه زين لهم الحيوة
العاجلة اخبر عنهم بعد ذلك بفعل يديمونه فقال ويسخرون من الذين امنوا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم
يقولون هولاء المساكين تركوا طيبات الدنيا وتحملوا المتاعب لطلب الاخرة ولا يخفى انه لو بطل حديث المعاد لكان لهذه
السخرية وجه لكنه لو ثبت القول بالمعاد وصح كانت السخرية منقلبة عليهم لانهم اعرضوا عن الملك الابدي والنعيم
المقيم بسبب لذات حقيرة في انفاس معدودة فلهذا قال سبحانه والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اما بالمكان لانهم
في عليين وهم في سجين واما بالرتبة والشرف فلانهم في معارج الانس وهم في هاوية النيران ويحتمل ان يراد

انهم من فهم بالجنة لان فرح الكفار وشبههم كانت تورث بوسوسة الشيطان ونحو د استبعاد امر المعاد وفرح المتقين
يوم القيمة يستند الى العيان وبعد الرحمن ونادي اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا قالوا نعم او يراد ان سخرية المومنين بالكافرين يوم القيمة لكونها حقا وباقية فوق سخرية الكافرين
بالمومنين في الدنيا لكونها باطلة او منقضية وفي قوله والذين اتقوا دون ان يقول امنوا كما قال من الذين امنوا حث على
التقوى وان كرامة المومنين منوط بها والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير وذلك ان الكفار يستدلون بحصول
الزخارف الدنيوية لهم انه على الحق وبحرمان فقراء المسلمين عنها على انهم على الباطل فرد الله تعالى عليهم قولهم بان
ذلك متعلق بامر المشية وقد يستتبع في الاستدراج في حق الكافر والابتلاء في حق المومن او يرزق من يشاء من مومن
وكافر بغير حساب يكون لاحد عليه ولا مطالبة ولا سوال سائل فالامر امره والحكم حكمه ولا يسئل عما يفعل او من حيث
لا يحتسب كما يقول الرجل اذا جاءه ما لم يكن قد قدره ما كان هذا في حسابي فالمعنى ان الكفار وان كانوا يسخرون من
فقراء المومنين فلعل الله تعالى يرزق المومنين من حيث لم يحتسبوا ولقد فعل ذلك بهم فاغناهم بما افاء عليهم من
اموال صناديد قريش ورؤساء اليهود ويسر لهم الفتوح حتى ملكوا كنوز قيصر وكسرى او المراد ان ما يرزق العبد
في الدنيا من الدنيا فلحرامها عذاب ولحلالها حساب وما يرزق العبد في الاخرة من النعيم المقيم فنعيم بغير عذاب ولا
حساب ويحتمل ان يخص الرزق في الاية بالمومنين وفي الاخرة وعلى هذا يكون بغير حساب اي رزقا واسعا رغدا
لا فناء له ولا انقطاع ولا حصر كقوله يرزقون فيها بغير حساب او يقال ان المنافع الواصلة اليهم في الجنة بعضها
ثواب وبعضها تفضل كما قال ويوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله فالفضل بلا حساب او الحساب انما يحتاج اليه
اذا كان بحيث اذا اعطى شيئا ينقص قدر الواجب عما كان والثواب ليس كذلك فانه بعد انقضاء الادوار ولا
يكون ثواب المستحق بحكم الوعد والفضل باقيا على هذا لا يتطرق الحساب البتة في الثواب او اراد ان الذي يعطي
لا نسبة له الى ما في خزائن ملكه وقدرته ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي او يعني بغير حساب بغير استحقاق وانما
يعطي بمجرد الفضل والاحسان او معناه انه يزيد على قدر الكفاية او انه لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج الى حساب ما
يخرج منه قوله سبحانه كان الناس امة واحدة الاية فيه اشارة الى ان التباغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا
ولذاتها لا يختص بهذا الزمان وانما كان ذلك داء قديم في الانسان ثم الامة الواحدة كانوا على الحق او على الباطل
فيه للمفسرين اقوال الاول انهم كانوا على الحق واختاره المحققون لوجوه منها قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما
اختلفوا فيه وهذا يدل على ان النبيين عليهم السلام بعثوا حين الاختلاف وصيرورة بعضهم مبطلا ولو كانوا
قبل ذلك مجتمعين على الكفر لكان بعث الانبياء اليهم حينئذ اولى ومنها النقل المتواتر ان ادم واولاده كانوا مسلمين
مطيعين لله الى ان قتل قابيل هابيل حسدا وبغيا وعن ابن عباس انه كان بين ادم ونوح عشرة قرون على
شريعة من الحق ومنها ان وقت الطوفان لم يبق الا اهل السفينة وكلهم كانوا على الحق والدين الصحيح فلعل الشارع
الناس اليهم ومنها ان الدين الحق يتوقف على النظر والنظريات مستندة بالاخرة الى مقدمات يعلم صحتها بضرورة
العقل والى ترتيب كذلك فالعقل السليم لا يغلط لو لم يعرض له سبب من خارج فالثواب له بالذات والخطأ والعوارض
وما بالذات اقدم مما بالعرض بحسب الاستحقاق وبحسب الزمان ايضا فالاولى ان يقال كان الناس على الحق ثم
اختلفوا لاسباب خارجة كالبغي والحسد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه القول الثاني وهو مروي عن ابن عباس والحسن وعطا انهم كانوا على الباطل لان
بعثة الانبياء مترتبة على ذلك ولو كانوا على الحق لم يحتج الى بعثتهم ولهذا قيل ان تقدير الاية فاختلفوا فبعث الله
كما قرا به ابن مسعود فالاصل عدم الاضمار والقراءة الشاذة لا يعتد بها ومتى كان الناس متفقين على الكفر
قالوا من وفاة ادم الى زمان نوح عليه السلام كانوا كفارا بحكم الاغلب وان كان فيهم بعض المسلمين كهابيل وشيث
وادريس عليهم السلام كما يقال دار الكفر وان كان فيه مسلمون القول الثالث عن ابي مسلم والقاضي ابي بكر
انهم كانوا امة واحدة في التمسك بالشرائع العقلية وهي الاعتراف بوجود الصانع وصفاته والاشتغال بخدمته
وشكر نعمه والاجتناب عن القبائح العقلية كالظلم والكذب والعبث واحتج بان لفظ النبيين معرف فيفيد

العموم والفاء توجب التعقيب فيعلم من ذلك ان تلك الوحدة متقدمة على الشرائع فيكون الاستفادة من العقل
ثم سال القاضي نفسه فقال اوليس اول الناس ادم وانه كان نبيا مبعوثا واجاب بانه يحتمل ان يكون مع اولاده متمسكين
بالشرائع العقلية اولا ثم ان الله تعالى بعثه الى اولاده ويحتمل ان شرعه قد صار مندرسا ثم رجع الناس
الى الشرائع العقلية القول الرابع التوقف فلا دلالة في الاية على انهم كانوا محقين او مبطلين القول
الخامس ان المراد من الناس اهل الكتاب الذين امنوا بموسى عليه السلام ثم اختلفوا بسبب البغي والحسد فبعث الله
النبيين ومعهم الكتب كما بعث داود ومعه الزبور وعيسى ومعه الانجيل ومحمد ومعه القرآن صلوات الرحمن عليهم ليكون
تلك الكتب فيرادا بالناس اذن ناس معهودون ثم انه تعالى وصف النبيين بصفات ثلث الاول كونهم مبشرين
الثاني كونهم منذرين وقدمت البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة والانذار يجري مجرى
ازالة المرض والاول كتناول الغذاء والثاني كتناول الدواء والاول لكونه مقصودا بالذات مقدم على الثاني
لانه مقصود بالعرض والصفة الثالثة قوله وانزل معهم الكتاب وفي قوله منهم والضمير يعود الى عامة النبيين
دليل على انه لا نبي الا ومعه كتاب منزل فيه بيان الحق والباطل طال ذلك ام قصر دون ذلك الكتاب ام لم يدون معجزا كان
او غير معجز قيل انزال قبل وصول الامر والنهي المكلفين ووصول الامر والنهي اليهم قبل التبشير والانذار على انزال الكتاب
واجيب بان الوعد والوعيد منهم قبل بيان الشرع ممكن فيما يتصل بالعقليات من المعرفة بالله وترك الظلم وغيرهما وبان
المكلف انما يحتمل النظر في دلالة المعجز على الصدق وفي الفرق بين المعجز والسحر اذا خاف انه لو لم ينظر فربما ترك الحق فيصير
مستحقا للعقاب والخوف انما يقوى عند التبشير والانذار فلهذا قدم ذكرها على انزال الكتاب قلت فيه فائدة اخرى
لفظية هي ان لا تقع فاصلة كثيرة بين الثالثة وبين الاوليين او بين الثالثة او بين ما يترتب عليها من قوله ليحكم
اي الكتاب لانه اقرب ولا محذور في نسبة الحكم اليه تجوزا كما لا محذور فيه في كونه هدى وشفاء واللام للجنس
او اريد مع كل واحد كتابه وقيل ليحكم الله لانه الحاكم في الحقيقة لا الكتاب وقيل ليحكم النبي المنزل عليه بين الناس
فيما اختلفوا فيه اي في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق او في كل ما اختلفوا فيه ولم يعرفوا وجه الصواب
في ذلك بحسب حكم الله وما اختلف فيه اي في الحق الا الذين اوتوه الكتاب المنزل لازالة الاختلاف كانهم عاكسوا الكتاب
بتنقيض ما انزل لاجله انزل كيلا يختلفوا فازدادوا في الاختلاف وفيه دليل على ان الاختلاف في الحق لم يوجد الا بعثة
الانبياء وانزال الكتب كما مر في القول الاول وقال كثير من المفسرين المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى
واختلافهم اما تكفير بعضهم بعضا واما تحريفهم وتبديلهم من بعد ما جاءتهم البينات يحتمل ان يكون كالبيان لايتاء
الكتاب اي وما اختلف فيه الا من بعد مجيء البينات التي هي الكتب كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من
بعد ما جاءتهم البينة ويحتمل ان يكون هذه البينات مغايرة لايتاء الكتاب ويعني بها الدلائل العقلية التي
نصبها الله تعالى على اثبات الاصول التي لا يمكن اثباتها بالدلائل السمعية واذا حصلت الدلائل العقلية والسمعية
لم يكن لمعتذر عذر ولا علة ولو حصل الاعراض كان سببه بغيا بينهم وحسدا وظلما لحرصهم على الدنيا ولقلة الا
نصاف وكثرة الاعتساف ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من
اختلف واللام بمعنى الى الحق اي هداهم الى ما اختلفوا فيه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا باذنه
قال الزجاج بعلمه وقيل بامره وبالامر يحصل التمييز بين الحق والباطل فيحصل الهداية وقيل في الاية اضمار اي فهدى
فاهتدوا باذنه اذ لا جائز ان ياذن لنفسه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو الحق الموصل الى كمال الدارين
او هو طلب الجنة ولما كان ذلك الحق او الطلب لا يتاتى الا باحتمال شدائد التكليف واعباء الارشاد قال سبحانه
ام حسبتم على طريق الالتفات التي هي ابلغ تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين على الثبات والصبر
مع المخالفين من اهل الكتاب والمشركين فان من كان نظره اعلى في مراتب قرب المولى فبلاوه اوفى وهو بالابتلاء
اولى قال في الكشاف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده وقال القفال تقدير
الاية فهدى الذين امنوا لما اختلفوا فيه حين صبروا على استهزاء قومهم فتسلكون سبيلهم ام تحسبون ان تدخلوا
الجنة من غير سلوك سبيلهم ولما يأتكم فيه معنى التقريع وفيه دليل على ان الاتيان متوقع منتظر عن ابن عباس

لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضر عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم في ايدي المشركين واظهرت اليهود العداوة فانزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم ام حسبتم وقال قتادة والسدي نزلت في غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد والخوف وكان كما قال سبحانه وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في احد لما قال عبد الله ابن ابي لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى متى تقتلون انفسكم وتنصرون الباطل لو كان محمد نبيا ما سلط الله عليكم الاسر والقتل والمعنى ام حسبتم ايها المومنون انكم تدخلون الجنة بمجرد الايمان بي والتصديق لرسولي دون ان تعبدوا الله بكل ما تعبدكم وابتلاكم بالصبر عليه وان ينالكم من اذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة الضر والبوس في المعيشة ومقاساة الاهوال في جهاد العدو كما نال ذلكم من قبلكم من المومنين ومثل الذين خلوا حالهم التي هي مثلهم في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قايلا يقول كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وهي عبارة عن تضييق جهات الخير والمنفعة عليه والضراء وهي اشارة الى انفتاح ابواب الشر والافة اليه وزلزلوا وازعجوا بانواع البلايا والرزايا ازعاجا شديدا تشبيها بالزلزلة وهي من زول الشيء عن مكانه والتضعيف في اللفظ لتضعيف في المعنى وقيل معناه خوفوا وليس ببعيد لان الخائف لا يستقر بل يضطرب لقلقه ولهذا لا يقال ذلك الا في الخوف المقيم المقعد ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك شيئا هو الغاية في الدلالة على كمال الضر والبوس والمحنة فقال حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله لان الرسل لا تقادر قدر ثباتهم واصطبارهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك غاية في الشدة لا مطمح وراءها من قرا يقول بالنصب فعلى اضمار ان ومعنى الاستقبال بالنظر الى ما قبل حتى وان لم يكن مستقبلا عند الاخبار ومن رفع فعلى الحال الماضية المحكية كقولهم شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا ان نصر الله قريب اي فقيل لهم ذلك اجابة الى طلبتهم فكونوا انتم معاشر المومنين كذلك في تحمل الاذى والمتاعب في طلب الحق فان نصر الله قريب لانه ات وكل ما هو ات قريب والحاصل ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينالهم من المشركين والمنافقين اذى كثيرا ولما اذن لهم في القتال نالهم من الجراح وذهاب الاموال والانفس ما لا يخفى فعزاهم الله تعالى ذلك فبين ان حال من قبلهم في طلب الدين كان ذلك والمصيبة اذا عمت طابت وذكر الله من قصة ابراهيم عليه السلام والقايه في النار ومن امر ايوب عليه السلام وما ابتلاه به ومن امر ساير الانبيا في صابرتهم على انواع المكاره ما صار ذلك سلوة للمومنين روى خباب ابن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان في قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل بنصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يصير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون وههنا سوال وهو انه كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده ان يقول على سبيل الاستبعاد متى نصر الله والجواب ان كونه رسولا لا يمنع ان يتاذى من كيد الاعدا فاذ ضاق قلبه وقلت حيلته وكان قد سمع من الله تعالى بنصره الا انه ما عين له ذلك الوقت قال عند ضيق قلبه متى نصر الله حتى انه لو علم قرب الوقت زال همه وطاب قلبه ولهذا اجيب بان نصر الله قريب لا بان نصر الله كاين وهذا الجواب يحتمل ان يكون من الله ويحتمل ان يكون قولا لقوم منهم اذا رجعوا الى انفسهم وعلموا ان الله لا يخلف الميعاد وقيل انه تعالى اخبر عن الرسول والذين امنوا انهم قالوا قولا ثم ذكروا كلامين احدهما متى نصر الله والثاني ان نصر الله قريب فهذا الثاني قول الرسول والاول قول المومنين كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله والمعنى لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله بالنهار ثم في الاية دليل على ان كل من لحقه شدة يجب ان يعلم انه سيظفر بزوالها لانه اما ان يتخلص عنه واما ان يموت واذا مات فقد وصل الى من لا يهمل امره ولا يضيع حقه وذلك من اعظم الفرح اللهم انصرنا من عندك فانك نعم المولى ونعم الوكيل التاويل انه تعالى اذا فتح باب الملكوت على قلب عبد من خواصه وريه ايات دكرامانه فان تغير باحواله وتعجب بكماله فيقبل على حظوظ النفس ويبدل نعمة الله بعد انفتها ورضاها فان الله شديد العقاب بان تغير احواله ويسلب عنه كماله كان الناس امة واحدة على الحق على الفطرة يوم الميثاق وانزل معهم الكتاب الذي جرى به القلم للسعادة او الشقاوة كقوله ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها

من الجنة او النار وما اختلف كل فريق الا وقد اوتي السعادة او الشقاوة في حكم الله وقضايه ولكن ما حصلت السعادة والشقاوة للفريقين الا من بعد البينات وهي معاملتهم فيها يتبين السعيد من الشقي وبالعكس والله اعلم

يسئلونك ماذا ينفقون ط قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ط وما تفعلوا من خير فان الله به عليم ۝ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ط والله يعلم وانتم لا تعلمون ۝ يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ط وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه والفتنة اكبر من القتل ط ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ط ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة ج واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۝ ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله ط والله غفور رحيم ۝

الوقوف

ينفقون ط السبيل ط للابتداء بالشرط عليم كره لكم لتفصيل الاحوال شر لكم ط لا تعلمون ۝ قتال فيه كبير على ان قوله وصد مبتدا وما بعده معطوف عليه وقوله اكبر عند الله خبره وقد يقال وصد عطف على كبير اي القتال فيه كبير وسبب صد عن سبيل الله وكفر بالله تعالى وبنعمة المسجد الحرام وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فتوقف هناك فيجعل واخراج اهله مبتدا وقيل وصد عطف والوقوف على سبيل الله وكفر به مبتدا والوجه هو الاول لانتظام المعنى اي القتال فيها وان كان كبيرا ولكن الصد والكفر والاخراج التي كانت اكبر من القتل ط ان استطاعوا ط والاخرة لاختلاف الجملتين وان اتفقتا فتكرار اولئك تنبيه على الابتدا مبالغة في تعظيم الامر النار خالدون ۝ في سبيل الله لان ما بعده خبر ان رحمت الله ط رحيم ۝ التفسير انه سبحانه لما بالغ في وجوب الاعراض عن العاجل والاقبال على الاجل بكل ما يمكن الدخول في السلم وبذل المهج والاموال والصبر على مواجب التكاليف والدعا الى الدين القويم انتظاما لنصرة الله شرع بعد ذلك في بيان الاحكام وهو من هذه الاية الى قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم جريا على سنته المرضي من خلط بيان التوحيد وذكر النصيحة والوعظ ببيان الاحكام ليكون كل منها موكدا للاخر الحكم الاول بيان مصرف الانفاق يسالونك ماذا ينفقون عن ابن عباس نزلت الاية في رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي دينارا فقال انفقه على نفسك فقال ان لي دينارين فقال انفقهما على اهلك فقال ان لي ثلثة دنانير فقال انفقها على خادمك فقال ان لي اربعة قال انفقها على والديك قال ان لي خمسة قال انفقها على قرابتك قال ان لي ستة قال انفقها في سبيل الله وهو احسنها اي افضلها ثوابا وعنه في رواية ابي صالح انها نزلت في عمرو ابن الجموح وهو

الذي قتل يوم احد وكان شيخا كبيرا هرما وعنده مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها اما بحث
ماذا فقد تقدم في قوله ماذا اراد الله بهذا مثلا واما ان القوم سالوا عما ينفقون لا عن مصرف النفقة البتة فكيف طابق
قوله في الجواب قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الاية فالوجه فيه انه حصل في الاية ما يكون جوابا عن
السوال وضم اليه زيادة بها يكمل المقصود وذلك ان قوله ما انفقتم من خير يتضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير
وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا اذا صرفت الى جهة الاستحقاق قال القفال والسوال
وان كان واردا بلفظ ما الا ان المقصود هو الكيفية لان من المعلوم لهم ان الذي امروا بانفاقه مال يخرج قربة الى الله
تعالى وحينئذ يكون الجواب مطابقا للسوال كما طابق قوله انها بقرة لا ذلول تسلم سوالهم عن البقرة ما هي حيث
كان من المعلوم ان البقرة بهيمة تشابهك كذا وكذا فتوجه الطلب الى تعيين الصفة الماهية وقيل انهم لما سالوا
هذا السوال اجيبوا بان السوال فاسد انفق اي شيء كان ولكن بشرط كونه حلالا واصرفه الى مصرفه
كما لو سال شخص صحيح المزاج طبيبا حاذقا اي طعام آكل والطبيب يعلم انه لا يضره اكل الطعام اي طعام كان فيقول
له كل في اليوم مرتين اي كل ما شئت ولكن بهذا الشرط فكذا ههنا المعنى لينفق اي شيء اراد لكن بشرط وهو ان
يراعي الترتيب في الانفاق فيقدم الوالدين لانهما كالسبب لوجوده وقد ربياه صغيرا ثم الاقربين لان
الانسان لا يمكنه ان يقوم بمصالح جميع الفقراء والترجيح لا بد له من مرجح والقرابة يصلح للترجيح لانه اعرف بحاله
والاطلاع على غنى الغني مما يحمل المرء على الانفاق وايضا لو لم يعطه فربما احتاج الى الرجوع الى غيره وذلك عار
وشنار وايضا قريب المرء كجزء منه والانفاق على النفس اولى من الانفاق على الغير ثم اليتامى لعدم قدرتهم
على الاكتساب لصغرهم ثم المساكين الذين هم عن اليتامى وابناء السبيل لانهم سبب الاشتراك في دار الاقامة
من انفسهم ثم ابناء السبيل المنقطعون عن بلدهم وما لهم يتبلغون به الى اوطانهم وما تفعلوا من خير من انفاق شيء
من مال بناء على ان الخير هو المال او من كل ما يتعلق بالبر والطاعة طلبا لجزيل الثواب وهربا من العقاب فان الله به
عليم فيجازيكم احسن الجزاء عن السدي ان الاية منسوخة بفرض الزكوة وقال المحققون ويرد كونها الحسن انها
ثابتة فقد يكون الانفاق عن الفروع والاصول ويحتمل ان يكون المراد من احب التقرب الى الله تعالى كتب عليكم
القتال كان النبي صلى الله عليه وسلم غير ماذون في القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن في قتال من يقاتله من
المشركين ثم اذن في قتال المشركين عامة ثم فرض الله تعالى الجهاد قال بعض العلماء هذه الاية تقتضي وجوب
القتال على الكل فرض عين لا كفاية اما الوجوب فمستفاد من لفظ كتب واما العموم فلان قوله عليكم من الوجه على
الموجودين وعلى من سيوجد كما في قوله كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام وعن مكحول انه كان يحلف
عند البيت بالله ان الغزو واجب وعن ابن عمر وعطا ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي العمل به من واحد
قوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودات في ذلك الوقت والعموم في عليكم الصيام مستفاد من دليل
منفصل هو الاجماع وذلك الدليل مفقود ههنا بل الاجماع منعقد على انه من فروض الكفاية الا ان يدخل المشركون
ديار المسلمين فانه يتعين الجهاد وحينئذ على الكل وهو كره لكم ليس المراد ان المومنين ساخطون لاوامر الله
تعالى فان ذلك ينافي الاسلام وان المراد كون القتال شاقا على النفس وهكذا شاق على النفس هكذا شان
سائر التكاليف وكيف لا والتكليف التزام ما فيه كلفة ومشقة وانها في القتال اكثر لانها اعظم ما يميل اليه
الطباع فبذلها اليسير يهون شعر والجود بالنفس اقصى غاية الجود وايضا كراهتهم للقتال قبل ان فرض
لما فيه من الخوف من كثرة الاعداء وتارة توالي الغنى فبين تعالى ان الذي تكرهونه من القتال خير لكم من
تركه للمصالح التي تذكرها والكره الكراهة وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ويجوز ان يكون بمعنى مفعول
كالخبز بمعنى المخبوز اي مكروه لكم وقرئ بالفتح بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه
على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم ومشقته عليهم كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته
كرها وقال بعضهم الكره بالضم ما كرهته مما لم تكره عليه والا كان الاكراه فبالفتح وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم فربما كان الشيء شاقا عليكم في الحال وهو سبب للمنافع الجليلة في الاستقبال وبالضد ولهذا حسن شرب

الدواء

الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في الاستقبال وتحمل الاخطار في الاسفار لتحصيل الربح في المال وكذا تحمل المتاعب
في طلب العلم للفوز بالسعادة العظمى في الدنيا والعقبى شعر العلم ادى له مر مذاقته لكن اخره احلى من العسل
وههنا كذلك لان ترك الجهاد وان كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل وصون المال عن الانفاق ولكن فيه انواع
من المفاسد والمضار وادناها تسلط الكفار واستيلاؤهم على ديار المسلمين وربما يودي الى ان استباحوا بيضة الاسلام
بحريمهم واستاصلوهم عن اخرهم واما منافع الجهاد ففيها الظفر بالغنائم ومنها الفرح العظيم بالعدو واما ما يتعلق بالدين فالثبات
عليه والثواب في الاخرة وترغيب الناس في الاسلام واعلاء كلمة الله وتوطين النفس للفراق على حب البلاد والانقطاع عن
عالم الحس قال الخليل عسى من الله واجب في القران فعسى الله ان ياتي بالفتح وقد وجد وعسى الله ان ياتيني بهم جميعا وقد حصل
والتحقيق ان معنى الرجاء فيه يعود الى المكلف وان كان المرجو معلوما لله تعالى كما بينا في لعل والله يعلم وانتم لا تعلمون وذلك
ان علمه تعالى فعلي يعلم الاسباب وما يترتب عليه من الحوادث وما نشات هي منها يحيط علمه بالمبادي والغايات ولا يعزب
عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وعلمكم انفعالي فلعلكم تعكسون التصورات فتظنون المبادي غايات وبالعكس
والمصالح مفاسد وبالضد وفيه ترغيب عظيم في اداء وظائف التكاليف وتخويف شديد عن نتيجة العصيان والمراد ان الانسان
اذا تصور بقصور نفسه وكمال علم الله تعالى علم انه لا يامر العبد الا بما فيه خيره وصلاحه فيلزم نفسه امتثاله وان كرهه
طبعه فكانه تعالى يقول ايها العبد علمي اكمل من علمك فكن مشتغلا بطاعتي ولا تلتفت الى مقتضى هواك فهذه الاية في هذا
المقام يجري مجرى قوله تعالى في جواب الملائكة اني اعلم ما لا تعلمون الحكم الثاني قوله سبحانه يسلونك عن الشهر الحرام
اكثر المفسرين على ان هولاء السائلين هم المسلمون حيث اختلج في صدورهم ان يكون الامر بالقتال مقيدا بغير الشهر الحرام والمسجد
الحرام قال النبي صلى الله عليه وسلم هل يحل لهم القتال في هذا الزمان وهذا الزمان وسببه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل يحل لهم القتال في هذا الزمان في جمادى الاخرى قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر
شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشة بن محصن الاسدي
وعتبة بن غزوان السلمي وابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضا وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد
بن بكير وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت
منزلين فافتح الكتاب واقرا على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله
يومين ثم نزل وفتح الكتاب واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل
بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تاتينا منه بخبر فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه
ذلك وقال انه قد نهاني ان استكره احدا منكم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع قد اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن
غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه فاستاذنا ان يتخلفا في طلب بعيرهما فاذن لهما فتخلفا في طلبه ومضى ببقية اصحابه حتى نزلوا
بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت بهم عير قريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن
الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا راوه
محلوقا امنوا وقالوا هم قوم عمار فحلقوا راس عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا هم قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان
ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهي رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه
الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي
بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمان وكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم
واستاق المومنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت قريش قد استحل
محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويتذعر فيه الناس لمعايشهم سفك فيه الدماء واخذ فيه الحرائب وعير بذلك
اهل مكة من كان بها من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر
الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ من ذلك شيئا فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط في
ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري افي جمادى اصبناه ام في

جادى وأكثر الناس في ذلك فنزلت يسئلونك عن الشهر الحرام فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها
الخمس فكان أول الخمس وقسم الباقي بين أصحاب السرية وكان أول غنيمة في الإسلام فبعث أهل مكة في فداء أسيريهما
فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وإن لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافرا وأما
نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله وطلب
المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية قيل إن هذا السؤال كان من
الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام حتى لو أخبرهم بأنه حرام استحلوا قتاله فيه فنزلت
يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه خفض يدل على أنه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة ابن مسعود عن قتال فيه بتكرير
العامل وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتال فيه كبير أي عظيم مستنكر كأنه سمي العظم كبيرة وإنما جاز وقوع قتال مبتدأ لكونه
موصوفا بالظرف فإن قيل كيف نكر القتال في قوله قل قتال ومن حق النكرة كما ذكرت أن يكون المذكور ثانيا معرفا مشارا
به إلى الأول وإلا كان الثاني مغايرا للأول قلنا لأن المراد بالقتال الأول الذي سألوا عنه القتال الذي أقدم عليه عبد الله
بن جحش فلو جيء بالثاني معرفا لزم أن يكون ذلك من الكبائر مع أن الغرض منه كان نصرة الإسلام وإعلاء كلمته فاختير
التنكير لقوله تنبيها على أن القتال المنهي عنه هو الذي يقوى به الكفر ويهدم قواعد الدين لا الذي سألوا عنه ثم الجمهور
اتفقوا على أن حكم هذه الآية حرمة القتال في الشهر الحرام وهل بقي ذلك الحكم أو نسخ عن ابن جريج أنه قال حلف لي بالله
عطاء أنه لا يحل للناس الغزو في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا على سبيل الدفع وروى جابر قال لم يكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام إلا أن يغزى وسئل سعيد بن المسيب هل يصلح للمسلمين أن يقاتلوا في الشهر الحرام
قال نعم قال أبو عبيد والناس بالثغور اليوم جميعا على هذا القول يرون الغزو مباحا في الأشهر الحرم كلها ولم أر أحدا
من علماء الشام والعراق ينكره عليهم وكذلك أحسب قول أهل الحجاز والحجة في إباحته قوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم ويمكن أن يقال إن قوله قتال فيه كبير نكرة في حيز الإثبات فيتناول فردا واحدا لا كل الأفراد فلا يلزم
منه تحريم القتال في الشهر الحرام مطلقا فلا حاجة إلى تقدير النسخ والله أعلم وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام
وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال في الأشهر الحرم فكيف يعيبون عبد الله بن جحش على ذلك القتال
مع أنه ظن أنه في جادى واعلم أن قوله وصد قد مر وجوه إعرابه والوقف أما قوله والمسجد الحرام فقيل إنه معطوف
على الهاء في به عند من يجوز العطف على المضمر المجرور من غير إعادة الجار كقراءة حمزة تساءلون به والأرحام بالخفض
والكفر بالمسجد الحرام منع الناس عن الصلوة والطواف به وقيل إنه معطوف على سبيل الله أي صد عن سبيل الله
وصد عن المسجد الحرام واعترض بأنه يلزم الفصل بين صلة المصدر الذي هو الصد وبين المصدر بالأجنبي الذي
هو قوله وكفر به وأجيب بأن الصد عن سبيل الله والكفر به كالشيء الواحد في المعنى فكأنه لا فصل وبأن التقديم
لفرط العناية مثل ولم يكن له كفوا أحد وكان حق الكلام ولم يكن أحد كفوا له وقيل والمسجد الحرام عطف على
الشهر الحرام أي يسئلونك عن قتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهذا قول الفراء وأبي مسلم وقيل الواو في والمسجد
الحرام للقسم والصد عن سبيل الله هو المنع عن الإيمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الهجرة وقيل منعهم النبي
عام الحديبية عن عمرة البيت وزيف بأن الآية نزلت قبل غزوة بدر وأجيب بأن معلوم الله كالواقع والمراد بإخراج أهله
إخراج المسلمين من مكة إنما جعلهم أهلا له إذ كانوا هم القائمين بحقوق المسجد ولهذا قال عز من قائل وكانوا أحق بها
وأهلها وإنما كانت هذه الأمور أكبر لأن كل واحد منها كفر والكفر أعظم منه من القتال وأيضا إنها أكبر من قتال في
الشهر الحرام وهو قتال عبد الله بن جحش ولم يكن قاطعا بأنه وقع في الشهر الحرام وأما الكفار فيعلمون بأن هذه
الأمور تصدر عنهم في الشهر الحرام والفتنة أي الشرك وإلقاء الشبهات في قلوب المؤمنين أو التعذيب كفعلهم
ببلال وصهيب وعمار أكبر من القتل لأن الفتنة تفضي إلى القتل في الدين أو إلى استحقاق العذاب الدائم في الآخرة
فيصح أن الفتنة أكبر من القتل فضلا عن ذلك القتل الذي وقع السؤال عنه وهو قتل ابن الحضرمي يروى أنه
لما نزلت الآية كتب عبد الله بن جحش إلى مؤمني مكة إذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم

بالكفر

بالكفر وإخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة ومنع المؤمنين عن البيت الحرام ولا يزالون يقاتلونكم إخبار
عن استمرار الكفار على عداوة المسلمين حتى يردوكم عن دينكم كي يردوكم عنه كقولك أسلمت حتى أدخل الجنة بمعنى كي
أدخل الجنة ويجوز أن يكون بمعنى إلى كقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقوله إن استطاعوا
استبعاد له لاقتدارهم كقول الرجل لعدوه وهو واثق بأنه لا يظفر به إن ظفرت بي فلا تبق علي ومن يرتدد ومن يرجع منكم
عن دينه فيمت وهو كافر باق على الردة فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فلما يفوته من فوائد
الإسلام العاجلة فيقتل عند الظفر به ويقاتل إلى أن يظفر به ولا يستحق
من المؤمنين موالاة ولا نصرا ولا ثناء حسنا وتبين زوجته عنه ويحرم الميراث وأما في الآخرة فيكفي في تقديره قوله
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون واعلم أن الردة أغلظ أنواع الكفر حكما وأنها تارة تحصل بالقول الذي يكفر
لجحد مجمع عليه وسب نبي من الأنبياء وأخرى بالفعل الذي يوجب استهزاء صريحا بالدين كالسجود للصنم والشمس
وإلقاء المصحف في القاذورات وكذا لو اعتقد وجوب ما ليس بواجب ويشترط في صحة الردة التكليف فلا يصح ردة الصبي
والمجنون وههنا بحث أصولي وهو أن جماعة من المتكلمين ذهبوا إلى أن شرط الإيمان والكفر حصول الموافاة فالإيمان
لا يكون إيمانا إلا إذا مات المؤمن عليه والكفر لا يكون كفرا إلا إذا مات عليه لأن من كان مؤمنا ثم ارتد والعياذ بالله
فلو كان ذلك الإيمان الظاهر إيمانا في الحقيقة لكان قد استحق عليه الثواب الأبدي فإما أن يبقى الاستحقاقان وهو
محال وإما أن يقال إن الطارئ يزيل السابق وهو أيضا محال لأنهما متنافيان وليس أحدهما أولى بالتأثير من الآخر بل
السابق بالدفع أولى من اللاحق لأن الدفع أسهل من الرفع وأيضا شرط طريان الطارئ زوال السابق فلو زال السابق بطريان الطارئ
لزم الدور وبحث فروعي وهو أن المسلم إذا صلى ثم ارتد ثم أسلم في الوقت فعند الشافعي لا إعادة عليه لأن شرط
حبوط العمل أن يموت على الردة لقوله تعالى عطفا على الشرطية وهو كافر وعن أبي حنيفة لزمه قضاء ما أدى
وكذلك الحج لما جاء في موضع آخر مطلقا ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون والحبط في اللغة أن تأكل الإبل شيئا يضرها
فيعظم بطونها فتهلك وفي الحديث وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم سمي بطلان الأعمال بهذا لأنه كفساد الشيء
بورود المفسد عليه ولا شك أن المراد من إحباط العمل ليس هو إبطال نفس العمل لأن العمل شيء كما وجد فني وإعادة
المعدوم محال فقال المثبتون للإحباط والتكفير المعنى أن عقاب الردة الحادثة يزيل ثواب الإيمان السابق إما
بشرط الموازنة كما هو مذهب أبي هاشم وجمهور المتأخرين من المعتزلة أو لا بشرط الموازنة كما هو مذهب أبي علي وقال
المنكرون للإحباط الوارد في كتاب الله تعالى هو أن المرتد إذا أتى بالردة فتلك الردة عمل محبط لأنه يمكنه أن يأتي
بدلها بعمل يستحق ثوابا فمعنى حبط عمله أنه أتى بعمل ليس له فائدة بل فيه مضرة عظيمة أو المراد أنه تبين أن أعماله
السابقة لم تكن معتدا بها شرعا وذلك أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم أنهم إن سلموا
من الإثم لم يكن لهم أجر فنزلت إن الذين آمنوا الآية لأن عبد الله كان مؤمنا وكان مهاجرا وصار بسبب هذا القتال
مجاهدا وقيل إنه تعالى لما أوجب الجهاد بقوله كتب عليكم القتال وبين أن تركه سبب الوعيد أتبع ذلك بذكر من
يقوم به فقال إن الذين آمنوا الآية ولا يكاد يوجد وعيد إلا ويعقبه وعد ومعنى هاجروا فارقوا أوطانهم وعشائرهم
من الهجر الذي هو ضد الوصل والهجر الكلام القبيح لأنه مما ينبغي أن يهجر وجاز أن يكون المراد أن الأحباب والأقارب
هجروه بسبب هذا الدين وهو أيضا هجرهم بهذا السبب فكان ذلك مهاجرة والمجاهدة من الجهد بالفتح الذي هو
المشقة أو من الجهد بالضم الطاقة لأنه يبذل الجهد في قتال العدو عند فعل العدو مثل ذلك ويجوز أن يكون معناها
ضم جهده إلى جهد أخيه في نصرة دين الله كالمساعدة ضم ساعده إلى ساعد أخيه لتحصيل القوة أولئك يرجون رحمة الله
يحتمل أن يكون الرجاء بمعنى القطع واليقين لكن في أصل الثواب والظن إنما دخل في كميته وكيفيته ووقته
ويحتمل أن يراد المنافع التي يتوقعونها فإن عبد الله بن جحش ما كان قاطعا بالثواب في عمله بل كان يظن ظنا
وإنما جعل متعلقا بالرجاء ليعلم أن الثواب على الإيمان والعمل غير واجب وإنما ذلك بفضله ورحمته كما هو مذهبنا ولو
وجب أيضا صح بأنه معلق بأن لا يكفر بعد ذلك وهذا الشرط مشكوك وأيضا المذكور ههنا هو الإيمان والهجرة والجهاد
ولا بد للإنسان مع ذلك من سائر الأعمال والتوفيق فيها موجود من الله وأيضا المراد وصفهم بأنهم يفارقون الدنيا مع هذه

الخصال مستقصرين انفسهم في نصرة دين الله متقدمون عليه راجين رحمته خائفين عقابه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون والله غفور رحيم يحقق رجاءهم ان شاء بعميم فضله وجسيم طوله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب وقال شارح الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال وقيل قرب القلب من ملاطفة الرب ويروى عن لقمان انه قال لابنه خف الله خوفا لا تأمن فيه مكره وارجه رجاء اشد من خوفك قال فكيف استطيع ذلك وانما لي قلب واحد قال اما علمت ان المومن كذي قلبين يخاف باحدهما ويرجو بالاخر وهذا لانهما من حكم الايمان وهما للمومن كالجناحين للطائر اذا استويا استوى الطير وتم في طيرانه ومن ههنا قيل لو وزن خوف المومن ورجاؤه لاعتدلا والله اعلم بالصواب

يسئلونك عن الخمر والميسر ط قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما
اكبر من نفعهما ط ويسئلونك ماذا ينفقون ط قل العفو ط كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون لا في الدنيا والاخرة ط ويسئلونك عن اليتامى ط قل اصلاح لهم خير ط وان
تخالطوهم فاخوانكم ط والله يعلم المفسد من المصلح ط ولو شاء الله لاعنتكم ط ان الله
عزيز حكيم ۵ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ط ولامة مؤمنة خير من مشركة
ولو اعجبتكم ج ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ط ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو
اعجبكم ط اولئك يدعون الى النار ج والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ج ويبين
اياته للناس لعلهم يتذكرون ۵ القراءة

اثم كثير بالثاء المثلثة بالرفع ابو عمرو والباقون بالنصب لاعنتكم بغير همز ويروى ابو ربيعة عن اصحابه وعن حمزة وجهان في الوقف ترك الهمز لبيان المذهب والهمز لبيانه على اصل الكلمة الوقوف والميسر للناس تدبر مع اتفاق الجملتين تنبيها على ان بيان الثانية اهم من الاولى من نفعهما ينفقون العفو يتفكرون لتعلق الجار والاخرة اليتامى خير فاخوانكم المصلح لاعنتكم حكيم يؤمن لاجل لام الابتداء بعده اعجبتكم لوقوع العارض وان اتفقت الجملتان يؤمنوا اعجبكم الى النار والوصل اجود لان مقصود الكلام بيان تفاوت الدعوتين مع اتفاق الجملتين ولمن وقف اراد الفصل بين ذكر الحق والباطل باذنه لان جملة والله يدعوا يقابل الجملة الاولى فلم يكن قوله ويبين الله من تمامها اذ ليس في الجملة الاولى بيان ومن وصل فلعطف المستقبل يتذكرون التفسير الحكم الثالث بيان حرمة الخمر والميسر قالوا في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من اصحابه قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه اعرابي بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في

بحث الخمرة وتحريمها

الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والحكمة في وقوع التحريم على الوجه ان القوم قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فلو منعوا دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فان الفطام من المالوف شديد فلا جرم استعمل في التحريم هذا التدريج والرفق واختلف العلماء في مفهوم الخمر فقال الشافعي كل شراب مسكر فهو حرام وقال ابو حنيفة الخمر ما غلي واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب ۵ احتج الشافعي بما روى ابو داود في سننه عن الشعبي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لقد نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وهذا يدل على ان الخمر عندهم كل ما خامر العقل اي خالطه والتركيب يدل على الستر والتغطية ومنه خمار المراة وكذا ما روي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا ومن التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا قال الخطابي انما جرى ذكر هذه الاشياء خصوصا لكونها معهودة في ذلك الزمان وكل ما في معناها من ذرة او سلت او عصارة شجر فحكمها حكم هذه الخمسة كما ان تخصيص الاشياء الستة في خبر الربوا لا يمنع من ثبوت حكم الربا في غيرها وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل خمر حرام فمراد الشارع ان كل مسكر فهو خمر لغة او شرعا فيكون حقيقة لغوية او شرعية كالصلوة وان منع ذلك فلا اقل من ان يكون معناه انه كالخمر في الحرمة وهو المراد وعن عايشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع وهو شراب يتخذ من العسل فقال صلى الله عليه وسلم كل شراب اسكر فهو حرام وعن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال الخطابي والمفتر كل شراب يورث الفتور والخدر في الاعضاء وايضا الايات الواردة في الخمر منها اثنتان بلفظ الخمر وغيرها بلفظ السكر مثل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وفيه دليل على ان المراد بالخمر هو المسكر وكذا في قول عمر ومعاذ الخمر مذهبة للعقل فانه يوجب ان كل ما كان مساويا للخمر في المعنى اما ان يكون خمرا واما ان يكون مساويا للخمر في علة التحريم وايضا قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ولا شك ان هذه الافعال معللة بالسكر فيعلم منه ان حرمة الخمر معللا بالاسكار فاما ان يجب القطع بان كل مسكر خمر واما ان يلزم الحكم بالحرمة في كل مسكر حجة ابي حنيفة قوله تعالى تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا من الله علينا باتخاذ السكر والرزق الحسن والنبيذ سكر ورزق حسن فوجب ان يكون مباحا لان المنة لا تكون الا بالمباح وايضا ما روي في الصحيحين عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى فقال رجل يا رسول الله الا اسقيك نبيذا قال بلى فخرج يسعى فجاء بقدح فيه نبيذ فشرب واعلم ان المسكر حرام جنسه قل ام كثر نيا ام مطبوخا لقوله صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره فقليله حرام وعن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل مسكر حرام قال الخطابي الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا وفيه ابين البيان ان الحرمة شاملة لجميع اجزاء الشراب وعن ابن عباس انه جاء رجل فساله عن العصير فقال اشربه ما كان طريا قال اني طبخته وفي نفسي منه شيء قال اكنت شاربه قبل ان تطبخه قال لا قال فان النار لا تحل شيئا قد حرم وقال ابو حنيفة المطبوخ من عصير العنب ان ذهب اقل من ثلثيه فهو حرام لكن لا حد على شاربه الا اذا اسكر وان ذهب ثلثاه فهو حرام الا القدر المسكر فيحرم ويتعلق بشاربه الحد يروى ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى تذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد ونقيع التمر والزبيب اذا اشتد فهو حرام لكن لا حد فيه ما لم يسكر فان طبخ فهو حلال الا القدر الذي يسكر فان ذلك حرام فيحد به ولا يعتبر في النقيع ذهاب الثلثين ونبيذ الحنطة والشعير والعسل وغيرها حلال نيا ومطبوخا لا يحرم منه الا القدر المسكر وذكروا في حد السكران عبارات فعن الشافعي انه الذي اختلط كلامه المنظوم وانكشف سره المكتوم وقيل الذي لا يعرف بين السماء والارض وقيل الذي يتمايل في مشيه ويهذي في كلامه والاقرب ان الرجوع فيه الى العادة ثم ان قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر ليس فيه بيان انهم عن اي شيء سألوا فيحتمل انهم سألوا عن حقيقته وماهيته ويحتمل انهم سألوا عن حل الانتفاع وحرمته ويحتمل انهم سألوا عن حل شربه وحرمته الا انه تعالى لما اجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على ان ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة اي يسئلونك عما في تعاطيهما واما كيفية دلالة الاية على الحرمة فهي انها مشتملة على ان في الخمر اثما والاثم حرام

لقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم ومما يؤكد هذا ان السؤال كان واقعا عن مطلق
الخمر وقد جعل الله تعالى الاثم لازما لهذه الماهية فيلزمها الاثم على جميع المقادير ومن الشرب وغير ذلك من وجوه
الانتفاع والاستعمال وصح ايضا ان الاثم الحاصل منها اكبر من النفع المتوهم فيها عاجلا وانما لم يقنع كبار الصحابة بهذه
الآية طلبا لما هو آكد في التحريم ثقة واطمينانا كما التمس ابراهيم صلوات الرحمن عليه مشاهدة احياء الموتى ليطمئن بعد الايقان وركونا
الى سكون النفس بالعيان فان قيل لما كان الاثم لازما لماهية الخمر من حيث هي فلم لم تكن محرمة في سائر الشرائع قلت
كم من نقص في الاديان السالفة تممه شرع خاتم النبيين وايضا هذا اللزوم شرعي ويمكن ان يختلف الشرائع بحسب
اختلاف الازمان والاستعداد اعتبرت مصالح الانسان ٥ والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما
يقال يسرته اي قمرته مشتق من اليسار لانه يسلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله
وماله او من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد وتعب ٥ وقال ابن قتيبة الميسر من التجزية والاقتسام
يقال يسروا الشيء اذا اقتسموه فالجزور نفسه يسمى ميسرا لانه يجزأ اجزاء والياسر الجازر ثم يقال للضارب ياسر لانه سبب
ذلك الفعل بجزء لحم الجزور وقال الواحدي يسر الشيء اي وجب والياسر الواجب بسبب القدح ما اصفة الميسر على ما في
الكشاف هي انه كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام ٥ والاقلام ٥ اساميها الفذ ٥ والتوأم ٥ والرقيب ٥ والحلس ٥ والنافس ٥
والمسبل ٥ والمعلى ٥ والمنيح ٥ والسفيح ٥ والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء
وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس
اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل
ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم
به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء
ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم قال العلماء في حكم الميسر سائر انواع القمار
من النرد والشطرنج وغيرهما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر
العجم وعن ابن سيرين ومجاهد وعطا كل شيء فيه خطر فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وروي ان عليا عليه
السلام مر بقوم وهم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون الا ان الشافعي رخص في الشطرنج
اذا خلا عن الرهان وكف اللسان عن الطغيان وحفظ الصلوة عن النسيان فان الميسر ما يوجب دفع مال واخذ
مال وهذا ليس كذلك ويحكى اللعب به عن ابن الزبير وابي هريرة وكثير من السلف واما السبق في النصل والخف والحافر
فجائز بالاتفاق لقوله صلى الله عليه وسلم لا سبق الا في نصل او خف او حافر وذلك لما فيهما من التأهب للجهاد والكلام
في تفاصيلها وشروطها مذكور في كتب الفقه قل فيهما اثم كبير اي انهما من الكبائر ومن قرأ بالثاء فيعني الكثرة ان اصحاب
الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة اما في الخمر فلانها عدو العقل الذي هو عقال الطبع واشرف خصائص
الانسان ومقابل الاشرف يكون اخس الاشياء حكى بعض الادباء انه مر على سكران وهو يبول في يده ويمسح به
وجهه كهيئة المتوضي ويقول الحمد لله الذي جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له في
الجاهلية لم لا تشرب فانها تزيد في حرارتك فقال ما انا باخذ جهلي بيدي فادخله في جوفي ولا ارضى ان اصبح سيد
قوم وامسي سفيههم ومن خواصها ان الانسان كلما كان اشتغاله بها اكثر كان الميل اليها اتم وقوة النفس عليها اقوى
بخلاف سائر المعاصي كالزنى وغيره وكفى بقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر ام الخبائث ورأسها
وتغري بالاثم شاربها وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الخمر عشرة وقال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام
وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل
النار وكذا الكلام في الميسر مع ان فيه اكل الاموال بالباطل واما المنافع المذكورة فهي انهم كانوا يتغالون بها
اذا جلبوها من النواحي وكان المشتري اذا ترك المماكسة في الثمن بعد ذلك فضيلة ومكرمة وكان يكثر ارباحهم
بذلك السبب قال ابو محجن شعر اتونها ثم ناداكم بساق السابحرها ونسوقها قال بقراط في الخمر عشر منافع

بحث منافع الخمر والقمار

خمس

خمس جسمانية وخمس نفسانية فالجسمانية انها تجود الهضم ٥ وتدر البول ٥ وتحسن البشرة ٥ وتطيب النكهة ٥ و
تزيد في الباه والنفسانية انها تسر النفس ٥ وتقرب الامل ٥ وتشجع النفس ٥ وتحسن الخلق ٥ وتزيل البخل ومن منافع
الميسر التوسعة على ذوي الحاجات لانهم كانوا يفرقونه على المساكين فيكتسبون به الثناء والمدح ولا ريب ان منافع الخمر
والميسر لكونها مظنونة عاجلة اقل من اثمهما لكونه متيقن الحساب دائم العذاب والعاقل لا يختار النفع القليل الزائل
لعقاب ابدي لا نهاية له **الحكم الرابع** ويسئلونك ماذا ينفقون وقد تقدم ذكر هذا السؤال واجيب عنه
بذكر المصرف واعيد هنا فاجيب بذكر الكمية وذلك ان الناس لما رأوا الله ورسوله يحضان على الانفاق
وينبهان على عظم ثوابه سألوا عن مقدار ما كلفوا به هل هو كل المال او بعضه ومعنى العفو ما تيسر وسهل
مما يكون فاضلا عن الكفاية ومنه ان يكون العفو عن الذنب راجعا الى التيسير والتسهيل ويقال للارض السهلة العفو
ومن قال ان العفو هو الزيادة فهو ان الغالب ان ذلك انما يكون فيما يفضل عن حاجة الانسان في نفسه وعياله ومحاصل
الامر يرجع الى التوسط في الانفاق والنهي عن التبذير والتقتير وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم انه كان
يحبس لاهله قوت سنة وقال صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما ابقت غنى ولا يلام على كفاف وللعلماء في هذا الانفاق
خلاف فعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون العفو هو الزكوات ذكرها هنا مجملة وفصلها في السنة وقيل انه تطوع ولو كان مفروضا
لبين مقداره ولم يفوض الى رأي المكلف وقيل ان هذا كان قبل نزول آية الصدقات فكانوا مأمورين ان يأخذوا
من مكاسبهم ما يكفيهم في عامهم وينفقون ما فضل ثم نسخ بالزكوة كذلك يبين الله لكم الآيات اي كما بين لكم
وجوه الانفاق ومصارفه فهكذا يبين لكم في مستأنف ايامكم جميع ما تحتاجون اليه لعلكم تتفكرون في الدنيا
والآخرة فتأخذون بما هو اصلح لكم من سلوك سبيل العدالة في الانفاق وغيره او تتفكرون في الدارين فتؤثرون
ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما اي ليتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة
والنفع في الدنيا حتى لا يختاروا الادنى على الاعلى ويجوز ان يتعلق بيبين اي يبين لكم الآيات في امر الدارين وما
يتعلق بهما لعلكم تتفكرون **الحكم الخامس** ويسئلونك عن اليتامى عن سعيد بن جبير قال لما نزلت ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما عزلوا اموالهم عن اموالهم فنزلت وعنه عن ابن عباس قال لما انزل الله تعالى ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان الذين يأكلون انطلق عنه من كان له يتيم يعزل طعامه من طعامه وشرابه
من شرابه ويجعل يحبس له ما يفضل من طعامه حتى يأكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير وهو كلام جامع لمصالح اليتيم والولي اما لليتيم فلانه يقتضي صلاح
نفسه بالتقويم والتأديب وصلاح ماله بالتنمية والتثمير لئلا تأكله النفقة عليه والزكوة منه واما للولي
فلان احراز الثواب خير له من التحرز عن مال اليتيم حتى يختل مصالحه ويفسد معيشته وقيل الخير عائدا الى الولي
يعني اصلاح اموالهم من غير عوض ولا اجرة خير للولي واعظم اجرا وقيل عائدا الى اليتيم اي مخالطتهم بالا
صلاح خير لهم من التفرد عنهم والاعراض عن امورهم والاصح هذا القول الاول فان جهات المصالح مختلفة غير
مضبوطة فينبغي ان يكون نظر المتكفل لامور اليتيم على تحصيل الخير في الدنيا والآخرة لنفسه ولليتيم في ماله ونفسه
وان تخالطوهم في الطعام والشراب والمسكن والخدم بما لا يتضمن افساد اموالهم فذلك جائز كما يفعل المرء بماله وولده ومع اخوانه
في الدين فان هذا ادخل في حسن العشرة والموالفة وقيل المراد بهذه المخالطة ان ياخذ مقدار اجرة المثل في ذلك العمل ويستشهد
الذاهب في ذلك ان شاء الله تعالى اذا انتهينا الى تفسير قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف وقيل المراد ان تخالطوا اموال
اليتامى باموال انفسهم على سبيل الشركة بشرط رعاية جهات المصلحة والغبطة للصبي وحمل بعضهم المخالطة على المصا
هرة واختاره ابو مسلم لان هذا خلط اليتيم بنفسه والشركة خلط لماله وايضا الشركة داخلة في قوله قل اصلاح لهم خير
والخلط من جهة النكاح وتزويج البنات منهم لم يدخل في ذلك فحمل الكلام على هذا الخلط اقرب وايضا انه تعالى قال بعد
هذه الآية ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان المعنى ان المخالطة المندوب اليها انما هي في اليتامى الذين هم لكم اخوان
في الاسلام لتتأكد الالفة بالمناكحة فان كان اليتيم من المشركين فلا تفعلوا ذلك والله يعلم المفسد لامورهم من المصلح
لها او يعلم ضمير من اراد الافساد والطمع في مالهم بالنكاح من المصلح فيجازيه على حسب غرضه ومقصده فاحذروه

مالم

ح

ولا تجروا غير الاصلاح وفيه تهديد عظيم فكأنه قال انا المتكفل بالحقيقة لامور اليتيم وانا الطالب لوليه ان قصر ولو شاء الله
لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة بان يضيق عليكم طريق المخالطة معهم وعن ابن عباس لجعل ما اصبتم
من اموال اليتامى موبقا وذلك انهم كانوا في الجاهلية قد اعتادوا الانتفاع باموال اليتامى وربما تزوجوا باليتيمة طمعا في
مالها او يزوجها من ابن له كيلا يخرج مالها من يده وقد يستدل بالاية انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه وعلى انه
قادر على خلاف العدل لانه لو امتنع وصفه بالقدرة على الاعنات ما جاز ان يقول ولو شاء لاعنتكم ولهذا قال ان الله
عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم **الحكم السادس** ولا
تنكحوا المشركات اكثر المفسرين على ان هذه الاية ابتداء شرع وحكم اخر في بيان ما يحل وما يحرم وعن ابي مسلم انه متعلق
بقصة اليتامى ترغيبا في مخالطتهن دون مخالطة المشركات عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن
ابي مرثد الغنوي وكان حليفا لبني هاشم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق
فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله
فاستامره فنزلت هذه ثم العلماء اختلفوا في الاية في موضعين الاول في لفظ النكاح فقال اكثر اصحاب الشافعي انه
حقيقة في العقد لقوله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل ولا شك ان المتوقف على الولي والشاهد
هو العقد لا الوطء ولقوله ولدت من نكاح لا من سفاح ولقوله تعالى وانكحوا الايامى وقال الجمهور من اصحاب ابي
حنيفة انه حقيقة في الوطء لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي ينتهي اليه الحرمة ليس هو العقد بل هو
الوطء بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وقال صلى الله عليه وسلم ناكح اليد
ملعون وناكح البهيمة ملعون ومن الناس من قال النكاح عبارة عن الضم فقال نكح المطر الارض اذا وصل اليها
ونكح النعاس عينيه والضم حاصل في العقد وفي الوطء فيحسن استعمال اللفظ فيهما جميعا قال ابن جني سألت ابا علي
عن قولهم نكح المرأة فقال فرقت العرب بالاستعمال فرقا لطيفا فاذا قالوا نكح فلان فلانة ارادوا انه تزوجها وعقد عليها
واذا قالوا نكح امرأته او زوجته لم يريدوا غير المجامعة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالنكاح في هذه الاية
هو العقد اي لا تعقدوا على المشركات الثاني لفظ المشرك هل يتناول الكفار من اهل الكتاب ام لا قال الاكثرون
نعم لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولقوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك لاحتمل ان يغفر
الله لهم وذلك باطل بالاتفاق وايضا النصارى مشركون بالتثليث وليس ذلك في الصفات فان اكثر المفسرين
ايضا يثبتون لله تعالى صفات قديمة فاذن هو في الذات شرك محض وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر اميرا
فقال اذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فان ابوا فادعهم الى الجزية
وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وقال ابو بكر الاصم كل من جحد رسالته فهو مشرك من حيث ان تلك المعجزة
التي ظهرت على يده كانت خارجة عن حد البشر وهم انكروها واضافوها الى الجن والشياطين فقد اثبتوا شريكا لله سبحانه
في خلق هذه الاشياء الخارجة عن قدرة البشر واعترض عليه بان اليهودي حيث لا يسلم ان ما ظهر على يد محمد صلى الله
عليه وسلم هو من جنس ما لا يقدر العباد عليه لم يلزم ان يكون مشركا بسبب اضافة ذلك الى غير الله فالجواب
انه لا اعتبار باقراره وانما الاعتبار بالدليل فاذا ثبت بالدليل ان ذلك المعجز خارج قدرة البشر فمن اضاف ذلك الى غير الله
كان مشركا كما لو اسند خلق الحيوان والنبات الى الافلاك والكواكب احتج المخالف بانه تعالى فصل بين اهل الكتاب والمشركين
في الذكر حيث قال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
والعطف يقتضي التغاير واجيب بان كفر الوثني اغلظ وهذا القدر يكفي في العطف او لعله خص اولا ثم عمم هذا
وقد سلف في قوله عز من قائل فلا تجعلوا لله اندادا ان اكثر عبدة الاوثان معترفون بان اله العالم واحد وانه ليس له في
الالهية بمعنى خلق العالم وتدبيره شريك ونظير فظهر ان وقوع اسم المشرك عليهم ليس بحسب اللغة بل بالشرع كالصلوة
والزكوة واذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج كل كافر تحت هذا الاسم لا سيما وقد تواتر النقل عن النبي صلى
الله عليه وسلم بانه يسمى كل من كان بانه مشرك **التفريع** ان قيل المشركات يشتمل الجزئيات والكليات جميعا فالاية

منسوخة

منسوخة او مخصصة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم لان سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ شيء منها
قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي لا يقال لعل المراد من اسلم بعد ان كان من اهل الكتاب لان قوله والمحصنات من المؤمنات يشتمل من
اسلم منهن فيبقى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ضايعا ولاجماع الصحابة على جواز نكاح الكتابيات نقل ان حذيفة
تزوج بيهودية او نصرانية فكتب له عمر ان خل سبيلها فكتب اليه اتزعم انها حرام فقال لا ولكني اخاف وعن جابر ابن عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نتزوج نساء اهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا وعن عبد الرحمن ابن عوف ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم ولو لم يكن نكاح
نسائهم جائزا لكان هذا الاستثناء خاليا عن الفائدة وان قيل ان المشركات تختص بالحربيات فالاية ثابتة وباقية على
عمومها ومن الناس من زعم ان هذه الاية ناسخة لما كانوا عليه من التزوج بالمشركات روي هذا عن الحسن وزيف
بان رفع مباح الاصل ليس بنسخ لان الناسخ والمنسوخ يجب ان يكونا حكمين شرعيين الا ان يقال ان تجويز نكاح المشركة
قبل نزول الاية كان ثابتا من قبل الشرع قوله حتى يؤمن اتفق الكل على ان المراد منه الاقرار بالشهادة والتزام احكام الاسلام
ولكن لا يدل هذا على ان الايمان في عرف الشرع عبارة عن الاقرار فقط لما مر في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب انه
لابد في الايمان الحقيقي من التصديق القلبي الا انه اكتفى ههنا بالاقرار اللساني لانه هو الامارة بالنسبة الينا فلا اطلاع
لنا على ضمير القلب والسريرة موكولة الى علام الخفيات فلو وافق السر العلن كان مؤمنا حقا والا كان منافقا ولامة
مؤمنة هذه اللام في افادة التوكيد يشبه لام القسم والمراد بالامة وكذا بالعبد في قوله ولعبد مؤمن امة الله وعبده
لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه اي ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة خير من مشركة ولو اعجبتكم للمبالغة والجواب
محذوف اي ولو كانت المشركة تعجبكم بمالها وجمالها ونسبها فالمؤمنة خير منها لان الايمان يتعلق بالدين والمال والجمال
والنسب يتعلق بالدنيا ورعاية الدين اولى من رعاية الدنيا ان لم يتيسر الجمع بينهما وقد تحصل المحبة والتألف عند
التوافق في الدين فيكمل منافع الدنيا ايضا من حسن الصحبة والعشرة وحفظ الغيب وضبط الاموال والاولاد
واما اختلاف الدين فينعكس هذه القضايا وقد يرى اضداد ما يتوقع منها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقد ظن بعضهم ان المراد بالامة ضد
الحرة فقال التقدير ولامة مؤمنة خير من حرة مشركة ولهذا ذهب بعض اهل العلم الى ان الاية دالة على ان القادر
على طول الحرة يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابي حنيفة لان الاية دلت على ان الواجد لطول المشركة تكون
لا محالة تكون واجد الطول الحرة المسلمة لانه بسبب التفاوت في الايمان والكفر لا يتفاوت قدر المال المحتاج
اليه في اهبة النكاح فيلزم قطعا ان يكون الواجد لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الامة ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
لا خلاف ههنا في ان المراد به الكل وان المؤمنة لا يحل تزوجها من الكافر على اختلاف اقسام الكفرة اولئك المشركات
والمشركون يدعون الى النار اي الى ما يؤدي اليها فان الزوجية مظنة الالفة والمحبة والظاهر قد تحمل المودة على
الاتفاق في الدين فلعل المؤمن يوافق الكافر والاحتراز عن مظنة الاثم تداركا اهم من الطموح الى اسلام المشرك وقيل انهم
ان لا يوالوا ولا يتصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال وقيل المراد انهم يدعون الى ترك المحاربة وفي
ترك الجهاد استحقاق النار والعذاب وغرض هذا القائل ان يجعل هذا فرقا بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل
زوجها على ترك الجهاد وقيل ان الولد الذي يحدث ربما دعاه الكافر الى الكفر فيصير الولد من اهل النار فهذا هو
الدعوة الى النار والله يدعوا الى الجنة حيث امر بالتزوج بالمسلمة حتى يكون الولد مسلما من اهل الجنة او المراد ان
اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يؤدي اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا
على غيرهم باذن الله وتيسيره للعمل الذي يستحق به الجنة والغفران وقرئ الحسن والمغفرة بالرفع على الابتداء اي
والمغفرة كائنة بتيسيره ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون معناه واضح وقد عرفت فيما مر ان التذكر محاولة استرجاع
الصورة المحفوظة فكان الايات تنبيه على ما هو مركوز في العقول من حقيقة دين الاسلام فطرة الله التي فطر
الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون **التأويل** ان خمر الظاهر كما يتخذ من اجناس
مختلفة كالعنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وغيرها فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة

والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذه تسكر النفوس والعقول الانسانية التي هي مناط التكليف فلهذا حرمت في عالم التكليف
واما ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات في اقداح المشاهدات من ساقي تجلي الصفات اذا دارت
الكؤوس انمحت شهوات النفوس فتسكر القلوب بالمواجد عن المواعيد والارواح بالشهود عن الوجود والاسرار
بمطالعة الجمال من ملاحظة الكمال وهذا شراب حلال لانه فوق عالم التكليف وانه يمزج اللطيف باللطيف فانه منافع
للناس وملاذ لاهل القرب والانس ينا نس شعر فصحوك من لفظي هو الوصل كله وسكرك من لحظي يبيح لك الشرب
فما مل ساقيها وما مل شارب عقار لحاظ كاسه يسكر اللب فقوم اسكرهم وجود الشراب وقوم اسكرهم شهود الساقي
شعر فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من المدير الكاس والشراب والساقي والمسقى هيهنا واحد كما قيل
شعر رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانه خمر ولا قدح وكانها قدح ولا خمر واثمها الاعراض عن كؤوس
الوصال في النهاية اكبر من نفع الطلب الذي نسيه في البداية اما الميسر فانه كبير عند الاحياء بعيد عن خصال
الابرار ولكن نفعه عدم الالتفات الى الكونين وبذل نقود شي العلائق في مزدانية نفيس الكعبتين واثمهما اكبر من نفعهما
لان اثمهما للعوام ونفعهما للخواص والعوام اكثر من الخواص وبعبارة اخرى الاثم في الخمر الظاهر والنفع في الخمر الباطن
واهل الظاهر اكثر من اهل الباطن والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ط قُلْ هُوَ اَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ لا وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ
حَتّٰى يَطْهُرْنَ ج فَاِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ اَمَرَكُمُ اللّٰهُ ط اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ
وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ٥ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ص فَأْتُوا حَرْثَكُمْ اَنّٰى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ ط
وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ط وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ٥ وَلَا تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً
لِاَيْمَانِكُمْ اَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ط وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥ لَا يُؤَاخِذُكُمُ
اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِي اَيْمَانِكُمْ وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ط وَاللّٰهُ غَفُورٌ
حَلِيمٌ ٥ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ اَرْبَعَةِ اَشْهُرٍ ج فَاِنْ فَاءُوا
فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥ وَاِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَاِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥

القراءة حتى يطهرن بالتشديد والاصل يتطهرن فادغم التاء في الطاء حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص
الباقون يطهرن بالتخفيف من الطهارة اني بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف وقرأ العباس بالامالة اللطيفة كل القرآن
الباقون بالتفخيم لا يواخذكم وبابه بكل همزة تحركت وتحرك ما قبلها مثل يؤخر ويؤده واشباه ذلك بغير همز يزيد وورش
والسوسي وحمزة في الوقف **الوقوف** عن المحيض ط اذى لا لان كونه اذى تاثره الابلغ في وجوب الاعتزال في المحيض
للعطف حتى يطهرن ج لان اذا متضمنة الشرط والفاء في جوابه مع فاء التعقيب منهما امركم الله ط المتطهرين ه حرث لكم ص
للفاء كالجزاء اي اذا كن حرثا فأتوهن والا فقد اختلفت الجملتان شئتم ط لنحوه لوقوع العارض لانفسكم ط ملاقوه ط
المومنين ه بين الناس ط عليم ه قلوبكم ط حليم ه اشهر ج رحيم ه عليم ه **التفسير الحكم السابع** ويسئلونك عن المحيض
قيل انه تعالى جمع الموضعين بين ستة اسولة فذكر الثلثة الاولى بغير الواو والباقية بالواو والسبب ان سوالهم عن تلك

اشعار في الخمر الحقيقية

الحوادث وقع في احوال متفرقة فلم يوت بحرف العطف لان كل واحد من تلك السوالات مبتدأ وسالوا عن الوقائع
الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السوال عن الخمر والميسر والسوال عن كذا وكذا روي
ان اليهود والمجوس كانوا يبالغون في التباعد عن المراة حال حيضها والنصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض وكان اهل
الجاهلية اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت فقال ناس من الاعراب يا رسول
الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك ساير اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فنزلت
الاية فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت يعني ان المراد
من قوله تعالى فاعتزلوا النساء فاعتزلوا مجامعتهن واتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمان الحيض واتفقوا على حل
الاستمتاع بالمراة بما فوق السرة وتحت الركبة واختلفوا فيما دون السرة وفوق الركبة فالشافعي وابو حنيفة وابو
يوسف يجب اعتزال ما اشتمل عليه الازار بناء على ان المحيض مصدر كالمجيء والمبيت والتقدير فاعتزلوا تمتع
النساء في زمان الحيض ترك العمل بالاية فيما فوق السرة وتحت الركبة للاجماع فبقي الباقي على الحرمة وعن
زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امراتي وهي حايض قال لتشد عليها ازارها
ثم شانك باعلاها وقيل ما سوى الفرج حلال لان المراد بالمحيض موضع الحيض والمعنى فاعتزلوا موضع الحيض من
النساء نعم الحيض الاول مصدر ليصح عود الضمير اليه في قوله قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويوذي من
يقربه نفرة وكراهة على انه يحتمل ان يكون بمعنى المكان والتقدير هو اذى وانما قدم قوله هو اذى ليرتب الحكم وهو
وجوب الاعتزال عليه وذلك ان دم الحيض فاسد يتولد من فضلة تدفعها طبيعة المراة من طرق الرحم حتى لو احتبست
تلك الفضلة لمرضت المراة فذلك الدم جار مجرى البول والغايط فكان اذى وقذرا ولا يرد عليه دم الاستحاضة
حيث لا يوجب الاعتزال لان ذلك دم صالح يسيل من عرق ينفجر في عنق الرحم ويدل عليه ما روي في الصحيحين
عن عايشة قالت جاءت فاطمة بنت ابي حبيش فقالت يا رسول الله اني امراة استحاض فلا اطهر افادع الصلوة
فقال لا انما ذلك عرق وليست بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعي الصلوة فاذا ادبرت فاغسلي عنك الدم وصلي
ومعنى العرق انه علة حدثت بها من تصدع العروق واصل العروق السيل يقال له حاض السيل وفاض قال الازهري
منه قيل الحيض لان الماء يحيض اليه اي يسيل والواو والياء من حيز واحد وقد ورد في الحديث لدم الحيض صفات
منها السواد ويراد به انه يعلوه حمرة متراكبة فيضرب من ذلك الى السواد ومنها الثخانة ومنها الحدة
وهو الحرف من شدة حرارته ومنها انه ذو دفعات اي يخرج برفق ولا يسيل سيلا ومنها ان له رايحة كريهة
ومنها انه بحراني وهو الشديد الحمرة وقيل ما يحصل فيه كدورة تشبيها بماء البحر فمن الناس من يقول ان كان
الدم موصوفا بهذه الصفات فهو الحيض والا فلا فان اشتبه فيه الامر فالاصل بقاء التكاليف وزوالها انما كان
بعارض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان ومنهم من قال هذه الصفات قد تشتبه
على المكلف فايجاب التامل في تلك الدماء وفي تلك الصفات يقتضي عسرا ومشقة فالشارع قدر وقتا
مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها حكم الحيض ومتى حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها
حكم الحيض كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين فاذا رات الصبية
دما قبل استكمال التسع فهو دم فاسد قال الشافعي رضي الله عنه واعجل من سمعت من النساء تحيض نساء تهامة يحضن
لتسع سنين وقيل ان وقت الامكان يدخل بالطعن في السنة التاسعة وقيل بمضي ستة اشهر من السنة التاسعة والا
عبار على الوجوه بالسنين القمرية تقريبا على الاظهر لا تحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين استكمال التسع على الوجه
الاصح ما لا يسع حيضا وطهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل مدة الحيض عند الشافعي يوم وليلة وعند ابي
حنيفة ثلثة ايام وعند مالك لا حد لاقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما وليلة بقول علي عليه السلام ما زاد
على خمسة عشر فهو استحاضة وعن عطاء انه من تحيض خمسة عشر يوما واما الطهر فاكثره لا حد له فقد لا ترى
المراة الدم في عمرها الا مرة واحدة واقله خمسة عشر يوما وقال احمد اقله ثلثة عشر يوما وقال مالك ما اعلم بين
الحيضتين وقتا نعتمد عليه لنا الرجوع الى الوجود وقد ثبت ذلك من عادات النساء وروي انه صلى الله عليه وسلم قال تمكث

بحث تسمية الحيض وصفاته

مدة ايام الحيض

اصاهن تشطر دهرها لا تصلي انتهى ذلك باقل الطهر واكثر الحيض وغالب عادات النسا في الحيض ست او سبع وفي
الطهر باقي الشهر قال صلى الله عليه وسلم لحمنة بنت جحش تحيضي في علم الله ستا او سبعا كما تحيض النسا ويطهرن
ومعنى في علم الله اي مما علمك الله من عادتك او من غالب عادات النسا وتحرم في الحيض عشرة اشيا الصلوة والصوم
والاعتكاف والمكث في المسجد والمس للمصحف وقراة القران والسجود والاغتسال بنص القران والطلاق في حق
بعضهن ثم ان اكثر فقهاء الامصار على ان المراة اذا انقطع حيضها لا يحل جماعها الا بعد ان تغتسل من الحيض وهذا
قول مالك والاوزاعي والشافعي والثوري والمشهور عن ابي حنيفة انها ان رات الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها
حتى تغتسل او تمضي عليها وقت صلوة وان راته عشرة ايام جاز له ان يقربها قبل الاغتسال حجة الشافعي ان القراءة
المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قرائتان متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن فمن قرا يطهرن بالتخفيف فانتهاء الحرمة
عنده انقطاع الدم ومن قرا يطهرن بالتثقيل فالنهاية تطهرها بالماء والجمع بين الامرين ممكن بان يكون النهاية حصول
الشيئين ومعنى قوله لا تقربوهن اي لا تجامعوهن وهذا كالتاكيد لقوله فاعتزلوا ويحتمل ان يكون نهيا عن المبا
في موضع الدم وهذا نهيا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع وايضا قوله فاذا تطهرن فاتوهن تعليق للاتيان
على التطهير بكلمة اذا فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم التطهير والمراد بالتطهير الاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات
المراة فوجب ان يحصل في كل بدنها لا في بعض من ابعاض بدنها وعن عطا وطاوس ان تغتسل الموضع وتتوضا
وكفاك بعضهم غسل الموضع ثم القائلون بوجوب الاغتسال اجمعوا على ان التيمم يقوم مقامه عند اعواز الماء من حيث
امركم الله اي من المأتى الذي امركم الله وحلله لكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابراهيم وقتادة وعكرمة
وقال الاصم والزجاج فاتوهن بحيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صايمات ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد
ابن الحنفية فاتوهن من قبل الحلال دون الفجور ان الله يحب التوابين مما عسى ان يبدر عنهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك
مجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان الدبر ويحب المتطهرين المتنزهين عن تلك الفواحش فالتائب هو الذي
فعله ثم تركه والمتطهر هو الذي ما فعله تنزها عنه لان الذنب كانه نجاسة روحانية حكمية انما المشركون نجس او يحب
التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار والاوزار الحكم
الثامن نساؤكم حرث لكم فانه جار مجرى البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله دلالة على
ان الغرض الاصلي في الاتيان طلب النسل لا قضاء الشهوة فينبغي ان تؤتى المكان الذي هو مكان الحرث عن جابر قال كانت
اليهود يقولون اذا جامعها من ورائها جاء الولد احول فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيئا فاوحي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الاية وتحويل الرحل فيه ظاهر الكناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد وقيل انه الاتيان في المحل المعتاد ولكن
من جهة ظهرها وعنه كانت الانصار تنكر ان ياتي الرجل المراة مجبية اي في قبلها من دبرها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود
وكانت قريش تفعل ذلك فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات
ومستلقيات بعد ان يتقي الدبر والحيضة وذلك ان قوله حرث لكم اي مزرع ومنبت للولد وهذا على سبيل
التشبيه ففرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات وانما وحد الحرث لانه مصدر اقيم مقام المضاف اي
هن مواضع حرث فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون
جهة بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث اعني القبل دون الدبر وهذا ما عليه اكثر العلماء ويؤيده قوله عز من
قائل هو اذى فاعتزلوا جعل ثبوت الاذى علة للاعتزال والاذى في الدبر حاصل ابدا فالاعتزال عنه اولى بالوجوب
يعني انى شئتم كيف شئتم من قيامها او قاعدة او باركة او مضطجعة وقيل انى بمعنى متى اي فاتوا حرثكم اي وقت شئتم
من اوقات الحل يعني اذا لم تكن اجنبية او محرمة او صايمة او حائضا وعن ابن عباس ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا
تعزلوا وقيل متى شئتم من ليل او نهار والاصح الاول وعن [illegible] الشيعة تجويز اتيان النساء في ادبارهن ويحكى
ان نافعا نقل عن ابن عمر مثل ذلك واحتجوا بان الحرث اسم المراة لا للموضع المعين وبان قوله انى شئتم معناه من اين شئتم

المرثم

كقوله

كقوله انى لك هذا اي من اين وكلمة انى تدل على تعدد الامكنة فيلزم ان يكون المأتى متعددا وبقوله الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم ترك العمل بعمومه في حق الذكر لدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به في حق الاناث ولا
يخفى ضعف هذه الحجج ولو سلم تساويهما فدلائل الحرمة والقوة والاجتناب احوط فيه كيف لا وقد نهى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة في دبرها ولو لم يكن فيه الا فوات غرض التوالد والتناسل الذي به بقاء النوع
الانساني الذي هو اشرف انواع الكائنات لكفى به منقصة وذما اذا كان الزنا لكونه مزيلا للنسب محرما وكذا الخمر
لكونها دافعة للعقل والقتل لكونه منفيا للشخص فلان يحرم هذا الفعل لكونه متضمنا لفساد النوع اولى كاللواط واتيان
البهيمة والاستمنا ولهذا اعقبه بقوله وقدموا لانفسكم اي افعلوا ما تستوجبون به الجنة والكرامة كقول الرجل لغيره
قدم لنفسك عملا صالحا وذلك ان الاية اشتملت على الاذن في احد الموضعين والمنع عن الموضع الاخر فكانه قيل لا تكونوا
في قيد قضاء الشهوة وانما يجب ان تكونوا في ربقة الاسلام وتقديم الطاعة ثم انه اكد ذلك بقوله واتقوا الله ثم زاد
التاكيد بقوله واعلموا انكم ملاقوه وهذه التهديدات الثلاثة المتوالية لا تحسن الا اذا كانت مسبوقة بالنهي عن شيء
فقوله وقدموا لانفسكم ترغيبا على فعل الطاعات ويندرج فيه ابتغاء الولد والتسمية عند الوقاع وغير ذلك من اداب الخلوة
وقوله واتقوا الله تحرج عن المحظورات والمنكرات وقوله واعلموا انكم ملاقوه تذكير ليوم البعث والحساب الذي لولاه لضاع
فعل الطاعات وترك المنهيات وما احسن هذا الترتيب ثم قال وبشر المؤمنين كيلا يخلو الوعيد من الوعد ولم يذكر
المبشر به وهو الثواب والكرامة ونحوهما اما لانه كالمعلوم من نحو قوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري واما لان الغرض نفس البشارة مثل فلان يعطي
الحكم التاسع ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وهو نهي عن الجراءة على الله بكثرة الحلف به فان من
اكثر ذكر شيء في معنى من المعاني فقد جعله عرضة اي معرضا له قال فلا تجعلوني عرضة اللوائم وقد ذكر الله تعالى
من اكثر الحلف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين والحكمة فيه ان من حلف في كل قليل وكثير بالله انطلق لسانه
بذلك فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة وايضا كلما كان الانسان اكثر تعظيما لله كان اكمل في العبودية ومن كمال
التعظيم ان يكون ذكر الله تعالى اجل واعلى عنده من ان يبتذله ويستشهد به في غرض من الاغراض الدنيوية و
قوله ان تبروا علة للنهي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم فلا يكون
برا متقيا واذا ترك الحلف لاعتقاده ان الله اعظم واجل من ان يستشهد بالله العظيم في مطالب الدنيا اعتقد الناس
في صدق لهجته وبعده عن الاغراض الفاسدة فعدوه برا متحرزا من الاخلال بواجب حق الله فيدخلونه في
وساطاتهم واصلاح ذات بينهم ومعنى اخر وهو ان يكون العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة فيكون
اسما للشيء الذي يوضع في عرض الطريق فيصير مانعا للناس في السلوك ومنه عرض العود على الاناء ويقول فلان
عرضة دون الخير وذلك ان الحالف كان يحلف على بعض الخيرات من صلة الرحم او اصلاح او احسان او عبادة ثم يقول
اخاف الله ان احنث فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه
وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين
فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما تحلف عليه فيكون قوله ان تبروا عطف
بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس وعلى هذا فاللام في لايمانكم
اما ان يتعلق بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحاجزا واما ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض
يعني لا تجعلوا شيئا يعترض البر ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالعرضة اي لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم
به عرضة فان تبروا والله سميع عليم بنياتكم ان تركتم الحلف اجلالا لذكره واليمين في الاصل عبارة عن القوة وسمي
الحلف بذلك لان المقصود بها تقوية جانب البر على جانب الحنث اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره
ولهذا قيل لما لا يعتد به من اولاد الابل في الدية لغو وهو مصدر لغا يلغو قال صلى الله عليه وسلم من قال يوم
الجمعة لصاحبه صه والامام يخطب فقد لغا واختلف الفقهاء في اللغو من اليمين فمذهب الشافعي وهو قول عائشة
والشعبي وعكرمة وانه قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف فلو قيل لواحد

منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لا انكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة ومذهب ابي حنيفة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة والسدي ومكحول ان اللغو هو ان تحلف على شيء تعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وفايدة الخلاف ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بالضد من ذلك حجة الشافعي ان الاية تدل على ان لغو اليمين كالمقابل المضاد لما يحصل بسببه كسب القلب لكن المراد من قوله بما كسبت قلوبكم هو الذي يقصده الانسان على سبيل الجد ويربط به قلبه فيكون اللغو ما تعوده الناس في الكلام لا والله وبلى والله فاما اذا حلف على شيء انه كان حاصلا جدا ثم ظهر انه لم يكن فقد قصد الانسان بذلك اليمين تصديق قوله وربط قوله به فلم يكن لغوا البتة وايضا انه سبحانه ذكر قبل هذه الاية النهي عن كثرة الحلف فذكر عقيب ذلك ان هولاء الذين يكثرون الحلف على سبيل الاعتياد وفي الكلام لا على سبيل القصد الى الحلف وبين انه لا مواخذة عليهم ولا كفارة لان ايجاب الكفارة والمواخذة عليهم يفضي اما الى ان يمتنعوا الى الكلام او يلزمهم في كل لحظة كفارة وكلاهما حرج في الدين فظهر ان تفسير اللغو بما ذكرناه هو المناسب ويويده ما روت عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لغو اليمين قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله وروي انه صلى الله عليه وسلم مر بقوم ينتضلون ومعه رجل من اصحابه فرمى رجل من القوم فقال اصبت والله ثم اخطا فقال الذي مع النبي صلى الله عليه وسلم حنث الرجل يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم كلا ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة وعن عايشة انها قالت ايمان اللغو ما كانت في الهزل والمراء والخصومة التي لا يعقد عليها القلب واثر الصحابي في تفسير كلام الله حجة وقال ابو حنيفة اليمين معنى لا يلحقه الفسخ فلا يعتبر فيه القصد كالطلاق والعتاق وايضا انه صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اوجب الكفارة على الحانث مطلقا من غير فصل بين الجد والهزل وقيل ان يمين اللغو هو الحلف على ترك طاعة او فعل معصية فبين الله تعالى انه لا يواخذ بترك هذه الايمان ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم اي باقامتكم على ذلك الذي حلفتم عليه من ترك الطاعة وفعل المعصية وعن الضحاك ان اللغو هي اليمين المكفرة كانه قيل لا يواخذكم الله بالحلف اذا كفرتم وقيل هي ما يقع سهوا ولم بما كسبت قلوبكم هو العمد واختاره القاضي ابو بكر ثم ان الشافعي قال ان معنى لا يواخذكم لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده وقال ابو حنيفة معناه لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس وقال مالك في الموطا احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة قال والذي يحلف على الشيء وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضي فيه احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم ان يكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء المباح له فعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه والله غفور حليم حيث لم يواخذكم باللغو في ايمانكم واخر عقوبتكم بما كسبت قلوبكم لعلكم تقلعون او تتوبون عنها

الحكم العاشر

الذين يولون من نسائهم يقال في اللغة آلى يولي ايلاء وتالى تاليا والالية والقسم واليمين والحلف كلها واحد وفي الحديث القدسي اليت ان افعل خلاف المقدرين والايلاء في الشرع هو الحلف على الامتناع من وطء الزوجة مطلقا او مدة تزيد على اربعة اشهر وكان الايلاء طلاقا في الجاهلية فغير الشرع حكمه قال سعيد بن المسيب كان الرجل لا يريد المراة ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها وكان يتركها بذلك لا ايما ولا ذات بعل والغرض منه مضارة المراة ثم ان اهل الاسلام كانوا يفعلون ذلك ايضا فازال الله ذلك وامهل الزوج مدة حتى يتروى ويتامل فان راى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وان راى المصلحة في المفارقة عن المراة فارقها ثم المتعارف ان يقال اليت على كذا وانما عدي ههنا بمن لانه اي يبعدون من نسائهم تربص اربعة اشهر كما يقال في منك كذا او ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم تربص اربعة اشهر او يعتزلون مولين او مقسمين والتربص التلبث والانتظار واضافته

الى

الى اربعة اشهر اضافة المصدر الى الظرف كقولهم بينهما يوم او مسيرة يوم فان فاءوا رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم يغفر للمومنين ما عسى ان يقدموا عليه من طلب الضرار من الايلاء وهو الغالب وان كان من الجائز كونه على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لغير ذلك من الاسباب وان عزموا الطلاق بان عقد والقلب على رابطة النكاح فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة التي هي مثل التوبة واعلم ان الايلاء له اركان اربعة الحالف والمحلوف به والمحلوف عليه والمدة وهي ظرف المحلوف عليه الركن الاول الحالف وهو كل زوج يتصور منه الوقاع وكان تصرفه معتبرا في الشرع فيصح ايلاء الذمي لعموم قوله الذين يولون وبه قال ابو حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد لا يصح الايلاء بالله تعالى ويصح بالطلاق والعتاق وايضا لا فرق عندنا بين الحر والرقيق في المدة وعند ابي حنيفة تنتصف برق المراة وعند مالك برق الرجل كما في الطلاق لنا ان التخصيص خلاف الظاهر وان التقدير بهذه المدة انما كان لاجل معنى يرجع الى الجبلة والطبع وهو قلة الصبر على مفارقة الزوج فيستوي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة الرضاع ومدة العنة ويصح الايلاء في حالتي الرضا والغضب لعموم الاية وقال مالك لا يصح الا في حال الغضب وايضا يصح الايلاء عن المراة سواء كانت في صلب النكاح او كانت مطلقة طلقة رجعية لان الرجعية يصدق عليها انها من نسائه بدليل انه لو قال نسائي طوالق وقع الطلاق عليها فتدخل تحت ظاهر قوله يولون من نسائهم ولو قال لاجنبية والله لا اجامعك لم يكن موليا وايلاء الخصي صحيح لانه يجامع كما يجامع الفحل غير انه لا ينزل ومن جب جميع ذكره لم يصح ايلاؤه على الاظهر لانه لا يتحقق منه قصد الايذاء لامتناع الامر في نفسه وكذا الاشل ومن بقي من ذكره بعد الجب ما دون قدر الحشفة وان آلى ثم جب فالاصح ثبوت الخيار لها فان لم تفسخ بقي الايلاء على الاظهر لان العجز عارض وقد قصد الاضرار في الابتداء واذا كانت المراة رتقا او قرناء فالحكم كما في الجب ولا يصح ايلاء الصبي والمجنون بحال الركن الثاني المحلوف به وهو اما الله تعالى وصفاته او غيره فان حلف بالله كان موليا ثم ان جامعها مدة الايلاء هل يجب عليه كفارة اليمين الجديد وهو قول ابي حنيفة انه يجب عليه كفارة اليمين لان الدلايل الدالة على وجوب الكفارة عند الحنث باليمين عامة واي فرق بين ان يقول والله ما اقربك ثم يقربها وبين ان يقول والله لا اكلمك ثم يكلمها وانما ترك ذكر الكفارة في الاية لانها مبينة في ساير المواضع من القران وعلى لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى فان الله غفور رحيم يدل على عدم العقاب وانه لا ينافي الكفارة وكما ان الكفارة عن الزنا والقتل لا عقاب عليه ومع ذلك يجب عليه الحد والقصاص واما ان كان الحلف في الايلاء بغير الله كما اذا قال ان وطئتك فلله علي عتق رقبة او صوم او صلاة او صدقة فهل يكون موليا الجديد وهو قول ابي حنيفة ومالك وجماعة من العلماء انه يكون موليا لان العتق والطلاق والمعلقين بالوطء يحصلان لو وطئ فيكون ما يلزمه بالوطء مانعا له من الوطء ويكون هو بتعلقه من الوطء مضرا بها فتثبت لها المطالبة كما في اليمين بالله تعالى حتى يضيق الامر عليه بعد مضي اربعة اشهر ليفيء او يطلق ولا يخفى انه لو كان المعلق به التزام قربة في الذمة فعليه ما نذر اللجاج وفيه اقوال اصحها ان عليه كفارة اليمين والثاني عليه الوفاء بما سمى والثالث التخيير بين كفارة اليمين وبين الوفاء الركن الثالث المحلوف عليه وهو الجماع وهذا من صرائح الفاظه وكذا النيك والوطء والاصابة ومن كناياته المباضعة والملامسة والمباشرة فلا تعمل الا بالنية الركن الرابع المدة فعن ابن عباس انه لا يكون موليا حتى يحلف ان لا يطاها ابدا وعن الحسن واسحق انه مول وان كان يوما وهذان المذهبان في غاية البعد وعن ابي حنيفة والثوري انه لا يكون موليا حتى يحلف ان لا يطاها اربعة اشهر او فيما زاد وعن مالك واحمد والشافعي انه لا يكون موليا حتى تزيد المدة على اربعة اشهر فعند الشافعي اذا آلى منها اكثر من اربعة اشهر اجل الاربعة اشهر وهذه المدة يكون حقا للزوج فاذا مضت طالبت المراة الزوج بالفيئة او الطلاق فان امتنع الزوج طلقها الحاكم عليه وعند ابي حنيفة اذا مضت اربعة اشهر يقع الطلاق بنفسه حجة ابي حنيفة ان الفاء في قوله فان فاءوا يقتضي كون ما بعده من حكمي الفيئة او الطلاق مشروعا متراخيا عن انقضاء الاشهر الاربعة وايضا قوله وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم صريح في ان وقوع الطلاق انما يكون بايقاع الزوج وفي ان الزوج لا بد ان يصدر عنه شيء يكون مسموعا وما ذاك الا ايقاع الطلاق اجاب ابو حنيفة بان قوله فان فاءوا تفصيل للحكم المتقدم كما تقول انا نزيلكم

هذا الشهر فان احدكم اذا عندكم الي اخره والا فانهما الا انهما اخول وايضا الايلاء طلاق في نفسه فالطلاق اشارة
اليه وايضا الغالب ان العازم للطلاق والضرار وترك الفيئة لا يخلو من مقاولة ودمدمة وحديث نفس فذلك الذي
يسمع الله كما يسمع وسوسة الشيطان واستدل على صحة مذهبه في ان الفيئة لا بد ان تقع في الاشهر بقراءة عبد الله
بن مسعود فان فاءوا فيهن ورد بانها شاذة فلا معول عليها والرجوع الي الحق اولي الله حسبي **التاويل**
كما ان النساء يحضن في الظاهر وهو سبب نقصان ايمانهن بمنعهن عن الصلوة والصيام فكذا الرجال يحيض في الباطن
وهو سبب نقصان ايمانهم بمنعهم عن حقيقة الصلوة وهي المناجاة وعن حقيقة الصوم وهي الامساك عن
مشتهيات النفوس وكما ان الحيض غلبة الدم فكذلك الهوي هو غلبات دواعي الصفات البشرية والحاجات
الانسانية فكما ان الانسان تكدر الصفات وحصل الاذي وقد قيل قطرة من الهوي تكدر بحرا من الصفا ولذلك
نودي من سرادقات الجلال يا قلوب الرجال اعتزلوا نساء النفوس في محيض غلبات الهوي حتى تطهرن
يفرغن من قضاء الحوائج الضرورية للانسان من الماكول والمشروب والمنكوح فاذا تطهرن بماء التوبة والانابة
ورجعن الي الحضرة في طلب القربة فاتوهن من حيث امركم الله يعني عند ظهور شواهد الحق لا بهوي باطل
النفس واضمحلال هواها ان الله يحب التوابين عن اوصاف الوجود ويحب المتطهرين باخلاق المعبود بل يحب
التوابين عن بقاء الوجود ويحب المتطهرين ببقاء الشهود نساؤكم حرث لكم البالغون الواصلون الي عالم
الحقيقة المتصرفون فيما سوي الله بخلاف الخلق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم وهم الانبياء والاولياء
القايمون بالله الداعون الي الله باذن الله فكما ان الدنيا مزرعة الاخرة لقوم فالدنيا والاخرة مزرعتهم
ومحترثهم يحترثون فيها اني شاؤا وكيف شاؤا وما تشاؤن الا ان يشاء الله فقد ثبت مشيته في مشيتهم
وبقيتنا قدرة تصرفهم بنو نبه لا يواخذكم الله القلب كالارض للزراعة والجوارح كالالات الحراثة والاعمال
والاقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع في الارض المرتبة للزراعة لا تنبت وان كان في الة من الات الحراثة اما ان
كان لما يجري علي الظاهر من الخير ادني اثر في القلب ولو كان مثقال ذرة فان الله تعالي من كمال فضله وكرمه
لا يضيعه بل يضاعفه فان كان ما يجري عليه في الظاهر شرا فان لم يكن له اثر في القلب كان لغوا ولا يواخذه
وان كان له اثر في القلب فهو بصدد المواخذة فان الله ان شاء غفره للذين يؤلون من نسائهم من وقع له من
اهل القصة وقعة او فترة في اثناء السلوك من ملالة النفس او نفرة الطبع فعلي الشيخ والاصحاب ان لا يفارقوا
في الحقيقة دعاءه وتوه بالهمم العلية وبتربصوا اربعة اشهر للرجوع لان هذه مدة تعلق الروح بالجنين كما جاء
في الحديث ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك
الي اخره فان فاءوا الفيئة الي صدق الطلب ورعاية حق الصحبة ونفخ فيه روح الارادة مرة اخري لاحظه
بعين القبول فان هذا ربيع لا يرعاه المهزول ومربع لا يسكنه الا المعزولون بل شراب لا يذوقه الا العارفون وغنا لا يطرب
عليه الا العاشقون وان عزموا الطلاق بعزمه علي طلاق منكوحته الواصلة فان الله سميع عليم لمقالتهم عليم بحالتهم والله اعلم

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ط وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ
فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ط وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ
إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ط وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ط
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ص فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ط وَلَا يَحِلُّ
لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ط فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا

حدود

حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ط تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ج وَمَنْ
يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى
تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ط فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ
اللَّهِ ط وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ
فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ص وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا ج وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ط وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ط وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ
إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ط ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ط ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ط وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝

القراءة ان يخافا بضم الياء يزيد وحمزة ويعقوب الباقون بفتح الياء نبينها بالنون المفضل الباقون بياء
الغيبة يفعل ذلك مدغما حيث كان ابو الحرث عن علي فقد ظلم مظهرا ابن كثير وابو جعفر ونافع عن ورش وعاصم غير الاعشي
الوقوف قروء ط الاخر ط اصلاحا ط العرف ط لعطف المتفقتين باحسان ط حدود الله ط الاول افتدت به ط تعتدوها ج الظالمون
مع الجزاء عنه لان طلاق الزوج الثاني على خطر الوجود لا منتظر معهود فكان خارجا من مقتضى الجملة الاولى ان يقيما
حدود الله ط يعلمون ۝ او سرحوهن بمعروف ص لطول الكلام لتعتدوا ج نفسه ط هزوا ط لطول ما بعده يعظكم به ط بالمعروف ط واطهر ط
لا يعلمون ۝ **التفسير الحكم الحادي عشر الطلاق** ويشتمل على احكام اولها وجوب العدة فاعلم ان المطلقة
وهي التي اوقع الطلاق عليها اما ان تكون اجنبية ولا يقع الطلاق عليها في عرف الشرع بالاجماع واما ان تكون منكوحة
وحينئذ اما ان لا تكون مدخولا بها ولا عدة عليها لقوله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
فما لكم عليهن من عدة تعتدونها واما ان يكون مدخولا بها وحينئذ ان كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل قال تعالى
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان كانت حائلا فان امتنع الحيض في حقها اما للصغر المفرط او للكبر المفرط
فعدتها بالاشهر لا بالاقراء لقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر واللائي
لم يحضن وان كان الحيض في حقها ممكنا فان كانت رقيقة فعدتها قرآن وان كانت حرة فعدتها ثلثة اقراء بهذه
الاية فظهر ان قوله والمطلقات لا يتناول الا المنكوحة الحرة المدخول بها الحائل من ذوات الحيض لا يقال العام انما يحسن تخصيصه
اذا كان الباقي اكثر من حيث جرت العادة باطلاق لفظ الكل على الغالب لا المغلوب فيقال للثوب اسود اذا كان الغالب
عليه السواد لا البياض وههنا الباقي قسم واحد من الاقسام الخمسة فكيف يحسن اطلاق لفظ العام اليه لانا نقول
اما الاجنبية فتخرج بعرف الشرع كما مر واما غير المدخول بها فالقرينة تخرجها لان المقصود من العدة براءة الرحم وكذا
الحامل والايسة لان ايجاب الاعتداد بالاقراء انما يكون حيث يحصل الاقراء ولا اقراء في حقها واما الرقيقة فتخرجها

الاخرم

كالنادر فثبت ان اللفظ باق على تناوله الاغلب وانما لم ينقل وليتربصن المطلقات بل اخرج الامر في صورة الخبر
اشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن فهو يخبر عنه موجود وبناء الكلام على المبتدا
مما زاده ايضا فضل تاكيد وتقو ولو قيل وتتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة وفي ذكر الانفس دون ان يقال يتربصن
ثلثة قروء تهييج لهن على التربص لان فيه ما يستنكفن منه فان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان
يقمعن انفسهن والقروء جمع قرء وقرء بفتح القاف او ضمها والراء ساكنة في الحالين وفي الصحاح بفتح القاف فقط ولا
خلاف ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض والمشهور انه حقيقة فيهما وقيل حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل
بالعكس وقيل انه موضوع لمعنى واحد مشترك بينهما اما لان القرء هو الاجتماع ثم في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم
وفي وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الاصمعي والاخفش والفراء والكسائي واما لانه عبارة عن الانتقال
من حالة الى حالة وهو قول ابي عبيد واما لان القرء هو الوقت يقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها ولا يخفى ان لكل طهر من
الحيض وقتا معينا وهذا هو الوقت قول عمرو بن العلاء ثم ان الله تعالى امر المطلقة بثلثة اشياء تسمى اقراء لكن العلماء
اجمعوا على ان الثلثة يجب ان يكون من احد الجنسين ثم اختلفوا فذهب الشافعي الى انها الاطهار ويروى ذلك عن ابن
عمر وزيد وعايشة ومالك وربيعة واحمد في رواية وقال عمر وعلي وابن مسعود هي الحيض وهو قول ابي حنيفة
والثوري والاوزاعي وابن ابي ليلى وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر حتى لو طلقها في حال الطهر يحسب
بقية الطهر قرءا وان حاضت عقيبه في الحال فاذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند ابي حنيفة
ما لم يطهر من الحيضة الثالثة ان كان الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان كان في حال الحيض لا يحكم بانقضاء
عدتها ثم قال اذا طهرت لاكثر الحيض انقضت عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل
او تتيمم عند عدم الماء او يمضي عليها وقت صلوة حجة الشافعي فطلقوهن لعدتهن اي في زمان عدتهن
واجيب بان معنى الاية مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلث بقين من الشهر اي مستقبلا لثلث وقيل اهل النحو
استدلال الشافعي لان قول القائل لثلث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع في الثلث عقيبه فمعنى الاية فطلقوهن
بحيث يحصل الشروع في العدة عقيبه ولما كان الاذن حاصلا بالتطليق في جميع زمان الطهر وجب ان يكون الطهر
الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة ويروى عن عايشة انها قالت هل تدرون ما الاقراء الاقراء الاطهار ثم قال
الشافعي والنساء بهذا اعلم وايضا التركيب يدل على الجمع واكثر احوال الرحم اجتماعا واشتمالا على الدم اخر الطهر
اذا لم يمتلي تلك المعايض لما سالت الى الخارج فمن اول الطهر تاخذ بالاجتماع والازدياد الى اخره والاخر هو حال كمال
الاجتماع فاخر الطهر هو القرء بالحقيقة وايضا الاعتداد بالاطهار اقل زمانا من الاعتداد بالحيض فيلزم المصير اليه
لان الاصل ان لا يكون لاحد على غيره حق الحبس والمنع وكلما كان المدة اقل كان اقرب الى هذا الاصل ووافق لهم ايضا
الاية تدل على انها اذا اعتدت بثلثة اشياء تسمى اقراء خرجت عن العهدة فتكون متمكنة من الاعتداد في الاطهار التي
مدتها اقل ومن الاعتداد بالحيض التي مدتها اكثر فيكون الاعتداد بالقدر الزائد على مدة الاطهار غير واجب حجة
ابي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولان
الغرض الاصلي من العدات استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام ولان الاصل في الابضاع الحرمة وفي تقليل
مدة العدة تحليل بضعها للزوج الثاني فالتكثير احوط ولان الطلاق في كل طهر كامل على بعض الطهر خلاف الظاهر
واذا تعارضت الوجوه ضعفت الترجيحات ويكون حكم الله تعالى في حق كل احد ما ادى اجتهاده اليه وانتصاب ثلثة
قروء على انه مفعول به كقولهم المحتكر يتربص الغلاء اي يتربص مضي ثلثة قروء او على الظرفية اي مدة ثلثة
قروء وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء للاتساع فانهم يستعملون كل واحد من الجمعين مكان
الاخر لهذا قال بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة وايضا فلعل القروء كان اكثر استعمالا فنزل القليل منزلة المهمل فيكون
مثل قولهم ثلثة شسوع ثم ان امر العدة لما كان مبنيا على انقضاء القرء في حق الحامل كان الوصول الى معرفة
ذلك متعذرا على الرجال جعلت المراة امينة في العدة وجعل القول قولها اذا ادعت انقضاء قرئها في مدة يمكن ذلك
فيها وهو عند الشافعي اثنان وثلثون يوما وساعة لانها اذا طلقت طاهرا فحاضت بعد ساعة ثم حاضت يوما

وليلة وهو اقل الحيض ثم طهرت خمسة عشر يوما وهو اقل الطهر ثم حاضت مرة اخرى يوما وليلة ثم طهرت
خمسة عشر ثم رأت الدم فقد انقضت عدتها لحصول ثلثة اطهار فمن ادعت هذا او اكثر منه قبل قولها وكذا لو
اذا كانت حاملا فادعت سقوط الولد كان القول قولها لانها على اصل امانتها ولهذا قال سبحانه ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن فاكثر المفسرين قالوا ان الكتمان راجع الى الحمل والحيض معا وذلك ان المراة لها اغراض كثيرة
في كتمانها اما كتمان الحمل فاذا كتمت الحمل قصرت مدة عدتها فتتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج الاول
وربما احبت التزوج بزوج اخر واحبت ان يلصق ولدها بالزوج الثاني واما كتمان الحيض فغرضها فيه ان المراة اذا طلقها
الزوج وهي من ذوات الاقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الاول وقد تحب تقصير عدتها لتبطل رجعته
فاذا حاضت اولا فكتمته ثم اظهرت عند الحيضة الثانية ان ذلك اول حيضها فقد طولت العدة وهكذا ان كتمت
الحيضة الثالثة واذا كتمت ان حيضها باق فقد قطعت الرجعة على زوجها وقيل المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لان
المخلوق في الارحام هو الحبل لا الحيض ولان حمل المعنى على ما هو تشريف اولى ولقوله تعالى هو الذي يصوركم
في الارحام كيف يشاء وقيل المراد النهي عن كتمان الحيض لان الاية وردت عقيب ذكر الاقراء ولم يتقدم ذكر الحمل
وقيل يجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في
ارحامهن كناية عن اسقاطه وفي قوله ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن وان من امن بالله وبعقابه
لا يجترئ عليه مثله من العظائم وفيه ان من جعل امينا في شيء فخان فيه فامره عند الله شديد

الحكم الثاني عشر للطلاق الرجعة

وذلك قوله وبعولتهن احق بردهن والبعل الزوج والجمع البعولة والتاء
لتاكيد التانيث في الجماعة كصقورة وليس هذا في كل جمع وانما هو مقصور على السماع ويقال المراة ايضا بعل وبعلة
كما يقال زوج وزوجة والبعل السيد المالك يقال من بعل هذه الناقة اي من ربها وصاحبها ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر
من قولك بعل حسن البعولة وعلى هذا فالمضاف محذوف اي اهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن قال تعالى في
موضع ولئن رددت الى ربي في موضع اخر ولئن رجعت فكانه بردها من التربص الى خلافه ومن الحرمة الى الحل في ذلك
اي مدة التربص لانه اذا انقضى ذلك الوقت بطل حق الرد والرجعة وانما تكون البعولة احق عند الله تعالى برجعتهن
ان ارادوا اصلاحا لما بينه وبينهن واحسانا اليهن لا المضرات طويل العدة كما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا
فلو راجعها لقصد المضارة استوجب من الله العقاب وان صحت رجعته شرعا لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر
فان قيل كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها فالجواب ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار
قوله على قولها فهذا هو المعني بالاحقية او يقول انهن ان لم يكتمن ما في ارحامهن لاجل ان يتزوج بهن اخر فاذا فعلن ذلك
كان الزوج الاول احق بردهن واذ ثبت للزوج الثاني حق في الظاهر ولهن من الحق على الرجال مثل الذي عليهن بالمعروف
بالوجه الذي لا ينكر بالشرع وعادات الناس فلا تكلفنهم ما ليس لهن ولا تكلفونهن ما ليس لهم والمراد بالمماثلة
مماثلة الواجب الواجب في كونهما من الحسنة لا في جنس الفعل فاذا غسلت ثيابه او خبزت لا يجب عليه ان يفعل
نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال قال ابو هريرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي النساء خير قال التي
تسره اذا نظر وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره وفي حديث حجة الوداع الا ان لكم على نسائكم
حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا ياذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن
عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن وعن ابن عباس انه قال اني لاتزين لامراتي كما تتزين لي
لقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وقيل معنى الاية ولهن على الزوج من ارادة الاصلاح عند المراجعة مثل
ما عليهن من ترك الكتمان وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة وهي واحدة الدرجات الطبقات من
المراتب واصلها من درج الرجل والصبي يدرج اي مشى ودرج اي مضى لسبيله ودرج القوم اذا انقرضوا وفي المثل
اكذب من دب ودرج اي اكذب الاحياء والاموات وقد فضل الله الرجال على النساء في امور في العقل وفي
الدية وفي الميراث وفي نصيبه من الغنم وفي صلاحية الامامة والقضاء والشهادة وفي ان له ان يتزوج عليها
ويتسرى وليس لها ذلك وفي ان له ان يطلقها واذا طلقها راجعها شاءت المراة ام ابت ولا قدرة للمراة على التطليق

ولا علي الرجعة فاذن المراة كالاسير العاجز في يد الرجل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان وفي خبر اخر اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمراة وذلك ان من كانت نعمة الله عليه اكثر كان صدور الذنب عنه اقبح واستحقاقه للزجر اشد وقيل بل الغرض من الاية ان فوايد الزوجية من السكن والازدواج والالفة والمودة واشتباك الانساب واستكثار الاعوان والاحباب وحصول اللذة وكل ذلك مشترك بين الجانبين بل يمكن ان يقال نصيب المراة منها اوفر ثم ان الزوج اختص بانواع من الكلفة وهي التزام المهر والنفقة والذب عنها والقيام بمصالحها فيكون وجوب الخدمة علي المراة اشد رعاية لهذه الحقوق الزائدة فيكون كقوله تعالى الرجال قوامون علي النسا بما فضل الله بعضهم علي بعض وبما انفقوا من اموالهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا بالسجود لغير الله لامرت المراة بالسجود لزوجها والله عزيز حكيم غالب لا يمتنع مصيب في افعاله واحكامه ولا يتطرق اليها احتمال العبث والسفه والغلط والباطل

الحكم الثالث الطلاق هو الطلاق الذي يثبت فيه الرجعة وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يطلق امراته ثم يراجعها قبل ان تنقضي عدتها ولو طلقها الف مرة كانت القدرة علي المراجعة ثابتة فجاءت امراة الى عايشة فشكت ان زوجها يطلقها ويراجعها ايضا فذكرت عايشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل الطلاق مرتان فعلي هذا تكون الاية متعلقة بما قبلها والمعنى ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثلث وهذا التفسير من جوز الجمع بين الطلقات الثلث وهو مذهب الشافعي وهو الذي ينظم الكلام لانه تعالى بين في الاية الاولى ان حق الرجعة ثابت للزوج ولم يذكر ان ذلك الحق ثابت دايما او الى غاية معينة فكان ذلك كالمجمل او العام فيفتقر الى مبين او مخصص فذكر عقيبه ان الطلاق المعهود السابق الذي يثبت فيه للزوج حق الرجعة والطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم وقيل ان هذا الكلام مبتدا والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة علي التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة وكقولهم لبيك وسعديك وهذا التفسير قول من قال الجمع بين الثلث حرام زعم ابو زيد الدبوسي في الاسرار ان هذا قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعمران بن الحصين وابي موسى الاشعري وابي الدرداء وحذيفة فبين كره العدول عن لفظ الامر وهو طلقوا مرتين اي دفعتين الى لفظ الخبر كما مر في قوله والمطلقات يتربصن ثم من قال هولاء لو طلقها اثنتين او ثلثا لا يقع الا واحدة وهذا هو الاقيس واختاره كثير من علماء اهل البيت عليهم السلام لان النهي يدل علي اشتمال المنهي علي مفسدة راجحة والقول بالوقوع سعي في ادخال تلك المفسدة في الوجود ومنهم من قال وهو اختيار ابي حنيفة انه وان كان محرما الا انه يقع ويكون بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لا يجامعها فيها وهذا منه بناء علي ان النهي لا يدل علي الفساد ومما يوكد مذهب الشافعي حديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ومما يوكد مذهب ابي حنيفة حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل طهر تطليقة اما قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان اي امركم بعد الرجعة او بعد معرفة كيفية التطليق احد هذين فالتسريح الارسال والاطلاق والامساك نقيضه ومعنى الامساك بالمعروف هو ان يراجعها لا علي قصد المضارة بل علي قصد الاصلاح ومعنى التسريح باحسان قيل هو ان يوقع عليه الطلقة الثالثة روي انه لما نزل الطلاق مرتان قيل له صلى الله عليه وسلم فاين الثالثة قال هو قوله او تسريح باحسان وقيل هو ان يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ويروى عن الضحاك والسدي وهو الاقرب لولا الخبر الذي رويناه لان الفاء في قوله فان طلقها يقتضي وقوع هذه الطلقة متاخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة الثالثة لكان قوله فان طلقها طلقة رابعة وانه غير جايز وايضا لو حملنا التسريح علي ترك المراجعة كانت الاية متناولة لجميع الاقسام لانه بعد الطلقة الثانية اما ان يراجعها وهو قوله فامساك بمعروف او لا يراجعها بل يتركها حتى ينقضي عدتها فتحصل البينونة وهو قوله او تسريح باحسان او يطلقها وذلك قوله فان طلقها فلو جعلنا التسريح طلاقا لزم اهمال احد الاقسام ويقرب بعضها واما اثبات حق المراجعة فهي ان النعم مجهولة اذا فقدت عرفت فلو كان

الطلقة

الطلقة الواحدة مانعة عن الرجعة فربما يظهر المحبة بعد المفارقة وعظمت المشقة ثم ان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة فلهذا اثبت حق المراجعة بعد المفارقة مرتين لتجرب الانسان احوال قلبه فان كان الاصلح له امساكها راجعها وامسكها بالمعروف وان كان الاصلح تسريحها سرحها علي احسن الوجوه وهو يودي حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وهذا التدريج والترتيب يدل علي كمال رافته بعبده

الحكم الرابع من احكام الطلاق بيان الخلع وذلك قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا مما اعطاهن من المهر والثياب وساير ما يتفضل به عليها لانه ملك بضعها ما يستمتع بها في مقابلة ما اعطاها الا اذا فارقها علي عوض ويدخل فيه النهي من ان يضيق عليها ليلجيها الى الافتداء كما قال في سورة النسا ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن والخطاب في قوله ولا يحل لكم للازواج وفي قوله وان خفتم للايمة والحكام ويجوز ان يكون الخطاب الاول ايضا للايمة الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والموتون ويروى ان الاية نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي سنن ابي داود ان المراة كانت حبيبة بنت سهل الانصارية وكانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه اشد البغض فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فرق بيني وبينه والله ما اعيب عليه في دين ولا كفر ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخبا فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال ثابت مرها فلترد علي الحديقة التي اعطيتها فقال لها ما تقولين قالت نعم وازيده فقال صلى الله عليه وسلم لا حديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية واختلفوا في مقدار ما يجوز به الخلع وعن الشعبي والزهري و الحسن وعطا وطاوس انه لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي عليه السلام لقوله عليه السلام ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا ثم قال فلا جناح عليهما اي فلا جناح علي الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت ومعنى فيما افتدت به نفسها واختلعت به فوجب ان يكون هذا راجعا الى ما اتاها ولقوله صلى الله عليه وسلم لا حديقته فقط حين قالت جميلة نعم وازيده ولان ذلك اجحاف بجانب المروة وضرار بالمراة بعد ما استمتع من بعضها ولهذا قال سعيد بن المسيب لا ياخذ الا دون اعطاها حتى يكون الفضل له واما ساير الفقهاء فانهم قالوا الخلع عقد معاوضة فينبغي ان لا يتقيد بمقدار معين فكما ان للمراة عند النكاح ان لا ترضى الا بالصداق الكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالعة الا بالبدل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهيته ويتاكد هذا بما روي ان امراة نشزت علي زوجها فرفعت الى عمر فاباتها في بيت الزبل ثلثة ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال عمر لزوجها اخلعها ولو بقرطها حتى قرطها ولهذا قال قتادة يعني بمالها كله وقيل هو من قولهم خذه ولو بقرطي مارية وذلك انه كان فيهما درتان قيمتهما اربعون الف دينار ويصح الخلع في حالتي الشقاق والوفاق عند اكثر المجتهدين لقوله تعالى فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان يحصل لنفسها شيا بازاء ما بذلت كان ذلك في الخلع الذي يصير بسببه مالكة لنفسه اولى وذهب الزهري والنخعي وداود الى انه لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله كما في الاية وان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد والجمهور علي انه لا كراهة في الخلع ان جرى في حال الشقاق او كانت تكره صحبته لسوء خلقه او دينه او تحرجت عن الاخلال ببعض حقوقه لما بها من الكراهة فافتدت لتطلقها او ضربها الزوج تاديبا فافتدت او منعها حقها من النفقة وغيرها فافتدت لتتخلص منه وان كان الزوج يكره صحبتها فاسا العشرة ومنعها ببعض حقها حتى ضجرت وافتدت فالخلع مكروه وان كان نافذا والزوج اثم بما فعل والخلع المباح هو ان يكون المراة بحيث يخاف الفتنة علي نفسها والزوج يخاف انها اذا لم تطعه اعتدى عليها ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن كما سبق في قوله فمن خاف من موص جنفا ومن قرا الا يخافا علي البناء للمفعول جعل الا يقيما بدلا من الف الضمير بدل الاشتمال مثل خيف زيد تركه اقامة حدود الله ثم الفرقة الحاصلة علي العوض ان كان بلفظ الطلاق فهو طلاق وان لم يجز الا لفظ الخلع فللشافعي فيه قولان الجديد انه طلاق ينتقص به العدد واذا طلقها

تلك مرات لم ينكحها الا بمحلل وروي هذا عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال ابو حنيفة ومالك واختاره المزني ووجهه بانها فرقة لا يملكها غير الزوج فيكون طلاقا كما لو قال انت طالق على كذا ولانه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع واذا خالعها ولم يذكر المهر وجب ان يجب عليها المهر كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره والقديم انه فسخ لا ينتقص به العدد فيجوز تجديد النكاح بعد الخلع من غير حصر ويروى هذا عن ابن عمر وابن عباس قالوا لانه لو كان طلاقا وقد قال عقيب ذلك فان طلقها فلا تحل له من بعد لكان الطلاق اربعا ولان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت في مخالعته امرأته ولم يستكشف عن الحال مع ان الطلاق في زمان الحيض وفي الطهر الذي حصل الجماع فيه حرام ولما روى عكرمة عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس لما اختلعت منه جعل النبي صلى الله عليه وسلم عدتها حيضة ولو كانت مطلقة لم يقتصر لها على قرء واحد تلك اي المذكورات من احكام الطلاق حدود الله فلا تعتدوها ولا تتجاوزوا عنها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون والظالم اسم ذم وتحقير ووقوع هذا الاسم عليه يكون جاريا مجرى الوعيد وكيف لا والظالم ملعون الا لعنة الله على الظالمين ثم انه ظلم من الانسان على نفسه حيث اقدم على المعصية وظلم على الغير ايضا بتقدير ان لا تتم المرأة عدته او كتمت شيئا مما خلق في رحمها او ترك الرجل الامساك بالمعروف او التسريح بالاحسان او اخذ من جملة ما اتاها شيئا لا بسبب نشوز من جهة المرأة

الحكم الخامس من احكام الطلاق

بيان الطلقة الثالثة قاطعة لحق الرجعة وذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره والسبب في ايقاع اية الخلع بين اية الرجعة وبين هذه بعد ما مر مناسبتها للتسريح باحسان هو ان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة ومعنى الاية فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح اي تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان اي لها زوج منهم هذا عند من يفسر قوله الطلاق مرتان بالطلاق الرجعي واما عند من يفسره بالتطليق الشرعي هو الذي يوقع على التفريق فالمعنى عنده انه ان طلقها الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه فلا تحل له من بعد ذلك حتى تنكح زوجا غيره ومذهب جمهور المجتهدين ان النكاح ههنا بمعنى الوطي لان قوله زوجا يدل على العقد وقد نقلنا هنا عن ابي علي فيما سلف في تفسير قوله ولا تنكحوا المشركات ويؤيد هذا ما روي عن عائشة ان امرأة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني ثلثا فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك كنى بالعسيلة لذة الجماع وانا انث لان من العرب من يونث العسل وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها وايضا المقصود من توقيف حصول الحل على هذا الشرط زجرا للزوج عن الطلاق لان الغالب ان الزوج يستنكر ان يستفرش زوجة رجل اخر ولهذا قال بعض اهل العلم انما حرم الله على نساء النبي ان ينكحن زوجا غيره لما فيه من الغضاضة ومعلوم ان هذا الزجر انما يحصل بتوقيف الحل على الدخول فاما مجرد العقد فليس فيه زيادة نفرة فلا يصلح جعله مانعا وزاجرا ثم قال الشافعي اذا طلق زوجته واحدة او ثنتين ثم نكحت زوجا اخر وبانها ثم عادت الى الاول بنكاح جديد لم تكن له عليها الا طلقة وهي التي بقيت من الطلقات لان هذه طلقة ثالثة من حيث انها وجدت بعد طلقتين والطلقة الثالثة توجب الحرمة الغليظة وقال ابو حنيفة بل يملك عليها ثلثا كما لو نكحت زوجا بعد الثلث واذا تزوج الغير بالمطلقة ثلثا على انه اذا احلها للاول بان اصابها فلا نكاح بينهما فهذا نكاح متعة باجل مجهول وهو باطل ولو تزوجها بشرط ان يطلقها اذا احلها للاول ففيه قولان احدهما لا يصح والثاني يصح ويبطل الشرط وبه قال ابو حنيفة ولو تزوجها مطلقا مضمرا انه اذا احلها طلقها فالنكاح صحيح ويكره ذلك ويأثم به وقال مالك واحمد والثوري هذا النكاح باطل وحيث حكمنا بفساد النكاح فالوطي لا يقع به التحليل على الاصح وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له وعن

عمر

عمر لا اوتى بمحلل ولا بمحلل له الا رجمتهما فان طلقها الزوج الثاني الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة فلا جناح عليهما على المرأة المطلقة والزوج الاول في ان يتراجعا بنكاح جديد الى ما كان عليه من النكاح فهذا التراجع لغوي وظاهر الاية يقتضي ان يحل للزوج الاول هذا التراجع عقيب ما يطلقها الزوج الثاني من غير عدة بدلالة فاء التعقيب في قوله فلا جناح عليهما ولهذا ذهب سعيد بن المسيب الى ان النكاح ههنا بمعنى العقد وان التحليل يحصل بمجرد العقد لان الوطي لو كان معتبرا لما كانت العدة واجبة والجواب ان الاية مخصوصة بقوله تعالى والمطلقات يتربصن ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما وفي عزيمتهما انهما يقيمان حدود الزوجية ولم يقل ان علما ولا يقيس الظن ههنا بالعلم لان اليقين بالاستقبال مغيب عن الانسان فان لم يحصل هذا الظن دخلا عند المراجعة من نشوز منها واضرار منه فالرجوع مذموم الا انه يصح شرعا من قرأ نبينها بالنون فمن طريقة الالتفات والنون للتعظيم ومن قرأ بالياء فظاهر وصيغة المضارع اريد بها ههنا الحال فلا اشكال وجوز بعضهم ان يكون المراد بها الاستقبال وذلك ان النصوص التي تقدمت اكثرها عامة يدخل فيها التخصيص وذلك يعرف بالسنة فكان المراد والله اعلم ان هذه الاحكام التي تقدمت حدودها سيبينها الله على لسان نبيه صلى الله عليه واله وسلم كمال البيان فهو كقوله وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس وانما خص البيان بالعلماء لانهم هم المنتفعون بذلك ثم انه تعالى لما بين الاحكام المهمة للطلاق واستانف الحكم الامساك والتسريح بيانه في ايتين اخريين متعاقبتين لان حكمة الامر في الطلاق تؤول الى احد هذين الاولى قوله سبحانه واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقول لصاحبه اذا بلغت مكة فاغتسل بذي طوى يريد به مشارفة البلوغ فهذا من باب المجاز الذي يطلق فيه اسم الكل على الاكثر ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة له فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فراجعوهن من غير تطويل ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف خلوها حتى تنقضي عدتهن وتبين ولما امر بعد الطلاق باحد الامرين استانف حكم كل منهما فتقدم حكم الامساك على طريقة النهي لا الامر لان المأمور يمتثل بمرة واحدة فلعله يمسكها بمعروف في الحال لكن في قلبه ان يضارها في الاستقبال والنهي لا يمتثل الا اذا انتهى في كل الاوقات فيكون ادل على الدوام والثبات فقال ولا تمسكوهن ضرارا مضارة وتشمل موجبات التفرقة والعداوة كلها وروي ان الرجل كان يطلق المرأة ثم يدعها فاذا قارب انقضاء القرء الثالث راجعها وهكذا يفعل بها في العدة تسعة اشهر او اكثر وقيل الضرار سوء العشرة وقيل تضييق النفقة وكانوا يفعلون في الجاهلية اكثر منه الاعضال رجاء ان تختلع المرأة منه بمالها ومعنى قوله لتعتدوا اي لا تضاروهن لتكون عاقبة امركم الاعتداء كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن فتكونون متعدين لتلك العصمة وقيل لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله او بتفويته عليها منافع الدنيا والدين اما الدنيا فلانه اذا اشتهر بتلك المعاملة لم يرغب في التزويج منه ولا في معاملته احد واما منافع الدين فالثواب الحاصل على حسن العشرة مع الاهل وعلى الانقياد لاحكام الله تعالى وتكاليفه ولا تتخذوا ايات الله هزوا فمن اقر بانه يجب طاعة الله وطاعة رسوله ثم توصلت اليه هذه التكاليف المذكورة في ابواب العدة والرجعة والخلع وترك المضارة ولم يتشمر لادائها كان كالمستهزئ بها او المراد لا تتهاونوا بتكاليف الله كما يتهاون بما يكون من باب الهزل والعبث وعن ابي الدرداء كان الرجل يطلق في الجاهلية ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة ويروى الطلاق والعتاق والنكاح وعن عطاء ان المستغفر من الذنب اذا كان مصرا عليه او على مثله كان كالمستهزئ بايات الله ثم انه تعالى لما رغبهم في اداء التكاليف بما ذكر من التهديد رغبهم ايضا في ادائها بان ذكرهم اقسام نعمه عليهم فبدأ اولا بذكرها على الاجمال فقال واذكروا نعمة الله عليكم وهذا يتناول كل نعمة الله على العبد في الدنيا والدين وقيل المراد بها الاسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم خصص نعم الدين بالذكر لشرفها فقال وما انزل عليكم عطفا على النعمة من الكتاب والحكمة من القران والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به في محل النصب حالا مما انزل او من فاعل انزل ويحتمل ان يكون ما انزل الصلة والموصول

بحوران م

مبتدا وخبره يعظكم به خبر او اتقوا الله في اوامره ونواهيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم فيه وعد ووعيد وترغيب و
ترهيب النازل وهو حكم المراة المطلقة بعد انقضاء العدة قوله عز من قائل واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
بلوغ الاجل ههنا على الحقيقة عن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن لا تحبسوهن
ولا تضيقوا عليهن واصل العضل الضيق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وعضلت الارض بالجيش
اذا ضاقت بهم لكثرتهم واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم والعضلة اللحمة المجتمعة المكتنزة في عصبة والخطاب للازواج
الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن اذا
تراضوا اي الخطاب والنساء تراضيا واقعا بينهم بالمعروف بما يحسن في الدين والمروة من الشرائط كالعقد الحلال والمهر الجائز
والشهود العدول وقيل بمهر المثل وفرعوا عليه مسئلة فقهية توافق مذهب ابي حنيفة وهي انها اذا زوجت نفسها باقل من
مهر مثلها فالنكاح صحيح لكن للولي ان يعترض عليها بسبب النقصان عن المهر دفعا للشين عن الاولياء لان نساء العشيرة
يتضررن بذلك وقد يعتبر مهورهن بمهرها وزعم كثير من المفسرين ان الخطاب في قوله فلا تعضلوهن للاولياء لما روى
البخاري في صحيحه ان معقل بن يسار قال كان لي اخت يخطب الي وامنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه
فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب
فقلت له خطبت الي فمنعتها الناس واثرتك بها وزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك رجعة ثم تركتها حتى انقضت
عدتها فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحها ابدا فقال ففي نزلت هذه الاية فكفرت عن يميني
وانكحتها اياه وعن مجاهد والسدي ان جابر بن عبد الله كانت له بنت عم فطلقها زوجها واراد رجعتها بعد
العدة فابى جابر فنزلت واجيب بان رعاية نظم كلام الله اولى من محافظة خبر الواحد ولا يخفى تفكك النظم لو تناول اذا
طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء لانه لا يبقى بين الشرط والجزاء نسبة قالوا ليس بعد انقضاء العدة
قدرة للزوج على عضل المراة والجواب انه قد يقدر على الظلم فقد يجحد الطلاق او يدعي انه كان راجعها في العدة
ويدس الى من يخطبها بالوعيد والتهديد او ينسبها الى امور تنفر الناس عنها قالوا ان ينكحن ازواجهن يدل على ان
الاولياء كانوا يمنعونهن من العود الى اولئك الذين كانوا ازواجا لهن والجواب ان العرب قد تسمي الشيء بما يؤول اليه
فالمراد من يريد في ان يتزوجنهم فيكونوا ازواجا لهن وقيل الوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل
لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين ثم ان الشافعي تمسك بالاية في ان النكاح لا يجوز الا بولي
لانه لو جاز للمراة ان تتزوج بنفسها او توكل من يزوجها لما كان الولي قادرا على عضلها من النكاح وهذا مبني على ان
الخطاب في لا تعضلوهن للاولياء وفيه ما فيه ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون الاستبداد الشرعي حاصلا لهن ولكن يمنعها
الولي من بعض الجهات التي قلنا في الزوج ايضا فثبوت العضل في حق الولي يمتنع لانه مما عضل انعزل واذا انعزل لا
يبقى لعضله اثر وتمسك ابو حنيفة بقوله ان ينكحن ازواجهن على ان النكاح بغير ولي جائز وذلك انه تعالى
اضاف النكاح اليها اضافة الفعل الى فاعله والتصرف الى مباشره ونهي الولي عن منعها من ذلك ولو كان ذلك
التصرف فاسدا لما نهى الولي عن منعها منه ويتاكد هذا النص بقوله حتى تنكح زوجا غيره واجيب بان الفعل
كما يضاف الى المباشر فقد يضاف الى السبب مثل بنى الامير دارا وانما ذهبنا الى هذا وان كان مجازا للدلالة الحديث
على بطلان هذا النكاح هذا واما قوله ذلك يوعظ به للمكلفين جميعهم وقوله من كان منكم يؤمن بالله واليوم
الاخر تخصيص لهم بالوعظ لانهم هم المنتفعون بذلك ومن استدل بهذا على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع
الشرائع يكذبه التكاليف العامة كقوله ولله على الناس حج البيت وايضا لا يلزم من تخصيص العظة بالمؤمنين
تخصيص التكليف بهم ذلكم ازكى لكم اي انمى وهو اشارة الى استحقاق الثواب الدائم واطهر اي من ادناس
الاثام والله يعلم وانتم لا تعلمون لانه علمه تعالى فعلي كامل وعلمنا انفعالي ناقص فقد تخفى المصلحة والعاقبة
علينا او نشتبه المصلحة بالمفسدة فلا صلاح للمكلف الا في طاعة علام الغيوب ليحوز سعادة الدارين والله
ولي التوفيق **التاويل** انه سبحانه من كمال الكرم والاصطناع اذا صدر من العبد امارات النشوز والانقطاع اهمله
الى انقضاء عدة الجفا فلعله يعود الى اقامة شرائط الوفا ويتحرك داعية في صميم قلبه من نتائج محبة به اذا لم

يكن

يكن له ان يكتم ما خلق الله في رحم قلبه من المحبة واذا ابتلاه الله بمحنة الفرقة وليقرع باصبع الندامة باب التوبة
ويقوم على قدم الغرامة في طلب الرجعة والاوبة فيقال له من غاية الفضل والنوال يا قارع الباب دع نفسك وتعال
من طلب منا فلاحا فليلزم عتبتنا مساء وصباحا وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل
الذي عليهن اي للعباد حق في ذمة كرم الربوبية كما ان الله تعالى حقا في ذمة عباده فاذا تقرب العبد اليه
شبرا فالله احق برعاية الحق فيتقرب اليه ذراعا والفضل له على الاطلاق لا بدرجة بل بدرجات غير متناهية
والله عزيز عز من ان يراعي العباد مع عجزهم كما لحقوقه حكيم لا يقتضي حكمته ان يطالبهم بما ليس في وسعهم
بل يقبل منهم القليل ويري فيهم الثواب الجزيل الطلاق مرتان يعني ان اهل المحبة لا يفارقون بجريمة وجريمتين كما في
قصة موسى والخضر عليهما السلام ثم في الثالثة ان سلوك سبيل الهجران فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى
يصاحب الخائن صديقا مثله فان ندم بعد ذلك عن افعاله وسام ذلك الصديق ما مثاله ورجع الى صحبة اشكاله فلا
جناح في التراجع ان ظنا فيه خيرا ولا يجوز لاحد من الاخوان ان يعضله من صحبة الاقران وفيه ان الله تعالى يتجاوز عن
زلات العبد مرة اخرى فاذا اصر العبد ابتلاه بالخذلان وجعله قرين الشيطان كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن
فان طلق قرين الشيطان ورجع الى جناب الرحمن تداركه بالغفران والرضوان واما قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما اتيتموهن شيئا فاشارة الى انه ليس لاهل الصحبة واذا اتفقت المفارقة ان يستردوا خواطرهم عن الرفقاء بالكلية
فان العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه ان يؤدي الى مداهنة واهمال حق من حقوق الدين فلا
جناح عليهما فيما افتدت به كما ان لم يكن بينهما صحبة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ
وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا
لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا
فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا
أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ
فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ
خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا
تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ
الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

حليم ۝ لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ج
ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ج متاعا بالمعروف ج حقا على المحسنين
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم
الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح ج وان تعفوا اقرب
للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير ۝

القراءة لا تضار بضم الراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون بفتح الراء وللاطلاق في قوله ولا يضار كاتب بالفتح ما اتيتم مقصورا ابن كثير الباقون بالمد يتوفون بفتح الياء وما بعده المفضل الباقون بضم الياء النسا او بهمزتين عاصم وعلي وخلف وابن عامر الباقون النساي وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة النساي او تماسوهن حيث وقعت علي وحمزة وخلف الباقون تمسوهن قدره بالتحريك يزيد وابن ذكوان وحفص وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بالاسكان **الوقوف** الرضاعة ط بالمعروف ط وسعها ج لاستئناف اللفظ مع فوت المعنى مثل ذلك ط عليهما ط لابتداء الحكم في استرضاع الاجنبية بالمعروف ط بصير ج عشرا ج بالمعروف ط خبير ه في انفسكم ط معروفا ط اجله ط لابتداء الامر فاحذروه ج للفصل بين موجبي الخوف والرجاء ولهذا اكررت كلمة واعلموا تقديره غفور حليم فاحذروه والوقف اليق حليم ه فريضة ج لعطف المختلفتين ومتعوهن لانقطاع النظم مع اتصال المعنى لان الجملة الثانية لتقدير المامور في الاولى قدره الثاني لان متاعا مصدر متعوهن والوقف لبيان انه فرض متصل بالجملتين من الجملتين العامل صفتين بالمعروف ج لان حقا يصلح نعتا للمتاع اي متاعا حقا ويصلح مصدر المحذوف اي حق ذلك حقا المحسنين ه النكاح ط للتقوى ط بينكم ط بصير ه **التفسير الحكم الثاني عشر الارضاع** والوالدات قيل هي المطلقات والمزوجات لان ظاهر اللفظ مشعر بالعموم وقيل المطلقات ولهذا ذكرت عقيب اية الطلاق وتحقيقه انه اذا حصلت الفرقة استتبعت التباغض والتعاند المفضي لايذاء الولد ليتأذى الزوج وربما رغبت في التزوج بزوج اخر فيهمل امر الطفل فندب الله تعالى الوالدات المطلقات الى رعاية جانب الاطفال والاهتمام بشانهم وايضا انه تعالى قال في الاية وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولو كانت الزوجية باقية لوجب ذلك للزوجية لا للرضاع ذكره السدي وقال الواحدي في البسيط الاولى ان يحمل على المزوجات في حال بقاء النكاح لان المطلقة لا تستحق الاجرة ثم ان النفقة والكسوة تجبان في مقابلة التمكين فاذا اشتغلت بالارضاع والحضانة لم تتفرغ لخدمة الزوج فلعل متوهما يتوهم ان مؤنتها قد سقطت بالخلل الواقع في الخدمة فازيل ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت بالارضاع ويرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد وهذا الامر على سبيل الندب بدليل قوله تعالى فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الارضاع لم تستحق الاجرة وانما كان ندبا من حيث ان تربية الطفل بلبن الام اصلح ولان شفقتها اكثر ولا يجوز استئجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق وقد يفضي الامر الى الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستئجار حولين اي عامين والتركيب يدور على الانقلاب فالحول ينقلب من الوقت الاول الى الثاني وكاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة فقد يقال اقمت عند فلان حولين وانما اقام حولا وبعض الآخر وليس التحديد بالحولين تحديد ايجاب لقوله تعالى بعد ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الارضاع او اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب

يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه ثم المقصود من ذكر التحديد قطع التنازع بين الزوجين اذا تنازعا في مدة الرضاع فان اراد احدهما ان يفطمه قبل الحولين ولم يرض الآخر لم يكن له ذلك اما اذا اجتمعا على ان يفطما قبل تمام الحولين فلهما ذلك وايضا فللرضاع حكم خاص في الشريعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فيعلم من التحديد ان الارضاع ما لم يقع في هذا الزمان لا يفيد هذا الحكم هذا هو مذهب الشافعي وقال علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعلقمة والشعبي والزهري وعن ابي حنيفة ان مدة الرضاع ثلاثون شهرا وقرئ ان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التأويل اي في المصدر لان كلتيهما تارة تقع مصدرية فلا ينتصب وقرئ الرضاعة بكسر الراء وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم وانما قيل المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وفيه تنبيه على ان الولد انما يلحق الوالد لكونه مولودا على فراشه كما قال صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وفيه ان نفع الاولاد عائد الى الآباء فيجب عليهم رعاية مصالحهم كما قيل كله لك فكله عليك فعليهم رزقهن وكسوتهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم تكن هذه المعاني مقصودة وذلك قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يتلوه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضار وايضا المعروف في هذا الباب محدودا بشرط وعقد وقد يكون غير محدود الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها في طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة اذ لو كان ذلك اقل من قدر الكفاية لحقها ضرر من الجوع والعري ويتعدى ذلك الضرر الى الولد وفي الاية دليل على ان حق الام اكثر من حق الاب لانه ليس بين الام والطفل واسطة وبين الاب وبينه واسطة فانه يستأجر المرأة على الارضاع والحضانة بالنفقة والكسوة ثم والتكليف الالزام وقيل اصله من الكلف وهو الاثر على الوجه فمعنى تكلف الامر اجتهد ان يبين فيه اثره وكلفه الزمه ما يظهر فيه اثره والوسع ما يسع الانسان ولا يعجز عنه ولهذا قيل الوسع فوق الطاقة من قرأ لا تضار بالرفع فعلى الاخبار في معنى النهي وتحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها ومن قرأ بالفتح فعلى النهي صريحا وتحتمل البناءين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وكسر الراء الاولى وضمها فالمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان يشغل قلبه بسبب التفريط في شأن الولد وان تقول بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا ونحو ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من الرزق والكسوة او يأخذ منها وهي تريد ارضاعه او يكرهها على الارضاع وهكذا اذا كان مبنيا للمفعول كان نهيا عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرر بالزوج من قبلها بسبب الولد ويحتمل ان يكون تضار بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها بان تسيء غذاءه وتعهده وتفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده لان المرأة نهيت عن المضارة واضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد قوله سبحانه وعلى الوارث مثل ذلك للعلماء فيه اقوال من حيث انه تقدم ذكر الوالد والولد والوالدة فاحتمل في الوارث ان يكون مضافا الى كل واحد من هؤلاء فعن ابن عباس ان المراد وارث الاب وقوله وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وما بينهما تفسير للمعروف فالمعنى وعلى وارث المولود مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشرط المذكور من العدل وتجنب الضرار وقيل المراد وارث الولد الذي لو مات الصبي ورثه يجب عليه عند موت الاب كل ما كان واجبا على الاب وهذا قول الحسن وقتادة وابي مسلم والقاضي ثم اختلفوا في انه اي وارث هو فقيل العصبات دون الام وهو قول عمر والحسن ومجاهد وعطاء وسفيان وابراهيم وقيل هو وارث الصبي من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وابن ابي ليلى وقيل على الوارث ممن كان ذا رحم دون غيرهم من ابن العم والمولى عن ابي حنيفة واصحابه

وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الاولاد اي الابن والاب وقيل المراد من الوارث هو الصبي نفسه فانه ان مات ابوه
وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل المراد من الوارث
الباقي من الابوين كما في الدعا المروي واجعله الوارث منا اي الباقي وهو قول سفيان وجماعة فان ارادا فصالا اي فطاما
وليس من باب المفاعلة وانما هو ثاني على فعال كالقتال والاباق وذلك ان الولد ينفصل عن الاغتذا بثدي امه الى غيره
من الاقوات وعن ابي مسلم انه يحتمل ان يكون المراد من الفصال ايقاع المفاصلة بين الام والولد اذا حصل التراضي و
التشاور في ذلك ولم يرجع ضرر الى الولد وليكن الفصال صادرا عن تراض منهما وتشاور مع ارباب التجارب واهل
الراي فلا جناح عليهما في ذلك زاد على الحولين لضعف في تركيب الصبي او نقصا وهذا ايضا توسعة بعد التحديد و
ذلك ان الام قد تمل من الرضاع فيحاول الفطام والاب ايضا قد يمل اعطاء الاجرة على الارضاع فيطلب الفطام دفعا لذلك
لكنهما قلما يتوافقا على الاضرار بالولد لغرض النفس فلهذا اعتبرت المشاورة وحينئذ يبعد موافقة الكل على ما يكون
فيه اضرار الولد فان اتفقوا على الفطام قبل الحولين وهذه غاية العناية من الرب بحال الطفل الضعيف ومع اجتماع
الشروط لم يصرح بالاذن بل رفع الجرح فقط ولما بين حكم الام وانها احق بالرضاع بين انه يجوز العدول في هذا
الباب عنها الى غيرها فقال وان اردتم ان تسترضعوا اي المراضع اولادكم فلا جناح عليكم يقال ارضعت المراة الصبي
واسترضعتها الصبي بتعدية السين هو مفعول ثان كما تقول انجح الحاجة واستنجحته اياها فحذف احد المفعولين للعلم
به وعن الواحدي التقدير ان تسترضعوا لاولادكم فحذف اللام المعلق به مثل واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او
وزنوا لهم ومن مواضع الارضاع لغير الام ما اذا تزوجت بزوج اخر فقبلنها يعني ذلك الزوج يمنعها عن الارضاع ومنها
اذا طلقها الزوج الاول وقد تكره الارضاع لتتزوج بزوج اخر ومنها ان تابى المراة تحمل الولد ايذاء للزوج المطلق ومنها
ان تمرض او ينقطع لبنها فعند احد هذه الامور اذا وجدنا مرضعة اخرى وقبل الطفل لبنها جاز العدول عن الام
الى غيرها فان لم نجد مرضعة اخرى او وجدنا ولكن لا يقبل الطفل لبنها فالارضاع واجب على الام اذا سلمتم الى المراضع
ما اتيتم ما اتيتموه المراة اي ما اردتم ايتاءه مثل اذا قمتم الى الصلوة ومن ما اتيتم بالقصر فهو من اتى اليه احسانا اذا
فعله كقوله انه كان وعده ماتيا اي مفعولا ويروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما اتاكم الله واقدركم عليه من
الاجر وليس التسليم شرطا للجواز وانما هو ندب الى الاولى وفيه بعث على ان الذي يعطي المرضعة يجب ان يكون
يدا بيد حتى يكون اهنا واطيب لنفسها فيحتاط في شان الصبي ولهذا قيد التسليم بان يكون بالمعروف وهو ان يكونوا
حينئذ مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل بطيبي الانفس المراضع بما امكن قطعا للمعاذير ثم اكد الجميع بان ختم
الاية بنوع من التحذير فقال واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير **الحكم الثالث عشر عدة**
الوفاة والذين يتوفون ومعناه يموتون ويقبضون قال الله يتوفى الانفس حين موتها واصل التوفي اخذ الشيء كاملا
وافيا ويبنى للمفعول ومعناه ما قلنا وللفاعل ومعناه استوفى اصله ويروى فيه عليه قراءة علي كرم الله وجهه
يتوفون بفتح الياء والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله
وكان احد الاسباب الباعثة لعلي عليه السلام على ان امره بان يضع كتابا في النحو فلعل السبب فيه انه ذلك الشخص
لم يكن بليغا وهذا المعنى من مستعملات البلغاء فلهذا لم يعتد بقوله وحمله على متعارف الاوساط ويذرون
يتركون ولا يستعمل منه الماضي والمصدر استغناء عنهما بتصاريف ترك والازواج ههنا النساء يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر مثل قوله يتربصن بانفسهن ثلثة قروء وقد مر وعشرا وقد يعتد دون هذه المدة وهي اربعة اشهر
وعشرة ايام وانما قيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها قال في الكشاف ولا تراهم قط يستعملون التذكير
فيه ذاهبين الى الايام وقيل في سبب التغليب ان مبدا الشهر من الليل والاوائل اقوى من الثواني وايضا
هذه الايام ايام الحزن وايام المكروه خليق ان تسمى بليالي السعادة او المراد عشر مدد كل منها يوم بليلته وذهب
الاوزاعي والاصم الى ظاهر الاية فلهذا اذا انقضت لها اربعة اشهر وعشر ليال حلت للازواج نقل عن الحسن
وابي العالية انه تعالى انما حد العدة بهذا القدر لان الولد ينفخ فيه الروح في العشر بعد الاربعة قلت ولعل
هذا من الامور التي لا يعقل معناها كاعداد الركعات ونصب الزكوة وانما الله ورسوله اعلم بذلك وحكمه

العدة

العدة واجبة على كل امراة مات زوجها الا اذا كانت امة فان عدتها نصف عدة الحرة عند اكثر الفقها وعن الاصم
ان عدتها عدة الحرائر تمسكا بظاهر عموم الاية وقياسا على وضع الحمل والا اذا كانت المراة حاملة فانها اذا وضعت
الحمل حلت وان كان بعد وفاة الزوج بساعة لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ولو نوزع فانا بان
ذلك في الطلاق فليعول على قصة سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفات زوجها بنصف شهر فقال لها النبي صلى
الله عليه وسلم حللت فانكحي من شئت وعن علي كرم الله وجهه انها تتربص ابعد الاجلين ولا فرق في عدة
الوفاة بين الصغيرة والكبيرة وذات الاقرا وغيرها وقال ابن عباس لا عدة عليها قبل الدخول ويرده عموم الاية ولهذا
ايضا لم يفرق بين ان ترى المعتدة في المدة المذكورة دم الحيض على عادتها او لا تراه خلافا لمالك فانه قال لا تنقضي
عدتها حتى ترى عادتها من الحيض في تلك الايام مثل التي كانت عادتها فان كانت عادتها ان تحيض في كل شهر مرة فعليها
في عدة الوفاة اربع حيض وان كانت عادتها ان تحيض في كل شهرين مرة فعليها حيضتان وان كانت عادتها ان تحيض
في كل اربعة اشهر مرة يكفيها حيض واحدة وان كانت عادتها ان تحيض في كل خمسة اشهر مرة تربصها
يكفيها الشهور ثم مذهب الشافعي انها ان ارتابت استبرات نفسها من الريبة كما ان ذات الاقراء لو ارتابت وجب عليها
ان تحتاط وتعتبر المدة بالهلال ما امكن فان مات الزوج في خلال الشهر هلالي والباقي اكثر من عشرة ايام فتعد
ما بقي وتحسب ثلثة اشهر بعده بالاهلة وتكمل ذلك الباقي ثلثين وتضم اليها عشرة ايام فاذا انتهت من
اليوم الاخير الى الوقت الذي مات فيه الزوج فقد انقضت العدة وكان الباقي دون عشرة ايام فتعده وتحسب
اربعة اشهر بالاهلة وتكمل الباقي عشرة من الشهر السادس وان كان الباقي عشرة ايام فتعتد بها وباربعة اشهر
بالاهلة بعدها وان انطبق الموت على اول الهلال فتعتد باربعة اشهر بالاهلة وبعشرة ايام من الشهر الخامس
واختلفوا في ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فعن بعضهم ويوافقه جديد قولي الشافعي انها ما لم تعلم بوفاة
زوجها لا تعتد بانقضاء الايام في العدة لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امراة المفقود امراته حتى ياتيها
يقين موته او طلاقه وايضا فالنكاح معلوم بيقين فلا يزال الا بيقين وقال الاكثرون السبب هو الموت فلو انقضت
المدة او اكثرها ثم بلغها خبر وفاة الزوج وجب ان تعتد بما انقضى والدليل عليه ان الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء
عدتها هذه المدة ثم المراد من تربصها بنفسها الامتناع من النكاح بالاجماع والامتناع عن الخروج عن المنزل الا عند الضرورة
والحاجة والاحداد ويعني به ترك التزين بثياب الزينة وترك التحلي والتطيب والتدهن والاكتحال بالاثمد ويحرم
عليها ان تختضب بالحنا ونحو ذلك فيما يظهر من اليدين والرجلين والوجه ولا منع منه فيما تحت الثياب ولا تمنع
من التزين في الفرش والبسط والستور واثاث البيت ومن التنظيف بغسل الراس والامتشاط وقلم الاظفار
والاستحداد ودخول الحمام وازالة الاوساخ العدة تقتضي ان تترك الاحداد ولكنها تقضي لما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوج اربعة
اشهر وعن الحسن والشعبي انه غير واجب لان الحديث يقتضي حل الاحداد لا وجوبه لكنه صلى الله عليه وسلم قال
المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل والممشقة المصبوغة
بالمشق وهو الطين الاحمر وقد يحتج بقوله والذين يتوفون منكم من قال الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرايع والا لم
يخص الخطاب في منكم بالمؤمنين والجواب انما خصوا بالخطاب لانهم هم العاملون بذلك كقوله انما انت منذر من
يخشيها مع انه منذر للكل ليكون للعالمين نذيرا فاذا بلغن اجلهن اذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء
لانهم الذين يتولون العقد او ايها الحكام وصلحا المسلمين لانهن اذا تزوجن في مدة العدة وجب على كل احد منعهن عن
ذلك فان عجز استعان بالسلطان وذلك لان المقصود من هذه العدة الامن من اشتمال رحمها على ماء زوجها الاول
وقيل معناه لا جناح عليكم وعلى النساء فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالتزين والتطيب ونحوها
مما تنفرد المراة بفعله وفيه دليل على وجوب الاحداد بالمعروف بالوجه الذي يحسن عقلا وشرعا وقد يحمل
اصحاب ابي حنيفة الفعل ههنا على التزويج فيستدلون به على جواز النكاح بلا ولي والجواب بعد تسليم ان
المراد من الفعل هو التزويج ان الفعل قد يسند الى المسبب مثل بنى الامير دارا وقد تقدم في قوله تعالى ان ينكحن

ان وا جيبوا ثم ختم الاية بالتهديد المشتمل على الوعد فقال والله بما تعملون خبير **الحكم الرابع عشر خطبة النساء** وذلك قوله سبحانه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض ضد التصريح ومعناه ان يضمن كلامك ما يصلح للدلالة على المقصود وعلى غير المقصود الا ان اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح والكناية يقال انه سوق الكلام لموصوف غير مذكور كما يقول المحتاج جئتك لانظر الى وجهك الكريم ومنه قول الشاعر وحسبك بالتسليم مني تقاضيا واصله من عرض الشيء وهو جانبه كانه يحوم حوله ولا يظهره ولهذا قيل ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وهو قسم من اقسام الكناية والخطبة اصلها من الخطب وهو الامر والشان خطب فلان فلانة اي سالها امرا وشانا في نفسها وكذا في الخطبة والخطاب قال في كل منهما شانا ثم النساء على ثلثة اقسام الاولى انه يجوز خطبتها تعريضا وتصريحا وهي الخالية عن الزوج والعدة الا اذا كان قد خطبها اخر واجيب اليه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا يخطب احدكم على خطبة اخيه فان وجد صريح الاباء او لم يوجد صريح الاجابة ولا صريح الرد فالاصح انه يجوز خطبتها لان السكوت لا يدل على الرضا خلافا لمالك الثانية ما لا يجوز خطبتها لا تعريضا ولا تصريحا لانها صارت سببا للتشويش الامر على زوجها ولامتناع المراة عن اداء حقوق الزوج اذا وجدت راغبا وكذا الرجعية فانها في حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها وظهارها ولعانها وتعتد منه عدة الوفاة ويتوارثان الثالثة ما يفصل في حقها بين التعريض والتصريح وهي المعتدة غير الرجعية سواء كانت معتدة عن وفاة او عن طلقات ثلث او عن طلقة بائنة كالمختلعة او عن فسخ وسبب التحريم انها مستوحشة بالطلاق فربما تكذب في انقضاء العدة بالاقراء مسارعة الى مكافاة الزوج واما المعتدة عن الوفاة فظاهر الاية يدل على انها في جملة ذكرت عقيب اية عدة المتوفى عنها زوجها ثم انه خص التعريض بعدم الجناح فوجب ان يكون التصريح بخلافه ثم المعنى يؤكد ذلك وهو ان التصريح لا يحتمل غير النكاح فالغالب انه يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضاء العدة قبل اوانها بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك فلا يدعوها الى الكذب قال الشافعي والتعريض كثير كقوله رب راغب فيك او من يجد مثلك او لست بايم فاذا حللت فاذنيني وعد اخرون من الفاظ التعريض ان يقول لها انك جميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه والتصريح ان يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وعن ابي جعفر محمد بن علي عليهم السلام انه دخل على امراة وهي في العدة فقال لها قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من نبي الله قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة المتوفى عنها ابو سلمة فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده فما كانت تلك خطبة او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين اباح التعريض في الحال او لا ثم اباح ان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء العدة ثم ذكر الوجه الذي لاجله اباح التعريض فقال علم الله انكم ستذكرونهن لان شهوة النفس اذا حصلت في باب النكاح لم يكد المرء يصبر على النطق بما ينبي عن ذلك فاسقط الله تعالى عنه الحرج ثم قال ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يستر ثم عبر عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمعنى لا تواعدوهن مواعدة سرية الا مواعدة الاحسان اليها والاهتمام بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الاشياء مؤكدا لذلك التعريض فالمواعدة المنهي عنها اما ان تكون المواعدة في السر بالنكاح فتكون منعا من التصريح واما المواعدة بذكر الجماع كقوله ان نكحتك انيكك الاربعة والخمسة عن ابن عباس او يقول لها دعيني اجامعك فاذا تممت عدتك اظهرت نكاحك عن الحسن او يكون ذلك نهيا عن مسارة الرجل المراة الاجنبية لان ذلك نوع ريبة او نهيا ان يعاهدها الا يتزوج باحد سواها ويحتمل ان يكون السر صفة الموعود به اي لا تواعدوهن بشيء يوصف بكونه سرا الا بان تقولوا قولا معروفا وهو التعريض وعن ابن عباس هو ان يتواثق ان لا يتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح او لا تعزموا عقدة النكاح

ان تعقدوها واذا نهى عن العزم نهى عن نفس الفعل اولى وقيل معنى العزم القطع اي لا تحققوا ذلك ولا توجدوه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صيام لمن لم يعزم الصيام الليل ويروى لم يبيت الصيام وقيل لا تعزموا عليهن ان يعقد النكاح مثل عزمت عليك ان تفعل كذا واصل العقد الشد والعهود والانكحة تسمى عقودا تشبيها بالحبل الموثق بالعقد حتى يبلغ الكتاب اجله المراد منه المكتوب حتى يبلغ العدة المفروضة اخرها وانقضت ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الفرض اي حتى يبلغ هذا التكليف نهايته وباقي الاية مرجي بيان الخوف والرجا كما تقدم **الحكم الخامس عشر حكم المطلقة** قبل الدخول وقبل فرض المهر وذلك قوله عز قائلا لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة اعلم ان عقد النكاح يوجب بدلا على كل حال وذلك البدل اما ان يكون مذكورا او غير مذكور فان كان مذكورا فان حصل الدخول استقر كله وعدتها ثلثة قروء كما سبق وان لم يحصل الدخول سقط نصف المذكور بالطلاق كما يجيء في الاية التالية وان لم يكن البدل مذكورا فان لم يحصل الدخول فحكمها في هذه الاية وهو ان لا مهر لها وتجب لها المتعة وان حصل الدخول فحكمها غير مذكور في هذه الايات الا انهم اتفقوا على ان الواجب فيها مهر المثل قياسا على الموطوءة بالشبهة بل اولى لوجود النكاح الصحيح وقد يستنبط حكمها من قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن ويحتمل ان يقال هذه الاية تدل على انه لا مهر للتي لا تكون ممسوسة ولا مفروضا لها فيلزم من ذلك وجوب المهر للممسوسة غير المفروض لها وللمفروض لها غير الممسوسة وقد سلف حكم الممسوسة المفروض لها فينبيء اشتمال القران على احكام جميع الاقسام فان قيل ظاهر الاية مشعر بان نفي الجناح عن المطلق مشروط بعدم المسيس وكذلك فانه لا جناح عليه ايضا بعد المسيس قلنا لعل الاية وردت لبيان اباحة الطلاق على الاطلاق وهذا الاطلاق لا يصح الا قبل المسيس اذ بعده يحتاج الى ان يكون الطلاق في طهر لم يجامعها فيه او لعل المعنى الذي لا بدعة والتقدير لا جناح عليكم ان طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهن ولا يلزم منه وجود الجناح في تطليق غيرهن او المراد من الجناح في الاية لزوم المهر اي لا مهر عليكم ولا تبعة في تطليقهن فان الجناح في اللغة الثقل يقال جنحت السفينة اذا مالت بثقلها ومما يؤكد ذلك انه نفى الجناح ممدودا الى غاية هي اما المسيس او الفرض والجناح الذي يثبت عند احد هذين الامرين هو لزوم المهر فحصل القطع بان الجناح المنفي في اول الاية هو لزوم المهر وايضا ان يطلق النساء قبل المسيس واما ان يكون قبل تقدير المهر وبعده في القسم الثاني اوجب نصف المفروض كما يجيء فيجب ان يكون المنفي في القسم الاول مقابل المثبت في الثاني واتفقوا على ان المراد بالمسيس المماسة في الاية الجماع ولا يخفى حسن موقع هذه الكناية وفيه تاديب للعباد في اختيار احسن الالفاظ فيما يتخاطبون به والفرض في اللغة التقدير اي تقدروا مقدارا من المهر ومعنى او فيهما ان رفع الجناح منوط بعدم المسيس او بعدم الفرض على سبيل منع الخلو فقط ولهذا صح اجتماعهما في هذا الحكم وقيل انها بمعنى الا ان وقيل بمعنى حتى والكل تعسف ثم انه تعالى لما بين انها لا مهر لها قبل المسيس والتسمية ذكر ان لها المتعة فقال ومتعوهن فذهب الشافعي وابو حنيفة الى انها واجبة نظرا الى الامر وانه للوجوب ظاهرا وهو قول شريح والشعبي والزهري وعن مالك ويروى عن الفقها السبعة من اهل المدينة انهم كانوا لا يرونها واجبة لانه تعالى قال في اخر الاية حقا على المحسنين فجعلها من باب الاحسان ويرد بان لفظ ينبي عن الوجوب وكذا قوله حقا واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا منغصا ولهذا قيل الدنيا متاع وسمي التلذذ تمتعا لانقطاعه بسرعة على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اوسع الرجل اذا كان في سعة من ماله والمقتر ضده من القترة وهي الغبار كانه المتصق بتراب الارض لضيق ذات يده وقدره اي قدر امكانه وطاقته فحذف المضاف او قدر مقدارها الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به والقدر لغتان في جميع معانيهما وفي الاية دليل على ان تقدير المتعة مفوض الى الاجتهاد كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان الموسع يخالف المقتر قال الشافعي المستحب على الموسع خادم وعلى المتوسط ثلثون درهما وعلى المقتر مقنعة وعن ابن عباس قال اكثر المتعة خادم واقلها مقنعة واي قدر ادى جاز في جانبي الكثرة والقلة والنظر في البسار والاعسار الى العادة وقال ابو حنيفة المتعة لا يزاد على نصف المهر المثل لان حال المراة التي يسمي لها المهر احسن من حال التي لم يسم لها ثم لما لم يجب زيادة على نصف المسمى اذا طلقها قبل الدخول فهذه اولى متاعا تاكيد لمتعوهن

لبيس

وقيل انها بمعنى الوادي

١٥

اي تمتيعًا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الدين والمروة وعلى قدر حال الزوج في الغنى والفقر وعلى ما يليق بالزوجة و
حسب الشرف والوضاعة حق ذلك حقا على المحسنين لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان او من اراد ان يكون محسنا فهذا
شانه وطريقته فعلى المحسنين الى انفسهم في المسارعة الى طاعة الله تعالى **الحكم السادس عشر حكم**
المطلقة قبل الدخول و بعد فرض المهر وذلك قوله سبحانه وتعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الاية واعلم
ان مذهب الشافعي الخلوة لا تقرر المهر وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر وهي ان لا يكون هناك مانع حسي او
شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن والمرض او يكون معهما ثالث وان كان نائما والشرعي كالحيض والنفاس وصوم الفرض
وصلوة الفرض والاحرام المطلق فرضا كان او نفلا وقد فرضتم في موضع الحال ومعنى قوله فنصف ما فرضتم فعليكم
نصف ذلك او فنصف ما فرضتم ساقط الا ان يعفون اي المطلقات عن ازواجهن فتقول المراة ما رايته ولا
خدمته ولا استمتع بي فكيف اخذ منه شيئا والفرق بين قولك النساء يعفون وبين الرجال يعفون هو ان الواو في
الاول لام الفعل والنون ضمير جماعة النساء ولم يحذف منه شيء وانما نونه يفعلن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل والواو
في الثاني ضمير جماعة المذكر واللام محذوف ونونه بفعلون والنون علامة الرفع فحوله او يعفو عطف على محل
ان يعفون والذي بيده عقدة النكاح الولي وهو قول الشافعي ويروى عن الحسن ومجاهد وعلقمة وقيل الزوج هو مذهب
ابي حنيفة ويروى عن علي وسعيد بن المسيب وكثير من الصحابة والتابعين قالوا ليس للولي ان يهب مهر موليته
صغيرة كانت او كبيرة وايضا الذي بيد الولي هو عقد النكاح فاذا عقد حصلت العقدة اي المعقودة كالاكلة
واللقمة ثم هذه العقدة بيد الزوج لا الولي وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق
وقال انا احق بالعفو حجة الاولين ان الصادر عن الزوج هو ان يعطيها كل المهر وذلك يكون هبة والهبة لا تسمى عفوا
اللهم الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق
اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او يقال سماه عفوا على طريقة المشاكلة اولان العفو التسهيل فعفو الرجل هو
ان يبعث اليها كل الصداق على وجه السهولة حجة اخرى لو كان المراد به الزوج لقال او تعفو لان قد قال وان طلقتموهن فناسب ان
يقال الا ان يعفون او تعفوا على سبيل الخطاب ايضا واجيب بان سبب العدول عن الخطاب الى الغيبة هو التنبيه
على المعنى الذي لاجله يرغب في العفو والمعنى الا ان يعفون او يعفوا الزوج الذي حبسها بان ملك عقدة نكاحها
عن الازواج ثم لم يكن منها سبب في الفراق وانما فارقها الزوج فلا جرم كان حقيقا بان لا ينقصها من مهرها ويكمل لها الصداق
ثم قال الشافعي اذا ثبت ان الذي بيده عقدة النكاح هو الولي فهم منه ان النكاح لا ينعقد بدون الولي وذلك الحصر
المستفاد من تقديم بيده عقدة النكاح فيبقى انه ليس في يد المراة من ذلك شيء وان تعفوا اقرب للتقوى قيل اللام بمعنى
الى والتقدير العفو اقرب الى التقوى والخطاب للرجال والنساء جميعا الا انه غلب الذكور لاصالتهم وكمالهم وانما
عفو البعض عن البعض اقرب الى حصول معنى الاتقاء لان من سمح بترك حقه تقربا الى ربه فهو من ان ياخذ حق غيره
ابعد ولانه اذا استحق بذلك الصنع الثواب فقد اتقى العقاب واحترز عنه ولا تنسوا الفضل لا تتركوا التفضل
والتسامح فيما بينكم وليس نهيا عن النسيان فان ذلك غير مقدور بل المراد منه الترك وذلك ان الرجل اذا تزوج
المراة فقد يتعلق قلبها به فاذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سببا لتاذيها منه وايضا اذا كلف الرجل ان يبذل لها
مهرها من غير ان يكون قد انتفع بها صار ذلك سببا لتاذيه منه وايضا اذا كلف الرجل ان يبذل لها مهرها من غير
فلا جرم ندب الله تعالى كلا منها الى تطييب قلب الاخر ببذل كل المهر او تركه والا فالتنصيف عن جبير بن مطعم
انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض له بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كملا فقيل له
لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ثم انه تعالى ختم الاية
بما يجري مجرى الوعد والوعيد على العادة المعلومة فقال ان الله بما تعملون بصير

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ
خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ط فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا

تَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى
الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ط فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ط
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ط لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

القراءات وصية بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب غير رويس الباقون بالرفع **الوقوف**
قانتين ه او ركبانا ج لان اذا في معنى الشرط مع فاء التعقيب تعلمون ه ازواجا ط لانقطاع النظم ومكان الحذف لان التقدير
فعليهم وصية او فليوصوا وصية والوصل اجوز لاتصال المعنى فان وصية او وصية قائم مقام خبر المبتدا اخراج ط
من معروف ط حكيم ه بالمعروف ط المتقين ه تعقلون ه **التفسير الحكم السابع عشر الصلوة** وذلك انه سبحانه لما
بين للمكلفين ما بين من معالم الدين وشعائر اليقين اعقبها بذكر الصلوة التي تفيد انكسار القلب من هيبة الله
وزوال التمرد وحصول الانقياد لاوامره والانتهاء عن نواهيه تحصيلا لسعادة الطريقين تكميلا لمصالح الدارين
وقد اجمع المسلمون على ان الصلوة المكتوبة خمس وفي الاية اشارة الى ذلك لان الصلوات جمع واقلها ثلث والصلوة
الوسطى تدل على شيء زائد والا لزم التكرار وذلك الزائد لو كان الرابعة لم يكن للمجموع وسطى فلا اقل من خمسة والمراد
بمحافظتها رعاية جميع شرائطها من طهارة البدن والثوب والمكان ومن ستر العورة واستقبال القبلة والاتيان
باركانها وابعاضها وهيآتها والاحتراز عن مفسد انها من اعمال القلب واعمال اللسان والجوارح ومعنى المفاعلة
في المحافظة اما لانها بين العبد والرب كانه قيل احفظ الصلوة يحفظك الاله الذي امرك بالصلوة كقوله فاذكروني
اذكركم وفي الحديث احفظ الله يحفظك واما لانها بين المصلي والصلوة فمن حفظ الصلوة حفظته الصلوة عن المناهي
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وحفظته عن الفتن والمحن واستعينوا بالصبر والصلوة وكيف لا وفي الصلوة
القراءة والقرآن شافع مشفع وفي الخبر يجيء البقرة وال عمران كانهما غمامتان وتشهدان وتشفعان وان سورة الملك
تنص عن المتهجد بها عذاب القبر وتجادل عنه في الحشر وتقف في الصراط عند قدميه وتقول للناس لا سبيل لكم
عليه وفي الصلوة الوسطى سبعة اقوال القول الاول انه تعالى امرنا بالمحافظة على الصلوة الوسطى ولم يبين
لنا انها اي الصلوات وما روي من اخبار الاحاد لا معول عليها فيجب ان يؤدي كلها على نعت الكمال والتمام ولعل
هذا هو الحكمة في ابهامها ولمثل ذلك اخفى الله تعالى ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في يوم الجمعة
واسمه الاعظم في اسمائه ووقت الموت في الاوقات ليكون المكلف خائفا عازما على التوبة في كل الاوقات
وهذا القول اختاره جمع من العلماء عن محمد بن سيرين ان رجلا سال زيد بن ثابت عن الصلوة الوسطى فقال حافظ
على الصلوات تصبها وعن الربيع ارايت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال السائل لا
قال الربيع فان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى القول الثاني ان الوسطى مجموع الصلوات الخمس
فان الايمان بضع وسبعون درجة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والصلوات
المكتوبات واسطة بين الطرفين القول الثالث انها صلوة الصبح وهو قول علي وعمر وابن عباس وابن عمر
وجابر وابي امامة ومن التابعين قول طاوس وعطاء وعكرمة ومجاهد وهو مذهب الشافعي قالوا ان هذه
الصلوة تصلى في الغلس فبعضها في ظلمة الليل واخرها في ضوء النهار وايضا ان في النهار صلوتين الظهر
والعصر وفي الليل صلوتين المغرب والعشاء والصبح متوسط بينها وايضا الظهر والعصر يجمعان في السفر
وكذا المغرب والعشاء والفجر منفرد بينهما قال القفال وتحقيق هذا يرجع الى ما تقوله الناس فلان يتوسط
اذا لم يمل الى احد الخصمين وكان منفردا بنفسه عنهما وقد اقسم الله تعالى بها في قوله والفجر وليال عشر وايضا

في الصلوة الوسطى سبعة اقوال

قال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا واتفقوا على ان المراد منه صلوة الفجر فخصها في تلك الاية بالذكر لتأكيد
وخص الصلوة الوسطى في هذه الاية بالذكر للتاكيد وخص الصلوة الوسطى فيغلب على الظن انهما واحد ايضا قرن
هذه الصلوة بذكر القنوت في قوله وقوموا لله قانتين وليس في المفروض صلوة صح فيها القنوت الا الصبح وايضا لا
شك انه تعالى افردها بالذكر لاجل التاكيد والصبح احوج الصلوة الى ذلك ففيه ترك النوم اللذيذ واستعمال الماء
البارد والخروج الى المسجد في الوقت الموحش وايضا الافراد بالذكر ينبئ عن الفضل ولا ريب في فضيلة صلوة
الصبح ولهذا جا والمستغفرين بالاسحار وروي ان التكبيرة الاولى منها في الجماعة خير من الدنيا وما فيها وخصت
بالاذان مرتين اولها قبل الوقت ايضا ظاهر للناس حتى لا تفوتهم البتة وخص اذانها بالتثويب وهو ان يقول بين
الحيعلتين الصلوة خير من النوم وان الانسان اذا قام من منامه فكانه صار موجودا بعد العدم وعند ذكرين ول عن الخلائق
ظلمة الليل وظلمة النوم والغفلة وظلمة الحجب والحيرة ويملأ العالم نورا والابدان حيوة وعقلا وقوة وفهما وهذا
الوقت اليق الاوقات بان يشتغل العبد باداء العبودية واظهار الخضوع والاستكانة لخالق السموات والارض جاعل
الظلمات والنور وعن علي عليه السلام سئل عن الصلوة الوسطى فقال كنا نرى انها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الصبح
ثم قال هذه هي الصلوة الوسطى القول الرابع انها صلوة الظهر ويروى عن عمر وزيد وابي سعيد الخدري واسامة
بن زيد وهو قول ابي حنيفة واصحابه لان الظهر كان شاقا عليهم لوقوعها في وقت القيلولة وشدة الحر فصرف المبالغة
اليه اولى وعن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلوة على اصحابه وربما
لم يكن وراءه الا الصف او الصفان فقال صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم
فنزلت هذه الاية وايضا ليس في المكتوبات صلوة وقعت وسط الليل او النهار الا هذه وانها صلوة بين صلوتين
نهاريتين الفجر والعصر وانها صلوة البردين برد الغداة وبرد العشي وان اول امامة جبريل كان في صلوة الظهر
كما ورد في الاحاديث الصحاح وان صلوة الجمعة ما ورد في فضلها تنوب عن الظهر لا عن غيرها وعن عايشة انها كانت
تقرأ والصلوة الوسطى صلوة العصر وكانت تقول سمعت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغلب على الظن
ان المعطوف عليه العصر هو الذي قبله ويروى ان قوما كانوا عند زيد بن ثابت فارسلوا الى اسامة بن زيد
وسالوه عن الصلوة الوسطى فقال هي صلوة الظهر كانت تقام في الهاجرة القول الخامس انها صلوة العصر
ويروى عن علي وابن مسعود وابن عباس وابي هريرة ومن الفقهاء النخعي وقتادة والضحاك وهو مروي عن ابي
حنيفة ايضا لما ورد من التاكيد فيه كقوله صلى الله عليه وسلم من فاته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله
وقد اقسم الله بها بقوله والعصر ان الانسان لفي خسر ولا يحتاج في معرفة وقتها الى تامل اكثر في حال الظل
فالمغرب يعرف بغروب الشمس والعشاء بغروب الشفق والفجر بطلوع الصبح الصادق والظهر بدلوك الشمس عن
دايرة نصف النهار ولما في وقتها من اشتغال الناس بحوائجهم وعن علي عليه السلام ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا
البخاري ومسلم وساير الائمة وهو عظيم الموقع في المسئلة وفي صحيح مسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة
العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها الصلوة التي شغل فيها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن
حفصة انها قالت لمن كتب المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املي عليك كما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر القول السادس انها صلوة المغرب عن
قبيصة بن ذويب لانها بين تسواد الليل وبياض النهار ولانها وسط في الطول والقصر القول السابع انها
صلوة العشاء لانها متوسطة بين صلوتين لا تقصران المغرب والصبح ولما ورد من فضلها عن عثمان بن عفان
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء الاخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة وقال اهل
التحقيق القلب هو الذي في وسط الانسان بل هو واسطة بين الروح والجسد فكانه قيل حافظوا على صور الصلوة
بشرايطها وحافظوا على معاني الصلوة وحقايقها بدوام شهود القلب للرب في الصلوة وبعدها ثم ان الشافعي
احتج بالاية على ان الوتر ليس بواجب وهلا كانت الصلوة ستا فلم يبق لها وسطى وهذا انما يتم لو كان المراد

الظهر

الوسطى

الوسطى في العدد لكنه يحتمل ان يكون الوسطى في الفضيلة من قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسطى في
الزمان وهو الظهر او الوسطى في المقدار كالمغرب وانه ثلث ركعات فتوسط بين الاثنين والاربعة او الوسطى في
الصلوة الصبح تتوسط بين صفتي الظلام والضيا وقوموا لله قانتين عن ابن عباس ان القنوت هو الدعا والذكر
لقوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما ولان قوله حافظوا على الصلوات امر بما في الصلوة من الفعل فيكون
القنوت عبارة عن كل ما في الصلوة من الذكر وعن الحسن والشعبي وسعيد بن جبير وطاوس وقتادة والضحاك و
مقاتل قانتين اي مطيعين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كل قنوت في القرآن فهو الطاعة ومن يقنت منكن لله
ورسوله فالصالحات قانتات فالقنوت عبارة عن اكمال الطاعة والاحتراز عن انقطاع العمل في اركانها وسننها
وادابها وفيه زجر لمن لم يبال كيف صلى فخفف واقتصر على ما لا يجزي وذهب الى انه لا حاجة الى صلوة العباد ولو كان
كما قال وجب ان لا يصلي اصلا لانه تعالى كما لا يحتاج الى الكثير من عبادتنا فكيف لا يحتاج الى القليل وقد صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وساير الرسل والسلف الصالح فاطالوا وخشعوا واستكانوا اعلم بالله من هؤلاء الجهال وقيل قانتين
ساكتين عن زيد بن ارقم وعبد الله بن مسعود كنا نتكلم في الصلوة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه حتى نزلت وقوموا
لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وعن مجاهد القنوت عبارة عن الخشوع وخفض الجناح وسكون
الاطراف وكان احدهم اذا صلى خاف ربه فلا يلتفت ولا يقلب الحصى ولا يعبث بشي من جسده ولا يحدث نفسه
بشي من الدنيا حتى ينصرف ويحتمل ان يكون المراد وقوموا لله متعبدين لذلك القيام في اوقات وجوبه واستحبابه فان
خفتم عدوا فحذف المفعول به للعلم به او فان حصل لكم خوف او كنتم على حالة الخوف على انه متروك المفعول فرجالا او
على هذه فالاية تدل على تاكيد فرض الوقت حتى يترخص لاجل فرض المحافظة عليه بترك القيام والركوع والسجود
ورجال جمع راجل كقيام جمع قائم وتجار جمع تاجر ورجل يقال رجل اي راجل والركبان جمع راكب كفارس وفرسان
ولا يقال راكب الا لمن كان على ابل واذا كان على فرس فانما يقال له فارس لكن المراد في الاية اعم وتخصيص اللفظ بالا
بل كان لانه الغالب منهم واعلم ان صلوة الخوف اما ان يكون في غير حال القتال وسوف يجي بيانها في سورة النساء ان
شاء الله تعالى واما ان يكون عند التحام القتال وهو المراد بهذه الاية ومذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على دوابهم
ومشاة على اقدامهم الى القبلة ولا الى غير القبلة ويقتصرون من الركوع والسجود على الايماء على انهم يجعلون السجود
اخفض من الركوع فيحترزون عن الصيحات لانهم لا ضرورة اليه بل الشجاع الساكت اهيب وقال ابو حنيفة لا يصلي
الماشي بل يوخر لانه صلى الله عليه وسلم اخر الصلوة يوم الخندق واجيب بان الاية ناسخة لذلك الفعل ويدخل في
الخوف المفيد لهذه الرخصة في القتال مع الكفار او مع اهل البغي او في القتال المباح كالدفع عن النفس او عن حيوان
محترم او عن المال اما القتال المحظور فانه لا يجوز فيه صلوة الخوف لان الرخص لا تناط بالمعاصي والخوف الحاصل كالهارب
من الحرق والغرق والسبع وكذا المطالب اذا كان معسرا خايفا من الحبس عاجزا عن بينة الاعسار يترخص ايضا
في هذه الصلوة لانه قوله فان خفتم مطلق يتناول الكل فاذا امنتم فاذا زال الخوف فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا
تعلمون من صلوة الامن بقوله على الصلوات والصلاة الوسطى وكما بينه بشروطه واحكامه قد سمي ذكرا فاسعوا الى
ذكر الله وقيل فاذكروا الله فاشكروا الله لاجل انعامه عليكم بالامن وقيل فاشكروه على الامن واذكروه بالعبادة
كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع على لسان نبيه وكيف يصلون في حال الخوف وفي حال الامن وما في كما علمكم
اما مصدرية او كافة **الحكم الثامن عشر عدة الوفاة** بوجه اخر والذين يتوفون منكم الاية من قرا
وصية بالرفع فوصية مبتدا وخبره لازواجهم وجاز وقوع النكرة مبتدا لتخصيصه بما تخصص به سلام عليكم
او التقدير فعليهم وصية لازواجهم فالجزء مضمر او فالامر او المفترض او الحكم وصية فالمبتدا مضمر او كتب عليكم
وصية او ليكن منهم وصية او وصية الذين يتوفون وصية او والذين يتوفون اهل وصية الى الحول وكل هذا مما رجحه
جار الله ومن قرا بالنصب فعلى تقدير فليوصوا وصية او يوصون وصية مثل انت سير البريد اي انت تسير
سير البريد او الزم الذين يتوفون وصية ومتاع نصب على المصدر على معنى فليوصوا لهن وصية وليمتعوهن متاعا او
التقدير جعل الله لهن ذلك متاعا لان ما قبل الكلام يدل عليه او نصب على الحال او نصب بالوصية وغير اخراج نصب على الصفة

المؤكد لقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج او من المحرمات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم
ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن واكثر
المفسرين على ان ذلك كان في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا ونسخ ما زاد منه على هذا المقدار
ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن لقوله صلى الله عليه وسلم الا لا وصية لوارث وعن علي وابن عمر لها النفقة
ان كانت حاملا واما السكنى فعند ابي حنيفة ولاصحابه لا سكنى لهن وهو قول علي وابن عباس وعائشة واختاره
المزني قياسا على النفقة وفرق بان النفقة في مقابلة التمكين ولا تمكين واما السكنى فلتحصين الماء وهو موجود
عند الشافعي لهن ذلك على الاظهر وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود وابن عمر وام سلمة وبه قال مالك والثوري واحمد
ومبنى الخلاف على خروج فريعة بنت مالك اخت ابي سعيد الخدري قتل زوجها قالت فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ارجع الى اهلي فان زوجي ما ترك لي بمكة في منزل فقال نعم فانصرفت حتى اذا كنت في المسجد او في الحجرة دعاني فقال
امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله فحمل بعضهم الامر الثاني على النسخ وآخرون على الاستحباب وعن مجاهد انها
ان لم تختر السكنى في دار زوجها ولم تاخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها اربعة اشهر وعشرا وان اختارت السكنى
في دار زوجها والاخذ من ماله وتركته فعدتها الحول قال وانما نزلت الاية على هذين التقديرين ليكون كل واحد معمولا
بها وعن ابي مسلم انكم تضيفون الوصية الى حكم الله تعالى فيلزمكم القول بالنسخ ونحن نضيف الحكم الى الزوج حتى
يصير معنى الاية الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وقد وصوا وصية لازواجهم بالنفقة والسكنى حولا فانهن الخروج
بشرط وجوابه فان خرجن اي قبل ذلك وخالفن وصية الزوج بعد ان يقمن المدة التي ضربها الله تعالى فلا جناح عليكم
فيما فعلن في انفسهن من معروف اي نكاح صحيح لان اقامتهن بهذه الوصية غير لازمة والسبب فيه انهم كانوا في
الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا وكانوا يوجبون على المراة بالاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الاية ان ذلك
غير واجب ويؤكده ما روت بنت ابي سلمة قالت سمعت امي ام سلمة تقول جاءت امراة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا مرتين او ثلثا كل ذلك يقول لا ثم قال رسول الله انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كانت احداكن في الجاهلية
ترمي بالبعرة على راس الحول قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على راس الحول فقالت كانت المراة اذا توفي
عنها زوجها دخلت حفشا اي بيتا صغيرا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او طائر
فتفتض به قال مالك اي تمسح به جلدها فقلما تفتض بشي الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد ما
شاءت من طيب او غيره فلا جناح عليكم يا اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من التزين والاقدام على النكاح وفي
قطع نفقتهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول ومن ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا في بيت زوجها ليس بواجب
عليها وانما قال ههنا من معروف منكرا لانه المراد بوجه من الوجوه التي لهن ان ياتينها واما في الاية السابقة اراد الوجه المعروف
من الشرع ويمكن ان تلك الاية متاخرة في التنزيل عن هذه باجماع المفسرين وانما نكر اولا ثم عرف ثانيا لان النكرة
اذا تكررت صارت معرفة قال سبحانه وتعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول الحكم التاسع
عشر وللمطلقات متاع عمم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعدما اوجبها لواحدة منهن وهي المذكورة في الحكم الخامس عشر
ويروى انها لما نزلت ومتعوهن لما نزلت الى قوله متاعا بالمعروف حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت
وان لم ارد ذلك لم افعل فنزلت هذه الاية اي حقا على من كان متقيا عن الكفر والمعاصي واعلم ان المطلقات قسمان مطلقة
قبل الدخول فلها المتعة ان لم تفرض لها مهر كما مر في الحكم الخامس عشر وان كان فرض لها مهر فلا متعة لها وحسبها
نصف المهر لانه تعالى اقتصر على ذلك ولم يذكر المتعة فهي مستثناة من عموم هذه الاية ومطلقة بعد الدخول سواء
فرض لها ام لا يفرض واختلفوا في استحقاقها المتعة فالقديم من قولي الشافعي وبه قال ابو حنيفة لا متعة لها لانها
لا تستحق لها المهر كالمطلقة بعد الفرض وقبل الدخول وفي الجديد لها المتعة وهو قول علي وابنه الحسن وابن عمر
لعموم الاية ولقوله تعالى فتعالين امتعكن وكان ذلك في حق نساء دخل بهن النبي صلى الله عليه وسلم وليست كالمطلقة
المذكورة لانها استحقت الصداق لا بمقابلة عوض وهذه استحقت الصداق في مقابلة استباحة البضع فيجب لها

المتعة للاجماع وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة تمسكا بظاهر عموم الاية وقيل
المراد بهذه المتعة النفقة في العدة بدليل قوله تعالى متاعا الى الحول والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ط حَذَرَ الْمَوْتِ ط فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ
مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ط إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ
وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ط وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

القراءة فيضاعفه بالالف والنصب عاصم غير المفضل وسهل فيضعفه بالتشديد والنصب ابن عامر ويعقوب
غير فيضعفه بالتشديد والرفع ابن كثير ويزيد ورويس الباقون فيضاعفه بالالف والرفع وكذلك في سورة الحديد
ويبصط بالصاد ابن كثير وابو جعفر ونافع غير الخزاعي عن ابن فليح وابن مجاهد وابن عون عن قنبل وسهل وعاصم وابن
ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش وشجاع وعلى الحلواني عن قالون مخير الباقون بالسين الوقوف الموت ط احياهم ط لا
يشكرون ه عليم ه كثيرة ط ويبسط ط ترجعون التفسير قد جرت عادته سبحانه ان يذكر بعد بيان الاحكام القصص اعتبارا
للسامعين ليحملهم ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع والانقياد فقال الم تر وقد يقول لمن سمع بقصتهم
ووقف على اخبار الاولين وتعجب من حالهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى
التعجيب او يكون الرؤية بمعنى العلم والمعنى الم ينته علمك ولهذا عدي بالى وعلى هذا يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه
وسلم لم يعرف هذه القصة الا بهذه الاية ويجوز ان يقال كان العلم بها سابقا على نزول هذه الاية ثم انه تعالى انزل الاية
على وفق ذلك روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا
ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وروي ان حزقيل النبي الذي يقال له ذو الكفل مر عليهم بعد زمان وقد عريت
عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب مما راى فاوحى الله اليه اتريد ان اريك احييهم فقال نعم فقيل له ناد ايتها العظام
ان الله يامرك ان تجتمعي فجعلت العظام تطير بعضها الى بعض حتى تمت العظام ثم اوحى الله اليه ناد ايها ان الله يامرك
ان تكتسي لحما فصارت لحما ودما ثم نادى ان الله يامرك ان تقومي فقامت فلما احياهم كانوا يقولون سبحانك اللهم ربنا
وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم بعد حياتهم وكان يظهر امارات الموت في وجوههم الى ان ماتوا بعد ذلك
بحسب اجالهم وعن ابن عباس ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امر عسكره بالقتال فخافوا بالقتال فهربوا وقالوا
لملكهم ان الارض التي تذهب اليها فيها الوبا فنحن لا نذهب اليها حتى يزول ذلك الوبا فاماتهم الله باسرهم وبقوا ثمانية
ايام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فعجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم الحظائر فاحياهم الله
تعالى بعد الثمانية وبقي فيهم شي من ذلك النتن وبقي ذلك في اولادهم الى هذا اليوم وقيل ان حزقيل النبي
عليه السلام ندب قومه الى الجهاد فكرهوا وجبنوا فارسل الله تعالى عليهم الموت فلما كثر فيهم الموت خرجوا
من ديارهم فرارا من الموت فلما راى حزقيل في ذلك قال اللهم اله يعقوب واله موسى ترى معصية عبادك فارهم
اية في انفسهم تدلهم على نفاذ قدرتك وانهم لا يخرجون عن قبضتك فارسل الله عليهم الموت فلما راه عليه السلام
ضاق قلبه فدعا مرة اخرى فاحياهم الله تعالى اما قوله سبحانه وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة ولكنهم
اختلفوا فقيل عشرة الاف وقيل ثلثون وقيل سبعون وعن بعضهم ان الالوف جمع الف كقعود جمع قاعد
اي خرجوا وهم مؤتلفوا القلوب ورتب بان ورود الموت عليهم وفيهم كثرة يفيد مزيد اعتبار بحالهم
بخلاف ما لو كانوا يسيرا فاما ورود الموت على قوم بينهم ائتلاف ومحبة فلو ورده على قوم بينهم اختلاف في ان

وجه الاعتبار لا يتغير وقد يوجه ان المراد العلم بالدنيا ومحبتهم لها فاهلكوا ليعلم ان حرص الانسان على الحيوة
لا يعصمه عن الفوت وحذر الموت مفعول لاجله فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم وجيء بهذه العبارة للدلالة
على انهم ماتوا ميتة رجل واحد وانها خارجة عن العادة ولا امر ولا قول كما مر في قوله سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون ويدل عليه قوله ثم احياهم واذا صح الاحياء بلا قول فكذا الاماتة ويحتمل انه تعالى امر الرسول بان يقول
لهم موتوا والظاهر انهم لم يكونوا راوا عند الموت من الاهوال والاحوال ما يصيرون بها معارفهم ضرورية ويمنع من صحة
التكليف بعد الاحياء لها في الآخرة وقال قتادة انما احياهم ليستوفوا بقية آجالهم ان الله لذو فضل على الناس تفضل
عليهم بان خرجوا من الدنيا على المعصية فاعادهم الى الدنيا ومكنهم من التوبة والتلافي وتفضل على سائر العباد
باقتصاص خبرهم ليستبصروا ويعتبروا وذلك ان تركيب الاجزاء على الشكل المخصوص ممكن والا لما وجد اولا واذا كان
ممكنا في نفسه وقد اخبر الصادق بوجوده وجب القطع به وفي القصة تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض
للشهادة وان الموت اذا لم يمنع منه الفرار فاولى ان يكون في سبيل الله ولهذا اتبعت بقوله وقاتلوا في سبيل الله
ثم ان كان هذا الامر خطابا للذين احياهم على ما قال الضحاك احياهم ثم امرهم بان يذهبوا الى الجهاد فلا بد من اضمار تقديره
وقيل لهم قاتلوا وان كان استينافا فخطاب للحاضرين على ما هو اختيار الجمهور فلا اضمار وفيه ترغيب وتهييج كيلا ينكص
على عقبيه محب الحيوة بسبب خوف الموت فان الحذر لا يغني عن القدر واعلموا ان الله سميع عليم يسمع ما يقوله القاعدون
والمجاهدون ويعلم ما يضمرونه وهو من وراء الجزاء ولما امر المكلفين بالقتال في سبيل الله اردف ذلك بقوله من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا اي في باب الجهاد كانه ندب العاجز عن الجهاد ان ينفق على الفقير القادر على الجهاد ان ينفق على نفسه
على طريق وذا في من ذا ابتداء ومن استفهام في موضع الرفع والذي مع صلته خبره او موصولة والذي بدلها او اسم
اشارة خبر من والذي نعت له او بدل منه قال ابو البقاء ولا يجوز ان يكون من وذا بمنزلة اسم واحد كما كانت ماذا لان ما اشد
ابهاما من من اذ كانت من لمن يعقل وقد بني الكلام على طريقة الاستفهام لان ذلك ادخل في الترغيب والحث على الفعل
من ظاهر الامر وقيل ان هذا الكلام مبتدا لا تعلق له بما قبله وانما ورد لمستانف الانفاق اتى على الاطلاق وهو
الائق بعموم لفظ القرض واما الواجب منه لان قوله واليه ترجعون كالزجر وهو انما يليق بالواجب واما غير الواجب
لان القرض بالتبرع اشبه وهذا قول الاصم وقد روي عن بعض اصحاب ابن مسعود ان المراد من هذا القرض هو
قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن النبي صلى الله عليه من لم يكن عنده ما يتصدق
به فليلعن اليهود فانه له صدقة ويشبه ان الفقير الذي لا يملك شيئا اذا كان في قلبه انه اذا قدر انفق واعطى
قامت تلك النية مقام الانفاق عن الزجاج ان لفظ القرض حقيقة في كل ما يفعل ليجازى عليه واصل القرض
القطع ومنه المقراض والانقراض لانقطاع الاثر ومن اقرض فكانما قطع له من ماله او عمله ليجازى عليه وقيل
ان لفظ القرض في الآية مجاز فان القرض انما ياخذه من يحتاج اليه لفقره وذلك في حق الله تعالى محال ولان البدل
في القرض المعتاد لا يكون الا بالمثل وههنا يضاعف ولان المال الذي ياخذه المستقرض لا يكون ملكا له وههنا
المال المأخوذ ملك الله ثم مع حصول هذه الفروق سماه الله قرضا تنبيها على ان ذلك لا يضيع عند الله فكما
ان القرض يجب اداؤه ولا يجوز الاخلال فكذا الثواب المستحق على هذا الانفاق واصل الى المكلف لا محالة
وقوله قرضا حسنا يحتمل كونه اسم مصدر وكونه مصدرا بمعنى الاقراض ومعنى كونه حسنا حلالا خالصا لا يختلط
به الحرام ولا يتبعه من ولا اذى ولا يفعله رياء وسمعة وانما يفعله خالصا لوجه الله واضعافا نصب على الحال
او على المفعول الثاني لتضمن ضاعف معنى صير ويجوز ان يكون مصدرا لان الضعف وان كان مصدرا الا انه قد
يقع موقع المصدر كالعطاء فانه اسم للمعطى وقد يستعمل بمعنى الاعطاء قال القطامي شعر اكفرا بعد رد الموت عني
وبعد عطائك المائة الرتاعا وانما جاز جمع المصدر بحسب اختلاف انواع الجزاء لاختلاف الاقراض في المقدار والاخلاص
وغير ذلك والضعف والمثل والضعيف والاضعاف والمضاعفة كلها الزيادة على اصل الشيء حتى يصير مثلين او
اكثر قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي ان هذا التضعيف لا يعلم احدكم هو وما هو وانما ابهمه تعالى لان ذكر
المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط يقتر على عباده ويوسع فلا تبخلوا عليه بما وسع

عليكم لا يبدل لكم الضيقة بالسعة وايضا من كتب له الفقر فليس له الا ذلك سواء انفق او لم ينفق ومن كتب له الغنى
فليس له الا ذلك فعلى التقديرين يكون انفاق المال في سبيل الله اولى واذا علم المكلف ان القبض والبسط بالله انقطع
نظره عن مال الدنيا وبقي اعتماده على الله فحينئذ يسهل عليه الانفاق في مرضاة الله ويحتمل ان يكون المعنى والله
يقبض بعض القلوب حتى لا يقدم على هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يسهل عليه البذل وصرف المال واليه ترجعون
فيجازيكم بحسب ما قدمتم من اعمال الخير والله ولي التوفيق ∴ واليه انتهاء الطريق ∴

الم تر الى الملا من بني اسرائيل (من بعد موسى) اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في
سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا
نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا
الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من
المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه
من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت
فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ال موسى وال هارون تحمله الملائكة ان
في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله
مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف
غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت
وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة
وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض

وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ⁂ القراءة

عسيتم بكسر السين حيث كان نافع الباقون بالفتح وزيادة بالامالة حمزة ونصير وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بصطة بالصاد ابو نشيط والسوسي عن النقاد وكذلك بباسط ويبصط الزرقاء ولا بتصطها كل المبسط فا اصطلعوا وما اشبه ذلك مني الابفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو والباقون بالسكون غرفة بفتح الغين ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالضم هو والذين بالادغام يروي ابن سهران ومحمد العطار عن ابي شعيب وشجاع وكذلك ما اشبهها فيه وهيبة وبابهما عن مهمون نبي بزيد والسوسي وحمزة في الوقف دفاع الله وكذلك في سورة الحج ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون دفع الله **الوقوف** من بعد موسى ط لانه وصل صاربا اذ ظرفا لعق له المرء وكفر محال في سبيل الله ط الا تقاتلوا وابنائنا نقطها لابتداء امر معظم منهم ط بالظالمين ملكا ط من المال ط والجسم ط من يشاء ط عليم الملائكة ط مؤمنين ج بالجنود لان قال جواب لما بيهي للابتداء بالشرط مع الفاء فليس مني للابتداء بشرط اخر مع اتحاد المقصود نيله لعطف المختلفتين منهم نقطها لابتداء امر معظم معه لان قالوا جواب لما وجنوده ملاقوا الله لان ما بعده مفعول قال باذن الله الصابرين الكافرين لان ما في له دعاء وما بعده خبر ماض تنصل بكلام طويل بعده ولا طف على باذن الله لانصال اللفظ واتساق المعنى

التفسير القصة الثانية قصة طالوت عليه السلام فان الهزيمة كانت قتل داود جالوت مما ينشأ العالمين والملأ اسم جماعة من الناس كالقوم والرهط لا يملأون العيون هيبة اولانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة وجمعه املاء وقال شعر وقال لها الاملاء من كل معشر وخير اقاويل الرجال سديدها قال الزجاج الملأ الرؤساء سموا بذلك لانهم ملوا بما يحتاج اليه من كفايات الامور وتدبيرها من قولهم ملاء الرجل ملاءة فهو ملي اذا كان مطيقا له اولانهم يتما للاوذ اي يتظاهرون ويتمالؤن والغرض من ايراد هذه القصة عقيب اية القتال ترغيب المكلفين على الجهاد وان لا يكونوا كمن امروا بالقتال فخالفوا وظلموا اذ قالوا لنبي لهم لم يحصل العلم بذلك النبي وبا وليك الملأ من الخبر المتواتر وخبر الواحد لا يفيد الا الظن لكن المقصود وهو الحث على الجهاد حاصل ومنهم من قال ان النبي هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف لقوله تعالى من بعد موسى ولكنه لا يلزم منه حصوله من بعده على الاتصال والاكثرون على انه اشمويل واسمه بالعربية اسمعيل وعن السدي هو شمعون سمته امه بذلك لانها دعت الله ان يرزقها ابا فسمع دعاءها فسمته شمعون والسين يصير شينا بالعبرانية وهو من ولد لاوي بن يعقوب ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتظم به كلمتنا وكان قوام بني اسرائيل بملك يجتمعون عليه يجاهد الاعداء ويجري الاحكام ونبي يطيعه الملك ويقيم امر دينهم ويأتيهم بالخبر من ربهم نقاتل في سبيل الله بالنون والجزم على الجواب وهي القراءة المشهورة وقرئ بالنون والرفع على انه حال اي ابعث لنا ملكا مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهما تصنعون بالملك قالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء بالجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا هل عسيتم خبره الا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي كتب عليكم القتال فهل يتوقع منكم الجبن والخبر اراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه وما لنا ان لا نقاتل قال المبرد ما نافيه اي ليس لنا ترك القتال والاكثرون على انه للاستفهام ورد عليه انه خلاف المشهور فانه لا يقال ما لك ان لا تفعل كذا وانما يقال ما لك لا تفعل وعن الاخفش ان ان زائدة اي ما لنا لا نقاتل ورد بان الزيادة خلاف الاصل ولا سيما في كلام رب العزة وعن الفراء ان الكلام محمول على المعنى لان قولك ما لك لا تقاتل معناه ما منعك ان تقاتل فلما ذهب الى معنى المنع حسن ادخال ان فيه وعن الكسائي واستحسنه الفارسي ان التقدير اي شيء لنا او اي داع او غرض في ترك القتال فسقطت كلمة في على القياس وقد اخرجنا اي وحالنا انا اخرجنا من ديارنا وابنائنا بالسبي والقهر على نواحيها ومن بلغ منه العدو هذا المبلغ فالظاهر منه الاجتهاد في قمع عدوه يروى ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين وههنا محذوف التقدير فسأل الله تعالى فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر وسيأتي ذكرهم وانهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم ولكل مكلف في الاسلام على القعود عن القتال

واي وعيد ابلغ من ان وضع الظالمين موضع الضمير العائد اليهم قوله سبحانه وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود امتنع من الصرف للعلمية والعجمية المعتبرة وقد يتكلف اشتقاقه من الطول لما يجيء من وصفه بالبسطة في الجسم وقد يوافق العبراني العربي ملكا نصب على الحال او التمييز او مفعول ثان على ان بعث بمعنى صير وفي الاية تقريب لنبيهم وتأكيد لذلك فان اول ما نزلوا هو انكارهم امر النبي المبعوث اليهم بالتماسهم وذلك انهم قالوا انى يكون كيف ومن اين يصح ويصلح له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى للحال والثانية للعطف فانتظمت الجملتان في سلك الحالية استبعدوا تملكه من وجهين الاول ان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب ومنه موسى وهارون والملك كان في سبط يهودا ومنه داود وسليمان وان طالوت ما كان من احد هذين السبطين بل كان من ولد بنيامين الثاني انه كان فقيرا ولا بد للملك من مال يعتضد به فعن وهب انه كان دباغا وعن السدي كان مكاريا وقال الاخرون كان سقاء فازيلت شبهتهم بوجوه الاول قال ان الله اصطفاه عليكم اختاره دونكم واستخلصه من بينكم والامر عليكم ولا اعتراض لاحد على حكم الله يروى ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت الثاني وزاده بسطة في العلم والجسم طعنوا فيه بنقصان الجاه والمال فقابلهما الله تعالى بوصفين العلم والقدرة وانهما اشد مناسبة لاستحقاق الملك من النسب والمال لان العلم والقدرة من الكمالات الحاصلة بجوهر الانسان والمال والجاه امران منفصلان عن ذات الانسان وانهما لا يمكن سلبهما عن ذات الانسان بخلافهما وان العالم بامر الحروب ذا القوة والبطش يكون الانتفاع به في مصالح البلاد والعباد اتم من النسيب الغني اذا لم يكن له علم يضبط المصالح وقدرة على دفع الاعداء والظاهر ان المراد بالبسطة في العلم هو حدته فيما يطلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وذلك ان الملك ينبغي ان يكون عالما والا كان من دري غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين مهابة وحشمة والبسطة السعة والامتداد وطول القامة يروى انه كان يفوق الناس برأسه ومنكبه وقيل المراد منه الجمال وكان اجمل بني اسرائيل والاظهر ان يراد بها القوة لانها المنتفع بها في دفع الاعداء لا الطول والجمال الوجه الثالث والله يؤتي ملكه من يشاء فالملك له والعبيد له والمالك اذا تصرف في ملك نفسه فلا اعتراض لاحد عليه الوجه الرابع والله واسع عليم فاذا فوض الملك اليه فان علم ان الملك لا يتمشى الا بالمال فتح عليه باب الرزق ويوسع عليه قوله عز من قائل وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان يأتيكم التابوت الاية اعلم ان ظاهر قوله اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا يدل على انهم كانوا معترفين بنبوة ذلك النبي ثم انه لما قال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا كان هذا دليلا قاطعا على انه ملك لكنه تعالى لكمال رأفته بالمكلفين ضم الى ذلك الدليل دليلا اخر دالا على صدق النبي واكثار الدلائل من الله تعالى جائز ولهذا كثرت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزات موسى وعيسى عليهما السلام ثم ان مجيء التابوت لا بد ان يقع على وجه يكون خارقا للعادة حتى يصح ان يكون معجزة واية من عند الله دلالة على صدق تلك الدعوى فقيل ان الله تعالى انزل على ادم تابوتا فيه صور الانبياء من اولاده فتوارثوه الى ان وصل الى يعقوب ثم بقي في ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال ذلك النبي ان اية ملكه انكم تجدون التابوت في داره وكان الكفار الذين سلبوا التابوت جعلوه في موضع البول والغائط فدعا النبي عليهم في ذلك الوقت فسلط الله على اولئك الكفار البلاء حتى ان كل من بال عنده او تغوط ابتلاه الله بالبواسير فعلم الكفار ان ذلك لاجل استخفافهم بالتابوت فاخرجوه ووضعوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فعلى هذا اتيان التابوت مجاز لانه اتي به ولم يأت هو بنفسه وقيل انه صندوق من خشب كان موسى يضع التوراة فيه وكانوا يعرفونه ثم ان الله تعالى رفعه بعدما قبض موسى عليه السلام لسخطه على بني اسرائيل ثم قال نبي ذلك القوم ان اية ملك طالوت ان يأتيكم التابوت من السماء فنزل من السماء والملائكة كانوا يحفظونه والقوم ينظرون حتى نزل عند طالوت وعلى هذا الاتيان حقيقة واضيف الحمل عند الملائكة في القولين جميعا لان

امرم

حفظ شيئا في الطريق جاز ان يوصف بانه حمل ذلك الشي اما شكل التابوت فقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرا ابي بن كعب وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار واما وزن التابوت فلا يخلو اما ان يكون فعلوتا او فاعولا لا سبيل الى الثاني لقلة باب سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فهو فعلوت من التوب الرجوع لانه ظرف فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته والظاهر ان مجي التابوت كان معجزة لنبي ذلك الزمان ومع كونه معجزة كان اية قاطعة في ثبوت ملك طالوت وقيل ان طالوت كان نبيا فاتيان التابوت معجزته لانه كان مقرونا بالتحدي والجواب ان التحدي كان من النبي لا منه فيه سكينة فعيلة من السكون ضد الحركة ومعناه الوقار مصدر وقع موقع الاسم كالعزيمة واما البقية فبمعنى الباقية يقال بقي من الشي بقية والمراد بالسكينة والبقية اما ان يكون شيئا حاصلا في التابوت او لا الثاني قول الاصم وعلى هذا فمعناه انه متى جاءهم التابوت من السما وشاهدوا تلك الحالة اطمانت نفوسهم واقروا له بالملك وانظر امرا بقي من ذكر ال موسى وهارون ومن نشر بعثهما فهذا كقوله صلي الله عليه وسلم في النفس المومنة ماية من الابل اي بسببها وعلى الاول اقوال فعن ابي مسلم كان في التابوت بشارات من كتب المنزلة على موسى وهارون ومن بعدهما من الانبيا عليهم السلام بان الله تعالى ينصر طالوت وجنوده فيزول خوف العدو عنهم وعن ابن عباس هي صورة من زبرجد وياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي عليه السلام كان له وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة اي طيبة واما البقية فهي رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وشي من التورية وقفيز من المن الذي انزل عليهم قال بعض العلما انما اضيف موسى وال هرون لان ذلك التابوت قد تداولته القرون بعدهما الى وقت طالوت وفي التابوت اشيا توارثها العلما من اتباع موسى وهارون فيكون الال هم الاتباع قال تعالى ادخلوا ال فرعون واذ نجيناكم من ال فرعون ويحتمل ان يراد مما تركه موسى وهارون والال مقحم لتفخيم شانهما كقوله صلي الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير ال داود واراد به داود نفسه اذ لم يكن لاحد من ال داود من الصوت الحسن ما كان لداود ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين بدلالة المعجزة على صدق المدعي وههنا محذوف والتقدير فاتاهم التابوت فاذعنوا لطالوت واجابوا الى المسير تحت رايته فلما فصل طالوت بالجنود اصل فصل فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي والمعنى انفصل عن بلده مع الجنود والجند الاعوان والانصار وكل صنف من الخلق جند قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة روي ان طالوت قال لقومه لا ينبغي ان يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال اي نبيهم على قول او طالوت على الاظهر وذلك اما باخبار النبي صلى الله عليه وسلم او بالوحي اذا كان نبيا ان الله مبتليكم بنهر بما اقترحتموه من النهر قيل في حكمة هذا الابتلاء انه لما كان من عادة بني اسرائيل مخالفة الانبياء والملوك مع ظهور الايات الباهرة اظهر الله علامة قبل لقاء العدو ولا يورثكم تبرما حال لقاء العدو وعن ابن عباس والسدي انه نهر فلسطين وعن قتادة والربيع انه نهر بين الاردن وفلسطين ونهر ونهر بتحريك الهاء وتسكينها لغتان ومبتليكم اي مختبركم ولما كان الابتلاء من الناس انما يكون بظهور الشي وثبت ان الله لا يبتلي ولا يعاقب على علمه انما يفعل ذلك بظهور الافعال من الناس وذلك لا يحصل الا بالتكليف لا جرم سمي التكليف ابتلاء فمن شرب منه فليس مني هو كالزجر اي ليس بمتصل بي ولا متحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما او ليس من اهل ديني وطاعتي ومن جملتي واشياعي ومن لم يطعمه ولم يذقه من طعم الشي اذا ذاقه ومنه طعم الشي لمذاقه واعلم ان الفقها اختلفوا في انه من حلف لا يشرب من هذا النهر كيف يحنث فقال ابو حنيفة لا يحنث الا اذا كرع فيه حتى لو اغترف بالكوز ماء من ذلك النهر وشربه لا يحنث لان الشرب من الشي هو ان يكون ابتداء شربه متصلا بذلك الشي وقال الباقون بل اذا اغترف الماء بالكوز من ذلك النهر وشربه يحنث لان هذا وان كان مجازا الا انه مشهور فلما كان من المحتمل في اللفظ الاول ان يكون النهي مقصورا على الشرب من النهر حتى لو اخذه بالكوز وشربه لا يكون داخلا

تحت

تحت النهي ذكر في اللفظ الثاني ما يزيل هذا الابهام فقال ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب منه فليس مني ليصح النظم وانما فصل قوله ومن لم يطعمه بين المستثنى والمستثنى منه للعناية ومعنى الاستثنا الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة بالفتح بمعنى المصدر وبضم الغين بمعنى المغروف ملء الكف عن ابن عباس كانت الغرفة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها ولعل ذلك من معجزات نبي ذلك الزمان كما روي عن نبينا صلي الله عليه وسلم من ارواء الخلق العظيم من الماء القليل ويحتمل انه كان ماذونا باخذ من كم شاء مرة واحدة بقربة او جرة بحيث كان الماخوذ في المرة الواحدة ما يكفيه ولدوابه ولخدمه ولان يحمل مع نفسه الا ان قوله بيده لا يساعد هذا الاحتمال فشربوا منه فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرا ابي والاعمش الا قليل منهم وهذا من باب الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم فبهذا تميز الموافق عن المنافق والصديق عن الزنديق يروى ان اصحاب طالوت لما هجموا على النهر بعد عطش شديد وقع اكثرهم في النهر واكثروا الشرب فاسودت شفاههم وغلبهم العطش وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو واطاع قوم قليل منهم امر الله تعالى فلم يزيدوا على الاغتراف فقوي قلبهم وصح ايمانهم وعبروا النهر سالمين والمشهور انهم كانوا على عدد اهل بدر لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انتم اليوم على عدد اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه الا مومن قال البرا بن عازب وكنا يومئذ ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل انهم كانوا اربعة الاف ولا خلاف بين المفسرين ان الذين عصوا الله وشربوا من النهر رجعوا الى بلدهم ولم يتوجه معه الى لقاء العدو الا من اطاعه وانما الخلاف في انهم رجعوا قبل عبور النهر او بعده والحق انه ما عبر معه الا المطيعين لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه ولقوله فليس مني اي ليس من اصحابي في سفري ولان المقصود من الابتلاء ان يتميز المطيع من العاصي واذا تميز فالظاهر انه لم ياذن العاصين وصرفهم عن نفسه وقيل ان ترددوا عند لقاء العدو وقيل انه سبحانه وتعالى استصحب كل جنوده لانهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق بالمومن المنقاد لامر ربه بل لا يصدر الا عن المنافق والفاسق والجواب لعل طالوت والمومنين لما جاوزوا النهر والقوم تخلفوا وما جاوزوه سالوه عن سبب التخلف فذكروا ذلك وما كان النهر في العظم بحيث يمنع المكالمة او المراد بالمجاوزة قرب حصول المجاوزة او المومنون الذين عبروا النهر كانوا فريقين منهم من يكره الموت ويغلب الخوف والجزع على طبعه وهم الذين قالوا لا طاقة لنا ومنهم من كان شجاعا قوي القلب وهم الذين اجابوا بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة او لانهم لما شاهدوا قلة عسكرهم قال بعضهم لا طاقة لنا فلا بد ان نوطن انفسنا للقتل وقال الاخرون بل نرجوا من الله الفتح والظفر فكان غرض الاولين الترغيب في الشهادة والفوز بالجنة وغرض الاخرين التربص على رجاء الفتح والظفر وكلا الغرضين محمود والطاقة اسم من الاطاقة يقال اطقت الشي اطاقة وطاقة ومثلها اطاع الطاعة والاسم الطاعة واغار اغارة والاسم الغارة واجاب يجيب اجابة والاسم الجابة وفي المثل اساء سمعا فاساء جابة اي جوابا ومعنى قوله يظنون انهم ملاقوا الله يغلب على ظنونهم انهم لا يتخلصون من الموت عن قتادة او يظنون انهم ملاقوا ثواب الله بسبب هذه الطاعة وذلك ان احدا لا يعلم عاقبة امره عن ابي مسلم او يظنون انهم ملاقوا طاعة الله من غير رياء وسمعة ونية خالصة وانهم عرفوا مما في التابوت من الكتب الالهية يعني النصر والظفر الا ان حصول ذلك في المرة الاولى ما كان الا على سبيل الظن والمراد بقوله يظنون يعلمون ويوقنون لما بين اليقين من الظن من المشابهة في تاكد الاعتقاد والفئة الجماعة لانهم قد فاء بعضهم الى بعض فصاروا جماعة وقال الزجاج هي من قولهم فاوت راسه بالسيف وفايت اي قطعت كان الفئة قطعة من الناس والمراد تقوية قلوب الذين قالوا لا طاقة لنا اذ العبرة بالتاييد الالهي والنصر الالهي فاذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة والذلة واذا جاءت المحنة فلا منفعة في كثرة العدد والعدة كم رفع بالابتدا وغلبت الجملة خبره باذن الله بتيسيره وتسهيله والله مع الصابرين بالمعونة والتاييد يحتمل ان يكون من قوله تعالى وان يكون من قول الذين يظنون قوله سبحانه ولما برزوا لجالوت وجنوده الاية البراز الارض ومنه البروز والمبارزة في الحرب كان كل واحد منهما حصل بحيث يرى صاحبه واعلم ان العلما والاقويا من عسكر طالوت مع قربهم مع ضعفائهم وعوامهم ان الغلبة لا تتعلق بكثرة العدد وانما النصر والظفر باعانة الله

اشتغلوا بالدعاء فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا وهكذا كان يفعل نبينا صلى الله عليه وسلم كما روي في قصة بدر
انه كان يصلي ويستنجز من الله وعده وكان متى لقي عدوه قال اللهم اني اعوذ بك من شرورهم واجعلك في نحورهم
اللهم بك اصول وبك احول ثم الافراغ اخلاء الاناء مما فيه وانما يخلو بصب كل ما فيه فمعناه المبالغة اي صب علينا
اتم صبر وابلغه وهذا هو الركن الاعظم في المحاربة فانه ان كان جبانا لم يحصل بطائل ثم ان الشجاع مع ذلك يحتاج الى
الالات والعدد والاتفاقات الحسنة حتى يمكنه ان يقف ويثبت ولا يصير ملجأ الى الفرار فاقترحوها بقولهم و
ثبت اقدامنا ثم انه مع كل هذه الاشياء يفتقر الى ان يزيد قوته على قوة عدوه حتى يغلبهم وهو المراد بقولهم
وانصرنا على القوم الكافرين فلا جرم استجاب الله دعاءهم فهزموهم وكسروهم باذن الله بتوفيقه واعانته وقتل
داود جالوت عن ابن عباس ان داود كان راعيا ومعه سبعة اخوة مع طالوت فلما ابطأ خبر اخوته على
ابيهم ايشا ارسل ابنه داود وكان صغيرا ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم في المصاف وبرز جالوت الجبار وكان من
قوم عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل من الحديد فلم يخرج اليه احد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على الحق لبارز
بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فسكتوه فذهب الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته فمر
طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا فقال طالوت انكحه ابنتي واعطيه نصف مملكتي فقال
داود فانا خارج اليه وكانت عادته ان يقاتل بالمقلاع الذئب والاسد في المرعى وكان طالوت عارفا بجلادته فلما هم داود
بان يخرج الى جالوت مر بثلاثة احجار فقلن يا داود خذنا معك ففينا منية جالوت ثم لما خرج الى جالوت رماه فاصابه
في صدره ونفذ الحجر فيه وقتل بعده ناسا كثيرا قيل حسده طالوت ولم يف له بما وعده ثم ندم على صنيعه فطلب
الى ان قتل واتاه الملك في مشارق الارض ومغاربها والحكمة اي النبوة لان الحكمة وضع الامور مواضعها على الوجه
الاصوب والنحو الاصلح وكمال هذا المعنى انما يحصل بالنبوة والمشهور من احوال بني اسرائيل ان الله تعالى كان يبعث
اليهم نبيا وعليهم ملكا وكان ذلك الملك ينفذ امور ذلك النبي وكان نبي ذلك الزمان اشمويل وملكه طالوت
فلما توفي اشمويل اعطى الله تعالى داود النبوة ولما توفي طالوت اعطى الله الملك اياه ايضا ولم يجتمع الملك والنبوة
على احد من بني اسرائيل قبله وقيل انه بين قتله جالوت وبين ما اعطاه الله الملك والحكمة سبع سنين
وقال بعضهم هذه الايات جزاء له على ما فعل من الطاعة وبذل النفس في سبيل الله ولا يمتنع جعل النبوة
جزاء على بعض الطاعات كما قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته
ولهذا ذكر بعد حديث الهزيمة والقتل وترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية لا سيما وقد نطقت الاخبار بعد
وقد قهر العدو العظيم المهيب بالالة الحقيرة وقال اخرون ان النبوة لا يجوز جعلها جزاء على اعمال ولكنها محض عناية الله
تعالى ببعض عبيده كما قال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فان قيل لم قدم الملك على الحكمة مع انه
ادون منها فالجواب ان الله تعالى اراد ان يذكر كيفية ترقي داود عليه السلام في مدارج السعادات والتدرج
في مثل هذا المقام من الادون الى الاشرف هو الترتيب الطبيعي وعلمه مما يشاء قيل هو صنعة الدروع لقوله وعلمناه
صنعة لبوس وقيل منطق الطير وعلمنا منطق الطير وقيل ما يتعلق بمصالح الملك فانه ما تعلم ذلك من ابائه فانهم
كانوا رعاة وقيل علم الدين والقضاء واتيناه الحكمة وفصل الخطاب ولا يبعد حمل اللفظ على الكل والغرض منه
التنبيه على ان العبد لا ينتهي قط الى حالة مستغنى عن التعلم سواء كان نبيا او لم يكن ولهذا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم
وقل رب زدني علما ولولا دفع الله معناه ظاهر واما من قرأ بالالف فاما ان يكون مصدر الدفع نحو جمح جماحا وكتب
كتابا وقام قياما واما ان يكون بمعنى انه سبحانه يكف الظلمة والعصاة عن المؤمنين على ايدي انبيائه وائمة دينه وكان
يقع بين اولئك المحقين واولئك المبطلين مدافعات كقوله ان الذين يحادون الله ورسوله واعلم ان الله
ذكر في الاية المدفوع وهو بعض الناس والمدفوع به وهو البعض الاخر واما المدفوع عنه فغير مذكور فالعلماء وهو
الشر في الدين كالكفر والفسق والمعاصي فعلى هذا الدافعون هم الانبياء عليهم السلام وائمة الهدى ومن
يجري مجراهم من الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر والشر في الدنيا كالهرج والمرج واثارة الفتن
فالدافعون اما الانبياء او الملوك المذابون عن شرائعهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الملك والدين توأمان الاسلا

اس والسلطان حارس فما لا اساس له فهو منهدم وما لا حارس له فهو ضائع وعلى هذا فمعنى قوله لفسدت الارض
اي بطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وغير ذلك من سائر اسباب العمران وقيل المراد بالدفع نصر المسلمين
على الكفار ومعنى فساد الارض عبث الكفار فيها وقتلهم المسلمين وقيل المعنى لو لم تدفع الكفار بالمسلمين لعم الكفر
ونزل سخط الله فاستؤصل اهل الارض وتصديق ذلك ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليدفع بمن يصلي من امتي
عمن لا يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد ولو
اجتمعوا على ترك هذه الاشياء لما انظرهم الله طرفة عين ثم تلا هذه الاية ولكن الله ذو فضل على العالمين بسبب
ذلك الدفاع وفيه ان الكل بقضاء الله وقدره وتيسيره ولطفه وبعدله وبفضله التأويل قوله تعالى الم تر الى
الملأ ان القوم لما ظهر خلاف ما اضمروا وزعموا غير ما كتموه عرض نقد دعواهم على محك معناهم فما افلحوا عند الامتحان
اذ عجزوا عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان وهذا حال اكثر مدعي الاسلام والايمان يزعمون انهم يصلون
ويصومون ويحجون ويزكون لله وفي الله باللسان دون صدق الجنان وسيظهر ما كان لله وما كان للهوى في كفتي
الميزان فلما كتب عليهم القتال تبين الابطال من الابطال فتولوا الا قليلا منهم وان اهل الحق اعز من العنقاء
واعوز من الكبريت شعر تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل تعيرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين
ذليل وانما لم المدعوت مقصودهم لانه لم يخلص لله قصودهم ولهذا انهم قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من
واوجب القتال علينا وانه سيدنا ومولانا لعل الله صدق دعواهم واعطى منامهم واكرم مثواهم كما قال قوم من السعداء
في اثناء البكاء والصعداء وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فلا
جرم اثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار وذلك جزاء المحسنين ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
فيه اشارة الى ان الحكم الالهية جاءت ونحلت في جلباب لتغاليها عن ادراك العقول البشرية كنه معنى معانيها
ولهذا قال انى يكون له الملك علينا وليس هذا باعجب من قول الملائكة المقربين المؤيدين بالانوار القدسية اتجعل فيها من
يفسد فيها استحقارا لشأن ادم واحتجابا بحجب الانانية والغيبة فلما نكص بنو اسرائيل وقالوا نحن احق بالملك و
ضعفهم الله فحرموا الملك ولما تواضع طالوت لله وقال كيف استحق الملك وسبطي ادنى اسباط بني اسرائيل وبيتي ادنى
بيت بني اسرائيل رفعه الله واعطاه الله الملك ولما تفوقت الملائكة وترفعوا بقولهم ونحن نسبح بحمدك امرهم بسجود
ادم ولما عرضت الخلافة على ادم فتواضع لله وقال ما للتراب ورب الارباب اكرمه الله بسجود الملائكة وحمل اعباء
الامانة ان اية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه اشارة الى ان اية خلافة ان العبد يظفر بتابوت قلب فيه سكينة من
ربه وهي الطمأنينة بالايمان والانس مع الله الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقية مما ترك ال موسى وهو عصا الذكر
كلمة لا اله الا الله وهي الثعبان الذي اذا فغر فاه وتلقف عظم سحر سحرة صفات فرعون النفس وان تابوتهم الذي
فيه سكينتهم كان نقدا وله ايدي الحدثان وتابوت قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وان كان في تابوتهم
بعض التورية ففي تابوت المؤمن جميع القران وان كان في تابوتهم صور الانبياء ففي تابوت المؤمن رب الارض والسما
كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن فاذا حصل لطالوت روح الانساني تابوت
القلب الرباني سلم له ملك الخلافة وانقاد له جميع اسباط صفات الانسان فلا يركن الى الدنيا ويتجهز لقتال جالوت
النفس الامارة ان الله مبتليكم بنهر هو نهر الدنيا وما زين للخلق فيها زين للناس حب الشهوات ليظهر المحسن
من المسيء ويتميز الخبيث من الطيب الا من اغترف غرفة بيده فتمتع من متاع الدنيا بما لا بد منه من المأكول والملبوس والمشرب
والمسكن وصحبة الخلق على حد الاضطرار وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا
اي ما يمسك رمقهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لان من شرب من نهر الدنيا ما دسمها وان لذاتها وتجاوز
عن حد الضرورة فيها لا يطيق قتال جالوت النفس وجنوده صفاتها وعسكر هواها لانه صار معلولا مريض القلب فبقي
على شط نهر الدنيا راضيا بالجيفة الدنيا واطمأنوا بها والذين وجالوت وجنوده فيه اشارة الى ان المجاهد في الجهاد
الاكبر لا يقوم بحوله وقوته لقتال النفس الا راجع الى ربه مستعينا به مستغنيا عن غيره قائلا ربنا افرغ علينا
صبرا على الايمان بطاعتك والانزجار عن معاصيك ومخالفة الهوى والاعراض عن زينة الدنيا وثبت اقدامنا

عن التسليم في الشدة والرخاء ونزول البلاء وهجوم احكام القضا في السراء والضراء وانصرنا على القوم الكافرين
وهم اعداونا في الدين عموما والنفس الامارة بصفاتها التي هي اعدى عدونا بين جنبنا خصوصا فهزموهم باذن الله
بنصرته وقوته وقتل داود القلب جالوت النفس اذا خذ حجر الحرص على الدنيا وحجر الركون الى الخلق وحجر تعلقه
الى نفسه بالهوى حتى صار الثلثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه في مقلاة التسليم والرضى
فرمى به جالوت النفس فسخر الله له ريح العناية حتى اصاب انفه ببيضة هواها وخالط دماغها فاخرج منه
الفضول وخرج من قفاها وقتل من وراها ثلثين من صفاتها واخلاقها ورداعيها وهزم الله بافي جنودها وهي
الشياطين واخرابها واتاه الله ملك الخلافة وحكمة الالهامات الربانية وعلمه مما يشا من حقائق القران واشارات
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني ارباب الطلب بالمشايخ البالغين الواصلين الهادين المهديين كما قال
لكل قوم هاد لفسدت الكونين الارض استعدادتهم المخلوقة في احسن تقويم عن استيلاء جالوت النفس
بتبديل اخلاقها وتكدير صفاتها ولكن الله ذو فضل على العالمين فمن كان فضله ورحمته حرك سلسلة
طلب الطالبين والهم اسرارهم ارادة المشايخ الكاملين ووفقهم للتمسك بذيول تربيتهم ووفقهم على التثبت باهداب
سيرتهم وثبتهم على الرياضات في حال تزكيتهم كما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ولكن الله يزكي من يشا

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ط وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ط مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ط وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ط وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ۝
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ط وَ
الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ **القراءة**

لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير الباقون بالرفع والتنوين وكذلك في
سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك في سورة الطور لا لغو فيه ولا تاثيم **الوقوف** بالحق ط للابتداء بان
المرسلين ۝ الجزء الثالث على بعض ط لانه لو وصل صار الجار والمجرور صفة لبعض فينصرف بيان تفضيل الرسل الى بعض
يكون موسى عليه السلام من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكلم درجات ط للعدول
القدس ط من كفر ط ما يريد ۝ ولا شفاعة ط الظالمون ۝ **التفسير** تلك القصص المذكورة من حديث الالوف واماتتهم
ثم احيائهم ومن تمليك طالوت وظهور الاية التي هي اتيان التابوت وغلبة الجبابرة على يد داود وهو صبي فقير ايات
الله الباهرة الدالة على كمال قدرته وحكمته ورحمته نتلوها عليك بتلاوة جبريل وفيه تشريف عظيم لجبريل
عليه السلام كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه
في كتبهم كذلك غير تفاوت ولان في تلاوتها حكمة شريفة وهي اعتبار المكلفين من امتك لئلا يحتملوا اشد ما
كما احتملها الامم السالفة ولانها تدل على نبوتك من قبل انها اخبار الغيب ولانها من الفصاحة والبلاغة

ذلك بقوله وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة ودراسة وفيه ايضا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
بما يراه من الكفار واهل النفاق من الخلاف والشقاق كما راه الرسل قبله فالمصيبة اذا عمت طابت ولمثل هذا كرر فقال
تلك الرسل اي الذين نعرفهم وانت من جملتهم فضلنا بعضهم على بعض منهم من فضله الله بان كلمه الله من غير سفير
وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم درجات قيل اي الى درجات فنصب بنزع الخافض وقيل رفع لبعضهم كقوله
ورفعناه مكانا عليا اي له وقيل حال من بعضهم اي ذا درجات وقيل مصدر في موضع الحال وقيل انتصابه على المصدر
لان الدرجة بمعنى الرفعة فكانه قال ورفعنا بعضهم دفعات وايدنا عيسى بروح القدس ومع ذلك قد نالهم من قومهم
ما ذكرناه لك بعد مشاهدة المعجزات وانت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك ولو شاء الله لم يختلف امم
اولئك ولكن ما قضاه الله فهو كائن وما قدره فهو واقع واعلم ان الامة اجمعت على ان بعض الانبيا افضل
من بعض وعلى ان محمدا افضل الكل صلى الله عليه وعليهم لوجوه منها قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
ومنها قوله ورفعنا لك ذكرك قرن ذكره بذكر محمد في الشهادة وفي الاذان وفي التشهد ولم يكن لسائر الانبيا ومنها
ان قرن طاعته بطاعته من يطع الرسول فقد اطاع الله وبيعته ببيعته ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وعزته
بعزته ولله العزة ولرسوله ورضاه برضاه والله ورسوله احق ان يرضوه واجابته باجابته يا ايها الذين امنوا استجيبوا
لله وللرسول ومحبته بمحبته قل ان كنتم تحبون الله ورسوله فاتبعوني يحببكم الله ومنها ان معجزاته اكثر وقد ترقى
الى الف من جملتها القران بل القران يشتمل على الفي معجزة وازيد لان التحدي وقع باقصر سورة هي الكوثر وانها ثلث ايات
فكل ثلث ايات من القران تصلح للتحدي فيكون معجزا براسه ومنها ان معجزته وهي القران باقية على وجه الدهر
ومعجزاتهم قد انقضت وانقرضت مع ان معجزته من جنس ما لا يبقى زمانين وهي الاصوات والحروف ومعجزاتهم من
جنس ما يبقى مدة طويلة ومنها انه اجتمع فيه من الخصال الحميدة والخلاق المرضية ما كان متفرقا فيهم والبه الاشارة
بقوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده اي اطلعنا على احوالهم وسيرهم فاختر منها اجودها واحسنها فانه لا يجوز
ان يكون مامورا بالاقتداء بهم في اصول الدين لانه تقليد ولا في الفروع فانه شرعه ناسخ الشرايع فاذن المراد
محاسن الاخلاق ومنها انه بعث الى الخلق كافة فكان تحمل اعباء الرسالة اكثر فيكون ثوابه ازيد ومنها
وهذا الدين افضل والا لم ينسخ به سائر الاديان فيكون شارعه افضل ومنها ان امته افضل كنتم خير امة اخرجت
للناس واذا كان التابع افضل فالمتبوع افضل ومنها ان امته اكثر لكونه صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الجن والانس
ولا يخفى انه لكثرة التابعين اثرا في علو شان المتبوع ومنها ان كل نبي نودي في القران فقد نودي باسمه
يا ادم اسكن يا موسى اني انا ربك ونادينا ان يا ابراهيم يا عيسى اني متوفيك واما النبي صلى الله عليه وسلم فانه
نودي يا ايها النبي يا ايها الرسول بل اقسم بحياته لعمرك انهم في سكرتهم يعمهون واما الاحاديث في هذا الباب فعن
ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون وهم ينتظرون خروجه قال
فخرج حتى اذا دنا منهم فسمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا واتخذ
ابراهيم خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال اخر ماذا باعجب من ادم اصطفاه الله عليهم وخلقه
بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وقال قد سمعت كلامكم
وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وان موسى نجي الله وهو كذلك وان عيسى روح الله وهو كذلك وان ادم
اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين على
الله ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي
فقراء المهاجرين ولا فخر ۝ وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن
احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت
لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلوة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي
مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وروى البيهقي في كتابه في فضائل الصحابة ظهر علي ابن ابي طالب عليه السلام من
البعيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عايشة الست سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو

بحث تفضيل نبينا على غيره

سيد العرب وما يوكد هذه المعاني ما ركن في العقول ان ذخاير كل ملك ينبغي ان تكون على مقدار من تحت
تملكه فامير المدينة يحتاج الى عدة اكثر من عدة رئيس القرية ولما كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اعم من ساير
الانبيا فانه مبعوث الى الثقلين كافة فلاجرم اعطي من كنوز العلم والحكمة وذخاير المعارف والحقايق ومن جوامع الكلم
وبدايع الحكم ومحاسن العادات ومكارم الاخلاق ما لم يوت نبي قبله ولن يوتى احد بعده هذا وقد طعن فيه بعض الملاحدة
ان معجزات ساير الانبيا كانت اعظم من معجزاته فادم جعل مسجود الملايكة وابراهيم القي في النار فانقلبت روحا
وريحانا واوتي لموسى العصا واليد البيضا وداود لان الحديد في يده وسليمان اعطي ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
وكان الجن والانس والطير مسخرين له وقد اعترف محمد بفضلهم حتى قال لا تفضلوني على يونس بن متى وقال لا تخيروا
بين الانبيا وقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا وذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها والجواب
ان كون ادم مسجودا للملايكة لا يوجب كونه افضل من محمد بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ادم ومن دونه تحت
لوايي يوم القيمة وقوله كنت نبيا وادم بين الماء والطين ونقل ان جبريل عليه السلام اخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج وهذا اعظم من السجود وانه تعالى يصلي بنفسه على محمد الى يوم القيمة وسجود الملايكة لادم ما كان
الا مرة واحدة على ان ذلك السجود ايضا انما كان لاجل نور محمد الذي كان في جبهته وان اول الفكر اخر العمل ولهذا
قال لولاك لما خلقت الافلاك ومن تامل كتب دلايل النبوة وجد في مقابلة كل معجز كان لنبي قبله معجزة افضل منها
لمحمد صلى الله عليه وسلم واما قوله لا تفضلوني ولا تخيروا فنوع من التواضع وسلوك طريق الادب وايضا التمييز
بين التخصيص انما يمكن بعد الاحاطة بفضايلهما جميعا وذلك مرتبة لا تليق بكل احد فورد النهي عنه حتى لا يودي
الى محذور والحاصل ان التوفيق بين قوله لا تفضلوني وبين ما مر من الاحاديث ان كلا منها ورد في مقام اخر
ولغرض اخر حيث راهم يزدرون بشانه ويتعجبون من الانبياء السالفة منعهم عن ذلك وقال انا اكرم الاولين
والاخرين انا سيد العالمين وحيث راهم يزدرون بشان بعض الانبيا زجرهم عن ذلك وقال لا تفضلوني
على انه لا يلزم من النهي عن الشي عدم مطابقة ذلك الشي للواقع فيكون الشي حقا في الواقع وينهى عن الاشتغال
به لكونهم غير مهم بالنسبة الى المكلف فالمراد بهذا الامر لا تشتغلوا بتفضيلي فانه لا يهمكم وانما المهم لكم ان تعرفوا
حقية جميع الانبيا وتومنوا بهم ولنرجع الى ما كنا فيه نقول له من كلم الله المقتدر من كلمه بحذف العايد وقرئ
كلم الله بالنصب وليس بقوي فان كل مومن فانه يكلم الله قال صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه وانما
الشرف في ان يكلمه الله قال الاشعري المسموع هو الكلام القديم الازلي ولا يستبعد سماع ما ليس بحرف ولا
صوت كما لا يمتنع روية ما ليس بمتكيف ولا في جهة وقالت المعتزلة سماع ما ليس بحرف ولا صوت محال واتفقوا
على ان موسى قد كلمه الله واختلف في ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هل كلمه الله ام لا منهم من قال
نعم بدليل قوله فاوحى الى عبده ما اوحى واورد ههنا ان التكلم لا يدل على فضل ومنقبة فقد كلم الله ابليس
حيث قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الايات واجيب بان قصة ابليس ليس فيها ما يدل
على انه تعالى كلمه من غير واسطة فلعل الواسطة كانت موجودة قلت هذا خلاف الظاهر والحق ان الكلا[م]
قسمان مكالمة الرضا وهي الموجبة للتشريف كمكالمة موسى ومكالمة الغضب وهي الموجبة للعن كما في حق
ابليس وان عليك اللعنة الى يوم الدين وكما في اهل النار اخسئوا فيها ولا تكلمون اما قوله ورفع بعضهم
درجات فقيل ان المراد بيان ان مراتب الرسل متفاوتة فاتخذ ابرهيم خليلا واعطى داود الملك والنبوة وسخر
لسليمان الجن والانس والطير والريح وخص خاتم النبيين الى ساير خصايصه هذا اذا حملنا الدرجات على
المناصب على المراتب اما اذا حملنا على المعجزات ففيه ايضا وجه وذلك ان كل واحد من الانبيا اوتي نوعا
اخر من المعجزة لايق بزمانه فمعجزات موسى من قلب العصا حية ومن اليد البيضا وفلق البحر كانت شبيهة
بما عليه اهل زمانه من السحر ومعجزات عيسى من ابراء الاكمه والابرص يناسب الطب لان ذلك غالب على قومه
ومعجزة محمد صلعم وهي القران تضاهي ما عليه الناس وقتئذ من الفصاحة والبلاغة وانشاء الخطب وقرض
الشعر وبالجملة فالمعجزات متفاوتة بالقلة والكثرة وبالبقاء وعدم البقاء وبالقوة وعدم القوة وفيه وجه

ثالث وهو ان يكون المراد بتفاوت الدرجات ما يتعلق بالدنيا وهو كثرة الامة والصحابة وقوة الدولة واذا تاملت الوجوه
الثلثة علمت ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان مستجمعا للكل فمنصبه اعلى ومعجزاته اقوى وقومه اكثر ودولته اعظم
واوفى وقيل المراد بهذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل على الكل وانما قال ورفع بعضهم درجات على سبيل التنبيه
والرمز كمن فعل فعلا عظيما فيقال له من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم ويريد به نفسه ويكون ذلك افخم من التصريح
وسيل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شيت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شيت
لذكرت نفسي لم يبق فيه فخامة وليس قوله ورفع بعضهم درجات تكرارا لقوله فضلنا بعضهم على بعض لان المفهوم
من فضلنا هو وجود نفس الفضل والمفهوم من قوله ورفع بعضهم درجات هو التفاوت بالدرجات الكثيرة واتينا
عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس قد سبق تفسيره وانما عدل عن الغيبة الى الحكاية لان الضمير في قوله واتينا
للتعظيم وتعظيم الموتي يدل لعظمة الايتاء واما قوله كلم الله فاجيب من قوله كلمنا فلهذا اختير الغيبة وسبب تخصيص
موسى وعيسى بالذكر هو ان امتيهما موجودون حاضرون فنبه على ان هذين الرسولين علو درجتهما وتبين معجزاتهما
لم يحصل الانقياد من امتيهما بل نازعوا وخالفوا عن الواجب عليهم في طاعتهما واعرضوا ثم ان الرسل بعد مجي الايات ووضوح
الدلايل اختلف اقوامهم فمنهم من امن ومنهم من كفر وبسبب ذلك الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا فلهذا قال تعالى
ولو شا الله اي ان لا تقتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم
من امن لالتزامه دين الانبيا ومنهم من كفر باعراضه عنه ولو شا الله ما اقتتلوا كرر الكلام تكذيبا لمن زعم انهم فعلوا
ذلك من عند انفسهم ولكن الله يفعل ما يريد وفي الاية دلالة على صحة مسئلة خلق الاعمال ومسئلة ارادة
الكاينات وان الكل بقضاء الله وقدره لان الدواعي تستند لا محالة الى داعية يخلقها الله عز وجل في العبد والمعتزلة
يقيدون المطلق في الايتين فيقولون المراد ولو شا الله مشية الجاء وقسر كما يقال لو شاء الامام لم يعبد المجوس النار
في مملكته ولم يشرب النصارى الخمر ويقولون المراد يفعل ما يريد من افعال نفسه ثم انه تعالى لما امر بالقتال فيما سبق
بقوله وقاتلوا في سبيل الله واعقبه بقوله من ذا الذي يقرض الله والغرض منه الانفاق في الجهاد ثم اكد الامر بالقتال
وذكر فيه قصة طالوت اعقبه تارة اخرى الامر بالانفاق في الجهاد بقوله يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم
وعن الحسن انه مختص بالزكوة لان قوله من قبل ان ياتي يوم كالوعيد وانه لا يتوجه الا على الواجب والاكثرون
على انه عام يتناول الواجب والمندوب وليس في الاية وعيد وانما الغرض ان يعلم ان منافع الاخرة لا تكتسب
الا في الدنيا لان الانسان يخلي وحله وما معه الا ما قدم من اعماله ومعنى قوله لا بيع انه لا تجارة فيه فيكتسب ما
يفتدي به من العذاب او يكتسب ما لا حق ينفق منه خلة ولا مودة لان كل احد يكون مشغولا بنفسه لكل امرئ منهم
يوميذ شان يغنيه او لان الخوف الشديد غالب على كل احد تذهل كل مرضعة عما ارضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفا عة
مطلقا ذكر عقيبه قوله والكافرون هم الظالمون ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا تصير الاية
دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق نقل عن عطا بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال والكافرون
ولم يقل والظالمون هم الكافرون وقيل التاركون الزكوة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم
فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين
اذا دخلوا النار فالله لا يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا انفسهم باختيار الكفر والفسق فهو كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا
ولا يظلم ربك احدا وقيل الكافرون هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام ويقو لون
هولاء شفعاونا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله اتت اكلها ولم تظلم منه
شيا واما المسلم فانه ينفق في سبيل الله قل ام كثر وفايدة الفصل انهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم
التاويل تلك ايات الله اسراره وانواره ورموزه واشاراته نتلوها عليك بالحق نجلوها عليك بالحقيقة كما هي وانك
لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات وصح لهم صفاء الاوقات ولذة المناجات في
الخلوات ثم فطموا عن البان اللذات في حجر القربات وارسلوا الى اهل البعد والغفلات وعبدة طواغيت الهوى واصنام
الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور فيخرجوهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات

فانهم بقوا في السموات وانت عبرت المكونات فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى توصلت
من العبدية الى العندية ثم قطعت عن رضاع لي مع الله وقت وانقلبت بسفارة جبريل ثم لقيت من القوم ما
لقيت فحولك ان تقول ما اوذي بمثل ما اوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اشارة الى ان التفاضل في الدين
والدنيا بين العباد ليس بسعيهم ومناهم وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من اهل الفضل انوار ولانوارهم اثار على قدر
استعلاء اضواء انوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا التفاوت صادر من تلك الاقسام حين جرت به الاقلام
كما قال عليه الصلوة والسلام ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى
ومن اخطاه ضل وغوى ثم الفضل فضلان عام يمتنان به عن المردودين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها
مبعدون وخاص يمتان به عن المقبولين كما ثبت لسيد المرسلين والتفاوت في الانوار على قدر التفاوت في
الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول النور في بدو الخلقة لا في حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا اورد
بلفظ الواحدان في قوله جعل الظلمات والنور يخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة في الدرجات على قدر
قوة الاستعلاء كما قال والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكما ازداد العلم ازداد
الدرجة وعلى قدر غلبات انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبيا بعضها فوق بعض فقد بقى
بعضهم في مكان من امكان السموات كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه راى ادم ليلة المعراج في السماء الدنيا
ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهرون في السماء
الخامسة وموسى في السماء السادسة وابراهيم صلوات الرحمن عليه في السماء السابعة وان محمدا صلى الله عليه
وسلم ما بقى في مكان بل رفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين او ادنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة
وجوده وباقيا بنور شهوده به ولهذا سماه الله نورا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم لما اخبر عن
فضيلة الخواص انها كانت بسبب تفضيله اياهم اخبر عن اختلاف العوام وافتراقهم انه كان بمشية الله لا
بمشيتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ثم اخبر عن احراز الفضل انه في الانفاق والبذل لخالص
اهل الايمان اي ان كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار حقا فصدقوا من كل ما رزقكم
من المال والجاه والقوة والعلم والمعرفة وغيرها من مصارفها العامة والخاصة انفقوا ملكنا بما لنا في صلاح
انفسكم واغتنموا مساعدة الامكان في تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ما يباع
من الاموال والانفس في سوق ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم ولا ينفعه خلة خليل دنيوي لان
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا من ارتضى والكافرون هم
الظالمون لانفسهم لما ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب وامرنا بالانفاق ووعدناهم الثواب وحذرناهم العقاب وقد اعذر من انذر والله

اللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ج اَلْحَیُّ الْقَیُّوْمُ ج لَا تَاْخُذُهٗ سِنَةٌ وَّلَا نَوْمٌ ط لَهٗ مَا فِی السَّمٰوٰتِ
وَمَا فِی الْاَرْضِ ط مَنْ ذَا الَّذِیْ یَشْفَعُ عِنْدَهٗٓ اِلَّا بِاِذْنِهٖ ط یَعْلَمُ مَا بَیْنَ اَیْدِیْهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ ج وَلَا یُحِیْطُوْنَ بِشَیْءٍ مِّنْ عِلْمِهٖٓ اِلَّا بِمَا شَآءَ ج وَسِعَ كُرْسِیُّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ ج
وَلَا یَئُوْدُهٗ حِفْظُهُمَا ج وَهُوَ الْعَلِیُّ الْعَظِیْمُ ۝ لَآ اِكْرَاهَ فِی الدِّیْنِ قَدْ تَّبَیَّنَ الرُّشْدُ
مِنَ الْغَیِّ ج فَمَنْ یَّكْفُرْ بِالطَّاغُوْتِ وَیُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰی ق
لَا انْفِصَامَ لَهَا ط وَاللّٰهُ سَمِیْعٌ عَلِیْمٌ ۝ اَللّٰهُ وَلِیُّ الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا یُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ

اِلَی النُّوْرِ ط وَالَّذِیْنَ كَفَرُوْٓا اَوْلِیٰٓـئُهُمُ الطَّاغُوْتُ یُخْرِجُوْنَهُمْ مِّنَ النُّوْرِ
اِلَی الظُّلُمٰتِ ط اُولٰٓـئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ ج هُمْ فِیْهَا خٰلِدُوْنَ ۝

القراءة لا تعرف مما مر الوقوف الا هو ط لان قوله الحي يصلح بدلا عن الضمير وخبر مبتدا محذوف القيوم
لاختلاف الجملتين ولا نوم ط وما في الارض ط لابتداء الاستفهام باذنه ط لابتداء الاستفهام وما خلفهم للفرق بين الاخبار على
عله الكامل مطلقا واثبات علم الخلق المقدر بمشيته مبتدا بالنفي بما شاء لاختلاف الجملتين والارض لاختلاف الجملتين
حفظهما العظيم ه الغي ط لان من للشرط مع فاء التعقيب الوثقى ق قد قيل للاستيناف بالنفي والوجه الوصل على جعل الجملة
حالا للعروة اي استمسك بها غير منفصمة لها عليم امنوا لان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولي تقديره الله يليهم
مخرجا لهم او مخرجين الى النور للفصل بين الفريقين الطاغوت لان يخرجونهم حال الى الظلمات ط النار ج خالدون ه
التفسير قد جرت عادته سبحانه في هذا الكتاب الكريم انه خلط الانواع الثلثة اعني علم التوحيد وعلم الاحكام وعلم
القصص اما تقريرا لدلايل التوحيد واما المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وفي هذا النسق ايضا جزء شامل
ولطف كامل فان طبع الانسان جبل على الملال فكلما انتقل من اسلوب الى اسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه
وتكامل ذوقه ولذته وبصيرته اقرب الى فهم معناه بعلم التوحيد فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ما قريت هذه الاية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين
ليلة وعن علي كرم الله وجهه سمعت نبيكم وهو على اعواد المنبر يقول من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه
وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القران فقال لهم علي كرم الله وجهه اين انتم عن اية الكرسي
ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الكلام القران وسيد القران
البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وعن علي عليه السلام انه قال لما كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انظر ماذا يصنع قال فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت
وهو يقول ذلك فلا يزال اذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له ه واعلم ان الذكر والعلم
يتبعان المذكور والمعلوم واشرف المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال هو اشرف من غيره
لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة ما سواه ولما كانت الاية مشتملة من نعوت جلاله
واوصاف كبريائه على الاصول والمهمات فلا جرم وصلت في الشرف الى اقصى الغايات ونهاية النصيرات ولنشتغل
بالتفسير ه واما لفظ الله فقد مر تفسيره في اول الكتاب واما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره في قوله والهكم اله
واحد لا اله الا هو واما الحي القيوم فقد سلف ايضا معناهما في شرح الاسماء الا انا نزيد ههنا فنقول عن ابن عباس
ان اعظم اسماء الله الحي القيوم ويؤكده ما روينا من قصة يوم بدر ولو كان ذكر اشرف منه لذكره وقد يتشدد في السجود
واما الدليل العقلي فان الحي قيل هو الذي يصح ان يعلم ويقدر او هو الدراك الفعال فاورد عليه ان هذا لا يقتضي المدح لمشاركته
اخس الحيوانات اياه في ذلك ونحن نقول ان الحي في اللغة ليس عبارة عمن يوجد فيه هذه الصحة من حيث الجبلة
فقط بل كل شي يكون كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومن هنا يصح ان يقال احيا الموات واحيا الله الارض فان كمال حال الارض
ان تكون معمورة وكمال حال الاشجار ان تكون مورقة نضرة ولما كان كمال حال الجسم ان يكون بحيث يصح ان يعلم ويقدر
فلا جرم سميت تلك الصفة حيوة فالمفهوم من الحي هو الكامل في جنسه والكامل في الوجود هو الذي يجب وجوده
بذاته فالحي بالحقيقة الواجب الوجود بذاته واما القيوم فيطلق المجموع باعتبارين احدهما انه لا يفتقر في قوامه الى غيره
والثاني ان غيره يفتقر في قوامه اليه وبهذا الثاني يزيد على مفهوم الحي ومن هذين الاصلين يتشعب جميع مسايل
التوحيد والمعرفة فمنها ان واجب الوجود واحد في ذاته فيجمع جهات الوحدة اذ لو فرض فيه تركيب بوجه من
الوجوه افتقر في تحققه الى وجود ذلك الجزء فيقدح في كونه قيوما ومنها انه لا شريك له والا اشتركا في الوجوب

وتنبيها لنفي [illegible] كلا منهما مركبا من جزئين فيكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها
انه لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم وقد ثبت انه واحد ومنها انه ليس في جهة يشار اليها والا كان متحيزا ومنها
انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك ومنها انه
عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الا حصول حقيقة المعلوم للعالم والا كان حيا قيوما كانت حقيقته حاضرة
عنده لانه وذاته مقوم للغير والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلوم فيكون عالما بما سواه ومنها انه قادر على كل المقدورات
والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما للغير ويعلم منه استناد كل الممكنات اليه بواسطة او بغير واسطة ويلزم منه
القضاء والقدر والحي اصله كالحي كحذر وطمع فادغمت الياء في الياء عند اجتماعهما وكلا البابين اطرد قال ابن الانباري
اصله الحيو بدليل الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء كان السابق ساكنا جعلتا ياء مشددة ووقف بكونه عديم النظير
فانه لم يوجد ما عينه ياء ولامه واو والقيوم مبالغة قائم واصله قيووم على فيعول فجعلت الياء الساكنة والواو الاولى
ياء مشددة ولو كان فعولا لقيل قووم وعن عمر انه قرأ الحي القيام وقرئ القيم ثم لما بين انه حي قيوم
اكد ذلك بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم ولهذا فقد العاطف بينهما وكذا فيما بعدها والسنة ما يتقدم النوم من الفتور
الذي يسمى النعاس اي لا تأخذه نعاس فضلا ان يأخذه نوم او نقول نفي الاخص والاعم والمعنى انه لا يفتر عن
تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ساعة اختل امر الطفل وهو كما يقال لمضيع ما اهمل انك لوسنان نائم
يدل على ان السهو والغفلة والنوم على الله محال وهو ان هذه الاشيا اما ان يكون عبارات عن عدم العلم وعن اضداد العلم
وعلى التقديرين فجواز طريانها يوجب جواز زوال علم الله تعالى فلا يكون العلم مقتضى ذاته فيفتقر الى فاعل فواجب الوجود
لذاته لا يكون واجبا لجميع صفاته فلا يكون حيا ولا قيوما هذا خلف وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى
عليه السلام سأل الملائكة هل ينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ولا يتركوه ينام ثم اعطاه قارورتين مملوءتين
في يد كل واحد وامره بالاحتفاظ فكان يتحرز بجهده الى ان نام في اخر الامر فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا فكان
ذلك مثلا في بيان انه لو كان ينام لم يقدر على حفظ السموات والارضين وهذه الرواية ان صحت وجب ان ينسب
السوال الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا كيف يجوز على نبي الله تجويز النوم على الحي القيوم والتجويز شك
والشك في مثله كفر ثم لما بين كونه قيوما واكده بما اكد رتب عليه حكما وهو قوله له ما في السموات وما في الارض
لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وتحصل وجوده به فيكون ملكا له ويلزم منه ان يكون حكمه جاريا في الكل
ولما يكون لغيره في شيء من الاشيا حكم الا باذنه وامره وهو المراد بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ومعنى
الاستفهام ههنا الانكار اي لا يشفع وفيه رد على المشركين القائلين للاصنام هولاء شفعاونا عند الله ويلزم
من كون غيره غير متصرف في ملكه بوجه من الوجوه الا بامره كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم بالكل الا باعلامه
فاشار الى الاول بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الثاني بقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والمعنى
يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء فغلبوا او لما دل عليه قوله
من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين والشهداء عن مجاهد وعطاء والسدي اي ما كان قبلهم من امر الدنيا
وما كان بعدهم من امر الاخرة الضحاك والكلبي ما بين ايديهم الاخرة لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم
يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين ايديهم من السماء والارض وما خلفهم يريد ما في السموات
وقيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك والغرض لانه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق
باستحقاق الثواب والعقاب لانه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون من انفسهم ان
لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا يعلمون ان الله تعالى اذن لهم في تلك الشفاعة
ام لا فانهم لا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل ان يراد ولا يعلمون
الغيب الا باعلامه كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعا
هم الملائكة والانبياء لا يعلمون شيئا الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم اولى ثم لما بين كمال ملكه وحكمه في
السموات وفي الارضين ذكر ان ملكه فيما عدا السموات والارضين اعظم واجل وان ذلك مما ينقطع دون الاوهام الى ان

درجة من درجاتها اوهام المتوهمين تعالى وسع كرسيه السموات والارض يقال وسع فلان الشيء اذا احتمله واطاقه
وامكنه القيام به قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي اي لم يحتمل غير ذلك والكرسي
واصله التركب والتلبد ومنه الكرس بالكسر للابوال والابعار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتركب بعض
اوراقها على بعض والكرسي لما يجلس عليه لتركب خشباته وللمفسرين في معناه ههنا اقوال فعن الحسن
انه جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش وبانه كرسي لان كل واحد
منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن السدي
انه تحت الارض وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكرسي موضع القدمين وينبغي ان يحمل هذه الرواية
ان صحت على ما لا يفضي الى التشبيه ككونه موضع قدم الروح الاعظم وملك اخر عظيم القدر عند الله تعالى وههنا
اسرار لا احب اظهارها ولو شاء الله ان يطلع عليها عبدا من عباده فهو اعلم بمحارم الاسرار وقيل المراد من الكرسي
السلطان والقدرة والملك له لان الالهية لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب تسمي اصل كل شيء الكرسي او لانه
تسمية الشيء باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسي وقيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسي وايضا العلم هو الامر
المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسي الارض كما يقال لهم اوتاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله
وكبريائه ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد واختاره جمع من المحققين كالقفال والزمخشري وتقريره انه يخاطب الخلق
في تعريف ذاته بما اعتادوا في ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم
وامر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الاسود انه يمين الله في ارضه ثم جعله مقبل الناس
كما يقبل ايدي الملوك وكذلك ما ذكر في القيمة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى
هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ووصف عرشه فقال وكان عرشه على الماء
ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش ثم قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم اثبت لنفسه كرسيا
ولما ثبت ان المراد من الالفاظ الموهمة للتشبيه في الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ
الواردة في العرش والكرسي ولا يؤده حفظهما حفظه السموات والارض وفيه ان نفاذ حكمه وامره في الكل على نعت ولا يثقله ولا يشق عليهم
واحد وصورة واحدة علوية كانت الاجسام او سفلية كبيرة او صغيرة ثم بين انه مع كونه متقوما للكائنات
فيها للارضين والسموات متعال عن المتحيزات ومقدس عن المرئيات وهو العلي العظيم والمراد منهما علو الرتبة وعظم
الشرف لا التحيز والجهة وكيف لا وهو مقوم للمكان ومديم للزمان قوله سبحانه لا اكراه في الدين لما بين دلايل التوحيد
بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك انه لم يبق للكافر علة في اقامته على الكفر الا ان يقسر على الايمان
ويجبر عليه وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي مقام الابتلاء والاختبار لمنافيه الاكراه والاجبار ثم ما يؤكد
ذلك قوله قد تبين الرشد من الغي يقال بان الشيء واستبان وتبين وبين ايضا اذا وضح وظهر ومنه المثل قد
بين الصبح لذي عينين والرشد اصابة الخير والغي نقيضه اي تميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من
الضلال بكثرة الحجج والبينات ووفور الدلايل والايات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت
نحو جبروت واصله من طغى الى ان لام الفعل قلبت الى موضع العين ثم صيرت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وذكر
الفارسي انه مصدر كالرغبوت والرهبوت والدليل على ذلك انه يفرد في موضع الجمع كما يقال هم رضا وعدل ولهذا
قال تعالى اولياؤهم الطاغوت والاصل فيه التذكير قال تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا
ان يكفروا به واما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها فالتانيث لارادة الالهة واما معنى
الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة هو الشيطان وعن سعيد بن جبير الكاهن وقال ابو العالية الساحر
وعن بعضهم الاصنام وقيل مردة الجن والانس وكل ما يطغى وانما جعلت هذه الاشيا اسبابا للطغيان لحصول
الطغيان عند الاتصال بها كقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس ويعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من
قوله ويؤمن بالله ان الكافر لا بد ان يتوب اولا ثم يؤمن بعد ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى استمسك وتمسك
بمعنى والعروة واحدة العرى الدلو والكوز ونحوهما ما يتعلق به والوثقى تانيث الاوثق وهذا من باب استعارة

المحسوس للمعقول لان الاسلام اقوى ما يتثبت به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهدة المحسوس
وهو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصور السامع كانه ينظر اليه بعينه فيزول شبهته بالكلية والفصم كسر الشيء من
غير ان يبين فصمته فانفصم والمقصود من قوله لا انفصام لها هو المبالغة لانه اذا لم يكن لها انفصام فانه لا يكون لها انقطاع
اولى قيل ان الموصول هيهنا محذوف اي التي لا انفصام لها كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي لمن له وقيل معنى
قوله لا اكراه في الدين لا تكرهوا في الدين على انه اخبار في معنى النهي والاكراه الزام الغير فعلا لا يرى فيه
خيرا يحمله عليه ثم قال بعضهم انه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو في اهل الكتاب خاصة
لانهم اذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم وحكم المجوس حكمهم واما الكفار الذين تهودوا او تنصروا فقيل انهم
لا يقرون على ذلك ويكرهون على الاسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا اليه ولا يكرهون يروى انه كان لانصاري
من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال
والله لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي
النار وانا انظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا اكراه اي لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب لانه دخل مكرها
لانه اذا رضي بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوه الى الاكراه فيكون كقوله ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلم لست مومنا والله سميع عليم يسمع قول من يتكلم بالشهادة وقول من يتكلم بالكفر ويعلم ما في قلب
الكافر من العقد الخبيث وعن عطا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب اسلام اهل الكتاب
من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسال الله ذلك سرا وعلانية فقيل له والله سميع عليم لدعائك يا محمد عليم
بحرصك واجتهادك قوله سبحانه الله ولي الذين امنوا اي متولي امورهم وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب
يدل على القرب فالمحب ولي لانه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لانه يلي القوم بالتدبير وفيه دليل
على ان الطاف الله تعالى في حق المومن وفيما يتعلق بالدين اكثر من الطافه في حق الكافر وذلك انه يخرجهم من الظلمات
الى النور من الكفر الى الايمان ومن الضلالة الى الهدى ومن الشك الى اليقين والاخراج يشمل الكافر اذا امن
والمومن الاصلي ولا يبعد ان يقال يخرجهم الى النور من الظلمات ما داموا لم يكونوا في الظلمة البتة فان العبد لو خلا من
توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفيقه تعالى لدفع تلك الظلمات عنه
وبين الدفع والرفع تشابه ومثاله قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ومعلوم انهم ما كانوا
قط في النار ويروى انه صلى الله عليه وسلم سمع انسانا قال اشهد ان لا اله الا الله فقال على الفطرة فقال اشهد
ان محمدا رسول الله فقال خرج من النار ومن المعلوم انه ما كان فيها قال الواحدي كل ما كان في القران من الظلمات
والنور فانه يراد به الكفر والايمان غير قوله تعالى في سورة الانعام وجعل الظلمات والنور فانه عنى به الليل والنهار
قال وانما جعل الكفر ظلمة لانه كالظلمة في المنع من الادراك وجعل الايمان نورا لانه كالسبب في حصول الادراك
قلت قد مر ان الايمان والعلم مع جميع الكمالات النفسانية والمعارف اليقينية انوار تزداد النفس بها نورية
واشراقا فلا حاجة الى هذا التكلف والذين كفروا اولياوهم الطاغوت مصدر ولهذا وحد في موضع الجمع يخرجونهم
من النور الى الظلمات وانما وحد النور وجمع الظلمة لان الحق وما يرجع اليه طريقة واحدة وهو ايضا في نفسه
واحد واما الباطل فلا حصر له ولطرقه كما ان الخط المستقيم الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة
واسناد الاضلال الى الطاغوت وهو كل من ينتسب الى الطغيان كالمجاز فان الحوادث باسرها تستند الى المبدا
الاول بالحقيقة وينتهي الى قضائه وقدره كما سبق تحقيقه مرارا اولئك الكفار هم ومن يطيعهم من الوسائط
والوسايل اصحاب النار فيكونون جزا للكل ووعيدا لهم اعاذنا الله من ذلك **التاويل** الحي القيوم الاسم الاعظم
لان اسمه الحي مشتمل على جميع اسمائه وصفاته فان من لوازم الحي ان يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا
باقيا الى غير ذلك من نعوت الكمال واسمه القيوم دال على افتقار كل المخلوقات اليه فاذا تجلى الله للعبد
بهاتين الصفتين انكشف للعبد عند تجلي صفته الحي معاني جميع اسمائه وصفاته وعند تجلي صفة
القيوم شاهد جميع المخلوقات اذا كان قيامها بقيومية الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق وزهق الباطل فلا ترى

في الوجود الا الحي القيوم اذا سلب الحي جميع اسماء الله وسلب القيوم قيام الممكنات ففني التعدد وبقيت الوحدة
فذكر عند وجود عظمة الوحدانية بلسان عبارة الفردانية لا بلسان بيان الانسانية فقد ذكره باسمه الاعظم الذي اذا دعي
به اجاب واذا سئل اعطى لانه حينئذ ينطق بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه فاما الذاكر عن غيبته عن عظمة
الوحدانية فكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة الى حال غيبته وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون
الاسم الاعظم كما سئل ابو يزيد عن الاسم الاعظم فقال الاسم الاعظم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته
فاذا انت كذلك فاذكره باي اسم شئت لا تاخذه سنة ولا نوم لان النوم اخو الموت والموت ضد الحيوة وهو الحي
الحقيقي فما يلحقه ضد الحيوة من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه هذا الاستثناء راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
كانه قيل من ذا الذي يشفع عنده يوم القيمة الا عبده محمد فانه ماذون في الشفاعة موعود بها عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا يعلم محمد صلى الله عليه وسلم ما بين ايديهم من اوليات الامور قبل خلق الخلائق كقوله اول ما خلق الله
نوري اول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي الف عام وما خلفهم من احوال القيمة وفزع الخلق
وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبيا وقولهم نفسي نفسي ورجوعهم اليه بالاضطرار ولا يحيطون بشيء من
علمه وانما هو يشاهد على احوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وكلا نقص عليك من انباء الرسل ويعلم امور
اخرتهم واحوال اهل الجنة والنار وهؤلا لا يعلمون شيئا من ذلك الا ما شاء ان يخبرهم عنه وسع كرسيه السموات والارض مثال
العرش في عالم الانسان قلبه ومثال الكرسي سره وسوف يجي تمام التحقيق ان شاء الله تعالى في قوله الرحمن على العرش
استوى وان العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى سعة قلب المومن ولا يؤده حفظهما لا يثقل
الروح الانساني حفظ اسرار السموات والارض وعلم ادم الاسماء كلها ولما اظهر لمخلوقاته من العرش والكرسي
ولقلب المومن وسعة علو اي في المرتبة وعظمة في الخلقة اظهار الكمال القدرة والحكمة تردى برداء الكبرياء وائتزر بازار
العظمة واليها وهو اولى بالمدح والثنا فقال وهو العلي العظيم عن علائق الاخرة والاولى فبا علائه ومن عظم بتعظيمه
ثم اخبر عن عزة الدين لارباب اليقين بقوله لا اكراه في الدين كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الدين بالتمني مع ان التمني
نوع من الاختيار فكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام لاوامر الشرع ظاهرا والتسليم
لاحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق عطن ثم شرع في مزيد شرح لحقيقة الدين بقوله فمن يكفر بالطاغوت
تبرا منه فطاغوت العوام الاصنام وطاغوت الخواص هو النفس وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله وايمان
العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان الخواص عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى
وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله وانابة القلب الى الفنا في الله
واخلاء السر للبقاء بالله وهذا هو السكر الموجب للشكر ولهذا قال موسى بعد افاقته عن سكر سطوات شراب
التجلي تبت اليك اي عن هذه الافاقة وكان مخصوصا عن اهل زمانه بالايمان العياني وشريكا مع القوم بالايمان البياني
كما قيل **شعر** لي سكرتان وللندمان واحدة * شيء خصصت به من بينهم وحدي ثم العروة الوثقى التي استمسك بها المومن
لا يمكن ان تكون من المحدثات المخلوقات لقوله كل شي هالك الا وجهه ولا يكون ايضا من بطشك والا كانت منفصمة بل
يكون من بطشه ان بطش ربك لشديد ولكل مومن عروة مناسبة لمقامه في الايمان فهي للعوام توفيق الطاعة وللخواص
مزيد العناية بالمحبة يحبهم ويحبونه ولخواص الخواص الجذبة الالهية التي تفنيه عن ظلمات الغيرية وتبقيه بنور الربوبية
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين لان الثقلين واعمالهما فانية من عالم الحدوث
وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالمجذوب لا يخلص منها ابد الابدين ثم اخبر عن تصرفات
جذباته فقال الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يخرج العوام من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان
والهداية والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات
الحدوث والفنا الى نور الشهود والبقا والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاوليا بلفظ
الجمع ليعلم ان الولا والمحبة من قبل الكفار اي هم اولياء الطاغوت كقوله اندادا يحبونهم كحب الله فان الطاغوت
لو فسر بالاصنام فهي بمعزل عن الولاية وان فسر بالشيطان او النفس فهم الاعداء لا الاوليا يخرجونهم من نور الروحانية

وصفا الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها فوق بعض دركات بعضها
تحت بعض اولياؤهم اي ارواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام اصحاب النار لان الارواح وان لم تكن من جنسهم
ولكن من تشبه بقوم فهو منهم والله اعلم بحقيقة الاحوال وعليه التكلان

الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك م اذ قال ابراهيم
ربي الذي يحيي ويميت لا قال انا احيي واميت ط قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس
من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ط والله لا يهدي القوم الظالمين ج
او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ج قال انى يحيي هذه الله بعد موتها ج
فاماته الله مائة عام ثم بعثه ط قال كم لبثت ط قال لبثت يوما او بعض يوم ط قال بل
لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ج وانظر الى حمارك ولنجعلك
آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ط فلما تبين له قال
اعلم ان الله على كل شيء قدير ه واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ط
قال اولم تؤمن ط قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ط قال فخذ اربعة من الطير فصرهن
اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا ط واعلم ان الله عزيز حكيم

القراءات ربي الذي مرسلة الياء حمزة الباقون بالفتح انا احيي بالمد ابو جعفر ونافع وكذلك ما اشبهها من الهمزة
المضمومة والمفتوحة وزاد ابو نشيط في المد بالمكسورة في قوله ان انا الا نذير واشباه ذلك منه وبابه مثل فيه ذلك وقد مر لبثت
وبابه بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف وصالح وسهل ويعقوب لم يتسن في الوصل والوقف في الهاء حمزة وعلي وخلف
وسهل ويعقوب لم يتسن لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف الباقون بالهاء الساكنة في الحالين والهاء اما اصلية
بحذف ومنه بلام او هاء سكت اجري الوصل مجرى الوقف الى حمارك كمثل الحمار بالامالة على غير ليث وابي حمدون وحمدويه
والنجاري عن ورش وابن ذكوان وابو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمر وابن شنبوذ عن اهل مكة ننشرها
بالراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالزاي قال اعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة
على الامر حمزة وعلي الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف ورويس
والمفضل جزا بتشديد الزاي يزيد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل
مجرى الوقف وقرا ابو بكر وحماد جزؤا مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاي مهموزة الوقوف الملك لا لان اذ
ليس بظرف لايتاء الملك ويميت لان قال عامل اذ وامتت كعز الظالمين للعطف باو للتعجب عروشها لان ما بعده من تتمة
كلام قبله من غير عطف موتها لتمام المقول مع العطف بفاء الجواب والجزاء بعثه كم لبثت يوم لم يتسنه وان اتفقت الجملتان
لوقوع الحال المعترض بينهما ومن وصل حسنا له الوقف على حمارك باضمار ما يعطف عليه قوله ولنجعلك اي ليستيقن ولنجعلك

ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لحما لتمام البيان له لان قال جواب لما قدير ه الموتى ط تؤمن ط قلبي ط سعيا ط لاعتراض جواب الامر حكيم ه
التفسير انه سبحانه ذكر ههنا قصصا ثلثا اولها في اثبات العلم بالصانع والباقيتان في اثبات البعث والنشور
والقصة الاولى مناظرة ابراهيم مع ملك زمانه عن مجاهد هو نمرود بن كنعان هو اول من تجبر وادعى الربوبية والم
المحاجة المغالبة بالحجة والضمير في ربه لابراهيم ويحتمل ان يكون لنمرود والهاء في ان آتيه قيل لابراهيم لانه اقرب في الذكر
ولانه لا يجوز ان يوتى الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا
عظيما وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذي حاج ابراهيم ولا يبعد ان يعطي الله الكافر بسطة وسعة في
الدنيا ومعنى ان آتاه اي لان الله آتاه الملك فابطره واورثه الكبر والعتو وجعل محاجته في ربه شكرا له كقولك عاداني
فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز ان يكون المعنى حاج وقت
ان آتاه الله وعن مقاتل ان هذه المحاجة حين كسر ابراهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال
من ربك الذي تدعوا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت وهذا دليل في غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن الاحيا
والاماتة فلا بد ان يستند الى موثر قادر مختار حكيم باجزاء الحيوان واشكاله بصير باعضائه واحواله والامر
ما ذكره الله تعالى في مواضع من كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو الذي خلقكم من تراب
الم نخلقكم من ماء مهين ويروى ان الكافر دعا حينئذ شخصين فاستبقى احدهما وقتل الاخر وقال انا ايضا احيي
واميت ثم للناس في هذا المقام طريقان الاولى وعليه اكثر المفسرين ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام لما رأى
من نمرود انه القى تلك الشبهة عدل عن ذلك الى دليل اخر او مثال اخر اوضح من الاول فقال ان الله ياتي بالشمس
من المشرق فأت بها من المغرب قالوا وفي دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة واورد عليه ان الشبهة
اذا وقعت في الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب ان يذكر الجواب في الحال ازالة لذلك الجهل واللبس
ولما طعن الملك الكافر في الدليل الاول او في المثال الاول بتلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا
فكيف يليق بالمعصوم ان يترك ذلك الواجب مع ان فيه ايهام ان كلامه الاول كان ضعيفا واذ سلمنا ان الانتقال من
دليل الى دليل حسن لكنه يجب ان يكون المنتقل اليه اوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع
اظهر واقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه واما جنس تحريك الاجسام فللخلق
قدرة عليه وايضا فدلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات اقوى من دلالة طلوع
الشمس لكون حركات الافلاك على نهج واحد وايضا ان نمرود لما لم يستحي من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين
عن الله بالقتل والتخلية فكيف يؤمن منه عند استدلال ابراهيم بطلوع الشمس من المشرق بانه ان كان لك اله
فقل له حتى يطلعها من المغرب وعند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك وقالوا لو اورد هذا السوال لكان من الواجب
ان يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم ان الاشتغال باظهار فساد سواله في الاحياء والاماتة اسهل بكثير من التزام
طلوع الشمس من المغرب فما الذي حمل ابراهيم على ان ترك الجواب عن ذلك السوال الركيك والتزم الانقطاع واعترف
بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب ولما كانت هذه الاعتراضات
واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق اخر وقالوا ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام لما احتج بالاحياء والا
ماتة قال المنكر اتدعي به الاحياء والاماتة من الله ابتداء ام بواسطة الاسباب الارضية والسماوية اما الاول
فلا سبيل اليه واما الثاني فنظيره او ما يقرب اليه حاصل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول
السم يفضي الى الموت فاجاب ابراهيم صلوات الرحمن عليه بناء على معتقدهم وكانوا اصحاب تنجيم بان الاحياء والا
ماتة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاتصالات لا بد لها من فاعل ومدبر وليس ذلك هو
البشر فانه لا قدرة لهم على الفلكيات فهو اذن بتحريك رب الارض والسموات قلت وفيه ايضا طريق اخر نذكره في
التأويل ان شاء الله تعالى فبهت الذي كفر يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد
قرئ بهما وافصح منها القراءة المشهورة فبهت على البناء للمفعول لانه يقال رجل مبهوت ولا يقال باهت ثم قاله الكسائي
والله لا يهدي القوم الظالمين فلهذا لم ينفعه الدليل وان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا متحيرا يعلم منه ان

الكل بقضاء الله وقدره وبمشيئته وارادته **القصة الثانية** قوله سبحانه او كالذي مر ذهب الكسائي والفرا
والفارسي واكثر النحويين على انه معطوف على المعنى والتقدير ارايت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية ونظيره
من القران قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله وهذا عطف على المعنى كانه قيل لمن السموات فقيل لله ومثله قول الشاعر شعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا
وعن الاخفش ان الكاف زائدة والتقدير الم تر الى الذي حاج ابراهيم او الى الذي مر وعن المبرد انا نضمر الفعل في الثاني
والتقدير الم تر الى الذي حاج او الم تر الى مثل الذي مر واختلف في المار بالقرية فعن مجاهد وعليه اكثر المفسرين من
المعتزلة ان المار كان رجلا كافرا شاكا كما في البعث لان قوله انى يحيي استبعاد وانه لا يليق بالمومن ولانه تعالى قال
في حقه فلما تبين له وفيه دليل على ان ذلك لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله اعلم ان الله على كل شيء قدير وذهب سائر
المفسرين الى انه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير وقال عطا عن ابن عباس هو ارميا ثم
من هولاء من قال ان ارميا هو الخضر عليه السلام وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال
وهب بن منبه ان ارميا هو النبي الذي بعثه الله لما خرب بخت نصر بيت المقدس واحرق التوراة وقيل هو عزير بن علي
ما يحتج هولاء ان قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها يدل على انه كان عالما بالله وبانه تعالى يصح منه الاحياء في
الجملة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وايضا قد شرفه الله تعالى بالتكلم في قوله قال كم لبثت وفي قوله وانظر
ولنجعلك وفي نفس قصته من الاعادة وغيرها اكراما له ايضا روي عن ابن عباس ان بخت نصر غزا بني اسرائيل فسبى
منهم كثيرا ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف
في القرية فلم ير فيها احدا فعجب من ذلك وقال انى يحيي هذه الله بعد موتها اي اين يتوقع عمارتها لا على سبيل الشك في
القدرة بل بسبب اطراد العادة في ان مثل ذلك الموضع الخراب قلما يصيره الله معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها
التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فاماته الله تعالى في منامه مائة عام وهو شاب ثم اعمى عنه في موته
ابصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودي من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم فقال
بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما
ثم وانظر الى حمارك فنظر فاذا عظام بيض تلوح وقد تفرقت اوصاله فسمع صوتا ايتها العظام البالية اني جاعل فيك
روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء
الراس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور عن الجلد ثم نفخ فيه
الروح فاذا هو قائم ثم نهق فخر عزير فقال اعلم ان الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا ابانا
ان عزير ابن سرخيا مات ببابل وقد كان بخت نصر قتل ببيت المقدس اربعين الفا من قراء التوراة وكان فيهم عزير والقوم
ما عرفوا انه يقرأ التوراة فلما اتاهم بعد مائة عام جدد لهم التوراة واملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت
التوراة قد دفنت في موضع فاخرجت وعورضت بما املاه فما اختلف في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن
وهب وقتادة وعكرمة والربيع انها ايليا وهي بيت المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرجت منها الالوف حذر الموت
او معنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا سقط والعروش الابنية والسقوف من
الخشب كان حيطانها كانت قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت على السقوف
المنهدمة وهذا من احسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل ان يكون من خوى المنزل اذا اخلى عن اهله وخوى بطن
الحامل وخوى بمعنى عرى اي خالية عن عروشها ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قال في
الكشاف يجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي هي قائمة مظللة على عروشها
على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان بحالها فهي مشرفة على السقوف
الساقطة ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع كون اشجارها ومعرشة وكان التعجب من ذلك اكثر لان الغالب من القرية
الخالية ان يبطل ما فيها من عريش الفواكه فاماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة اغرب فيكون ادخل في كونه
اية ثم بعثه اي احياه كما كان عاقلا فهما مستعدا للنظر والاستدلال في المعارف الالهية ولو قال احياه لم يحصل هذه

الفوايد قال كم لبثت اي كم مدة فحذف المميز والحكمة في السوال هي التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق
والا فمن المعلوم ان الميت لا يمكنه بعد ان صار حيا ان يعلم ان مدة موته طويلة او قصيرة قال بناء على الظن لا بطريق الكذب
يوما او بعض يوم يروى انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت
فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم والظاهر انه علم ان ذلك اللبث كان بسبب الموت بامارات شاهدها بنفسه
وفي حماره لم يتسنه لم يتغير واصله من السنة اي لم يات عليه السنون لان مر السنين اذا لم يغيره فكانه لم تات
وعلى هذا فالهاء اما للسكت بناء على ان اصل سنة سنوة بدليل سنوات في الجمع وسنية في التحقير وقولهم سانيت الرجل
مساناة اذا عاملته سنة واما اصلية على ان نقصان سنة هو الهاء بدليل سنيهة في التصغير وقولهم اجرت الدار
مسانهة وقيل اصله يتسنن اما من السن وهو التغير قال تعالى من حما مسنون اي متغير منتن واما من السنة ايضا
بناء على ما نقل الواحدي من ان اصل سنة يجوز ان يكون سننة بدليل سنينة في تحقيرها وان كان قليلا وعلى التقديرين
ابدلت النون الاخيرة ياء مثل تقضي البازي في تقضض مثل حذفت الياء للجزم ثم زيدت هاء السكت في الوقف وعن ابي علي
الفارسي ان السن هو الصب فقوله لم يتسنه اي الشراب بقي بحاله لم ينصب فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عايدا
الى الشراب وحده ويوافقه قراة ابن مسعود فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسنه واما على ساير الاقوال
فيكون عدم التغير صالحا لان يعود الى الطعام والى الشراب جميعا فان قيل انه تعالى لما قال بل لبثت مائة عام
كان من حقه ان يذكر عقيبه ما يدل على ذلك ولكن قوله فانظر يدل ظاهرا على ما قاله من انه لبث يوما او بعض
يوم فالجواب ان الشبهة كلما كانت اقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها اشد ولهذا قيل فانظر الى حمارك
تراه عظاما نخرة فعظم تعجبه حيث راى ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن ان يبقى زمانا
طويلا وهو الحمار غير باق فعرف طول مدة لبثه بان شاهد عظام حماره رميما وهذا بالحقيقة لا يدل بذاته لان القادر
على احياء الحيوان قادر على اماتته وجعل عظامه نخرة في الحال ولكن انقلاب عظام الحمار الى حالة الحنيفة كانت
معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام ولنجعلك اية قال الضحاك معناه انه جعله دليلا على صحة
البعث وقال غيره كان اية لان الله تعالى بعثه شابا اسود الراس وبنو بنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل
انه كان يقرأ التوراة عن ظهر قلبه فذلك كونه اية وقيل ان حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالما في مكانه
ونظنه وذلك من اعظم الايات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير
واما فايدة الواو في قوله ولنجعلك فقد قال الفرا انما دخلت لنية فعل بعدها مضمر لانه لو قال وانظر الى حمارك
لنجعلك اية كان النظر الى الحمار شرطا وجعله اية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك
اية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء ومثله في القران كثير وكذلك نصرف الايات وليقولوا درست وكذلك نري
ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وانظر الى العظام كيف ننشزها بالزاء المعجمة اي
نحييها ونرى كيف ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم ويحتمل ان يكون من النشر ضد الطي فان الحي
قد يكون بالانبساط وقد وصف الله العظام بالاحيا في قوله من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها
اول مرة ومن قرا بالزاء فمعناه نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب والنشز ما ارتفع من الارض ومنه
نشوز المراة لانها ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف في موضع الحال من العظام والعامل فيها ننشزها لا انظر لان
الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم اكثر المفسرين على ان المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من الكناية
وعن قتادة والربيع وابن زيد ان العظام عظام هذا الرجل نفسه قال ان الله تعالى احيى راسه وعينيه
وكانت بقية بدنه عظاما نخرة وكان ينظر الى اجزاء عظام نفسه فيراها تجتمع وتنضم البعض الى البعض وكان
يرى حماره واقفا كما ربط وزيف بان قوله لبثت يوما او بعض يوم انما يليق بمن لا يرى في نفسه اثر التغير
لا بمن شاهد اجزاء بدنه متفرقة وعظامه رميمة وايضا قوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هو تلك الجملة
التي اماتها وقيل هي عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل
شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا

والتقدير فلما تبين له ما اشكل عليه من امر الامانة والاحيا قال اعلم وتاويله اني قد علمت مشاهدة ما كنت اعلمه قبل ذلك
استدلالا ومن قرا اعلم على لفظ الامر فمعناه انه عند التبيين امر نفسه بذلك او الله تعالى امره بذلك كما في امر نفسه
ابراهيم واعلم ان الله عزيز حكيم قال القاضي القراءة الاولى اولى لان الامر بالشيء انما يحسن عند عدم المامور به وههنا
العلم حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك اما الاخبار انه حصلها بل قلت ليس هذا من باب
الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شيء اخر غير حاصل هو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فانه من
قدر على ايجاد امر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره من الغرائب والعجائب لا محالة ولهذا وردت القصة كلمة نعم
لو قيل اعلم ان الله قادر على احياء الموتى لاشبه ان يكون بتحصيل الحاصل على ان ذلك ايضا ممنوع فان الامر راجع الى شيء اخر
غير حاصل هو عدم الشك فيما يستانف من الزمان اي ليكن هذه الاية على ذكر منك كيلا يعترض لك شك فيما بعد
ذلك كقولك للمتحرك تحرك اي واظب على الحركة ولا تفتر وليت شعري كيف يطعن بعض العلماء في بعض القراءات
السبع مع التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى **القصة الثالثة** قوله عز من قائل واذ
قال ابراهيم التقدير واذكر وقت قول ابراهيم وقيل معطوف الى قوله الى الذي اي الم تر الى وقت قول ابراهيم وههنا
دقيقة وهي انه لم يسم عزيرا في قصته بل قال او كالذي مر على قرية وههنا سمى ابراهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال
ابتداء انى يحيي هذه الله بعد موتها وابراهيم عليه السلام اثنى على الله اولا بقوله رب وايضا ان عزيرا استبعد الاحيا
فاري ذلك في نفسه وابراهيم التمس ودعا بقوله ارني فاري ذلك في غيره ومعنى ارني بصرني وذكروا في سبب
سؤال ابراهيم وجوها الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء وابن جريج انه راى جيفة مطروحة على شط البحر
فاذا مد البحر اكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت فاذا اكل السباع جاءت الطيور فاكلت وطارت
فقال ابراهيم رب ارني كيف تجمع اجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل اولم تؤمن قال بلى
ولكن المطلوب بالسؤال ان يصير العلم الاستدلالي ضروريا الثاني قال محمد بن اسحق والقاضي انه في مناظرته
مع نمرود لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال الكافر انا احيي واميت فاطلق محبوسا وقتل اخر فقال ابراهيم ليس هذا
باحياء واماتة فعند ذلك قال رب ارني كيف تحيي الموتى لينكشف هذه المسئلة عند نمرود واتباعه ويزول الانكار
عن قلوبهم ويروى ان نمرودا قال له قل لربك يحيي والا قتلتك فسال الله ذلك وقوله ليطمئن قلبي بنجاتي من القتل
او ليطمئن قلبي بقوة حجتي وبرهاني وان عدلت الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن عباس وسعيد
بن جبير والسدي ان الله تعالى اوحى اليه اني اتخذ بشرا خليلا فاستعظم ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال
الهي ما علامة ذلك فقال علامته انه يحيي الميت بدعائه فلما عظم مقام ابراهيم صلوات الرحمن عليه في درجات
العبودية واداء الرسالة خطر بباله لعلي اكون ذلك الخليل فسال الله عز وجل احياء الموتى فقال الله اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على انني خليلك الرابع لا يبعد ان يقال انه لما جاء الملك الى ابراهيم عليه السلام واخبره
بان الله بعثك رسولا الى طلب المعجزة ليطمئن قلبه على ان الاتي ملك كريم لا شيطان رجيم الخامس لعله طالع
في الصحف المنزلة عليه ان الله تعالى يحيي الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه انه ليس اقل منزلة عند الله
من عيسى وانه من اولاده السادس انه امر بذبح الولد فسارع الى ذلك فقال الهي امرتني ان اجعل ذا روح بلا روح فامتثلت
فشرفني بان تجعل بدعائي فاقد الروح ذا روح السابع اراد ان يخصصه الله بهذا التشريف في الدنيا فان جميع الخلائق تنال
هذه الحظوة في الاخرة الثامن لعل ابراهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة واما ان ابراهيم
عليه الصلوة والسلام كان شاكا في المعاد فلا ينبغي ان يعتقد فيه ومن كفر النبي المعصوم فهو بالكفر اولى وكيف يظن
ذلك بابراهيم صلوات الرحمن عليه وقوله بلى اعتراف بالايمان وقوله ليطمئن قلبي كلام عارف طالب لمزيد اليقين والشك
في قدرة الله يوجب الشك في نبوة نفسه والذي جاء في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم
فذلك انه لما نزلت هذه الاية قال بعض من سمعها شك ابراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعا
منه وتقديما لابراهيم على نفسه نحن احق بالشك منه والمعنى انا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام
في قوله اولم تؤمن للتقرير كقوله **شعر** الستم خير من ركب المطايا وايضا المقصود من هذا السؤال انه يجيب بما

به ليعلم السامعون انه صلوات الله عليه كان مؤمنا بذلك عارفا به وان المقصود من هذا السؤال شيء اخر واللام في قوله
ليطمئن يتعلق بمحذوف اي ولكن سالت ليزيد قلبي سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وقد يعرض للخاطر
المستدل بخلاف المعاين هذا اذا قلنا المطلوب حصول الطمانينة في اعتقاد قدرة الله تعالى على الاحيا اما اذا قلنا ان الغرض
شيء اخر فلا اشكال فخذ اربعة من الطير عن ابن عباس هن طاوس ونسر وغراب وديك وفي قول مجاهد وابن زيد بدل
النسر حمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره ويصيره اي املهن واضممهن اليك وقال الاخفش يعني
وجههن اليك وفائدة امره بضمها الى نفسه بعد اخذها ان يتاملها ويعرف اشكالها وهياتها وحلاها كيلا يلتبس عليه بعد
الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك وفي الاية حذف كما قيل املهن فقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا وقيل معنى صرهن قطعهن
ثم امر ان يذبحها وتنتف ريشها وان يقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها
ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال التي بحضرته وفي ارضه على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل
كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى راسها وانكر ابو مسلم هذه القصة
وقال ان ابراهيم عليه السلام لما طلب احياء الموتى من الله اراه الله تعالى مثالا قرب الامر عليه والمراد فصرهن الامالة والتمرين
على الاجابة اي فعود الطيور الاربعة بحيث اذا دعوتها اجابتك حال الحيوة والغرض منه ذكر مثال محسوس لعود الارواح
الى الاجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثم ادعهن اي الطيور لا الاجزاء ياتينك سعيا ورد قول ابي مسلم بانه خلاف
اجماع المسلمين وبان ما ذكره غير مختص بابراهيم فلا يلزم له مزية وايضا ان ظاهر الاية يدل على انه اجيب الى ما سال وعلى
قوله لا يكون الاجابة حاصلة ولان قوله على كل جبل منهن جزءا دليل ظاهر على تجزية الطيور وحمل الجزء على احد الطيور
الاربعة بعيد ثم ظاهر قوله على كل جبل جميع جبال الدنيا فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الامكان كانه قيل
فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع اربعة جبال على حسب الطيور الاربعة
والجهات الاربع وقال السدي وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده ابراهيم وكانت سبعة اما قوله ثم ادعهن ياتينك
سعيا فقيل عدوا ومشيا على ارجلهن لان ذلك ابلغ في الحجة وقيل طيرانا ورد بانه لا يقال للطير اذا طار سعى واجيب
بان السعي هو الاشتداد في الحركة مشيا كانت او طيرانا واحتج الاصحاب في الاية على ان البنية ليست شرطا في
صحة الحيوة لانه تعالى جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا قادرا على السعي والعدو وقال القاضي دلت الاية
على انه لا بد من البنية من حيث اوجب التقطيع بطلان حيوتها والجواب ان حصول المقارنة لا يدل على وجوب المقارنة
اما الانفكاك عنه في بعض الاحوال فيدل على ان المقارنة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الاية على حصول الحيوة
لتلك الاجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على ان البنية ليست شرطا للحيوة واعلم ان الله عزيز حكيم غالب على جميع الممكنات
عالم بعواقب الامور وغايات الاشياء **التاويل** ان الله تعالى لما اعطى نمرود ملكا ما اعطى احدا قبله ادعى الربوبية وما
ادعى احد قبله وسبب ذلك ان الانسان لحسن استعداده للطلب وغاية لطافته في الجوهر دائم الحركة في طلب الكمال لا يتوقف
لحظة الا لمانع ولكنه جبل ظلوما جهولا فمن وكل الى نفسه مال الى عالم الحس موافقا لسجيته الطبيعية لانه خلق من تراب
وطبعه الميل الى السفل فتحرى الكمال في جميع العالم في طلب الجاه فصرف الامال فيه ثم في الحكم والتسلط فاذا ملك السفليات
باسرها وقهر ملوك الارض اراد ان ينازع لملك الملوك وجبار الجبابرة فيقول انا احيي واميت وليس للعالم رب الا انا جهلا
بالكمال وذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا صلح جوهره بحسن تربية النبي صلى الله عليه وسلم
او من ينوب منابه وهو الشيخ قال ليس في الوجود سوى الله هذا هو حقيقة فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
يعني كن فانيا عن وجودك بالكلية واستغفر لذنب حسبان وجود غير وجوده وافهم جدا فان لم تكن مجدا فالجد
من يدق بمطرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس الى ان تؤمن بالله وتكفر بطاغوت وجوده ووجود كل ما سوى الله
قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اعترض على قول الكافر انا احيي واميت والمراد ان
ارسال النفس الناطقة لتنبيه البدن اطلاع شمس الحيوة من افق البدن فان كنت صادقا في دعواك ان هذا ياتي منك
فامسكها عندك وهو الاتيان بالشمس من مغربها وانه اية القيامة من مات فقد قامت قيامته فبهت الذي كفر لانه ان
امكنه ان يدعي الاحيا بمعنى الابقاء وهو اطلاع الشمس من المشرق فلا يمكنه ان يدعي الامانة بمعنى انقبض الروح من غير الة

القتل وصوالاتيان بالشمس من المغرب فهذه طريقة عذراء لايرد عليها شيء من الاعتراضات المذكورة في القسم الاول
عن اظهار قدرته في احياء الموتي بعد انقطاع المدعي في صحة عقيب الدعوي بقوله تعالى اوكالذي مر على قرية وذلك
ان قوما انكروا حشر الاجساد بعد اعترافهم بحشر الارواح زعموا ان الارواح اذا اخرجت من سجن الاشباح وتقوت
بالعلوم الكلية التي استفادتها من عالم الحس فلا حاجة لها ان ترجع الى السجن والقيد كما ان الصبي اذا استفاد العلوم
في المكتب وكبر قدره وعظم وفخره لم يحتج ان يرجع الى المكتب وحال صباه فهو سبحانه لكمال فضله وزيادته دفع هذه الشبهات
النفسية ودفع هذه الشبهات الفلسفية بان امات عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم احياهما جميعا لنعلم ان الاشتغال بهما
احيي عزير الروح ليكون عند الملك الجبار يكون حمار الجسد في جنات تجري من تحتها الانهار فلعزير الروح مشرب من كوس
تجلي صفات الجمال والجلال ويسقيهم ربهم شرابا طهورا ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولحمار الجسد مرتع من الرياض و
مشرع من الحياض فيها ماتشتهي الانفس وتلذ الاعين كما قيل **شعر** شربنا واهرقنا على الارض فسطها
وللارض من كاس الكرام نصيب ثم اكد حديث الحشر بقصة عن خليله صلوات الرحمن عليه وذلك قوله رب ارني
ينفوح من رائحة قول موسى رب ارني انظر اليك الان موسى لم يحفظ الادب في الطلب فاراى غير المنصب والتعلق
بنا دبيب الخاطر الجاف وعوتب بقوله لن تراني وذلك انه كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب ري وصاحب الشرب سكران
وصاحب الري صاح **شعر** شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت فلسكر موسى كان يبسط تارة مع الحق
بقوله رب ارني انظر اليك وبعد اخرى يقول له ان هي الا فتنتك ومن كمال صحو الخليل ما زال قدمه في ادب من اداب العبودية
في الحضور والغيبة فلاجرم اكرمه اليوم بكرامة الشيبة ان اول ما شاب شيبة ابراهيم ويحترم غدا بالكسوة ان اول
من يكسى ابراهيم ولما ابتلي في ماله فبذل للضيفان وابتلي بولده فاسلم وتله للجبين وابتلي في نفسه واستسلم لمنجنيق بن كنعان
وابتلي بجبريل فقال اما اليك فلاجرم اكرمه الله بالامامة اني جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان اول من دق
باب طلب الحق وقال هذا ربي واول من سلك طريق الحق فقال اني ذاهب الى ربي واول من نطق بالمحبة فقال اني لا احب
الافلين واول من اظهر الشوق فقال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين واول من اظهر العداوة مع غير المحبوب فانهم
عدو لي الا رب العالمين واول من اشتاق فسال الرؤية فقال رب ارني ولا تظنن ان اشتياقه الى الرب انما كان وقت
سؤاله وليست حديث العهد بشوقه ولوعة حديث هواكم في حشاي قديم ولكنه من حفظ اداب الاخلال كان
لا يفتح على نفسه باب السؤال ويقول حسبي من سؤالي علمه بحالي وان ساقه التقدير الى حسن التدبير وساله نمرود
من ربك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود هل رايت منه ما تقول فوجد الخليل
فرصة للمامول فادرج المسؤول فاخفى سره وهو امر في علمه وهو كيف يحيي الموتى وهو يعلم انه يعلم السر واخفى واول باب فتح
من مقصوده ان اسمعه كلامه بفضله وجوده وقال اولم تؤمن فكان من هذه الكلمة اعجاز القرآن ثلاثة معاني مضمرة اولم
تؤمن ونت ما امنت عند نمرود باني احيي واميت فان كان ايمانك حقيقيا لكن ما كان مقصودي اولم تؤمن لمعاد
روحي في الجنة فاريك ثمة اولم تؤمن بما طلبت من الاحياء مضمرا في كل منها الاثبات في لفظة النفي فاجاب الخليل عن
الاستفهامات بقوله بلى بسر بسر اي بلى امنت وكان ايماني حقيقيا ولكن ما كان مقصودي الايمان انا الايقان فان حاصل
ولا احيا الموتى فاني فارغ من الموتى واحيائهم ولكني سالت ليطمئن قلبي برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق
فاضطراب قلبي من غاية يقيني او بلى امنت بقدرتك على الاحياء ولكن ما سالتك عن كيفية الاحياء ففي ضمن
ذلك يحصل مقصودي كما ان له معشوق خياط وهو مريد مشاهدة معشوقه ويحتشم ان يقول ارني وجهك
لانظر اليك لانه يعلم ان الدلال قرين الجمال وان العزة والحسن توأمان وفي مذهب الملاح الطلب رد السبيل يسد فيقول
ارني كيف تخيط الثياب ويقول انظر الى كيف اخيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع ودافع
ويطيب قلبه بذلك فالخليل لما اعتذر من الجليل من اضطراب قلبه واضطرار حاله وتضرع بين يدي مولاه وهو الذي
يجيب المضطر اذا دعاه فاجاب دعاه وحقق رجاه وقال خذ اربعة من الطير الاية والمراد انك محجوب بك عني فحجاب
صفاتك عن صفاتي محجوب وحجاب ذاتك عن ذاتي ممنوع وفيها تموت عن صفاتك وتحيى بصفاتي واذا فنيت
عن ذاتك تبقى ببقاء ذاتي فخذ اربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي خمرت

طينة الانسان منها فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينتها وهو الماء تولد الحرص والبخل وهما
قرينتان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهي الهواء تولد الغضب والشهوة ولكل واحد من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن
اليها فالحرص زوجة الحسد والبخل زوجة الحقد والغضب زوجة الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هي
كالمعشوقة بين الصفات فيتعلق بها كل صفة فهن الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم لها سبعة ابواب لكل باب
منهم جزء مقسوم يعني من الخلق فمن كان الغالب على صفة منها دخل النار من ذلك الباب فامر الله خليله بذبح هذه
الصفات وهي الطيور الاربعة طاوس البخل فلو لم ير المال في نظرها لما بخل به وغراب الحرص ويكون من حرصه وديك الشهوة
ونسر الغضب لترفعه في الطيران وهذه صفة الغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولدا
بابي لها باب يدخل به النار فصارت النار عليه لما القي فيها بردا وسلاما والمبالغة في تقطيعهن ونتف ريشها وخلط
اجزائها اشارة الى محو اثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يدي ابراهيم الروح بامر الشرع ثم اجعل على كل جبل من
الجبال الاربعة التي جبل الانسان عليها النفس النامية وهي النباتية والارواح الثلث الحيواني والطبيعي والانساني الملكي
فهذه الجبال كالاشجار والزروع واجزاء الطيور كالتراب المخلوط بالزبل يجعل على الزروع فيتقوى كل واحد من هو الدنيا
واحد من اوليك ويتولد بين بينها ويتصرف فيها الروح الانساني فيحييها بنور هو من خصائص ارواح الانسان فتعود
تلك الصفات مبتدئة عن اوصافها حبيبة باخلاق الروحانيات هذا الخواص الخلق الذين الغالب على احوالهم الروح واما
خواص الخواص ولمن ادركته العناية كالخليل فالله تعالى بعد خمود هذه الصفات يتجلى له بصفة المحيي فيحيي له هذه
الصفات الفانية عن اوصافها بنور صفته المحيية فيكون العبد في تلك الحالة حيا يحييه محييا بصفاته كما قال لا يزال العبد
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش كما
ان اميا يقول لكاتب ارني كيف تكتب فيجعل الكاتب قلمه في يد الامي وياخذ بيده ويكتب فيظهر الكتابة من يد الامي
على الصحيفة ففي تلك الحالة يظن الامي انه صار كاتبا فيقول الكاتب كفى له **شعر** عجبت منك ومني افنيتني بك عني
ادنيتني منك حتى ظننت انك اني فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامي فيعلم الامي انه امي والكاتب هو الكاتب فيستغفر
عن ذنب حسبانه انه هو الكاتب واليه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك اي ذنب حسبان انك كاتب وانت نبي امي عربي ما
وصلت الى ما وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله عليك عظيما ثم ان الله تعالى ان يتجلى لخليله بصفة واحدة وهي صفة المحيي
ليريه اية من ايات وهي كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج كما قال لقد راى من ايات ربه الكبرى والخليل
طلب الرؤية لنفسه ارني والحبيب طلبها له ولامته ارنا الاشياء كما هي وذلك لعلو همته ورفعة مرتبته وكمال معرفته فلعلو
همته قال ارنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء فان فيه مع رعاية الادب اخفاء المقصود فكان قول الخليل بالنسبة الى هذا تصريحا
وان كان بالنسبة الى قول الكليم تعريضا وفيه ايضا طلب كمال الرؤية بجميع الصفات فانها جميعها داخلة في الاشياء ولكمال
معرفته طلب رؤية الماهية فقال كما هي وهذا هو الملك الحقيقي الذي لا يكتنه كنهه من قبل الخليل واعلم ان الله
عز وجل اعز من ان يعرف كنهه صفات حكيم لا يطلع على اسراره الا من يليق بذلك من مخلوقاته والله اعلم

مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي
كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ط وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ط وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ
يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ
خَيْرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ط وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا

صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم
الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على
شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل
فاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير
ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار
له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها
اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون

القراءة انبتت سبع وبابه بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل يضعف وبابه ابن كثير وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعف رئاء الناس غير مهموز حيث كان يزيد والشموني والخزاعي عن ابن فليح وحمزة في الوقف الباقون بالهمز الكافرين بالامالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه ورويس ويعقوب وكذلك ما كان محله النصب من الاعراب كل الثمرات بربوة بفتح الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون بضمها اكلها وبابه ساكنة الكاف ابن كثير ونافع وافق ابو عمرو فيما اتصلت بالهاء والالف بما تعملون بصير بالياء الخفاف بنيه ابو عون عن قنبل الباقون بالتاء للخطاب **الوقوف** مائة حبة ط لمن يشاء ط عليم ه عند ربهم ج لعطف الجملتين يحزنون اذى ط حليم ه والاذى لا لتعلق كاف التشبيه اي ابطالا مثل ابطال الذي الاخر ط صلدا ط كسبوا ط الكافرين ه ضعفين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب ولاتحاد الكلام فطل ط بصير ه الانهار لا لان ما بعده صفة لجنة ايضا الثمرات لا لان الواو للحال ضعفاء ص والوصل اولى والوقف على فاحترقت ط لتناهي مقصود الاستفهام والمعنى ايحب احدكم احتراق جنة صفتها كذا في حال كذا تتفكرون ه نصف السبع **التفسير** انه سبحانه لما ذكر اصول المبدأ والمعاد بما اقتضاه المقام اتبعه ببيان التكاليف والاحكام قال القاضي في كيفية النظم انه تعالى لما اجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة فصل بعد ذلك بهذه الاية تلك الاضعاف وانما ذكر بين الايتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب بعد الحشر لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال لمن عرفت اني خلقتك واكملت نعمتي عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرتي على المجازاة فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازي القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من الواحد الى سبعمائة وعن الاصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعدما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ليرغبوا في المجاهدة بالنفس والمال في نصرته واعلاء شريعته وقيل انه تعالى لما بين انه ولي المؤمنين وان الكافرين اولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق المؤمن في سبيل الله وما ينفق الكافر في سبيل الطاغوت قلت لما بين صحة المعاد ولا بد له من زاد ولا يمكن التزود من الاموال التي يملكها العباد الا بالانفاق اتبعه احكامه فقال مثل الذين ولا بد من اضمار ليصح التشبيه اي مثل صدقاتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل الله دينه وقيل الجهاد وقيل جميع ابواب الخير والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل

ان تخرج

ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف سواء وجد في الدنيا سنبلة بهذه الصفة او لم توجد على انه قد يوجد في الجاورس والذرة وغيرهما مثل ذلك وسبع سنابل مثل ثلاثة قروء في اقامة جمع الكثرة مقام القلة والله يضاعف اي تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين في الاخلاص او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستحق ذلك في مشيئته والله واسع كامل القدرة على المجازاة لان ثبت غير متناه عليم بمقادير الانفاقات ومواقعها ومصارفها وباخلاص صاحبها واذا كان الامر كذلك فلن يضيع عمل عامل له عنده ثم لما عظم امر الانفاق اردف ببيان الامور التي يجب رعايتها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك الاذى والمن قد يراد به الانعام قال تعالى ولا تمنن تستكثر وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وذلك لما فيه من انكسار قلب الفقير ومن تنفير ذوي الحاجة عن صدقته ومن عدم الاعتراف بان النعمة نعمة الله والعبد عبده وان المعطي هو الله واذا كان العبد في هذه الدرجة كان محجوبا عن مطالعة الاسباب الربانية الحقة فكان في درجة البهائم التي لا يترقى نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الاثار الى المؤثرات ومن الاذى فمنهم من حمل على اذى المؤمنين على الاطلاق و المحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو ان يتطاول على الفقير بازاء اليه ويقول له لست الامير ما دمت الا ثقيلا ويا عدو الله ما بيني وبينك ومعنى ثم تراخي الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما لانهما نكرتان في سياق النفي لهم اجرهم وقال فيما بعد فلهم اجرهم لان الموصول ههنا لم يتضمن معنى الشرط وضمنه ثم فعرف معنوي وهو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها عادة تلك الدلالة ثم ذكرها هنا لك الانفاق منهم على سبيل المواظبة والاستمرار فكان التاكيد بما يوجب الربط بينهما هنالك انسب ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي لا يخافون فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات لقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما والمراد انهم يوم القيمة لا يخافون العذاب ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم من قوله في سبيل الله ان قوله لهم اجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون ان المن والاذى من قبيل الكبائر حيث يخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتجت المعتزلة بالاية من وجهين الاول ان العمل يوجب الاجر لقوله لهم اجرهم واجيب بان ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل الثاني تحبط ثواب فاعلها بالالم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق واجيب بان الانفاق على تقدير المن لا ثواب له اصلا فكيف يتصور رفع ما لم يوجد قول معروف تقبله القلوب ولا تنكره وذلك ان يرد السائل بطريق حسن او عدة حسنة ومغفرة عفو من السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول لانه اذا رد بغير مقصود فربما حمله ذلك على بذاءة اللسان او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل وعفو من جهة السائل بان يعذر المسؤول اذا رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها اذى لان الاذى اذا اتبع الاعطا فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما لم يف ثواب النفع بعقاب الضرر واما القول المعروف ففيه انتفاع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان افضل ومن الناس من خصص الاية بالتطوع لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل منه بان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غني عن صدقة كل منفق فاوجه الى حليم عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذي وغير المؤذي مثلا فقال يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى للفقير وعن ابن عباس المن على الله والاذى للفقير كالذي اي كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس وهو ان يرائي بعمله غيره ولا يريد رضاء الله تعالى وثواب الاخرة ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فمثله الضمير اما ان يكون عائدا الى المنافق على انه تعالى شبهه الان بالمرائي المنافق ثم شبه المنافق بالحجر واما ان يعود الى المان المؤذي وعلى انه تعالى شبهه بالمنافق ثم شبهه بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر العظيم القطر والصلد الاجرد النقي ومنه صلد الجبين الاصلع اذا برق وهذا المثل ضرب الله تعالى لعمل المان المؤذي ولعمل المنافق فان الناس يرون في الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيمة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تعالى ولم يوت بها على وجه يستحق الثواب كما اذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب واما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة اوجبت الاجر والثواب ثم ان المن والاذى ازالا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط والتكفير وعلى مذهبنا العمل الظاهر كالتراب



والمنان المؤذي او المنافق كالصفوان ويوم القيمة كالوابل وعلي قولهم المن والاذي كالوابل وعن القفال ان عمل المان
منشبه بما اذا طرح بذرا في صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا اصابه مطر جود بقي مستودع بذره خاليا لا شئ فيه الا
ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة فوق ربوة وعلي هذا فقوله لا يقدرون علي شئ الضمير فيه عايدا الي معلوم غير مذكور
اي لا يهتدي احد من الخلق علي ذلك البذر الملقي في ذلك التراب الذي وضع علي الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا
المان والمؤذي والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيمة وناهيك المان والمنافق ملزوزين في قرن شناعة
شان المن والاذي وقيل الضمير عائد الي الذي امالان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق الذي
الذي وامالانه اشير بالذي الي الجنس والجنس في حكم العام وقيل المعني لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذي فانكم اذا
فعلتم ذلكم لم يقدروا علي شئ مما كسبتم فالتفت الي الخطاب من الغيبة كقوله حتي اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والله لا يهدي
القوم الكافرين معناه علي قولنا سلب الايمان عنهم وعلي قول المعتزلة انه يضلهم عن الثواب وطريق الجنة لسوء
اختيارهم ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم قيل اي يوطنون انفسهم علي حفظ هذه الطاعه
علي ترك ما يفسدها من المن والاذي وقيل تثبيتا من انفسهم انها صادقة في الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد
وتبيينا من الايمان وقيل ان النفس لا ثبات لها في موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها
اسراف الحيوة العاجلة والمال فاذا بذل ماله وروحه معا فقد ثبت نفسه كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
فاذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه فعلي هذا من للتبعيض ذكره في الكشاف وقال الزجاج تصديقا للاسلام
محققا للجزاء من اصل انفسهم جازمين بان الله تعالي لا يضيع ثوابهم فعلي هذا للابتداء وجزمهم بالثواب هو المراد
بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطا المراد انهم يتثبتون انفسهم تثبيتا في طلب المستحق وصرف المال في وجهه قال الحسن
قال الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله امضي وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا انفق لاجل عبودية الحق لا لاجل
غرض النفس او حظ من حظوظها فهناك اطمأن قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه فذلك الاستقرار
هو التثبيت ويحتمل ان يكون المراد به حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتبار لا بطريق التعب
والانفاق فان الاخلاق ما لم تصر ملكات لصاحبها لم تكد تظهر علي جوهر النفس صفاؤها ونورانيتها والمعني ان مثل
نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله كمثل جنة وهي البستان وقرئ كمثل حبة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشئ يربو اذا ارتفع
ومنه الربو الزيادة النفس والربا في المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها ازكي واحسن ثمرا واعترض عليه بان
المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده عن الماء وربما يضربه الرياح كما ان الوهاد لكونها مصب المياه قلما يحسن ريعها
فاذن البستان لا يصلح له الا الارض المستوية فالمراد بالربوة ارض طيبة حرة تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر فانها
اذا كانت هذه الصفة كثر دخلها وكمل شجرها كقوله تعالي وتري الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
ومما يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل في مقابلة المثل الاول وكما ان الصفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه فينبغي ان تكون
هذه الارض بحيث تربو وتنمو فاتت اكلها اي ثمرتها وما يؤكل منها ضعفين مثلي ما كانت بعهد منها وقيل مثلي ما يكون
في غيرها فان لم يصبها وابل فطل يصيبها الطل بصير الغذي يصيبها ولا ينتقص من ثمرها الكرم منبتها والمراد انها علي جميع الاحوال
لا تخلوا من ان تثمر قل ام كثر وكذلك من اخرج صدقة لوجه الله لا يضيع كسبه وقل امره ويحتمل ان يمثل حالهم عند الله بالجنة
علي الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل كما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم تزيد
في زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون بصير من وجوه الانفاق وكيفياتها والامور الباعثة عليها بصير فيجازي بحسب النيات
وخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب في الانفاق وكيفياتها والامور الباعثة عليها بصير المعنى الجامع لشرائطه وحذر
عن ضده بان ضرب مثلا اخر فقال ايود احدكم والهمزة للانكار البالغ اي لن يود ولن يرضي له جنات وقد وصف الله تعالي
بثلثة اوصاف الاول كونها من نخيل واعناب كان الجنة انما تكونت منهما لكثرتهما فيها الثاني تجري من تحتها
الانهار ولا شك ان ذلك مزيد في حسنها وبهائها الثالث فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب اولا بالذكر
لانهما اكرم الشجر واكثرها منافع قال في الكشاف ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان
له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل ثم شرع في بيان شدة حاجة المالك الي هذه الجنة فقال واصابه

الكبر

الكبر وله ذرية ضعفاء وقري ضعاف اي صبيان واطفال فاصابها اعصار ريح تستدير في الارض ثم تسطع في السماء
كالعمود فيه نار فاحترقت اي الجنة ولا يخفي ان هذا المثل في المقصود ابلغ الامثال فان الانسان اذا كان له جنة في غاية
الكمال وكان هو في نهاية الاحتياج الي المال وذلك اوان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا اصبح وشاهد تلك الجنة
محترقة بالصاعقة فكم يكون في قلبه من الحسرة وفي عينه من الحيرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج
يوم القيمة فاذا اتبع الانفاق النفاق او المن والاذي كان ذلك كالاعصار الذي يحرق تلك الجنة ويورثه الحسرة والندامة
التأويل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون ارواحهم وقلوبهم في سبيل الله فلهم الله
من اعطي تمرة الي فقير ياخذه الله بيمينه ويربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتي تكون اعظم من الجبل فمن اعطي قلبه
الي الله تعالي يربيه بين اصبعي جلاله حتي تصير اعظم من العرش بما فيه وان قوما بذلوا المال لله وقوما لو بذلوا الحال ايثارا
صفاء الاوقات وفتوحات الخلوات علي طالب الحق فارباب الصدق للقيام باموالهم في تسلي ما في صدورهم ويؤثرون
علي انفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا ليحصلوا وحصلوا لينفصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا لينفصلوا الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله في طلبه لا في طلب غيره من الثناء او الجزاء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا
يتبعون ما انفقوا منا علي الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك ووجب لي عليك اجر ولا اذي بان تطلب من الله غير الله اي
حمدون قصروبة رويت في المنام فقال له كل الناس يطلبون من الارباب فانه يطلب لهم اجرهم عند ربهم بتخليهم في رتبة
العندية عند مليك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله في طلب المعروف ومغفرة له
وان لم يكن عنده ما يتصدق به خير له عند ربه من صدقة يتبعها اذي طلب غير الحق من الحق والله غني عن غيره
حليم لا يعجل بالعقوبة من يختار في الطلب غيره ولا حول فللتراب ورب الارباب يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذي فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض فيها نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل علي الباطل
ومن اقبل علي الباطل فقد ابطل حقوقه في الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال ولو كان قصدك في الصدقة طلب الحق لما منت
علي الفقير بل كنت رهين منته حيث صار سببا وصولك الي الحق ولهذا قال صلي الله عليه واله وسلم لولا الفقراء
لهلك الاغنياء اي لم يجدوا سبيلا الي الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلي بيد الغني لان الفقير
ياخذ منه الدنيا ويعطيه الاخرة كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر لانه لو كان مؤمنا بالله
لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالاخرة لانفق للاخرة لا للناس فمثل المرائي كمثل صفوان عليه تراب هو عمله فاصابه
وابل هو وابل الرد انا اغني الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مفلسا خاليا لا يقدرون علي شئ مما كسبوا
ليتوسلوا به الي الله والله لا يهدي القوم الكافرين نعمة طلب شهود جماله حرموا عن دولة وصاله وتثبيتا من
انفسهم وتخليصا بنياتهم في طلب الحق ومرضاته من حظوظ انفسهم كمثل جنة هي قلب المخلص بربوة في رتبة عالية
عن الحق اصابها وابل الواردات الربانية فان لم يصبها وابل فطل الالهامات فاتت اكلها ضعفين ضعف من نعيم
الجنة وضعف من دولة الوصال وشهود ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر فان الله تعالي
كما يعطي اهل الاخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطي اهل الدنيا نصيبا من الاخرة فكذلك يعطي اهل الله نصيبا
من الاخرة بالتبعية ولا يعطي اهل الاخرة ما لاهل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون
لابتغاء المرضات او لاستيفاء اللذات واستيفاء الحيوة ثم ضرب مثلا لروح الانسان وقلبه كجنة له فيها من كل الثمرات
اذ خلق في احسن تقويم مستعدا لجميع الكرامات مشرفا بعلم الاسماء منورا بانوار العقل والحواس السليمات
متوحدا بحمل الامانة متفردا برتبة الخلافة جنة هي منظر نظر العناية تجري من تحتها انهار الهداية واصاب
لصاحبها ضعف الانسانية وله ذرية ضعفاء من متولدات القوي البشرية في غاية الافتقار الي التربية باغذية
ثمراتها فاصابها اعصار من اعصار الهوي فيه نار من الرياء والنفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات
البشرية وتبدلت الاخلاق الروحانية بالنفسية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم
تتفكرون في احسانه معكم بايتاء الاستعداد الفطري فلا تبطلوه بتضييع فعالكم ولا تضيعوا اعماركم
وتستعدوا للموت قبل حلول اجالكم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا
تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله
غني حميد ۝ الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه
وفضلا والله واسع عليم ۝ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب ۝ وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر
فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار ۝ ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ۝
ليس عليك هديهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم
وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون ۝
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير
فان الله به عليم ۝ الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝

القراءة ولا تيمموا بتشديد التاء ومد الالف البزي وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب اي من يؤته الله الباقون بالفتح فنعما هي ساكنة العين ابو عمرو والمفضل ويحيى وابو جعفر ونافع غير ورش فنعما هي بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلي وحمزة وخلف الخزاز الباقون فنعما هي بكسر النون والعين والميم مشددة في القراءات ونكفر بالنون والراء ساكنة ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وعلي ويكفر بالياء والراء مرفوعة ابن عامر وحفص والمفضل الباقون ونكفر بالنون ورفع الراء يحسبهم وبابه بفتح السين وابن عامر ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة بسيماهم بالامالة حمزة وعلي وخلف ابن شاذان عن خلاد مخير فقراء ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذا كل كلمة على بنيان فعلى

الوقوف من الارض لعطف المتفقين تغمضوا فيه حميد بالفحشاء واذ اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين تخويف الشيطان الكاذب ووعد الله الحق الصادق وفضلا عليم وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء لابتداء الشرط مع العطف ومن قرا ومن يؤت بالكسر فالوصل اجوز كثيرا الالباب يعلمه انصار فنعما هي خير لكم لمن قرا ونكفر مرفوعا بالنون او الياء على الاستئناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لم يقف سيئاتكم خبير من يشاء لابتداء الشرط فلانفسكم لابتداء النفي وجه الله لا يظلمون في الارض لان يحسبهم وان صلحت حالا بعد

حال نظرا ولكن لا يليق بحال من احصر المتعفف لان تعرفهم بسيماهم والحال اوجه اي يحسبهم الجاهل اغنياء وانت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الضر وهم لا يسألون الناس على الحال وقد لا يجعل لا يسألون بسيماهم فيجوز الوقف على بسيماهم الحافا عليم عند ربهم يحزنون ۝ **التفسير** لما رغب في الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك وشرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك ان المال الذي امر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب ان يكون فقال انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا اي من طيبات ما اخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن ان المراد من هذا الانفاق الفرض بناء على ان ظاهر الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكوة وسائر النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روي عن علي والحسن ومجاهد ان بعض الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم فانزل الله تعالى هذه الاية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه في الصدقة لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بئسما صنع صاحب هذا فانزلت وقيل يشمل الفرض والنفل لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط فلنتفرع على قول الوجوب وجوب الزكوة في كل مال يكسبه الانسان فيشمل زكاة التجارة وزكوة الذهب والفضة وزكوة النعم وزكوة كل ما ينبت من الارض الا ان العلماء خصصوها بالاقوات لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال الصدقة في اربعة في التمر والزبيب والحنطة والشعير وليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر ينفي الزكوة في غير الاربعة لكن ثبت اخذ الزكوة من الذرة وغيرها بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم وجوب الزكوة في الاقوات دون غيرها فلا يكفي وجوب الزكوة كون الشيء مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة ومثله الشافعي رضي الله عنه بالقت وحب الحنظل وسائر البذور البرية وشبهها بظبية الوحش لا زكوة فيها لان الناس لا يتعهدونها وايضا لا يجب الزكوة في القوت ما لم يبلغ خمسة اوسق وبه قال مالك واحمد لرواية ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وقال ابو حنيفة يجب العشر في القليل والكثير استدلالا بعموم الاية وتفصيل الكلام في الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها مشهور مذكور في الفروع فلذلك ولطولها لم نشرع فيها واما المراد في الطيب في الاية فقيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الردي لما مر في سبب النزول انهم كانوا يتصدقون برذالة اموالهم فنهوا عن ذلك ولان المحرم لا يجوز اخذه بالاغماض وبغيره والاية دلت على جواز اخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود ومجاهد ان الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم باخذيه وانتم تعلمون انه محرم الا ان ترخصوا لانفسكم اخذ الحرام ولا تبالوا من اي وجه اخذتم المال من حلاله او حرامه ويحتمل ان يراد ما يكون طيبا من جميع الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة ايضا لان الاستطابة قد تكون شرعا وقد تكون عقلا واعلم ان المال الزكوي ان كان كله شريفا وجب ان يكون الماخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا للاية لان الماخوذ في هذه الحال لا يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان في المال جيد وردي فحينئذ يقال للانسان لا يجعل الزكوة من ردي مالك ولا يكلف ايضا جيده لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن اعلمهم ان عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم واياك وكرائم اموالهم بل الواجب حينئذ هو الوسط ثم ان قلنا المراد من الانفاق في الاية التطوع او هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تعالى ندبهم الى ان يتقربوا اليه بافضل ما يملكونه قضاء لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى ولا تيمموا الخبيث لا تقصدوا يقال تيممته وتاممته وامممته كله بمعنى قصدته ومحل تنفقون نصب على الحال وقدم منه ليعلم ان المنهي عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه اذا كان في المال طيب وخبيث ويحتمل ان يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم ابتدا مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا بالاغماض وهو غض البصر واطباق جفن على جفن واصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر واصله ان الانسان اذا راى ما يكره غمض عينيه لئلا يرى ذلك ثم كثر حتى جعل كل مساهلة اغماضا اي لو اهدي لكم مثل هذه الاشياء لما اخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لي ما لا ترضونه لانفسكم ويحتمل ان يراد

الا اذا اغمضتم بصر البايع اي كلمتموه الحط من الثمن عن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم
لكم من ثمنه واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد محمود على ما انعم من البيان والتكليف بما تحوزون به النعيم
الابدي او حامد شاكر على انفاقكم كقوله فاولئك كان سعيهم مشكورا ثم انه تعالى لما رغب في اجود ما يملكه الا
نفاق حذر عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر فيشمل ابليس وجنوده وشياطين الانس والنفس
الامارة بالسوء والوعد يستعمل في الخير والشر قال تعالى وعدها الله الذين كفروا ويمكن ان يكون استعماله في الشر
تحولا على التهكم وبشرهم بعذاب اليم واصل الفقر في اللغة كسر الفقار وفقره الفقر يفقره والفقر يفتح
ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغواء الامر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق ان
لكل خلق طرفي عيب ووسطا فالطرف الكامل للانفاق هو ان يبذل كل ماله في سبيل الله والطرف الافحش ان لا ينفق شيئا
الا الجيد ولا الردي والوسط ان يبخل بالجيد وينفق الردي فالشيطان اذا اراد نقله من الافضل الى الافحش فرحلي
جملته ان يجره الى الوسط وهو وعدها بالفقر ثم الى الطرف وهو امره بالفحشاء وذلك ان البخل صفة مذمومة عند كل احد
فلا يمكنه ان يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هي التخويف بالفقر اذا انفق الجيد من ماله فاذا اطاعه زاد فيمنعه
بالانفاق في الكلية وربما يدرج الى ان يمنع الحقوق الواجبة فلا يودي الزكوة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا
صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه ويتسع الخرق ويقدم على المعاصي كلها ثم لما ذكر وسوسة الشيطان
اردفها بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة اشارة الى منافع الاخرة والفضل
اشارة الى ما يحصل في الدنيا من الخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك ينادي كل ليلة اللهم اعط كل منفق
خلفا وكل ممسك تلفا والشيطان يعد الفقر في غد الدنيا والرحمن يعد الفقر في غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول
اولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه ووعد العقبى مقطوع به وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى
المال بافة اخرى وعند وجدان العقبى لا بد من حصول المغفرة فان الله تعالى لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء المال
فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف او مرض او هم بخلاف الانتفاع بما في امر الاخرة فانه لا مانع منه وبتقدير
التمكن من الانتفاع بالمال فان ذلك ينقطع ويزول بخلاف الموعود في الاخرة فانه باق لا يزول وايضا
ان لذات الدنيا مشوبة بالالام والمضار البينة فلا لذة الا وفيها الم من وجوه كثيرة بخلاف لذات الاخرة فانه لا
نقص فيها ولا تنغص والمراد بالمغفرة تكفير الذنوب والتنكير فيه للدلالة على الكمال والتعظيم ولا يساويه
شي ابه لفظة منه فان غاية كرمه ونهاية جوده ما يعجز عن ادراكها عقول الخلايق يحتمل ان يكون نوعا من المغفرة
وهو المشار اليه في اية اخرى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وان يجعل شفيعا في غفران ذنوب اخوانه المومنين
واما الفضل فيحتمل ان يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهي ملكة الجود وفضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة
نفسانية فمتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال الخارجي والنقصان الداخلي واذا حصل وجد الكمال الداخلي والنقصان
الخارجي فيكون الانفاق اولى وافضل وايضا متى حصلت ملكة الانفاق زالت عن النفس هيئة الاشتغال
بنعيم الدنيا والتهالك في طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وايضا عرف من الانسان انه متى
كانت الهمم معقودة على ان يفتح الله عليه ابواب الرزق ولمثل ذلك التاثير ما لا يخفى والله واسع كامل العطايا
كافل الخلف قادر على انجاز ما وعد عليهم بحال من انفق ثقة بوعده وبحال من لم ينفق طاعة للشيطان ثم انه علي
الامر لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما يحسنه الشهوة
والنفس عن مقاتل ان تفسير الحكمة في القران على اربعة اوجه احدها مواعظ القران وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم واتيناه الحكم صبيا ولقد اتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة
واتاه الله الملك والحكمة ورابعها القران بما فيه من الاسرار يؤتي الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق
ترجع الى العلم فتامل يا مسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا قليل وذلك ان الدنيا متناهية العدد متناهية المدة والعلم
لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة بقائها والسعادات الحاصلة منها واعلم ان كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير

لاجل

ـان

لاجل العمل به فمرجع العمل الى العلم والادراك المطلق ومرجع الباقي الى فعل العدل والصواب ولذلك سال
ابراهيم صلوات الرحمن عليه رب هب لي حكما وهو الحكمة النظرية والحقني بالصالحين وهو الحكمة العملية ونودي موسى
عليه السلام انني انا الله لا اله الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدني وهو العملية وحكى عن عيسى عليه السلام
انه قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت وكلها النظرية واوصاني بالصلوة
والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا وجميعها العملية وقال في جميع الانبيا ينزل الملايكة
بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا وانه الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة
العملية نعلم من هذه الايات وامثالها ان كمال حال الانسان في هاتين القوتين والحكمة فعلة من الحكم كالنحلة من
النحل ورجل حكيم اذا كان ذا حجى ولب واصابة راي فعيل بمعنى فاعل وقد يجي بمعنى مفعول منها يعرف كل امر حكيم
اي محكوم وفي الاية دليل على ان جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية انما هي باتيان الله تعالى والذين جاوزوا
الابناء على التوفيق والاعانة كالمعتزلة ما نادوا الا ان وسعوا الدايرة اذ لا بد من الانتهاء اليه آية سلكوا
وما يذكر الا اولوا الالباب الذين اذا حصل لهم الحكم والمعارف ولم يقفوا عند المسببات فلم ينسبوا هذه الاحوال
الى انفسهم بل يرتقون الى اسبابها حتى يصلوا الى السبب الاول واما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم
ووضع الدلايل قالوا هذه الحكمة لا تفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تدبر وتذكر فعرف ماله وما عليه وعند ذلك
يقدم او يحجم ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما في قلب العبد من نية الاخلاص او الريا وانه يعلم القدر المستحق من الثواب
والعقاب على تلك الدواعي والنيات فلا يهمل شيئا منها فقال وما انفقتم من نفقة لله او للشيطان او نذرتم من
نذر في طاعة الله او معصيته فان الله يعلمه وتنكير الضمير اما لانه عايد الى ما واما لانه عايد الى الاخير كقوله
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلتزمه الانسان بايجابه على نفسه واصله
من الخوف كانه يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر المهم عنده ومنه الانذار الابلاغ مع تخويف واعلم ان النذر بحث النذر
قسمان نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر اما الاول فهو ان يمنع نفسه من الفعل او يحثه عليه بتعليق التزام قربة
بالفعل او الترك كقوله ان كلمت فلانا او اكلت كذا او دخلت الدار او لم اخرج من البلد فلله علي صوم شهر او صلوة اربع
او اعتاق رقبة ثم انه اذا كلمه او دخل او لم يخرج فللعلماء ثلثة اقوال الاول يلزمه الوفاء بما التزم الثاني وهو
الاصح انه عليه كفارة يمين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كفارة النذر كفارة يمين الثالث كفارة التخيير
بين الوفا وبين الكفارة واما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو ان يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة او اندفاع
نقمة مثل ان شفى الله مريضي او رزقني ولدا فلله علي ان اعتق رقبة او اصوم او اصلي كذا فاذا حصل المعلق عليه
لزمه الوفاء بما التزم لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه ونذر التبرر وهو ان يلتزم ابتداء
غير معلق على شي كقوله لله علي ان اصوم او اصلي او اعتق فالاصح انه يصح ويلزم الوفا به لاطلاق الخبر وما
يفرض التزامه بالنذر اما المعاصي واما الطاعات واما المباحات فاما المعاصي كشرب الخمر والزنا ونذر المراة
صوم ايام الحيض ونذر قراءة القران في حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لا نذر في معصية الله تعالى ومن هذا
القبيل نذر ذبح الولد او ذبح نفسه واذا لم ينعقد نذر المعصية فعليه ان يمتنع منه ولا يلزمه كفارة اليمين وما روي نعلم
انه صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية الله تعالى وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج واما الطاعات
فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوة الخمس وصوم رمضان لا معنى لالتزامها بالنذر معلقا وغير معلق وكذا
لو نذر ان لا يشرب الخمر ولا يزني واذا خالف ما ذكره فلا يلزمه الكفارة على الاصح واما غير الواجبات فالعبادات
المقصودة وهي التي وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فيلزم بالنذر
وذلك كالصوم والصلوة والصدقة والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات التي يحتاج فيها الى معاناة
تعب وبذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلوة على الجنازة والامر بالمعروف وما ليس فيه بذل
مال ولا كثير مشقة الاظهر انه يلزم ايضا وكما يلزم اصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة المشروعة فيها اذا كانت
من المحبوبات كالصلوة بشرط طول القراءة او الركوع او السجود او الحج بشرط المشي اذا جعلناه افضل من الركوب

وهو الاصح ولو افرد الصفة بالالتزام والاصل واجب كتطويل الركوع والسجود او القراءة في الفرايض فالاشبه
اللزوم لانها عبادات مندوب اليها واما الاعمال والاخلاق المستحسنة كعيادة المريض وزيارة القادم وافشاء
السلام على المسلمين فالاظهر لزومها ايضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وترغيب
الشارع فيها واما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها او تركها لم ينعقد
نذره روى ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا قايما في الشمس فسال عنه فقالوا نذر ان لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم
ويصوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه ولو قال لله علي نذر من غير تسمية لزمه
كفارة يمين لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا لم يسم فعليه كفارة
يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يوفون بالنذر او ينذرون
في المعاصي من انصار فمن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه والانصار جمع ناصر كاصحاب في صاحب او جمع
نصير كاشراف في شريف وقد تمسك المعتزلة في نفي الشفاعة لاهل الكباير فان الشفيع ناصر ورد بان الشفيع في
العرف لا يسمى ناصرا والا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا وايضا ان هذا الدليل النافي عام
في حق كل الظالمين وفي كل الاوقات والدليل المثبت للشفاعة خاصة في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص
مقدم على العام وايضا اللفظ لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهر على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنيا
والمسلة ليست ظنية وكان التمسك به ساقطا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقة السر افضل ام صدقة
العلانية فنزلت ان تبدوا الصدقات فنعما هي والتركيب للصحة والكمال ومنه فلان صادق الود وهذا خل صادق
الحموضة وصدق فلان في خبره اذا اخبر على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق لان عقد النكاح به يتم ويكمل والزكوة
صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على صدق العبد وكماله في ايمانه فنعما هي من قرا بسكون العين
فمحمول على انه اوقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والا لزم التقاء الساكنين على غير حده ومثله
ما يروى في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن
قرا بكسر النون والعين فللتحصيل المشاكلة ومن قرا بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل فالكلمة نعم الشايع في
الامر المتبر قال سيبويه ما في تاويل الشي اي نعم الشي هي وقال ابو علي الجيد في مثله ان يقال ما في تاويل شي لان ما
ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فان هي مخصوص بالمدح والتقدير نعم شاء ابداء الصدقات فحذف
المضاف للدلالة او نعم شيا تلك الصدقات او تلك الخصلة وهي الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله
تعالى وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء في صدقة التطوع كان الاظهار في الزكوة افضل اما الاول
فلان ذلك اشق على النفس فيكون اكثر ثوابا ولانه ابعد عن الريا والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من
مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقة لا شك انه يطلب السمعة والمعطي في ملا من الناس يطلب الريا وقد
بالغ قوم في الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم الاخذ فبعضهم كان يلقي الصدقة في يد الاعمى وبعضهم يلقيها في طريق
الفقير وفي موضع جلوسه بحيث يراها المعطي وبعضهم يشدها في ثوب الفقير وهو نايم وبعض يوصل الى الفقير
على يد غيره وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال ايضا ان العبد ليعمل عملا
في السر فيكتب الله سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية وكتب في الريا وقال صلى الله عليه وسلم
صدقة السر تطفي غضب الرب وايضا في الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وربما انكر الناس
على الفقير واخذ تلك الصدقة لظن الاستغنا به فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة ولان الاظهار
اذلال للاخذ واهانة له واذلال المومن غير جايز ولان الصدقة كالهدية فقال صلى الله عليه وسلم من اهدى اليه
هدية ومعه قوم فهم شركاوه فيه وربما لا يدفع الفقير اليهم شيا فيقع في حيز اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اذا اظهر
اقتدى غيره به لم يبعد والحالة هذه ان يكون الاظهار افضل وروى ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال السر
افضل من العلانية والعلانية افضل لمن اراد الاقتدا واعلم ان الانسان اذا اتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه
شهوة ان يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك الشهوة فههنا الشيطان يورد عليه ذكر رؤية الخلق والقلب

بهذا

بحث الصدقة

يكره فهذا الانسان في محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه يفضل علانيته بسبعين كما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا ثم ان لله عبادا راضوا انفسهم حتى من الله عليهم
بانوار هدايته وذهب عنهم وساوس النفس لان الشهوات تدمانت عنهم ووقعت قلوبهم في بحار عظمة الله
فلم يحتاجوا الى المجاهدة فاذا اعلنوا بالعمل ارادوا ان يقتدي بهم غيرهم فهم كاملون في انفسهم ويسعون في تكميل
غيرهم كما قال تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق واجعلنا للمتقين اماما فهولاء الايمة الهدى واعلام الدين
وسادة الخلق بهم يقتدى في الذهاب الى الله واما ان الاظهار في اعطاء الزكوة افضل فلان الله امر الايمة
بتوجيه السعاة لطلب الزكوات وفي دفعها الى السعاة اظهارها ولانه ينفي التهمة ولهذا ما روي انه صلى
الله عليه وسلم كان اكثر صلوته في البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الفريضة علانيتها افضل من
سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكي ممن لا يخفى يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفاء له افضل
ولا سيما اذا خاف الظلمة ان يطمعوا في ماله وعن بعضهم ان معنى قوله خير لكم انه في نفسه خير من الخيرات كما يقال
الثريد خير من الله وانما قيل وتوتوها الفقرا لان المقصود من بعث المتصدق ان يتحرى موضع الصدقة فيصير عالما
مميزا لهم عن غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستقصا ثم اخفاها حصلت الفضيلة فلهذا شرط في الاخفاء ان يحصل
معه ايتاء الفقرا ولما في الابداء قلما يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط ونكفر عنكم من سيئاتكم من قرا بالنون
مرفوعا فهو عطف على محل ما بعد الفاء لان الاصل في الشرط والجزا ان يكونا فعلين فاذا وقع الجزا فعلا مضارعا مع
الفاء كان خبر مبتدا محذوف فقيل له فهو خيره في نا وقيل فيكون خبر اللام ونكفر بالرفع عطف عليه ويحتمل ان يكون
خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستانفة ومن قرا مجزوما فهو عطف على محل الفاء
وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان تخفوها تكن اعظم اجرا وناس قرا ويكفر بياء الغيبة مرفوعا على الاعراب
كما مر في النون والضمير لله او للاخفا ونكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والضمير للصدقات وقرا الحسن بالياء والنصب
باضمار ان ومعناه وان تخفوها تكن خيرا لكم وان يكفر عنكم خير لكم والتكفير في اللغة الستر والتغطية ومنه
كفر عن يمينه اي ستر ذنب الحنث وقوله من سيئاتكم يحتمل ان يكون من للتبعيض لان السيئات كلها لا تكفر وانما تكفر
بعضها ثم ابهم الكلام في ذلك البعض لانه يانه كالاغراء في بعضها على ارتكابها واحسن احوال العبد ان يكون
بين الخوف والرجا ويحتمل ان يكون للتعليل اي من اجل سيئاتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك اي من اجل
ذلك وقيل انها زايدة والله بما تعملون خبير كانه ندب بهذا الكلام الى الاخفا الذي هو ابعد من الريا عن الكلبي
انه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضا وكانت معه اسما بنت ابي بكر فجاءتها امها قتيلة وجدتها
تسالانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما شيا حتى استامر رسول الله فانكما لستما على ديني فاستامرته في ذلك
فانزل الله تعالى ليس عليك هداهم فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها ان تتصدق عليهما فاعطتهما
ووصلتهما قال الكلبي ولها وجه اخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار ورضاع في اليهود وكانوا
ينفعونهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوهم ان يسلموا فاستامروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فاعطوهم بعد نزولها وعن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا الا على اهل
دينكم فانزل الله تعالى ليس عليك هداهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا على اهل الاديان وعن بعض
العلما لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك والعلما اجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكوة الى غير المسلم فتكون
الاية مخصوصة بالتطوع وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطرة الى اهل الذمة واباه غيره ومعنى الاية ليس عليك
هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على
اسلامهم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على ايمانهم فاعلمهم الله تعالى انه بعث بشيرا ونذيرا
وداعيا الى الله ومبينا للدلايل فاما كونهم مهتدين فليس ذلك منك ولا بك فالهدى ههنا بمعنى الاهتدا سوا
اهتدوا او لم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك عنهم بسببه ووجه اخر ليس عليك ان تلجيهم الى الاهتدا
بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا

ههنا

ولكن الله يهدي من يشاء اثبات الهداية التي نفاها اولاً لكن المنفي اولا هو الهداية اي الاهتداء على سبيل الاضطرار
نكذا الثاني ومنه يعلم ان الاهتداء الاختياري واقع بتقدير الله وتخليقه وتكوينه وهذا التفسير هو المناسب لسبب
النزول وفي الكشاف ان المعنى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق
من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء بلطف من يعلم ان اللطف ينفع
فيه فينتهي عما نهي عنه ثم ظاهر قوله ليس عليك هداهم خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به هو لان
امثاله عام ان يتصدق في الصدقات وما بعده عام وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم ثوابه فليس يضركم كفر من كفر اولا
تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله اي لستم في صدقتكم على اقاربكم
المشركين تقصدون الا وجه الله من صلة الرحم او سد خلة مضطر وقد علم الله هذا من قلوبكم وقيل خبر في معنى نهي
اي لا تنفقوا الا لله وقيل معناه لا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم المفيد للمدح حتى تبتغوا وجه الله وقيل
ليست نفقتكم الا لطلب ما عند الله فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وفائدة لفظ الوجه
انك اذا قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف من قولك فعلته له لان وجه الشيء اشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف
مطلقا وايضا قول الفاعل فعلت هذا الفعل له احتمل الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولغيره اما اذا قال فعلت
لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وما تنفقوا من خير يوف اليكم جزاؤه في الآخرة اضعافا مضاعفة وانما حسن
ذكر اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا ثم لما بين انه يجوز صرف
الصدقة الى اي فقير كان اراد ان يبين ان اشد الناس استحقاقا من هو فقال للفقراء اي ذلك الانفاق لهؤلاء الفقراء
كما لو تقدم ذكر رجل فتقول لعاقل لبيب اي ذلك الذي مر وصفه عاقل لبيب وقيل اعمدوا للفقراء واجعلوا ما
تنفقون للفقراء او المراد صدقاتكم للفقراء قيل نزلت في فقراء المهاجرين وكانوا نحوا من اربعمائة رجل وهم اصحاب الصفة
لم يكن لهم مسكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين للمسجد يتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون في كل غزوة فمن
كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة
فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه
فانه من رفقائي ثم انه سبحانه وتعالى وصف هؤلاء الفقراء بخمس صفات الاولى قوله تعالى الذين احصروا في سبيل الله
اي احصرهم الجهاد او منعهم انفسهم ووقفوا على الجهاد في سبيل الله لان سبيل الله مختص بالجهاد في عرف القرآن ولان وجوب
الجهاد في ذلك الزمان كان آكد فكانت الحاجة الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشد ووضع الصدقة فيهم اوقع لسد خلتهم وتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب
واختاره الكسائي ان هؤلاء قوم اصابتهم جراحات في الغزوات فاحصرهم المرض والزمانة وعن ابن عباس هؤلاء
قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون ضربا في الارض اي سيرا فيها وذلك
اما لاشتغالهم بالعبادة او بالجهاد فلا يتفرغون للكسب والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر
واما لان مرضهم وعجزهم يمنعهم منه الثالثة يحسبهم الجاهل بحالهم ومن لم يختبر امرهم اغنياء من التعفف من اجل
تركهم المسألة واظهارهم التجمل تكلفا منهم والتعفف اظهار العفة وهي ترك الشيء والكف عنه الرابعة تعرفهم اي
انت يا محمد او كل راء بسيماهم والسيما العلامة التي يعرف بها الشيء من السمة العلامة فوزنه عفلى قال مجاهد سيماهم
التخشع والتواضع الربيع والسدي اثر الجهد من الجوع والفقر الضحاك صفرة الوانهم من الجوع ابن زيد رثاثة ثيابهم
وقيل المهابة في العيون وقيل اثار الفكر روي انه صلى الله عليه وسلم كان كثير الفكر الخامسة لا يسألون
الناس الحافا اي الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطى والتركيب يدل على الستر كانه لزم المسؤول لزوم
الساتر للمستور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف
قيل معنى الاية انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا اورد عليه انه ينافي التعفف الذي وصفوا به فقيل الوجه
ان يراد نفي السؤال والالحاف جميعا كقوله شعر ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار ليكون موافقا لوصفهم
بالتعفف وفائدة الكلام التنبيه على سوء طريقة الملحفين كما اذا حضر عندك رجلان احدهما عاقل وقور والاخر طائش

بطنهم

حنيف

خفيف واردت ان تمدح احدهما وتذم الاخر قلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بخواض ولا مهذار لم يكن
غرضك من قولك ليس بخواض ولا مهذار وصفه بذلك لان ما تقدم من الاوصاف الحسنة تغني عنه بل غرضك التنبيه
على سوء طريقة الثاني وقيل معناه لا يتركون السؤال الا بالحاح اشد بدمنهم على انفسهم لشدة حاجتهم كقوله
شعر ولي نفس اقول لها اذا ما تنازعني لعلي او عساني وقيل ان عدم السؤال بطريق الالحاف يتضمن نفي السؤال
منهم راسا لان كل سائل فلا بد ان يلح في بعض الاوقات كانه تقول اذا اريقت ماء وجهي فلا ارجع بغير مقصود وقيل لعل
السائل من السؤال يظهر من نفسه امارات الحاجة فيكون في حال سكوته الطف ما يكون في رقة القلوب له فالمراد انهم
وان سكتوا عن السؤال لكنهم لا يضمون الى ذلك السكوت من رثاثة الحال واثار الانكسار ما يقوم مقام السؤال
فان ذلك نوع الحاف بل يتجملون للخلق بحيث لا يطلع على سرهم غير الخالق عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفتح احد
باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن استعف يعفه الله لان يأخذ احدكم حبلا فيحتطب
به فيبيعه بمد من تمر خير له من ان يسأل الناس وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيه ان ثواب هذا الانفاق
الذي هو اعظم المصارف ولا يكتنه كنهه فلذلك وكل الى علم الله بخلاف الاية المتقدمة فانه لما رغب في التصدق
على اهل الاديان قال في اخره وما تنفقوا من خير يوف اليكم كما لو قال السلطان لعبده الذي حسن عنده موقع
خدمته ان بحسن خدمتك عالم ولحقك غاية كان ابلغ ما لو قال ان اجرك واصل اليك ثم انه شدد في ختام الايات
الى اكمل وجوه الانفاق بقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الاية وذلك ان الذين يعمون الاوقات والاحوال
بالصدقة يكون ذلك منهم دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام كلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها
ولم يؤخروه متعللين بوقت وحال والباء بمعنى في اي في الليل والنهار وسرا وعلانية منصوبان على الظرفية ايضا
اي في اوقات السر والعلن او على وصف المصدر اي انفاقا سرا او على الحال لكونه بيانا عن كيفية الانفاق
وقيل لما نزل للفقراء الذين احصروا بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير الى اصحاب الصفة وبعث علي بوسق من تمر ليلا فنزلت
هذه الاية وفي تقديم ذكر الليل تقدم السر على العلانية دليل على ان صدقة السر افضل وعن ابن عباس
ما كان لعلي يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم ما حملك على هذا فقال ان استوجب ما وعدني ربي فقال لك ذلك فنزلت الاية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق
حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وقيل في
علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وكان ابو هريرة اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الاية والله تعالى اعلم بحقيقة الحال

التأويل انفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه الاولى لو فسر الطيب بالحلال ليتقبل الله منه
ولو فسره بالجودة فليجز به بقدر جودته الثانية ليثاب على التعظيم لامر الله الثالثة ليثاب على الشفقة
على خلق الله الرابعة ليثاب على الايثار ويؤثرون على انفسهم الخامسة ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون السادسة ليثاب على زيادة الايمان فان المتصدق في صدقته كالزارع في زراعته فكما ان الزارع
كلما ازداد ايقانه بحصول الثمرة اجتهد في جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانه بالبعث والجزاء ازداد في جودة
صدقته لتحققه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر الكسب على ذكر المخرج من الارض لقوله
صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما يأكل الرجل من كسب يده وفي الاية معنى اخر لطيف انفقوا من طيبات ما كسبتم
من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما اخرجنا لكم من ارض طينتكم في تحلية سرائركم بمكارم الاخلاق ولتكن
النفقة متطيبة من جنابة الشبهات طيبا اتقانها من جنابة الاغراض النفسانية والاحوذ به طيبا متفوها من
جنابة الانفاق والنظر في الانفاق الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة في نفسها فلله قبول طيب فانها ابلغ عند الله
عن الوسائط فيأخذها بيده قبل ان يقع في يد الفقير واذا كانت اليد طيبة في انفاقها فلله قبول طيب فانها ابلغ عند
الله من عملها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فلله قبول طيب عن الاغيار بين اصابع الرحمن
وهذا تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ولستم باخذيه هذا الخبيث لا في اصل الفطرة ولا
في عهد الخلقة لانكم خلقتم من اصل طيب وطينة طيبة فالروح من اطيب الاطايب لانه اقرب الاقربين الى حضرة رب

اصبعين

العالمين والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم احياكم بالايمان فلنحيينه حيوة طيبة ثم يوبخكم من الطيبات
كلوا من طيبات ما رزقناكم فليس منكم شي خبيث في الظاهر والباطن الا ان تعصوا فيه فيقتلوه تكلفا وفسرا كل مولود
يولد علي الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما لم يكن الخباثة ذاتية للانسان بل كانت طارية عليه عارية لديه
انزل الله تعالي كلمة طيبة هي لا اله الا الله لتطيب بالمواظبة عليها اخلاقهم ويستحقوا يوم القيمة ان يقال لهم سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين واعلموا ان الله غني من كمال غناه اراد ان يغنيكم بثواب الانفاق حميد علي ما انعم بهذا التنظيف
لينوسلية الكمال الابدي الشيطان حين يعدكم الفقر ظاهرا فهو يامركم بالفحشاء باطنا لانها اسم جامع لكل سوء
فتتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والتشكك في مواعيد الحق بالخلف والتضعيف وسوء الظن بالله وترك التوكل
عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهي
راس كل خطيئة وبذر كل بلية فمن فتح علي نفسه باب وسوسة فسوف يبتلي بهذه الافات واضعافها ومن فتح علي
نفسه باب عزة الحق افاض عليه سجال غفرانه وبحار فضله واحسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والاثام والفضل
ما لا يدركه الاوهام للذين احسنوا الحسني وزيادة فمن ذلك ان يفتح علي قلبه باب حكمته عاجلا كما قال يوتي الحكمة
من يشا وليست الحكمة ما يحصل بمجرد التفكر كما ظنه اهل الافكار والذين لم يعرفوا بين المعقولات وبين الاسرار والحكم
الالهيات فالمعقولات مكتسب البرهان وهي مشتركة بين اهل الاديان والاسرار الالهية مواهب الحق لا ترد الا علي قلوب
الانبيا والاوليا نور علي نور يهدي الله لنوره من يشا وما يذكر الا اولوا الالباب الذين لم يقفوا عند القشور فارتقوا
الي لب عالم النور ثم اخبر عن ترقية الاجور للمنفق في المفروض والمنذور وما للظالمين الذين وضعوا الشي في غير موضعه
فبدلوا الانفاق النفاق بالاخلاص الريا من انصار ولا ناصر بالحقيقة الا الله ومن اذن له الله ابداء الصفات صدقا
اخفاؤها واخفاؤها تخليصها عن شوب الحظوظ والبه الاشارة بقوله صلي الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله
ثم قال ورجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله اي عن حظوظ نفسه ليكون خالصة لوجه الله فصاحبها يكون في ظل
الله قال صلي الله عليه وسلم ان المرء يكون في ظل صدقته يوم القيمة اي ان كانت صدقته لله كان في ظل الله وان كانت
للجنة كان في ظل الجنة فان كانت للهوي كان في ظل الهاوية فنعم قوله ان تبدوا الصدقات اي تظهروها لطمع ثواب الجنة
فلا تطمع الثواب بشوب حظ فنعما هي فانما هي مرتبة الابرار ان الابرار لفي نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتوتوا
الفقراء الذين يعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان جزاءها لقاء الله ثم اخبر عن الهداية وانه ليس
لاحد عليها الولاية وان الله فيها ولي الكفاية يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود ولك الوسيلة وعلي الانبيا الفضيلة
وانت سيد الاولين والاخرين وانت اكرم الخلائق علي رب العالمين ولكن ليس عليك هداهم ولكن الهداية من خصائص
شاننا ولوايح برهاننا انت تدعوهم ونحن نهديهم ثم نبه علي ان افضل وجوه الانفاق هو الفقر الذي احصر المحنة في
الله عن طلب المعاش الذي احصره العجز عن طلب الكفاف احذ عليه سلطان الحقيقة كل طريق فلا له في المشرق
مذهب ولا له في المغرب مضرب ولا منه الي غيره مهرب كان تحاج الارض ضاقت برحبها عليه فان ازداد طولا وعرضا
يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف لانهم مستورون تحت قباب الغيرة محجوبون عن معرفة اهل الغيرة اوليائي
تحت قبائي لا يعرفهم غيري يا محمد تعرفهم بسيماهم يا محمد لانك لست بك فلست غيري ما رايت اذ رايت ولكن الله رأي وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمي وان سيماهم لا يدري بالبصر الانساني بل يري بالنور البرهاني فمن سيماهم في الظاهر اثار
احوال الباطن انهم لا يسالون الناس الحافا لا بتقليل ولا بتكثير لان اثار غني قلوبهم انعكست علي ظواهرهم فتنورت
بالتعفف نفوسهم واضمحلت ظلمة فقرهم وما تنفقوا من خير من المال والجاه او خدمة بالنفس او اكرام او ارادة
حتي السلام علي هولاء السادة استخفافا واجلالا استخفافا واذلالا فان الله به عليم ومن سيماهم في الظاهر انهم
اذا وجدوا مالا لم يبيعوا عزة الفقر به بل ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم عند مليك
مقتدر ولا هم يحزنون في الدنيا علي ما يفوتهم لانهم تركوها لله وهو لهم خلف من كل تلف ولا في الاخرة
لا يحزنهم الفزع الاكبر الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور والله اعلم
الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من

المس ط ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا م واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه
موعظة من ربه فانتهي فله ما سلف ط وامره الي الله ج ومن عاد فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون ه يمحق الله الربوا ويربي الصدقات ط والله لا يحب
كل كفار اثيم ه ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
لهم اجرهم عند ربهم ج ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين ه فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسو
له ج وان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ه وان كان ذو عسرة فنظرة
الي ميسرة ط وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون ه واتقوا يوما ترجعون
فيه الي الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ج

القراءة الربوا حيث كان بالامالة حمزة وعلي هذا اذا كان معرفا ولا يميلون المنكر في الوصل لاجل التنوين كقوله
وما اتيتم من ربا ويميلون في الوقف لزوال التنوين فاذنوا ممدودة مكسورة الذال حمزة وحماد وابو بكر غير ابن غالب والنرجمي
حمزة يقف بغير همز اي بالتليين الباقون فاذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تظلمون ولا تظلمون الاول مبني للمفعول والثاني
للفاعل المفضل الباقون بالعكس ميسرة بضم السين نافع ميسرة بضم السين واثبات الياء يزيد عن يعقوب الباقون بفتح السين
وعدم الياء وان تصدقوا خفيفا عاصم الباقون بتشديد الصاد لادغام تاء التفعل بالصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم ابو
عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون مبنيا للمفعول **الوقوف** من المس ط مثل الربوا م كيلا يظن ان ما بعده من قولهم وان
امكن جعلها حالا بإضمار قد وحرم الربوا ط لابتداء الشرط واستيناف المعني ما سلف لتناهي الجزا الي الله ط النار خالدون ه
الصدقات ط اثيم ه عند ربهم ج يحزنون ه مومنين ه ورسوله اموالكم لان ما بعده مستانف او حال عامله معني الفعل في لام
التمليك ولا تظلمون ه ميسرة ط تعلمون ه لا تظلمون ه **التفسير الحكم الثاني** من الاحكام المذكورة في هذا الموضع
حكم الربوا وذلك ان بين الصدقة وبين الربا مناسبة التضاد وان الصدقة تنقيص ما امر بها والربا زيادة منهي عنها
وايضا لما امر بالانفاق من طيبات المكاسب وجب ان يردف بالكسب الحرام وهو الربا والحلال وهو البيع وما يناسبه من الدين
والرهن وغيرها فقال الذين يأكلون الربا اما الاكل فمنع جميع التصرفات الا انه عبر عن الشي بمعظم مقاصده وقد لعن رسول الله
صلي الله عليه وسلم اكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له وايضا نفس الربا لا يمكن ان يوكل ولكن يصرف الي
الماكول فيوكل فالمراد التصرف فيه والربا في اللغة الزيادة من ربا يربو ومن امالها فلمكان كسرة الراء وهو في المصاحف مكتوب
بالواو وانت مخير في كتابتها بالالف والواو وفي الكشاف كتبت بالواو علي لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت
الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربا قسمان ربا النسيئة وربا الفضل اما الاول فهو الذي كانوا يتعاطونه في الجاهلية
كانوا يدفعون المال مدة علي ان ياخذ وا كل شهر قدرا معينا ثم اذا حل الدين طالب المديون راس المال فان تعذر عليه الادا
زادوا في الحق والاجل واما ربا الفضل فان يباع من من الحنطة بمنوين مثلا والمروي عن ابن عباس انه كان لا يحرم الا القسم
الاول وكان يقول لا ربوا الا في النسيئة ويجوزه بالنقد فقال له ابو سعيد الخدري اشهدت ما لم نشهد اسمعت ما لم نسمع فروي

له الحديث المشهور في هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الاخذ والمعطي فيه سواء قال ابو سعيد لا ياويني واياك في ظل بيت ما دمت علي هذا فيروي انه رجع عنه قال محمد بن سيرين كنا في بيت ومعنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة اما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف برايي ثم بلغني ان رسول الله صلي الله عليه وسلم حرمه فاشهدوا اني قد حرمته وبرئت الي الله منه حجة ابن عباس ان قوله تعالى واحل الله البيع يتناول بيع الدرهم بالدرهمين نقدا وقوله وحرم الربا لا يتناوله لان كل زيادة ليست بمحرمة فوجب ان يبقى علي الحل ولا يخرج الا العقد المخصوص النسيئة كان يسمى فيما بينهم ربا وهو بينهم ربا وقد تاكد هذا الراي بما روي اسامة بن زيد ان النبي صلي الله عليه وسلم قال [illegible] الربا في النسيئة وفي رواية الا ربا الا فيما كان يدا بيد وذكر ابو المنهال انه سال البراء بن عازب وزيد بن ارقم فقالا كنا تاجرين علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فسالنا رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا باس وان كان نسيئة فلا يصلح واما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا علي حرمة الربا في القسمين اما النسيئة فبالقران واما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل علي حرمة الربا النقد في الاشياء الستة النقدان والمطعومات الاربعة ولا شك ان الربا انما ثبت فيها بمعنى فاذا عرف ذلك المعنى الحق بها ما يشاركها فيه اما الاشياء الاربعة فللشافعي في علة الربا فيها قولان الجديد ان العلة الطعم لما روي عن معمر بن عبد الله قال كنت اسمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل علق الحكم باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني والقديم ان العلة فيها الطعم مع الكيل او الوزن لما روي انه صلي الله عليه وسلم قال الذهب بالذهب وزنا بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا يثبت الربا في كل مطعوم مكيل او موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز وقال مالك العلة الاقتيات فكل ما هو قوت او يستصلح به القوت كالملح يجري فيه الربا وعند ابي حنيفة العلة الكيل حتى يثبت الربا في الجص والنورة وعن احمد روايتان كابي حنيفة والشافعي واما النقدان فعن بعض الاصحاب ان العلة فيهما لعينهما لا لعلة والمشهور ان العلة فيهما صلاحية الثمنية الغالبة فيشمل التبر والمضروب والحلي والاواني المتخذة منها ولا يتعدى الحكم الي الفلوس علي الاصح وان راجت رواج الذهب والفضة لانتفاء العلة وقال احمد وابو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الي كل موزون كالحديد والرصاص فهذا ضبط المذاهب وتعاريفها الي الفقه واما السبب في تحريم الربا فهو ان بيع الدرهم بالدرهمين نقدا او نسيئا يحصل له زيادة درهم من غير عوض واخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله صلي الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه وابقاء راس المال في يده مدة مديدة وتمكينه من ان يتجر فيه وينتفع امر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل واخذ الدرهم الزائد متيقن وتفويت المتيقن لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا او نسيئا اعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقيل لما يفضي الي انقطاع المعروف بين الناس من القراض ولانه تمكين للغني من ان ياخذ مالا زائدا من الفقير وقيل ان حرمة الربا قد ثبتت بالنص ولا يجب ان تكون حكمة كل تكليف معلومة لنا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس التخبط الضرب علي غير استواء ومنه خبط العشواء ويخبط الشيطان قيل من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع وورد علي ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس اي مسه الجني فاختلط عقله وكذا جن الرجل ضربته الجن وهذا ايضا من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا ارادوا تقبيح شيء ان يضيفوه الي الشيطان كما في قوله تعالى طلعها كانه رؤوس الشياطين فورد القران الي ذلك وقيل ان الشيطان يمسه بالوسوسة المؤذية التي تحدث عندها الفزع فيصرع كما يفزع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وارباب الحزم والثبات [illegible] المسلمين علي ان الشيطان لا يبعد ان يكون قويا علي الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تعالى وللمفسرين في الاية قولان الاول ان اكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقوله من المس متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة

يريد

يريد اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا اكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فارباه الله في بطونهم فاثقلهم وقيل انه ماخوذ من قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وذلك ان الشيطان يدعوه الي الهوى والملك يجره الي التقوى فيقع هناك حركات مضطربة وافعال مختلفة وهو الخبط فاذا مات اكل الربا علي ذلك اورثته الخبط في الاخرة واوقعه في ذلك الحجاب بينه وبين الله تعالى ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع والا كان حق النظم في الظاهر ان يعكس فيقال انما الربا مثل البيع لان الكلام في الربا لا في البيع ومن حق القياس ان يشبه محل الخلاف بمحل الوفاق ثم انهم كانوا يقولون في تحليل الربا علي هذه الشبهة وهي ان من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا او نسيئة فهذا حلال فكذا اذا اعطى العشرة باحد عشر لا فرق بين الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والمبايعات انما شرعت لدفع الحاجات ولعل الانسان يكون صفر اليد في الحال ويحصل له اموال كثيرة في المال فاعطاء الزيادة عند وجدان المال اسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل وجدان المال فاجاب الله تعالى عنها بحرف واحد وهو قوله واحل الله البيع وحرم الربا وحاصله انكار التسوية وان النص لا يعارض بالقياس فان ذلك من عمل ابليس امره الله تعالى بالسجود فعارض النص بالقياس فقال انا خير منه ثم ظاهر الاية تدل علي ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربا دون الاقدام علي اكله مع اعتقاد التحريم وعلي هذا التقدير لا يثبت بهذه الاية كون اكل الربا من الكبائر فيجب تاويل مقدمة الاية بان المراد من اكلهم الربا استطابته واستحلاله كما يقال فلان ياكل مال الله قضما وخضما اي يستحل التصرف فيه الا ان جمهور المفسرين حملوا الاية علي وعيد من يتصرف في مال الربا لا علي وعيد من يستحل هذا العقد وقيل يحتمل ان يكون قوله واحل الله البيع وحرم الربا من تمام كلام الكفار علي سبيل الاستبعاد واكثر المفسرين علي خلافه لانه لو جعله من كلام الكفار لا يتم الا باضمار وهو ان يحمل ذلك علي الاستفهام بطريق الانكار او علي الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف الاصل وايضا لو كان من تمام كلامهم فلم يكشف الله تعالى عن فساد شبهتهم فلم يكن قوله بعد ذلك فمن جاءه موعظة لائقا بالمقام وايضا المسلمين لم يزالوا متمسكين في البيع بهذه الاية ولو انهم علموا ذلك كلام الكفار لا كلام الله لم يصح منهم الاستدلال بها وفيها بحث للشافعي رضي الله عنه وهو ان الاية من المجملات التي لا يجوز التمسك بها بناء علي ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم ولعل فيه الا تعريف الماهية فيكتفي في العمل به بثبوت صورة واحدة ولو سلم افادته العموم فلا شك ان افادته اضعف ما هو وقيل ما احل الله البياعات بلفظ ومع ذلك فقد تطرق اليه تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط ومع هذا العموم لا يليق بكلام الله لانه قريب من الكذب نعم اطلاق اللفظ المستغرق علي الاغلب عرف مشهور وايضا روي ان عمر قال خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم من الدنيا وما سالناه عن الربا ولو كان هذا اللفظ مفيدا للعموم لم يقل ذلك وايضا قوله واحل الله البيع يقتضي ان يكون كل بيع حلالا وقوله وحرم الربا يقتضي ان يكون كل بيع حراما لان الربا هو الزيادة ولا بيع الا ويقصد به الزيادة واذا تعارضا تساقطا ووجب الرجوع الي بيان النبي صلي الله عليه وسلم فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من ربه فانتهى امتنع من استحلال الربا واتبع النهي فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف عن الزجاج والتنوين في موعظة للتعظيم او للتقليل اي موعظة بليغة او اي شيء من المواعظ وقيل النهي الناسخ كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف ذنبا فالمراد ما اكل له من الربا وليس عليه رد ما سلف عن السلف المتقدم ومنه الامم السالفة وسلافة الخمر صفوتها لانه اول ما يخرج من عصيرها وامره الي الله لانه ان انتهى عن اكل الربا كما انتهى عن استحلاله فهو المتقرب الي الله العامل بتكليفه فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن عاد الي استحلال الربا وانه مثل البيع فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا واما القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الي اكل الربا ثم انه لما بالغ في الزجر عن الربا وكان قد بالغ في الاي السالفة في الحث علي الصدقات والمحق نقص الشيء حالا بعد حال ومنه محاق القمر فكان من محق الربا واربا الصدقات اما في الدنيا واما في الاخرة وذلك ان الغالب في المرابي وان كثر ماله ان يؤول عاقبته الي الفقر ويزول البركة عن ماله عن ابن مسعود ان النبي صلي الله عليه وسلم

قال الربوا وان كثر الي اقل وذلك لدعاء الناس عليه وبغضهم اياه لسقوط عدالته وشهرته بالفسق والعدوان وربما
يطمع الظلمة في ماله ظنا منهم ان المال في الحقيقة ليس له وعن ابن عباس في تفسير هذا المحق ان الله لا يقبل منه
صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ثم ان مال الربوا لا يبقى عند الموت ويبقى التبعة عليه وقد ثبت في الحديث ان الاغنيا يدخلون
الجنة بعد الفقرا بخمسمائة عام هذا حال الغني من الحلال فكيف حال الغني من الحرام المقطوع بحرمته قال القفال نظير
قوله يمحق الله الربوا المثل الذي ضربه فيما تقدم كمثل صفوان عليه تراب ونظير قوله ويربي الصدقات المثل الاخر
كمثل جنة بربوة كمثل حبة انبتت سبع سنابل عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقات
ولا يقبل منها الا الطيب وياخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم مهره او فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وايضا
المتصدق يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل وتميل القلوب اليه وينقطع الاطماع عنه متى اشتهر منه انه مستمر
لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء فتبين ان الربوا وان كان زيادة في المال الا انه نقصان في المال والصدقة
وان كان نقصانا في الحال الا انها زيادة في الاستقبال فعلى العاقل ان لا يلتفت الي ما يقضي به الحس والطبع
ويعول على ما ندب اليه العقل والشرع والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر ومعناه المقيم على ذلك المصر
المراد له كبارا في الحال الاثيم فعيل بمعني فاعل وهو ايضا للمبالغة في الاستمرار وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربوا
فيكون جاحدا ووجه اخر وهو ان يكون الكفار عائدا الي المستحل والاثيم الي الاكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل ان يعود كلاهما
الي اكل الربوا ويكون تغليظا في امر الربا وايذانا بانه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفي الاية دلالة على ان الله تعالى
سيفت بحته عضبه بيانه انه لم يبق المحبة الا عن الجامع بين الاصرار على الكفر وبين المواظبة على سائر الاثام كالربوا
فان استحلاله كفر وهو في نفسه اثم مذموم في جميع الاديان لانه سلب مال المحتاج بنوع من الاكراه والالجاء فتبقى
الاية ساكتة عن جمع بين الامرين لا على سبيل الاصرار والمواظبة وعن الذي لم يجمع بينهما نعم قد عرف بدليل اخر
ان الكفار الذي لم يواظب على سائر الاثام لا يناله محبة الله تعالى وذلك لا ينافي السكت عن حاله ههنا والله اعلم
ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب على عادته من ذكر الوعد مع الوعيد فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية فاحتج به
من قال العمل الصالح خارج عن مسمي الايمان كما مر واجيب بانه قال في الاية واقاموا الصلوة واتوا الزكوة من
الاعمال الصالحة وورد بان الاصل حمل كل لفظ على فائدة جديدة ترك العمل به عند التعذر فيبقى في غيره على الاصل
لهم اجرهم عند ربهم لم يقل على ربهم لان الاول يجري مجرى ما اذا باع بالنقد وذلك النقد حاضر متى شاء البايع
اخذه والثاني جار مجرى البيع في الذمة نسيئة ولا شك ان الاول افضل ولا خوف عليهم عن ابن عباس اي فيما
يستقبلهم من احوال القيمة ولا هم يحزنون بسبب ما تركوه في الدنيا فان المنتقل من حال الي حال اخرى فوقها ربما
يتحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة وان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة فبين الله تعالى ان هذا
القدر من الندامة لا يلحق اهل الثواب والكرامة وقال الاصم لا خوف عليهم من عذاب يومئذ ولا هم يحزنون بسبب
انهم فاتهم النعيم الزايد الذي حصل لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة في الاخرة وايضا انهم لا يحزنون بسبب انه لم يصدر
منا طاعة ابدا ما قصدوا حتى صاروا مستحقين لثواب ابد ما وجدنا لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة وههنا سؤال
وهو ان المراة اذا بلغت عارفة بالله فكما بلغت حاضت وعند انقطاع حيضها ماتت او الرجل بلغ عارفا بالله وقبل ان يجب
عليه الصلاة او الزكوة مات فهما بالاتفاق من اهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف وقف الله تعالى ههنا
الاجر على حصول الاعمال والجواب ان الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت الاية على ان كل مومن عمل كذا
فله الاجر فلا يلزم العكس الكلي ثم انه تعالى لما بين ان من انتهي عن الربوا فله ما سلف كان يجوز ان يظن انه لا فرق
بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا فانه يحرم
اخذ بقي من الربا في ذمتهم فان قيل كيف قال يا ايها الذين امنوا ثم قال في اخره ان كنتم مومنين فالجواب ان تقال
ان كنت اخي فاكرمني معناه ان من كان اخا اكرم اخاه او معناه ان كنتم مومنين فان كنتم تريدون استدامة الحكم
لكم بالايمان او يا ايها الذين امنوا بلسانكم ذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مومنين بقلوبكم قال القاضي وفيه
دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير مومنا بالاطلاق متي يجتنب كل الكبائر ه

واجيب بان المراد ان كنتم عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان ولما
شدد الله تعالى في ذلك لان المنتظر لحلول الاجل اذا حضر الوقت وظن نفسه على ان تلك الزيادة قد حصلت عنه فتطامه
منها تكون تشديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون باتقاء ما نهي عنه وهذه الاية اصل كبير في احكام
الكفار اذا اسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى ولا ينقض ولا يفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام
فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز في الاسلام فهو عفو لا يتعقب وان كان النكاح وقع على مهر حرام فقبضته
المراة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمي وهذا مذهب الشافعي واما سبب نزول الاية
فعن ابن عباس بلغنا والله اعلم انها نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف وفي بني المغيرة من بني مخزوم كانت بنو
المغيرة يربون لثقيف فلما اظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله فاتي بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة الي
عتاب بن اسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة ما جعلنا اشقى الناس بالربوا وضع عن الناس غيرنا فقال بنو
عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والتي بعدها
فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقال عطا وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان
وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر لا يبقي لي ما يكفي عيالي ان انتما اخذتما حقكما كله فهل
لكما ان تاخذا النصف وتوخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلب الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى
فنهاهما ونزلت الاية فسمعا واطاعا واخذا روس اموالهما وقال السدي نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا
شريكين في الجاهلية يسلفان في الربوا فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا فانزل الله تعالى هذه الاية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم الا ان كل ربوا من ربا الجاهلية موضوع واول ربوا اضعه ربا العباس ابن عبد المطلب
فان لم تفعلوا قيل خطاب مع الكفار المستحلين الربوا ومعني قوله ان كنتم مومنين معترفين بتحريم الربوا فان لم تفعلوا
اي فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فاذنوا ومن ذهب الي هذا القول قال فيه دليل على ان من كفر بشريعة واحدة
من شرايع الاسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرايعه وعلى هذا انما لم يكون قبالا للمسلمين وخطاب
مع المومنين المصرين على معاملة الربوا لانه خطاب مع قوم تقدم ذكرهم وما هم الا المخاطبون بقوله يا ايها الذين
امنوا ومعنى قوله فاذنوا عند من جعله من الايذان اعلموا من لم ينته من الربوا بحرب من الله فالمفعول محذوف
واذا امروا باعلام غيرهم فهم ايضا قد علموا ذلك لكن ليس في علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهذه القراءة في
الابلاغ اكد ومن قرا فاذنوا من اذن بالشي اذا علم به اي كونوا على اذن وعلم فان قيل كيف امر بالمحاربة
مع المسلمين قلنا هذه اللفظة قد تطلق على من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله
وقد جعل كثير من المفسرين والفقها قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اصلا في قطاع الطريق من
المسلمين فثبت ان ذكر هذا النوع من التهديد مع المسلمين وارد في كتاب الله وسنة رسول الله ثم التفصيل
فيه ان المصر على عمل الربا ان كان شخصا قدر الامام عليه قبض عليه واجرى عليه حكم الله من التعزير والحبس
الي ان يظهر منه التوبة وان كان له عسكر وشوكة حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب ابو بكر
رضي الله عنه مانعي الزكوة وكذا القول لو اجمعوا على ترك الاذان وتركه دفن الموتى فانه يفعل بهم ما ذكرناه وان
تبتم من استحلال الربا او عن معاملات الربا فلكم روس اموالكم لا تظلمون الغريم بطلب زيادة على راس المال
ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو اعسار على ان كان هي
التي تسمي تامة بمعنى وجد الشي وحدث في نفسه لا بمعنى وجدت موصوفية بشي فانها حينئذ تكون ناقصة
تحتاج الي الخبر وقرا عثمان ذا عسرة بمعنى وان كان الغريم او المشتري ذا عسرة والقراءة المشهورة اولى
كيلا يكون النظرة مقصورة على الغريم المشتري بل تعمه وغيره من ارباب العسرة وهي اسم من الاعسار وهو
تعذر الموجود من المال والنظرة التاخير والامهال وفي الاية حذف والتقدير فالحكم او فالامر نظرة وقري
فنظرة بسكون الظاء وقرا عطا فناظرة على الامر اي سامحة بالانظار وناظرة اي صاحب الحق مستنظرة اوذو

نظرته مثل مكان عاشب اي ذو عشب والميسرة اليسار ضد الاعسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومن قرا بالاضافة
الي الضمير فقد حذف التاء كقوله واقام الصلوة واختلفوا في ان حكم الانظار مختص بالربوا او عام في الكل عن ابن عباس
وشريح والضحاك والسدي وابراهيم الاية في الربوا قال الكلبي قال بنو عمرو لبني المغيرة هاتوا رؤس اموالكم ولكم الربا ندعه
لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم اهل عسرة فاخرونا الي ان ندرك الثمرة فابوا ان يؤخروهم فنزلت وان كان ذو عسرة وعن
مجاهد وساير المفسرين انها عامة في كل دين ولهذا وان كان تامة ولو فرض ان سبب النزول خاص فلابد من الحاق
ساير الصور به لان العاجز عن اداء المال لا يجوز تكليفه به وهو قول اكثر الفقهاء كمالك وابي حنيفة والشافعي والاعسار
في الشرع هو ان لا يجد في ملكه ما يؤدي به بعينه ولا يكون له ما لو باعه لامكن اداء الدين من ثمنه فمن وجد دارا او
ثوبا لا يعد من ذوي العسرة اذا امكن بيعها واداء ثمنها ولا يجوز له ان يحبس الا قوت يومه لنفسه ولعياله ولمن لابد
لهم من كسوة لصلوتهم ودفع الحر والبرد عنهم فهل يلزمه ان يوجر نفسه من صاحب الدين او غيره الاصح انه لا يلزمه
وكذا لو بذل غيره له ما يؤدي به ما يلزمه لم يقبل فاما من له بضاعة كسدت عليه فواجب عليه ان يبيعها بالنقصان
ان لم يمكن الا ذلك واذا علم الانسان ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وان يطالبه بما له عليه ووجب الانظار الي
وقت اليسار فاما ان كان له ريبة في اعساره جاز ان يحبسه الي ظهور الاعسار واذا ادعى الاعسار وكذبه الغريم
فان كان الدين الذي لزمه حصل له عن عوض كالبيع والقرض فلابد له من اقامة شاهدين عدلين على ان ذلك
العوض قد هلك وان لم يكن عن عوض كالاتلاف وضمان وصداق فالقول قوله وعلى الغريم البينة لان الاصل هو
الفقر وان تصدقوا اي على المعسر بما عليه من الدين يدل على ذلك ذكر المعسر وذكر راس المال خير لكم لحصول الثناء
الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى ان كنتم تعلمون ان هذا التصدق خير لكم فتعلموا انه جعل من لا يعمل به
وان علمه كانه لا يعلمه او تعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض بعده او تعلمون ان ما يامركم به ربكم اصلح
لكم وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة
وضعف بان الانظار ثبت وجوبه بالاية الاولى فلا بد من فائدة جديدة ولان قوله خير لكم انما يليق بالمندوب
لا بالواجب ثم ان المعاملين بالربوا كانوا اصحاب شرف وجلالة واعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا الي مزيد
زجر ووعيد فلا جرم ذيل خاتم احكام بقوله واتقوا يوما والمراد اتقوا ما يحدث فيه من الشدائد والاهوال واتقاء
ذلك لا يمكن الا باجتناب المعاصي وفعل الاوامر في الدنيا فهذا القول يتضمن الاتيان بجميع التكاليف وانتصب
يوما على انه مفعول به والمعنى تاهبوا بما تسلفون من العمل الصالح للقاء يوم ترجعون فيه الى الله والي ما اعد
لكم من ثواب او عقاب او الي علمه وحفظه وذلك ان الانسان له احوال ثلث على الترتيب الاولى كونه جنينا
لا يملك نفعا فلا يتصرف فيه الا الله الثانية خروجه الي فضاء وهناك يرى للابوين ولغيرهما تصرف فيه ظاهرا
الثالثة ما بعد الموت وهنالك لا يكون التصرف فيه ظاهرا وفي الحقيقة الا الله تعالى فكانه عاد الي الحالة الاولى
وهذا معنى الرجوع الي الله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي جزاء ذلك فالمكتسب هو الجزاء كما يقال كسب الرجل لما
يحصل بتجارته والمراد ان كل مكلف فانه يصل اليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الي الله تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقايل يقول كيف يليق باكرم الاكرمين ايصال العذاب الي عبيده
الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون بل العبد هو الذي اوقع نفسه في تلك الورطة لان الله تعالى مكنه وازاح عذره
وسهل طريق الاستدلال عليه وامهله هذا على اصول المعتزلة واما على اصول الاصحاب فهي اشارة الي انه تعالى
مالك الملوك وخالق الخلائق والمالك اذا تصرف في ملكه كيف يشاء واراد لم يكن ظلما عن ابن عباس انها اخر اية
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها على راس المائتين والثمانين من
البقرة وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وثمانين يوما وقيل احدا وعشرين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث
ساعات والله اعلم بحقيقة الحال **التاويل** اخبر عن حرص اهل الدنيا وهم اكلة الربا بعد ذكر قناعة اهل
العقبى فقال اكل الربا كمثل من له جوع الكلب ياكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم الا كما يقوم المصروع
لانه كلما قام صرعه ثقل بطنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم

الا اكلة الخضر فانها اكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فمن اخذه بحقه
نعم المعونة هو ومن اخذه بغير حقه كان الذي ياكل ولا يشبع وفي الحديث احدهما للمفرط بحيث يفضي به الي الهلاك في الدنيا
والعقبى في جميع الدنيا واشار اليه بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم وذلك ان الربيع ينبت احرار البقول فيستكثر منها
الماشية لاستطابتها اياها حتى تنتفخ بطونها حتى تجاوزت بها حد الاعتدال فتنشق امعاؤها فتهلك او يقارب الهلاك والثاني
للمقتصد وذلك قوله الا اكلة الخضر وذلك ان الخضر ليست من احرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي
امطاره ولكنها من كلاء الصيف التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى الماشية
تكثر منها وهو مثل التاجر الذي يكتسب المال بطريق البيع والشرى ويؤدي حقه وان كان له حرص في الطلب والجمع
ولكن لما كان باسم الشرع وطريق الحل ما اضره واحل الله البيع وحرم الربوا يعني كيف يكون ما ازاله نور الامر ظلمة
ارتكاب المنهي فمرتكب الربوا في ظلمات ثلث ظلمة الحرص وظلمة الدنيا وظلمة المعصية وامره الي الله يرزقه من
حيث لا يحتسب والله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع واوامره اثيم عامل بالطبع مقيم في ظلمة اصراره ثم اخبر عن
العاملين بالشرع الخارجين بالطبع الذين امنوا ايمان التصديق بالتحقيق مقرونا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة اتباع
الهوى باقامة الصلوة وعاملوا ظلمة الركون الي الدنيا بانوار ايتاء الزكوة فجذبتهم العناية من حضيض العبدية
الي ذروة العندية لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من الرجوع الي ظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون لفوات
انوار الشريعة ثم اخبر عن اهل الايمان المجازي فقال يا ايها الذين امنوا باللسان اتقوا الله اي بالله كما جاء كنا
اذا احمر الباس اتقينا الله وبرسول الله اي جعلناه قدامنا ومن شرط الحقيقي اتقاؤه بالله في ترك الربا ذات
كما قال صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقي من الربا اتركوا ما سوى الله في طلبه
ان كنتم مؤمنين ايمانا حقيقيا فان لم تفعلوا لم تتركوا اكل الزيادة فتفعلكم فاذنوا بحرب من الله ورسوله ببعدكم منهما
وبغضه وان تبتم فلكم رؤس اموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة يحبهم ويحبونه
لا تظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون بوضع محبتكم في غير موضعها وان كان ذو عسرة
لم يصل اليه ما اعد لاجله عاجلا فنظرة الي ميسرة وهو وقت وصوله اليه اجلا وان تصدقوا تبذلوا انفسكم ما تتمنون
من صنوف برنا في الدنيا والعقبى على قدر همتكم فهو خير لكم لانا نجازيكم على قدر مواهبنا ان كنتم تعلمون قدرها
ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين ثم انه سبحانه كما جمع
القران خلاصة الكتب السماوية جمع في خاتمة الوحي خلاصة اي القران فقال واتقوا يوما الاية وذلك ان فاتحة جميع
الكتب راجعة الي معنيين النجاة من الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق
المذمومة وحجب الاوصاف وحجاب النفس والفوز بالدرجات وهي ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات
والاخلاق المحمودة والفناء عن انانيته والبقاء بهويته فقوله واتقوا شامل لما يتعلق بالسعي الانساني من هذه
المعاني لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بسبب الاستقامة
بشرايط جاهدوا فينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن
الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من هاهنا تقوى الخاص تخرجهم جذبات لنهدينهم سبلنا من حجب اوصافهم
الي درجة تجلي صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فيستنشقون نسيم مواهب اذ يغشى
السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى الخاص فتخرجه العناية بجذبات ما زاغ البصر وما طغى من سدرة منتهى الارواح
الي قاب قوسين نهاية حجاب النفس وبداية انوار القدس وهنالك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام او ادنى
ترجعون فيه الي الله لان مبدا وجود كل النفخة واخرجاك الجذبة وبها اصطفى ادم وكرمه بنبيه ولهذا لم يقل ولقد
كرمنا اولاد ادم لان اهل الكرامة منهم من هو يوصف الرجال دون النساء رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو
من النساء في الحقيقة وفي هذا الرجوع وعد وبشارة للاولياء ووعيد وانذار للاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت فمنه
من انه في العبودية والتقوى يهتدي الي مقامات القرب من المولى وتحسب فنائه عن حجاب نفسه يبقى ببقاء ذاته

وهو بنيه وهم لا يظلمون فان دخول النور في البيت وخروج الظلمة منه انما يكون على مقدار سعة فتح الروزنة وضيقه ولا يظلم الشمس
عليه مثقال ذرة فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى

يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه ط وليكتب بينكم
كاتب بالعدل ص ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب ج وليملل الذي
عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ط فان كان الذي عليه الحق سفيها
او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل ط واستشهدوا شهيدين
من رجالكم ج فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء
ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ط ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ط ولا تسئموا
ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ط ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى
الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها ط
واشهدوا اذا تبايعتم ص ولا يضار كاتب ولا شهيد ط وان تفعلوا فانه فسوق بكم ط
واتقوا الله ط ويعلمكم الله ط والله بكل شيء عليم ه وان كنتم على سفر ولم تجدوا
كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله
ربه ط ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه ط والله بما تعملون عليم ع

القراءة ان يمل هو بسكون الهاء قتيبة والحلواني عن قالون الباقون بالضم على الاصل ان تضل بكسر الهمزة
حمزة والمفضل الباقون بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد والرفع حمزة وحده فتذكر بالرفع من الاذكار
ابو زيد عن المفضل فتذكر من الاذكار وبالنصب ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون
فتذكر بالتشديد والنصب تجارة حاضرة بالنصب وفيها عاصم الباقون بالرفع فرهن بضم الراء والهاء ابن كثير وابو
عمرو الباقون فرهان **الوقوف** فاكتبوه ط للعدول بالعدل لعطف المتفقين فليكتب ج شيئا ط بالعدل ط من رجالكم ج للشرط
مع فاء التعقيب الاخرى ط دعوا ط للعدول اجله ط الا تكتبوها ط لابتداء الامر تبايعتم ص لعطف المتفقين ولا شهيد ط
بكم ط واتقوا الله ط ويعلمكم الله ط عليم ه مقبوضة ط لابتداء شرط واستئناف معنى امن به للعدول الشهادة ط قلبه ط
عليم ه **التفسير الحكم الثالث** المداينة وسبب النظم ان الحكمين المتقدمين وهما الانفاق وترك الربوا كانا
سببين لنقصان المال فارشد الله تعالى في هذه الاية بكمال رأفته الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن التلف
والبوار ورعاية وجوه الاحتياط فان مصالح المعاش والمعاد متوقفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ في الوصاية

والطلب

والطلب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الربوا اباح السلف وانزل فيه اطول اية ولهذا قيل بعض العلماء الا لذة
ولا منفعة يتوصل اليها بالطريق الحرام الا وقد جعل الله سبحانه وتعالى للتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل
من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا والمراد اذا تعاملتم بما فيه دين وذلك ان البياعات على اربعة اوجه
الاول بيع العين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت الاية واما القرض فلا يدخل فيه لانه غير البيع لغة فان
الدين يجوز الاجل والفائدة في قوله بدين تخليصه من التداين بمعنى المجازاة او التاكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه او
ليحمل اي دين كان صغيرا او كبيرا او غيرهما وفي الكشاف فائدته رجوع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان
يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فانهما لمطابقته لم تقل كما اذا تبايعتم
ليكون نصا في العموم ليكون الكلية تفهم من بيان العلة في قوله ذلكم اقسط عند الله فان العلة قائمة في الكل فيكون
الحكم حاصلا في الكل او نقول العلة هي التداين والعلة لا تنفك عنها معلولها فيكون القضية كلية كما في قوله اذا
قمتم الى الصلوة فاغسلوا والاجل وقت الشيء ومنه اجل الانسان المدة عمره وفائدة قوله مسمى ان يعلم ان حق الاجل
ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد او الى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية
ثم انه تعالى امر في المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كل من المتداينين اوثق وامن من النسيان والتفاوت
والتخالف في مقدار الدين وفي انقضاء الاجل وفي سائر ما تشارطا عليه وهذا الامر قيل للوجوب وهو مذهب عطا
وابن جريج والنخعي وجمهور المتقدمين على انه للندب لاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاثمان المؤجلة من غير
كتبة ولا اشهاد ولان في ايجابها حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي
اؤتمن امانته وهذا مذهب الحسن والشعبي والحكم بن عيينة اما المخاطب بقوله فاكتبوه فليس كل احد لوجود
امين ليتدين في الدنيا بل من له استعمال الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب وليس ذلك ايضا على الاطلاق
ولكنه يجب ان يكون الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يخص احدهما
بالاحتياط دون الاخر ويحترز عن الالفاظ المجملة التي يقع النزاع في المراد منها وهذا بالحقيقة امر للمتداينين بتخير
الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها اديبا دينا قال بعض الفقهاء العدل ان يكون ما يكتبه متفقا عليه بين المجتهدين
ولا يكون بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى
التنكير في كاتب ان يكتب وقوله كما علمه الله اي اما ان يكون متعلقا بما قبله فالتقدير ولا يأب كاتب ان
يكتب مثل ما علمه الله تعالى فيقع قوله بعد ذلك فليكتب تاكيدا للاول اي فليكتب تلك الكتابة التي علمه
الله تعالى اياها او بما بعده فيكون الاول نهيا عن الامتناع مطلقا والثاني امرا بالكتابة المقيدة والمطلق ولا دلالة
له على المقيد فلا يكون الثاني تاكيدا للاول وانما يكون بيانا له ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب
انما هو على سبيل الارشاد والاولى تحصيلا لحاجة المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله واحسن
كما احسن الله اليك وقيل انه على سبيل الايجاب ولكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وعن
الشعبي انه فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتبة عليه وان وجد اشخاصا فالواجب كتبة
احدهم وقيل متعلق الايجاب وهو ان يكتب كما علمه الله يعني انه بتقدير ان يكتب كما علمه الله وان لا يخل بشرط من الشروط
كيلا يضيع مال المسلم باهماله واعلم ان الكتابة بعد حصول الكاتب العارف بشروط الصكوك في السجلات لا تتم الا باملاء من
عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته واجله الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي
عليه الحق والاملال والاملاء لغتان قال الفراء امللت عليه الكتاب لغة الحجاز وبني اسد وامليت لغة بني تميم
وقيس وقد نطق القران بهما قال فهي تملى عليه بكرة واصيلا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا امر ان هذا
المملي الذي عليه الحق ان يقر بتمام المال الذي عليه ولا ينقص منه شيئا والبخس النقص فان كان الذي عليه
الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف عقدته او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان
يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولي الذي عليه الحق
الذي امره ويقوم بمصالحه من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه

وهو يصدقه وفايدة توكيد المتصل بالمنفصل في قوله ان يمل هو انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي
يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع ان الضمير في وليه عايد الى الدين اي الذي له الدين ليملل فيه وينبه
بعد لان قول المدعي كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فاي حاجة الى الكتبة والاشهاد ثم المقصود من الكتابة هو
الاستشهاد ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل الحق ان جحد فلهذا قال تعالى واستشهدوا اي اشهدوا والاشهاد
والاستشهاد بمعنى لان معنى استشهدته سالته ان يشهد شهيدين اي شاهدين وفعيل بمعنى فاعل واطلاق
الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيلا لما يشارف منزلة الكاين ومعنى قوله من رجالكم اي من رجال اهل ملتكم
وهم المسلمون وقيل يعني الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من اهل العدالة فان لم يكونا اي
الشهيدان رجلين فرجل وامراتان اي فليكن او فليشهد او فالشاهد رجل وامراتان يشهدون وجميع هذه التقديرات
جايز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء فيه دليل على انه ليس كل احد صالحا للشهادة والفقها قالوا
شرايط قبول الشهادة ان يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه
ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة
وعن علي عليه السلام لا تجوز شهادة العبد في شي وبه قال الشافعي وابو حنيفة وذلك لانه تعالى قال ولا ياب الشهداء
اذا ما دعوا والاجماع منعقد الا ان العبد لا يجب عليه الذهاب بل يحرم عليه ذلك اذا لم ياذن له السيد فعلم منه ان العبد
لا يجوز ان يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين واحمد يجوز شهادة العبيد قالوا لان العقل والعدالة والدين لا تختلف
بالحرية والرق وعند ابي حنيفة يجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل ان تضل ان لا تهتدي احدهما
للشهادة بان بنسيها لغلبة البرد والرطوبة على امزجتهن اما احدى النفسين فان الانسان لا يخلو من النسيان فتذكر
احديهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل قال في الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مراد الله قلت
لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الاخر لالتباسهما
واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار كانه قيل ارادة ان يذكر احديهما الاخرى ان ضلت
ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحايط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وفي التفسير الكبير ان
ههنا غرضين احدهما الاشهاد وذلك لا يتاتى الا بتذكر احدى المراتين الثانية والثاني ان تفضيل الرجل على المراة حتى
تبين ان اقامة المراتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية وذلك لا يتاتى الا بضلال احدى المراتين فلهذا
صار كل من الغرضين صحيحا ولا محذور ومن قرا بكسر ان على الشرط والجزاء فلا اشكال وروي عن سفيان بن عيينة
انه قال فتذكر معناه فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف
واعلم ان الشهادة خبر قاطع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد او دع وقد يقام الظن المؤكد مقام
اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد لا يكفي للحكم به الا في هلال رمضان كما مر ولا يحتاج الى مزيد بل لا بد من اثنين
الا في الزنا كقوله تعالى لم ياتوا باربعة شهدا وقال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولا يعتبر فيه شهادة النساء لما روي
عن الزهري انه قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده الا تقبل شهادة النساء في الحدود
وعن هلال رمضان والزنا اما عقوبة او غيرها فاما ان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين لما مر من حديث الزهري
يستوي فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق وحق العباد كالقصاص والقذف واما غير العقوبة فما ليس
بمال ولا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال كالنكاح والرجعة والطلاق والعتاق والاسلام والردة والبلوغ
والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص وكل ذلك لا يثبت الا برجلين ايضا وان كان مما يختص
بمعرفته النساء غالبا فيقبل فيه شهادتهن على انفرادهن لما روي عن الزهري انه قال مضت السنة انه يجوز شهادة
النساء في كل شي لا يليه غيرهن وذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المراة من
برص وغيره تحت الازار ولا يثبت في شي باقل من اربع نسوة تنزيلا لاثنتين منهن منزلة رجل وما يثبت بهن
يثبت برجل وامراتين وبرجلين بالطريق الاولى واما ما هو مال او يقصد به المال كالاعيان والديون والعقود المالية من
البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح فيثبت بشهادة رجل وامراتين

شهادة رجلين ونص القران منزل على هذا القسم والذي قبله وحجة الشافعي القضاء بالشاهد واليمين لما روي انه
صلى الله عليه وسلم قضى بالشاهد واليمين وانكره ابو حنيفة ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا ما زايدة مبهمة اذ ادعوا فقيل
اي الى اداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق اليها وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال قال كما امر
الكاتب ان لا ياب الكتابة امر الشاهد ان لا ياب تحمل الشهادة وقيل امر بالتحمل اذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الامرين
التحمل اولا والاداء ثانيا والقول الاول اصح لانه اطلق عليهم لفظ الشهداء والاصل في الاطلاق الحقيقة وتسميتهم قبل
التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا لضرورة وايضا التحمل غير واجب على الكل بخلاف الاداء بعد التحمل وايضا الامر بالشهادة يقتضي
الامر بتحمل الشهادة فكان تصريف قوله ولا ياب الشهداء الى الامر بالاداء اولى ليفيد فايدة جديدة وهي ان الشاهد اذا كان
متعينا وجب عليه اداء الشهادة وان كان فيهم كثرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تساموا ولا تضجروا ولا تملوا
ان تكتبوه اي الدين او الحق لتقدم ذكرهما على اي حال كان الحق صغيرا او كبيرا اما جرت العادة بكتبه لا كالحبة والقيراط
فان القليل من المال ربما افضى الى نزاع كثير وانما نهى عن السامة لانها من الكسل والكسل صفة المنافق وايضا من كثرة
مداياناته ما احتاج ان يكتب لكل دين صغيرا كان او كبيرا كتابا فربما مل كثرة الكتب فاقتضى المقام ترغيبه
والنهاية ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان يكتبوه مختصرا او مشبعا ولا يخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي
اتفقا على تسميته ذلكم الكتب او ذلكم الذي ذكر لكم من الكتب والاشهاد اقسط عند الله واقوم للشهادة
اعون على اقامة الشهادة وهو اما من اقسط فاقام فيكون محمولا على قولهم افلس من ابن المذلق واما من قويم
وقاسط بمعنى ذو قسط على غير طريقة النسب والا فالقاسط الجاير ولا يصح ذلك المعنى ههنا يقال قسط اذا
جار واقسط اي عدل وادنى الا ترتابوا اقرب من انتفاء الريب رتب الله تعالى على الكتبة والاشهاد ثلاث فوايد
الاولى يتعلق بالدين لانه اذا كان مكتوبا كان الى اليقين اقرب وعن الجهل ابعد فيكون اعدل عند الله الثانية
تتعلق بالدنيا وهو كونه ابلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج واعون للحفظ والذكر الثالثة انه يدفع الضرر
عن نفسه بان لا يضل في اموره ولا يتردد على غيره بان لا ينسبه الى الكذب والخيانة فلا يقع في الغيبة والجهالة في
امن هذه الفوايد وما دخلها في الضبط والترتيب الا ان تكون تجارة حاضرة هو راجع الى قوله اذا تداينتم بدين
الى اجل مسمى فاكتبوه فان البيع بالدين قد يكون الى اجل قريب وقد يكون الى بعيد فاستثنى عن المداينة ما
يكون اجله قريبا ويحتمل ان يكون استثناء من قوله ولا تساموا ان تكتبوه وقد يقال انه استثناء منقطع والتقدير لكنه
اذا كانت التجارة حاضرة فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستانفا على سبيل الاضراب عن الاول والتجارة تصرف في المال
لطلب الربح فسوق كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة فاذن المراد بالتجارة ههنا ما يتجر فيه الا ومعنى ادارتها
بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد ومن قرا تجارة بالرفع تعلق كان التامة او الناقصة
والخبر تديرونها ومن قرا بالنصب فالتقدير الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقول الكتاب شعر بني اسد هل
تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واليوم الاشنع هو الذي ارتفع شره وعلا
وذا كواكب اي شديد ويقال في التهديد لاريتك الكواكب ظهرا وقال الزجاج تقديره الا ان تكون المداينة تجارة
حاضرة اي يكون دينا قريب الاجل فليس عليكم جناح الا تكتبوها ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الاثم والا لزم
ان تكون الكتابة المذكورة اولا واجبة وقد اثبتنا خلاف ذلك وانما رخص تعالى في هذا النوع من التجارة
لكثرة جريانها فيما بين الناس فتكليفهم الكتابة والاشهاد في كل لحظة حرج عليهم مع ان خوف التجاحد في مثله قليل واشهدوا
اذا تبايعتم هذا التبايع كانه لما دفع عنهم الكتابة في التجارة ولكن الامر في الاشهاد ليعلم ان حكمه باق فيها لان
الاشهاد بلا كتابة يخف مؤنته ويحتمل ان يكون امرا بالاشهاد مطلقا ناجزا كان التبايع او كاليا لانه احوط عن
الحسن ان شاء اشهد وان لم يشا لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد
يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل فيكون اصله لا يضارر بكسر الراء وبه قراءة عمر وعليه اكثر المفسرين والحسن وطاوس
وقتادة ومعناه نهي الكاتب ان يزيد او ينقص والشاهد ان يحرف او يتركا الاجابة الى ما يطلب منهما ولهذا قال
وان تفعلوا فانه فسوق بكم فان التحريف في الكتابة والشهادة فسق واثم وعن ابن مسعود وعطاء ومجاهد

اي

ان التقدير لا يضار بفتح الراء وبه قرا ابن عباس وانه نهي للمداينين عن الضرار بالكاتب والشهيد كان يعجلا عن مهم
دكرا ولا يعطي الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مونة مجيئه من بلد وان تفعلوا ما نهيتكم عنه من الضرار او كل ما نهيتكم
عنه من فعل معصية او ترك طاعة ليكون عاما فان الضرار وارتكاب المنهي فسوق بكم خروج عن امر الله وطاعته ومعنى
بكم اي ملتصق بكم واتقوا الله في اوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شيء من مصالح عباده عليم
واعلم انه سبحانه جعل البياعات في هذا المقام على ثلثة اقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة
وبيع بالامانة ولما بين القسم الاول شرع في الثاني فقال وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقها
على ان الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رهن درعه في غير سفر ولكنه وردت الاية على الغالب فان الغالب ان لا يوجد الكاتب في السفر ولا يوجد ادوات
الكتابة ولهذا قال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وكاتبا ونظيره فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد والضحاك يذهبان الى ان الرهن
لا يجوز في غير السفر اخذا بظاهر القران ولا يعمل به اليوم واصل الرهن من الدوام رهن الشي اذا دام وثبت ونعمة
راهنة اي دائمة ثابتة والرهن مصدر جعل اسما وازيل عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم يكن انتصابه
انتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما تقول رهنت ثوبا ولهذا جمع جمع الاسماء وله جمعان رهن بضمتين
كسقف وسقف ورهان مثل كباش في كبش وقيل ان احدهما جمع للاخر وفي الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين
او فعليه رهن او فالوثيقة الذي يستوثق به رهن ويعلم من قوله مقبوضة ان الرهن لا بد فيه من القبض والمراد
باللزوم انه لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن والا للمرتهن عن الارتهان وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل
وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم واما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن او وكيله وتمكينه منه بتسليم
المفتاح ونحوه ان كان له مفتاح وقبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه الى موضع لا يختص بالراهن كالشارع والمسجد وملك المرتهن
وان كان المنقول مقدورا فلا بد مع النقل من التقدير بكيل او وزن او ذرع ولو نقل من بيت من دار الراهن الى بيت اخر باذنه او
وضعه الراهن بين يدي المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فان امن بعضكم بعضا
فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وثقته بانه لا يجحد الحق ولا ينكره فليؤد الذي اؤتمن امانته
فليكن المديون عند ظن الدائن به ويسمى الدين امانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والحاصل انه مجاز
مستعار وذلك انه لما اشترك هذا الدين مع الامانة الشرعية في وصف وجود الامانة اللغوية اطلق احدهما على الاخر
والائتمان افتعال من الامن وليتق الله ربه [غير واضح] وفي الاية قول اخر وهو انها خطاب للمرتهن
بان يؤدي الرهن عند استيفاء المال فانها امانة في يده والصحيح هو الاول ومن الناس من قال ان هذه الاية ناسخة للايات
المتقدمة الدالة على وجوب الكتبة والاشهاد واخذ الرهن والحق ان تلك الاوامر محمولة على الارشاد ورعاية وجوه
الاحتياط وهذه الاية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس انه قال في اية المداينة نسخ ثم قال ولا تكتموا الشهادة
وفيه وجوه الاول عن القفال انه تعالى لما اباح ترك الكتبة والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون امينا ثم كان
من الجائز ان يكون الظن خطاء وان يخرج المديون جاحدا للحق وكان من الممكن ان يكون بعض الناس مطلعا على احوالهم
ندب الله ذلك الانسان ان يشهد لصاحب الحق بحقه سواء عرف صاحب الحق تلك الشهادة ام لا وشدد فيه بان جعله
اثم القلب لو تركه وعلى هذا يمكن ان يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خير الشهود من شهد قبل ان يستشهد وقيل المراد بكتمان
الشهادة ان ينكر العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من ادائها عند الحاجة الى اقامتها فان في ذلك ابطال
حق المسلم وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا بالغ في الوعيد فقال ومن يكتمها فانه اثم قلبه والاثم الفاجر واثم مرتفع
بانه وقلبه فاعله ويجوز ان يكون قلبه مبتدا واثم خبره مقدما عليه والجملة خبر ان وفائدة ذكر القلب والتخصيص
بجملة الاثم لا قلبه وجهه هو ان افعال الجوارح تابعة لافعال القلوب ومتولدة مما يحدث في القلب من الدواعي
والصوارف فاسناد الفعل الى القلب الذي هو محل الاقتراف ومعدن الاكتساب ابلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما
ابصرته عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن ادم لمضغة اذا صلحت صلح

بها

بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب وزعم كثير من المتكلمين ان الفاعل والعارف والمامور
والمنهي هو القلب والله بما تعملون عليم فيه تهديد بليغ للكاتم وتهديد له عن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر
الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة **التاويل** انه تعالى لما امر العباد ان
يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليه العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين عباده في الميثاق
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به واستشهد الملائكة
الكرام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وانه تعالى لما امركم الا تساموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا معاملا ان تكتب الصغيرة
والكبيرة ثم عند جزئكم من الدين يجلون ذلك في اعناقكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ثم يؤدي من سرادقات
الجلال يا قوي الظلم ضعيف الحال اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ثم ان الكتاب يكتبون عليه في صحائف
حسناته وسيئاته ما يكتبون الا من املائه وانه بالقليل والكثير مما يملي يخاطب وبالنقير والقطمير على ما يميل عن الحق يعاتب فليحاسب
قبل ان يحاسب فعليه ان يملي الحق للحق فان كان الذي عليه الحق سفيها جاهلا باملاء الحق للحق لاشتغاله بالباطل او ضعيفا
عاجزا مغلوبا بغلبات نفسه او لا يستطيع ان يمل هو لكونه ممنوعا بالعوائق والعلائق لا قدرة له على املاء ما ينفعه
ولا بصيرة ولا قوة له في انهاء ما لا يحزنه وتدبيره فليملل وليه بالعدل فان لكل قوم وليا يخرجهم من الاحزان الى السرور ومن
الاستيحاش الى القصبة ومن الاستيحاش الى الجمهور ومن العجز والفتور الى القوة والحضور الله ولي الذين امنوا يخرجهم من
الظلمات الى النور واستشهدوا شهيدين من استحيوا من ارباب القلوب اثنين من رجالكم الذين هم بالنسبة اليكم رجال
وانتم نساء فان لم يكونا رجلين من ارباب القلوب فرجل منهم وامراتان اي رجلان من اهل الصلاح لم يكونا بالغين مبلغ
اهل الولاية في قابلية الصحبة ممن ترضون من الشهداء ممن يصلح ان يكون من شهداء الله كما قال انتم شهداء الله
في ارضه ان تضل احديهما عن جادة الاستقامة في بادية النفس المملوة من شياطين الهوى فتذكر احديهما الاخرى
المرتين من الطريق واعلم ان اهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون والمراد بالواقف من وقف في عالم الصورة ولم ينفتح
له باب الى عالم المعنى كالفرخ المحبوس في قشر البيضة فيكون بشريته من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب
ومعاملاته فهو محبوس في سجن البدن وعليه موكلان من الكرام يكتبان عليه من اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد واما السائر فلا يقف في محل ولا ينزل في منزل يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق
الاجساد الى متسع الارواح ومن صفات فسيار وطيار فالسيار من يسير بهدي الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار
من يطير بجناحي العشق والهمة في فضاء الحقيقة وفي رحلة جهلة الشريعة فالاشارة في قوله وان كنتم على سفر
ولم تجدوا كاتبا الى السيار الذي يخلص من سجن الجسد وقيد الحواس ودرجة التوكيل لم يوجد له كاتب يكتب عليه
كما قال بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشف صاحب اليمين وقال لي املي علي
شيئا من معاملات قلبك لاكتبه فاني اريد ان اتقرب به الى الله قال فقلت له حسبك الفرائض فالحبس والقيد والتوكيل لمن
يرد حق صاحب الحق او يكون هاربا منه فاما الذي اناء الليل واطراف النهار يغدو ويروح في طلب غريمه وما يبرح في حرمه
فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فالذي هو موكل على الطالب يكون وكيلا وحفيظا للطالب له معقبات من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه من امر الله والسائرون رهان مقبوضة عند الله رهان واية رهان قلوب ليس بينها غير الله قبض
واي قبض مقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن اما الطيار الذي هو عاشق مفقود القلب مقلوب العقل مجذوب
السر فلا يطالب بالرهن فانه مبطوش ببطشة الشديد **شعر** مستهام ذاق مذهبه ٭ في هوى من عز مطلبه
كل امرئ في الهوى عجب ٭ وخلاصي منه اعجبه ٭ وانما يحتاج الى الرهن المتهم بالخيانة لا المتعين للامانة فلم يوجد في السماوات
والارض ولا في الدنيا والاخرة امين يؤتمن لحمل اعباء امانته الا العاشق المسكين لما نظر اليها كان فراش تلك الشمعة
عشقها وطارحها اي حملها فلما حملها ولم يستخلص منه ما انفرد به من اصحابه جاءت له من الحضرة الغالب فنسب في البدء
الى الافساد وسفك الدماء اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولقب في النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوما جهولا هذا امر عجيب
ونفس غريب من لم يطع في حمل الامانة وابى نسب الى المكانة والطاعة والامانة مكين مطاع ثم امين ومن اطاع في حمل
الامانة وابى نسب الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون كذلك لوجهين الاول ان الدلالة والمسكنة وبعث في

في نفس العاشق كما ان العزة والعظمة في طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا في مرآة ذلة العاشق لكن امانة
ان من كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤتمن في الظاهر لصلاح كتمان امر الامانة وقد غض عين المؤتمن بحسن التشاغله
ليكون عزته في الظاهر وذلته في الحقيقة يدلك على حقيقة هذا السر خطاب اسجدوا لادم وعتاب اني اعلم ما لا
تعلمون فان امن بعضكم بعضا كما اخترتك بين الخليقة واصطفيتك على البرية بحمل الامانة فليؤد الذي اؤتمن امانته ولا
تكتموا الشهادة اشهدتكم على انفسكم يوم الميثاق باقراركم بقبول الامانة فقلتم بلى شهدنا فاليوم اطالبكم باداء حقها
واديتموها الى ملحقه بلغات التقوى الايمان عريان ولباسه التقوى وكتمان الشهادة ان يكون شهودك مع غير
شواهد ربك ولا تؤدي سر حقيقة امانة ربك الا الى ربك بربك لربك والله اعلم

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ط وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ
بِهِ اللَّهُ ط فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ط وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ آمَنَ
الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ط كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ط لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ط
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ج رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِنَا ج رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ج وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

القراءة فيغفر لمن يشاء بادغام الراء في اللام ابو عمرو وحمله اهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر
ويعذب برفع الراء والباء يزيد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب وقرأ حمزة عن ابي عمرو والحلواني عن قالون
وابن مجاهد وابو عون وابو ربيعة عن البزي وخلف لنفسه يعذب من بالاظهار ابو عمرو ويدغم يعذب من يشاء كل القراء
وكتابه حمزة وعلي وخلف والباقون وكتبه جمعا لا يفرق بياء الغيبة يعقوب الباقون بالنون اخطانا مثل فادارأتم
الوقوف وما في الارض به الله لمن قرأ فيغفر بالرفع على الاستئناف اي فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من
يشاء قدير والمؤمنون لمن لم يقف على من ربه المصير وسعها ما اكتسبت او اخطانا من قبلنا لان النداء للابتداء ولكن
الواو لعطف السؤال على السؤال الثابت به واعف عنا ونقفه واغفر لنا كذلك للتفصيل بين انواع المقاصد والاعتراف بان الطاعة
غير واحد الكافرين **التفسير** انه تعالى لما جمع في هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول وهو دلائل التوحيد والنبوة
والمعاد واشياء كثيرة من بيان الشرائع والتكاليف كالصلوة والزكوة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق
والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع والبيع والربا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله
تعالى لله ما في السموات وما في الارض وعلى كمال علمه وهو قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير وهو في غاية الوعد
للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين وعن ابي مسلم انه لما قال والله بما تعملون عليم ذكر عليه دليلا عقليا فان من كان

فاعلا لهذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الفاخرة لابد ان يكون محيطا باجزائها
وجزئياتها وقيل لما امر بالوثاق من الكتبة والاشهاد والرهن ذكر ما علم منه ان المقصود يرجع الى الخلق وانه منزه
من الانتفاع به وقال الشعبي وعكرمة ومجاهد انه لما اوعد على كتمان الشهادة ذكر ان له ما في السموات والارض
فيجازي على الكتمان والاظهار عن ابن عباس وابي هريرة واللفظ له لما نزل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به
الله اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب
فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والصدقة وقد انزلت عليك هذه الاية ولا نطيقها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا
غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم فانزل الله في اثرها امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطانا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم واعلم ان العلماء اتفقوا على ان الامور التي تخطر بالبال مما يكرهها
الانسان ولا يمكن الانتهاء عن النفس لا يؤاخذ بها لانها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق واما الخواطر التي يوطن الانسان نفسه عليها
ويعزم على ادخالها في الوجود فقد قيل انه يؤاخذ بها فقد قيل لقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكما يؤاخذ
باعتقاد الكفر والبدع وانه من افعال القلوب ثم قال بعضهم انما يؤاخذ بها في الدنيا لما روى الضحاك عن عائشة انها قالت
ما حدث العبد به نفسه من شر كانت محاسبة الله عليه بغم يبتليه في الدنيا او حزن او اذى فاذا جاءت الاخرة لم يسأل
عنه ولم يعاقب وروت انها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فاجابها بما هذا معناه وقيل ان ما
في القلب مما لا يدخل في العمل فانه في محل العفو لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال بعدما نزل قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها
تجاوز لامتي ما حدثت به انفسهم ما لم يعملوا او يتكلموا قيل معنى قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه ان يدخل ذلك
العمل في الوجود اما ظاهرا واما على سبيل الخفية او على هذا فلا حاجة الى التزام النسخ وكذا لو قيل ان معنى كونه حسيبا
محاسبا كونه عالما في السرائر والضمائر فيغفر لمن يشاء وان كان من اصحاب الكبائر لعموم اللفظ وعند المعتزلة
لمن استوجب المغفرة بالتوبة وهو تخصيص من غير دليل ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير مستول على كل الممكنات
بالقهر والغلبة والايجاد والاعدام فعلى كل عاقل ان يكون له عبدا منقادا خاضعا لاوامره ونواهيه محترزا عن
ساخطه ومناهيه ليستحق المدح والثناء بقوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون وان كمال الربوبية في
الواجب يستلزم كمال العبودية في الممكن وكمال العبودية في الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه وذلك قوله لا
يكلف الله نفسا الا وسعها الى اخر السورة او انه بدأ بالسورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب وبين في
اخرها ان الذين مدحهم في اول السورة هم امة محمد والمؤمنون والمؤمنون كل امن بالله ثم قال ههنا وقالوا
سمعنا واطعنا كما قال هناك وبالاخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم الى ربهم ربنا لا تؤاخذنا
الى اخر السورة كما قال هناك اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون او نقول انه سبحانه لما ذكر في هذه
السورة انواع الشرائع والاحكام بين ان الرسول اعترف لمعجزة دلت له على صدق الملك ان ذلك وحي من
الله وصل اليه وان الذي اخبره ابذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف ولبس بشيطان مضل ثم ذكر
عقيبه ايمان المؤمنين بذلك المعجزات اظهرها الله تعالى على يد الرسول حتى استدلت الامة بها على انه صادق
في دعواه وهي المرتبة المتاخرة ومن تامل في نظم هذه السورة في بدايع ترتيبها علم ان القران كما انه معجز بحسب
فصاحة الفاظه وبلاغة معانيه فهو ايضا معجز بحسب ترتيبه ونظم اياته ولعل الذين قالوا انه معجز بحسب
اسلوبه ارادوا ذلك ثم ههنا احتمالان احدهما ان يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى امن الرسول
والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم ابتدأ بقوله كل امن فيكون الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل عائدا الى الرسول
والمؤمنين اي كلهم امن بل كل واحد ممن تقدم ذكره من الرسول والمؤمنين امن ولهذا وحد ومثل هذا العنبر بحر

ان يعود بمعني كل واحد ويجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وهذا الاحتمال يشعر بانه صلى الله عليه وسلم ما كان
مومنا بربه ثم امن فيحمل عدم الايمان علي وقت الاستدلال وذلك انه عرف بما ظهر من المعجزات علي يده عليه
السلام ان هذا القران وجملة ما فيه من الشرايع والاحكام منزل من عند الله تعالي وليس من باب القاء الشياطين ولا
من نوع السحر والكهانة والشعبذة والاحتمال الثاني ان يتم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتدا من قوله والمومنون كل امن
وفي هذا الاحتمال اشعار بان الذي يحدث هو ايمانه بالشرايع التي انزلت عليه كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان اما الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله علي الاجمال فقد كان حاصلا منذ خلق الله من اول الامر بل كان
نبيا وادم بين الماء والطين كما ان عيسي عليه السلام خلق كاملا من العقل حتي قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني
نبيا فعلي هذا انما خص الرسول صلي الله عليه وسلم بذلك لان الذي انزل اليه من ربه فلا يكون متلوا ليسمعه
الغير ويعرفه ويمكنه ان يومن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو صلي الله عليه وسلم مختصا بالايمان به
واعلم ان الاية دلت علي ان معرفة هذه المراتب الاربع من ضروريات الايمان الرتبة الاولي هي الايمان بالله سبحانه
فان صدق المبلغ والرسول يتوقف علي وجود المبلغ والمرسل الثانية الايمان بالملايكة فانهم وسايط بين الله وبين
البشر ينزل الملايكة بالروح من امره علي من يشاء من عباده علمه شديد القوي الثالثة الكتب فانه الوحي الذي
يتلقفه الملك ويوصله الي الملك فمثال الملك في عالم الصورة جرم القمر ومثال الوحي نور القمر فكما ان القمر يستفيد
من الشمس ويوصله الينا فكذا الملك ياخذ من الله ويلقيه علي الانبيا فلا جرم وقع الرسل في الرتبة الرابعة
وهذا الترتيب مما يقتضيه حكمة عالم التكليف والوسايط والا فلي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي
مرسل معلوم لنبينا صلي الله عليه وسلم وهذا سر يطلع منه علي اسرار اخري ان كنت من اهلها ثم الايمان بالله
عبارة عن الايمان بوجوده فهو ان نعلم ان وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلي هذا التقدير فالمجسم لا يكون مقرا
بوجود الاله تعالي فيكون الخلاف معهم في ذات الله واما الفلاسفة والمعتزلة فالخلاف في الصفات لا في الذات لانهم
معترفون بوجود موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز واما الايمان بصفاته فالصفات اما ثبوتية او سلبية او اضافية
وقد عرفت في تفسير البسملة ما يصح وصفه تعالي بها وما لا يصح وكذا في تفسير اية الكرسي واما الايمان بافعاله
فان نعلم ان كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتي الافعال التي يسمي اختيارية للحيوانات وذلك انه منتهية الاسبا
محدثة منتهية الي الله سبحانه فهو مضطر في صورة مختار وقد حققنا هذه المسلة في تفسير قوله ختم الله علي
قلوبهم واما الايمان باحكامه فان نعلم انها غير معللة بغرض وان كان يترتب عليها الفوايد وان نعلم ان المقصود من شرعها
منافع عايدة الي العباد لا الي الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وان نعلم ان له الالزام والحكم في الدنيا كيف
واراد وان نعلم انه لا يجب علي الحق بسبب الاعمال شي وانه في الاخرة يغفر لمن يشا من فضله ويعذب من يشا بعدله
ولا يقبح منه لان الكل ملكه واما الايمان باسمايه فهي الاسما الواردة في كتب الله تعالي المنزلة وفي كلمات انبيايه
المرسلة وقد مر في تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الي معاقد الايمان بالله واما الايمان بالملايكة فهو الايمان بوجودها
فاما البحث عن انها روحانية محضة او جسمانية محضة او مركبة من القسمين وبتقدير كونها جسمانية
فلطيفة او كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية او هوايية فذاك مقام العلماء الراسخين في العلوم القرانية والبرهانية
ويدخل في الايمان بالملايكة اعتقاد انهم معصومون وان لذتهم بذكر الله وحبورهم بمعرفته وطاعته وانهم وسايط
بين الله وبين البشر وبهم وصلت الكتب الي الانبيا ولكل طايفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من اقسام هذا العالم
واما الايمان بالكتب فانه يعلم ان كلها وحي من عند الله وليس لاحد من المخلوقات ان يلقي فيها شيا من عنده لا تمهيدا ولا
سيما في القران العظيم وان من قال ان ترتيب القران علي هذا الوجه شي فعله عثمان فقد اخرج القران عن كونه معجزا
وطرق اليه التغيير والتحريف وان القران مشتمل علي المحكم والمتشابه ومحكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل
فانه يعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد وفي امر التبليغ وفي الفتيا وفي الاخلاق والافعال كما
مر في قصة ادم وان يعلم ان النبي افضل ممن ليس بنبي خلافا لبعض الصوفية وان بعض الانبيا افضل من بعض
كما قال تعالي تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض وان الانبيا افضل من الملايكة فقد قال بعضهم ان الانبيا افضل

من الانبيا وقال كثير من العلما ان ملايكة السموات افضل منهم وانهم افضل من الملايكة الارضية وقد مر تحقيق
ذلك في قصة ادم وان يعلم ان شرايعهم وانصارهم منسوخة الا ان نبوتهم لم تصر منسوخة وانهم الان انبيا ورسل كما كانوا
وناقش بعض المتكلمين في ذلك فهذه اشارة الي اصول الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واما من قرا وكتابه
علي الوحدة فاما ان يراد به القران ثم الايمان به يتضمن الايمان بجميع الكتب والرسل واما ان يراد به جنس الكتب السماوية
فان اسم الجنس المضاف قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال احل لكم ليلة الصيام الرفث و
هذا الاحلال شايع في جميع الصيام قال العلما قراة الجمع اولي لمشاكلة ما قبله وما بعده وقيل قراة الافراد اولي لان
استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ومن هنا قال ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب ومن قرا لا نفرق بالنون فلا بد
من اضمار اي يقولون لا نفرق ومن قرا بالياء علي ان الفعل لكل فلا حاجة الي الاضمار ثم ان الجملة حينيذ يحتمل ان
حالا واحد في معني الجمع اي بين كل منهم وبين اخر منهم فان النكرة في سياق النفي تعم ولذلك صلحت لدخول بين عليها
وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل لقوله تعالي تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض بل المراد عدم التفريق في
الايمان وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات علي ايديهم حسب دعاويهم والغرض منه تزييف معتقد اليهود والنصاري
الذين يفرقون بنبوة موسي وعيسي دون نبوة محمد عليه وعليهما السلام وعن ابي مسلم لا نفرق ما جمعوا كقوله واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واعلم ان قوله [illegible] الرسول الي قوله بين احد من رسله اشارة الي استكمال القوة العلمية
بالاعمال الفاضلة الكاملة او نقول للانسان [illegible] ثلثة الامس والبحث عنه يسمي معرفة المبدا واليوم والبحث عنه
يسمي والوسط والغد والبحث عنه يسمي بعلم المعاد فقوله امن الرسول الي قوله من رسله اشارة الي معرفة المبدا
وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الي الوسط وغفرانك ربنا واليك المصير علم المعاد ومثله في اخر سورة هود ولله غيب
السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله اليه يرجع الامر كله فيه كمال القدرة واما علم الوسط وهو علم ما يجب
ان يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته قطع النظر عن الاسباب وتفويض الامور
كلها الي مسبب الاسباب وهو قوله وتوكل عليه واما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما تعملون اي يوم عند
سيصل فيه اليك نتايج اعمالك ومثله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو معرفة المبدا وسلام علي المرسلين
وفيه اشارة الي علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة الي علم المعاد كقوله تع واخر دعويهم ان الحمد لله رب
العالمين والوقوف علي هذه الاسرار انما يكون بجذبة من ضيق عالم الاشرار الي فسحة عالم الانوار او نقول والمومنون
كل امن بالله اشارة الي الاحكام العقليات وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الي الاحكام السمعيات قال الواحدي اي سمعنا
قوله واطعنا امره وقيل حذف المفعول صورة ومعني اولي ليفيد انه ليس في الوجود قول يجب سمعه الا قوله ولا امر
يجب طاعته الا امره والسماع ههنا بمعني القبول اي سمعناه باذان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد
علي لسان الملايكة والانبيا عليهم السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال واطعنا فدل هذا علي انهم كما صح اعتقادا
في هذه التكاليف فهم ما اخلوا بشي منها فجمع الله تعالي بتهذيب اللفظين كل ما يتعلق بابواب التكاليف علما وعملا
غفرانك مصدر منصوب باضمار فعله اي اغفر وقيل غفرانك اللهم لا كفرانك من قوله تعالي وما تفعلوا من خير
فلن يكفروه اي لن تعدموا جزاوه وفي الكشاف اي نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسالك غفرانك فيكون
مفعولا به والاشهر انه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال والاستغناء به عن فعله نحو سقيا ورعيا
وههنا سوال وهو ان القوم لما قبلوا التكليف وعملوا به فاي حاجة بهم الي طلب المغفرة والجواب لعلهم ان يكونوا خافوا
منهم تقصير فيما ياتون ويذرون او لعلهم كانوا يترقون في درجات العبودية فيستغفرون ما خلفوها ومن ههنا
قيل حسنات الابرار سيات المقربين وقد حمل قوله صلي الله عليه وسلم واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة
علي مثل هذا ولان جميع الطاعات في جنب مواجب حقوق الالهية جنايات وتقصير وقصور ولهذا حكي عن اهل الجنة
دعواهم فيها سبحانك اللهم اي انت منزه عن تسبيحنا وتقديسنا واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين اي كل الحمد له وان
كنا لا نقدر علي فهم ذلك بعقولنا وعلي ذكره بالسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران مقرونا بامرين الاول بالاضافة اليه
الثانية بقوله ربنا اما القيد الاول فمعناه طلب المغفرة منك وانت الكامل في هذه الصفة والمطبوع من الكامل في صفة

ان يعطي عطية كاملة وما ذاك الا بان يغفر جميع الذنوب ويبدلها حسنات او يكون الاضافة حسنات الى ما ورد
في الحديث ان الله تعالى مائة جزء من الرحمة قسم جزءا منها على الملائكة والجن والانس وجميع ما فيها يتراحمون
ويتعاطفون واخر تسعة وتسعين جزءا ليوم القيمة او لعل العبد يقول كل صفة فانما يظهر اثرها في محل معين ولولا
الوجود بعد العدم لما ظهرت اثار قدرتك ولولا الترتيب العجيب والتاليف الانيق لما ظهرت اثار علمك ولولا جرم العبد
وجنايته وعجزه وحاجته لم يظهر اثار مغفرتك ورافتك فانا الطالب الغفران الذي لا يمكن ظهوره الا في حقي وفي حق
امثالي من المذنبين واما القيد الثاني فقوله ربيتني اذا وجدتني مع انك لو لم تربني في ذلك الوقت لم انقض ربوبيتك لاني
كنت ابقى في العدم والان لو لم تربني انضررت به فاسالك ان لا تهملني اذ ربيتني حين لم اذكرك بالتوحيد فكيف يليق
بكرمك ان لا تربيني وقد افنيت عمري في توحيدك اذ ربيتني في الماضي فاجعل تربيتك لي في الماضي شفيعا
في ان تربيني في المستقبل او ربيتني فيما مضى فاتمم هذه التربية فيما تستقبل فان اتمام المعروف خير من ابتدائه والكل
المضمر حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع احد الا باذنك وفيه اعتراف بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات
له المحيا وله الممات قوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان قلنا انه من تمام كلام المومنين فوجه النظم انهم
قالوا كيف نسمع ولا نطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا ما في وسعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى مستانفا
فالوجه انهم لما قالوا سمعنا واطعنا ثم طلبوا المغفرة دل ذلك على انه لا يصدر عنهم زلة الا على سبيل السهو و
النسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم اجابة لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه كالصلوات الخمس
وصوم رمضان والحج فانه من امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر
من حجة لكنه تعالى ما جعل في الدين من حرج برحمته وشمول رافته واعلم ان المعتزلة عولوا في نفي تكليف ما لا
يطاق على هذه الاية ثم استنبطوا منها اصلين الاول ان العبد موجد لافعال نفسه اذ لو كانت بتخليق الله تعالى لم تكن
قدرة على دفعها لضعف قدرته ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق
الثاني ان الاستطاعة قبل الفعل والا لكان المامور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق ٥ اما
الاشاعرة فقالوا تكليف من مات على الكفر كابي لهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب
ان العلم بعدم الايمان ليس تكليفا بعدم الايمان حتى يلزم التكليف بالنقيضين والتكليف بامر ممكن لذاته ممتنع
لغيره غير المستحيل لا من لذاته الذي هو محل النزاع لكن الاشعري لما كانت حجته منقطعة عنه خصص الاية
بانها انما وردت في التكاليف الممكنة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خلق
من اهل النار على انه لو جعلت من قول المومنين لم يبق فيها حجة ويحتمل ان يقال لما حكاه عنهم في معرض المدح وجب
ان يكونوا صادقين فيه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال الواحدي ان الكسب والاكتساب واحد لان الكسب لنفسه
ولغير نفسه والاكتساب ما يكتسب لنفسه خاصة وقيل في الاكتساب مزيد اعتمال وتصرف ولهذا اختص بجانب
الشر دلالة لان العبد لا يواخذ من السيئات الا بما عقد الهمة عليه وربط القلب به بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيفما
صدر عنه قالت المعتزلة في الاية دليل على ان الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد ولو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت
هذه الاضافة وجرى صدوره تعالى منه مجرى لونه وطوله وشكله مما لا قدرة له عليه البتة ولا تنفت فائدة التكليف
وقد سبق تحقيق المسئلة مرارا وكذا تقسيم الكسب وبيان المذاهب فيه في تفسير قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم
ما كسبتم واحتج الاصحاب بالاية على فساد القول بالمحابطة لانه تعالى بين ان لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت
وهذا صريح في ان الاستحقاقين يجتمعان وانه لا يلزم من طريان احدهما زوال الاخر وقال الجبائي تقدير الاية لها ما
كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفر بالتوبة وانما اضمرنا هذا الشرط لان الثواب
منفعة دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالاية في ان الله تعالى لا يعذب الاطفال
بذنب ابائهم والفقهاء تمسكوا بها في اثبات الاصل في الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها ان
المضمونات لا تملك باداء الضمان لان المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود انما الغصب
واما الضمان لان المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت واما الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل ام الولد

والمدبر ومنها انه لا شفعة للجار لان المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل في
الشريك لكثرة تضرره في الشركة فيبقى في الجار على الاصل ومنها ان القطع لا يسقط الضمان لوجود المقتضي والقطع
لا يوجب زوال الملك بدليل ان المسروق متى كان باقيا وجب رده على المالك ومنها ان منكري وجوب الزكوة احتجوا
به والجواب ان دلائل وجوب الزكوة اخص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المومنين ابتهالهم انواع
من الدعا الاول ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ومعنى لا تواخذنا لا تعاقبنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافرت
وعاقبت اللص وقيل معنى المفاركة ههنا ان الناسي قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله وصار من يعاقبه
بذنبه كالمعين لنفسه في ايذاء نفسه وفي التفسير الكبير ان الله ياخذ المذنب بالذنب والمذنب ياخذ ربه بالعفو والكرم
اي يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته وهذا معنى المواخذة بين العبد والرب والمراد بالنسيان اما الترك وهو ان يترك
الفعل لتاويل فاسد كان الخطا هو ان يفعل الفعل لتاويل فاسد ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا العمل
لله فترك ان يثيبهم واما ضد الذكر وايراد عليه ان النسيان والخطا متجاوز عنهما في قوله صلى الله عليه وسلم
رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعا والجواب من وجوه الاولى ان النسيان
منه ما يعذر صاحبه فيه ومنه ما لا يعذر فمن راى دما في ثوبه فاخر ازالته الى ان نسي فصلى وهو على ثوبه
عد مقصرا اذ كان لزمه المبادرة الى ازالته وكذا اذا تغافل عن تعاهد القران حتى نسي فانه يكون ملوما بخلاف
ما اذا واظب على القراة ومع ذلك نسي فانه يكون معذورا وروي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يتذكر
حاجة شد خيطا في اصبعه فثبت ان الناسي قد لا يكون معذورا وذلك اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب التذكر
واذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعا والحاصل انه ذكر النسيان والخطا والمراد بهما ما هما مسببان عنهما من التفريط والا
غفال الثانية ان هذا على سبيل التقدير وذلك انهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كان يصدر عنهم ما لا ينبغي الا
على وجه الخطا والنسيان فكان وصفهم بالدعا بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم مما يواخذون به فكانه قيل ان كان النسيان
مما يجوز المواخذة به فلا تواخذنا به الثالثة ان العلم بان النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه بالدعا فربما يدعو
الانسان بما يعلم انه حاصل له قبل الدعا من فضل الله اما لاستدامته واما لاعتداد تلك النعمة ولغير ذلك كقوله
قل رب احكم بالحق ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك وقالت الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الرابعة ان
مواخذة الناسي غير ممتنعة عقلا وانما عرف عدم المواخذة بالاية والحديث فلما كان ذلك جائزا في العقل حسن طلب
المغفرة منه بالدعا وقد يتمسك به من يجوز تكليف ما لا يطاق فيقول الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل
فلولا انه جائز من الله تعالى عقلا لما ابتهلوا الى الله تعالى في طلب ترك المواخذة عليه وقد يستدل به على حصول العفو
لاهل الكبائر قالوا ان النسيان والخطا لا بد ان يفسر بما فيه العمد والقصد الى فعل ما لا ينبغي اذ لو فسر بما لا عمد فيه قالوا
على ذلك فيبحث عند الخصم ما يقبح من الله فعليه يمتنع طلب تركه بالدعا واذا فسر بما ذكرنا وقد امر الله المسلمين
ان يدعوه بترك المواخذة على تعمد المعصية دل ذلك على انه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة
مرجوا النوع الثاني من الدعا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر الثقل والشدة ويسمى
العهد اصرا لانه ثقيل والاصر العطف لان من عطفت عليه ثقل على قلبك ما يصل اليه من المكاره يقال ما تاصرني على
فلان اصرة اي ما يعطفني عليه قرابة ولا منة والمعنى لا تشدد علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من
اليهود قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم في الزكوة ومن اصاب ثوبه
نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا في الدنيا فاجاب الله تعالى دعاءهم كما قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم وقال صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي المسخ والخسف والغرق وانما طلبوا هذا التخفيف لان التشديد مظنة
التقصير والتقصير موجب العقوبة وقيل معناه لا تحمل علينا عهدا وميثاقا يشبه ميثاق من قبلنا في الغلظ والشدة
وهو قريب من الاول قال بعض العلما اليهود لما كانت الفظاظة وغلظ القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم في
التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غالب عليهم فكانت مصلحتهم في التخفيف وترك
التغليظ واما ان اليهود لم خصت بغلظ الطبع وهذه الامة باللطافة والكرم فليس الينا ان نعلم تفاصيل جميع

الكائنات وما لا يدرك كله لا يترك كله **النوع الثالث** من الدعاء ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ومن الاصحاب
من تمسك به في جواز تكليف ما لا يطاق اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء واجاب المعتزلة عنه بان معنى
قوله لا طاقة لنا اي ما يشق فعله الا الذي لا قدرة لنا عليه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المملوك
له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق اي لا يشق عليه وزيف بان معناه ومعنى الاية المتقدمة يكون ح
واحدا فعدلوا عن ذلك وقالوا المراد منه العذاب اي لا تحملنا عذابك الذي لا نطيق احتماله سلمنا انهم سالوا الله تعالى
ان لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز ان يفعل خلاف ذلك كما ان قوله رب احكم بالحق لا يدل على
جواز ان يحكم بالباطل وكذا قوله لابراهيم صلوات الرحمن عليه ولا تخزني يوم يبعثون لا يدل على ان خزي الانبياء جائز وقيل
لم خص التكليف الشاق بالحمل والتكليف الذي لا قدرة عليه بالتحميل واجيب بان الحاصل فيما لا يطاق هو التحميل دون
الحمل وقيل لما طلب ان لا يكلفه بالفعل الشاق كان من لوازمه ان لا يكلف بما لا يطاق فكان المناسب طرح هذا الدعاء لا انه
من عكس الترتيب والجواب على تفسير المعتزلة ظاهر اي لا تحملنا عذابك فانهم طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة
التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم والمحافظة عليها واما على تفسير الاشاعرة فهو
انهم سالوا ان لا يكلفهم تكليفا شاقا فاسقين اوهو التكليف بما كلف من قبلهم ثم سالوا ان لا يكلفهم التكليف الشاق
الذي لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من قبلهم ام لا وقيل الاول ترك التشديد في مقام القيام بظاهر
الشريعة والثاني طلب ذلك في مقام الحقيقة وهو مقام الاشتغال بمعرفة الله وحده منه وطاعته وشكر نعمه
اي لا نطلب منا حمدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق بالائك ونعمائك ولا معرفة يليق بقدس عظمتك وكمالك واما
الفائدة في حكاية هذه الادعية بصيغة الجمع في لا تواخذنا ولا تحمل علينا فذلك انه اذا اجتمعت النفوس والهمم على امل
شئ كان حصوله ارجى **النوع الرابع** من الدعاء واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وانما حذف النداء وهو قوله ربنا
ههنا لان النداء يشعر بالبعد فترك النداء يؤذن بان العبد اذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القربة والزلفى
من الله والفرق بين العفو والمغفرة والرحمة ان العفو اسقاط العذاب والمغفرة ان يستر عليه بعد ذلك جرمه
صونا له عن عذاب التخجيل والفضيحة فان الخلاص من عذاب النار انما يطيب اذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب
الفضيحة فالاول هو العذاب الجسماني والثاني هو العذاب الروحاني وبعد التخلص منهما اقبل على طلب الثواب
وهو ايضا قسمان جسماني وهو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله وارحمنا وروحاني وهو اقبال العبد بكليته على
مولاه وهو قوله انت مولانا وقدم الاعتراف فانه سبحانه هو المتولي لكل نعمة ينالونها وهو المعطي لكل مكرمة
يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذي لا يتم مصلحته الا بتدبير قيمه والعبد الذي لا ينتظم شمل مهماته الا
باصلاح مولاه وبهذا الاعتراف يحق الوصول الى الحق من عرف نفسه اي بالامكان والنقصان عرف ربه
اي بالوجوب والتمام ثم اذا وصل الى الحق اعرض بالكلية الى سواه وهو قوله فانصرنا على القوم الكافرين
اعنا على قهر كل من خالفك وناواك وعلى غلبة القوى الجسمانية الداعية الى ما سواك عن رسول الله صلعم
السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة
قيل وما البطلة قال السحرة وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا الايتين في اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه
صلى الله عليه وسلم اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز من تحت العرش لم يوتهن نبي قبلي وعنه صلى الله عليه
وسلم انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة ومن قراهما بعد العشاء
الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وروى الواحدي عن مقاتل بن سليمان انه لما اسري بالنبي صلعم الى السماء اعطي
خواتيم سورة البقرة فقالت الملائكة له ان الله عز وجل اكرمك بحسن الثناء بقوله امن الرسول فسله وارغب
اليه فعلمه جبريل عم فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا فقال الله قد غفرت لكم فقال لا تواخذنا فقال الله
لا اواخذكم فقال لا تحمل علينا اصرا فقال لا اشدد عليكم فقال لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال لا احملكم ذلك فقال
واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فقال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم وانصركم على القوم الكافرين وفي بعض
الروايات ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يذكر هذه الدعوات والملائكة كانوا يقولون امين **التاويل** الانسان

مركب من عالمي الامر والخلق له روح نوراني من عالم الامر والملكوت وله نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك
ولكل منهما نزاع وشوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتحليتها بانوار الارواح
وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية واليه الاشارة في قوله ان تبدوا ما في انفسكم من ودع من اخلاف
انوار الروحانية في الظاهر باعمال الشريعة وفي الباطن باحوال الحقيقة او تخفوه بان تركب ظلمات الاوصاف النفسية
في الظاهر بمخالفات الشريعة وفي الباطن بموافقات الطبيعة يحاسبكم به بطهارة النفس لقبول الروح او تلويث
الروح لقبول ظلمات النفس فيغفر لمن يشاء فتنور نفسه بانوار الروح وروحه بانوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب

انوارهم

نفسه بنار دركات السعير وروحه بنور فرقة العلي الكبير والله على كل شئ من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمي
الامر والخلق قدير لما عرج بالنبي صلعم الى سدرة المنتهى وبلغ المقصد الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى اكرم بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله فاجاب بقوله السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين فقيل له امن الرسول عيانا بما انزل اليه من ربه فقال لمن كان رافقه بامته والمؤمنون كل امن بالله الى قوله سمعنا
واطعنا فقال الله تعالى ما يطلبون في جزاء السمع والطاعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا واليك المصير
لان تسترهم بسربال فضلك ويكون مصيرهم اليك لا الى غيرك كما كان مصيري اليك لا الى من سواك فقال الله
تعالى في جوابه لا يكلف الله نفسا الا وسعها انك في مقام لا يسعك ملك مقرب ولا نبي مرسل ولهذا قال لك
جبريل لو دنوت انملة لاحترقت وان الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين وكل طائفة منهم في سماء
واقفون حبستهم رحمتي بكلائتهم فمنهم سبحات وجهي وسطوات قهري فكيف اكلف امتك المدينة المرحومة
بهذا المصير وانا بضعف حالهم بصير وبما بلغك هذا المقام حتى جاوزت الرسل الكرام ان اتخذتك حبيبا قبل ان خلقتك
وخلقت الكائنات لمحبتك ولامتك اكرم الامم ولهم بسبب تبعيتك اختصاص بمحبتي اياهم ما داموا في متابعتك
فقال لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فيتقدم ما كسبت امتك من انواع متابعتك تستحق المصير المخصص
لك ويستوجبونا وعلى قدر ما اكتسب بالتوالي عن ظل متابعتك ينبسط محل المصير الى دركات السعير فتارة اسكرته
لذة هذا الخطاب واخرى الجمته سطوة هذا العتاب فقال ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تعاقب امتي
ان نسيت عهدك الذي عاهدتهم ان يحبوك ولا يحبوا غيرك او اخطاوا طريق طلبك ولكن ما اخطات طريق عبوديتك
لم يعبد واعزك وانت قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولا تحمل علينا اصرا بان تجعلنا
اسير النفس الامارة فتستعبد بحبل الهوى ونار الشهوات كما عبد الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا بالصبر
عن شهود جمالك واعف عنا حجب انانيتنا واغفر لنا بشواهد هويتك وارحمنا برفع البينونة من بيننا انت مولينا
بدليلنا في رفع وجودنا وناصرنا في نيل مقصودنا فانصرنا على القوم الكافرين بجذبات عنايتك واعتاقي المصنف
ايك على قمع كفار الاثنينية التي تمنعنا من وحدتك **شعر** بيني وبينك اني ينازعني فارفع بجودك انيي من البين
وحسبي الله ونعم النصير ونعم المولى ونعم الوكيل والله اعلم بالصواب

سورة آل عمران مائتان آية وهي مدنية وفيها ثلاثة آلاف واربعمائة وثمانين كلمة واربعة عشر الف وخمسمائة وخمسة وعشرون حرفا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ۝ الله لا اله الا هو الحي القيوم ۝ نزل عليك الكتاب بالحق
مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل ۝ من قبل هدى للناس

وانزل الفرقان ط ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد ط والله عزيز
ذو انتقام ۝ ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ط هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشاء ط لا اله الا هو العزيز الحكيم ۝ هو الذي
انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ط
فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله
وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا
وما يذكر الا اولوا الالباب ۝ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب ۝ ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا
يخلف الميعاد ۝ ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا واولئك هم وقود النار ۝ كداب ال فرعون والذين من
قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ۝

القراءة الم الله مقطوعة الالف والميم ساكنة يزيد والمفضل والاعشى والبرجمي والباقون موصولا بفتح الميم الم الله ممالة حيث كان ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف والنجاري عن ورش والخزاز عن هبيرة وابن ذكوان غير ابن مجاهد كداب حيث كان بغير همز ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش والخزاز عن هبيرة وحمزة في الوقف **الوقوف** الم كوفي مختلف فان عند الاعشى والبرجمي ويزيد والمفضل يصلون الالف القيوم ط والانجيل والفرقان ط شديد ط انتقام ۝ في السماء ط كيف يشاء ط الحكيم ۝ متشابهات ط لاستيناف تفصيل وابتغاء تاويله لان الواو تصلح استينافا والحال الى الا الله عند اهل لانه لو حصل فيهم ان الراسخون يعلمون تاويل المتشابه كما يعلمه الله ومن لم يجترئ من هذا وجعل المتشابه غير صفة الله ذاتا وفعلا من الاحكام التي يدخلها القياس والتاويل وجعل المحكمات الاصول والنصوص المجمع عليها فعطف قوله والراسخون على الله وجعل يقولون حالا لانهم ساغ له ان لا يقف على الا الله امنا به لان قوله كل من عند ربنا من تحقيق فان التسليم من تمام الايمان من عند ربنا لاحتمال ان ما بعده مقولهم الالباب ۝ رحمة للابتداء بان وللاحتمال لام التعليل او فاء التعقيب للتسبيب الوهاب ۝ فيه الميعاد ۝ شيئا النار ۝ لتعلق كاف التشبيه فرعون للعطف من قبلهم باياتنا للعدول مع فاء التعقيب بذنوبهم العقاب ۝
التفسير اما قراءة عاصم فلها وجهان الاول منه الوقف ثم اظهار الهمزة لاجل الابتداء الثاني ان يكون ذلك على لغة من يقطع الف الوصل فاما من فتح الميم ففيه قولان احدهما قول الفراء واختيار من البصريين وصاحب الكشاف ان اسماء الحروف موقوفة الاواخر تقول الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثة وعلى هذا وجب الابتدا بقوله فاذا ابتدانا به نثبت الهمزة متحركة الا انهم اسقطوا الهمزة للتخفيف والقيت حركتها على

الميم لتدل حركتها على انها في حكم المبقات بسبب كون هذه اللفظة مبتدا بها فكان الهمزة ساقطة بصورتها باقية بمعناها وثانيها قول سيبويه وهو انه لما وصل بالله بالم التقى ساكنان ضرورة سقوط الهمزة في الدرج فوجب تحريك الاول وكان الاصل هو الكسر الا انهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتحة على هذا القول ليست في النقل من همزة الوصل فلا يرد عليه ما يرد على القول الاول من ان الهمزة من حيث لا وجود لها في الوصل اصلا فكيف ينقل حركتها قال الواحدي نقل المفسرون انه قدم على رسول الله صلعم وفد نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وثلثة منهم كانوا اكابر القوم احدهم اميرهم واسمه عبد المسيح والثاني مشيرهم وذو رايهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم يقال له ابو حارثة بن علقمة احد بكر بن وائل وكان ملوك الروم قد شرفوه وموّلوه واكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما قدموا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان الى جنبه اخوه كرز بن علقمة فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز اخوه تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو حارثة بل تعست امك فقال ولم يا اخي قال لانه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له اخوه كرز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا فقال ان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو امنا بمحمد لاخذوا منا كل هذه الاشياء فوقع ذلك في قلب اخيه كرز وكان يضمره الى ان اسلم وكان يحدث بذلك ثم تكلم اولئك الثلثة الامير والسيد والحبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختلاف من اديانهم فتارة يقولون عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلثة ويحتجون بقولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون على قولهم انه ولد الله انه لم يكن له اب يعلم ويحتجون على ثالث ثلثة بقول الله تعالى فعلنا وجعلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقد حانت وقت صلوتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلعم اسلموا فقالوا قد اسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم كذبتم كيف يصح اسلامكم وانتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب وتاكلون الخنزير قالوا فمن ابوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في ذلك سورة ال عمران الى بضع وثمانين اية منها اية المباهلة ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يناظر معهم فقال الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفنا قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يكلاه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السما فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شا فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة وغذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون كما زعمتم فعرفوا ثم ابوا الا جحودا ثم قالوا يا محمد الست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا ففي ذلك نزل فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية وتمام القصة يجي في اية المباهلة ان شا الله تعالى واعلم ان مطلع هذه السورة نظم عجيب ونسق انيق وذلك ان اولئك النصارى كانه قيل لهم اما ان تنازعوه في شان الاله او في امر النبوة اما الاول فالحق فيه معه لانه تعالى حي قيوم كما مر في تفسير اية الكرسي وان عيسى ليس كذلك وانه ولد وكان ياكل ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل من نفسه فهذه الكلمة اعني قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم جامعة لجميع وجوه الدلايل على بطلان قول النصارى بالتثليث واما الثاني فقوله نزل عليك الكتاب بالحق كما ادعوه في قوله وانزل التورية والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره انكم وافقتمونا على ان التورية والانجيل الهيان لانه تعالى قرن بانزالهما المعجزة الدالة على الفرق بين قولها وبين اقوال الكاذبين ثم ان المعجزة قايم متظاهر في كون القران نازلا من عند الله كما قام في الكتابين واذا كان الطريق مشتركا فالواجب تصديق الكل كالمسلمين اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد واذا لم يبق بعد ذلك عذر لمن ينازعه فلا جرم ختم بالتهديد والوعيد فقال ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد وانما خص القران بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا فيه وانهما نزلا جملة واما قوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فالمراد هناك نزوله مطلقا من غير اعتبار

النجيم قال ابو مسلم معنى قوله بالحق انه صدق فيما تضمنه من الاخبار عن الامم او ان ما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقايد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق الباطل فانه قول فصل ليس بالهزل وقال الاصم اي بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية وللبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف في المعاملات وقيل مصونا من المعاني الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفي قوله مصدقا لما بين يديه انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله من كونه اميا لم يخالط اهل الدرس والقراءة اذ كان مفتريا استحال ان يسلم من التحريف والجزاف وفيه انه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعا الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق به والامر بالعدل والاحسان والشرايع التي هي صلاح كل زمان فان قيل كيف سمى ما مضى بانه بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ صار مطلقا في معنى التقدم او لغاية ظهور تلك الاخبار جعلها كالحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع انه ناسخ لاحكامها اكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقران وبالرسول ودالة على ان احكامها تثبت الى حين بعثته ثم تصير منسوخة عند نزول القران كانت موافقة للقران وكان القران مصدقا لها فاما عدا الاحكام فلا شبهة في ان القران مصدقا لها لان مباحث الالهية والقصص والمواعظ لا تختلف والتورية والانجيل اسمان عجميان احدهما بالعبرانية والاخر بالسريانية فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا ان بعض الادبا قد تكلف ذلك فقال التورية من الورى وهو الضيا والنور من ورى الزند اذا قدح وظهرت النار قال واصلها تورية بفتح الراء والياء ولهذا قلبت الياء الفا وتورية بكسر الراء تفعلة مثل توصية الا ان الراء فتحت على لغة طي فانهم يقولون في بادية باداة ثم زعم الخليل والبصريون ان اصلها وورية فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كما في تراث واما الانجيل فالزجاج افعيل من النجل الاصل الذي هو الاصل المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من نجلت استخرجته او انه تعالى اظهر الحق بسببه ابو عمرو الشيباني التناجل التنازع سمي بذلك لان القوم تنازعوا فيه ومعنى قوله من قبل اي من قبل ان ينزل القران وهدى للناس اما ان يكون عائدا الى الكتابين فقط فيكون قد وصف القران بانه حق ووصف التورية والانجيل بانه هدى وانما لم يوصف القران بانه هدى مع انه قال في اول البقرة هدى للمتقين لان المناظرة ههنا مع النصارى وهم لا يهتدون بالقران فذكر انه حق في نفسه سوا قبلوه او لم يقبلوه واما الكتابان فهم يعتقدون صحتهما فخصهما بالهداية لذلك واما ان يكون راجعا الى الكتب وهو قول الاكثرين وانزل الفرقان قيل اي جنس الكتب السماوية لانها كلها تفرق بين الحق والباطل وقيل اي الكتب التي ذكرها كانه وصفها بوصف اخر كما قال شعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقيل اي الكتاب الرابع وهو الزبور ورد بان الزبور ليس فيه شي من الشرايع والاحكام وانما هو مواعظ فيحتمل ان يجاب بان غاية المواعظ هي التزام الاحكام المعلومة فيؤول الى ذلك وقيل كرر ذكر القران بما هو مدح له ونعت بعد ذكره باسم الجنس تفخيما لشانه واظهارا لفضله وفي التفسير الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلاثة بين انه انزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز القاهر الذي يدل على صحتها ويفيد الفرق بينها وبين كلام المخلوقين ثم انه تعالى بعد ذكر الالهيات والنبوات زجر المعرض عن هذه الدلايل وهم اوليك النصارى اوكل من اعرض عن دلالة فان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فقال ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها من دلايله لهم عذاب شديد والله عزيز لا يغالب اذ لا احد لقدرته ذو انتقام له انتقام عقاب شديد لا يقدر على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم والنقمة اذا كانت عقوبة بما صنع فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثاني صفة الفعل قوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شي لما ذكر انه حي قيوم والقيوم هو القايم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع امرين ان يكون عالما بكميات حاجاتهم وكيفياتها وكلياتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على ترتيبها والاول لا يتم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات اشار الى ذلك بقوله ان الله لا يخفى عليه شي والثاني لا يتاتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات واشار اليه بقوله هو الذي يصوركم ثم فيه لطيفة اخرى وهي انه لما ادعى كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى بطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز ان يكون هو السمع لان معرفة

صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات بل الطريق الى ذلك ليس الا الدليل العقلي فلا جرم قال هو الذي يصوركم في ظلمات الارحام هذه البنية العجيبة والتركيب الغريب من اعضاء مختلفة في التشكل والطبع والصفة وبعضها عظام وبعضها اوردة وبعضها شراين وبعضها عضلات ثم انضم بعضها الى بعض على التركيب الاحسن والتاليف الاكمل فذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا عن العالم ثم انه تعالى لما كان قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية واشرفها تعديل المزاج واشار اليها بقوله هو الذي يصوركم وروحانية واشرفها العلم فلا جرم اشار الى ذلك بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب ويحتمل ان ينزل هذه الايات على سبب نزولها وذلك ان النصارى ادعوا الهية عيسى وعولوا في ذلك على نوعين من الشبهة احديهما تتعلق بالعلم وهو ان عيسى عليه السلام كان يخبر عن الغيوب وذلك قوله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم والثانية تتعلق بالقدرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى شبهة غيرهما فازال شبهتهم الاولى بقوله ان الله لا يخفى عليه شي من المعلوم بالضرورة من احوال عيسى انه ما كان عالما بجميع المعلومات فعدم احاطته بجميع الاشيا منه دلالة قاطعة على انه ليس باله ولكن احاطته ببعض المغيبات لا يدل على كونه الها لاحتمال انه علم ذلك بالوحي او الالهام وازال شبهتهم الثانية بقوله هو الذي يصوركم وذلك ان الاله هو الذي يقدر على ان يصور في الارحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب والتاليف الغريب ومعلوم ان عيسى لم يكن قادرا على الاحيا والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لامات اوليك الذين اخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاماتة بعض الاشخاص واحياؤه لا يدل على الالهية لجواز كونه باظهار الله تعالى المعجزة على يده والعجز عن اماتة البعض واحيائه تدل على عدم الالهية قطعا واما الاحيا والاماتة لجميع الحيوانات فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات المشاهدة الى مقدمات الزامية وهو انكم ايها المسلمون توافقونا على انه ما كان له اب من البشر فيكون ابنا لله والجواب عنه بقوله ايضا هو الذي يصوركم لان هذا التصوير لما كان منه فان شاء صوره من نطفة الاب وان شاء صوره من غير اب وايضا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقول ان عيسى كلمة الله وروحه وهذا يدل على انه ابن الله فاجاب الله تعالى عنه ان هذا الزام لفظي واللفظ محتمل للحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل العقلي كان من باب المتشابهات فوجب رده الى التاويل او تفويضه الى علم الله وذلك قوله هو الذي انزل عليك الكتاب الاية فظهر انه ليس في الملة حجة ولا شبهة الا وقد اشتملت هذه الايات عليها وعلى دفعها والجواب عنها فان قيل ما الفايدة في قوله في الارض ولا في السماء مع انه لو اطلق كان ابلغ قلنا الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض اقوى لعظمتهما في الحس فمتى اعان الحس العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك اكمل وهذه فايدة ضرب الامثلة في العلوم قال الواحدي التصوير جعل الشي على صورة والصورة هيئة حاصلة للشي عند ايقاع التاليف بين اجزائه واصله من صاره اذا اماله وذلك ان الصورة مايلة الى شكل ابيه والارحام جمع الرحم واصل التركيب على الرقة والعطف كما سلف وقيل سمي رحما لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وتعبده وكيف في موضع الحال اي على اي حال اراد طويلا او قصيرا اسود او ابيض حسن او قبيح الى غير ذلك من الاحوال المختلفة ثم انه تعالى لما اجاب عن شبهتهم اعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القايلين بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب واحيا بعض الاشخاص لا يكفي في كونه الها ولنذكر ههنا مسايل الاولى القران دل على انه بكليته محكم وذلك قوله الر كتاب احكمت اياته الر تلك ايات الكتاب الحكيم والمراد كونه كلاما حقا فصيح الالفاظ صحيح المعاني وانه بحيث لا يتمكن احد من الاتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه ودل على انه بتمامه متشابه كتابا متشابها مثاني والمراد انه يشبه بعضه بعضا في الحسن والاعجاز والبراءة عن التناقض ثم ان هذه الاية هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات دلت على ان بعض القران محكم وبعضه متشابه فيعني ههنا بالمحكم ما هو المشترك بين النص والظاهر وبالمتشابه القدر المشترك بين المجمل والماول كما

تقرير في المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام في اللغة المنع وكذا سائر تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم
من الظلم وحكمة اللجام تمنع الفرس من الاضطراب وفي حديث النخعي احكم اليتيم كما تحكم ولدك اي امنعه من الفساد وسميت
الحكمة حكمة لانها تمنع عما لا ينبغي واما المتشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل
ما لا يهتدي الانسان اليه متشابها اطلاقا لاسم السبب علي المسبب ونظيره المشكل لانه اشكل اي دخل في شكل
غيره ثم ان كل احد من اصحاب المذاهب يدعي ان الايات الموافقة لمذهبه محكمة ولقول خصمه متشابهة فالمعتزلي يقول
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤن الا ان يشاء الله متشابه والسني يقلب الامر بالعكس فلا بد من
قانون يرجع اليه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الي المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظي او عقلي والدليل اللفظي
لا يكون قاطعا البتة لتوقفه علي نقل اللغات وعلي وجوه التصريف والاعراب وعلي عدم الاشتراك وعدم المجاز
وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي وكل ذلك مظنون والموقوف علي المظنون اولي ان
يكون مظنونا ولا يجوز عليه التعويل في المسايل الاصولية فاذن لا سبيل الي صرف اللفظ عن معناه الراجح الي معناه
المرجوح الا بالدلايل القطعية العقلية علي ان معناه الراجح محال عقلا فاذا اقامت هذه الدلالة وعرف المكلف انه ليس
مراد الله تعالى من هذا اللفظ ما اشعر به ظاهره فعند هذا لا يحتاج الي ان عرف ان ذلك المرجوح الذي هو المراد ماذا
لان السبيل الي ذلك انما يكون بترجيح مجاز علي مجاز وترجيح تاويل علي تاويل وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدلايل اللفظية
وهي الظنية كما بينا ولا سيما المستعملة في ترجيح مرجوح علي مرجوح آخر فالخوض في تعيين التاويل غير
جائز والله اعلم بالصواب المسئلة الثانية في حكاية اقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس ان المحكمات
هي الايات الثلث في سورة الانعام قل تعالوا الي آخرها وعلي هذا فالمحكم عنده ما لا ينبغي اختلاف الشرايع لان هذه
الاي كذلك والمتشابهات هي التي اشتبهت علي اليهود كاوايل السور اولوها علي حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه
الامة فاختلط الامر عليهم واشتبه وعنه ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم المحكم هو الذي
يكون دلايلها واضحة لايحة كانشاء الخلق في قوله فخلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته الي التدبر
والتامل كاثبات البعث فان التامل يجعلها محكمة فان من قدر علي الانشا قدر علي الاعادة فان عني الاصم بوضوح الدلايل
رجحانها وبالخفا خلاف ذلك فهذا هو الذي ذكرنا من ان المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه المجمل والمأول وان
عني بالواضح ما يعلم صحته بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته بدليل العقل فكل القران متشابه فان انشاء الخلق
ايضا يفتقر الي دليل عقلي فان الدهري ينسب ذلك الي الطبيعة والمنجم الي تاثير الكواكب ولعل الاصم يسمي ما هو بعيد عن
الغلط لقلة مقدماته وضبطها محكما والذي هو غير ذلك متشابها وقيل كل ما امكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك
بدليل جلي او بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الي معرفته كالعلم بوقت القيمة ومقادير الثواب والعقاب في حق كل
مكلف فذاك متشابه المسئلة الثالثة في انه لم جعل بعض القران محكما وبعضه متشابها من الملحدة من طعن
فيه وقال كيف يليق بالحكيم ان يجعل كتابه المرجوع اليه في دينه الموضوع الي يوم القيمة بحيث يتمسك به كل صاحب
مذهب فمثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة الي ربها ناظرة ونافيها يتمسك بقوله لا تدركه الابصار
ومثبت الجهة يخافون ربهم من فوقهم الرحمن علي العرش استوى والنافي ليس كمثله شي فكل منهم يسمي الايات
الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الامر في ترجيح بعضها علي البعض بوجوه ضعيفة وترجيحات
خفية فهذا لا يليق بالحكمة مع انه لو جعل كله ظاهرا جليا خالصا من المتشابه نقيا كان اقرب لحصول الغرض
والجواب انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الي الحق اصعب واشق وزيادة المشقة توجب مزيد
الثواب وايضا لو كان كله محكما كان مطابقا لمذهب واحد فقط فكان ينفر ارباب ساير المذاهب عن قبوله
وعن النظر فيه والانتفاع به واذا كان مشتملا علي القسمين فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد
مقالته فيجتهد في فهم معانيه وبعد الفحص والاستكشاف صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات ويتخلص المبطل
عن باطله ويصل الي الحق وايضا اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الي الاستعانة بالدلايل العقلية
فيتخلص من ظلمة التقليد الي ضياء البينة والاستدلال والطمانينة وافتقر ايضا الي تحصيل علوم اخر كاللغة والنحو

والمعاني

والمعاني والبيان واصول الفقه واصول الكلام الي غير ذلك ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت
علي الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب اقوى وهو ان القران كتاب مشتمل علي دعوة الخواص والعوام وطباع العامة تنبو
في الاغلب عن ادراك الحقايق فمن سمع منهم في اول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن ان
هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة علي بعض ما توهموه وتخيلوه مخلوطا بما يدل
علي الحق الصريح فالاول وهو الذي يخاطب في اول الامر من باب المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف لهم آخر
الحال من قبيل المحكمات قوله تعالى هن ام الكتاب الام في اللغة الاصل الذي تتكون منه الشي فلما كانت المحكمات مفهومة
بذواتها والمتشابهات انما تصير مفهومة باعانة المحكمات فلا جرم صارت المحكمات اصولا للمتشابهات وانما لم يقل امهات
الكتاب لتطابق المبتداء لان مجموع المحكمات في تقدير شي واحد هو اصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله وجعلنا ابن
مريم وامه آية علي ان مجموعهما آية واحدة واخر اي ومنه آيات اخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن
الحق فيتبعون ما تشابه منه لا يتمسكون الا بالمتشابه قال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المسيح فقالوا أليس هو كلمة الله وروح منه قال بلى فقالوا حسبنا وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه
الامة من الحروف المقطعة في اوايل السور وقال قتادة والزجاج هم منكروا البعث لانه قال في آخره وما يعلم تاويله
الا الله وما ذاك الا وقت القيمة فانه تعالى اخفاها عن الخلايق حتى الانبيا والملايكة عليهم السلام والمحققون انه عام
في كل مبطل متشبث باهداب المتشابهات لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما
فيه لبس واشتباه ومن جملة ما وعد الله سبحانه وتعالى به الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون
ايتنا بعذاب الله ومتى الساعة ومتى ما تاتينا بالملايكة فموهوا علي الضعفة قال اهل السنة ويدخل في هذا الباب
استدلال المشبهة بقوله الرحمن علي العرش استوى فانه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الاله في مكان والا لزم
انقسامه وكل منقسم مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة
بالظواهر الدالة علي تفويض الفعل بالكلية الي العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل يتوقف علي
حصول الداعي وانه من الله تعالى والا لتسلسل فيكون حصول الفعل مع تلك الداعية واجبا وعدمه عند عدمها واجبا
فيبطل التفويض وثبت ان الكل بقضاء الله وقدره واذا لاحت الدلايل العقلية فكيف يجوز للعاقل ان يسمي الايات
الدالة علي القضا والقدر بالمتشابه بناء علي ما اشتهر بين الجمهور من ان كل آية توافق مذهبهم فهي المحكمة وكل آية تخالفها
فهي المتشابه والانصاف ان الاية ثلثة اقسام الاولى ما تاكد ظواهرها بالدلايل العقلية فذلك هو المحكم حقا
الثانية التي قامت الدلايل القاطعة علي امتناع ظواهرها فذلك هو الذي يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره الثالثة
الذي لا يوجد مثل هذه الدلايل علي طرفي ثبوته وانتفايه فهو المتشابه بمعنى ان الامر اشتبه فيه ولم يتميز احد الجانبين
عن الآخر لكن ههنا عقدة اخرى وهي ان الدليل العقلي يختلف فيه ايضا بحسب ما يرتبه كل فريق وتخيله مصادقا
في نظمه مادة وصورة فكل فرقة تدعي بمقتضى فكره ان الدليل العقلي قد قام علي ما يوافق مذهبه ويؤكد به
الظاهر الذي تعلق به فلا خلاص من البين الا بتاييد سماوي وتوفيق الهي ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
ثم انه تعالى بين ان لمتبعي المتشابه غرضين احدهما ابتغاء الفتنة وهي في اللغة الاستهتار بالشي والغلو فيه يقال فلان مفتون بطلب
الدنيا والرجل مفتون بطلب ابنه وبشعره فكان المتمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا به
عاشقا لا ينقطع عنه بحيلة البتة وقيل الفتنة في الدين وهو الضلال عنه اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم
وعن الاصم انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات في البين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي
الي التقاتل والهرج والمرج فذاك هو الفتنة الغرض الثاني ابتغاء تاويله اي طلب المعنى الذي يرجع اليه بحسب ما
يشتهونه من غير ان يكون قد وجدوه في كتاب الله بيانا قال القاضي ابو بكر هؤلاء الزايغون قد ابتغوا المتشابه من
وجهين احدهما ان يحملوه علي غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة والثاني ان يحكموا بحكم في الموضع الذي لا دليل فيه
وهو قوله وابتغاء تاويله ثم قال عز من قايل وما يعلم تاويله الا الله وقال العلماء اختلفوا في هذا الموضع فمنهم من يقف
عليه فعلي هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعايشة والحسن ومالك بن انس والفراء ومن المعتزله

قول ابي علي الجبائي ومنهم من لم يجعل الواو في والراسخون للابتدا وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه
حاصلا عند الله وعند الراسخين لانه وصفهم بالرسوخ في العلم والثبوت والتفقه وبعد الغور فيه يناسب ذلك
وهذا قول مجاهد والربيع ابن انس واكثر المتكلمين وقد يروى عن ابن عباس ايضا والمختار هو الاول لوجوه منها ان ذهب
اليه كثير من العلما ان ما فيه معنى التفصيل البتة بعد انا نستفهم لو تدبروا ما الراسخون في العلم فيقولون منها
ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علم ان مراد الله بعض مجازات
تلك الحقيقة وفي المجازات كثرة وترجيح البعض لا يكون الا بالتراجيح اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح الاستناد
لا في المسايل القطعية مثاله الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على ان الاله يمتنع ان يكون في المكان فعرفنا انه
ليس مراد الله من هذه الاية ما اشعر به ظاهرها الا ان في مجازات هذا اللفظ كثرة ولا يتعين احدها الا بدليل لغوي
ظني والقول بالظن في ذات الله وصفاته غير جايز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك ابن انس الاستواء معلوم والكيف
مجهول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة ومنها ان ما قبل هذه الاية ذم لطالب تاويل المتشابه حيث قال
واما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه
ترجيح من غير مرجح فالذم يتوجه على الكل وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون امنا
به وقال في اول البقرة فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فهولاء الراسخون لو كانوا عالمين بتاويل ذلك المتشابه
على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في قولهم كل من عند ربنا لان كل من عرف شيا على التفصيل فانه لا بد
ان يومن به انما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلايل القطعية ان الله عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا
ان القران كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا اية ودلت الدلالة القاطعة على انه يجوز ان يكون
ظاهرها مراد الله تعالى عرفوا ان مراد الله تعالى منه غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا
بان ذلك المعنى اي شي كان فهو الحق والصواب فهولاء هم الراسخون في العلم بالله حيث لم يزعزعهم ترك الظاهر
ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله والجزم بصحة القران ولم يصر كون ظاهره مردودا شبهة لهم في الطعن في كلام
الله تعالى ثم انه جعل قوله والراسخون على اسم الله فقوله يقولون امنا به في كلام مستانف موضح لحال الراسخين
بمعنى هم يقولون امنا بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عند مزيد
تفخيم وتاكيد وتعظيم لشان القران ويحتمل ان يعود الضمير في امنا به الى الكتاب اي يقولون امنا بالكتاب كل
من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه ويحتمل ان يكون قوله يقولون
حالا الا ان فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذي تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله وذكر الراسخين والحال
لا يكون الا من الراسخين فيلزم ترك الظاهر وما يذكر الا اولوا الالباب وما يتعظ الا ذوو العقول الكاملة الذين
يستعملون اذهانهم في فهم القران يعلمون ما الذي ظاهره دلايل العقل فيكون محكما وما الذي هو بالعكس فيكون
متشابها ثم يعتقدون ان الكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه لا بد ان يكون له معنى
صحيح عند الله وان دق فهومنا وقيل هو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل حتى علموا من التاويل
ما علموا ثم انه تعالى حكى عن الراسخين نوعين من الدعا الاول قولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اي
بعد وقت هدايتنا الثانية قولهم وهب لنا من لدنك رحمة سالوا ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مايلة الى الاباطيل
والعقايد الفاسدة ثم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويزين جوارحهم واعضاءهم بزينة الطاعة ونكر
رحمة ليشمل جميع انواعها الاولى ان يحصل في القلب نور الايمان والتوحيد والمعرفة الثانية ان يحصل
في الجوارح والاعضاء نور الطاعة والعبودية والخدمة الثالثة ان يحصل في الدنيا سهولة اسباب
المعيشة من الامن والصحة والكفاية الرابعة ان يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت الخامسة سهولة
السوال والظلمة والوحشة في القبر السادسة في القيمة سهولة العتاب والخطاب وغفران السيات وتبديلها
بالحسنات السابعة في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين الثامنة في الحضرة رفع الاستار ورؤية الملك
الجبار وفي قولهم من لدنك تنبيه على ان هذا المقصود لا يحصل الا من عنده ويوكده قوله انك انت الوهاب

فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية كرمك ونهاية جودك وموهبتك ولنعد الى ما يتعلق
بالدعا الاول قال اهل السنة القلب صالح لانه يميل الى الايمان وصالح لانه يميل الى الكفر وكل منهما يتوقف على داعية
يخلقها الله فيه اذ لو حدثت بنفسها لزم سد باب اثبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد
والختم والطبع والرين ونحوها مما ورد في القران وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت
والعصمة ونحوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن يعني الداعيتين
ومما يوكد ذلك ان الله تعالى مدح هولاء الراسخين بانهم لا يتبعون المتشابهات بل يومنون بها على سبيل الاجمال
ويتركون الخوض فيها فيبعد منهم في مثل هذا الموقف ان يتكلموا بالمتشابه فيكون هذه الاية من اقوى المحكمات وهي
ظاهر في ان الازاغة والهداية كلتيهما من الله تعالى اما المعتزلة فقد قالوا لما دلت الدلايل على ان الازاغة لا يجوز
ان تصدر من الله تعالى لان ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الاية الى التاويل فقال الجبائي واختاره القاضي المراد ان لا
يمنع قلوبهم الالطاف التي معها يستمر قلبهم على صفة الايمان وزيف بان اللطف ان صح في حقهم وجب عندكم على الله
ان يفعل ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الهيئة ولصار غناجا وقال الاصم لا تبتلنا ببلوى تزيغ عندها قلوبنا والمعنى لا
تكلفنا من العبادات ما لا نامن معه الزيغ وقد يقول القايل لا تحملني على ايذائك اي لا تفعل ما اضجر عنده فيوذنا ذلك
وزيف بان التشديد في التكليف قبيح ان علم الله تعالى ان له اثرا في حمل المكلف على القبيح والا فوجوده كعدمه
فلا فايدة في صرف الدعا اليه وقال الكلبي لا تنسبنا باسم الزايغ كما يقال فلان يكفر فلانا اي يقول انه كافر وزيف
بان التسمية دايرة مع الفعل فعل الزيغ باختيار العبد عندكم فالتسمية ايضا بسببه وقال الجبائي ايضا لا تزغ
قلوبنا عن جنتك وثوابك وهو كالاول الا ان يحمل على شي اخر وهو انه تعالى اذا علم انه مومن في الحال وعلم انه
لو بقي الى السنة الثانية لكفر اماته في هذه السنة ويرد عليه انه لو كان علمه بانه يكفر في السنة الثانية يوجب
عليه ان يميته لكان علمه بانه لا يومن قط ويبقى على الكفر طول عمره يوجب ان لا يخلقه وعن الاصم ايضا لا تزغ
قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم مناسبته لقوله فاما الذين في قلوبهم
زيغ وقال ابو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور انفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا ان يصونهم عن الزيغ وان
يخصهم بالهداية والرحمة فكانوا قالوا ليس الغرض من هذا السوال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن
الغرض ما يتعلق بالاخرة فانا نعلم انك جامع الناس للجزا في يوم لا ريب فيه اي في وقوعه فاللام للوقت او جامع
الناس لجزا يوم بحذف المضاف ان الله لا يخلف الميعاد وقيل هو كلام الله تعالى كانه يصدقهم فيما قالوه ولو كان
من تمام قول المومنين لقيل انك لا تخلف الا ان يحمل على الالتفات ومعناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد لقولك ان
الجواد لا يخيب سايله ولا سيما يعد الحشر والجزا لينتصف من المظلوم من الظالمين والميعاد المواعدة والوقت والموضع
قاله في الصحاح واعلم انه لا يلزم من انه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد في
وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم التوبة بدليل منفصل قال الواحدي ولم لا يجوز ان يحمل هذا على
ميعاد الاوليا دون وعيد الاعدا لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال بعضهم شعر اذا وعد السرا انجز وعده
وان وعد الضرا فالعفو مانعه وناظر ابو عمرو بن العلا عمرو بن عبيد فقال ما تقول في اصحاب الكباير فقال ان الله
وعد وعدا واوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال ابو عمرو انك اعجم لا اقول اعجم اللسان ولكن اعجم
القلب لان العرب يعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الايعاد كرما وانشد شعر واني ان اوعدته او وعدته لمكذب
ايعادي ومنجز موعدي وذلك ان الوعد حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود والكرم ومن اسقط حق
غيره فذلك هو اللوم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على انا لا نسلم ان الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو
مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله تعالى ثم انه سبحانه لما حكى عن المومنين دعاءهم
وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عقابهم فقال ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيا وقيل المراد وفد نجران وذلك يروى في قصتهم ان ابا حارثة بن علقمة قال لاخيه اني اعلم انه رسول الله
حقا ولكني ان اظهرت ذلك اخذ ملوك الروم مني ما اعطوني من المال فالله تعالى بين ان اموالهم واولادهم لا تدفع عنهم عذاب

ما احسن ما قال من قال في الوعيد والوعد

الله في الدنيا والاخرة لكن خصوص السبب لا يمنع اللفظ واعلم ان كمال العذاب هو ان يزول عنه كل ما كان منتفعا به
ويجتمع عليه جميع الاسباب المولمة اما الاول فاليه الاشارة بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم لانها اقرب
الامور التي يفزع اليها المرء عند الخطوب واذا لم يفد اقرب الطرق الي دفع المضار في ذلك فما عداه بالتعدي اولى ومثله يوم
لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات واما الثاني فاشار
اليه بقوله واولئك هم وقود النار فانه لا عذاب ازيد من ان تشتعل النار بهم كاشتعالها في الحطب اليابس ومن في قوله
الله البدل مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغني عنهم بدل رحمة الله وطاعته
شيئا وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه حظه وحظه في الدنيا بدل طاعتك وعبادتك وانشد ابو علي شعر
فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على طهيان طهيان من بلاد الازد قلت يجوز ان يقال من للابتداء تقديره من
عذاب الله والجار والمجرور مقدم حالا من الله شيئا او من ابتدائية لتاكيد النفي التقدير لن تغني عذاب الله شيئا من الغناء
اي لن تدفع وقال ابو عبيدة من بمعنى عند والمعنى لن تغني عند الله قوله تعالى كدأب آل فرعون يقال دأب فلان
في عمله اي جد وطلب اي دأب او دوبا وادابته انا والدأبان الليل والنهار والدأب العادة والشأن وكلها عليه الانسان
من صنع وحاله وقد تحرك لغاصله من دأبت اطلاقا لاسم الخاص على العام اي جد هؤلاء واجتهادهم او شأنهم او صنيعهم
في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وكفرهم بدينه كداب آل فرعون مع موسى عليه السلام ثم انا اهلكنا اولئك
بذنوبهم فكذلك نهلك هؤلاء وقوله كذبوا باياتنا تفسير لدابهم على انه جواب سوال مقدر كانه قيل ما فعلوا وما فعل
بهم فقيل كذبوا باياتنا بالمعجزات الدالة على صدق رسلنا فاخذهم الله بذنوبهم اي صاروا عند نزول العذاب كالماخوذ
المأسور الذي لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى كداب الله في آل فرعون اي يجعله الله وقود النار كعادته
وصنيعه في آل فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال القفال يحتمل ان يكون الاية جامعة
للعادة المضافة الى الله تعالى وللعادة المضافة الى الكفار كانه قيل ان عادة هؤلاء ومذهبهم في ايذاء محمد كعادة
من قبلهم في ايذاء الرسل وعادتنا ايضا في اهلاك اولئك الكفرة وقيل الدوب والداب اللبث والدوام والتقدير
دوبهم في النار كدوب آل فرعون وقيل مشقتهم وتعبهم في النار كمشقة آل فرعون بالعذاب النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقيل المشبه هو ان اموالهم لا ينفعهم في ازالة
العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين بالرسل من العذاب الذي عنده لم ينفعهم مال ولا
ولد فكذلك لكم ايها الكفار المكذبون بمحمد ينزل بكم مثل ما نزل بهم ولا يغني عنكم والاولاد ويحتمل ان يكون وجه التشبيه
انه كما نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستيصال وهو قوله فاخذهم بذنوبهم ثم صاروا الى دوام العذاب وهو قوله والله
شديد العقاب فينزل بمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم امران المحن المعجلة من القتل والسبي والاذلال وسلب الاموال
واليه الاشارة بقوله قل للذين كفروا ستغلبون والثاني المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله وتحشرون الى
جهنم وبئس المهاد **التأويل** الم الالف اظهار الوحدة مطلقا ذاتا وصفة فان الالف واحد ذاته وصفاته في وضع
الحساب ومنفرد بالاولية والانقطاع عن غيره في وضع الحروف ويتنبس باستغنا منه وعدم تغيره في جميع الاحوال الى
عدم تغيره عن الوجود الوحداني ان لافان الالف مصدر جميع الحروف فانه من استقامته يخرج كل حرف معوج ثم في اللام
والميم المتصل كل حرف منهما بالاخر اثبات كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان قسم لم يكن فكان
ثم يزول وقسم ما كان فكان ولا يزول فهذان القسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذي ما زال كان ولا يزال يكون
واليه الاشارة بالالف واللام فاشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك والاجساد
لوقوعه في المرتبة الثانية من الالف اشارة الى انه مسبوق بالوجود والالف سابق عليه والانكسار فيه يشير الى
تغيره وزواله والميم اشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح وذلك ان
الميم اول حرف من اسمه المبدي واخر حرف من اسمه القيوم فيشير الى انه كما ابدى المبدي حين لم يكن يقيمه القيوم حتى
كان لا يزال ويوجد اخر الالف اشارة الى وجود حقيقي قائم بذاته واللام يشير الى الاثبات والنفي فالاثبات في اللام التمليك
له ما في السموات والارض والنفي في لا النافية اي لا وجود لشيء بالحقيقة سواه والميم يشير ايضا الى الاثبات والنفي فالاثبات

والاولاد هم

احدهام

بما اسمه

بما اسمه القيوم والنفي بما النافية اي ما في الوجود حقيقة الا هو ودليل الوجهين في الم الله لا اله الا هو الحي القيوم فالله
اثبات ذاته القديم ولا اله الا هو نفي الشرك عن وجوده واثبات وحدته في وجوده والحي القيوم اثبات جميع صفات كماله
ونفي جميع صفات النقص عن ذاته وقد ادمج جميع معاني هذه الاية في قوله الم فمعنى قوله الله اودع في اول حرف من حروفه
وهو الالف ومعنى قوله لا اله الا هو اودع في اول حرف من حروفه وهو اللام ومعنى الحي القيوم اودع في اخر حرف من حروفه
وهو الميم وانما اودع في اخر حروفه هيهنا ليكون السر مودعا في الاية من اول حرفها الى اخر حرفها مكنونا فيما بينهما
والحروف الثلاثة من قوله الم الالف من اولها دال على المعنى الذي هو في الكلمة الاولى وهي الله واللام من اوسطها
دال على المعنى الذي في الكلمة الثانية وهي لا اله الا هو والميم من اخرها دال على المعنى الذي هو مودع في الثالثة
وهو الحي القيوم فيكون الاسم الاعظم من دعا في الم كما روي عن سعيد بن جبير وعنه وهو سر القران وصفوته
كما روي عن ابي بكر الصديق وعلي كرم الله وجهه ثم انه تعالى بعد ان اظهر اسرار الوهيته المودعة في الم بقوله
الله لا اله الا هو الحي القيوم اظهر الطاف ربوبيته المكنونة في استار العزة مع حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فقال
نزل عليك الكتاب بالحق اي نزل حقائق القران وانوارها على قلبك بالحقيقة متجلية لسرك مخفية عن زيرك فصرت
بنا هذا السر الله الموضوع في الم وهو الذي بين يدي الله لا اله الا هو الحي القيوم فصرت مصدقا له تصديق تحقيق لا
تصديق تقليد فانهم اذ لم تتعلم ولا تعلم انك لا تفهم لانه منطق الطير وانت تجد بيضة لا من الطائرين ولا من السائرين
وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس فلا تظنن يا محمد ان انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القران بالحقيقة
على قلبك حتى صرت مكاشفا عند تجلي انواره وحقائق بيني وبينك لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانما انزال
الكتب على الانبياء بالصورة مكتوبة في صحايف والواح كان يقراها كل قارئ ويستوي في هداها الانبيا والامم قاطبة
هدى للناس وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلي انوار القران بالتنزيل على قلبك كما قال ولكن جعلناه نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا وانزل الفرقان الذي يفرق بين تنزيله على قلبك وبين انزال الكتب على صورة الانبيا
ويفرق بين تعلمك القران وبين تعلمهم الكتب فانهم كانوا يتدارسون الكتب وانت تتخلق بالقران فشتان بين نبي يجي
وهو بذاته نور ومعه كتاب قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وبين نبي يجي ومعه نور من الكتاب قل من
انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان بين نبي تشرف بكتابة الموعظة له في الالواح وكتبنا
له في الالواح من كل شي موعظة وبين نبي تشرف امته بكتابة الايمان لهم في قلوبهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان ثم
ان الذين كفروا بايات الله يشترون بحجب الغفلات ويتبع الشهوات قلوبهم فتعمى عن مشاهدة هذه الايات البينات
لهم عذاب شديد من هذا العمى والحرمان وهم في خسران من الركون الى هذا النقصان والله عزيز ذو انتقام
يعز اهل العوام بنيل المرام وينتقم من اهل السلوة بحجاب العزة ثم اخبر عن كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه
شي في الارض ولا في السما وكيف وانه هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز بنقض
الاحكام الحكيم فيما يجري من الازل الى الابد وجفت به الاقلام وفي الاية اشارة الى انه اذا سقطت من صلب ولاية
رجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب مريد صادق يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهي بمثابة ملك الارحام
ويضبط المريد باحواله الظاهرة والباطنة على وفق امر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة كيلا يصدر منه سقوط النطفة
وفسادها ويعتقد بامر الشيخ وتدبيره فالله تعالى متصرف ولاية الشيخ المؤيدة بتاييد الحق يربيه بكل ما يعين عليه
بشرايطها تحويلها من حال الى حال ومن مقام الى مقام الى ان يرجع الى حضاير القدس ورياض الانس التي منها صدر الى
عالم الانس فيكون الجنين في رحم القلب وهو طفل خليفة الله في ارضه فيستحق الى ان ينفخ فيه الروح المخصوص بانبيائه
واوليائه يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه فاذا نفخ فيه الروح الكون
ادم وقته فيسجد له بالخلافة والملائكة كلهم اجمعون الايات المحكمات نتزيلها بشرب الخواص والعوام ليسط الشرع والاحكام
بالمتشابهات تاويلها بشرب الخواص وخواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاعداء والابتلاء فاما الذين في قلوبهم زيغ
البيت قلوبهم غطاء الريب وحرموا انوار الغيب وهم اهل الاهواء والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا
باهوائهم وابتغاء تاويله ليضلوا الناس بارائهم والراسخون في العلم يقولون امنا به بما شاهدوا من انوار الحق في تحقيق

التاويل من عندربنا بتوفيقه واعلامه وتعريفه وما يذكر الا اولوا الالباب الذين خرجوا في متابعة النبي صلى الله
عليه وسلم من ظلمات قشور وجودهم الجسماني الى نور الباب وجودهم الروحاني وهم الراسخون فتشور العلوم المكتسبة
الواصلون الى حقائق الباب العلوم اللدنية من لدن حكيم خبير وفي الاية اشارة الى ان علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى
اياهم في الميثاق اذ تجلى بصفة الربوبية للذرات واشهدهم على انفسهم بشواهد الربوبية الست بربكم فشهود تلك
الشواهد تجري في جبلة الذرات علم التوحيد فقالوا بلى ويندرج في علم التوحيد كل العلوم كما قال وعلم ادم الاسماء
كلها فلما ردت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت الى الارحام وتنقلب تقدم الاربعينيات
من حال الى حال ومن مقام الى مقام من مقامات البعد عن الحضرة الى ان وضع الحمل وردت النفس العالمة بعلم التوحيد
الناطقة به الى اسفل سافلين القالب محجبة بحجب البشرية ناسية تلك العلوم والمنطق بها ثم ابواه يذكر تلك العلوم
بالرموز والغرائب حتى يتذكر بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية واستار الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسانه
الذي اجاب به الرب وقال بلى فان ذلك اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك وكذلك جميع وجود ظاهر الانسان
وباطنه قشور الباب ذلك الوجود المستمع المجيب في الميثاق فسمعه قشر ذلك السمع الذي اسمع خطاب الحق وبصره
قشر ذلك البصر الذي ابصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذي فقه خطاب الحق وعلومه قشر تلك العلوم التي تعلمت
من الحق فالنبي صلى الله عليه وسلم انما بعث ليذكرهم حقيقة تلك العلوم التي كان ابواه يذكر انه قشرها كما قال فذكر انما انت
مذكر والتذكر عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال وما يذكر الا اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن صراطك بغلبات
ظلمات طبايعنا وطباعنا بعد اذ هديتنا الى حضرة جلالك وبنور جمالك حتى سمعنا بلب سمعنا لب التنزيل وشاهدنا
بلب ابصارنا لب التاويل وتذكرنا بلب عقولنا لب علومنا وهب لنا من لدنك رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك وتغيبنا
عنا بك انك انت الوهاب وفيه اشارة الى ان وظيفة الطالب ان لا يسكن في مقام ولا يقف مع حال بل يكون الى
الابد طالبا كما كان الله من الازل الى الابد وهابا وكما انه لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب مطالبه وان بعد هذه
الدار دارا هي دار القرار يجزي فيها جزاء الابرار والفجار بحصول الارب بقدر غاية الطلب ومقاساة التعب
والنصب وان التقوى خير زاد للمعاد ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا ستروا انوار روحانيتهم بظلمات
صفات نفسانيتهم لن تغني عنهم طاعوت اموالهم ولا اولادهم من انوار الله التي حجبوا عنها واولئك هم وقود النار نار
الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التي لا تحرق الا قشور الجلود ولا تصل الى
القلوب وان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب فرقة القلوب وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الجنان الى سموم
الممات شعر ففي نار فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها وكذلك داب جميع الكفار الذين ستروا انوار
روحانيتهم بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة انوارنا ومحافظة سرارنا فاخذهم الله فعاقبهم بحجاب ذنوبهم
وحرقة قلوبهم والله شديد العقاب اليم نار هجرانه عظيم بعده واشواقه

شعر

بالنار حق نوب فني بي فقلت لهم النار تزحم من في قلبه نار والله اعلم بالصواب

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم اية
في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي
العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن الماب

قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا (نصف الجزء)
اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين
والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا
العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن
يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهي
لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا
فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين
يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين
يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت
اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم
يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا
النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف
اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

القراءة سيغلبون ويحشرون بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف عباس مخير الباقون بتاء الخطاب ترونهم
بتاء الخطاب ابوجعفر ونافع وسهل الباقون بالياء مثليهم بضم الهاء سهل ويعقوب وكذلك ما انفتح قبل الياء من
مثليهم راي العين بغير همز ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف بهمزة ساكنة او بتليين
بهمزة غير ممدودة بعدها واو مضمومة ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب عن عباس واوقيه وابو شعيب
ونافع عن قالون اؤنبئكم بالمد والواو المضمومة يزيد وقالون وعباس وابو قتيبة وابو شعيب الباقون بهمزتين هشام يد

بينهما ملك ورضوان بضم الراء حيث كان الاعشى والبرجمي وافق يحيى وحماد الاول من ابنع رضوانه في المائدة نقرآن
على الباقون بالكسر ويحيى بالفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر غير البخاري عن هشام وحفص والمفضل والاعشى
والبرجمي ويعني اتبعني باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو وابو جعفر
ونافع غير قالون في الوصل ويقاتلون الذين حمزة ونصير في رواية على ابن نصير الباقون ويقتلون بحكم بضم الياء
وفتح الكاف ابو جعفر الباقون بالعكس **الوقوف** جهنم ط المهاد ط التقتال ان التقدير منهما فئة اذا طرحها العين
من يشاء الابصار والحرث الدنيا للفصل بين النقيضين مع اتفاق الجملتين المآب من ذلكم لتناهي الاستفهام من
الله بالعباد للاية على جعل الذين خبر مبتدا محذوف اي هم الذين او مدحا على اعني الذين ويجوز انه نعت للعباد
او للمتقين النار الصابرين بصلح بدلالة الذين والوقف اجوز نصبا على المدح بالاستحسان لا هو للعطف ولو وقف اختر ...
عن وهم دخول الملائكة واولي العلم في الاستثناء والمشاركة في الالوهية كما نجد ابالقسط الحكيم الالمي قرات بالنح
على البدل من انه الاسلام بينهم لاطلاق حكم غير مخصوص بما قبله الحساب ومن اتبعن لابتداء امر يشمل اهل
الكتاب والعرب والاول مختص باهل الكتاب فلم يكن الثاني من جملة اجزاء الشرط ء اسلمتم لتناهي الاستفهام الى الشرط
اهتدوا لابتداء شرط اخر مع العطف البلاغ بالعباد بغير حق لمن قرا ويقاتلون لعدول المعنى من قوله يقتلون
اليم والاخرة للابتداء بالنفي مع اتحاد المقصود من ناصرين معرضون معدودات لان الواو للعطف والحال يفترون
لا يظلمون **التفسير** عن ابن عباس في رواية ابي صالح عنه قال لما هزم الله المشركين يوم بدر قال يهود المدينة
هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية واردوا تصديقه واتباعه
ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
شكوا وقالوا لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة فنقضوا ذلك
العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة ابي سفيان واصحابه فوافقوهم واجمعوا امرهم وقالوا
لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الاية وقال محمد بن اسحق بن يسار في رواية
عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر وقدم المدينة
جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل
ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت
قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة اما والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله قل للذين كفروا
يعني اليهود ستغلبون تهزمون وتحشرون الى جهنم في الاخرة ومعنى جهنم تقدم في البقرة في قوله فحسبه جهنم
ولبئس المهاد وقيل هم مشركوا مكة ستغلبون يعني يوم بدر ومن قرا بتاء الخطاب فقضاه الامر بان يخبرهم بما سيجري
عليهم من الغلبة والحشر بالفاظ اراده ومن قرا بالياء فالامر متوجه الى حكاية هذا اللفظ اي قل لهم قولي لك
ستغلبون وفي الاية محاج للقائل بتكليف ما لا يطاق فانه تعالى اخبر عنهم بانهم يحشرون الى جهنم فلو امنوا لما
لانقلب الخبر كذبا وفيه دليل على صحة البعث وللحشر باخبار الصادق وقوله ستغلبون وقد وقع كما اخبر اخبار
عن الغيب فيكون معجزا دالا على صدق النبي صلعم ونظيره في حق عيسى عليه السلام وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون
في بيوتكم ثم انه تعالى ذكر ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قد كان لكم اية في فئتين التقتا يوم بدر
فئة اي جماعة تقاتل في سبيل الله وهم المسلمون لانهم يقاتلون في نصرة دين الله واعلاء كلمته واخرى كافرة
هم كفار قريش وبيان تلك الوقعة اية من وجوه احدها ان المسلمين قد اجتمع فيهم من اسباب الضعف امور منها
قلة العدد فالعدد كان ثلثمائة وثلثة عشر رجلا بين كل اربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان
ومنها انهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتاهبوا ومنها ان ذلك ابتداء عادة في الحرب لانها اول غزوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان قد حصل في المشركين اضداد هذه المعاني كانوا تسعمائة وخمسين رجلا فيهم ابو سفيان وابو جهل
ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير واهل الخيل كلهم دارعون وكان فيهم دروع سوى ذلك وكانوا قد تمرنوا على الحروب
والغارات واذا كان كذلك كان غلبة المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها انه صلعم كان قد اخبر عن ذلك باخبار الله

احدهاء

ع

تعالى في قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني جمع قريش او عير ابي سفيان وكان اخبر قبل الحرب بان هذا
مصرع فلان وهذا مصرع فلان والاخبار عن الغيب معجز وثالثها امداد الملائكة كما يجيء في هذه السورة وقرر
رابعها نرله ترى ونهم مثليهم وفيه اربعة احتمالات لان الضمير في يرون اما ان يعود الى الفئة الكافرة وان المسلمين
مثلي عدد المشركين قريبا من الفين الثاني انها رات المسلمين مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين ودليل هذا
الاحتمال قراءة من قرا ترونهم بتاء الخطاب اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي انفسهم ودليل الاحتمالين جميعا
ان عود الضمير في يرون الى اقرب وهو الفئة الكافرة اولى ولانه سبحانه جعل هذه الحالة اية للكفار حيث خاطبهم
بقوله قد كان لكم اية فوجب ان تكون المرادون هم الكفار حتى تكون حجة عليهم ولو كانت الاية مما شاهدها المؤمنون
لم يصلح جعلها حجة على الكفرة والحكمة في ذلك انه اراهم المشركون ليجبنوا عن قتالهم وهذا ينافي قوله في سورة
الانفال ويقللكم في اعينهم في اختلاف الوقتين فكانهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا
في اعينهم حتى غلبوا على انه تقليلهم تارة في اعينهم وتكثيرهم اخرى ابلغ في القدرة واظهار الاية **الاحتمال الثالث**
ان الرائين هم المسلمين والمرئيون هم المشركون والمسلمون راوا المشركين مثل المسلمين والسبب فيه ما قدر عليهم امره
من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والكافرون كانوا قريبا
من ثلثة امثالهم فلو راوهم كما هم لجبنوا وضعفوا **الاحتمال الرابع** ان يكون الراؤن هم المسلمين ثم انهم راوا المشركين
على الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن ان يقول به احد لان هذا يوجب تعظيم الكفار وايقاع الخوف في
قلوب المؤمنين والاية تنافي ذلك وفي الاية احتمال خامس وهو ان الاية قد بينا انه خطاب مع اليهود فيكون
المراد ترون ايها اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو ان الاحتمالين الاول والثاني يقتضي
ان المعدوم صار مرئيا والاحتمال الثالث يوجب ان يكون الموجود والحاضر غير مرئي اما الاول فهو محال عقلا
والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى انزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيرا وعلى هذا يكون الرؤية
رؤية البصر ويكون مثليهم نصبا على الحال او يحتمل الرؤية على الظن والحسبان فان من اشتد خوفه قد يظن
في الجمع القليل انه في غاية الكثرة لكن قوله رأي العين لا يجاوب ذلك ان معناه رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس
فيها معاينة كسائر المعاينات واما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة اذ عند حصول الشرائط وصحة الحاسة
يكون الادراك واجب الحصول عند اجتماع الشروط وسلامة الحس فاعتذروا عن ذلك ان الانسان عند الخوف
لا يتفرغ للتامل البالغ فقد يرى البعض دون البعض ولعل الغبار صار مانعا عن ادراك البعض او خلق الله
تعالى في الهواء ما صار مانعا عن رؤية ثلث العسكر او يحدث في عيونهم ما يستقل به الكثير كما احدث في اعين
الحول ما يرون له الواحد اثنين وكل ذلك محتمل والله يؤيد بنصره من يشاء اما بالغلبة كيوم بدر واما
بالحجة والعاقبة كيوم احد ان في ذلك الذي ذكر من الاية لعبرة نوع عبور وهو المجاوزة من منزل الجهل الى منزل
العلم لاولي الابصار ذوي العقول التي تبصر القضايا معها كالمشاهد المعاين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان لبعض
الانسان وهو انه زين للناس حب اللذات الجسمانية والاخرة وهو عالم الروحانيات خير وابقى وانها معدة لمن
واظب على العبودية واتصف بالخصال الجميلة واما ما يتعلق بالقصة فانا روينا ان ابا حارثة بن علقمة النصراني
اعترف لاخيه بانه يعرف صدق محمد الا انه يمنعه من اتباعه حب المال والجاه وروينا ايضا انه صلى الله عليه وسلم
لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر اظهروا من انفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة والعدة فبين
الله تعالى في هذه الاية ان تلك الاشياء متاع الدنيا وزينتها والاخرة خير والمزين هو الله تعالى اما عند
الاشاعرة فلانه خالق افعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان
واما عند جمهور المعتزلة فللحكمة الابتلاء انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ولانها وسائل الى
منافع الاخرة وهو ان يتصدق بها او يتقوى بها على طاعة الله او يشتغل بشكرها كان الصاحب ابن عباد يقول
شرب الماء البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من اقصى القلب ولان القادر على وجود اللذات اذا تركها واقبل على
اداء وظائف الخدمة كان اشق له واكثر ثوابا عن العائق واختار القاضي ان كل ما كان واجبا او مندوبا

او مباحًا فالتزيين فيه من الله تعالى وكل ما كان حرامًا فالتزيين فيه من الشيطان وحكي عن الحسن ان الشيطان
زينها لهم فكان يحلف بالله على ذلك واحتجاجه في الاية بانه اطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات وان تزيينها وظيفة
الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وذكر المال الكثير الى هذه الغاية ولا يليق الا بمن جعل الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده
وقال في معرض الذم ذلك متاع الحيوة الدنيا والذام للشي لا يكون مزينا له وقال قل اونبئكم بخير من ذلكم والغرض تحقير
الدنيا فكيف يكون مزينا لها ثم انه تعالى جعل الاعيان المشتهاة شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع
بها وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للمقدور قدرة وللمرجو رجاء وفيه فائدة اخرى هي ان الشهوة صفة مسترذلة
عند الحكما مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر اللفظ تخسيسها او التنفير عنها
قال المتكلمون في الاية دليل على ان الحب غير الشهوة لان المضاف يجب ان يكون مغايرا للمضاف اليه فالشهوة من فعل
الله تعالى والمحبة من افعال العباد وهي ان يجعل الانسان كل همه مصروفا الى اللذات والطيبات فاعلم ان الانسان
قد يحب شيا ولكن يحب ان لا يحبه وقد يحبه ويحب ان يحبه وقد يعتقد مع ذلك ان تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا
هو كمال المحبة ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمن عليه السلام اني احببت حب الخير ومعناه احب الخير واحب ان
اكون محبا للخير فقوله حب الشهوات قريب من ذلك لان الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضي
ان هذا المعنى عام لجميع الناس ولا شك انه موجود في الاغلب وفي اكثر الاوقات فلا يبعد التعميم نظرا الى الاغلب
حكم الكل على ان من هنا يجي انما مقصودة على طلب اللذات الروحانية في غاية الذلة ونفي ذلك النادر في جميع الاحيان
على ذلك الخاطر اعز وامنع ثم شرع في بيان تلك الاعيان المشتهيات وذكر منها ما هي الامهات ورتبها في سبع
مراتب الاولى النساء لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اكثر خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل
بينكم مودة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم اني اخوف ما اخاف على امتي النسوان الثانية الاولاد ولا سيما
البنين ولهذا خصوا بالذكر ومحبة النسوان والاولاد كلها حالة غريزية ولولاها لم يتصور بقاء النسل للحيوانات الثالثة
والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار ماخوذ من احد الشي واحكامه ومنه القنطرة
والمال الكثير قنطار لان الانسان يتوثق بها في عقد النوايب ابو عبيد انه وزن لا يحد ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه
القنطار اثنا عشر الف اوقية انس عنه هو الف دينار ابي بن كعب هو الف ومائتا اوقية ابن عباس الف دينار
واثنا عشر الف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن وزعم الكلبي ان القنطار بلسان الروم ملء مسك ثور من ذهب
او فضة وعن سعيد بن جبير انه مائة الف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار بالتوكيد كقولهم الف مولفة
وبدرة مبدرة وابل موبلة قال الكلبي القنطار ثلثة والمقنطرة المضاعفة وكان المجموع ستة وانما كان الذهب والفضة
محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الاشيا فمالكهما كمالك لجميع الاشيا وكل الصيد يوجد في الفرى لولا البقى لقلت جلت قدرته كام
وصفة المالكية هي القدرة وانها صفة كمال والكمال محبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدي الخيل جمع
لا واحد له من لفظه كالقوم والنسا والرهط وسميت الافراس خيلا لاختيالها وخيلانها في مشيتها وسمي الخيال خيالا
لجولانه في القوة في استحضار الصورة والمسومة قيل المرعية اسمت الدابة وسومتها اذا ارسلتها في مروجها للرعي
ولا شك انها اذا رعت ازدادت حسنا وبهاء وقيل هي المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا في تلك العلامة
فعن ابي مسلم الغرة والتحجيل وقال الاصم هي البلق وقال قتادة الشية وقيل الكي وعن مجاهد وعكرمة المسومة
المطهمة اي الحسان قال الاصمعي رجل مطهم وفرس مطهم اي تام كل شي على حدته فهو بارع الجمال السادسة الانعام
وهو جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانها غلب عليها السابعة الحرث
وهو الزراعة ذلك الذي ذكر متاع الحياة الدنيا لان وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما ان يكون من بني نوعه او من
غيره والاول اصل وهو المراة او فرع وهو الولد وانما فرض الكلام في الذكور لشرفهم والثاني اما ان يكون من المعدنيات
واكثرها فايدة واعمها عايدة الجوهران الثمينان فخصا بالذكر واما ان يكون من الحيوانات للركوب والكر والفر وهو
الخيل وللحم وهو الانعام واما ان يكون من النباتات وهو الحاصل من الزراعة وانما لم يتعرض للدور والقصور لانها قليلة
عند العرب والقران يخاطب اولا بهم والله عنده حسن المآب اي المرجع وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها

غير

غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي ثم بين ان ذلك
المرجع كما انه حسن في نفسه فهو احسن وافضل من هذه الدنيا والمقصود ان يعلم العبد انه كما ان الدنيا اطيب وافسح
من بطن الام فكذلك الاخرة افسح واوسع من الدنيا او انه لما عدد نعم الدنيا بين ان منافع الاخرة خير منها فقال
مستفهما على سبيل التقرير اونبئكم بخير اي بشي هو خير من ذلكم الذي عددنا ثم استانف بيانه وتقريره فقال للذين
اتقوا عند ربهم جنات كما يقول هل ادلك على خير من فلان عندي رجل من صفته كيت وكيت وبيان الخيرية
ظاهر من وصف الجنات والازواج مع قيد الخلود فان النعمة وان عظمت فتوهم الانقطاع والزوال يبعض صفوها
وينغص لذتها وبعد زوال هذا الوهم ان ينكأ مل طبعها الا بالنساء فبهن يحصل الانس ثم وصف الازواج بصفة واحدة
جامعة فقال مطهرة اي من الاقذار والقذرات وبعد ذكر تمام النعمة ذكر ما هو فوق التمام فقال ورضوان من الله ويندرج
فيه جميع المطالب والمقاصد لان العبد اذا رضي عنه المولى لم يتصور منصب اجل منه واعلى وكان المولى وما يملكه للعبد
كما ان العبد وما يملكه للمولى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ويحتمل ان يكون اللام في قوله للذين اتقوا
متعلقا بخير واختص المتقون لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على الخبر اي هو جنات ويعضده قراءة بعضهم
جنات بالجر على البدل من خير وذلك ان اللام في هذه القراءة ينبغي ان يكون متعلقا بخير وقوله عند ربهم يحتمل ان يتعلق
بما تعلق به قوله للذين اي ثبت لهم عند ربهم ويحتمل ان يكون صفة لخير ويحتمل ان يكون من تمام قوله اتقوا فيكون اشارة
الى ان هذا الثواب لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى فلا يدخل فيه الا من كان مومنا في علم الله والله بصير
بالعباد عالم بمصالحهم فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختار لهم من نعم الاخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من امور
الدنيا او يثيبهم ويعاقب بحسب الاستحقاق فيرضوا بالذين اتقوا وباصرا لهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين
يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد حكى الله ذلك عنهم في معرض المدح
لهم والثنا عليهم فيدل ذلك على ان الايمان هو المنقذ فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما زعموا كان ادخاله
في النار قبيحا عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله تعالى وضده واجب الوقوع ومساو الواجب وقوعه عبث فلا
يصلح للمدح ويمكن ان يجاب عنه بان العبد قد يدعوا بما يعلم انه حاصل له اظهارا للذل والعبودية وابدا للاستكانة
والخشوع وايضا صحة العمل لا يفيد ما لم يقع في حيز القبول فعلى المتقي ان لا يتكل عليها ويبتهل الى الله في مواهب
الغفران ثم عدد من اوصاف عباده خمسة ووسط العاطف بينها دالة على كمالهم في كل واحد منها يكفي في استحقاق
المدح والثواب فقال الصابرين اي في اداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن والشدايد وقف رجل على
الشبلي فقال اي صبر اشد فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله قال لا قال فاي شي
قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت تتلف روحه والصادقين اي في الاقوال وفي الافعال بان لا ينصرف عنها
ماتيسر قبل تمامها وفي النيات بان يمضي العزم على الخيرات والقانتين المقيمين على الطاعات والمواظبين عليها والمنفقين
على من تجب نفقته وفي مصارفه وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار اي فيها والسحر قبل طلوع الفجر وخص هذا
الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعا والاستغفار هذا ليلهم وهذا نهارهم
وللاستغفار بالاسحار مزيد اثر في القبول لان السحر وقت النوم والغفلة فاذا اعرض العبد عن تلك اللذة
وعرض الغربة على حضرة العزة لم يبعد ان يفيض عليه سجال العفو وان يطلع صبح العالم الصغير عند طلوع
صبح عالم الكبير فيستنير قلب المومن بانوار المعارف واثار اللطائف اما بيان ترتيب الاوصاف فالصبر يشمل اداء جميع
التكاليف ثم ان الانسان قد يلتزم من نفسه ما هو غير واجب عليه فالصادق من لا يخرج عن عهدة ذلك رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات امر محمود فاشير الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان
ههنا امرين يعينان على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال والتضرع الى حضرة القدس والجلال وذلك قوله
والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين معناه الشفقة على خلق الله وما في الاوصاف حاصلة
التعظيم لامر الله قال الكلبي لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من احبار الشام
فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا

علي النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال انعم قالا انا
نسئلك عن شهادة فان انت اخبرتنا بها امنابك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاني قالا اخبرنا
عن اعظم شهادة في كتاب الله فانزل الله على نبيه شهد الله انه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله وجه
النظم انه مدح المومنين واثنى عليهم بقوله ربنا اننا امنا ثم بين ان دلايل الايمان ظاهرة جلية واعلم ان الشهادة
من الله تعالى ومن الملائكة ومن اولي العلم يحتمل ان يكون بمعنى واحد ويحتمل ان لا يكون كذلك اما الاول فتقريره
من وجهين احدهما ان الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل في حق الله
تعالى وفي حق الملائكة وفي حق اولي العلم اما من الله فذلك انه اخبر في القران انه واحد لا اله الا هو وذلك في
مواضع كثيرة كالاخلاص واية الكرسي وغيرهما والتمسك بالدلايل السمعية في هذه المسئلة جايز لان العلم بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم لا يتوقف على العلم بها واما من الملائكة واولي العلم فهم الذين عرفوا وحدانية الله تعالى
بالدلايل القاطعة فعلهم اخبروا ان الله واحد لا شريك له وثاني الوجهين ان يجعل الشهادة عبارة عن الاظهار
والبيان فالله تعالى اظهر ذلك وبين بان خلق ما يدل على ذلك والملائكة واولوا العلم اظهروا ذلك وبينوه ايضا
الملائكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت انما وقع في الشي الذي به حصل الاظهار والبيان واما
مفهوم الاظهار والبيان فشي واحد في حق الكل فكانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان وحدانية الله تعالى
امر قد ثبت بشهادة الله وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المبين والمنهج القويم بمخالفة بعض
الجهال من النصارى وعبدة الاوثان فاثبت انت وقومك يا محمد على ذلك فانه هو الاسلام والدين عند الله هو
الاسلام واما الثاني فهو من يقول شهادة الله تعالى على توحيده عبارة على انه خلق الدلايل الدالة على توحيده
وشهادة الملائكة واولي العلم عبارة عن اقرارهم بذلك كقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
فالصلوة من الله غير الصلوة من الملائكة فان قيل المدعي للوحدانية هو الله فكيف يكون المدعي شاهدا فالجواب
انه ليس الشاهد بالحقيقة الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلايل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلايل
والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم حتى ارشدوا غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل اي شي اكبر شهادة قل الله
وفي انتصاب قايما بالقسط وجوه الاول انه حال موكدة والتقدير شهد الله قايما بالقسط ولا اله الا هو قايما
بالقسط وهذا اوجه ليكون الالهية والتفرد مقتضيا للعدالة مثل هذا ابوك عطوفا او لا رجل عبد الله شجاعا
ويحتمل ان يكون حالا من اولي العلم اي حال كون كل واحد منهم قايما بالقسط في اداء هذه الشهادة الثاني ان يكون صفة
للمنفي كانه قيل لا اله قايما بالقسط الا هو وقد راينا يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف الثالث ان يكون
نصبا على المدح وان كان نكرة كقوله شعر ويا وي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي ومعنى كونه
قايما بالقسط قايما بالعدل كما يقال فلان قايم بالتدبير اي يجري به على سنن الاستقامة او مقيما للعدل فيما يقسم من
الارزاق والاجال ويثيب ويعاقب وفيما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم واعلم
ان وجود الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانفعال
من الجهة وعدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شي من الاشياء وعدم النقص والقبح في شي من الافعال والاحكام الى
غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات العليا وهو كثير في العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه شي الا على
وفق العدالة وقضية السوية ورعاية الاصلح عموما او خصوصا فكل ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة
او يشبه الجور او القبح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه وعدم احاطته التامة بسلسلة الاسباب والمسببات
والمبادي والغايات فانظر في كيفية خلقة اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر في كيفية
خلقة العناصر واجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة فكلها حكمة وعدالة وانظر
الى تفاوت الخلايق في العلم والجهل والفطانة والبلادة واقطع بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى
الله تعالى لم يستعد لادراك تفاصيل كلمات الله فالخوض في ذلك خوض فيما لا يعنيه بل لا يسعه ولا ينفعه الا العلم
بانه تعالى واحد في ملكه وملكه لا ينازع له ولا مضاد ولا مانع لقضايه ولا راد وان الكل بقضاء الله وقدره وفي

بحث القضاء القدر

كلواحد

كل واحد من مصنوعاته ولكل شي من افعاله حكم ومصالح لا يحيط بذلك علما الا هو جل وعلا فهو يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم والعدول عنه مراء والجدال فيه هذاء فمن نسبه الى الجور
في فعل من الافعال فهو الجاير لا على غيره بل على نفسه اذ لا يعرف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام
الغيوب والمطلع على الكليات والجزئيات من ازل الازال الى ابد الاباد ومن زعم ان شيا من الاشيا خيرا او شرا
في اعتقاده حسنا او قبيحا بحسب نظره خارج عن مشيته وارادته فقد كذب ابن اخت خالته لانه يدعي التوحيد
ثم يثبت قادرا اخر وخالقا غير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر مضمون الشهادة وقال لا اله الا هو والتقدير
شهد الله انه لا اله الا هو واذا شهد بذلك فقد صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل دل على وحدانية الله ومتى كان كذلك
فقد صح القول بوحدانية الله وفيه ايقاظ لامة محمد ان يقولوا على وفق شهادة الله والملائكة واولي العلم لا اله الا هو
واعلام بان هذه الكلمة يجب ان يكررها المسلم ما امكنه هو المسك ما كررته يتضوع ثم اكد كونه منفردا بالالوهية
وقايما بالعدل بقوله العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا يتم القدرة
الا بالتفرد والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على المصالح ولا احوال ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة موكدة
الا ولى والدين في اللغة الجزاء ثم الطاعة يسمى دينا لانه سبب الجزاء والاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم
او السلامة او في اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشي اي خلص له والاسلام في عرف الشرع يطلق تارة
على الاقرار باللسان في الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ويطلق اخرى على الانقياد
الكلي وهو المراد هيهنا وفيه ايذان بان الدين هو العدل والتوحيد اما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا
نظير في الذات ولا في صفة من الصفات كما شهد هو به واما العدل فهو ان يعلم ان كل ما خلق وامر المكلف به ونهاه
عنه فانه عدل وصواب وفيه حكم ومصالح فياتمر بذلك وينتهي عنه ليكون عبدا منقادا معترفا بانه تعالى قايم
بالقسط ومن قرا بفتح ان فتقديره عند البصريين ان ذلك بدل من الاول بدل الكل فكانه قيل شهد الله ان الدين عند
الله الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا ارى الموت يسبق الموت شي وقيل تقديره شهد
الله انه لا اله الا هو وان الدين عند الله الاسلام وقيل شهد الله انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام لان كونه
تعالى واحدا يوجب ان يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل على هذه الوحدانية وقرى الاول
بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على الثاني واما بينهما اعتراض ثم ذكر انه اوضح الدلايل وازال الشبهات والقوم
ما قصروا الا لقصورهم وتقصيرهم فقال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه
السلام لما قرب وفاته سلم التورية الى سبعين رجلا من الاحبار وجعلهم امناء عليهم واستخلف يوشع فلما مضى
قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى
واختلافهم في امر عيسى عليه السلام بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى
واختلافهم هو انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقالوا نحن احق بالنبوة من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب الا من بعد ما جاءهم العلم اي الدلايل التي لو
نظروا فيها لحصل لهم العلم لانا لو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعيد قاله في تفسير الكبير
ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب لا يصعب عليه عد افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة او المراد
انه سيصل الى الله سريعا فيحاسبه اي يجازيه على كفره ثم بين للرسول صلى الله عليه وسلم ما يقول في محاجتهم
فقال فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله قال الفراء اي اخلصت عملي لله فعلى هذا الوجه في معنى العمل وقيل اي
اسلمت وجه عملي لله فحذف المضاف والمعنى كل ما يصدر مني من الاعمال فالوجه في الاتيان بها هو عبودية الله
تعالى والانقياد لالهيته وحكمه وقيل مفخم والتقدير اسلمت نفسي لله وليس في العبادة مقام اعلى من اسلام
النفس كانه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه وقوله ومن اتبعن معطوف على الضمير المرفوع في اسلمت
وحسن للفصل او مفعول معه والواو بمعنى مع ثم في كيفية ايراد هذا الكلام طريقان احدهما انه اعراض عن
المحاجة لانه صلى الله عليه وسلم كان قد اظهر المعجزات كالقران ودعا الشجرة وكلام الذيب وغيرها وقد مر في جهله

السورة ابطال الهية عيسى واثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين نفي الضد والند والصاحبة والولد
بقوله شهد الله وذكر ان اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغي والحسد فلم يبق الا ان يقول اما انا ومن
اتبعني فمنقادون للحق مستسلمون لا متمثلون على عبودية الله تعالى وهذا الطريق قد ذكره المحتج المحق مع المبطل المصر في
اخر كلامه وثانيها ان قوله اسلمت محاجة وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع وكونه مستحقا للعبادة فكأنه
قال هذا القول متفق عليه بين الكل فانا متمسك بهذا القدر المتفق عليه وداعي الخلق اليه وانما الخلاف في امور وراءه
فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون يدعون وجوب عبادة الاوثان فهؤلاء
هم المدعون فعليهم اثباتها ونظيره هذه الاية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئا وعن ابي مسلم ان الاية في هذا الموضع كقول ابراهيم عليه السلام اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض كانه قيل فان نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابراهيم وانتم معترفون بانه كان محقا
في قوله صادقا في دينه فيكون من باب التمسك بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم بالتي هي احسن وقل للذين
اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين وهم مشركوا العرب الذين لا كتاب لهم ءاسلمتم ومعناه الامر وفائدته
التعيير بالعناد وقلة الانصاف كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم يأل جهدا في سلوك طريقة الكشف والبيان هل
فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله في اية تحريم الخمر فهل انتم منتهون اشارة عن التقاعد عن
الانتهاء فان اسلموا فقد اهتدوا الى ما هدى الله اليه او الى الفوز والنجاة في الاخرة وان تولوا اعرضوا عن الاسلام
لي او لا لاتباع لك فانما عليك البلاغ ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الرشاد والله بصير بالعباد فيوفق
للصلاح من شاء ويترك على الضلالة من اراد ثم وصف المتولي بصفات ثلث واردفه الوعيد فقال ان الذين
يكفرون بايات الله اي ببعضها المعهود لان اليهود كانوا مقرين ببعض الايات الدالة على وجود الصانع وقدرته
وعلمه وشيء من المعاد او بكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان المكذب ببعض ايات الله كالكافر بجميعها ويقتلون
النبيين اي المعهودين لانهم ما قتلوا كلهم ولا اكثرهم بغير حق من غير ما شبهة عندهم ويقتلون او يقتلون
الذين يأمرون بالقسط عن الحسن ان في الاية دلالة على ان الامر بالمعروف والناهي عن المنكر تلي منزلته عند الله
منزلة الانبيا فلهذا ذكرهم عقيبهم وروي ان رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الجهاد افضل
فقال صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند السلطان الجائر فان قيل اذا كان قوله ان الذين يكفرون
في حكم المستقبل لا الحال لانه وعيد لمن هو في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقع منهم قتل الانبيا
ولا القائمين بالقسط فكيف يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جميعا
الا انه تعالى عصمهم منهم فصح اطلاق القاتل عليهم كما قال الست قاتل اي ذلك من شانه ان وجد القاتل او نقول
وصفوا بصنيع اسلافهم لانهم راضون بذلك عن ابي عبيدة ابن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا
يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنوا
اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل
فامروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفاء لتضمن اسم ان
معنى الشرط فانه لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلثة اقسام الاول
اجتماع اسباب الالام والمكاره عليهم وهو العذاب الاليم واستعارة البشارة ههنا للتهكم الثاني زوال
اسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فابدال المدح
بالذم والثنا باللعن واسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذل والهوان من السبي والقتل والجزية واما في الاخرة
فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك في حقهم وهو قوله
وما لهم من ناصرين ثم ذكر غاية عناد اهل الكتاب فقال الم تر الى الذين عن ابن عباس قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحارث ابن زيد
على اي دين انت يا محمد فقال على ملة ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلموا الى

التوراة فهي بيننا وبينكم فنزلت وقال الكلبي نزلت في الذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيهما بالرجم وانكر اليهود عليه وسوف يجيء القصة في سورة المائدة مفصلة وقيل دعا النبي صلى الله عليه وسلم
احبارهم والنصارى الى الايات الدالة على صحة نبوته من التورية او منها او من الانجيل فابوا فنزلت ومعنى قوله
اوتوا نصيبا اي حظا وافرا من علم الكتاب يريد احبار اليهود ومن اما للتبعيض واما للبيان والكتاب يراد به
التوراة او جنس الكتب التي كانوا مقرين بحقيقتها وقيل اي حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح وهي نصيب
عظيم ثم بين سبب التعجيب بقوله يدعون الى كتاب الله وهو التورية كما مر في اسباب النزول ولانه تعالى
عجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما يتوجه التعجب والتمرد عن حكم الكتاب الذي يعتقدون صحته وعن
ابن عباس انه القران وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجة على انه كتاب من عند الله ليحكم اي الكتاب
بينهم اي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحذف الثاني للعلم به او يراد الحكم في الاختلاف الواقع بينهم كما في
قصة الزانيين ولهذا رجعوا في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يكون عندهم رخصة في ترك
الرجم قال في الكشاف والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم
وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم
وهم الروسا والاحبار والذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين رتبتي الدعاء والتولي وهم معرضون
قوم لا يزال الاعراض ديدنهم ودهيراهم والضمير في فهم اما ان يرجع الى الفريق اي هم جامعون بين التولي والاعراض
لا عن استماع الحجة في ذلك المقام فقط بل عنه وعن سائر المقامات واما ان يرجع الى الباقين منهم اي هم جامعون
بين التولي والاعراض فقد يكون وصف العلما والروساء بالتولي والباقين بالاعراض لاجل اعراض علمائهم وتنفذ
ان يرجع الى كل اهل الكتاب اي هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق ذلك التولي والاعراض او ذلك العقاب او الوعيد مبهم
بسبب انهم كانوا يتساهلون في امر العقاب ولا يفرقون بين ما يتعلق باصول الدين وبين ما يتعلق بفروعها فقالوا
لن تمسنا النار الا اياما معدودات هي ايام عبادة العجل فاستوجبوا الذم من وجوه احدها استقصار مدة العذاب
ومن اين لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها ان استثناء الايام
المعدودات فقط فيه دليل على انهم استحقوا تكذيب محمد والقران وذلك كفر صريح وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون
من قولهم نحن ابناء الله واحباؤه ومن قولهم لن تمسنا النار الا اياما ومن قولهم نحن اولى بالنبوة من قريش او من
زعمهم ان اباءهم الانبيا يشفعون لهم فكيف يصنعون او فكيف حالهم وفي هذا الحذف فخامة لما فيه من تحريك النفس على
استحضار كل نوع من العذاب اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء اجمعوا اليوم الخميس معناه اجمعوا الفعل يوم
الخميس فلا تنصر فعلا وايضا من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق بين المثاب والمعاقب ووفيت
كل نفس ما كسبت من ثواب او عقاب او جزاء ما عملت وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل
الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسي روي انه اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود
فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار **التأويل** ستغلبون اشارة الى ان المبتلي بالكفر مغلوب
الحكم الازلي بالشقاوة ربنا غلبت علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا بغلبات النفس
والهوى ابدا الى اسفل سافلين الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما عاش فيه ويحشر على ما مات فيه جهنم
وبئس المهاد معاد مهلك في معاشه قد كان لكم اية في فئتين التقتا ان الله تعالى فئتين في الظاهر من المؤمن والكافر
وفئتين في الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة ولهما الحرب والالتقاء على الدوام وهي الجهاد
الاكبر والله يؤيد بنصره من يشاء من القلب وجنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة من النفس واعوانها
وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم اخبر عن جنود الفئتين واعوان الفريقين بقوله زين للناس
واعلم ان الله خلق الخلق على طبقات ثلث العوام ويعبر عنها بلفظ الناس والغالب عليهم الهوى وهم اصحاب
النفوس والخواص ويذكرهم بلفظ القلب الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب عليهم المحبة والشوق
ثم ان لجهنم سبع دركات محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة

الحيوانية المائلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الى شهوة الحرص وبالمال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء وبالمركب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال والاقتنا ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا واهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثاني للخواص منها التقوى للذين اتقوا والرضا بالقضا ورضوان من الله والايمان ربنا اننا امنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات عاجلة تجري من تحتها الانهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التي تتولد منها فاذا عاش في الجنات مات وحشر كذلك ثم اشار الى احوال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة من فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما احلولى لهم الدنيا بادنيا مري على اوليائي ولا وقفوا عند جنة المأوى وما زاغ البصر وما طغى وانما طلبوا قرب المولى للذين احسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلي عن علمه السرمدي على ذاته الاحدي وكونه الصمدي انه لا اله الا هو وهي شهادة الحق للحق بالحق انه الحق فهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا شريك له فيها احد فكما ان ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال قدره على كمال عزه حين لا حين ولا عقل ولا اب ولا جهل ولا علم ولا شرك ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة ولا اولوا العلم ولا الانكار ولا الاقرار فاخبر الذي كان عما كان وهو انه لا اله الا هو ثم ابدع الموجودات كما شاء على ما شاء فكل جزء من اجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح ولربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد ولكن بينبوع ماء التوحيد هو القدم تجري مجاريها الحدثات الى ان ظهر من عيون الملائكة واولي العلم ثم الملائكة وان كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان اولوا العلم ولكن اختص اولوا العلم منهم بمشربه فالزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها واهلها لي سكرتان وللندمان والحدائق شيء خصصت به من بينهم وحدي حقيقة معنى الاية شهد الله انه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حين يشهد على شهادته الملائكة واولوا العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو عائدة الى اولي العلم الذين لهم شركة مع الملائكة في مظهرية ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالمشربية لما التوحيد شاهدوا حقيقة لا اله الا هو العزيز الذي لا يشاهد عزته الا عزته من بين البرية الحكيم الذي بحكمته اظهرهم لهذه العزة من جملة الخليقة وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا الاختلاف في الصورة من نتائج تناكر الارواح في عالم الارواح والمعنى فما تعارف منها في الميثاق لتقاربهم في الصف او لتقابلهم في المنزل ائتلف وما تناكر منها لتباعدهم في الصف او لتدابرهم في المنزل اختلف الا من بعد ما جاءهم العلم فيه ان العلم مظنة الحسد لكن المحمود منه ما يخص باسم الغبطة ويقتلون النبيين الانسان خلق مستعدا لقبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكما ان كمال الانسان في قبول فيض اللطف ان يفدي نفسه في متابعة الانبيا حتى يكون خير البرية فنقصانه في قبول فيض القهر ان تقتله الانبيا حتى يكون شر البرية فلهذا احبط اعماله ولا يرجى توبة ابليس الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فيه اشارة الى ان من اوتي حظا من العلم فعليه اذا دعي الى حكم من احكام الله تعالى والى ترك الدنيا ومخالفة الهوى ان يمتثل وينقاد والا كان مغرورا بالدنيا مفتريا في الدعوى وهذه حال اكثر من اوتي نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم اهل الغرة بالله فكيف حال المغرورين اذا جمعهم الله

قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ط وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ اَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّٰهِ فِي شَيْءٍ اِلَّا اَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقٰيةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهُ وَاِلَى اللّٰهِ الْمَصِيرُ ۝ قُلْ اِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ اَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّٰهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ اَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ اَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهُ ط وَاللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ ۝ قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ قُلْ اَطِيعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ۝ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى اٰدَمَ وَنُوحًا وَاٰلَ اِبْرَاهِيمَ وَاٰلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ۝ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝

القراءة الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد يدعلى يفعل حيث كان ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وعاصم عن ابي بكر وحماد الباقون بالتخفيف على قيل منهم تقية بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها ابو زيد عن المفضل وسهل ويعقوب الباقون تقاة بضم التاء وقرا حمزة وعلي وخلف بالامالة **الوقوف** من تشاء لتناهي الجملتين المتضادتين معنى الى جملتين مثلهما وتذل من تشاء الخير قدير في الليل للفصل بين الجملتين المتضادتين الى لعطف المتعقبتين حساب المومنين تقية نفسه المصير ه نصف الجزء يعلمه الله ط وما في الارض قدير محضرا ج والا جوز ان يوقف على سوء تقديره وما عملت من سوء كذلك بعيدا نفسه بالعباد ذنوبكم رحيم والرسول لابتداء الشرط مع تاء التعقيب الكافرين العالمين لان ذرية بدل من بعض علم لاحتمال ان اذ متعلق بالوصف اي سمع دعاها وعلم رجاءها حين قالت او اصطفى ال عمران وقت قولها ولاحتمال نصب اذ باضمار اذكر **التفسير** انه سبحانه لما ذكر من طريقة المعاندين ما ذكر علم نبيه صلى الله عليه وسلم طريقة مباينة لطريقتهم من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم ومعناه عند سيبويه يا الله والميم المشددة عوض من ياء وانما اخرت تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع همزته يا الله وعند الكوفيين اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا فلما كثر في الكلام حذفوا حرف النداء وخففت الهمزة من ام وزيف بان التقدير لو كان كذلك لزم ان يذكر الدعا بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا ولجاز ان يتكلم به على اصله لمن عزم تخفيف الهمزة وباثبات حروف النداء واجيب انه انما لم يوسط العاطف لئلا يصير السؤال سوالين ضرورة مغايرة المعطوف عليه خلاف ما لو جعل الثاني تفسيرا للاول فيكون اكد وبان الاصل كثيرا ما يصير متروكا مثل ما اكرمه فانه لا يقال شيء اكرمه في التعجب ومالك الملك نداء مستانف عند سيبويه فان النداء باللهم لا يوصف كما لا يوصف اخواته من الاسماء المختصة بالنداء نحو يا هناه ويا نومان ويا ملكان وقيل واجاز المبرد نصبه على النعت كما جاز في يا الله عن ابن عباس وانس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك فنزلت الاية وعن عمرو بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واحذ يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول

من سلمان فضربها ضربة فصدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبّر وكبّر المسلمون وقال اضاءت لي قصور الحيرة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعا واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون لا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانه يفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى امر نبيه ان يسأله ان يعطيه ملك فارس والروم ويرد ذل العرب عليهما وامره بذلك دليل على انه يستجيب له هذا الدعاء وهكذا منازل الانبيا فاذا امروا بدعاء استجيب دعاهم مالك الملك اي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وفيه ان قدرة الخلق في كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم لما بين كونه مالك الملك وانه هو الذي يقدر كل قادر على مقدوره ويملك كل مالك مملوكه فصل بذلك بقوله تؤتي الملك من تشاء اي نصيب الذي قسمت لهم واقتضته حكمتك فالاول عام شامل والاخر بعض من الكل وبعد الملك قيل ملك النبوة لانها اعظم مراتب الملك لان العلماء لهم امر على بواطن الخلق والجبابرة لهم امر على ظواهر الخلق والانبياء امرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل احد ان يقبل تكاليفهم ولهم ان يقتلوا من ارادوا من المتمردين ولهذا استبعد بعض الجهلة ان يكون النبي بشرا ابعث الله بشرا رسولا ومن المحرومين من كان يقول ان محمدا فقير يتيم فكيف يليق به هذا المنصب العظيم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود يقولون النبوة في اسلافنا فنحن احق بها وقد مر شيء في تفسير قوله قل للذين كفروا ستغلبون ان اليهود تكبروا على النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك يؤتي الملك وهو النبوة من يشاء وتنزع الملك النبوة ممن تشاء لا بمعنى يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى انه ينقلها من نسل الى نسل كما نزع من بني اسرائيل ووضع في العرب او بمعنى انه لا يعطيه النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه يتناول من لم يكن في ظلمة الكفر قط ومثله او لتعودن في ملتنا مع ان الانبيا لم يكونوا في ملتهم قط حتى يتصور العود اليها وقيل المراد من الملك التسلط القاهر وهو الاقتدار على المال بانواعه وعلى الجاه وهو ان يكون مهيبا عند الناس وجيها غالبا مظفرا مطاعا ومن المعلوم ان كل ذلك بايتاء الله تعالى فكم من عاقل قليل المال وكم من جاهل غافل رخي البال وقد راينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما ازدادوا الا حقارة وخمولا فعلمنا ان الكل بايتاء الله تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل ففيه سد باب اثبات الصانع وان حصل بفعل المتغلب فكل احد يبتغي حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا ان يكون مسبب الاسباب وفاعل الكل ومدبر الامور وناظم مصالح الجمهور لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم اقطار السماء تعلقي لكن من رزق الحجى حرم الغنى ضدان مفترقان اي تفرق ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق وكذا الكلام في نزع الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم فقد ينزعه عن العادل لمصلحة تقتضي ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والفقد والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك في الكتب انا الله ملك الملوك نواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم بعض عليهم رحمة وان العباد ان عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهذا كقوله صلعم كما تكونوا يولى عليكم والصحيح ان الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك النفاذ والقدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال الى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال في الدين او في الدنيا والاخرة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده لاذلة كذلة الكفر وعزة الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب والقاء الهيبة في قلوب الخلق وكل ذلك بتيسير الله تعالى وتقديره بيدك الخير اي بقدرتك تحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شيء وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر والنفع والضر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة اي بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك او لان جميع افعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة

وان كنا لا نعلم تفصيله فكلها خير ولان القادر على ايصال الخير اقدر على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني ولا عن لفظ الشر مع ان ذلك صار مذكورا في التضمن في قوله انك على كل شيء قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وذلك بان تجعل الليل قصيرا او يدخل ذلك القدر في النهار او بالعكس ففي كل منهما قوام العالم ونظامه او تاتي بالليل عقيب النهار فيلبس الدنيا ظلمة بعد ان كان فيها ضوء النهار ثم تاتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الاخر والاول اقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا زاد من هذا في ذلك فقد ادخله فيه وتخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه او الطيب من الخبيث او الحيوان من النطفة والطير من البيضة وبالعكس والنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم او تخرج السنبلة من الحبة والنخلة من النواة وبالعكس واخراج النبات من الارض يسمى احياء يحيي الارض بعد موتها وترزق من تشاء بغير حساب تقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله اردفه بشرائط الشفقة على خلق الله او نقول لما ذكر انه مالك الملك وبيده العزة والذلة والخير كله بين انه ينبغي ان يكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه دون اعدائه فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين بالجزم ولكن كسر الذال لالتقاء الساكنين قال الزجاج ولو رفع على الخبر جاز ولكنه لم يقرا به والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الاخر وقوله من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو بن ابي الحقيق وزيد وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار يفتنونهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود فابى اولئك النفر الا مباطنتهم فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس ايضا في رواية الضحاك عنه نزلت في عبادة بن الصامت الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي صلعم يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رايت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلعم فانزل الله تعالى هذه الاية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد كرر ذلك في ايات اخر كقوله لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وكون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة اوجه الاول ان يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل ان يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الاية لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا الثانية المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع منه الثالثة كالمتوسط بين القسمين وهو الركون اليهم والمعونة والمظاهرة لقرابة او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك ولهذا قال مقاتل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد ان دينهم باطل فلهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه حذرا من ان يجره الى استحسان طريقته والرضا بدينه حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين فلا جرم هدد فقال ومن يفعل ذلك فليس من الله اي من ولايته او من دينه في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله تعالى راسا وهذا كالبيان لقوله من دون المؤمنين ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة غير متصور وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه ضدان قال شعر تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب قال بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون المتفق على العدو مشفقا على العدو الاخر كالملك العادل فانه يحب لهما فان اراد احد ان يتم الحكم لا بد له ان يزيد عليه اذا كانوا في مرتبة واحدة الا ان تتقوا منهم تقية قال الجوهري يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة وقاوها واو كتراث فالتقاة اسم وضع موضع المصدر قال الواحدي ويجوز ان يجعل تقاة ههنا مثل رماة فيكون حالا موكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا وتخافوا ولهذا عدي بمن ويحتمل ان يكون التقاة او التقية بمعنى المتقى مثل ضرب الامير لمضروبه فالمعنى ان يخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه فرخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء

بحث التقية

وانتظار زوال المانع من قتل العصا واظهار الطوبة كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا اى لكن جيد كـ
بين الناس وقلبك مع الله وللتقية عند العلما احكام منها اذا كان الرجل في قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز
له ان يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط ان يضمر خلافه ويعرض في كل ما يقول ما امكن فان التقية تاثيرها في الظاهر
لا في احوال القلب ومنها انها رخصة فلو تركها كان افضل لما روي الحسن انه اخذ مسيلمة الكذاب رجلين من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاحد اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم وكان
مسيلمة يزعم انه رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الاخر فقال اتشهد ان محمدا رسول الله فقال نعم نعم
فقال اتشهد اني رسول الله فقال اني اصم ثلاثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما هذا المقتول
فمضى على يقينه وصدقه فهنيئا له واما الاخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظيره هذه الاية الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان ومنها انما يجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعاداة وقد يجوز ايضا فيما يتعلق باظهار الدين فاما الذي يرجع ضرره
الى الغير كالقتل والزنى وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين
فذلك غير جائز البتة ومنها ان الشافعي جوز التقية بين المسلمين كما جوزه بين الكافرين محاماة على النفس ومنها
انها جائزة لصون المال على الاصح كما انها جائزة لصون النفس لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه
ومن قتل دون ماله فهو شهيد ولان الحاجة الى المال شديدة ولهذا ان يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم
اذا بيع الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا في اول الاسلام فقط لضعف المومنين وروي عوف عن الحسن انه قال التقية
جائزة الى يوم القيمة وهذا ارجح عند الائمة ويحذركم الله نفسه قيل اي عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض
لسخطه بموالاة اعدايه لان شدة العقاب على حسب قدرة المعاقب وفايدة ذكر النفس تصريح بان الذي حذر منه
هو عقاب يصدر من الله لا من غيره وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاوليا اي ينهاكم الله عن نفس هذا الفعل ثم حذر
عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال ان تخفوا ما في صدوركم اي قلوبكم وضمايركم لان القلب في
الصدر فجاز اقامة الظرف مقام المظروف او تبدوه يعلمه الله تعلق به علمه الازلي ثم استانف بيانا اشفى فقال
ويعلم ما في السموات وما في الارض ثم قال اتماما للتحذير والله على كل شي قدير ثم خلط الوعيد بالوعد والترهيب
بالترغيب فقال يوم تجد وفي عامله وجوه قال ابن الانباري والى الله المصير يوم تجد وقيل والله على كل شي
قدير يوم تجد وخص ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة الله تعالى تعظيما لشانه
مثل مالك يوم الدين وقيل انتصابه بمضمر اي اذكر والاظهر ان العامل فيه تود والضمير في بينه لليوم اي
تود كل نفس يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا ايضا لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله
امدا بعيدا والامد الغاية التي ينتهي اليها مكانا كانت او زمانا والمقصود تمني بعده كقوله يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين ومعنى كون العمل محضرا هو ان يكون ما كتب فيه العمل من الصحايف حاضرا او يكون جزاؤه حاضرا اذ
العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل ان يكون تود صفة سوء والضمير في بينه يعود اليه واحتمل
ان يكون حالا واحتمل ان يكون ما عملت مبتدا من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر واحتمل ان يكون ما
شرطية وتود جزاءه وهو قليل كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم وقراة عبد الله ودت
يجعلها على السواء الا ان الحمل على الابتداء والخبر ادخل في المعنى لان حكاية الكاسب في ذلك اليوم ويحذركم الله نفسه
تاكيدا للوعيد والله رءوف بالعباد قال الحسن ومن رافته ان حذرهم نفسه وعرفهم كمال علمه وقدرته يمهل ولا
يهمل ويرغبهم في استيجاب رحمته وحذرهم من استحقاق غضبه ويجوز ان يراد انه رءوف بهم حيث امهلهم
للتوبة والتلافي او هو وعد كما ان التحذير وعيد او المراد بالعباد عباده المخلصون كقوله عينا يشرب بها عباد
الله اي كما هو منتقم من الفساق ويحذرهم نفسه فهو رءوف بالمطيعين والمحسنين ثم انه دعا القوم الى الايمان
به وبرسوله من طريق اخر سوى طريق التهديد والتحذير فقال قل ان كنتم تحبون الله قال الحسن وابن جريج زعم
اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله هذه الاية
وروي الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصناما

انهاء

وعلقوا

وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة
ابيكم ابراهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انا نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فانزل
الله قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا
اولى بالتعظيم من اصنامكم وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها نزلت حين زعمت اليهود انهم ابناء
الله واحباؤه وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا انهم يعظمون المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل انكل
من ادعى محبة الله تعالى من فرق العقلا فلا بد ان يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا قامت الدلايل العقلية والمعجزات
الحسية على نبوة محمد وجبت متابعته فليس في متابعته الا انه يدعوهم الى طاعة الله وتعظيمه وترك تعظيم غيره فمن
احب الله كان راغبا فيه لان المحبة توجب الاقبال بالكلية على المحبوب والاعراض بالكلية عن غيره وقد مر في
تفسير قوله والذين امنوا اشد حبا تحقيق المحبة وانها من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب قال ويغفر لكم ذنوبكم
ليدل مع ابقاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور في الدنيا يستر على عبده انواع
المعاصي رحيم في الاخرة يثيبه على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى انه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
قال عبد الله بن ابي ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احب النصارى عيسى فنزلت قل اطيعوا الله
والرسول وذلك ان الاية الاولى لما اقتضت متابعته ثم ان المنافق القى شبهة في البين امره الله تعالى ان يقول انما اوجب
الله عليكم متابعتي لا كما تقوله النصارى في عيسى بل لكوني رسولا من عند الله ومبلغ تكاليفه فان تولوا اعرضوا
او تعرضوا على ان يكون التاء الاولى محذوفة ويدخل في جملة ما يقوله الرسول لهم فانه لا يحصل لكافرين محبة الله لانها
عبارة عن الثناء لهم وايصال الثواب اليهم والكافر يستحق الذم واللعن وهذا ضد المحبة ثم انه تعالى لما بين ان محبته لا تتم
الا بمتابعة الرسل بين علو درجات الرسل وسمو طبقاتهم فقال ان الله اصطفى ادم ونوحا الاية اي جعلهم صفوة خلقه
والمختارين من بينهم تمثيلا بما يشاهد من الشي الذي يصفى وينقى من الكدورة فذلك باستخلاصهم من الصفات الذميمة
وتحليتهم بالخصال المحمودة كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقيل المعنى ان الله اصطفى دين ادم ودين نوح
ولكن الاصل عدم الاضمار وذكر الحليمي في كتاب المنهاج ان الانبيا عليهم السلام مخالفون لغيرهم في القوى الجسمانية
والقوى الروحانية اما القوى الجسمانية فهي اما مدركة او محركة اما المدركة فهي الحواس الظاهرة او الباطنة اما
الظاهرة فقوله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وقوله صلى الله عليه وسلم اقيموا صفوفكم
وتراصوا فاني اراكم من وراء ظهري وهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما حصل لابراهيم صلى الله عليه وسلم
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ذكروا في تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت
وليس بمستبعد فانه يروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلثة ايام ويقال ان النسر وغيره من عظام الجوارح
يرتفع فيرى صيده من مائة فرسخ وقال صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط فسمع اطيط السماء ومثله
ما زعمت الفلاسفة ان فيثاغورس راض نفسه حتى سمع صفيف الفلك وقد سمع سليمان كلام النمل وفهمه ومثله
ما يروى ان النبي صلعم تكلم مع الذيب ومع البعير وقد وجد يعقوب عليه السلام ريح يوسف من مسيرة ايام وقال
صلى الله عليه وسلم ان هذا الذراع يخبرني انه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم
قيل وهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندل وفيه نظر اذ لا ادراك هيهنا فكيف يستدل به على قوة الادراك
بل يجب ان يحمل هذا على معنى اخر وهو انه تعالى لا يبعد ان يجعل النار ملايمة لا على الاعجاز والخاصية اودعها في النار حتى
تصير ملايمة واما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال سنقريك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي رضي الله
عنه علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الف باب من العلم فاستنبطت من كل باب الف باب واذا كان حال الولي
هكذا فكيف حال النبي واما القوة المحركة فكعروج النبي صلعم وعروج عيسى الى السماء وكرفع ادريس والياس على
ما ورد في الاخبار واما القوة الروحانية العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس
او كالمخالفة صفا ونورانية وانجذابا الى عالم الارواح فلا جرم يجري عليها الانوار الفايضة من المبادي العالية اتم
من سائر النفوس واكمل ولهذا ابعثت مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين ومرشدة للطالبين ومصطفاة على العالمين

الفوة م

من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك افضل من البشر او من سكان السموات ايضا عند من يرى البشر افضل
المخلوقات ثم ان القرآن دل على ان اول الانبيا اصطفا ادم صفي الله وخليفته بان انه وضع كمال الروحانية في شعبة معينة
من اولاد ادم وهم شيث واولاده الى ادريس ثم انه الى نوح ثم الى ابراهيم ثم انشعب من ابراهيم صلوات الرحمن عليه
شعبتان اسمعيل واسحق فجعل اسمعيل مبتدا لظهور الروح القدسية لمحمد صلى الله عليه وسلم وجعل اسحق مبدا الشعبتين
يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب ووضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلعم فلما ظهر
محمد نقلت النبوة ونور الملك اليه وبقي الدين والملك في امته الى يوم القيمة فالمراد بال ابراهيم اولاده وهو المطلوب
بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك للناس اماما واما ال عمران فقيل اولاد عمران بن يصهر والد موسى وهرون
وقيل المراد بال عمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله عقيبه اذ قالت امراة عمران ولا شك انه عمران بن ماثان
جد عيسى من قبل الام ولان الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على الهية عيسى بالخوارق التي ظهرت على يديه فالله
تعالى يقول ان ذلك باصطفاء الله تعالى اياه لا لكونه شريكا لله لا اله ولان هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى
وجعلناها وابنها اية للعالمين ذرية بدل ممن سوى ادم بعضها من بعض قيل اي في التوحيد والاخلاص والطاعة
كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم في النفاق وقيل معناه ان غير ادم كانوا متوالدين
من ادم وقيل يعني ان الاولين ذرية واحدة مسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران
من يصهر ويصهر من فاهث وفاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى ابن مريم
ومريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود ابن ايشي بن يهوذ بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان بين ماثان
وسليمن قوما اخرين وكذلك بين ايشي ويهوذا والله سميع لاقوال العباد عليم بضمائرهم وافعالهم فيصطفي من علمه
من يعلم استقامته قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين يقولون نحن ابناء الله واحباوه كانه
تعريضا بالعوام يبطل انتهى الكلام فيكون اول الكلام تشريفا للمسلمين واخره تهديدا للمبطلين كانه قيل والله سميع
لاقوالهم الباطلة عليم باغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك ويحتمل ان يتعلق بما بعده كما مر في التاويل
التاويل ما لك الملك هو ملك الوجود ولا وجود بالحقيقة الا له يوتي الوجود من تشا وتنزع الوجود ممن تشا فقيل
بعض الموجودات مستعد البقا كالملائكة والانسان وتجد بعضها قابلة للفنا كالنبات والحيوان غير الانسان وتعز
من تشا بعزة الوجود النوري وتذل من تشا بذل العجز المنقص القهري بيدك الخير انك على كل شي قدير تضمن
الدعا بذكر السبب كما يقال للجواد انك الذي تقدر على اعطاء كل خير فانت واهبنا يا مفيض كل خير وبا كاشف كل ضر تولج
ليل ظلمات الصفات البشرية النفسانية في نهار انوار الصفات الروحانية وبالعكس وتخرج القلب الحي بالحيوة الحقيقية
من نفس الميتة وتخرج القلب الميت عن الجيفة الحقيقية من النفس الحية بالحيوة المجازية الحيوانية لا يتخذ القلب الحي
والروح والسر وصفاتها الكافرين من النفس الامارة والشيطان والهوى والدنيا اولياء من دون المومنين من القلب
والروح والسر ومن يفعل ذلك من القلوب فليس من اولياء الله والطافه في شي الا ان تخافوا من هلاك النفوس والنفس
مركب الروح فتواسوها كيلا تعجز من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات ويحذركم الله نفسه اي من صفات
قهره قل ان تخفوا ما في صدوركم من معاداة الحق في ضمن موالاة النفس ويعلم ما في سموات قلوبكم وما في ارض
انفسكم يوم تجد كل نفس ما عملت اثر الخير والشر كما هو في ذات المرء وصفاته بحسب ذلك يبيض وجه قلبه او يسود
ولكنه في غفلة من هذا محجوب عنه بحجاب النفس والجسم كمثل نائم لدغته حية لحية الكفر والخصال الذميمة
فلا يحس بها نائما بنوم الغفلة فاذا مات انتبه واحس ثم اخبر عن طريق الوصول انه في متابعة الرسول واعلم ان
للاتباع ثلث درجات ولمحبة المحب ثلث درجات ولمحبة الله للمحب التابع على حسب الاتباع ثلث درجات اما
درجات الاتباع فالاولى درجة عوام المومنين وهي متابعة اعماله عليه الصلوة والسلام والثانية درجة
الخواص وهي متابعة اخلاقه والثالثة درجة اخص الخواص وهي متابعة احواله واما درجات محبة المحب
فالاولى محبة العوام وهي مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من احسن اليها
وهذا حب يتغير بتغير الاحسان وهي لنا بعي الاعمال الذين يطمعون اجرا على ما يعملون وفيه قال ابو الطيب

وما انا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يرجى عليه ثواب والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق
الذين يحبونه اعظاما واجلالا له ولانه اهل لذلك كما قالت رابعة احبك حبين حب الهوى وحب لانك اهل لذاكا
ويبعث هذا المحب الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد لبقاء الكمال والجلال على السرمدية ونبه
قال عبد الله لا ارجو مثوبته لكن نعتقد اعظام واجلال والثالثة محبة اخص الخواص المتبعين للاحوال وهي الناشئة
من الجذبة الالهية في مكامن كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف واهل هذه المحبة هم المستعدون
لكمال المعرفة بسبق العناية عذبنا بالمحبة يوم قالت له الدنيا انبساطا بعثنا وحقيقة هذه المحبة ان يفني المحب سطوتها
ويبقى المحبة نبه بلا هو كما ان النار تفني الحطب سطوتها وتفنى النار منه بلا هو فان المحبة نار لا تبقي ولا تذر
واما درجات محبة الله للعبد فاعلم ان كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تشبه في
الحقيقة صفات المخلوقين حتى الوجود فانه وان عم الخالق والمخلوق الا ان وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن
في ذاته واجب به فليس في الكون الا الله وافعاله قرا القاري بين يدي الشيخ ابي سعيد بن ابي الخير رحمه الله
تعالى قوله يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس في الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعه
اذا مدح صنعته فقد مدح نفسه والغرض ان محبة الله تعالى للخلق عائدة اليه حقيقة الا انه لما كان مرجعها على
الخلق فبحسب ذلك اختلفت مراتبها مع انها صدرت عن محل واحد هو محل كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف
فانقلبت لاهل المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لاعرف لكنها تعلقت بالعوام من اهل المعرفة بالرحمة ومشربهم الاعمال فقيل
لهم فاتبعوني بالاعمال الصالحة يحببكم الله يخصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم الذي صدرت منكم على خلاف المتابعة
وتعلقت بالخاص من اهل المعرفة بالفضل ومشربهم الاخلاق فقيل لهم فاتبعوني بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل يخصكم
بتجلي صفات الجمال ويغفر لكم ذنوبكم بستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من اهل المعرفة بالجذبات
ومشربهم الاحوال فقيل لهم فاتبعوني ببذل الوجود يحببكم الله يخصكم بجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم
بفنيكم عنكم ويبقيكم به كما قال فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبي يسمع وبي ينطق وبي يبطش اخبار عن اموات ويكون في هذا المقام المحبوب والمحب والمحبة واحد كما ان الرائي في المراة يشاهد ذاته بذاته وصفاته
بصفاته ويكون الراي والمرئي والروية واحد قل اطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبه الحق وصدق
دعوة محبته لكم ان الله اصطفى ادم وذلك ان الله تعالى خلق العالمين سبعة انواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان
والنفوس والعقول والارواح وجمع في ادم جميع الانواع وخصه بتشريف تام من هو تشريف ونفخت فيه من روحي
بمظهر لجميع اياته وصفاته وذاته ومعنى جعله خليفة ومعنى قوله ان الله خلق ادم على صورته ثم ذكر خواص
اولاد ادم نوحا وال ابراهيم وال عمران والمراد بالال كل مومن تقي بعضها من بعض بالوراثة الدرسية العلماء ورثة
الانبيا فالعالم كشجرة ثمرتها اهل المعرفة والله سميع لدعائهم عليم باحوالهم وخصالهم بهم يمطرون وبهم يرزقون الحديث والله

إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ
أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ط وَكَفَّلَهَا
زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ط قَالَ يَا مَرْيَمُ
أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ط إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

لصانع

علم ٢

هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار

القراءة مني انك بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو بما وضعت على الحكاية ابن عامر ويعقوب وابو بكر وحماد الباقون وضعت على الغيبة واني اعيذها بفتح الياء ابو جعفر ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون خفيفا زكريا مقصورا كل القرآن حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وقرا ابو بكر وحماد بالمد والنصب فيهما الباقون بالمد والرفع فناديه بالياء والامالة علي وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التانيث في المحراب بالامالة حيث كان مخفوضا قتيبة وابن ذكوان ان الله يبشرك ابن عامر وحمزة والباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة وعلي الباقون بالتشديد لي اية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن شنبوذ عن ابن كثير **الوقوف** مني للابتداء لاحتمال انك العليم انثى لمن قرا بما وضعت بتاء التانيث الساكنة ومن قرا على الحكاية لم يقف لانه يجعلها من كلامها وضعت كالانثى للابتداء بان ولاحتمال ان المجموع كلام واحد من قولها على قراءة من قرا وضعت بالضم الرجيم ه حسنا لمن قرا وكفلها مخففا لتبدل فاعله فان فاعل المخفف زكريا وفاعل المشدد الرب وقد تعدى الى مفعولين كقوله اكفلنيها المحراب لان وجد جواب كلما رزقا لاتحاد فاعل الفعلين مع عدم العاطف هذا من عند الله ط حساب ه ربه ط لما قلنا في رزقا طيبة للابتداء والجواز لانك الدعاء في المحراب وان كسران لان من كسر جعل النداء في معنى القول الصالحين عاقر ط ما يشاء ط اية ط رمزا ه والابكار ه **التفسير** انه سبحانه ذكر في هذا المقام قصصا **القصة الاولى** قصة حنة ام مريم البتول زوجة عمران بن ماثان بنت فاقود اخت ايشاع التي كانت تحت زكريا بن ادن يروى ان حنة كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبيناهي في ظل شجرة بصرت طائرا يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل قال الحسن انما فعلت ذلك بالهام الله تعالى كما الهم ام موسى فقذفته في اليم عن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وتحرير العبد تخليصه من الرق وحررت الكتاب اذا اصلحته وخلصته من الغلط وطين حر اذا كان خالصا لنفسه وليس لاحد عليه يد وتصرف قال الاصم لم يكن لبني اسرائيل غنيمة ولا سبي وكان في دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع عن الانتفاع ويجعلون الاولاد محررين لخدمة المسجد وطاعة الله تعالى حتى اذا بلغ الحلم كان مخيرا فان ابى المقام اي اراد ان يذهب ذهب وان اختار المقام فلا خيار له بعد ذلك ومن لم يكن الا ومن نسله محرر في بيت المقدس وما كان هذا التحرير الا في الغلمان لان الجارية يصيبها الحيض والقذر ثم انها نذرت مطلقا اما بناء الامر على الفرض والتقدير واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال من ما وعن ابي قتيبة المعنى نذرت لك ان اجعل ما في بطني محررا فلما وضعتها يعني ما في بطنها لانها كانت انثى في علم الله او على تاويل النفس او التسمية او الحبلة والحبل بفتح الباء مصدر يعني المحبول كما سمي بالحمل ثم ادخلت عليه الفاء للاستشعار يعني الانوثة فيه ومنه الحديث عن حبل الحبلة ومعناه ان يبيع ما سوف يحمله الجنين الذي في بطن الناقة على تقدير انه يكون انثى قالت رب اني وضعتها انثى حال كونها انثى ثم من قرا والله اعلم بما وضعت على الحكاية فمجموع الكلام الى اخر الاية من قولها ويكون فائدة

قولها اني وضعتها انثى الاعتذار عن اطلاق النذر الذي تقدم منها والخوف من انها لا يقع الموقع الذي يعتد به والتحزن الى ربها والتحسر على ما فات من تحقيق رجائها وعكس تقديرها ثم خافت ان يظن بها انها قالت ذلك لاعلام الله تعالى فقالت والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى ليس جنس الذكور كجنس الاناث ولا سيما في باب السدانة فان تحرير غير الذكور لم يكن جائزا في شرعهم والذكر يمكن الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان ولان الانثى لا تقوى على الخدمة ولانها محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل ان يكون عارفة بالله واثقة بان كل ما صدر عنه فلا يكون الا خيرا ورشدا فقالت رب اني وضعتها انثى ولكنك اعرف واعلم بما وضعت فلعل لك فيه سرا وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لي لانك لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام في الذكر وفي الانثى للعهد حاضر ذهني لكنها في الذكر لحاضر ذهني تقديرا لدلالة ما في بطني عليه ضمنا وفي الانثى للحاضر ذهني حقيقة لتقدم لفظه انثى ومن قرا بما وضعت بسكون التاء للتانيث فالجملتان اعني قوله والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله اعلم بالموضع كليس الذكر كالانثى بالشيء الذي وضعته لما علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها اية للعالمين وهي جاهلة بذلك ثم زادت بيانا وايضاحا فقالت وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واني سميتها مريم وذلك ان اباها قد مات عند وضعها فلهذا تولت الام عند تسميتها ومريم في لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب والطلب الى الله ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ولهذا اردف ذلك بطلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان فتقبلها ربها الضمير يعود الى امراة عمران ظاهر بدليل انها الذي خاطبت ونادت بقولها رب اني وضعتها ويحتمل ان يعود الى مريم فيكون فيه استناد الى انه كان راضيا بها في بطن امها ثم ربها بعد ذلك بقبول حسن تقبلت الشي وقبلته اذا رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكي انه لم يسمع غيره واجاز الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء في قوله بقبول منزلة الباء في قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفي التقبل نوع تكلف وكانه اما حكم بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال في الكشاف معناه فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول وهو اختصاصها صح باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في النذر بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة قال ويجوز ان يكون القبول اسم من يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معناه فاستقبلها مثل تعجل بمعنى استعجل وذلك قولهم استقبل الامر اذا اخذه باوله اي فاخذها من اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا قيل كانت تنبت في اليوم مثل ما ينبت المولود في عام وقيل المراد الزيادة في الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا يروى ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون التوراة والوحي على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلاث مرات وفي كل مرة كان يرتفع قلم زكريا ويرسب اقلامهم فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية تكون كفالة زكريا اياها من اول امرها وهو قول الاكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد ان فطمت ونبتت النبات الحسن على ترتيب المذكور والاصح انها لم ترضع ثديا قط وكانت تتكلم في الصغر وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها محرابا وهو غرفة يصعد عليها بسلم وقيل هو اشرف المجالس ومقدمها لانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب والتركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس اياه وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وذلك قوله عز وجل كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو ات في غير حينه والابواب مغلقة قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم وان يكون معترضا من كلام الله تعالى واعلم ان الامور الخارقة للعادة في حق مريم كثيرة منها انه روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل

صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها قلت لذلك لا حاجة الى اعيذها ومنها تكلمها في الصغر ومنها
حصول الرزق لها من عند الله كما روي عن النبي صلعم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة عليها السلام رغيفين
وبضعة لحم اثرته بها فرجع بها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت
من عند الله فقال النبي لها اني لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال النبي صلى الله
عليه وسلم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب
والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها وفي امثال هذه الخوارق
من غير الانبيا دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب الفعل الخارق في الاول
يدعي النبوة وفي الثاني يدعي الولاية والنبي يدعي المعجزة وينطق به والولي لا يمكنه ان ينطق به والمعجزة يجب انفكاكها
عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال بعضهم الانبيا مامورون باظهار المعجزة والاوليا مامورون باخفاء الكرامات
اما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها دلالات صدق الانبيا ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي
كما ان الفعل المحكم لما كان دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد في غير العالم والجواب عن حديث ابي هريرة بعد
تسليم صحته ان استهلال المولود صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده
عليه ويقول هذا ممن اغوي به ومعنى الحديث ان كل مولود فانه يطمع الشيطان في اغوايه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم
جميع من كان في صفتهما من عباد الله المخلصين قال في الكشاف واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا
ولو سلط ابليس على الناس بنخسهم لامتلات الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه قلت والعجب من مثله
مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاحساس بمنزلة الشيطان والصراخ منه في وقت الولادة وانه قريب العهد بعالم الارواح
وزمان المكاشفة لبعد العهد من عالم الفعل والالف بالمحسوسات ان يحس به في وقت اخر ويصرخ على ان لمس
الشيطان ونخسه يظهر في هيات النفس واحوالها وانها امور لا يحس بها الا بعد المفارقة او قطع العلايق البدنية
والكلام فيه يستدعي فهمه استعداد اخر غير العلم الظاهر قال الجبايي لم لا يجوز ان تكون تلك الخوارق
من معجزات زكريا وبيانه ان زكريا دعا لها على الاجمال ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا عن تفاصيلها
يا بنيها من الارزاق من عند الله فاذا راى شيا بعينه في وقت معين قال لها اني لك هذا قالت هو من عند الله
فعند ذلك يعلم ان الله تعالى اظهر بدعايه تلك المعجزة ويحتمل ان يكون زكريا يشاهد عند مريم رزقا معتادا
الا انه كان ياتيها من السما وكان زكريا يسالها عن ذلك حذرا من ان يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت
هو من عند الله لا من عند غيره على انا لا نسلم انه ظهر لها شي من الخوارق بل كانوا يرغبون في الانفاق على الزاهدات
العابدات فكان زكريا اذا راي شيا من ذلك خاف ان ذلك الرزق اتاها من حيث لا ينبغي وكان يسالها عن كيفية
الحال قلت امثال هذه الشبهات يوجبها الشك في القران وفي الحديث او العصبية المحضة على انا نقول لو كان
معجزا لزكريا لكان ماذونا من عند الله في طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال وايضا
كيف قنع بمجرد اخبارها في زوال التهمة وكيف مدح الله مريم بحصول اهل الرزق عندها وكيف يستبعد هذا
القدر من اخبر الله تعالى بانها اصطفاها على نساء العالمين وقال وجعلناها وابنها اية للعالمين

القصة الثانية

واقعة زكريا عليه السلام وذلك قوله سبحانه هنالك اي في ذلك المكان الذي كان قاعدا فيه في
المحراب او في ذلك الوقت الذي شاهد تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثمة وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا
يقتضي ان يكون قد عرف في ذلك الزمان او المكان امرا له تعلق بهذا الدعا فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا
راي عند مريم من فاكهة الصيف في الشتا والعكس وان ذلك خارق للعادة فطمع هو ايضا في امر خارق هو حصول
الولد من شيخ كبير ومن امراة عاقر وهذا لا يقتضي ان يكون زكريا قبل ذلك شاكا في قدرة الله تعالى على تحصيل
وقوع الخوارق فان من حسن الادب رعاية الوقت الانسب في الطلب واما المعتزلة لما لم يجيزوا الكرامات
الا للاوليا وارهاص الانبيا قالوا ان زكريا لما راي اثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة في حق مريم تمنى ان
يكون له ولد مثلها وقال المتكلمون ان دعا النبي لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال ان لا يكون الاجابة مصلحة فحينئذ تصير

دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه واقول ان دعاء النبي لا يكون بمجرد التشهي فلا حاجة له في كل دعاء الى اذن
مخصوص بل يكفي له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالندرة على خلاف دعوته
فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعايه انه لو لم يكن اصلح لم ينفعه الله ويصرفه عنه ومعنى قوله من لدنك
ان حصول الولد في العرف والعادة له اسباب مخصوصة كانت مفقودة في حقه فكانه قال اريد منك يا رب ان تعزل
الاسباب في هذه الواقعة وتخلق هذا الولد محض قدرتك من غير توسط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد
والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا الواحد كما قال فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وانث الطيبة لتانيث لفظ
الذرية في الظاهر فالتذكير والتانيث تارة يجي على اللفظ واخرى على المعنى وهذا في اسماء الاجناس بخلاف
الاسماء الاعلام فانه لا يجوز ان يقال جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا
التذكير انك سميع الدعا يعني سامع اجابة وذلك لما عهد من الاجابة في عين هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم
اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملايكة ظاهر اللفظ للجمع وهذا في باب التشريف اعظم ثم ما روي ان المنادي جبريل
فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل وياكل الاطعمة النفيسة اي يركب من هذا الجنس وياكل منه لان جبريل كان
رييس الملايكة وقلما يبعث الا ومعه اخرون ان الله يبشرك بيحيى ولذلك كان بشارة له ويحتمل ان يكون المعنى يبشرك بولد
اسمه يحيى كما جاء في سورة مريم انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانه اسم اعجمي كموسى وعيسى ومتى جاز ان يكون
عربيا فيمتنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله
وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال ابو عبيدة اي مومنا بكتاب الله ويسمى الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته والجمهور على ان المراد بكلمة من الله هو عيسى قال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى وهما حاملتان بهما فقالت
اشعرت اني حبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت امراة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك
قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن عباس ان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكان يحيى اول من امن وصدق
بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليهما السلام وسمي عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا بكلمة الله وهي
كن من غير واسطة اب او انه ورع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء او لكونه متكلما في اوان الطفولية او لانه مثار
الحقايق والاسرار كالكلمة ولهذا سمي روحا ايضا لانه سبب حيوة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله
ونور الله لانه سبب العدل ونور الاحسان او لانه وردت البشارة به في كلمات الانبيا وكتبهم كما لو اخبرت عن حدوث
امر ثم اذا حدث قلت قد جاء قولي او كلامي اي ما كنت اقول واتكلم به ومنها قوله وسيدا او السيد الذي يفوق
قومه في الشرف وكان يحيى فايقا لقومه بل للناس كلهم في الخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم وقال ابن
المسيب الفقيه العالم وقال عكرمة الذي لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل اي محصورا عن النساء
لضعف الالة وزيف بانه من صفات النقص فلا يليق في معرض المدح والمحققون على انه فعول بمعنى فاعل فهو
الذي لا ياتي النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس النفس عنهن وفيه دليل على ان ترك النكاح كان افضل
في تلك الشريعة فلولا ان الامر بالنكاح والحث عليه وارد في شرعنا كان الاصل بقاء الامر على ما كان ومنها قوله
ونبيا واعلم ان السيادة لا تتم الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع الى الدين والدنيا والحصور الى الزهد التام
وهو منع النفس عما لا يعنيه يروى انه مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت فقوله

اشارة

ونبيا اشارة الى ما عدا مجموع الامرين فانه ليس بعدها الا النبوة ثم قال من الصالحين اي من اولاد الانبيا لانه كان
من اصلاب الانبيا او كاينا من جملة الصالحين كقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين او لان صلاحه كان اتم بدليل
قوله صلى الله عليه وسلم ما من بني ادم الا وقد عصى او هم بمعصية غير يحيى ابن زكريا فانه لم يعص ولم يهم وفيه ان
الحث على الصلاح هو الغرض الاعظم والغاية القصوى وان كان نبيا ولهذا قال سليمان بعد حصول النبوة وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين ثم ان الملايكة لما نادوه بما نادوه قال
زكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه رب اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر اي ادركني السن العالية واثر في طول
العمر واضعفني قال اهل اللغة كل شي صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك وذلك اذا امكن نضوب الطلب من الجانبين

فيجوز بلغت الكبر وبلغني الكبر لان الكبر كالشي الطالب للانسان فهو ياتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا ياتيه بمرور الزمان عليه
ولا يجوز بلغني البلد في موضع بلغت البلد لان البلد ليس كالطالب للانسان الذاهب وامراتي عاقر هي من الصفات
الخاصة بالنساء ويقال رجل عاقل اي لا يثبت شيئا فان قيل لما كان زكريا هو الذي سال الولد ثم اجابه الله تعالى اليه ذكر فما
وجه تعجبه واستبعاده بقوله اني يكون هذا يحصل لي غلام فالجواب على راي الكشاف ان الاستبعاد انما هو من
حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فسبق لسانه ونقل عن سفيان بن عيينة انه دعاه كان قبل البشارة
بستين سنة وكان قد نسي ذلك السوال وقت البشارة فلما سمع البشارة في زمان الشيخوخة استغرب وكان له يوم يبد
نابه وعشرون سنة او تسع وتسعون ولامراته ثمان وتسعون وعن السدي ان الشيطان جاء عند سماع البشارة
فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر ولاسيما انه كان من المصالح الدنيا ولم يتاكد بالمعجزة فزع
الى ازالة ذلك الخاطر فسال ما سال والجواب المعتمد ان زكريا لم يسال عما سال استبعادا او تشكيكا في قدرة الله تعالى
وانما اراد تعيين الجهة التي بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقارتها فاجيب بقوله
كذلك الله يفعل ما يشاء وهو اما جملة واحدة اي يفعل الله ما يشاء من افعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من
الشيخ الفاني والعجوز العاقر او جملتان فيكون كذلك مبتداء وخبرا اي على نحو هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل
ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه عليه السلام لفرط سروره وثقته بكرم ربه وانعامه سال عن تعيين الوقت
فقال رب اجعل لي اية علامة اعرف بها العلوق فان ذلك لا يظهر من اول الامر قال تعالى ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام
اي بلياليها ولهذا ذكره في سورة مريم ثلث ليال ومعنى قوله الا تكلم الناس قال المفسرون اي لا تقدر على التكلم حبس
لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح ليكون في تلك المدة مستغلا بذكر الله وبالطاعة وبالشكر على تلك
النعمة الجسيمة فيصير الشي الواحد علامة على المقصود واداء الشكر لتلك النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفي هذه الاية
اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية
واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم الامر وقع على وفق هذا الخبر وعن
قتادة انه عليه السلام عوقب بذلك حيث سال بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام قلت
واحسن العتاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة اخرى وهي انه طلب الاية على الاطلاق
فاحتمل ان يكون قد طلب علامة المعقول واحتمل ان يكون قد طلب دلالة على احداث الخوارق ليصير علم اليقين عين
اليقين فصار حبس لسانه اية العلوق ودلالة على الفعل الخارق جميعا مع مناسبته للواقعة حيث سال ما كان من
حقه ان لا يسال وزعم ابو مسلم ان المعنى ايتك ان تصير مامورا بعدم التكلم ولكن بالاشتغال بالذكر والتسبيح الا رمزا
اشارة بيد او راس او بالشفتين ونحوها واصل التركيب للتحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز للبحر وهو استثناء
من قوله الا تكلم وجاز ان لم يكن الرمز من جنس الكلام لان مؤداه مؤدى الكلام ويجوز ان يكون استثناء منقطع
وقيل الرمز الكلام الخفي وعلى هذا فالاستثناء متصل من غير تكلف وقرا يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز
كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة بمعنى الا مترامزين
كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم واذكر ربك كثيرا قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد
بالذكر الذكر القلبي وانه كان عاجزا عن التكلم مطلقا وسبح حمله بعضهم على صلى كيلا يكون تكرارا للذكر وقد يسمى الصلاة
تسبيحا فسبحان الله حين تمسون لاشتمالها عليه بالعشي مصدر على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها
والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر بكر يبكر اذا خرج للامر من اول النهار ومنه الباكورة لاول الثمار
وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار التاويل ان الله تعالى جعل في كل ذرة من ذرات الموجودات وحركة
من حركاتها اسرارا لا يعلمها الا الله فانظر ماذا اخرج الله من الاسرار من اطعام طاير وماذا اظهر من الايات والمعجزات
من تلك الساعة الى يوم القيمة بواسطة مريم وعيسى فتقبل مني محررا من الحجر الا الى الغير اي ان تقبلها مني اي يتكفلها
وتربيها تربية المحرر فتقبلها ربها اي ترتيبها بقبول حسن كقبول ذكر او قبولا اخرج منها مثل عيسى وكفلها
زكريا من كمال رافته انه جعل كفالتها الى زكريا حيث اراد ان يخرج عيسى منها بلا اب لئلا يدخل عليها غيره

يكونا بعد من التهمة وحيد عندها رزقا اي من فتوحات الغيب الذي يطلع الله به خواص عباده الذين يبيتون
عنده لا عند انفسهم ولا عند الخلق كقوله صلى الله عليه وسلم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ان الله يرزق من
يشاء بغير حساب ما لم يكن في حسابها من الولد بلا اب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن المعجزات بلا نبوة ومن العلوم اللدنية
بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كما انه تعالى جعل اطعام الطعام الطاير فرخه بسبب تحريك قلب حبه بطلب
الولد فكذلك جعل حالة مريم وما كان يانيها من الرزق خارقا للعادة سبب تحريك قلب زكريا قال رب هب لي من
لدنك ذرية طيبة اي ولدا يكون روحه من الصف الاول من صفوف الارواح المجندة وهو المطهر من لوث الحجاب والولد
الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الثاني الذي هو لارواح الاولياء وبينه وبين الله حجاب الصف الاول وبخلاف
الصف الثالث الذي هو لارواح المؤمنين وبخلاف الصف الرابع الذي هو لارواح المنافقين والمشركين فنادته
الملائكة وهو قائم بالله يصلي بسائر سره في الملكوت محارب نفسه وهواه والمحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى
لانه منذ خلق ما ابتلي بالموقف لا يموت القلب بالمعاصي ولا يموت الصورة لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل احياء عند
ربهم يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهي قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا اي حرا من رق الكونين بل
سيدا لهم فيهما الكونين وحصورا نفسه عن التعلق بالكونين ونبيا من الصالحين من اهل الصف الاول رب اني
يكون لي غلام لم يكن استبعاده من قبل القدرة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة ايتك الا تكلم الناس
لغلبات الصفات الروحانية عليك واستيلاء سلطان الحقيقة على قلبك فان النفس الناطقة تكون مغلوبة
في تلك الحالة بشواهد الحق في الغيب فلا يفرغ لاحياء عادتها في الشهادة بالكلام الا رمزا ولهذا يقوي الروح الحيواني
ويمد منه القوة البشرية فيحيي الله تعالى به الشهوة الميتة فيتمنى ما تولد من الشهوة الميتة التي احياها الله يحيى والاستمرار
هذه الحالة في الايام الثلثة امر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا والله اعلم بالصواب

وَاِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يٰمَرْيَمُ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰىكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفٰىكِ عَلٰى نِسَآءِ
الْعٰلَمِيْنَ ۝ يٰمَرْيَمُ اقْنُتِيْ لِرَبِّكِ وَاسْجُدِيْ وَارْكَعِيْ مَعَ الرّٰكِعِيْنَ ۝
ذٰلِكَ مِنْ اَنْۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوْحِيْهِ اِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ اِذْ يُلْقُوْنَ اَقْلَامَهُمْ اَيُّهُمْ
يَكْفُلُ مَرْيَمَ ط وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ اِذْ يَخْتَصِمُوْنَ ۝ اِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يٰمَرْيَمُ اِنَّ اللّٰهَ
يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ط وَجِيْهًا فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ
وَمِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ ۝ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَّمِنَ الصّٰلِحِيْنَ ۝ قَالَتْ رَبِّ
اَنّٰى يَكُوْنُ لِيْ وَلَدٌ وَّلَمْ يَمْسَسْنِيْ بَشَرٌ ط قَالَ كَذٰلِكِ اللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ اِذَا قَضٰى
اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُوْلُ لَهٗ كُنْ فَيَكُوْنُ ۝ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرٰىةَ وَالْاِنْجِيْلَ
وَرَسُوْلًا اِلٰى بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ اَنِّيْ قَدْ جِئْتُكُمْ بِاٰيَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ اَنِّيْٓ اَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّيْنِ
كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ فَاَنْفُخُ فِيْهِ فَيَكُوْنُ طَيْرًا بِاِذْنِ اللّٰهِ وَاُبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ

وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية
لكم إن كنتم مؤمنين ۝ ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي
حرم عليكم ط وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ۝ إن الله ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم ۝ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري
إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ط آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ۝
ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ۝ ومكروا ومكر
الله والله خير الماكرين ۝ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك
من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ط
ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ۝ فأما الذين كفروا فأعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ۝ وأما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ۝ والله لا يحب الظالمين ۝ ذلك نتلوه عليك
من الآيات والذكر الحكيم ۝ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من
تراب ثم قال له كن فيكون ۝ الحق من ربك فلا تكن من الممترين ۝

القراءات ويعلمه بياء الغيبة ابو جعفر ونافع وعاصم وسهل ويعقوب الباقون بالنون اني اخلق بكسر الهمزة وفتح الياء نافع اني اخلق بالفتح فيها ابن كثير وابو عمرو يزيد كهيئة بتشديد الياء يزيد وحمزة في الوقف وكان ابي مقسم يقول بالغين انه خلقنا يقول ان حمزة كان يترك الهمزة ويحرك الياء بحركتها الباقون بالياء والهمزة الطائر يزيد الباقون الطير فيكون بتاء التانيث المفضل الباقون بياء الغيبة طائرا ابو جعفر ونافع ويعقوب وكذلك في المائدة الباقون طيرا انصاري الى بفتح الياء ابو جعفر ونافع نفرا فتنبيه وابي عمر فيطرب ابي الزعرا وبالامالة فيوفيهم بياء الغيبة حفص وروح ورويس ضم الهاء الباقون بالنون **الوقوف** العالمين ۝ الراكعين ۝ اليك ط يكفل مريم لعطف المتفقتين يختصمون ۝ قد قيل لتذكير الضمير وتانيث الكلمة في اسمه ولكن المراد من الكلمة الولد فلم يكن تانيثا حقيقيا فالوجه ان لا يوقف الى الصالحين لان وجيها حال وما بعده معطوف عليه على تقدير وكائنا من المقربين ومكلما وكائنا من الصالحين المقربين الصالحين بشر يشاء ويكون الانجيل لان ورسولا يجوز ان يكون معطوفا على ومن الصالحين او منصوبا على محذوف اي نجعله رسولا والوقف احسن لتباعد العطف من ربكم لمن قرا اني اخلق بالكسر باذن الله والثاني كذلك والتفصيل بين المعجزات في بيوتكم مومنين للعطف واطيعون ۝ فاعبدوه مستقيم ۝ الى الله انصار الله ط لان امنا في نظم الا

حرف

مع انكار الحال اي وقد امنا بالله كذلك لانقطاع النظم مع اتحاد مقصود الكلام ۝ مسلمون ۝ الشاهدين ۝ ومكر الله الماكرين القية لان ثم لترتيب الاخبار والاخرة للابتداء بالنفي مع ان المنفي تمام المقصود ناصرين اجورهم الظالمين الحكيم ادم لان الجملة لا يتصف بها المعرف فيكون الممترين ۝

التفسير القصة الثالثة قصة مريم عليها السلام العامل في اذ ههنا هو ما قبله اذ قالت امراة عمران لمكان العطف والمراد بالملائكة ههنا جبريل كما يجيء في سورة مريم فارسلنا اليها روحنا واعلم ان مريم ما كانت من الانبيا لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فارسال جبريل اليها اما ان يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاوليا واما ان يكون ارهاصا لعيسى وهو جائز عندنا وعند الكعبي من المعتزلة او معجزة لزكريا عليه السلام وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث في الروع والالهام كما في حق ام موسى واوحينا الى ام موسى ثم انه تعالى مدحها بالاصطفاء ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ولا يجوز ان يكون الاصطفاآن بمعنى واحد للتكرار والصرف فحمل المفسرون الاصطفاء الاول على ما اتفق لها من الامور في اول عمرها منها تقبل محررها مع كونها انثى ومنها قول الحسن ما غذتها امها طرفة عين بل القتها الى زكريا وكان رزقها من عند الله ومنها تفريغها للعبادة ومنها اسماعها كلام الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى غيرها الى غير ذلك من انواع اللطف والهداية والعصمة في حقها واما التطهير فتطهيرها عن الكفر والمعصية كما قال في حق ازواج النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته ويطهركم تطهيرا وعن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا كانت لا تحيض وعن الاقوال القبيحة والافعال الذميمة واما الاصطفاء الثاني فهو ما اتفق لها في اخر عمرها من ولادة عيسى لغير اب وشهادته ببراءتها عما قذفتها اليهود وقيل المراد اصطفاؤها على عالمي زمانها لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كمل من نساء العالمين اربعة مريم واسية امراة فرعون وخديجة وفاطمة عليها السلام ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا اوجب عليها مزيد الطاعة شكرا لتلك النعم فقال اقنتي امر بالعبادة على العموم واسجدي امر على الصلوة تسمية للشي بمعظم اركانه كما في قوله وادبار السجود وفي الخبر اذا دخل احدكم المسجد فليسجد سجدتين ولا ريب ان السجود اشرف الاركان لقوله صلى اقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد ثم قال واركعي مع الراكعين فالاول امر بالصلوة مطلقا والثاني امر بالصلوة في الجماعة وانما عبر عن الصلوة ههنا بالركوع اما لتقرير العبادة وقد يسمى الشي باحد اركانه واما تسمية للشي بمعظم اركانه بناء على ما قيل ان الركوع افضل من السجود لان الراكع حامل نفسه في الركوع فالمشقة فيه اكثر او للتمييز عن صلوة اليهود وقيل واركعي مع الراكعين امر بالخضوع والخشوع بالقلب ويحتمل ان يراد بقوله اقنتي الامر بالصلوة لان القنوت احد اجزائها وان يراد بقوله واسجدي واركعي استعمال كل منهما في وقته اللائق به والواو لا يفيد الترتيب فالمراد انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم لا في عداد غيرهم وانما لم يقل مع الراكعات اما للتغليب واما لان الاقتداء بالرجل حال الاختفاء من الرجال افضل من الاقتداء بالنساء روي ان مريم بعد ذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسال الدم والقيح منها اللهم لا تواخذنا باسم الرجولية ونحن اقل في حد منك من احدى النساء ذلك الذي سبق من نبا حنة وزكريا ويحيى ومريم من انباء الغيب نوحيه اليك وقد ورد الكتاب بالايحاء على معان مختلفة يجمعها تعريف الموحى اليه بامر خفي اشارة او كتابة او غيرهما وبهذا التفسير يعد الالهام وحيا كقوله واوحى ربك الى النحل وقال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله سبحانه القى هذه الانباء الى النبي بواسطة جبريل بحيث يخفى على غيره سماه وحيا وما كنت لديهم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم وترك نفي استماع الانباء من حفظتها وهو موهوم لانه كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة الممتنعة في حقه فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي ومثله في القران وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور اذ يلقون اقلامهم ينظرون او ليعلموا او يقولون ايهم يكفل مريم حذف متعلق الاستفهام لدلالة الالقاء عليه وظاهر الاية يدل على انهم كانوا يلقون الاقلام في شي على وجه يظهر به امتياز بعضهم عن البعض في استحقاق ذلك المطلوب وليس فيها دلالة على كيفية ذلك الالقاء الا انه روي عن الخبر انهم كانوا يلقونها في الماء بشرط ان من جرى قلمه على خلاف جري الماء فاليد له ثم انه حصل هذا المعنى لزكريا عليه السلام فصار اولى بكفالتها وقيل عرف برسوب الاقلام وارتفاعها كما مر وعن الربيع انهم القوا عصيهم في الماء الجاري فجرت عصا زكريا عليه السلام على ضد جرية الماء فغلبهم وقال ابو مسلم المراد بالقا

كلام

الاقلام ماكانت تفعله الامم من المساهمة عند التنازع فيطرحون منها ما يكتبون عليها اسمائهم فمن اخرج له السهم
سلم له الامر قال تعالى فساهم فكان من المدحضين وهو شبيه بالقداح التي تتقاسم بها العرب لحم الجزور وانما سميت
تلك السهام اقلاما لانها تقلم وتبرى قال القاضي ووقوع لفظ القلم على هذه الاشياء وان كان صحيحا نظرا الى اصل الاشتقاق
الا ان العرف الظاهر يوجب اختصاص العلم بهذا الذي يكتب به فوجب حمل اللفظ عليه وما كنت لديهم اذ يختصمون يتسابقون
على التكفل قيل هم حزنة البيت وقيل بل العلماء والاحبار وكتاب الوحي ولا شبهة في انهم كانوا من الخواص
واهل الفضل في الدين والرغبة في طي الخير ثم المراد بهذا الاختصام يحتمل ان يكون ما كان قبل الاقتراع وان يكون اختصاما
اخر حصل الاقتراع وبالجملة والمقصود بشدة رغبتهم في التكفل بشانها والقيام باصلاح مهماتها اما لان عمران كان رئيسا
لهم فارادوا قضاء حقوقه واما لاجل الدين حيث كانت محررة لخدمة بيت العبادة واما لانهم وجدوا في الكتب الالهية
انه لها ولابنها شانا **القصة الرابعة حكاية ولادة عيسى** اذكر طرف من معجزاته اذ قالت الملائكة يعني جبريل
كما مر ومتعلق اذ هو متعلق واذ قالت لان هذا بدل من ذلك فيجوز ان يكون بدلا من قوله اذ يختصمون قال في الكشاف
هذا على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا يعني وانما لقيته في ساعة منها فيكون
الزمان الواسع زمانا لكل منهما فيكون الثاني بدل الكل من الاول ويجوز ان تتعلق بيختصمون ولا يحتاج الى زمان
واسع بناء على ما روي عن الحسن انها كانت عاقلة في حال الصغر وان كان ذلك من كراماتها فجاز ان ترد عليها البشرى
في حالة الصغر ولا يفتقر الى ان يؤخر الى حين العقل واعلم ان حدوث الشخص من غير نطفة الاب امر ممكن في نفسه كيف
وقد نشاهد حدوث كثير من الحيوانات على سبيل التولد كتولد الفار عن المدر والحياة عن الشعر المعفن والعقارب
عن الباذروج غايته الاستبعاد عرفا وعادة وهذا لا يوجب عند الحكماء ظنا قويا فضلا عن العلم ثم ان الصادق اخبر عن
وجود ذلك الممكن فيجب القطع بصحته ومما يؤيد في العقل بيانا ان التخيلات الذهنية كثيرا ما يكون اسبابا لحدوث
الحوادث كتصور حضور المنافي للغضب وكتصور السقوط لحصول السقوط للماشي على جدع ممدود فوق فضاء بخلاف ما
لو كان على قرار من الارض وقد جعلت الفلاسفة هذا الاصل في بيان جواز المعجزات والكرامات فالمانع ان يقال انها
لما تخيلت صورة جبريل كفى ذلك في انعلاق الولد في رحمها لان مني الرجل ليس الا لاجل العقد فاذ احصل الانعقاد
لمني المراة بوجه اخر امكن تعلق الولد قوله بكلمة منه لفظة من هنا ليس للتبعيض كما زعمت النصارى بالحلولية
لانه تعالى غير متبعض بوجه من الوجوه ولكنها لابتداء الغاية اي بكلمة حاصلة من الله تعالى وذلك ان عيسى لما خلق من غير
واسطة اب صار تاثير كلمة كن في حقه اظهر واكمل فكان كانه نفس الكلمة كما ان من غلب عليه الجود والكرم والاقبال
يقال انه محض الجود ونفس الكرم وصريح الاقبال والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا
بالعبرانية ومعناه المبارك وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع اما احتمال اشتقاق عيسى من العيس
البياض التي تعلوه حمرة فبعيد واما احتمال المسيح من المسح فقريب فعليه الاكثرون عن ابن عباس سمي بذلك لانه ما كان
يمسح ذا عاهة الا برا وقال احمد بن يحيى لانه كان يمسح الارض اي يقطعها وعلى هذا فيجوز ان يقال له مسيح بالتشديد
كشريب وقيل لانه مسح من الاوزار والاثام وقيل لانه لم يكن في قدمه خمص وكان ممسوح القدمين وقيل لانه ممسوح
بدهن طاهر مبارك تمسح به الانبياء ولا يمسح به غيرهم قالوا ويجوز ان يكون هذا الدهن جعله الله علامة للملائكة
يعرفون بها الانبياء حين يولدون وقيل لان جبريل مسحه بجناحه وقت ولادته صيانة له عن مس الشيطان وقيل
لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن واما المسيح الدجال فسمي بذلك لانه ممسوح احدى عينيه او لانه يمسح الارض
اي يقطعها في المدة القليلة قالوا ومثله الدجال لرحله في الارض اي قطعها وقيل الدجال من دجل الرجل اذا موه ولبس
وتقديم المسيح وهو اللقب على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو درجته وانما نسب الى مريم والخطاب
لمريم تنبيها على انه لا اب له حتى ينسب اليه كما في سائر الانبياء فلا ينسب الا الى امه وذلك من جملة ما اصطفيت
به وانما ذكر ضمير الكلمة في اسمه لان المسمى بها مذكر وانما قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم والاسم من المجموع عيسى والمسيح
لقب والابن صفة لان المراد التعريف والتمييز والذي يتميز به عن غيره هو مجموع الثلاثة وجيها ذا وجاهة والشرف
والقدر وقيل الكريم لان اشرف اعضاء الانسان هو الوجه في الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة وبالبراءة من العيوب والاخرة

بشفاعة امته المحقين وعلو الدرجة في الجنة ونصبه على الحال من النكرة الموصوفة وهي كلمة وكذا انتصاب
ما بعده كما مر في الوقف اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وكونه من المقربين هو رفعه الى السماء وصحبة
الملائكة والمهد قيل حجر امه وقيل الالة المعروف لاضجاع الصبي وكيف كان فالمراد انه يكلم الناس في الحالة التي يحتاج
الصبي فيها الى المهد وكهلا عطف على الظرف اي يكلم الناس في الصغر وفي الكهولة والكهل في اللغة الذي يجتمع قوته وكمل
شبابه من قولهم اكتهل النبات اي قوي روي ان عمره بلغ ثلثا وثلثين ثم رفع الى السماء ولا ريب ان اكمل احوال الانسان
ما بين الثلثين والاربعين فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة وعن الحسين بن الفضل المراد ان يكون كهلا بعد
نزوله من السماء وانه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال فان قيل ان تكلمه في المهد من المعجزات ولكن تكلمه في حال
الكهولة ليس من المعجزات فما الفائدة في ذكره فالجواب من وجوه قال ابو مسلم معناه انه يتكلم حال كونه في المهد
وحال كونه كهلا على حد واحد وصفة واحدة ولا شك ان ذلك غاية في الاعجاز وقيل المراد الرد على نصارى
نجران وبيان كونه متقلبا في الاحوال من الصبي الى الكهولة فان التغير على الاله محال وقيل المراد انه تكلم مع الناس
مرة واحدة في المهد لاظهار طهارة امه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي والنبوة وقال الاصم المراد انه يبلغ حال الكهولة
تخرج من قول الحسين بن الفضل جواب اخر وههنا بحث للنصارى قالوا ان كلامه في المهد من اعجب الامور واعز بها
ولا شك ان مثل هذه الواقعة بحضر جمع عظيم مما يتوفر الدواعي على نقلها فيبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة
لكان اولى الناس بمعرفتها النصارى لانهم افرطوا في محبته حتى ادعوا الهيته لكنهم اطبقوا على انكاره فعلمنا انها لم توجد
اصلا والجواب ان اطباق النصارى على الانكار ممنوع ولو نسلم فان كلام عيسى في المهد لانه على براءة مريم مما نسب اليه
من السوء وكان الحاضرون حينئذ جمعا قليلا ولا يبعد في مثلهم التواطؤ على الاخفاء وبتقدير ان يذكروا ذلك فان غيرهم
كانوا يكذبونهم وينسبونهم الى البهت فهم ايضا قد سكتوا لهذه العلة فلهذه الاسباب بقي الامر مكتوما الى ان نطق القران
بذلك ثم ختم اوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم بذلك يحيى وفيه ان الدخول في زمرة الصالحين والانتظام
في سلكهم هو المقصد الاسنى والامد الاقصى قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم تقل ذلك استبعادا او
تشككا وانما ارادت تعيين الجهة كما مر في قصة زكريا فاجيبت بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق نظيره الا انه
عبر عن الفعل ههنا بالخلق وهو تخليق المولود بغير اب ولهذا اكد بقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقد تقدم
تفسيره في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه بالياء عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء
وهو عام يتضمن قوله يخلقه فيحتمل ان يكون كلاما مبتدا وكذا من قرا بالنون لان المذكورات في قراءة الياء يشترك
وبحق بخلقه ثم الذي علمه اي بعد امور اولها الكتاب وكان المراد به الخط وثانيها الحكمة وهو ان يعرف الحق لذاته
والخير لاجل العمل به وثالثها التورية لان البحث عن اسرار الكتب الالهية لا يمكن الا بعد الاطلاع على العلوم الخمسة
ورابعها الانجيل وفيه العلوم التي خصه الله تعالى بذلك وشرفه بانزالها عليه وهذه هي الغاية القصوى والرتبة
العليا في العلم والفهم والاحاطة بالحقائق والاطلاع على الدقائق ثم قال ورسولا عطفا على وجيها وما بعده الى بني
اسرائيل اي الى كلهم لانه جمع مضاف وفيه رد على اليهود القائلين لانه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم اني قد
جئتكم يتعلق بمحذوف يدل عليه لفظ الرسول اي ناطقا باني قد جئتكم وانما وجب هذا الاضمار للعدول المغيبة
الى التكلم واما في قوله ومصدقا لما بين يدي فمعطوف باية اي مع اية والتقدير جئتكم مصاحبا لاية من ربكم ومصدقا
لما بين يدي وجئتكم لاحل دفن الكشاف وتقديره وبعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم
ومصدقا لما بين يدي او الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم باية وناطقا باني اصدق
ما بين يدي وعن الزجاج ان التقدير ويكلم الناس رسولا باني قد جئتكم باية من ربكم والمراد بالاية الجنس لا الفرد
لانه عدد انواعا من الايات ثم ابدل عن الاية قوله اني اخلق فيمن قرا اني ويحتمل ان يكون ان مع ما بعده مرفوعا
اي هي اني اخلق ومن قرا اني اخلق فللاستئناف والبيان كقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ثم فسر المثل
بقوله خلقه من تراب وهذا احسن ليوافق قراءة الفتح والمعنى اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فاحيات الشيء المخلوق
فانفخ فيه اي في ذلك الطين المصور او الشيء المماثل كهيئة الطير فيكون طيرا وهو اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع

يروي انه خلق انواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرا طائرا وذلك انما ادعى النبوة واظهر المعجزات
اخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب
كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا باذن الله تكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين
دلت الاية على ان الروح جسم رقيق كالريح ولذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز ان يقال انه تعالى
اودع في نفس عيسى خاصية بانه متى نفخ في شيء كان نفخه موجبا لصيرورة ذلك الشيء حيا وذلك انه تولد من
نفخ جبريل في مريم وجبريل روح محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الارواح في الاجساد او يقال ليس الامر كذلك
بل الله تعالى كان يخلق الحيوة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى عليه السلام فيه على سبيل اظهار المعجزات
وهذا هو الحق لقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة ولقوله حكاية عن ابراهيم في المناظرة ربي الذي يحيي ويميت
فلو حصل لغيره هذه الصفة لبطل ذلك الاستدلال وابرئ الاكمه والابرص ذهب اكثر اهل اللغة على ان الاكمه
هو الذي يولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب
التفسير وقيل الاكمه من عمي بعد ان كان بصيرا رواه الخليل عن مجاهد انه الذي لا يبصر بالليل واما البرص فانه بياض يظهر
في ظاهر البدن وقد لا يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو الى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذي يغذوه فيضعف
القوة المغيرة عن تمام التشبيه وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير لحمه كلحم الاصداف فيحمل الدم الصاير اليه الى مزاجه
ولونه وان كان ذلك الدم حدث في جوهره نفسا من البلغم صار ادوا داعيا عسير البرء لا يكاد يبرا وخاصة الوضح منه
والاخذ في الازدياد والذي يرجى برؤه من البرص ما اذا دلك احمر بالدلك ويكون معه خشونة ما والشعر الذي
ينبت عليه لا يكون شديد البياض واذا اخذ جلده بالابهام والسبابة وانسل عن اللحم وغرزت فيه الابرة خرج منه
دم او رطوبة موردة ولا شك ان يراد مثل هذا المرض من قبيل الاعجاز بري انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من
المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده واحيا الموتى احياء عاذر وكان
صديقا له ودعا سام ابن نوح من قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله عيسى فنزل عن
سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له قال الكلبي كان عيسى عليه السلام يحيي الاموات بيا حي يا قيوم وكرر
قوله باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم قيل انه كان من اول
امره يخبر بالغيوب روى السدي انه كان يلعب مع الصبيان ثم كان يخبرهم بافعال ابائهم وامهاتهم وكان
يخبرهم بان امك خبات لك كذا فيرجع الصبي الى اهله ويبكي الى ان ياخذ ذلك الشيء فقالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع
الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا في البيت فقال من في هذا البيت فقالوا
خنازير فقال عيسى كذلك فاذا هم خنازير وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر من وقت نزول المائدة وذلك ان
القوم نهوا عن الادخار وكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك والادخار افتعال من الدخر قلبت
كل من التاء والذال دالا ثم ادغم واعلم ان الاخبار عما غاب معجز دال على ان ذلك المخبر صار معلوما بالوحي ولم يتفق
فيه بالة ولا تقديم مسئلة خلاف ما يتفق له المنجمون والكهان فان ذلك استعانة من احوال الكواكب والجن ولهذا
يتفق لهم الغلط كثيرا ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين بها كونه رسولا من عند الله ذكر انه لماذا ارسل فقال
ومصدقا لما بين يدي من التورية وذلك انه يجب على ان كل نبي ان يكون مصدقا لمن تقدمه من الانبياء لان الطريق
الى ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب الاعتراف بنبوته ولعل من جملة الاعراض في بعثة
عيسى عليه السلام تقرير احكام التورية وازالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر
غرضا اخر في بعثته فقال ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وهذا لا يناقض تصديقه لما في التورية اذ المعنى
بالتصديق هو اعتقاد ان كل ما فيه حكمة وصواب واذا لم يكن التابيد مذكورا فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق في
وقته واذا كانت البشارة بعيسى بوجوده في التورية فمجيء عيسى يكون تصديقا لما في التورية وعن وهب بن منبه
ان عيسى ما غير شيئا من احكام التورية وانما وضع الاحد بل كانت بقرين السبت وسيستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال
بامرين احدهما ان الاحبار كانوا قد وضعوا من عند انفسهم شرايع باطلة ونسبوها الى موسى عليه السلام فجاء

عيسى ورفعها واعاد الامر الى ما كان والثاني ان الله تعالى كان قد حرم بعض الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما قال
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واستمر ذلك التحريم فجاء عيسى ورفع تلك التشديدات عنهم كانوا
قد حرم عليهم الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية له
وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم
يختلفوا فيه وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض وانما جعل القول اية من ربه لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه
رسول كسائر الرسل ويجوز ان يكون تكريرا لقوله اني قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى كما ذكرت لكم من المعجزات
من ولادتي بغير اب فاتقوا الله لما خصكم به من الايات واطيعون فان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله
ان الله ربي وربكم اظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية وردا لما بدعيه عليه الجهلة من النصارى الضالين المنحرفين عن الصراط
المستقيم القصة الخامسة ذكر عاقبة امر عيسى عليه السلام ثم شرع في بيان ان عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات
فهم اباؤا عاملوه فقال فلما احس اي علم عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس انهم تكلموا بكلمة الكفر
فاحس ذلك باذنه فقال السدي لما بعثه الله تعالى رسولا الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى
عنهم فكان امر عيسى في قومه كامر محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وكان مستضعفا فخرج هو وامه يسيحان في الارض
فاتفق انه نزل على رجل في قرية فاحسن ذلك الرجل ضيافته وكان في تلك المدينة رجل جبار فجاء ذلك الرجل يوما حزينا
فساله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك انه جعل على كل رجل منا يوما يطعمه ويسقيه مع جنوده وهذا اليوم
نوبتي والامر متعذر علي فلما سمعت مريم ذلك فقالت يا ولدي ادع الله ليكفي ذلك فقال يا اماه اني ان فعلت ذلك كان فيه
شر فقالت قد احسن واكرم ولا بد من اكرامه فقال عيسى عليه السلام اذا قرب مجيء الملك فاملا قدورك وخوابيك ثم
اعلمني فلما فعل دعا الله تعالى فتحول ما في القدور طبيخا وما في الخوابي خمرا فلما جاءه الملك اكل وشرب وساله من اين
هذه الخمرة وتوقف الرجل في الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى اخبره بالواقعة فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا
اذا دعاه حتى يحيي ولده اجابه وكان قد مات في تلك الايام فدعا عيسى وطلب منه ذلك فقال عيسى لا تفعل فانه ان
عاش كان شرا فقال ما ابالي ما كان فدعا الله فعاش الغلام فلما راه اهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح واقتتلوا
وصار امر عيسى عليه السلام مشهورا وقصد اليهود قتله واظهروا الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين انه هو
المسيح المبشر به في التورية وانه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من اول الامر طالبين قتله قال من انصاري
الى الله قيل انه لما دعا بني اسرائيل الى الدين وتمردوا عليه فر منهم واخذ يسيح في الارض فمر بطائفة من صيادي
السمك منهم شمعون ويعقوب من جملة الحواريين الاثني عشر فقال عيسى انكم تصيدون السمك فهل لكم ان تمروا
حتى تصيدون الناس لحيوة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة في الماء وما اصطاد شيئا
فامره عيسى بالقاء شبكته في الماء مرة اخرى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل
سفينة اخرى وملؤا السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه في اخر امره للقتل وكان هو في الهرب
منهم قال لاولئك الاثني عشر من الحواريين ايكم يحب ان يكون رفيقي في الجنة على ان يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني
فاجابه الى ذلك بعضهم ومما يذكره النصارى في انجيلهم ان اليهود لما اخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به
عبدا كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عيسى عليه السلام حسبك ثم ادنى اذن العبد فردها
الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل ان المراد من طلب النصرة اقدامهم على دفع الشر عنه وقيل انه دعاهم الى القتال
مع القوم كما قال في موضع اخر فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا
ظاهرين ومعنى الى الله قيل من يضيف نصرته اياي الى نصرة الله عز وجل اياي وقيل من انصاري الى ان اظهر
دين الله فالجار على القولين من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة وقيل من انصاري حال ذهابي الى الله
او حال التجائي اليه وقيل من انصاري فيما يكون قربة الى الله ووسيلة الى رحمته وفي الحديث انه صلى الله
عليه وسلم كان يقول اذا ضحى اللهم منك واليك اي تقربا اليك فالجار على هذين القولين يتعلق بالمحذوف وقيل
الى بمعنى اللام وقيل بمعنى في اي في سبيل الله وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن انصار الله اعوان دينه ورسوله

وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه يقال للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين
وحورت الثياب بيضتها والحواري واحد ونظيره والحوالي وهو الكثير الحيلة عن سعيد بن جبير سموا بذلك لبياض
ثيابهم وعن مقاتل بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة اخلاقهم ومنه قولهم
فلان نقي الجيب طاهر الذيل للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذي يغسل الثياب يسمى بلغة النبط هواري
معرب واما ان الحواريين من هم فقيل هم الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وامنوا به كما حكينا وقيل ان امه
دفعته الى صباغ فكان اذا اراد ان يعلمه شيئا كان هو اعلم به منه فغاب الصباغ يوما لبعض مهماته فقال له ههنا
ثياب مختلفة وقد اعلمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فطبخ عيسى حبا واحدا وجعل الجميع
فيه وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فسأله فاخبره بما فعل فقال قد افسدت علي الثياب قال قم فانظر
فكان يخرج ثوبا احمر وثوبا اصفر وثوبا اخضر كما كان يريد فتعجب الحاضرون به منه وامنوا به فهم الحواريون وقيل
كانوا اثني عشر اتبعوا عيسى عليه السلام وكانوا اذا جاعوا قالوا يا رسول الله جعنا فيضرب بيده على الارض فيخرج
لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا من افضل
منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا اسقيتنا وقد امنا بك فقال افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا
يغسلون الثياب فسموا حواريين وقيل ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة
فكانت القصعة لا ينتقص فذكروا هذه الواقعة لذلك الملك فقال اتعرفونه فقالوا نعم فذهبوا اليه بعيسى فقال من
انت قال عيسى ابن مريم فقال اني اترك ملكي واتبعك فتبعه ذلك الملك مع اقاربه فاولئك هم الحواريون قال القفال
ويجوز ان يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين وسموا جميعا بالحواريين لانهم كانوا
انصار عيسى والمخلصين في محبته وطاعته امنا بالله يجري مجرى السبب لقولهم نحن انصار الله فان الايمان
بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون منقادون لما تريده
منا في نصرتك والذب عنك مستسلمون لامر الله تعالى فيه او هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين كل الانبيا
عليهم السلام وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم يوم القيمة ثم تضرعوا الى الله تعالى بقولهم
ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين فضل على فضل
الحواريين فقال ابن عباس اي مع محمد وامته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس وعنه ايضا اكتبنا في زمرة الانبيا لان كل نبي شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم
شهيدا وقيل اكتبنا في جملة من شهد لك بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق فقرنت ذكرهم بذكرك في قولك شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقيل اجعلنا ممن هو مستغرق في شهود جلالك بحيث لا نبالي بما يصل الينا
من المشاق والالام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك او اكتب ذكرنا في زمرة من شهد حضرتك من
الملائكة المقربين كقوله ان الابرار لفي عليين ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر
ومكر الله المكر في اللغة السعي بالفساد في خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وامكر اذا اظلم وقيل
اصله من اجتماع الامر واحكامه ومنه امرأة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر رأيا محكما قويا مصونا عن جهات النقص
والفتور لا جرم سمي مكرا اما مكرهم بعيسى فهو انهم هموا بقتله واما مكر الله بهم فهو انه رفعه الى السماء
وما مكنهم من ايصال الشر اليه روي ان ملك اليهود اراد قتل عيسى عليه السلام وكان جبريل لا يفارقه ساعة فامر
جبريل ان يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخل البيت اخرجه جبريل من تلك الروزنة وكان قد القى شبهه على غيره
من وكل به ليقتله غيلة فاخذ وصلب فتفرق الحاضرون ثلث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب واخرى
قالت كان ابن الله واخرى قالت كان عبد الله ورسوله وقيل ان الحواريين كانوا اثني عشر وكانوا مجتمعين
في بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه فالقى الله شبهه عليه ورفع عيسى السلام وذكر محمد بن اسحق
ان اليهود عذبوا الحواريين بعد ان رفع عيسى فشمسوهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك
اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى

وابراء الاكمه والابرص وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم
وسألهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فتابعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها وصانها
ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك طباريس وهو صار نصرانيا
الا انه ما اظهر ذلك حتى انه جاء ملك اخر يقال له ططيطس وغزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من اربعين سنة
فقتل وسبى ولم يترك في حائط بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم
الله تعالى على تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل انهم مكروا في اخفاء امره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث اعلى دينه
واظهر شريعته وقهر بالذل اعداءه وهم اليهود والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب
واعلم ان المكر عبارة عن الاحتيال في ايصال الشر وهو في حق الله تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب ان
يأول بان جزاء المكر يسمى مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او بانهم عاملهم معاملة من يمكر وهو عذاب
على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عند التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لانه غير ممتنع في حق الله
تعالى الا انه قد اختص في العرف بالتدبير في ايصال الشر الى الغير اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله او مفعول اذكر
يا عيسى اني متوفيك اي متمم عمرك وعاصمك من ان تقتلك الكفار الان بل رافعك الى سمائي واصونك من ان
يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك كيلا يصل اعداؤك من اليهود الى قتلك ثم رافعك الي وهذا القول مروي عن ابن
عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفي ثلث ساعات ثم رفع واحيي وقال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم احياه الله
ورفعه وقال الربيع بن انس انه نومه ورفعه الى السماء نائما حتى لا يلحقه خوف ورعب اخذه من قوله الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل التوفي اخذ الشيء وافيا اي اخذك بروحك وجسدك كجميعك ورافعك الي
دفعا لوهم من يتوهم انه اخذ بروحه دون جسده وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اي استوفيته
وقيل جعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السما انقطع خبره واثره عن الارض فيكون من باب اطلاق الشي على ما يشابهه
في اكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف محذوف اي متوفي عملك ورافع طاعتك فكانه بشره بقبول طاعته
وانما وصل اليه من المتاعب في تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع اجره فهذا كقوله اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل في نسق الكلام تقديم وتاخير فان الواو لا يقتضي الترتيب والمعنى اني رافعك
الي ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ما ورد في الخبر انه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك
واما قوله تعالى ورافعك الي فالمشبهة تمسكوا بمثله في اثبات المكان لله تعالى وانه في السماء لكن الدلائل القاطعة
دلت على انه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التأويل بان المراد الى محل كرامتي ومقر ملائكتي
ومثله قوله ابراهيم اني ذاهب الى ربي وانما ذهب من العراق الى الشام وقد يسمى الحجاج زوار الله والمجاورون جيران
الله والمراد التفخيم والتعظيم والمراد الى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله وان في الارض ملوكا مجازيين ولئن
سلم انه تعالى يمكن ان يكون في مكان فليس رفع عيسى الى ذلك المكان سببا لبشارته ما لم يتبعه الثواب والكرامة
والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ على ظاهره وهو انتقال المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد من الاضمار
فلم يبق في الاية دلالة على اثبات المكان له تعالى ثم انه كما عظم شأنه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك عن معنى التخليص
بلفظ التطهير فقال ومطهرك من الذين كفروا اي من خبث جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق
الذين كفروا الى يوم القيمة وليس هذا فوقية المكان بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية
بالقهر والاستيلاء ففيه اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيمة ولعمري انه كذلك فلا يرى ملك يهودي
في الدنيا مستقلا بخلاف النصارى على ان القول المراد بمتبعي المسيح هم الذين كانوا يؤمنون بانه عبد الله ورسوله
ثم امنوا بمحمد عليه السلام لتصديقهم في قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد او المتبعون هم المسلمون لانهم اتبعوه
في اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم ان نص
القران دل على انه تعالى حين رفعه القى شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وقد اورد بعض
الملحدين عليهم اشكالات الاول انه يوجب ارتفاع الامان عن المحسوسات فاني اذا رأيت ولدي ثم رأيته ثانيا فحينئذ

جوزان هذا الذي رايته ثانيا ليس ولدي بل هو انسان اخر القي شبهه وكذا الصحابة الذين راوا محمدا يامرهم وينهاهم احتمل ان يكون محمدا انسانا اخر القي شبهه عليه وانه يفضي الى سقوط الشرايع وكذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر في الاخبار المتواترة على ان يكون المخبر الاول انما اخبر عن المحسوس وانتم جوزتم وقوع الغلط في المبصرات ففتح هذا الباب اوله سفسطة واخره ابطال النبوات الثاني ان جبريل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفي لاهل الارض فكيف لم يكف في منع اليهود الذين قصدوه بالسوء والقاء الفالج والزمانة حتى لا يتعرضوا عليه الثالث انه كان قادرا على تخليصه من الاعداء وبان رفعه الى السما فالقاء شبهه على الغير هل فيه الا ايقاع مسكين في القتل من غير فايدة مع ان ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا ان المصلوب هو عيسى وانه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع ان النصارى على كثرتهم في المشارق والمغارب وافراط في محبة عيسى اخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن في المتواتر يوجب الطعن في نبوة جميع الانبيا الخامس ثبت بالتواتر ان المصلوب بقي حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لاظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل هذا لاشتهر وتواتر والجواب عن الاول ان كل من اثبت القادر المختار يسلم انه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك في وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثاني والثالث ان ذلك يفضي الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافي التكليف والتلبيس المذكور قد ازاله تلامذة عيسى الحاضرون منه العالمون بالواقعة وعن الرابع انه متواتر الاول كانوا قليلين في ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والواسطة وعن الخامس ما مر من ان الذي القي الشبه كان من خواص اصحابه فلهذا اصر على انا نقول قد ثبت بالمعجز القاطع صدق محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما اخبر عنه فهذه الاحتمالات يمتنع ان يصير معارضة للنص القاطع والله ولي الهداية قال ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وفيه بشارة لعيسى بانه سبحانه يحكم بين المومنين وبين الجاحدين له وتفسيره قوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبي والذلة وانواع المصايب والرزايا التي لا ثواب عليها والاخرة بدخول النار خالدين فيها وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين الواضعين الشي في غير موضعه التكذيب في مقام التصديق والعمل الشي مكان العمل الصالح وذلك ان المحبة عبارة عن ايصال الخير اليه وهو انما ذكره الكافر الا انه لا يوصل الثواب اليه وقالت المعتزلة المحبة والارادة واحد والمعنى انه لا يريد ظلم الظالمين ذلك الذي سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه عليك فالتلاوة والقصص كلاهما يول الى معنى واحد هو ذكر الشي بعضه على اثر بعض جعل تلاوة الملك لما كانت بامره كتلاوته من الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والمراد بها ايات القران ويحتمل ان يراد انه من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لانها اخبار لا يعلمها الا قاري كتاب او من يوحي اليه فظاهر انك لا تكتب ولا تقرا فبقي ان يكون من الوحي ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القران وصف بصفة من هو بسببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه او هو بمعنى الحاكم كالعليم بمعنى ان الاحكام تستفاد منه او بمعنى المحكم احكمت اياته او عن تطرق وجوه الخلل وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذي منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الانبيا اخبر انه تعالى انزل هذه القصص مما كتب هناك قال المفسرون ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا قط من غير اب فان كنت صادقا فارنا مثله فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم اي حالته الغريبة كحالة ووجه الشبه ان كلا منهما وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة بل الوجود من غير اب وام اغرب فشبه الغريب بالاغرب لان المشبه به ينبغي ان يكون اقوى حالا من المشبه في وجه الشبه ثم فسر كيفية خلق ادم بقوله خلقه من تراب اي قدره جسدا من طين قيل اشتقاق ادم من الادمة وقال ابن عباس سمي ادم لانه خلق من اديم الارض كلها احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلذلك كان في ولده الاسود والاحمر والطيب والخبيث

عليهم

وقيل

وقيل انه اسم اعجمي كآزر ووزنه فاعل لا افعل والضمير عائد الى ادم الموجود كقولك هذا الكون اصله من الطين ثم قال له اي لذلك المقدر كن فيكون وهذا كقوله ثم انشاناه خلقا اخر وانما لم يقل فكان اما لانه حكاية حال ماضية واما تصويرا لتلك الحالة العجيبة كان الناظر يراها بلا دهشة او المراد اعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة وقيل معنى ثم تراخي الخبر عن الخبر لا تراخي المخبر كقول القائل اعطيتك اليوم الفا ثم اعطيتك امس الفين اي ثم انا اخبركم اني اعطيته امس الفين فكذا قوله خلقه من تراب اي صيره بشرا سويا ثم انه يخبركم انه انما خلقه بان قال له كن وقيل ان معنى الخلق يرجع الى علمه تعالى بكيفية وقوعه وارادته لايقاعه على الوجه المخصوص والمراد بكن ادخاله في الوجود قالت الحكما وانما خلق ادم من الوجوه ليكون متواضعا وليكون ستارا وليكون اشد التصاقا بالارض فيصلح للخلافة فيهما ولما فيه من اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التي هي اضوا الاجرام وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق الملايكة من الهوا الذي هو الطف الاجرام واعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من امواج مياه البحار وابقاها معلقة في الفضا وخلق ادم من التراب الذي هو اكثف الاجرام فاتاه النور والهداية وكل ذلك برهان باهر ودليل ظاهر على انه تعالى هو المدبر بغير احتياج والخالق بلا امتزاج وعلاج خلق البشر من التراب لاطفا بنيران الشهوة والحرص والغضب وخلقه من الماء وخلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ليكون صافيا يتجلى فيه صور الاشيا ثم مزج بين التراب والماء لامتزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا اني خالق بشرا من طين ثم انه سل من الطف اجزاء الطين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعل طينا لازبا انا خلقناهم من طين لازب ثم يبسه وغيره بالحماة ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون عن بعض العلما انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى فانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيى حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبري الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو الحق من ربك يعني الذي انباتك من شان عيسى لا الذي اعتقد النصارى فيه انه اله ولا الذي يزعم اليهود من رميها هو بيوسف النجار او الحق مبتدا ومن ربك خبره كما يقال الحق من الله والباطل من الشيطان فلا تكن من الممترين الشاكين قال ابن الانباري اصله من مريت الناقة والشاة حلبتها فكان الشاك يجتذب بشكه شرا او في هذا النهي تعريض بالزيادة في الثواب والطمانينة ولطف للامة وقد مر نظايره في سورة البقرة **التاويل** الاصطفا ثلاثة انواع اصطفاء على غير الجنس ان الله اصطفى ادم ولم يكن له جنس حين خلقه واسجد له ملايكته واصطفاه على الجنس وعلى غير الجنس كاصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم على الكاينات لقوله لولاك لما خلقت الكونين وقال صلى الله عليه وسلم ادم فمن دونه تحت لوايي واصطفا على الجنس كقوله يا موسى اني اصطفيتك على الناس ويا مريم ان الله اصطفاك لاصطفايك اياه وطهرك عن الالتفات بغيره واصطفاك على نساء العالمين لتنال درجة الكمال وان لم يكن ذلك من شان النساء ان الله يبشرك بكلمة كل صنف من اصناف الخلق حرف من حروف كلمة معرفة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة كقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف والانسان وان كان صنفا من اصناف العالم وهو حرف من حروف كلمة المعرفة لكنه خلق نسخة العالم بما فيه وهو ايضا كلمة المعرفة كالعالم لكنه خص من العالم بما فيه بكرامة معرفة نفسه ومعرفة ربه ومعرفة العالم بما فيه وهذا مقام مخصوص بالانسان الكامل الزكي بتزكية الشريعة المربي بتربية ارباب الطريقة وانما خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم اعني الكلمة من بين ساير الانبيا والاوليا لانه خلق مستعدا لهذا الكمال في بدو امره اذ فهمته كلمة نفسه معرفة ربه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان من اختصاصه بالكلمة انه قال في المهد اني عبد الله اتاني الكتاب روى مجاهد قال قالت مريم بنت عمران كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثته وحدثني فاذا اشتغلني عنه انسان سبح في بطني وانا اسمع وسمي المسيح لانه حين مسح الله تعالى ظهر ادم فاستخرج منه ذرات ذريته لم يرده الى مقامه كما جا في الخبر ان الله تعالى اذن للذرات بالرجوع الى ظهر ادم وحفظ ذرة عيسى عنده حتى القاها الى مريم فكان قد بقي عليه اسم المسيح اي الممسوح وكهلا اي حالة النبوة لان جميع الانبيا

عند كهولتهم ومن الصالحين يعني صلاحية قبول الفيض بلا واسطة كما هو حال جميع الانبيا عليهم السلام
ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل الروح الانساني الذي هو خليفة الله في ارضه قابل لجميع انوار الصفات
خلافة عنه حتى القدرة عن الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير ذلك من الايات التي هي من نتايج القدرة لكنه
لتعلقه بالجسد الكاين من العناصر ولاحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنعت عن قبول انوار الصفات الى ان
يخرجه مدد العناية بطريق الهداية وقوة استعداد الروحية والجسمية من تلك الظلمات فيظهر على النبي بايات المعجزات
وعلى الولي امارات الكرامات ولما كان روح عيسى عليه السلام وذرة طينته المستخرجة من ظهر ادم محتبسة من
ظهورهم حتى القيها الى مريم من غير شائبة ظلمات شهوة الابوين ولهذا سمي روح الله كان قابل انوار الصفات في بدو
امره فكلم الناس في المهد ويكتب ويقرأ التورية والانجيل من غير تعلم فيحيي ويبرئ الاكمه الى غير ذلك من الايات
فلما احس عيسى منهم الكفر فيه اشارة الى ان عيسى الروح لما احس من النفس وصفاتها الكفر من انصاري
الى الله قال الحواريون وهم القلب وصفاته نحن انصار الله امنا بالله اي بوحدانيته والتبري عن غيره واشهد
بانا مسلمون منقادون لاحكامه راضون بقضائه صابرون على بلائه ربنا امنا بما انزلت من الحكم والاسرار واللطائف
والحقائق واتبعنا الرسول الوارد من نفحات الطائف فاكتبنا مع الشاهدين المشاهدين لانوار جلالك ومكروا اي النفس
وصفاتها والشياطين واتباعها في هلاك عيسى الروح ومكروا الله بتجلي صفات قهره في فناء النفس وصفاتها
والله خير الماكرين في قهر النفس الامارة بالسوء ورفع صفاتها وقلع شهواتها اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك
عن الصفات النفسانية والسمات الحيوانية ورافعك الى بجذبات العناية كما اسرى بعبده الى قاب قوسين
او ادنى ومخلصك بالجذبة الربوبية عن الصفات البشرية ثم الي مرجعكم باللطف والقهر بالاختيار على قدم
السلوك او بالاضطرار عند نزع الروح فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بحجاب الغفلة والاشتغال بغير الله
والاخرة بالقطيعة والبعد عن الله والله لا يحب الظالمين الذين يظلمون انفسهم باقتضاء العمر في طلب غير الله
ثم قال له كن فيكون هذه سنة في تكوين الارواح والملكوت لا الاجساد والملك ولكنه اجراها في تكوين ادم
من تراب بلا اب وام وخلق حوا من ادم بلا ام وخلق عيسى بن مريم بلا اب خرقا للعادة ودلالة على اغنائه ورد على
بانه من قال بالايجاب في الايجاد فلا تكن من الممترين الى الابد ❁ والله اعلم ❁ واحكم

فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين
ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم
فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين ❁ قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ❁ يا اهل الكتاب
لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون
ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله

علم

يعلم وانتم لا تعلمون ❁ ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
وما كان من المشركين ❁ ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين
امنوا والله ولي المؤمنين ❁ ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما
يضلون الا انفسهم وما يشعرون ❁ يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله
وانتم تشهدون ❁ يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ❁

القراءة ها انتم بالمد وغير الهمزة حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو ويروي ان مجاهد وابو عون عن قنبل
ها انتم على وزن هعنتم الباقون بالمد والهمز **الوقوف** الكاذبين ❁ القصص ❁ الحق الا الله ❁ الحكيم ❁ المفسدين ❁ من دون الله
لتناهي جملة واقبة الى ابتداء شرط ❁ مسلمون ❁ من بعده ❁ تعقلون ❁ ليس لكم به علم لا تعلمون ❁ مسلما المشركين ❁ والذين امنوا المؤمنين
لو يضلونكم يشعرون ❁ تشهدون ❁ تعلمون ❁ **التفسير** روي انه صلى الله عليه وسلم لما اورد الدلائل على نصارى
نجران ثم اصروا على جهلهم قال صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان لم تقبلوا الحجة ان اباهلكم فقالوا يا ابا القاسم بل نرجع فننظر
في امرنا ثم ناتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا
نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام الفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن
فعلتم لكان الاستيصال فان ابيتم الا الاصرار على دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم
فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج وعليه مرط اسود وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي
خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل
جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة ثم قال يا ابا القاسم
راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك فقال صلوات الله عليه فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين و
عليكم ما على المسلمين فابوا فقال فاني اناجزكم اي احاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان
لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي لك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد
فصالحهم على ذلك قال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم
عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى
يهلكوا وروي عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم لما خرج في المرط الاسود جاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله
ثم فاطمة ثم علي رضوان الله عليهم ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الرواية
كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من
العلم من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق الوحي في التنزيل فقل تعالوا هلموا والمراد
المجي بالراي والعزم كما تقول تعالوا نفكر في هذه المسئلة وهو في الاصل تفاعل من العلو وذلك انهم كانوا يسكنون
على اعالي الجبال فكانوا ينادون تعال يا فلان اي ارتفع الا انه كثر حتى استعمل في كل مجي فصار بمنزلة هلم ندع ابناءنا وابناءكم
اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ويات هو بنفسه وبمن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم ابناءه ونفسه من
قرابته ذكر النفس ومن احضاره منهم اعز من النفس ويعلم ابناءه من هو بمنزلة النفس من قرابته ان الانسان
لا يدعو لنفسه ثم نبتهل ثم نتباهل وقد يجي افتعل بمعنى تفاعل نحو اختصم بمعنى تخاصم والتباهل ان يقول كل واحد بهلة
الله على الكاذب منا اي لعنة الله ويقال بهله الله اي لعنه وابعده من رحمته ومن قولهم ابهله اذا اهمله وناقة باهل
لا صرار عليها بل هي مرسلة مخلاة وكل من شاء حلبها واخذ لبنها لا قوة بها على الدفع من نفسها فكان المباهل يقول

تمسك الشيعة

قيل المراد بابنائنا الحسن والحسين ونساءنا فاطمة وانفسنا عني به نفسه وعليا لورود الحديث السابق بانهم هم الذين خرج بهم ... ولما عني به نفس عليا نفسه لان العرب تسمي ابن عم الرجل نفسه وقال بعضهم ان المراد بالاية على العموم لجماعة اهل دين الاسلام لان الخطاب ورد بصيغة الجمع للفريقين نقول ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ولم يقصد تخصيص احد من الفريقين بل الخطاب عام لكل مسلم ونصراني

ان كان كذا فوكلني الله الي نفسي وفوضني الي حولي وقوتي وخلاني من كلايته وحفظه هذا اصل الابتهال ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد في الاية لئلا يلزم التكرار اي ثم نجتهد في الدعا نجعل اللعنة على الكاذب بشان عيسى بان نقول اللهم العن الكاذب في شان عيسى وفي الاية دلالة على ان الحسن والحسين وهما ابنا البنت يصح ان يقال انهما ابناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد ان يدعو ابناه ثم جاء بهما وقد تمسك الشيعة قديما وحديثا بها في ان عليا افضل من سائر الصحابة لانها دلت على انها نفس علي مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلم الاثني عشرية يزعم ان عليا افضل من سائر الانبياء سوى محمد قال وذلك انه ليس المراد بقوله وانفسنا نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا افضل من سائر الانبياء عليهم السلام فكذا علي قال ويؤكده ما يرويه المخالف والموالف انه صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان يرى ادم في علمه ونوحا في طاعته وابراهيم في خلته وموسى في قربته وعيسى في صفوته فلينظر الي علي ابن ابي طالب فدل الحديث على انه اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم واجيب بانه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذلك انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا الانسان على ان النبي افضل ممن ليس بنبي واجمعوا على ان عليا ما كان نبيا فعلم ان ظاهر الاية كما انه مخصوص في حق محمد فكذا في حق سائر الانبياء واما فضل اصحاب الكسا فلا شك في دلالة الاية على ذلك ولهذا ضمهم الي نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها ايضا دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يجترئ على تعريض اعزته وحق بضعته واولاد كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستيصال ولولا ان القوم عرفوا من التورية والانجيل ما يدل على نبوته لما احجموا عن مباهلته واما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما فليس من قبيل المباهلة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرض نفسه لذلك ولم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج والادعا ولا باذن من الله تعالى لرسوله ان هذا الذي تلي عليك من نبا عيسى لهو القصص الحق وما من اله الا الله وهو في افادة معنى الاستغراق زيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فيه جواب عن شبهة النصارى ان عيسى يقدر على الاحيا ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله غالبا لا يدفع ولا يمنع وهم يقولون انه قد قتل ولم يقدر على الدفع ويلزم ان يكون عالما بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك فان تولوا عما وصفت من التوحيد وان الله الخالق يجب ان يكون قادرا على كل المقدورات عالما بجميع المعلومات فاعلم ان اعراضهم ليس الا على سبيل العناد فاقطع كلامك منهم وفوض امرهم الي الله فانه عليم بحال المفسدين في الدنيا وبنياتهم واغراضهم الفاسدة فيجازيهم بما علم منهم من الخبث ثم انه صلى الله عليه وسلم لما اورد على نصارى نجران من الدلايل ما انقطعوا ثم دعاهم الي المباهلة فابوا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية امره الله تعالى بنمط اخر من الكلام مبني على الانصاف يستشهد كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا اهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الاية من تمام قصتهم ولانه كلام منصف فخوطب بما يليق قلوبهم كما لو قيل لحامل القران يا حافظ كتاب الله وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يتناولهما ولما روي ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير ابن الله فانزل الله تعالى هذه الاية والمراد من قوله تعالى تعالوا تعيين ما دعوا اليه والتوجه الي النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الي مكان ولعل هلموا الي كلمة فيها انصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لاحد على صاحبه والسواء هو العدل والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطاء النصف وفيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه او المراد الي كلمة مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القران والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فمحل ان لا نعبد خفض على البدل من كلمة او رفع على الخبر هي ان لا نعبد وانما ذكر هذه الثلثة لان النصارى جمعوا بين الثلثة فعبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به غيره لانهم اثبتوا اقانيم ثلثة ابا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان اقنوم الكلمة تدرعت بناسوت المسيح واقنوم روح القدس تدرعت بناسوت مريم

ولولا كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلين والا لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى ومريم وحيث اثبتوا ثلثة ذوات مستقلة فقد اشركوا ثم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا لانهم اطاعوهم في التحليل والتحريم من تلقاء انفسهم من غير شريعة وبيان لانهم يسجدون لهم ويطيعونهم في المعاصي وهي ايضا نفس ربوبية الانبياء والوسايط في ابن من اتخذ الهه هواه ولان مذهبهم ان الكامل في الرياضة يظهر فيه اثر اللاهوت فيقدر به على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا عليهم اسم الرب الا انهم اثبتوا في حقهم معنى الربوبية ثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين العقلا فان المسيح ما كان المعبود الا الله ووجب ان ينفي الاسم بعد ظهور المسيح عليه والقول بالاشتراك ايضا ضايع واذا لم يكن الحكم الا لله وجب ان لا يرجع في التحليل والتحريم والانقياد والايتمار الا اليه عن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم هو ذاك عن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة فان تولوا عما تجيد فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقال الغالب للمغلوب في جدال او صراع لزمتك الحجة فاعترف باني انا الغالب او يكون من باب التعريض ومعناه اعترفوا بانكم كافرون حيث اعرضتم عن الحق بعد ما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون ان ابراهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التورية والانجيل ما انزلا الا من بعده فكيف يعقل ان يكون يهوديا او نصرانيا لا يقال هذا ايضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابراهيم كان على دين الاسلام انما انزل بعده بزمان اطول مما بينه وبين انزال التورية والانجيل لانا نقول القران اخبر بان ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا انما كان حنيفا مسلما وليس في الكتابين انه كان يهوديا او نصرانيا فظهر الفرق وايضا المسيح ما كان موجودا في زمان ابراهيم حتى يعبد وعبادة المسيح هي النصرانية عندكم وايضا لا نسخ في دين اليهود والنسخ جايز في ملة ابراهيم ها انتم هولاء حاججتم ها للتنبيه وانتم مبتدا وهولاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للاولى يعني انتم هولاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل من نعت محمد او ليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة انما المذهب انكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر لكم في كتابه وعن الاخفش ها انتم اصله اانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من جهالتهم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم كيف كانت حال هذه الشرايع في الموافقة والمخالفة وانتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن يهوديا ولا نصرانيا او عرض عن المشركين عن اليهود والنصارى لاشراكهم بالله عزيرا والمسيح فان قيل قولكم ابراهيم على دين الاسلام ان اردتم به الموافقة في الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان اردتم به الموافقة في الفروع لزم ان لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقررا لشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى مخالفون للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الي غير ذلك من قبايح افعالهم او الثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز انه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان ابراهيم فيكون محمد صاحب الشريعة مع موافقة شرعه لشرع ابراهيم في معظم الفروع روى الواحدي عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما هاجر جعفر ابن ابي طالب واصحابه الي الحبشة واستقرت بهم الدار هاجر رسول الله صلعم الي المدينة فكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الي النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي ارائكم فبعثوا عمرو ابن العاص وعمارة ابن ابي معيط مع هدايا الادم وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هولاء القوم الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله صلعم ولم يتبعه منا الا السفها وانا كنا ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الي شعب بارضنا لا يدخل احد عليهم ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد الامر عليهم بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا واية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح

جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله فقال النجاشي مرحبا هذا الصالح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم
فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي
فساءهما ذلك ثم دخلوا ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما يمنعكم
ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك انما كانت تلك التحية
لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف
النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم
قال انك ملك من ملوك الارض ومن اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي
فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذا الرجل اعبيد
نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا اليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي
نجوا من العبودية قال جعفر للنجاشي سلهم هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا
اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه قال النجاشي يا عمرو وان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشي فما
تطلبون منهم قال عمرو كنا نحن وهم على دين واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره ولزمناه نحن فبعثنا
اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه اصدقني قال جعفر اما
الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وامره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة واما الدين الذي
تحولنا اليه فدين الله الاسلام جاءنا به من الله رسوله وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر
تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده
قال النجاشي انشدكم بالله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم
قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل
وما يامركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة
الرحم وبر اليتيم ويأمرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي شيئا مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت
والروم ففاضت اعين النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف
فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما يقولون في عيسى وامه فقرأ عليهم جعفر
سورة مريم فلما اتى ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذي العين فقال والله ما زاد المسيح على ما
يقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول آمنون من سبكم او آذاكم غرم ثم قال ابشروا
ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم
الذي جاءوا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا انهم في دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو واصحابه
المال الذي حملوه وقالوا انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا
فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله ذلك اليوم في خصومتهم في ابراهيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
بالمدينة قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته في زمانه وهذا النبي يعني محمدا صلعم
والذين آمنوا في آخر الزمان والله ولي المؤمنين بالنصرة والتأييد والتوفيق والتسديد ومعنى اولى الناس اخصهم
به واقربهم منه من الولي القرب وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم ابي خليل ربي ابراهيم ثم قرئ
ان اولى الناس الآية ثم بين انهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال المؤمنين بالقاء الشبهات
وابداء المكايد كما ارادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد ذكرنا في سورة البقرة وما يضلون الا انفسهم لان
وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال او وما يقدرون على اضلال المؤمنين
وانما يضلون امثالهم من اشياعهم وما يشعرون لان وبال الاضلال يعود عليهم او ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم
نعى عليهم قبائح افعالهم بطريق الاستفهام فقال لم تكفرون بآيات الله التي بالتوراة والانجيل لانها من

البشارة بنبوة محمد او ان ابراهيم كان حنيفا مسلما او الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتوراة والانجيل اما الكفر بما
يدل عليها فيكون قد اطلق اسم الدليل على المدلول او الكفر بنفس التوراة لانهم كانوا يحرفونها وينكرون وجود تلك الآيات
الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى وانتم تشهدون انهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم كانوا ينكرون
اشتمال التوراة والانجيل على نعت محمد واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها وعلى هذا فيكون في الآية اخبار عن
الغيب فيكون معجزا او قيل آيات الله هي القرآن وشهادتهم انهم يعرفون في قلوبهم انه حق وقيل آيات الله جملة المعجزات
التي ظهرت على النبي صلى الله عليه وسلم فمعنى تشهدون انكم تعترفون بدلالة المعجزة على صدق المدعي ثم لما وبخهم
على الغواية اردفه التوبيخ بالاغواء وهو اما بالقاء الشبهات في الدين وهو معنى لبسهم الحق بالباطل واما باخفاء الدلائل
وهو كتمانهم الحق عن الحسن وابن زيد حرفوا التوراة فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس اظهروا الاسلام اول النهار
ثم رجعوا عنه في آخره تشكيكا للناس وقيل ان في الكتابين ما يدل على نبوة محمد والبشارة وفيهما ما يوهم خلاف ذلك
فيكون كالمحكم والمتشابه في القرآن فلبسوا على الضعفاء احد الامرين بالآخر كما يفعل كثير من المشبهة وهذا قول
القاضي وقيل كانوا يقولون ان محمدا معترف بان شرع موسى حق ثم قال ان التوراة دلت على انه لا ينسخ وكل ذلك القاء الشبه
واما كتمان الحق فهو ان الآيات الدالة في التوراة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان الاستدلال بها مفتقرا
الى التدبر والتامل والقوم كانوا يجتهدون في اخفاء تلك الالفاظ التي يتم بها الاستدلال كما يفعله المبتدعة في زماننا
وانتم تعلمون انكم تفعلون ذلك عنادا وحسدا وتعلمون انكم من اهل المعرفة او تعلمون حقيقتها او ان عقاب من يفعل هذه الافعال عظيم

وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار
واكفروا آخره لعلهم يرجعون ۝ ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى
الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ۝ يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم ۝ ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان
تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا
في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ۝ بلى من اوفى
بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ۝ ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ۝ وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله ط ويقولون على الله الكذب

وما هو من عند الله

وهم يعلمون ۝ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس
كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم
تدرسون ۝ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ۝

القراءة ان يؤتى بهمزتين وتليين الثانية ابن كثير والباقون بهمزة واحدة يؤده هي ابن كثير ونافع غير قالون وابن
عامر وعلي وخلف وحفص والمفضل وعباس وسهل ويزيد عن يعقوب وقراءة ابو جعفر وقالون ويعقوب غير
زيد وابو عمرو وفي رواية البرجمي بطريق ابي ايوب الهاشمي بالاختلاس الباقون ساكنة الهاء تعلمون بالتشديد عامر وعلي
وحمزة وخلف وابن عامر فحذف المفعول الاول للعلم به وهو الناس الباقون تعلمون بالتخفيف ولا يأمركم بالرفع ابن كثير
وابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي والاعشى والبرجمي وابو زيد عن المفضل وقرأ ابو عمرو بالاختلاس الباقون بالنصب

الوقوف يرجعون ه للعطف دينكم هدى الله ط لان التقدير ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله
قل مع قوله معترض ومن قرأ أأن يؤتى مستفهما وقف عليها عند ربكم بيد الله لان يؤتيه لا يتعلق بما قبله مع ان ضمير
فاعله عائد الى الله من يشاء عليم لاحتمال الاستيناف والصفة من يشاء العظيم اليك الاولى لتضاد الجملتين معنى لها
مع اتفاقهما لفظا قائما سبيل لان الواو للاستيناف مع اتساق معنى الكلام يعلمون ه المتقين ه يزكيهم ص اليم ه ماهو من
الكتاب لعطف المتفقتين مع وقوع العارض وما هو من عند الله يعلمون ه تدرسون لمن قرأ ولا يأمركم بالنصب عطفا
على ان يؤتيه اربابا ط مسلمون ه **التفسير** هذا نوع آخر من تلبيساتهم وقوله بالذي انزل يحتمل ان يراد كل ما انزل عليهم
ويحتمل ان يراد بعض ما انزل اما الاحتمال الاول فقول الحسن والسدي تواطأ اثنا عشر حبرا من اليهود خيبر وقرى عرينة
قال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار اي اوله والوجه في اللغة اي مستقبل
كل شيء ومنه وجه الثوب لاول ما يبدو وانشد ثعلب عن ابن الاعرابي اتيته بوجه نهار وصدره وشباب نهار
وانشد للربيع بن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار يجد النساء حواسرا يندبنه وقد قمن قبل تبلج
الاسحار ه وذلك انه كان من عادتهم ان لا يظهروا الجزع عن المقتول الى ان يدركوا الثار يعني البيت من كان مسرورا
فليأت لتشفي الغيظ ودرك الثار قبل ان يمضي على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في
كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك فان اصحابه متى شاهدوا هذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب
ليس لاجل الحسد والعناد والا لما آمنوا به في اول الامر وانما ذلك لاجل انهم اهل كتاب وقد تفكروا في امره
وفي دلائل نبوته فلاح لهم بعد التأمل التام والبحث التام انه كذاب فيكون في هذا الطريق تشكيك لضعفة
المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال معنى وجه النهار وآخره ان رؤساء اليهود والنصارى قال بعضهم لبعض
نافقوا واظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط ان تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من اهل الكتاب فان امر
هؤلاء في اضطراب فزجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف امرهم واضمحل دينهم فيرجعوا الى دينكم فيكون هذه
الآية كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تفريق
احكام الاسلام الى قسمين وذلك قال بعضهم لبعض ان كذبتموه في جميع ما جاء به علم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء
به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم ويرجعوا من دين
الاسلام والرغبة فيه واما الاحتمال الثاني فقول من قال انها نزلت في شأن القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس
وجه النهار اوله وهو صلوة الصبح وآخره صلوة الظهر وتقريره انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى
بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلوة الظهر قال كعب بن الاشرف وغيره
آمنوا بالقبلة التي صلى اليها صلوة الصبح وقال مجاهد ومقاتل والكلبي لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود
لمخالفتهم فقالوا آمنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا بالكعبة آخر النهار

وارجعوا

وارجعوا الى قبلتكم الصخرة لعلهم يقولون هؤلاء اهل الكتاب وهم اعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله
نبيه مكر هؤلاء واطلعه على سرهم كيلا تؤثر الحيلة في قلوب ضعفاء المؤمنين ولان القوم لما افتضحوا في هذه
الحيلة لم يقدموا على امثالها من الحيل فيصير ذلك رادعا لهم وفيه ايضا انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا قوله تعالى
ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على انه من بقية حكاية كلام اهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قل ان
الهدى هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى آخرها كلام الله انهم اختلفوا في ان قوله ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم من جملة كلام الله او من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهوان
احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل منهما يحتاج في تصحيح المعنى الى تقدير واضمار فلهذا اعدت الآية
من المواضع المشكلة اما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا في قراءة من قرأ بهمزة واحدة وتقدير همزة
الاستفهام للتقريع والتوبيخ وكذا الامر والجر وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى بن عمر والمعنى الآن اي من اجل ان يؤتى احد
شرائع مثل ما اوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب وعدد
ذنوبه اليه وقد احسن اليه أمن قلة احساني اليك أمن اهانتي لك والمعنى أمن هذا فعلت أم من ذاك ونظيره قوله أمن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه
لا تصدقوا الانبياء بغير شرائع التوراة فاما من جاء بتغيير شيء من احكام التوراة فلا تصدقوه وهذا مذهب اليهود الى اليوم
واللام زائدة مثل ردف لكم فانه قال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه ان يقول لهم في الجواب ان الدين
دين الله فكل ما رضيه دينا فهو الدين يجب متابعته كقوله في جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله
المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور فيحتمل ان يقال المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن
كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم فقيل
للنبي قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد الضعيف ثم استفهم فقال الآن يؤتى احد مثل ما اوتيتم
ثم قال او يحاجوكم يعني دبرتم ما دبرتم لا لشيء الا لان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم
والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ثم قال او يحاجوكم يعني دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم خشية ان يقوموا
به حجة عليكم واما ان لم يقدر حرف الاستفهام فالتقدير اما كما سبق او يقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير
قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ويكون او بمعنى حتى وتم الكلام بحذفه اي حتى يحاجوكم عند ربكم فيقضي
لهم عليكم ويدحض حجتكم او يقال ان يؤتى تعلق بفعل محذوف هو لا تنكروا لانه لما كان الهدى هدى الله كان له ان يؤتيه
ما يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح ان يقال لا تنكروا ان يؤتى احد سواكم من الهدى ما اوتيتموه
او يحاجوكم يعني هؤلاء المسلمين بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم او يقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدل ويضمر
لا بعد ان مثل ان يضلوا اي لا تضلوا والتقدير قل يا محمد لامتك ان بيان الله تعالى هو ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهو
دين الاسلام الذي هو افضل الاديان وان لا يحاجوكم يعني هؤلاء اليهود عند ربكم في الآخرة لانه يظهر لهم في الآخرة انكم
محقون وانهم ضالون واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من تتمة كلام اليهود فقوله
قل ان الهدى هو الهدى جملة معترضة ومعناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون
غيرهم او لا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم فحذف حرف الجر من ان على القياس قال في الكشاف
اي اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا
يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله او يحاجوكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم
لاحد لانه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله
بالحجة قال ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من يشاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام
كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم اي ستركم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله ان الفضل بيد الله
مؤكدا للاعتراض الاول او هو اعتراض آخر يجيء بعد تمام الكلام كقوله وكذلك يفعلون كقوله ان الملوك اذا دخلوا قرية
افسدوها فان قيل ان جد القوم في حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم كان اعظم من جدهم في حفظ

غير اتباعهم عنه فكيف يليق ان يوصي بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة دين محمد عند اتباعهم وان يمتنعوا من ذلك عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا النهي الامر بافشاء هذا التصديق فيما بين اتباعهم بل المراد انه ان اتفق منكم تكلم بهذا فلا يكن الا عند خويصتكم واصحاب اسراركم على انه يحتمل ان يكون بعضا لكن البغي والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع قوله قل ان الهدى هدى الله فيما بين جزئي كلام واحد وهذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل ان يكون هذا كلاما امر الله نبيه ان يقوله عند ما وصل الكلام الى هذا الحد كانه لما حكى عنهم في هذا الموضع قولا باطلا لا جرم ادب رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقابله بقول حق ثم يعود الى حكاية تمام كلامهم كما اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر فيقول عند بلوغه الى تلك الكلمة امنت بالله او لا اله الا الله او تعالى الله ثم يعود الى تلك الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الهدى هدى الله وان الفضل بيده واعلم انه تعالى حكى عن اليهود امرين احدهما ان يؤمنوا وجه النهار ويكفروا اخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين في صحة الاسلام فاجاب بقوله قل ان الهدى هدى الله وذلك ان مع كمال هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة عين ولا اثر وثانيهما انهم استنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتوا من الكتاب والحكمة والنبوة فاجاب عنه بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل الرسالة وهو في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله انه مالك له غالب عليه بصحة بقوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على ان النبوة يحصل بالتفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذي لفاعله ان يفعله فان لا يفعله ولا يتوجه ذلك في المستحق الا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم والمصالح ومواقع فضله فلهذا يختص برحمته من يشاء والحاصل انه بين بقوله ان الفضل بيد الله انه قادر على ان يؤتي بعض عباده مثل ما اتاكم من المناصب العالية ويزيد عليها من جنسها فان الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تعالى امر اجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما اتاهم بل يكون اشرف واعظم والله ذو الفضل العظيم فمن قصر انعامه واكرامه على مراتب معينة وعلى اشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تعالى في قدرته وحكمته ثم انه تعالى كذبهم في دعواهم الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الاديان ونقض العهد والكذب على الله الى غير ذلك من القبائح فقال ومن اهل الكتاب الاية وفيها دلالة على انقسامهم الى قسمين اهل للامانة واهل للخيانة فقيل ان اهل الامانة هم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم انه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين واخذ اموالهم وقيل ان اصحاب الامانة هم النصارى لغلبة الامانة عليهم واهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك منهم وقال ابن عباس من ان تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقال اهل الحقيقة هي يعني يوفي كثيرا من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه وقطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه واكتفائه ومنهم من يتحقق بالدنيا فيكون همه مقصورا عليها معترضا عما سواه غير مؤد حقوقها ويقال امنته بكذا وعلى كذا فمعنى الباء الصاق الامانة بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة الى تعيينه واما الاقوال فيه فقد مرت الى اوائل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس ان القنطار الف ومائتا اوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والدين لان الانسان قد يأتمن غيره على الوديعة وعلى المبايعة وعلى المقارضة وليس في الاية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس انه محمول على المبايعة فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار فيؤده اليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده اليك ونقلنا عنه ايضا انها نزلت في الوديعة وما دمت عليه قائما فمنهم من حمله على حقيقته قال الاسدي يعني الى مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه مجتمعا معه ملازما اياه فان انظرت واخرت انكر ومنهم من يحمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة اصله ان الطالب للشيء يقوم به والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تعالى امة قائمة اي عاملة بامر الله غير تاركة له وقال ابو علي الفارسي انه في اللغة الدوام والثبات

ومنه

ومنه قوله دينا قيما اي ثابتا لا ينسخ فمعنى الاية الا دائما ثابتا في مطالبتك اياه بذلك المال ذلك الاستحلال وترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده بسبب انهم يقولون ليس علينا فيما اصبنا من اموال العرب سبيل بالخطاب والعتاب اما لانهم يبالغون في التعصب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف واخذ ماله باي طريق كان واما لانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا ويحتمل ان يكونوا اعتقدوا في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين بالردة ويستحلون دماءهم واموالهم روي ان اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة او يعلمون حرمة الخيانة او يعلمون ما على الخائن من الاثم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه ساله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم بلى قال الزجاج عندي وقف التام ههنا لانه لمجرد نفي ما قبله اي بلى عليهم سبيل في ذلك وما بعده استيناف وقال غيره انه يذكر في ابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله فقوله ليس علينا جناح قائم مقام قوله نحن احباء الله تعالى فقيل لهم ان اهل الوفاء بالعهد واهل التقوى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف على بلى ومعناه ان اليهود ليسوا من الوفاء والتقى في شيء ولو انهم اوفوا بالعهود واوفى كل شيء بالعهد الذي اخذه الله تعالى في كتابهم من الايمان بنبي اخر الزمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولو انهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه ولم يحرفوا كتابه وعموم لفظ المتقين قام مقام الضمير العائد الى المبتدا والضمير في بعهده يجوز ان يرجع الى من ويجوز ان يرجع الى اسم الله كقوله في الاية التي تليه بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى اصلان لجميع مكارم الاخلاق فالوفاء بالعهد يشتمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتممها وتزينها حتى ياتي بها على وجه الكمال من غير شائبة الاختلال نعم كل متقي موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون ان يقول يحب الموفين او الموفين والمتقين فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في اموال الناس والخيانة فيها لا يتمشى الا بالايمان الكاذبة غالبا لا جرم اردفها بالوعيد عليها وايضا الخيانة في العهود وفي تعظيم اسماء الله تناسب الخيانة في الاموال فلا جرم قال ان الذين يشترون الاية واختلف الروايات في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الايات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم من رؤساء اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التورية في شان محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوه بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا يفوتهم الرشى والماكل التي كانت لهم على اتباعهم قال الكلبي ان ناسا من علماء اليهود اولي فاقة اصابتهم سنة فاقتحموا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسالهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله في كتابكم قالوا نعم وما تعلمه انت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم علي وانا اريد ان اميركم واكسو عيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة سوى صفته ثم انتهوا الى رسول الله فكلموه وسالوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى انه رسول الله فلما اتيناه اذا هو بالنعت الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا واخرجوا الذي كتبوا فنظر اليه كعب ففرح وما رهم وانفق عليهم فنزلت وعن الاشعث بن قيس خاصمت رجلا في بئر فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال من يحلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت الاية على وفقه وقيل نزلت في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه ومعنى يشترون يستبدلون بعهد الله ومواثيقه واليمين هو الذي يؤكد الانسان بها خبره من وعد او وعيد او انكار واقترانه بذكر اسم الله تعالى او صفة من صفاته وما يجري مجراه والثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم انه رتب على الشري بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا خمسة انواع من الجزاء فقوله اولئك لا خلاق لهم في الاخرة

اشارة الى انه لا نصيب لهم في منافعها ونعيمها وقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم اشارة الى
حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله ولهم عذاب اليم اشارة لما يحصل لهم هنالك من صنوف الالام
وضروب الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم لان من منع
كلامه في الدنيا فانما ذلك لسخطه عليه وقد يامر بحجبه عنه ويقول لا اكلمك ولا اري وجهك واذا اجري ذكرهم لم يذكرهم
بالجميل قال في الكشاف لا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد
نفي اعتداده به واحسانه فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه
ثم كثر حتى صار عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرد المعنى الاحسان
مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وفي التفسير الكبير لا يجوز ان يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه
تعالى يراهم كما يري غيرهم ولا يجوز ان يكون المراد من النظر تقليب الحدقة الى جانب المرئي التماسا لرؤيته لان هذا
من صفات الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الخلق بهذه الاية على ان النظر المقرون بحرف الى ليس
بمعنى الرؤية والا لزم من هذه الاية ان لا يكون الله تعالى رائيا وذلك باطل قلت يجوز ان يراد بهذا النظر النظر المعهود وهو
الذي سيخص الله اولياءه من انه ينظر اليهم وهم ينظرون اليه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعلى هذا جاز ان يكون
النظر بمعنى الرؤية لانه لا يلزم من نفي رؤية بنية مخصوصة نفي رؤيته ايضا وتقييد نفي رؤيته لا يريد به حينئذ وان منهم لفريقا عن ابن عباس
هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله فاخذت قريظة
ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم يلوون السنتهم بالكتاب قال القفال معناه ان يعمدوا الى اللفظ فيحرفوه في حركات
الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان اللي عبارة عن عطف الشيء ورده الى الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير في لسان
العرب فلا يبعد مثله في العبرانية وانما كانوا يفعلون مثل ذلك في الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وفي غيرها بحسب اغراضهم الفاسدة وفي الكشاف اي يفتلونها عن قراءته عن الصحيح الى المحرف اقول وذلك ان لي
اللسان شبيه بالتشدق والتنطع والتكلف مذموم نعتر الله عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلي البيان ذما لهم وتوبيخا
ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق بين الفاظ المدح والذم في الشيء الواحد لتحسبوه اي المحرف الذي دل عليه يلوون ويجوز
ان يقدر مضافا محذوف اي يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وما هو من الكتاب
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله نفي اولا كونه من الكتاب ثم عطف عليه النفي العام لعلمه انه كما ليس
من الكتاب ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من احكامه
المستنبطة من الاصول ويجوز ان يراد بالكتاب التورية فقط وبقولهم هو من عند الله انه موجود في كتب سائر
الانبياء وذلك ان القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين فان وجدوا قوما من الاغمار الجاهلين
بالتوراة قالوا انه من التورية وان وجدوا قوما عقلاء زعموا انه موجود في كتب سائر الانبياء واعلم انه كان المراد من
التحريف تغيير الفاظ التورية واعراب الفاظها فالذين اقدموا على ذلك يجب ان يكونوا طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم
على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة تلك الايات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب القاء الشكوك
والشبهات في وجوه الاستدلالات كما يفعله المبطلون في ملتنا اذا استدل المحقق بانه من كتاب الله تعالى لم يبعد
اطلاق الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج الجبائي والكعبي بالاية على ان فعل العبد ليس بخلق الله تعالى والا
صدق اليهود في قولهم هو من عند الله ولكن الله كذبهم والغلط فيه ان القوم لما ادعوا ان التحريف من عند الله
وتخلقه وانما ادعوا ان المحرف منزل من عند الله وهو حكم من احكامه فتوجه التكذيب تكذيب الله اياهم الى
هذا الذي زعموا لا الى ما لم يزعموا فلم يبق لهما في الاية استدلال ثم من جملة ما حرفه اهل الكتاب ان زعموا كان
عيسى يدعي الالهية ويامر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل ما كان لبشر الاية وقيل ان ابا رافع القرظي من اليهود
والسيد من النصارى بنجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد
غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم
بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا افلا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله

وقيل زعمت اليهود ان احدا لا ينال من درجات الفضل ما نالوه فقال لهم الله ان كان الامر كما قلتم وجب ان لا تشتغلوا
باستعباد الناس واستخدامهم وهذا الوجه يحتمله لفظ الاية فان قوله ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله كقوله
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ومعنى قوله ما كان لبشر تال الاصم لو ارادوا ان يقولوا ذلك لمنعهم الله منه ولو تقول
علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات وقيل معناه انه تعالى لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم منه انه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل
ان الرسول يدعي تبليغ الاحكام عن الله ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو امرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على
كونه صادقا والمحققون ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفس ما لم تكن كاملة بحسب
قوتيها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب السماوي عليه والحكم وهو فهم ذلك الكتاب وبيانه
وقد يعبر عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مامورا بتبليغ ما فهم الى الخلق وما احسن هذا الترتيب واذا كانت
كاملة بحسب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله مثل هذا القول والاعتقاد لان حد غاية النبي ونهاية امره صرف
القلوب والارواح من الخلق الى الخالق فكيف يعقل منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله ما كان لبشر الى قوله
كونوا عبادا لي من دون الله انه يحرم عليه ذلك الكلام لان ذلك محرم على كل الخلق ولو كان ثمة التحريم لم يكن فيه
تكذيب النصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل فعلا فقيل ان فلانا لا يحل له ان يفعل ذلك لم
يكن مكذبا له فيما ادعاه عليه ومثله ما كان لله ان يتخذ من ولد على سبيل النفي لذلك عن نفسه لا على وجه
التحريم والحظر وكذا قوله ما كان لنبي ان يغل معناه النفي لا النهي ومعنى ثم في قوله ثم يقول تبعيد هذا القول عن مثل
ذلك البشر ولكن كونوا ربانيين قال سيبويه الرباني منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما ومواظبا على طاعته
كما يقال رجل الهي ان كان مقبلا على معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون في النسبة فقط للدلالة على كمال
هذه الصفة كما قالوا شعراني ولحياني ورقباني للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد
الربانيون ارباب العلم واحدهم رباني وهو الذي يرب العلم ويرب الناس بتعليمهم واصلاحهم والقيام بامورهم
والالف والنون كما في ريان وعطشان لا يختص بحال النسبة والربانيون بهذا التفسير يشمل الولاة ايضا وقال
القفال يحتمل ان يكون الوالي يسمى ربانيا لانه يطاع كالرب تعالى وينسب اليه فمعنى الاية ولكن يدعوكم الى ان
تكونوا ملوكا وعلماء باستعمالكم امر الله تعالى ومواظبتكم على طاعته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة
ليست بعربية انما هي عبرانية او سريانية وسواء كانت عربية او غيرها تدل على الانسان الذي علم وعمل بما
علم ثم اشتغل بتعليم طرق الخير عن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس مات رباني هذه الامة
والباء في قوله بما كنتم للسببية وما مصدرية وتعلمون من التعلم اما العلم على القراءتين فيعلم منه ان التعلم
او العلم والدراسة وهي القراءة يوجب على صاحبهما كونه ربانيا ووسيلة لا محالة مغاير السبب فهذا
يقتضي ان يكون كونه ربانيا امرا مغايرا لكونه عالما ومعلما ومواظبا على قراءة العلم وما ذاك الا ان يكون تعلمه
لله وتعليمه لله ودراسته لله حتى ان اشتغل بالعلم والتعليم والدراسة لا لهذا الغرض خاب وخسر وكان
السبب بينه وبين ربه منقطعا وكان مثله كمن غرس شجرة تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم نعوذ بالله من قلب لا يخشع وعلم لا ينفع وفي الاية دليل على صحة قوله صلى الله عليه وسلم العلماء
ورثة الانبياء ثم نفعهم باذن الله تعالى ولا يامركم من قرا بالنصب فوجهان احدهما ان يجعل لا مزيدة لتاكيد النفي
المتقدم اي ما ينبغي لبشر ان ينصبه الله منصبة الدعاء الى اختصاص الله تعالى بالعبادة ثم خالفه بالعبادة ثم
خالفه الى ان يامر الناس بعبادة نفسه ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد
ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني ان يكون حرف النفي زائدا فيرجع المعنى الى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا انتخذك ربا
قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر في معنى النهي ويراد بالنبيين
عزير كانه احتج نفسه تنكبا لدعوى عن زمرة الانبياء ومن قرا بالرفع على الاستئناف فظاهر ويتصره قراءة
عبد الله بن مسعود ولن يامركم والضمير فيه على قراءة الرفع قال الزجاج لله وقال ابن جريج لمحمد وقيل لعيسى

واما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح
ايأمركم اي النبي وقيل الله بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ومعنى الاستفهام الانكاري انه لا يفعل ذلك وفيه
دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله ان يسجدوا له قلت وضع الشيء ابتداء اسهل
من رفع نقيضه ثم وصفه يحتمل ان يكون المراد ما صح ولا يعقل ان يأمر النبي امته بعبادة نفسه اولا ثم استثني
فكيف يعقل ان يأمرهم ذلك بعد التفوه بالاسلام واستنارة باطنهم بنور الهدى والايمان والله ولي التوفيق والله اعلم

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي
قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ
مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا
كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ
يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ

القراءة لما بكسر اللام حمزة والخراز آتيناكم بفتحها آتيناكم على صيغة الجمع المتكلم ابو جعفر ونافع الباقون
آتيتكم على الوحدة يبغون بياء الغيبة ترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول ابو عمرو وعن عباس وقرأ عباس وسهل
وحفص بالياء التحتانية فيهما وقرأ يعقوب يبغون بالياء التحتانية يرجعون بالتحتانية مبنيا للفاعل الباقون بتاء

الخطاب

الخطاب فيهما ملء بالهمز الارض بغير الهمز يدي الهمزة عن ورش وروي الاصفهاني عنه بغير همز فيهما الباقون
بالهمز فيهما الوقوف ولتنصرنه ط اصري ط اقررنا ط الشاهدين ه الفاسقون ه يرجعون ه من ربهم ط منهم مسلمون ه منه
لعطف المختلفين الخاسرين ه البينات ط الظالمين ه اجمعين فيها ينظرون ه للاستثناء رحيم ه توبتهم ط الضالون ه افتدى به ط
ناصرين ه التفسير الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم قطعا لاعذارهم واظهارا لعنادهم من جملتها اخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد في القرآن
اذ اخذ الله وقيل واذكروا يا اهل الكتاب واضافة الميثاق الى النبيين اما ان يكون من اضافة العهد الى المعاهد كما يقال
ميثاق الله وعهد الله اما الاحتمال الاول فمعناه ما يشعر به ظاهر اللفظ من ان آخذ الميثاق هو الله والمأخوذ منهم النبيون
وقيل هو قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس ثم على هذا القول نقل عن علي رضي الله عنه انه قال ما بعث آدم ومن
بعده من الانبياء الا اخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه والذي يدل على صحته ما روي انه صلى
قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية اما والله لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي فهذا على سبيل الفرض والتقدير
وهو انهم لو كانوا احياء لوجب عليهم الايمان بمحمد والا فالميت لا يكون مكلفا وقيل المراد اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على
حذف المضاف او امة النبيين فقد ورد في القرآن لفظ الامة ويراد به النبي كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقيل
النبيون اهل الكتاب وقد ورد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا
كان النبيون ويؤيده قراءة أبي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واما الاحتمال الثاني فالمعنى عليه ان
الانبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه يجب عليهم ان يؤمنوا
به وكذا بانه تعالى حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم ويحكى عن ابن
عباس انه قيل له ان اصحاب عبد الله يقرؤون واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونحن نقرأ واذ اخذ الله ميثاق
النبيين فقال انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما آتيتكم بفتح اللام ففيه وجهان احدهما ان ما يكون موصولة واللام للابتداء
وخبره لتؤمنن واللام فيه جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول في آتيتكم محذوف وفي جاءكم ما يدل عليه
لما معكم لانه في معنى ما آتيتكم والتقدير للذي آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له والله
لتؤمنن به ولتنصرنه واختاره سيبويه وغيره كيلا يفتقر الى تكلف الرابط ان يقال اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف
وما هي المتضمنة لمعنى الشرط وحينئذ يحتاج القسم الى الجواب والشرط الى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل
منهما الا الايمان والنصرة فلا مع في هذا المقام ان يجعل المذكور جواب القسم ظاهرا ولهذا ادخل اللام والنون المؤكدة
في لتؤمنن ولتنصرن وادخل اللام في الشرط وتسمى موطئة لانها تعين من اول الامر وتمهد ان المذكور هو جواب
القسم لا الشرط ثم ان جواب الشرط يكون مستغنى عنه لان جواب القسم يسد مسده ومن قرأ بكسر اللام
للتعليل ففيه ايضا وجهان احدهما ان يكون ما مصدرية اي اخذ الله ميثاقهم لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب و
الحكمة ثم لمجيء رسول موافق لكم في الاصول لتؤمنن به لان من يؤتى الكتاب والحكمة فان اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب
عليه تصديق سائر الانبياء والثاني ان يكون ما موصولة وبيان الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى
حين وقيل اصله لمن ما اي لمن اجل ما آتيتكم ادغمت النون في الميم فاجتمعت ثلاثة ميمات فحذفت احديها للتخفيف
فيؤول المعنى الى قراءة حمزة وفي جميع القراءات قيل لا بد من اضمار بان يقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال
مخاطبا لهم لما آتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة الى الاضمار فكانه قيل واذ اخذت او اخذنا ولما في
اخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الاضمار بنوع آخر واستحسنه في التفسير الكبير مع انه متكلف
فقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين لتبلغن الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما
معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والنبيون عام وليس كلهم اصحاب كتاب ولكنه وصف الكل بوصف اشرفهم او
الكتاب لذوي الكتب والحكمة لغيرهم او جعل الداعي الى الكتاب والى العمل به كالذي انزل عليه الكتاب ومن للبيان
او للتبعيض وقوله ثم جاءكم والرسول لا يجيء الى النبيين وانما يجيء الى الامم معناه اي في زمانكم وان كان المراد من
النبيين اولادهم او اممهم فلا اشكال والمراد بتصديقه لما معهم موافقته في التوحيد والنبوات واصول الشرائع فاما تفاصيلها

وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح
ايأمركم اي الرسول بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ومعنى الاستفهام الانكاري انه لا يفعل ذلك وفيه
دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوا رسول الله صلوات الله عليه وآله قلت وضع النفي ابتداء اسهل
من رفع نقيضه ثم وصفه فيحتمل ان يكون المراد ما صح ولا يعقل ان يأمر النبي امته بعبادة نفسه او لما استثنى
فكيف يعقل ان يأمرهم ذلك بعد الفتح بالاسلام واستنارة باطنهم بنور الهدى والايمان والله ولي التوفيق والله اعلم

واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري
قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك
فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض
طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون
من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا
بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم
الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد
ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين

القراءة لما بكسر اللام حمزة والخراز الباقون بفتحها اتيناكم على صيغة الجمع المتكلم ابو جعفر ونافع الباقون
اتيتكم على الوحدة يبغون بياء الغيبة ترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول ابو عمرو وعن عباس وغيرها سهل
وحفص بالياء التحتانية فيهما وقرأ يعقوب يبغون بالياء التحتانية يرجعون بالتحتانية مبنيا للفاعل الباقون بتاء

الخطاب

الخطاب فيهما ملء بالهمز الارض بغير الهمز يروي البخاري عن ورش ويروي الاصفهاني عنه بغير همز فيهما الباقون
بالهمز فيهما الوقوف ولتنصرنه ط اصري ط اقررنا ط الشاهدين ه الفاسقون ه يرجعون ه من ربهم ط منهم ز مسلمون ه منه ط
لعطف المختلفين الخاسرين ه البينات ط الظالمين ه اجمعين فيها ينظرون للاستثناء رحيم ه توبتهم ج الضالون ه افتدى به ط
ناصرين ه التفسير الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم قطعا لاعذارهم واظهارا لعنادهم من جملتها اخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد في القرآن
اذ اخذ الله وقيل واذكر يا اهل الكتاب واضافة الميثاق الى النبيين اما ان يكون من اضافة العهد الى العاهد كما يقال
ميثاق الله وعهد الله اما الاحتمال الاول فيؤيده ما يشعر به ظاهر اللفظ من ان آخذ الميثاق هو الله والماخوذ منهم النبيون
وقيل هو قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس ثم على هذا القول نقل عن علي رضي الله عنه انه قال ما بعث آدم ومن
بعده من الانبياء الا اخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ومما يدل على صحته ما روي انه صلى
قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية اما والله لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي فهذا على سبيل الفرض والتقدير
وهو انهم لو كانوا احياء لوجب عليهم الايمان بمحمد والا فالميت لا يكون مكلفا وقيل المراد اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على
حذف المضاف او امة النبيين فقد ورد في القرآن لفظ الامة ويراد به النبي كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقيل
النبيون اهل الكتاب وقد ورد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا
كان النبيون ويؤيده قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واما الاحتمال الثاني فالمعنى عليه ان
أبي
الانبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه يجب عليهم ان يؤمنوا
به وكله بانه تعالى حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم ويروى عن ابن
عباس انه قيل له ان اصحاب عبد الله يقرؤون واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونحن نقرأ واذ اخذ الله ميثاق
النبيين فقال انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما آتيتكم بفتح اللام ففيه وجهان احدهما ان ما يكون موصولة واللام للابتداء
وخبره لتؤمنن واللام فيه جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول في آتيتكم محذوف وفي جاءكم ما يدل عليه
لما معكم لانه في معنى ما آتيتكم والتقدير للذي آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له والله
لتؤمنن به وثانيهما واختاره سيبويه وغيره كيلا يفتقر الى تكلف الرابط ان يقال اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف
وما هي المتضمنة لمعنى الشرط وحينئذ يحتاج القسم الى الجواب والشرط الى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل
منهما الا الايمان والنصرة فلا مع في هذا المقام ان يجعل المذكور جواب القسم ظاهرا ولهذا ادخل اللام والنون المؤكدة
في لتؤمنن ولتنصرن وادخل اللام في الشرط ويسمى موطئة لانها تعين من اول الامر وتمهد ان المذكور هو جواب
القسم لا الشرط ثم ان جواب الشرط يكون مستغنى عنه لان جواب القسم يسد مسده ومن قرأ بكسر اللام
للتعليل ففيه ايضا وجهان احدهما ان يكون ما مصدرية اي اخذ الله ميثاقهم لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب و
الحكمة ثم لمجيء رسول موافق لكم في الاصول لتؤمنن به لان من اوتي الكتاب والحكمة فان اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب
عليه تصديق سائر الانبياء والثاني ان يكون ما موصولة وبيان الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى
حين وقيل اصله لمن ما اي لمن اجل ما آتيتكم ادغمت النون في الميم فاجتمعت ثلاثة ميمات فحذفوا احداها للتخفيف
ويؤول المعنى الى قراءة حمزة وفي جميع القراءات قيل لابد من اضمار بان يقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال
مخاطبا لهم لما آتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة الى الاضمار فكانه قيل واذ اخذت او اخذنا ولما في
اخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الاضمار بنوع آخر واستحسنه في التفسير الكبير مع انه متكلف
فقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين لتبلغن الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما
معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والنبيون عام وليس كلهم اصحاب كتاب ولكنه وصف الكل بوصف اشرفهم او
الكتاب لذوي الكتب والحكمة لغيرهم او جعل الداعي الى الكتاب والى العمل به كالذي انزل عليه الكتاب ومن للبيان
او للتبعيض وقوله ثم جاءكم والرسول لا يجيء الى النبيين وانما يجيء الى الامم معناه اي في زمانكم وان كان المراد من
النبيين اولادهم او اممهم فلا اشكال والمراد بتصديقه لما معهم موافقته في التوحيد والنبوات واصول الشرائع واما تفاصيلها

وان وقع الخلاف فيما فذاك في الحقيقة ليس بخلاف لان جميع الانبيا متفقون على ان الحق في زمان موسى ليس الا
شريعته وفي زمان محمد ليس الا شريعته ولو قلنا ان المراد بالرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد بما ذكرنا ان
نعته او صفته واحواله مذكورة في الكتب المتقدمة فكان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم والظاهر ان المراد بهذا
الميثاق هو النص بان يؤمنوا بكل رسول يجي مصدقا لما معهم وقيل يحتمل ان يكون الميثاق امتنانا اشارة الى ما
ركز في عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء الرسول فانه انما يكون رسولا عند ظهور المعجزات
الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله تعالى امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد باخذ
الميثاق انه تعالى شرح صفاته وكتب الانبيا المتقدمين فاذا صارت احواله مطابقة لما جاء في الكتب الالهية
وجب الانقياد له وهذا انما يصح لو كان المراد بالنبيين اولادهم واممهم او ميثاق النبيين من الامم او ميثاق الله
من النبيين على تقدير كونهم احياء اقول والله اعلم يحتمل ان يراد بقوله ثم جاءكم المجي في الزمان الماضي فيكون
معنى الاية ان الله تعالى اخذ الميثاق من كل نبي اوتي كتابا وحكمة ان يؤمن بكل رسول كان قد جاء قبله موافقا لما معه
وينصر دينه بان يظهر حقيقته في وقته وانه من عند الله سبحانه وانه موافق له في اصول العقايد في قواعد مكارم
الاخلاق فيكون هذه الاية تمهيدا لما جي بعد من قوله قل امنا بالله الاية قال الله تعالى او كل نبي مستقيما
بمعنى الامر فيه ثم بالايمان به والنصرة والاقرار في الشرع اخبار عن ثبوت حق ثابت وفي اللغة منقول بهمزة النقل
من قر الشي يقر اذا ثبت ولزم مكانه واخذتم اي قبلتم وسمي العهد اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد ثم بعد
المطالبة بالاقرار اكد ذلك بالاشهاد وقال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفي قوله وانا معكم
من الشاهدين وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله
وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل واحد نفسه شاهدا على نفسه
كقوله واشهدهم على انفسهم وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر في الجهل به
واصله ان الشاهد هو الذي يبين تصديق الدعوى وقيل استيقنوا او كونوا كالمشاهد للشي المعاين له او يكون
خطابا للانبيا بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد الوعيد بقوله فمن تولى بعد ذلك الميثاق وعن
التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله وطاعته ووعيد الفساق ومرده
معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال افغير الله يبغون
يحتمل ان يراد اتتولون فغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون من
قرا بالتاء فلان ما قبله خطاب في اقررتم واخذتم او للالتفات بعد قوله اولئك هم الفاسقون ومن
قرا بياء الغيبة فلرجوع الضمير في الاول الى الفاسقين وفي الثاني الى جميع المكلفين والاصل ايبتغون غير دين الله
لان الاستفهام انما يكون على الحوادث الا انه قدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو فايدة الهمزة
ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان اهل الكتابين اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا
فيه من دين ابرهيم فكل واحد من الفريقين ادعى لانه اولى به فقال صلى الله عليه كلا الفريقين بري من دين
ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضايك ولا ناخذ بدينك فنزلت وعلى هذا يكون الاية كالمنقطعة عما قبلها ولكن الاستفهام
على سبيل الانكار يقتضي تعلقها بما قبلها فالوجه ان هذا الميثاق لما كان مذكورا في كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب
الا مجرد البغي والعناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكروا ان يفعلوا ذلك او قرر انهم يفعلونه ثم بين ان الاعراض
عن دين الله خارج عن قضية العقل وكيف لا وقد اخلص له الانقياد وخضع له الخضوع كل من سواه لان
كل من عداه ممكن لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده ولا ينعدم الا باعدامه فهو ذليل بين يدي قدرته خاضع لجلال قدرته
في طرفي وجوده وعدمه عقلا كان او نفسا او روحا او جسما او جوهرا او عرضا او فاعلا او فعلا ونظير الاية
ولله يسجد من في السموات والارض فلا سبيل لاحد عن الامتناع عن مراده طوعا او كرها مصدران وقعا
موقع الحال لانهما من جنس الفعل اي طايعين وكارهين كقولك اتاني ركضا ولو قلت اتاني كلاما اي متكلما
لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها

غيره من الالام والمكاره التي يخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضايه وقدره واما الكافرون فينقادون في الدين كرها
اي خوفا من السيف او عند الموت او نزول العذاب وعن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل الارض اقول وذلك
لان السفلي ينجذب بالطبع الى السفل فحمله نفسه ما يخالف طبعه هو الكره وبلسان الصوفية من شاهد الجمال اسلم طوعا
ومن شاهد الجلال اسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطري بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبي واليه ترجعون
اي الى حيث لا مالك سواه ظاهرا وباطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه بين اخذ
الميثاق على الانبيا في تصديق كل رسول كان قبله امر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ليعرف منه غاية ادعانه
ونهاية استسلامه اما وجه التوحيد في قل فظاهر بنا على ما قلنا واما وجه الجمع في امنا فتشريف امته بانضمامهم معه
في سلك الاخبار عن الايمان او ليعلم ان هذا التكليف ليس من خواصه وانما هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل امن
بالله وملايكته او للاجلال فقد نبيه حيث امر ان يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظما والملوك وقدم الايمان بالله لانه اصل جميع العقايد
ثم ذكر الايمان بما انزل الله اليه لان كتب ساير الانبيا محرفة لا سبيل الى معرفة احوالها الا بالقران المنزل على محمد صلعم ثم ذكر الايمان
بما انزل على مشاهير الانبيا اذ لا سبيل الى حصر الكل وفي ذلك تنبيه على سوء عقيدة اهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبيا
فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ثم نبه الى انهم ليسوا من الدين في شي حيث خالفوا مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى اخذ
الميثاق على كل نبي ان يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور في تفسير قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين فههنا
قد اخذ الميثاق على محمد بان يؤمن بكل رسول كان قبله ولم ياخذ عليه الميثاق لمن ياتي بعده فيكون في الاية دليل على انه لا
نبي بعده واعلم ان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فيجوز ان يعدى انزل بعلى تارة كما في هذه الاية وبالى
اخرى كما في البقرة نطق القران بالعبارتين جميعا وقيل عدي هناك بالى لمكان قولوا ويعرف
بطرفي الانتها وههنا بعلى لمكان قل فان الرسول ياتيه الوحي بطريق الاستعلا ورد في الكتاب بقوله تعالى وانزلنا
اليك الكتاب وبقوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا والانصاف ان هذا القايل لم يدع ان هذه المناسبة يجب اعتبارها
في كل موضع وانما ادعى فيصلح حجة للتخصيص والله اعلم ونحن له مسلمون فايدة تقديم الجار ان يعلم ان هذا الاذعان والايمان
والاستسلام لا لعرض فيه للوجه الله دون شي اخر من طلب المال والجاه بخلاف احبار اليهود والذين يشترون
بايات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام في شي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فان بعد الحق الا الضلال
وهو في الاخرة من الخاسرين حينا فانه الصواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون
فقط عند اهل السنة ومع اصحاب الكباير عند المعتزلة وقد يستدل بالاية على ان الايمان والاسلام واحد ولو كان الاسلام
غير الايمان لكان الايمان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول عند الله للاية وقد ذكرنا مرارا ان النزاع لفظي لان الاسلام ان
اريد به الانقياد الكلي فلا فرق بينه وبين الايمان كما في هذه الاية وان اريد به الاقرار باللسان فالفرق بناء على ان
الاعتقاد القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ثم بين وعيد
من ترك الاسلام فقال كيف يهدي الله واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة
والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له
بالنبوة فلما بعث وجاءهم البينات والمعجزات كفروا بغيا وحسدا وعنادا ولددا وفي رواية اخرى عنه
نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم اخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى
التايب بقوله الا الذين تابوا وعن مجاهد قال كان الحرث بن سويد قد اسلم وكان مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله هذه الاية الى قوله فان الله غفور رحيم فحملها اليه رجل من قومه فقراها عليه
فقال الحرث والله انك لصدوق وان رسول الله لاصدق منك وان الله اصدق الثلثة ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا
قالت المعتزلة في الاية ان اصولنا تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف ووضع الدلايل والا كان
الكافر معذورا ولا يجوز ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لا يهدي هولاء الكفار فلا بد من تفسير الاية بشي اخر سوى
نصب الدلايل قالوا فالمراد بهذه الهداية منع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين ثوابا على ايمانهم كما قال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقال والذين اهتدوا زادهم هدى او المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا ليهديهم طريقا

الايمان غيرهم

وان وقع الخلاف فيها فذاك في الحقيقة ليس بخلاف لان جميع الانبيا متفقون على ان الحق في زمان موسى ليس الا
شريعته وفي زمان محمد ليس الا شريعته ولو قلنا ان المراد بالرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد بما ذكرنا وان
نعته او صفته واحواله مذكورة في الكتب المتقدمة فكان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم والظاهر ان المراد بهذا
الميثاق هو النص بان يؤمنوا بكل رسول يجي مصدقا لما معهم وقيل يحتمل ان يكون الميثاق استنادا الى اشارة الى ما
ركز في عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء الرسول فانه انما يكون رسولا عند ظهور المعجزات
الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله تعالى امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد باخذ
الميثاق انه تعالى شرح صفاته وكتب الانبيا المتقدمين فاذا صارت احواله مطابقة لما جاء في الكتب الالهية
وجب الانقياد له وهذا انما يصح لو كان المراد بالنبيين اولادهم وامهم او ميثاق النبيين من الامم او ميثاق الله
من النبيين على تقدير كونهم احياء اقول والله اعلم يحتمل ان يراد بقوله ثم جاءكم المجي في الزمان الماضي فيكون
معنى الاية ان الله تعالى اخذ الميثاق من كل نبي اوتي كتابا وحكمة ان يؤمن بكل رسول كان قد جاء قبله موافقا لما معه
وينصر دينه بان يظهر حقيقته في وقته وانه من عند الله سبحانه وانه موافق له في اصول العقائد وفي قواعد مكارم
الاخلاق فيكون هذه الاية تمهيدا لما يجي بعد من قوله قل امنا بالله الاية قال الله تعالى أأقررتم
بمعنى الامر اقررتم بالايمان به والنصرة والاقرار في الشرع اخبار عن ثبوت حق ثابت وفي اللغة منقول بالهمزة
من قر الشي يقر اذا ثبت ولزم مكانه واخذتم اي قبلتم وسمي العهد اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد ثم بعد
المطالبة بالاقرار اكد ذلك بالاشهاد وقال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفي قوله وانا معكم
من الشاهدين وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله
وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل واحد نفسه شاهدا على نفسه
كقوله واشهدهم على انفسهم وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر في الجهل به
واصله ان الشاهد هو الذي يبين تصديق الدعوى وقيل استيقنوا او كونوا كالمشاهد للشي المعاين له او يكون
خطابا للانبيا بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد الوعيد بقوله فمن تولى بعد ذلك الميثاق وضروب
التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله وطاعته ثم وعيد الفساق ومرده
معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال افغير دين الله يبغون
يحتمل ان يراد اتتولون فغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون من
قرا بتاء الخطاب فيهما فلان ما قبله خطاب في اقررتم واخذتم او للالتفات بعد قوله اولئك هم الفاسقون ومن
قرا بياء الغيبة فلرجوع الضمير في الاول الى الفاسقين وفي الثاني الى جميع المكلفين والاصل ايبغون غير دين الله
لان الاستفهام انما يكون على الحوادث الا انه قدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو فائدة الهمزة
ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان اهل الكتابين اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا
فيه من دين ابراهيم فكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه كلا الفريقين بري من دين
ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وعلى هذا تكون الاية كالمنقطعة عما قبلها ولكن الاستفهام
على سبيل الانكار يقتضي تعلقها بما قبلها فالوجه انه هذا الميثاق لما كان مذكورا في كتبهم ولم يكن لحكمهم سببا
الا مجرد البغي والعناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكر ان يفعلوا ذلك مع علمهم انهم يفعلونه ثم بين ان الاعراض
عن دين الله خارج عن قضية العقل وكيف لا وقد اخلص له الانقياد وخضع له الخضوع كل من سواه لان
كل من عداه ممكن لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه فهو ذليل بين يدي قدرته خاضع لجلال قدرته
في طرفي وجوده وعدمه عقلا كان او نفسا او روحا او جسما او جوهرا او عرضا او فاعلا او فعلا فتنظر الاية
ولله يسجد من في السموات والارض فلا سبيل لاحد عن الامتناع عن مراده طوعا او كرها وهما مصدران وقعا
موقع الحال لانهما من جنس الفعل اي طايعين وكارهين كقولك اتاني ركضا ولو قلت اتاني كلاما اي متكلما
لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها

غيره من الالام والمكاره التي تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقدره واما الكافرون فينقادون في الدين كرها
اي خوفا من السيف او عند الموت او نزول العذاب وعن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل الارض او لان ذلك
لان السفلي ينجذب بالطبع الى السفل فحمله نفسه ما يخالف طبعه هو الكره وبلسان الصوفية من شاهد الجمال اسلم طوعا
ومن شاهد الجلال اسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطري بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبي واليه ترجعون
اي الى حيث لا مالك سواه ظاهرا وباطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه بين اخذ
الميثاق على الانبيا في تصديق كل رسول كان قبله امر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ليعرف منه غاية اذعانه
ونهاية استسلامه لما اوجبه التوحيد في قل تظاهرنا على ما قلنا او ما وجه الجمع في امنا فتشريف امته بانضمامهم معه
في سلك الاخبار عن الايمان او ليعلم ان هذا التكليف ليس من خواصه وانما هو لازم لجميع المومنين كقوله والمومنون كل امن
بالله وملائكته او للاجلال فقد يجي حيث امرت ان يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظما والملوك وقدم الايمان بالله لانه اصل جميع العقائد
ثم ذكر الايمان بما انزل الله اليه لان كتب ساير الانبيا محرفة لا سبيل الى معرفة احوالها الا بالقران المنزل على محمد صلعم ثم ذكر الايمان
بما انزل على مشاهير الانبيا اذ لا سبيل الى حصر الكل وفي ذلك تنبيه على سوء عقيدة اهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبيا
فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ثم بين انهم ليسوا من الدين في شي حيث خالفوا مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى اخذ
الميثاق على كل نبي ان يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور في تفسير قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين فههنا
فقد اخذ الميثاق على محمد بان يؤمن بكل رسول كان قبله ولم ياخذ عليه الميثاق لمن ياتي بعده فتكون في الاية دليل على انه لا
نبي بعده واعلم ان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فيجوز ان يعدى انزل بعلى تارة كما في هذه الاية ويعدى
بالى الانتها اخرى كما في البقرة فنطق القران بالقبيلين جميعا وقيل عدي هناك بالى لمكان قولوا لان الوحي ياتي الامة
بطريق الانتها وههنا بعلى لمكان قل فان الرسول ياتيه الوحي بطريق الاستعلاء ورد في الكشاف بقوله تعالى وانزلنا
اليك الكتاب وبقوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا والانصاف ان هذا القائل لم يدع ان هذه المناسبة يجب اعتبارها
في كل موضع وانما ادعى انه يصلح جهة للتخصيص والله اعلم ونحن له مسلمون فائدة تقديم الجار ان يعلم ان هذا الاذعان والايمان
والاستسلام لا غرض فيه الا لوجه الله دون شي اخر من طلب المال والجاه بخلاف احبار اليهود والذين يشترون
بايات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام في شي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فماذا بعد الحق الا الضلال
وهو في الاخرة من الخاسرين حيث فاته الصواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون
فقط عند اهل السنة ومع اصحاب الكباير عند المعتزلة وقد يستدل بالاية على ان الايمان والاسلام واحد ولو كان الاسلام
كان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول عند الله للاية وقد ذكرنا مرارا ان النزاع لفظي لان الاسلام ان
اريد به الانقياد الكلي فلا فرق بينه وبين الايمان كما في هذه الاية وان اريد به الاقرار باللسان فالفرق بناء على ان
الاعتقاد القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ثم بين وعيد
من ترك الاسلام فقال كيف يهدي الله واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة
والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له
بالنبوة فلما بعث وجاءتهم البينات والمعجزات كفروا بغيا وحسدا وعنادا ولددا وفي رواية اخرى عنه
نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم اخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى
التائب بقوله الا الذين تابوا وعن مجاهد قال كان الحارث بن سويد قد اسلم وكان مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله هذه الاية الى قوله فان الله غفور رحيم فحملهن اليه رجل من قومه فقراهن عليه
فقال الحارث والله انك لصدوق وان رسول الله لاصدق منك وان الله اصدق الثلثة ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا
قالت المعتزلة في الاية ان اصولنا تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف ووضع الدلايل والا كان
الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لا يهدي هولاء الكفار فلا بد من تفسير الاية بشي اخر سوى
نصب الدلايل قالوا فالمراد بهذه الهداية منع الالطاف التي يؤتيها المومنين ثوابا على ايمانهم كما قال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقال والذين اهتدوا زادهم هدى او المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا يهديهم طريقا

الايمان غير

الاطريق جهنم دقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتها الانهار وقال اهل السنة المراد بالهداية المراد بالهداية
خلق المعرفة وقد جرت سنة الله في باب التكليف وفي داي العمل كل فعل يقصد العبد الى تحصيله فان الله يخلقه
عقيب قصد العبد فكانه تعالى قال يخلق الله فيهم المعرفة والهداية دعم قصد وا تحصيل الكفر فارادوه وقال اهل
الحقيقة كيف يهدي الله اليه فوقا اضعوا بالصفات الانسانية والطبائع الحيوانية عن الاخلاق الربانية وقوله وشهدوا
عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل اذهو في تقدير ان امنوا كقوله تعالى فاصدق واكن ويجوز ان يكون الواو
للحال باضمار قد اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق وكيف ما كان فمعنى الاية يؤول الى انه تعالى لا يهدي قوما كفروا
بعد الايمان وبعد الشهادة بان الرسول حق في نفسه غير باطل ولا مما يسوغ انكاره وبعد ان جاءتهم الشواهد
الدالة على صدقه من القران وغيره لكن الشهادة هو الاقرار باللسان فيكون المراد من الايمان هو التصديق
بالقلب ليكون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين الشيء في غير محله وذلك
ان الخصال الثلث اعني الايمان والشهادة ومشاهدة المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبي المبعوث في اخر الزمان لا الكفر
والعناد وفيه دليل على ان زلة العالم اقبح من زلة الجاهل ولهذا اصح في اخر الاية بانه لا يهديهم بعد ان عرض بذلك
في اول الاية ثم اردفه بغاية الوعيد قائلا اولئك وجزاؤهم الى قوله ولا هم ينظرون وقد مر مثله في البقرة
وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب الملحق بالكافر مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة الا الذين
تابوا بعد ذلك الكفر العظيم ولا يكفي التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال واصلحوا اي باطنهم مع
الحق بالمراجعات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات واظهروا انا كنا على الباطل حتى لو اغتر بطريقتهم المخرفة مغتر
يرجع عنها فان الله غفور رحيم في الاخرة بالعفو او غفور بازالة العقاب رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان
الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ان ازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر الى كفر
وهو المراد في الاية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل انهم اهل الكتاب امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثه
ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا كفرا بسبب طعنهم فيه كل وقت وانكارهم لكل معجز تظهر عليه الى غير ذلك
من تخليطاتهم وتغليم بطالاتهم وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا
بمحمد والقران وهذا قول الحسن وقتاده وعطا وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازديادهم الكفر انهم
قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك
النفاق زيادة في الكفر ثم انه تعالى حكم في الاية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم في هذه الاية بعدم قبولها
وهذا يوهم التناقض وايضا ثبت بالدليل ان التوبة بشروطها مقبولة فما معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم قال الحسن
وقتادة وعطا المراد بازدياد الكفر انهم اقاموا عليه فلا يتوبون الا عند حضور الموت والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله
تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان وقيل هي محمولة على ما
اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص وقال القاضي والقفال وابن الانباري هي من تتمة قوله الا الذين تابوا
يريد انه لو كفر بعد التوبة الاولى فان التوبة الاولى لا تكون مقبولة وقيل لعل المراد ان التوبة عن تلك
الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه اقول ويحتمل ان يكون لن تقبل توبتهم حصل كناية عن
الموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين على الكفر يموتون على الكفر لما في تعلمهم من قساوة القلوب
والانقضاء الى الرين وانجراره الى الموت على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصوير كونهم ايسين من الرحمة
هذا اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين اما على تقدير التعميم فيقول انما لم يجعل الموت على الكفر لازما
لازديادهم الكفر لان القضية حينئذ لا تكون كلية فكم في مرتد او يهودي من داوم الكفر لا بمعنى الاصرار يرجع الى
الاسلام ولا يموت على الكفر فاكتفى بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول التوبة حتى يمتنع الكلام في
معرض الكناية ومن المعلوم انها ذكر اللازم وارادة الملزوم وانه لابد للعدول من فائدة فصح ان يبين فائدة العدول
على وجه تصير القضية كلية وهي التغليظ في شان اولئك الفرق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الايسين
من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر يخاف لاجل الياس من الرحمة وهذا هو الذي

في الدنيا بالمسرح

عول عليه في الكشاف والحاصل انه كانه قيل ان اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ان لا يقبل توبتهم واولئك
هم الضالون الكاملون في الضلال بتنبهوا الى تنبه الاوصاف البهيمية والاخلاق السبعية فلم يكادوا يخرجون منها تقدم
الانابة واعلم ان الكافرين على ثلاثة اقسام احدها الذي يتوب على الكفر توبة مقبولة صحيحة وهو الذي سبق لاجله
الاية التي ردفها الاستثناء وثانيها الذي يتوب توبة فاسدة وهو المذكور في تقبل توبتهم على وجه وثالثها
الذي يموت على الكفر من غير توبة فذكره في الاية الاخيرة وملاء الشيء قدر ما يملاه وذهبا نصب على التمييز وربما
يقال على التفسير ومعناه ان يكون الكلام تاما الا انه يكون مبهما كقولك عندي عشرون عدد فالعدد معلوم
والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد ومعنى الفاء في فلن يقبل ان يعلم ان الكلام مبني على الشرط والجزاء
واذا ترك كما في الاولى فلعدم قصد التسبيب والاكتفاء بمجرد الوصع هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب الكشاف
وليت شعري انهم لو سألوا عن تخصيص كل موضع بما خصص به فماذا يجيبون ولعل غلبة نعم في امثال هذه
المواضع انها من الاسولة المنقلبة وهو وهم والسر في التخصيص هو انه لما قيد في الجملة الثانية انهم قد ماتوا
على الكفر زيدت الفاء السببية التي لتاكيد اللزوم وتغليظا في الوعيد والله اعلم اما الواو في قوله ولو افتدى
به فانها نشبه عطف الشيء على نفسه لانه كالمكرر فلهذا الكثر اقاويل العلماء فيه فقال الزجاج وابن الانباري انها
للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقيل
انها لبيان التفصيل بعد الاجمال فان اعطاء ملء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفي القبول من جهة
الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية ويقبلون الفدية فاذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك في غاية الغضب
ونهاية السخط فعبر بنفي قبول الفداء عن شدة الغضب وقيل انه محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم
فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا وقيل يجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلامهم مثل ضربت ضرب زيد اي مثل ضربه وابو يوسف
وابو حنيفة يريد مثله كما انه زاد في مجي قولهم مثلك لا يفعل كذا اي انت وذلك ان المثلين يقوم احدهما مقام الاخر في
اغلب الامور فكانا في حكم شيء واحد فان قيل من المعلوم ان الكافر لا يملك يوم القيامة شيئا وبتقدير ان يملك فلا ينفع في الذهب
هناك فما فائدة هذا الكلام فالجواب على سبيل الفرض والتقدير والذهب كناية عن اعز الاشياء والمراد انه لو قدر على
اعز الاشياء وفرض ان في بذله نفعا لا احد وان المبذول في غاية الكثرة لعجز ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من
عذاب ربه ثم صرح بعقابهم ونفى من يشفع لهم فقال اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قال اهل التحقيق
وماتوا الى مات قلوبهم اولئك لهم عذاب اليم بموت القلب وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة تجلي الله تم

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝ كُلُّ
الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ
التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا
وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ
عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ

قد لا تم

الكامل

الجزء الرابع

العالمين قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون
قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم
شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا
الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم
رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم

القراءة ان تنزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحها **الوقوف** الجزء الرابع تحبون ط عليم ط تنزل التورية ط صادقين ط الظالمين ط حنيفا ط المشركين ط للعالمين ج لان ما بعده يصلح حالا واستينافا مقام ابراهيم للابتداء بالشرط مع الواو لان الامن من الآيات آمنا ط سبيلا ط العالمين ط بآيات الله ق لتقدم القيل والوجه الوصل لان الواو للحال تعملون شهداء ط تعملون كافرين ط رسوله ط لتناهي الاستفهام الى الشرط مستقيم ط **التفسير** انه سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الانفاق الذي ينتفعون به في الآخرة وهو الانفاق من احب الاشياء اليهم وفيها لطيفة وهي انه سبحانه وتعالى سمى جوامع خصال الخير برا في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله الآية وذكر في هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فالمعنى انكم وان اتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا بحيازة فضيلة البر ولن تبلغوا حقيقته حتى يكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله يروى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله حائط لي بالمدينة يعني بيرحى وهو احب الي صدقة فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وروي انه جعلها بين حسان بن ثابت وابي بن كعب وروي ان زيد بن حارثة جاء عند نزول الآية بفرس له كان يحبه وجعله في سبيل الله فحمل عليه رسول الله اسامة فوجد زيد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبايا جلولاء يوم فتحت مداين كسرى فلما رآها اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ولم يصب منها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتك اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وفي تفسير البر قولان احدهما ما به يصيرون ابرارا يدخلوا في قوله ان الابرار لفي نعيم فيكون المراد بالبر ما يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة في قوله ولكن البر من آمن وجعلها التقوى لقوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون والثاني الجنة اي لن تنالوا ثواب البر وقيل المراد بر الله اولياءه واكرامه اياهم من قول الناس بر بي فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني وقال تعالى ان تبروا وتتقوا ومن في قوله مما تحبون للتبعيض نحو اخذت من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وفيه ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن يحتاج اليه والمراد مما تحبون قال المراد هو نفس المال لقوله تعالى وانه لحب الخير لشديد وقيل هو ما يكون محتاجا اليه كقوله ويطعمون الطعام على حبه ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل هو اطيب المال وانفعها كما مر وعن ابن عباس اراد به الزكوة حتى تخرجوا زكوة اموالكم ويرد عليه انه لا يجب على المزكي ان يخرج اشرف امواله واكرمها وقال الحسن هو كل ما انفقه المسلم من ماله يطلب به وجه الله ونقل الواحدي عن مجاهد والكلبي انها الزكوة وضعف بان ايجاب الزكوة لا ينافي الترغيب في بذل المحبوب لوجه الله ومن

اموالجم

في من شيء للتبيين يعني من اي شيء كان طيب او خبيث فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه او يعلم الوجه الذي لاجله تنفقون من الاخلاص والرياء ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبعد توجيه الالزامات الواردة على اهل الكتاب في هذا الباب اجاب عن شبهة للقوم وتقريرها من وجوه احدها انهم كانوا يعولون في انكار شرع محمد صلى الله عليه وسلم على انكار النسخ فابطل الله عليهم ذلك بان الطعام الذي حرمه اسرائيل على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا ان ذلك كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ فامر النبي صلى الله عليه وسلم بان يطالبهم باحضار التورية الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد لانه كان اميا فامتنع ان يعرف هذه المسألة الغامضة من علوم التورية الا بخبر من السماء وثانيها ان اليهود قالوا له انك تدعي انك على ملة ابراهيم فكيف تاكل لحوم الابل والبانها وتفتي بحلها مع ان ذلك كان حراما في دين ابراهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا ان يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكروا ذلك فامروا بالرجوع الى التورية وثالثها لما نزل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى غير ذلك من الآيات الدالة على انه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم غاظهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من قبل ان ذلك يقتضي وقوع النسخ ومن قبل انه يسجل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم فنزلت كل الطعام اي المطعومات كلها لدلالة كل من العموم وان كان لفظه مفردا سواء قلنا الاسم المفرد المحلى بالالف واللام يفيد العموم اولا والطعام اسم لكل ما يطعم ويؤكل وعن بعض اصحاب ابي حنيفة انه البر خاصة ويرد عليه ان المستثنى في الآية عن الطعام كان شيئا سوى الحنطة وما يتخذ منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة مع انها طعام وكذا القول في الخنزير فيحتمل ان يكون المراد الاطعمة التي كان يدعي اليهود في وقت نبينا انها كانت محرمة على ابراهيم صلوات الرحمن عليه وعلى هذا يكون اللام في الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل ولذا استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم والوصف بالمصدر يفيد المبالغة واما الذي حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام والشراب اليه لحمان الابل والبانها وهذا قول ابي العالية وعطا ومقاتل وقيل كان به عرق النسا فنذر ان شفاه الله ان لا ياكل شيئا من العروق وجاء في بعض الروايات الذي حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم الا ما على الظهر وههنا سؤال وهو ان التحريم والتحليل خطاب الله تعالى فكيف صار تحريم يعقوب سببا للحرمة فاجاب المفسرون بان الاطباء اشاروا اليه باجتنابه ففعل وذلك باذن الله فهو كتحريم الله ابتداء وايضا لا يبعد ان يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المرأة والجارية وايضا الاجتهاد جائز على الانبياء لعموم فاعتبروا ولقوله في معرض المدح لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولان الاجتهاد شاقة فيلزم ان يكون للانبياء منها نصيب اوفر لا سيما وعقولهم اكثر ومعارفهم انور واذهانهم اصفى وتوفيق الله وتسديده معهم اوفر ثم اذا حكموا الحكم بسبب الاجتهاد يحرم على الامة مخالفتهم في ذلك الحكم كما ان الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه يحرم مخالفته والاظهر ان ذلك التحريم ما كان بالنص والا لقيل الا ما حرمه الله على اسرائيل فلما نسب الى اسرائيل دل على انه باجتهاده كما يقال الشافعي يحلل لحم الخيل وابو حنيفة يحرمه وقال الاصم لعل نفسه تتوق الى هذه الانواع فامتنع من اكلها قهرا للنفس كما يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين انه يجوز من الله تعالى ان يقول لعبده احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب ومعنى قوله من قبل ان تنزل التورية ان هذا الاستثناء انما كان قبل نزول التورية اما بعدها فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا الآية ثم ان القوم نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اضافة ذلك الى الله تعالى فامروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا فافترقت الحجة عليهم فظهر اعجاز النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه

اسم ج

فلهذا قيل فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك الذي ظهر من الحجة الباهرة فاولىٔك هم الظالمون الواضعون
الباطل في موضع الحق والكذب في موضع الصدق والعناد في محل الانصاف وايضا ان تكذيبهم وافترائهم ظلم منهم لانفسهم
ولمن يقتدي بهم من اشياعهم قل صدق الله في جواب الشبهة الثالثة وفيه تعريض بكذبهم واتبعوا ملة ابراهيم
حنيفا وهي التي عليها محمد ومن تبعه حتى يتخلصوا من اليهودية التي فساد دينكم ودنياكم حيث الجاتكم الى تحريف
كتاب الله لاغراضكم الفاسدة والزمتكم تحريم الطيبات التي احلت لابراهيم ولمن يقتدي به وما كان من المشركين
فيه تنبيه على ان محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم صلوات الرحمن عليه في الفروع لما ثبت ان الذي حكم بحله
حكم ابراهيم بحلة وفي الاصول لان محمدا ادعى ابراهيم كليهما صلوات الله عليهما لا يدعوان الا الى التوحيد والبراءة عن كل
معبود سوى الله تعالى خلاف اليهود والنصارى وخلاف عبدة الاوثان والكواكب قوله سبحانه ان اول بيت وضع
للناس قال مجاهد هو جواب عن شبهة اخرى لليهود وذلك انهم قالوا بيت المقدس افضل من الكعبة لانها مهاجر
الانبيا وارض المحشر وقبلة الانبيا فكان تحويل القبلة منه الى الكعبة كالطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل ان الاية المتقدمة سبقت لجواز النسخ واذا عظم الامور التي اظهر رسول الله نسخه هو القبلة فذكر عقيب ذلك
ما لاجله حولت القبلة وقيل لما انجر الكلام في الاية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابراهيم وكان الحج من اعظم شعائر ملته
اردفها بفضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصارى انه على ملة ابراهيم فبين الله تعالى
ما يدل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابراهيم واهل الكتاب لا يحجون قالت العلما الاول هو الفرد السابق
فلو قال اول عبد اشتريته فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد منهما لفقد قيد الفرد ولو اشترى
في المرة الثانية عبدا واحدا لم يعتق ايضا لفقد قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه جعل متعبدهم
وموضع طاعتهم يتوجهون نحوه من جميع الاقطار وليس كل اول يقتضي ان يكون له ثان فضلا ان يشاركه في جميع
خواصه فلا يلزم من كونه اول ان يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا في جميع وجوب الحج والاستقبال
وغيرهما من الخواص ثم الاوليات كونه اول بيت وضع للناس يحتمل ان يكون المراد انه اول في البنا والوضع ويحتمل
ان يراد انه اول في الوضع وان كان متاخرا في البنا فلا جرم حصل فيه للمفسرين قولان الاول انه اول في بنائه ووضعه
جميعا مذهب الواحدي رحمه الله في البسيط باسناده عن مجاهد انه قال خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيا من
الارضين وفي رواية اخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيا من الارض بالفي سنة وان قواعده
لفي الارض السابعة السفلى وروي ايضا عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال
ان الله تعالى بعث ملايكته فقال ابنوا لي في الارض بيتا على مثال البيت المعمور وامر الله من في الارض ان يطوفوا
به كما يطوف اهل السما بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق ادم وقد ورد في ساير كتب المفسرين عن عبد الله
بن عمر وعن مجاهد والسدي انه اول بيت ظهر على وجه الما عند خلق الارض والسما وقد خلقه الله تعالى قبل
الارض بالفي عام وكان زبدة بيضا على الما ثم دحيت الارض تحته وعن الزهري بلغني انهم وجدوا في مقام
ابراهيم ثلثة صفوح الاول انا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة افلاك حنفا
وباركت لاهلها في اللحم واللبن وفي الثاني انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها
وصلته ومن قطعها قطعته وفي الثالث انا الله ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن
كان الشر على يديه وقد يستدل على صحة هذا القول بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة الا ان الله
قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا بعد وجودها ولانه تعالى سماها ام القرى وهذا يقتضي
سبقها على ساير البقاع ولان تكليف الصلوة كان ثابتا في اديان جميع الانبيا وايضا قال تعالى في سورة مريم اولىٔك
الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم الى قوله خروا سجدا وبكيا والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلتهم غير
الكعبة لم تكن هي اول بيت وضع للناس هذا محال خلف القول الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن اول مسجد
وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فسيل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا
قال له ان اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس ببكة مباركا فيه الهدى والرحمة

والبركة واعلم ان الغرض الاصلي من ذكر هذه الاولوية بيان الفضيلة وترجحه على بيت المقدس ولا ثابتر الاولية
الحاصل هذا المقصود وان كان الارجح ثبوت تلك الاولوية ايضا كما رويناه انفا وفي سورة البقرة ايضا من الاخبار
من فضايل البيت ان الامر بعمارته الرب الجليل والمهندس جبريل والباني ابراهيم الخليل والمعين له ابنه اسمعيل ومنها
انه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات ومصعد الصلوات والطاعات ومنها مقام ابراهيم كما يجي ومنها
قلة ما يجتمع من الحصى والجمار فيه فانه منذ الاف سنة يرمى في كل سنة خمسماية الف انسان كل واحد منهم سبعين حصا
ثم لا يرى هناك الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي يرمى اليه الجمرات مسيل ما او
مهب ريح شديدة وقد جا في الاثار ان من كانت حجته مقبولة رفعت حجارته الى السما ومنها ان الطيور تترك المرور
فوق الكعبة وتنحرف عنها البتة اذا وصلت الى محاذاتها ومنها ان الحيوانات المتضادة في الطبايع لا يوذي بعضها بعضا
كالكلاب والظبا ومنها امن سكانها فلم ينقل البتة انطال هدم الكعبة او خرب مكة بالكلية فاما بيت المقدس
فقد هدمه بخت نصر بالكلية وقصد اصحاب الفيل سوف يجي في موضعها ان شاء الله العزيز ومنها انه تعالى
وضعها بواد غير ذي زرع لغوايد منها انه قطع بذلك رجا اهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله
سبحانه وتعالى ومنها انه مع كونه كذلك يجبى اليه ثمرات كل شي وذلك بدعوة خليله ابراهيم صلوات الرحمن عليه وانه
من اعظم الايات ومنها انه لا يسكنها احد من الجبابرة لانهم يميلون الى طيبات الدنيا فيبقى ذلك الموضع المنيف والمقام
الشريف مطهرا عن لوث وجود ارباب الهمم الدنية ومنها ان لا يقصدها الناس للتجارة بل يأتون لمحض العبادة والزيارة
ومنها انه تعالى اظهر بذلك شرف الفقر حيث وضع اشرف البيوت في اقل المواضع نصيبا من الدنيا فكانه تعالى
يقول جعلت الفقرا في الدنيا اهل البلد الامين لا جعلهم في الاخرة اهل المقام الامين ومنها كانه قيل كما لم اجعل الكعبة
الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا اجعل كعبة المعرفة الا في قلب خال عن محبة الدنيا الذي ببكة للبيت
الذي ببكة قال في الكشاف وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان كرايب وراتب وكضربة لازم لما يتعاقب فيه
الميم والباء لتقارب مخرجهما وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وفي الصحاح بكة اسم لبطن مكة واما
من الاشتقاق ببكة من قولهم بكه اذا زحمه ودفعه وعن سعيد بن جبير سميت بكة لانهم يتباكون فيها ان يزدحمون
في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر عليه السلام ومجاهد وقتادة قال بعضهم رايت محمد بن علي الباقر يصلي فمرت
امراة بين يديه فذهبت ادفعها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا تمر المراة بين يدي الرجل وهو
يصلي والرجل بين يدي المراة وهي تصلي فلا باس بذلك في هذا المكان ويوكد هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد
لان التطاف هناك وفيه الازدحام ولا شك ان بكة غير البيت لان الاية تدل على ان البيت حاصل في بكة والشي لا يكون
مظروفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقهم لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه واما
مكة فاشتقاقها من قولهم امتك الفصيل ضرع امه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجذب الناس من
كل جانب وقطر ولقلة ما بها كان ارضها امتص ماءها وقيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها
فكان الارض كلها تمتك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين اما انتصابه فعلى
الحال من الضمير المستكن في الظرف لان الذي ببكة هو والعامل فيه معنى الاستقرار واما معناه فالبركة اما النمو
والتزايد وكثرة الخير واما البقا والدوام وكل شي ثبت ودام فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة
شبه الحوض لثبوت الما فيها وتبارك الله لم يزل ولا يزال والبيت مبارك لما يحصل من حجه وعمرته وعكف عنده وطاف
حوله من الثواب وتكفير الذنوب قال صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما
سواه الا المسجد الحرام وقال الحج المبرور ليس له جزا الا الجنة ولو استحضر العاقل في نفسه ان الكعبة كالنقطة وصفوف
المتوجهين اليها في الصلوات في اقطار الارض مكانها دوايرها علم انها محصورة كالدوايرالمحيطة في المركز ولا شك
انه يحصل فيما بين هولاء المصلين اشخاص ارواحهم علوية وقلوبهم قدسية واسرارهم نورانية وضمايرهم ربانية
ثم انه اذا توجهت تلك الارواح الصافية الى كعبة المعرفة واستقبلت اجسادهم هذه الكعبة الحسية انصلت انوار
اولىٔك الارواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية في سره قال القفال يجوز ان يكون بركته ما ذكر في قوله يجبى

اليه ثمرات كل شيء فيكون كقوله الى الارض المقدسة التي باركنا فيها وان فسرنا البركة بالدوام فلا شك انه لا
ينفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرية وكل آن يفرض فانه صبح لقوم وظهر
لآخرين وعصر لغيرهم او مغرب او عشاء فلا يخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وايضا بقاء الكعبة على هذه الحالة
الوفا من السنين دوام واما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم ومتعبدهم او لانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد
صلى الله عليه وسلم بما فيه من الايات والاعاجيب او لانه يهدي الى الجنة ومعنى هدى هاديا او ذا هدى قاله
الزجاج وجوز ان يكون محله رفعا اي وهو هدى فيه ايات بينات يحتمل ان يراد بها ما عددنا من فضائله ويكون
قوله مقام ابراهيم غير متعلق بما قبله فكانه قيل فيه ايات بينات ومع ذلك فهو مقام ابراهيم وموضعه الذي اختاره
وعبد الله فيه وقال الاكثرون ان الايات بيانه وتفسيره قوله مقام ابراهيم اما بان يجعل وحده بمنزلة ايات
كثيرة ولانه معجز رسول وكل معجز ففيه دليل ايضا على علم الصانع وقدرته وارادته وحيوته وتعاليه عن مشابهة
المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله ان ابراهيم كان امة واما ان يجعل المقام مشتملا على ايات لان
اثر القدم في الصخرة الصماء اية وغوصه فيها الى الكعبين اية والانة بعض الصخرة دون بعض اية وابقاء هذا الاثر دون
اثار سائر الانبياء اية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوفا من السنين
اية قال الزجاج قوله ومن دخله كان امنا من تتمة تفسير الايات وهذه الجملة وان كانت من مبتداء وخبر ومن
شرط وجزاء الا انه في تقدير ومعود من حيث المعنى فكانه قيل فيه ايات بينات وامن من دخله كما قلت فيه اية
بينة من دخله كان امنا كان معناه فيه اية بينة امن من دخله وهذا التفسير بعد تصحيحه مبني على ان الاثنين
جمع كما قال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وفي القران هذان خصمان اختصموا وقيل ذكر اثنان وطوي
ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنسا وقرة عيني في الصلوة ومنهم من تمم الثلثة
فقال مقام ابراهيم وامن لمن دخله ولله على الناس حجه وقال المبرد مقام مصدر فلم يجمع والمراد مقامات ابراهيم
وهي ما اقامه من المناسك فالمراد بالايات شعائر الحج وعن ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية
قتيبة اية بينة على التوحيد قاله في الكشاف وفيه تاكيد لكون مقام ابراهيم محله بيانا واما حديث امن من
دخله فقد مر اختلاف العلماء فيه في سورة البقرة في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقيل كان امنا
من النار لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعنه صلى الله
عليه وسلم الحجون والبقيع يوخذان باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود
وقف رسول الله صلعم على ثنية الحجون وليس بها مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله
سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم
كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة
مائتي عام ولله على الناس حج البيت لما ذكر فضائل البيت اردفه بايجاب الحج وهما لغتان الفتح لغة حجاز والكسر
لغة نجد وكلاهما مصدر كالمدح والذم والذكر والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع
خفض على البدل من الناس والمعنى ولله على من استطاع من الناس حج البيت وقال الفرا اذ يجوز ان ينوي به الثنيا
بمن والخبر او الجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير من استطاع اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقال ابن
الانباري يحتمل ان يكون محله رفعا على البيان كانه قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل هم من استطاع
والضمير في اليه للبيت او الحج واستطاعة السبيل الى الشيء هي امكان الوصول اليه واحتج اصحاب الشافعي بالاية
على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع لان الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان لا يصلح معارضا ومخصصا لهذا
العموم لان الدهري يكلف بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم مع ان الايمان بالله الذي هو شرط صحة الايمان بمحمد غير حاصل
والمحدث يكلف بالصلوة مع ان الوضوء الذي هو شرط صحة الصلوة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالاية على ان
الاستطاعة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل كان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك باطل

بالاتفاق

بالاتفاق اجابت الاشاعرة بان هذا ايضا لازم عليكم لان القادر اما ان يكون مامورا بالفعل قبل حصول الداعي
الى الفعل وهو محال لانه تكليف بما لا يطاق او بعد حصوله وحينئذ يكون الفعل واجب الحصول فلا يكون في
التكليف به فايدة واذا كانت الاستطاعة منتفية في الحالين وجب ان لا يتوجه التكليف والحق ان وجوب الفعل
بالقدرة والارادة لا ينافي توجيه التكليف اليه واعلم ان الحج لا يجب باصل الشرع في العمر الا مرة واحدة لما روي
عن ابن عباس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام الاقرع
بن حابس فقال في كل عام يا رسول الله فقال لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب
اكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة الحج على الاطلاق شرطوا حرية هي الاسلام فلا يصح حج الكافر
كصومه وصلوته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولي ان يحرم على المجنون وعلى الصبي الذي لا يميز وحينئذ يصح حجهما
لما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بامراة وهي في محفة فاخذت بعضد صبي كان معها فقالت
الهذا حج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ولك اجر وعن جابر قال حججنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعنا
النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم ولصحة المباشرة يشترط زائدا على الاسلام وهو التمييز فلا يصح مباشرة
الحج من المجنون والصبي الذي لا يميز كسائر العبادات ويصح من الصبي المميز ان يحرم فيحج باذن الولي ولا يشترط فيها الحرية
كسائر العبادات ولوقوعه عن حجة الاسلام شرطان زائدان البلوغ والحرية لقوله صلى الله عليه وسلم ايما صبي حج
ثم بلغ فعليه حج الاسلام وايما عبد حج ثم عتق فعليه حجة الاسلام والمعنى فيه ان الحج عبادة عمر لا تتكرر فاعتبر وقوعها
في حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فيشترط هذا الحكم اذن يعود الى ثلثة الاسلام والتكليف والحرية
ولو تكلف الفقير الحج وقع مجزيا عن الفرض كما لو تحمل الغني خطر الطريق وحج وكما لو تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة ولوجوب
حجة الاسلام شرط زائد عن الثلثة المذكورة انفا وهو الاستطاعة بالاية والاستطاعة نوعان استطاعة مباشرته
بنفسه واستطاعة تحصيله بغيره النوع الاول يتعلق به امور اربعة احدها الراحلة والناس قسمان احدهما من بينه
وبين مكة مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد راحلة سواء كان قادرا على المشي او لم يكن لما روي انه صلى الله عليه
وسلم فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد والراحلة نعم لو كان قادرا على المشي يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك
القوي على المشي يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل ايضا ان كان لا يستمسك على الراحلة ويلحقه مشقة شديدة
ثم العادة جارية بركوب اثنين بالمحمل فان وجد مؤنة محمل او شق محمل ووجد شريكا يجلس في الجانب الاخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك
فلا القسم الثاني من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشي لزمه الحج والا فلا يجب الا مع الراحلة او بعها
مع المحمل كما في حق البعيد والمراد بوجوب الراحلة ان يقدر على تحصيلها ملكا واستيجارا بثمن المثل او باجرة المثل وكذا
في المحمل المتعلق الثاني الزاد واوعيته وما يحتاج اليه في السفر مدة ذهابه وايابه سواء كان له اهل وعشيرة يرجع اليهم
او لا لحب الوطن من الايمان وكذا الراحلة للاياب واجرة البدرقة كل ذلك بعد فضله جميع الديون ورد الودايع ونفقة
من يلزمه نفقتهم حينئذ الى العود وبعد مؤنة النكاح ان خاف العنت وبعد مسكنه ودست ثوب يليق به وخادم يحتاج
اليه لزمانته او لمنصبه ولو كان له راس مال يتجر فيه ويستفيد من ربحه ولو نقص لبطلت تجارته او كان له مستغلات
يرتفع منها نفقته فالاصح عند الائمة انه يكلف بيعها لانه واجد للزاد والراحلة واغنياء عن ... الفقر في الاستقبال في الحال
المتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الامن على النفس من نحو سبع او عدو والامن على المال من عدو
ورصدي وان رضي بشيء يسير والامن على البضع للمراة بخروج زوج او محرم او نسوة ثقات وفي البحر يعتبر
غلبة السلامة وفي البر وجود علف الدابة المتعلق الرابع البدن ويشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة
فان ضعف عن ذلك لمرض او غيره فهو غير مستطيع للمباشرة ولا بد للاعمى من قائد وعند ابي حنيفة لا حج عليه
ويروى انه يستنيب قال الائمة لا بد مع الشرائط من امكان المسير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة ما يمكنه المسير
فيه الى الحج السير المعهود فان احتاج ان يقطع في يوم مرحلتين او اكثر لم يلزمه الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت
الذي جرت عادة اهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ويجب الحج في العمر كالصلوة في وقتها فيجوز التراخي
لكنه ان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان فلم يحج حتى مات عصى ولم يظهر وان كان شابا وقال احمد ومالك وابو

وابو حنيفة في رواية على الفور وعند الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة خمس من الهجرة واخرها النبي صلى الله عليه
وسلم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث ابا بكر اميرا على الحاج
سنة تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما واما النوع الثاني فهو استطاعة الحج بالاستنابة
وانها جائزة في الحج وان كانت العبادات بعيدة عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة بسبب
الموت او لكبر او زمانة او مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اختي نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج افاحج عنها فقال لو كان على اختك دين اكنت قاضيه قال نعم قال
فاقضوا حق الله تعالى فهو احق بالقضاء وعنه ان امراة من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله تعالى على عباده
في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة افاحج عنه قال نعم وقد تكون الاستنابة بطريق
الاستيجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستيجار كتفريق الصدقة وعند ابي حنيفة لا يجوز ولكن يرزق
عليه ولو استاجر كان ثواب النفقة للآمر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني
واعطيك نفقتك وهذا ايضا جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استاجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة
لا بد ان يكون معلومة فهذه جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو
مستطيع وقيل له في ذلك فقال انه لو كان لبعضهم ميراث في مكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك
يجب عليه الحج وفي الآية انواع من التوكيد والتغليظ منها قوله ولله على الناس اي حق واجب لله عليهم لكونه
الها يجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها ام لم يعرفوا فان كثيرا من اعمال الحج تعبد محض ومنها
بناء الكلام على الابدال ليكون تثنية للمراد وتفصيلا بعد الاجمال وايرادا للغرض في صورتين تقريرا له في
الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ ما فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونظيره قوله من ترك صلوة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار الغنى وترك
الخطاب بذكر الله دون ان يقول فانه او فاني فانه يدل على غاية السخط والخذلان ومنها وضع المظهر مقام المضمر حيث
قال عن العالمين ولم يقل عنه لانه اذا كان غنيا عن كل العالمين فلان يكون غنيا عن طاعة ذلك الواحد اولى ومن العلماء
من زعم ان هذا الوعيد عام في حق كل من كفر ولا تعلق له بما قبله ومنهم من حمله على اعتقاد عدم وجوب
الحج ويؤكده ما روي عن سعيد بن المسيب انها نزلت في اليهود قالوا ان الحج الى مكة غير واجب وعن الضحاك
لما نزلت اية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والمجوس
والمشركين فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس فقالوا لا نؤمن
به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر ومن الاحاديث الواردة في تاكيد امر الحج قوله صلى الله عليه وسلم
حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه
اي يتعذر عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر لعدم الامن او غيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت
قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت اي هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا
ما نوظروا اي يعجل عقوبتهم ويستاصلوا ثم انه سبحانه لام اهل الكتاب في الخطاب فقال قل يا اهل الكتاب لم
تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد بعد ظهور البينات ودحوض الشبهات او بعد موته فضيلة
الكعبة ووجوب الحج والله شهيد على ما تعملون فيجازيكم عليه وهذه الحال توجب ان لا يجسروا على الكفر
باياته وبدلالتها على نبوة محمد ثم انه لما انكر عليهم في ضلالهم وبخهم على اضلالهم فقال لم تصدون عن سبيل
الله من آمن قال المفسرون وكان صدهم عن سبيل الله القاء الشكوك والشبهات في قلوب ضعفة المسلمين وانكار
نعت محمد في كتابهم ومنع من اراد الدخول في الاسلام بجهدهم وكذبهم او بتذكير ما كان بينهم في الجاهلية من
العداوات والحروب ليعودوا الى مثله ومحل تبغونها عوجا اي اعوجاجا نصب على الحال او بدل وهو بكسر العين
الميل عن الاستواء في كل ما لا يرى كالدين والقول واما الشيء الذي يرى فيقال فيه عوج بالفتح كالحائط والقناة ولهذا
قال الزجاج العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان ويبغون بمعنى تطلبون وتقتصر على مفعول واحد اذا لم

اسم م

والصابئين م

يكن معها اللام مثل بغيت المال والاجر فان اريد تعديته الى مفعول ثان زيدت اللام فالتقدير تبغون لها عوجا كما تقول
صدتك ظبيا اي صدت لك ظبيا والضمير عائد الى السبيل وانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى
توهموهم ان فيها ميلا كقولكم ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد وان محمدا ليس بذلك المنعوت
في كتابنا او المراد تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم ويحتمل
ان يكون عوجا حالا بمعنى ذا عوج وذلك انهم كانوا يدعون انهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون في سبيل الله
ضالين وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل قاله ابن عباس او انتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم او انتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم الامور يعني الاحبار
وفيه ان من كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والضلال ثم اوعدهم بقوله وما الله بغافل عما
تعملون كقول السيد لعبده وقد انكر طريقته لا تخفى علي سيرتك ولست بغافل عنك وانما ختم الآية الاولى بقوله
والله شهيد وهذه بقوله وما الله بغافل لان ذلك فيما اظهروه من الكفر بنبوة محمد وهذا فيما اضمروه وهو الصد
بالاحتيال والقاء الشبه وفي تكرير الخطاب في الآيتين بقوله يا اهل الكتاب توبيخ لهم على توبيخ بالطف الوجوه وابين
المقال لعلهم يتفكرون فينصرفون عن سلوك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة ويروى عن زيد بن اسلم وجابر ايضا
ان شاس بن قيس اليهودي كان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس والخزرج
في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما
لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج
وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتناز
عوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة
من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئت والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد
فعلنا السلاح موعدكم الظاهرة وهي حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي
كانوا عليها في الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم
بعد ايمانكم كافرين الآيات فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقراها ورفع صوته فلما سمعوا
صوته انصتوا له وجعلوا يستمعون فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفي رواية زيد
ابن اسلم خرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه
كفارا فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا
ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فانزل الله عز وجل الآيات قال جابر بن
عبد الله ما كان من طالع اكره الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاومى الينا بيده فكففنا واصلح الله ما بيننا
فما كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رايت يوما اقبح ولا اوحش اولا واحسن
آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون استفهام بطريق الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر
والحال ان آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول غضة في كل واقعة وبين اظهركم رسول الله يبين لكم كل
شبهة ويزيح عنكم كل علة ومع هذين الموجبين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا اثر فعليكم ان لا تلتفتوا الى قول
المخالف وترجعوا في كل ما يعن لكم الى الكتاب والنبي قلت اما الكتاب فانه باق على وجه الدهر واما النبي فان كان
قد مضى الى رحمة الله في الظاهر ولكن نور سره باق بين المؤمنين فكانه باق على ان عترته وورثته يقومون مقامه
بحسب الظاهر ايضا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله
وعترتي وقال ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا من زمرتهم بعصمتك وهدايتك وفي هذا اشارة الى عظمة هذه الامة
انهم لا يضلون ابدا الى يوم القيمة ثم بين ان الكل بعصمة الله وتوفيقه فقال ومن يعتصم بالله يتمسك بدينه او يلتجي
اليه في دفع شرور الكفار فقد هدي الى صراط مستقيم والاعتصام الاستمساك بالشيء في منع نفسه من الوقوع

في انه اما المعتزلة فحيث لم يجعلوا الاعتصام بخلق الله وهدايته بل قالوا انه بفعل العبد تأولوا الاية بان المراد با
لهداية الزيادة في الالطاف المرتبة على اداء الطاعات او المراد الهداية الى الجنة قال في الكشاف فقد هدي
اي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كأن الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا
ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده **التأويل**
لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا احب الاشياء اليكم وهو انفسكم ان الفراش لا يبالي عن بث الشمع ومن
شعلته حتى انفق ما احبه وهو نفسه كل الطعام كان حلا الخلق ثلثة اصناف الملك النوراني العلوي وغذاؤه الذكر
وخلق للعبادة والحيوان الظلماني السفلي وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان المركب من الفيلين وغذاؤه
لروحانيته الذكر ولجسمانيته الطعام وخلق للمعرفة والخلافة وهذا الصنف على ثلثة اقسام منهم ظالم لنفسه وهو
الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر في غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت نفسه اولئك كالانعام بل هم اضل
ومنهم مقتصد وهو الذي تساوى طرفاه خلطوا عملا صالحا واخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي بالغ في
غذاء روحانيته وهو الذكر وفرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه وقوي روحه اولئك هم خير البرية
فكان كل الطعام حلالا للانسان كما للحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحيوة
القلب واستيلاء الروح من قبل ان تنزل الوحي والالهام كاهل المجاهدات تورث المشاهدات والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا فمن افترى على الله الكذب بان يريد ان يهتدي الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله في
قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا فاتبعوا ملة ابراهيم وكانت ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان
وتسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يتخذون مع الله خليلا اخر ان اول بيت وضع للناس لا لله لانه
غني عن العالمين وان انموذج بيت الله وهو العالم الصغير القلب الذي وضع للذي ببكة صدر الانسان مباركا
عليه وهدى يهتدي به جميع اجزاء وجوده الى الله بجوده فان النور الالهي اذا وقع في القلب انفسح له وانشرح فبه يسمع
وبه يبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن فيه ايات بينات يصل اليها الطالب الى
المطلوب والقاصد الى مقصوده منها مقام ابراهيم وهو الخلة التي يصل الخليل الى خليله ومن دخله يعني مقام ابراهيم
ببذل المال والنفس والولد رضا لخليله انه كان امنا من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم اخبر عن وجوب زيارة
بيت الخليل على الخليل ان استطاع اليه السبيل وذلك بان وجد شرائط السلوك وامكانه واداب السير اليها كان
منها الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن الطيبات والمالوفات والتطهير عن الاخلاق الذميمة ومنها
والتوجه الى فاطر الارض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف
على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والالتجاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية
السبعية بالاطواف السبعة حول كعبة الربوبية ومنها السعي من صفاء الصفات ومروة الذات ومنها
الحلق بمحو اثار العبودية بموسى الانوار الالهية وقس سائر المناسك على هذا ومن كفر بوجدان الحق ولم يتعرض
لنفحات الالطاف ولم يترقب لجذبات الالطاف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة في الحقيقة فان الله غني
عن العالمين لا يستكمل بهم وانما يستكملون هم منه قل يا اهل الكتاب ظاهر الخطاب معهم وباطنه مع علماء السوء الذين
يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما العصمة عن اتباع الهدى الا منه حسبي الله ونعم الوكيل

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ

إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا
تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ
فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ
يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ
لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ

القراءة حق تقاته بالامالة علي ولا تفرقوا بتشديد التاء البزي وابن فليح **الوقوف** مسلمون ولا تفرقوا ط
لعطف المتفقتين اخوانا لاحتمال الواو للحال والاستيناف منها تهتدون المنكر ط للعدول المفلحون البينات ط عظيم ه
لتعلق الظرف بلهم على الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود وجوه اسودت وجوههم لان التقدير فيقال لهم
اكفرتم تكفرون في رحمة الله خالدون بالحق العالمين ما في الارض الامور وتؤمنون بالله خيرا لهم الفاسقون
قيل لا وقف عليه وعليه وقف لان المعرف لا يتصف بالجملة الا اذى الادبار لان ثم لترتيب الاخبار اي ثم هم لا ينصرون
ولو كان عطفا لكان ثم لا ينصروا لا ينصرون **التفسير** انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار امرهم في هذه
الايات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فاولها لزوم سبيل التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته وهو ان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى او هو القيام بالواجب
كلها والاجتناب عن المحارم باسرها وان لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او الوالدين
والاقربين شق ذلك على المسلمين فنزل فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور على انها غير منسوخة لان معنى حق تقاته
واجب تقواه وكما يجب ان يتقى وهو ان يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز ان ينسخ والا كان اباحة لبعض المعاصي
ولا يجوز ان يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالصادر على سبيل الخطاء والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها تعالى هذا الفريق فرق بين الاتقاء ولناصر القول الاول ان يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون
كمال قهره وقدرته وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء اذا كان كذلك فيجوز ان يؤمر
بالاتقاء والاخف والاغلظ ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخف وتنزل هذه الاية بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع
ولا تموتن الا وانتم مسلمون ليس نهيا عن الموت وانما هو نهي عن ان يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر في البقرة
مثله ثم انه تعالى امرهم بما هو كالاصل لجميع الخيرات واصلاح المعاد والمعاش وهو الاجتماع على التمسك بدين الله واتفاق
الاراء على اعلاء كلمته فقال واعتصموا بحبل الله جميعا حال كونهم مجتمعين وقد لم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون
تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بعنايته بامتثال المتدلي عن مكان مرتفع بحبل وثيق وياس من انقطاعه لان وجه الشبه

وصف عن حقيقي ومنتزع من عدة امور ويجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه بالعهد بناء على ان في الكلام ترشيحا ويجوز ان يفرض الاستعارة في الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان طريق الحق دقيق والسالك عليه غير مأمون ان يزل قدمه عن الجادة فيراد بالحبل ههنا ما يتوسل به الى الثبات على الحق وان كانت عبارات المفسرين مختلفة فعن ابن عباس هو العهد كما يجي الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القرآن كما روي عن علي ابن ابي طالب عليه السلام انه قال اما انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروي ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن حبل الله وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وقيل انه دين الله وقيل انه طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة لقوله تعالى عقيب ذلك ولا تفرقوا لان الحق لا يكون الا واحدا وماذا بعد الحق الا الضلال ويد الله مع الجماعة قال صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحد فقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة ويروى السواد الاعظم ويروى ما انا عليه واصحابي وقال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع امتي على الضلالة وقد تمسك بالآية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية ان احتيج فيها الى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بحجية القياس لكل احد يوجب التفرق والاختلاف وهو منهي عنه واجيب بان الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته عليهم وذلك انهم كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فالف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا في الله متراحمين متناصحين وذلك ان من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو عن معاداة ومنافسات ومنافسة بسبب الاعراض الدنيوية اما العارف الناظر من الحق الى الخلق فانه يرى الكل اسيرا في قبضة القضاء فلا يعادي احدا البتة لانه مستبصر بسر الله في القدر فاذا امر امرا برفق ناصح لا بعنف معير وكان ناصحه لحب الله ونظر آية في الدين ورفقائه في طلب اليقين اشد من حب الوالد لولده فكانوا كالاخوين والاخوان بل كجسد واحد وكنفس واحد وقيل يريد الاخوان في النسب وذكر ان الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام وبينهما العداوة والحروب وبقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله تذكرهم الله تعالى تلك النعمة وفيه دليل على ان المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام انما حصلت من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبي ان ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف لا بخلق الفعل واجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص احد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لا بد ان يكون لامر زائد على ما ذكرتم هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ومنه يقال اشفى على الشيء اذا اشرف عليه كانه بلغ شفاه اي حده منها وطرفه وانقذه واستنقذه خلصه ونجاه والضمير في منها للحفرة او للنار او للشفا الا انه في معنى الشفة واما لاضافته الى الحفرة وهو بعضها كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم قال بعضهم الشفة احقر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال ولذلك قال نوح ليس بي ضلالة حين قال له قومه انا لنريك في ضلال مبين اي ليس بي صغير من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الآية ان كنتم مشرفين بكفركم على جهنم تشبيها لها بالحفرة التي فيها النار وتمثيلا لحياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحياة فانها وان طالت كانه ليس بين الحياة والموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا ما بين طرفي الشيء وبين ذلك الشيء قالت المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الالطاف حتى امنوا قال اهل السنة جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذي انقذ نفسه من النار لكن الآية دلت على ان الله تعالى هو المنقذ فعلم ان خالق افعال العباد هو الله تعالى مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى او لتكونوا على رجاء هدايته فالاول قول المعتزلة والثاني لاهل السنة وقد مر في اوائل سورة البقرة وقد قرب

المؤمنين الكاملين ليزدادوا هدى فقال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي والكف عما لا ينبغي من محرماته ومكروهاته فلا جرم اتبعه النوعين زيادة في البيان فقال ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واختلفوا في ان كلمة من في قوله منكم للتبيين او للتبعيض فذهب طائفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه وكيف لا وقد وصفهم الله تعالى بذلك في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك لفلان من اولاده جند وللامير من غلمانه عسكر تريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا انه متى قام به بعض سقط عن الباقين كسائر فروض الكفايات وقال الاخرون انها للتبعيض اما لان في القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنساء والمرضى والعاجزين واما لان هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر في اقامتها فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا تماديا او ليما قد اجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا بالحقيقة ايجابا على البعض الذي يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب واعلم ان الامر بالمعروف والنهي على ثلاثة اضرب احدها يتعلق بحقوق الله تعالى وهو نوعان احدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث تجتمع شرائطها فان كانوا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا يامرهم بما لا يجوزه ولا ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم ويامرهم بصلاة العيد والثاني ما يؤمر به الافراد كما اذا اخر بعض الناس الصلاة عن الوقت فان قال نسيتها حثه على المراقبة ولا يعترض على من اخرها والوقت باق وثانيها ما يتعلق بحقوق الادميين وينقسم الى عام كالبلد اذا تعطل شربه او انهدم سوره او طرقه ابناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم فان كان في بيت المال مال لم يؤمر بذلك وان لم يكن امر ذوو المكنة برعايتها والى خاص كمطل الديون الموسر بالدين فالمحتسب يامره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحبس وثالثها الحقوق المشتركة كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء احكام العدد واخذ السادة بحقوق الارقاء وارباب البهائم بتعهدها وان لا يستعملوها فيما لا يطيق ومن تغيير هيئات العبادات كالجهر في الصلاة السرية وبالعكس او يزيد في الاذان فينكر عليه ومن تصدى للتدريس والوعظ وهو ليس من اهله ولم يؤمن اغترار الناس به في تاويل او تحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر امره لئلا يغتر به واذا راى رجلا واقفا مع امراة في شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان في طريق خال فهو موضع ريبة فينكر المحتسب عليه ويظهر امره ويقول ان كانت ذا محرم فصنها عن مواضع الريب وان كانت اجنبية فخف الله من الخلوة ولا ينكر في حقوق الادميين كتعدي الجار في جدار الجار الا باستعداء صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلاة من ائمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم وقصروا في النظر على الخصومات والسوق المختص بمعاملة النساء يختبر امانته فان ظهر منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فلينشط الداعي الى الخير في حال مكلف وغير مكلف حتى الصبيان لئلا ينشؤا والمجانين كيلا يضروا ويدعوه الى ما يليق به مندرجا من الاسهل الى الاصعب في الامر والانكار وكل ذلك ايمانا واحتسابا لا سمعة ولا رياء ولا لغرض من الاغراض النفسانية والجسمانية ولذلك كانت هذه الدعوة منصب النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاء الراشدين بعده ومن هنا ذهب الضحاك الى ان المراد من المذكورين في هذه الآية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي عليه السلام افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له ثم قال تعالى واولئك هم افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر المفلحون اي الاخصاء بالفلاح مدحا لهم وقد يتمسك بهذا في ان الفاسق ليس له ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر لانه ليس من اهل الفلاح واجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر

ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد اصلاح احوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق من يرتي بامراة ان يامر عليها بالمعروف في انها كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهي وانكار المنهي واجبان على الفاسق فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الاخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق في هذه القضية ما قيل وغير تقي يامر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو مريض والقران نعى عليه لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقد سلف تقريره في البقرة وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قرا الم ازل الم اصل الم اصم الم افعل كذا وكذا فاجيب بلى يا عدو الله ولكن انك اذا خلوت بارزتني بالمعاصي ولم تراقبني قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا في النظم وجهان احدهما انه تعالى ذكر في الايات المتقدمة انه بين في التوراة والانجيل ما يدل على صحة دين الاسلام ثم ان اهل الكتاب حسدوا فاحتالوا لالقاء الشكوك في تلك النصوص انجر الكلام الى انه امر المومنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام بتحذير المومنين من مثل فعل اهل الكتاب من القاء الشبهات في النصوص والاستخراج التاويلات الفاسدة فعلى هذا يكون الاية من تتمة الايات المتقدمة وثانيهما انه لما امر الامة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان ذلك مما لا يتم الا بالقدرة على تنفيذه كيف وفي الناس ظلمة وتغلب فلا جرم حذر اهل الحق ان يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام لذلك التكليف وعلى هذا يكون الاية من تتمة الاية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا مؤداهما واحد والتكرير للتاكيد وقيل معناهما مختلف تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين او تفرقوا بسبب التاويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان كل منهم نصب لنفسه او تفرقوا بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا في بلد واختلفوا بان صار كل منهم يدعي انه على الحق وصاحبه على الباطل واقول ان اكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسال الله العصمة والسداد واولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات الدلالات الواضحة والنصوص الظاهرة واولئك الذين اقتفوا اثارهم من مبتدعة هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وفي تعلق الظرف بقوله لهم فائدتان احدهما ان ذلك العذاب في هذا اليوم والاخرى ان من حكم هذا اليوم ان تبيض بعض الوجوه وتسود بعض الوجوه ونظير ذلك في القران وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وفي امثال هذه الالوان للمفسرين قولان احدهما وهو قول ابي مسلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ولما سلم الحسن الامر لمعاوية قال له رجل يا مسود وجه المومنين وتمام الخبر سوف يجيء ان شاء الله تعالى في تفسير سورة القدر ولبعض الشعراء في الشيب يا بياض القرون سودت وجهي عند بيض الوجوه سود القرون وثانيهما ان السواد والبياض محمولان على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل في الاطلاق الحقيقة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكمده واسودت صحيفته واحاطت به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة في ذلك ان يعرف اهل الموقف كل صنف فيعظمونهم ويصغرونهم بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجته وسروره او ويله وثبوره وايضا اذا عرف المكلف في الدنيا يحصل له في الاخرة احد الحالتين ازدادت رغبته في الطاعات وترك المحرمات قلت والتحقيق فيه ان الهيات والاخلاق الحميدة انوار والملكات والعادات الذميمة ظلمات وكل منها لا يظهر اثارها كما هي الا بعد المفارقة الى الاخرة انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واحتج اهل السنة بالاية على ان المكلف اما مومن واما كافر فانه ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لانه قسم اهل القيمة الى قسمين مبيضي الوجوه وهم المومنون ومسودة وهم الكافرون لقوله تعالى في اخر الاية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واعترض القاضي عليه بان عدم ذكر القسم الثالث لا يدل على عدمه وايضا لفظ وجوه نكرة فلا يفيد العموم وايضا المذكور في الاية هم المومنون والذين كفروا بعد الايمان ولا شبهة ان الكافر الاصلي من اهل النار مع انه غير داخل تحت هذين القسمين فكذا القول في الفساق والجواب

لا يجوز ان يكون المراد ان كل احد اسلم وقت استخراج الذرية من صلب ادم فيكون الخطاب لجميع الكفار وايضا انه جعل موجب العذاب في اخر الاية هو الكفر من حيث انه كفر لا الكفر من حيث انه بعد الايمان فان قيل لم قدم البياض على السواد اولا وعكس اخرا فالجواب بعد تسليم افادة الواو الترتيب انه بدا بذكر اهل الثواب وختم بهم ايضا تنبيها على ان ارادة الرحمة اكثر من ارادة الغضب كما قال سبقت رحمتي غضبي ولا يخفى ما في ذلك من رعاية حسن المطلع والمقطع وانه فن بديع في الفصاحة ومن المراد بهولاء الذين كفروا بعد ايمانهم قال ابي بن كعب هم جميع الكفار لانهم امنوا وقت الميثاق ورواه الواحدي في البسيط باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد الكفر ثم بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو ما نصبه الله من دلائل التوحيد والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج انهم اهل الكتاب امنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكفروا به بعد بعثته وقال قتادة انهم المرتدون وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ولما راى ابو امامة رؤسا منصوبة على درج مسجد دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هولاء شر قتلى تحت اديم السما وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هولاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برايك ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلاثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الاية ثم اخذ بيده فقال بارض كذا منهم كثير اعاذك الله منهم هذا ما اخرجه الامام ابو عيسى الترمذي في جامعه ولكن المشهور من مذهب اهل السنة ان الخروج على الامام لا يوجب الكفر البتة والاستفهام في قوله اكفرتم بمعنى الانكار وقال القاضي وفيه وكذا في قوله بما كنتم تكفرون دليل على ان الكفر منهم لا من الله وقالت المرجئة فيها دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافر واما قوله ففي رحمة الله فالمراد بها الجنة التي هي محل الرحمة وموقع قوله هم فيها خالدون موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك اي لا يظعنون عنها ولا يموتون وفي اقامة الرحمة مقام الجنة دليل على ان العبد وان كثرت طاعته لا يدخل الجنة الا بفضل الله وبرحمته وفي اضافة الرحمة الى نفسه وتعليل العذاب بكفرهم والنص على خلود الثواب دون اهل النار وان كانوا مخلدين ايضا دلائل واشارات الى ان جانب العفو والمغفرة والرحمة مغلب وكيف لا وقد اردفه بقوله تلك الاحكام التي وردت في حقي الوعيد والوعد وانقضى ذكرها ايات الله ذكرها عليك ملتبسة بالحق العدل من جزاء المحسن باحسانه وجزاء المسيء باساءته او ملتبسة بالمعنى الحق لان معنى المتلو حق وما الله يريد ظلما للعالمين ولكن مصالح الخلق لا تنتظم الا بتهديد المذنبين واذا حصل التهديد فلا بد من التحقيق دفعا للكذب ممن هو اصدق القائلين قال الجبائي قوله ظلما نكرة في سياق النفي فوجب ان لا يريد شيئا ان يكون ظلما سواء فرض منه او من العبد على نفسه او على غيره واذا لم يرده لم يفعله اذ لو كان فاعلا بشيء من الاقسام الثلاثة كان مريدا له فثبت بهذه الاية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد اذ من جملتها القبائح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح ذلك منه وفعل ذلك الشيء وصح منه كونه مريدا له فدلت الاية انه قادر على الظلم وعلى ان يمنع الظلمة من الظلم على سبيل الالجاء والقهر فلهذا قال ولله ما في السموات وما في الارض وايضا لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبائح استدل الاية بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل او العجز والحاجة وكل ذلك على الله محال لانه مالك لكل من في السموات وما في الارض بل لكل ما في الوجود ربما يقال معنى الاية اما ان يكون انه لا يريد ان يظلمهم او انه لا يريد ان يظلم بعضهم بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى لو عذب البري من الذنب اشد العذاب لم يكن ظالما بل كان عادلا لان الظلم تصرف في ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف في ملك نفسه فتصور الظلم منه محال عندكم فلا يلزم منه مدح والثاني ايضا محال على قولكم لان كل ذلك بارادة الله وتكوينه عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الاية على وجه صحيح في مذهبكم اجاب اهل السنة من وجهين الاول انه لا يتوقف التمدح بنفي صفة على امكان تصور ذلك الشيء منه بدليل قوله لا تاخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم ولم يتوقف التمدح بذلك على صحة النوم والاكل عليه الثاني انه تعالى ان عذب من ليس بمستحق العذاب لم يكن ظالما لكنه في صورة الظالم وقد يطلق اسم احد المتشابهين على الاخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والحق في هذا المقام ان الظلم وضع الشيء في غير

موضعه وإذا كان اللطف والقهر من ضروريات صفات الكمال موضع كل منهما في مظهره يكون وضع الشيء في
موضعه وإذا كان اللطف والقهر فلا يكون ظلمًا واحتجت الأشاعرة بقوله ولله ما في السموات وما في الأرض على
أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لأنها من جملة ما في السموات وما في الأرض أجابت المعتزلة بأن قوله لله إضافة
ملك لا إضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد أنه مملوكه لا أنه مفعول له وأيضًا الآية مسوقة في معرض المدح
ولا مدح في نسبة الفواحش والقبائح إلى نفسه وأيضًا قوله له ما في السموات وما في الأرض تبينًا ولما كان ظرفًا
لهما وذلك من صفات الأجسام لا من صفات الأفعال التي هي من أعراض وعورض بأن الإضافة إضافة فعل لأن
المؤثر في حصول فعل العبد هو مجموع القدرة الداعية المنتهية إلى تخليق الله تعالى دفعًا للتسلسل أو للترجح من
غير مرجح تمت الحكاية تقديم السموات في الذكر على الأرض دليل على أن جميع الأحوال الأرضية مستندة إلى الأسباب
السماوية ولا شك أن الأحوال السماوية مستندة إلى خلقه وتكوينه فيكون الكل أيضًا لأنها منا من هذا الوجه وإلى
الله إلى حيث لا مالك سواه ترجع الأمور فالأول إشارة إلى أنه مبدأ المخلوقات كلها وهذا الثاني إلى أن معاد الكل
إليه قوله عز وجل كنتم خير أمة في النظم وجهان أحدهما أنه لما أمر المؤمنين بما أمر ونهاهم عما نهى عدل إلى طريق آخر
يقتضي حملهم على الانقياد والطاعة لأن قوله خير الأمم مما يقوي داعيتهم في أن لا يبطلوا على أنفسهم هذه المزية وذلك
إنما يكون بالتزام التكاليف الشرعية وثانيهما أنه لما ذكر حال الأشقياء وحال السعداء بقوله كنتم خير أمة أي تلك
الكرامات والسعادات إنما فازوا بها في الآخرة لأنهم كانوا في الدنيا خير أمة وأنزل لما انجر الكلام في مخاطبة المؤمنين
إلى بيان أن كل ما في الوجود ملكه وملكه ابتداعًا واختراعًا وأن منتهى الكل إليه أتبع ذلك من أن هذه الأمة ليعلم
أنها بسابقة العناية الأزلية إذ جعلهم مظهر الألطاف وذكر بعضهم رذيلة أهل الكتاب ليعرف أنها أوقعهم
في طريق القهر ولا اعتراض لأحد على ما يفعله المالك في ملكه عن عكرمة ومقاتل أن مالك ابن الصيف ووهب
بن يهوذا اليهوديين قالا لابن مسعود وأبي ابن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة أن ديننا خير مما تدعوننا
إليه ونحن خير وأفضل منكم فأنزل الله هذه الآية قال بعض المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير أمة على
الحال أي وجدتم خير أمة والأكثرون على أنها ناقصة فجاء إيهام أنهم كانوا موصوفين بالخيرية في
الزمان الماضي دون ما يستقبل فأجيب بأن كان لا يدل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ بدليل قوله تعالى
وكان الله غفورًا رحيمًا وقيل المراد كنتم في علم الله أو في اللوح المحفوظ خير أمة أو كنتم في الأمم قبلكم
مذكورين بأنكم خير أمة كقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل وقال أبو مسلم هذا تابع لقوله فأما
الذين ابيضت وجوههم وما بينهما اعتراض والتقدير أنهم يقال لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم خير
أمة فلهذا نلتم من الرحمة وبياض الوجه ما نلتم قال بعضهم لو شاء الله لقال أنتم فكان هذا التشريف حاصلًا للكل
ولكنه مخصوص لقوم معينين من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهم السابقون الأولون ومن صنع مثل
صنيعهم وقيل إنها زائدة والمعنى أنتم خير أمة ورد بعضه ابن الأنباري بأن الزائدة لا يقع في أول الكلام ولا يعمل
كقول العرب عبد الله كان قائم وعبد الله قائم كانوا يقولون لأن الزيادة بها دليل مسألة العناية والملغى لا يكون
في محل العناية وقيل إنها بمعنى صار أي صرتم خير أمة وأصل الأمة الطائفة المجتمعة على الشيء الواحد فأمة
محمد هي الطائفة الموصوفة بالإيمان والإقرار بنبوته وإذا أطلقت الأمة في عرف العلماء اختصت الأمة وقعت
عليهم وقد يقال لكل من جمعتهم دعوته أنهم أمة الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الأمة إلا بهذا القيد قال الزجاج
ظاهر الخطاب في كنتم مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في حق كل الأمة ونظيره كتب عليكم
القصاص وقوله للناس إما أن يتعلق بأخرجت والمعنى كنتم خير أمم المخرجة للناس في جميع الأعصار ومعنى
أخرجها أنها أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها وإما أن يتعلق بكنتم أي كنتم للناس
خير أمة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستئناف بقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون
بالله كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالآية على أن إجماع هذه الأمة حجة
لأنها لو لم تحكم بالحق لم يكن خيرًا من المبطل ولأن اللام في المعروف وفي المنكر للاستغراق فيقتضي كونهم آمرين بكل

معروف

معروف وناهين عن كل منكر فيكون إجماعهم حقًا وأما أنه من أي وجه يقتضي ذلك كون هذه الأمة خير الأمم مع
أن الصفات الثلاثة كانت حاصلة لسائر الأمم فذلك أن الأمر بالمعروف قد يكون بالقلب واللسان وباليد وأقواها
ما يكون بالقتال لأنه إلقاء النفس في خطر القتل وأعرف المعروفات الدين الحق والإيمان بالتوحيد والنبوة وأنكر
المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملًا لأعظم المضار لغرض إيصال الغير إلى أعظم المنافع وتخليصه من
أعظم المضار ولما كان ذلك أمر الجهاد في شرعنا أقوى منه في سائر الشرائع أتاني السيف أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا إله إلا الله فلا جرم صار ذلك موجبًا لفضل هذه الأمة على سائر الأمم وهذا معنى ما روي عن ابن عباس
في تفسير قوله كنتم خير أمة تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقروا بما أنزل الله وتقاتلونهم عليه ولا إله إلا
الله أعظم المعروف والتكذيب أنكر المنكر وفائدة القتال على الدين لا ينكره منصف فإن أكثر الناس يحبون ما ألفوه من الأديان
الباطلة ولا يتأملون في الدلائل التي تورد عليهم فإذا خوف بالقتل دخل في دين الحق كرهًا إلى أن يألفه متدرجًا وأما الإيمان
بالله فلا شك أنه في هذه الأمة أكمل لأنهم آمنوا بكل ما يجب الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو ثواب
أو عقاب إلى غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وإنما اقتصر في وصف الأمة على الإيمان بالله لأنه يستلزم
الإيمان بالنبوة وبسائر ما عددنا وإلا لم يكن في الحقيقة إيمانًا ولهذا نفى عن أهل الكتاب في قوله ولو آمن أهل الكتاب
وإنما قدم الأمر بالمعروف على الإيمان بالله في الذكر مع أن الإيمان مقدم على كل الطاعات لأن الآية سيقت لبيان فضل
الأمر بالمعروف وتأكيد القيام به ولهذا كرر بعد قوله ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف فكانت العناية
أشد وكان تقديمه أهم وليعلم أن التكميل أفضل من الكمال نفسه ولهذا استلزم الأول الثاني دون العكس ولأن
التكميل يتضمن الكمال فكان في تأخير الإيمان بالله تكرير له مرة بالتضمن وأخرى بالمطابقة على أن الواو لا يفيد الترتيب
وأيضًا أراد أن يبني عليه قوله ولو آمن وفي التفسير الكبير أن أصل الإيمان مشترك فيه بين الأديان فلا يتبين فيه
الخيرية لكن الآية سيقت لبيان الخيرية وليس ذلك إلا أن هذه الأمة أقوى في باب الأمر بالمعروف فلهذا قدم ثم أتبع
ذكر الإيمان بالله ليعلم أن شرط تأثير الأمر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى أن هذا الجواب مبني على أن هذا الإيمان
لا يزيد ولا ينقص وعلى أن ذلك إيمان أهل الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا قال تعالى ولو آمن أهل الكتاب يعني إيمانًا
معتبرًا وهو الإيمان بالله وبسائر ما لا بد منه من الأمور المعدودة لكان خيرًا لهم لحصلت لهم صفة الخيرية أيضًا انتظامًا
في زمرة هذه الأمة أو لحصلت لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا هذا الدين لأجله لأن الحامل
على هذا التقدير وعزة الإسلام مع الفوز بما وعد من إيتاء الأجر في الآخرة مرتين وعلى ما هم فيه ليس إلا الاستتباع
بعض الجهلة من العوام وشيء نزر من الرشى وبعد ذلك خلود في النار ثم فصل أهل الكتاب على سبيل الاستئناف فقال
منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشي وأصحابه فاللام للعهد السابق وأكثرهم الفاسقون الخارجون عن
طاعة الله تعالى وعن دينه ويقاربه الكفر أو يراد به أنهم لم يعدلوا في دينهم وإنما فيهم مردود دون باتفاق
الطوائف كلهم فلا ينبغي أن يقتدى بهم البتة ثم أخبر عن حالهم وكان كما قال فهو آية الإعجاز جملة مستأنفة
هي لن يضروكم إلا أذى الاستثناء الإيجاز أي إلا ضررًا بقول كطعن في الدين أو تهديد أو تحريف نص أو إلقاء شبهة
أو إظهار كلمة الكفر بإشراك عزير والمسيح والأذى مصدر كالأسى يقال آذاه يؤذيه أذى وإذاءة وأذية
والأذى نوع من الضر فيصح انتصابه به والتقدير لن يضروكم شيئًا من أنواع الضرر إلا ضررًا يسيرًا ومن هذا تبين أن
الاستثناء ليس بمنقطع على ما ظن وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار منهزمين ثم لا ينصرون وإنما لم يجزم بالعطف على
يولوكم لئلا يصير نفي النصر مقيدًا بمقاتلتهم بل يرتفع ليكون نفي النصر وعدًا مطلقًا ويكون هذه الجملة معطوفة
على جملة الشرط والجزاء كأنه قيل أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم بما يسركم أن النصر والقوة منتفية عنهم
رأسًا فلن يستقيم لهم أمر البتة ومعنى ثم إفادة التراخي في الرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أبدًا كانوا
أعظم من الإخبار بانهزامهم عند القتال فإن قيل هب أن اليهود كذلك لكن النصارى قد يوجد لهم قوة وشوكة في
ديارهم قلنا هذه الآيات مخصوصة باليهود وأسباب النزول تدل على ذلك وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير
وبني قينقاع وأهل خيبر ولعل المراد نفي النصرة عنهم بعد القتال ولم يوجد نصراني بهذه الحالة وفي الآية تشجيع للمؤمنين

وتثبيت لمن امن من اهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلاتهم وتخويفاتهم **التأويل** اتقوا الله حق تقاته لاهل العزائم وقوله
فاتقوا الله ما استطعتم لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله وبوجوده ولا تموتن الا وانتم مسلمون لا بتنفيه وجودكم
المجازي الا وقد سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستفدتم الوجود الحقيقي وهو البقاء بالله واعتصموا
اهل الاعتصام طائفتان اهل الصورة هم المتعلقون بالاسباب لانه يسر لهم الاعمال فقيل لهم اعتصموا بحبل الله وهو كل سبب يوصل
به الى الله من اعمال البر واهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب تمشي بهم الاحوال فقيل لهم واعتصموا بحبل الله هو مولكم
مقصودهم او ناصركم ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي الباطن وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة
وهي عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم لله ولانفسكم فانقذكم منها بالهداية والايمان وتاليف القلوب كذلك مثل ما بين ابائه للاوس
والخزرج حتى صارتا اخوانا يبين لكم ايها الطلاب اياته وهي الجذبة الالهية وتجلي صفات الربوبية ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال واولئك هم المفلحون من وعيد من يامر بالمعروف ولا ياتيه يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه لان الوجوه يحشر بلون القلوب كقوله يوم تبلى السرائر اي يجعل ما في الضماير على الظواهر اكفرتم بعد
ايمانكم هم ارباب الطلب السائرين الى الله انقطعوا في بادية النفس وانتعوا غزل الهوى وما تمدوا على اعقابهم القهقرى
فذوقوا العذاب لان الناس نيام لا يدرون الم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله فاذا ماتوا انتبهوا وذاقوا ففي رحمة الله
في الدنيا بالجمعية والوفاق مع اهل الله هم فيها خالدون في الاخرة ولانه يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات
عليه تلك الاحوال ايات الله مع خلاصة نتلوها عليك بالحق يظهرها على قلبك بالتحقيق وما الله يريد ظلما للعالمين
بان يضع السواد والبياض في غير موضعها كنتم خير امة اخرجت للناس من العدم الى الوجود مستعدة لقبول كمالية
الانسان من جملة الخيرية وتخفيف التكليف وضمان التضعيف ومنها عافية مطيعهم بشوم عصيانهم وعفو
لعصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها ان لانهم لعنة ونزلنا رحمة ومنها شكا الينا منهم الينا وشكونا اما
اليهم قبل وجودنا ولو امن اهل الكتاب يعني علماء السوء لن يضروكم ايها المحققين الا اذى من طريق الانكار والحسد
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار من صدق نياتكم ثم لا ينصرون لانكم اهل الحق وحزب الله وان حزب الله هم الغالبون

ضربت عليهم الذلة اين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب
على غضب وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله و
يقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من اهل الكتاب
امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم
الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك
من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث
قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون يا ايها الذين

امنوا

امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء
من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون
ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا امنا
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور
ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا
وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط

القراءة ويسارعون وبابه كسارعوا ونسارع بامالة قتيبة وابو عمرو وطريق ابن عبد ونشو ما يفعلوا
فلن يكفروه بالغيبة حمزة وعلي وخلف وحفص وذكر ومجتبى الباقون بتاء الخطاب تسؤهم وبابه من كل همزة مجزومة
بغير همز الاعشى واوقية والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف لا يضركم من الضير ابو عمرو وسهل ويعقوب
وابن كثير ونافع وقرأ المفضل لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوم ومتم محركا للساكنين
بالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة **الوقوف** المسكنة بغير حق يعتدون
ط لا وقف وعليه وقف لان الضمير ليسوا يعود الى ما يعود ضمير منهم المومنون لبيان الفصل بين الفريقين والذين عصوا
واعتدوا احد الفريقين سواء يسجدون قيل لا وقف على جعل يومنون حال الضمير يسجدون ولا يصح بل الايمان
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لهم مطلقة غير مختصة بحال السجود الخيرات الصالحين نكفروه بالمتقين شيئا
النار خالدون فاهلكته يظلمون خبالا ما عنتم لاحتمال كون قد بدت حالا اكبر تعقلون كله للعطف مع الحذف اي وهم
لا يومنون بكتابكم امنا قد قيل والوصل اوجه لان المقصود بيان تناقض حالهم في النفاق من الغيظ بغيظكم الصدور
تسؤهم لا ابتداء بشرط اخر والوصل اذ الغرض تقرير يفرحون بها لتنافي وصف الذم لهم والابتداء بشرط على المومنين شيئا
محيط **التفسير** هذا خبر اخر من مستقبلات احوال اليهود المعلومة بالوحي والمعنى ضربت عليهم الذلة فالهوان في عامة
الاحوال بالقتل والسبي والنهب اينما وجدوا الا معتصمين او متلبسين اي الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس
يعني ذمة الله وذمة المسلمين فانهما في حكم واحد اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة بقبول الجزية
فحينئذ يكون دمهم محقونا ومالهم مصونا وهو نوع من العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا
يكون الواو بمعنى او وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس ما يزيد الاسلام عليها او ينقص بالاجتهاد وانما
صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا تنفك عنهم وباؤوا بغضب من
الله قيل انه من قولك بوأته منزل كذا والمعنى مكثوا في غضب الله وسواء ذلك حل بهم الغضب وحلوا
بالغضب وضربت عليهم المسكنة عن الحسن او المراد بها الجزية وانما افردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم انها
باقية غير زائلة بعد اعتصامهم بالذمة وقال اخرون المراد انك لا ترى منهم ملكا ولا رئيسا مطاعا ولكنهم
مستخفون في جميع النواحي والاكناف يظهرون من انفسهم الفقر والدفعة البتة وباقي الاية قد مر تفسيره في
البقرة الا انه سبحانه قال في هذا الموضع من هذه السورة وفي النساء الانبياء بغير حق لان جمع التكسير يفيد التكثير
فذكر في الموضعين اعني في البقرة وفي اول السورة ما ينبئ عن القلة مع ان ذلك موافق لما بعده من جموع السلامة
كالذين والصابئين وغيرها ثم تدرج الى ما هو نص في الكثرة وفي الموضعين الاخيرين بغيا عليهم وتقطيعا لشانهم
ولمثل هذا عرف الحق في البقرة اشارة الى الحق الذي اذن الله ان تقتل النفس به وهو قوله ولا تقتلوا النفس التي

التي حرم الله الا بالحق ثم تكون في المواضع الباقية اي بغير ما حق اصلا لا في نفس الامر ولا بحسب معتقدهم وتدينهم ليسوا سواء الكلام تام وما بعده كلام مستانف للبيان قال الفراء وابن الانباري تقديره من اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة الا انه اضمر ذكر هذه القسم على مذهب العرب من الاكتفاء باحد الضدين لحضورهما بالبال معا غالبا قال ابو ذويب دعاني اليها القلب اني لامرها سميع فما ادري ارشد طلابها اما دعني فاكتفي بذكر الرشد عن ضده ويقول زيد وعبد الله لا يستويان زيد عاقل زكي دين ويغني هذا عن ان يقال وعبد الله ليس كذلك وقيل وهو اختيار ابي عبيدة ان امة مرفوعة بليس على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو بدل من الضمير على نحو واسروا النجوى الذين ظلموا والتقدير ليسوا سواء امة قائمة وامة مذمومة وفي تفسير اهل الكتاب قولان الاول وعليه الجمهور انهم اليهود والنصارى قال ابن عباس ومقاتل لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما امن بمحمد الا شرارنا ولو كانوا من خيارنا لما تركوا دين ابائهم وقالوا لهم قد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره فنزلت وعن عطاء انها نزلت في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الثاني انهم كل من امن من اهل الكتاب من اهل الاديان فعلى هذا يكون المسلمون منهم عن ابن مسعود قال اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلوة العشاء ثم خرج الى العشاء فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله في هذه الساعة غيركم وفي رواية فبشرنا فقال انه لا يصلي هذه الصلوة احد من اهل الكتاب فانزل الله هؤلاء الايات ليسوا سواء الى قوله والله عليم بالمتقين قال القفال رحمه الله تعالى لا يبعد ان يقال اولئك الحاضرون كانوا نفرا من مؤمني اهل الكتاب فقيل ليستوي ليس من اهل الكتاب هؤلاء الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فاقاموا صلوة العشاء في الساعة التي ينام فيها غيرهم من اهل الكتاب هؤلاء الذين لم يؤمنوا ولا يبعد ان يقال المراد كل من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم فسماهم الله اهل الكتاب كانه قيل اولئك الذين سموا انفسهم باهل الكتاب حالهم وصفتهم تلك الخصال الذميمة والمسلمون الذين سماهم الله تعالى اهل الكتاب حالهم وصفتهم كذا فكيف يستويان فيكون الغرض من هذه الاية تقرير فضيلة اهل الاسلام تاكيدا لما تقدم من قوله كنتم خير امة اخرجت كقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ثم انه تعالى مدح الامة المذكورة بصفات ثمان الاولى انها قائمة قيل اي في الصلوة وقيل ثابتة على التمسك بدين الحق ملازمة له غير مضطربة وقيل اي مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وههنا نكتة وهي ان الاية دلت على ان المسلم قائم بحق العبودية وقوله قائما بالقسط دل على ان المولى قائم بحق الربوبية وهذه حقيقة قوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم الصفة الثانية يتلون اي امة قائمة تالون ايات الله اناء الليل فالتلاوة القراءة واصل الكلمة الاتباع وكان التلاوة هي اتباع اللفظ وايات الله القران وقد يراد بها اصناف مخلوقاته الدالة على صانعها واناء الليل ساعاته واحدها اني مثل مساواني واني مثل نحي ونحا الصفة الثالثة وهم يسجدون يحتمل ان يكون حالا من يتلون كانهم يقرؤن القران في السجدة خشوعا الا ان ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الا اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا يأباه وان يكون كلاما مستقلا اي يقولون تارة ويسجدون تارة اخرى ويبتغون الفضل والرحمة بكل ما يمكن كقوله يبيتون لربهم سجدا وقياما قال الحسن يريح راسه بقدميه وقدميه براسه وذلك لاصالة النشاط والراحة ان يكون المراد وهم يصلون ويتهجدون والصلوة تسمى سجدة وركعة ويراد وهم يخضعون لله كقوله ولله يسجد من في السموات والارض وعلى هذين الاحتمالين لا مانع من كونه حالا الصفة الرابعة يؤمنون بالله واليوم الاخر فالصفات المتقدمة اشارة الى كمالهم في القوة العملية وهذه اشارة الى كمالهم بحسب القوة النظرية فان حاصل المعارف معرفة المبدا والمعاد ولا يخفى ان غير مؤمني اهل الكتاب ليسوا من القبيلتين في شيء بسبب تحريفاتهم واعتقاداتهم الفاسدة الخامسة والسادسة ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان اشارة الى انهم فوق التمام وذلك لسعيهم في تكميل الناقصين بارشادهم الى ما ينبغي ومنعهم عما لا ينبغي وفيه تعريض بالامة المذمومة انهم كانوا مداهنين وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل في جيرانه محببا محمودا عند اخوانه فقد علم انه مداهن الصفة السابعة ويسارعون في الخيرات اي المذكورات كلها وهي من صفات المدح لان المسارعة في الخير دليل فرط الرغبة

ثم

فيه حتى لا يفوت فيبقى النادم خيب افات وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال العجلة من الشيطان مخصوصة بغلبة الاية على انها لا تقيد كلية الحكم لان القضية اهملت اهمالا كيف والامور متفاوتة منها ما يجد فيه المتاخر لكونه ما يحصل على مهل وتدريج فلو طلب منه خلاف وصفه فات الغرض وضاع السعي اذ كونه غير معلومة العاقبة فيفتقر الى مزيد تدبر وتامل ومنها ما يعجل فيه التعجيل بضد ما قلنا فينتهز فيه الفرصة وتغتنم فان الفرص تمر مر السحاب قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك الصفة الثامنة واولئك من الصالحين ذلك ان الامور بخواتيمها والعاقبة غير معلومة الا في علم الله تعالى فاذا اخبر عنهم بانخراطهم في سلك الصالحين فذلك المقصود وقصارى المجهود ثم شرط للامة الموصوفة بل لجميع المكلفين ايصال الجزاء اليهم البتة تاكيدا لما اخبر عنهم بقوله واولئك من الصالحين فقال وما تفعلوا من خير فلن يكفروه اي لن تحرموا ثوابه ولن تمنعوه فضمن الكفران معنى الحرمان ولهذا عدي الى مفعولين وهو الاصل فيه التعدية الى واحد نحو شكر النعمة وكفرها وسمي منع الجزاء كفرا كما سمي ايضا الثواب شكرا في قوله فان الله شاكر عليم ثم ختم الكلام بقوله والله عليم بالمتقين مع انه عالم بكل الاشياء بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده بالكرامة الا اهل التقوى وتنبيها على ان الملتزم لهذا الامر هو معبود الحق القادر الغني الخبير الذي لا غاية لكرمه ولا نهاية لعلمه فما ظنك بمن هذا شانه ثم بين احوال اهل الشقاء بقوله ان الذين كفروا الاية وقد سبق تفسير مثله في سورة البقرة ثم انه لما بين ان اموال الكفار لا تغني عنهم امكن ان يخطر ببال احد ان الذين ينفقون منها في وجوه الخيرات لعلهم ينتفعون بذلك فازال ذلك الوهم بقوله مثل ما ينفقون الاية قال اكثر المفسرين واهل اللغة الصر البرد الشديد وهو منقول عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد وفي الصحاح الصر بالكسر برد يضرب النبات والحرث وعلى هذا فمعنى الاية كمثل ريح فيها برد وذلك ظاهر وحكى في الكشاف ان يكون الصر صفة معناه البارد فيكون موصوفه محذوفا بمعنى قرة فيها صر كما تقول برد بارد على المبالغة ان يقول في تجريده كما يقال رايت بك اسدا اي انت اسد وان ضيعني فلان ففي الله كاف وقيل الصر السموم الحارة وروى ابن الانباري باسناده عن ابن عباس فيها صر قال فيها نار وعلى جميع الاقوال الغرض من التشبيه حاصل وسواء كان من برد اهلكها او حر محرقا فانه يصير مبطلا للحرث فيصح التشبيه وهذا من التشبيه المركب الذي مر ذكره في اول سورة البقرة ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث والمراد ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون بها وجه الله ولهذا ابتدأه بقوله في هذه الحيوة الدنيا فتشبيه ذلك بالزرع الذي حسبه البرد فصار حطاما وقيل ما ينفقون يعني ابا سفيان واصحابه من سفلة اليهود المنفقين على احبارهم في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي جميع العساكر عليه وفي كونه مبطلا لما اتوا به قبل ذلك من اعمال البر كمثل ريح فيها صر كونه مبطلا للحرث والظاهر ان الضمير في ينفقون عائد الى جميع الكفار وذلك ان انفاقهم اما ان يكون لمنافع الدنيا فلا يبقى له اثر في الاخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر واما ان يكون لمنافع الاخرة فالكفر مانع عن الانتفاع ولعلهم كانوا ينفقون في الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والارامل راجين خيرا كثيرا في المعاد لكنهم اذ اقدموا الاخرة واكفرهم مبطل لاثار تلك الخيرات فكان كمن زرع وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابه جائحة فلا يبقى معه الا الحزن والاسف ولعلهم كانوا ينفقون فيما ظنوه خيرا وهو معصية كانفاق الاموال في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفي تخريب ديار المسلمين وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر عليهم واظهر الله الاسلام واعز اهله فلم يبق مع الكفار من ذلك الانفاق الا الحيرة والحسرة وقيل المراد بالانفاق ههنا هو جميع اعمالهم التي يرجون الانتفاع بها في الاخرة كقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل والمراد جميع الانتفاعات اما فائدة قوله ظلموا انفسهم وعدم الاقتصار على قوله اصابت حرث قوم فهي ان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه اثر ولا عثر وحرث المسلم المطيع ليس كذلك لانه اذا اصابته جائحة في الدنيا فلا بد ان يجبرا في الاخرة فان المسلم مثاب على كل الم يصيبه حتى الشوكة يشاكها اما الذين عصوا فاستحقوا اهلاك حرثهم عقوبة لهم هو الذي لا يتصور منه بعد الاهلاك نفع فائدة اصلا ويحتمل

ان يراد بالظلم هيهنا وضع الزرع في غير موضعه فان من زرع لا في موضعه وفي غير اوانه ثم اصابته الآفة كان اولى
بان يصيرضايعا والضمير في وما ظلمهم للمنفقين اي ما ظلمهم بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم بان ابوا بها مستحقة
للقبول ولاصحاب الحرث اي ما ظلمهم باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول اولاصحاب ما
استحقوا به العقوبة ثم انه تعالى لما بالغ في شرح احوال المومنين والكافرين شرع في تحذير المومنين من مخالطة
الكافرين قال ابن عباس ومجاهد نزلت في قوم من المومنين كانوا يصافون المنافقين ويواصلون رجالا من اليهود لما
كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فنهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم
وبطانة الرجل خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشؤونه اي اموره الا صفة بالقلب المهمة له الواحد الشفيق
واصله من البطن خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب للذي يلي منه الجسد خلاف الظهارة نهاهم عن مودة كل كافر لان قوله
بطانة نكرة في سياق النفي وقوله من فوقكم يؤكد ذلك وهو اما ان يتعلق بلا تتخذوا او يكون صفة لبطانة اي بطانة كائنة من
دونكم مجاوزة لكم والاول اوجه لان الغرض ليس هو النهي عن اتخاذ البطانة وانما المقصود النهي عن الاتخاذ من غير ابناء
جنسهم واهل ملتهم بطانة وانهم يقدمون الاهم والذي هم بشانه اعني ومن للتبيين وقيل زائدة ثم ذكر علة النهي فقال
لا يالونكم خبالا يقال في الامر ما الوا اذا قصر فيه ثم استعمل معدي الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا وجهدا على التضمين
اي لا امنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان ومنه رجل مخبول ومخبل ناقص العقل فاسده وقيل خبالا نصب على
التمييز وقيل مصدر في موضع الحال والمعنى لا يتركون جهدهم في مضرتكم وفساد حالكم ودوا ما عنتم اي ما عنتكم
على ان ما مصدرية والعنت الوقوع في امر شاق ومنه يقال للعظم المجبور اذا اصابه شيء فهاضه قد اعنته والمراد احبوا
وتمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر والحاصل من الجملتين انهم لا يقصرون في افساد اموركم فان لم يمكنهم ذلك لمانع
من خارج تمنوا ذلك عبرة ابل عن قلوبهم قد بدت البغضاء هي شدة البغض كالضراء شدة الضر والافواه جمع الفم
واصله فوه بدليل تكسيره كسوط واسواط فحذفت الهاء تخفيفا واقيمت الميم مقام الواو لانهما حرفان شفويان وظهور
البغضاء من اليهود واضح لفتورهم العصا وكسرهم عن الاياب وعدم التقية في تكذيب النبي والكتاب والمنافقة
ان المداجي لا بد ان ينفلت من لسانه ما يكشف عن نفاقه وخبث طويته وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من
المنافقين والكفار لاطلاع بعضها بعضا على ذلك وما تخفي صدورهم اكبر لان فلتات اللسان متناهية وكوامن الصدور
تكاد تكون غير متناهية ثم بين ان اظهار هذه الاسرار للمومنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل في مدلولات
هذه النصايح فقال قد بينا لكم الايات ان كنتم من اهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الوصل بين ما يستحقه العدو والولي
ثم ان سياق هذه الجمل يحتمل ان يكون على سبيل تنسيق الصفات للبطانة كانه قيل لا تتخذوا بطانة غير آلكم وادنى
عنتكم بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدا واحسن من ذلك وابلغ ان تكون الجمل مستانفات كلها على جهة التعليل
للنهي كما قلنا كانه قيل لا تتخذوهم بطانة فقيل لانهم لا يقصرون فقيل لم يفعلون ذلك فقيل لانهم يودون ذلك عنتكم ثم قيل
وما آيته وداد العنت فقيل قد بدت والله اعلم اما كونه هذا التقدير احسن فلان الجمل المتفاوتة على سبيل التنسيق
يتوسطها العاطف ولا عاطف هيهنا كانه واما كونها ابلغ فلبنا الكلام على السوال والجواب ولتقليل اللفظ
وتكثير المعنى ولاثبات الدعاوي بالبراهين ولا يخفى جلالة قدر هذه الفوائد ثم استانف للتحذير نمطا اخر من
البيان مشتملا على التوبيخ فقال ها انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطا وهو قوله
تحبونهم ولا يحبونكم لاختلاف الدين تحبونهم لانهم اظهروا لكم الايمان ولا يحبونكم لتمكن الكفر في باطنهم او تحبونهم
لانهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحب المحب محبوب ولا يحبونكم لانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغض
مبغوض او تحبونهم فتفشون اليهم اسراركم في امور دينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلون مثل ذلك بكم او تحبونهم لانكم
لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يتربصون بكم الدوائر والحق ان هذه العبادات وامثالها لما لا تكاد
تنحصر داخلة في الاية ثم ذكر سببا اخر مما يابى ان يكون بينهما جامع فقال وتؤمنون بالكتاب كله والاضمير
نزينه وهو وهم لا يؤمنون به لا يذكر احد الضدين يغني عن الاخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم
كثر الدرهم في ايدي الناس وفي الكشاف ان الواو في تؤمنون للحال واللام في الكتاب للعهد اي لا يحبونكم والحال

الم

انكم تؤمنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد لانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ثم ذكر مضادة اخرى فقال
واذا لقوكم قالوا آمنا احدثنا الدخول في الايمان واذا خلوا عضوا ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان
والابهام لان هذا الفعل كثيرا ما يصدر منهما فجعل كناية عن الغضب والندم وان لم يكن هناك عض وانما حصل لهم
هذا الغيظ لشدة الغضب لما رأوا من ائتلاف المومنين وعلو دينهم وارتفاع شانهم قل موتوا بغيظكم دعا عليهم
بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز اهله فان ذلك يتضمن ذلهم وخزيهم والحاصل انه امر النبي صلى الله
عليه وسلم ان يخبرهم بان الله تعالى ابى الا ان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها والمقدر كائن فان كان هذا سببا لغيظكم
فلا علاج لكم الا ان تموتوا على هذا الغيظ ثم ان قوله ان الله عليم بذات الصدور اي بصاحباتها وهي الخواطر القائمة بالقلب
والدواعي والصوارف الموجودة فيه ان كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسترونه من الغيظ وقل لهم ان
غيظكم سيزداد الى ان يهلككم او موتوا عليه وقل لهم ان الله يعلم ما هو خفي مما تسرونه وهو مضمرات القلوب
وخفياتها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني اعلم ما يضمره الخلايق
ولم يظهروه على السنتهم اصلا ويجوز ان لا يكون امرا بالقول لفظا بل يراد حدث نفسك بانهم سيهلكون غيظا و
حسدا فيكون امرا بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله نصره ثم ذكر نوعا اخر من مضادتهم ومعاداتهم
فقال ان تمسسكم حسنة اي حسنة كانت من منافع الدنيا كالصحة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والائتلاف
بين الاحباء تسوهم ساء يسوء نقيض سره يسره وان تصبكم سيئة ضد من اضداد ما عددنا يفرحوا بها ولم يعرف
صاحب الكشاف هيهنا بين المس والاصابة وجعل المعنى واحدا واقول يشبه ان يكون المس اقل من الاصابة وانه
ادخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد لا يبغض لقليل من الخير الا ان يكون هناك كمال البغض والشماتة قلما
توجد اذا اصاب العدو بلية عظمى كما قيل عند الشدائد تذهب الاحقاد الا ان يكون ثمة غاية الحقد واذا كان حال
القوم مع المسلمين في النقيضين بالخلاف دل ذلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين
في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم وانتصروا على
اوامر الله تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم كيدهم وهو احتيال الانسان لايقاع غيره في مكروه فقال ابن عباس
هو العداوة شيئا من الضرر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه ارشاد من الله تعالى الى ان يستعان على دفع الاعداء
بالصبر والتقوى فمن كان لله كان الله له وفي كلام الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فاز دد فضلا في نفسك وقال
اذا ما شئت ارغام الاعادي بلا سيف يسل ولا سنان فزد في مكرماتك فهي اعدى على الاعداء من نوب الزمان
ان الله بما تعملون في عداوتكم وبما تعملون انتم من الصبر والتقوى محيط فيجازيكم بما هو اهله التاويل ضربت عليهم
ذلة الطمع ومسكنة الحرص الا ان تعتصموا بمحبة الله وطلبه وحبل من الناس يعني متابعة النبي صلى الله عليه
وسلم وسيرته ويقتلون الانبياء يميتون سننهم وسيرهم ليسوا اي العلماء الربانيون والداعون فلن تكفروه
لانه من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا ثم اخبر عن نفقات اهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية
بقوله مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح اي هواء الهوى بنتائج الشهوة اصابت حرث قوم هو الحرث
الروحاني ظلموا انفسهم بابطال الاستعداد الانساني ثم نهى اهل المحبة عن مخالطة اهل السلوك من هذا الحديث فقال لا تتخذوا
بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون في انكاركم والاعتراض عليكم والطعن فيكم ودوا من نعم الدنيا
ومشتهياتها ما عنتم ما نفقتموه وتركتموه لدناءة همتهم وعلو همتكم وفرحوا بما فاتكم من المجاهدات والتزام
والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من افواههم باعتراضاتهم الفاسدة وما تخفي صدورهم الحاسدة من الغل والحقد
التي تحبونهم محبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الارواح واختلاف حال الاشباه وتؤمنون بالكتاب كله
بجميع ما في القران من ترك الدنيا وجهاد النفس عليهم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور ان موتها في
الغيظ والحسد ان تمسسكم حسنة كرامة من الله وقبول من الخلق وسيئة انكار من الجهال وطعن هم

وَاِذْ غَدَوْتَ مِنْ اَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِيْنَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ اِذْ

همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المومنون ۝
ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ۝ اذ تقول
للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملايكة منزلين ۝ بلى
ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة
مسومين ۝ وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمين قلوبكم به وما النصر الا من عند
الله العزيز الحكيم ۝ ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خايبين
ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ۝ ولله ما في السموات
وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ۝

القراءة منزلين بالتشديد وفتح الزاء ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح ايضا مسومين بكسر الواو ابو عمرو وابن كثير وعاصم وسهل ويعقوب الباقون بالفتح ننوء المومنين غير حمزة ابو عمرو غير شجاع ودورش والاعشى وحمزة في الوقف
الوقوف للقتال عليم لان اذ بدل من اذ غدوت او يتعلق بالوصفين او بقوله بتولى ان تفشلا لان الواو للحال وليهما المومنين اذلة للفاء تشكرون منزلين لتمام القول بلى لاتحاده مع ما بعده مسومين قلوبكم به الحكيم لتعلق اللام بمعنى الفعل في النصر خايبين ظالمون وما في الارض من يشاء رحيم **التفسير** انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء اذا هم صبروا واتقوا وخلاف ذلك ان لم يصبروا اتبعه قوله واذ غدوت من اهلك ولقد نصركم الله ببدر يعني انهم يوم احد كانوا كثيرين مستعدين للقتال فلما خالفوا الرسول انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم اطاعوا امر الرسول فغلبوا واستولوا على خصومهم ووجه اخر في النظم هو ان الانكسار يوم احد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وذلك انه لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال ابو مسلم هذا الكلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم اية في فيتين التقتا اي قد كان لكم مثل تلك الاية اذ غدوت من اهلك اذ تبوئ المومنين والجمهور على انه منصوب باضمار اذكر نقل عن الحسن ان هذا الغدو كان يوم بدر وعن مجاهد انه يوم الاحزاب والاكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الاية نزلت في واقعة احد وهو قول ابن عباس والسدي وابن اسحق والربيع والاصم وابو مسلم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعا فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فو الله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خايبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هولاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال صلى الله عليه وسلم اني رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدايبا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بيس ما صنعنا نشير على رسول الله والوحي ياتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما

رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة من المدينة فاصبح بالشعب منزل عايشة وهو المراد من قوله من اهلك عن مجاهد والواحدي انه مشى على رجليه الى احد واصبح بالشعب منها يوم السبت للنصف من شوال وجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورايانا وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خالف راي عبد الله بن ابي شق عليه ذلك وقال اطاع الصبيان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم اعداءه انهزموا فيتبعوكم فيصير الامر على خلاف ما ذكره محمد فلما التقى الفريقان انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل اولادنا وانفسنا وكان جملة عسكر الاسلام الفا فبقي سبعماية وكان المشركون ثلثة الاف فقواهم الله مع ذلك حتى هزموا المشركين لكنهم لما راوا انهزام القوم وكان الله بشرهم بذلك طمعوا ان يكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وتركوا ذلك الموضع وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا ان ظفرهم يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين فكروا على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم وشج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه ولم يبق معه الا ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر ان محمدا قد قتل فاشرف ابو سفيان فقال افي القوم محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال افي القوم ابن ابي قحافة فقال لا تجيبوه فقال افي القوم ابن الخطاب فقال ان هولاء قتلوا فلو كانوا احياء لاجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ابقى الله لك ما يخزيك فقال ابو سفيان اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل فقال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجيبوه قال ما نقول قال لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ولنرجع الى التفسير بوانه منزلا وبوا له منزلا انزله فيه ومقاعد اي مواطن ومواضع وقد اتسع في قعد وقام حتى استعمل المقعد والمقام في المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك اي من موضع حكمك ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم لما امرهم ان يثبتوا في تلك الامكنة ولا ينتقلوا عنها شبهت بالمقاعد لذلك ويحتمل ان المقاتلين قد يقعدون في الامكنة المعينة الى ان يلاقيهم العدو فيقومون فلهذا سميت تلك المواضع مقاعد والله سميع لاقوالكم عليم بضماير نياتكم فانا بينا انه كان في القوم موافق ومنافق اذ همت طايفتان منكم هما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان ان تفشلا والفشل الجبن والخور والظاهر انها ما كانت عزيمة بل كانت مصاحبة حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع فان ساعدها صاحبها ذم وان ردها الى الثبات والصبر فلا باس بما فعل وعن معوية قال عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي ومما يدل على ان ذلك الهم لم يفض الى حد العصيان قوله تعالى والله وليهما ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا يتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل المومنون والتوكل تفعل من وكل امره الى فلان اذا اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه وفيه اشارة الى ان الانسان يجب ان يدفع ما يعرض له من مكروه وافة بالتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن جابر فينا نزلت اذ همت طايفتان نحن الطايفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقول الله والله وليهما اخرجاه في الصحيحين ومع ذلك قال بعض العلماء ان الله ابهم ذكرهما وستر عليهما ولا يجوز لنا ان نهتك ذلك الستر ولقد نصركم الله ببدر وانه ما بين مكة والمدينة عن الواقدي انه اسم الماء بعينه وعن الشعبي انه سمي باسم رجل كان ذلك الماء له وانتم اذلة انما جاء بجمع القلة دون الذلان

الذي هو المكشوف ليدل على انهم مع قلة العدد وهي المراد بل انهم كانوا قليلي العدد ايضا كما مر في تفسير قوله قد كان
لكم اية ولم يعن بالذلة ههنا نقيض العزة لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولعل المراد انهم كانوا اذلة في زعم
المشركين وفي اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكي عنهم ليخرجن الاعز منها الاذل او لعل الصحابة كانوا قد
شاهدوا الكفار في مكة في غاية القوة والشوكة والى هذا الوقت ما اتفق لهم استيلاء على اولئك الكفار فكانت
هيبتهم باقية في نفوسهم فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بسبب تقواكم ما انعم به عليكم من
نصرة او لعل الله ينعم عليكم نعمة اخرى فتشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول للمؤمنين
اختلف المفسرون في ان هذا الوعد حصل يوم بدر فيكون العامل في اذ قوله نصركم او حصل يوم احد فيكون بدلا ثانيا
من اذ غدوت والاول قول اكثر المفسرين لان الكلام متصل بقصة بدر ولان العدد ما المدد يوم بدر اقل وكان الاحتياج
الى المدد اكثر والثاني مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق لان المدد يوم بدر كان
بالف من الملئكة لقوله تعالى في سورة الانفال فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة دون ثلثة الاف وخمسة
الاف واجيب بانهم امدوا بالف ثم زيد الفان فصاروا ثلثة الاف ثم زيد الفان اخريان فصاروا خمسة الاف فكانه قيل
له الن يكفيكم ان يمدكم بالف من الملائكة فقالوا بلى ثم قيل الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف فقالوا بلى ثم قيل
لهم ان تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة الاف وهي كما يحكى انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ايسركم ان تكونوا
ربع اهل الجنة قالوا نعم قال ايسركم ان تكونوا ثلث اهل الجنة قالوا نعم قال اني ارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة وايضا
لعل اهل بدر امدوا بالف ثم بلغهم ان بعض المشركين يريد امداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة
عددهم فوعدهم الله بان الكفار ان جاءهم مدد فانا امدكم بخمسة الاف من الملائكة ثم انه لم يات قريشا ذلك المدد
بل انصرفوا حين بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن امداد المسلمين بالزيادة على الالف قالوا ان الكفار كانوا يوم بدر
الفا والمسلمون على الثلث منهم فانزل الله الفا من الملائكة بعدد الكفار ايضا ثم وعدهم ان يجعل الثلثة الالاف خمسة
الاف ان صبروا واتقوا واجيب بان هذا التقريب حسن ولكنه لا يغلب على الظن ان يكون الامر كذلك قالوا قال تعالى
ويأتوكم من فورهم ويوم احد هو الذي كان ياتيهم الاعداء اما يوم بدر فهم ذهبوا الى الاعداء واجيب بان المشركين
لما سمعوا يوم بدر ان الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجتمعوا وقصدوا
النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فاخبرهم الله تعالى انهم ان ياتوكم من فورهم يمددكم بخمسة
الاف ثم قالوا في وجه النظم انه تعالى ذكر قصة احد ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي يجب ان توكلكم على الله
لا على كثرة عددكم فلقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ثم عاد الى قصة احد ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون اذ قال
خمسة الاف كان مشروطا بشرط ان يصبروا ويتقوا ثم انهم لم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا بل خالفوا امر الرسول صلى الله عليه
وسلم فلما فات الشرط لاجرم فات المشروط واما انزال ثلثة الاف فانه صلى الله عليه وسلم وعدهم ذلك بشرط ان
يثبتوا في تلك المقاعد فلما اهملوا الشرط لم يحصل المشروط روى الواقدي عن مجاهد انه قال حضرت الملائكة يوم
احد ولكنهم لم يقاتلوا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب
فاخذه ملك في صورة مصعب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف
الرسول صلى الله عليه وسلم انه ملك امد به وعن سعد بن ابي وقاص انه قال كنت ارمي السهم يومئذ فيرده
علي رجل ابيض حسن الوجه وما كنت اعرفه فظننت انه ملك هذا اصل تقرير القولين واختلفوا ايضا في عدد
الملائكة فمنهم من ضم العدد الناقص الى العدد الزائد لان الوعد بامداد الثلاثة الالاف لا شرط فيه والوعد
بعد خمسة الاف مشروط بالصبر والتقوى ومجيء الكفار من فورهم فهما متغايران وعلى هذا ان حملنا الاية على قصة
بدر فتدبره فيها ذكر الالف في موضع اخر فيكون المجموع تسعة الاف وان حملناها على قصة احد كان الجميع ثمانية
الاف ومنهم من ادخل الناقص في الزائد فقال وعدنا بالف ثم زيد الفان فصح ان وعد بثلثة الاف ثم زيد الفان
اخريان فوعد بخمسة الاف واجمع اهل التفسير وارباب السير انه تعالى انزل الملائكة يوم بدر وانهم قاتلوا الكفار
وعن ابن عباس انه لم تقاتل الملئكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون

ومنهم

ومنهم من قال ان نصر الملائكة بالقاء الرعب في قلوب الكفار وباشعار المؤمنين بان النصرة لهم واما ابو بكر الاصم فقد
انكر امداد الملائكة وقال ان الملك الواحد يكفي في اهلاك سائر اهل الارض كما فعل جبريل بمدائن قوم لوط فاذا حضر هو يوم
بدر فاي حاجة الى مقاتلة الناس مع الكفار وبتقدير حضورهم فاي فائدة في ارسال سائر الملائكة وايضا ان اكابر الكفار كانوا
مشهورين وقاتل كل منهم من الصحابة معلوم وايضا لو قاتلوا فاما ان يكونوا بحيث يراهم الناس اولا وعلى الاول كان المشاهد
من عسكر الرسول ثلثة الاف واكثر ولم يقل احد بذلك ولانه خلاف قوله ويقللكم في اعينهم ولو كانوا في غير صورة الناس
لزم وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق ولم ينقل ذلك البتة وعلى الثاني كان يلزم حز الرؤس وتمزيق البطون واسقاط
الكفار من غير مشاهدة فاعل لهذه الافعال ومثل هذا يكون من اعظم المعجزات فكان يجب ان يتواتر ويشتهر بين الكافر والمسلم
والمؤالف والمخالف وايضا انهم لو كانوا اجساما كثيفة وجب ان يراهم الكل وان كانوا اجساما لطيفة هوائية فكيف
ثبتوا على الخيول واعلم ان هذه الشبه لا يليق ايرادها بمن يقر بالشريعة ومن يدعي التمسك بها ويعترف بانه تعالى قادر
على ما يشاء فاعل لما يريد فما كان يليق بالاصم ايرادها مع ان نص القران ناطق بها وورودها في الاخبار قريب من التواتر روى
عبيد الله بن عمير قال لما رجعت قريش من احد جعلوا يتحدثون في انديتهم بما ظفروا ويقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال
البيض الذين كنا نراهم يوم بدر والتحقيق في هذا المقام ان التكليف ينافي الالجاء والله تعالى قادر على اهلاك جميع
الكفار في لحظة واحدة بملك واحد بل بما دون ذلك او بلا سبب وكذا على ان يجبرهم على الاسلام ويقسرهم لكنه
اراد اشارة هذا الدين على مهل وتدريج وبواسطة الدعوة وبطريق الاستدلال والتكليف فلا جرم اجرى الامر على
ما اجرى فلله الحمد على ما اولى وله الحكم في الاخرة والاولى والحاصل ان اهلاك قوم لوط كان بعد انقضاء تكليفهم
وهو حين نزول الباس فلا جرم اظهر القدرة وجعل عاليها سافلها وفي وقعة احد كان الزمان زمان تكليف فلا جرم اظهر
الحكمة لتمييز الموافق عن المنافق والثابت من المضطرب فانه لو جرى الامر في احد كما جرى في بدر لاشبه ان يفضي
الامر الى حد الالجاء ونافى التكليف وبطل الثواب والعقاب ولمثل ذلك امد الملائكة حين امد على عادة الامداد بالعساكر
والا فملك واحد يكفي في اهلاك كثير من الناس فاعرف ولنعد الى تفسير الالفاظ قال صاحب الكشاف انما قدم لهم الوعد
بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم
الامداد بثلثة الاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة
عدوهم كالايسين من النصر ومعنى الكفاية سد الخلة والقيام بما يجب ومعنى الامداد اعطاء الشيء حالا بعد حال
قال بعضهم ما كان على جهة القوة والاعانة قيل فيه امده يمده وما كان على جهة الزيادة قيل فيه مده يمده وقرئ
منزلين بكسر الزاي يعني منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان
تصبروا وتتقوا ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه والفور مصدر من فارت القدر
اذا غلت ثم استعمل في معنى السرعة يقال جاء فلان ورجع من فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور او للتراخي
ثم سميت به الحالة التي لا توقف فيها على صاحبها فقيل خرج من فوره كما يقال من ساعته لم يلبث جعل مجيء خمسة الاف
مشروطا بثلثة اشياء الصبر والتقوى ومجيء الكفار على الفور فلما لم توجد هذه الشرائط بكلها او ببعضها فلا جرم لم يوجد
المشروط ويحتمل ان يتعلق قوله من فورهم هذا بما بعده اي يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولها عن اتيانهم
وفيه بشارة بتعجيل النصر والفتح ان صبروا عن الغنائم واتقوا المخالفة للرسول وقوله مسومين من السومة العلامة
وقد يعلم الفارس يوم اللقاء ليعرف بها فمن قرا بكسر الواو فمعناه معلمين انفسهم او خيلهم بعلامات مخصوصة ومن
قرا بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف
الابيض في نواصي الخيل واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة
ابن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقيل مسومين مرسلين من اسمت الابل وسومتها اذا ارسلتها
للرعي فالمعنى ان الملائكة ارسلت خيولهم على الكفار لقتلهم واسرهم او ان الله تعالى ارسلهم على المشركين ليهلكوهم كما اهلك
الماشية النبات في الرعي وما جعله الله الضمير عائد الى المدد او الامداد الدال عليه الفعل وقال الزجاج وما جعله الله

ذكر المدد الا بشرى وهي اسم من البشارة الا لتبشروا بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل
بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن
ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة ويربط به قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على ان ايمان العبد لا يكمل الا عند الاعراض
عن الاسباب والاقبال بالكلية على مسببها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا
يخفى عليه حاجات العباد ولا يعجز عن انجاحها ليقطع طرفا اي طائفة وقطعة من الذين كفروا وانما حسن في هذا
الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط الا بعد الاخذ من الطرف كما قال اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها
من اطرافها قاتلوا الذين يلونكم من الكفار او يكبتهم والكبت صرع الشيء على وجهه وفسره الائمة هاهنا بالاخزاء والاهلاك
واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم قيل الخيبة لا تكون الا بعد
التوقع نقيضة الظفر واما الناس فقد يكون قبل التوقع بعده ونقيضه الرجا فاللام في ليقطع يحتمل ان تتعلق بقوله
ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر ويحتمل ان يكون من تمام قوله ولتطمئن ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان
البعض قريبا من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتريتك لتخدمني ولتعينني لتقوم بخدمتي
قوله عز من قائل ليس لك من الامر شيء فيه قولان احدهما وهو الاشهر انه نزل في قصة احد عن انس بن مالك قال
كسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ودمي وجهه فجعل يمسح الدم على وجهه ويقول كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج راسه عتبة ابن ابي وقاص يوم احد
وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول الحديث فنزل وفي رواية عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
لعن اقواما فقال اللهم العن ابا سفين اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان ابن امية فنزلت هذه الاية
وفيه او يتوب عليهم فتاب الله على هولاء وحسن اسلامهم وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وذلك انه
صلى الله عليه وسلم لما راه ورأى ما فعلوا به من المثلة قال لامثلن منهم بثلثين فنزلت وقيل اراد ان يلعن
المسلمين الذين خالفوا امره والذين انهزموا فمنعه الله عن ذلك مروي عن ابن عباس وقيل اراد ان يستغفر
المسلمين الذين عصوا امره فنزلت قال القفال كل هذه الاشياء وقعت يوم احد فلا يمتنع نزول الاية في الكل القول الثاني
واليه ذهب مقاتل انها نزلت في واقعة اخرى وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث جمعا من خيار الصحابة رضى
سبعين الى بني عامر ليعلموهم القرآن فلما وصلوا الى موضع يقال له بئر معونة ذهب اليه عامر ابن الطفيل مع عسكره
فاخذهم وقتلهم فجزع من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم جزعا شديدا ودعا على الكفار في القنوت اربعين يوما
يقول بعد ما يرفع راسه من الركعة الثانية في الصبح اللهم العن بني لحيان والعن رعلا وذكوان اللهم انج الوليد بن
الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم
سنين كسني يوسف حتى انزل الله عز وجل ليس لك من الامر شيء ولا يخفى ان ظاهر الاية يدل على انه صلى الله
عليه وسلم كان يفعل فعلا فمنع منه وحينئذ يتوجه الاشكال بان ذلك الفعل ان كان من الله فكيف منعه منه وان
هو قادح في عصمته ومناف لقوله وما ينطق عن الهوى فالجواب ان المنع من الفعل لا يدل على ان الممنوع
منه كان مشتغلا به كقوله ولا تطع الكافرين مع انه ما اطاعهم وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه ما اشرك قط ولعله
لما شاهد من قتل حمزة وغيره ما اورثه حزنا شديدا كان من الممكن ان يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل والقول
فنص الله تعالى على المنع تقوية لعصمته وتاكيدا لطهارته وان سلمنا انه كان مشتغلا بذلك الفعل فانه يحمل
على ترك الاولى والنهي ارشاد الى اختيار الافضل وايضا ان دعا النبي لا يكون بمجرد التشهي وانما هو بطلب
الاصلح فالذي يظن به انه خلاف مسئوله وقد دفع فهو بالحقيقة مسئوله ولهذا سال الله ان يجعل لعنه على
من لا يستحقه طهورا وزكوة ورحمة والله اعلم وقوله ليس لك من الامر شيء معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة
ومن شان هذه الحادثة شيء فاني اعلم بمصالح عبادي او المراد الامر الذي هو خلاف النهي اي ليس لك في
امر خلقي شيء الا ما يكون امري وحكمي وقوله او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف بامر على
الامر اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم ويجوز ان يكون معطوفا على شيء والحاصل

من رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل قول وفعل الا ما كان بامره واذنه وفيه ارشاد الى كمال العبودية وان
لا يخوض العبد في اسرار ملكه وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله او يتوب عليهم عطف على ليقطع ويجعله
وقوله ليس لك من الامر شيء كالكلام الاجنبي المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذلك وعمرا فيكون
المعنى ان الله تعالى مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل
او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله فتفرح بحالهم او يعذبهم
فتشتفي منهم ثم التوبة عليهم معناها عند اهل السنة يخلق الندم فيهم على ما مضى ويخلق العزم فيهم على ان لا
يفعلوا مثل ذلك في المستقبل وهذا الظاهر برهان عقلي وهو ان الندم كراهة تحصل في القلب عما سلف منه
والعزم منه ارادة يتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الكراهة والارادة بفعل العبد لافتقر في
القلب الى ارادة اخرى ويتسلسل فهو اذن بخلق الله تعالى واما المعتزلة فقد فسروا التوبة عليهم اما بفعل الالطاف او بقبول
التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن التعذيب بسبب شركهم او عصيانهم ثم انه اكد ما ذكر من قوله ليس لك من
الامر شيء بقوله ولله ما في السموات وما في الارض اي هما بالحقائق والماهيات التي فيهما لله فليس الحكم فيهما الا له ثم ذكر
لازم الملك والحكم فقال يغفر لمن يشاء بمحض فضله وان كان من الابالسة والفراعنة ويعذب من يشاء وان كان من الالهية والقدسية
وان كان من الملائكة المقربين والصديقين فكل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا والا لم يحصل كمال الملك والحكم الا ان جانب
الرحمة والمغفرة غالب ولهذا اختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما يروى عن ابن عباس
في تفسير الاية يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وايدوا هذا النقل بدليل عقلي نشاهد منه
انما هو ان الارادات كلها تستند الى الله تعالى دفعا للتسلسل فاذا خلق الله ارادة الطاعة اطاع واذا خلق ارادة المعصية
عصى فطاعة العبد او معصيته تنتهي الى الله وفعل الله لا يجب على الله شيء اما المعتزلة فقد تنوا في ذلك ورووا
عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعقاب
والحق ان العذاب لازم ملكة العصيان وكذا القرب منه تعالى لازم ملكة الطاعة فان اريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان اريد
غير ذلك فممنوع والله اعلم التاويل اخبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى جواهر السالك
الصادق والسائر العاشق وذلك ان يتغدوا في طلب الحق والرجوع الى المبدأ من اهله اي صفات نفسه الحيوانية
والبهيمية تبوئ المؤمنين اي صفاتك الروحانية مقاعد لقتال النفس والشيطان والدنيا والله سميع لدعائكم بالاخلاص
للخلاص عن ورطة بئر الهوى عليم بصدق نياتكم في طلب الحق اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا يعني القلب والروح
والروح واخلاقه والله وليهما يخرجهما من ظلمات البشرية الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وانتم اذلة
من غلبات شهوات النفس اذ تقول للمؤمنين فيه اشارة الى نور النبي يلهم ارواح المؤمنين الى الدوام عند مقاتلة
الشياطين ومجاهدة النفس ومكابدة الهوى في الركون الى زخارف الدنيا فثلثة الاف من الملائكة اشارة الى الجنود
الروحانية الملكوتية التي لا يدركها الحواس كقوله وانزل جنودا لم تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس
وتتقوا بالله عما سواه يزدكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا ليقهر بعضا من الصفات النفسانية التي هي منشأ الكفر ببعض الروح
بصفاتها او يكبتهم او يغلبهم ويظفر بهم وما النصر الا من عند الله بعزه وحكمته من يشاء على ما يشاء كيف يشاء والله المستعان على ما تصفون

يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون
واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت
للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن

الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا
وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم
شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين

القراءات سارعوا بغير واو العطف ابو جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجبلة الباقون بالفتح **الوقوف** مضاعفة لعطف المتفقتين تفلحون للعطف للكافرين ترحمون ومن قرأ سارعوا بغير واو فوقفه مطلق الارض لان ما بعده صفة لجنة ايضا اي جنة واسعة معدة للمتقين الذين صفتهم على الناس المحسنين لان والذين يصلح مبتدأ وخبره اولئك جزاؤهم فلا وقف على يعلمون ويصلح معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على تعلمون ليصرف عموم اولئك الى المتقين السابقين منهم بنعمة الله واللاحقين بهم برحمة الله والوقف لطول الكلام على لذنوبهم للابتداء بالاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب بان يقول الروح لا احد يغفر الذنوب الا انت خالدين فيها العاملين سنن لتعقب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بالتأمل المكذبين للمتقين مؤمنين مثله بين الناس لان الواو مقحمة او عاطفة على محذوف اي ليعتبروا وليعلم شهداء الظالمين للعطف على ليعلم الكافرين **التفسير** قال القفال يحتمل ان يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة ان اكثر اموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربا وكانوا ينفقون تلك الاموال على العساكر وكان من الممكن ان يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربا كي لا يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر وكان من الممكن ان يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربا كي لا يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام منهم فورد النهي عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الايات ابتداء امر ونهي وترغيب وترهيب تنبيها لما سلف من الارشاد الى الاصلح في امر الدين وفي باب الجهاد وليس المراد النهي عن الربا في حال كونه اضعافا مضاعفة منهي عنه مطلقا وانما هو نهي منه مع توبيخ بما كانوا عليه في الغالب والمعتاد من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل وهكذا مرة بعد اخرى حتى استغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا الله لعلكم تفلحون فيه ان اتقاء الله في هذا النهي واجب وان الفلاح يتوقف عليه فلو اكل ولم يتق زال الفلاح ويعلم منه ان الربا من الكبائر لا من الصغائر ويؤكده قوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي اخوف اية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول الفساق وهم مسلمون فيها لان اكثر اهل النار الكفار فغلب جانبهم كما لو قلت اعددت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع ان تركبها لبعض حوائجك ومثله قوله في صفة الجنة اعدت للمتقين فانه لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان

والمجانين

والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون فيه ان رجاء الرحمة موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فلهذا يتمسك به اصحاب الوعيد في ان من عصى الله ورسوله في شيء من الاشياء فهو ليس اهلا للرحمة وغرضهم حمل الامة على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرأ بغير الواو جعل قوله سارعوا وقوله اطيعوا الله كالشيء الواحد لانهما متلازمان وتمسك كثير من الاصوليين به في ان ظاهر الامر يوجب الفور قالوا في الكلام محذوف والتقدير وسارعوا الى ما يوجب مغفرة من ربكم وتنكير المغفرة لقصد المغفرة العظيمة المتناهية في العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة وعن علي بن ابي طالب عليه السلام هو اداء الفرائض وعن عثمان بن عفان هو الاخلاص لانه المقصود من جميع العبادات وعن ابي العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق انه الجهاد لانه من تمام نهضة احد وقال الاصم بادروا الى التوبة من الربا لانه ورد عقيب النهي عن الربا ثم عطف عليه المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولا بد للمكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين ان نفس السموات لا يكون عرضا للجنة فالمراد كعرض السموات لقوله في موضع اخر كعرض السماء والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه ونظيره خالدين فيها ما دامت السموات والارض لانها اطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا بحيث يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من اجزاء لا تتجزى ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من السعة لا يعلمها الا الله عز وجل وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما تكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له فلا بد ان تكون الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذا وقال ابو مسلم معنى العرض القيمة ومنه عارضت الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على ان المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة ادنى من الطول واذا كان العرض هكذا فما ظنك بالطول ونظيره بطائنها من استبرق لان البطائن في العادة تكون ادون حالا من الظهائر فاذا كانت البطانة كذلك فكيف الظهارة وقال القفال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء واجيب بعد تسليم كونها الان مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال صلى الله عليه وسلم في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروي ان رسول هرقل سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال النبي صلعم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله ورسوله اعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل وروي ان انس بن مالك سئل عن الجنة في الارض ام في السماء فقال واي ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش ثم ذكر صفات المتقين حتى يتمكن الانسان من التخلق واكتساب تلك الصفات فمنها قوله تعالى الذين ينفقون في السراء والضراء في حال الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب وكان الفقراء عليها فقالت احسب كم هي من مثقال ذرة وقيل في عرس او حبس والمراد في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة فهم لا يدعون الاحسان الى الناس في حالتي فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان الانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم او ساءهم بان كان مخالفا له بانهم لا يتركونه وفي افتتاحه بذكر الانفاق دليل على عظم الله لان طاعته شاقة او لانه كان اهم في ذلك الوقت لاهل الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه ولم يظهره لا بقول ولا بفعل كانه كتمه على امتلائه به ورد غيظه في جوفه وكف غضبه عن الامضاء وهو من اقسام الصبر والحلم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ايضا ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل ان يراد

خلقه

دفعة عنده

العفو عن المعسر لانه ورد عقيب قصة الربا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان
تصدقوا خير لكم ويحتمل انه اريد به صلى الله عليه وسلم غضب على المشركين حتى مثلوا بحمزة فقال لامثلن بهم
فندب الى كظم الغيظ والصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذا جنى عليهم احد وعن
قال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى
ابن مريم ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذاك مكافاة انما الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك والله يحب
المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة
الى هؤلاء وذلك ان من انواع الاحسان ايصال النفع الى الغير وهو المعني بالانفاق في السراء والضراء وفي وجوه الخيرات
ويدخل فيه الانفاق بالعلم واليقين اقصى غايات الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل عنها بمقابلة
الاساءة باساءة اخرى وهو المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الاخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات
الاخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الاية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله
والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد اعظم درجات الثواب قال ابن عباس في رواية عطاء ان نبهان التمار اتته
امراة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت
والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقال في رواية الكلبي ان رجلين انصاريا وثقفيا اخى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينهما فكانا لا يفترقان في احوالهما فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرعة في السفر وخلف الانصاري
في اهله وحاجته واقبل يوم ذات يوم فابصر امراة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل
ولم يستاذن حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى فادبر راجعا
فقال سبحان الله خنت امانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك قال وندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب
الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فاخبرته اهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول
رب ذنبي ذنبي قد خنت اخي فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاساله عن ذنبك لعل
الله ان يجعل لك فرجا وتوبة فاقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يوم عند صلاة العصر نزل جبريل
عليه السلام بتوبته فتلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ونعم اجر العاملين
فقال عمر يا رسول الله اخاص هذا لهذا ام للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة وعن ابن مسعود ان المسلمين
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل كانوا اكرم على الله منا كانوا اذا اذنب احدهم اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة
في عتبة بابه اجدع انفك افعل كذا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا
اخبركم بخير من ذلك فقراها عليهم وبين انهم اكرم على الله منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة
نعت محذوف اي فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذ الانسان به وقيل
الفاحشة هي الزنى لقوله تعالى ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمس وهذا
القول انسب لسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب
الاستغفار منها لانه صلى الله عليه وسلم كان مامورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن
الصغائر بل ترك الاولى ذكروا الله اي وعيده وعقابه وانه سائلهم او نهيه او جلاله الموجب للخشية والحياء
منه او ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلا بد من مضاف محذوف ويكون الذكر بمعنى ضد النسيان
واليه ذهب الضحاك ومقاتل ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
وقيل المراد ذكر الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من اداب المسالة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا
لذنوبهم يقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه والمراد بمعنى الاستغفار بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم
على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذاك لا اثر له في ازالة الذنب
وانما يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله
لان كمال قدرته وغناه كما انه يقتضي ايقاع العبد في العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضي ازالة ذلك العقاب

الثقفي م

قوله فاما الاستغفار بمجرد اللسان ... وجه ان الاستغفار ... المغفرة ... باللسان ... المراد الا بمجرد الاستغفار ... خلاف النصوص ...

عنه

٢٦٣

عنه لكن صدور الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتي غضبي فجانب العفو والمغفرة ارجح ولا سيما اذا اقترن الذنب
بالتوبة والاعتذار والتنصل باقصى ما يمكن للعبد وفي كتاب ابي مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا او تستغفروا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعن انس قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي
يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم انك لو اتيتني بقراب الارض
خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة وعن علي قال حدثني ابو بكر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله فيغفر له ثم قرا والذين
اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا
ابقوا على قبيح فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صررت الصرة شددتها وصر الفرس
اذنيه ضمهما الى راسه وامر ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين
مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل اصروا وحرف النفي منصب
عليهما معا كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب واردت نفي المجيء والركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم بعدم الاصرار
والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل ولا يعذر
العالم ويحتمل ان يراد بالعلم العقل والتمييز والتمكن من الاحتراز عن الفواحش فيجري مجرى قوله صلى الله عليه
وسلم رفع القلم عن ثلث وعلى هذا يجوز ان يراد نفي الاصرار في حالة العلم لا نفيه مطلقا كما لو اردت في المثال
المذكور نفي المجيء في حال الركوب لا نفي المجيء على الاطلاق اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وهي اشارة الى ايصال
الثواب ونعم اجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا يبطل قول من قال ان الثواب تفضل من الله وليس بجزاء على
عملهم وذلك انه سمى الجزاء اجرا والاجر واجب مستحق فكذلك الجزاء ولقائل ان يقول انه على وجه التشبيه لا
التحقيق واستدلوا ايضا بالاية على ان اهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله ولم يصروا والجواب
ما مر ان يكون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب ان لا يدخلها غيرهم بفضل الله ورحمته
ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تامل احوال القرون الخالية فقال قد خلت
من قبلكم سنن واصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض
ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي فعلة بمعنى مفعول من سن الماء يسنه
اذا والى صبه وكانه اجراه على نهج واحد ومن سننت النصل احددته ومن سن الابل اذا احسن الرعي والمراد
قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة يعني سنن الهلاك والاستئصال بدليل قوله فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر وبقي اللعن
في الدنيا والعقاب في الاخرة هذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد المراد سنن الله في الكافرين والمؤمنين فان الدنيا
ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر ولكن المؤمن يبقى له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر له اللعن والعقاب
ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التامل في حال احد القسمين يكفي في معرفة حال القسم الاخر
ولان الغرض زجر الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتامل احوال امثالهم وليس المراد بقوله فسيروا في الارض
الامر بالسير بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير السير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد
ان يقال تندب الى السير لان لمشاهدة اثار المتقدمين اثرا اقوى من اثر السماع كما قيل ان اثارنا تدل علينا فانظروا
بعدنا الى الاثار هذا بيان المشار اليه بهذا اما ان يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين
والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به من الاجر واما ان يكون
ما حثهم عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من اثار هلاكهم اما البيان
والهدى والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات
وتحته نوعان احدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر

عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل
البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة الى البغية
والاول يشبه ان يكون البيان عاما لجميع المكلفين وباي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني
والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتي هي احسن وخص المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مثمر ثم لما بين هذه المقدمات ومهدها ذكر
المقصود وهو قوله ولا تهنوا كانه قال اذا بحثتم عن احوال القرون الخالية علمتم ان صولة الباطل تضمحل وان العاقبة
والغلبة لارباب الحق والوهن الضعف اي لا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا على ما اصابكم يوم احد وهنا وجبنا ولا تحزنوا
على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم والاغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم
يوم احد وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وانتم الاعلون
بالحجة والعاقبة الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين وفي هذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما ان
يكون قيدا للقوله وانتم الاعلون ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما ان يكون قيدا لقوله ولا
تهنوا اي ان صح ايمانكم بالله وبحقيته هذا الدين فلا تضعفوا لثقتكم بان الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فبينا هم كذلك اذ اقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد ان يعلو
عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة
غير هؤلاء النفر فانزل الله تعالى هذه الاية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى
هزموهم فذلك قوله وانتم الاعلون وقال راشد بن سعد لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كئيبا حزينا يوم احد جعلت المرأة تجيء بزوجها وابيها وابنها مقتولين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهكذا تفعل
برسولك الجنة فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد وقيل بالفتح
لغة تهامة والحجاز وقيل بالفتح مصدر وبالضم اسم قال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم الم الجراحة وقال
ابن مقسم هما لغتان الا ان المفتوحة توهم انها جمع قرحة ومعنى الاية ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبل ذلك يوم
بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فانتم اولى بان لا يفتروا ولا يجبنوا ونظيره فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله
ما لا يرجون وقيل القرحان في يوم احد وذلك انه قتل من الكفار نيف وعشرون رجلا وقتل صاحب
لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم في اول النهار كما يجيء من قوله تعالى
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم والمماثلة في عدد القتل والجرحى غير لازمة وانما
يكفي المثلية في نفس القتل والجراحة وتلك الايام نداولها اولئك مبتدا والايام خبره كقولك هي الايام تبلي كل جديد
فان الضمير لا يوصف ويكون تلك اشارة الى الوقائع والاحوال العجيبة التي يعرفها اهل التجارب من ابناء الزمان والمراد
بالايام في تلك الاوقات من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدمه والمداولة نقل الشيء
من واحد الى اخر يقال تداولته الايدي اي تناقلته والدنيا دول اي تنتقل من قوم الى اخرين لا يدوم مسارها ومضارها
فيوم يحصل فيه السرور له والغم لعدوه ويوم الاخر بالعكس فلا يبقى شيء من احوالها ولا يستقر اثر من اثارها
ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوءة وتارة فارغة وليس المراد من هذه المداولة انه تعالى تارة
ينصر المسلمين واخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا يناله الكافرون بل المراد انه تعالى يشدد المحنة
على الكافرين واخرى على الكافرين وذلك انه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين
في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب
فالحكمة في المداولة ان يكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام
فيعظم ثوابه عند الله والى هذا اشير في قوله سبحانه وليعلم الله الذين امنوا وحذف المعطوف عليه ليذهب
الوهم كل مذهب ويقدر الفوائد والتقديرات نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان
المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عرفوها لانقلبت منافرتهم مسرة منها ان يعلم الله
وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الاية وبنحوها كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا على انه تعالى لا يعلم الحوادث

يوم احد كئيبا حزينا جعلت المرأة
تجيء بزوجها وابيها وابنها مقتولين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

تارة

الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها في تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه وتاويل الاية ان اطلاق لفظ يعلم
على المعلول والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان او قدرته والمراد معلومه او مقدوره فكل اية
يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير في علم الله تعالى محال فمعنى الاية ليظهر معلومنا وهو
المخلص من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء
وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازات تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم اولياء الله
فاضافه الى نفسه تفخيما لهم وعلى الاقوال العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل
القلب الذي يتعدى الى مفعولين والتقدير وليعلمهم مميزين عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق وليعلم
بعده معناه وليتميز الثابتون على الايمان من المضطربين فعلنا ما فعلنا ومن حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء
من يصلح على الشهادة على الامم يوم القيمة كقوله لتكونوا شهداء على الناس فان كونهم كذلك منصب شريف
لا يناله الا اهله الامة ولم يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدائد والمراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة
والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر بن شميل
لانهم احياء حضروا دار السلام كما ماتوا بخلاف غيرهم وقال ابن الانباري لان الله وملائكته شهدوا له بالجنة والله
لا يحب الظالمين اي المشركين ان الشرك لظلم عظيم قال ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على
الايمان الصابرين على البلوى وهو اعتراض بين بعض المعللات وبعض وفيه ان دولة الكافرين على المؤمنين
للفوائد المذكورة لانه يحبهم ومن الحكم قوله وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين والمحص في اللغة التنقية
والمحق النقصان وقال المفضل هو ان يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء قال الزجاج معنى الاية ان الله ان حصلت
الغلبة للكافرين على المؤمنين كان المراد تمحيص ذنوب المؤمنين اي تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد
محو اثار الكفار وهذه مقابلة لطيفة لان تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك باهلاك انفسهم بالكلية
فان ذلك غير واقع بل سديم ويحل ليقطع طرفا تنقصها من اطرافها **التاويل** لا تاكلوا الربا ما يؤدي الى الحرص على
طلب الدنيا اضعافا مضاعفة الى ما لا ينبغي فلا تعلمون ان ادم الا التراب واتقوا الله خطاب للخواص اي اتقوا الله
عن غير الله في طلب الله لعلكم تفلحون عن حجب ماسوى الله وتظفرون بالوصول الى الله ثم خاطب العوام الذين هم اهل
الوسائط بقوله واتقوا النار اي نار الحرص التي تؤدي منها نار القطيعة وحوبوا وتقتدي طاعة الله وطاعة
رسوله ثم اخبر عن المسارعة الى الجنان عرضها عرض السموات والارض اي المسافة بين
العبد وبينها هذا القدر لان الوصول اليها بعد العبور عما في السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم عن عيسى انه قال لم يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هي الخروج
عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها والولوج الملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية ينفقون اموالهم
في السراء وارواحهم في الضراء او بذل ماسوى الله في طلب الله فعلوا فاحشة هي رؤية غير الله او ظلموا انفسهم بالتعلق
بما سوى الله ذكروا الله بالنظر اليه ورؤيته ومن يستر بكشف عواطفه ذنوب وجود الاغيار الا الله
ولم يصروا على ما فعلوا من رؤية الوسائط والتعلق بها وهم يعلمون ان كل شيء ما خلا الله باطل اولئك جزاؤهم مغفرة
اي هم مستحقون لمقامات القرب من ربهم وجنات من اصناف الطافه تجري من تحتها الانهار العناية ونعم
اجر العاملين لان نيل المقصود في بذل المجهود قد خلت من قبلكم امم لهم سنن فسيروا في ارض نفوسكم الحيوانية
بالعبور على اوصافها الدنية لتبلغوا سماء قلوبكم الروحانية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بهذه المقامات
الروحانية والمكاشفات الربانية ولا تهنوا اي السائرون في السير الى الله ولا تحزنوا على ما فاتكم من اللذات
الفانية وانتم الاعلون من اهل الدنيا والاخرة لانكم من اهل الله ان يمسسكم في اثناء المجاهدات قرح البلاء والامتحان
فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح مثل قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السائرين يوما نعمة ويوما
نقمة ويوما منحة ويوما محنة ويتخذ منكم شهداء ارباب المشاهدة والمكاشفة وليمحص الله فيه اشارة الى
ان كل ما يصيب المؤمن فهو تطهير لقلبه وتكفير لسيئه وما يصيب الكافر من نعمة ودولة وغنى ومنى

فهو سبب لكفرانه فهو مزيد لطغيانه وبوجه اخر البلاء لاهل الولا يمحص القلوب عن ظلمات العيوب وتنويرها بانوار
ومحق صفات نفوسهم الكافرة ومحو سمات اخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى حضاير الارواح والدائم

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ
وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ
وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ
عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ
الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ
وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا
رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا
خَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ

القراءة رايتموه بغير همز يعني بالتليين وحمزة ولو رواه يزيد هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش
وحمزة في الوقف يرد ثواب وبابه مدغما ابو عمرو وشامي ابن عامر وسهل وحمزة وعلي وخلف يؤته مثل يؤده وبابه
بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير وقرا ابن يزيد وكاين بالمد غير همز وقرا ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي يغفرون
في الوقف وكاي الباقون وكاين في الحالين قتل ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل
الباقون قاتل **الوقوف** الصابرين تلقوه لطول الكلام الرسول لان ما بعده يصلح صفة واستينافا الرسل على اعقابكم
لتناهي الاستفهام شيئا الشاكرين موجلا لابتداء الشرط منها الشاكرين قتل ليكون قتل النبي الزاما للحجة على
من اعتذر في الانهزام بما سمع من نداء ابليس الا ان محمدا قد قتل والتقدير ومعه ربيون كثير ولو وصل كان الربانيون
مقتولين ومن قرا قاتل فله ان لا يقف كثير لابتداء النفي مع فاء التعقيب ما استكانوا الصابرين الكافرين الاخرة
المحسنين خاسرين مولاكم الناصرين **التفسير** انه سبحانه لما ذكر فوايد مداولته الايام وحكمها اتبعها ما هو
السبب الاصلي في ذلك فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار

ولما بمعنى لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفي العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفي المعلوم وانما حسن اقامة ذلك مقام
هذا لان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة احدهما مقام الاخر تقول
ما علم الله في فلان خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه فحاصل الكلام لا تحسبوا ان تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا بعد وانما انكر هذا
الحسبان لانه تعالى اوجب الجهاد قبل هذه الواقعة واوجب الصبر على تحمل متاعبها وبين وجوه المصالح المنوطة بها
في الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال مثل هذه الطاعة والواو في
قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن كانه قيل ان دخولكم وترك المصابرة على الجهاد مما لا يجتمعا
فليس كل من اقر بالله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان المحب هو الذي لا
ينتقص بالجفا ولا يزداد بالوفا وقيل التقدير اظننتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الله المجاهدين وان يعلم الصابرين
ووجه اخر وهو ان يكون مجزوما ايضا لكن الميم لما حركت للساكنين حركت بالفتحة اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما في
ولما يعلم الله بفتح الميم الا انه يراد وما يعلم بالنون الخفيفة ثم حذفت نون الحسن ويعلم بالجزم على العطف وروي
عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على الحال كانه قيل ولم تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب فيه للذين
الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج على المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة ويراد بالموت سببه
وهو الجهاد والقتال قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين لهم كفر ولا يجوز للمؤمن
ان يتمنى الكفر او يرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبهوا ذلك بمن
شرب دواء الطبيب النصراني فان غرضه حصول الشفا ولا يخطر بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق
لصناعته قالت الاشاعرة فههنا من اراد شيئا اراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة
ولا ريب انه تعالى اراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين ولهذا اورد من الترغيبات ما ورد فاراد صيرورتهم شهداء
لم يصيروا شهداء الا اذا قتلهم الكفار فلا بد ان يريدوا ان يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر ومعصية فثبت انه
تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والعصيان من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبته
فقد رايتموه وانتم تنظرون قال الزجاج اي وانتم بصراء كقولهم رايته بعيني اي رايتموه معاينين حين
قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم وشارفتم ان تقتلوا ويحتمل ان يراد ترايتم اقدام القوم وشدة حرصهم
على قتلكم وعلى قتل الرسول ثم بقيتم انتم تنظرون اليهم بين عين صدق في دفعهم ولا اجتهاد في مقاتلتهم وفيه توبيخ
لهم على تمنيهم الجهاد وعلى الحاحهم في الخروج اليه ثم انهزامهم وقلة ثباتهم عنده قال ابن عباس ومجاهد والضحاك
لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بالشعب امر الرماة ان يلزموا اصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الامر لهم او عليهم
فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم وقتل علي عليه السلام طلحة بن ابي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا
على المشركين ثم حمل الرسول صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فهزموا ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما رأوا انهزام الكفار
بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما راى تفرق المؤمنين فهزموهم وفرقوا جمعهم
وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج
وجهه واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير هو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمية
واحتمل طلحة بن عبيد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ودافع عنه ابو بكر وعلي رضي الله عنهما وظن ابن قمية
انه قتل رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وكان الصارخ الشيطان ففشا في الناس
خبر قتله فانكفوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي يا عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم
فقالوا يا رسول الله فديناك باباينا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فنزلت وما محمد الا رسول قد خلت
اي مرسل قال ابو علي وقد يكون الرسول في غير هذا الموضع بمعنى الرسالة اي حاله مقصورة على الرسالة لا يتخطاها
الى البقاء والدوام قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكان اتباعهم بقوا له متمسكين بدينهم بعد خلوهم
فكونوا انتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجوده بين اممهم فان مات او قتل انقلبتم على
اعقابكم الفاء لتسبيب الجملة الشرطية عن الجملة قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه في الحقيقة كانه دخل عليه والمعنى

افتتقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين احدهما ان الحاجة الى الرسول هي
التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فلا يلزم من قتله او موته الادبار عن ما كان عليه من الدين وما يلزمه كالجهاد وثانيهما
القياس على موت سائر الانبياء وقتلهم فان موسى مات ولم يرجع امته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى
عليه السلام قتل وهم لم يرجعوا عن دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله
يعصمك من الناس لو سلم انه متقدم في النزول فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه ليس نصا في العصمة عن
القتل بل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت يراد به المفارقة الى الاخرة باي طريق كان بدليل انهم ميتون
وكثير منهم قد قتلوا ويمكن ان يقال صدق القضية الشرطية لا تتوقف على صدق جزئيها لصدق في قولنا ان كانت الخمسة
زوجا فهي تنقسم بمتساويين مع كذب جزئيها ومعنى او هو الترديد والتشكيك اي سواء فرض وقوع الموت او القتل فلا
تاثير له في ضعف الدين ووجوب الادبار اي الارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا نفسه
وهكذا الحال في كل ما يقوله المدلول عند العتاب ان هذا الذي تاتي به من الافعال لا يضر السماء والارض بل يريد انه يعود ضرره
عليه وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين فيحتمل ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما
كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين
ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى
دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما
يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري
يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم ففي امثالهم قال الله
وسيجزي الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال وما كان لنفس ان تموت
ووجه النظم ان المنافقين في انه لا يحصل الا في الوقت المقدر وكما انه لو مات في بلده لم يدل على فساد دينه فكذا لو قتل
اوفيه تحريض على المؤمنين على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يغني عن القدر وان احدا لا يموت قبل الاجل وان خاض
المهالك واقتحم المعارك والغرض بيان حفظه وكلائته لنبيه فانه ما بقي في تلك الواقعة سبب من اسباب الهلاك والتلف
الا وقد حصل انه تعالى لما كان حافظا لنبيه ولم يتفق في ذلك الوقت اجله لم يضره ذلك وفيه تقريع لاصحابه
انه قد قصروا في الذب عنه وجواب عما قاله المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقال
الاخفش والزجاج تقدير الكلام وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء الله وقدره لانه
لا يحدث شيء الا بمشية الله وارادته فاورد الكلام على سبيل التمثيل كانه فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه
الا باذن الله فيه وذلك ان اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل فاقيم القابل مقام
الفاعل وقال ابو مسلم الاذن هو الامر والمعنى ان الله تعالى يامر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا بهذا الامر
وقيل المراد التكوين والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحياة احد الا الله وقيل التخلية والاطلاق وترك المنع
بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس ان تموت بالقتل الا باذن الله بين القاتل والمقتول وفيه انه تعالى لا يخلي يخليهم
بين نبيه وبين احد ليقتله ولكنه جعل من بين يديه ومن خلفه رصدا ليتم على يديه بلاغ ما ارسله به فلا تهنوا
في غزواتكم بعد ذلك بارجاف مرجف وقيل الاذن للعلم اي لن تموت نفس الا في الوقت الذي علم الله موتها
فيه وفي الاية دليل على ان المقتول ميت باجله وان تغيير الاجال ممتنع ولهذا اكد هذا المعنى بقوله كتابا مؤجلا
وهو مصدر مؤكد لنفسه لدلالة ما قبله عليه اي كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا
يتاخر وقيل الكتاب المؤجل المشتمل على الاجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع الحوادث من الخلق
والرزق والاجل والسعادة والشقاوة قال القاضي الفعل ما لم يعرف مضافا الى الله تعالى باما الكفر والفسق
والايمان والطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتب تعالى فانما يكتبه ما يعلمه من اختيار العبد ان يكون
مذموما او ممدوحا واجيب ان هذا ينعكس بالقضية فان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال ان ياتي هو بالايمان

والا

والا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو غير قادر على الايمان فما معنى اختبارهم ثم انه كانوا في الذين حضروا يوم احد
من يريد الدنيا ومن يريد الاخرة كما اخبر الله تعالى في هذه السورة فقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اي من
ثوابها تعريض بالفريق الدنيوي وهم الذين شغلتهم الغنائم وما في الاية مدح للفريق الثاني الاخر الاخروي
وان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثاني هو المعتد به في الحقيقة ولهذا اختتم
الكلام بقوله وسنجزي الشاكرين فابهم الجزاء واضافه الى نفسه تنبيها على ان جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم
شيء عن الجهاد شيء لا يكتنه كنهه ويقصر عنه العبارة وانه كالمبلغ نعم تفضله وجسيم طوله وهذه الاية وان وردت
في الجهاد لكنها عامة في جميع الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وذلك لان المؤثر في جانب الثواب
والعقاب المقصود والدواعي فمن وضع الجبهة على الارض والوقت ظهر والشمس امامه فان قصد بذلك السجود
عبادة الله تعالى كان من الايمان وان قصد تعظيم الشمس كان من الكفر وكاين الاكثرون على انها في الاصل مركبة من كاف
التشبيه واي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كما ان كذا مركبة من الكاف وذا المقصود به الاشارة كأين
مثل كذا في كون المجرورين مبهمين عند السامع الا انه في ذا اشارة في الاصل الى ما في ذهن المتكلم بخلاف اي فانه للعدد
المبهم ومميزهما منصوب مفرد على الاصل والاكثر ادخال من في مميز كاين وبه ورد القران والتمييز بعد كذا وكاين
في الاصل عن الكاف لا عن ذا واي كما في مثلك رجلا لانك تبين فكذا رجلا ان مثل العدد المبهم من اي جنس هو ثم
يتبين العدد المبهم فاي في الاصل كان معربا لكنه انمحى عن الجزئين معناها الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى
كم الخبرية فصار كانه اسم مبني على السكون اخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون مع
ان التنوين لا صورة لها خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل كائن مثل كاعن وبهاطق بعضهم انه اسم فاعل من كان
ولكنه بني لكثرة الاستعمال وهاتان اللغتان فيه مشهورتان ولهذا قرئ بهما وفيه لغات اخرى غير مشهورة وتركنا ذكرها
لانه لم يقرأ بها ولعلك تجدها في كتبنا الادبية ومحل كاين ههنا رفع على الابتداء وقوله قتل او قاتل خبره والضمير يعود
الى لفظ كاين فانه مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى وربيون معناه الالوف او الجماعات الكثيرة الواحد ربي عن
الفراء والزجاج قال ابن قتيبة اصله من الربة الجماعة فحذف الهاء في النسبة ويقال تربوا اي تجمعوا وقال ابن زيد
الربانيون الائمة والولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغييرات النسب كالضم في دهري والقياس الفتح ثم
من قرأ قتل فمعنى الاية ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم
ونصرة دينهم وكان ينبغي ان يكون لكم فيهم اسوة حسنة فيكون المقصود من الاية حكاية ما جرى على سائر
الانبياء ليقتدي هذه الامة بهم ومن قرأ قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قرح فما وهنوا
فعلى هذا يكون الغرض من الاية ترغيب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتال ويتايد هذه القراءة
بما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا بنبي قتل في القتال ويحتمل ان يتوك القراءة الاولى على هذه الرواية
ايضا بان يقال المعنى وكاين من نبي قتل معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون ولا استكانوا لقتل من قتل
من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا الاية ولا بد من
تغايرها فقيل فما وهنوا عند قتل النبي صلعم وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو اي لم يخضعوا له وفيه توبيخ
بما اصاب المسلمين من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عن ذلك عن جهاد
الكفار واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وقيل الوهن
استيلاء الخوف والضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم
وقيل الوهن ضعف يلحق القلب والضعف يطلق اختلال القوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك العجز والضعف
واستكان قيل افتعل من السكون كانه سكن لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ عند من هو منه
بمنتزح والاصح انه استفعل من كان والمد قياسي كان صاحبه تغير من كون الى كون اي من حال الى حال والله
يحب الصابرين بان يريد اكرامهم ويحكم بالثواب والجنة لهم ثم اخبر انهم كانوا مستعينين عند ذلك النصر والتحلل
بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض ان يقتدي هذه الامة بهم فان من عول في تحصيل مهماته

علي نفسه وعدده ذلك ومن اعتصم بالله والتجاء اليه فاز بالظفر في اضافتهم الذنوب والاسراف الي انفسهم وهم ربانيون هضم للنفس واستقصار لها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم انه تعالى ضمن نصر المومنين فاذا لم يحصل النصر وظهر امارات الاستيلاء الاعداء دل ذلك ظاهرا على صدور ذنب وتقصير من المومنين فيلزم تقديم التوبة والاستغفار علي طلب النصرة ليكون طلبهم الي ربهم عن زكاء وطهارة اقرب الي الاستجابة ثم انهم عمموا الذنوب اولا الصغائر والكبائر ثم خصصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا في امرنا لان الاسراف في كل شي هو الافراط فيه والمراد تثبت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد بالنصر الامور الزائدة علي القوة والعدة والشوكة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء واحداث احوال سماوية او ارضية توجب انهزامهم كهبوب ريح تثير الغبار في وجوههم واجراء سيل في مواضع وقوفهم وفي الاية تاديب وارشاد من الله تعالى في كيفية الطلب عند النوائب جهادا كان او غيره فاتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح الصدر وثواب الاخرة هو الجنة وما فيها من المنافع واللذات وذلك غير حاصل في الحال فالمراد انه حكم لهم بحصولها في الاخرة وحكم الله بالحصول كنفس الحصول والمراد انهم سيوتيهم مثل اتى امر الله اي سياتي قال القاضي ولا يمتنع ان يكون الاية مختصة بالشهداء وانهم في الجنة عند ربهم كما مر واحياء وثواب الاخرة كله حسن فلذلك خص ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدورة صفوها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل ان يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان غاية في الجود ونهاية في العدل وههنا نكتة وهي انه ادخل من التبعيضية في الاية المتقدمة في قوله نوته منها في الموضعين ولم يذكر في هذه الاية المتقدمة في قوله نوته منها في الموضعين ولم يذكر في هذه الاية لان اولئك اشتغلوا بالثواب عن العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هولاء فانهم لم يذكروا انفسهم الا بالعيب والتقصير ولم يسالوا ربهم الا ما يوجب اعلاء كلمته فلا جرم فازوا بالكل وفيه تنبيه على ان من اقبل على خدمة الله اقبل على خدمته كلها سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وههنا سر وهو انه تعالى وفقهم للطاعة ثم اثابهم عليها ثم مدحهم على ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد ان الكل بعنايته وفضله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا عن السدي المراد بالذين كفروا هو ابو سفيان واصحابه فانه كان كبير القوم في ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا اليهم وتستامنوهم وعن علي عليه السلام هم المنافقون عبد الله بن ابي واشياعه قالوا للمومنين عند الهزيمة ارجعوا الي اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ولاسيما عند هذه الواقعة كانوا يقولون لو كان نبيا حقا لما غلب وانما اصابه ما اصابهم انما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه والاقرب انه عام في جميع الكفار فان خصوص السبب لا ينافي ارادة العموم نهي المومنين ان لا يطيعوهم في شي ولا ينزلوا علي حكمهم وعلي مشورتهم حتى لا يستجروهم الي موافقتهم وهو المراد بقوله يردوكم على اعقابكم اي الي الكفر بعد الايمان به فتنقلبوا خاسرين في الدنيا وهو استبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام والانقياد للاعداء الذي هو اشق الاشيا لذي العقلاء وفي الاخرة بالحرمان عن الثواب المويد والوقوع في العقاب المخلد بل الله مولاكم ناصركم وهو اضراب عما كانوا بصدده من طاعة الكفار والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم علي مطالبكم وهذا خطاء وجهالة لانهم عاجزون مثلكم متحيرون وبغير اذن الله لا ينفعون ولا يضرون وهو خير الناصرين لو فرض ان لاحد سواه قدرة على النصر لانه خبير بمواقع الحاجات قدير علي انجاز الطلبات بنصر في الدنيا والاخرة بلا استعانة بعلة من العلات ونصر غيره لو فرض فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات ولغرض من الاغراض الفاسدات كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه التاويل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة اي تلجوا عالم الملكوت ولم تظهر منكم مجاهدات ترك المشاهدات ولا الصبر علي تزكية النفوس وتصفية القلوب على وفق الشريعة وقانون الطريقة لينجلي الارواح بانوار الحقيقة ولقد كنتم يا ارباب الصدق واصحاب الطلب تمنون موت النفوس عن صفاتها تزكية لها من قبل ان يلقوا المجاهدات والرياضات في خلاف النفس وقهرها عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر ظاهرا وفي جهاد الاكبر باطنا فقد رايتم هذه الاسباب التي كنتم تمنونها عيانا

وانتم

وانتم تنظرون لا تقدرون ارواحكم ولا تجاهدون حق الجهاد في الله بارواحكم واشباحكم فان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فيه ان الايمان التقليدي لا اعتبار له فينقلب المقلد عن ايمانه عند انعدام المقلد من الوالدين او الاستاد وكذا عند موت المقلد فيعجز عند سوال الملكين في قولهما له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان ما تقول في هذا الرجل فيقول هاه لا ادري كنت اقول فيه ما قال الناس فيقولان لا دريت ولا تليت وسيجزي الله بالايمان الحقيقي الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدي باداء حقوقه وهو الاتيان باوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه وما كان لنفس ان تموت عن اوصافها الذميمة واخلاقها الرديئة وتخلص عنها بطبعها الا بتوفيق الله وجذبه واشراق نوره كما ان ظلمة الليل لا ينتهي الا باشراق طلوع الشمس ثم اثبت للعبد كسبا في طلب الهداية واستجلاب العناية بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها وهذه نية الخواص اي من عمل شوقا الي الحق فقدر اي نعمة وجود المنعم فثوابه نقد في الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم الصوفي ابن الوقت وفيه انشد شعر خليلي هل ابصرتما او سمعتما باكرم من مولي تمشي الي عبد اتى زائرا من غير وعد وقال لي اصونك عن تعذيب قلبك بالوعد ومن عمل شوقا الي الجنة فنظره علي النعمة فثوابه في الاخرة وسنجزي الشاكرين اي كلا الفريقين على قدر شكرهما وكاين من نبي قاتل اعدي العدو الذي بين جنبيه ومعه ربيون متخلقون باخلاق الرب فما وهنوا لما اصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا في طلب الحق وما استكانوا باحتمال الذلة والالتفات الي غير الله ان تطيعوا الذين كفروا اي النفوس الكافرة وصفاتها يردوكم الي اسفل سافلين

بشر بينكم
وبهجتكم
والله اعلم

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم
النار وبئس مثوى الظالمين ۝ ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى
اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من
يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم
والله ذو فضل على المومنين ۝ اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول
يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
والله خبير بما تعملون ۝ ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى
طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون
لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز
الذين كتب عليهم القتل الي مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص
ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ۝ ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعا

ن

إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون

القراءات الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلي ويزيد وسهل ويعقوب. الباقون بسكون العين. ومأواهم وبابه بغير همز أبو عمرو غير شجاع ويزيد والأعشى والأصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف. ولقد صدقكم وبابه بإدغام الدال في الصاد حمزة وعلي وخلف وأبو عمرو وهشام وسهل. تغشى بتاء التأنيث حمزة وعلي وخلف. الباقون بياء الغيبة. كله بالرفع أبو عمرو وسهل ويعقوب. الباقون بالنصب. بما يعملون بصير بياء الغيبة ابن كثير وعباس وعلي وخلف وحمزة. الباقون بالخطاب. متم ومتنا بكسر الميم من مات يمات حيث كان نافع وعلي وحمزة وخلف ووافق حفص ههنا في الحرفين. الباقون بضم الميم من مات يموت. يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل. وسائر القراء بتاء الخطاب.

الوقوف سلطانا ج لعطف المختلفتين. النار ط. الظالمين ه. بإذنه ج لأن حتى يحتمل انتهاء الحسن ووجه الابتداء أظهر لأن التقدير إذا مع حذف الجواب أي إذا فشلتم وتنازعتم انقلب الأمر وانعكس نصره. والوقف على يحبون في الوجهين. الآخرة ج لأن ثم لترتيب الأخبار وقيل لعطف صرفكم على الجواب المحذوف. ليبتليكم ج. عفا عنكم ط. المؤمنين ه. أصابكم ط. تعملون ه. طائفة منكم لا لأن الواو للحال. الجاهلية ط. من شيء ط. لله ط. يبدون لك ط. ههنا ط. مضاجعهم ج لأن الواو مقحمة أو عاطفة على محذوف أي لينفذ الحكم فيكم أو ليبتلي. ما في قلوبكم ط. الصدور ه. الجمعان لا لأن إنما خبر إن. كسبوا ج لاحتمال الواو حالا واستئنافا. عنهم ط. حليم ه. ما قتلوا لا لأن لام ليجعل قد يتعلق بقوله وقالوا لإخوانهم أو بمحذوف أي ذلك ليجعل. في قلوبهم ط. ويميت ط. بصير ه. يجمعون ه. تحشرون ه. لنت لهم ج لأن الواو للعطف ولو للشرط. من حولك ج والوصل أولى ليعطف الأمر بالرحمة على النهي عن الغلظة تعريضا. في الأمر ج لأن فاء التعقيب إذا الشرطية. على الله ط. المتوكلين ه. لكم ج لابتداء شرط آخر مع اتحاد المراد. من بعده ط. المؤمنون ه.

التفسير إنه تعالى ذكر في هذه الآيات وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بإلقاء الرعب في قلوب الكفرة. ولا شك أن هذا من معاظم أسباب الاستيلاء. ثم إن هذا الوعد مخصوص بيوم أحد أو هو عام في جميع الأوقات؟ الأظهر الثاني كأنه قيل إنه وإن وقعت لكم هذه الواقعة في يوم أحد إلا أنا سنلقي الرعب في قلوب الكفار بعد ذلك حتى يظهر هذا الدين على سائر الأديان. ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر. وذهب كثير من المفسرين إلى أنه مختص بيوم أحد لوروده في مساق تلك القصة. قال السدي لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين إلى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم إنهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا

على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فتركوه ورجعوا منهزمين من غير سبب حتى روي أن أبا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال أين ابن أبي كبشة يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ابن أبي قحافة فأجابه عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى. والرعب الخوف الذي يملأ القلب رعبا ومنه سيل راعب إذا ملأ الأودية والأنهار. وإلقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي إلقاء جميع أنواعه فيها فإنما يقتضي وقوع هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة. وهكذا هو في الواقع لأنه لا أحد يخالف دين الإسلام إلا وفي قلبه خوف المسلمين وهيبتهم إما في الحرب وإما في المحاجة. وقيل إنه مخصوص بأولئك الكفار. بما أشركوا أي بسبب إشراكهم بالله. وفيه وجه معقول وهو أن الدعاء إنما يصير في محل الإجابة عند الاضطرار كما قال أمن يجيب المضطر إذا دعاه. ومن اعتقد أن لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لأنه يقول إن كان هذا المعبود لا ينصرني فذاك الآخر ينصرني فلا يحصل له الإجابة فيلزمهم الرعب والخوف. هذا على تقدير أن معبوديهم يصح منهم الإجابة كيف وإنهم لا يملكون نفعا ولا ضرا. ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة. والتركيب على القدرة والشدة والحدة ومنه قيل للوالي سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت لأنه يستخرج بالقهر. قال الجوهري السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لأنه مجرى المصدر. وليس المراد أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل لأن الشرك لم يقم عليه حجة ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر. قال المتكلمون التقليد باطل لأن كل ما لا دليل عليه لم يجز إثباته. ومنهم من بالغ فيقول لا دليل عليه فيجب نفيه. ومنهم من احتج بهذا الحرف على وحدانية الصانع فقال لا سبيل إلى إثبات الصانع إلا باحتياج المحدثات إليه ويكفي في دفع هذه الحاجة إثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل إلى إثباته فلم يجز إثباته. أقول هذا إذا استند لنا بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لأجل الدليل ولا دليل على الاشتراك على الاشتراك لوجود الدليل على نفي الشريك. ولما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم أتبعه حالهم في الآخرة فقال ومأواهم النار أي المحل الذي يأوون إليه النار. وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين. هي ثوى بالمكان يثوي إذا أقام به. ثم أكد وعد إلقاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم تستأصلونهم قتلا. قال أصحاب الاشتقاق حسه أي قتله لأنه أبطل حسه بالقتل كما يقال بطنه إذا أصاب بطنه ورأسه وأذنه. وقيل المراد بهذا الوعد أنه صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين يوم أحد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء. وقيل هو ما ذكره من قوله إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم. إلا أن هذا كان مشروطا بالصبر والتقوى. وقيل المراد هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فإنا لا نزال غالبين ما دمتم به. فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم. وقيل لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت. حتى إذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم. قال بعض العلماء هذا الحبس بشرط فلهذا لم يقتض الجواب. والمعنى قد نصركم الله إلى حين كان منكم الفشل لأن وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر. وقال آخرون إنه للمجازاة. ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه: أحدها قول البصريين أنه محذوف كما مر في الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه. وثانيها قال الكوفيون جوابه وعصيتم والواو زائدة. والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فإن الفشل والتنازع أخرجهم من المكان الذي وقفهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وثالثها قال أبو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم ههنا كالساقطة. والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع أن الرماة لما هزموا المشركين ورأوا إماءهم يصعدون الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة. فقال عبد الله بن جبير أمير الرماة عهد إلينا أن لا نبرح هذا المكان فأبوا عليه وذهبوا إلى طلب الغنيمة وطلب عبد الله مع طائفة دون العشرة إلى أن قتلهم المشركون. فقوله في الأمر إما أن يكون بمعنى الشأن والقصة أي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشأن أو بمعنى الأمر الذي يضاده النهي أي تنازعتم فيما أمركم الرسول به. وعصيتم بترك ملازمة ذلك المكان. وإنما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية لأنهم فشلوا في أنفسهم طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في أنا هل نذهب في طلب الغنيمة أم لا. ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة. وإنما ورد الخطاب

عامًا وان كانت المعصية عبارة عن ذلك الموضع خاصة بالبعض اعتمادًا على المخصص بعده وهو قوله ومنكم من يريد الاخرة
وغاية قوله من بعد ما اريكم ما تحبون التنبيه على عظم شان المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله اكرمهم بانجاز
الوعد كان من حقه ان يمتنعوا عن المعصية فلما اقدموا عليها سلبهم الله ذلك الاكرام واذاقهم وبال امرهم قوله ثم صرفكم
عنهم قالت الاشاعرة معنى هذا الصرف انه تعالى رد المسلمين عن الكفار وحصلت الريح دبورا وكانت صباحًا وقذف
الهزيمة على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال لان من مذهبهم ان الخير والشر بارادة
الله وتخليقه واما المعتزلة فلم يرضوا بهذا التفسير وقالوا كيف يضيف الصرف الى هذا المعنى الى نفسه والصرف عن
الكفار معصية وقد اضافها الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وايضا انه عاتبهم على ذلك
الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند
ذلك ذكروا في تاويل الاية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان اولا لطلب الغنيمة وبعض
بقوا هناك الى ان احاط بهم العدو وعلموا انهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم العدو من غير فائدة اصلا فلهذا السبب
جاز لهم ان ينحازوا عن ذلك الموضع الى موضع يتحرزون به عن العدو الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجبل
في جماعة من اصحابه وتحصن به فلما كان ذلك الانصراف جائزا اضافه الله تعالى الى نفسه بمعنى انه كان بامره واذنه
قال ليبتليكم والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه امرهم هناك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين ولا
شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا تلك المعركة قتل اقاربهم واحبابهم من اعظم انواع الابتلاء
فاذن الاية مشتملة على معذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وقوله
ولقد عفا عنكم يرجع الى غير المعذورين وسبب العفو ما علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان امر الرسول وقال
الكعبي ثم صرفكم عنهم بان لم يامركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال ابو مسلم
الاصفهاني المعنى من الصرف انه تعالى ازال ما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم
وفشلهم ومعنى الابتلاء انه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما خالفوا فيه امره ثم اعلمهم انه قد عفا عنهم قال
القاضي ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغائر صح ان يصف نفسه
بالعفو عنهم من غير توبة وان كان من باب الكبائر فلابد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة
اذا لم يتب لم يكن من اهل العفو وقالت الاشاعرة لا نشك ان ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح
نص الرسول صلى الله عليه وسلم وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام ولقتل جم غفير من الصحابة
ثم ان ظاهر الاية دل على انه تعالى قد عفا عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الاية دليلا على انه قد يعفو عن
اصحاب الكبائر والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كان
الدولة لهم او عليهم لان الابتلاء من الله رحمة كما ان النصرة رحمة وقد يستدل بالاية على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه تعالى
سماهم مؤمنين خلاف ما يقول له المعتزلة من انه لا مؤمن ولا كافر قوله سبحانه اذ تصعدون اما مستانف باضمار
واذكر واما ان يتعلق بما قبله اي عفا عنكم اذ تصعدون لان ما صدر عنهم من مفارقة ذلك المكان والاخذ
في الوادي كالمنهزمين ذنب اقترفوه او المعنى ليبتليكم اذ تصعدون او ثم صرفكم حين اصعدتم والاصعاد
الذهاب في الارض والابعاد فيها قال ابو معاذ النحوي كل شيء له اسفل واعلى كالوادي والنهر والازقة يقال منه
اصعد اذا اخذ من سفله الى اعلاه واما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد ولا تلوون على احد لا تلتفتون
اليه واصله ان المعرج على الشيء يلوي اليه عنقه او عنان دابته والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد
الله انا رسول الله من كر فله الجنة فيحتمل انه كان يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان
يدعوهم الى محاربة العدو في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى لان القوم بسبب الهزيمة قد تقدموه وهو
في الجماعة المتاخرة يقال جئت في اخر الناس واخرتهم كما تقول في اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم
الاولى قال في الكشاف انه عطف على صرفكم واقول لا يبعد ان يعطف على تصعدون لانه بمعنى اصعدتم بدليل ان
فعال ثاب اليه اي رجع والمراة تسمى ثيبا لان واطئها عائد اليها واصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله

خيرا

خيرا كان او شرا الا ان العرف خصه بالخير فان حملنا لفظ الاية على اصل اللغة استقام بلا تاويل وان حملناه على مقتضى
العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف وتحيتك الضرب اي جعل مكان ما يرجون من الثواب الغم وهو
في الاصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء في غما بغم يحتمل ان يكون بمعنى المعاوضة
نحو بعت هذا بذاك ويحتمل ان يكون بمعنى المصاحبة اما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم لما اذقتم الرسول
غما بسبب عصيان امره اذاقكم الله غم الانهزام وقتل الاحباب والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد
غم يوم احد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين وفي الكشاف يجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فاساكم في الاغتمام
وكما غمكم ما نزل به من كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وغير ذلك غمه ما نزل بكم من نيل الاعداء ومن الانضمام في سلك
العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان منها واما الاحتمال الثاني ففيه وجهان احدهما ان يكون هناك غمان الاول ما اصابهم
عند الفشل والتنازع والثاني ما حصل عند الهزيمة والاول فوت غنم الغنائم والثاني ان ابا سفيان وخالد ابن الوليد اطلعا
على المسلمين فحملوا عليهم فقتلوا منهم جمعا عظيما اما الاول هذا والثاني خوفهم من رجوع المشركين واستيصال المسلمين
او الاول ما اصابهم في انفسهم واموالهم والثاني غم الارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او الاول خوف عقاب
المعصية والثاني غم التوبة فانها لا تتم الا بالعود الى المحاربة واذا امروا بالمعاودة بعد القتلة والذلة فان فعل غلب على ظنه
القتل وان لم يفعل خاف الكفر وعقوبة الاخرة وثانيهما ان يراد بغم مع غم مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها فيشتمل
جميع الغموم المعدودة وما ينخرط في سلكها ثم اللام في قوله لكيلا تحزنوا يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد عفا عنكم لان في عفوه
تعالى ما يزيل كل هم وحزن واما ان يتعلق بقوله فاثابكم فيكون المعنى على قول الزجاج الله عاقبهم بغم الهزيمة ليتمرنوا
على جميع الغموم واحتمال الشدائد ابدا فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن
الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف امر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم احد في مقابلة ما جعلهم
مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصايبها ولا تفرحوا باقبالها وعلى عوايدها قالت الاشاعرة معنى اثابة
الغم من الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شيء واما المعتزلة فيقولون ان الغم فعل العبد لكنه اسند اليه تعالى لانه
طبع العباد طبعا يغتمون بالمصائب وهم لا يجدون عن ذلك ولا يبدون وان سلم انه يخلقه الله فلرعاية المصالح وليس
الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفره ومعصيته ولكن الغرض لا يبقى في قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله
ولا تحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الاثابة مسندا الى الرسول فانما فعل ذلك ليسليهم وينفس عنهم
لئلا يحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابهم من غلبة العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى كما في قول
الزجاج او المراد انكم قلتم لو بقينا في هذا المكان او اشتغلنا ودفعنا عن فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم
امر الرسول وطلبتم الغنيمة وقعتم في غموم اخر كل واحد منها اعظم من ذلك فيصير هذا مانعا لهم من ان يحزنوا على فوات
الغنيمة في دفعة اخرى ثم كما زجرهم عن تلك المعصية بزاجر دنيوي زجرهم بزاجر اخروي فقال والله خبير
بما تعملون عالم بجميع اعمالكم وقصودكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم اخبر ان الذين كانوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم يوم احد فريقان احدهما الجازمون بحقيقة هذا الدين وان هذه الواقعة لا تتادى الى الاستيصال لاخبار
الصادق ان هذا الدين سيظهر على ساير الاديان فخاطب الجماعة بقوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا فاراد
هولاء بقوله يغشى طايفة منكم والامنة مصدر كالامن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس هو
اوايل النوم وانتصاب امنة على انها حال متقدمة من نعاسا مثل رايت راكبا رجلا او مفعول له بمعنى نعستم امنة
او على انه حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن ككافر وكفرة او على انه مفعول انزل ونعاس بدل منه
قال ابو طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد الا ويميل
تحت حجفته وعن الزبير كنت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني
لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وعن ابن مسعود
النعاس في القتال امنة والنعاس في الصلوة من الشيطان وذلك انه في القتال لا يكون الا من غاية الوثوق
بالله والفراغ عن الدنيا ولا يكون في الصلوة الا من غاية البعد عن الله وكان في ذلك النعاس فوايد منها ان

سنزله المؤمنين كلهم لا في الوقت المعتاد معجزة ظاهرة جديدة لهم موجبة لزيادة وثوقهم بان الله منجز وعده
وناصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم في الجهاد ومنها ان الارق والسهر موجبان الفتور والكلال والنعاس يجدد القوة
والنشاط ومنها شغلهم عن مشاهدة قتل الاعزة والاحبة ومنها ان الاعداء كانوا احرص ما يمكن في قتلهم
فبقاؤهم سالمين في تلك المعركة وهم في النوم من ادل الدلائل على ان حفظ الله وكلاءته معهم ومن الناس من قال ان ذكر
النعاس ههنا كناية عن غاية الامن وهذا صرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة مع ان فيه ابطال الفوائد والحكم
المذكورة واعلم ان من قرا تغشى بالتاء فالعود الى الامنة وبين به ان الامنة مقصودة بالذات والنعاس مقصود بالعرض
ولانها متبوع والنعاس تابع ومن قرا بالياء فللعود الى النعاس ونصرة كونه اقرب وكون البدل في حكم المنحي وموافقته
لقوله في قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب تقول غشيه النعاس وقلما يقولون غشيه الامن ولان النعاس
والامنة انما يكون شيئا واحدا كان التذكير اولى واما الفريق الثاني فهم المنافقون الذين كانوا في شك من نبوته
صلى الله عليه وسلم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن ابي ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم بقوله وطائفة
قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم النبي والمسلمين والمهم الامر الشديد ويقال اهمه ذلك الامر اي
اقلقه وحزنه فالمعنى ان نفوسهم وما حل بهم في الهموم والاشتهار منهم في التشاكي والتثبت والتحقق فيه اذ الانسان
اذا اشتد اشتغاله بالشيء واستغراقه فيه صار غافلا عما سواه فلما كان احب الاشياء عنده هو النفس وكانت اسباب
الخوف على النفس هناك موجودة والدافع لذلك وهو الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم هناك لا هم انفسهم يظنون
بالله غير الحق وهو في حكم المصدر اي غير الظن الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه والفائدة في هذا الترتيب
ان غير الحق اديان كثيرة واردؤها مقالات اهل الجاهلية فذكر اولا انهم يظنون بالله ظنا باطلا ثم بين انهم اختاروا
من الاديان ارذلها كما يقال فلان دينه ليس بحق دينه دين الملاحدة او ظن الجاهلية مصدر ونحو الحق تاكيد
ليظنون كقولك هذا القول غير ما يقول وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق مما اضيف للملابسة اي
ظن المختص بالملة الجاهلية وهي زمان الفترة قبل الاسلام او اراد بظن اهل الجاهلية وهم اهل الشرك الجاهلون بالله
فالجاهلية مصدر كالعالمية والنادرية قيل ان ذلك الظن هو انهم كانوا ينكرون الاله العالم بكل المعلومات القادر
بكل المقدورات وينكرون النبوة والمعاد فلاجرم ما وثقوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقويهم
وينصرهم وقيل الظن هو انه كانوا يقولون لو كان محمد محقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد اما عند
اهل السنة والجماعة فلانه تعالى فاعل لما يشاء ولا اعتراض لاحد عليه واذا شرف الولي عبده بخلعته لم يجب ان
يثنيه باخرى واما عند من يعتبر المصالح في افعاله واحكامه فلا يبعد ان يكون في التخلية بين الكافر والمسلم وغير
ذلك من المصايب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصايب عنه لاضطر الناس الى معرفة الحق وكان
ينافي التكاليف واستحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز الاستدلال
بالدولة والشوكة ووفور القوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله اعلم يقولون هل لنا من الامر من شيء حكاية
شبهة تمسك اهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانما يحتمل وجوها احدها هل لنا من الامر من شيء
يعنون راي عبد الله بن ابي وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل قوله حين امر ان يسكن في المدينة ولا يخرج منها
ونظيره ما حكي منهم لو اطاعونا ما قتلوا وثانيها عادة العرب انه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه
قالوا عليه الامر اي هل لنا من الشيء الذي نعدنا به محمد وهو النصر والقوة شيء وثالثها ان يطمع ان يكون لنا الغلبة
على هؤلاء والغرض منه تقنيط المسلمين عن التشدد في الجهاد فامر الله تعالى ان يجيب عنها بقوله ان الامر كله لله والحوادث
باسرها متعلقة الى قضائه وقدره واذا كان قدر الخروج على الكفار والاختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك
واذا اراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا الدين على الاديان ودفع لا محالة يخفون في انفسهم في ضمائرهم او فيما بينهم ما لا
يبدون لك وذلك المخفي قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا اي لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على
من يدعيه ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة فامر الله تعالى ان يجيبهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم التي قتلوا فيها لان ما كتب الله في اللوح لم يكن بد من وجوده

فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم يتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب
تخلفكم على ان المؤمنين على هذه المصارع لا تخلوا عن الفوائد وذلك قوله وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم
خص الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب اما لاختلاف العبارة واما لان الابتلاء محله القلب الذي في الصدر
والتمحيص مورده النيات والعقائد التي في القلب واعلم ان نسق هذه الاية التي ونظمه عجيب اما نسقه فقوله وطائفة
مبتداء واهمتهم صفته ويظنون خبره ويحتمل ان يكون خبره محذوفا اي وثمة او ومنهم طائفة واهمتهم ويظنون صفة
اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئنافا على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون او بيان وانما
صح وقوع القول الذي هو انشاء بدلا من الاخبار بالظن لان سؤالهم كان صادرا عن الظن فيخفون حال من يقولون وقل
ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ومن قرا كله بالرفع فلانه مبتدا ولله خبره والجملة خبر ان ومن قرا بالنصب
تاكيدا للامر ولله خبر ان كما تقول ان الامر اجمع لله وقوله يقولون استئناف وقوله وليبتلي تقدم ذكره في الوقوف
واما نظمه فانه لما اخبر عن هذه الطائفة بانهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بانهم يقولون هل لنا من الامر من شيء لان هذا
القول لا يصدر الا عمن كان قائلا بل شاكا في حقيقة هذا الدين وفي المبدا والمعاد وفي القضاء والقدر فازال ذلك
الظن بقوله قل ان الامر كله لله بيده الاماتة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان سؤالهم مظنة
ان يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين اراد ان يكشف عن حالهم ويبين نفاقهم كيلا يغتر به المؤمنون
فقال يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اي ذلك القول انما صدر عنهم في هذه الحالة فكان لسائل ان يسال ما الذي يخفونه
في انفسهم فقيل يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقد مر تفسيره ويحتمل ان يراد لو كان لنا راي سديد لم نخرج
من المدينة فلم نقتل ههنا فيكون كالطعن في قوله قل ان الامر كله لله قوله في التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة
الدائرة بين السني والمعتزلي فذاك يقول الطاعة والعصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل
ان شاء امن وان شاء كفر فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيب بهذا الاعتقاد بان ما قضى الله فهو كائن والحذر
لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير وان شئتم المصلحة ففائدته الابتلاء وهو ان يتميز الموافق والمنافق كما في المثل لا
تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصي والسيئات ثم قال
والله عليم بذات الصدور صاحبتها وهي الاسرار والضمائر ليعلم ان ابتلاءه ليس لانه لا يخفى عليه شيء وانما ذلك
لمحض الالهية او للاستصلاح قوله عز وجل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان يعني يوم احد وذكر محمد بن اسحق
ان ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان اولهم سعد بن
عثمان اخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ثم تبعه رجال ودخلوا على نسائهم وجعل النساء يقلن اعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم تفرون وكن يحثين التراب في وجوههم ويقلن هناك المغزل اغزل وقال بعض الرواة ان المسلمين
لم يعدوا الجبل قال القفال الذي يدل عليه الاخبار في الجملة ان نفرا قليلا تولوا وابعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم
من ذهب الى سائر الجوانب واما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هناك ومن المنهزمين عمر الا انه لم يكن
في اوائل المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على الجبل الى ان صعد النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم ايضا عثمان انهزم هو
مع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلثة ايام فقال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم لقد ذهبتم فيها عريضة واما الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فكانوا اربعة
عشر رجلا سبعة من المهاجرين منهم ابو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد
الله وابو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحباب بن المنذر وابو دجانة وعاصم بن ثابت والحرث
بن الصمت وسهل بن حنيف واسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يومئذ على الموت
ثلثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار ابو دجانة والحرث بن الصمت وحباب بن المنذر وعاصم
بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم احد وروي ابن عيينة انه اصيب بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم نحوا من ثلثين كلهم يجيء فيجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء وعليك السلام غير مودع انما استزلهم
الشيطان تقول زللت يا فلان تزل زللا اذا زل في طين او منطق والاسم الزلة واستزله غيره كانه طلب منه الزلة

ودعاه اليها والباء في ببعض ما كسبوا للاستعانة مثلها في كتبت بالقلم والمعنى انه كان قد صدر عنهم جنايات فبها
تلك الجنايات قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التقدير وجوه قال الزجاج انهم لم يتولوا على جهة
المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما اذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا لقاء الله
الا على حال يرضونها والا بعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين فيه وقيل انهم لما اذنبوا بسبب مفارقة
المركز او تعجيل الشيطان لشؤم تلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشؤمها قدر الشيطان على
دعائهم الى التولي لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وانما قال ببعض ما كسبوا
لان الكسب قد يكون خيرا كقوله لها ما كسبت او لان جميع الذنوب لا يؤاخذها الله تعالى كقوله وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة ويحتمل ان الباء بمعنى في اي
السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان في بعض الاعمال اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول
عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون
الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي وانما يكون اعمالا اخر اما في هذه الغزوة او قبلها ولقد عفى الله
عنهم فيه بيان انهم ما كفروا وما تركوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز ثم البحث في انه اي ذنب هو والظاهر انه
التولي لان التوبيخ وقع عليه والاية سيقت لاجله ثم انه من الصغائر او من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكنه
ان كان من الصغائر فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة
في الاية وقال القاضي الاقرب انه من الصغائر لانه لا يكاد في الكبائر انها زلة ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت
على المشركين لم يبق في ثباتهم حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة والخطاء في الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت الاشاعرة
من الكبائر لانهم خالفوا النص وحيث عفى عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار غلب على الظن ان العفو
عن الكبائر واقع من غير شرط ثم ندب المؤمنين الى ما يزيد في رغبتهم في الجهاد فقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
كفروا قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل منافقي احد كعبد الله بن ابي واصحابه وفيه دليل على ان الايمان
ليس عبارة عن مجرد الاقرار باللسان كما تقوله الكرامية والا لم يسم المنافق كافرا وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم مثل قال
الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وذلك انهم قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والميت والقتيل
لا يكلم وعلى تقدير فرض التكلم كان المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب
فلعل المقتولين كانوا اقارب المنافقين وان كانوا مسلمين او اتفاق الجنس فلعل بعض المنافقين صار مقتولا
في بعض الغزوات والضرب في الارض الابعاد فيها للتجارة وغيرها والغزو قصد محاربة العدو قريبا كان او بعيدا
والفاعل غاز والجمع غزى مثل سابق وسبق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون اذ ضربوا او حين ضربوا [illegible]
قوله وقالوا لانه اراد حكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض فالكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا فعبر عنهم بعد ذلك لا بد ان يقول قالوا فيجوز ان يكون قالوا في تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه
بلفظ الماضي لانه لازم الحصول في المستقبل قبل ان الله وفيه دلالة على ان جدهم واجتهادهم في تقرير هذه
الشبهة قد بلغ الغاية فكان هذا المستقبل كالكائن الواقع ويمكن ان يقال عبر عن المستقبل بلفظ الماضي ليعلم ان المقصود
الاخبار عن جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة قال قطرب كلمة اذ واذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى
وهذا ان لم يوجد له في كلام العرب نظير لكن القرآن اولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه
قال الواحدي في الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا اما الكلام في قوله ليجعل الله حسرة في قلوبهم ففي متعلقه وجهان الاول انه قالوا اي قالوا ذلك الكلام
واعتقدوه ليجعل الله ذلك الكلام حسرة فيكون لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا وكيف استعقب ذلك القول حصول الحسرة فيه وجوه فقيل لان اقارب ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام
تخيلوا انهم لو بالغوا في منعه من ذلك السفر والغزو لم يمت او لم يقتل فازدادت حسرتهم وتلهفهم بسبب انهم
قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد في ان الحياة والموت لا تكون الا بتقدير الله فانه لا يحصل له شيء من هذا النوع

من الاسف

من الاسف وقيل لانهم اذا القوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون في الجهاد غنيمة بقي اولئك
المتخلفون في الخيبة والندامة وقيل المراد حسرتهم يوم القيامة لما راوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج
شبهتهم بعد ما اعلم الله المؤمنين بطلانها وقيل الغرض ان جدهم واجتهادهم في تمشية الشبهات تعمي قلوبهم وتضيق صدورهم
فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة الوجه الثاني ان يتعلق اللام بقوله لا تكونوا وذلك اشارة الى ما دل عليه النهي
اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونهم مثلهم حسرة لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم
والله يحيي ويميت رد لمقالتهم وجواب عن شبهتهم اي الامر بيده والحكم له فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم
والقاعد فعلى المكلف ان يتلقى اوامره بالامتثال فالله اعلم بحقيقة المصالح لا يجري الامور الا على وفق اقضيته واحكامه
ونقضه وابرامه وكل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد انه قال عند موته في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا
اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء وفي امثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي رضي الله عنه
يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون علي من موت على فراش ويجوز ان يكون المراد
والله يحيي قلوب اوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب اعدائه بظلمة الشك والخذلان والله بما تعملون بصير
فلا تكونوا مثلهم ومن قرأ على الغيبة فالضمير للذين كفروا ويكون وعيدا لهم ثم انه لما كذب الكافرين في قولهم
لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ونهى المؤمنين عن كونهم مثلهم لانه سبب التقاعد عن الجهاد وتنفر الطبع
عنه رغبهم فيه بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون
فاللام الاولى هي الموطئة والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا في الاية الاخرى والمعنى ان القتل والموت في السفر
غير لازم الحصول لان ذلك منوط بالقدر لا بالسفر ولئن سلم انه لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله
وانه خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء ومن قرأ بالياء فالضمير
للكفار لان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال الذي يعد خيرا وهو على حسب معتقدهم ان اموالهم خير
لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذي يجمع لاجل الغد قد يموت صاحبه قبل الغد وان لم يمت فلعل
المال لا يبقى الى الغد فكم من امير اصبح اسيرا وعلى تقدير بقاء المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعل مانعا يعرض او خوف
يمنعه من الانتفاع به وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالالام ومنافعها مخلوطة بالمضار وبتقدير صفائها
عن الشوائب فلا بد لها من الزوال والانقطاع ومنافع الاخرة اصفى واضفى وابقى وانقى ولا سيما منافعها العقلية
واي نسبة لانتفاع الحمار بلذة قبقبه وذبذبه الى ابتهاج الملائكة المقربين بشروق انوار المعرفة عليهم ثم رغبهم بنوع
اخر فقال ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون كانه قيل ان تركتم الجهاد ومتم لكم الاحتراز عن الموت او القتل بقيتم
اياما قلائل في الدنيا مع اللذات الخسيسة الحسية والخيالية فتتركونها لا محالة فتكون لذاتها لغيركم وتبعاتها
عليكم ولو اعرضتم عن اللذات الفانية وبذلتم النفس والمال في دين الله وصلتم الى اعلى الدرجات وهو مقام
العبدية وانما قدم القتل على الموت في الاية الاولى وعكس في الثانية ليقع الابتداء والختم على ما هو افضل ولان
الاية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل في سبيله فقدم ما هو الاغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون
الدنيا وهو القتل والثانية سيقت لبيان ان حشر الخلائق كلهم اليه باي وجه يفارقون الدنيا ولا شك ان الغالب
على احوال الخلق كلهم الموت ولهذا السر الحق القتل الملاقاة ليعم القتل كليهما وفي قوله لالى الله تحشرون لطائف
منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر وانهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد في ذلك الا له ومنها تخصيص
اسم الله بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على كمال اللطف اعظم انواع الوعد ولدلالته على كمال
القهر اشد انواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمي في الحرف المتصل باسم الله تنبيها على ان الالهية تقتضي
هذا الحشر لحكمة المجازاة ومنها بناء يحشرون على المفعول تنبيها على ما هو متقرر في العقول من انه هو الذي يبدي
ويعيد لا قدرة على الاعادة لاحد غيره ومنها انه اضاف حشرهم الى غيرهم ليعلم انهم احياء كانوا او امواتا لا يخرجون
عن قبضته ومنها انه خاطب الكل ليعلم ان القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم في بساط العدل وفضاء
القضاء موقوفون واعلم انه تعالى ذكر في الايتين المغفرة والرحمة والحشر اليه فالاول اشارة الى من يعبد خوفا

من عقابه والثاني اشارة الى من يعبده طمعا في ثوابه والثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فبهم اهل
الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى الامن عقابه وما احسن هذا النسق يروى ان عيسى عليه السلام مر باقوام نحفت ابدانهم
واصفرت وجوههم وراى عليهم سيما الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو اكرم من ان لا يخلصكم
من عذابه ثم مر باخرين فراى عليهم تلك الاثار فسالهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو اكرم من ان يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث
وراى عليهم سمات العبودية اكثر فقالوا نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة فقال انتم العبيد المخلصون المتعبدون
المحققون قال القاضي في الاية دليل على ان المقتول ليس بميت فالا كان قوله ولئن متم او قتلتم عطفا للشيء على نفسه قلت
لا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه لما ارشدهم في الايات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم
وكان من جملة ذلك ان عفا عنهم زاد في الفضل والاحسان بان مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حين عفا عنهم وترك التغليظ
عليهم في انهزامهم يروى ان امراة عثمن دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي وعلي يغسلان السلاح فقالت
ما فعل ابن عفان اما والله لا تجدونه الام القوم فقال لها علي الا ان عثمن فضح الذمار اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مه وروي انه قال حينئذ اعياني ان ازواج للاخوان ان يتحابوا ولما دخل عثمان مع صاحبيه ما زاد على ان قال لقد ذهبتم
فيها عريضة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال انما انا لكم مثل الوالد لولده فاذا ذهب احدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة
ولا يستدبرها وقال صلى الله عليه وسلم لا حلم احب الى الله من حلم امام ورفقه ولا جهل ابغض الى الله من جهل امام وخرقه
فلما كان صلى الله عليه وسلم امام العالمين وجب ان يكون اكثرهم حلما واحسنهم خلقا لان الغرض من البعثة هو الزام التكاليف
لا يتم الا اذا مالت قلوب الامة اليه وسكنت نفوسهم لديه وراوا فيه اثار الشفقة وامارات النصيحة وعن بعض
الصحابة انه قال لقد احسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين جملة
وبالقران جملة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا لندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها
وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم
ان من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه يعلم انه الحال ذلك الارضيه كلها مستندة الى الاسباب
الالهية فيعلم ان الحذر لا يدفع القدر فلا جرم اذا فاته مطلوب لم يغضب واذا حصل له مطلوب لم يا نشريه لانه
مطلع على الروحانيات لانه هي اشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع احدا في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها
وطيباتها ولا يغضب على شيء بفوات شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العشرة مع الخلق ولما كان
النبي صلى الله عليه وسلم اكمل البشر في القوتين العلمية والنظرية وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وجب ان يكون اكمل الكل
خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت لهم وما مزيدة للتوكيد اما الكلام
في زيادتها فلينظر الى اصل المعنى وعلى حرف الجر فيما بعدها فكانه قال فبرحمة واما افادتها التوكيد فلاستحالة
زيادة حرف لا فائدة فيه اصلا وجوز بعضهم ان يكون استفهامية للتعجب والتقدير فباي رحمة واذا كان لينه
ورفقه رحمة من الله لان الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا الله ولا رحيم
الا هو لان كل رحيم سواه فانه يستفيد برحمة عوضا كالخوف من العقاب او الطمع في الثواب او الثناء او يحمله
على ذلك رقة طبع او حمية او عصبية الى غير ذلك من الاعراض وايضا رحمة المخلوق على غيره لن ينتفع
منها المرحوم الا بعد مواتاة سائر الاسباب السماوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله
رفق فيقه ويربطه على جانب الراحم ويضبطه حال المرحوم ثم بين ان الحكمة في لين جانبه ما هي فقال ولو كنت
فظا سيء الخلق واصله فظظ لحنه وقد فظظت يا رجل بالكسر فظاظة غليظ القلب قاسية يعني لا يتاثر
عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد والتركيب يدل على
التفريق ومنه فض الختام وقال لا يفضض الله فاك اي اسنانك ومنهم من حمل الاية على واقعة احد فقال
فبما رحمة من الله لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب تشافههم بالملامة
على ذلك لانفضوا من حولك هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم فكان ذلك لا يطمع العدو فيكم وفيهم
وههنا دقيقة وهي ان اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله ولهذا امر بالغلظة

في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في اقامة حد الزنا ولا تاخذكم بهما رافة في
دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ومثله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اشداء على الكفار رحماء بينهم
فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع اخر ان الفضيلة في الوسط وهو استعمال كل شيء
في موضعه والنظر في الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعفى واحتجت الاشاعرة بالاية
في مسئلة القضاء والقدر وذلك ان حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله ثم عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين
فكل ما فعله مع محمد صلى الله عليه وسلم من الهداية والدلالة والارشاد فقد فعل ذلك مع فرعون وهامان وابي جهل وابي لهب
فلطف الله ورحمته مشترك بين اصفى الاصفياء وبين اشقى الاشقياء فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة
مستفادا من رحمة الله وهذا خلاف نص الاية فاذن جميع افعال العباد بقضاء الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف
واستبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد فعله في حق المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته
من مزيد الالطاف فذاك بالحقيقة كسب نفسه ويجب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله ثم قال فاعف
عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب دلالة على انه واجب
عليه ان يعفو في الحال كما انه تعالى قد عفا عنهم كانه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم
واستغفر لهم فاني قد غفرت لهم قبل ان تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر
والمشاورة ماخوذة من قولهم شرت العسل اي اجتنيتها واستخرجتها من موضعها وقيل من شرت الدابة شورا عرضتها على البيع
اقبلت بها وادبرت والمكان الذي تعرض فيه الدواب مشوار يقال اياك والخطب فانها مشوار كثير العثار والتركيب يدل
على الاظهار والكشف فالمشاورة يظهر خير الامور ومحسن الاراء وقد ذكر العلماء لامر الرسول بالمشاورة مع انه اعلم الناس
واعقلهم فوائد منها انها توجب علو شانهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم وفي تركه ذلك نوع من الاهانة
والفظاظة وكان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم ومنها ان علوم الانسان متناهية فلا يبعد
ان يخطر ببال احد ما لم يخطر بباله ولا سيما في ما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله انه ما به
اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في واقعة احد فاخطاوا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك
لكان مظنة انه قد بقي في قلبه اثر من تلك الواقعة ومنها لان يظهر له مقادير عقولهم فيتبين لهم على قدر منازلهم
ومنها ان تجربة النفوس الطاهرة متطابقة على تحصيل اصلح الوجوه فيكون اعون على الظفر بالمقصود ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وبهذا امر السر في الجماعات والجمعات ومنها انه تعالى
ما امر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وامره بها بعدها مع صدور المعصية عنهم ليعلم انهم الا الان اعظم حالا
مما كانوا وان عفوه اعظم من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان
ما نزل فيه وحي لم يجز للرسول ان يشاور الامة فيه لانه اذا جاء النص بطل الراي والقياس كما قيل اذا جاء نهر الله
بطل نهر عيسى وفيما وراء ذلك هل يجوز المشاورة في كلها ام لا قال الكلبي وكثير من العلماء ان الامر مخصوص بالحرب
لان اللام في لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحي بالاتفاق فهو اذن لمعهود سابق وليس ذلك الا ما
جرى امر الحرب في قصة احد وقد اشار الحباب بن منذر يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم بالمنزل على
الماء فقبل منه واشار عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض
ثمار المدينة لينصرفوا فقبل منهما وخرق الصحيفة ومنهم من قال اللفظ عام خص عنه ما نزل فيه وحي فيبقى حجة
في الباقي وكيف لا وان كان مامورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي بعموم فاعتبروا يا اولي الابصار والاجتهاد يتقوى
بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر في الاسارى وكان من امور الدين وقد عد الكرمانية بتشاور في نفسها ولو
اكرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا ههنا فاذا عزمت اي قطعت الراي على شيء
بعد الشورى فتوكل على الله لان الاعتماد في جميع الامور عليه لا على الفكر والتدبير والراي الحسن وعن جابر بن
زيد انه قرا فاذا عزمت بالضم اي اذا ارشدتك الى شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم
الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا يغلبكم احد وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من

بعده أي من بعد خذلانه لدلالة الفعل عليه أو هو من قولك ليس لك من يحسن إليك من بعد فلا تجاوزه إذا جاوزته
وقيل إن ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وإن يخذلكم بترك الجذبات فمن ينصركم بعده من الانبيا
والأولياء فإنه القادر على الإخراج عن هذا الوجود كما أنه القادر على الإدخال فيه وعلى الله وليتوكل المؤمنون أي إياه بالتوكل
لما علم أن الأمر كله إليه ولا راد لقضائه ولا دافع لبلائه ولأن الإيمان يوجب ذلك ويقتضيه وليس المراد بالتوكل أن يهمل الإنسان
حال نفسه بالكلية ويرفض الوسائط والأسباب كما يتصوره الجهال وإلا كان الأمر بالمشاورة منافيا للأمر بالتوكل
وإنما التوكل هو أن يراعي الأسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتأييده وتوفيقه وتسديده
التأويل ولقد صدقكم الله أيها الطلاب وعده الأزلي طلبني وجدني إذ تقتلون جنود الصفات البشرية بأمره لا على
وفق الطبع حتى إذا تركتم قتال النفس وخالفتم في أمر الطلب وعصيتم الدليل المربي من بعد ما أراكم الدليل بالتربية
ما تحبون من دلالة الطريق وإنما عصيتم الدليل إذ دلكم على الله لأن منكم من كانت همته زخارف الدنيا ومنكم من كانت همته
طلب نعيم الآخرة وقرئ هذه الآية عند الشبلي فصاح صيحة وقال لما كان من أحد فقال له ومنكم من يريد الله ثم صرفكم
عن جهاد النفس وقتل صفاتها باستيلائها عليكم ليمتحنكم بالستر بعد ما تجلى لكم أنوار المشاهدات وبالصحو بعد ما السكر
بأفراح الواردات وبالفطام بعد ما أرضعكم بألبان الملاطفات ولقد عفا عنكم يعني بعد ابتلائكم عفا عن التفاتكم إلى الدنيا
والآخرة بالعناية الأزلية والله ذو فضل على المؤمنين في الأزل إذ تصعدون في طريق الحق طالبين بعد ما كنتم هاربين
ولا تلتفتون إلى أحد من الأمرين الدنيا والآخرة بالعناية الأزلية والله ذو فضل والرسول الوارد من الحق يدعوكم إلى
عبادي إلي عبادي فجازاكم بدل غم الدنيا والآخرة غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا ما أصابكم
من نعيم الآخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والآخرة في طلب وجدانه فلا يحجب بها لكم دين في جزائكم
ثم أخبر عن أنزل الألطاف أصناف ألطافه على عباده في صور مختلفة فأنزل الأمن في صورة النعاس على الصحابة وأخرج
جواهر الوقائع السنية لأرباب القلوب والمكاشفات من معدن النعاس فإن أكثر ما يقع بين النوم واليقظة وطائفة
من أرباب النفوس ومدعي الإسلام قد أهمتهم إلا هم أنفسهم من استيفاء حظوظها واستيفاء لذاتها ظن الجاهلية
وهو أن الأمر إلى الخلق لا إلى الله ولا بقضائه ولا قدره هل لنا من الأمر المتصرف والتظفر من شيء ما قتلنا ههنا بالباطل على
أيدي حزب الشيطان وليبتلي الله ما في صدوركم أيها المنافقون لأن الصدور معدن النفاق والغل ووسوسة
الشيطان ونزعنا ما في صدورهم من غل يوسوس في صدور الناس وليمحص ما في قلوبكم أيها المؤمنون لأن القلب
محل الإيمان والاطمئنان كتب في قلوبهم الإيمان ألا بذكر الله تطمئن القلوب ونسبة الإسلام باللسان إلى الإيمان
بالجنان كنسبة الصدر إلى القلب إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا استخرج من
معدن الإنسان حديد ما كسبوا من الذنب ليجعله مرآة لظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم ولقد عفا الله عنهم
إن الله غفور حليم ليعلم أن الله تعالى في كل شيء من الخير والشر أسرارا لا يعلمها إلا هو ومنها قال لو لم تذنبوا لجاء
الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم إذا ضربوا في الأرض سافروا في البلاد مستفيدين من العباد أو
سلكوا في أرض نفوسهم بسبيل الرشاد أو كانوا غزى مجاهدين مع كفار النفس والهوى والشيطان لو كانوا موافقين
معنا ما ماتوا بمقاساة الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول حسرة في قلوب الصديقين والله يحيي
قلوب أهل المجاهدة بأنوار المشاهدة فلا يحسرون على ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة الإنكار وغلبة صفات
النفس فيحسبون أنهم يحسنون وباقي الحقائق قد مرت في التفسير وقد سنح عند تحريري هذا الموضع أن قوله فبما رحمة
من الله لنت لهم يمكن أن يفهم منه الخطاب مع الروح الإنساني أنه لان برحمة الله الصفات النفسية وقواها الشهوية
والغضبية حتى يسعى في حفظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى وانتفت
من الجانب وتلاشت واختلفت حكمة التدبير ونفدت الكمالات التي خلق الإنسان لأجلها ثم الكلام في أن هذا الذي
لا بد له من الغلظة حتى لا يتجاوز عن الوسط ولا يخرج عن قانون الشرع والعقل كما تقدم الله حسبي

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ

مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ
وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝
لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝
أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ
الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا
لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ
مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ
أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۝
الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ
وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ
لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝ إِنَّمَا ذَلِكُمُ
الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝

نصف الجزء

القراءة يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وابو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غير رويس الباقون بالضم والفتح على البناء للمفعول ولا يحسبن بياء الغيبة الحلواني عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر علي الباقون بالفتح وخافوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الباقون بالحذف **الوقوف** ان يغل لابتداء الشرط يوم القيمة لانتهاء جزاء الشرط مع العطف لا يظلمون نصف الجزء جهنم المصير عند الله بما يعملون والحكمة لمكان العطف مبين مثليها لان الاستفهام الانكار دخل على قلتم هذا الفكم قدير وليعلم المؤمنين نافقوا لاحتمال العطف والاستيناف والوصل اولى على تقدير وقد قيل لهم ادفعوا لاتبعناكم للايمان لاحتمال الحال والاستيناف في قلوبهم يكتمون لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون او خبر مبتدا محذوف ما قتلوا صادقين امواتا عند ربهم يرزقون لان فرحين حال لهم من فضله للعطف من خلفهم لتعلق ان مع لا يحزنون للاية وباستيناف الفعل اذ يستحيل ان يكون الاستبشار حالا للذين يحزنون وفضل لان التقدير وبان ومن كسر وقف والجملة حينئذ اعتراضية المؤمنين لان الذين يصلح صفة للمؤمنين ومبتدا خبره للذين احسنوا او نصبا على المدح والاول اوجه لاتحاد الصفة القرح لمن لم يقف على المؤمنين عظيم لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدا محذوف ايمانا والوصل اولى للعطف واتصال نزول الكل الايتان يقين الكل الوكيل سوء للعطف رضوان الله عظيم اولياءه لوصل النهي عن الخوف بعد ذكر التخويف مؤمنين

التفسير هذا حكم من احكام الجهاد واصل الغلول اخذ الشيء في خفية يقال اغل الجازر والمسلخ اذا ابقى في الجلد شيئا من اللحم ليسرقه والغل الحقد الكامن في الصدر والغلالة الثوب الذي يلبس تحت الدرع والثياب والغلل الماء الذي يجري في اصول الشجر لانه مستتر بالاشجار وقال صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقال ايضا هدايا الولاة غلول وقال الجوهري غل يغل اذا خان واغل مثله الا ان العرف جعله في الغالب مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال ابو عبيدة الغلول في المغنم خاصة وقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم من الكبائر عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلثة دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته فرس لها حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك ومعنى الاية فيمن قرأ بفتح الياء وضم الغين ما كان لنبي ان يخون اي ما صح ولا ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها اعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار في الاخرة كيف وانه امين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات افلا يكون امينا في الارض هيهات وقيل اللام منقولة والتقدير وما كان لنبي ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما كان الله ليتخذ ولدا ومن قرأ يغل بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان احدهما يخان اي يؤخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة والخيانة محرمة على الاطلاق فوائد منها ان المجني عليه كلما كان اجل منصبا كانت الجناية في حقه افحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي فكان فيه مع عذاب الاخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت كانوا في غاية الفقر فكانت تلك الخيانة حينئذ اقبح وثانيهما يخون اي ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد تقول العرب اكفرت الرجل جعلته كافرا او نسبته الى الكفر قال القفال لو كان هذا هو المراد لقيل يغلل كما يقال يفسق ويكفر والاولى هو من اغللته اي وجدته غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر على هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل فقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبي ان يغل ويقتل والحق ان الانكار لا يتوجه الا اذا كان الاغلال بمعنى وجدته غالا واما يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وقد طعن بعضهم في هذه القراءة مطلقا وقال ان اكثر ما جاء من هذا القبيل في التنزيل اسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان نشرك ما كان ليأخذ اخاه ما كان

لنفس ان تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى ابو عبيدة عن يونس انه قال ليس في الكلام ما كان لك ان تضرب بضم التاء والحق ان القرآن حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روي انه صلى الله عليه وسلم لما وقعت غنائم هوازن في يده غله رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متضادتان ويوافقهما اسباب النزول اكثرها روي انه تأخرت قسمة الغنيمة في بعض الغزوات لمانع فجاء قوم وقالوا الا يقسم غنائمنا فقال صلى الله عليه وسلم لو كان لكم مثل احد ذهبا ما حبست منكم درهما اتردون اني اغلكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان اشراف الناس طمعوا ان يخصهم النبي صلى الله عليه وسلم من الغنائم بشيء زائد فنزلت وقال الكلبي ومقاتل نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث طلائع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت ما كان لنبي اي ما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وتسمية حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر وقيل نزلت في اداء الوحي كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه ان يترك ذلك فنزلت ما كان لنبي ان يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس او رهبة عنهم ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة اكثر المفسرين اجروه على ظاهره ونظيره في مانع الزكوة يوم يحمى عليها في نار جهنم ويدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس انه قال يمثل له ذلك الشيء في قعر جهنم ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه هذه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت ذلك الشقي قاس امور الاخرة على الامور الدنيوية ولم يعلم ان ذلك المسك حينئذ يكون انتن من الجيفة واثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال امره ويزيد كربه فيفتضح متصوره قال المحققون والفائدة فيه انه اذا جاء يوم القيمة وعلى رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيمة وقال ابو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير [illegible] والمراد انه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويعزره عليه يوم القيمة ويجازيه به لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل اشتهار من يحمل ذلك الشيء وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل والصحيح هو الاول ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات الجزاء لكل كاسب على سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهذا ابلغ مما لو خص الغال بتوفية الجزاء وقيل لم يوفى ما كسب ثم فصل ما اجمل فقال افمن اتبع والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره امن اتقى فاتبع قال الكلبي والضحاك افمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله رجع منه بشيء لذة انتقاما لاجل الغلول وقال الزجاج افمن اتبع رضوان الله بامتثال امر النبي حين دعاهم الى دفع المشركين يوم احد كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول اقرب لتكون الاية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا ومن له ومأويه جهنم من تمام صلة من باء ويتوله وبئس المصير اعتراض قال القفال لا يجوز في الحكمة ان يسوى بين المسيء والمحسن والا كان اغراء بالمعاصي واباحة لها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها هم درجات قيل اي لهم درجات وحسن هذا الحذف لان اختلاف اعمالهم كانه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية بدليل اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة بل هم في انفسهم درجات لان لهم درجات وقيل المراد هم ذوو درجات ثم الضمير الى من يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب في العرف استعمال الدرجات في اهل الثواب والدركات في اهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو ان مأويه جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان وهو ان لهم درجات عند الله وهذا وان كان معناه في علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا ولا يراد به عندية المكان لتنزهه تعالى عن ذلك الا انه يفيد في الجملة تشريفا وانه يليق باهل الثواب وقال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه اقرب وانهم متفاوتون في العذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان منها ضحضاحا وغمرا وقال ان اهون اهل النار عذابا رجل عليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه ينادي يا رب وهل يعذب احد عذابي ولا وجه ان يكون عائدا الى الكل لان درجات اهل النار كقوله ولكل

درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم بمقدارها قوله عز وجل لقد من الله على المؤمنين في النظم وجوه منها ان
هذا الرسول نشأ فيما بينهم ولم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق من هذا حاله الخيانة ومنها لان الله تعالى
قال لا النبي في وصفه بانه انزهه عن الخيانة ولكني اقول ان وجوده فيكم من اعظم نعمي عليكم ومنها ان كنتم جاهلين جاهلين
وانما حصل لكم الشرف والعلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه الطعن فيكم ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل ان يعينه
باقصى ما تقدر عليه ويكون معه باليد واللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد
ومعنى المن هاهنا الانعام على من لا يطلب الجزاء عنه والوجه في المنة اما ان يعود الى اصل البعثة واما ان يعود الى بعثة
هذا الرسول فمن الاول ان الخلق مجبولون على الجهل والنبي يورد عليه وجوه دلائل الكمال ويزيح عللهم في كل حالة وايضا
انهم وان شهدت فطرتهم لوجوب خدمة مولاهم لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى ان يشرحها النبي صلى الله عليه
وسلم وايضا جبلوا على الكسل والملل فهو يورد عليهم انواع الترغيبات والترهيبات في كل وقت يحدد نشاطهم
وبالجملة فعقول البصر بمنزلة انوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا يتم الانتفاع بقوى البصر الا عند سطوع نور
الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم ينضم اليه ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الثاني ان هذا الرسول بعث
من انفسهم اي من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من آمن مع الرسول
من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم اخذ ما يجب
اخذه عنه واذا كانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة كان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه
ايضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك ان الافتخار بابراهيم صلوات الرحمن عليه كان مشتركا فيه بين
اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى وبالتورية والانجيل وما كان للعرب ما يقابل
ذلك فلما بعث الله محمدا وانزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائدا على شرف جميع الامم وقيل من انفسهم اي من جنس
الانس لا من جنس الملك لان الجنس الى الجنس اميل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضي الله عنها
انهما قرآ من انفسهم بفتح الفاء اي اشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون عاما ويحتمل ان يراد بهم العرب ويصح لان عدنان ذرية
ولد اسمعيل ومضر ذرية نزار بن معد بن عدنان وخندف ذرية مضر ومدركة ذرية خندف وقريش ذرية
مدركة وفهر بنيش ذرية محمد صلى الله عليه وسلم واما سائر ما في الآية من قوله يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة فقد مر تفسيرها في البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا واعراب قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
كما سلف في قوله وان كانت لكبيرة ومعنى المنة فيه ان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها اعظم فبعثة هذا الرسول
عقيب الجهل والذهاب عن الدين بكونه اعظم نفعا واتم وقعا ثم لما اجاب عن نسبة النبي الى الغلول حكى عنهم
شبهة اخرى وهي قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله انى هذا واجاب عنها بقوله قل هو
من عند انفسكم والواو في قوله اولما اصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قضية احد الا ان حرف
الاستفهام تقدم على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومفعول القول انى هذا واصابتكم في محل الجر باضافة
لما اليه والتقدير اقلتم حين اصابتكم ويجوز ان يكون الجملة معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ من
اين اصابنا هذا وكيف يصير علينا ونحن على الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبي معهم والمراد بالمصيبة واقعة احد
ومثليها واقعة بدر وذلك ان المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل المراد
نسبة الضعف في الهزيمة لا في عدد القتلى والاسرى فالمسلمون هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم ايضا في الاولى يوم
احد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة فخرج من قوله
قد اصبتم مثليها جواب ضمني يعني ان احوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا اصبتم منهم مثل ما نالوا منكم فلا وجه
للاستبعاد لكنه صرح بجواب اخر فقال قل هو من عند انفسكم وفي تقريره وجهان الاول ان هذه المصيبة
بشؤم معصيتكم وذلك انهم عصوا الرسول في امره في الخروج عن المدينة وكان رايه في الاقامة ثم في الفشل
وفي التنازع وفي مفارقة المركز وفي الاشتغال بطلب الغنيمة الثاني ما روي عن علي عليه السلام انه قال جاء جبريل عليه السلام
الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفدا في الاسارى وامرك ان تخيرهم بين

ان يقدموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان يأخذوا الفدا على ان يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك لقومه فقالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا نأخذ الفدا منهم فنتقوى به على قتال العدو ونرضى ان يستشهد منا
بعددهم فقتل يوم احد سبعون رجلا بعدد اسارى بدر فمعنى هو من عند انفسكم هو باخذكم الفدا واختياركم القتل وتمسك
المعتزلة بالآية على ان للعبد اختيارا في الفعل والترك وانه من عند نفسه وعارضهم الاشاعرة بقوله ان الله على كل
شيء قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد امتنع من الله ان يقدر عليه اذ لا
قدرة على ايجاد الموجود والحق ان وجود الواسطة لا ينافي استناد الكل الى مسبب الاسباب ويؤيده قوله وما اصابكم يوم
التقى الجمعان فباذن الله قال ابن عباس اي دفع بقضائه وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين لان الرضا بالقضاء لازم وقيل بتخليته
لان الاذن مخل بين المأذون ومراده فاستعير الاذن للتخلية وانما اعتبر المصالح فذاك قوله وليعلم المؤمنين اي ليتميزوا
من اهل النفاق وانما لم يقل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض تقويرانهم شرعوا في الاعمال اللائقة
بالنفاق في ذلك الوقت واحدثوها ولانه عطف على الصلة وقيل لهم وقال الاصم هذا القائل رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يدعوهم الى القتال وقيل هو ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حزام الانصاري لما انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس تبعهم
فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ان كان في قلبكم حب هذا الدين او ادفعوا عن انفسكم واهليكم
واموالكم ان لم يكن لكم عزم الآخرة وطلب مرضات الله اي كونوا من رجال الدين او من رجال الدنيا وقال السدي وابن
جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا لان الكثرة احد اسباب الهيبة والرعب ثم انه كان سائلا سال فما
ذا اجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم كانهم جحدوا ان يكونوا بين
الفريقين قتال البتة او المراد لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لوافقناكم عليه ولكنكم تلقون بايديكم الى التهلكة
وذلك ان راي عبد الله كان في الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم في الجواب فاسد اما
الاول فلان ظهور امارات الحرب كاف في وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والطعن في امر الدين قائم مقام العلم
والامارة اقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل احد واما الثاني فلانه تعالى لما وعدهم النصر والغلبة ان صبروا
واتقوا لم يكن الخروج الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولركاكة جوابهم قال هم للكفر اقرب نصرة منهم لان
تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال اكثر العلماء انه تنصيص من الله على انهم كفار
لان القرب من الكفر حصول الكفر قال الحسن اذا قال الله اقرب فهو اليقين بانهم مشركون كقوله مائة الف او يزيدون
فهذه الزيادة لا شك فيها وقال الواحدي فيه دليل على ان الاتي بكلمة التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يطلق القول بتكفيرهم
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي لا يتجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم خلاف صفة المؤمنين
في مواطاة قلوبهم ما نطقوا به من التوحيد والله اعلم بما يكتمون من بغض الاسلام والمسلمين وسائر مجاري
احوالهم فيما بينهم وذلك ان المؤمنين قد علموا بعض ذلك بالقرائن والامارات وهو الله تعالى عالم بتفاصيل
ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات الذين قالوا منصوب على الذم او على البدل من الذين
نافقوا او مرفوع على الذم اي هم الذين او على البدل من ضمير يكتمون وقيل يجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير
في افواههم او قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم احد اخوة في النسب او في سكنى الدار او في الجنسية
والنفاق والقائلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن ابي واصحابه واعترض الاصم بانه قد خرج يوم احد فكيف وصف
بالقعود في قوله وقعدوا اي والحال انهم قد قعدوا عن القتال والجواب ان القعود عن القتال هو التخلف عنه وتركه لا
بالخروج لو اطاعونا في امرنا اياهم بالقعود ما قتلوا كانهم قعدوا وما اكتفوا بذلك بل ارادوا تثبيط عزمهم وذلك لان
الطباع من محبة الحياة وكراهة الموت ومن يسمع بحال ما فعل بعض ضعفة المسلمين اذا اسمع ذلك رغب في القعود ونفر
طبعه من الجهاد فاجابهم الله تعالى بقوله قل فادروا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين في ان الحذر يغني عن القدر وان
سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغيره من اسباب النجاة وفيه استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب
الموت فادفعوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون جميعا لكن بناء على ان القتل
امر مكروه يجب على العاقل ان يتحرز منه لو امكنه لكنا لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل

الله امواتا والخطاب للرسول او لكل احد ومن قرا على الغيبة فالضمير للرسول او المراد لا يحسبن حاسب او لا يحسبنهم امواتا وضمير
المفعول للذين قتلوا اي لا تحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام عليه فكانه مذكور
كلاهما كما حذف المبتدا في قوله بل احياء اي هم احياء لدلالته عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنه وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب
معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ عنا اخواننا انا في الجنه نرزق لئلا يزهدوا
في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغكم عنهم هذه فانزل الله هذه الاية وعن جابر بن عبد الله
قال نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالي اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل ابي وترك دينا وعيالا فقال الا اخبرك
ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال يا عبدي سلني اعطك قال اسالك ان تردني الى
الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال يا رب فابلغ من ورائي فنزلت وقال جماعة من
اهل التفسير نزلت الاية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان اولياء الشهداء كانوا اذا اصابتهم نعمة او سرور تحسروا
وقالوا نحن في النعمة والسرور واباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الاية تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم
انهم احياء منعمون واختلف العلماء في معنى هذه الحياة فنقل طايفة انها على سبيل المجاز فقال الاصم والبلخي اي بهما
الذكر الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وروي ان عبد الملك بن مروان لما راي الزهري وعلم فقهه وتحقيقه
قال ما مات من خلف مثلك ومن هذه الطايفة من قال مجاز هذه الحياة ان اجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت
الارض البتة روي انه لما اراد معوية ان يجري العين الى قبور الشهدا امر بان ينادي من كان له قتيل فليخرجه من هذا
الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم فانقطرت دما ومن هولاء
من قال المراد انهم لا يغسلون كما لا يغسل الاحياء وذهب طايفة من متكلمي المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون احياء
والغرض تكذيب منكري المعاد ورديف بانه عدول عن الظاهر وبان عذاب القبر ثابت فالثواب اولى وبانه نهى عن
حسبانهم امواتا والذي يزيل هذا الحسبان هو اعتقاد انهم احياء في الحال لا اعتقاد انهم احياء في القيمة فان ذلك
مما لا يشك النبي والمومنون فيه وبما روينا عن ابن عباس ان ارواحهم في اجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا
والاستبشار بمن يكون في الدنيا لا بد ان يكون قبل يوم القيمة وذهب كثير من المحققين الى انهم احياء في الحال لكن
بصفة روحانية وان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيمة وذلك ان الانسان ليس عبارة عن
مجموع هذه البنية لان اجزاء البدن في الذوبان والانحلال ويعرض لها السمن والهزال والقوة والكلال ونحن نجد
من نفسه انه شي واحد من اول عمره الى اخره والباقي مغاير للمتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه حال ما يكون
غافلا عن جميع اجزائه واعضائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشي المغاير لهذا البدن المحسوس سواء
كان جسما مخصوصا ساريا او جوهرا لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا فان اماته الله فيعيده حيا وبهذا يثبت
عذاب القبر وثوابه ويزول الشبهات ومن تامل في الامور الواردة عليه وجد احوال النفس مضادة لاحوال النفس
النفس ويجد قوة احدهما منقبضة لضعف الاخر كما ان البدن يضعف وقت النوم ويقوى النفس على مشاهدة
الغيبيات ويقتبس من عالم الارواح واذا اعرضت النفس عن الطعام والشراب واقبلت على مطالعة العالم العلوي
زادت سرورها وابتهاجها وفرحها وارتياحها وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها المعارف الالهية
واكثر ارباب الشرع على انهم احياء في الحال بعينه جسدانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد اجسادهم الى السموات
والى قناديل تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحييها
ويوصل هذه السعادات اليها فمن الناس من طعن في هذا القول وقال ان نجوز ان يكون البدن الميت الملقى في التراب حيا
متنعما عاقلا عارفا نوع من السفسطة والحق في هذه المسلة عندي خلاف ما يقوله اهل التناسخ من ان النفس بعد
موت بدنها تنتقل الى بدن اخر ويعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله الفلاسفة من ان النفس ينقطع علاقتها
عن البدن مطلقا وانما تلتذ او تتالم هي بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة او بالعقايد الباطلة والملكات
الذميمة والذي اقوله ان النفس تبقى له علاقة مع بدنها لا بالتحريك واكتساب الاعمال ولكن بالتلذذ والتالم والتعقل

ونحوها وليس ببدع ان يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه ان النفس في هذا العالم جعلت متصرفة في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه يفتقر الى تحريك الاعضاء واعمال الجوارح والالات وبعد الموت يجعل متصرفة فيه من جهة الجزاء والحساب فكيف ينبغي ان يقاس احدهما على الاخر فلعله يكفي بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتالم والادراك فقط الى ان تقوم القيمة الكبرى وهذا القدر لا ينافي كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحرك ولا احساس ونطق ويويده ما روي انه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا على شيا وفي حديث عذاب القبر انه ليسمع قرع نعالهم ولعل السر في انه اكتفى بهذا القدر من التصرف انه ان كان اكثر من ذلك كما سيكون في القيمة الكبرى نافى تكليف ساير الاجساد وافضى الامر الى الالجاء وهو السر في اخفاء عذاب القبر ويصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين واما الشهداء فلا يبعد ان يجازيهم الله بمزيد التلذذ بنعيم الاخرة كما قتلوا تعجلا للثواب كما عجلوا في الانقطاع عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طايفة ينبغي ان يناسب عملهم فافهم هذه المسلة فانها علق مضنة وبه يثبت جميع ما ورد في الشريعة الحقة والله اعلم ومعنى عند ربهم انهم مقربون ذوو كرامة كقوله فالذين عند ربك ان المراد بحيث لا يملك احد سوى ربهم او المراد في علمه وفي حكمه كما يقال هذه المسلة عند الشافعي كذا يرزقون كما يرزق ساير الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث فرحين بما اتيهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصصهم به من التفضل على غيرهم من قبل تحمل ثمار الجنة ونعيمها وقال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دايمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى المنفعة وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب التعظيم وبلسان الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية وفرحين رمز الى ابتهاجها بالنظر الى ينبوع النور ومصدر الكمال ويستبشرون بالذين باخوانهم من المجاهدين لم يلحقوا بهم الاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم انهم بقوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم اي لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك ان الله بشرهم بان من تركوا من خلفهم من المومنين يبعثون امنين يوم القيمة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم وانما بشرهم الله بذلك ولانهم لما فارقوا الدنيا بغتة كان ذلك مظنة ان يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبه ندامة فاكرمهم الله تعالى بازالة ذلك التعلق بان اعلمهم امن اخوانهم من عذاب الله فحصل لهم سروران من قبل حالهم في انفسهم وذلك قوله فرحين بما اتيهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم واعزتهم وذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ثم كرر هذا المعنى لمزيد التاكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهي الثواب وفضل وهو التفضل الزايد وهذا هو سرورهم بسعادة انفسهم وان الله اي وبان الله لا يضيع اجر المومنين وهذا هو سرورهم بسعادة اخوانهم المومنين ثم انه تعالى مدح المومنين بغزوتين متصلتين بغزوة احد تعرف اولاهما بغزوة حمراء الاسد والثانية بغزوة بدر الصغرى واما الاولى فروي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا اكثرهم ولم يبق الا القليل فلم تركناهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب الكفار ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه الى الخروج في طلب ابي سفيان وقال لا اريد الا ان يخرج معي الا من حضر يومنا بالامس فخرج في سبعين من الصحابة حتى خرجوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال فالقى الله الرعب في قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا باتيان جميع الماموارت منهم واتقوا بالانتهاء عن المحظورات او احسنوا في طاعة الرسول واتقوا مخالفته وان بلغ الامر بهم الى الجراحات وروي انه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة اخرى وكان فيهم من يتوكا على صاحبه ساعة ويتوكا عليه ساعة ومن في قوله تعالى للذين احسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وقال ابو بكر الاصم نزلت في يوم احد لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم بالناس بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة فصلى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ودفنهم بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الى اخيها

حمزة فقال صلى الله عليه وسلم للزبير ردها لتنظر اليه فقالت خيرًا واستغفرت له وجاءت امرأة قد قتل زوجها وابوها
واخوها فلما رأت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حي قالت ان كل مصيبة بعدك هدر واما الثانية فروي ابن عباس ان ابا سفين
لما عزم ان ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل فنقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم
لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله فلما حضر الاجل خرج ابو سفين مع قومه حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا
له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان يلتقي بموسم بدر وان هذا عام
جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده في ذلك جراءة
فالحق بالمدينة وثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم في دياركم
وقراركم فقتلوا اكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم احد فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم فقال صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لاخرجن اليهم ولو وحدي فخرج في سبعين راكب وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر
الصغرى وهي ماء لبني كنانة فكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من
المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات فوافوا السوق وباعوا امتعتهم واشتروا بها ادما وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم
درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفين الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا
انما خرجتم لتشربوا السويق وانزل الله في المؤمنين الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود كما ذكرنا وانما عبر عن الانسان
الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد ولان الواحد اذا قال قولا
وله اتباع يقولون مثل قوله يرضون به حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحسن ذلك القول
لم يحل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحسن قال ثم ذلك القول لم تفعل من ناس من اهل المدينة فيفا مونه ويعلن
جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق من ركب من عبد القيس مروا على ابي سفين يدسهم الى المسلمين ليجبنوهم وضمن لهم عليه حملا
بعير من زبيب وقال السدي هم منافقوا المدينة كانوا يثبطون المسلمين عند الخروج ويقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا
سفيان واصحابه والمفعول محذوف اي جمعوا على الجهاد واظهروا حمية الاسلام فكان ذلك اثبت لنفسهم واقوى لاعتقاد
واستدل بالآية من قال ان الطاعات الزيادة وتفت في عزائم الايمان ولكنها حصلت في الايمان مجازا وقد مر تحقيق
الكلام لنا في هذا المعنى في اوائل الكتاب وكما انهم اصروا ذلك بحسب الاعتقاد وافقوا الخليل صلوات الرحمن عليه
حين القي في النار فاظهروه باللسان وقالوا حسبنا الله وقد مر من اعراب مثله في قوله فحسبه جهنم ونعم الوكيل
الكافي او الكافل او الموكول اليه هو ثم علموا انما اعتقدوه وقالوه فخرجوا فانقلبوا بنعمة من الله وهي العافية وفضل
وهي الربح بالتجارة اما النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة لم يمسسهم سوء لم يصيبهم قتل ولا جراح بانه حصل
لهم الملائم ولم يحصل لهم المنافي وهذه غاية المطالب ونهاية الاماني في ان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله
سبحانه وتعالى ثم روي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله ليعلموا ان لهم ثواب المجاهد
حيث فضوا عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلي في ثواب المطيعين هو فضله بهم ورحمته
عليهم ولن ينجي احدا عمله الا ان يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن ان لا يتقي الا بالله ولا يخاف احدا الا اياه وذلك قوله
انما ذلكم المثبط هو الشيطان لعنه وتبرئه ما عنا به ثم بين شيطنته بقوله يخوف اولياءه او الشيطان صفة اسم الاشارة
وهذه الجملة خبره المفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي
ان يؤثروا خوف الله على خوف الناس الذين هم اولياء الشيطان والاولياء هم ابو سفين واصحابه وقيل الشيطان هو
ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا الضمير في فلا تخافوهم للناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم
باوليائه كقوله ويخوفونك بالذين من دونه فحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج وابو علي وضعف ابن الانباري
بان التخويف قد يتعدى بنفسه الى مفعولين فلا ضرورة الى اضمار حرف الجر الله حسبي **التاويل** قد ذكرنا ان
النفس يبقى له تعلق ببدنها فالان نقول ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق ببدنه جزاء له على تعجيل اذاقة مرارة
الفراق عن الدنيا ولهذا لا تبلى اجسادهم كثير منهم وتبقى غضة طرية ولهذا وكانهم هم الشهداء في الحقيقة وكذا

اجساد الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيوف الرياضات ومطارق الاذكار واسنة السنة
الطاعنين وتجرع هموم مخالفات النفس ومكابدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم
سببا للتالم بل بعضه سبب اللذة والابتهاج يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وكما ورد في حديث الشهداء
من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة والذي جاء به ان ارواحهم في اجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة
اللطيفة منهم فلما فنى المكون ان يخلق الله تعالى ذلك جسما لطيفا شبه طائر ويكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى يحركه
ويطير حيث تشاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى واما كون الطير خضرا فاما لان بدن الميت يميل الى الخضرة
واما لان يكون عبارة عن النضرة تعرف في وجوههم نضرة النعيم واما لان حالهم بالنسبة الى ما يؤول اليه اهل الجنة والنار يوم
القيمة كالمتوسط بين الحالين الذين يعبر عنهما بالبياض والسواد في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذه المعاني
ما وجدتها في كتب التفسير والتاويل وارجو ان اكون مصيبا فيها الغرض والله اعلم واحكم بمراده

ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل
لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن
يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم
خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله
وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من
فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث
السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله
فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب
الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله
عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي
بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل
من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون

على الكفر وبان ارادته ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة انما يليق بمن امن فاستوجب المعظم احبط وبان الحزن انما يكون على
فوات امر مقصود وذلك هو ما قدره النبي صلى الله عليه وسلم من الانتفاع بايمانهم وانتفاعهم بالايمان فبين الله تعالى
انه لا يلحق بسبب فوات ذلك ضرر بالدين وان وبال ذلك يعود عليهم كما دل عليه بقية الاية فان قيل الحزن على كفر
الكافرين وعلى معصية العاصي طاعة فكيف نهى نبي الله عن ذلك فالجواب النهي عن الاسراف في الحزن يجب اي
عليه ونظيره لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين او المراد لا يحزنك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا
الله اي دينه شيئا من الضرر يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة وفيه دليل على ان ارادة الله تتعلق بالعدم ونصص
على ان الخير والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى قوله ولهم عذاب عظيم انه كما لا حظ لهم من منافع الاخرة فلهم
حظ عظيم من مضارها وفي الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون الاخبار بنفس عدم الجعل اشعار بان
الحرمان بلغ الى حد اراده ارحم الراحمين ان لا يرحمهم وان الداعي الى تعذيبهم خلص خلوصا لم يبق معه صارف البتة ثم انه ان ذكر
في اليهود خاصة وهو الاشبه او في الكفار عامة ان الذين اشتروا الاية والغرض تاكيد تقوية قلب الرسول كانه
قيل ان اكثرهم ينازعوك في الدين لا لاجل شبهة لهم بل بناء على الحسد والمنازعة في منصب الدنيا ومن كان عقله
هذا القدر وهو ان يبيع بالقليل من الدنيا السعادة الكبيرة في الاخرة كان في غاية الحماقة ومثله لا يقدر على الحاق الضرر
بالغير وقيل ان الاية في المرتدين فالمعنى ان اختيار الدين بعد الدين ثم ارتدادهم على العقبين يدل على الاضطراب وضعف
الراي والانسان المضطرب لا قدرة له على ايصال الضرر الى الغير ثم بين ان بقاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد
والكفار الذين بقوا بعد شهداء احد لا خير فيه فقال ولا تحسبن من قرا بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وانما مع ما في
حيزه ساد مسد مفعوليه ومن قرا بتاء الخطاب فالذين كفروا مفعول اول وانما مع ما في حيزه بدل منه وصح الابدال
وان لم يصح الاقتصار على احد المفعولين لان المبدل في حكم الملغى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع السكوت
على متاعك والتقدير ولا تحسبن الذين كفروا ان املائي خير لهم على ان ما مصدرية ويجوز ان يضاف بحذوف
اي لا يحسبنهم الاصحاب ان الاملاء خير لهم او لا يحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء لانفسهم قال الاصمعي يقال
املى عليه الزمان اي طال واملى له اي طول له وامهله قال ابو عبيدة ومنه الملاوة الارض الواسعة الطويلة والملوان
الليل والنهار ويقال اقمت عنده ملاوة من الدهر اي حينا وبرهة وانما نصب على التمييز وفي وصف العذاب اولا
بالعظيم ثم بالاليم ثم بالاهانة تدريج من الاهون الى الاشق وفيه من الوعيد والسخط ما لا يخفى قالت الاشاعرة ههنا
ان الطاعة المتعقبة من فضل الله لا محالة والاية دلت على انها ليست بخير ففيه دلالة على انه سبحانه فاعل الخير والشر
وايضا انه نص على ان الغرض من هذا الاملاء ان يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصي بارادة الله وايضا اخبر عنهم انهم
لا خير لهم فيه وانهم لا يحصلون منه الا على ازدياد البغي والاثم والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا انهم
مجبورون على ذلك في صورة مختارين اجابت المعتزلة ان المراد بان هذا الاملاء ليس خيرا من موت الشهداء اذ الاية
نزلت في قصة احد لا انه ليس بخير مطلقا وزيف بان بناء المبالغة لا يجوز ذكره الا مع المفضل عليه لكنه لم يذكر
فعلمنا انه لنفي الخيرية لا لنفي كونه خيرا من شيء اخر وعن الثاني انه ازديادا للاثم علة للاملاء وليس كل علة بغرض
كقولك قعدت عن الحرب للجبن والفاقة ومثله وجعلوا لله اندادا ليضلوا وهم ما فعلوا ذلك الاضلال ويقال ما كانت
موعظتي لك الا للزيادة في تماديك في الغي اذا كانت عاقبة الموعظة ذلك ورد بان حمل اللام على لام العاقبة عدول
عن الظاهر على انا نعلم بالبرهان ان علمه تعالى بانه مرادا دون انما على تقدير الاهمال علة فاعلية للازدياد اثما
فكان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له قالوا في الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا
انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم ويعضدها قراءة يحيى بن وثاب بكسر ان الاولى وفتح الثانية
ورد بان التقديم والتاخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع ان الواحدي انكرها ثم انه تعالى اخبر
انه لا يجوز في حكمته ان يترك المومنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل احد الجنسين
عن الاخر بالقاء الحوادث وابداء الوقائع كما في قصة احد فانها دلت على الثابتات فانها محك الايام وصيقل الاحرار
فقال ما كان الله ليذر اللام لتاكيد النفي والخطاب في انتم للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه ما

اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا
الا متاع الغرور لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم
الامور واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير

القراءة ولا يحزنك من الافعال حيث كان الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر نافع ومثله ليحزنني وليحزن الذين امنوا
وقرا يزيد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاي ولا خلاف في مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم ولا يحسبن وثلاثة
بعدها بالياء التحتانية مع ضم الباء في يحسبنهم ابو عمرو وابن كثير وقرا حمزة كلها بتاء الخطاب وقرا
ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاوليان على الغيبة
والاخريان بالخطاب يميز بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب عباس يحزن الباقون خفيف بفتح الياء
وكسر الميم يعملون خبير بياء الغيبة ابن كثير ويعقوب وابو عمرو ولقد سمع وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف
وهشام سنكتب بضم الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة والباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب
اللام في وقتلهم وبالزبر ابن عامر وبالكتاب الحلواني عن هشام الباقون بغير اعادة الخافض فيهما زحزح عن
مدغما شجاع وابو شعيب من طريق العطار وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب غير رويس وابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم **الوقوف**
في الكفر للابتداء بان ولاحتمال اضمار اللام او الفاء شيئا في الاخرة لعطف المختلفين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم
شيئا لا مذكور في الاخرة اليم لانفسهم انما للذكر ايضا مهين من الطيب من رسله عظيم حق لهم شر لهم القيمة والارض
خبير اغنياء لئلا يصير ما بعدهم من مقولهم ومن قرا بضم الياء توقفه مطلق بغير حق لمن قرا ويقول بالياء لان التقدير
ويقول الله او يقول الزبانية فلا يعطف على قوله سنكتب مع اتساق المعنى الحريق للعبيد لاحتمال الصفة وان يكون
المراد هم الذين والوقف اولى لانه لا يظلم العبيد مطلقا لا العبيد الموصوفين نعم لو كان بدلا من الذين قالوا ان
الله فقير صح تاكله النار صادقين المنير الموت يوم القيمة للابتداء بشرط في امر معظم فقد فاز الغرور كثيرا
الامور فلا تكتمونه لان الجملتين وان اتفقتا لم يكن النبذ متصلا باخذ الميثاق فلم يتصف الى ظرف اذ قليلا
يشترون من العذاب لما ذكر اليم والارض قدير **التفسير** نزلت في كفار قريش وانه تعالى جعل رسوله
امنا من شرهم واباح العاقبة له وان جمعوا الجموع وجهزوا الجيوش حتى يظهر هذا الدين على الاديان كلها وقيل
في المنافقين ومسارعتهم هي انهم كانوا يخوفون المومنين بسبب واقعة احد ويئسوهم من النصر والظفر ويقولون
ان محمدا طالب ملك فتارة يكون الامر له وتارة يكون عليه ولو كان رسولا ما غلبه احد وقيل ان قوما من الكفار
اسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فبين الله تعالى ان ردتهم لا تؤثر في لحوق
ضرر بك ونص بعضهم هذا القول بان المسارعة وهي سرعة الرغبة في الكفر انما تناسب من كفر بعد الايمان لا للكفر

كان في حكمة الله ان يترك المخلصين على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وهما لغتان ميزت الشيء بعضه
من بعض اميزه ميزا وميزته تمييزا وفي الحديث من ماز اذى عن الطريق فهو له صدقة ومعناه ولفظ الطيب والخبيث
وان كان مفردا الا انه للجنس والمراد جميع المنافقين من المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل المميز عليه لتعلم
ان المطرح من التمييز الملقى لرداءته فان المميز يقع على الادون والاهون ثم يحصل هذا التمييز قيل بالمحن والمصائب كالقتل
والهزيمة وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الخروج مع ما بهم من القروح فيتميز ذلك بظهور الثابت من المتزلزل والساكن
من المتقلقل وقيل باعلاء كلمة الدين وقيل بشوكة المخالفين ليظهره على الدين كله وقيل بالوحي على نبيه ولهذا اردفه
بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي اي يصطفي ويختار من رسله من يشاء وبناء الكلام
على ثلث مراتب الاولى انه هذا المنصب الذي استأثر الله تعالى بعلمه لا يليق بكل احد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين
من عبيده الثانية ان الرسول ايضا لا يعلم المغيبات بان يطلع عليه من تلقاء نفسه ومجاهدته ولكنه انما يعلم ذلك
من طريق الوحي واطلاع الله تعالى اياه ان هذا مومن وذاك منافق الثالثة انه هذا ايضا مختص ببعض الرسل وفي بعض
الاوقات حسب مشيئته وارادته فامنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالله ان تعتقدوه وحده عالما بالمغيب
ومن جملة الايمان بالرسل ان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيدا مصطفين لا يعلمون من الغيب الا ما علمهم الله تعالى وجه
النظم على القول الاول لا يظنوا ان هذا التمييز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه ويقول ان فلانا مومن وفلان منافق
فان سنة الله جارية بانه لا يطلع العوام على غيبه ولا يكون لهم سبيل لمعرفة الامور الا بالامتحان والقرائن المفيدة
للظن الغالب ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مومن وذاك منافق او يختارهم للرسالة ووضع
التكاليف الشاقة التي بمثلها يتميز العرفان ويخلص اهل الوفاء من اهل الجفاء والمراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين
بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى يصيروا مستغنين عن الرسول ولكنه يختص من يشاء بالرسالة ثم يكلف
الباقين طاعة هؤلاء الرسل فامنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن اقر بنبوة واحد منهم لزمه
الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبعه الوعد بالثواب فقال وان تومنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال السدي قال رسول الله صلى
عرضت علي امتي في صورها كما عرضت على ادم واعلمت من يومن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزءوا وقالوا زعم
محمد انه يعلم من يومن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المومنين الاية وقال الكلبي قالت
قريش تزعم يا محمد ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من اهل الجنة
والله عنه راض فاخبرنا بمن يومن بك ومن لا يومن بك فنزلت وقال ابو العالية نزلت حين سال المومنون ان يعطوا
علامة يفرقون بها بين المومن والمنافق ثم انه عز وجل لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد حرض على بذل
المال في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون من قرا بتاء الخطاب قدر مضافا اي لا تحسبن بخل الذين يبخلون
هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء وجعل فاعله ضمير النبي او احد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول الاول محذوف
لدلالة التقدير ولا يحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على انه
الاية نزلت في مانعي الزكوة لترتب الوعيد عليه وسوق الكلام في معرض الذم ولان تارك التفضل لا وعيد يلحقه
لم يتخلص الانسان من البخل الا بالاخراج جميع المال وفي حكم الزكوة سائر اصناف الواجبة كالانفاق على
النفس وعلى الاقربين الذين يلزمهم مونتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم عدو ونفي
ونفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه
وسلم ونبوته والمراد بالبخل كتمان المال والعلم الذي اتاهم الله وعلى هذا يكون عودا الى ما انجر منه الكلام
الى قصة احد وذلك هو شرح احوال اهل الكتاب ولعل هذا ان كثيرا من ايات بقية السورة فيهم وعلى هذا
التفسير فمعنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل في رقابهم طوقا من النار كقوله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم
يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار والسر فيه انهم لم ينطقوا بافواههم والسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول
فاما ان يكون محمولا على ظاهره وهو ان يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر
راسه وتقول انا مالك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل له مال لا يودي حق الله الا جعل

طوقا في عنقه شجاع اقرع وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرا مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا يحسبن الذين
يبخلون الاية وعن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم ان الذي لا يودي زكاة ماله يخيل اليه يوم القيمة شجاعا
اقرع له زبيبتان فيلزمه اذ يطوقه يقول انا كنزك واما ان يكون على طريق التمثيل لا على ان ثمة اطواقا اي سيلزمون اثمه
في الاخرة التزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون
ان ياتوا بما بخلوا به يوم القيمة ونظيره ما روي عن ابن عباس انه كان يقرا وعلى الذين يطوقونه فدية قال المفسرون
يكلفونه ولا يطيقونه اي يومرون باداء ما منعوه حين لا يمكنهم الاتيان به فيكون ذلك توبيخا على معنى هلا فعلتم
ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث اهلها من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه
بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من المفسرين المقصود
انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان اذا انفرد به بعد
ان كان مشاركا فيه ومثله وورث سليمان داود اي انفرد بذلك الامر بعد ان كان داود مشاركا له فيه او
غالبا عليه والله بما تعملون خبير من قرا على الغيبة فظاهر اي يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرا على الخطاب
فللالتفات وهي ابلغ في الوعيد لان الغضب كانه تناهى الى حد اقبل على الخطاب وشافهه بالعتاب ثم شرع في حكاية
شبه الطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما امر بالانفاق في سبيل الله قالوا لو كان محمد صادقا
في ان الله تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن الاغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وايضا لو كان
نبيا لكان انما يطلب المال لاجل ان يجي نار من السماء محرقة كما كان في الازمنة السالفة فلما لم يفعل ذلك عرفنا انه ليس بنبي
فهذا بيان النظم وليس في الاية تعيين القائلين الا ان العلماء نسبوا هذا القول الى اليهود لعنهم الله لقولهم في موضع
اخر يد الله مغلولة عنوا انه بخيل وذلك الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه
اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات واذا عجز عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غني ولما روى
عكرمة ومحمد بن اسحق والسدي ومقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع
يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء
وهو من علمائهم اتزعم ان ربنا يستقرضنا اموالنا فهو اذن فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر ولطمه في وجهه وقال
لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد
انظر الى ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما الذي حملك على ما صنعت فقال يا
رسول الله ان عدو الله قال هكذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الاية تصديقا لابي بكر وايضا ان موسى لما
طلب منهم الجهاد وبذل النفوس قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا فلا يبعد ان محمدا صلى الله عليه وسلم
لما طلب منهم الجهاد ببذل الاموال كانوا قد قالوا لما كان الاله غنيا فاي حاجة به الى اموالنا ثم ان القائل لو كان
فنحاصا وحده فانما يستقيم قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا لان اتباع الرجل والمقتدين به حكمهم حكمه
ثم انه سبحانه لم يجبهم عن شبهتهم اما على قواعد اهل السنة فبان نقول يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد
فلا يبعد ان يامر عبيده ببذل الاموال مع كونه اغنى الاغنياء واما على قوانين المعتزلة فبان في هذا التكليف
فوائد منها ان تذهب حب المال عن القلب ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تسخير البعض للبعض فبذلك ينتظم
امور التمدن وينتظم احوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة ورودها في القران لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان
وجوب الوجود عبارة عن الغنى المطلق حتى لا يحتاج في ذاته ولا في شيء من صفاته ولا بجهة من جهاته
الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك في كمال غناه وجوده فقد عاد بالنقض على موضوعه
فلا يستحق الجواب عند اولي الالباب وانما يستاهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة
الوعيد سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه وسنثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فلا ينسى
وفي التفسير الكبير سنكتب عنهم هذا الجهل في القران حتى يبقى على لسان الامة الى يوم القيمة ثم عطف عليه

فقتلهم الانبيا ليدل على انهم كما لم يقدروا الله حق قدره حتى نسبوا اليه ما نسبوا فكذلك لم يقضوا حقوق الانبيا ففعلوا
بهم ما فعلوا ويقولون ذوقوا عذاب الحريق وهو من اسماء جهنم فعيل بمعنى مفعل كالاليم بمعنى المولم او سميت باسم صاحبها
اي ذات حرقة والمعنى وينتقم منهم بيقوله لهم ذوقوا عذاب النار كما اذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا القول يحتمل ان يقال
عند الموت او عند الحشر او عند قراءة الكتب ويحتمل ان يكون كناية عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب
او الوعيد بما قدمت ايديكم من السب والقتل وذكر الايدي لان اكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على
سبيل التغليب وان كان بعضه باللسان او بسائر الجوارح والالات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت
يداك مثنى كما في سورة الحج قال الجبائي قوله وان الله اي وبان الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على ان فعل العقاب بهم
كان يكون ظلما بتقدير ان لا يقع منهم الذنب وفيه بطلان قول المجبرة ان الله يعذب الاطفال بغير جرم فيكون ان يعذب
البالغين بغير ذنب ويدل على كون العبد فاعلا والا لكان الظلم حاصلا والجواب انه لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى ان الجزا الان
مرتبا على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى انه مالك الملك والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء لم يكن
ذلك ظلما للخلق ذلك الفعل فيهم وترتيب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير عن نفسه وذلك يوهم ثبوت
اصل الظلم له اجاب القاضي بان العذاب الذي توعد بان يفعل بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على حد عظمته
لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكر ان ايصال العذاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين واقول انه تعالى نفى حقيقة
الظلم عنه في قوله وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وحقيقة ما ذكرنا انه مالك الملك له ان يتصرف في ملكه
كيف يشا ولكنه نفى هيهنا كثرة الشر والظلم ان تصدر عنه كانه قال ان خيل اليكم ان في الوجود شرا بما فتفكروا من
ان الحكيم قد يصدر عنه الشر القليل بتبعية الخير الكثير فاعلموا اني منزه عن صدور الشر الكثير مني وان هذا الشر
القليل الذي في ضمنه خير كثير ونقول اراد نفي الشر القليل واصل الظلم عنه ولكن القليل من الظلم بالنسبة الى رحمته
الذاتية كثير فلهذا عبر عنه بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا
قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوه وفنحاص بن عازورا
وحيي بن اخطب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اتزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان
الله عهد الينا في التورية الا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا
به صدقناك فنزلت قال عطا كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فياخذون الثروب واطايب من اللحم فيضعونها في
وسط البيت والسقف مكشوف فيقوم النبي في البيت ويناجي ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون حول البيت فتنزل
نار بيضا لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتاكل ذلك القربان وهو البر الذي يتقرب به الى الله واصله مصدر كالكفران
والرجحان ثم سمي به نفس المتقرب به ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لكعب ابن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلاة قربان
اي بها يتقرب الى الله ويستشفع في الحاجة اليه وللعلماء فيما ادعاه اليهود قولان قال السدي ان هذا الشرط جاء
في التورية مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار
الا المسيح ومحمد عليهما السلام كانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انه افتراء لان المعجزات كلها
في كونها خارقة للعادة دالة لصحة النبوة سواء فلا فائدة في تخصيصها ولانه اما يكون في التورية ان مدعي النبوة
وان جاء بجميع الايات لا تقبلوا قوله الا ان يجي بهذه الاية المعينة وحينئذ لا يكون سائر المعجزات دالة على الصدق
واذا جاز الطعن فيها جاز في هذه واما ان يكون فيها ان مدعي النبوة يطالب بالمعجزة اية كانت وحينئذ يكون
طلب هذا المعجز المعين عبثا فلهذا نسبهم الله تعالى الى الجحود والعناد وقال قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات
وبالذي قلتم اي بدلوله ومراده فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ان الايمان يجب عند الاتيان بالقربان وانما
ذكر مجي الرسل بالبينات ولم يقتصر على مجي القربان ليتم الالزام وذلك ان القوم يحتمل ان يقولوا ان الاتيان بهذا
القربان شرط للنبوة لا موجب لها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط
فلما اكتفى بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث اضاف اليه البينات ثبت انهم اتوا بالموجب والشرط جميعا فكان
الاقرار بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك في اصل الشريعة والنبوة او في قولك ان الانبيا الاقدمين

جادهم بالبينات وبالقربان فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك وابي رسل والمصيبة اذا عمت طابت جاووا بالبينات وهي
الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر وهي الصحف جمع زبور بمعنى مزبور اي مكتوب وقال الزجاج الزبور كل كتاب
ذي حكمة فيشبه ان يكون من الزبر عن حلا فالحق وبه سمي زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير الموضح
والواضح المشتبه ويعلم من عطف الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه ان معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وانما لم يكن معجزة
لهم والاعجاز من خواص القرآن وعطف الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب لوصفه بالانارة والاستنارة اشرف من مطلق
الزبر فخص بعد العموم لتشريفه مثل ملئكته وجبريل وميكال وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التورية والانجيل
والزبور ثم اكد التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر الموت واستحضاره مما يزيل الهموم والاشجان الدنيوية وكذا
العلم بان وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد كل نفس منفوسة لا يمكن اجراؤها
على عمومها لاستثناء الله تعالى منها تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وكذا الجمادات لان لها ذوات ولقوله فصعق من
في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولانه لا موت لاهل الجنة ولا لاهل النار فالمراد المكلفون الحاضرون في
دار التكليف والملائكة عند من يجوز الموت عليهم روي عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت
الملائكة مات اهل الارض فلما نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا وفي الاية دليل على ان المقتول ميت
وعلى ان النفس باقية بعد البدن لان الذائق لابد ان يكون باقيا حال حصول الذوق قالت الحكما الموت واجب الحصول
عند هذه الحياة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة الغريزية والحرارة الغريزية ثم ان الحرارة الغريزية تؤثر في
تحليل الرطوبة الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا يزال تستمر هذه الحالة الى ان تفنى
الرطوبة الاصلية فتنطفي الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق كان الموت ضروريا في هذه الحيوة قالوا والارواح
المجردة لا موت لها وناقشهم المسلمون فيه وانما توفون اجوركم يوم القيمة في ذكر التوفية اشارة الى ان بعض الاجور
يعطى قبل ذلك اليوم قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار فمن زحزح عن النار اي
نحي وابعد والزحزحة تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز لم يقيد الفوز بشي لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخلاص عن العذاب
والوصول الى الثواب فمن حصل هذان فقد فاز الفوز المطلق المتناول لكل ما يتقارب قال صلى الله عليه وسلم من احب
ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان
يؤتى اليه فالاول رعاية حقوق الله والثاني محافظة حقوق العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على
المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته وذلك ان لذاتها تفنى وتبعاتها تبقى والغرور بالضم مصدر
والغار المدلس فهو الشيطان عن علي ابن ابي طالب عليه السلام لين مسها قاتل سمها وعن بعضهم الدنيا ظاهرها
مظنة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب الاخرة
بها فمتاع بلاغ لتبلون في اموالكم اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة وضمت الواو للساكنين
ولما يجب لما قبلها من الضم والمراد ما ينالهم من الفقر والضر والقتل والجرح والتكاليف الشاقة البدنية والمالية من
الصلوة والصوم والزكوة والحج والجهاد والذي كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن في الدين الحنيف واهليه واعزاز
المخالفين وتحزبهم عليه واغواء المنافقين وتنفيرهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة
او تصبروا على اداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها
التي لا يترخص العاقل في تركه لكونه حميد العاقبة بين الصواب او هو من عزائم الله وما الزمكم الاخذ به قال الواحدي
كان هذا قبل نزول اية القتال وقال القفال الظاهر انها نزلت بعد قصة احد فلا تكون منسوخة باية السيف والمراد
الصبر على ما يؤذون به الرسول صلى الله عليه وسلم على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم في
كثير الاحوال والامر بالقتال لا ينافي الامر بالمصابرة على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودي
كان شاعرا وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش في شعره وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قدم المدينة واهلها اخلاط المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يستصلحهم كلهم فكان
المشركون واليهود يؤذونه ويؤذون اصحابه اشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك وفيه نزلت الاية وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار وارتدف اسامة ابن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج

قيل ونفخة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي وذلك قبل أن يسلم عبد الله فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين
واليهود وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه وقال لا
تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن رواحة بلى يا
رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى تثاوروا فلم يزل النبي صلى
يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له يا سعد ألم
تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله بالعصابة فلما رد الله ذلك
بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى هذه الآية ثم إنه تعالى عجب
من حال اليهود أنه كان يليق بحالهم إيراد الطعن في نبوته مع أن كتبهم ناطقة به وأيضا من جملة إيذائهم الرسول أنهم كانوا
يكتمون نعته وصفته فلهذا قال وإذ أخذ الله باضمار واذكر الضمير في لتبيننه قيل لمحمد لأنه معلوم وإن كان غير مذكور
أي لتبينن حاله وهذا قول سعيد بن جبير والسدي وقال الحسن وقتادة يعود إلى الكتاب كأنه أكد عليهم إيجاب
بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل إذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن ولا تكتمونه قيل الواو للحال
أي غير كاتمين ويحتمل أن يكون للعطف وإن لم يكن مؤكدا بالنون والأمر بالبيان يتضمن النهي عن الكتمان لكنه
صرح به للتأكيد فنبذوه وراء ظهورهم وجعلوه كالشيء المطرح المتروك عن علي عليه السلام ما أخذ الله على أهل
الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا وقال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج
كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه ومعنى قوله
واشتروا به ثمنا قليلا أنهم كتموا الحق ليبقى سلوا به إلى وجدان حظ يسير من الدنيا فبئس ما يشترون هو ويدخل في
الوعيد كل من كتم شيئا من أمور الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب
لمسارهم واستجذاب لبارهم أو لتقية من غير ضرورة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب إليه غيره ثم ذكر نوعا آخر
من إيذاء اليهود ووعدهم عليه وتسلى رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا تحسبن الذين يفرحون من قرأ
بالخطاب وفتح الباء فالخطاب للرسول أو لكل أحد وأحد المفعولين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم إعادة
للعامل لطول الكلام وإفادة التأكيد ومن ضم الباء في الثاني مع تاء الخطاب للمؤمنين ومن ضمها مع ياء الغيبة
فالضمير للذين يفرحون والمفعول الأول محذوف أي لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين والثاني للتأكيد
ومعنى بما أتوا بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى إنه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا ومعنى
بمفازة من العذاب بمنجاة منه أي بمكان الفوز قال الفراء أي ببعيد منه لأن الفوز التباعد عن المكروه في الصحيحين
أن مروان قال لرافع بوابه اذهب إلى ابن عباس وقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل
معذبا لنعذبن أجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذه إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهودا عن شيء فكتموه
إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم إياه ثم قرأ ابن عباس وإذ
أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآيتين قال الضحاك كتب يهود المدينة إلى يهود العراق واليمن ومن
بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها أن محمدا ليس بنبي الله فاثبتوا على دينكم وأجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت
كلمتهم على الكفر بمحمد والقرآن ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذي جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن أهل
الصوم والصلاة ونحن أولياء الله فذلك قول الله يفرحون بما أتوا بما فعلوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا يعني بما ذكروا
من الصوم والصلاة والعبادة وعن أبي سعيد الخدري أن رجالا من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه فإذا قدم اعتذروا عنه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فأنزل الله هذه الآية
وهذه الوجوه كلها مشتركة في الإتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد عليه ووصفه بسداد السيرة وحسن السريرة ونحن
إذا أنصفنا من أنفسنا وجدنا أكثر مجاري أمورنا على هذه الحالة فنسأل الله العصمة والهداية ثم ختم الكلام
بقوله ولله ما في السموات والأرض والغرض أنه كيف يرجو النجاة من كان معذبه هذا القادر الغالب ۝

التأويل هو خيرا لهم بل هو شر لهم كل واحد من صفتي البخل والسخاء بمنزلة الإكسير حتى يجعل الخير شرا وبالعكس
سيطوقون تشبيه بالطوق لأنه يحيط بالقلب ومنه منشأ معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد

والعداوة والكبر والغضب والبخل حب الدنيا رأس كل خطيئة ولله ميراث السموات والأرض الإنسان وارث الدنيا
والآخرة أولئك هم الوارثون والوارثات إذا مات من عنده ميراث فميراثه لبيت المال فالإشارة فيه أن من غلب عليه هذه الصفات
ومات قلبه فبطل استعداده ووراثته فميراثه لله إن الله فقير ونحن أغنياء فيه أن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى فيعكس القضايا
فيصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلك لغلبة الصفات الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان
فيقول تارة أنا ربكم الأعلى وتارة إن الله فقير ونحن أغنياء بغير بأن تأكله النار قالت يهود صفات النفس البهيمية والسبعية
والشيطانية لا نؤمن لرسول إلى الخاطر رحماني أو إلهام رباني حتى يأتينا بقربان هو الدنيا وما فيها يجعلها نسيكة لله عز وجل
تأكله نار الله الموقدة التي تقرح من نار محبتهم فإن كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا وما فيها قربانا لله فلا
تأكله نار الله قل يا وارد الحق قد جاءكم رسل من قبلي أي واردات الحق بالبينات بالحجج الباهرة وبالذي قلتم أي يجعل الدنيا
قربانا فلم قتلتموهم غلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق أثر الواردات كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء في الله
ولا بد لها من موت فمن كان موته بالأسباب يكون أسبابه بالأسباب ومن كان فناؤه في الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد
الأكبر ولتسمعن من أهل العلم الظاهر ومن أهل الريا أذى كثيرا بالغيبة والملامة والإنكار والاعتراض وإن تصبروا
على جهاد النفس وتتقوا بالله عما سواه فإن ذلك من عزم الأمور أي من أمور أولي العزم فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل

والله اعلم

إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي
الألباب ۝ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب
النار ۝ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ۝ ربنا
إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا
ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ۝ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ۝ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع
عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا
من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأ
دخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن
الثواب ۝ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ۝ متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس
المهاد ۝ لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار ۝ وإن من أهل الكتاب لمن يؤ

بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّٰهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اصْبِرُوا ۝ وَصَابِرُوا ۝ وَرَابِطُوا ۝ وَاتَّقُوا ۝ اللّٰهَ ۝ لَعَلَّكُمْ ۝ تُفْلِحُونَ

القراءة الابرار بالامالة ابو عمرو وحمزة غير خلاد ورجاء والكسائي والفارسي عن قرنبش وخلف والبن مجاهد
والنقاش عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر ونبه الراء عن ابن مجاهد والنقاش في جميع القرآن وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلي
وخلف وقرا ابن كثير وابن عامر وقاتلوا وقتلوا مشددة الباقون وقاتلوا وقتلوا بالالف مخففا لا يغرنك بالنون الخفيفة
رويس الباقون بالتشديد نزلا حيث كان بالاختلاس عباس الوقوف الالباب لاحتمال الذين صفة او منصوبا او مرفوعا
على المدح بتقدير اعني الذين او هم الذين والوصل اشهر والارض لحق المحذوف اي يقولون ربنا باطلا للابتداء بسبحانك
تعظيما والا فالمقول متحد وكذا التعقيب متعقب النار اخزيته انصار فامنا قد قيل والوصل اولى لان كلمة ربنا تكرار لمزيد الابتهال
وقوله فاغفر لنا معطوف على امنا اي اذا امنا فاغفر الابرار للاية وللعطف يوم القيمة الميعاد انثى لاتحاد الكلام والا
بعضكم مبتداء من بعض الانهار لان ثوابا مفعول له او مصدر من عند الله الثواب البلاد لان التقدير لهم متاع او
ذلك متاع جهنم المهاد من عند الله الابرار لله لان ما بعده حالا اجرا قليلا عند ربهم الحساب تفلحون

التفسير انه لما اطال الكلام في تقرير القصص والاحكام عاد الى ما هو الغرض الاصلي من هذا الكتاب الكريم وهو جذب
القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رايتي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجيب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق
جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب
هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرا من القرآن
وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت
دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا وما لي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في
خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السما ثم يقول ان في خلق السموات والارض واعلم انه ذكر
في سورة البقرة ان في خلق السموات والارض الى ان عد ثمانية دلايل وههنا اقتصر منها على الثلثة الاول
تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لا بد له من تقليل الدلايل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول
فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى اخر كالبصر اذا حدق الى مرئي امتنع تحديقه نحو
اخر واليه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعني المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادي قدس الوحدانية
وانما وقع الاقتصار على الدلايل السماوية لانها اقهر وابهر والعجايب فيها اكثر وانتقال النفس الى عظمة الله
ابين وانما قال في تلك السورة لايات لقوم يعقلون وفي هذه السورة لايات لاولي الالباب لان العقل له ظاهر ولب
ففي اول الامر يكون عقلا وفي كمال الحال يكون لبا وباقي التفسير قد مر هنالك ثم بعد دلايل الالهية ذكر
وظايف العبودية وهي ان تكون باللسان وبساير الاركان وبالجنان مع الرحمن فقوله الذين يذكرون الله
اشارة الى عبودية ساير الاركان والمراد انهم ذاكرون في اغلب احوالهم كما قال صلى الله عليه وسلم من احب
ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله والمراد بالذكر ههنا الصلوة اي يصلون في حال القيام فان عجزوا ففي حال
القعود فان عجزوا ففي حال الاعتماد وهذا موافق مذهب الشافعي في ترتيب صلوة المريض العاجز ويوافق هذا ما رويناه
وهو ان الاستلقاء يمنع من استكمال الفكر والتدبر بخلاف الاضطجاع على الجنب والصلوة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت

ادلي ولان الاستغراق في النوم تكون في هيئة الاستلقاء اكثر فذاك دمع الغافلين وقال ابو حنيفة
بل يصلي مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد وقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض اشارة
الى عمل الجنان وقد عرفت معنى الفكر في البحث الخامس من تفسير قوله وعلم ادم الاسماء وانما لم يقل ويتفكرون
في الله كما قال يذكرون الله لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق والسبب فيه
ان الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة فانا نستدل بهذه المحسوسات على قدم خالقها
وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالتفكر في الممكنات ممكن كعرفان الفكر ترتيب المقدمات
على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لا بد من تصور هما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشي عبارة عن
حصول صورته في النفس فيكون الصورة محاطة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواجب شي الا انه بكل شي
محيط لكنه اذا تفكر في مخلوقاته ولا سيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها
من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف اولا ان لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعترف بان في كل من ذلك حكما
ومقاصد وفوايد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما خلقت هذا باطلا ثم اذا انتقل من احوال هذه المصنوعات
الى صانعها علم ان ذاته تعالى منزه عن مشابهة شي من هذه المصنوعات فيعلم انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب
ولا مؤلف ولا في حيز وجهة فيقول سبحانك اي انزهك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ من
الاستغراق في بحار العظمة والجلال هذا المبلغ وجد نفسه ذرة من ذرات الكاينات واقعة في حضيض عالم
البشرية محاطة بالطبايع والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض ان يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من
الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى مطارح السموات وذلك قوله فقنا عذاب النار ثم ذكر سبب الاستعاذة
من النار ثم ذكر سبب الامن بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي ابلغت في اخزايه وتطويع ثم له فقد فاز ومن
كان منهم من ادرك من عين العصيان فقد ادرك ثم توسل الى ما سال بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله ربنا اننا
سمعنا مناديا الاية فهذا بيان وجه النظم في هذه الكلمات والايات على وجه الفقر والله اعلم باسرار كلامه
عن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال
اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وعنه لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له
في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل
بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض وعنه صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ
الخلق على انه بمعنى المخلوق او الى السموات والارض بتاويل المخلوق وفي كلمة هذا ضرب من التعظيم كانه لعظم
شانه معقود به الهمم حتى صار حاضرا في حق الخيال وباطلا نصب على المصدر اي خلقا باطلا او على الحال
وقيل بنزع الخافض بالباطل او للباطل قالت المعتزلة فيه دليل على ان كل ما يفعله الله تعالى فهو انما يفعله لغرض
الاحسان الى العبد ولاجل حكمة وغاية وقوله سبحانك جملة معترضة نزه بها نفسه من العيب وان يخلق شيا بغير حكمة
ووجه النظم في قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة في خلق السموات ان يجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفته
ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان كل
ما يفعله الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن ان يعلل افعال الله بمصالح العباد
بل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل في اللغة الذاهب الزايل الذي لا يكون له صلابة ولا قوة فيكون بصدد
التلاشي والاضمحلال والمراد ان خلقها خلق محكم متقن كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى
سبحانك انك وان خلقتها في غاية شدة التركيب وبصدد البقا الا انك غني عن الاحتياج اليها منزه عن الانتفاع
بها ثم لما وصف ذاته بالغنى اقر لنفسه بالعجز والحاجة اليه في الدنيا فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام
بالاية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب واودع في كل واحد منها قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركاتها
واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع سكان العالم السفلي لانها لو لم يكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن ان
يقض منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهواء والماء يشاركها في ذلك فلا يخفى لخصوصياتها

فابرقه وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون في ذلك وقالوا ان الملكيات اسباب للارضيات على مجرى العادة لا على
سبيل الحقيقة في هذا المقام ان وجود الوسايط لا ينافي استناد الكل الى مسبب الاسباب وان تكون افعال الله تعالى
مستتبعة لمصالح العباد لا ينافي جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سالوا ربهم ان يقيهم عذاب النار اتبعوا
ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وحثهم في الهرب من ذلك فيكون اقرب
الى الاستجابة كما انهم قدموا الثنا على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون اقرب الى الادب واحرى الى الاجابة
وكل ذلك تعليم من الله تعالى عباده في حسن الطلب قال الواحدي الاخزاء جاء لمعان متقاربة عن الزجاج اخزى الله
العدو اي ابعده وقيل اهانه وقيل فضحه وقيل اهلكه وقال ابن الانباري الخزي في اللغة الهلاك بتلف وانقطاع
حجة او بوقوع في بلاء قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة ليس بمومن لانه ادخل
النار فقد اخزاه الله والمومن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه واجيب بانه لا يلزم من ان لا يكون
من امن وهو مع النبي مخزيا ان لا يكون غيره وهو مومن مخزيا وايضا الاية ليست بعمومها لقوله وان منكم الا واردها
كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فثبت ان كل من دخل النار فانه ليس بمخزي وعن سعيد ابن المسيب والثوري
ان هذا في حق الكفار الذين اذا دخلوا النار للخلود وايضا انه مخزي حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله يوم لا
يخزي نفي الخزي على الاطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد ويحتمل ان يقال الاخزاء
مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك فاذا كان المثبت هو الاول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي واحتجت المرجية
بالاية على ان صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه مومن لقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طايفتان
من المومنين اقتتلوا والمومن لا يخزي الله النبي والمدخل في النار مخزي بهذه الاية والمقدمات باسرها يدخلها المنع
اما الاولى فلاحتمال ان لا يسمى بعد القتل مومنا وان كان قبله مومنا واما الاخريان فبخصوص المحمول وجزئية الموضوع
كما تقرر انفا وقد يتمسك حكماء الاسلام بهذا في ان العذاب الروحاني اشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذي هو
التخجيل وهو امر نفساني وقد يتمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين اي الداخلين في النار من انصار في نفي الشفاعة للفساق
لان هذا نوع نصرة ونفي الجنس يقتضي نفي النوع والجواب ان الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون
وايضا لا تاثير للشفاعة الا باذن هذه الجملة بخلاف الفساق وايضا ادلة الشفاعة مخصصة لعموم الاية قالوا الفاسق
لا يخرج من النار والا كان مخرجه ناصرا له وعورض بالايات الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي وتقول سمعت
رجلا يتكلم بكذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به او جعلته حالا عنه والمنادي عند
الاكثرين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ادع الى سبيل ربك ادعو الى الله وداعيا الى الله وقيل القران كما
نسب اليه الهداية في قوله ان هذا القران يهدي كانه يدعو الى نفسه وينادي بما فيه من الدلايل كما قيل في جهنم تدعو
من ادبر وتولى وكالفصحاء يصفون الدهر بانه ينادي ويعظ لدلايل نصائه فيه نادى يا واضع الميت في قبره خاطبك الدهر
فلم تسمع ويقال ينادي الى كذا ولكذا او دعاه اليه وله وهداه للطريق واليه فيقام كل من اللام والى مقام الاخرى
نظرا الى وقوع معنى الانتها والاختصاص معا وقال ابو عبيدة هذا على التقديم والتاخير اي سمعنا مناديا ينادي للايمان
كما يقال جاء مناد للامير فنادى بكذا وقيل معناه لاهل الايمان ولهذا الغرض فسر بقوله ان امنوا وان مفسرة او مخففة
معناه اي امنوا او بان امنوا والفايدة في الجمع بين المنادي وينادي للايمان هو فايدة الاطلاق ثم التقييد والاجمال
ثم التفصيل من رفع شان المطلق والمجمل بكونه حينئذ اوقع في النفس واعز فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سياتنا
اصل الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية واما الذنوب والسيات فقيل هما واحد والتكرار للتاكيد والالحاح لان الله
يحب الملحين في الدعا وقيل الاول الكباير والثاني الصغاير وقيل الاول ما يريد بها ما تقدم منهم والثاني المستانف وقيل
الاول ما اتى به الانسان مع العلم بكونه معصية وذنبا والثاني ما اتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار اي
معدودين منهم ومن اتباعهم او مشاركين لهم في الثواب او على مثل اعمالهم ودرجاتهم كقول الرجل انا مع الشافعي في
هذه المسلة اي مساو له في ذلك الاعتقاد واحتجت الاشاعرة بالاية على ان العفو غير مشروط بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة
بدون ذكر التوبة بل بدونه التوبة بدلالة فا التعقيب في فاغفر بعد قوله امنا ثم انه تعالى اجابهم الى ذلك فاستجاب لهم

ويعلم منه ثبوت شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لاصحاب الكباير بالطريق الاول ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك
لانها مذكورة عقيب ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وعقيب قوله امنا وهو التصديق فيكون على صلة الوعد كانه قيل
وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل ان يتعلق بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محمولون
ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والميعاد كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله
بانجاز ما وعد مع علمهم بانه لا يخلف الميعاد كما صرحوا به في اخر الادعية لان معظم الغرض في الدعا اظهار سيما العبودية
او المراد وفقنا للاعمال التي بها نصير اهلا لوعدك واعصمنا عما به نكون اهلا لاخزايك او طلبوا تعجيل النصر على الاعداء والمراد
احفظ علينا اسباب انجاز الميعاد وقيل فيه دليل على انهم طلبوا منافع الاخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان للثواب منفعة
مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم القيمة لان التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل نعمة وعطاء والحاصل من
هذه الايات انهم نظروا في المصنوع فعرفوا منه الصانع فقالوا ربنا ثم تفكروا في عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا ان صانعه
حكيم والحكيم لا يخلو افعاله من الفوايد والغايات فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تاملوا في غاية الغايات
ونهاية الحركات وحدودها الانسان المكلف على السنة الرسل ووجدوا عاقبة التكليف الى الجنة والنار فتضرعوا الى معبودهم
في توفيق الوصول الى الجنة والخلاص من النار ولان دفع الضرر اهم من جلب المنفعة جعلوا اول دعايهم واهمه الاستعاذة
من العذاب الروحاني عند العقلا اشد من العذاب الجسماني فلا جرم وقع الختم على الاستعاذة من الاخزاء اللهم شاركنا
في هذا الدعا واجعلنا من السعداء المتفكرين في ملكوت الارض والسما انك وهاب العطا كاشف الغطا عن جعفر
الصادق عليه السلام من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله تعالى حكى عنهم في
هذه الايات انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم اي اجابهم اني اي باني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر
او انثى من في منكم للتبعيض لان كل عامل فرد من افراد المخاطبين وفي من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما انثى واضاعة
العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر اي اصله او المراد
بعضكم كانه من البعض الاخر لفظ اتصالكم واتحادكم كما يقال فلان مني اي على خلقي وسيرتي قال صلى الله عليه وسلم من
غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النسا مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب
على العمل روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النسا فنزلت ثم فصل عمل العامل
منهم تفخيما لشان العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا اوطانهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم او بعده باختيارهم
واخرجوا من ديارهم الجاهم الكفار الى الخروج واوذوا في سبيلي بسبب طريق الدين وقاتلوا وقتلوا من قرا بالتشديد فلتكثير
ذكر القتل فيهم وقيل اي قطعوا ومن خفف قتلوا وقاتلوا فاما لان الواو لا يفيد الترتيب والترتيب الطبيعي قاتلوا حتى قتلوا
واما من قولهم قتلنا ورب الكعبة اذا ظهرت امارات القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما باضمار قد اي قتلوا وقد قاتلوا لاكفرن
جواب للقسم المقدر عنهم سيئاتهم وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولادخلنهم جنات تجري
من تحتها الانهار وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذي طلبوه من الثواب
المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيمة اي ثوابا يختص به وبقدرته وفضله ولا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كقول
الرجل عندي ما تريد اي انا مختص به وبملكه وان لم يكن بحضرته وثوابا نصب على المصدر المؤكد اي اثابة او تثويبا
من عنده لان قوله لاكفرن به ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وقال الكسائي هو منصوب على القطع اي على الحال وقال
الفرا نصب على التفسير كقولك هو لك هبة او بيعا او صدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه القادر على كل
المقدورات العالم بكل المعلومات الغني عن جميع الحاجات وفي تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق في دينه والصبر
على صعوبة تكاليفه دليل على ان حكم الله تعالى اقتضى نوط الثواب والجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية
ولا يهملوا جانب العمل راسا عن الحسن اخبر الله تعالى انه سبحانه استجاب لهم الا انه ابلغ ذلك رافع الدعا وما يستجاب له
فلا بد من تقديمه بين يدي الدعا يعني قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تعالى لما وعد المومنين الثواب العظيم وكانوا في الدنيا
في غاية الفقر والشدة والكفار كانوا في التنعم اراد ان يسليهم ويصبرهم فقال لا يغرنك والخطاب لكل مكلف يسمعه اي
لا يغرنك ايها السامع او للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غر نبي الله حتى قبضه الله اليه والمراد هو طلب السبب

في علم اعتزامهم هو نوايز امثال هذه الايات عليه قبل ان شتكي مكة كانوا يخرجون ويشتغون فقال بعض المومنين
ان اعداء الله فيما نري من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال
فنزلت والمراد تقلبهم تبسطهم وتصرفهم في المكاسب والمرابح والمتاجرة لك التقلب او الكسب والربح متاع قليل في جنب
ما فاتهم من نعيم الاخرة او في جنب ما اعد الله للمومنين من الثواب او هو قليل في نفسه اذ لابقية لمدته الي ما بين الابد الازل
والابد مع قلته سبب للوقوع في نار جهنم ابدا الابدين والنعمة القليلة اذا كانت سببا للمضرة العظيمة لم يكن في الحقيقة
نعمة فلهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الاية ويدخل في التقوي الاوامر والنواهي والترك ما بعد للمضيف ونحل
ومن منانتك به بعض الاصحاب في الزينة لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شي اخر يكون اصلا بالنسبة اليها قلت
فيحتمل ان يكون قوله وما عند الله اشارة اليه وهو مقام الصدقية والقرب الذي لا يوازيه شي نعم الجنة وقيل المعني وما
عند الله من الكثير الدايم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزايل وانتصاب نزلا علي الحال من جنات لتخصصها
بالوصف والعامل معني الاستقرار في لهم او هو مصدر مولد كانه قيل رزقا او عطاء او نصب علي التفسير كما قلنا في ثوابا
ثم انه تعالي لما ذكر حال المومنين وكان قد ذكر حال الكفار بين ان حال المومنين اهل الكتاب كلهم فقال وان من اهل الكتاب وهذا
قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل نزلت في عبد الله ابن سلام واصحابه وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين
من الحبشة وثمانية من الروم كانوا علي دين عيسي عليه السلام فاسلموا وعن جابر بن عبد الله وانس وابن عباس وقتاده
نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبريل الي رسول الله صلي الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلعم
لاصحابه اخرجوا فصلوا علي اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن هو قال النجاشي فخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم
الي البقيع وكشف له من المدينة الي ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلي عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال
لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الي هذا يصلي علي علج حبشي نصراني لم يره قط وليس علي دينه فانزل
الله هذه الاية واللام في لمن يومن لام الابتداء الذي يدخل علي خبر ان او علي اسمه عند الفصل كما في الاية والمراد
بما انزل اليكم القران وما انزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يومن لان من في معني الجمع حملا علي
اللفظ تارة وعلي المعني الاخري لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من احبارهم وروسايهم اولئك لهم اجرهم
عند ربهم ولا يخفي فخامة شان هذا الوعد حسب ما اشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات
قادر علي كل المقدورات فيعلم ويعطي ما لكل احد من جزاء الحسنات والسيات او المراد سرعة موعد حسابه فيكون
فيه بشارة بسرعة حصول الاجر ثم ختم السورة باية جامعة لاسباب سعادة الدارين وذلك ان احوال الانسان قسمان
الاول ما يتعلق به وحده فامر فيه بالصبر ويندرج فيه الصبر علي مشقة النظر والاستدلال في معرفة التوحيد والعدل
والنبوة والمعاد والصبر علي اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر علي شدايد الدنيا وافاتها
ومخاوفها الثاني ما يتعلق بالمشاركة مع اهل المنزل او المدينة فامر فيه بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق
الردية من الاقارب والاجانب وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالحجة
وبالسيف وباللسان اوبا لسنان ثم انه لابد للانسان في تكلف اقسام الصبر والمصابرة من قهر القوي النفسانية البهيمية
والسبعية الباعثة علي اضداد ذلك فامر بالمرابطة بالربط الشد فكل من صبر علي امر فقد ربط قلبه عليه والزم
نفسه اياه لابد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتي يكون معتدا بها فلهذا امر بتقوي الله ثم لما تمت
وظايف العبودية ختم الكلام علي وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه فظهر ان هذه الاية مشتملة علي كنوز الحكم
والمعارف وجامعة لاداب الدين والدنيا ثم انها علي اختصارها كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الاصول وهي تقرير
التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كاحكام الحج والزكوة والجهاد وعن الحسن اصبروا علي دينكم فلا تتركوه
بسبب الفقر والجوع وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب ما اصابكم يوم احد وقال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم
فلا ينبغي ان يكونوا اصبر منكم وقال الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالي في هذه السورة امرهم بالصبر عليها ولما كثر
ترغيب الله في الجهاد فيها امرهم بالمصابرة مع الاعداء اما المرابطة ففيها قولان احدهما ان يربط هولاء خيولهم بحيث يكون
كل واحد من الخصمين مستعدا للقتال الاخر قال تعالي ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلعم من رابط

يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة والثاني انتظار الصلوة بعد
الصلوة لما روي عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه قال لم يكن في زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكن
انتظار الصلوة خلف الصلوة وفي حديث ابي هريرة ذكر انتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال فذلكم الرباط ثلث مرات والله تعالي اعلم
التأويل ان في خلق سموات القلوب واطوارها وخلق ارض النفوس وقرارها واختلاف ليل البشرية وصفاتها ونهار الروح
وانوارها لايات لاولي الالباب الذين عبروا بقدمي الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ووصلوا الي وجود لب الروحاني فشا
هدوا بعيون البصاير ونواظر الضماير ان لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا وانما نالوا هذه المراتب
لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسايط والمركبات ويقولون ما
خلقت هذا باطلا اي خلقته اظهارا للحق علي الخلق ووسيلة للخلق الي الحق سبحانك تنزيها للحق عن التشبه بالخلق فقنا يا
غنيا عنا عذاب نار قهرك والبعد عنك وعقبها كل الخزي والندامة والغواية والضلالة ثم اخبر عن شرط العبودية في استجلاب
فضل الربوبية بهذا ربنا اننا سمعنا منها هاتف الحق في الغيب بالسمع الحقيقي مناديا فاغفر لنا ذنوبنا اي كما اسمعتنا النداء بالارادة
القديمة لا بسعي منا فنرجو ان يغفر لنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثي علي قدر قيمتكم ورجوعكم
فالذين هاجروا عن الاوطان والاوطار والاعمال السيئة والاخلاق الذميمة واخرجوا من ديارهم من معاملات الطبيعة وديارها
الي عالم الحقيقة بسطوات تجلي صفات الربوبية واوذوا في طلبي بانواع البلاء وقاتلوا مع النبيين وقتلوا بسيف الصدق
لاكفرن عنهم سيات وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوي والصدق
والاخلاص والهدي والقناعة والعفة والمودة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفا والطلب والمحبة
والحيا والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلاص تجري من تحتها انهار العناية
ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب لا يكون عند الجنة وغيرها وان من اهل الكتاب من علما الظاهر علما منقبة
يليه ايمانه من نتيجة نور الله الذي دخل قلبه ويومنها انزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما انزل اليهم من الخواطر
الرحمانية خاشعين لله كما قال صلعم اذا تجلي لشي خضع له لا يشترون لما اوتوا والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب
بوصلهم الي مقام العندية فيل وبالتهم اصبروا علي جهاد النفس بالرياضات وصابروا في مراقبات القلب عند الابتلاآت ورابطوا
الارواح للوصول بالله واتقوا الله في الالتفات الي ما سواه لعلكم تفلحون فتفوزوا بالبقا واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية وعدد كلماتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي
الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا
فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً

فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ۝ ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا ۝
وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم
اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى
بالله حسيبا ۝ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا ۝ واذا حضر
القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا
معروفا ۝ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا
عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ۝ ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ۝

قيما م

القراءة تساءلون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلي وخلف وعباس مخير الباقون بالتشديد اي بادغام تا التفعل في السين والارحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ماطاب بالامالة حمزة نواحلة يزيد الباقون بالنصب هنيا مريا بالتشديد فيهما يزيد وحمزة في الوقف على ابهاد قف واذا انفرد هنيا فهو كل القران يزيد قياما ابن عامر ونافع والباقون قياما ضعافا بالامالة خلف عن حمزة وابن سعدان والعجلي وخلف لنفسه وقتيبة لاصله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وابو بكر وحماد والمفضل الباقون بفتحها **الوقوف** ونساء لان الجملتين وان اتفقتا الا انه اعترضت المعطوفات والارحام رقيبا بالطيب الى اموالكم كبيرا ورباع ايمانكم الا تعولوا لابتداء حكم اخر نحلة لان الشروط خارج عن اصل الموجب مريا معروفا النكاح اموالهم ان يكبروا لانتهاء الجملتين منصا دبني فليستعفف بالمعروف للعود الى اصل الموجب بعد وقوع العارض عليهم حسيبا الاقربون الاول اولى بتقدير جعلناه نصيبا مفروضا معروفا خافوا عليهم سديدا نارا سعيرا **التفسير** لما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة من التعطف على الاولاد والنسا والايتام وايصال حقوقهم اليهم وضبط اموالهم عليهم ومن الامر بالطهارة والصلوة والجهاد والادية ومن تحريم المحارم وتحليل غيرهن الى غير ذلك من السياسات ومكارم الاخلاق التي يناط بها صلاح المعاش والمعاد افتتح السورة بحث المكلفين على التقوى ومن غرايب القران ان فيه سورتين صدرهما يا ايها الناس احديهما في النصف الاول وهي الرابعة من سوره واخرى في النصف الثاني وهي ايضا في الرابعة من سوره فهذه التي في النصف الاول مصدرة بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة واما القيد الاول وهو انه خلقنا فلا شك انه علة لوجوب الانقياد لتكاليفه والخضوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية ومن

سيصلون م

بشان العبد امتثال امر مولاه في كل ما يامره وينهاه وايضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على ان مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة اخرى منه واما القيد الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما اوجب علينا الطاعة لان خلق اشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير اشكالهم وتباين امزجتهم واختلاف اخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار حكيم تدبيره ولو كان ذلك بالطبيعة او لعلة موجبة لكان كلهم على حد واحد ونسبة واحدة ثم في هذا القيد فوايد اخر منها انه يامر عقيبه بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم من اصل واحد وارومة واحدة اعون على هذا المعنى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يوذيني ما يوذيها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة واظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها ان المقتضي لذكر تذكر المعاد فليس الاعادة باصعب من الابتدا ومنها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرا كتابا واجمع المفسرون على ان المراد بالنفس الواحدة هو ادم عليه السلام والتانيث في الوصف نظرا الى لفظة النفس وخلق منها زوجها من ضلع من اضلاعه وقال ابو مسلم وخلق من جنسها زوجها كقوله جعل لكم من انفسكم ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب فاي فايدة في خلقتها من ضلع من اضلاع ادم والجواب ان الامر لو كان كما ذكره ابو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف النص وخلاف ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المراة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها احتج جمع من الطبايعيين بالاية على ان الحادث لا يحدث الا عن مادة سابقة وان خلق الشيء عن العدم المحض والنفي الصرف محال والجواب انه لا يلزم من احداث شيء في صورة واحدة من المادة لحكمة ان يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها زوجها معطوف على محذوف اي انشاها وخلق منها او معطوف على خلقكم والخطاب للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي خلقكم من نفس ادم لانهم من جنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفايتة للحصر اقول وانما التزم الاختصاص في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة اذ لا يفهم من خلق بني ادم من نفس خلق زوجها منه ولا خلق الرجال والنسا من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله خلق منها الى اخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان اولى عدم دخول الواو الا ان المراد وصف ذاته تعالى بالاوصاف الثلثة جميعا من غير ترتيب يستفاد من النسق والا لكان الانسب ان يقال فبث بالفاء فدل العطف بالواو في الجميع على ان المراد هو ما ذكرنا وان التفصيل والترتيب موكول الى تقضية العقل فافهم والله تعالى اعلم ومعنى بث فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال كانت اكثر فهم اظهر بقيمته تنبيها على ان اللايق بحال الرجال الاشتهار والخروج واللايق بحال النسوان الاكتفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنسا مفرقين لئلا يلزم كونهما مثبوثين من نفسيهما ثم ان هذا البث معناه محمول على ظاهره عند من يرى ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين في صلب ادم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منهما اولادهما حقا ثم بث ومن جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام من قرا بالنصب فللعطف على اسم الله تعالى اي واتقوا الارحام فلا تقطعوها وهو اختيار اكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما للعطف على محل الجار والمجرور كقوله فلسنا بالجبال ولا الحديدا وهو اختيار ابي علي الفارسي وعلي بن عيسى فيكون منصوبا بالاغراء اي فالارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرا بالجر فللعطف على الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تتمة ما قبله ولا سيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله صلعم فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة اخرى وهي انها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال النبي صلعم لا تحلفوا بابائكم والجواب ان المنهي هو الحلف بالاباء وههنا حلف اولا بالله ثم قرن به الرحم واين احدهما من الاخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم ايضا منهي عنها لكن لا نسلم انها نهي عنها مطلقا وانما المنهي عنها ما حلف على سبيل التعظيم واما الحلف بطريق التاكيد فلا باس بها ولهذا جاء في الحديث افلح وابيه ان صدق سلمنا انه منهي عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قولهم في الاستعطاف والتسائل وهو سوال البعض البعض اسالك بالله وبالرحم وانا شدك الله والرحم ونحو ذلك والارحام بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف اي والارحام

فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ۝ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ
الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝
وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ
وَمَنْ كَانَ فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ فقيرا
بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۝ وَإِذَا حَضَرَ
الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا
مَعْرُوفًا ۝ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا
عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ
الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝

القراءة تساءلون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلي وخلف وعباس مخير الباقون بالتشديد اي بادغام تاء التفعل في السين والارحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ما طاب بالامالة حمزة تواحلة يزيد الباقون بالنصب هنيا مريا بالتشديد فيهما يزيد وحمزة في الوقف على ابدال وقف واذا انفرد هنيا هنا كل القرآن يزيد تماما ب عامر ونافع والباقون قياما ضعافا بالامالة خلف عن حمزة وابن سعدان والعجلي وخلف لنفسه وقتيبة لاصله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وابو بكر وحماد والمفضل الباقون بفتحها **الوقوف** ونساء لان الجملتين وان اتفقتا الا انه اعترضت المعطوفات والارحام رقيبا بالطيب الى اموالكم كبيرا ورباع ايمانكم ان لا تعولوا للابتداء كلوا مريئا لان الشروط خارج عن اصل الموجب مريئا معروفا النكاح اموالهم ان يكبروا للابتداء او جملتين منصا فليستعفف بالمعروف للعود الى اصل الموجب بعد وقوع العارض عليهم حسيبا الاقربون الاول او كثر بتقدير جعلناه نصيبا مفروضا معروفا خافوا عليهم سديدا نارا سعيرا **التفسير** لما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة من التعطيف على الاولاد والنساء والايتام وايصال حقوقهم اليهم وضبط اموالهم عليهم ومن الامر بالطهارة والصلوة والجهاد والدية ومن تحريم المحارم وتحليل غيرهن الى غير ذلك من السياسات ومكارم الاخلاق التي يناط بها صلاح المعاش والمعاد افتتح السورة بحث المكلفين على التقوى ومن غرائب القرآن ان فيه سورتين صدرهما يا ايها الناس احداهما في النصف الاول وهي الرابعة من سوره واخرى في النصف الثاني وهي ايضا الرابعة من سوره التي في النصف الاول مصدرة بذكر المبداء اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة واما القيد الاول وهو انه خلقنا فلا شك انه علة لوجوب الانقياد لتكاليفه والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية و

بشأن العبد امتثال امر مولاه في كل ما يأمره وينهاه وايضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على ان مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة اخرى منه واما القيد الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما اوجب علينا الطاعة لان خلق اشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير اشكالهم وتباين امزجتهم واختلاف اخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار حكيم تدبير ولو كان ذلك بالطبيعة او لعلة موجبة لكان كلهم على حد واحد ونسبة واحدة ثم في هذا القيد فوائد اخر منها انه يأمر عقيبه بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم عن اصل واحد وارومة واحدة اعون على هذا المعنى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة واظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها ان المقصود ذلك تذكر المعاد فليس الاعادة باصعب من الابتداء ومنها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابا واجمع المفسرون على ان المراد بالنفس الواحدة هو آدم عليه السلام والتأنيث في الوصف نظرا الى لفظة النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعه وقال ابو مسلم وخلق من جنسها زوجها كقوله جعل لكم من انفسكم ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب فاي فائدة في خلقتها من ضلع من اضلاع آدم والجواب ان الامر لو كان كما ذكره ابو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف النص وخلاف ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها احتج جمع من الطبايعيين بالآية على ان الحادث لا يحدث الا عن مادة سابقة وان خلق الشيء عن العدم المحض والنفي الصرف محال والجواب انه لا يلزم من احداث شيء في صورة واحدة من المادة لحكمة ان يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها زوجها معطوف على محذوف اي انشأها وخلق منها او معطوف على خلقكم والخطاب للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي خلقكم من نفس آدم لانهم من جنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر انتهى وانما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة اذ لا يفهم من خلق بني آدم من نفس خلق زوجها منه ولا خلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله خلق منها الى آخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان اولى عدم دخول الواو الا ان المراد وصف ذاته تعالى بالاوصاف الثلاثة جميعا من غير ترتيب يستفاد من النسق ولو كان الاسلوب ان يقال فبث بالفاء فدل العطف بالواو في الجميع على ان المراد هو ما ذكرنا وان التفصيل والترتيب موكول الى قضية العقل فافهم والله تعالى اعلم ومعنى بث فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال كانت لكثرتهم اظهر وفيه تنبيه على ان اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج واللائق بحال النسوان الاكتفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفتين لئلا يلزم كونهما مبثوثين من نفسيهما ثم ان هذا البث معناه محمول على ظاهره عند من يرى ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين في صلب آدم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منهما اولادهما حقا اخرى وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام من قرأ بالنصب فللعطف على اسم الله تعالى اي واتقوا حق الارحام فلا تقطعوها وهو اختيار اكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما للعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وهو اختيار ابي علي الفارسي وعلي بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء اي فالارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرأ بالجر فللعطف على الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تتمة ما قبله ولا سيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبتت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة اخرى وهي انها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال النبي صلعم لا تحلفوا بآبائكم والجواب ان المنهي هو الحلف بالآباء وههنا حلف اولا بالله ثم قرن به الرحم وبان احدهما من الآخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم ايضا منهي عنها لكن لا نسلم انها نهي عنها مطلقا وانما المنهي عنها ما حلف على سبيل التعظيم واما الحلف بطريق التأكيد فلا بأس بها ولهذا جاء في الحديث افلح وابيه ان صدق سلمنا انه منهي عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قولهم في الاستعطاف والتسائل وهو سؤال البعض البعض اسألك بالله وبالرحم وانا شدتك الله والرحم وقرئ والارحام بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي والارحام

كذلك اي مما يتقي ويتساءل به فان قيل لم قال اولا اتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله قلنا اما تكرار الامر فللتاكيد كقولك
للرجل عجل واما تخصيص الرب بالاول والله بالثاني فلان الغرض في الاول الترتيب بتذكير النعمة والاحسان والتربية
وفي الثاني الترهيب وفي لفظ الله يدل على كمال القدرة والقهر فكانه قيل ربك احسن اليك فاتق مخالفته ولانه
شديد العقاب فاتق سخطه قال العلما في الاية دليل على جواز المسئلة بالله روي مجاهد عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم من سالكم بالله فاعطوه وعن البرا ابن عازب قال امرنا رسول الله صلي الله عليه وسلم بسبع منها
ابرار القسم ولا يخفي ما في الاية من تعظيم حق الرحم وتاكيد النهي عن قطعها حيث قرن الارحام باسمه كما قال في سورة البقرة
لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذوي القربي وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته
وفي الصحيحين عن عايشة قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله
ومن قطعني قطعه الله وعن عبد الله بن عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافي الوا
اذا قطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الصدقة علي المسكين صدقة
وعلي ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة فثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها
فلهذا بني اصحاب ابي حنيفة علي هذا الاصل مسلتين احدهما ان الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت
والعم والخال لانه لو بقي الملك حل الاستخدام بالاجماع لكن الاستخدام ايحاش وقطيعة رحم والثانية ان الهبة لذي الرحم
المحرم لا يجوز الرجوع فيها حذرا من الايحاش والقطيعة ثم انه ختم الاية بما يتضمن الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم
رقيبا يحفظ عليكم جميع اعمالكم فيجازيكم بحسبها ثم انه سبحانه بعد تقديم موجبات الشفقة علي الضعفة ومن له
رحم ماسة قال واتوا اليتامي اموالهم واصل اليتم الانفراد ومنه الرملة والدرة اليتيمة فاليتامي هم الذين ماتت اباؤهم
فانفردوا عنهم فاليتم لغة يتناول الصغير والكبير الا انه في عرف الشرع اختص بالذي لم يبلغ الحلم قال صلي الله
عليه وسلم لا يتم الا بعد الحلم والمراد انه اذا احتلم لا يجري عليه احكام الصغار لانه في تحصيل مصالحه يستغني بنفسه
عن كافل يكفله وقيم يقوم بامره فان قيل اذا كان اسم اليتيم في الشرع مختصا بالصغير فما دام يتيما لا يجوز دفع
امواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال واتوا اليتامي اموالهم ففي الجواب
طريقان احدهما ان المراد باليتامي الكبار البالغون سماهم بذلك علي مقتضي اللغة او لقرب عهدهم باليتم كقوله
تعالي فالقي السحرة ساجدين اي الذين كانوا سحرة قبل السجود ويوكد هذا الطريق قوله فيما بعده فاذا دفعتم اليهم
اموالهم فاشهدوا عليهم والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ وقال صلي الله عليه وسلم تستامر
اليتيمة في نفسها ولا تستامر الا وهي بالغة وعلي هذا يكون في الاية اشارة الي ان لا يوخر دفع اموالهم عن حد
البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يوذنوا قبل ان يزول عنهم اسم اليتامي والصغار ويوافقه ما رواه
مقاتل والكلبي انها نزلت في رجل من غطفان وكان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه
عمه فترافعا الي رسول الله فنزلت الاية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير
فدفع اليه ماله فقال عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطيع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض
الفتي ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلي الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا
انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر علي والده قيل لانه كان
مشركا الطريق الثاني ان المراد بهم الصغار اي الذين هم يتامي في الحال او هم بعد زوال صفة اليتم اموالهم واتوهم
من اموالهم ما يحتاجون اليه لنفقتهم وكسوتهم والخطاب للاوليا والاوصيا ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفرا
والزجاج لا تتبدلوا الحرام وهو مال اليتامي بالحلال وهو اموالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث
في الارض فتاكلوه مكانه والتفعل بمعني الاستفعال غير عزيز كالتعجل بمعني الاستعجال والتاخر بمعني الاستيخار
ولا تتبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامي والاعتزال عنها حتي يتلف بالامر الطيب وهو حفظها والتورع
منها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو ان ياخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الردي قال صاحب الكشاف

هذا ليس بتبدل وانما هو تبديل بل يريد ان البا في بدل يدخل علي الماخوذ وفي تبدل علي المعطي ولما كان الماخوذ
الطيب كان تبديلا ثم وجهه بانه لعله يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي فيكون البا
في موضعه وقيل معني الاية ان ياكل مال اليتيم سلفا مع التزام بدله فيكون متبدلا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم
منضمة الي اموالكم في الانفاق تسوية بين المالين في الحل انه اي الاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما والحاب مثله
والتركيب يدور علي الضعف والمراد بالاكل مطلق التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع فيه التصرف
وقيل الي هنا بمعني مع والفايدة في زيادة قوله الي اموالكم واكل اموال اليتامي محرم علي الاطلاق وزيادة التقبيح
والتوبيخ لانهم اذا كانوا مستغنين عنها بما لهم من المال الحلال ومع ذلك طمعوا في مال اليتيم كانوا ابلغ في الذم احق بالذم ولانهم
كانوا يفعلون كذلك فنعي عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم وان خفتم الا تقسطوا اقسط الرجل عدل وقسط
جار قال الزجاج اصلهما جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا قسط فمعناه ظلم صاحبه من قسطه من قولهم قاسطته
فقسطته اي غلبته علي قسطه واذا قالوا اقسط بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل اضعف اي اتي بالنصف فلزمه
العدالة والتسوية واعلم ان قوله وان خفتم شرط وقوله فانكحوا جواب له ولا بد من بيان ان هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا
الشرط وللمفسرين فيه وجوه الاول ما روي عن عروة انه قال قلت لعايشة ما معني قول الله وان خفتم الا تقسطوا
في اليتامي فقالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها وجمالها الا انه يريد ان ينكحها بادني
من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بانه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج عنها فقال تعالي
وان خفتم ان تظلموا اليتامي عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من العدد قالت عايشة ثم ان الناس
استفتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد هذه الاية فيهن فانزل الله تعالي ويستفتونك في النساء الاية فقوله فيها
وما يتلي عليكم في يتامي النساء المراد هذه الاية وهي قوله فان خفتم الا تقسطوا وفي غير الكشاف عن هذه الاية بعبارة
اخري وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عشر منهن
فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم الا تقسطوا
في يتامي النسا فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم الثاني وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي
منقولا عن ابن عباس لما نزلت الاية المتقدمة وما في اكل اموال اليتامي من الحوب الكبير خاف الاوليا الحوق
الحوب فتحرجوا من ولاية اليتامي وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج واكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل
بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامي فتحرجوا فتحرجوا منها فكونوا خايفين من ترك العدل بين النساء لانهن كاليتامي
في العجز والضعف فقللوا عدد المنكوحات لان من يتحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فكانه غير متحرج
الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامي فقيل ان خفتم ذلك فكونوا خايفين من الزنا ايضا
وانكحوا ما حل لكم من النساء الرابع روي عكرمة كان الرجل عنده النسوة فيكون عنده الايتام فاذا انفق مال
نفسه علي النسوة اخذ في انفاق اليتامي عليهن فقيل ان خفتم ان تظلموا اليتامي باكل اموالهن عند كثرة الزوجات
فقد حظرت لكم ان تنكحوا اكثر من اربع لتزول هذا الخوف فان خفتم في الاربع ايضا فواحدة فذكر الطرف الزايد وهو
الاربع والناقص وهو الواحدة ونبه بذلك علي ما بينهما فكانه قيل ان خفتم الاربع ايضا فثلاثا وان خفتم فاثنتان
وان خفتم فواحدة قال الظاهريون النكاح واجب لقوله فانكحوا وظاهر الامر للوجوب وعورض بقوله تعالي ذلك لمن خشي
العنت منكم وان تصبروا خير لكم ولو سلم فالوجوب مشروط بحالة الخوف فلا يلزم منه الوجوب علي الاطلاق وايضا
الاية سيقت لبيان تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لانه اراد به الجنس لقوله ما عندك
فيقال رجل وامراة يريد ما ذلك الشي الذي عندك او لان الاناث من العقلا تنزل منزلة غير العقلا ومنه
قوله تعالي او ما ملكت ايمانكم لان ناقصي العقول يتعاقبان قال تعالي والسما وما بناها فمنهم من يمشي علي بطنه قال المفسرون
معني ما طاب لكم اي ما حل لكم من النسا لان فيهن من يحرم نكاحها كما يجي واعترض عليه الامام بانه قوله فانكحوا امر
اباحة فيصير المعني الي قوله ابحت لكم نكاح من هي مباحة لكم وهذا الكلام مستدرك سلمناه لكن الاية تصير مجملة
لان الاسباب المحللة للاباحة غير مذكورة في هذه الاية واذا حملنا الطيب علي استطابة النفس وميل القلب كانت الاية عامة

دخلها التخصيص وانه اولى من الاجمال عند التعارض لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة
اصلا والجواب عن الاول ان ذكر المثنى ههنا تم صريحا لا بعد تكرار بدليل كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن
الثاني انه قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذ لكان اشارة الى ما بقي بعد ما اخرجه ابو الطيب كلا احراج اما قوله مثنى وثلاث
ورباع ولم يوجد في كلام الفصحاء الاحاد او احاد او موحد وحيدوا الى عشار او معشر فيا سا على قول الكميت ولم يستر يتول
حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا فا نقول النحويون على انهما عد لا تحقيقا وذلك ان فايدتها تقسيم امر ذي اجزاء على عدد
معين ولفظ المقسوم عليه في غير العدد مكرر على الاطراد في كلام العرب نحو قرات الكتاب جزءا جزءا او جاني القوم رجلا رجلا
وجاعة جاعة فكان القياس في باب العدد ايضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما
وجد ثلاث مثلا غير مكرر لفظا حكم بان اصله لفظ مكرر ولبس الا ثلثة ثلثة فعند سيبويه منع صرفه مثل هذا العدد
والوصف فلما وجد ثلث مثلا غير مكرر لفظا حكم بان اصله لفظ مكرر فان هذا التركيب لم يستعمل الا وصفا بخلاف المعدول
عنه وقيل ان فيه عدلا مكررا من حيث اللفظ لان اصله كان ثلثة ثلثة مرتين فعدل الى واحد اي الى لفظ ثلاث او مثلث
وقيل ان فيه العدل والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لما في الكشاف واذ اجري على النكرة فمحمول على البدل وضعف
بعدم جريانه على المعارف ولو وقعه حالا فمعنى الاية فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين
وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة فمن قرا بالنصب اراد فاختاروا او انكحوا او الزموا
واحدة ومن قرا بالرفع اراد فكفت واحدة او حسبكم واحدة وذروا الجميع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما
وجدتموه فعليكم به ثم قال او ما ملكت ايمانكم فسوى في السهولة بين الحرة الواحدة وبين ما شئتم من الاماء لانهن
اقل تبعة واخف مونة والمهاب لا على المرء الكثير منهن او اقل عدل بينهن في القسم او لم يعدل عزل عنهن او لم يعزل ولكما
التسوية بينهما مبينهن احتج بها الشافعي رضي الله عنه في بيان ان نوافل العبادات افضل من النكاح وذلك
للاجماع على ان الاشتغال بالنوافل افضل من التسري فوجب ان يكون افضل من النكاح لان الزايد على احد المتساويين
يكون زايدا على التساوي الاخر ولمانع ان يمنع التسوية فان قول الطبيب مثلا للمريض كل التفاح او الرمان يحتمل ان يكون
للتسوية بينهما وقد يكون للمقاربة اي ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه في دفع الحاجة للضعيف ومع وجود
هذه الاحتمال لا يتم الاستدلال على ان فضل الامة على الحرة معلوم شرعا وعقلا فههنا مسلتان الاولى ان
اكثر الفقها على ان نكاح الاربع مشروع للاحرار دون العبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طاب له امراة
قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يتمكن من النكاح الا باذن مولاه وايضا انه قال بعد ذلك فان خفتم الا تعدلوا
فواحدة او ما ملكت ايمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول لان هذه الخطابات وردت متتالية
على نسق واحد فيبعد ان يدخل التقييد في اللاحق دون السابق وكذا قوله فان طبن لكم عن شيء منه
نفسا فكلوه هنيئا مريئا والعبد لا ياكل فيكون لسيده وقال مالك يحل للعبد ان يتزوج بالاربع تمسكا بظاهر
الاية ومن الفقها من سلم ان ظاهر الاية يتناول العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس قالوا اجمعنا على
ان الرق له تاثير في نقصان حقوق النكاح كالطلاق والعدة ولما كان العدد من حقوق النكاح وجب ان يحصل
للعبد نصف ما للحر الثانية ذهب جماعة الى انه يجوز التزوج باي عدد اريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء
اطلاق في جميع الاعداد لصحة استثناء كل عدد منه وقوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح مخصصا لذلك ما
لعموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا ينافي ثبوت الحكم في الباقي بل نقول ذكرها يدل على نفي الحرج والحجر
مطلقا فان من قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدرسة والى البستان كان تخصيصا في ان ذلك
الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وايضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها تنبيها على حصول الاذن في
جميعها ولئن سلمنا لكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن في جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف كل منها واما السنة
فلما ثبت بالتواتر انه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع وقد امرنا باتباعه في قوله تعالى فاتبعوه واقل مراتب الامر
الاباحة وقد قال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني والمعتمد عند الجمهور في جوابهم امران احدهما
الخبر كما روي ان نوفل بن معاوية اسلم وتحته خمس نسوة فقال صلعم امسك اربعا وفارق واحدة قال فعمدت الى اقدمهن ..

القران دل على عدم الحصر ونسخ القران بخبر الواحد غير جايز وبان الامر بمفارقة الزايدة قد يكون لمانع النسب او
الرضاع واقول القران لم يدل على عدم الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون مجملا ويبين المجمل بخبر الواحد جايز وايضا
قوله اربعا على الاطلاق وكذا ما رضيه فاصلحه دليلا على ان المانع هو الزيادة على الاربع وكذا في نظاير هذا الحديث ثانيهما اجماع
فقهاء الامصار وضعف بان الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب
ان المخالف اذا كان شاذا فلا يعبا به والقران لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن الاجماع دل
على وجود مبين في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ولئن سلمنا على ان القران دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف
عن وجود ناسخ في عهده وذلك جايز بالاتفاق ولا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي ان يقال مثنى او ثلاث او رباع
والفاصلة بانا نقول معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة التي دلت عليه الواو وذلك ادنى الا تعولوا اي اختيار الواحدة
او التسري اقرب من ان لا تميلوا ان لا تجوروا في حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن
الاعتدال وقيل معناه الا تفتقروا ورجل عايل اي فقير وذلك انه اذا قل عياله قلت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي
انه قال معناه انه لا يكثر عيالكم وطعن فيه بعض القاصرين ان هذا في اللغة معنى تعيلوا لا تعولوا يقال اعال الرجل
اذا كثر عياله ومنه قراءة طاوس الا تعيلوا وايضا انه يناسب اول الاية وان خفتم الا تقسطوا وايضا هب انه يقل
العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقال عند اختيار التسري ولا حصر لهن والجواب عن الاول ان الشافعي
لم يذهب الى تفسير اللغة وانما زعم انه تعالى اشار الى الشي بذكر لازمه اي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال
لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور وقرر الكناية في الكشاف على وجه اخر وهو انه جعل قوله تعالى الا تعولوا
من عال الرجل عياله يعولهم كقولهم يمونهم اذا انفق عليهم ولا شك ان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب
عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال فالحاصل انه ذكر اللازم هو الانفاق واراد الملزوم وهو كثرة العيال والحامل
على ما قلنا انه ذكر اللازم وهو الميل والجور واراد الملزوم وهو كثرة العيال والجواب عن الثاني ان حمل الكلام
عليهما لا يلزم منه تكرار او لي ونتقد ير التسليم فتفسير الشافعي اصلح او لي في تفسير الجمهور لكن بطريق الكناية كما
قررنا وعن الثالث ان الجواري اذا كثرت فله ان يكلفهن الكسب فينفقن على انفسهن وعلى مولاهن ايضا فكانه لا
عيال وايضا اذا عجز المولى باعهن وتخلص منهن بخلاف المهاير فان الخلاص عنهن يفتقر الى تسليم المهر ايضا وقال
في الكشاف العزل عن السراري جايز بغير اذنهن فكانت مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج واتوا النسا صدقاتهن اي
مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب للناكحين وقيل
خطاب للاوليا لان العرب كانت في الجاهلية لا تعطي البنات من مهورهن شيا ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة هنيئا
لك النافجة يعنون انك تاخذ مهرها ابلا فتضمها الى ابلك فتنفج مالك اي تعظمه وقال ابن الاعرابي النافجة ما ياخذه
الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله عن ذلك وامر بدفع الحق الى اهله وهذا قول الكلبي وابي صالح واختيار الفراء
وابن قتيبة قال القفال يحتمل ان يكون المراد من الايتاء المناولة فيكون قد امروا بدفع المهر الذي سموها لهن ويحتمل ان يراد
الالتزام كقوله حتى يعطوا الجزية عن يد اي حتى يضمنوها ويلتزموها فيكون المعنى ان التزوج لا تستباح الا بعوض
يلتزم سواء سمي ذلك او لم يسم الا ما خص به الرسول صلعم من الموهوبة قال ويجوز ان يراد الوجهان جميعا اما قوله نحلة
فقد قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد اي شريعة وديانة فيكون مفعولا لها او حالا من الصدقات اي
دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي اي عطية وهبة فتكون نصبا على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء
او على الحال من المخاطبين اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ما يوخذ
بالمطالبة لا يسمى نحلة او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك
بدله شيا لان البضع في ملك المراة بعد النكاح كهو قبله وانما الذي استحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية
من غير بدل وقال قوم ان الله جعل منافع النكاح من قضاء الشهوة والولد مشتركا بين الزوجين ثم امر الزوج بان يوتي
الزوجة المهر فكان ذلك عطية من الله تعالى ابتداء ثم لما امرهم بايتاء الصدقات اباح لهم جواز قبول ابرائها وهبتها والتصب
نفسا على التمييز وانما وحد لانه يلبس لان النفس لهن الا انهن انفس ولو جمعت لجاز والضمير في منه للصداق او للذكور

وفي قوله طبن وبناء الكلام على الابهام ثم التبيين دون ان يقول سمحن او وهبن وفي قوله عن شيء منه دون ان يقول عنه
تنبيه على ان تقول ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار وسوء معاشرة من الزوج يحملهن عليه لكونه
لهن على تقليل الموهوب ولهذا ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون شيئا ولا بعضه ولو انث لتناوله ظاهر
هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها او اكثر ومن هذا التقرير يظهر ان من قوله منه للتبعيض اخرجها الكلام
مخرج الغالب مع قابلية البعث المذكور لانه لا يجوز هبة كل الصداق اذا طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن
هذه الدقيقة زعم ان من للتبيين والمعنى عن شيء هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتان من هنؤ
الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يستلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه
ومنه قيل المريء لمجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل اصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء
من الجرب وبالجملة فهو عبارة عن التحليل والمبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا
مريئا على الدعاء او على انهما قاما مقام مصدريهما اي هناء مراءا والمراد بالاكل التصرف الشامل للعين والدين قال بعض العلماء
ان وهبت ثم طلبت علم انها لم تطب عنه نفسا وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة وايما
امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال
اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما
امر بايتاء اليتامى اموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى منهم خفاف الاحلام وان بلغوا اوان التكليف فقال
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اكثر العلماء على ان هذا الخطاب للاولياء فيرد ان الانسب لو قيل اموالهم واجيب بانه انما حسنت اضافة
الاموال الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى الوحدة الشخصية كقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ومعلوم
ان الرجل منهم ما كان يقتل نفسه ولكن كان بعضهم يقتل بعضا فقتل انفسكم ان الكل من نوع واحد فكذا ههنا المال
شيء ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية حسنت اضافة اموال السفهاء الى اوليائهم ويحتمل ان
يضاف المال اليهم لا لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة ادنى سبب وقيل خطاب
للاولياء نهاهم الله تعالى اذا كان اولادهم سفهاء ان يدفعوا اموالهم او بعضها اليهم فعلى هذا يكون اضافة الاموال
اليهم حقيقة والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا قرب اجله يجب عليه ان يوصي بماله الى امين يحفظه على ورثته
وقد يرجح القول الاول بان ظاهر النهي للتحريم واجمعت الامة على انه لا يحرم عليه ان يهب من اولاده الصغار ومن النسوان
ما شاء من ماله واجمعوا على انه يحرم للولي ان يدفع الى السفهاء اموالهم وايضا قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا
لهم قولا معروفا وهذه الاوامر تناسب حال الاولياء لا حال الآباء واقول لا يبعد حمل الاية على كلا القولين لان الاضافة في
اموالكم لا تفيد الا الاختصاص سواء كان اختصاص التصرف او اختصاص الملكية واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد
والضحاك انها النساء ازواجا كن او امهات او بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
الا انما خلقت النار للسفهاء يقولها ثلاثا وان السفهاء النساء الا امرأة اطاعت قيمها وقد جمع فعله على فعلاء كفقيه
وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم الاولاد الخفاف العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير
اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله الصحيح
ان المراد بالسفهاء كل من ليس له عقل يفي بحفظ المال ولا يدري لها باصلاحه وتثميره والتصرف فيه ويدخل فيه النساء
والصبيان والايتام والفساق وغيرهم ممن لا وثوق لهم عند اهل الدين والعلم بمصالح الدارين فيضيع المال فيما لا
ينبغي وبغير سببه ومعنى جعل الله لكم قياما انه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به سماه اطلاقا لاسم المسبب على
السبب ومن قرأ قيما فعلى حذف الالف من قياما وهو مصدر قام واصله قوام قلبت الواو ياء لاعلال فعله فانه لم يكن
مصدرا لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان
احتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس الدراهم والدنانير خواتيم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت
بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال وقيل
لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا قال هي وان ادنتني منها فقد صانتني عنها وقال بعض الحكماء

من اصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على اهله وفيه الفقر مخزلة
والغنى مجدلة والبؤس مذلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوي كل جرح ويطيب بها كل
صلح وقال ابو العتاهية اجلك قوم حين صرت الى الغنى وكل غني في العيون جليل اذا مالت الدنيا على المرء رغبت
اليه ومال الناس حيث يميل وليس الغنى الا غنى زين الفتى عشية يقري او غداة ينيل وقد اختلف اقوال الناس
في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما احوج من الفقر مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل
الغنى على الفقر لان الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة افضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة
وذهب آخرون على تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا من ملابستها وهذا قول من
غلب على قلبه حب السلامة وقال الباقون خير الامور اوسطها والفضل بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين
ويسلم من مذمة الحالين ومن كلفته النفس فوق كفافها فما ينقضي حتى الممات عناؤه والحاصل ان الانسان ما لم
يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا يكون فارغ البال الا بواسطة المال فبذلك يتمكن من جلب المنافع
ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظه ههنا وفي آية المداينة حيث امر بالكتاب والاشهاد والرهان المقبوضة
فمن اراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة ومن ارادها لغيرها فبالها من حسرة وندامة ثم انه سبحانه امر بعد ذلك بثلاثة
اشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وانما لم يقل منها كيلا يكون امرا بجعل بعض اموالهم رزقا لهم فيأكلها الانفاق بل امر
ان يجعلوها مكانا لرزقهم بان يتجروا فيها ويتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من اصول الاموال وصلبها واكسوهم
كلا من الرزق والكسوة بحسب المصلحة وكما يليق بحال امثالهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد هو
عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل ان تقول اذا ربحت في سفري هذا فعلت بك ما انت اهله وان
غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك وبارك
الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم مما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان
صبيا فالولي يعرفه ان المال ماله وانه اذا زال صباه يرد المال اليه كقوله فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تعاشره الا بالتسلط عليه
كما تعاشر العبيد وان كان سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلاة وعرفه ان عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة
وبالجملة كل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا وشرعا من قول او عمل او معروف وما نفرت منه لقبحه فهو منكر
ثم ان السفهاء متى يؤتون اموالهم فشرط في ذلك شرطين احدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد منهم فبلوغ النكاح
ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ويطلب ما هو مقصود به وهو التوالد ومناط الاحتلام خروج المني بدفق وقت امكانه
باستكمال تسع سنين قمرية او يبلغ خمس عشرة سنة تامة قمرية عند الشافعي وثماني عشرة عند ابي حنيفة وهذا
يشترك فيه الغلام والجارية ولها امارتان جريان الحيض او الحبل وللاطفال الكفار امارة زائدة وهي نبات الشعر الخشن
على العانة واما الايناس ففي اللغة الابصار والمراد في الاية التبيين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى وابتلوا اليتامى
اختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ومن هنا قال ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز
باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المأمور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا اذن له في البيع والشرى وقال الشافعي الابتلاء
قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف لان الاذن يتوقف على دفع المال اليه لانه موقوف على الشرطين بل المراد بالابتلاء
اختبار عقله واستبراء حاله حيث ما يليق بكل طائفة فولد التاجر يختبر في البيع والشرى بحضوره ثم يستكشف ذلك
البيع او الشرى منه وما فيهما من المصالح والمفاسد وقد يدفع اليه شيئا ليبيع او يشتري فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله
ثم الولي بعد ذلك يتم العقد لو اراد وولد الزارع يختبر في امر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف
فيما يتعلق بحرفته والمرأة في امر القطن والغزل وحفظ الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفارة وما اشبهها
ولا تكفي المرة الواحدة في الاختبار بل لا بد من مرتين واكثر على ما يليق بالحال ويفيد غلبة الظن انه رشيد
نوع من الرشد يختص بحاله لا الرشد من جميع الوجوه وعلى الحمل فانه يمكن ولهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا انه
لا بد بعد البلوغ من الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله بحيث لا يقدر الغير على خديعته ثم ان ابا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا
الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله وقال الشافعي لا بد مع ذلك من الاهتداء لمصالح الدين فان الفاسق

لا تخلوا من اتلاف المال في الوجوه الفاسقة ومقدمني الله تعالى الرشد عن فرعون في قوله وما امر فرعون برشيد مع انه
كان يراعي مصالح الدنيا ويتفرع على القولين ان الشافعي يرى الحجر على الفاسق وابو حنيفة لا يراه فانه اذا بلغ غير رشيد
واستمر على ذلك لا يدفع اليه بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف فعند اصحاب أبي حنيفة وعند الشافعي
لا يدفع اليه ابدًا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الاية وعند ابي حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثمانية عشر
سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلوة
لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس ثم قال ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مصدران في موضع الحال
اي مسرفين ومبادرين كبرهم او مفعول لهما اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير ضد القصد والامساك
والكبر في السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا اي اسن وكبر بالضم يكبر كبرا وكبارة اي عظم نهاهم عن الافراط
في الامساك كما يشتهون كما يكبر الايتامى فانتزعوها من ايديهم ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع منه ولينزكه وفي السين
زيادة مبالغة كانه طلب من يد العفة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وللعلماء خلاف في ان الوصي هل له ان ينتفع بمال اليتيم
قال الشافعي له ان يأخذ قدر ما يحتاج اليه ويقدر اجرة عمله لان النهي في الاية عن الاسراف مشعر بان له ان يأكل بقدر الحاجة
ولا سيما اذا كان فقيرا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما فآكل من ماله قال بالمعروف
غير متاثل مالا ولا واق مالك بقوله مال افاض به قال فما كنت ضاربا منه ولذلك روي ان عمر بن الخطاب رضي كتب الى عمار
وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم اما بعد فاني رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود
وربعها لعثمان الا واني قد انزلت نفسي واياكم من مال الله منزلة والي مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا
فليأكل بالمعروف وايضا قياسا على الساعي في اخذ الصدقات وجمعها فانه يضرب له في تلك الصدقات بسهم فكذا ههنا
وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية ان له ان يأخذ بقدر ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا ايسر قضاه وان مات ولم يقدر
على القضاء فلا شيء عليه واكثر العلماء على ان هذا الاقتراض انما هو في اصول الاموال من الذهب والفضة وغيرهما واما التناول
من البان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له اذا كان غير مضر بالمال وقال ابو بكر الرازي الذي نعرفه
من اصحابنا انه لا يأخذ لا على سبيل القرض ولا على سبيل الابتداء سواء كان غنيا او فقيرا واحتج بقوله تعالى وآتوا اليتامى
اموالهم واجيب بانها عامة وقوله فليأكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما واجيب بان محل النزاع هو ان اكل الوصي مال اليتيم ظلما او لا قال وان تقوموا لليتامى بالقسط وهو ايضا
عين النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على ان الوصي اذا دفع المال الى اليتيم بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط ان
يشهد عليه اظهارا للامانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه قد دفع المال
اليه فهل هو مصدق فقال ابو حنيفة واصحابه تصدق بيمينه سائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق
الا بالبينة لانه تعالى نص على الاشهاد فقال اذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وظاهر الامر للوجوب ولانه
امين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له ثابت عامة كالقاضي ولا لكمال الشفقة كالاب ثم يصدق في قدر
النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك فتنفيره الناس عن قبول الوصاية وكفى بالله
حسيبا اي كافيا بالشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا كالشريب بمعنى الشارب وفيه تهديد الولي والي اليتيم ان
يتصادقوا ولا يتجاذبوا والباء في الذي اليف نظرا الى اصل المعنى وهي كفى بالله حسيبا نصب على التمييز وتحتمل الحال
ثم من ههنا شرع في بيان المواريث والفرائض قال ابن عباس ان اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراة
يقال لها ام كحة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا
امراته ولا بناته شيئا وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا وانما يورثون الرجال الكبار وكانوا
يقولون لا نعطي الا من قاتل على ظهور الخيل وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة قال فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات وترك علي بنات وانا امراته وليس عندي ما انفق عليهن
وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناتي من المال شيئا فدعاهما رسول الله صلى الله عليه
فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوا فقال لهم رسول الله انصرفوا حتى انظر ما يحدث الله

ب

لي فيهن فانصرفوا فانزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الاية فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا
فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله في اولادكم فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين
والباقي ابني العم وسبب الاجمال في الاية ثم التفصيل فيما بعد هو ان النظام من المالوف شديد والتدريج في الامور داب
الحكيم وهكذا انزل الاحكام والتكاليف شيئا بعد شيء الى ان كملت الشريعة الحقة وتم الدين الحنيفي مما قل منه او كثر بدل مما
ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص تقديره اعني نصيبا مقطوعا مقدرا لا بد لهم ان يحوزوه او على
المصدر المؤكد كانه قيل قسمة مفروضة احتج بعض اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية على توريث ذوي الارحام كالعمات
والخالات والاخوال واولاد البنات لان كلا من الاقربين غاية ما في الباب انه مقدار انصبائهم غير مذكور ههنا الا ان ثبت
بالاية استحقاقهم لاصل النصيب ويستفيد المقادير من سائر الدلائل واجيب بانه تعالى قال نصيبا مفروضا وبالاجماع
ليس لذوي الارحام نصيب مقدر وايضا الواجب عندهم ما علم ثبوته بدليل مظنون والمفروض ما علم بدليل قاطع وتوريث
ذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا انه غير مراد من الاية وايضا ليس المراد من الاقربين من له قرابة
ما كانت بعيدة والا دخل جميع اولاد ادم فيه فالمراد اذن اقرب الناس الى الوارث وما ذاك الا الوالدان والاولاد وجعل
الوالدين في الاقربين يكون النوع في الجنس فلا يلزم تكرار والله تعالى اعلم قال المفسرون انه تعالى لما ذكر في الاية
للنساء اسوة بالرجال في ان لهن حظا من الميراث وعلم ان في الاقارب من يرث ومنهم من لا يرث وربما حضروا القسمة فلا
يحسن حرمانهم قال واذا حضر القسمة اولوا القربى الاية ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم من قال باستحبابه وعلى الاول
فعن سعيد بن المسيب والضحاك انها منسوخة باية المواريث وعن ابي موسى الاشعري وابراهيم والنخعي والشعبي
والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير انها محكمة ولكنها مما تهاون به الناس قال الحسن ادركنا الناس وهم
يقسمون على القرابات واليتامى والمساكين من الورق والذهب فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه
ذلك قالوا لهم قولا معروفا وكانوا يقولون لهم ارجعوا بورك فيكم وعلى الاستحباب وهو مذهب فقهاء الامصار اليوم قالوا
ان هذا الرضخ يستحب اذا كانت الورثة كبارا اما اذا كانوا صغارا فليس الا القول المعروف كان يقول الولي اني لا املك
هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق وان يكبروا فسيعرفون حقكم والضمير في منه اما ان
يعود الى ما ترك واما الى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل المراد قسمة الوصية اذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى
والمساكين امر الله تعالى الوصي ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقيل اولو القربى الوارثون
واليتامى والمساكين الذين لا يرثون وقوله ارزقوهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون ويحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش
الذين لو تركوا الجملة الشرطية وهي او مع ما في حيزه صلة الذين والمعنى وليخش الذين في صفتهم وحالهم انهم لو
تركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم واما المخشي فغير منصوص قال بعض المفسرين هم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا
على من في حجورهم من اليتامى خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا او امروا بان يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون
على اولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون القول السديد اي الصواب القصد هو ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون
اولادهم بالقول الجميل ويدعوهم يا بني ويا ولدي وهذا القول اليق بما تقدم وتاخر من الايات الواردة في باب الايتام فبعثهم
الله تعالى على حال انفسهم وذريتهم اذ تصوروها ليكون ذلك ادعى ما يدعوهم الى حفظ مال اليتيم كما قال القائل شعر
لقد زاد الحياة الي حبا * بناتي انهن من الضعاف * احاذر ان يرين البؤس بعدي * وان يشربن رنقا بعد صافي
وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك ولا يزالون يامرونه
بالوصية الى الاجانب الى ان يستغرق المال بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض خوفهم على اولاد
انفسهم ولو كانوا وعلى هذا يكون الاية نهيا للحاضرين عن الترغيب في الوصية والقول السديد ان يقولوا للمريض لا تسرف
في الوصية فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الثلث كثير وكان الصحابة يستحبون ان لا يبلغ
الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز ان يتصل الاية بما قبلها فيكون امرا للورثة بالشفقة
على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم خافوا عليهم الحرمان وعن حبيب بن ثابت
سالت مقسما من الاية فقال هو الرجل الذي يحضره الموت ويريد الوصية للاجانب فيقول له من كان عنده اتق الله

وامسك علي ولدك مالك مع ذلك الانسان يجب ان يوصي له وعلي هذا يكون نهيا عن النهي عن الوصية ولا ايا ما عله وليه
لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ثم اكد الوعيد في ايات اهمال مال اليتيم فقال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اي
ظالمين او علي وجه الظلم من ولاة السوء وقضاته لا بالمعروف انما ياكلون في بطونهم اي ملاء بطونهم نارا اي ما يجر الي
النار فكانه نار في الحقيقة وقال السدي يبعث اكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه
وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال رايت ليلة اسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من النار يخرج
من اسافلهم فقلت يا جبريل من هولاء قال الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما وسيصلون من قرا بفتح الياء فهو من صلى فلان النار
بالكسر يصلي صليا احترق ومن قرا بالضم فمعناه الالقاء في النار لاجل الاحراق من الاصلاء وقد يشدد من التثقيلة والمعنى واحد
والسعير النار وسعرت النار والحرب هيجتها والهبتها فهي سعير اي مسعورة والتنكير للتعظيم اي نارا مبهمة الوصف
لا يعلم شدتها الا الله قالت المعتزلة لا يجوز تحت هذا الوعيد اكل اليسير من ماله بل لا بد ان يكون مقدار خمسة دراهم لان القدر
الذي وقع عليه الوعيد في اية الكنز في منع الزكوة ولا بد مع ذلك من عدم التوبة فقيل لهم انكم خالفتم هذا العموم من وجهين
من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة عدم شرط كونه صغيرة فلم لا يجوز لنا ان نزيد فيه شرط عدم العفو وفيه ههنا
نكتة وهي انه اوعد مانع الزكوة بالكي واكل مال اليتيم بامتلاء البطن من النار ولا شك ان هذا الوعيد اشد والسبب ان الفقير غير
مالك لجزء من النصاب حتى يملكه المالك واليتيم مالك لماله فكان منع اليتيم اشنع وايضا الفقير يقدر على الاكتساب من وجه اخر
وعلى السوال واليتيم عاجز عنهما فكان ضعفه اظهر وهذا من كمال عنايته بالضعفاء فنرجوا ان يرحم ذلنا وضعفنا بعزته وقدرته

التأويل ذكر الناس بدو خلقهم بالاشباح والارواح فخلقنا بالاشباح من ادم وبالارواح من روح محمد صلعم قال اول ما
خلق الله روحي فهو ابو الارواح وخلق من الروح روحه وهو النفس خلقها من ادنى شعاع من اشعة ارواح محمد وبث منهما
رجالا كثيرا ارواح كاملين ونساء ارواحا ناقصات واتقوا الله الذي تساءلون به اي اتقوه ان تسالوا به غيره والارحام ولا تقطعوا
رحم روحي بصلة غيري واتوا اليتامى اموالهم تزكية عن افة الخيانة والخديعة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة
والمروة وعلو الهمة والعافية ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن افة الخيانة والخديعة وتحلية بالقناعة والمروة
وعلو الهمة والعافية ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن افة الخيانة والخديعة وتحلية بالامانة وسلامة الصدر
ولا تاكلوا اموالهم الي اموالكم تزكية عن الجور وتحلية بالعدل فان اجتماع هذه الرذايل كان حوبا كبيرا اي حجابا عظيما فانكحوا
ما طاب لكم تزكية عن الفاحشة وتحلية بالعفو ذلك ادنى الا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب وتحلية بالسكون
والحلم واتوا النساء صدقاتهن تزكية عن البخل والغدر وتحلية بالوفا والكرم فكلوه هنيا تزكية عن الكبر والانفة
وتحلية بالتواضع والشفقة فهذه كلها اشارات الي تربية يتامى القلوب والنفوس باتيان حقوق تزكيتهم عن هذه
الاوصاف وتحليتهم بهذه الاخلاق ثم نهى عن ايتاء النفوس الامارة حظوظها فقال ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
اموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنيا لاجلهم ان الارض يرثها عبادي الصالحون وارزقوهم
فيها قدر ما يسد الجوعة واكسوهم ما يستر العورة وما زاد فاسراف في حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا كلي كلما
يرزق الله وادي شكر نعمته بامتثال اوامره ونواهيه واذيبي طعامك بذكر الله كما قال صلى الله عليه وسلم اذيبوا
طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى اي قلوب السايرين باذن توسع في المعيشة بعد ان كان محجورين عن التصرف حتى اذا
بلغوا مبلغ الرجال البالغين فان انستم منهم رشدا بان يستمدوا بذلك التوسع على السير ويزدادوا في اجتهادهم بعدهم
كما قال الجنيد اشبع الزنجي وكده فادفعوا اليهم اموالهم فالعبد في هذا المقام جايز التصرف في ممالك سيره كالعبد الماذون
ولهذا قال ههنا اموالهم ولا تاكلوها اسرافا اي فان انستم باولياء الطريقة من المريدين البالغين رشد التصرف
في اصحاب الولادة ولهذا قال اموالهم ههنا ولا تدفعوا اليهم عيان التصرف باجازة الشيخوخية ولا تجعلوا الشيخ
ياكله لحكم مبرة وغبطة عليهم ان يكبروا بالشيخوخية ومن كان غنيا بالله من قوة الولاية مستظهرا بالعناية
فليستعفف عن الانتفاع بصحبتهم ومن كان فقيرا مفتقرا الي ولاية المريد فلياكل بالمعروف فلينتفع باعانته لتحريه
بالشيخوخية مع الامداد في الظاهر والباطن فاذا دفعتم اليهم اموالهم سلمتم اليهم مقام الشيخوخة فاشهدوا عليهم

الله ورسوله وارواح المشايخ او صوهم برعاية حقوقها مع الله والخلق ثم احترز عن نصيب كل نسب فقال للرجال وهم الاقويا
من الطلبة وللنساء وهم الضعفاء نصيبا مما ترك الوالدان والاقربون وهم المشايخ والاخوان في الله وتركتهم بركتهم وانوارهم
نصيبا مفروضا علي قدر استعدادهم واذا حضر القسمة اي محافل صحبتهم ومجالس ذكرهم اولوا القربى المنتمون اليهم والمشتاقون
من ابناء الطريق والمتعلقون لاثارهم فارزقوهم من بركاتكم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق وارشاد الطريق وتنفيرهم عن
الدنيا عند الله وعزة اهل الله في الدارين وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسطي المريدين او المبتدئين خافوا
عليهم افات المفارقة بسفر او موت فليتقوا الله اي يوصوهم بالتقوى وان تقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى
ومداومة الذكر حظوتان يوصلان العبد الي الله ان الذين ياكلون بتضييع اطفال الطريقة بعدم التربية ووظايف
النصيحة انما ياكلون في بطونهم نار الحسرة والغرامة يوم لا ينفع الندامة اعاذنا الله تعالى منها

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا

فامسكوهن في البيوت حتى يتوفيهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا ○ واللذان
يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما ○
انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب
الله عليهم وكان الله عليما حكيما ○ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى
اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك
اعتدنا لهم عذابا اليما ○ يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن
بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ○
وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه
شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا ○ وكيف تأخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ○ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ○

القراءة واحدة بالرفع ابو جعفر ونافع الباقون بالنصب فلامه وما بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ما قبلها حمزة وعلي الباقون بالضم يوصي وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد والمفضل وافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية الباقون مبنيا للفاعل يدخله بالنون في الحرفين نافع وابن عامر وابو جعفر الباقون بالياء وكذلك في سورة الفتح والتغابن والطلاق واللذان بتشديد النون ابن كثير وكذلك في هذان وهاتين وارنا الذين واشباه واما قوله فذانك فابن كثير وابو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون بالتخفيف كرها بالضم وكذلك في التوبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح مبينة مبينات بفتح الياء ابن كثير وابو بكر وحماد وقرا ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل ويعقوب مبينة بالكسر

الوقوف الانثيين ما ترك فلها النصف لانتهاء حكم الاولاد ان كان له ولد فلامه الثلث او دين وابناؤكم لتقدير ام اباؤكم للاحتمال لكون اباؤكم مبتدا وخبره لا تدرون نفعا من الله حكيما لم يكن لهن ولد دين لم يكن لكم ولد دين منها السدس دين لان غير حال عامله يوصي مضار لاحتمال نصب وصية به كما يجيء من الله حليم لان تلك مبتدا حدود الله خالدين فيها لان ما بعده اعتراض مقرر للجزاء العظيم خالدا فيها لان ما بعده من تتمة الجزاء مهين اربعة منكم لابتداء الشرط مع الفاء سبيلا فآذوهما عنهما رحيما عليهم حكيما السيئات لان حتى اذ ايصلح للابتداء وجوابه قال اني تبت ويصلح انتهاء لعمل السيئات وهو كفار اليما كرها للعدول عن الاخبار الى النهي مبينة للعارض بين المتفقتين بالمعروف كثيرا شيئا مبينا غليظا سلف ومقتا سبيلا

التفسير انه تعالى لما بين حكم مال الايتام وما على الاولياء فيه بين

ان اليتيم

ان اليتيم كيف يملك المال ارثا ولم يكن ذلك الا شأنا جملة احكام المواريث اذ نقول اجمل حكم المواريث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم الله اي يعهد اليكم ويأمركم في اولادكم في شأن ميراثهم واعلم ان اهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين النسب والعهد اما النسب فكانوا يورثون الكبار ولا يورثون الصغار ولا الاناث كما مر واما العهد فهو الحلف والتبني كما سيجيء في تفسير قوله والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم وكان التوارث بالعهد مقررا في اول الاسلام مع زيادة سببين آخرهما الهجرة فكان المهاجر يرث من المهاجر وان كان اجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة ومخالصة ولا يرثه غيره وان كان من اقاربه والثاني في المواخاة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواخي بين اثنين منهما فيكون سببا للتوارث والذي تقرر عليه الامر في الاسلام ان اسباب التوارث ثلاثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء ان المعتق يرث بالعصوبة من المعتق يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورث بنت حمزة من مولى لها ويدخل في هذه الاسباب الثلاثة سبب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلاثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة كما يحملون عنه الدية قال صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له اعقل عنه وارثه وعن ابي حنيفة واحمد يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة لا ارثا لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فالحق بالمال الضايع الذي لا يرجى زوال مالكه وانما بدأ سبحانه بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بولده اشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد وحال اجتماع مع ابوي الميت اما حال الانفراد فثلث ذكور واناث معا او اناث فقط اما الحالة الاولى فبيانها قوله للذكر مثل حظ الانثيين اي للذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه احكام ثلاثة احدها خلف ذكرا واحدا وانثى واحدة فله سهمان ولها واحد والثاني خلف ذكورا واناثا لكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم والثالثها خلف مع الاولاد جمعا آخرين كالزوجين فهم يأخذون سهامهم والباقي بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب انثيين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضيلته كما ضوعف حظه لذلك ولان الابتداء بما يبني عن فضل احد ادخل في الادب من الابتداء بما يبني النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكانه قيل لهم كفى الذكور ان ضوعف من النصيب فليقطعوا الطمع عن الزيادة واما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب النساء من المال اقل من نصيب الرجال فلنقصان عقلهن ودينهن كما جاء في الحديث ولان احتياجهن الى المال اقل لان ازواجهن ينفقون عليهن او لكثرة الشهوة فيهن فقد يصير المال سببا لزيادة فجورهن كما قيل ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة فكيف حال المرأة وعن جعفر الصادق ان حواء اخذت حفنة من الحنطة واكلت واخذت حفنة اخرى وخبأتها ثم اخذت حفنة اخرى ودفعتها الى آدم عليه السلام فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل واما الحالة الثانية فهي اكثر من اثنين او اثنتان او واحدة وحكم القسم الاول مبين في قوله وان كانت واحدة فلها النصف فمن قرأ بالرفع على كان التامة فظاهر ومن قرأ بالنصب فالضمير في كانت اما ان يعود الى النساء وجاز عدم الالتباس واما ان يعود الى غايب حكمي اي فان كانت البنت او المولودة وقراءة النصب اوفق لقوله فان كن نساء وقراءة الرفع ايضا حسنة لئلا يحتاج الى التكلف في عود الضمير وجوز صاحب الكشاف ان يكون الضمير في كن وكانت مبهمة ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة واما القسم الثاني وهو حكم البنتين فغير مذكور في الآية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس ان فرضهما النصف كما في الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وعورض بان النصف ايضا مشروط بالوحدة واول العلماء نظر الى ان الاثنين اقرب الى الواحد من الاعداد غير المحصورة التي فوق الاثنين سوى الثلاثة والحمل على الاقرب اولى وقال الاكثرون من الصحابة وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالآية فيلزم ان يكون للبنتين الثلثان وايضا نصيب البنت مع الولد الذكر ثلث فلان يكون نصيبها مع ولد آخر انثى هو الثلث اولى لان الذكر اقوى من الانثى وعلى هذا فكانه قوله للذكر مثل حظ الانثيين دل على حكم الانثيين ثم ذكر بعد ذلك انهن وان بلغن ما بلغ من العدد لم يتجاوزن الثلثين وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين لكنه تعالى قال في آخر السورة فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالبنات اولى وهذا قياس جلي ومما يؤيده انه تعالى لم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة ليقاس ميراثهن على ميراث البنات الكثيرة كما قاس ميراث البنتين على الاختين وقيل لفظ فوق وهو صفة نساء او خبر بعد خبر للتاكيد اي ليخرج اقل الجمع وهو اثنان زايد كقوله فاضربوا فوق الاعناق وقيل فيه تقديم وتأخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما

وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امراة بابنتين لها فقالت يا رسول الله هاتان بنتا ثابت ابن قيس اوقال سعد بن الربيع قتل معك يوم احد وقد استفا عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي الله في ذلك فنزلت هذه الاية فقال رسول الله صلعم ادع المراة وصاحبها فقال لعمها اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فلك واما الحالة الثالثة وهي ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكر في الاية لانه لما علم ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين ان للبنت الواحدة النصف علم منه ان للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا اكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم ولا ترجيح بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وايضا قال صلى الله عليه وسلم وما ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يوجد معه صاحب فرض فله كل المال لا محالة والنص ساكت عن ولد الولد فقيل اسم الولد يقع على ولد الابن ايضا لقوله تعالى يا بني ادم يا بني اسرائيل وقيل ولد الولد يقيس على الولد لما انه كولد الصلب في الارث والتعصيب ولكنه لا يسهم شيا مع اولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب راسا او لا ياخذ ولد الصلب كل الميراث فيتحقق الباقي واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان ومنها ان القاتل لا يرث ومنها انه لا يتوارث اهل ملتين والمرتد ماله في بيت المال سوا اكتسب في الاسلام او في الردة وعند ابي حنيفة ما اكتسب في الاسلام يرثه اقاربه المسلمون ومنها ان الانبيا عليهم السلام لا يورثون خلافا للشيعة يروى ان فاطمة عليها السلام لما طلبت الميراث احتج ابو بكر بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من ال يعقوب وبقوله وورث سليمن داود والاصل في التوريث للمال دون وراثة العلم او الدين فعارضه وبعموم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم لان المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الا علي وفاطمة والعباس وهولاء كانوا من اكابر الزهاد والاكابر في الدين واما ابو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله انه يرث الرسول صلعم فكيف يليق بالرسول صلعم ان يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها اشد الحاجة وايضا يحتمل ان يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشي الذي تركته صدقة فذلك الشي لا يورث ولعل فايدة تخصيص الانبيا انهم اذا عزموا على التصدق بشي بمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه ورثتهم منهم واجيب بان فاطمة رضيت بقول ابي بكر بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ما ذهب اليه ابو بكر والله اعلم جميع ما ذكرنا انما هو في حالة انفراد الاولاد واما حالة اجتماعهم بالابوين فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب الاب لشرفه ومثله من التغليب القمران والعمران والخافقان والصبحان وضمير ابويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفايدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لاوهم اشتراكهما فيه ولو قيل لابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما بالتساوي او بالتفاوت ولو قيل لكل واحد من ابويه السدس فاتت فايدة الاجمال والتفصيل والابهام والتفسير فقوله السدس مبتدا وخبره لابويه وقد توسط البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلث احوال الاول ان يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فيها ثلثة اوجه احدها ان يحصل معهما ولد ذكر واحد او اكثر فللابوين فلكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية وثانيها ان يحصل معهما بنتان او اكثر فالحكم كما ذكر وثالثها ان يكون معهما بنت واحدة فهيهنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الاية والباقي للاب بحكم التعصيب فان قيل حق الوالدين على الولد مما لا يخفى فما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب الاولاد اكثر ونصيب الوالدين اقل فالجواب والله اعلم ان الوالدين ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا اما الاولاد فهم في زمان الصبى فاحتياجهم الى المال اكثر وايضا كانهما قالا بلسان الاطفال انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وايضا ولد الولد ولد وتربيته حال الولد لازم عند الوالدين من تربية حالهما الحالة الثانية ان لا يكون معهما شي من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله فان لم يكن له ولد وورثه ابواه اي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون للاب فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ويحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولانه تعالى قد فرض الثلث للاب بان يكون الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في ان من ورثه ابواه مع احد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه او الى الزوجة نصيبها وللام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب الاكثرون على ان الزوج

والزوجة نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقي الى الام والباقي للاب يكون للذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكر والانثى فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا صار منه شي مستحقا بقي الباقي بينهما على قدر استحقاق الاول وايضا الزوج انما ياخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فاشبه الوصية في قسمة الباقي وعن ابن سيرين انه وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقي للاب الثلث ونصف السدس اكثر من الام وخالفه في الزوج والابوين لانه اذا دفع الى الزوج النصف والى الام الثلث بقي للاب السدس فيكون للانثى مثل حظ الذكرين هذا عكس قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين الحالة الثالثة ان توجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على ان الواحد من الاخوة والاخوات لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على ان الثلثة منهم يحجبونها لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى اثبات الحجب بهما كما في الثلثة بناء على ان الاثنين جمع لوجود التعدد في التثنية فاقوى فيها فصح ان يتناول الاخوة والاخوين واستقرا باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكذلك للاختين والاخوات ويذكر الشيخ الكامل محي الدين الاعرابي في الفتوحات انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فساله عن خلاف الايمة في ان اقل الجمع اثنان او ثلثة فعلمه ان اقل الجمع في الشفع اثنان وفي الوتر ثلثة وقال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمان فقال كيف تردها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمان لا استطيع رد شي كان قبلي ومضى في البلدان فانتالى اجماعهم قبل ان اظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين او الثلثة اذا حجبوا الام عن السدس فذلك السدس يكون لهم حتى يبقى للاب الثلثان او لا يكون لهم شي من الميراث ويكون خمسة الاسداس للاب ذهب ابن عباس الى الاول وذهب الجمهور الى الثاني اذ لا يلزم من كون الشخص حاجبا كونه وارثا ولم يورثهم ذكر الاب يحجب فوجب ان يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الابوين ثم ذكر ان هذه الانصبا انما تدفع الى هولاء من بعد وصية يوصي بها او دين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق واذا لم يكن دين او كان لكنه قضي وفضل بعده شي فان اوصى الميت وصية اخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثا على فرايض الله تعالى عن علي ابن ابي طالب عليه السلام انكم لتقرون الوصية قبل الدين وان الرسول صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية والمراد انه لا عبرة بالتقدم في الذكر لان كلمة او لا يفيد الترتيب البتة وانما الترتيب من السنة عكس الترتيب في اللفظ وفايدة هذا العكس ان الوصية تشبه الميراث في كونها ماخوذة من غير عوض فكان اداوها مظنة التفريط بخلاف الدين فان نفوس الورثة مطمينة الى ادايه فكان في تقديمها ترغيب لهم في ادايها ولهذا جي بكلمة او للدلالة التسوية بينهما في الوجوب ولا تكلف مالا يستحصل فيه الامران تجي بالواو والفاضلة ليدل على انه ان كان احدهما فالميراث بعده وكذلك ان كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة ان سهام اصل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنه يفارق الدين من جهة انه متى هلك من المال شيا دخل النقصان في انصباء اصحاب الوصية كما في الارث بخلاف الدين فانه يبقى بحاله ثم قال اباوكم وابناوكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال ابو البقا ايهم مبتدا واقرب خبره والجملة في موضع نصب بتدرون وهي معلقة عن العمل لفظا لانها من افعال القلوب بل يكون بمعنى المعرفة فكان ايهم مفعوله مبنيا لحذف صدر الصلة نحو لننزعن من كل شيعة ايهم اشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبايهم وبين قوله فريضة من الله ومن حق الاعتراض ان يناسب ما اعترض بينه ويوكده فقيل هذا من تمام الوصية اي لا تدرون من انفع لكم من اباكم وابنايكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوصي يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضا وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرى وان كان اجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى او قيل عن ابن عباس ان الابن ان كان ارفع درجة في الجنة من ابيه سال ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب اذا كان ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف ان انتفاعه في الجنة بهذا اكثر بماكد وقيل قد فرض الله

الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لاتهتدي الى كنه تلك التقديرات فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم اقرب لكم
النفع فوضعتم انتم الاموال في غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة الانفاق والذب عنه
فلا يدري ان الابن سيحتاج الى ان ينفق الاب عليه والاب سيفتقر الى الابن وقيل المقصود جواز ان يموت هذا قبل ذلك
فيرثه وبالضد والقول هو الاول فريضة من الله على انها صفة تقوم مقام المصدر المؤكد اي فرض الله ذلك فرضا ان الله
كان عليما بكل المعلومات فيكون عالما بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد حكيما لا يامر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل
كان هيهنا منخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لانه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان ولكنه من الازل الى الابد عليم حكيم
وقال سيبويه ان القوم لما شاهدوا حكمة وعلما فقيل لهم ان الله كان كذلك اي لم يزل موصوفا بهذه الصفات هذا
واعلم ان الوارث اما ان يكون متصلا بالميت بغير واسطة او بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما ان يكون هو
النسب او الزوجية فهذه ثلثة اقسام الاول قرابة الولاد الفروع والاصول وهو اشرف الاتصالات لعدم الواسطة و
لكثرة المخالطة ولغاية الالفة والشفقة ولهذا قدم في الذكر وتبلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ماقلنا ولهذا الحقه
بالقسم الاول وذلك قوله ولكم نصف ماترك ازواجكم الى قوله توصون بها او دين ثم اتبعه احوال القسم الثالث وهو
الكلالة في قوله وان كان رجل يورث كلالة فما احسن هذا النسق ولما جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ
الانثيين وكذلك جعل في الموجب السببي وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وقد نبه في الاية على فضل
الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثماني مرات وذكرهن على الغيبة اقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سوا
في الربع والثمن ولافرق في الولدين الذكر والانثى ولابين الابن وبين ابن الابن ولابين البنت وبنت الابن ثم خرج
منه ولد البنت لانه لايرث وههنا مسئلة قال الشافعي يجوز للزوج غسل زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل
قوله تعالى ولكم نصف ماترك ازواجكم وقال ابو حنيفة لايجوز لانها ليست بزوجته ولو كانت زوجته يحل له وطيها المتولد
الاعلى انتامهم والجواب بانه لولم تكن زوجة له لكان قوله ماترك ازواجكم مجازا ولو كانت زوجة مع انه لايحل له وطيها
لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص اولى كما بين في اصول الفقه فكيف لا وقد علم خصوص كثير في
حصول الزوجية مع حرمة الوطي كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان وعند اشتغالها بالصلوة المفروضة وبالحج المفروض
وعند كونها في العدة عن الوطي بالشبهة وانفصال الوطي ثابت على خلاف الاصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شي
من تلك المصالح فعاد الى اصل الحرمة اما حل الغسل ففيه مصالح فوجب القول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة
نقل عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطا فمني ومن
الشيطان والله بري منه الكلالة ماخلا الوالد والولد وعن ابن عمر رضي الله عنه الكلالة من لاولد له فقط وعنه في
رواية اخرى التوقف وكان يقول ثلثة لان يكون بينهن الرسول صلعم لنا احب الي من الدنيا ومافيها الكلالة والخلافة والربا
وقيل الكلالة القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ماورث المجد عن كلالة كما تقول ماصمت عن عي قال
الفرزدق ورثتم قناة الملك لاعن كلالة عن ابني مناف عبد شمس وهاشم والمختار الصحيح من الاقوال قول ابي بكر
لان الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعيا قال الاعشى فاليت لاارثي لها من كلالة
ولامن وجي حتى تلاقي محمدا فاستعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها بالاضافة الى قرابة الاصول والفروع
رواية كالة ضعيفة ويحتمل ان يقال هي من الاكليل لانهم يحيطون بالاحسان احاطة الاكليل بالراس بخلاف الولادة
فانها تذهب على الاستقامة كما يقال نسب تتابع كابرا عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب والجواب انه تعالى حكم
في تلك الاية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولاشك ان الاخوة والاخوات لايرثون حال وجود
الابوين وايضا انه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الايات المتقدمة ثم اتبعها ذكر الكلالة وهذا الترتيب يقتضي
ان تكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل وصفا للمورث والمراد الذي يرثه سوى الوالدين
والاولاد ويمكن ان يحمل عليه بيت الفرزدق اي ورثتم الملك عن الاعمام بل عن الاباء فسمي العم كلالة وهو هيهنا
مورث لاوارث وقد يجعل وصفا للوارث ومنه قول جابر مرضت مرضا اشرفت منه على الموت فاتيت النبي صلى
الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اني رجل لايرثني الاكلالة واراد به انه ليس له والد ولاولد ويقال رجل كلالة

او

او امراة كلالة وقوم كلالة ولايثنى ولايجمع لانه مصدر كالدلالة والجلالة واذا جعلت صفة للوارث او المورث
كانت بمعنى ذي كلالة كما يقال فلان من قرابتي ومن ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال رجل هجاجة
وفقاقة كلاهما بالتخفيف اي احمق وقوله تعالى وان كان رجل يورث فيه احتمالات الاول وهو قول عطا والضحاك وهو ان يكون
ماخوذا من ورث الرجل يرث فيكون الرجل هو الموروث منه وينتصب كلالة على الحال او على انه خبر كان ويورث صفة
رجل ويجوز ان يكون مفعولا له اي يورث لاجل كونه كلالة والثاني وهو قول سعيد بن جبير ان يكون مبنيا للمفعول
من اورث ثم قال وله اخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المراة والجواب انه اذا جاء حرفان في معنى واحد جاز اسناد
التفسير الى ايهما اريد وجاز اسناده اليهما ايضا يقال من كان له اخ او اخت فليصله او فليصلها والترجيح بالتذكير
للشرف معارض بالتانيث للقرب وان قلت فليصلهما جاز ايضا ولعل التذكير والتوحيد في الاية اغلب اما لان الرجال
في الاحكام اصل والنساء تبع لهم واما لتابى احد المذكورين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد من الاخ والاخت
ههنا الاخ والاخت ويدل عليه ماينسب الى ابي وسعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من الام او من ام فلكل واحد منهما
اي من الاخ والاخت السدس من غير مفاضلة الذكر على الانثى هذا على الاحتمال الاول وهو ان الرجل موروث منه واما
على الاحتمال الثاني وهو ان الرجل وارث فالضمير عايد الى الرجل والى واحد من اخيه او اخته مثل الاول لانكاد اولت
السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سوت بين الذكر والانثى ثم قال وان كانوا اكثر من ذلك فهم
شركاء في الثلث وبنى ان يحجبهم فكيف ماكانوا لايزاد على الثلث وقد يستند الاجماع الى هذه الاية انه تعالى في اخر السورة
قل الله يفتيكم في الكلالة واثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال وههنا اثبت للاخوة والاخوات السدس عند
الانفراد والثلث عند الاجتماع فعلم ان المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الاية فالمراد
ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم الاخياف وهناك الاخوة والاخوات من الام والاب وهم الاعيان او من الاب وهم اولاد
العلات فالكلالة فان كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا انها في الاية خاصة كما بينا غير مضار وصية نصب على
حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته ومن قرا يوصي مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور اي يوصي
اذ علم انه موصيا والضمير فيه وهو ذي الحال يعود على رجل على تقدير انه الموروث او الى الميت الدال عليه سياق الكلام
اي ان كان الرجل وارثا وضرار الورثة بان يوصي بازيد من الثلث او بالثلث فما دونه ونيته مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع
الميراث عنهم لالوجه الله وقد يقر بان الدين الذي كان له على غيره قد استوفاه او يبيع شيئا بثمن بخس او يشتري
شيئا بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء والاولى بالانسان ان ينظر في قدر مايخلف ومن يخلف ثم
يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان في المال قلة وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس اوصى على قانون العدالة
وقد روي عن عكرمة عن ابن عباس ان الاضرار في الوصية من الكبائر وروي مرفوعا وعن شهر بن حوشب وعن
ابي هريرة عن النبي صلعم ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة سبعين سنة فاذا اوصى وحاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل
النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه صلى الله
عليه وسلم من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله نصب على المصدر المؤكد او على انه مفعول
مضار اي لايضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادة على الثلث او وصية من الله بالاولاد لايدعهم عالة باسرافه
في الوصية والله عليم بمن جار في وصيته او عدل حليم عن الجائر لايعاجله بالعقوبة وفيه من الوعيد ما لايخفى ثم اكد
الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود الله وهو اشارة الى جميع ماذكر في السورة من احكام اليتامى والوصايا
والمواريث وجعلها كما ان الوالد يقبل على ولده وينوه به في امر مخصوص ثم يقول احذر مخالفتي ويكون مقصوده منعه من
معصيته في جميع الامور وانما قال يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال ولايجوز
ان يكونا صفتين لجنات ونارا لانهما جريا على غير من هما له فكان يلزم حينئذ ان يكون خالدين هم فيها وخالدا هو فيها قالت المعتزلة
الاية تدل على القطع بوعيد الفساق وتخليدهم وذلك ان التعدي في جميع حدود الله محال لان من حدوده ترك اليهودية
والنصرانية والمجوسية والتعدي فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فاذن المراد تعدي اي حد كان ولان الاية مذكورة عقيب
قسمة المواريث فيكون المراد التعدي في هذه الحدود والجواب بانه لما ان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فاي مانع

لنا ان اتى بذنبه مشرطًا اخر وهو عدم العفو وبان الاية لعلها مخصوصة بالكافر لان جميع المعاصي يصح استثناؤها من هذا
اللفظ اي ومن يعص الله في كذا او كذا وذلك لا يتحقق الا في حق الكافر ثم يخرج منه ما يخصصه دليل عقلي كما ذكر ثم استحالة
الجمع بين اليهودية والنصرانية ومما يؤكد ذلك كون الاية مخصوصة بالكافر ان قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه
فاعلا للمعاصي ولو كان المراد من قوله ويتعد حدوده ايضا ذلك لزم التكرار فيجب حمله على الكفر وان سلم ان المراد
هو التعدي في حدود المواريث فلعل المراد من التعدي هو اعتقاد كونها لا على وجه الحكمة والصواب ويلزم منه الكفر
والله اعلم بمراده قوله عز من قائل واللاتي يأتين الفاحشة الاية وجه النظم فيهن ان التغليظ عليهن في باب الفاحشة
من جملة الاحسان اليهن المامور به في الايات المتقدمة وفيه ان مدار الشرع على العدل والانصاف والاحتراز في كل
باب من طرفي التفريط والافراط فلا ينبغي ان يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحد عليهن واللاتي جمع التي
وفيه لغات اللاتي بالياء واللات واللوائي فكانها جمع الجمع وقد يحذف الياء من اللائي وقد يسهل همزة اللائي الهمزة
والياء لكونها مكسورة لقراءة ورش واللائي يئسن من المحيض وقد يقال اللائي بياء ساكنة بعد الالف من غير
همز وقد يقال اللواء بحذف التاء والياء معًا وقد يقال اللات كاللاتي قال ابن الانباري يقول في الجمع من غير الحيوان
التي ومن الحيوان اللائي كقوله اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال في هذه الاية واللاتي لان الجمع من غير الحيوان
سبيله سبيل الشيء الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من يلغي
هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتزايدة في القبح مصدر كالعاقبة واجمعوا على انها الزنى هيهنا قال المحققون خص
هذا الفعل بالفاحشة لان قوى النفس الناطقة والغضبية والشهوية وفساد الاولى الكفر والبدعة وامثالها وفساد الثانية القتل
بغير حق ونحوه وفساد الثالثة الزنا واللواط والسحق وما اشبهها وهذه اخس الوجوه الجميع ويعني من نسائكم من [illegible]
او من الحرائر ومن نسائكم المؤمنات او الثيبات اقوال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم احتياطا لامر الزنى والمراد بقوله
منكم اي من رجالكم قال الزهري مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده ان لا تقبل شهادة النساء
في الحدود فان شهدوا مفصلا مفسرا كيفية رأيناه ادخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة او كالرشا في البئر ولا بد
مع ذلك من الوصف بالتحريم لا بمعنى عرضي كالحيض وللتحليل عام كالمتعة ولا بشبهة فامسكوهن في البيوت خلدوهن
محبوسات في بيوتكم حتى يتوفاهن الموت اي ملائكة الموت او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن او يجعل الله لهن
سبيلا بالنكاح او بالحد واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية او اللائط والملوط فآذوهما بنحو هما وقولا لهما ما
استحييتما او ما خفتما الله اما المكافي النكاح مسدوحة عن هذه فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ
والذم او خوطب الشهود الذين عثروا على سرهما ان يهددوهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا
عن العرض على الامام واعلم ان للعلماء خلافا في الايتين فعن الحسن ان الثانية مقدمة في النزول امروا ابتداء بايذاء الزانيين
اولا ثم امروا بامساك النساء في البيوت الى ان يتبين امرهن وقال السدي المراد بهذه الاية البكر من الرجال ومن النساء وبا
لاية الاولى الثيب وعن ابي مسلم الاية الاولى في السحاقات وحدها الحبس الى الموت الا ان يخلصهن الله والثانية في
اللائطين وحدها الاذى بالقول والفعل والدليل على ذلك تذكير اللسان ولفظ منكم اي من رجالكم كما في قوله اربعة منكم
واما الزنى من الرجل والمراة في ذلك في سورة النور وحده في البكر الجلد وفي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شيء
من الايات ولا تكرار الشيء الواحد في الموضع الواحد مرتين ومما يقوي قول ابي مسلم بانه لم ينقل به احد من الصحابة
اختلفوا في احكام اللواطة ولم يتمسك احد منهم بهذه الاية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على
هذا الحكم دليل على ان الاية ليست في اللواطة اجاب ابو مسلم بانه قول مجاهد وهو من اكابر المفسرين على انه ثبت في
الاصول ان استنباط تاويل جديد جائز وايضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطي وكميته وذلك ليس في الاية دلالة عليه
بالنفي والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح للحد وجمهور المفسرين على ان الايتين في الزنا وانهما منسوختان لما روى مسلم
في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلعم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد لذلك وجهه فانزل الله ذات
يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة
ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر اخرا على ان البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط

وقيل

وقيل ان هذه الاية منسوخة باية الجلد وعن اصحاب ابي حنيفة ان اية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ
باية الجلد واية الجلد نسخت بدلائل الرجم وقال في الكشاف من الجائز ان لا تكون الاية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما
بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت
والتعرض للرجال وقال الشيخ ابو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الاية ولا في الحديث وذلك ان الاية
تدل على امساكهن في البيوت ممدودا الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه
وسلم خذوا عني الثيب يرجم والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الاية لا ناسخا له وصار ايضا مخصصا
لعموم اية الجلد والله تعالى اعلم ثم اخبر عن المستحقين لقبول التوبة وعن المستحقين لعدم القبول فقال انما التوبة على الله
واجبة بحسب الوعد والكرم لا وجوبا يستحق بتركه الذم للذين يعملون السوء بجهالة قال اكثر المفسرين كل من عصى الله فهو جاهل
وفعله جهالة ولهذا قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لانه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب
فكانه لا علم له وبهذا التفسير تكون المعصية مع العلم بانها معصية جهالة وقيل المراد انه جاهل بعقاب المعصية وقيل المراد
ان يكون جاهلا بكونها معصية لكنه متمكنا من تحصيل العلم بكونها معصية ولهذا اجمعنا على ان اليهودي يستحق
على يهوديته العقاب وان كان لا يعلم كون اليهودية معصية ولهذا اجمعنا على ان اليهودي يستحق على يهوديته العقاب
لانه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية دينا ومعصية وان النائم او الساهي لا يستحق العقاب لانه اتى بالقبيح غير متمكن
من العلم بكونه قبيحا اما المتعمد فانه لا يكون داخلا تحت الاية وانما يعرف حاله بطريق القياس وانه لما كانت التوبة على
هذا الجاهل واجبة فلان تكون واجبة على العامد اولى لانه عالم بقبح تلك المعصية اما قوله ثم يتوبون من قريب فقد
اجمعوا على ان المراد من هذا القرب قبل حضور زمان الموت ونزول سلطانه ومعاينة اهواله وانما كان ذلك الزمان قريبا
لان الاجل ات وكل ما هو ات قريب ولان مدة عمر الانسان وان طالت اذا نسبت الى طرف الازل والابد كانت كالعدم ولان
الانسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله يوصف بالقرب ومن في من قريب اما لابتداء الغاية اي يجعل
مبدا توبته من زمان قريب من المعصية او للتبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين
حضرة الموت زمانا قريبا فما قلنا ففي اي جزء من اجزاء هذا الزمان تاب فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد
الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة
فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والفائدة في قوله
فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله ان الاول اعلام بانه يجب على الله قبولها لزوم الفضل والكرم
والاحسان والثاني اخبار بانه سيفعل ذلك والمراد بالاول التوفيق للتوبة والاعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليما
بانه انما اتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيما يجب في كرمه قبول توبة العبد اذا تاب
من قريب قال المحققون قرب الموت هو وقوعه في الشدائد بحيث يغلب على ظنه نزول الموت كما في الغريق في حالة
الطلق وعند تلاطم الامواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة بل التوبة حينئذ اولى بالقبول بقوله امن يجيب
المضطر اذا دعاه وانما المانع من قبول معاينة سلطان الموت ومشاهدة احواله واهواله بحيث معرفته بالله ضرورية كما لاهل
الاخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه اذ لم يبق في يده زمام الاختيار وافضى الامر الى حد الالجاء والاضطرار وههنا
بحث للاشاعرة وهو ان اهل الاخرة لا يشاهدون الا انهم صاروا احياء بعد ان كانوا امواتا ويشاهدون ايضا احوال القيامة
فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف يكون ذلك العلم ضروريا فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك ان العبد مع علمه الضروري
بوجود الاله المثيب المعاقب قد تقدم على المعصية لعلمه بانه كريم وانه لا ينفعه طاعة العبد ولا يضره ذنبه وايضا العلم النظري
هو الذي لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق بينه وبين الضروري البتة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجبا
للتكليف والضروري مانعا من التكليف فثبت ضعف هذا الوقف وانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد قبول
التوبة في بعض الاوقات وبعدله اخبر عن عدم قبول التوبة في وقت اخر وله ان يقلب الامر فيجعل المقبول مردودا والمردود
مقبولا لا يسئل عما يفعل قال المحققون منه انه تعالى مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله صدق وامره حق وقد عين
لعبيده حالتين دنيا وعقبى وقد اخبر انه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لاحد عليه اعتراض انه لم يعكس الامر

ثم ان اليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وليس ببعيد ان لا يكون علم اليقين منافيا للتكليف ويكون
عين اليقين منافيا له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تشنيعا بين الذين سوفوا توبتهم وبين
الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الاخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على
اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة او المعنى انه كما ان التوبة عن المعاصي لا تقبل
عند القرب من الموت كذلك الايمان لا يقبل عند القرب من الموت او المراد ان الكفار اذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الاخرة
لا يقبل توبتهم اولئك اعتدنا لهم اي اعددنا في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين لهم ان الامرين
كائنان لا محالة قالت الوعيدية المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار فالاولون فساق لكنهما
مشتركان في العذاب الاليم فثبت ان حكمهما واحد واجيب بان اولئك اشارة الى اقرب المذكورين وبعضهم ان
الكفار اشنع فعلا من الفساق او الطائفة الاولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت كفرعون والثانية
هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه كنمرود مثلا قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها
منهجها شروع في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من ايذاء النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء وذلك
انواع الاول قوله لا يحل لكم وفيه قولان احدهما ان الوراثة يعود الى المال اي لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوهن
اموالهن وهن كارهات لامساككم الثاني انها ترجع الى اعيانهن وكانوا اذا مات الرجل وله امراة جاء ابنه من غيرها
او بعض اقاربه فالقى ثوبه عليها وقال ورثت امراته كما ورثت ماله فصار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها
بغير صداق الا الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها من انسان اخر واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا فنزلت
النوع الثاني ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن قال اكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد
مفارقتها فيسيء العشرة معها ويضيق الامر عليها حتى تفتدي منه بمالها وتختلع فنهوا عن ذلك وقيل انه خطاب للوارث
بان يترك منعها من التزوج لمن شاءت وارادت لتبذل امراة الميت ما اخذت من الميراث كما كان تفعله اهل الجاهلية
وقيل انه نهي للاولياء عن عضل المراة او للازواج كما في سورة البقرة قال في الكشاف اعراب تعضلوهن النصب عطفا
على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي قلت الظاهر انه النهي لعطف الامر وهو عاشروهن وعليه صاحب الكشاف نظرا الى ما
قبله وذهل عما بعده الا ان ياتين بفاحشة مبينة من قرا بالفتح فلان الفاحشة لا فعل لها بالحقيقة وانما الله تعالى هو الذي
بينها او الشهود الاربعة هم بينوها ومن قرا بالكسر فلانها اذا تبينت وظهرت صارت اسبابا للبيان كقوله انهن اضللن
كثيرا من الناس لما صرن اسبابا للضلال ثم انه استثناء مماذا قيل من اخذ الاموال اي لا يحل له ان يحبسها ضرارا لتفتدي
الا اذا اتت بفاحشة فيحل لزوجها ان يسالها الخلع وكان الرجل اذا اصاب امراته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها
وقيل استثناء عن العضل نهوا عن حبسهن في بيوت الاولياء او الازواج الا بعد وجود الفاحشة ومن هؤلاء القائلين من زعم
ان هذا الحكم منسوخ باية الجلد وقيل الفاحشة هي النشوز وسلاطة الخلق الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن
فانهم معذورون حينئذ من طلب الخلع النوع الثالث من التكاليف المتعلقة باحوال النساء وعاشروهن بالمعروف
وهو الاجمال بالقول والانصاف في المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا فيهما نديم لطبعكم الى المفارقة ويكون الخير في الاستمرار على المواصلة منه الثناء في الدنيا
بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب في العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول ولد نجيب وما اكثر ما يمن
في صحبتها قال صلى الله عليه وسلم الشوم في المراة والفرس والدار وقيل المعنى ان رغبتم في مفارقتهن فربما جعل الله
في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا بان تتخلص من زوج سيء العشرة وتجد زوجا احسن منه النوع الرابع من
التكاليف وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وذلك انه لما اذن في مضارتهن اذا اتين بفاحشة بين تحريم المضارة في
غير حالة الفاحشة يروى ان الرجل منهم كان اذا مال الى التزوج بامراة اخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى
يلجيها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج المراة التي يريدها فنهوا عنه والقنطار المال العظيم وفيه
دليل على جواز المغالاة في المهر يروى ان عمر بن الخطاب قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امراة فقالت
يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنع وتلت هذه الاية فقال عمر كل الناس افقه من عمر ورجع عن كلامه ويحتمل ان تعالى ذكره ايتاء

القنطار وارد على سبيل المبالغة والغرض لا الرخصة وهو في موضع الحال اي وقد اتيتم ومعنى الايتاء الالتزام
ووقوع العقد عليه سواء ادى المال اليها ام لا واعلم ان النشوز اذا كان من قبل الزوجة حل اخذ مال الخلع وان كان
من قبل الزوج لم يحل الا انه يفيد الملك ولو خالع كان البيع وقت النداء منهي عنه ثم انه يفيد الملك اتاخذونه استفهام
بطريق الانكار بهتانا وهو ان يستقبل الرجل بامر قبيح يقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير والبهتان في
الحديث اذا واجهت اخاك بما ليس فيه فقد بهته قيل في الحال اي باهتين واثمين او على انه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل
بنزع الخافض اي ببهتان وقيل بمضمر اي تصيبون بهتانا وسبب تسمية هذا الاخذ بهتانا انه تعالى فرض لها ذلك المهر
من استرداده فكانه يقول لها ليس ذلك بفرض فيكون بهتانا او انه عند العقد تكفل بتسليم ذلك المهر اليها وان لا ياخذه منها
فاذا اخذه منها صار القول الاول بهتانا اي باطلا او كان من عادتهم انهم اذا ارادوا تطليق الزوجة رموها بفاحشة حتى تفتدي
فلما كان هذا الامر واقعا على هذا الوجه في الاغلب سيق الكلام على ذلك وبالحقيقة ان اخذ هذا المال لا طعن في ذاته من حيث
انه مشعر بانها قد اتت بفاحشة وتبيض على انما لها نهي بهتانا من وجه وظلم من وجه اخر وقيل المراد عقاب البهتان
والاثم كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا اثما عجب من الاخذ مستنكرا فقال وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض عن
ابن عباس ومجاهد والسدي واختاره الزجاج وابن قتيبة واليه ذهب الشافعي ان المراد بالافضاء الجماع واصل الافضاء
الساحة ويقال افضيت الى الفضاء وهذا المعنى انما يحصل في الحقيقة عند الجماع وقيل الافضاء ان يخلو بها وان لم يجامعها
وهو قول الكلبي واختاره الفراء ويوافقه مذهب ابي حنيفة ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح مذهب الشافعي بان
الكلام ورد في معرض التعجب وهو انما يتم اذا كان الافضاء سببا قويا في حصول الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد
الخلوة وايضا الافضاء لا بد ان يكون مفسرا بفعل ينتهي منه اليها لان كلمة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس
كذلك اذ لم يحصل فعل من افعال احدهما الى الاخر فان قيل على هذا يجب ان يكون التلامس والاضطجاع في لحاف واحد كافيا
في تحقق الافضاء وانتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع اذ القائل قائلان قائل بتفسير الافضاء بالجماع وقائل بتفسيره
بمجرد الخلوة وايضا الشرع قد علق تقرير المهر بتحقق الافضاء وقد اشتبه معناه ان الخلوة او الجماع فوجب الرجوع الى زمان
ما قبل الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرير المهر ثم اكد المنع من استرداد المهر بقوله واخذن منكم ميثاقا غليظا قال السدي
وعكرمة والفراء هو قولهم زوجتك هذه المراة على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان
ومعلوم انه اذا الجاها الى ان بذلت المهر فقد سرحها بالاساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح
المعقود على الصداق وانها اشار في الحديث واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال اخذن منكم بسبب افضاء بعضكم
الى بعض ميثاقا غليظا وصفه بالغلظة لقوته قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين
من الاتحاد والامتزاج النوع الخامس من التكاليف المتعلقة بامور النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم قال ابن
عباس وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج ابائهم فنهوا عن ذلك وههنا مسئلة خلافية قال
ابو حنيفة يحرم على الرجل ان يتزوج بمزنية ابيه وقال الشافعي لا يحرم حجة ابي حنيفة ان النكاح عبارة عن الوطي لقوله
حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل بمجرد العقد ولقوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح اي الوطي
لان اهلية العقد حاصلة ابدا ولقوله الزاني لا ينكح الا زانية ولقوله صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون ثم دخل
في الاية المزنية لانها منكوحة اي موطوءة حجة الشافعي الآيات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله وانكحوا الايامى منكم
فانكحوا ما طاب لكم من النساء وبقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي ولا شك ان الوطي من حيث انه وطي ليس سنة
له وبقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبان من حلف ان لا اولاد الزنا انهم ليسوا من اولاد النكاح ثم بحث سلمنا ان
الوطي مسمى بالنكاح لكن العقد ايضا مسمى به فلم كان حمل الاية على ما ذكرتم اولى من حملها على ما ذكرنا مع اجماع المفسرين
على ان سبب نزول الاية هو العقد لا الوطي قالوا حقيقة في الوطي مجاز في العقد لانه في اللغة الضم وهذا المعنى حاصل
في الوطي لا في العقد وانما اطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب والحمل على الحقيقة اولى او مشترك بينهما ويجوز
استعماله في مفهوميه معا فيكون الاية نهيا عن الوطي وعن العقد معا او لا يجوز استعماله في المفهومين فيكون
نهيا عن العقد المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك يكون نهيا عن القسمين فان النهي عن النوعين يكون نهيا

عن التبعيض والتنويع لا محالة واجيب بانه خلاف اجماع المفسرين وبان استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه
عن جابر وبان معنى الضم لا يتصور في العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطي ولكن ما في قوله ما نكح لا نسلم انها موصولة لانها
حقيقة في غير العقلا وانما هي مصدرية والتقدير لا تنكحوا نكاح ابائكم فان النكاح كانت بغير ولي وشهود وكانت موقتة
وقهرية فنهوا عن مثل هذه الانكحة قال محمد بن جرير الطبري سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح اباؤكم ولكن لا نسلم ان
من يفيد العموم واذا لم يفد العموم لم يتناول محل النزاع ولا غيره تنصيصا نعم يتناول موطوآت الاباء بالاجماع فيبقى غيره
في حيز الاجمال سلمنا انه يتناول محل النزاع ولا غيره لكن لم قلتم ان النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان النهي للتحريم لكن لا نسلم انه
غير صحيح لان النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد وفي صوم يوم النحر واذا كان منعقدا كان صحيحا ثم انا نستدل
على جواز مزنية الاب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نهى عن نكاحهن الى غاية نفي ايمانهن وهذا يقتضي جواز
نكاحهن بعد تلك الغاية على الاطلاق مزنية كانت او غيرها الا ما اخرجه الدليل وهكذا سائر العمومات كقوله واحل
لكم ما وراء ذلكم وكقوله صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه وقوله زوجوا بناتكم الاكفاء
وبقوله صلى الله عليه وسلم الحرام لا يحرم الحلال ودخول التخصيص فيه بالوطي نظيره من الخمر في اناء من الماء بنجسه لا يمنع من
الاستدلال به في غيره وقد ناظر الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسئلة فوقع ختم الكلام على قول الشافعي وطي حمدت
به ووطي رجمت به فكيف يشتبهان اما قوله تعالى الا ما قد سلف فللمفسرين فيه اقوال احسنها ما ذكره السيد صاحب حل
العقد انه على المعنى فانه تنبيه على المواخذة بارتكاب المنهي عنه فكانه قيل انتم مواخذون بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف
قبل نزول اية التحريم فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثنى غير بسيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم
ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوا فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى يلج الجمل في سم
الخياط وقولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان
الله قد تجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي بعد موتتهم الاولى وقيل الا ما قد
سلف فانكم مقرون عليه قالوا انه صلى الله عليه وسلم اقرهم عليهن مدة ثم امر بمفارقتهن وانما فعل ذلك ليكون نقلهم
عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول وقال ما اقر احدا على نكاح امراة ابيه وان كان في الجاهلية
يروى انه صلى الله عليه وسلم بعث ابا بردة الى رجل عرس بامراة ابيه ليقتله ويأخذ ماله انه اي هذا النكاح كان قبل
النهي فاحشة اعلم الله تعالى ان هذا الفعل كان ابدا ممقوتا عند العرب او هذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام
لانه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب امر
قبيح ارتكبه صاحبه وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسارة قال بعضهم مراتب القبح ثلث
في العقل وفي الشرع وفي العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان زوجة الاب تشبه الام والمقت اشارة
الى القبح الشرعي وساء سبيلا اشارة الى القبح العادي وساء فعل ذم وفاعله ضمير مبهم تفسيره المنصوب بعده والله تعالى
اعلم التاويل الوراثة الدينية ايضا سبب ونسب فالسبب هو الارادة بلبس خرقة المشايخ والتشبه بهم والنسب
هو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفات ولايتهم ظاهرا وباطنا مستسلما لاحكام التسلسل والتربية ليتولد السالك بالنشاة
الثانية من صلب ولايتهم ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الانبيا اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد فلما تولد
اهل الادب على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية والذكورة والانوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد
ورثوا اي ورثتهم العلوم الدينية واللدنية كقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وكقول موسى للخضر هل
اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم هي النفوس الامارات بالسوء فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم اي من خواص العناصر الاربعة التي انتم منها مركبون وهي التراب ومن خواصها الخسة والذلة
والماء ومن خواصه اللين والانوثة والمشرة والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والشره والنار ومن خواصها
الكبر والغضب وحب الرياسة فان شهدوا بان يظهر بعض هذه الصفات من الذنوب فامسكوهن في البيوت في سجن الدنيا
واغلقوا عليهن ابواب الحواس الخمس حتى يتوفاهن موت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها او يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة
القلب الى عالم الغيب واللذان ياتيانها اي النفس والقلب باتيان من الفواحش ظاهرا اي في الاعمال وباطنا في الاحوال والاخلاق

فاذوهما ظاهرا في الحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ فاعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر بجهالة
اي بصفة الجهولية وهي داخلة في الظلومية لان الظلومية يقتضي المعصية والاصرار عليها والجهولية تقتضي المعصية
فحسب فالفعل السوء اذا كان مصدره الجهولية فحسب يكون على عقبه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب اي عقيب
المعصية قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل ان يقال من قريب اي قبل ان يقال يموت
القلب بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لانها تكون اضطرارية باللسان لا اختيارية بالجنان ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
فيه اشارة الى النهي عن التصرف والتعلقات التي هي الامهات المتصرف فيها اباؤكم العلوية الا ما قد سلف من التدبير
الالهي في ازدواج الارواح لضرورة الكمالات فان الركون الى العالم السفلي يوجب مقت الحق والله اعلم بالصواب

حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ
وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات
نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان
لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم
وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما
والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم
ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم
به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من
بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا ان
ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن
اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن
فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن
خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين
لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم

الجزء الخامس

وَاللّٰهُ يُرِيدُ اَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ اَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا
عَظِيمًا يُرِيدُ اللّٰهُ اَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيفًا يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا
لَا تَاْكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ اِلَّا اَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ
اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ
نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرًا

القراءة والمحصنات كل القرآن بكسر الصاد الا قوله والمحصنات من النساء على الباقون واحل مبنيا للمفعول
يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون مبنيا للفاعل احصن بفتح الهمزة والصاد حمزة وعلي وخلف
وعاصم غير حفص الباقون احصن بضم الهمزة وكسر الصاد تجارة بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون
بالرفع الوقوف دخلتم بهن الاولى لابتداء الشرط مع اتحاد المقصود فلا جناح عليكم لذلك لان جملة الشرط معترضة
اصلا بحكم للعطف سلف رحيما للعطف ايمانكم لان كتاب الله يحتمل ان يكون مصدر التحريم لانه في معنى الكتابة ويحتمل
مصدر محذوف اي كتب الله كتابا والاحسن ان يكون مفعولا له اي حرمت لكتاب الله من قرأ واحل بالفتح لم يحسن الوقف
له على عليكم للعطف على كتب ومن قرأ واحل بالضم عطفا على حرمت جاز له الوقف لطول الكلام مسافحين
لابتداء حكم المتعة فريضة الفريضة حكيما فتياتكم المؤمنات بايمانكم من بعض لعطف المختلفتين اخدان لذلك من العذاب
العنت منكم خير لكم رحيم ويتوب عليكم حكيم عظيما يخفف عنكم لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اي يخفف لضعفكم
ضعيفا انفسكم رحيما نارا يسيرا التفسير انه سبحانه وتعالى نص على تحريم اربعة عشر صنفا من النسوان سبعة
من جهة النسب وهن الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعة اخرى لا من جهة
النسب الامهات من الرضاعة والاخوات من الرضاعة وامهات النساء وبنات النساء بشرط الدخول بالنساء وازواج الابناء
وهن في الآية المتقدمة والجمع بين الاختين والمحصنات من النساء وذهب الكرخي الى ان هذه الآية مجملة لانه اضيف التحريم
فيها الى الامهات والبنات والتحريم لا يمكن اضافته الى الاعيان وانما يمكن اضافته الى الافعال وذلك غير مذكور في
الآية فليست اضافة هذا التحريم الى بعض الافعال التي يمكن ايقاعها في ذوات الامهات والبنات اولى من بعض وتقرر
معنى الاجمال والجواب من المعلوم بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان المراد منه تحريم نكاحهن لا سيما وقد تقدم
قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث فانه لا يشتبه ان المراد لا يحل
اراقة دمه ثم ان قوله حرمت انشاء للتحريم كقول القائل بعت او طلقت لا اخبار عن التحريم في الزمان الماضي ولا يشتبه ان
المحرم هو الله تعالى كقوله بعث ناقتي الغيري وحصل ما في الصدور والخطاب لاولئك الحاضرين بالذات ولمن عداهم من
الامة بالتبعية والاصل في كل حكم هو الاستمرار والتأبيد ما لم ينسخه ناسخ والقرينة تدل على ان المراد انه تعالى حرم
على كل احد امه خاصة وبنته خاصة واعلم ان حرمة الامهات والبنات كانت ثابتة في زمان آدم عليه السلام الى هذا الزمان
ولم يثبت حل نكاحهن في شيء من الاديان بلى ان زرادشت نبي المجوس بزعمهم قال بحله الا ان اكثر المسلمين اتفقوا على انه كان
كذابا اما نكاح الاخوات فقد نقل ان ذلك كان مباحا في زمان آدم عليه السلام للضرورة وبعض المسلمين ينكره ويقول
انه تعالى بعث الحور من الجنة حتى تزوج بهن ابناء آدم عليه السلام ويرد عليه ان هذا النسل حينئذ لا يكون محض اولاد آدم
وذلك بالاجماع باطل قال العلماء السبب في تحريم الامهات ان الوطء اذلال واهانة فلا يليق بالاصل والجزء والامهات جمع الام
والهاء زائدة ودونها امات اصلية ودونه وقع وقد يجيء جمعه على امات وقد يقال الامهات للانسان والامات لغيره فكل
امرأة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك بدرجة او درجات باناث رجع اليها او بذكور رضي امك فلا شك ان لفظ

الام حقيقة في التي ولدتك اما في الجدة فيحتمل ان يكون حقيقة ايضا وحينئذ يكون اللفظ متواطئا فيهما ان كان موضوعا
بازاء قدر مشترك بينهما ويكون الآية نصا في تحريمها ايضا والافظاهر ان احدها ان تحريم الجدات مستفاد من الاجماع والثاني
انه تعالى تكلم بهذه الآية مرتين لكلا المفهومين ومكذا الكلام ان قلنا ان الام حقيقة في الوالدة مجاز في الجدات
قال الشافعي اذا تزوج الرجل بامه ودخل بها يلزمه الحد وقال ابو حنيفة لا يلزم حجة الشافعي ان وجود هذا النكاح وعدمه
بمثابة واحدة لكونها محرمة قطعا في حكم الشرع فيكون وطيها زنا محضا الصنف الثاني من المحرمات البنات
وبرادهن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات باناث او بذكور وهل الكلام ان في اطلاق لفظ البنت
على بنت الابن وبنت البنت حقيقة او مجاز كما مر في الامهات قال ابو حنيفة البنت المخلوقة من ماء الزنا يحرم على
الزاني وقال الشافعي لا يحرم لانها ليست بنتا له شرعا لقوله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وهذا يقتضي حصر النسب
في الفراش ولانها لو كانت بنتا له لاخذت الميراث ولثبت له ولاية الاجبار عليها ولوجب عليها نفقتها وحضانتها وتحل
الخلوة بها لكن التوالي باطلة فكذا المقدم وايضا ان ابا حنيفة اما ان يثبت كونها بنتا له على الحقيقة وهي كونها مخلوقة
من مائه او بناء على حكم الشرع والاول باطل على مذهبه طردا وعكسا اما الطرد فهو انه اذا اشترى جارية بكرا وافتضها
وحبسها في داره الى ان تلد فهذا الولد معلوم انه مخلوق من مائه قطعا مع انه لا يثبت نسبه الا عند الاستلحاق واما
العكس فهو ان المشرقي اذا تزوج بالمغربية وحصل هناك ولد فانه يثبت النسب مع القطع بانه غير مخلوق من مائه
الثاني ايضا باطل باجماع المسلمين على انه لا نسب لولد الزنا من الزاني ولو انتسب اليه وجب على القاضي
منعه الصنف الثالث الاخوات ويشمل الاخوات من الاب والام ومن الاب فقط الصنف الرابع والخامس
العمات والخالات قال الواحدي كل ذكر رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد تكون العمة من جهة الام وهي اخت ابي
امك وكل انثى رجع نسبها اليك بالولادة فاختك خالتك وقد تكون الخالة من جهة الاب وهي اخت ام امك ولا يحرم
اولاد العمات واولاد الخالات الصنف السادس والسابع بنات الاخ وبنات الاخت والقول فيهما كالقول في البنت
الصنف الثامن والتاسع قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة سمى المرضعات امهات لتحرمها
لشانهن كما يسمي ازواج النبي صلعم امهات المؤمنين وليس قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم كقول القائل وامهاتكم
اللاتي كسونكم او اطعمنكم والا كان تكرارا لقوله حرمت عليكم امهاتكم بل المراد ان الرضاع هو الذي يستحق هي بسببه
الامومة ويعلم من تسميته المرضعة اما والمراضعة اختا انه اجرى الرضاع مجرى النسب لان المحرمات بسبب النسب
سبع اثنتان بالولادة وهما الامهات والبنات والباقية بطريق الاخوة وهن الاخوات والعمات والخالات
وبنات الاخ وبنات الاخت فذكر من كل واحد من القسمين صورة واحدة تنبيها بها على الباقي منها فذكر قسم الولادة
الامهات ومن قسم الاخوة الاخوات ثم انه صلعم اكد هذا البيان بصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
فصار صريح الحديث مطابقا لمفهوم الآية وهذا بيان لطيف فامك من الرضاع كل انثى ارضعتك او ارضعت من
ارضعتك او ارضعت من ولدك من الاباء والامهات او ولدت المرضعة او الفحل الذي منه اللبن بواسطة او بغير
واسطة وبنتك من الرضاع كل انثى ارضعت بلبنك او ارضعت بلبن من ولدت من الابناء او البنات واختك
من الرضاع كل انثى ارضعتها امك او ارضعت بلبن ابيك او ولدتها المرضعة او الفحل الذي در لبنه على المرضعة وعمتك
من الرضاع من جهة الانثى ارضعت بلبن واحد من اجدادك او كانت اخت الفحل الذي ارضعت بلبنه ومن جهة الام
كل انثى هي اخت ذكر ارضعت امك بلبنه بواسطة او بغير واسطة وخالتك من الرضاع من جهة الام كل انثى هي اخت
امك في الرضاعة او اخت من ارضعتك من النسب او الرضاع ومن جهة الاب كل انثى هي اخت انثى ارضعت اباك
من الرضاع او النسب وبنات الاخوة والاخوات من الرضاع كل انثى ولدها ابن مرضعتك او بنتها او ولدها ابن الفحل
الذي منه اللبن او بنته من الرضاع او النسب او ارضعتها اختك او ارضعت بلبن اخيك وكذلك حكم بنات اولاد
من ارضعت اختك او ارضعت بلبن اختك من الرضاع او النسب وكذلك بنات من ارضعته امك او ارضع بلبن
ابيك وبنات اولادهما من الرضاع والنسب والرضاع المحرم قد يسبق النكاح فيمنع انعقاده وقد يطرأ عليه فيقطعه وللرضاع
اركان احدها المرضع فيجب ان يكون امرأة ولبن البهيمة لا يثبت تحريما بين الذكر والانثى اللذين شربا منه وكذا

لبن الرجل وان يكون حية وعند ابي حنيفة ومالك واحمد تتعلق بلبن الميتة التحريم وان يكون محتملة للولادة بان
بلغت تسع سنين وثانيها اللبن وتتعلق به التحريم ولو تغير بحموضة او انعقاد او غلاء او اتخذ منه جبن او زبد او مخيض
او اقط او ثرد فيه طعام او عجن به دقيق وخبز او خلط بمايع حلال او حرام وثالثها المحل وهو معدة الصبي الحي فلا اثر للحقنة
ولا بعد للحولين الاحليلين ولا الوصول الى معدة الصبي الميت ولا بد مع ذلك خمس رضعات لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحرم
المصة والمصتان ولا الرضعة والرضعتان ولما روت عايشة خمس رضعات يحرمن وعند ابي حنيفة الرضعة الواحدة
كافية الصنف العاشر قوله وامهات نسائكم ويدخل فيه الجدات من قبل الام والاب **الصنف الحادي عشر**
وربائبكم اللاتي في حجوركم والربائب جمع ربيبة وهي بنت امراة الرجل من غيره ومعناه مربوبة لان الرجل يربيها والحجور
جمع حجر بالفتح والكسر وكونها في حجره عبارة عن تربيته وهو بناء الكلام على الغالب ومثله هو في حضانة فلان
واصله من الحضن الذي هو الابط قال ابو عبيدة في حجوركم اي في بيوتكم وعن علي عليه السلام انه جعل كونها ربيبة
له وكونها في حجره شرطا في التحريم وهو اسند للاحسن واما سائر العلما فذهبوا الى ان الكلام خرج مخرج الاعم الاغلب
انه اذا دخل حرمت ابنتها عليه سواء كانت في تربيته او لم تكن واما اشتراط الدخول بامها فلقوله من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن وهو متعلق بربائبكم كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة واما عدم اشتراط التربية فلقوله فان لم
تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم علق رفع الجناح بمجرد عدم الدخول وهذا يقتضي ان السبب لحصول الجناح وهو مجرد الدخول
وذهب جمع من الصحابة ان ام المراة انما تحرم بمجرد علم الدخول وهذا يقتضي ان السبب لحصول الجناح وهو مجرد الدخول
وذهب جمع من الصحابة بالدخول بالبنت كما ان الربيبة انما تحرم بالدخول بامها وهو قول علي عليه السلام وزيد وابن عمر
وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس وحجتهم انما تحرم انه تعالى ذكر جملتين وهو قوله وامهات نسائكم
وربائبكم اللاتي في حجوركم ثم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فوجب ان يكون ذلك الشرط معتبرا
في الجملتين معا واما الاكثرون من الصحابة والتابعين فعلى ان قوله وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم
يدل دليل على عود ذلك الشرط اليه اذ الظاهر تعلق الشرط بالثانية واذا تعلق باحدى الجملتين فلا حاجة الى
تعلقه بالاخرى وايضا عود الشرط الى الجملة الاولى وحدها باطل بالاجماع فكذا عوده اليهما معا لان معنى من الاولى
البيان ومعناها مع الثانية ابتداء الغاية واستعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معا غير جائز نعم لو جعل من للاتصال
كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض امكن اعتبار الاتصال في النساء والربائب معا فامهات النساء متصلات
بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن الى ان هذا التفسير فيه خلل من جهة اللفظ
ومن جهة المعنى اما اللفظ فلان قوله وامهات نسائكم وكذا وربائبكم يكون حينئذ مبتدا وقوله من نسائكم خبرا
فيقع بين المعطوفات فاصلة ولان قوله وحلائل ابنائكم وما بعده معطوف على فاعل حرمت واما من جهة المعنى فلان
الحكم بالاتصال والاتحاد يقتضي التحليل لا التحريم كما هو ظاهر ومما يدل على ان الجملة الاولى مرسلة ما روي عن عمرو
بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نكح الرجل امراة فلا يحل له ان يتزوج امها
دخل بالبنت ام لم يدخل واذا تزوج بالبنت فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج البنت وكان عبد الله بن مسعود يفتي
بنكاح ام المراة اذا طلق بنتها قبل المسيس وهو يومئذ بالكوفة فاتفق ان ذهب الى المدينة فصادفهم مجتمعين على خلاف
فتواه فلما رجع الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب الى ذلك الرجل فقرع عليه الباب وامره بان ينزل عن تلك المراة
وعن سعيد بن المسيب ان زيد بن ثابت قال ان الرجل اذا طلق امراة قبل الدخول بها فله ان يتزوج امها فان ماتت
عنده لم يتزوج امها اقام الموت مقام الدخول في التحريم كما اقام مقامه في باب المهر والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم
بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية وقد تقدم ان الخلوة الصحيحة عند ابي حنيفة
تقوم مقام الدخول وقد تمسك ابو بكر الرازي بالاية في اثبات ان الزنا موجب لحرمة المصاهرة قال لان الدخول
بها اسم للمطلق الوطي من نكاح كان او من سفاح ورد بان تقديم قوله من نسائكم يوجب تخصيص الوطي بالحلال
الصنف الثاني عشر وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم فيخرج المتبنى وكان في صدر الاسلام بمنزلة الابن الى ان
نزل وما جعل ادعياءكم ابناءكم لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وحكم الابن من الرضاع حكم الابن من النسب

في تحريم حليلته على ابيه لقوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وان كان ظاهر قوله وحلائل ابنائكم
الذين من اصلابكم وظاهر قوله واحل لكم ما وراء ذلكم يقتضي الحل فيهما لانه يخصص عموم القران بخبر الواحد واتفقوا
على ان حرمة التزويج بحليلة الابن يحصل بنفس العقد ولا تتوقف الحرمة على الدخول وما روي عن ابن عباس انه قال
ابهموا ما ابهم الله اراد به التابيد الذي انه قال في السبع المحرمات من جهة النسب انها من المبهمات اي من اللواتي تثبت حرمتهن
على سبيل التابيد واتفقوا على تحريم حليلة ولد الولد على الجد اما جارية الابن فقد قال ابو حنيفة يجوز للاب ان
يتزوج بها وقال الشافعي لا يجوز لان الحليلة فعيلة اما بمعنى المفعول من الحل اي المحللة او من الحلول بمعنى ان السيد يحلها
واما بمعنى الفاعل لانهما يحلان في لحاف واحد او يحل كل واحد منهما في قلب صاحبه لما بينهما من الالفة والمودة وعلى التقادير
يصدق على جارية الابن انها حليلته فيثبت ولها الحرمة بالاية **الصنف الثالث عشر** وان تجمعوا بين الاختين
اي حرمت عليكم الجمع بينهما والتانيث للتغليب او للاكتساب او بتاويل الخصلة ويمكن ان يقال الواو نايب عن الفعل
المطلق من غير اعتبار تذكيره وتانيثه والجمع يكون اما بالنكاح او بالملك او بهما اما النكاح فلو عقد عليهما معا فنكاحهما
باطل وعلى الترتيب بطل الثاني لان الدفع اسهل من الرفع واما الجمع بينهما بملك اليمين او بان ينكح احدهما ويشتري الاخرى صح
فقد اختلف الصحابة فيه فقال علي عليه السلام وعمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عمر لا يجوز الجمع بينهما
لاطلاق الاية ولانه لو جاز الجمع بينهما في الملك لجاز وطيهما معا لقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولان الاصل
في الابضاع الحرمة فلو سلم ان الاية تدل على الجواز فالاحوط جانب الترك واما سائر الصحابة والفقهاء فقد قالوا النهي
وارد عن نكاحهما فلو جمع بينهما في الملك جاز الى انه اذا وطي احدهما حرم وطي الثانية عليه ولا يجوز له عقد الحرمة
ما لم يزل ملكه عن الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة او تزويج قال ابو حنيفة هيهنا لا يجوز نكاح الاخت في عدة
الاخت البائن لان النكاح الاول كانه باق بدليل وجوب العدة ولزوم النفقة وقال الشافعي يجوز لان المطلقة زايل بلزوم
دليل الحد بوطيها واما لزوم العدة ولزوم النفقة فنقول متى حصل النكاح حصلت القدرة على حبسها ولا يلزم
من حصول القدرة على حبسها حصول النكاح لان استثناء عين التالي لا ينتج واذا اسلم الكافر وتحته اختان
فهذا قال الشافعي اختار ايتهما شاء وفارق الاخرى سواء نكحهما معا او على الترتيب لان الكفار ليسوا مخاطبين
في فروع الشرايع في احكام الدنيا اذ لا يتصور تكليفه بالفروع ما دام كافرا انما يعاقب بترك الفروع في الاخرة كما يعاقب
على ترك الاسلام ومما يؤيد قول الشافعي ما روي ان فيروز الديلمي اسلم على اختين فقال صلى الله عليه وسلم
اختر منهن اربعا وفارق سايرهن اطلق ولم يبحث عن الترتيب وقال ابو حنيفة ان تزوج بهما معا تركهما وعلى
الترتيب فارق الثانية لان الخطاب في قوله وان تجمعوا عام فيتناول المؤمن والكافر فخالف اصليه حيث جعل النهي
دالا على الفساد والكافر مخاطبا بالفروع ومما يدل على ان الخطاب بالفروع لا يظهر اثره في حق الكافر في الاحكام
الدنيوية الاجماع على انه لو تزوج بغير ولي وشهود او على سبيل القهر والغصب فبعد الاسلام يعتقد ذلك النكاح اما قوله
تعالى الا ما قد سلف فمعناه ان ما مضى معفو بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما فقد مر تقريره واعلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحق بالاختين جميع المحارم حيث قال لا تنكح المراة على عمتها وخالتها وضبط العلما ذلك بان
كل شخصين بينهما قرابة او رضاع لو كان احدهما ذكرا والاخر انثى حرم النكاح بينهما فلا يجوز الجمع بينهما فيحرم الجمع بين المراة
المراة وبين اختها وبنات اولاد اختها وكذلك بين المراة وبنت اختها وبنات اولاد اختها سواء كانت المحرمة
والمحولة من النسب او الرضاع ولا يحرم نكاح المراة وام زوجها ولا نكاح المراة وبنت زوجها لانها لا توجد الحرمة على تقدير
ذكورة كل واحد منهما وانما توجد على تقدير ذكورة ام الزوج او بنته فقط لمكان المصاهرة حينئذ بخلاف ما لو
فرضت المراة ذكرا فانه لا يكون بينهما قرابة ولا رضاع وقد يضبط تحريم الجمع بعبارة اخرى هي انه يحرم الجمع بين
كل امراتين بينهما قرابة او رضاع يقتضي المحرمية والثانية يحرم الجمع بين امراتين بينهما وصلة قرابة او رضاع لو كانت
تلك الوصلة بينك وبين امراة لحرمت عليك **الصنف الرابع عشر** والمحصنات من النساء وقد ورد الاحصان في
القران بمعان احدها الحرية والذين يرمون المحصنات من العذاب وثانيها العفة محصنات غير مسافحات احصنت
فرجها وثالثها الاسلام فاذا احصن قيل في تفسيره اذا اسلمن ورابعها كونها ذات زوج والمحصنات من النساء اي

نكاح م

ذوات الازواج منهن والوجوه كلها متشاركة في اصل المعنى اللغوي وهو المنع مدينة حصينة مانعة صاحبها من الآفات والجراحات والحرية سبب لمنع الانسان من نفاذ حكم الغير فيه والعفة مانعة من ارتكاب المناهي وكذا الاسلام والزوج مانع لزوجته من كثير من الامور والزوجة مانعة للزوج من الوقوع في الزنا وقرئ بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن بالتزوج ومعنى قوله الا ما ملكت ايمانكم ان اللاتي سبين ولهن ازواج من دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وهكذا اذا سبي الزوجان معا خلافا لابي حنيفة قياسا على شرى الامة وابيها وارثها فان كلا منها لا يوجب الفرقة واجيب بان الحاصل بالسبي احداث الملك فيها وعند البيع نقل الملك من شخص الى شخص والاول اقوى فظاهر الفرق وقيل المعنى ان ذوات الازواج حرام عليكم الا اذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع الفرقة بينهن وبين ازواجهن وقيل المحصنات الحرائر الا العدد الذي جعل الله ملكا لكم وهو الاربع والاكثر ما اثبت الله لكم ملكا عليهن لحصول الشرائط المعتبرة من حضور الولي والشهود وغير ذلك والقول هو الاول لما روي عن ابي سعيد الخدري قال اصبنا سبايا يوم اوطاس لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن ثم اكد تحريم المذكورات بقوله تعالى كتاب الله عليكم قال الزجاج يحتمل ان يكون منصوبا باسم فعل ويكون عليكم مفسرا له اي الزموا كتاب الله واحل لكم ما وراء ذلكم ما وراء هذه المذكورات سوى المذكورات بالقول الصحيح او بدلا لان جلية او خفية او ببيان النبي صلى الله عليه وسلم كما قلنا في تحريم الجمع بين الاختين وغيرها وقد دخل بعض هذه الغاية في الاية تخصيصات اخر منها ان المطلقة ثلاثا لا تحل ودليل ذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ومنها الحربية والمرتدة بدليل قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ومنها المعتدة بدليل قوله والمطلقات يتربصن ومنها ان من في نكاحه حرة لم يحل له ان ينكح امة بالاتفاق وعند الشافعي القادر على طول الحرة لا يحل له نكاح الامة بدليل فمن لم يستطع منكم طولا ومنها الخامسة بدليل مثنى وثلاث ورباع ومنها الملاعنة لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وقوله ان تبتغوا مفعول له اي بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم في حال كونكم محصنين لا في حال كونكم مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم التي جعل الله لكم قياما فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ويجوز ان يكون بتبتغوا ابدالا من وراء ذلكم ومفعول تبتغون مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر لانه مفهوم من سوق الكلام وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ومعنى محصنين متعففين عن الزنا وسمي الزنا سفاحا لانه لا غرض للزاني الا سفح النطفة اي صبها قال ابو حنيفة لا يجوز المهر باقل من عشرة دراهم لانه تعالى قيد التحليل بالابتغاء بالاموال والدرهم والدرهمان لا يسمى اموالا وقال الشافعي يجوز بالقليل والكثير لان قوله باموالكم مقابلة الجمع بالجمع فيقتضي توزع الفرد على الفرد فيتمكن كل واحد من ابتغاء النكاح بما يسمى مالا والقليل والكثير في هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطى امراة في نكاح كف دقيق او سويق فقد استحل وقال ابو حنيفة لو تزوج بها على تعليم سورة من القرآن لم يكن ذلك مهرا ولها مهر مثلها لان الابتغاء بالمال اسم للاعيان لا للمنافع وكذا قوله واتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه فكلوه والايتاء والاكل من صفة الاعيان ولو تزوج امراة على خدمة سنة فان كان حرا فلها مهر مثلها وان كان عبدا فلها خدمة سنة وقال الشافعي يدل على ان الابتغاء بالمال جائز وليس فيه ان الابتغاء بغيره جائز ام لا وايضا قد خرج الخطاب مخرج الاغلب الاعم فلا يدل على نفي ما سواه ومما يدل على جواز المنفعة صداقا قوله تعالى في قصة شعيب على ان تاجرني ثماني حجج والاصل في شرع من قبلنا البقاء الى ان يظهر الناسخ وايضا التي وهبت نفسها اذا لم يجد الرجل الذي اراد التزوج بها شيئا قال صلى الله عليه وسلم هل معك شيء من القرآن قال نعم سورة كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القرآن ومنه يعلم جواز عتق الامة صداقا لها لا سيما وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها وكونه من خواصه ممنوع فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او عقد عليهن او خلوة صحيحة عند ابي حنيفة فآتوهن اجورهن اي عليه فاسقط الراجع للعلم به ويجوز ان يراد به النساء ومن للتبعيض او البيان لا للابتداء الاستمتاع ويكون رجوع الضمير به الى ما على اللفظ وفي فآتوهن على المعنى والاجور المهور لان المهر ثواب على البضع كما يسمى بدل منافع الدار والدابة اجرا فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او اقيمت مقام ايتاء لان الايتاء مصدر او مفروض مؤكد اي فرض ذلك فريضة ولا يخفى انه ان استمتع بها لا دخول بها يجب تمام

آية المتعة والعقد فيها

المهر وان استمتع بعقد النكاح فقط فالاجر نصف المهر قال اكثر علماء الامة ان الاية في النكاح المؤبد وقيل المراد بها حكم المتعة وهي ان يستاجر الرجل المراة بمال معلوم الى اجل معلوم ليجامعها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها واتفقوا على انها كانت مباحة في اول الاسلام ثم ان السواد الاعظم من الامة على انها صارت منسوخة وذهب الباقون ومنهم الشيعة الى انها ثابتة كما كانت وروي هذا عن ابن عباس وعمران بن الحصين قال عمارة سالت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح قال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال متعة كما قال تعالى قلت هل لها عدة قال نعم عدتها حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وفي رواية اخرى عنه ان الناس لما ذكروا الاستبعاد في المتعة قال قاتلهم الله ما افتيت باباحتها على الاطلاق لكني قلت انها تحل للمضطر كما تحل الميتة والدم ولحم الخنزير له ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي في الصرف والمتعة واما عمران بن الحصين فانه قال نزلت اية المتعة في كتاب الله ولم ينزل بعدها اية تنسخها وامرنا رسول الله صلعم وتمتعنا معه ومات ولم ينهنا عنه ثم قال رجل برايه ما شاء يريد ان عمر نهى عنها وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي عليه السلام انه قال لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي حجة الجمهور على حرمة المتعة ان الوطء لا يحل الا في الزوجة او المملوكة لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وهذه المراة ليست بمملوكة ولا بزوجة والا لحصل التوارث ولثبت النسب ولوجبت العدة عليها بالاشهر والتوالي باطلة باسرها وروي ان عمر انه نهى عن المتعة بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه احد فلو سكتوا لعلمهم بحرمتها فذاك ولو سكتوا لجهلهم بحلها وحرمتها فمحال عادة لشدة احتياجهم الى البحث عن امور النكاح ولو سكتوا مع علمهم بحلها فلخفاء الحق مداهنة وكفر وبدعة فذلك محال منهم وما روي عن عمر انه قال لا اوتى برجل نكح امراة الى اجل الا رجمته ثم ان الصحابة لم ينكروا عليه مع ان الرجم لا يجوز في المتعة فلعله ذكر ذلك على سبيل التهديد والسياسة ومثل ذلك جائز للامام عند المصلحة الا ترى انه قال صلى الله عليه وسلم من منع منا الزكوة فانا آخذوها منه وشطر ماله مع ان اخذ شطر المال من مانعي الزكوة غير جائز الا للسياسة وروى الواحدي في البسيط عن مالك عن الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن ابيهما عن علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء وعن اكل لحوم الحمر الاهلية قال وروى الربيع بن سبرة الجهني قال غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو قائم بين الركن والمقام مسند ظهره الى الكعبة يقول يا ايها الناس اني امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا وان الله قد حرمها عليكم الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تاخذوا مما آتيتموهن شيئا القائلون باباحة المتعة قالوا الابتغاء بالاموال يتناول الاستمتاع بالمراة على سبيل التابيد وعلى سبيل التوقيت بل الاية مقصورة على نكاح المتعة لما روي ان ابي بن كعب كان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فآتوهن اجورهن وبه قرا ابن عباس ايضا والصحابة ما انكروا عليهما فكان اجماعا وايضا امر بايتاء الاجور لمجرد الاستمتاع اي التلذذ وهذا في المتعة واما في النكاح المطلق فيلزم الاجر بالعقد وايضا قال في اول السورة فانكحوا فناسب ان تحمل هذه الاية على نكاح المتعة لئلا يلزم التكرار في سورة واحدة والحمل على حكم جديد اولى ومما يدل على ثبوت المتعة ما جاء في الروايات ان النبي صلعم نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر وفي اكثر الروايات انه صلى الله عليه وسلم اباح المتعة في حجة الوداع وفي يوم الفتح وذلك ان اصحابه شكوا اليه طول العزوبة فقال استمتعوا من هذه النساء وقول من قال انه حصل التحليل مرارا والنسخ مرارا ضعيف لم يقل به احد من المعتبرين الا الذين ارادوا ازالة التناقض عن هذه الروايات ونهي عمر يدل على انه كان ثابتا في عهد الرسول صلعم وما كان ثابتا في عهده لم يمكن نسخه بقول عمر كما اشار اليه عمران بن الحصين واجيب بان المراد من قول عمر انا انهى عنه انه قد ثبت عندي نسخها في زمان الرسول صلعم وقد سلموا له ذلك وكان اجماعا ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة الذين حملوا الاية على بيان حكم النكاح قالوا المراد انه اذا كان المهر مقدارا معينا فلا حرج في ان تحط عنه شيئا او تبرئه عنه بالكلية كقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال الزجاج لا اثم عليكم في ان تهب المراة للزوج مهرها او يهب الزوج للمراة تمام المهر اذا طلقها قبل الدخول قال ابو حنيفة الحاق الزيادة بالصداق جائز لان التراضي قد يقع على الزيادة وقد يقع على النقصان وهي ثابتة ان دخل بها او مات منها اما اذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة وكان لها نصف المهر المسمى في العقد وقال الشافعي الزيادة هبة فان قبضها ملكه بالقبض وان لم يقبضها بطلت والدليل على بطلان هذه الزيادة انها

لو التحقت بالاصل فاما ان يرفع العقد الاول ويحدث عقداً ثانيا وهو باطل بالاجماع واما ان يحصل عقداً مع بقاء العقد الاول وهو تحصيل الحاصل والذين حملوا الاية علي حكم المتعة قالوا المراد انه ليس للرجل سبيل على المراة بعد الفريضة وهي المقدار المفروض من الاجر والاجل فان قال لها زيدي في الايام وازيد في الاجر فهي بالخيار ان الله كان عليما حكيما لا يشرع الاحكام الاعلي وفق الحكمة والصواب ثم وسع الامر علي عباده فقال ومن لم يستطع منكم طولا فضلا في المال وسعة ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان وان ينكح متعلق بطولا يقال طال على الامر اذا علاه فتمكن من فعله والمحصنات ههنا الحرائر والمعنى ومن لم يقدر علي نكاح الحرة فلينكح من الاماء التي ملكتها ايمانكم قال ابن عباس يريد جارية اخيك فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج جارية نفسه والفتيات المملوكات تقول العرب للامة فتاة وللعبد فتى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي ولكن ليقل فتاي وفتاتي قال الشافعي الله تعالى شرط في نكاح الاماء ثلاث شرائط اثنان في الناكح الاولى فقد طول الحرة وهو عبارة عن عدم ما ينكح به الحرة كما يقول الرجل لا استطيع ان احج اذا كان لا يجد ما يحج به وان لم يكن كذلك لم يجز له ان يتزوج بالامة لان العادة في الاماء تخفيف مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة ساداتهن والثانية خشية العنت كما يجي في اخر الاية والثالثة في المنكوحة وهو ان تكون الامة مسلمة ومع ذلك تكون مومنة لا كافرة لقوله من فتياتكم المومنات فالقيد الاول مستفاد من قوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين والقيد الثاني من وصف المومنات اما فائدة القيد الاول فهي ان الولد تابع للام في الحرية والرق وحينئذ يتعلق الولد بالرق على ملك الكافر الا ان هذا القيد الغاه اكثر الائمة لان الولد اذا رق للكافر بيع عليه في الحال واما فائدة القيد الثاني فالحذر من اجتماع النقصانين الكفر والرق وهذا قول مجاهد وسعيد والحسن ومذهب مالك والشافعي اما ابو حنيفة فانه يقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة وذلك انه يحمل النكاح في الاية علي الوطي ويقول المراد من لم يملك فراش الحرة فله ان ينكح امة ثم الامة لو كانت كتابية جاز له نكاحها ولكن نكاح الامة المومنة افضل فحمل التقييد في الاية علي الفضل لا علي الوجوب وقياسا علي جواز نكاح الحرة الكتابية بالاجماع مع وصف الحرائر ايضا بالمومنات واجيب بالفرق وهو اجتماع النقصانين ومن الناس من قال لا يجوز التزوج بالكتابيات البتة ولان الامة خراجة ولاجة فربما تعودت بسبب ذلك الفجور والخبث ولان المولى عليها من حق الاستخدام فلا يخلص لخدمة الزوج ولان السيد قد يبيعها فيصير مطلقة عند من يصير ذلك ولان مهرها ملك لمولاها فلا يقدر على هبة مهرها منه ولا على ابرائه والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله اعلم بما في الصدور بعضكم من بعض كلكم اولاد ادم فلا يتداخلكم انفة من التزوج بالاماء عند الضرورة وكلكم مشتركون في الايمان وهو اعظم المقاصد فاذا حصل الاشتراك فيه فما وراءه غير ملتفت اليه وفيه تنبيه علي ما كانوا عليه في الجاهلية من التفخر بالانساب والاحساب وتانيس نكاح الاماء اذا كن مومنات ثم شرح كيفية هذا النكاح فقال فانكحوهن باذن اهلهن فلذلك اتفقوا علي ان نكاح الامة بدون اذن سيدها باطل لان نكاحهن غير واجب فيتوجه الامر الى اشتراط الاذن ولان التزوج بها يعطل علي السيد اكثر منافعها فوجب ان لا يجوز الا باذنه ولفظ القران مقتصر على الامة واما العبد فقد ثبت ذلك في حقه بالحديث روى جابر عن النبي صلعم اذا تزوج العبد بغير اذن سيده فهو عاهر واستدل الشافعي بالاية على ان المراة البالغة العاقلة لا يصح نكاحها الا باذن الولي لان قوله فانكحوهن الضمير فيه يعود الى الاماء والاماء ذات موصوفة بصفة الرق وصفة الرق صفة زائلة والاشارة الى ذات موصوفة بصفة عرضية زائلة يبقى بعد زوال تلك الصفة بدليل انه لو حلف لا يتكلم مع هذا الشاب فصار شيخا ثم تكلم معه يحنث في يمينه فعند زوال الرق عنها وهي حرة بالغة عاقلة يتوقف جواز نكاحها علي اذن وليها واذا ثبت الحكم في هذه الصورة ثبت في سائر الصور ضرورة انه لا قائل بالفرق واعترض علي قول الشافعي بان ظاهر الاية تدل علي الاكتفاء بحصول اذن اهلها وعنده لا يجوز للمراة ان تزوج امتها واجيب بان المراد بالاذن بالرضا وعندنا ان رضى المولى لا بد منه فاما انه كاف فليس في الاية دليل عليه وايضا ان اهلهن عبارة عمن يقدر على انكاحهن وهو المولى ان كان رجلا او ولي المولى ان كانت امراة سلمنا ان الاهل هو المولى لكنه عام يخصصه قوله صلعم العاهر هي التي تنكح نفسها اذ يلزمها ان لا يكون لها عبارة في نكاح مملوكها فكيف ان لا قائل بالفرق قلت الانصاف ان استدلال الشافعي لا يتم وللقائل ان يقول لا نسلم ان صفة الرق للامة عرضية من حيث

انه امة وان سلمنا ذلك فلا نسلم ان الاشارة الي ذات الامة في الاية يبقى بعد زوال صفة الرق وكونها مثل قول القائل لا اكلم هذا الشاب ممنوع فمن المعلوم عرفا ان المراد به ذات الشاب من حيث هو ولكنه كقول الحالف لا اكلم شابا فحينئذ لو كلمه بعد ان زاد شبابا حنث فاذا صار شيخا ثم كلمه لم يحنث واتوهن اجورهن اي مهورهن وفيه دلالة على وجوب مهرها سمي لها المهر ام لم يسم وفي قوله بالمعروف دلالة على انه مبني على الاجتهاد وغلب الظن في المعتاد المتعارف وهو مهر المثل والمراد بغير مطل واضرار واحوجاج الي الاقتضاء وقيل الاجور النفقة عليهن لان المهر مقدر فلا معنى للاشتراط المعروف فيه فكانه تعالى بين ان كونها امة لا يقدح في وجوب نفقتها وكفايتها كما في حق الحرة اذا حصلت التخلية من المولى بينه وبينها على العادة وعن بعض اصحاب مالك ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها وان المولى اذا اجرها للخدمة كان هو المستحق للاجرة دونها واحتجوا في المهر بظاهر قوله واتوهن اجورهن واما الجمهور فعلى ان مهرها لمولاها لانه تعالى ضرب المثل عبداً مملوكا لا يقدر على شي وهذا ينفي كون المملوك مالكا لشي اصلا ولان منافعها كانت مملوكة للسيد وقد اباحها للزوج بعقد النكاح فوجب ان يستحق بدلها اما ظاهر الاية فلو حملنا لفظ الاجور على النفقة فلا اشكال ولو حملناه علي المهر فالجواب انها ثمن ابضاعهن فلذلك اضاف الاجور اليهن وليس في قوله فاتوهن ما يوجب كون المهر ملكا لهن وهب ان المهر ملكهن ولكنه صلى الله عليه وسلم قال العبد وما ملكه لمولاه او المراد واتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات قال ابن عباس اي عفائف وهو حال من قوله فانكحوهن وظاهره يقتضي حرمة نكاح الزواني لكن الاكثرين على انه يجوز فالاية محمولة على الندب والاستحباب غير مسافحات قال المفسرون المسافحة هي التي تواجر نفسها اي رجل ارادها ومتخذة الخدن هي التي تقصد واحدا معينا وكان اهل الجاهلية يفصلون بين القسمين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم فلا جرم افردهما الله تعالى بالذكر تنصيصا على حرمتهما معا والاخدان جمع خدن كالاتراب جمع ترب والخدن الذي تخادنك اي تكون معك في كلام ظاهر وباطن يقع على الذكر والانثى فاذا احصن اي بالتزوج وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد او بالاسلام وهو قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي وكانه تعالى ذكر حال ايمانهن في النكاح في قوله من فتياتكم المومنات ثم ذكر في حكم ما يجب عليهن عند اتيانهن الفاحشة وفيها اشكال وهو ان المحصنات في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يريد بها الحرائر المتزوجات او الحرائر الابكار وعلى الاول يجب عليهن نصف الرجم وتنصيف الرجم محال وعلى الثاني يجب خمسون جلدة وهذا القدر واجب في زنا الامة محصنة كانت او لم تكن وقد علق ذلك في الاية بمجموع الامرين الاحصان والزنا والجواب انا نختار القسم الاول ويسقط الرجم عنهن بدليل العقل لان الرجم لا يتنصف اما الثاني فالمراد بيان تخفيف عذابهن وذلك ان حد الزنا يغلظ عند التزوج فهذه اذا زنت وقد تزوجت فحدها خمسون جلدة لا يزيد عليها فلان يكون قبل التزوج هذا القدر اولى واعلم ان الخوارج اتفقوا على انكار الرجم واحتجوا بان الاية تدل على ان عذاب الامة نصف عذاب الحرة المحصنة فلو كان على الحرة الرجم لزم تنصيف الرجم في حق الامة وهو محال والجواب ما مر ان المخصص في حق الامة دليل عقلي والفقهاء جعلوا لانه اصلا في نقصان حكم العبد عن حكم الحرة في غير الحد وان كان من الامور ما لا يجب ذلك فيه كالصلوة والصوم ونحوهما ذلك اشارة الي نكاح الاماء بالاتفاق لمن خشي العنت منكم وقد عرفت فيما سبق ان معناه الوقوع في امر شاق وللمفسرين ههنا قولان احدهما ان الشبق الشديد والغلمة العظيمة ربما يدعوه الي الزنا فيقع في الحد في الدنيا وفي العذاب الاليم في الاخرة والثاني ان الشبق قد يفضي الي الامراض الشديدة كاوجاع الوركين والظهر والوسواس وكاختناق الرحم للنسا والاول اليق ببيان القران عليه واكثر العلماء وان تصبروا اي صبركم عن نكاح الاماء بعد شرط المبيحة متعففين خير لكم لما فيه من المفاسد المذكورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور رحيم تاكيدا لما ذكرهن ان الاولى ترك النكاح الا انه اباحه لاحتياج المكلفين فهو من باب المغفرة والرحمة يريد الله ليبين لكم قيل اقيمت اللام مقام ان في قولك اريد ان تقوم وقيل زيدت اللام وقد دان وذلك لتاكيد ارادة التبيين كما زيدت في ابا لك لتاكيد اضافة الاب وقيل في الاية اضمار والاصل يريد الله انزال هذه الاحكام ليبين لكم دينكم وشرعكم وما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من كان قبلكم فقيل المراد ان كل ما يبين لنا من التحريم والتحليل في شان النسا فقد كان الحكم كذلك في جميع الشرائع والملل وقيل المراد ان الشرائع والتكاليف وان كانت مختلفة في نفسها

الا انها متفقة في باب المصالح وقيل المعنى سنن من كان قبلكم من اهل الحق لتقتدوا بهم ويتوب عليكم قال القاضي معناه
كما اراد ما نقص الطاعة فلاجرم بينهما ما ازاح الشبهة عنها كذلك يريد ان يتوب علينا ان وقع تقصير وتفريط لكننا
وفي الاية اشعار بانه تعالى هو الذي يخلق التوبة فينا ويرد عليه انه اذا اراد التوبة منا وجب ان تحصل التوبة لكلنا
وليس كذلك واجيب بان المراد التوبة في باب نكاح الامهات والبنات وساير المنهيات المذكورة في هذه الايات
وقد حصلت هذه التوبة وكذا الكلام في قوله والله يريد ان يتوب عليكم وقالت المعتزلة يريد ان تفعلوا ما تستوجبون
به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا عن الحق والقصد ميلا عظيما وقيل هم اليهود وقيل هم المجوس
كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة حرام عليكم
فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول ان يكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عليكم حلالا نكاح الامة وغيره من الرخص
وخلق الانسان ضعيفا فلضعفه خفف تكليفه ولم يثقل ما ضعف خلقته بالنسبة الى كثير من المخلوقات بل الحيوانات
كما هو ولهذا اشتد احتياجه الى التعاون والتزوج والاغذية والادوية والمساكن والملابس والذخاير والمعاملات
الى غير ذلك من الضرورات واما ضعف عزايمه ودواعيه اظهر ولهذا لا يصبر على مشاق الطاعات وعن الشهوات
ولاسيما عن النساء عن سعيد ابن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة
وذهبت احدى عيني وانا اعشوا بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي النساء عن ابن عباس ثماني ايات في سورة النساء هي
خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان
تجتنبوا كباير ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم
اللهم لا تحرمنا مواعيدك انك لا تخلف الميعاد ثم انه لما ذكر ابتغاء النكاح بالاموال وامر بايتاء المهور والنفقات بين عقيبه
ذلك انه كيف يتصرف في الاموال فقال يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لا يبيحه الشرع لوجه وقد
مر تفسيره في البقرة وفي قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وقد سبق مثله
في اخر البقرة وخص التجارة بالذكر وان كان غير ذلك من الاموال المستفادة بنحو الهبة والارث واخذ الصدقات والمهور
وارش الجنايات حلالا لان اكثر اسباب الرزق يتعلق بالتجارة ويدخل تحت هذا النهي اكل مال الغير بالباطل واكل مال نفسه
بالباطل كما ان قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم يدل على النهي عن قتل غيره وعن قتل نفسه قال ابو حنيفة النهي عن معاملات
لا يدل على البطلان وقال الشافعي يدل لان الوكيل اذا تصرف على خلاف قول المالك فذاك غير منعقد بالاجماع فالتصرف
على خلاف قول المالك الحقيقي وهو الله سبحانه اولى ان يكون باطلا واي فرق بين قوله لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين وبين
قوله ولا تبيعوا الحر واذا كان الثاني غير منعقد بالاتفاق فكذا الاول وقال ابو حنيفة خيار المجلس غير ثابت في عقود
المعاوضات المحضة لان التراضي المذكور في الاية قد حصل وقال الشافعي لا شك ان هذا التراضي يقتضي الحل الا ان
نثبت بعد ذلك المنافي بعين الخيار لقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا ولا تقتلوا انفسكم
من كان من جنسكم المومنين لان المومنين كنفس واحدة ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعل بعض الجهلة حين ما يعرضه
غم او خوف او مرض شديد يرى قتل نفسه اسهل عليه عن الحسن البصري قال بنا جندب بن عبد الله ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كان رجل جراح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدي بنفسه فحرمت عليه الجنة وعن ابي هريرة قال شهدنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فقال لرجل ممن يدعي بالاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا
شديدا فاصابته جراحة فقيل له يا رسول الله الذي قلت له انفا انه من اهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات
فقال النبي صلعم الى النار فكاد بعض المسلمين ان يرتاب فبينما هو على ذلك اذ قيل له انه لم يمت ولكن به جراحا شديدة
فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبي صلعم فقال الله اكبر اشهد اني عبد الله ورسوله وعن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلعم من تردى في جبل فقتل نفسه يحذيها في يده يتوجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا ابدا
وعن عمرو بن العاص قال احتلمت في ليلة باردة في غزاة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت
ثم صليت باصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته بالذي
منعني من الاغتسال وقلت اني سمعت الله تعالى يقول ولا تقتلوا انفسكم فضحك رسول الله صلعم ولم يقل شيئا وقيل معنى الاية

لا تفعلوا ما تستحقون به القتل من القتل والردة والزنى بعد الاحصان ان الله كان بكم رحيما ولاجل رحمته نهاكم عما يضركم
عاجلا واجلا وقيل من رحمته انه لم يامركم بقتل انفسكم كما امر بني اسرائيل بذلك توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ومن يفعل
ذلك القتل عدوانا وظلما لا خطاء واقتصاصا هذا قول عطاء وقال الزجاج ذلك اشارة الى القتل والاكل بالباطل وعن
ابن عباس انه عايد الى كل ما نهى الله تعالى عنه من اول السورة فسوف نصليه نارا وتنكير النار للتعظيم او للنوع
وكان ذلك على الله يسيرا مثل على وفق المتعارف كقوله وهو اهون عليه والا فلا مانع له عن حكمه ولا منازع في ملكه
التاويل حرمت عليكم امهاتكم الاية كلها اشارة الى نهي التعلق ومنع التصرف في الامهات السفليات والمتولدات لذات
منها من الانسان وصفات الحيوان ان الله كان غفورا بانوار غفرانه ظلمات الصفات الانسانية التي تتولد
من تصرفات الحواس في المحسوسات عند الضرورات بالامر لا بالطبع رحيما بالمومنين فيما اضطرهم اليه من التصرفات
بقدر الحاجة الضرورية والمحصنات من النساء الدنيا التي تتصرف فيها العلويات الا ما ملكت ايمانكم باذن الله تعالى حيث
قال كلوا واشربوا ولا تسرفوا محصنين حراير الدنيا وامانها غير مسافحين في الطلب سياه محجهكم فما استمتعتم به
منهن من الضروريات فاعطوا حقوق تلك الحظوظ بالطاعة والشكر والذكر ثم ان الله تعالى احب نزاهة قلب
المومن عن دنس حب الدنيا كما احب نزاهة فراشه فقال ومن لم يستطع اي من لم يقدر ان يستخرج عجوز الدنيا السالحة
بالسر عن تجعلها منكوحة وتحصنها بتصرف شرايع الاسلام بحيث لا يكون لها تصرف في قلبه بوجه ما فليتصرف في القدر
الذي ملكت يمينه قلبه من الدنيا ولم تملك قلبه لانها مامورة لها بالخدمة كما قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن
الله تعالى يا دنيا اخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك محصنات بالصدق والاخلاص غير مسافحين بالتبذير
والاسراف ولا متخذات اخدان من النفس والهوى فاذا احصن بالاخلاص والعطا والاخذ والدفع فان اتين بفاحشة
هي غلبة شهوتها على القلب فليبدل نصف ما ملكت من الدنيا في الله جناية وعزا وهي حدها كما ان حد محض الدنيا
اذا احصنتها ذوو الطول من الرجال فاتت بفاحشة اهلاكها بالكلية في البذل في الله كما كان حال سليمان عليه السلام
اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد لما اشتغلته عن الصلوة واتت بفاحشة حب الخيل طفق مسحا بالسوق والا
عناق ذلك التصرف في قدر من الدنيا لمن خشي ضعف النفس وقلة صبرها على ترك الدنيا وامتثالها عن قبول
الاوامر والنواهي وان تصبروا عن التصرف في الدنيا بالكلية خير لكم كما قال عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر فتركها
خير والله يريد الله ان يخفف عنكم ثقل المعونة ولعزكم المونة قال ابراهيم اني ذاهب الى ربي واخبر عن حال موسى بقوله
ولما جاء موسى لميقاتنا وعن حال نبينا صلى الله عليه وسلم سبحان الذي اسرى بعبده وعن هذه الاية بقوله سنريهم
اياتنا فالمعونة هي الخدمة التي توازي الثقلين فلاجرم كان لغير نبينا الوصول الى السموات فقط وكان لنبينا الوصول الى قاب
قوسين او ادنى ولامته التقرب لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احببته والفرق بين النبي والولي ان النبي مستقل
بنفسه والولي لا يمكنه السير الا في متابعة النبي وتسليكه وخلق الانسان ضعيفا فلهذا اعين بالخدمة حتى تصل
بقوة ذلك الى مقام لا يصل اليه الثقلان بسعيهم الى الابد وضعفه بالنسبة الى جلال الله وكماله والا فهو اقوى في
حمل الامانة من ساير المخلوقات وايضا من ضعفه انه لا يصبر عن الله لحظة فانه يحبهم ويحبونه والصبر محمود في المواطن
كلها الا عليك فانه لا يحمد وكان ابو الحسن الخرقاني يقول لولا نفسا لم اتق وغير الانسان يصبر عن الله لعدم
المحبة ومن ضعفه انه لا يصبر مع الله عند غلبات سطوات التجلي كما انه صلى الله عليه وسلم كان يهان على قلبه
وكان يقول كلميني يا حميرا وكان الشبلي كان يقول لا معك قراري ولا منك بك البكاء ضعف الانسان سبب
كمال سعادته فقناعته بضعف بضعفه البهيمة وساعة يتنسم نسمات الملك وليس لغيره هذا الاستعداد فلهذا جاء
في الحديث الرباني انا ملك حي لا يموت ابدا فاطعني عبدي اجعلك ملكا حيا لا يموت ابدا الا ان تكون تجارة اي تجارة تنجيكم
من عذاب اليم الاية ولا تقتلوا انفسكم بصرف اموالكم في شهواتها فان ذلك سمها القاتل انه كان بكم رحيما اذ بين
لكم هذه الافات ودلكم على هذه التجارات ومن يفعل صرف المال الى الهوى تعديا عن امر الله وظلما على نفسه

ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا

كريما ۝ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء
نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان عليما ۝ ولكل
جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فاتوهم
نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا ۝ الرجال قوامون على النساء
بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات
حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن
في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان
عليا كبيرا ۝ وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها
ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا ۝ واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين
والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت
ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ۝ الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا ۝ والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ۝ وماذا عليهم لو آمنوا
بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ۝
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما ۝

بكل شيء م

القراءة بكفو ديد خلكم بياء الغيبة المفضل الباقون بالنون مدخلا بفتح الميم وكذلك في الحج ابو جعفر ونافع الباقون بالضم وسلوا بابه بما دخل عليه واو العطف او فاء بغير همز ابن كثير وعلي وخلف وسهله حمزة في الوقف عقدت من العقد عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون عاقدت من المعاقدة حفظ الله بالنصب الباقون بالرفع والجار بالامالة

ابراهيم

ابراهيم بن حماد وابن قتيبة ونصير وابو عمرو وحمزة في رواية سعدان وابي عمرو والبخاري عن ورش والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون المفضل الباقون بضمتين بالبخل بفتحتين حيث كان حمزة وعلي وخلف والمفضل عباس مخير الباقون بضم الباء وسكون الخاء حسنة بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع والباقون بالنصب يضعفها بالتشديد ابن كثير وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعفها بالالف **الوقوف** كريما على بعض مما اكتسبوا من فضله عليما والاقربون بناء على ان ما بعده مبتدأ ونصيبهم شهيدا من اموالهم لان ما تلوه مبتدأ بما حفظ الله واضربوهن لابتداء الشرط مع فاء التعقيب سبيلا كبيرا من اهلها لان ان للشرط مع اتحاد الكلام بينهما خبيرا وابن السبيل للعطف ايمانكم فخورا بناء على ان الذين بدل من المختص فضله مهينا لاحتمال ما بعده الاستئناف والعطف باليوم الآخر وان جعل الذين مبتدأ او لان خبره محذوف اي فاولئك قرينهم الشيطان قرينا رزقهم الله عليما ذرة لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى اي لا يظلم بنقص الثواب ومع ذلك يضاعف عظيما **التفسير** هذا كالتفصيل للوعيد المتقدم ومن الناس من قال من جميع الذنوب والمعاصي كبائر يروى سعيد بن جبير عن ابن عباس كل شيء عصي الله فيه فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او منكرا القدر وضعف بان الذنوب لو كانت كلها كبائر لم يبق فرق بين ما يكفر باجتناب الكبائر بقوله تعالى وكل صغير وكبير مستطر وقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وبانه صلى الله عليه وسلم نص على ذنوب باعيانها انها كبائر وبقوله تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولا بد من فرق بين الفسوق والعصيان فالكبائر هي الفسوق والصغائر العصيان حجة ما يروى عن ابن عباس ان الذنب انما يكبر لعظم من عصي فيه وجلالته ولا شك ان الله تعالى غير متناهية وانه اجل الموجودات فيكون عصيانه كبيرا وعورض بانه ارحم الراحمين واغنى الاغنياء عن طاعات المطيعين فكل ذلك يوجب خفة الذنب وان سلم ان الذنوب كلها كبائر من حيث انها ذنوب ولكن بعضها اكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت واذا عرفت ان الذنوب بعضها صغائر وبعضها كبائر فالكبيرة تتميز عن الصغيرة بذاتها وباعتبار فاعلها ذهب الى كل واحد طائفة من الاولين من قال ويروى عن ابن عباس كل ما جاء في القرآن مقرونا بذكر الوعيد فهو كبيرة كالقتل المحرم والزنى واكل مال اليتيم وغير هادرنيف بانه لا ذنب الا وهو متعلق بالذم عاجلا والعقاب آجلا فيكون كل ذنب كبيرا وهو خلاف المفروض وعن ابن مسعود ان الكبائر ما نهى الله تعالى في الآيات المتقدمة وضعف بانه تعالى ذكر الكبائر في سائر السور ايضا فلا وجه للتخصيص وقيل كل عمد فهو كبيرة ورد بانه ان اراد بالعمد انه ليس بساه فاذا هاله فهو الذي نهى الله عنه فيكون كل ذنب كبيرا وقد ابطلناه وان اراد بالعمد ان يفعل المعصية مع العلم بانها معصية فلا يكون كفر اليهود والنصارى كبيرا وهو باطل بالاتفاق واما الذين يقولون الكبائر تمتاز عن الصغائر باعتبار فاعلها فوجهه ان لكل طاعة قدرا من الثواب ولكل معصية قدرا من العقاب فاذا اوجد للانسان طاعة ومعصية فالتعادل بين الاستحقاقين وان كان ممكنا بحسب العقل الا انه غير ممكن بحسب السمع والا لم يكن مثل ذلك المكلف لا في الجنة ولا في النار وقال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير فلا بد من ترجيح احدهما فيلزم حينئذ الاحباط والتكفير والحق في هذه المسئلة وعليه الاكثرون بعد ما ثبت من اثبات قسمة الذنب الى الكبير والصغير انه تعالى لم يميز جملة الكبائر عن جملة الصغائر لما بين في هذه الآية ان الاجتناب عن الكبائر يوجب تكفير الصغائر فلو عرف المكلف جميع الكبائر اجتنبها فقط واجترأ على الاقدام على الصغائر اما اذا عرف انه لا ذنب الا ويجوز كونه كبيرا صار هذا المعنى زاجرا له عن الذنوب كلها ونظير هذا في الشرع اخفاء ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في ساعات الجمعة ووقت الموت في جملة الاوقات هذا ولا مانع من ان يبين الشارع في بعض الذنوب انه كبيرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل اموال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وذكر عند ابن عباس انها سبعة فقال هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى السبعمائة وعن ابن عمر انه عد منها استحلال آمين بيت الحرام وشرب الخمر وعن ابن مسعود زيادة القنوط من رحمة الله والامن من مكره وفي بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم زيادة قول الزور وعقوق الوالدين والسرقة واما قول العلماء في الكبيرة فمنهم من قال هي التي توجب الحد وقيل هي التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص او كتاب او سنة وقيل

كل جريرة تؤذن بقلة اكتراث صاحبها بالدين وقيل لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار ويراد بالاصرار المداومة
على نوع واحد من الصغائر والاكثار منها وان لم يكن من نوع واحد احتج ابو القسم الكعبي بالاية على القطع بوعيد اهل الكبائر
لانها تدل على انه اذا لم يجتنب الكبائر لم يكفر عنه فالجواب ان استثناء نقيض المقدم لا ينتج ويؤيده قوله فان امن
بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته واداء الامانة واجب امنه او لم يامنه سلمنا ان الاية رجحنا الى قوله من لم يجتنب
الكبائر لم يكفر عنه سيئاته فغايته ان يكون عاما في باب الوعيد والجواب عنه هو الجواب عن سائر العمومات وهو
انه مشروط بعدم العفو عندنا كما انه مشروط عندكم بعدم التوبة ثم قالت المعتزلة عند اجتناب الكبائر يجب غفران
الصغائر وعندنا لا يجب على الله شيء بل كل ما يفعله فهو فضل واحسان ويدخل في الاجتناب عن الكبائر الاتيان
بالطاعات لان ترك الواجب ايضا كبيرة ويدخلكم مدخلا كريما من فتح الميم اراد مكان الدخول ومن ضمها اراد الادخال
ووصفه بالكرم اشعارا انه على وجه التعظيم بخلاف ادخال اهل النار الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم او هو
وصف باعتبار صاحبه ثم انه سبحانه لما امرهم بتهذيب اعمال الجوارح وهو ان يقدموا على اكل الاموال بالباطل
وعلى قتل الانفس حثهم على تهذيب الاخلاق بالباطن او نقول لما نهاهم عن الاكل والقتل ولم يتم ذلك الا بالرضا بالقضا
وتطييب القلب بالمقسوم المقدر قال جل وعز ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قالت المعتزلة التمني قول القائل
ليته كان وقال اهل السنة هو ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون ولهذا قالوا انه تعالى لما اراد من الكافر ان يؤمن مع علمه
بانه لا يؤمن كان متمنيا ثم مراتب السعادات اما نفسانية نظرية كالذكاء والحدس وحصول المعارف والحقائق او عملية
كالاخلاق الفاضلة واما بدنية كالصحة والجمال واما خارجية كحصول الاولاد النجباء وكثرة العشائر
والاصدقاء والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوبا للخلق حسن الذكر مطاع الامر فهذه مجامع السعادات وبعضها
محض عطاء الله تعالى وبعضها ما يظن انها كسبية وبالحقيقة كلها عطاء منه تعالى فانه لا ترجيح الدواعي وازالة
العوائق وتحصيل الموجبات وتوفيق الاسباب فلاي سبب يكون الجد والسعي مشتركا فيه والفوز بالبغية والظفر
بالمطلوب غير مشترك فيه اذا كان كذلك فالغاية في الحسد غير الاعتراض على مدبر الامور وكافل مصالح الجمهور
فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو خير له ولو كان خلافه لكان وبالا عليه كما قال ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض وفي الكلمات القدسية من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته
يوم القيمة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليخرج من ارضي وسمائي وليطلب
ربا سواي قال المحققون لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان وان كان هذا
غبطة لا حسدا بل ينبغي ان يقول اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي وعن الحسن لا يتمن
احد المال فلعله هلاكه في ذلك المال اما سبب النزول فعن مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله تغزو الرجال ولا
نغزو ولهم من الميراث ضعف ما لنا فنزلت وعن قتادة والسدي لما نزل قوله فللذكر مثل حظ الانثيين قال
الرجال نرجو ان نفضل على النساء في الاخرة كما فضلنا في الدنيا وقالت النساء نرجو ان يكون الوزر نصف ما على الرجال
وفي رواية قلن نحن احوج لانا ضعفاء وهم اقدر على طلب المعاش فنزلت وقيل اتت وافدة النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت رب الرجال ورب النساء واحد وانت الرسول الينا واليهم وابونا ادم وامنا حوا فما السبب في ان الله يذكر الرجال
ولا يذكرنا فنزلت الاية فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا فقال ان للحامل منكن اجر الصائم القائم واذا ضربها الطلق لم
يدر احد ما لها من الاجر فان ارضعت كان لها بكل مصة اجر احياء نفس للرجال نصيب مما اكتسبوا من نعيم الدنيا
وثواب الاخرة فينبغي ان يرضوا بما قسم لهم وكذا النساء او لكل فريق جزاء ما اكتسب من الطاعات فلا ينبغي
ان يضيعه بسبب الحسد المذموم والتخصيص لا تضيع مالك لتمني مال غيرك وللرجال نصيب مما اكتسبوا بسبب قيامهم
بالنفقة على النساء وللنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة ازواجهن والقيام بمصالح البيت واسالوا الله
من فضله فعنده من ذخائر الانعام ما لا ينفذه مطالب الانام ومن للتبعيض اي شيئا من خزائن كرمه وطوله ان الله
كان بكل شيء عليما فهو العالم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل وليفوض التفصيل اليه فان ذلك
اقرب الى الادب واوفق للطلب قوله تعالى ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون يمكن تفسيره بحيث يكون الوالدان

والاقربون

والاقربون وارثين وبحيث يكون موروثا منهما فالمعنى على الاول لكل احد جعلنا ورثة في تركته ثم كانه قيل ومن هؤلاء
الورثة فقيل هم الوالدان والاقربون فيحسن الوقف على قوله مما ترك وفيه ضمير كل واما على الثاني فاما ان يكون على الكلام
تقديم وتاخير اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي اي ورثة واما ان يكون جعلنا موالي صفة لكل بل
المحذوف والعائد محذوف وكذا المبتدا والتقدير ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون كما يقول لكل من خلقه
الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله والمولى لفظ مشترك بين معان منها المعتق لانه ولي نعمة في عتقه ومنها
العبد المعتق لاتصال ولاية مولاه في انعامه عليه وهذا كما يسمى الطالب غريما لان له اللزوم والمطالبة بحقه ويسمى المطلوب
غريما لكون الدين لازما له ومنها الحليف لان المحالف يلي امره بعقد اليمين ومنها ابن العم لانه يليه بالنصرة ومنها المولى
الناصر قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم ومنها العصبة وهو المراد في الاية اذ هو الاليق بها
كقوله صلى الله عليه وسلم انا اولى بالمؤمنين من مات وترك مالا فماله للموالي اي العصبة ومن ترك كلا فانا وليه فاما قوله
والذين عاقدت ايمانكم فاما ان يكون مبتدا ضمن معنى الشرط فوقع قوله فاتوهم خبره واما ان يكون منصوبا على قولك
زيدا فاضربه ما توسط الفا بين الفعل ومفعوله مفسره ايذانا بتلازمهما واما ان يكون معطوفا على الوالدان والايمان جمع
اليمين اليد او الحلف ومن الناس من قال الاية منسوخة وذلك ان الرجل كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك
اي ما يهدر دونا يهدر ثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون
للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وبقوله يوصيكم الله وايضا
ان الواحد منهم كان يتخذ انسانا اجنبيا ابنا له وهم الادعيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يواخي بين كل رجلين منهم فكانوا يتوارثون بالتبني
والمواخاة فنسخ ومن المفسرين من زعم انها غير منسوخة وقوله والذين عطف على ما قبله والمعنى مما ترك الذين عاقدت
ايمانكم فله وارث اولى به فلا تدعوا المال الى الحليف بل الى الوارث فيكون الضمير في اتوهم للموالي قال ابو علي الجبائي
ان المراد بالذين عاقدت الزوج والزوجة والنكاح يسمى عقدا فذكر ميراث الزوج والزوجة بعد ميراث الولد والوالدين
كما في قوله يوصيكم الله قال ابو مسلم وقيل المراد الميراث الحاصل بسبب الولا وقيل هم الحلفا والمراد باتيانهم نصيبهم النصرة والنصيحة
والمصافاة وقال الاصم المراد التحفة بالشيء القليل كقوله واذا حضر القسمة وذهب جمهور الفقها الى انه لا يرث المولى
الاسفل من الاعلى وحكى الطحاوي عن الحسن بن زياد انه قال يرث لما قال ابن عباس ان رجلا اعتق عبدا له فمات
المعتق ولم يترك الا العتيق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه للغلام والحديث محمول عند الجمهور على ان المال صار لبيت المال
ثم دفعه النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلام لفقره وقال ابو حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا
ويتوارثا صح وورث بحق الموالاة وخالفه الشافعي فيه وحكى القطع ان هذه الموالاة لا تصح عند ابي حنيفة ايضا
الا بين العرب ومن العجم لرخاوة عقدهم في امورهم ان الله كان على كل شيء شهيدا لانه عالم بجميع الجزئيات والكليات
فيشهد على الخلق يوم القيمة بجميع ما عملوه وفيه وعيد للعاصين ووعد للطيعين هذا وقد مر ان النساء قد تكلمن
في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث ونحوه فذكر في هذه الاية ما يشتمل على بعض اسباب التفضيل فقال الرجال قوامون
يقال هذا قيم المراة وقوامها بناء مبالغة للذي يقوم بامر غيره ويهتم بحفظها كما يقوم الوالي على الرعية ومنه سمي الرجال
قواما والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا اي انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال
على بعض وهم النساء قيل وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وذكروا في فضل
الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبيا والعلما والحكما وفيهم
الامامة الكبرى وهي الخلافة والصغرى وهي الاقتدا بهم في الصلوة وانهم اهل الجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف
والشهادة في الحدود والقصاص بالاتفاق وفي الانكحة عند الشافعي وزيادة السهم في الميراث والتعصيب فيه
والحمالة وتحمل الدية في القتل الخطا والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب
وكل ذلك يدل على فضلهم وحاصلها يرجع الى العلم والقدرة وههنا سبب خارجي وذلك انهم فضلوا عليهن
بما انفقوا اي اخرجوا في نكاحهن من اموالهم مهورا عن مقاتل ان سعد بن الربيع وكان من نقباء الانصار نشزت
عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه وكانت قد نزلت اية القصاص فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي
صلعم هذا جبريل اتاني وانزل الله هذه الاية فقال النبي صلعم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص
ولهذا قال العلما لا قصاص بين الرجل وامراته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في
الجرح والقتل واما في اللطمة ونحوها فلا ثم قسم النساء قسمين ووصف الصالحات منهن بانهن قانتات مطيعات
لله او للزوج حافظات للغيب قايمات بحقوق الزوج في غيبته والغيب خلاف الشهادة ومن واجب حفظ غيبة الزوج
ان يحفظ نفسها عن الزنى لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ولئلا يلحق به الولد الحاصل من نطفة غيره وان تحفظ
اسراره عن الافشاء وماله عن الضياع ومنزلها عما لا ينبغي شرعا وعرفا عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النسا امراة
ان نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية وما في قوله بما حفظ الله
موصولة والعايد محذوف اي بالذي حفظه الله لهن اي عليهن اي يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقهن
على ازواجهم حيث امرهم بالعدل فيهن في قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان فقوله بما حفظ الله فيجري مجرى قولهم
هذا بذاك اي هذا في مقابلة ذاك او مصدرية والمعنى انها حافظات للغيب بحفظ الله اياهن فانه لا يتيسر لهن
حفظ الغيب الا بتوفيق الله او بما حفظهن اي وعدهن الثواب العظيم على انها الامانة واوعدهن العذاب الشديد
على الخيانة ومن قرا بما حفظ الله بالنصب فما ايضا موصولة اي الامر الذي يحفظ حق الله وامانته وهو التعفف
والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم او مصدرية اي بسبب حفظهن حدود الله واوامره فان المراة لولا انها
تحاول رعاية تكليف الله تجتهد في حفظ اوامره والا لما اطاعت زوجها ثم ذكر غير الصالحات منهن فقال واللاتي
تخافون نشوزهن عصيانهن والترفع عليكم بالخلاف من نشز الشيء ارتفع ومنه نشز للارض المرتفعة فعظوهن
وهو ان يقول لها اتقي الله وان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي عليك فرض ونحو ذلك قوله واهجروهن
في المضاجع اي في المراقد اي لا تدخلوهن تحت اللحف وقيل ان توليها ظهرها في المضجع وقيل في المضاجع اي بيوتهن
التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن ويدخل في ضمن الهجران الامتناع من كلامها ولكن ينبغي ان لا يزيد في هجر الكلام على ثلث
فاذا هجرها في المضجع فان كانت تحب الزوج يشق ذلك عليها فتترك النشوز وان كانت تبغضه وافقها ذلك
الهجران فكان ذلك دليلا على كمال نشوزها فيباح الضرب حينئذ وذلك قوله واضربوهن والاولى ترك الضرب لما روي
انه صلى الله عليه وسلم قال لا تضربوا اماء الله فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النسا على ازواجهن اي
اجترأن فرخص النبي صلعم في ضربهن فاطاف بال رسول الله صلعم نساء كثير يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد طاف بال محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اوليك بخياركم ومعناه ان الذين ضربوا ازواجهم ليسوا خيرا ممن
لم يضربوا واذا ضربها وجب ان لا يكون مفضيا الى الهلاك البتة بان يكون مفرقا على بدنها لا يوالي به في موضع واحد
ويتقي الوجه لانه مجمع المحاسن وان يكون دون الاربعين وقيل دون العشرين لانه حد كامل في شرب العبد ومنهم
من لا يرى الضرب بالسياط ولا بالعصى وبالجملة فالتخفيف مرعي في هذا الباب ولهذا قال علي ابن ابي طالب عليه السلام يعظها
بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم يتعظ بالضرب بعث الحكمين وقال اخرون
هذا الترتيب مرعي عند خوف النشوز فاما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالاذى والتوبيخ واجعلوا ما كان منهن كان
لم يكن ان الله كان عليا لا بالجهة كبيرا لا بالجثة فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على ازواجكم
وارقائكم روي ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله فصاح به ابا مسعود لله
اقدر منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام وفيه انه مع علو شانه وكبريا سلطانه تعصونه فيتوب عليكم فانتم احق
بالعفو اذا رجع الجاني عليكم او انه مع علوه وكبريايه لا يكلفكم الا ما تطيقون فكذلك لا تكلفوهن محبتكم فلعله لا
يقدرن على ذلك او انه مع علو شانه وكبريايه يكتفي من العبيد بالظواهر ولا يهتك السراير فانتم احرى بان لا تفتشوا
عما في قلبها من الحب والبغض اذا اصلح حالها في الظاهر او انهن ان ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم
فالله تعالى قادر قاهر ينتصف لهن منكم ثم بين انه ليس بعد الضرب الا الحكمين فقال وان خفتم قال ابن عباس اي علمتم

وذلك

وذلك لاصرارها على النشوز حيث لم يؤثر فيها الوعظ والهجران والضرب واعترض عليه الزجاج بانه اذا
علم الشقاق قطعا فلا حاجة الى الحكمين واجيب بان الشقاق معلوم الا انا لا نعلم ان سبب الشقاق منه او منها
فالحاجة الى الحكمين لهذا المعنى او نقول المراد امارة الشقاق في الاستقبال ومعنى شقاق بينهما شقاقا بينهما فاضيف
الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع وهو اجراء الظرف مجرى المفعول به او على جعل البين مشاقا مثل نهاره صايم والضمير
للزوجين يدل عليهما مساق الكلام او ذكر الرجال والنساء فابعثوا حكما من اهله رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح
بينهما ويهتدي الى المقصود من البعث ولا بد فيه من العقل والبلوغ والحرية والاسلام وينبغي ان يكون الحكمان
من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن احوالهما وتسكن اليهما نفوس الزوجين فيبرزان لهما ما في ضمايرهما من الحب
والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات كل من الامرين وينبغي ان يخلوا حكم الرجل بالرجل وحكم المراة بالمراة فيعرفان
ما عندهما وما فيه رغبتهما واذا اجتمعا لم يخف احدهما عن الاخر ما علم ثم المبعوثان وكيلان من جهة الزوجين او موليان
من جهة الحكام المخاطبين بقوله فابعثوا فيه للشافعي قولان اصحهما وبه قال ابو حنيفة واحمد انهما وكيلان لان البضع حق
الزوج والمال حق الزوجة وهما رشيدان والخطاب في قوله فان خفتم وفي فابعثوا الصالحي الامة لانه يجري مجرى دفع الضرر
فالكل واحد ان يقوم به وثانيهما وبه قال مالك انهما موليان لانه تعالى سماهما الحكمين ولما روي ان عليا عليه السلام بعث حكمين من
زوجين فقال اتدريان ما عليكما عليكما ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما وعلى الاول يوكل الرجل الذي هو من
اهله بالطلاق وبقبول العوض في الخلع والمراة الاخر ببذل العوض وقبول الطلاق ولا يجوز بعثهما الا برضاهما فان لم يرضيا
ولم يتفقا على شي ادب القاضي الظالم واستوفى حق المظلوم وعلى الثاني لا يشترط رضى الزوجين في بعث الحكمين
ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فيه اربعة اوجه ان يريد الحكمان خيرا يوفق الله بين الحكمين حتى يتفقا ما هو خير ان يريد
الزوجان اصلاحا ابدل الله الزوجين بالشقاق وفاقا ان يريد الحكمان اصلاحا يولف الله بين الزوجين ان يريد الزوجان خيرا
يوفق الله بين الحكمين حتى يتفق كلمتاهما ويحصل الغرض والتوفيق جعل الاسباب موافقة للغرض ولا يستعمل
الا في الخير والطاعة وفيه انه لا يتم شي من الاغراض الا بتوفيق الله تعالى وتنبيه ان الله كان عليما خبيرا فيوفق
بين المختلفين ويجمع بين المفترقين فيقتضي علمه وارادته وفيه وعيد للزوجين والحكمين في سلوك ما يخالف
طريق الحق ووعد على الحد في حسم مادة الخصومة والخشونة ثم ارشد لجوامع الاخلاق الحسنة بقوله واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيا فان من عبد الله واشرك به شيا اخر فقد حبط عمله وضل سعيه وبالوالدين احسانا
تقديره واحسنوا بهما احسانا يقال احسن بفلان والى فلان وبذي القربى واليتامى والمساكين وقد مر
تفسيرها في البقرة قال ابو بكر الرازي ان اضطر الى قتل ابيه بان يجاف ان يقتله ان ترك قتله جاز له ان يقتله في الحال
ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي بعد جواره عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من
لا يامن جاره بوايقه الاوان للجوار اربعين دارا وعن الزهري انه اراد اربعين من كل جانب وقيل الجار ذي القربى
والجار القريب النسب والجار الجنب الاجنبي والتركيب يدل على البعد ومنه الجانبان لبناحيتي والجنبان
لبعد كل منهما عن الاخر ومنه الجنابة لبعده عن الطهارة وعن حضور الجماعة والمسجد ما لم يغتسل ومن قرا
الجنب فمعناه الجار مثل خلق بمعنى مخلوق او المراد ذي الجنب فحذف المضاف والصاحب بالجنب وهو الذي حصل
بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او في
مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة اتفقت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة
الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المراة فانها تكون معك وتضطجع الى جنبك وابن السبيل المسافر الذي
انقطع الى بلده او الضيف وما ملكت ايمانكم عن علي ابن ابي طالب انه قال اخر كلام رسول الله صلعم الصلوة وما ملكت
ايمانكم وذكر اليمين تاكيد كما يقال مشيت برجلي والاحسان اليهم ان لا يكلفهم فوق طاقتهم ولا يوذيهم بالكلام
الخشن بل يعاشرهم معاشرة جميلة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يليق بحالهم في كل وقت وكانوا في الجاهلية يسيئون
الى المملوك فيكلفون الاماء البغاء وهو الكسب بفروجهن ويضعون على العبد الخراج الثقيل وقيل كل حيوان
فهو مملوك والاحسان الى كل نوع بما يليق بحاله طاعة عظيمة ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا اي تياها جهولا يتكبر

من اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه وعن الالتفات الي حالهم والنفقة لهم والحفي بهم ويانف من اقاربه اذا
كانوا فقرا ومن جيرانه اذا كانوا ضعفا واصله من الخيلاء الكبر والفخر المتطاول الذي يعد مناقبه وعن ابن
عباس هو الذي يفتخر علي عباد الله تعالى بما اعطاه من انواع نعمه ولعله حفظا يجري علي سبيل الخدوث بالنعم فقط الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل البخل في اللغة منع الاحسان وفي الشرع منع الواجب وفيه اربعة لغات البخل مثل
الفقر والبخل بضم الباء وسكون الخا وبضمها وفتحها وسبب النظم ان الاحسان الي الاصناف المذكورين انما يكون
الاغلب بالمال فذم المعرضين عن ذلك الاحسان لحب المال ويحتمل ان يشمل البخل بالعلم ايضا اي يبخلون بذات ايديهم وبما في
ايدي غيرهم مقتا للسخا وهذه نهاية البخل في امثالهم اجل من الضنين بما بيد غيره وقد عابهم بقوله ويكتمون ما اتيهم
الله من فضله اوما انهم من فضل الغني حتى ادعوا الفقر مع الغني والاعسار مع اليسار والعجز مع الامكان فخالفوا سنة
نبي الله حيث قال عليه السلام ان الله تعالى يحب ان يرى علي عبده اثر نعمته وبني عامل الرشيد قصرا هذا فقهه
فنم به عنده فقال الرجل يا امير المومنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الي اثار نعمتك فاعجبه
ثم ان هذا الكتمان قد يقع علي وجه يوجب الكفر مثل ان يظهر الشكاية من الله تعالى ولا يرضي بقضايه فلذلك قال واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا ويحتمل ان يراد كافر النعمة لا كافر الايمان وقال ابن عباس ان الاية في اليهود كانوا يانون
رجالا من الانصار يخالطونهم ويتنصحون لهم يقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر فلا تدرون ما يكون
وايضا انهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبينوها للناس ثم لما ذم الذين لا ينفقون اموالهم عطف
عليهم الذين ينفقون اموالهم ولكن رياء الناس وفخارا ليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وتمثل
هذا الانفاق دليل علي انهم لا يومنون بالله واليوم الاخر والا انفق لله وللاخرة ومن يكن الشيطان له قرينا
في الدنيا امرا بالبخل والخنا فساء قرينا في الاخرة يقرن به في النار ثم استفهم علي سبيل الانكار فقال وما
ذا عليهم اي تبعة ووبال عليهم او ما الذي عليهم في باب الايمان والانفاق في الاخرة والمراد التوبيخ والا فكل
منفعة في ذلك كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وكان الله بهم عليما بعث
علي اصلاح افعال القلوب التي تطلع عليها علام الغيوب وردع عن دواعي النفاق والريا والسمعة والفخار
احتج القايلون بان الايمان يصح علي سبيل التقليد بان قوله وماذا عليهم لو امنوا مشعر بان الاتيان بالايمان في غاية
السهولة والاستدلال في غاية الصعوبة واجيب بان الصعوبة في الايمان الاستدلالي التفصيلي لا الاجمالي وقال
جمهور المعتزلة لو كانوا غير قادرين لم يقل وماذا عليهم كما يقال للمراة ماذا عليها لو كانت رجلا وللقبيح ماذا عليه
لو كان جميلا واجيب بعدم التحسين والتقبيح العقليين وانه لا يسال عما يفعل ثم رغب في الايمان والطاعة فقال ان
الله لا يظلم مثقال ذرة والذرة والمثقال مفعال من الثقل كالميزان من الوزن والذرة النملة الصغيرة وعن ابن عباس
انه يدخل يده في التراب ثم رفعها ثم نفخ فيها ثم قال كل واحد من هذه الاشياء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة
ذرة وانتصاب مثقال علي انه مفعول ثان اي لا ينقص الناس مثقال ذرة او علي المصدر اي ظلما قدر مثقال ذرة والمراد
نفي الظلم راسا الا انه اخرج الكلام علي اصغر المتعارف وهذه الاية مما تمسك به المعتزلة في انه تعالى غير خالق
الاعمال العباد والا كان ظلمهم منسوبا اليه وفي ان العبد يستحق الثواب علي طاعته والا كان منعه عنه ظلما واجيب
بانه اذا كان متصرفا في ملكه كيف شاء فلا يتصور منه ظلم اصلا وقد يحتج الاصحاب ههنا علي صحة مذهبهم
في عدم الاحباط بان عقاب شرب قطرة من الخمر لو كان مزيلا لطاعات سبعين سنة كان ظلما وفي وعيد الفساق بان
عقاب شرب جرعة من الخمر لو كان دايما مخلدا لزم ابطال ايمان سبعين سنة ثم قال وان تك حسنة حذفت النون
من هذه الكلمة بعد سقوط الواو بالتقاء الساكنين لاجل التخفيف ولكثرة الاستعمال من قرا حسنة بالرفع فعلي كان التامة
ومن قرا بالنصب فالتانيث في ضمير المثقال لكونه مضافا الي مونث والمراد بالمضاعفة ليس هو المضاعفة بالمدة لان مدة
الثواب غير متناهية وتضعيف غير المتناهي محال بل المراد المضاعفة بحسب المقدار كان يستحق عشرة اجزاء من الثواب
فيجعل عشرين او ثلثين عن ابي مسعود انه قال يوتي بالعبد يوم القيمة وينادي مناد علي رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان
من كان له عليه حق فليات الي حقه ثم يقال له اعط هولاء حقوقهم فيقول يا رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله

للملايكة انظروا الي اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وادخله
الجنة بفضل رحمته ومصداق ذلك في كتاب الله وان تك حسنة يضاعفها قال الحسن الوعد بالمضاعفة احب
عند العلما مما لو قال في الحسنة الواحدة مائة الف حسنة لان هذا يكون مقداره معلوما اما علي هذه العبارة فلا يعلم كميته الا
الله تعالى وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم مومنا حسنة يثيب بها في الدنيا
ويجزي بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الي الاخرة لم يكن له حسنة يجزي بها
ويوت من لدنه اجرا عظيما فان لدن بمعنى عند الا ان لدن اكثر تمكنا يقول الرجل عندي مال وان كان المال ببلد
اخر ولا يقول لدي مال الا اذا كان بحضرته والمعتزلة حملوا المضاعفة علي القدر المستحق وهذا الثاني علي الفضل التابع
للاجر ويمكن ان يقال الاول اشارة الي السعادات الجسمانية والثاني اشارة الي اللذات الروحانية والله اعلم التاويل
جملة الكباير مندرجة تحت ثلاث احدها اتباع الهوى وينشا منه البدع والضلالات وطلب الشهوات وحظوظ
النفس بترك الطاعات وثانيها حب الدنيا ويتشعب منه القتل والظلم واكل الحرام وثالثها رؤية غير الله وهو الشرك
والريا والنفاق وغيرها ثم اخبر ان الذي ليس بالتمني فقال ولا تتمنوا فانه لا يحصل بالتمني ولكن بالرجال المجتهدين في الله نصيب
مما جدوا في طلبه وللنساء وهم الذين يطلبون من الله غير الله نصيب علي قدر همتهم في الطلب واسالوا الله من فضله فيه
معنيان سلوه من فضله الخاص وهو العلم اللدني وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما او سلوه منه ولا تسلوا
منه غيره ولكل جعلنا موالي ولكل طالب صادق جعلنا استعدادا في الازل للوراثة مما ترك الوالدان والاقربون طلبه لعدم الا
ستعداد والمشتبه والذي جرى بينكم وبينه عقد الاخوة في الله فاتوهم بالنصح وحسن التربية والتسليك نصيبهم الذي
قدر لهم الرجال قوامون علي النساء فالصالحات دينهن ودنياهن بتفضيل الله فهو استعداد الخلافة والوراثة وبما انفقوا من
اموالهم اي بتجريدهم عن الدنيا وتفريدهم للوصل فالصالحات التي يصلحن الكمال قانتات مطيعات لله لهن قلوب حافظات للطيف ات
الغيب بما حفظ الله عليهن حقايق الغيب واسراره واللاتي تخافون نشوزهن اذا دامت عليهن كؤوس الواردات
كما قيل فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من المدير فعظوهن باللسان واهجروهن بالهجران لتاديب السكران
واضربوهن بسوط الانفصال وفراق الاخوان كما كان حال الخضر مع موسى عليهما السلام حيث قال هذا فراق بيني و
بينك هذا قانون ارباب الكمال اذا اراد من اهل الارادة امارات ادعم بلة من غلبات الاحوال وان خفتم شقاق بين
الشيخ الواصل والمريد المتكامل فابعثوا متوسطين من المشايخ الكاملين ومن السالكين المعتبرين ان يريدا اصلاحا
بينهما بما راياه فيه يوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا من الدنيا والعقبى
استخلقوا باخلاق الله وتحسنوا الي الوالدين وغيرهما احسانا بلا شرك رياء وفخر وخيلاء والله اعلم

فَكَيْفَ اِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلٰى هٰؤُلَاۤءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ
يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوّٰى بِهِمُ الْاَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللّٰهَ
حَدِيثًا يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلٰوةَ وَاَنْتُمْ سُكَارٰى حَتّٰى تَعْلَمُوا
مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا اِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتّٰى تَغْتَسِلُوا وَاِنْ كُنْتُمْ مَرْضٰى اَوْ عَلٰى
سَفَرٍ اَوْ جَاۤءَ اَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَاۤئِطِ اَوْ لٰمَسْتُمُ النِّسَاۤءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاۤءً فَتَيَمَّمُوا
صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَاَيْدِيكُمْ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا
اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ اُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلٰلَةَ وَيُرِيدُونَ

ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع
غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا
واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا
يؤمنون الا قليلا يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم
من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب
السبت وكان امر الله مفعولا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما الم تر الى
الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف
يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا
هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن
الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس
نقيرا ام يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله فقد اتينا ال ابرهيم
الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما فمنهم من امن به ومنهم من
صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا
حكيما والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا

حزب

القراءة

۳۰۳

القراءة تسوى بادغام تاء التفعل في السين ابو جعفر ونافع وابن عامر تسوى بالامالة وحذف الياء الاولى علي وحمزة وخلف الباقون تسوى مبنيا للمفعول من التسوية لمستم من اللمس وكذلك في المائدة حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون لامستم من الملامسة فتيلا انظر بكسر التنوين لمستم من اللمس وكذا انظر بكسر النون ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن ذكوان الباقون بالضم وفرق بعضهم بين موضع الخفض فلم يجوز الضم كراهة الانتقال من الكسرة الى الضمة نحو متشابه انظروا برحمة ادخلوا وخبيثة اجتثت وعذاب اركض واشباه ذلك نضجت جلودهم وبابه مدغما علي وحمزة وخلف وهشام وابو عمرو

الوقوف شهيدا الارض حديثا تغتسلوا وايديكم غفورا السبيل باعدائكم نصيرا في الدين واقوم لا نضال لكن قليلا السبت مفعولا لمن يشاء عظيما يزكون انفسهم فتيلا الكذب مبينا سبيلا لعنهم الله نصيرا لا لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار نقيرا للعطف من فضله لتناهي الاستفهام مع تعقيب الفاء عظيما صد عنه سعيرا نارا العذاب حكيما ابدا مطهرة لاستيناف الفعل على انه من تمام المقصود ظليلا

التفسير انه سبحانه لما اوعد الظالمين بقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة ووعد المطيعين بقوله وان تك حسنة اراد ان يبين ان ذلك يجري بشهادة الرسل الذي جعلهم الله الحجة على الخلق ليكون الالزام اتم والتبكيت اعظم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود اقرأ القرآن علي قال فقلت يا رسول الله انت الذي علمتنيه فقال احب ان اسمعه من غيري قال ابن مسعود فافتتحت سورة النساء فلما انتهيت الى هذه الاية قال حسبك الان فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قال العلماء انه بكى فرحا لما شرفه الله تعالى بكرامة قبول الشهادة على الخلائق والمعنى كيف يصنع هؤلاء الذين شاهدتهم وعرفت احوالهم من رؤساء الكفرة كاليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا ثم وصف ذلك اليوم فقال يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول قيل نفس الجملة معترضة والمراد وقد عصوا والظاهر ان الواو للعطف وحينئذ فينبغي ان يكون عصيان الرسول مغايرا للكفر لان عطف الشيء على نفسه غير جائز فاما ان يخص الكفر بنوع منه وهو الكفر بالله او يقال انه علم وانه ذكر قسم من الاطلاق الشرف للرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيما لشان الجحود به او يحمل عصيان الرسول على المعاصي المغايرة للكفر فيكون في الاية دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع ومعنى لو تسوى لو تدفنوا فتسوى بهم الارض كما يسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء او يصير البهائم ترابا فيودون حالها كقوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اما قوله ولا يكتمون الله حديثا فاما ان يتصل بما قبله والواو للعطف اي يودون لو انطبقت عليهم الارض ولم يكونوا كتموا امر محمد ولا كفروا به ولا نافقوا او للحال والمراد ان المشركين لما رأوا يوم القيامة ان الله لا يغفر الا لاهل الاسلام دون اهل الشرك قالوا تعالوا فلنجحد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر الله لهم فحينئذ يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فهنالك يودون انهم كانوا ترابا ولم يكتموا الله حديثا واما ان يكون كلاما مستانفا فان ما عملوه ظاهر عند الله فكيف يقدرون على كتمانه وان قصدوه ادنى تمويه ثم اتبع وصف اليوم كيفية الصلوة التي هي سنام الطاعات واعظم المنجيات فقال يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وتقدم سبب نزولها في البقرة وفي لفظ الصلوة هيهنا قولان احدهما ان المراد منه المسجد وهو قول ابن عباس وابن مسعود والحسن واليه ذهب الشافعي وليس فيه الا حذف المضاف اي لا تقربوا موضع الصلوة وثانيهما وعليه الاكثرون ان المراد نفس الصلوة اي لا تصلوا اذا كنتم سكارى ومعنى الاية على القول الاول لا تقربوا المسجد في حالتين احدهما حالة السكر وذلك ان جماعة من الصحابة قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها ثم يأتون المسجد للصلوة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فنهوا عن ذلك لان الظاهر ان الانسان اذا اتى المسجد فانما ياتيه للصلوة ولا شك ان الصلوة فيها اقوال مخصوصة يمنع السكر منها وثانيتهما حالة الجنابة واستثنى من هذه الحالة حالة العبور اي الاجتياز في المسجد بان كان الطريق الى الماء فيه او كان الماء فيه او وقع الاحتلام فيه والمعنى على القول الثاني النهي عن الصلوة في الحالتين الاولى حالة السكر ايضا الا اذا علموا ما يقولون ومعناه بان الصلوة غشيانها والقيام اليها والثانية حال الجنابة ويستثنى منها حالة عبور السبيل ويراد به في هذا القول السفر اي لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر ونحو ان يكون الا عابري صفة لقوله جنبا اي لا تقربوها جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين وانما استثنى حالة المسافر لما يجيء من تفصيل منها وهو ان المسافر اذا اجنب ثم لم يجد الماء يتيمم وصلى مع الجنابة ويرد عليه بعد ان الجنب المقيم ايضا اذا عجز عن استعمال الماء لمرض او برد يجوز له التيمم والصلوة على الجنابة [illegible] فيقال ان

عذر السفر اعم واغلب فلهذا خص الذكر اولا وسكارى جمع سكران وقوله وانتم سكارى في محل النصب على
الحال ولهذا عطف عليه قوله ولا جنبا فالجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي
هو الاجناب وخالف الضحاك جمهور الصحابة والتابعين فقال ان السكر هاهنا يراد به غلبة النوم ويوافقه الاشتقاق فان
السكر عبارة عن سد الطريق ومنه سد السيل سد طريقه والسكر في الشراب هو ان ينقطع لما غلبه من المضار وحال
الصحو فعند النوم يمتلي مجاري الروح من الابخرة الغليظة فينسد تلك المجاري بها ولا ينفذ الروح الباصر والسامع الى الظاهر
البدن والجواب ان لفظ السكر حقيقة في السكر من الخمر والاصل في الاطلاق الحقيقة ومن استعمل مجازا فانما
استعمل مقيدا كقوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وايضا اجمع
المفسرون على انها نزلت في شرب الخمر وسبب النزول يمتنع ان يكون مرادا من الاية على قول الجمهور يمكن ادعاء النسخ
في الاية بانه انما نهى عن قربان الصلوة حال السكر ممدودا الى غاية ان يصير بحيث تعلم ما تقول والحكم الممدود الى غاية
يقتضي انتهاء ذلك الحكم عند تلك الغاية فهذا يقتضي جواز الصلوة مع السكر اذا كان بحيث يعلم ما يقول وجواز الصلوة
مع هذا السكر يوهم جواز هذا السكر لكنه تعالى حرم الخمر في الاية المائدة على الاطلاق فتكون ناسخة لبعض
مدلولات هذه الاية ومن قال ان مدلول الكلام يرجع عن النهي المحل بالفهم عن القرب من الصلوة وتخصيص الشيء بالذكر
لا يدل على نفي ما عداه فلا يكون منسوخا يؤكد به ان الصحابة لم يفهموا منه التحريم المطلق وكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا
صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون الى ان نزلت هذه الاية تعالى انما الخمر والميسر
والتحقيق فيه ان النهي عن مباح الاصل في وقت ما وبوجه ما دال لا يدل على تحريم به ولا على اباحته في غير ذلك الوقت
وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة بحكم الاصل فيغلب على الظن ذلك كما فهمته الصحابة ثم انه تعالى ذكر المعذورين
في حال الحدث خص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض
والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة والمعنى ان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن
الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك الذين هم على حالة السفر اذا عدموه لبعده ويحتمل ان يقال قوله فلم تجدوا ماء ليس
قيدا في حكم المرضى لانهم في الرخصة وان وجدوا ماء ثم عمم كل من وجب عليه التطهير واعوزه الماء لخوف سبع او عدو وعدم
آلة استقاء او اضطرار في مكان لا ماء فيه او غير ذلك من الاسباب التي لا تكثر كثرة المرض ويراد بالمرض ما يخاف
معه محذور لكبرد برد شديد فاحش ظاهر يقول طبيب مقبول الرواية لان تالم ولا يخاف روي ان بعض الصحابة
اصابته جنابة وكان به جراحة عظيمة فسال بعضهم فلم يفته بالتيمم فاغتسل فمات فسمع النبي صلعم فقال قتلوه قتلهم
الله وقال مالك وداود يجوز له التيمم بجميع انواع المرض وفي معنى المرض البرد المؤدي الى المرض لو استعمل الماء من حديث
عمرو بن العاص في تفسير قوله ولا تقتلوا انفسكم والسفر يعم الطويل والقصير اعني مسافة القصر وما دونها لاطلاق
قوله او على سفر والغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان كان الرجل اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا
من الارض يغيب فيه عن اعين الناس تكني به عن ذلك واكثر العلماء الحقوا بالغائط كل ما يخرج من السبيلين معتادا
او نادرا اما اللمس او الملامسة ففيه قولان احدهما ان المراد به التقاء البشرتين بجماع او بغيره كما هو مقتضى اللغة
وهو قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي واليه ذهب الشافعي وثانيهما المراد به الجماع وهو قول ابن عباس
والحسن ومجاهد وقتادة ومذهب ابي حنيفة والشيعة لما جاء في القران بطريق الكناية وان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا عن ابن عباس ان الله حيي كريم يعف ويكني فعبر عن المباشرة بالملامسة
وايضا ليشمل الاية الحدثين الاصغر والاكبر ثم على مذهب الشافعي كما ينقض اهل الظاهر انما ينتقض وضوء اللامس
دون الملموس بقوله او لمستم والصحيح انه ينتقض وضوءهما معا لاشتراك اللامس والملموس في ابتغاء اللذة قوله فلم تجدوا
ماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلوة وطلب الماء ولم يجده فتيمم وصلى ثم دخل وقت الصلوة الثانية وجب عليه
الطلب مرة اخرى لان عدم الماء لو جاز مستمر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب وقال ابو حنيفة لا يجب
بدليل قوله ولم يجد لا عنها ولا يسبق الطلب في حقه بحال واجيب بانه بنى الكلام على المجاز للمبالغة كانه طلب ليحل لم
يجده واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه احتاج اليه لعطشه او لعطش حيوان محترم معه جاز له التيمم ولو وجد

من الماء ما يكفيه فالاصح عند الائمة ان يستعمله ثم يضمه مع التيمم ليكون عاملا بظاهر الاية والتيمم في اللغة القصد
والصعيد التراب فعيل بمعنى فاعل وقال ثعلب والزجاج انه وجه الارض ترابا كان او غيره ومن هنا قال ابو حنيفة اذا
ضرب التراب عليه وضرب المتيمم عليه يده ومسح كان ذلك كافيا وقال الشافعي لا بد من تراب ليتحقق مفهوم
التصاعد فيه وليلتصق بيده فيمكنه المسح ببعضه كما جاء في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ولا يفهم من
قول القائل مسحت برأسه من الدهن الا معنى التبعيض ولان الصعيد يوصف بالطيب والطيب هو الذي يحتمل الانبات لقوله
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ولانه صلى الله عليه وسلم خصص التراب بهذا المعنى فقال جعلت لي الارض مسجدا
وترابها طهورا اما مسح الوجه واليد فعن علي عليه السلام وابن عباس اختصاص المسح بالجبهة وظاهر الكفين وقريب
منه مذهب مالك لان المسح مكتفى فيه باقل ما ينطلق عليه اسم المسح وقال الشافعي وابو حنيفة يستوعب الوجه واليدين
الى المرفقين كما في الوضوء وعن الزهري الى الآباط لان اليد حقيقة لهذا العضو الى الآباط ثم ختم الاية بقوله ان الله كان
عفوا غفورا وهو كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان عادته العفو عن المذنبين كان اولى بالترخيص
للعاجزين عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء
اوبذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلعم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء
فجاء ابو بكر ورسول الله صلعم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال احبست رسول الله صلعم والناس معه وليسوا على ماء
وليس معهم ماء فقالت فعاتبني ابو بكر فقال ما شاء الله ان يقول فجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان
رسول الله صلعم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فانزل الله اية التيمم فتيمموا
فقال اسيد بن حضير وهو احد النقباء ما هي باول بركتكم يا آل ابي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا
العقد تحته ثم انه سبحانه لما ذكر في اول السورة الى هاهنا احكاما كثيرة عدل الى ذكر طرف من اثار المتقدمين واحوالهم
لان الانتقال من اسلوب الى اسلوب مما يزيد السامع هزة وجدة فقال الم تر الى الذين اي الم ينته علمك ولم ينتقل الى
من اوتوا حظا من علم التورية وهم احبار اليهود وانما ادخل من التبعيضية لانهم عرفوا من التورية نبوة موسى ولم يعرفوا
منها نبوة محمد صلعم فاما الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه فقد وصفهم بان معهم علم الكتاب في قوله قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب لانهم عرفوا الامرين جميعا يشترون الضلالة يختارونها لان من اشترى
شيئا فقد آثره واختاره قال الزجاج والمراد تكذيبهم الرسول الله صلى الله عليه وسلم لاغراضهم الفاسدة من اخذ الرشى وحب الرياسة
وقيل المراد يستبدلون الضلالة وهي البقاء على اليهودية بالهدى وهو الاسلام بعد وضوح الآيات لهم على صحته ويريدون ان
تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه ولا اقبح من جمع بين هذين الامرين الضلال والاضلال عن ابن عباس ان الاية
نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه فيثبطهم عن الاسلام وقيل
المراد عوام اليهود كانوا يعطون احبارهم بعض اموالهم لينصروا اليهودية فكانهم اشتروا بما لهم الشبهة والضلالة والله
اعلم باعدائكم لانه عالم بكنه ما في صدورهم من الحنق والغيظ فاذا اطلعكم على احوالهم فلا تستنصحوهم بامركم واحذروا
وكفى بالله وليا متوليا لامور العبد وكفى بالله نصيرا فتثقوا بولايته ونصرته دونهم وكرر كفى ليكون اشد تأثيرا في
القلب واكثر مبالغة ومن يدعي الباء في الفاعل ابدا ان الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره فكان الباء للسببية
وقال ابن السراج التقدير كفى اكتفاؤك بالله وقيل فائدة الباء ومعنى الالصاق ان يعلم ان هذه الكفاية صدرت من
الله تعالى بغير واسطة وقوله من الذين هادوا اما بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله والله اعلم الى آخر
الاية معترضات بين البيان والمبين واما بيان لاعدائكم والجملتان بينهما معترضان واما صلة نصيرا كقوله ونصرناه
من القوم الذين كذبوا واما كلام مستانف على ان يحرفون صفة مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا قوم
يحرفون الكلم عن مواضعه قال الواحدي الكلم جمع حروفه اقل من حروف واحده وكل جمع يكون كذلك فانه يجوز
تذكيره ومعنى هذا التبديل اسناد العظمة لفظ مكان لفظ كوضعهم ادم طوي الامكان اسمر ربعة وجعلهم الحد بدل الرجم
واختير عن الله لالة على الامالة والازالة واما في المائدة فقيل من بعد مواضعه نظرا الى ان الكلم كانت له مواضع
هو فيمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له وقيل المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة والتاويلات

الفاسقة كما نفعله في زماننا اهل البدعة وجعل بعض العلماء هذا القول اصح لاستبعاد تحريف المشهور المتواتر لكن دعوى
المتواتر المشروطة في التورية ممنوعة وقيل كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويسألونه عن امر فيخبرهم به
فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه ومن جملة جهالاتهم انه صلى الله عليه وسلم كان اذا امرهم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا وفي
الباطن عصينا وكانوا يقولون كلا اللفظين ظاهرا اظهارا للعناد والتمرد والكفر والجحود ومنها قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم
اسمع غير مسمع وهو كلام ذو وجهين اما احتماله المدح فلقول العرب اسمع فلانا فلانا اذا سبه واذا كان المراد اسمع
غير مسمع مكروها كان او مدحا وتوقيرا ونصحا واما احتمال الذم فبان يكون اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو كان
اصم فانه لا يسمع فلا يسمع او بان يراد اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه اي غير مسمع جوابا يوافقك او بان يراد
اسمع غير مسمع كلاما ترتضيه وعلى هذا يجوز ان يكون غير مسمع مفعول اسمع لا حالا من ضميره اي اسمع كلاما
غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه ومنها قولهم صلى الله عليه وسلم راعنا وقد عرفت احتمالاته في البقرة وانما جاؤا
بقول المحتمل ذي الوجهين بعد تصريحهم بالعصيان لان المواجهة بالعصيان اهون خطبا في العرف من المواجهة بالسب
ودعاء السوء ولهذا كانت الكفرة يواجهونه بالاول دون الثاني ليا بالسنتهم مفعول لاجله او مصدر لمحذوف اي يلوون
لانه في معنى اللي ايضا واصله لويا فقلبت وادغمت والمعنى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث
يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما
يظهرونه من التوقير نفاقا او لعلهم كانوا يفتلون اشداقهم عند ذكر هذا الكلام سخرية وطعنا على عادة المستهزئين
فبين الله انهم انما يقدمون على هذه الاشياء طعنا في الدين وتنبيه بذلك على ما كانوا يقولونه فيما بينهم انما نشتمه
ولا يعرفه ولو كان نبيا لعرف باطنها فذلك عليه فانقلب ما جعلوه طعنا في الدين دلالة قاطعة على صحته لان الاخبار عن
الغيب معجز ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا بدل قولهم سمعنا وعصينا اذ وضح لهم الايات ونبه لديهم البينات
كرات بعد مرات واسمع دون ان يقال معه غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم
اعدل واسد من قولهم ثم رمح قويم اي مستقيم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي بسببه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم
بالله وبالتورية وببعض الانبياء دون سائر رسله او الا قليلا منهم امنوا لان فعيلا قد يراد به الجمع كقوله وحسن
اولئك رفيقا او اراد بالقلة العدم ثم زجرهم عن كفر الجحود والعناد بقوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب الاية والطمس
المحو يقال طريق طامس ومطموس ومفازة طامسة الاعلام وطمست الكتاب محوته وهي في الاية حقيقة او مجاز
فان كان المعنى على الاول نخطط صورها واشكالها من عين وحاجب وانف وفاء في فنردها على ادبارها اما للتسبيب
اي فنجعل الوجوه بسبب هذا الطمس على هيئة اقفائها مطموسة مثلها لان الوجه انما يتميز عن سائر الاعضاء بما فيه من
الحواس والتخاطيط فاذا ازيلت ومحيت لم يبق فرق بينها وبين القفا واما للتعقيب على ان العقوبة شيئان احدهما
عقيب الاخرى الطمس ثم نكس الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما يكون هذا عقوبة لما فيه من تشوية الخلقة
والمثلة والفضيحة كما في حق اهل النار وانا من اوتي كتابه وراء ظهره على ان وجوههم مردودة على قفائهم فيدرك
الكتابة ونقرؤا من هنالك واما المعنى على القول الثاني فعن الحسن نطمسها بالهدى ونردها بالجد لان على الادبار
اي على ضلالاتها ومثلها وذلك ان المتوجه الى عالم الحس معرض عن عالم العقل ويقتدى الاقبال على ذلك يحصل الادبار
عن هذا وقال عبد الرحمن بن زيد نرجع الى حيث جاءوا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني قريظة والنضير
والطمس على هذا اما تقبيح الوجه واما ازالة اثارهم عن ديار العرب وقيل الطمس القلب والتغيير والمراد بالوجوه
رؤساهم ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم
والضمير في قوله او نلعنهم اما للوجوه ان اريد بها الوجهاء واما لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم
او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات فان قيل واين وقوع الوعيد فالجواب انه مشروط بعدم ايمان
جميعهم ولكنه قد امن ناس من علمائهم كعبد الله بن سلام واصحابه حكي انه لما نزلت هذه الاية اتى عبد الله بن
سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول
وجهي في قفائي وايضا انه ما جعل الوعيد هو الطمس بعينه بل اياه او اللعن فان كان الطمس تبديل احوال

واجلاءهم

واجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان واللعن الوعيد
ظاهره اللعن المتعارف لا المسخ وقيل هو مستنظر ولهذا قيل وجوها منكرة دون وجوهكم ليشمل وجوها غير المخاطبين من ابناء
جنسهم ولابد من مسخ وطمس لليهود قبل يوم القيمة وقيل ان قوله امنوا تكليف متوجه عليهم في جميع مدة حياتهم
فلزم ان يكون قوله قبل ان نطمس وجوها واقعا في الاخرة والتقدير امنوا من قبل ان يجيء الوقت الذي يطمس فيه وجوهكم
وهو بعد الموت وكان امر الله مفعولا لانه لا راد لحكمه ولا يتعذر عليه شيء يريد ان يفعله وهذا كما يقال في الشيء الذي
يشك في حصوله هذا الامر مفعول وان لم يفعل بعد فاذا حكم بانزال العذاب على قوم فعل ذلك البتة فالمراد بالامر الشان
والفعل الذي تعلقت ارادته به لا الامر الذي هو احد اقسام الكلام فلا يصح استدلال الجبائي بالاية على ان كلامه تعالى
مفعول اي مخلوق ثم بين ان مثل هذا التهديد من خواص الشرك والكفر فقال ان الله لا يغفر وفي الاية دلالة على ان
اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع لاتصالها بقصتهم ولانها دلت على ان ما سوى الشرك مغفور واليهودية غير
مغفورة بالاجماع ومن هنا قال الشافعي المسلم لا يقتل بالذمي لان الذمي مشرك والمشرك مباح الدم ومباح الدم هو الذي لا يجب
القصاص عن قاتله ولا يتوجه النهي بقتله ترك العمل بهذا الدليل في النهي فيبقى معمولا به في سقوط القصاص عن قاتله
واستدلت الاشاعرة بالاية على غفران صاحب الكبيرة قبل التوبة لان ما دون الشرك يشمله والمعتزلة خصصوا الثاني
بمن تاب كما ان الاول مخصص بالاجماع عن لم يتب قالوا ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار
لمن يشاء هذه والمشية تكون قيدا في الفعلين المنفي والمثبت جميعا لانه ان شاء لم يتب المشرك فلا يترتب عليه
الغفران وان شاء تاب صاحب الكبيرة فيستوجب الغفران وروى الواحدي في البسيط باسناده عن ابن عمر قال كنا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية
فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس بمحضر عمر اني لارجو كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب
فسكت عمر وعن ابن عباس لما قتل وحشي حمزة يوم احد وكانوا قد وعدوه الاعتاق ان هو فعل ذلك ثم انهم لم يفوا
بذلك ندم هو واصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ندمهم وانه لا يمنعهم من الدخول الى الاسلام الا قوله والذين
لا يدعون مع الله الها اخر فقالوا قد ارتكبنا كل ما في الاية فنزل له قوله الا من تاب وامن وعمل صالحا فقالوا هذا شرط شديد
نخاف ان لا نقوم به فنزل ان الله لا يغفر ان يشرك به فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته فنزل قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا فدخلوا عند ذلك في الاسلام ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما لانه ادعى ما لا يصح كونه
عن ابن عباس في رواية الكلبي ان قوما من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلعم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء ذنب فقال
لا فقالوا والله نحن كهيئتهم ما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار وما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وكانوا يقولون نحن ابناء الله
واحباؤه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فنزل فيهم الم تر الى الذين يزكون انفسهم ويدخل فيه كل من زكى
نفسه ووصفها بزكاء العمل وقبول الطاعة والزلفى عند الله بل الله يزكي من يشاء وان تزكيته هي التي يعتد بها كما
اخبر عنه رسول الله صلعم بقوله والله اني لامين في السماء امين في الارض وكفى باظهار المعجزات على يده تزكية له
وتصديقا لقوله ولا يظلمون فتيلا قدر ما يفتل بين اصبعيك من الوسخ فعيل بمعنى مفعول ابن السكيت هو ما كان
في شق النواة والضمير للذين يزكون اي يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او لمن يشاء اي يثابون على زكاتهم
من غير نقص شيء من ثوابهم ثم عجب النبي صلى الله عليه وسلم من فريتهم وادعائهم كانهم ومكانتهم عند الله فقال
انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اي بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر اثامهم قيل العشرون خرج كعب
بن الاشرف وحيي بن الاخطب في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول
الله صلعم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على ابي سفيان
والاخرون في دور قريش فقال لهم اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن ان يكون هذا مكرا منكم فان
اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وامنوا بهما فذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لاهل مكة
ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا الى الكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد صلعم ففعلوا ذلك
فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا واقرب الى الحق

اعني ام محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن نحجج نسقي الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف
ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم ودين
القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما هو عليه فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يعني كعبا واصحابه فلما رجعا الى قومهما قال محمد ابن عم انه قد نزل فيكما كذا وكذا قالا صدقت والله ما حملنا على
ذلك الا بغضه وحسده وقد مر معنى الطاغوت في تفسير اية الكرسي واما الجبت ففي الصحاح انه كلمة تقع على الصنم والكاهن
والساحر ونحو ذلك وليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي وحكى القفال
عن بعضهم انه اصله جبس فابدل السين تاء والجبس هو الخبيث وقال الكلبي الجبت في الاية هو حيي بن اخطب والطاغوت
كعب بن الاشرف وكانت اليهود يرجعان اليهما فسميا بهذين الاسمين لسعيهما في اغواء الناس واضلالهم فلاجرم جازاهم
الله بقوله اولئك الذين لعنهم الله وبالخزي اذ جعلوا من هو اضل من النعام واقل من الانعام حيث رضوا بمعبودية الاصنام
اهدى سبيلا وافضل حالا من الذين هم اشرف الانام لاختيارهم دين الاسلام الذي هو عبادة ذي الجلال والاكرام ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيرا وعيد لهم بلزوم الابعاد والطرد ولصوق العار والصغار ووعد للنبي والمؤمنين بالاستيلاء
والاستعلاء عليهم الى يوم القيمة والخطاب في فلن تجد للنبي او لكل طالب بغرض ثم لما وصفهم بالضلال والاضلال وصفهم
بالبخل والحسد الذين هما اخس الخصال لان البخيل يمنع ما اوتي من النعمة والحاسد يتمنى ان يزول عن الغير ما اوتي من الفضيلة
ام قيل انها متصلة وقد سبقها استفهام في المعنى كانه لما حكى قولهم للمشركين انهم اهدى سبيلا من المؤمنين قال اامن
ذلك يتعجب ام من قولهم لهم نصيب من الملك مع انهم لو كان لهم ملك لبخلوا باقل القليل وقيل الميم زائدة والتقدير
الهم نصيب والاصح انها منقطعة كانه لما تم الكلام الاول قال بل لهم نصيب من الملك ومعنى الاية انهم كانوا يقولون نحن
اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فابطل الله عليهم قولهم وقيل كانوا يزعمون ان الملك يعود اليهم في اخر الزمان
فيخرج من اليهود من يجدد ملكهم ودينهم فكذبهم الله وقيل اراد بالملك التمليك يعني انما يقدرون على دفع
النبي لو كان التمليك اليهم ولو كان التمليك اليهم لبخلوا بالنقير والقطمير فكيف يقدرون على النفي والاثبات وقال
ابو بكر الاصم كانوا اصحاب بساتين واموال وكانوا في عزة ومنعة كما يكون احوال الملوك ثم كانوا يبخلون على الفقراء باقل
القليل فنزلت الاية فيهم وعلى هذا فانما يتوجه الانكار على انهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وعلى الاقوال المتقدمة
يتوجه الانكار على ان لهم نصيبا من الملك فكانه تعالى جعل بخلهم كالمانع من حصول الملك لهم فان الملك لا
يجتمعان كما قيل بالبر يستعبد الحر والانسان عبد الاحسان فالبخيل ينفر الطباع عن الانقياد له فلا يتيسر له اسباب
المملكة فان اجتمعت بالندرة فسوف تضمحل وانما لم يعمل اذن لدخول الفاء عليه وذلك انما بعد العاطف من تمام ما قبله
بسبب ربط العاطف بعض الكلام ببعض فيلغى ويجوز ان ينفصل بتقدير فكانه منفرد فترجح العادة وارتفاع الفعل بعده وجاء في
قراءة ابن مسعود فاذا لا يؤتوا بالاعمال وليس بقوي والنقير نقرة في ظهر النواة فعيل بمعنى مفعول ومنها تنبت
النخلة وهو مثل في القلة كالفتيل فان قيل كيف يعقل انهم لا يبذلون نقيرا وكثيرا ما يشاهد منهم بذل الاموال قلنا
الذي ابناء العصر على تقدير حصول الملك ويراد به الملك الظاهر كالملوك الدنيا او الباطن كالعلماء الربانيين او كالا
كالانبياء وحصول شيء من هذه الاقسام لهم ممنوع لما ضربت عليهم من الذلة والمسكنة ولئن فرض حصول شيء
منها فلابد بهتك لعل الشح يغلب عليهم حينئذ حتى لا تشاهد منهم بذل نقير كما اخبر عنهم علام الغيوب وانما
على تقسيم الاصم فلعل المراد انهم لا يبذلون شيئا نسبته الى ما يملكون كنسبة النقير الى النواة او انهم لا يطيبون بذلك
نفسا لغلبة الشح عليهم والله اعلم بمراده هذا بيان بخلهم اما بيان حسدهم فذلك قوله ام يحسدون الناس وهي منقطعة
والتقدير بل ايحسدون الناس يعني النبي والمؤمنين فان كان اللام للعهد فظاهر وان كان للجنس فلانهم هم
الناس والباقون هم النسناس ومعنى الهمزة انكار الحسد واستقباحه والمراد بالفضل ما اتاه الله من اشرف المناصب
وهو النبوة والخاتمة وما كان ينضم اليها كل يوم من النصرة والعزة والاستيلاء والاستعلاء والفضل محمود بكل اوان وحاسده
مذموم بكل لسان ثم نبه على ما ينزل التعجب من شان محمد فقال فقد اتينا ال ابراهيم الذين هم اسلاف محمد الكتاب الذي
هو بيان الشرائع والحكمة التي هي الوقوف على الاسرار والحقائق والعمل بما يقتضي صلاح الدارين واتيناهم ملكا عظيما

عن ابن عباس الملك في ال ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان فليس ببدع ان يؤتى انسان ما اوتي اسلافه وقيل
من جملة حسدهم انهم استكثروا نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لهم كيف استكثروا له التسع وكان لداود مائة
ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم اي من اليهود من امن به اي بما ذكر من حديث ال ابراهيم ومنهم من صد عنه
والكناية في عنه بجحده او من اليهود من امن برسول الله صلعم ومنهم من انكر نبوته او من ال ابراهيم من امن بابراهيم ومنهم
من كفر والمعنى ان اولئك الانبياء جرت عادة اممهم فيهم ان بعضهم امن بهم وبعضهم بقوا على كفرهم فانت يا محمد لا تتعجب
مما عليه هؤلاء والغرض تثبيت النبي وتسليته وكفى بجهنم لعذاب هؤلاء الكفار المتقدمين والمتاخرين سعيرا ثم اكد وعيد
الكفار بقوله ان الذين كفروا باياتنا ويدخل فيها كل ما يدل على ذات الله وصفاته واسمائه وافعاله والملائكة والكتب والرسل وكفرهم
بها ان ينكروا كونها ايات او يغفلوا عنها ولا ينظروا او يلقوا الشكوك والشبهات فيها او ينكروها مع العلم بها عنادا
وحسدا او بغيا ولددا وههنا سؤال وهو انه تعالى قادر على ابقائهم في النار احياء معذبين من غير ان تحرق جلودهم
فما الحكمة في انضاج جلودهم والجواب لا يسئل عما يفعل كما انه قادر على ايصال الالام اليهم من غير ادخالهم النار مع انه لا
يمكن ان يقال لم عذبهم بادخالهم النار وسؤال اخر وهو انه كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلودا لم تعص والجواب
يجعل النضيج غير نضيج فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة ويؤيده قول اهل اللغة تبديل الشيء تغييره وان لم يات
ببدل فالتبديل تغيير الصفة او الذات والابدال تغيير الذات وصاحب الكشاف جزم بان المراد من هذا التبديل هو
تغيير الذات فلهذا فسر التبديل بالابدال ولعله انما حمله ذلك وصف الجلود بقوله غيرها ولقائل ان يقول المغايرة اعم من
ان يكون في الذات فما ادراك انه في الاية مغايرة في الذات لا الصفات اللهم الا ان يعضده نقل صحيح فيكون الجواب
عن السؤال ان المعذب هو الانسان والجلد ليس جزءا من ماهيته وانما هو سبب لوصول العذاب اليه او يقال المراد الدوام
وعدم الانقطاع والنضج والاحتراق اي كلما ظنوا انهم احترقوا واشرفوا على الهلاك اعطيناهم قوة جديدة بحيث ظنوا انهم
الان حدثوا ووجدوا وقال السدي يخرج من لحم الكافر جلد اخر وفي هذا التاويل بعد لان لحمه متناه فعند نفاده لابد من
طري اخر في تبديل الجلد فيعود اول السؤال وقيل المراد بالجلود السرابيل سرابيلهم من قطران وضعف بانه ترك الظاهر
وان السرابيل لا توصف بالنضج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك
وزادك فيه او ليذوقوا بهذه الحالة الجديدة العقاب والمراد بالذوق ان احساسهم بذلك العذاب كاحساس الذائق بالمذوق
ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يفعل الا الصواب ثم قرن الوعد بالوعيد على عادته فقال
والذين امنوا الاية قال الواحدي الظليل ليس ينبئ على الظل حتى يقال انه بمعنى فاعل او مفعول بل هو مبالغة في نعت
الظل مشتق من لفظه كقولهم ليل اليل قيل اذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل وايضا
المواضع التي لم يصل نور الشمس اليها في الدنيا يكون هواؤها عفنا فاسدا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك والجواب
المنع انه لا شمس هناك حتى لا يوجد ضوء ثان هو الظل فالمراد بالظل الظليل ما كان فيئا ناميا منبسطا لا حر فيه اي لا فرج
لالتفاف الاغصان ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وعند الحكما المراد الراحة لانه من اسبابها ولا
سيما في البلاد الحارة كبلاد العرب فلما كان هذا مطلوبا عندهم صار موعودا لهم **التاويل** لو تسوى بهم الارض
اي يتمنون ان خلوا في عالم الطبيعة ولم ينكشف لهم عالم الحقيقة بكلاليب واما يهربون من عذاب القطيعة كما ان السكران
ممنوع من الصلوة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلات لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى من غلبات
الاحوال فان التكاليف حينئذ زائلة ولا بالتفات الى غير الله فان الصلوة اذ ذاك باطلة ويستثنى من الحالة الاولى حالة
الشعور ومن الثانية حالة العبور كن في الدنيا كانك غريب او كعابر سبيل فهذا القدر من الالتفات من المحظورات التي
اباحها الضرورات وان كنتم مرضى بحب الدنيا او على سفر في متابعة الهوى او جاء احد منكم من الغائط في قضاء
شهوة من الشهوات او لامستم عجوز الدنيا في تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار فتيمموا
فتمعكوا في تراب اقدام الكرام فانه طهور الذنوب العظام من الذين هادوا يعني علماء السوء قريب من دأب الذين
هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه باولونها على حسب ارادتهم ويقولون سمعنا ما في القران بالمقال وعصينا وتنكرونه
على ارباب المقامات والاحوال ويقولون اسمع غير مسمع وراعنا يخاطبونهم بكلام ذي وجهين ليا بالسنتهم

وطعنا في الدين يا ايها الذين اوتوا علم الكتاب ولم يعرفوا علم باطن الكتاب امنوا بما نزلنا على الاولياء من علم باطن
القرآن مصدقا لما معكم من العلم الظاهر ولان العلم اللدني يصدق اهل العلم الظاهر ولكن اهل العلم الظاهر يبغض عليهم
تصديق علوم الاولياء لانه لا يناسب عقولهم من قبل ان نطمس وجوه القلوب بالعمى والصمم فنردها على ادبارها ناظر
الى الدنيا فتجارفها بعد ان كانوا ناظرين في الميثاق الى ربها او نلعنهم بمسخ صفاتهم الانسانية بالسبعية والشيطانية كما
لعنا اصحاب السبت بالصورة ومسخ المعنى اصعب من مسخ الصورة لان مفضوح الدنيا اهون من مفضوح الاخرة ان الله لا
يغفر ان يشرك به للمشركة ثلث مراتب وكذا المغفرة فشرك جلي بالاعيان وهو للعوام وعبادة الكواكب والاصنام ولا يغفر
الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية في اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية وشرك خفي بالاوصاف للخواص وهو
شوب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية ولا يغفر الا بالوحدانية وهو افراد الاحد للواحد وشرك اخفى للاخص وهو
رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهي فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية الم تر الى الذين يزكون انفسهم من
اهل العلم الظاهر تعلموا العلم ليباهوا به العلماء او ليماروا به السفهاء فحصل لهم صفات ذميمة اخرى مثل المباهاة والمماراة
والكبر والعجب والحسد والريا وحب الجاه والرياسة وغلبة الاقران والايذاء بل الله يزكي من يشاء بتسليم نفوسهم الى
ارباب التزكية من العلماء الراسخين والمشايخ المحققين كما يسلم الجلد الى الدباغ ليجعله اديما فاذا اسلموا انفسهم اليهم وصبروا
على تصرفاتهم ليظهر اثار الزكاة فيهم ولن يضيع سعيهم يؤمنون بالجبت يجبت النفس الامارة وطاغوت الهوى ويقولون
للذين كفروا من اهل الاهواء والمبتدعة والمتفلسفة هؤلاء اهدى من الذين امنوا بكل ما امر الله به ورسوله ثم وصفهم
بالبخل والحسد ثم قال فقد اتينا ال ابراهيم يعني اهل الخلة والمحبة الكتاب والحكمة العلم الظاهر والعلم الباطن واتيناهم ملكا
عظيما هو معرفة الله فمنهم من امن ومنهم من صد عنه لان من العلماء مقبلين ومنهم مدبرين وكفى بجهنم نفسهم للحاسد سعيرا
تحرق حسناتهم فان الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب ان الذين كفروا باياتنا باوليائنا الذين هم مظاهر ايات الحق
وحجج الله على الخلق سوف نصليهم نارا نار الحسد والغضب والكبر والعجب كلما نضجت جلودهم اي انقطعت بعض اماني
نفوسهم الامارة ومقتضيات هواها الله ولا يخفى حسن استعارة الجلود لاستعارة النكي من حيث الظهور والاشتمال
بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فاذا دواعي الحرص والغضب والشهوة لا انتهاء لها البتة ما دامت النفس على صفة
الامارية فلن تزال الاسير في يد الشهوات ذائقة العذاب المتعلقات والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم اي
نجذبهم بجذبات العناية الى جنات الوصلة تجري من تحتها الانهار من ماء الحكمة ولبن الفطرة وخمر الشهود وعسل
الكشوف لهم فيها ازواج من تجليات صفات الجلال والجمال مطهرة من لوث الوهم والخيال وندخلهم ظلا ظليلا وهو ظل شمس عالم الوجود يوم لا ظل الا ظله

اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تُؤَدُّوا الْاَمَانَاتِ اِلٰى اَهْلِهَا وَاِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ اَنْ تَحْكُمُوا
بِالْعَدْلِ اِنَّ اللّٰهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا
اَطِيعُوا اللّٰهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاُولِي الْاَمْرِ مِنْكُمْ فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
اِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُولِ اِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَاَحْسَنُ تَاْوِيلًا
اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ اَنَّهُمْ اٰمَنُوا بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَا اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ
اَنْ يَتَحَاكَمُوا اِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ اُمِرُوا اَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ اَنْ يُضِلَّهُمْ
ضَلَالًا بَعِيدًا وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اِلٰى مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ وَاِلَى الرَّسُولِ رَاَيْتَ الْمُنَافِقِينَ

يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا فَكَيْفَ اِذَا اَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاؤُكَ يَحْلِفُونَ
بِاللّٰهِ اِنْ اَرَدْنَا اِلَّا اِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا اُولٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّٰهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ
وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي اَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ اِلَّا لِيُطَاعَ بِاِذْنِ اللّٰهِ
وَلَوْ اَنَّهُمْ اِذْ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّٰهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا
اللّٰهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتّٰى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي اَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وَلَوْ اَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ اَنِ اقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ
اَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ اِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ اَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ وَاَشَدَّ تَثْبِيتًا وَاِذًا لَاٰتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا اَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَاُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ اُولٰئِكَ رَفِيقًا ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّٰهِ
وَكَفٰى بِاللّٰهِ عَلِيمًا

القراءة ان اقتلوا بكسر النون لالتقاء الساكنين ابو عمرو وعاصم وسهل ويعقوب
الباقون بالضم نقلا لحركة همزة الوصل الى ما قبلها او اخرجوا بكسر الواو لالتقاء الساكنين عاصم وسهل وحمزة الباقون بالضم الا قليلا
بالنصب ابن عامر على اصل الاستثناء او بمعنى الا فعلا قليلا او الا ايلاء قليلا الباقون بالرفع على البدل وهو اكثر **الوقوف**
الى اهلها لان التقدير يامركم ان تؤدوا وان تحكموا بالعدل واذا حكمتم بين الناس بالعدل يعظكم به بصيرا منكم لابتداء الشرط
مع فاء التعقيب واليوم الاخر تاويلا ان يكفروا به بعيدا صدودا للاية مع فاء التعقيب السبع الثاني يحلفون قد
قيل على ان ما بعده ابتداء القسم والاولى تعليق الباء بيحلفون وتوفيقا بليغا باذن الله رحيما تسليما قليل منهم
تثبيتا عظيما لان ما بعده من تتمة جواب لو مستقيما والصالحين لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى رفيقا من الله عليما
التفسير لما شرح الله بعض احوال الكفار عاد الى ذكر التكاليف وايضا لما حكى عن اهل الكتاب انهم كتموا الحق وقالوا
للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا امر المؤمنين في هذه الاية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت من
باب المذاهب والديانات او من باب الدنيا والمعاملات وايضا فقد وعد في الاية السابقة الثواب العظيم على الاعمال
الصالحات وكان من اجلها الامانة فقال ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها روي ان عثمن بن طلحة
الحجبي من بني عبد الدار كان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح اغلق عثمن باب البيت
وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل انه مع عثمن فطلب منه فابى وقال لو علمت انه
رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلعم البيت وصلى ركعتين
فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح فيجمع له بين السقاية والسدانة فاراد النبي صلعم ان يدفعه الى العباس ثم
قال يا عثمن خذ المفتاح على ان للعباس معك نصيبا فانزل الله هذه الاية فامر رسول الله صلعم عليا عليه السلم ان يرد المفتاح
على عثمن ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال له عثمن يا علي اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في
شانك فقرا هذه الاية عليه فقال عثمن اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فجاء جبريل عليه السلم وقال ما دام هذا البيت

هذا البيت كان المفتاح والسدانة في اولاد عثمن وقال صلعم خذوها يا بني طلحة بامانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ثم ان
عثمن هاجر ودفع المفتاح الي اخيه شيبة وهو اليوم في ايديهم ثم لا يوجب نزول الاية عند هذه القصة لا يوجب خصوصها
بها ولكنها تعم جميع انواع الامانات فاولها الامانة مع الرب تعالي في كل ما امر به ونهي عنه قال ابن مسعود الامانة في
الكل لازمة في الوضوء والجنابة والصلوة والزكوة والصوم وعن ابن عمر انه تعالي خلق فرج الانسان وقال هذا امانة جاء
عندك فاحفظها الا بحقها وهذا باب اوسع فامانة اللسان ان لا تستعمله في الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش
وغيرها وامانة العين ان لا تستعملها في النظر الحرام وامانة السمع ان لا يستعمله في سماع الملاهي والفحش والاكاذيب وكذا القول
في ساير الاعضاء ثم الامانة مع ساير الخلق ويدخل فيه رد الودايع وترك التطفيف ونشر عيوب الناس وافشاء السلام ويدخل
فيه عدل الامرا مع الرعية والعلما مع العوام بان يرشدوهم الي ما ينفعهم في دنياهم ودينهم ويمنعوهم عن العقايد الباطلة
والاخلاق غير الفاضلة ويشمل امانة الزوجة والزوج في ماله وبضعها وامانة الزوج الزوجة في ايفاء حقوقها وحضورها
وامانة السيد المملوك وبالعكس وامانة الجار للجار والصاحب للصاحب ويدخل فيه نهي اليهود عن كتمان امر محمد صلعم
والامانة مع نفسه بان لا يختار لها الا ما هو انفع واصلح في الدين والدنيا وان لا يوقعها بسبب اللذات الفانية في التبعات
الباقية وقد عظم الله تعالي امر الامانة في مواضع من كتابه انا عرضنا الامانة والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال
صلي الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له والامانة مصدر سمي به المفعول ولذلك جمع ثم لما امر باداء الواجب لغيره كل
عليه امر باستيفاء حقوق الناس بعضهم عن بعض اذا كنت بصدد الحكم فقال واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل وفي قوله واذا حكمتم تصريح بانه ليس لجميع الناس ان يشرعوا في الحكم والقضا وقد عد العلما من شروط النيابة
العامة الاسلام والعقل والبلوغ والذكورة والحرية والعدالة والكفاية واهلية الاجتهاد بان يعرف ما يتعلق بالاحكام
من كتاب الله وسنة رسول الله ويعرف منهما العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ ومن
سنة المتواتر والاحاد والمسند والمرسل وحال الرواة ويعرف اقاويل الصحابة ومن بعدهم اجماعا وقياسا وجلي القياس
وخفيه وصحيحه وفاسده ويعرف لسان العرب لغة واعرابا وخصوصا وعموما الي غير ذلك مما له مدخل في استنباط
الاحكام الشرعية من مداركها ومظانها وكفي بما فهذا المنصب من الخطر انه منصب رسول الله صلي الله عليه وسلم
والخلفا الراشدين من بعده فعلي المتصدي لذلك ان يتادب بادابهم ويتخلق باخلاقهم والاقاويل لمعني النبي صلعم
انه قال يجاء بالقاضي العادل يوم القيمة فيلقي من شدة الحساب ما يتمني انه لم يقض بين اثنين قط واذا كان
حال العادل هكذا فما ظنك بالجاير وعنه صلعم ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجمعون كلهم
حتي من برا لهم قلما او لاق لهم دواة فيجمعون ويلقون في النار ان الله نعما يعظكم به المخصوص بالمدح محذوف
وما موصولة او نكرة موصوفة والتقدير نعم الذي او نعم شيا يعظكم به ذلك المامور من اداء الامانات والحكم ان الله
كان سميعا بصيرا يسمع كيف تحكمون ويبصر كيف تؤدون وفيه اعظم اسباب الوعد للمطيع واشد اصناف الوعيد
للعاصي ثم انه سبحانه وتعالي امر الرعاة بطاعة الولاة في الاية المتقدمة بالشفقة علي الرعاة فقال يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله الاية عن علي بن ابي طالب عليه السلم حق علي الامام ان يحكم بما انزل الله ويودي الامانة فاذا فعل ذلك
فحق علي الرعية ان يسمعوا ويطيعوا قالت المعتزلة الطاعة موافقة الارادة وقالت الاشاعرة الطاعة موافقة الامر
ولا نزاع ان موافقة الامر طاعة انما النزاع في ان المامور به كايمان ابي لهب هل يكون مرادا ام لا فعند الاشاعرة الامر قد
يوجد بدون الارادة لئلا يلزم الجمع بين الضدين في تكليف ابي لهب مثلا بالايمان وعند المعتزلة لا يامر الا بما يريد والخلاف
بين الفريقين مشهور قال في التفسير الكبير هذه الاية مشتملة علي اكثر علوم اصول الفقه لان اصول الشريعة اربعة
الكتاب والسنة واشار اليها بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس العطف للمغايرة الكلية ولكن الكتاب يدل علي امر الله
ثم يعلم منه امر الرسول لا محالة والسنة تدل علي امر الرسول ثم يعلم منه امر الله والاجماع والقياس واشار الي الاجماع بقوله واولي
الامر لانه تعالي امر بطاعتهم علي سبيل الجزم فيجب ان يكون معصوما لانه لو احتمل اقدامه علي الخطا والخطا منهي عنه لزم
اعتبار اجتماع الامر والنهي في الفعل الواحد وانه محال ثم ذلك المعصوم اما مجموع الامة او بعضها علي ما تقوله الشيعة من ان
المراد بهم الايمة المعصومين او علي ما زعم بعضهم انهم الخلفاء الراشدون او علي ما عن سعيد بن جبير وابن عباس انهم امرا السرايا
كعبد الله بن حذافة السهمي او كخالد بن الوليد اذ بعثه رسول الله صلي الله عليه وسلم في سرية وكان معه عمار بن ياسر فوقع بينهما

خلافا

خلافا نزلت الاية او علي ما روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك العلما الذين يفتون بالاحكام الشرعية
ويعلمون الناس دينهم لكنه لا سبيل الي الثاني اما ما زعمه الشيعة فلانا نعلم بالضرورة انا في زماننا هذا عاجزون عن
معرفة الامام المعصوم والاستفادة منه فلو وجب علينا طاعته علي الاطلاق لزم تكليف ما لا يطاق ولو وجب علينا طاعته
اذا صرنا عارفين به وجد هيه صار هذا الايجاب مشروطا وهذه الاية تقتضي الاطلاق علي ان طاعة الله وطاعة رسوله مطلقة
فلو كانت هذه الطاعة مشروطة لزم ان يكون اللفظة الواحدة مطلقة ومشروطة معا وهو باطل وايضا الامام المعصوم عندهم في
كل زمان واحد ولفظ اولي الامر جمع وايضا انه قال فان تنازعتم في شي فردوه الي الله والرسول وعلي هذا ينبغي ان يقال فردوه
الي الامام واما ساير الاقوال فلا نزاع في وجوب طاعتهم لكنه اذا علم بالدليل ان طاعتهم حق وصواب وذلك الدليل ليس الا
الكتاب والسنة فلا يكون هذا قسما منفصلا كان وجوب طاعة للتبع والتقليد للاستناد واخلف طاعة الله وطاعة الرسول
اما اذا حملناه علي اجماع اهل الحل والعقد لم يكن هذا داخلا فيما تقدم اذ الاجماع قد يدل علي حكم لا يوجد في الكتاب والسنة
وايضا قوله فان تنازعتم في شي مشعر باجماع تقدم يخالف حكمه حكم هذا التنازع وايضا طاعة الامراء والخلفاء مشروطة
بما اذا كانوا علي الحق فظاهر الاية يقتضي الاطلاق واذا ثبت ان حمل الاية علي هذه الوجوه غير مناسب تعين ان يكون
ذلك المعصوم كل الامة اي اهل الحل والعقد واصحاب الاعتبار والاراء فالمراد بقوله ما اجمعت الامة عليه وهو المدعي واما
القياس فذلك قوله فان تنازعتم في شي فردوه الي الله والرسول اذ ليس المراد من رده الي الله والرسول الي الكتاب
والسنة والاجماع والا كان تكرارا لما تقدم ولا تفويض علمه الي الله ورسوله والسكوت عنه لان الواقعة ربما كانت
لا يحتمل الاهمال ويفضي الي قطع مادة التلف والخصومة فيها بنفي او اثبات ولا الاحالة علي البراءة الاصلية فانها
معلومة بحكم العقل فالرد اليها لا يكون ردا الي الله والرسول فان المراد ردها الي الاحكام المنصوصة في الوقايع المتشابهة
لها وهذا معني القياس فحاصل الاية الخطاب لجميع المكلفين لطاعة الله ثم لمن عدا الرسول بطاعة الرسول ثم لما سوي
اهل الحل والعقد بطاعتهم ثم اهل استنباط الاحكام من مداركها ان وقع اختلاف واشتباه بين الناس في حكم واقعة ما
ان يستخرجوا لها وجها من نظايرها واشباهها فما احسن هذا الترتيب ثم في اطلاق الاية دلالة علي ان الكتاب والسنة
متقدمان علي القياس مطلقا سواء كان القياس جليا او خفيا وانه لا يجوز معارضة النص ولا تخصيصه بالقياس
وقد اعتبر هذا الترتيب ايضا في قصة معاذ واستحسنه رسول الله صلي الله عليه وسلم كيف لا والقران مقطوع في متنه
والقياس مظنون والقران كلام لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقياس نتيجة عقل الانسان الذي هو عرضة
الخطا والنسيان وقد اجمع العلماء علي ان ابليس خصص عموم الخطاب في قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا بقياس هو
خلقتني من نار وخلقته من طين فاستحق اللعن الي يوم الدين والسر فيه ان تخصيص النص بالقياس تقديم القياس
علي النص وفيه ما كان ثم ان كان الامر للوجوب فقوله اطيعوا يدل علي وجوب الطاعة وان كان للندب فيهما
يدل علي الوجوب ظاهر الاية ختم الاوامر لا في قوله فردوه وحمله بانما مجرد الندبية وهو لغوية الفعل معلوم من
تلك الاوامر للوجوب فقوله اطيعوا يدل علي وجوب الطاعة فهيهنا يدل علي الوجوب فلا بد للاية من فايدة خاصة
فيحمل علي المنع من الترك ليحصل من المجموع معني الوجوب ثم هذا الوجوب دايما ان كان الامر للدوام والتكرار
وكذا ان لم يكن عينه كذلك لان الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة فلو حملناه علي العموم كانت
الاية مبينة والا كانت مجملة والمبين اولي من المجمل وايضا تخصيص اسم الله بالذكر يدل علي ان وجوب الطاعة
انما هو لكونه الها والالهية دايمة فالوجوب دايم وانما كرر لفظ اطيعوا للفصل بين اسم الله تعالي وبين المخلوقين
ونقل من اطلاق وجوب طاعة اولي الامر ان الاجماع الحاصل عقيب الخلاف حجة وانه لا يشترط انقراض العصر ومن
اطلاق قوله فان تنازعتم في شي فردوه الي الله ان القياس يجوز اجزاؤه في الحدود والكفارات ايضا والمراد بالتنازع
قال الزجاج هو الاختلاف تقول كل فريق القول قولي كان كل واحد منهما ينزع الحجة الي جانبه ذلك الرد الي
الامور به في الاية خير لكم واحسن تاويلا اي عاقبة من ال الشي اذا رجع وقيل الرد الي الكتاب والسنة خير مما تاولون
انتم ثم انه سبحانه لما اوجب علي المكلفين طاعته وطاعة رسوله ذكر ان المنافقين الذين في قلوبهم مرض لا يطيعون
ولا يرضون بحكمه فقال تعالي الم تر الي الذين الاية قال الخبث قولهم زعم فلان معناه لا نعرف انه صدق او كذب ومنه

يزعمو اسطبة الكذب وقال ابن الاعرابي الزعم قد يستعمل في القول المحقق لكن المراد في الاية الكذب بالاتفاق قال ابو مسلم
ظاهر الاية يدل على ان الزاعم كان منافقا من اهل الكتاب مثل ان يكون يهوديا اظهر الاسلام على سبيل النفاق لان قوله تعالى
يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك انما يليق بمثل هذا المنافق اما سبب النزول ففيه وجوه والذي عليه اكثر المفسرين ما رواه
الثعلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان رجلا من المنافقين يسمى بشرا يخاصم يهوديا فدعاه النبي صلعم وقال المنافق بيني
وبينك كعب بن الاشرف وذلك ان اليهودي كان محقا وكان النبي صلعم لا يقضي الا بالحق لجلالة منصبه عن قبول الرشوة وكان
كعب يبطل الحقوق بالرشى فابى اليهودي الا ... المنافق حتى ذهبا الى رسول الله صلعم فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه
المنافق وقال ننطلق الى عمر ابن الخطاب فاقبلا الى عمر فقال اليهودي اختصمت انا وهذا الى محمد وقضى لي عليه فلم يرض بقضائه
وزعم انه يخاصم اليك فتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر
فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله وهرب
اليهودي فنزلت الاية وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق
وعلى هذا الطاغوت كعب بن الاشرف وقال السدي كان ناس من اليهود اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في
الجاهلية اذا قتل قرظي نضيريا قتل به او اخذ ديته مائة وسق من تمر واذا كان بالعكس لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا
من تمر وكانت النضير حلفا الاوس وكانوا اكثر واشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج فقتل نضيري قرظيا واختصموا في ذلك
فقالوا بنو النضير لا قصاص علينا انما علينا ستون وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه وقالت الخزرج هذا حكم الجاهلية ونحن
وانتم اليوم اخوه وديننا واحد لا فضل بيننا فقال المنافقون انطلقوا الى ابي برزة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون لا بل الى النبي
صلعم فابى المنافقون فانطلقوا الى ابي برزة ليحكم بينهم فقال اعظموا اللقمة يعني الرشوة فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق
ديتي فاني اخاف ان نفرت النضيري قتلتني قريظة وان نفرت القرظي قتلتني النضير فابوا ان يعطوا فوق عشرة اوسق
وابى ان يحكم بينهم فانزل الله هذه الاية فدعا النبي صلعم الكاهن الى الاسلام فابى وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنيه
ادركا اباكما فانه ان جاز عقبة لم يسلم ابدا فادركاه فلم يزل الابنه حتى انصرف واسلم وامر النبي صلعم مناديا فنادى الا ان كاهنا
قد اسلم وعلى هذا القول الطاغوت هو الكاهن وقال الحسن ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق
الى وثن كان اهل الجاهلية يتحاكمون اليه ورجل قائم يترجم الاباطيل عن الوثن فالطاغوت ذلك الرجل وقيل كانوا يتحاكمون الى
الوثن يضربون القداح بحضرته فما خرج على القداح عملوا به فالطاغوت هو الوثن ثم ان الطاغوت اي شيء كان فالمراد
فانه تعالى جعل التحاكم اليه مقابلا للكفر به لكن الكفر به ايمان بالله ورسوله فيكون نصا في تكفير من لم يرض بقضاء رسول
الله صلعم تشككا او تمردا ويؤيده قوله بعد ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية ومن ههنا ذهب كثير من الصحابة
الى الحكم بارتداد مانعي الزكوة وقتلهم وسبي ذراريهم ثم قال ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا فاحتجت المعتزلة
على ان كفر الكافر ليس بخلق الله والا لم يتوجه الذم على الشيطان ولم يحصل التعجب والتعجب فان لقائل ان يقول انما تعجب الاجل
انك خلقت ذلك الفعل فيهم بل التعجب من هذا وقد عرفت الجواب مرارا قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم
فيه وجهان احدهما وهو قول الحسن واختاره الواحدي انه جملة معترضة واصل النظم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا ثم جاؤك يعني انهم في اول الامر يصدون عنك اشد الصدود
ثم بعد ذلك يجيئونك ويحلفون كذبا على انهم ما ارادوا بذلك الصد الا الاحسان ووجه الاعتراض انه حكى عنهم
التحاكم الى الطاغوت وانهم يصدون ثم اتبعها ما يدل على شدة احوالهم بسبب اعمالهم القبيحة في الدنيا والاخرة والثاني انه متصل
بما قبله لا على وجه الاعتراض والمعنى انه اذا كانت نفرتهم عن الحضور وعند الرسول صلعم في اوقات السلامة هكذا
فكيف يكون نفرتهم اذا اتوا بجناية خافوا بسببها منك ثم جاؤك يحلفون بالله على سبيل الكذب ما اردنا بتلك الجناية
الا الخير والمصلحة اما المصيبة فقيل انها قتل عمر صاحبهم فانهم جاؤا وطلبوا بدمه وحلفوا انهم ما ارادوا بالذهاب الى
غير الرسول الصلاح وهو اختيار الزجاج وقال الجبائي هي ما امر الله ورسوله بها من انه لا يستصحبهم في الغزوات
وتخصيصهم بمزيد الاذلال والمعنى ثم جاؤك في وقت المصيبة يحلفون ويعتذرون انا ما اردنا بما كان منا من مواساة الكفار
الا اصلاح الحال وقال ابو مسلم انه تعالى بشر رسوله ان المنافقين سيصيبهم مصائب تلجئهم اليه والى ان

اليهودي الى

يظهر

يظهر والايمان ومن عادة العرب عند التبشير والانذار ان يقولوا كيف انت اذا كان كذا ومعنى الاحسان والتوفيق
ما اردنا بالتحاكم الى غير الرسول الا احسانا بين الخصوم واستمالة بينهم فانهم لا يقدمون عند الرسول ان يرتعوا ويتبينوا بحججهم
او ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بالحكم العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم
به وعلى هذا لا يبقى للحلف مناسبة ظاهرة او ما اردنا بالتحاكم الى غيرك يا رسول الله الا انك لا تحكم الا بالحق المر وغيرك يبعدي
على التوسط ويامر كل واحد من الخصمين بالاحسان الى الاخر وتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهما الموافقة ثم اخبر
الله تعالى سبحانه بما في ضمائرهم من الدغل والنفاق فقال اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وذلك ان من اراد المبالغة في شيء
قال هذا شيء لا يعلمه الا الله يعني انه لكثرته وعظم حاله لا يقدر احد على معرفته الا هو ثم علم نبيه كيف يعاملهم مرة بعد اخرى فقال
فاعرض عنهم والمراد به ان لا يقبل منهم ذلك العذر ويستمر على السخط او انه لا يهتك سترهم ولا يظهر لهم انه عالم
بكنه ما في بواطنهم من النفاق لما فيه من حسن العشرة والحذر من اثار الفتنة الثاني ان يعظهم فيزجرهم عن النفاق
بالتخويف من عذاب الاخرة الثالث قوله وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه وجوه الاول انه في الاية تقديما وتاخيرا
والمعنى قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف والثاني قل لهم في معنى
انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا هو ان الله يعلم ما في قلوبكم فلن يغني عنكم الاخفاء فطهروا
قلوبكم عن دنس النفاق والا فسينزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك او اشد من ذلك واغلظ الثالث قل لهم
في انفسهم خاليا بهم مشافها لهم بالنصيحة فان النصح بين الملا تقريع وفي السر انفع اجمع قولا يوثر فيهم وقيل القول
البليغ يتعلق بالوعظ وهو ان يكون كلاما حسنا وجيزا لمباني عزيز المعاني يشتمل الاذن بلا اذن مشتملا على
الترغيب والترهيب والاعذار والانذار ثم رغب مرة اخرى في طاعة الرسول فقال وما ارسلنا من رسول وقيل المفعول
محذوف والتقدير وما ارسلنا من هذا الجنس احدا قال الجبائي هذه الاية من اقوى الدلائل على بطلان قول المجبرة
لكونها صريحة في ان معصية الناس عن مرادة الله تعالى والجواب ان ارسال الرسل لاجل الطاعة لا ينافي كون المعصية
مرادة لله تعالى على ان قوله باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه واعانته يدل على ان الكل بقضائه وقدره وكذا لو كان
المراد بسبب اذن الله في طاعة الرسول قيل في الاية دلالة على انه لا رسول الا معه شريعة فانه لو عالج شرع
من قبله لكان المطاع هو ذلك المتقدم وفيه دلالة على ان الرسل معصومون عن المعاصي والا لم يجب اتباعهم في جميع
اقوالهم وافعالهم ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين عن النفاق متنصلين عما ارتكبوا واستغفروا
الله من رد قضاء رسول الله صلعم واستغفر لهم الرسول انتصب شفيعا لهم الى الله بعد اعتذارهم اليه من ايذائه
برد قضائه لوجدوا الله لعلموه توابا رحيما ولم يقل واستغفرت لهم في الالتفات عن الخطاب الى ذكر الرسول
تنبيه على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فالاية على هذا التفسير من تمام ما قبلها وقال ابو بكر الاصم
نزلت في قوم من المنافقين اصطلحوا على كيد في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دخلوا عليه لذلك الغرض
فاتاه جبرئيل فاخبره به فقال صلى الله عليه وسلم قم يا فلان حتى عد اثنا عشر رجلا منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا
على ما قلت ونحن نتوب الى الله من ظلمنا انفسنا فاستغفر لنا فقال الان اخرجوا انا كنت في بدء الامر اقرب الى
الاستغفار وكان الله اقرب الى الاجابة اخرجوا عني فلا وربك لا يؤمنون عن عطاء ومجاهد والشعبي انها في
قصة اليهود والمنافق وعن الزهري عن عروة بن الزبير انها نزلت في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة
وذلك انهما اختصما الى رسول الله في شراج من الحرة والشراج مسيل الماء كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا
زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب وقال لان كان ابن عمتك وذلك ان ام الزبير صفية بنت عبد المطلب فتغير
وجه رسول الله صلعم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر يعني الجدار التي يحيط بالمزارعة وهو
اصغر من الجدار واستوف حقك ثم ارسل الى جارك واعلم ان الحكم في هذا ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي
فهو اولى باول الماء وحقه تمام السقي والرسول صلعم اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما اساء خصمه الادب
ولم يعرف حق ما امر به الرسول من المسامحة لاجله امره باستيفاء حقه وحمل خصمه على مر الحق وفي قوله فلا وربك
قولان احدهما ان لا صلة لتاكيد معنى القسم والمعنى فوربك لا يؤمنون الثاني انها لتوكيد النفي الذي جاء في الجواب

وهذا الوجه لا يتمشى فيما اذا كان الجواب مثبتا ومعنى شجر اختلف ومنه الشجر لتداخل اغصانه والتشاجر التنازع
لاختلاط كلام بعضهم ببعض والحرج الضيق او الشك لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا ينقادوا
ويسلم لامر الله اي سلم نفسه له وجعلها خالصة لحكمه ومن التعليمية من تمسك بالاية في انه لا يحصل الايمان الا بارشاد
النبي وهدايته والنزول على حكمه وقضائه في كل امر ديني ومنع بان معرفة النبوة موقوفة على معرفة الاله فلو
توقفت معرفة الاله على معرفة النبوة لزم الدور فاذن الحكم عقلي والتقليد في جميع الاحكام غير مرضي واعلم
ان الراضي بتحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم قد يكون راضيا في الظاهر دون القلب فلهذا قال ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت وهو الجزم بان ما حكم به الرسول صلعم هو الحق والصدق ثم من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقا وصدقا
فقد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد ويتوقف في ذلك القبول فعدم الحرج اشارة الى الانقياد في الباطن والتسليم اشارة
الى الانقياد في الظاهر وفي الاية دليل على عصمة الانبياء عن الخطا في الفتاوي والاحكام وعلى انه لا يجوز تخصيص
النص بالقياس والا كان في النفس حرج قالت المعتزلة لو كانت المعاصي بقضاء الله تعالى لزم التناقض لان الرضى بقضائه
واجب لحكم الرسول فقد نهى عنها فيجب ان يحصل الرضى في تركها ويلزم الرضا بالفعل والترك معا وهو محال واجيب بان المراد
من قضاء الله التكوين والايجاد فالرضا بفضيلة ان يعتقد كون الكل بايجاده والمراد بقضاء الرسول ان يلتزم ما حكم به
و يتلقى بالبر والقبول فاين ذاك من هذا قوله ولو انا كتبنا عليهم روي ان حاطبا لما احتطم رسول الله صلعم واستوعب
الزبير حقه في شرح الحكم حرجا قرأ على المقداد فقال لمن كان القضا فقال حاطب قضى لابن عمته فتمطق يهودي كان
مع المقداد فقال قاتل الله هولاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في
حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي
عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وكذا قال
ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت
في قلوبهم من الجبال الرواسي وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي
لم يفعل بنا ذلك ونزلت الاية فالضمير في قوله عليهم يعود الى الناس والمراد بالقليل المومنون منهم وعن ابن
عباس ومجاهد انه يعود الى المنافقين والمراد انا لو كتبنا الخروج عن الوطن على هولاء المنافقين ما فعله الا قليل
منهم رياء وسمعة وحينئذ يصعب الامر عليهم وينكشف كفرهم فاذا لم نفعل بهم ذلك بل كلفناهم بالاشياء السهلة
فليتركوا النفاق وليلزموا الاخلاص ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من الانقياد والطاعة لله ولرسوله وسمي التكليف
وعظا لاقترانه بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب لكان خيرا لهم اي انفع وافضل من غيره او خيرا في الدنيا والاخرة
لان خيرا يستعمل بالوجهين جميعا واشد تثبيتا اقرب الى ثباتهم على الايمان والطاعة لان الطاعة تدعو الى امثالها وتحث
الى المواظبة عليها ولانه حق والحق ثابت والباطل زائل وايضا الانسان يطلب الخير اولا فاذا حصل يطلب الخير اولا
فاذا حصل يطلب ثباته ودوامه ثم بين ان ما يوعظون به كما هو خير في نفسه فهو ايضا مستعقب الخير فقال
واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ونحوه واذا جواب لسوال مقدر كانه قيل ماذا يكون لهم بعد الخير والتثبيت فقال
هو اذن لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما وفي ايراد صيغة التعظيم في اتينا ولدنا وفي قوله من لدنا وفي وصف الاجر بالعظيم
وفي تنكير الاجر من المبالغة ما لا يخفى والصراط المستقيم الدين الحق او الطريق من عرصة القيمة الى الجنة وهذا اولى لانه
مذكور بعد استحقاق الاجر ثم اكد امر الطاعة بقوله ومن يطع الله والرسول ولا شك ان الاية عامة في جميع المكلفين
الا ان المفسرين ذكروا في سبب نزولها وجوها قال الكلبي نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلعم وكان شديد الحب له
وقليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن فقال له يا ثوبان ما غير لونك فقال
يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة عظيمة حتى القاك ثم ذكرت الا
فاخاف ان لا اراك هنالك لاني اعرف ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك صح
وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك ابدا وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار قال للنبي صلعم اذا اخرجنا من عندك
الى اهالينا اشتقنا اليك فما ينفعنا شي حتى نرجع اليك ثم ذكرت درجتك في الجنة فكيف لنا برؤيتك ان دخلنا الجنة

فانزل الله هذه الاية فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم اتى الانصاري ولده وهو في حديقة له فاخبره بموت النبي صلعم فقال
اللهم اعمني حتى لا ارى شيئا بعده نعمى مكانه وقال السدي ان ناسا من الانصار قالوا يا رسول الله انك تسكن الجنة
في اعلاها ونحن نشتاق اليك فكيف نصنع فنزلت وليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين في الاية انهم في
درجة واحدة فان ذلك يقتضي التسوية بين الفاضل والمفضول وانه محال ولكن المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد
منهم من رؤية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الزيارة والتلاقي قدروا على ذلك
والتحقيق فيه ان عالم الارواح لا تمانع فيها ولا تدافع بل ينعكس بعضها على بعض ويتقوى بعضها على بعض كالمرايا المجلوة المتقابلة
اذا كانا على سمت متقابلين ثم انه تعالى ذكر اصنافا اربعة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا شك في تغايرها
متداخلة كانت او متباينة والمراد بالتداخل لا يمتنع كون كل متقدم موصوفا بما تلوه كان يكون النبي صديقا وشهيدا او صالحا
او الصديق شهيدا وصالحا وقد تفسر النبي في اوائل البقرة واما الصديق فمبالغة الصادق وهو من غلب عليه افعال الصدق
وانه لخصلة مرضية في جميع الاديان ومخففة للخلق الذي هو من مقومات الانسان وكفى به منقبة ان الايمان ليس الا
التصديق وكفى بنقيضه مذمة ان الكفر ليس سوى التكذيب وذكر المفسرون الرازي ان الصديق في الاية كل من صدق بكل الدين
لا يتخالجه فيه شك لقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وقال قوم هم افاضل اصحاب النبي صلعم ومخصصه
بعضهم بمن سبق الى تصديق الرسول فصار في ذلك قدوة كابي بكر وعلي وامثالهما رضي الله عنهم اجمعين فلا واسطة بين الصديق
والنبي ولذلك قال في هذه الاية مع النبيين والصديقين وفي صفة ابراهيم انه كان صديقا نبيا يعني انك اذا ترقيت من
الصديقين وصلت الى النبوة وان نزلت من النبوة وصلت اليهم واما الشهداء فالمراد بهم ههنا ام من المقتولين بسيف الكفار
من المسلمين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الشهيد فيكم قالوا يا رسول الله من قتل في سبيل
الله قال ان شهداء امتي اذا لقليل من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن
فهو شهيد وفي رواية ومن مات بجمع فهي شهيد وقيل هو الذي يشهد لصحة دين الله تارة بالحجة والبيان واخرى
بالسيف والسنان واقول لا يبعد ايضا ان يدخل كل هذه الامة في الشهدا لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس واما الصالحون فالصالح هو الذي صلح في اعتقاده وفي عمله وهذه مرتبة لا ينبغي ان تنحط عنها
مرتبة المومن ثم قال في معرض التعجب وحسن اولئك رفيقا كانه قال وما احسن اولئك رفيقا والرفيق كالصديق والخليط
في استواء الواحد والجمع فيه وانتصابه على الحال ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وقيل معناه
حسن كل واحد منهم رفيقا كما قال يخرجكم طفلا والرفق في اللغة اللين الجانب ولطافة الفعل وسمي الصاحب رفيقا لارتفاقه
به وبصحبته ومنه الرفقة في السفر لارتفاق بعضهم ببعض وقد يكون الانسان مع غيره لا يكون رفيقا له فبين
الله تعالى ان الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين يكونون كالرفقاء للمطيع من شدة محبتهم له وسرورهم
برؤيته ذلك مبتدأ والفضل صفة ومن الله خبره او ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره قالت المعتزلة ذلك
اشارة الى الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الانبياء وهذا شي يتفضل الله عليهم تبعا لثوابهم الواجب على
الله او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه ولولا انه اعطى العقل
والقدرة وازاح الاعذار والموانع لم يتمكن المكلف من فعل الطاعة فصار ذلك بمنزلة من وهب من غيره ثوابا لينتفع به
واذا باعه وانتفع بثمنه جاز ان يوصف ذلك الثمن بانه فضل من الواهب وقال اهل السنة ذلك اشارة الى جميع
ما تقدم ولا يجب على الله شي البتة بل الثواب كله فضل من الله وكيف يجب عليه شي وانه هو الذي خلق القدرة
والداعية وايضا الوجوب عبارة الى عن استحقاق الذنب عند الترك وانه ينافي الالهية وايضا كل ما فرض من
الطاعات فانه في مقابلة النعم السالفة التي لا تعد ولا تحصى فيمتنع كونها موجبة الثواب في المستقبل يعني الاية
ان ذلك الثواب بكمال درجته كانه هو الفضل وما عداه غير معتد به وذلك الثواب المذكور هو من الله لا من
غيره وكفى به عليما بالطاعة وكيفية الثواب عليها وفيه ترغيب للمكلف على اكمال الطاعة والاحتراز عن
التقصير فيه **التاويل** الوجود المجازي امانة من الله تعالى كما ان وجود الظل امانة من الشمس فلا جرم اذا تجلت شمس
الربوبية لظلال وجود النفس والقلب والروح يقول بلسان العزة ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها فلا

الظلال واضمحلت الاغيار وانمحت الاثار ويبقى الواحد القهار وهذا احد اسرار قوله ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال واذا احكمتم بعد فناء الوجود المجازي وبقاء الوجود الحقيقي بين الروح
والقلب والنفس ان تحكموا باداب الطريقة ويراقب القلب شواهد اللقاء ويلازم الروح عتبة الفناء والسر سلطان
دار البقاء يا ايها الذين امنوا الخطاب مع القلب والروح والسر فانهم امنوا على الحقيقة وطاعة القلب لله ان يحب الله
وحده وطاعة الروح ان لا يلتفت الى غيره وطاعة السر ان لا يرى غيره في الوجود اما الرسول فهو الرسول الوارد
من الحق في الباطن كما قال صلعم لوابصة بن معبد استفت قلبك يا وابصة ولو افتاك المفتون واولي الامر منكم يعني
مشايخكم ومن يليه امر من بينكم فان تنازعتم في شيء يعني منازعة النفس القلب والروح والسر فردوه الى الله
لمراقبة القلوب بشواهد الغيوب والى الرسول وارادة الحق بصدق النية وصفاء الطوية ذلك الايمان الايقاني
به يتهود النور الرباني خير من تعلم الكتاب والسنة بالتقليد دون التحقيق ثم اخبر عن حال اهل القال المتحاكمين ابی
طاغوت الهوى والخيال من اهل البدع والضلال بقوله الم تر الى الذين يزعمون الاية اصابتهم مصيبة اي ملامة من
الخلق او سياسة من السلطان فلا وربك لا يؤمنون فيه ان الايمان الحقيقي ليس بمجرد التصديق والاقوال ولكنه
مستوجب على محك الاعتبار وهو تحكيم الشرع لا الطبع والنبوة لا النبوة والمولى لا الهوى وارادة الحق لا مراد
الخلق فيما اختلفت اراؤهم وتحيرت عقولهم ثم لا يجدوا في مراة انفسهم صورة كراهة من القضاء الازلية والاحكام الالهية والصديقين
الذين لهم قدم صدق عند ربهم والشهداء اهل الجهاد الاكبر والصالحين لهم صلوح الولاية وحسن اولئك رفيقا في سلوك طريق الحق وبالله التوفيق

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا وَإِنَّ مِنْكُمْ
لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ
شَهِيدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ
مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ
نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ
أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا الَّذِينَ آمَنُوا
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا
أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا
أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ
النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا

إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا
أَيْنَ مَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ
وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا
مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَيَقُولُونَ
طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ
مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

القراءة لبيطئن ونحوه مثل فليتبين ولتبوئنهم بالياء الخالصة يزيد والشموني وحمزة في الوقف كان لم
تكن بالتاء المعجمة فانيه كابن كثير وحفص والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بياء الغيبة لتغليب مذكر وبابه نحو ان نجى
فتجب اذ هب فمن تبعك مدغما ابو بكر وحمزة وخلف وعلي وهشام لا يظلمون بالتاء المثناة ابن كثير وعلي وحمزة وخلف
وهشام وابن مجاهد وابن ذكوان الباقون بتاء الخطاب بيت مدغما ابو بكر وحمزة الوقوف جميعا ليبطئن لابتداء الشرط
دب مع فاء التعقيب شهيدا عظيما اهلها وليا كذلك للتفصيل بين الدعوات نصيرا في سبيل الله للفصل بين القضيتين بالتنافي
اولياء الشيطان لاحتمال الابتداء وتقدير الفاء واللام ضعيفا الزكوة لان جواب فلما منتظر ولكن التعجب في قوله الم تر
واقع على قوله اذا فريق منهم يخشون خشية لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى القتال لان قوله لولا اي هلا استفهام
اخر مع اتحاد المقول قريب قليل للفصل بين وصف الدارين فتيلا مشيدة المعدد لفظا ومعنى من عند الله ج
للفصل بين النقيضين مع عندك من عند الله حديثا فمن الله فصلا بين النقيضين فمن نفسك رسولا شهيدا
اطاع الله لحق العطف مع ابتداء شرط اخر حفيظا لاستيناف الفصل بينها طاعة لابتداء الشرط مع ان المقصود
من بيان نفاقهم لانهم بعد تقول يبيتون لاختلاف الجملتين مع الاتصال اي اذ كتب الله ما يبيتونه فاعرض ولا
تنمهم على الله وكيلا التفسير انه سبحانه وتعالى بعد الترغيب لطاعة الله وطاعة رسوله الى ذكر الجهاد اشق الطاعات
ولانه اعظم الامور التي بها نشاط تقوية الدين فقال يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم والحذر بمعنى كالاثر والاثر والمثل
والمثل يقال اخذ حذره واذا تيقظ واحترز عن المخوف كانه جعل الحذر التة التي يقي بها ويعصم بها روحه والمعنى
واحذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر السلاح لانه مما يتقى به فيحذر فان قيل اي
فائدة في هذا الامر والحذر لا يغني عن القدر والمقدر كائن والمهم مفضول قلت هذا من عالم الاسباب والوسائط
المرتبطة ولا ريب ان الكل يقع على نحو ما قدر فمن امتثل وترتب عليه الاثر كان تقديره من اهل حسن نان عنه
السلامة كان عنه القدر وهكذا شان جميع التكاليف اذا عرفت فانفروا الى قتال عدوكم انهضوا لذلك قال صلى الله عليه
واذا استنفرتم فانفروا والثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واحدها ثبة محذوفة اللام واصلها ثبي
تعوضت الهاء والياء المحذوفة والتركيب يدل على الاجتماع ومنه الثبة لوسط الحوض الذي يجتمع عنده الماء
وتثبيت الشي جمعته او انفروا مجتمعين كوكبة واحدة وهذا ترتيب فالمثنا عرطارها اليه دافان وحدانا

والغرض النهي عن التخاذل والقاء النفس الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى هي الداخلة في خبر ان والثانية هي الداخلة في جواب القسم وتقدير الكلام لمن حلف بالله ليبطئن وهو اما متعد بسبب التشديد فيكون المفعول محذوفا اي ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو كما كان ديدن المنافق عبد الله بن ابي ثبط الناس يوم احد واما لازم يقال جاء بطأ بالتشديد بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اي ابطأ اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وهذا المعنى اوفق لقوله فان اصابتكم مصيبة من عدو او قتل وهزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن وقرئ ليقولن بضم اللام كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمنادى محذوف اي يا قوم ليتني وجوز ابو علي ادخال حرف النداء في الفعل والحرف من غير اضمار المنادى كنت معهم فافوز منصوب باضمار ان اي ايت لي كونا معهم فالفوز والخطاب معه في قوله وان منكم للمذكورين في قوله يا ايها الذين امنوا والظاهر ان هذا المبطئ سواء جعل لازما او متعديا كان منافقا فلعله جعله من المومنين من حيث الجنس او النسب او الاختلاط او لانه كان حكمهم حكم المومنين لظاهر الايمان والمراد يا ايها المومنون في زعمكم ودعواكم كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر ومعنى الاعتراض في البين ان المنافقين كانوا يوادون المومنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن وذكر جمع من المفسرين ان هولاء المبطئين كانوا ضعفة المسلمين وعلى هذا فالتبطئة بمعنى الابطاء البتة لان المومن لا يبطئ غيره ولكنه قد يتثاقل لقوله يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم ثم لما ذم المبطئين رغب في الجهاد بقوله فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون معناه يشترون او يبيعون وعلى الاول فهم المنافقون المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويجاهدوا حق الجهاد ولا يختاروا الدنيا على المعاد وعلى الثاني فهم المومنون الذين تركوا الدنيا لاجل الاخرة والمراد ان بطأ واهل النفاق وضعفة الايمان عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون وقيل يحتمل ان يراد المومنون على التقدير الاول ايضا لان الانسان اذا اراد ان يبذل هذه الحيوة الدنيا في سبيل الله بخلت نفسه فاشترى اهاص نفسه بسعادة الاخرة ليقدر على بذلها في سبيل الله او لعله اريد اشتغل بالقتال واترك ترجيح الفاني على الباقي والمراد انهم كانوا يرجحون الحيوة على الموت لاستيفاء السعادة البدنية فقيل لهم قاتلوا فانكم تستولون على الاعداء وتفوزون بالاموال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب وعد الاجر العظيم على تقديري المغلوبية والغالبية ليعلم انه لا عمل اشرف من الجهاد وليكون المجاهد على بصيرة من حاله على اي تقدير كان فيقدم ولا يحجم فيزداد في تحريصهم فقال وما لكم لا تقاتلون ومعنى انه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ الحال الى ما بلغ وقوله والمستضعفين اما مجرور اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين واما منصوب على الاختصاص اي واخص من سبيل الله الذي هو عام في كل خير خلاص المستضعفين وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون او الاعسار والضعف عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم اذلاء يلقون منهم اذى شديدا فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح والولدان جمع ولد كجان في جرب وقيل الرجال والنساء الاحرار والحرائر والولدان والعبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وجمعهما الولدان والولائد الا انه خص الولدان بالذكر تغليبا كالاباء والاخوة مع ارادة الامهات والاخوات ايضا وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من الولدان والنساء والظالم صفة للقرية الا انه مسند الى اهلها فتبع القرية في الاعراب وهو مذكر لاسناده الى الاهل والاهل يذكر ويونث ولو انث لاتاء لتأنيث الموصوف بل لتأنيث الاهل جاز فاما اشراك الولدان في الدعاء وان كانوا غير مكلفين لان المشركين كانوا يؤذونهم ارغاما لابائهم او لان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء واجعل لنا من لدنك وليا اي كن انت لنا وليا وناصرا وول علينا رجلا يوالينا ويقوم بمصالحنا فاستجاب الله دعاءهم لان النبي صلعم لما فتح مكة جعل عتاب بن اسيد اميرا لهم فكان الولي هو الرسول وكان النصير عتاب بن اسيد كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة ثم شجع المومنين وشجعهم بان اخبرهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل غير الله وهو الطاغوت والشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان ان كيده اوهن شيء واضعفه والكيد السعي في افساد الحال على جهة الاحتيال وفائدة ادخال كان انه يعلم

انه

انه منذ كان موصوفا بالضعف والذلة الا ترى ان اهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا امواتا حياتهم في غاية الخمول والفقر واما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرض اثرهم ولا يبقى في الدنيا رسمهم ولا ظلمهم قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم فيه قولان الاول انها نزلت في المومنين نفر من اصحاب رسول الله صلعم منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا ويقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن لنا في قتال هولاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم فاني لم اومر بقتالهم فلما هاجر الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين كرهه بعضهم وشق عليهم الثاني قال ابن عباس في رواية ابي صالح لما استشهد الله من المسلمين من استشهد يوم احد قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد لو كان اخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فنزلت وحجة القول الاول بان رغبتهم في القتال اولا دليل الايمان ويمكن ان يجاب بان المنافقين ايضا كانوا يظهرون الرغبة في الجهاد اي ان امرنا بالقتال فاجمعوا واحتج اصحاب القول الثاني بانهم كانوا يخشون الناس كخشية الله او اشد وكانوا يعترضون على الله تعالى بقولهم لم كتبت علينا القتال وكانوا يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة فلهذا قيل لهم قل متاع الدنيا قليل وكل هذه الامور من نعوت المنافقين واجيب بان حب الحيوة والنفرة عن الحق من لوازم الطباع والاعتراض محمول على تمني تخفيف التكليف لا على الانكار وقوله قل متاع الدنيا قليل انما ذكر ليهون على قلبهم امر هذه الحيوة والاقوى حمل الاية على المنافقين لان ما بعدها وهو قوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله في شانهم بلا اختلاف وفي الاية دلالة على ان ايجاب الصلوة والزكوة كان مقدما على الجهاد وهو ايضا ترتيب مطابق لما في المعقول لان التعظيم والشفقة على خلق الله مقدمان على الترهيب والقتال في سبيل الله واذا في اذا فريق للمفاجاة وهو مجرد عن الظرفية والعامل فيها ما في معنى المفاجاة اي فاجاء وقت خشية فريق منهم ان كتب عليهم وقوله كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحل الكاف النصب على الحال لا العطف عليه من قوله او اشد ثم نصب خشية على التمييز فالتقدير يخشون الناس متشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية من اهل خشية الله نعم لو قيل اشد خشية بالاضافة انتصب خشية الله على المصدر لانك تقول خشي فلان اشد خشية بالاضافة وانت تريد المصدر ولا يمكن ان يقول اشد خشية بالنصب على ارادة المصدر اللهم الا ان يجعل الخشية خاشية وذات خشية وجد جده فيكون المعنى خشية مثل خشية الله او اشد خشية من خشية الله وعلى هذا يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منها وكلمة او ليست للشك ههنا فان ذلك على علام الغيوب محال ولكنها بمعنى الواو والمراد ان كل خوفين فان احدهما بالنسبة الى الاخر اما ان يكون مساويا او انقص فبين في الاية ان خوفهم من الناس ليس بانقص من خوفهم من الله فبقي اما ان يكون مساويا او ازيد فهذا لا يوجب كونه تعالى شاكا فيه ولكنه يوجب ابقاء الابهام في هذين القسمين على المخاطبين وهذا نظير قوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يراهم يقول هذا الكلام وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ان كانت الاية في المومنين فهم انما قالوا لا اعتراضا على الله ولكن جزعا من الموت وحبا للحياة واستزادة في مدة الكف واستمهالا الى وقت اخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وان كان من كلام المنافقين فلا شك انهم كانوا منكرين لكتبة القتال عليهم فهم قالوا ذلك بناء على زعم الرسول ودعواه ومعنى لولا اخرتنا هلا تركتنا حتى نموت باجالنا ثم ازال الشبهة وازاح العلة بقوله قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لكل الناس بل لمن اتقى فان للكافر والفاسق هنالك نيرانا واهوالا ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وانما ترجح الاخرة فلان نعم الدنيا قليلة ونعم الاخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الاخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالاكدار ونعم الاخرة صافية عن الاكدار ونعم الدنيا مشكوكة التمتع بها ونعم الاخرة يقينية الانتفاع منها ثم بكت الفريق الخائفين بانهم يدركهم الموت باينما كانوا ولو كانوا في حصون مرتفعة والبروج في كلام العرب القصور والحصون واصلها من الظهور ومنه تبرجت المراة اذا اظهرت محاسنها والغرض انه لا خلاص لهم من الموت والجهاد موت مستعقب للسعادة الابدية واذا كان لا بد من الموت فبان يقع على هذا الوجه اولى قال المفسرون كانت المدينة مملوة من النعم وقت مقدم الرسول صلعم فلما ظهر عناد اليهود ونفاق المنافقين امسك الله تعالى عنهم بعض الامساك كما جرت عادته في جميع الامم قال

وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء فعند هذا قالت اليهود والمنافقين ما راينا اعظم
شوما من هذا الرجل نقصت ثمارنا وغلت اسعارنا منذ قدم فقوله تعالى وان تصبهم حسنة يعني الخصب والرخص
وتتابع الامطار وان تصبهم سيئة يعني الجدب وانقطاع الامطار قالوا هذا من شوم محمد وهذا كقوله فاذا جاءتهم الحسنة
قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وقالوا قوم الحسنة النصر على الاعداء والغنيمة والسيئة القتل والهزيمة
وقال اهل التحقيق خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فكل ما ينتفع به فهو حسنة فان كان منتفعا به في الدنيا فهو
الخصب والغنيمة وامثالها وان كان منتفعا في الاخرة فهو الطاعة فالحسنة تعم الحسنات والسيئة تعم السيئات فلا جرم
اجابهم الله تعالى بقوله قل كل من عند الله وكيف لا وجميع الممكنات من الذوات والصفات والافعال لابد من استنادها
الى الواجب الذات ولهذا التعجب من حالهم وقال فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فنفى عنهم مقاربة الفقه والفهم
فضلا عن الفقه والفهم قالت المعتزلة بل هذه الاية حجة لنا لانه لو كان حصول الفهم والمعرفة بتخليق الله تعالى لم يبق لهذا
التعجب معنى البتة لانه تعالى ما خلقها والجواب انه لا يسال عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم والداعي وقالت المعتزلة
ايضا الحديث فعيل بمعنى مفعول والمراد به الايات المذكورة في هذه المواضع فيلزم منه كون القران محدثا والجواب بعد تسليم
ما ذكروا انه لا نزاع في حدوث العبارات انما النزاع في الكلام النفسي قوله عز من قائل ما اصابك من حسنة فمن الله قال ابو علي
الجبائي السيئة تارة تقع على البلية والمحنة وتارة تقع على الذنب والمعصية ثم انه اضاف السيئة الى نفسه في الاية الاولى
قل كل من عند الله واضافها في هذه الاية الى العبد بقوله وما اصابك يا انسان خطابا عاما من سيئة فمن نفسك فلابد من
التوفيق وازالة التناقض وما ذاك الا بان يجعل هناك بمعنى البلية وههنا بمعنى المعصية قال وانما فصل بين الحسنة والسيئة
في هذه الاية فاضاف الحسنة التي هي الطاعة الى نفسه دون السيئة مع ان كليهما من فعل العبد عندنا لان الحسنة انما تصل
الى العبد بتسهيل الله والطافه فصحت اضافتها اليه واما السيئة فلا تصح اضافتها الى الله لانه فعلها ولا بانه ارادها
ولا بانه امر بها ولا بانه رغب فيها وقال في الكشاف ما اصابك من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه
واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك كما
روي عن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو
الله اكثر منه وقالت الاشاعرة كل من الحسنة والسيئة باي معنى فرضتا فانهما من الله تعالى لوجوب انتهاء جميع الحوادث
اليه لكنه قد يظن بعض الظاهريين ان اضافة السيئة الى الله خارج عن قانون الادب فبين في الاية ان كل ما يصيب
الانسان من سيئة حتى الكفر الذي هو ابلغ القبائح فان ذلك بتخليق الله تعالى والوجه فيه ان يقدر الكلام ء
استفهاما على سبيل الانكار ليفيد ان شيئا من السيئات ليست مضافة الى الانسان بل كلها بقضائه ومشيئته
ويؤيده ما يروى انه قرئ فمن نفسك بصريح الاستفهام او ما يدل دلالة ظاهرة على ان المراد من هذه الايات اسناد
جميع الامور الى الله تعالى قوله بعد ذلك وما ارسلناك للناس رسولا اي ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت
ذلك وما قصرت وكفى بالله شهيدا على جدك وعدم تقصيرك في اداء الرسالة وتبليغ الوحي واما تحصيل الهداية فليس
اليك بل الى الله قال علماء المعاني قوله رسولا حال من الكاف اي كونك ذا رسالة وللناس صفة رسولا لا متعلق
بارسلناك والاصل الى الناس فاصل النظم وارسلناك رسولا للناس فلابد للمتقدم من خاصية هو التخصيص اعني
ثبوت الحكم للمتقدم ونفيه عن مقابله حقيقة ادعاء عما عداه مطلقا وبعد تقديم هذه المقدمة فاللام في قوله
للناس اما ان يكون للعهد الخارجي او للجنس او للاستغراق والاول باطل لان المعهود الخارجي حصة معينة من
الافراد فيلزم اختصاص الرسالة ببعض الانس لوقوع بعض الناس في مقابلة كلهم عرفا فيكون مناقضا لما في الايات
الاخر كقوله يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ولقوله بعثت الى الخلق كافة والثاني وهو حمل اللام على
تعريف الجنس ايضا باطل لانه يلزم اختصاص الرسالة بالانس دون الجن لان ثبوت الحكم لحقيقة الانس بواسطة
التقديم ينفي الحكم عما يقابلها عرفا وهو حقيقة الجن او ينفي الحكم عما عداها من الحقائق فيشمل حقيقة الجن ايضا
وعلى التقديرين يلزم الخلف لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين لقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من
الجن يستمعون القران الاية فتعين حمل اللام على الاستغراق ليثبت الحكم لكل فرد من افراد الانسان ويحصل منه

كلية وينفي نقيض هذا الحكم وهو ما كان يزعمه الضالة من ان رسالته جزئية هي انه مبعوث الى بعض الناس كالعجم وانه رسول
العرب وعلى هذا يكون الجن مسكوتا عنهم بالنسبة الى هذه الاية فلدلالة دليل اخر على كونه مبعوثا الى الثقلين لا يكون منافية
لدلالة هذه الاية لان التقديم قد استوفى حظه من الخاصية من غير التعرض للجن ثم انه بين ان كل فرد من افراد الناس وجب طاعته
بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله لان طاعة الرسول لكونه رسولا فيما هو فيه رسول لا يكون الا طاعة لله قال مقاتل في هذه
الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الرجل
الشرك هو ان ينهى ان يعبد غير الله ويريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله هذه الاية وهي من اقوى الدلائل على
انه معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي تبليغه وفي افعاله والا لم يكن طاعته فيما اخطا طاعة لله ومن تولى فقل عند التولي
بالقلب اي حكمك بالحد على الظواهر واما البواطن فلا تتعرض لها ومثل هذا الظاهر ومعناه فلا ينبغي ان تغتم بسبب ذلك التولي
فما ارسلناك لتحفظ الناس عن المعاصي فان من اضل الله لم يقدر احد على ارشاده والمعنى فما ارسلناك لتشتغل بزجرهم عند ذلك التولي
كقوله لا اكراه في الدين ثم نسخ باية الجهاد ثم حكى سيرة المنافقين بقوله ويقولون طاعة اي حين ما امرتهم بشي طاعة اي امرنا
وشاننا طاعة والنصب في مثل هذا جائز لمعنى اطعناك طاعة لكن الرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها فلهذا لم يقرا فاذا
برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي دبرت خلاف ما امرت به وما ضمنت من الطاعة قال الزجاج كل امر
تفكروا فيه وتاملوا في مصالحه ومفاسده كثيرا قيل هذا امر بيت وفي اشتقاقه وجهان الاول ان اصلح الاوقات
للفكر ان يجلس في بيته في الليل فيكون هناك الخاطر اصفى والشواغل اقل فلا جرم سمي الفكر المستقصى مبيتا
الثاني قال الاخفش اذا اراد العرب قرض الشعر بالغوا في التفكر فيه فسمي الفكر البليغ تبييتا اشتقاقا من ابيات
الشعر ثم انه تعالى خص طائفة من المنافقين بالتبييت وذكروا في التخصيص وجهين احدهما انه ذكر من علم انه يبقى
على كفره ونفاقه فاما من علم انه يرجع عن ذلك فلم يذكرهم وثانيهما ان هذه الطائفة كانوا قد سهروا ليلهم في التبييت
وغيرهم سمعوا وسكتوا ولم يبيتوا فلا جرم لم يذكروا قلت ووجه ثالث وهو ان هذا النوع من الكلام اجلب للقلوب
وادخل في عدم الانكار والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه او يكتبه في جملة ما
يوحي اليك فيطلعك على اسرارهم فاعرض عنهم وتوكل على الله في شانهم فان الله ينتقم لك منهم اذا قوي
امر الاسلام وعزت انصاره قال بعضهم الامر بالاعراض منسوخ باية الجهاد والاكثرون على ان الصفح مطلق فلا حاجة
الى التزام النسخ والله تعالى اعلم **التأويل** خذوا حذركم وهو ذكر الله فانفروا ثبات جاهدوا بالرياضات من عالم التفرقة
وهو عالم الحيوانية او انفروا جميعا من عالم الحجبة وهو عالم الروحانية الى عالم الوحدة وان منكم ايها الصديقون لمن ليبطئن
من المدعين المتكاسلين في السير القانعين بالاسم النازلين على الرسم مصيبة بلية ومحنة فضل من الله
مواهب غيبية وعلوم لدنية ومرتبة عند الخواص وقبول عند العوام يشرون الحيوة الدنيا يشترون حظوظ النفس
بحقوق الرب ويقتل نفسه بسيف الصدق او يبعد عليها بالظفر او نسلم على يده والمستضعفين الرجال اي الارواح
في القلب كنضرة الروح في الزجاجة والولدان الصفات الحميدة المتولدة بين الروح والقلب من هذه القرية قرية البدن
الظالم اهلها وهي النفس الامارة بالسوء نصيرا شيخا مربيا الم تر الى الذين قيل لهم من اهل السلامة كفوا ايديكم
عن الاعتصام بحبل اهل الملامة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فانكم لستم اهل الغرام فاقنعوا بدار السلم والسلم
لارباب الغرام من اهل المرام اذا فريق منهم يخشون الناس ويخافون لومة الشناس اذ كان من شرطهم ان لا يخافوا
لومة لائم ولا يبالوا بلومة لائم فتبعوا عن فريقهم كالبهائم وضلوا عن طريقهم كالبهائم لولا اخرتنا الى اجل قريب فنتوب الا
فان لنا في كل لحظة موتة في ترك حظه يا ايها البطلة في ترك الطلبة الذين غلب عليكم حب الدنيا فاقعدكم عن طلب المولى
اينما تكونوا يدرككم الموت اضطرارا ان لم تموتوا قبل ان تموتوا اختيارا ولو كنتم في بروج مشيدة احياء ذوي به ء
مجسمة وان تصبهم يعني لاهل البطالة حسنة من فتوحات غيبية يقولوا هذه من عند الله لا يرون الشيخ فيها عليهم
حقا وان تصبهم سيئة من الرياضات والمجاهدات يقولوا هذه من عندك اي بسببك وبسعيك قل كل من عند الله القبض
والبسط والفرح والترح ما اصابك من فتح ومن هبة فمن الله تفضلا وكرما وما اصابك من سيئة بلاء وعناء فمن شؤم
صفات نفسك الامارة والتحقيق فيه ان للاعمال اربع مراتب التقدير والخلق وهاتان من الله والكسب والفعل وهاتان من

العبد وكسبه وفعله كلها مخلوقة خلقها الله تعالى فلهم وارسلناك للناس رسولا يهتدون بهداك ويتبعون خطاك
ويقولون اذا كانوا حاضرين في صحبتك تنعكس اشعة انوار النبوة عليهم وينجعون باذانهم الواعية الى الحكم والموعظة
الوافية والسمع والطاعة فاذا برزوا من عندك وهبت اليهم رياح الهوى عاد الطبع المشؤوم الى اصله وهكذا حال الكثر
من بدي هذا الزمان الى مشايخهم والله يكتب ما يبيتون لان الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم فاعرض عنهم واصبر معهم وتوكل على الله فلعل الله يصلح بالهم وبالله المستعان

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا
وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي
الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ
الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا
مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً
يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ
مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ
وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ
لَهُ سَبِيلًا وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى
يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ
صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ
فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا
سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا

اي يغيروا ما بانفسهم

نصف الحزب

فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا

القراءات ومن اصدق وكل ساكن بعدها دال باشمام الزاي علي ورويس وحمزة غير العجلي حصرت صدورهم وبابه
مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وقرا سهل ويعقوب والمفضل حصرة صدورهم بالنصب والتنوين **الوقوف**
القرآن لتناهي الاستفهام الى الشرط كثيرا اذاعوا به منهم قليلا في سبيل الله لان قوله لا تكلف يحتمل الاستيناف والحال اي قابل
غير مكلف الا نفسك ولعطف قوله وحرض على قوله فقاتل المؤمنين لان عسى مستانف لفظا ومتصل معنى كفروا تنكيلا نصيب
منها لابتداء شرط اخر مع واو العطف كفل منها مقيتا ردوها حسيبا الا هو لا ريب فيه حديثا بما كسبوا من اضل الله
لتناهي الاستفهام الى الشرط سبيلا في سبيل الله وجدتموهم نصيرا قاتلوا قومهم فلقاتلوكم السلم لان ما بعده جواب
فان سبيلا قومهم اركسوا فيها ثقفتموهم مبينا **التفسير** لما حكى عن المنافقين ما حكى وكان التثبيت فيه اعتقادهم
انه صلى الله عليه وسلم غير محق في ادعاء الرسالة امرهم بالتفكر والتدبر وهو النظر في عواقب الامور وادبارها ومنه قول
لو انكم لا تدبرتم اعجازا امور قد ولت صدورها ويقال في فصيح الكلام لو استقبلت من امري ما استدبرت اي لو عرفت في صدره
ما عرفت من عاقبته وظاهر الاية يدل على انه احتج بالقرآن على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والا لانقطع النظم ودلالة
القرآن على صدق النبي من ثلاثة اوجه الفصاحة والاشتمال على الغيب والسلامة من الاختلاف وهو المقصود من الاية
واختلف المفسرون في المراد من سلامته من الاختلاف فقال ابو بكر الاصم معناه ان المنافقين كانوا يتواطؤون في السر على
انواع كثيرة من المكايد والرسول يخبرهم عنها حالا فحالا فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لم يطرد صدقه ولظهر
انواع الاختلاف والتفاوت قال اكثر المتكلمين المراد تجاوب معانيه وتلاؤم تفاصيله مع انه مشتمل على علوم كثيرة وفنون
غزيرة ولو كان من عند غير الله لم يخل من تناقض واضطراب والذي يظن في التناقض كقوله لا يسئل عن ذنبه انس ولا
جان مع قوله لنسئلنهم اجمعين او كقوله فاذا هي ثعبان مبين مع قوله كانها جان ليس بذلك عند التدبر ولا
شروط التناقض من اتحاد الزمان والمكان وقال ابو مسلم المراد صحة نظمه وكونه كله بل كل جزء من اجزائه واابعاضه
حد الفاحة الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا مشتملا
على المعاني الكثيرة فلا بد ان يظهر التفاوت في كلامه بحيث يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا ولما لم يكن
القرآن كذلك علمنا انه معجز من عند الله تعالى وفي الاية دلالة على وجوب النظر والاستدلال اعني التدبر قال
الجبائي وفيها دلالة على ان افعال العباد غير مخلوقة لله لان فعل العبد لا ينفك عن التفاوت والاختلاف والجواب
انه لا يلزم من كون كلامه غير متفاوت ولا مختلف ان لا يكون افعاله مختلفة بحسب اختلاف المظاهر والقوابل سلمنا
لكن اختلافه هو كونه غير مطابق للاغراض والمقاصد الانسانية وقد تكون بحسب نظرنا لا بحسب الامر نفسه ثم حكى
عن المنافقين وقيل عن ضعفة المسلمين انه اذا جاءهم الخبر بامر من الامور سواء كان ذلك الامر من باب الامن او من
باب الخوف اذاعوه وافشوه يقال ذاع السر واذاع به لغتان ويجوز ان يكون معنى اذاع به فعل به الاذاعة وهو ابلغ ولا
يخفى ما في ذلك الافشاء من الضرر من جهة ان الارجاف لا ينفك عن الكذب الكثير ومن جهة ان تلك الزيادات ان كانت
في جهة الامن ولم يقع اورث شبهة لضعفة المسلمين في صدق الرسول لان المنافقين كانوا يروونها من الرسول وان كانت في جانب
الخوف حصل اضطراب في الضعفة ووقعوا في الحيرة وايضا البحث عن الارجاف موجب ظهور الاسرار وذلك لا يوافق
مصلحة المدينة فقد يصل الخبر الى الكفار فيستعدوا للقتال او يتحصنوا وفي الاية قولان الاول ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر وهم كبار الصحابة البصراء والذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين
يستنبطونه الذين يستخرجونه تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط
وهو الماء يخرج من البئر اول ما يستخرج فاستعير لاخراج المعاني والتدبير الثاني كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه
وسلم والى الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فتعود اذاعتهم

حفظة

مفسدة فقيل لهم لو فوضوه الى الرسول والى اولي الامر وكانوا كانهم لم يسمعوا لعلم الذي يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه
وما ياتون وما يذرون فيه الثالث كانوا يسمعون من افواه بعض المنافقين شيا من خبر السرايا غير معلوم الصحة فيذيعونه
فقيل لهم لو تسكتوا حتى سمعوه من الرسول واولي الامر لعلموا صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع فالمستنبطون هم المذيعون
ومعنى يستنبطونه منهم يتلقونه من الرسول واولي الامر ويستخرجون علمه من جهتهم قالت العلماء وفي الاية دلالة
على ان القياس حجة لانهم امروا ان يرجعوا في معرفة الوقايع الى اولي الامر من المستنبطين فرواية النص لا تكون
استنباطا فهو اذن رد واقعة الى نظيرها وهو القياس واعترض بانا لا نسلم ان المستنبطين هم العلماء واولوا الامر بل هم الذين
كما في القول الثالث سلمنا لكن الاية نزلت في الحرب ولا يلزم من جواز الاستنباط في الوقايع المتعلقة بها جواز الاستنباط
في الوقايع الشرعية فان قسم احد الناس على الاخر كان اثباتا للقياس الشرعي بالقياس الشرعي سلمنا لم لا يجوز ان يكون
المراد استخراج الاحكام الشرعية من النصوص الخفية او من تركيبات النصوص او بالبراءة الاصلية او بحكم العقل كما
يقوله الاكثرون على ان الاصل في المنافع الاباحة وفي المضار الحرمة وكل ذلك لا يكون من القياس الشرعي في شي
سلمنا ان القياس الشرعي داخل في الاية لكن بشرط كونه مفيدا للعلم بدليل قوله لعلمه الذين يستنبطونه ولا نزاع في
مثله انما النزاع في ان القياس المفيد للظن هل هو حجة ام لا واجيب بان صرف المستنبطين الى المذيعين ليس اقوى اذ لو
كان المراد ذلك لكان اللايق بنظم الكلام ان يقال ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر لعلموه من غير اقامة المظهر مقام
المضمر وعن الثاني بان الامن او الخوف عام في كل ما يتعلق بباب التكليف ولئن سلم انه مخصوص بامر الحرب فاذا علم
احكام الحرب بالقياس الشرعي لزم جواز التمسك به في ساير الوقايع اذ لا قايل بالفرق الا ترى ان من قال القياس حجة
في باب البيع له في باب النكاح لا يلتفت اليه وعن الثالث ان شيا من ذلك لا يسمى استنباطا وعن الرابع ان
العلم قد يراد به الظن الغالب سلمنا لكن القياس الشرعي عندنا يفيد العلم لانه مهما غلب على الظن انه حكم الله في
الاصل معلل بكذا ثم غلب على الظن ان ذلك المعنى قايم في الفرع حصل ظن ان حكم الله في الفرع مساو لحكمه في الاصل وعند
هذا الظن يقطع بانه مكلف بان يعمل على وفق هذا الظن وهذا معنى قولهم الظن واقع في طريق الحكم والحكم مقطوع
به كانه قال تعالى مهما غلب على ظنك كذا في الواقعة الفلانية فاعلم قطعا ان حكمي فيها كذا اما قوله لاتبعتم الشيطان
الا قليلا فظاهره يقتضي اشكالا وهو ان قليلا من الناس لا يحتاج في عدم اتباع الشيطان الى فضل الله ورحمته
لكن الاحتياج بالنسبة الى كل واحد من الناس ثابت بالاتفاق فهذا تناقض وذكر المفسرون في ازالة التناقض وجوها
الاول ان الاستثناء راجع الى قوله اذاعوا به كانه تعالى اخرج بعض المنافقين من هذه الاذاعة كما اخرجه في قوله
يستنبطونه الثاني انه عايد الى قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا القليل قال الفراء والمبرد القول الاول اولى لان
ما يعلم بالاستنباط فالاقل يعلمه والاكثر يجهله وصرف الاستثناء الى ما ذكروه يقتضي ضد ذلك قال الزجاج هذا غلط
لانه لا يراد بهذا الاستنباط ما يستخرج بنظر دقيق وفكر غامض انما هو استنباط خبر واذا كان كذلك فالاكثرون
يعرفونه الا البالغ في البلادة والانصاف ان الاستنباط لو حمل على مجرد تعرف الاخبار والاراجيف فكلام الزجاج
صحيح وان كان محمولا على استخراج الاحكام الشرعية كما مر فالحق كما ذكره الفراء والمبرد والثالث ان الاستثناء مصروف
الى ما يليه كما هو اصل النسق لان الفضل والرحمة مفسران بشي خاص وفيه وجهان احدهما قول جماعة من المفسرين ان
المراد انزال القران وبعثة محمد والتقدير لولا بعثة محمد وانزال القران لاتبعتم الشيطان ولكفرتم بالله الا القليل منكم
فان القليل بتقدير عدم بعثة محمد ما كان يكفر بالله وهم قيس ابن ساعدة وورقة ابن نوفل وزيد ابن عمرو ابن نفيل
كانوا مومنين بالله قبل بعثة محمد صلعم وثانيهما قول ابي مسلم ان المراد بالفضل والرحمة منها نصرته تعالى ومعونته اللذان
تمناهما المنافقون بقولهم فافوز فوزا عظيما والتقدير لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع لاتبعتم الشيطان الا
القليل منكم وهم اهل البصاير والعزايم من افاضل المومنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة
في الدنيا فلولا تواتر الفتح والظفر يدل على كونه حقا ولا انقطاع النصر والغلبة يدل على كونه باطلا بل الامر في كونه
حقا وباطلا مبني على الدليل وهذا احسن الوجوه قوله فقاتل قيل انه جواب لقوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل
كانه تعالى قال ان اردت الفوز فقاتل وقيل انه متصل بمعنى ما ذكر من قصص المنافقين كذا اي كانه قال فلا يعنيك

ولا تلتفت اليهم بل قاتل فانك لا تؤاخذ الا بفعلك فاذا اديت فرضك لم تكلف فرض غيرك وتعلم من قوله وحرض المومنين ان
الواجب على الرسول صلعم انما هو الجهاد وتحريض الناس على الجهاد اي الحث والالحاح عليه فاذا اتى بالامرين فقد خرج عن عهدة
التكليف وليس عليه من كون غيره تاركا شي واعلم ان الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفايات ما لم يغلب على الظن انه
يفيد لم يجب بخلاف رسول الله صلعم فانه على ثقة من النصر والظفر بدليل قوله عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وعسى
من الله حزم لان الرجا عليه محال فهو اطماع واطماع الكريم ايجاب فلزم الجهاد وان وحده فلا جرم انه صلى الله عليه وسلم
في بدر الصغرى لا خرج وحده خرج وتبعه سبعون راكبا ولو لم يتبعه احد لخرج وحده ثم انه تعالى كف باس المشركين
والقى الرعب في قلوب ابي سفيان واصحابه حتى ندموا وتركوا الحرب في السنة وفي الاية دليل على انه صلعم كان اشجع
الخلق لانه تعالى لم يامره بالقتال وحده الا انه كذلك وقيل اقتدى به ابو بكر حين حاول الخروج وحده الى
قتال مانعي الزكوة ومن عرف ان الامور كلها بيد الله وانه لا يحدث شي الا بقضاء الله سهل عليه الفوت وكان يعول من بقية
الموت والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا لان عذاب الله دايم وعذاب غيره غير دايم وعذاب
غير الله يخلص منه الله وعذاب الله لا يقدر احد على تخليصه منه وعذاب غير الله يكون من وجه واحد وعذاب الله يصل
الى جميع الابعاض والاجزاء ويشمل الروح والجسم فهذا طرف من الفرق والله اعلم بكنه عذابه قوله سبحانه من يشفع شفاعة
حسنة وجه نظمه يعرف من تفسيره وذلك انه قيل المراد تحريض النبي صلى الله عليه وسلم اياهم على الجهاد لانه اذا كان
يامرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفيعا لهم في تحصيل الاغراض المتعلقة بالجهاد وايضا التحريض هو الحث على سبيل الرفق
والتلطف لا التهديد جار مجرى الشفاعة وقيل كان بعض المنافقين يشفع لمنافق اخر في ان ياذن له الرسول
في التخلف عن الجهاد وكان بعض المومنين يشفع لمومن اخر عند مومن ثالث ان يحصل له عدة الجهاد نزلت ونقل الواحدي
عن ابن عباس ان الشفاعة الحسنة ههنا هي ان يشفع ايمانه بالله بقتال الكفار والشفاعة السيئة ان يشفع
كفره بالله بمحبة الكفار وترك ايذايهم وقال مقاتل الشفاعة الى الله انما هي دعوة المسلم للمسلم لما روي عن النبي صلعم
من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك
وقال الحسن ومجاهد والكلبي وابن زيد هي مطلق الشفاعة والحسنة منها هي التي يروعي بها حق مسلم ودفع بها عنه
شرا او جلب اليه خيرا وابتغي به وجه الله ولم يوخذ عليها رشوة وكانت في امر جايز لا في حد من حدود الله
ولا في ابطال حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعلى هذا فوجه النظم ان التحريض على الجهاد بعث على
الفعل الحسن وانه نوع شفاعة كما مر في القول الاول وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع
له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك ما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها قال اهل اللغة
الكفل ايضا النصيب فهل لاختلاف اللفظين فايدة فاجيب بان الكفل اسم للنصيب الذي عليه يكون الاعتماد والاسناد
ومنه يقال كفل البعير واكتفله اذا ادار حول سنامه كساء وركب والكفيل الضامن لان الغريم اعتمد عليه و
التقدير من يشفع شفاعة سيئة يكن له منها نصيب يعتمد عليه ويكون له ذخيرة في معاشه ومعاده والغرض
التهكم وحصول ضد ذلك مثل بشرهم بعذاب اليم وكان الله على كل شي مقيتا اي مقتدرا وحسيبا واشتقاقه
من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها والغرض انه قادر على كل المقدورات حفيظ لجميع المعلومات يجازي كلا
بما يليق بحاله ثم لما امر المومنين امرهم ايضا بان الاعداء لو رضوا بالمسالمة او بلغوا بالمبارزة بالسلم قابلوهم بالاكرام والسلم
وايضا السلم دعاء بالسلامة والدعاء نوع من الشفاعة والتحية تفعلة من الحيوة فتجب ان تكون من باب التفعيل على
تفعلة مثل تسلية وتوصية لكنه ادغم ههنا لاجتماع المثلين وكانت العرب تقول عند التلاقي حياك الله دعاء له بالحيوة
فابدل الله ذلك بالسلام ولعمري هذا احسن لان الحيوة ان لم تكن مقرونة بالسلامة لم يعتد بها بل لعل الموت خير منها
ولان السلام اسم من اسماء الله تعالى فالابتداء به اولى لان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقد سلم الله على المومنين
في اثني عشر موضعا في القران ولهذا سمى نفسه بالسلام وعلى لسان نوح يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى
امم ممن معك والمراد امة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى لسان جبريل تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر
سلام قال المفسرون انه خاف على امته ان يصيبها مثل امة موسى وعيسى فقال الله لا تهتم لذلك فاني وان اخرجتك

من الدنيا الا اني جعلت جبريل خليفة لك ينزل الي امتك كل ليلة قدر ويبلغهم السلام مني وسلم عليك علي لسان موسي والسلام علي من اتبع الهدي وسلم عليك علي لسان محمد صلعم وقل الحمد لله وسلام علي عباده الذين اصطفي وامر محمدا بالسلام عليك واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم وامر المومنين بالسلام عليك واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وسلم عليك علي لسان ملك الموت الذين تتوفيهم الملايكة طيبين يقولون سلام عليكم قيل ان ملك الموت يسلم في اذن المومن يقول السلام يقريك السلام ويقول اجبني فاني مشتاق اليك واشتاقت الجنات وحور العين اليك فاذا سمع المومن البشارة يقول لملك الموت لا بد من هدية ولا هدية اعز من روحي فاقبض روحي هدية لك وسلم عليك من الارواح الطاهرة فاما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وسلم عليك وعلي لسان خزنة الجنة وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وسلم عليك علي لسان الملايكة في الجنة والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وسلم عليك علي لسان اهل الجنة تحيتهم يوم يلقونه سلام وسلام عليك الي الابد سلام قولا من رب رحيم ولما اراد اكرام عيسي عليه وعده بالسلام في مواطن ثلثة هي اشد الاوقات حاجة الي السلامة فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ولما ذكر تعظيم محمد قال ان الله وملايكته يصلون علي النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعن عبد الله بن سلام قال سمعت من رسول الله صلعم دخلت في عام الناس فاول ما سمعت عنه يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وكانت تحية النصاري وضع اليد علي الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وتحية الجاهلية حياك الله وتحيتهم للملوك انعم صباحا فشتان ما بين تحياتهم وتحيتنا السلام عليك ورحمة الله وبركاته وفي هذا دليل علي ان هذا الدين اشرف الاديان واجلها ومما يدل علي فضيلة السلام عقلا ان الوعد بالنفع قد يقدر الانسان علي الوفاء به وقد لا يقدر واما الوعد بترك الضرر فانه يقدر عليه لا محالة والسلام يدل عليه فهو افضل انواع التحية قال بعض العلماء من دخل بيتا وجب عليه ان يسلم علي الحاضرين لقوله تعالي فاذا دخلتم بيوتا فسلموا علي اهلها وقال صلعم افشوا السلام والامر للوجوب ولان السلام بشارة بالسلامة وازالة الضرر وهو واجب لقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولانه من شعاير الاسلام واظهار شعاير الاسلام واجب وعن ابن عباس والنخعي واكثر العلماء ان السلام سنة واما الجواب فواجب بالاجماع لان ترك الجواب اهانة والاهانة ضرر والضرر حرام لقوله تعالي واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وظاهر الامر للوجوب وعن ابن عباس ما من رجل يمر علي قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملايكة قال العلماء الاحسن ان يزيد في جواب السلام الرحمة وان ذكر في الابتداء السلام والرحمة زاد في الجواب البركة وان ذكر المجموع اعادها فقط فان منتهي الامر في السلام ان يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لان هذا القدر هو الوارد في التشهد وروي ان رجلا قال لرسول الله صلي الله عليه وسلم السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجاء ثالث فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال نقصتني فاين قول الله فحيوا باحسن منها فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فقوله تعالي او ردوها اجيبوها بمثلها ورد السلام كرده وجعه اما اشارة الي هذه الصورة واما الي التخيير بين الزيادة وتركها ورد الجواب فرض الكفاية اذا قام به واحد سقط عن الباقين والاولي ان يقوم به الكل اظهارا للاكرام والاحسن ان يدخل حرف العطف فيقال وعليكم السلام وهو واجب علي الفور بقدر ما يعهد بين الايجاب والقبول في العقود فان تاخر عن ذلك كان ابتداء سلام لا جوابا واذا ورد عليه سلام في كتاب فجوابه بالكتابة ايضا واجب لقوله واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها ومن قال لاخر اقرئ فلانا وجب عليه ان يفعل قال العلماء المبتدي يقول السلام عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليقع الابتداء والاختتام بذكر الله فان خالف المبتدي فليكن الاختتام بحاله ويجوز سلام عليكم بل قالوا انه اولي من المعرف لان المنكر في القران اكثر ولان المنكرات وردت من الله والملايكة والمومنين والمعرفات وردت في تسليم الانسان علي نفسه قال موسي والسلام علي من اتبع الهدي وقال عيسي والسلام علي يوم ولدت وايضا المعرف يدل علي اصل الماهية والمنكر يدل علي الماهية مع وصف الكمال ومن السنة ان يسلم الراكب لزيادة هيبته علي الماشي وراكب الفرس علي راكب الحمار والصغير علي الكبير والاقل علي الاكثر

اختيارا

اختيارا للجماعة والقايم لانه الواصل علي القاعد ولان القايم اهيب ومن السنة الجهر بالسلام لانه اقوي في ادخال السرور في القلب ومنها الابتداء به اظهارا للتواضع ومنها الافشاء للتعميم لان التخصيص ايحاش ومنها المصافحة عند السلام عادة النبي صلعم قال اذا تصافح المسلمان تحاتت ذنوبهما كما تحاتت ورق الشجر ومن استقبله رجل واحد فليقل سلام عليكم وليقصد الرجل والملكين لانه اذا سلم عليهما ردا السلام عليه ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله ومن دخل بيتا خاليا فليسلم ويكون كانه سلم من الله علي نفسه او سلم علي من فيه من مومني الجن او طلب السلامة ببركة اسم السلام ممن في البيت من الشياطين والموذيات ولو قال السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين كان حسنا ومن السنة ان يكون المبتدي بالسلام علي الطهارة وكذا المجيب يروي ان واحدا سلم علي رسول الله صلعم وهو في قضا الحاجة فقام وتيمم ثم رد الجواب واذا دخل الجمعة والامام يخطب فلا ينبغي ان يسلم لاشتغال الناس بالاستماع فان سلم رد بعضهم فلا باس ولو اقتصروا علي الاشارة كان احسن ومن دخل الحمام فراي الناس متزرين لم يسلم عليهم والاولي ترك السلام علي القاري كيلا ينقطع القراءة باشتغاله بالجواب وكذا القول فيمن كان مشتغلا برواية الحديث ومذاكرة العلم او بالاذان او الاقامة ولا يسلم علي المتغوط بالاكل هكذا اطلق وحمله بعضهم علي ما اذا كانت اللقمة في فيه ولا يسلم علي قاضي الحاجة قال ابو يوسف ولا علي لاعب النرد ولا علي المغني ولا علي مطير الحمام وكل من كان مشتغلا بنوع معصية ولا يمنع بالسلام علي من هو في مساومة او معاملة واذا دخل الرجل بيته سلم علي امراته فان حضرت اجنبية هناك لم يسلم عليها واذا سلمت الاجنبية عليه وكان يخاف في رد الجواب تهمة او فتنة لم يجب الرد بل الاولي ان لا يفعل وحيث قلنا لا يسلم فلو سلم لم يجب عليهم الرد لانه اتي بفعل منهي عنه وكان وجوده كعدمه ويروي عن النبي صلعم انه قال لا تبتدئوا اليهودي بالسلام وعن ابي حنيفة انه قال لا تبدأ بسلام في كتاب ولا في غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام علي من اتبع الهدي ولا باس في الدعاء بما يصلحه في دنياه ورخص بعض العلماء ابتداء السلام عليهم اذا دعت الي ذلك حاجة اما اذا سلموا علينا فقال اكثر العلماء ينبغي ان تقول وعليك لما روي ان اليهود تقول للمسلمين السام عليكم وعن الحسن يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال اليس في رحمة الله يعيش واعلم ان مذهب ابي حنيفة ان من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها ما لم يثب منها فاذا اثاب منها فلا رجوع له وقال الشافعي له الرجوع في حق الوالد وليس له الرجوع في حق الاجنبي واحتج ابو حنيفة بالاية وذلك ان التحية تشمل جميع انواع العطية فيشمل الهبة ومقتضاها وجوب الرد اذا لم يعين بلا بالاحسن لا اقل من الجواز وقال الشافعي هذا الامر محمول علي الندب بدليل انه لو اثابه بما هو اقل منه سقطت مكنة الرد بالاجماع مع ان ظاهر الاية يقتضي ان يثاب بالاحسن ثم احتج الشافعي علي قوله بما روي عن ابن عباس وابن عمر ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لا يحل لرجل ان يعطي عطية او يهب هبة فيرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده ان الله علي كل شي حسيبا فيها حث علي محافظة حقوق التحية وغيرها وتحذير علي حذر من مخالفته ثم اكد الوعيد بقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم فالاول توحيد والثاني عدل كانه تعالي يقول من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا سلامه واكرموه وعاملوه بناء علي الظاهر فان البواطن انما يعرفها الله الذي لا اله الا هو وانما تنكشف بواطن الخلق للخلق في يوم القيمة اي ليضمنكم اليه فيجمعن بينكم بان يبعثكم فيه والقيمة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال تعالي يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا استفهام علي سبيل الانكار وذلك ان الصدق من صفات الكمال والكمال للواجب اولي واحق واتم من غيره والمعتزلة نفوا عنه الكذب بناء علي انه قبيح ومن كذب لم يكذب الا لانه محتاج ان يكذب لجر منفعته او دفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلي علي حنكه من الصدق وكل هذه الامور قبيح يجب تنزيهه عنها واعلم ان المسايل الاصولية منها ما العلم بصحة النبوة يحتاج الي العلم بصحته كعلمنا بافتقار العالم الي صانع عالم بكل المعلومات قادر علي كل الممكنات فهذا القسم يمتنع اثباته بالقران والخبر والا يقع الدور ومنها غير ذلك كاثبات الحشر والنشر فانه يمكن اثباته بالقران والحديث فاعلم ثم عاد الي حكاية احوال المنافقين فقال فما لكم في المنافقين فئتين وهو منصوب علي الحال والعامل

معنوي مثل مالك قايما اي ما تصنع وقيل نصب على انه خبر كان اي ما لكم كنتم في شان المنافقين فئتين استفهام
وهو منصوب على الحال على سبيل الانكار اي لا تختلفوا في كفرهم ولكن اقطعوا بنفاقهم فقد ظهرت دلايل ذلك
وانكشفت حلية الحال وذلك انها نزلت في قوم من العرب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واسلموا فاصابوا
وباء المدينة وحماها فقالوا يا رسول الله نريد ان نخرج الى الصحرا فايذن لنا فاذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا مرحلة مرحلة
حتى لحقوا بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم نافقوا وقال بعضهم هم مسلمون فبين الله نفاقهم وقال مجاهد وقتادة
هم قوم هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا انا على دينك ما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا
وعن زيد بن ثابت هم الذين تخلفوا يوم احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وطعن بعضهم في هذا القول بان نسق
الكلام وهو حتى يهاجروا في سبيل الله يأباه اذ الهجرة من مكة لا من المدينة وعن عكرمة هم قوم اخذوا اموال المشركين
وانطلقوا بها الى اليمامة وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسار مولى النبي صلعم وقال ابن زيد
نزلت في اهل الافك قال الحسن سماهم المنافقين وان اظهروا الكفر باعتبار حالهم التي كانوا عليها والله اركسهم والركس
والارتكاس رد الشيء مقلوبا ويقال للروث الركس لانه رد الى حالة خبيثة وهي حالة النجاسة ويسمى رجيعا
ايضا لذلك والمراد ردهم الى احكام الكفار من الذل والصغار والسبي والقتل بما كسبوا اي بما اظهروا من الارتداد
بعد ما كانوا على النفاق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا لان المخلوق لا يقدر على تبديل خلق الخالق وعلى خلاف
مقتضى ارادته ومشيته وهذا ظاهر في المقصود والمعتزلة يقولون قوله اركسهم بما كسبوا اي بسبب كسبهم وتعاطيهم
ينفي القول بان ضلالهم حصل بخلق الله فان المراد من اضلال الله حكمه بضلالهم كما يقال فلان يكفر فلانا اي ينسبه
الى الكفر ويحكم عليه بذلك او المراد اضلالهم من طريق الجنة او هو مفسر بمنع الالطاف ثم ذكروا انهم بلغوا في الكفر الى ان
تمنوا ان يصيروا كفارا فكيف تطمعون في ايمانهم وهو قوله ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء اي في الكفر
والمراد فتكونون انتم وهم سواء الا انه اكتفى بذكر المخاطبين عن ذكر غيرهم لتقدم ذكرهم بقوله فتكونون عطف على
تكفرون فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا حتى يضموا الى ايمانهم المهاجرة الصحيحة المستقيمة وهي الهجرة في سبيل الله
لا لغرض من الاغراض الفانية ومثله قوله صلعم انا بريء من كل مسلم اقام بين اظهر المشركين وانا بريء من كل مسلم مع مشرك
وكانت الهجرة واجبة الى ان فتحت مكة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم يوم فتح مكة لا هجرة بعد ذلك ولكن جهاد
ونية وعن الحسن ان حكم الاية ثابت في كل من اقام في دار الحرب فراى فرض الهجرة الى دار الاسلام فاما قال المحققون
الهجرة في سبيل الله تشمل الانتقال من دار الكفر الى دار الايمان والانتقال من اعمال الكفار الى اعمال المسلمين بل هذا ادوم
لقوله صلى الله عليه وسلم المهاجرون هجروا ما نهى الله عز وجل عنه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة
فحكمهم حكم ساير المشركين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل او في الحرم ولا تتخذوا منهم في هذه الحالة
وليا يتولى شيئا من مهماتكم ولا نصيرا ينصركم على اعدائكم بل جانبوهم مجانبة كلية ثم لما امر بقتل هؤلاء الكفار استثنى
عنه موضعين الاول الا الذين يصلون اي ينتهون وينتسبون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق والمعنى ان من دخل في
عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم قال القفال وقد يدخل في الاية ان يقصد قوما حضر
الرسول صلعم فيتعذر عليهم ذلك المطلوب فيلتجئوا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد الى ان يجدوا السبيل اليه
والقوم هم الاسلميون وذلك انه صلعم وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا
يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقال ابن عباس هم بنو بكر بن زيد
بن مناة كانوا في الصلح وقال مقاتل هم خزاعة وخزيمة وههنا نكتة وهي انه تعالى رفع السيف عمن التجا الى
الكفار الصالحين فلان يرفع النار عمن التجا الى محبة الله وصحبة رسوله صلعم كان اولى وعن ابي عبيدة ان المراد بالاتصال
الانتساب يقال وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه واعترض عليه بان اهل مكة اكثرهم كانوا متصلين
بالرسول صلعم من جهة النسب مع انه قد اباح دم الكفار منهم الاستثناء الثاني قوله او جاؤكم وفي العطف وجهان
احدهما ان يكون معطوفا على صفة قوم والمعنى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم جاؤكم ممسكين
عن القتال لا لكم ولا عليكم وثانيهما العطف على صلة الذين كانه قيل الذين يتصلون بالمعاهد او الذين لا يقاتلون

وهذا

وهذا انسب بقوله في صفتهم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم الى اخر الاية اذ بين انهم كفوا عن القتال بسبب استحقاقهم
لنفي التعرض لهم بالاستحقاق لا بواسطة الاتصال ومعنى حصرت صدورهم ضاقت والحصر الضيق والانقباض وهو في موضع
الحال باضمار قد بدلالة قراءة من قرا حصرة وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف منصوب على الحال اي جاؤكم قوما
حصرت وقيل هو بيان لجاؤكم وقوله ان يقاتلوكم اي عن ان يقاتلوكم ثم هؤلاء الجائون من الكفار او من المؤمنين قال
الجمهور هم من الكفار بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين وعلى هذا يلزم النسخ لان
الكافر بان ترك القتال جاز قتله وقال ابو مسلم انه تعالى لما اوجب الهجرة على كل من اسلم استثنى من له عذر وهما
طايفتان احديهما الذين قصدوا الرسول صلى الله عليه للهجرة والنصرة الا انه في طريقهم كفار غالبون فصاروا الى
قوم بينهم وبين المسلمين عهد واقاموا عندهم الى ان يمكنهم الخلاص والثانية من صار الى الرسول ولا يقاتل الرسول ولا اصحابه
لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار ايضا لانهم اقاربه واصحابه فهذان الفريقان من المشركين لا يحل قتالهم فان كانوا لم يوجد
منهم الهجرة ومقاتلة الكفار وعلى هذا فمعنى قوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي لو شاء لقوى قلوبهم ليدفعوا عن
انفسهم ان اقدمتم على مقاتلتهم على سبيل الظلم وعلى الاول معناه ان ضيق صدورهم عن قتالكم لانه قذف الله الرعب
في قلوبهم ولو قوى قلوبهم لتسلطوا عليكم فلقاتلوكم وهو جواب لو على التكرير او البدل قال الكعبي انه تعالى اخبر انه
لو شاء لفعل وهذا ينبي عن القدرة على الظلم وهو صحيح عندنا ولا يدل على انه يفعل الظلم وما رادوا النزاع فيه فان اعتزلوكم
فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم
وقتلهم ستجدون اخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا
الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها اي ردوا مقلوبين منكوسين
فيها وهذه استعارة لشدة اصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لان من دفع في حفرة منكوسا تعذر خروجه فان لم يعتزلوكم
ويلقوا اي ولم يلقوا ولم يكفوا فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم قال الاكثرون وفيه دليل انهم اذا
اعتزلوا قتالنا وطلبوا الصلح منا وكفوا ايديهم عن ايذائنا لم يجز لنا قتالهم ولا قتلهم وهذا يسمى ان المعلق بكلمة
ان على الشرط يعدم عند عدم الشرط واما قوله سلطانا فمعناه حجة واضحة لانكشاف حالهم والغدر
او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم والله اعلم بالصواب

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ اَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا اِلَّا خَطَاءً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاءً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ اِلَى اَهْلِهِ اِلَّا اَنْ يَصَّدَّقُوا فَاِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَاِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ
فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ اِلَى اَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللّٰهِ وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا
فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَاَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا
يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ اَلْقَى اِلَيْكُمُ
السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللّٰهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ

كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبيّنوا انّ الله كان بما تعملون
خبيرا ۞ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون
في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضّل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على
القاعدين درجة وكلّا وعد الله الحسنى ط وفضّل الله المجاهدين على القاعدين
اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما انّ الذين توفّيهم
الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الارض قالوا
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأويهم جهنّم وساءت
مصيرا ۞ الّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا
يهتدون سبيلا ۞ فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوّا غفورا ۞
ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن
يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثمّ يدركه الموت فقد وقع
اجره على الله وكان الله غفورا رحيما ۞ واذا ضربتم في الارض
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا انّ الكافرين كانوا لكم عدوّا مبينا ۞

القراءة فتثبتوا من التثبت وكذلك في الحجرات حمزة وعلي وخلف والباقون فتبينوا من التبين السلم مقصورا ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وخلف والمفضل وسهل الباقون بالالف غير بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي وخلف الباقون غير بالرفع الذين توفيهم مشددة التاء البزي وابن فليح **الوقوف** الا خطا تصدقوا لابتداء حكم آخر مؤمنة كذلك مؤمنة متتابعين لاحتمال كون توبة مصدر الفعل محذوف والا وجه كونه مفعولا له من الله حكيما عظيما مؤمنا لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا الدنيا لانقطاع النظم مع اتصال الفاء كثيرة فتبينوا خبيرا وانفسهم الاول درجة الحسنى عظيما لان ما بعده بدل رحمة رحيما فيم كنتم في الارض فتهاجروا فيها لتناهي الاستفهام الى جوابه جهنم مصيرا لا للاستثناء سبيلا عنهم غفورا وسعة على الله رحيما من الصلوة والاصح انه شرط تغليب في حال المسافر كفروا مبينا **التفسير** لما لم يكن بد في مجاهدة الكفار من انه قد يتفق ان يرى الرجل رجلا يظنه كافرا حربيا فيقتله ثم يتبين انه كان مسلما ذكر الله تعالى حكم هذه الواقعة وامثالها في هذه الآية اما سبب النزول

فقد روي عن عروة بن الزبير ان حذيفة بن اليمان قاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فاخطأ المسلمون وظنوا ان اباه اليمان واحد من الكفار فضربوه باسيافهم وحذيفة يقول انه ابي فلم يفهموا قوله الا بعد ان قتلوه فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فلما سمع الرسول صلعم ذلك ازداد وقع حذيفة عنده فنزلت الآية وقيل نزلت في ابي الدرداء وذلك انه كان في سرية فعدل الى شعب لحاجة له فوجد رجلا في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال الرجل لا اله الا الله فقتله وساق غنمه ثم وجد في نفسه شيئا فذكر الواقعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هلا شققت عن قلبه وندم ابو الدرداء والذي عليه الاكثر المفسرين ما ذكره الكلبي ان عياش بن ربيعة المخزومي اسلم وخاف ان يظهر اسلامه فخرج هاربا الى المدينة وذلك قبل الهجرة فقدمها واتى اطما من اطامها فتحصن فيه فجزعت امه جزعا شديدا واقسمت لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة وكان ابو جهل اخا عياش لامه فاتياه وهو في الاطم فقالا له انزل فان امك لم يؤوها سقف بيت بعدك وحلفت لا تأكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولم يزل يفتل منه ابو جهل في الذروة والغارب ويقول اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما اخرجاه من المدينة اوثقاه وجلده كل منهما مائة جلدة ثم قدما به على امه فقالت والله ما احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس فاعطاهم بعض الذي ارادوا فاتاه الحارث بن زيد فقال يا عياش والله لئن كان الذي كنت عليه هدى لقد تركت الهدى وان كان ضلالة فقد دخلت الآن فيه فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد هجرة النبي صلعم وهاجر الى المدينة واسلم الحارث بعده وهاجر وليس عياش يومئذ حاضرا ولم يشعر باسلامه فبينا هو يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث بن زيد فلما رآه حمل عليه فقتله فقال الناس اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلعم وقال كان من امري وامر الحارث ما علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن اي ما صح له ولا استقام وما كان له فيما اتاه من ربه وعهد اليه او ما كان له في شيء من الازمنة ذلك والغرض بيان ان حرمة القتل كانت ثابتة من اول زمان التكليف الا خطأ الا لهذا العذر ويجوز السبب فيكون مفعولا له والا في حال الخطأ او الا قتلا خطأ قال ابو هاشم وهو احد رؤساء المعتزلة التقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا ان يقتله خطأ فيبقى حينئذ مؤمنا ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير فعليه اعتاق رقبة اي نسمة مؤمنة والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل والطير لكرامتها وحر الوجه اكرم موضع منه وعبر بالنسمة عن الرقبة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق ودية مسلمة الى اهله الدية من الودي كالشية من الوشي والاصل ودية وهي مخصوصة ببذل النفس ودون سائر المتلفات وقد يستعمل في بذل الاطراف والاعضاء والمراد بالاهل الورثة الا ان يصدقوا اي يتصدقوا فادغمت التاء في الصاد والتصدق الاعطاء والمراد ههنا العفو ومحله النصب على الظرف او على الحال والعامل مسلمة او عليه كانه قيل تجب عليه الدية او يسلمها الا زمان التصدق او الا متصدقين وههنا مسائل الاولى القتل على ثلاثة اقسام عمد وخطأ وشبه عمد اما العمد فهو ان يقصد قتله بالسبب الذي يعلم افضاؤه الى الموت سواء كان ذلك جارحا او لم يكن واما الخطأ فضربان احدهما ان يقصد رمي مشرك او طائر فاصاب مسلما والثاني ان يظنه مشركا بان كان عليه شعار الكفار فالاول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد واما شبه العمد فهو ان يضرب مثلا بعصا خفيفة لا تقتل غالبا فيموت منه فهذا خطأ في القتل وان كان عمدا في الضرب الثانية قال ابو حنيفة القتل بالمثقل ليس بعمد محض بل هو خطأ او شبه عمد فيكون داخلا تحت الآية فيجب فيه الدية والكفارة ولا يجب فيه القصاص وقال الشافعي انه عمد محض يجب فيه القصاص حجة الشافعي انه قتل عمد عدوان اما انه قتل فلقوله تعالى لموسى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم يعني القبطي اذ وكزه موسى فقضى عليه واما انه عمد عدوان فظاهر فلان ضرب رأس الانسان بحجر الرحى او صلبه او غرقه او خنقه ثم قال لما قصدت قتله عدوانا واذا ثبت انه قتل عمد عدوان فهو يوجب القصاص لقوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى وان المقصود من شرع القصاص صون الارواح عن الاهدار والاهدار في المثقل كهو في المحدد والعلم الضروري حاصل بان التفاوت في آلة الاهدار غير معتبر حجة ابي حنيفة قوله صلعم الا ان قتيل العمد الخطأ قتيل السوط والعصا فيه مائة من الابل وهذا عام سواء كان

السوط او العصا صغيرا او كبيرا واجيب بان العصا والسوط يجب حملها على الخفيف ليتحقق معنى الخطا فان من ضرب
راس انسان بقطعة جبل ثم قال ما كنت اقصد قتله لم يعبا بقوله الثالثة قال ابو حنيفة القتل العمد لا يوجب الكفارة
لانه شرط في الاية ان يكون القتل خطا وعند انتفاء الشرط لا يحصل المشروط وقال الشافعي يوجب لما روي عن واثلة
بن الاسقع قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا اوجب النار بالقتل فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو
منه عضوا من النار وايضا نص الله تعالى على الكفارة في قتل الصيد عمدا في الحرم وفي الاحرام ما وجبنا على الخاطي بالاتفاق
فهيهنا نص على الخاطي فان يوجب على العامد كان اولى لانه لما اخرج نفسا مومنة عن جملة الاحياء عدّ الزمه ان يدخل نفسا
مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيايها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار كما ان الميت ممنوع من التصرف
مطلقا ولتحقيق هذا المعنى اوجب ان يكون الرقبة كاملة الرق وان يكون سليمة عن عيب مخل بالعمل كالهرم كالعمى والجنون الرابعة
قال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي لا يجزي في الرقبة الا اذا صام وصلى لانه تعالى اوجب تحرير الرقبة المومنة والايمان
اما التصديق واما العمل واما المجموع وعلى التقديرات فالكل فايت عن الصبي وقال الشافعي ومالك وابو حنيفة والاوزاعي
يجزي الصبي اذا كان احد ابويه مسلما لان حكمه حكم المومن الخامسة انه تعالى اوجب الدية ولم يبين كيفيتها واذا عرفت من
السنة وعن عمرو بن حزم ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن ان في النفس مائة ابل وهذه المائة اذا كان القتل
خطا خمسة وعشرون منها بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة
وبه قال مالك لما روي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى في دية الخطا بمائة من الابل وفصلها كما ذكرنا وابدل ابو حنيفة
واحمد بنو اللبون بابناء المخاض لان هذا الاقل متفق عليه والزايد منفي بالبراءة الاصلية وقال غيرهما ابناء المخاض غير معتبرة
في باب الزكوة فيجب ان لا تعتبر في الدية التي سببها اقوى من السبب الموجب للزكوة واتفقوا على ان الدية في العمد
المحض مغلظة ومن ذلك التثليث في الابل وهو ان يكون ثلثون حقة وثلثون جذعة واربعون خلفة في بطونها اولاد
ومنها الحلول على قياس ابدال ساير المتلفات خلاف دية الخطا فانها موجلة الثلث في السنة الاولى والثلث
الاخر في السنة الثانية والباقي في السنة الثالثة استفاض ذلك من الخلفاء الراشدين ولم ينكر عليهم احد فكان
اجماعا ومنها ثبوتها في ذمة الجاني لا تحملها العاقلة خلاف دية الخطا فانها تكون على العاقلة لما روي ان امراتين
من هذيل اقتتلا فرمت احداها الاخرى بحجر وبيدي بعمود فسطاط فقتلتها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالدية على عاقلة القاتلة وهذه صورة شبه العمد فالتحمل في الخطا اولى وجهات التحمل قلت القرابة والولا
وبيت المال والقرابة يعني بها العصبة الذين هم على حاشية النسب وهم الاخوة وبنوهم وقال ابو حنيفة ومالك يتحمل
الاباء والبنون كغيرهم ويراعي الترتيب في العصبات فيقدم الاقرب فالاقرب فان كان فيهم وفاء اذا وزع عليهم لكثرتهم
او لقلة المال والا اشتركهم الذين يلونهم وقال ابو بكر الاصم وجمهور الخوارج الدية في الخطا يجب ايضا على القاتل لان
تحرير الرقبة ايضا عليه ودية عطف الدية في الاية على التحرير وايضا الجناية صدرت عنه فلا يعقل نفس
غيره كما في ساير الاتلافات وتخصيص عموم القران بخبر الواحد غير جايز واجيب باجماع الصحابة على ذلك السادسة
مذهب اكثر الفقهاء ان دية المراة نصف دية الرجل باجماع المعتبرين من الصحابة ولان المراة في الميراث وفي الشهادة
نصف الرجل وكذلك في الدية وقال الاصم وابن علية ديتها مثل دية الرجل لعموم قوله تعالى ومن قتل مومنا
السابعة اذا لم يوجد الابل فالواجب عند الشافعي في الجديد الرجوع الى قيمة الابل بالغا ما بلغت لانها تقوم بغالب
نقد البلد لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم الابل على اهل القرى فاذا اغلت رفع قيمتها واذا هانت نقص
من قيمتها وقال ابو حنيفة الواجب حينئذ الف دينار او عشرة الاف درهم وعند مالك الدراهم اثنا عشر الفا
الثامنة لا فرق بين صفة الدية وبين ساير الاموال في انه يقضي منها الدين وينفذ منها الوصية وتقسم الباقي بين
الورثة على فرايض الله لما روي ان امراة جاءت في ايام عمر تطلب نصيبها من دية الزوج فقال عمر لا اعلم لك شيئا
انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فشهد بعض الصحابة ان رسول الله صلعم امر ان تورث المراة من دية زوجها
فقضى عمر بذلك وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ
وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وهذا خلاف الجماعة واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية اربع

قتل مومنا خطا فعليه تحرير الرقبة وتسليم الدية ثم قال فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة وسكت
عن الدية فالسكوت عن ايجاب الدية في هذه الصورة مع ذكرها فيما قبلها وفيما بعدها وهو قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مومنة يدل على عدم وجوب الدية فيها ثم معنى قوله فان كان من
قوم عدو لكم اما ان يكون هذا المقتول من سكان دار الحرب او انه منتسب منهم مع انه في دار الاسلام والثاني باطل بالاجماع
لان قتل هذا المسلم يوجب الدية البتة فتعين الاول وانما سقطت الدية لان ايجاب الدية في قتل المسلم الساكن في دار
الحرب يحوج الى ان يبحث الغازي عن كل شخص من اشخاص دار الحرب هل هو من المسلمين ام لا وذلك يوجب المشقة
والنفرة عن الجهاد على انه هو الذي اهدر دم نفسه بسبب اختياره السكنى فيهم واما الكفارة فانها حق الله تعالى
لانه اهلك انسانا مواظبا على طاعته فيلزم اقامة اخر مقامه يمكنه المواظبة عليها واما قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق ففيه قولان احدهما ان المراد منه الذمي فعن ابن عباس هم اهل الذمة من اهل الكتاب وعن الحسن هم
المعاهدون من الكفار والتقدير وان كان المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي على دينهم ومذهبهم وثانيهما
ان المراد منه المسلم انه عطف على قوله فان كان من قوم عدو لكم والضمير فيه عايد الى ما تقدم وهو المومن فكذا ههنا
واعترض عليه بانه يلزم عطف الشيء على نفسه لان المومن المقتول خطا سواء كان من اهل الحرب او من اهل الذمة
داخل تحت قوله ومن يقتل مومنا خطا الا انه افرد المومن الساكن في دار الحرب لان من حكمه دية حكمه وههنا لا غرض في
الافراد فكان تكرارا محضا وايضا لو كان المراد ذلك لما كانت الدية مسلمة الى اهله لان اهله كفار لا يرثونه ولكان كونه منهم مبهما
مجملا لانه لا يدرى انه منهم في اي امر من الامور بخلاف ما لو حمل كونه منهم على الوصف الذي وقع التنصيص عليه
وهو حصول الميثاق بينهما واجيب بانه لما افرد حكم المومن المقتول في دار الحرب المعرض الذي ذكره ثم اعاد ذكر
المومن المقتول فيما بين المعاهدين تنصيصا على الفرق بينه وبين ما قبله وتنبيها على التسوية بينه وبين المسلم
المقتول في دار الكفار واما اهله فهم المسلمون الذين يصرف دية اليهم واما الابهام فيزول اذا حمل من بمعنى في كما في الاية
المتقدمة ههنا مسيلة خلافية شرعية هي ان ابا حنيفة قال دية الذمي مثل دية المسلم لقوله تعالى وان كان اي المقتول
بينكم وبينهم ميثاق فدية وقال الشافعي دية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم ودية المجوسي ثلث خمسها هكذا
روي من فقهاء الصحابة ولا يخفى ان استدلال ابي حنيفة لا يتم على الثاني من قولي المفسرين في الاية وعلى القول ايضا
لا يجوز ان يكون المراد بالدية الثانية مقدارا مغايرا للاولى وههنا سوال وهو انه لم قدم تحرير الرقبة على الدية في
الاية الاولى وفي الاخيرة عكس الترتيب ويمكن ان يقال الفايدة فيه ان يعلم انه لا ترتيب بين التحرير والدية وايضا
ليقع الافتتاح والاختتام بحق الله تعالى ويترتب على الخبر قوله فمن لم يجد اي رقبة يعني لم يملكها ولا ما يتوصل
به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين ومعنى يعتبر الاعسار يجوز له العدول اي الصوم الاصح عند الشافعي
وقت الادا وعند بعضهم وقت الوجوب واما الشهران فيها هلالية ان ابتدا في اول شهر وان ابتدا في خلال شهر تمم المنكسر
ثلثين والمراد بالتتابع ان لا يفطر يوما منهما فلو افطر ولو بعذر بالمرض وجب الاستيناف الا ان يكون الفطر بحيض او نفاس
وعن مسروق ان الصوم بدل من مجموع الرقبة والدية توبة من الله اي شرع لكم ما شرع توبة اي قبولا من الله ورحمة
منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته ومعنى التوبة عن الخطا انه لا يخلو من ترك احتياط ومن ندم واسف
على ما فرط منه ويجوز ان يكون المعنى فلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه اي تخفيفا منه لان التخفيف من لوازم
التوبة وكان الله عليما بانه لم يقصد فلم يتعمد حكيما بحكم الفعل لا يواخذ الانسان بما لا يختار ولا يتعمد وعند المعتزلة
معنى الحكيم ان افعاله واقعة على قانون الحكمة ومقتضى العدالة ثم لما ذكر حكم القتل الخطا اردفه ببيان حكم القتل العمد
وله احكام وجوب الدية والكفارة عند غير ابي حنيفة ومالك والقصاص كما مر في البقرة فلا جرم اقتصر ههنا
على بيان ما فيه من الاثم والوعيد ولا يخفى ما في الاية من التخويف والتهديد فلا جرم تمسكت الوعيدية بها في القطع بخلود
الفاسق في النار واجاب الواحدي بوجهين الاول اجماع المفسرين انها نزلت في كافر قتل مومنا روى الكلبي عن
ابي صالح عن ابن عباس ان مقيس بن صبابة وجد اخاه قتيلا في بني النجار وكان مسلما فاتى رسول الله صلعم فذكر له
ذلك فارسل رسول الله صلعم رسولا وقال له ائت بني النجار فاقرئهم السلام وقل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا سركم ان علمتم قاتل هشام ابن صبابة ان تدفعوه الي اخيه فيقتص منه وان لم تعلموا له قاتلا ان تدفعوا له ديته فابلغهم
الفهري ذلك عن النبي صلعم فقالوا سمعا وطاعة لله وللرسول والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نودي اليه ديته فاعطوه مائة
من الابل ثم انصرفا راجعين الي المدينة وبينها وبين المدينة قريب فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اي شيء صنعت
تقبل دية اخيك فتكون عليك مسبة اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ
راسه ثم ركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الي مكة كافرا وجعل يقول في شعره قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار
ارباب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الي الاوثان اول راجع فنزلت الاية فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم
اهدر النبي صلعم دمه يوم فتح مكة فادركه الناس بالسوق فقتلوه الوجه الثاني انه يجوز عندنا ان يخلف الله وعيد
المؤمنين فان خلف الوعيد كرم وضعف الوجه الاول بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبان ما قبل الاية وما
بعدها في نهي المؤمن عن قتل المؤمن فكذا اوسطها الاية وبان ترتب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية فيجب ان يكون
الموجب لهذا الوعيد هو مجرد القتل العمد وبان الكفر بالاستقلال موجب لهذا الوعيد فاي فائدة في ضم القتل اليه واذا لا
اثر للقتل في هذه الصورة فيكون الكلام جاريا مجرى قول القائل ان من تنفس لحرارة جهنم الوجه الثالث بان الوعيد
قسم من اقسام الخبر واذا جاز الكذب منه لاظهار الكرم فلم لا يجوز في القصص والاخبار وغير ذلك لغرض المصلحة وفتح
ذلك الباب يفضي الي الطعن في الشرائع قال القفال الاية تدل على ان جزاء القتل العمد ما ذكر وقد يقول الرجل لغيره
جزاوك ان افعل بك كذا الا اني لا افعله ولا يخفى ضعف هذا الجواب ايضا لدلالة سائر الايات كقوله ومن يعمل سوءا
يجز به ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره على انه يوصل الجزاء الي المستحقين البتة وقوله وغضب الله عليه ولعنه واعد
له عذابا عظيما صريح في انه تعالى سيفعل به ذلك لا سيما وقد اخبر عنه بلفظ الماضي ليعلم انه كالواقع ولكن لاكثر هذه
المعاني نقل عن ابن عباس انه لا توبة من اقدم على القتل العمد العدوان على مقتوله وعن سفيان قال اهل العلم اذا سئلوا
قالوا لا توبة له وحمله الجمهور على التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة حتى الشرك هذا عند المعتزلة وعند الاشاعرة
كل الذنوب يحتمل العفو الا الشرك لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم بالغ في تحريم قتل المؤمن فقال يا ايها الذين
امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا التفعل ههنا بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامور وثباته ولا تهوكوا فيه من غير
روية ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم وهو مؤمن والسلم بمعنى الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التحية يعني سلام اهل الاسلام
قال السدي بعث رسول الله صلعم اسامة بن زيد على سرية فلقي مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم
يسلم من قومه غيره وكان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ويسلم عليهم ولم يهرب ثقة باسلامه فقتله
اسامة واستاق غنما كانت معه فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره قال قتلت رجلا يقول لا اله الا الله
فقال يا رسول الله انما تعوذ من القتل فقال كيف انت اذا خاصمك يوم القيمة بلا اله الا الله قال فما زال يرددها علي
اقتلت رجلا يقول لا اله الا الله حتى تمنيت لو ان اسلامي كان يومئذ فنزلت الاية وقد روى الكلبي وقتادة مثل
ذلك وقال الحسن ان اصحاب النبي صلعم خرجوا يتطوفون فلقوا المشركين فهزموهم فشد منهم رجلا فتبعه رجل
من المسلمين واراد متاعه فلما غشيه بالسنان قال اني مسلم اني مسلم فكذبه ثم اوجره السنان فقتله واخذ متاعه
وكان قليلا فرفع ذلك الي النبي صلعم فقال قتلته بعدما زعم انه مسلم قال يا رسول الله انما قالها متعوذا قال فهلا شققت
عن قلبه قال لم قال لتنظر اصادق هو ام كاذب قال وكنت اعلم ذلك يا رسول الله قال ويلك انك لم تكن تعلم ذلك انما
يبين عنه لسانه قال فما لبث القاتل ان مات فدفن فاصبح وقد وضع الي جنب قبره قال ثم عادوا فحفروا له فامكنوه
فاصبح وقد وضع الي جنب قبره مرتين او ثلثا فلما راوا ان الارض لا تقبله القوا عليه الحجارة قال الحسن ان الارض تجن
من هو اشر منه ولكن وعظ القوم ان لا يعودوا وعن سعيد بن جبير قال خرج المقداد بن الاسود في سرية فمروا برجل
في غنيمة له فارادوا قتله فقال لا اله الا الله فقتله المقداد فقيل له اقتلته وهو يقول لا اله الا الله فقال ود لو فر باهله وماله
فلما قدموا على رسول الله صلعم ذكروا ذلك له فنزلت قال القفال ولا منافاة بين هذه الروايات فلعلها نزلت عند وقوعها باسرها
فكان كل فريق يظن انها نزلت في واقعته وعن ابي عبيدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شرع احدكم
الرمح الي رجل فان كان سنانه عند ثغرة نحره فقال لا اله الا الله فليرفع عنه الرمح قال الفقهاء توبة الزنديق مقبولة للاطلاق

الاية

٣٢

الاية وقال ابو حنيفة اسلام الصبي يصح لاطلاق الاية وقال الشافعي لا يصح والا لوجب عليه لانه لو لم يجب لكان ذلك
اذنا في الكفر وهو غير جائز لكنه غير واجب عليه لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ
وقال الفقهاء لو قال اليهودي والنصراني انا مؤمن او مسلم لا يحكم باسلامه لانه يعتقد ان الايمان والاسلام هو دينه ولو قال لا اله الا الله
محمد رسول الله فلا يحصل الجزم باسلامه لان منهم من يقول انه رسول العرب وحدهم ومنهم من يقول ان محمدا الذي هو الرسول الحق
منتظر بعد فلا بد ان يعترف بان الدين الذي كان عليه باطل وان الدين الذي هو موجود فيما بين المسلمين حق تبتغون عرض
الحيوة الدنيا قال ابو عبيدة جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء يقال ان الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر سمي عرضا لانه عرض
زائل غير ثابت ومنه العرض المقابل للجوهر لقلة بقائه كما قيل العرض لا يبقى زمانين فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم
عن قتل رجل يظهر الاسلام متعوذا لتاخذوا ماله وقيل يريد ما اعد لعباده من حسن الثواب في الاخرة كذلك كنتم من قبل
اختلفوا في وجه التشبيه فقال الاكثرون يريد انكم اول ما دخلتم في الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت الاخوة كذلك كنتم
من قبل اختلفوا في وجه التشبيه فقال الاكثرون يريد انكم اول ما دخلتم في الاسلام دماؤكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة
قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الا
سلام ما فعل بكم واعترض بانه ليس لهم ان يقولوا ما كان ايماننا مثل ايمان هؤلاء لانا امنا بالاختيار وهؤلاء اظهروا الايمان تحت
ظلال السيوف فكيف يمكن تشبيه احدهما بالاخر وعن سعيد بن جبير المراد انكم كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم كما
اخفى ايمانه هذا الداعي في قومه فمن الله عليكم باعزازكم حتى اظهرتم دينكم واورد عليه ان اخفاء الايمان ما كان عاما فيهم وفي
التفسير الكبير انكم اول الامر انما حدث فيكم ميل ضعيف باسباب ضعيفة الي الاسلام فمن الله عليكم بتقوية ذلك
الميل وتزايد نور الايمان فكذا هؤلاء قد حدث لهم ميل ضعيف الي الاسلام بسبب هذا الخوف فاقبلوا منهم ايمانهم الي
ان تتكامل رغبتهم فيه وقيل ان قوله فمن الله عليكم منقطع عما تقدمه وذلك ان القوم لما نهاهم عن قتل من تكلم بلا اله
الا الله ذكر ان الله من عليهم بان قبل توبتهم عن ذلك الفعل المنكر ثم اعاد الامر بالتبيين مبالغة في التحذير ثم حذر
عن الاضمار بخلاف الاظهار فقال ان الله كان بما تعملون خبيرا وفيه من الوعيد ما فيه ولما عاتبهم الله تعالى على ما
صدر عنهم وبدر منهم كان مظنة ان يقع في قلبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد ما بزغ علتهم ويزيد رغبتهم او نقول
لما نهاهم الله اتبعه فضيلة الجهاد ليبالغوا في الاحتراز عما يوجب خللا في هذا المنصب الجليل فقال لا يستوي القاعدون
عن زيد بن ثابت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون
في سبيل الله ولم يذكر اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وانا اعمى لا ابصر قال زيد فغشي النبي صلعم في مجلسه الوحي فاتكأ على
فخذي فوالذي نفسي بيده لقد ثقل علي حتى خشيت ان يرضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير اولي الضرر والمجاهدون فكتبتها رواه البخاري والمراد بالضرر النقصان سواء كان بنية كعمى او عرج او مرض او
بسبب عدم الاهبة من قرا غير بالنصب فعلى الاستثناء من القاعدين او على الحال منهم ومن قرا بالرفع فعلى انه
صفة للقاعدين فيجوز ان يكون غير صفة للمعرفة كما سبق في تفسير غير المغضوب عليهم ومن قرا بالجر فعلى صفة
المؤمنين قال الزجاج ويجوز ان يكون رفعا على جهة الاستثناء والمعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا
اولي الضرر فانهم يساوون المجاهدين بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من بعض غزواته لقد خلفتم بالمدينة
اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم اولئك اقوام حبسهم العذر وعنه صلعم اذا مرض العبد قال الله تعالى
اكتبوا لعبدي ما كان يعمل في الصحة الي ان يبرا ويعلم منه ان صحة النية وخلوص الطوية لها مدخل عظيم في قبول الاعمال
وذكروا في معنى قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله الذي ادركه في صحيفته ان ما ينوي به المؤمن ابلغ من
عمله اي ما ينوي به من دوامه على الايمان والاعمال الصالحة لو بقي ابدا وقيل انه قدم ذكر النفس على المال في قوله ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وههنا اخر لان النفس اشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها على
ان الرغبة فيها اشد والبائع اخر تنبيها على ان المماكسة فيها اشد فلا يرضى ببذلها الا في اخر الامر وفائدة نفي
الاستواء ومعلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان تذكير ما بينهما من التفاوت ليهتز القاعد للجهاد ويرفع
بنفسه عن انحطاط مرتبته المجاهد كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون تحريكا للجاهل لينهض بنفسه عن

عن صفة الجهل الى شرف العلم ثم ان عدم الاستواء يحتمل الزيادة فاوضح الحال بقوله فضل الله المجاهدين كانه قيل لهم لا يستوون فاجيب بذلك وانتصب درجة على المصدر لان الدرجة بدل على التفضيل وقيل حال اي ذوي درجة وقيل بنزع الخافض اي بدرجة وقيل على الظرف اي في درجة وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة قال الفقهاء وفيه دليل على ان فرض الجهاد على الكفاية اذ لو كان واجبا على التعيين لم يكن القاعد اهلا للوعد وانتصب اجرا بفضل لان التفضيل يدل على الاجر وههنا سؤال وهو انه لم ذكر اولا درجة وثانيا درجات واجيب بان اللام في قوله اولا على القاعدين للعهد والمراد بهم اولو الضرر وقوله ثانيا على القاعدين للاصحاء الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية وقيل المراد بالدرجة جنسها الذي يشمل الكثير بالنوع وهي الدرجات الرفيعة والمنازل الشريفة والمغفرة والرحمة وقيل المراد بالاجر الغنيمة في الدنيا وبالدرجات مراتب الجنة وقيل المراد بالمجاهد الاول لصاحب الجهاد الاصغر وهو الجهاد بالنفس والمال والمجاهد الثاني صاحب الجهاد الاكبر وهو المجاهد بالرياضة والاعمال واستدلت الشيعة ههنا بان عليا عليه السلم افضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهد وهم بالاضافة اليه قاعدون لما اشتهر من وقايعه وايامه وشجاعته وحمايته اجاب اهل السنة بان جهاد ابي بكر بالدعوة الى الدين وهو الجهاد الاكبر وحين كان الاسلام ضعيفا والاحتياج الى المدد شديدا وانما جهاد علي فانما ظهر بالمدينة في الغزوات وكان الاسلام في ذلك الوقت قويا والحق ان الاية لا تدل الا على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا قالت المعتزلة ههنا قد ظهر من الاية ان التفاوت في الفضل بحسب التفاوت في العمل فعلة الثواب هو العمل ولهذا سمي اجرا واجيب بان العمل علة الثواب لكن لا لذاته بل بجعل الشارع ذلك العمل موجبا له قالت الشافعية الاشتغال بالنوافل افضل من الاشتغال بالنكاح لقوله صلعم وقوله فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة عام يشمل الجهاد الواجب والمندوب وهو الزائد على قدر الكفاية والمشتغل بالنكاح قاعد فالاشتغال بالجهاد المندوب افضل منه بالنكاح ثم لما ذكر ثواب المجاهدين اتبعه وعيد القاعدين الراضين بالسكون في دار الكفر فقال ان الذين توفيهم يحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن حال قوم انقرضوا ومضوا عن عكرمة عن ابن عباس قال ان قوما من المسلمين بمكة فخرجوا قوما من المشركين في قتال فقتلوا معهم فنزلت الاية ويحتمل ان يكون مستقبلا بحذف احدى التائين فيكون الوعيد عاما في كل من كان بهذه الصفة قال الجمهور معنى توفيهم يقبض ارواحهم عند الموت ولا منافاة بينه وبين قوله الله يتوفى الانفس قل يتوفيكم ملك الموت لانه تعالى هو المتوفي والفاعل لكل الاشياء بالحقيقة الا ان الرئيس المفوض اليه هذا العمل ملك الموت وسائر الملائكة اعوانه وعن الحسن توفيهم الملائكة اي يحشرونهم الى النار واما قوله ظالمي انفسهم فمنصوب على الحال عن مفعول يتوفي والاضافة فيه لفظية ولذا لم يفد تعريفا فصح وقوعه حالا والظلم قد يراد به الشرك ان الشرك لظلم عظيم فالمراد انهم ظالمي انفسهم بنفاقهم وكفرهم وتركهم الهجرة وقد يراد به المعصية فمنهم ظالم لنفسه فالمراد الذين اسلموا في دار الكفر وبقوا هناك غير مهاجرين الى دار الاسلام حين كانت الهجرة فريضة وفي خبر ان وجوه الاول قالوا فيم كنتم والعائد محذوف للدلالة اي قالوا لهم والثاني فاولئك فيكون قالوا حالا من الملائكة بتقدير قد الثالث ان الخبر محذوف وهو هلكوا ثم فسر الهلاك بقوله قالوا فيم كنتم من امر دينكم فالمراد التوبيخ على ترك الجهاد والرضا بالسكون في دار الكفر وهو بالحقيقة التبعي عليهم بانهم ليسوا من الدين في شي ولهذا لم يجيبوا بقولهم كنا في كذا ولم نكن في شي بل اجابوا بقولهم كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بانهم كانوا قادرين على المهاجرة من ارض مكة حتى يكونوا في شي ثم ان الملائكة لم يقبلوا منهم هذا العذر فبكتوهم بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اراد انكم كنتم قادرين على الخروج من بعض البلاد التي لا تستطيعون فيها من اظهار دينكم كما فعل المهاجرون الى ارض حبشة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من اصحاب الوعيد لانهم ليسوا من اهل التكليف واجيب بان المراد من الولدان العبيد والاماء البالغون المراهقون الذين عقلوا ما يعقل الرجال حتى يتوجه التكليف عليهم فيما بينهم وبين الله سلمنا ان المراد بهم الاطفال لكن السبب في سقوط الوعيد هو العجز وانه حاصل في الولدان فحسن استثناؤهم بهذا الوجه وقوله لا يستطيعون قيل هو موضع الحال والاصح انه صفة للمستضعفين وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان المعرف تعريف الجنس

قريب

قريب من المنكر والمعنى ان العاجزين هم الذين لا يقدرون على حيلة ولا نفقة او يكون بهم مرض او كانوا تحت قهر قاهر يمنعهم عن المهاجرة ومعنى لا يهتدون سبيلا لا يعرفون الطريق ولا يجدون من يدلهم على الطريق وانما قال سبحانه فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع تنبيها على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عنه بل يكون من العفو على ظن وحسبان لا على جزم وايقان فربما ظن الانسان بنفسه انه عاجز ولا يكون في الواقع كذلك لان الفطام عن المالوف شديد ومفارقة الاوطان شاق ولعل حب الوطن يحمله على تاويل غير سديد ومع تمام هذا الاحتمال الى تحصيل الجزم بالعفو هذا من جانب العبد واما من الرب فمعنى الاطماع والاطماع الكريم ايجاب فالجزم بالعفو حاصل الا انه يرد على لفظ العفو انه لا يتقرر مع الذنب ولا ذنب مع العجز فجوابه ايضا يخرج مما قلنا وكان الله عفوا غفورا قال الزجاج اي كان في الازل موصوفا بهذه الصفة او انه مع جميع العباد بهذه الصفة اي انه عادة اجراها في حق غيرهم وايضا لو قال انه عفو غفور كان اخبارا عن كونه كذلك وحيث قال كان دل على انه اخبار وقع مخبره على وفقه فكان ادل على كونه حقا وصدقا قالت الاشاعرة اخبر عن العفو والمغفرة مطلقا غير مقيد بحال التوبة فدل على ان العفو مرجو من غير التوبة قال ابن عباس في رواية عطا كان عبد الرحمن بن عوف يخبر اهل مكة بما ينزل فيهم من القرآن فكتب اليهم ان الذين توفيهم الملائكة الاية فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق فحملوه بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك به رسول الله صلعم ومات حميدا فبلغ خبره اصحاب النبي فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم اجرا فانزل الله تعالى فيه ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما اي مذهبا ومهربا ومضطربا قال الفراء وفي الكشاف راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك واصله من الرغام وهو التراب فانهم يقولون رغم انفه يريدون انه وصل اليه شيئا يكرهه وذلك لان الانف عضو في غاية العزة والتراب في غاية الذلة ويمكن ان يقال ان من فارق اهل بلده فاذا استقام امره في بلدة اخرى رغمت انوف اهل بلدته بسبب سوء معاملتهم معه واعلم انه سبحانه لما رغب في الهجرة ذكر بعده ما لاجله يمتنع الانسان عن هجرة الوطن وبين الجواب عنه والمانع امران الاول انه يكون له في وطنه نوع رفاهية وراحة فيخاف زوال ذلك عنه فاجاب الله تعالى عنه بقوله ومن يهاجر كانه قيل للمكلف ان كنت تكره الهجرة من وطنك حذرا من ان تقع في المشقة والمحنة في السفر فلا تخف فان الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب السنية في مهاجرك ما يكون سببا لرغم انوف اعدائك ويصير سببا لسعة عيشك وانما قدم في الاية ذكر رغم الاعداء على سعة العيش لان ابتهاج المهاجر بدولته من حيث انه سبب رغم انوف الاعداء اشد من ابتهاجه بها من حيث انها سبب سعة زمانه وعيشه المانع الثاني ان الانسان يقول ان خرجت من بيتي في طلب العلم والجهاد والمهاجرة الى الله ورسوله وفي معناه كل عوض ديني من طلب علم او حج او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهد في الدنيا وابتغاء رزق طيب فربما وصلت اليه وربما لم اصل اليه فالاولى ان لا اضيع الرفاهية الحاضرة لطلب شي مظنون فاجاب الله سبحانه عنه بقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله قال بعضهم ثبت له اجر قصده واجر القدر الذي اتى به من ذلك العمل فاما اجر تمام العمل فمحال والصحيح ان المراد قصد طاعة ثم عجز عن اتمامها فان له ثواب تلك الطاعة كما روي عن رسول الله صلعم ان المريض اذا عجز عما كان يفعله من الطاعة في حال الصحة كتب له ثواب مثل ذلك الى ان يبرأ وايضا من المعلوم ان كل من اتى بعمل فانه يجد الثواب المرتب على ذلك العمل فلا يبقى في الاية فائدة الترغيب وايضا لا يكون الاية جوابا عن قول الصحابة في جندب لو وافى المدينة لكان اتم اجرا قالت المعتزلة في الاية دليل على ان العمل يوجب الثواب على الله لان الوقوع والوجوب السقوط فاذا وجبت جنوبها اي وقعت وسقطت ولفظ الاجر وكلمة على يؤكدان ما قلنا واجيب بانا لا ننازع في ان الثواب يقع البتة لكن بحكم الوعد والعلم والتفضل والكرم واستدل بعض العلماء بالاية على ان الغازي اذا مات في الطريق وجب سهمه في الغنيمة كما وجب اجره ورد بان فضيلة الغنيمة تتوقف على حيازتها بخلاف الاجر وكان الله غفورا رحيما يغفر ما كان منه من القعود الى ان خرج ويرحمه باكمال اجر المجاهدين ومما يفتقر المجاهد اليه معرفته بكيفية اداء الصلوات في زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلا جرم قال واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم

الذين كفروا فيقال قصر صلوته واقصرها بمعنى ولفظ القصر مشعر بالتخفيف الا انه ليس صريحا في ان التخفيف في كمية الركعات او في كيفية ادائها والجمهور على ان المراد القصر في العدد وهو ان كل صلوة تكون في الحضر اربع ركعات وهي الظهر والعصر والعشاء فانها تصير في السفر ركعتين ويبقى المغرب والصبح بحالهما وعن ابن عباس رضي الله عنه صلوة الحضر اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم وعنه ايضا ان المراد بالتخفيف في كيفية الاداء كما يرخص به عند شدة التحام القتال من الصلوة مع تلطخ الثوب بالدم ومن الايماء مقام الركوع والسجود وقد يؤكد هذا الراي بقوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فان خوف فتنة العدو لا تزول فيما يؤتى بركعتين على تمام اوصافهما وانما تزول بالتخفيف والتخفيف حجة الجمهور ما روي عن يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب كيف نقصر وقد امنا وقال الله ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسالت النبي صلعم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فهذا الخبر يدل على انهم فهموا من القصر التخفيف في اعداد الركعات ويؤيده حديث ذي اليدين اقصرت الصلوة ام نسيت وايضا القصر بمعنى تغيير هيئة الصلوة يجي بعده فحمل الكلام على ما لا يلزم التكرار اولى اما تقييد القصر بحالة الخوف فلان الاية نزلت على غالب اسفار النبي صلعم واكثرها لم تخل عن خوف قتال الكفار فلا يمكن الاستدلال بمفهومها على عدم جواز القصر في حالة الامن ولا في حالة الخوف بسبب اخر على ان كل محنة وبلية ومشقة فهي فتنة ثم ان الشافعي قال القصر رخصة كسائر رخص السفر فان شاء اتم وان شاء قصر لان قوله لا جناح عليكم مشعر بعدم الوجوب ولما روي عن عائشة قالت اعتمرت مع رسول الله صلعم من المدينة الى مكة فلما قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وما ظهر انكار من الصحابة عليه وقال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد في الثنتين فسدت صلوته لما روي عن ابن عباس قال كان النبي صلعم اذا خرج مسافرا صلى ركعتين ولقوله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا صدقته وظاهر الامر للوجوب وعن عائشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر قال صاحب الكشاف فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه واجيب بان هذا الاحتمال انما يخطر ببالهم اذا كان الشارع رخصت لكم في هذا القصر اما اذا قال اوجبت عليكم هذا القصر وحرمت عليكم الاتمام وجعلته مفسدا للصلوة فلا يخطر هذا الاحتمال ببال عاقل وحديث ابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعا لا على ان الاتمام غير جائز وحديث عائشة لا يناقضه الاية لانه لا يطلق على الصلوة على ركعتين لا يطلق عليه لفظ القصر ثم ان بعض الظاهرية زعموا ان قليل السفر وكثيره سوا في القصر لاطلاق قوله واذا ضربتم في الارض وجمهور الفقها على ان السفر المرخص مقدر بمقدار مخصوص فعن الاوزاعي والزهري يرخص مسيرة يوم تام وعن ابن عباس اذا زاد على يوم وليلة قصر وقال انس بن مالك المعتبر خمسة فراسخ وقال الحسن مسيرة ليلتين وقال الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير من الكوفة الى المدائن وهو ثلثة ايام وهو قول ابو حنيفة قياسا على جواز مدة المسح للمسافر واما اصحاب الشافعي فانهم عولوا على ما روي عن مجاهد وعطاء ابي رباح عن ابن عباس ان النبي صلعم قال لاهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان والمراد بالبريد اربعة فراسخ كل فرسخ ثلثة اميال باميال هاشم جد رسول الله صلعم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنى عشر الف قدم وهي اربعة الاف خطوة فان كل ثلثة اقدام خطوة قالت الفقها ان اختلاف الناس في هذه الاقوال يدل على انعقاد الاجماع على ان الحكم غير مربوط بمطلق السفر فقال اهل الظاهر اضطراب السلف في هذه الاقاويل يدل على انهم لم يجدوا في المسئلة دليلا قويا يوجب الرجوع الى ظاهر القران ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا يريد ان العداوة الحاصلة بينكم وبينهم قديمة فكونوا على حذر منهم التاويل ليس لمن الروح ان يقصد قتل نفس القلب الا ان يكون قتل خطاء وذلك ان الروح اذا خلص عن حجب ظلمات الصفات البشرية بتجلي الروح للقلب فيتنور بانوار الروحانية ثم ينعكس انوار الروح عن مراة القلب الى النفس الامارة فتموت عن صفاتها الذميمة الظلمانية وتحيى بالصفات الحميدة الروحانية وتطمئن الى ذكر الله كاطمينان القلب به ففي بعض الاحوال بتاييد الروح بانوار روح قدسي رباني وتجلي في تلك الحالة الروح للقلب فيخر موسى القلب صعقا ميتا بسطوة تجلي الروح القدسي الرباني فيجعل

جبل النفس دكا فكان قتله خطاء لانه ما كان مقصودا بالقتل في هذا القتل وكان المقصود تربيته وتصفيته وقتل النفس الكافر ومن قتل مومنا اي قلبا مومنا فتحرير رقبة مومنة وهي رقبة السر الروحاني فتصير رقبة السر محررة عن رق المخلوقات ودية مسلمة الى اهله يعني بسلم العاقلة وهو الله دية القلب الى اهل القلب وهم الاوصاف الحميدة الروحانية من جمال كمال الطافة ليتصف الاوصاف بها الا ان يصدقوا الا ان يتصدق الاوصاف هذه الدية على مساكين اوصاف النفس الحيوانية والشيطانية فان كان القتيل بالتجلي من قوم عدو لكم اي من صفات النفس وهو مومن اي بهذه الصفة قد امنت بانوار الروح القدسي ودنا احوالها من الصفات فتحرير رقبة مومنة وهي رقبة القلب تصير محررة عن رق حب الدنيا ولا دية لاهل القتيل وان كان من قوم بينكم وبينهم صفات النفس وميثاق فتول احكام الشرع ظاهرا وترك المحاربة مع القلب واوصافه فدية مسلمة على عاقلة الروح الى اهل تلك الصفة المقتولة وهم بقية صفات النفس كما قال تعالى الا ما رحم ربي وتحرير رقبة مومنة وهي رقبة الروح تصير محررة عن رق الكونين فمن لم يجد رقبة مومنة من الروح والقلب والسر للتحرير بان يكون رقابهم قد حررت عن رق ما سوى الله فصيام شهرين متتابعين اي فعليه الامساك عن مشارب العالمين على التتابع والدوام مراقبا قلبه لا يدخله شي من الدنيا والاخرة مراعيا وقته فلو افطر بادنى شي من المشارب كلها يستانف الصوم ولا يفطر بشي دون لقاء الله تعالى قال قائلهم لقد صام طرفي عن شهود سواكم وحق له لما اعتراه فراقكم بعيد قوم حين يبدو اهلالكم ويبدو اهلال الصب حين يراكم توبة من الله جذبة منه ومن يقتل مومنا متعمدا اي النفس الكافرة اذا قتلت قلبا مومنا للعداوة الاصلية بينهما في حيوة احدهما موت الاخر فجزاؤه جهنم وهي سفل عالم الطبيعة اذا ضربتم في سبيل الله تقدم السلوك حتى صار الايمان ايقانا والايقان احسانا والاحسان عيانا والعيان عينا والعين شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وهذا مقام الشيخوخة فتبينوا عن حال المريد في الرد والقبول ولا تقولوا له لست مومنا صادقا ولا تنفروه بالتشديدات والتصرف في النفس والمال تبتغون عرض الحيوة الدنيا اي لا تهتمون لاجل رزقه فان الضيف اذا نزل نزل برزقه كذلك كنتم ضعفاء في الطلب محتاجين الى الصحبة في بدو الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشايخ وقبولهم اياكم ان الذين توفيهم الملائكة هم العوام الذين ظلموا انفسهم بتدسيتها فيم كنتم اي في غفلة كنتم تضيعون اعماركم وتبطلون استعداد كمال القطب ومن اي وادي من اودية الهوى تهيمون وفي اي روضة من رياض الدنيا تسرحون الكنتم تؤثرون الفاني على الباقي وتنسون الشراب الطهور والساقي مستضعفين عاجزين لاستيلاء النفس الامارة وغلبة الهوى الم تكن ارض الله اي ارض القلب واسعة فتخرجوا عن مضيق سجن البشرية الى فضاء هواء الهوية لا يستطيعون حيلة في الخروج عن الدنيا لكثرة العيال وضعف الحال ولا يستطيعون سبيلا الى صاحب ولاية وهؤلاء المستضعفون هم الخواص المتصدون واما خواص الخواص وهم السابقون بالخيرات فهم المجاهدون الجهاد الكبير وقد مر ومن يهاجر عن بلد البشرية في طلب حضرة الربوبية يجد في ارض الانسانية مراغما متحولا ومنازل مثل القلب والروح والسر وسعة في تلك العوالم من جهة الله رحمتي وسعت كل شي لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المومن فانه ينظر بنور الله وكثير الفكر فيدل العبد الله اجل واكبر

وَاِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَاَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلوٰةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَاْخُذُوا اَسْلِحَتَهُمْ فَاِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَاْتِ طَائِفَةٌ اُخْرٰى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَاْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَاَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ اَسْلِحَتِكُمْ وَاَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِنْ كَانَ بِكُمْ اَذًى مِنْ مَطَرٍ اَوْ كُنْتُمْ مَرْضٰى اَنْ تَضَعُوا اَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ اَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ

عدوا مبينا ۝ فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا
اطمأننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ۝ ولا
تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من
الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما ۝ انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين
الناس بما اريك الله ولا تكن للخائنين خصيما ۝ واستغفر الله ان الله كان غفورا
رحيما ۝ ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما ۝
يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من
القول وكان الله بما يعملون محيطا ۝ ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا
فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ۝ ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ۝ ومن يكسب اثما فانما
يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ۝ ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا
فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ۝ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك
الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ۝

القراآت عن اسلحتكم وامتعتكم عباس بان اختلاس اطمأننتم وبابه يعني همز ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف بريا بالتشديد يزيد والشموني وحمزة في الوقف **الوقوف** من ورائكم واسلحتهم لانقطاع النظم مع اتصال المعنى واخذوا اسلحتكم حذركم مهينا وعلى جنوبكم للابتداء باذا الشرطية مع الفاء الصلوة لاحتمال فاء اولان موقوتا القوم كما تألمون لاحتمال الواو للاستيناف او الحال ما لا يرجون حكيما اراك الله لان ما بعده استيناف خصيما للعطف واستغفروا الله رحيما للاية مع العطف انفسهم اثيما لاحتمال ما بعده الوصف من القول القول محيطا وكيلا رحيما على نفسه حكيما مبينا يضلوك من شيء تعلم عظيما **التفسير** قال ابو يوسف والحسن بن زياد صلوة الخوف كانت خاصة للرسول صلعم ولا يجوز لغيره لقوله تعالى واذا كنت فيهم ولان تغيير هيئة الصلوة امر على خلاف الدليل جوزنا ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم لفضيلة الصلوة خلفه ولا يبقى لغيره على المنع وحجة الفقهاء ان الآية عامة لان ائمة الامة نواب عنه في كل عصر الا ترى انه قوله خذ من اموالهم صدقة لم يجب كون الرسول صلعم مخصوصا به

درنا

وروايته امته وذهب المزني الى نسخ صلوة الخوف محتجا بانه صلى الله عليه وسلم لم يصلها في حرب الخندق واجيب بان ذلك قبل نزول الاية عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلقي المشركين بعسفان فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فرآوه يركع ويسجد هو واصحابه قال بعضهم لبعض كان هذا فرصة لكم لو اغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تواقعوهم فقال قائل منهم فان لهم صلوة اخرى هي احب اليهم من اهليهم واموالهم فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها فانزل الله عز وجل على نبيه واذا كنت فيهم الى اخر الاية اما شرح صلوة الخوف فهو ان الامام يجعل القوم طائفتين ويصلي باحديهما ركعة واحدة ثم اذا فرغوا من الركعة سلموا عنها وينصرفون الى وجه العدو وتاتي الطائفة الاخرى ويصلي بهم الامام ركعة اخرى ويسلم وهذا مذهب من يرى صلوة الخوف ركعة فللامام ركعة وللقوم ركعة وهذا مروي عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد والحسن البصري ان الامام يصلي بتلك الطائفة ركعتين ويسلم ثم تذهب تلك الطائفة الى وجه العدو وتاتي الطائفة الاخرى فيصلي الامام بهم مرة اخرى ركعتين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ببطن النخل وليس في هذه الصلوة الا اقتداء مفترض بمتنفل فان الصلوة الثانية نافلة للامام لا محالة وفي جواز ذلك اختلاف بين العلماء وقال الشافعي ان كان العدو في جهة القبلة صلى الامام بجميع العسكر الى الاعتدال عن ركوع الركعة الاولى فاذا حان وقت السجدة حرست فرقة اما صف او فرقة من صف الى ان يفرغ الامام ومن الحارسة من السجدتين فاذا فرغ الامام منهما سجدت الفرقة الحارسة ولحقت به حيث امكنها فاذا سجد الامام للركعة الثانية حرست فرقة واما الفرقة الحارسة في الركعة الاولى والفرقة الاخرى وهذه اولى فاذا فرغ الامام من السجود سجدت الحارسة ولحقت بالامام في التشهد ليسلم بهم وليس في هذه الصلوة الا التخلف عن الامام باركان السجدتين والجلسة بينهما واحتمل لحاجة الخوف وظهور العدو وبمثله صلى الله عليه وسلم بعسفان واما ان لم يكن العدو في وجه القبلة او كانوا بحيث يمنعهم شيء من ابصار المسلمين صلى الامام في الثنائية كالصبح والرباعية المقصورة بكل فرقة ركعة وذلك ان ينحاز الامام بفرقة الى حيث لا يبلغهم سهام العدو فيصلي بهم ركعة فاذا قام الى الثانية انفردوا بها وسلموا واخذوا مكان اخوانهم في الصف وانحاز الصف المقاتل الى الامام وهو ينتظرهم واقتدوا به في الثانية فاذا جلس للتشهد قاموا واتموا الثانية ولحقوا به قبل السلام وسلم بهم وهذه صلوة ذات الرقاع رواها الزاد والنسائي عن صالح وسهل بن حثمة عن النبي صلعم وقال ابو حنيفة ويروى عن ابن عمر وابن مسعود ان الطائفة الاولى يصلي بهم الامام ركعة ويعودون الى وجه العدو وتاتي الطائفة الثانية فيصلي بهم بقية الصلوة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الثانية فيقضون بقية صلوتهم بقراءة والعرف ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلوة فهم في حكم من خلف الامام واما الثانية فلم يدرك اول الصلوة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في صلوته ولا خلاف في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى بهذه الصلوة في اوقات مختلفة بحسب المصالح وانما وقع الاختلاف بين الفقهاء في ان الافضل والاشد موافقة لظاهر الاية اي هذه الاقسام فقال الواحدي ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت عند اتيان الثانية كما هو مذهب الشافعي واما عند ابي حنيفة فالطائفة الثانية تاتي والاولى بعد في الصلوة وما فرغوا منها وايضا قوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع الصلوة للطائفة الثانية مع الامام قال اصحاب ابي حنيفة فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على ان الطائفة الاولى لم يفرغوا من الصلوة ولكنهم يصلون ركعة ثم يكونون من وراء الطائفة الثانية للحراسة اجاب الواحدي بان هذا انما يلزم اذا جعلنا السجود والكون من ورائكم لطائفة واحدة لكن السجود للاولى والكون من الوراء الذي بمعنى الحراسة للطائفة الثانية او معنى سجدوا صلوا وحينئذ لا يبقى اشكال وايضا الذي اختاره الشافعي احوط لامر الحرب فانها اخف على الطائفتين جميعا والحراسة خارج الصلوة اهون وليس فيها منافي غيرها من زيادة الذهاب والرجوع وكثرة الافعال والاستدبار وليس فيها الا الانفراد عن الامام في الركعة الثانية وذلك جائز على الاصح في الامن ايضا والانتظار الامام بالطائفة الثانية مرتين وان كانت الصلوة مغربا فيصلي بالاولى ركعتين وبالثانية ركعة ويجوز العكس وان كانت رباعية فيصلي بكل طائفة ركعتين ويجوز ان يفرقهم اربع فرق ان مست الحاجة اليه بان لا يكفي لصف المسلمين لعدوهم واعلم ان الصلوة على الوجه المشروع ليست عزيمة بل لو صلى الامام بطائفة وامر غيره فيصلي بالاخرين او صلى بعضهم او كلهم منفردين جاز لكن كان اصحاب النبي صلعم

لا يسعون بترك فضيلة الجماعة ويتنافسون في الاقتداء به فامر الله تعالى ببيان هكذا الجهاد احدى الطايفتين
فضيلة التكبير معه والاخرى فضيلة التسليم معه فالخطاب في قوله واذا كنت فيهم للنبي اي اذا كنت ايها النبي الرسول
في غزواتهم وحضرتهم واردت ان تقيم لهم الصلوة فاجعلهم طايفتين فلتقم طايفة منهم معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم
وان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان للمصلين فليأخذوا من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر
ويحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط ثم قال للطايفة الثانية وليأخذوا حذرهم
فكانه جعل الحذر والتيقظ آلة يستعملها الغازي وفيه رخصة للخايف في الصلوة بان يجعل بعض فكره في غير الصلوة
وانما امر هذه الطايفة باخذ الحذر والاسلحة جميعا لان العدو قلما يتنبه في اول الصلوة لكون المسلمين في الصلوة
بل يظنون انهم قيام للمحاربة واما في الركعة الثانية فيظهر لهم ذلك من ركوعهم وسجودهم للاولين فربما ينتهزون
الفرصة في الهجوم عليهم كما ذكرنا في سبب النزول فلا جرم خص الله تعالى هذه المواضع بزيادة تحذير بيلة
واحدة شدة واحدة ثم رخص لهم في وضع السلاح اذا اصابه بلل المطر فيسود حديده وحدته او ثقل على المرء اذا كان
محشوا وحين كان الرجل مريضا ويشق عليه حمل السلاح ولكنه اعاد الامر باخذ الحذر لان الغفلة عن كيد
العدو لا يجوز بكل حال قال بعض العلما اخذ السلاح في صلوة الخوف سنة موكدة والاصح انه واجب لظاهر
الامر الموجب ولان رفع الجناح عند العذر ينبئ عن وجود الجناح في غير ذلك الوقت لكن الشرط ان لا يحمل سلاحا
نجسا ان امكنه ولا يحمل الرمح الا في طرف الصف وبالجملة بحيث لا يتاذى به احد وفي هذا دليل على انه كان يجوز للنبي
صلعم ان ياتي بصلوة الخوف على جهة يكون بها حاذما اعني غافلا عن كيد العدو فلا يكون شي من الروايات الواردة
فيها على خلاف نص القران وكما ان الاية دلت على وجوب الحذر عن العدو كذلك يدل على وجوب الحذر عن جميع
المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على العلاج بالدواء والاحتراز عن الوبا وعن الجلوس تحت الجدار المايل
واجبا قالت المعتزلة لو لم يكن العبد قادرا على الفعل والترك وعلى جميع وجوه الحذر لم يكن للامر بالحذر فايدة والجواب
انا لا ننكر الاسباب ولكنا ندعي انتهاء الكل الى مسببها ولهذا ختم الاية بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا
ليعلموا ان الله تعالى رتب على هذا الحذر كون الكفار مخذولين مقهورين وكان كما اخبر ثم قوله فاذا قضيتم الصلوة
فيه قولان الاول فاذا قضيتم صلوة الخوف فواظبوا على ذكر الله في جميع الاحوال فان ما انتم عليه من الخوف والحرب
جدير بذكر الله واظهار الخشوع والالتجاء اليه والثاني ان المراد بالذكر الصلوة اي صلوا قياما حال اشتغالكم بالمسايفة
والمقارعة وقعودا جاثين على الركب حال اشتغالكم بالرمي وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح واورد على هذا
القول ان الذكر بمعنى الصلوة مجاز وان المعنى يصير حينئذ فاذا قضيتم الصلوة فصلوا وفيه بعد اللهم الا ان يقال ان المراد
فاذا اردتم قضا الصلوة في شدة التحام القتال واعلم ان الاية مسبوقة بحكمين احدهما بيان القصر في صلوة المسافر
والثاني بيان صلوة الخوف فقوله فاذا اطماننتم يحتمل ان يراد به فاذا اقمتم فاتموها من غير تغيير شي من هياتها ان
الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا اي مكتوبة موقوتة محدودة باوقات فاذا احضر وقتها لا يجوز اخراجها عنها ولو
في شدة الخوف وفيه دليل الشافعي في ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والاضطراب في المعركة اذا احضر
وقتها وعند ابي حنيفة هو معذور في تركها الى ان يطمئن واوقات الصلوة الخمس مشهورة وقد يستدل عليها بقوله تعالى
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فان الوسطى يجب ان تكون مغايرة للصلوات الخمس مشهورة وقد يستدل عليها
بقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فان الوسطى يجب ان تكون مغايرة للصلوات لئلا يلزم التكرار
فهي زايدة على الثلث ولو كان الواجب اربعا لم يوجد لها وسطى فاذا اقلها خمس وسوف يجي ايات اخر دالة على الاوقات
الخمس كقوله اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل اقم الصلوة لدلوك الشمس ونستشرحها ان شا الله تعالى في
مواضعها قال المحققون ان للانسان خمس مراتب سن النمو الى تمام سن الشباب وسن الوقوف وهو ان يبقى ذلك الشخص
على صفة كماله من غير زيادة ولا نقصان وسن الكهولة ويظهر فيه نقصان خفي في الانسان وسن الشيخوخة ويظهر
فيها نقصانات جلية فيه الى ان يموت ويهلك واما المرتبة الخامسة فهي اخباره واثاره الى ان يندرس وينطمس ويفنى
كان لم يكن وكذا الشمس اذا ظهر سلطانها من المشرق لا يزال يزداد ضياؤها الى طلوع جرمها ثم يزداد ارتفاعها شيا بعد شي

الى ان يبلغ وسط السماء ثم يظهر فيها نقصانات خفية من الانحطاط وضعف النور والحر الى وقت العصر حتى يصير
ظل كل شي مثله ثم تظهر النقصانات الجلية الى ان يصير الى زمان لطيف ظل كل شي مثليه ثم الى ان يبدا الى ان تغرب ثم يبقى
الاثار في افق المغرب وهو الشفق ثم ينمحي حتى كان الشمس لم توجد قط فهذه الاحوال الخمسة امور عجيبة لا يقدر عليها الا
خالقها خالق جميع الاشياء فهي موافقة لاسنان الانسان فلهذا تعينت اوقاتها للعبادة والاقبال على المعبود الحق تعالى جلاله
ثم عاد الى الحث على الجهاد فقال ولا تهنوا في ابتغاء القوم لا تضعفوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بما يقلقلهم
ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تالمون والمعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم ولكم مع ذلك رجاء الثواب على الجهاد
دونهم لانهم ينكرون المعاد فانتم اولى بالصبر على القتال والجد فيه منهم ثم يحتمل ان يراد بهذا الرجا ما وعدهم الله من
النصر والغلبة على ساير الاديان او يراد انكم تعبدون الاله العالم القادر السميع البصير الذي يصح ان يرجى منه وانهم
يعبدون الاصنام التي لا خير لهن يرجى ولا شر عن يخشى ويروى ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا
وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم الا ما فيه صلاح لكم في دينكم ودنياكم ثم رجع الى ما انجر منه الكلام وهو حديث المنافقين
وفيه ان الاحكام المذكورة كلها بانزال الله تعالى فليس للرسول ان يحيد عن شي منها طلبا لرضى قوم وفيه ان كفر
الكافر لا يبيح المسامحة في النظر له وانه كان يجوز الجهاد معه بل الواجب ان يحكم له وعليه بما انزل الله تعالى على رسوله قال
اكثر المفسرين ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق احد بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة
ابن النعمان وفي جراب فيه دقيق وجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خباها عند
رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فلم يوجد عنده وحلف لهم والله ما اخذنا وما له بها علم فتركوه
واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو
ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلعم فكلموه في ذلك وسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح
وبري اليهودي فهم رسول الله صلعم ان يفعل وكان هواه معهم وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فانزل الله تعالى
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الايات الى قوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا وفي الاية دليل على ان طعمة وقومه
كانوا منافقين والا لما طلبوا من الرسول نصرة الباطل والحاق السرقة باليهودي قال ابو علي قوله بما اراك الله ليس منقولا
بالهمزة من روية البصر لان حكم الحادثة لا يرى بالبصر ولا من روية القلب والا اقتضى ثلثة مفاعيل وليس في الاية الا اثنان
احدهما الكاف والاخر الضمير العايد المحذوف فهو اذن بمعنى الاعتقاد معناه بما اعلمك الله وسمي ذلك العلم بالروية
لان العلم اليقيني المبرا عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الروية في القوة والظهور وكان عمر يقول لا يقولن
احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه واما الراي منا فهو ظن وتكلف قال بعض العلما في الاية دلالة
على انه ما كان يحكم الا بالوحي والنص وان الاجتهاد ما كان جايزا له وحينئذ يجب ان يكون حال الامة كذلك
لقوله فاتبعوه واجيب بان العمل بالقياس عمل بالنص ايضا فكانه تعالى قال مهما غلب على ظنك ان حكم الصورة المسكوت
عنها مثل حكم الصورة المنصوص عليها بسبب امر جامع بين الصورتين فاعلم ان تكليفي في حقك ان تعمل بموجب
ذلك الظن ولا تكن للخاينين اي لاجلهم وبسببهم ذا خصام مخاصما واصله من الخصم بالضم والسكون وهو ناحية الشي
وطرفه فكان كل واحد من الخصمين في ناحية من الحجة والدعوى قال بعض الطاعنين في عصمة الانبيا عليهم السلام لولا
ان الرسول صلعم اراد ان يخاصم لاجل الخاين ويذب عنه لما ورد النهي عنه ولما امر بالاستغفار والجواب ان النهي عن الشي
لا يقتضي كون المنهي مرتكبا للمنهي عنه بل ثبت في الرواية ان قوم طعمة لما التمسوا منه صلعم ان يذب عن طعمة ويلحق
السرقة باليهودي توقف وانتظر الوحي ولعله امر بالاستغفار لانه مال طبعه الى نصرة طعمة بسبب انه كان في الظاهر من
المسلمين وحسنات الابرار سيات المقربين او لعل القوم شهدوا بسرقة اليهودي وبراة طعمة ولم يظهر للرسول صلعم ما
يوجب القدح في شهادتهم فهم بالقضا على اليهودي فاطلعه الله تعالى على حقيقة الحال او لعل المراد واستغفر لاولئك
الذين يذبون عن طعمة ثم قال ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني طعمة ومن عاونه من قومه ممن علم كونه سارقا
والاختيان كالخيانة يقال خانه واختانه والعاصي خاين نفسه لانه يحرمها الثواب ويوصلها الى العقاب ان الله لا يحب من
كان خوانا اثيما قال المفسرون ان طعمة خان في الدرع واثم في نسبة اليهودي الى تلك السرقة وانما ورد البنا على المبالغة

والعموم ليتناول طعمة وكل من خان خيانة فلا الدرع عن خاصم للخائن قط ولا تجادل عنه لان الله لا يحبه وايضا كان الله عالما
من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم وروي انه هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط
عليه فقتله ومن كانت تلك خاتمة امره لا يشك في حاله وقالت العقلاء اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات
وعن عمر انه امر بقطع يد السارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ
عبده في اول مرة وفي الاية دليل على ان من كان قليل الخيانة والاثم لم يكن في معرض السخط من الله لا يستخفون يستترون
من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون عنه لان الاستخفاء لازم الاستحياء
وهو معهم بالعلم والقدرة والرؤية وكفى بهذه الاية زاجرا للانسان عن المعاصي اذ يبيتون يدبرون ما لا يرضى من القول وهو تدبير
طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق تخونه ويحلف ببرائته وتسمية التدبير وهو معنى في النفس قولا لا لبس فيها اشكال عند
القائلين بالكلام النفسي واما عند غيرهم فمجاز او لعلهم اجتمعوا في الليل ورتبوا كيفية المكر فسمى الله كلامهم ذلك بالقول الذي
الذي لا يرضاه الله والمراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته ها انتم هؤلاء للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدا
وخبر وقوله جادلتم جملة موضحة للاولى كما يقال للسخي انت حاتم تجود بمالك او المراد انتم الذين جادلتم والخطاب لقوم مؤمنين
كانوا يذبون عن طعمة وقومه لانهم في الظاهر مسلمون والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن الذي يخاصم عنهم
في الاخرة اذا اخذهم الله بعذابه ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من عذاب الله وهذا الاستفهام معطوف
على الاول وكلاهما للانكار والتقريع ثم اردف الوعيد بذكر التوبة فقال ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل
طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ايصال
الضرر الى الغير سوء حاضر بخلاف الذي يعود وباله الى فاعله فان ذلك في الاكثر لا يكون ضررا عاجلا لان الانسان لا يوصل الضرر
الى نفسه وقد يستدل باطلاق الاية على ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب وان كان كفرا او قتلا عمدا او غصبا للاموال
للاموال بل على ان مجرد الاستغفار كاف وعن بعضهم ان الاستغفار لا ينفع مع الاصرار فلا بد من اقترانه بالتوبة يجد الله
غفورا رحيما اي له يجد ان هذا الرابط لدلالة الكلام عليه لانه لا معنى للترغيب في الاستغفار الا اذا كان المراد ذلك ومن
يعمل سوءا من ذنب دون دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ليلزمه الحجة
مع العلم بما يكون معه او بعث لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما فالكسب عبارة عما يفيد جر منفعة
او دفع مضرة ولذلك لم يجز وصف الباري تعالى والمقصود منه ترغيب العاصي في الاستغفار وكانه قال الذنب الذي
اتيت به انما يعود وباله وضرره اليك لا الي فاني منزه عن النفع والضر فلا تياس من قبول التوبة وكان الله عليما حكيما
تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ما علمه منه ومن يكسب خطيئة صغيرة او اثما كبيرة وقيل الخطيئة الذنب القاصر
على فاعله والاثم هو الذنب المتعدي الى الغير كالظلم والقتل وقيل الخطيئة ما لا ينبغي فعله سواء كان بالعمد او بالخطا والاثم
هو الذنب المتعدي الى الغير لان الخطيئة في معنى الذنب او بذلك الكسب بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا لانه بكسب
الاثم اثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين فلا جرم يلحقه الذم في الدارين ولولا فضل الله عليك ورحمته
ولولا ما خصك الله بالفضل والنبوة وبالرحمة لهمت طائفة منهم من بني ظفر او طائفة من الناس والطائفة بنو ظفر
ان يضلوك عن القضاء والحكم العدل وما يضلون الا انفسهم بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان وشهادتهم بالزور
والبهتان لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك اذا عملت بظاهر الحال وبما امرت الانبيا الا حكام على الظواهر
او هو وعد بادامة العصمة له مما يريدون في الاستقبال من اتباعه في الباطل ثم الوعيد بقوله وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة اي انه لما امرك بتبليغ الشريعة الى الخلق فكيف يليق بحكمته ان لا يعصمك عن الوقوع في الشبهات والضلالات وعلى
الاول يكون المراد انه اوجب في الكتاب والحكمة بناء احكام الشرع على الظاهر فكيف يضرك بناء الامر عليه وعلمك ما لم
تكن تعلم منه معنيان احدهما ان يكون كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي انزل الله عليك الكتاب والحكمة
واطلعك على اسرارهما وواقفك على حقائقهما مع انك ما كنت قبل ذلك عالما بشيء منهما خفيات الامور وضمائر القلوب اي علمك
الكتاب والحكمة ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين فكذلك يعلمك من حيل المنافقين ووجوه مكايدهم على الاحتراز منهم وكان
فضل الله عليك عظيما فيه دليل ظاهر على شرف العلم حيث سماه عظيما وسمى متاع الدنيا باسرها قليلا التاويل

الصلوة صورة جذبة الحق ومعراج العبد فلهذا افترضت في الخوف والامن وشدة القتال والسفر والحضر والصحة والمرض
ليكون العبد مجذوب العناية على الدوام واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة اي ادمتها لهم لان النظر اليك عبادة كما ان الصلوة
عبادة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فانك تنهاهم عن الفحشاء والمنكر فلتقم طائفة وهم الخواص منهم اي من
عوامهم معك اي مع الله لانك مع الله كقوله لا تحزن ان الله معنا وليأخذوا يعني طائفة من بقية القوم اسلحتهم من الطاعات
والعبادات دفعا لعدو النفس والشيطان فاذا سجدوا يعني من معك ونزلوا مقامات القرب فليكونوا اي هؤلاء العوام
من ورائكم في المرتبة والمقام والمتابعة يحفظونكم باشتغالكم بامور الدنيا لحوائج الضرورية للانسان ولتات طائفة اخرى
لم يصلوا معك في الصحبة فلم يصلوا معك في الوصلة وليأخذوا حذرهم بعواداب الطريقة واسلحتهم وهي اركان الشريعة
ود الذين كفروا وهم عدو النفس وصفاتها ان كان بكم اذى من مطر يعني اشتغال الدنيا وضروراتها حوائج الانسان
يطرأ عليكم في بعض الاوقات ان تضعوا اسلحة الطاعة والاركان ساعة فساعة وخذوا حذركم من التوجه الى
الحق ومراقبة الاحوال وحفظ القلب وحضورهم مع الله وخلو السر عن الالتفات بغير الله ومراعاة التسليم والتفويض
الى الله والاستمداد من همم اعاظم الدين والالتجاء الى ولاية النبوة ان الله اعد بهذه الاسباب للكافرين من كفار
النفس والشيطان عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلوة المكتوبة فاذكروا الله في جميع حالاتكم ان الصلوة كانت في الازل
على المؤمنين كتابا موقوتا موقتا الى الابد كما اشار الله بقوله انا فتحنا لك بابا من القدم الى الحدوث ليغفر لك الله بما
نفع عليك ما تقدم في الازل من ذنبك ان لم تكن مصليا وما تاخر من ذنبك بان لا تكون مصليا ويتم نعمته عليك بان يجعل
صلواتك وهي علم صلوتك في الازل والابد ومن الابد الى الازل ولا تهنوا في ابتغاء القوم النفس وصفاتها ان تكونوا
تالمون في الجهاد معها وبالرياضات والعبادات فانهم يالمون في طلب اللذات والشهوات كما تالمون وترجون من
الله العواطف الازلية والعوارف الابدية ما لا يرجون لان همم النفس الدنية لا يجاوز تفضيها الدنية الجسمانية الفانية
بما اراك الله حين اوحي اليك بلا واسطة ما اوحي واراك اية الكبرى والله اعلم ع فاجل واعلى ع واتم واكرم

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ وَمَنْ يُشَاقِقِ
الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى
وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۞ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ۞ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ
عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۞ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ
الْأَنْعَامِ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ
خُسْرَانًا مُبِينًا ۞ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۞ أُولَئِكَ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا
ومن اصدق من الله قيلا ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل
سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من
ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن
دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم
خليلا ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا

القراءة يؤته بالياء ابو عمرو وحمزة وخلف وقتيبة وسهل الباقون بالنون نوله ونصله مثل يؤده يدخلون
بضم الياء وفتح الخاء وكذلك في مريم وحم المؤمن ابو عمرو وسهل وابن كثير ويزيد وابو بكر وحماد الآخرون بالعكس
ابن الهمام وما نعله في هذه السورة هشام وكذلك يروي الموصلي عن الاخفش عن ابن ذكوان **الوقوف** بين الناس
عظيما جهنم مصيرا لمن يشاء بعيدا اناثا لا لابتداء النفي مع واو العطف مريدا لا لان ما بعده صفة له لعنه الله لان قوله وقال
غير معطوف على لعنه مفروضا للعطف خلق الله مبينا كيلا بصير بعيدهم وصفا الخسران ولمنيهم غرورا محيصا ابدا
حقا قيلا الكتاب يجز به للعطف نصيرا نقيرا حنيفا خليلا وما في الارض محيطا **التفسير** ثم اشار الى ما كانوا يتناجون به
حيث يبيتون ما لا يرضى من القول والنجوى سر بين اثنين وكذا النجي يقال نجوته نجوا اي ساررته وكذلك ناجيته قال
الفراء قد يكون النجوى اسما ومصدرا الاية وان نزلت في مناجاة قوم ذلك السارق بعضا الا انها في المعنى عامة والمراد
انه لا خير فيما يتناجى به الناس ويخوضون فيه من الحديث الا من امر وفيه وجوه مبنية على النجوى فان كان النجوى السر
جاز ان يكون من في موضع النصب لانه استثناء الشيء من خلاف جنسه كقوله الا اذى ومعناه لكن من امر
بصدقة ففي نجواه الخير او في موضع الرفع كقوله الا اليعافير والا العيس وابو عبيدة جعل هذا من باب حذف المضاف
معناه الا نجوى من امر وعلى انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا في قيام زيد اي في قيامه وعلى هذا
يكون الاستثناء من جنسه وان كان النجوى بمعنى ذوي نجوى كقوله واذ هم نجوى كان محله ايضا مجرورا من كثير لانه
نجوى كما قلت لا خير في جماعة من القوم الا زيدا ان شئت تبعت زيد الجماعة وان شئت ابتعته القوم وانما قال لا
خير في كثير مع انه يصدق الحكم كليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه الا ما كان من امر بمعروف
او نهي عن منكر او ذكر الله استجلابا للقلوب وليكون ادخل في الاعتراف به ولا يخرج عنه الخطا والنسيان
وما استكرهوا عليه واعلم ان قوله الخير اما ان يتعلق بايصال المنفعة او بدفع المضرة والاول ان كان من الخيرات الجسمانية
فهو الامر بالصدقة وان كان من الخيرات الروحانية بتكميل القوة النظرية او العملية فهو الامر بالمعروف والثاني
هو الاصلاح بين الناس فثبت ان الاية مشتملة على جوامع الخيرات ومكارم الاخلاق وهذه الاوامر وان كانت مستحسنة
في الظاهر الا انه لا يقع في حيز القبول الا اذا عمل صاحبها بما امر كيلا يكون ممن قيل اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم لم تقولون ما لا تفعلون والا اذا طلب بها وجه الله فلهذا قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه
اجرا عظيما ويمكن ان يقال ان معنى ومن يفعل الامر والمراد ومن يامر فعبر عن الامر بالفعل لان الامر فعل من الافعال
او المراد نفع له من امر من فعل لان الامر يلزمه الفعل غالبا ثم قال ومن يشاقق الرسول قال الزجاج ان طعمة كان قد تبين
له بما اظهر الله من امره ما دله على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فعادى الرسول واظهر الخلاف وارتد على عقبيه
واتبع دين عبادة الاوثان وهو غير سبيل الموحدين ومن سبيلهم ومعنى نوله ما تولى نجعله واليا لما اختاره لنفسه ونكله الى

نوله

توكل عليه قال بعض الائمة هذا منسوخ باية السيف ولا سيما في حق المرتد والمراد به الطبع والخذلان ونصله جهنم نلزمه
اياها وساءت مصيرا على التمييز من الضمير المبهم في ساءت لانه يعود الى ما في الذهن لا الى المذكور يحكى ان الشافعي سئل عن
اية في كتاب الله دالة على ان الاجماع حجة فقرا القران ثلثمائة مرة حتى وقف على هذه الاية ووجه الاستدلال ان اتباع
غير سبيل المؤمنين حرام لانه تعالى جمع بين اتباع غير سبيلهم وبين مشاقة الرسول ورتب الوعيد عليهما واتباع غير سبيل المؤمنين
يلزمه عدم اتباع سبيل المؤمنين لاستحالة الجمع بين الضدين او النقيضين فعدم اتباع سبيل المؤمنين حرام واتباع
سبيلهم واجب كموالاة الرسول وفي الاية دلالة على وجوب عصمة النبي صلعم وعلى وجوب الاقتداء باقواله وافعاله
والا وجب المشاقة في بعض الامور وهي منهي عنها في الكل وفي الاية دلالة على انه لا يمكن تصحيح الدين
الا بالنظر والاستدلال لان الهدى اسم للدليل لا للعلم اذ لا معنى لتبيين العلم لكنه رتب الوعيد على المخالفة
بعد تبين الدليل معتبرا في صحة الدين واول الموقوف على النظر معرفة وجود الواجب لذاته ومعرفة نبوة
النبي صلعم والباقي يكفي في اعتقاده اخبار الصادق ايضا دليل فلا حكم الا عن دليل ثم انه كرر في السورة قوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر للتاكيد وقيل لقصة طعمة واشراكه بالله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا
لانه لا اجلى من وجود الصانع ووحدته والمطلوب كلما كان اجلى كان نقيضه ابعد ثم اوضح هذا المعنى بقوله سبحانه
ان يدعون اي ما تعبدون من دونه الا اناثا اي اوثانا وكانوا يسمونها باسماء الاناث كاللات والعزى فاللات تانيث
الله والعزى تانيث الاعز قال الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا وله صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان
وفي قراءة عائشة الا اوثانا وقراءة ابن عباس الا اثنا جمع وثن مثل اسد واسد الا ان الواو بدلت همزة كاجوه
وقيل المراد الاموات لان الاخبار عن الاموات تكون كالاخبار عن الاناث تقول هذه الاحجار اعجبتني كما تقول هذه
المراة اعجبتني ولان الانثى اخس من الذكر والميت اخس من الحي وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله
وقيل ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون الملائكة بنات الله وان يدعون ما يعبدون بعبادة الاصنام الا
شيطانا مريدا بالغا في العصيان مجردا عن الطاعة يقال شجرة مرداء اذا تناثر ورقها والامرد الذي لم ينبت له لحية
قال المفسرون كان في كل واحد من تلك الاوثان شيطان يتراءى للسدنة يكلمهم وقالت المعتزلة جعلت طاعتهم
للشيطان عبادة له لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه والظاهر ان المراد بالشيطان ههنا ابليس لانه وصفه
بقوله لعنه الله وقال لاتخذن جواب قسم محذوف اي شيطانا جامعا بين لعنة الله اياه وبين هذا القول الشنيع وهو
الاخبار عن الاتخاذ مؤكدا بالقسم ويمكن ان يقال المراد بلعنة الله ما استحق به اللعن من استكباره عن السجود كقولهم
ابيت اللعن اي لا فعلت ما تستحق به ومعنى نصيبا مفروضا حظا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي واصل الفرض القطع
ومنه الفريضة لانه قاطع للاعذار وقد فرضتم لهن فريضة جعلتم لهن قطعة من المال فرض الجندي رزقه المقطوع
العين قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون ويؤكده ما روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلعم
قال يقول الله تعالى يا ادم فيقول لبيك وسعديك والخير كله بيديك قال اخرج بعث النار قال وما بعث
النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الحديث وههنا سؤال وهو ان حزب الشيطان هم الذين يتبعون
خطواته من الكفار والفساق لما كانوا اكثر من حزب الله فلم اطلق عليهم لفظ النصيب مع انه لا يليق الا بالقسم
الاقل والجواب ان هذا التفاوت انما يحصل من نوع البشر اما اذا ضم الملائكة اليهم فالغلبة للمحقين لا محالة وايضا
الغلبة لاهل الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم وان كثروا ولاضلنهم يعني عن الحق قالت المعتزلة فيه دلالة على اصلين من اصولنا
الاول ان المضل هو الشيطان دون الله والثاني ان الاضلال ليس عبارة عن خلق الكفر والضلال فان الشيطان بالاتفاق
لا يقدر على ذلك واجيب بان هذا كلام ابليس فلا يكون حجة على ان كلامه في هذه المسئلة مضطرب جدا فتارة يميل
الى القدر المحض وهو قوله لاغوينهم واخرى الى الجبر المحض كقوله رب بما اغويتني ولامنينهم الاماني الباطلة
من طول الاعمار وبلوغ الامال واقتحام الاهوال وانتظام الاحوال فلا يكاد يتقدم على التوبة ولا يبال على تهيئة زاد
الاخرة حتى يصير قلبه كالحجارة او اشد قسوة ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام البتك القطع وسيف باتك اي صارم
والتبتيك التقطيع شدد للكثرة وجمهور المفسرين على ان المراد به ههنا قطع اذان البحائر كانوا يشقون اذن الناقة

اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ويسمونها بحيرة وقال بعضهم كانوا
يقطعون اذان الانعام نسكا في عبادة الاوثان فهم يظنون ان ذلك عبادة مع انه في نفسه كفر وفسق قوله فليبتكن
صيغة غاير للغايبين واللام لجواب القسم المضمر والله ليبتكن واصله ليبتكون فلما دخلت النون الثقيلة سقطت
واو الجمع لالتقاء الساكنين والخفاء بالضمة والفاء للتسبيب والايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها والجملة كالتفسير لقوله
ولامرنهم ومثله في الاعراف قوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله والمراد من التغيير اما المعنوي واما الحسي فمن الاول
قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن والضحاك ومجاهد والنخعي وقتادة والسدي انه تغيير دين الله بتبديل
الحرام حلالا او بالعكس او بابطال الاستعداد الفطري فطرة الله التي فطر الناس عليها كل مولود يولد على الفطرة ومن
الثاني قال الحسن المراد ما روي ابن مسعود عن النبي صلعم لعن الله الواشمات والواشرات والمتنمصات وذلك ان المراة تتوصل
بهذه الافعال الى الزنا اما الوشم اليد فهو ان يغرز عليها بالابرة ثم يذر عليها النيل والوشر تحديد الاسنان والتنمص نتف
شعر الحاجب وغيرها وقال انس وشهر بن حوشب وعكرمة وابو صالح تغيير خلق الله هو الخصاء وقطع الاذن وفقاء
العيون وكانت العرب اذا بلغت ابل احدهم الفا عوروا عين فحلها وخصاء البهايم مباح عند عامة العلماء واما في بني ادم
فمحظور وعن ابي حنيفة يكره شرى الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم يدعوا الى خصائهم وقال
ابن زيد هو التخنث تشبه الذكر بالانثى وعلى هذا فالسحق ايضا داخل في الاية لانه تشبه الانثى بالذكر وحكى الزجاج
عن بعضهم ان الله تعالى خلق الانعام لتركبوها فحرموها على انفسهم والبحاير والسوايب وخلق الشمس والقمر مسخرين
للناس ينتفعون بها فعبدوهما فغيروا ما خلق الله واعلم ان دخول الضرر في الانسان انما يكون على ثلثة اوجه
التشويش والنقصان والبطلان فادعى الشيطان لعنه الله القاء اكثر الخلق في ضرر الدين وهو قوله لاضلنهم فصل ذلك بقوله
ولامنينهم وهو الضرر من جنس التشويش لان صاحب الاماني يتشوش فكرهم في استخراج الحيل الدقيقة والوسايل
اللطيفة في تحصيل مطالبة الشهوية والغضبية والشيطانية وقوله ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام اشارة الى الضرر
بالنقصان لان الانسان اذا صار مستغرق العقل في طلب الدنيا صار فاتر الراي ضعيف العزم في طلب الاخرة وقوله ولامرنهم
فليغيرن خلق الله اشارة الى البطلان لان من بقي مواظبا على طلب اللذات العاجلة معرضا عن السعادات الباقية فلا
يزال يتزايد ميله وركونه الى الدنيا حتى يتغير قلبه بالكلية فلا يخطر بباله ذكر الاخرة ومن يتخذ الشيطان وليا
من دون الله بان فعل ما امره الشيطان به وترك ما امره الرحمن به فقد خسر خسرانا مبينا اذ فاته اشرف المطالب
بسبب الاشتغال باخستها والسبب فيه ان الشيطان يعدهم ويمنيهم فيقول للشخص انه سيطول عمره وينال من الدنيا
مقصوده ويستولي على اعدايه ويوقع في قلبه ان الدنيا دول فربما تيسرت لي كما تيسرت لغيري وما يعدهم الشيطان
الا غرورا لانه ربما يطل عمره وان طال فربما لم يجد مطلوبه وان طال عمره ونال مامولة على احسن الوجوه فربما لم يكن
عند الموت اشد حسرة وابلغ حيرة لان المطلوب كلما كان الذ والشهى كان الالف معه ادوم والبقاء كانت مفارقته امر وانكى
فلذلك قيل اوليك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا مفرا ولا معدلا وله معنيان احدهما لا بد لهم من ورودها
والثاني التخليد بمعنى الدوام للكفار او طول المكث للفساق ثم اردف الوعيد بالوعد على سنته المعهودة فقال والذين
امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قال اهل السنة لو كان الخلود
الدوام لزم التكرار فاذن هو طول المكث المطلق وقوله ابدا يفيد التابيد وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد
لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله سندخلهم وعد منه تعالى ومعنى نه هو مضمون وعد الله واما حقا فمضمونه
احص من مضمون الوعد من حيث هو وعد يحتمل ان يكون حقا وان لا يكون فمضمونهما متغايران تغاير الجنس والنوع
ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ من قبل الاستفهام المتضمن للانكار وفائدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد
الشيطان الكاذبة الغارة بالمواعيد الصادقة اما الفارغة البينة على ان قول اصدق القايلين اولى بالقبول من قول من لا احد اكذب منه
والقيل مصدر قال قولا وعن ابن السكيت ان القيل والقال اسمان لا مصدران عن ابي صالح قال جلس اهل الكتب
التورية والانجيل واهل القران يقول كل صنف لصاحبه نحن خير منكم فنزلت ليس باماتيكم ولا اماني اهل الكتاب وقال مسروق
وقتادة احتج المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نحن اهدى منكم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى

بالله منكم وقال المسلمون نحن اهدى منكم واولى بالله نبينا خاتم الانبيا وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت فافلح
الله حجة المسلمين على من ناواهم من اهل الاديان بقوله ومن يعمل من الصالحات وبقوله ومن احسن دينا الايتان وقيل
الخطاب في امانيكم لعبدة الاوثان واماتيهم ان لا يكون حشر ولا نشر ولا عقاب وان اعترفوا لكنهم يصفون اصنامهم
بانها شفعاوهم عند الله وقيل الخطاب للمسلمين واماتيهم ان يغفر لهم وان ارتكبوا واما اماني اهل الكتاب فقولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباوه لن تمسنا النار الا اياما معدودة واسم ليس مضمر فقيل
اي ليس وضع الدين على امانيكم وقيل ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله سندخلهم وعن الحسن ليس الايمان
بالتمني ولكن ما وقر في القلب اي اثر فيه وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا
نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل ثم اكد هذا المعنى بقوله بيانا للمذكور من يعمل سوءا يجز به ولا يجد
له من دون الله وليا ولا نصيرا فمن هنا استدلت المعتزلة بالاية على القطع بوعيد الفساق وبنفي الشفاعة واجيب بانه
مخصوص بالكفار لانهم مخاطبون بالفروع عندنا سلمنا انه يعم المومن والكافر الا انه مخصوص في حق المومن بقوله ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء سلمنا لكنه لم لا يجوز ان يكون جزاوه الالام والاسقام والهموم والغموم الدنيوية يحكي انه لما نزلت
الاية قال ابو بكر الصديق رض كيف الصلاح بعد هذه الاية فقال صلعم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست يصيبك الاذى
فهو ما تجزون به عن عايشة رض ان رجلا قرا هذه الاية فقال انجزى بكل ما نعمل لقد هلكنا فبلغ النبي صلعم كلامه فقال يجزى
المومن بمصيبة في الدنيا بمصيبة في جسده فيما يوذيه وعن ابي هريرة لما نزلت الاية بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله
ما ابقت هذه الاية لنا شيا فقال صلعم ابشروا فانه لا تصيب احدا منكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة
التي تقع في قدمه سلمنا ان الجزا انما يصل اليه في الاخرة لكنه روي عن ابن عباس انه لما نزلت الاية شقت على المسلمين
فقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا فكيف الجزا فقال صلى الله عليه وسلم انه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات
وعلى المعصية واحدة عقوبة واحدة فمن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل
لمن غلب احاده اعشاره وايضا المومن الذي اطاع الله سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر فهو مومن قد عمل الصالحات
فيجب القطع بانه يدخل الجنة والمعتزلة قالوا ان صاحب الكبيرة غير مومن واجيب بنحو قوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا
واما حديث نفي الشفاعة فاذا كانت شفاعة الملائكة والانبيا باذن الله صدق انه لا ولي لاحد ولا نصير الا الله قال في
الكشاف من في قوله من الصالحات للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف
الاحوال وانما يعمل منها ما هو في وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا صلوة ولا زكوة في بعض الاحوال ومن في قوله
من ذكر للتبيين الابهام في من يعمل والضمير في لا يظلمون عايد الى عمال السوء وعمال الصالحات جميعا ويعود الى الصالحين
فقط وذكره عند احد الفريقين يغني عن ذكره عند الاخر لان المبتلى مستغن عن هذا القيد فمن المعلوم ان ارحم الراحمين
لا يزيد في عقابه واما نقصان الفضل في الثواب فكان محتملا فازال ذلك الوهم ثم بين فضل الايمان المشروط به الفوز
بالجنة فقال ومن احسن دينا وبيان الفضل من وجهين الاول انه الدين المشتمل على اظهار كمال العبودية والخضوع والا
نقياد لله واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله وهو راجع الى اعتقاد الحق وعلى اظهار كمال الطاعة وحسن العمل والا
خلاص واليه الاشارة بقوله وهو محسن وهو عايد الى فعل الخيرات وترك المنكرات بصفاء النيات وخلوص الطويات
وفيه تنبيه على ان كمال الايمان لا يحصل عند تفويض جميع الامور الى الخالق واظهار التبري من الحول والقوة ومن الاستعانة
بغير المعبود الحق من الافلاك والكواكب والطبايع وغيرها كاينا من كان الوجه الثاني ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما دعا
الخلق الى ما يشبه دين ابيه ابراهيم عليه السلم من المشهور فيما بين اهل الاديان انه ما كان يدعوا الى عبادة الاوثان ولا عبادة
فلك ولا عبادة كوكب ولا استعانة بطبيعة بل كان مايلا عن الملل الباطلة بعيدا عنها بعد المركز عن جميع اجزاء الدايرة
ولهذا شرف بقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهذه جملة معترضة والسبب في ايرادها ان يعلم من كان في علو الدرجة بهذه
الحيثية كان جديرا بان يتبع طريقته قال العلما ان خليل الانسان هو الذي يدخل في خلال امره واسراره ويدخل
حبه في خلال قلبه ولما اطلع الله ابراهيم عليه السلم على ملكوت الاعلى والاسفل ودعا القوم مرة بعد اخرى الى توحيد
الله ومنعهم عن عبادة النجوم والقمر والشمس وعن عبادة الاوثان ثم سلم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان

ثم جعله الله سبحانه وتعالى اماما للناس ورسولا اليهم وبشره بان الملك والنبوة في ذريته الى يوم الدين كان خليلا
لان خلته عبارة عن ارادة ايصال الخيرات والمنافع وقيل الخليل هو الذي يوافقك في خلالك وقد قال صلى الله عليه وسلم
تخلقوا باخلاق الله تعالى فلما بلغ ابراهيم صلوات الرحمن عليه في مكارم الاخلاق مبلغا لم يبلغه من تقدمه فلا جرم اختص
اسم الخليل وقال الخليل الذي يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل فلما كان ابراهيم منقادا لكل ما امر به
ومنتهيا عنه فكانه سائر في اثر اوامر الله تعالى ونواهيه فاستحق اسم الخليل لذلك هذا من جهة الاشتقاق واما من
قبل اسباب النزول فعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلعم يا جبرئيل بما اتخذ الله ابراهيم خليلا قال لاطعامه الطعام
يا محمد وقال عبد الله بن عبد الرحمن بن ابزى دخل ابراهيم عليه السلام منزله فجاءه فراى ملك الموت في صورة شاب لا يعرفه
فقال ابراهيم عليه السلام باذن من دخلت فقال باذن رب المنزل فعرفه ابراهيم فقال له ملك الموت ان ربك اتخذ من عباده
خليلا فقال ابراهيم عليه السلام من ذلك قال ما تصنع به قال اكون خادما له حتى اموت قال فانه انت وقال الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس اصاب الناس سنة جهدوا فيها فحشروا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة
من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى خليله بمصر يساله الميرة فقال خليله لو كان ابراهيم انما يريد لنفسه احتملنا ذلك
له ولكنه يريد الاضياف وقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابراهيم فمروا ببطحاء فقالوا انا لو احتملنا
من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة انا لنستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملاوا تلك الغرائر ثم انهم اتوا ابراهيم وسارة نائمة
فاعلموه ذلك فاهتم ابراهيم لمكان الناس فغلبته عيناه فنام فاستيقظت سارة فقامت الى تلك الغرائر ففتحتها فاذا هي اجود
حواري يكون من الخبازين فخبزوا واطعموا الناس واستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا الطعام
فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله فيومئذ اتخذه الله خليلا فقال شهر بن حوشب هبط ملك
في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابراهيم اذكره مرة اخرى فقال لا اذكره مجانا فقال لك مالي كله فذكره
الملك بصوت اشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادي فقال الملك ابشر فاني ملك لا احتاج الى مالك وولدك
وانما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والاولاد على سماع ذكر الله فلا جرم اتخذه الله خليلا وروى طاوس عن ابن عباس
ان جبرئيل وميكائيل لما دخلا على ابراهيم عليه السلام في صورة غلمان حسان الوجوه فظن الخليل انهم اضيافه فذبح
لهم عجلا سمينا وقربه اليهم فقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبرئيل انت خليل الله
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني
حبيبا ثم قال وعزتي وجلالي لاوثرن حبيبي على خليلي ونجيي قلت وذكرت الفرق بين الحبيب والخليل في
سورة البقرة في تفسير قوله اذ قال له ربه اسلم فتذكر قال في التفسير الكبير اذا استنار جوهر الروح بالمعارف القدسية
والجلايا الالهية صار الانسان متوغلا في عالم القدس فلا يرى الا الله ولا يسمع الا الله ولا يتحرك الا لله ولا يسكن الا لله
فهذا الشخص يستحق ان يسمى خليل الله لان محبة الله ونوره تخللت في جميع قواه قال بعض النصارى اذا جاز
اطلاق الخليل على انسان تشريفا فلم لم يجز اطلاق الابن على الاخر لمثل ذلك والجواب ان الخلة لا تقتضي الجنسية
بخلاف البنوة وانه سبحانه متعال عن مجانسة المحدثات ولهذا قال بعد ذلك ولله ما في السموات وما في الارض
وكان الله بكل شيء محيطا ليعلم انه لم يتخذ ابراهيم خليلا للمجانسة او الاحتياج ولكنه اصطفاه لمجرد الفضل والامتنان
وفيه انه مع خلته لم يستنكف ان يكون عبدا له داخلا تحت ملكه وملكه وفيه ان من كان في القهر والتسخير بهذه
الحيثية وجب على كل عاقل ان يخضع لتكاليفه وينقاد لاوامره ونواهيه كما قال ابراهيم اسلمت لرب العالمين وايضا
انه لما ذكر الوعد والوعيد وانه لا يمكن الوفا بهما الا بالقدرة التامة على جميع الممكنات والعلم الكامل المتناول لجميع الكليات
والجزئيات اشار الى الاول بقوله ولله ما في السموات وما في الارض والى الثاني بقوله وكان الله بكل شيء محيطا
وانما قدم القدرة على العلم لان الفعل يدل على القدرة وبما فيه من الاحكام والاتقان يدل على العلم ولا ريب ان
الاعتبار الاول مقدم على الثاني وقال بعضهم الاحاطة ايضا ههنا بمعنى القدرة واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله
بها ولا يلزم تكرار لان الاول لا يدل على انه مالك لكل ما في السموات والارض قادر عليها والثاني يفيد القدرة المطلقة
على جميع الاشيا وان فرضت خارج السموات والارض وعلى ان سلسلة القضا والقدر في جميع الممكنات انما ينقطع بايجا ده

وتكوينه وابداعه **التأويل** لا خير في كثير من نجوى النفس والهوى والشيطان الا من امر بالخيرات وهو الله بالوحي والخواطر
الرحمانية ثم خواص عباده ومن يشاقق الرسول اي يخالف الالهام الرباني ويتبع غير سبيل المؤمنين بان يتبع الهوى وتسويل
النفس والشيطان نوله ما تولى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله بسلاسل معاملاته جهنم الصفات البهيمية والسبعية
والشيطانية ان الله لا يغفر ان يشرك به ولو كان مغفورا لم يشرك به ومن يشرك بالله الان فقد ضل ضلالا بعيدا وهو الضلال بالا
ضلال الازلي فانهم ان يدعون من دونه الا اناثا صفات ذميمة يتولد منها الشرك وان يدعون الا شيطانا مريدا اي الدنيا
كما قال صلعم الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه والنصيب المفروض طايفة خلقهم الله اهلا للنار ولاضلنهم كذب عدو
الله فانه من غوى وليس اليه من الضلالة شيء كما قال صلعم بعثت مبلغا وليس الي من الهداية شيء وعد الله حقا وهو قوله هؤلاء
الى الجنة ولا ابالي ليس بامانيكم يعني عوام الخلق الذين يذنبون ولا يتوبون ويطمعون ان يغفر الله لهم وقد قال واني لغفار
لمن تاب وامن وعمل صالحا ولا اماني اهل الكتاب علماء السوء الذين يعيرون العوام بالطمع والريا وينقطعون عليهم طريق
الطلب والاجتهاد فليس من تمنى نعمته من غير ان يتعنى في خدمته كمن يتعنى في خدمته من غير ان يتمنى نعمته من يعمل سوءا يجز به
في الحال باظهار الرين على مراة قلبه كما قال صلعم اذا اذنب عبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سودا فان تاب ورجع
منه صقل ولا يجد له من دون الله وليا يخرجه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة والتوبة ولا نصيرا ينصره بالظفر على النفس
الامارة من ذكر وانثى اي من قلب او نفس ومن احسن دينا يعني من محمد حين اسلم سره وروحه وقلبه ونفسه وشيطانه
كما قال اسلم شيطاني على يدي ومن اسلام نفسه يقول يوم القيمة امتي امتي حين تقول الانبيا نفسي نفسي وهو محسن يعني
انه من اهل المشاهدة يعبد الله كانه يراه بل يراه ولانه احسن الذي خلقه العظيم الى ان بلغ حد الكمال والختم واتبع ملة ابراهيم
بان الله اتخذه خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا قيل لمجنون بني عامر ما اسمك قال ليلى وقيل لمحمد ما اسمك قال الحبيب وكان محمد
صلعم حبيبا خليلا اي فقيرا من الخلة الحاجة لانه افتقر بالكلية الى الله في كل احواله والفرق بين مقام الخليل ومقام الحبيب
ان الخليل اتخذ الالهة عدوا في الله فانهم عدو لي الا رب العالمين والحبيب اتخذ نفسه عدوا في الله وقال لست نبي محمد
لم يخلق محمد ادعوا مقام الفنا في الفنا بل البقا بعد الفنا فلا جرم يقول بالرب عن الرب ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا

ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في يتامى النساء
اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان
وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما
وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا
بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان
الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا
كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما
وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات
وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا

الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ۝
ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ۝ ان يشا يذهبكم ايها الناس
ويات باخرين وكان الله على ذلك قديرا ۝ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله
ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا ۝ يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان
بما تعملون خبيرا ۝ يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسله والكتاب الذي انزل
من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل
ضلالا بعيدا ۝ ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ۝ بشر المنافقين بان لهم عذابا
اليما ۝ الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم
العزة فان العزة لله جميعا ۝ وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات
الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره
انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ۝
الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم
وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين
فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ۝

القراءة يصلحا من الاصلاح عاصم وعلي وحمزة وخلف الباقون يصالحا من التصالح وادغام التاء في الصاد ان يشا حيث كان بغير همز الاعشى واوقية وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف وان تلوا بواو واحدة ابن عامر وحمزة والباقون بالواوين نزل وانزل كلاهما على ما لم يسم فاعله من التنزيل والانزال ابن كثير وابن عامر

وابو عمرو الباقون نزل وانزل مبنيين للفاعل من التنزيل والانزال وقد نزل مشددا مبنيا للفاعل عاصم ويعقوب الباقون مبنيا للمفعول **الوقوف** في النساء ويهن للعطف اي الله والمتلو يفتيكم الولدان للعطف ايضا اي في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا بالقسط عليما صلحا خيرا كالشح خبيرا كالمعلقة رحيما سعته حكيما وما في الارض ان اتقوا الله وما في الارض حميدا وما في الارض وكيلا باخرين قديرا والاخرة بصيرا والاقربين لابتداء الشرط مع اتفاق المعنى ان تعدلوا لذلك خبيرا من قبل بعيدا سبيلا اليما لان الذين صفة المنافقين وان كان يحتمل النصب والذم المؤمنين جميعا غيره لان ما بعده كالتعليل مثلهم جميعا لان ما بعده صفة المنافقين بكم لابتداء الشرط مع انه بيان التربص معكم لترجيح جانب العطف واتمام بيان النفاق نصيب لان قالوا جواب ان المؤمنين القيمة سبيلا **التفسير** احسن الترتيبات اللايقة بالدين الحق وبالبعث على قبول التكاليف هو ما عليه القران من اقتران الوعد بالوعيد وخلط الترغيب بالترهيب وضم الايات الدالة على العظمة والكبريا الى بيان الاحكام والاستفتاء طلب الفتوى يقال استفتيت الرجل فافتاني افتاء وفتيا وفتوى هما اسمان يوضعان موضع الافتاء وهو اظهار المشكل من الفتى وهو الشاب الذي قوي وكمل كانه قوى ببيانه ما اشكل وشب وصار فتيا قويا والاستفتاء لا يقع في ذوات النسا وانما يقع في حالة من احوالهن فلذلك اختلفوا فعن بعضهم انهم كانوا لا يورثون النسا والصبيان شيئا من الميراث كما مر في اول السورة نزلت في توريثهم وقيل انه في الايصا وقيل في توفية الصداق لهن كانت اليتيمة تكون عند الرجل فان كانت جميلة ومال اليها تزوج بها واكل مالها وان كانت ذميمة منعها من الازواج حتى تموت فيرثها واما قوله وما يتلى عليكم ففيه وجوه اصحها انه يرفع بالابتداء معطوفا على اسم الله اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب يفتيكم ايضا ويجوز ان يكون رفعا على الفاعلية لكونه عطفا على المستتر في يفتيكم وجاز بلا تاكيد للمنفصل اي يفتيكم الله والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى كقولك اعجبني زيد وكرمه وذلك المتلو هو قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى كما سلف في اول السورة جعل دلالة الكتاب على هذا الحكم افتاء من الكتاب وثانيها وما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره وهي جملة معترضة ويكون المراد من الكتاب اللوح المحفوظ والغرض تعظيم هذه الحالة وان العدل فيها والنصفة من رعاية حقوق اليتامى ظالم منها وبما عظمه الله ونظيره في تعظيم القران قوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وثالثها انه مجرور على القسم بمعنى التعظيم ايضا كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن وحق المتلو ورابعها ان يكون مجرورا على انه معطوفا على المجرور في فيهن قال الزجاج انه ليس بسديد لفظا لعدم اعادة الخافض ومعنى لانه لا معنى لقول القائل يفتيكم الله فيما يتلى من الكتاب لان الافتاء انما يكون في المسايل وقوله في يتامى النساء على الوجه الاول صلة يتلى اي يتلى عليكم في معانيهن ويجوز ان يكون بدلا من فيهن وعلى سائر الوجوه بدل من فيهن لا غير والاضافة في يتامى النسا قال الكوفيون انها اضافة الصفة الى الموصوف والاصل في النساء اليتامى وقال البصريون انها على تاويل حذف ونظيره وسحق عمامة وجوز بعضهم ان يكون المراد بالنسا امهات اليتامى كما في قصة ام كجة ومعنى لا تؤتونهن ما كتب لهن قال ابن عباس يريد ما فرض لهن من الميراث بناء على انها نزلت في يتامى والصغار وقال غيره يعني ما كتب لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن لجمالهن احتج اصحاب ابي حنيفة بالاية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة ورد باحتمال ان يكون المراد وترغبون ان تنكحوهن اذا بلغن ولان قدامة ابن مظعون زوج بنت اخيه عثمان بن مظعون من عبد الله بن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة ورغبت امها في المال فجاءوا الى رسول الله صلعم فقال قدامة انا عمها ووصي ابيها فقال النبي صلعم انها صغيرة وانها لا تزوج الا باذنها وفرق بينها وبين ابن عمر ولانه ليس في الاية اكثر من ذكر رغبة الاوليا في نكاح اليتيمة وذلك لا يدل على الجواز والمستضعفين من الولدان نزلت في ميراث الصغار والخطاب في ان تقوموا للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم فيهم قيل ويجوز ان يكون وان تقوموا منصوبا اي ويامركم ان تقوموا ومن جملة ما حث الله تعالى انه يفتيهم فيه في النسا لكن لم يتقدم ذكره قوله وان امراة خافت ارتفاع امراة بفعل يفسره خافت اي علمت وقيل ظنت والظاهر انه على معناه الخوف على ان الاصل الا ان الخوف لا يحصل الا عند ظهور العلامات الدالة على وقوع المخوف كان يقول الرجل لامراته انك ذميمة او مسنة واني اريد ان اتزوج شابة جميلة والبعل الزوج والنشوز يكون من الزوجين وهو كراهة كل منهما صاحبه ونشوز الرجل ان يعرض عنها ويقبح وجهها ويترك مجامعتها ويسيء عشرتها

انها نزلت في المراة تكون عند الرجل ويريد الرجل ان يستبدل بها غيرها فتقول امسكني وتزوج بغيري وانت في حل من النفقة
والقسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلعم وعرفت مكان عايشة من قلبه فوهبت لها يومها
ومعنى صلحا وهو مصدر من غير لفظ الفعل مثل والله انبتكم من الارض نباتا ان يتصالحا على ان تطلب المراة لها نفسا عن
القسمة او عن بعضها او عن المهر والنفقة فان هذه الامور هي التي تقدر المراة على طلبها من الزوج ما دام اي اما الوطي
فليس كذلك فان الزوج لا يجبر عن الوطي والزوج والصلح خير من التفرقة او من النشوز والاعراض فاللام للعهد او هو خير من
الخصومة في كل شي فاللام للاستغراق وبه تمسك اصحاب ابي حنيفة في جواز الصلح على الانكار اما الصلح خير من الخيرات
كما ان الخصومة شر من الشرور والجملة معترضة وكذا قوله واحضرت الانفس الشح الا انه اعتراض موكد للمطلوب محصل
للمقصود والشح البخل مع حرص فالمراة شحاح لا تسمح الا من ماطها كثير حصل الشح كالامر الحاضر للنفوس لانها جبلت على ذلك
ثم يحتمل ان يكون هذا تعريضا للالتذاذ بصحبتها واعلم انه رخص ولا في الصلح بقوله فلا جناح عليهما وغايته ارتفاع الاثم
ثم بين انه كما لا جناح فيه فكذلك فيه خير كثير ثم حث على الاحسان والتقوى وحسم مادة الخصومة رأسا فقال وان
تحسنوا اي بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة
المحوجة الى الصلح فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم على ذلك وعلى هذا فالخطاب للازواج
وقيل الخطاب للزوجين ان يحسن كل منهما الى صاحبه ويحترز عن الظلم ومثل غيرهما ان يحسنوا في المصالحة بينهما ويتقوا
الميل الى واحد منهما يحكى ان عمران بن حطان الخارجي كان من ادم بني ادم وامراته من اجملهم فاجالت يوما نظرها في وجهه ثم قالت
الحمد لله فقال ما لك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت
ولن تستطيعوا ان تعدلوا على التسوية بين النسا في ميل الطباع ولو حرصتم فاذا لم تقدروا عليها يجب لا يقع ميل البتة ولا
زيادة ولا نقصان فكونوا مكلفين به وهذا نفس ينادي من مذهب المعتزلة من ان تكليف ما لا يطاق غير واقع ولا جائز
فلا تميلوا كل الميل اي يرفع عنكم تمام العدل وغايته ولكن ائتوا ما استطعتم بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم بوجه
اي لن تستطيعوا التسوية في الميل القلبي ولو حرصتم ولا التسوية الكلية في نتايج الحب من الاقوال والافعال لان
الفعل بدون الداعي ومع قيام الصارف محال فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها
ونفقتها وساير حقوقها وحظوظها من غير رضاء منها فتذروها كالمعلقة بين السماء والارض لا على قرار اي غير
ذات بعل ولا مطلقة والغرض النهي عن الميل الكلي مع جواز التفريط في العدل الكلي في نتايج الميل القلبي واما
الميل القلبي فمعفو بالكل وبالبعض لان القلب ليس في تصرف الانسان وانما هو بين اصبعين من اصابع الرحمن عن النبي
صلعم انه كان يقسم بين نسائه ويعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة
لان عايشة رض كانت احب نسائه اليه وعنه صلى الله عليه من كانت له امراتان يميل مع احدهما جاء يوم القيمة واحد شقيه
مايل وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما تستقبل فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا
يغن الله كلا من سعته يرزق كل واحد منهما زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة
وكان الله واسعا من الرزق والفضل والرحمة والعلم واي كمال يفرض ولهذا اطلق حكيما قال ابن عباس فيما حكم
ووعظ وقال الكلبي فيما حكم على الزوج من امساكها بمعروف او تسريحها باحسان ثم قال ولله ما في السموات
وما في الارض وهو كالتفسير لسعة ملكه وملكه وفيه ان الذي امر به من العدل والاحسان الى اليتامى والنسوان
ليس للعجز او افتقار وانما يعود فايدة ذلك الى المكلف لنيل الحسن له في دنياه وعقباه ثم بين ان الامر بتقوى الله شريعة
قديمة لم يلحقها نسخ وتبديل وان استغناه تعالى بالنسبة الى الامم السالفة كهو بالنسبة الى الامم الاتية فقال ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب اي جنسه ليشمل التورية والانجيل والزبور وغيرها من الصحف وقوله من قبلكم اما ان يتعلق
بوصينا او باوتوا وقوله واياكم عطف على الذين ومعنى ان اتقوا بان اتقوا ويجوز ان تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول
وان تكفروا عطف على اتقوا اي امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات والارض
وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يخشون عقابه ويرجون
ثوابه او قلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله في سمواته وارضه من الملائكة وغيرهم من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله

مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم حميدا في ذاته وان لم يحمده احد منهم ثم كرر قوله ولله ما في السموات وما في
الارض وكفى بالله وكيلا تقريرا لانه اهل ان يتقى وتوكيد الاستغنا به عن طاعات المطيعين وسيات المذنبين ثم بالغ
في هذا المعنى بقوله ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين يوجد خلقا اخرين غير الانس او من جنس الانس
وكان الله على ذلك الاعدام ثم الايجاد قديرا بليغ القدرة لم يزل موصوفا بذلك ولم يزل كذلك وفي الاية من التخويف والغضب
ما لا يخفى وقيل الخطاب لاعداء النبي صلعم من العرب والمراد باخرين ناس من العجم يروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلعم
يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس ثم رغب الانسان فيما عنده من الكرامة فقال من كان يريد ثواب
الدنيا كالمجاهدين يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب الاخس بالذات مع انه اذا طلب الاشرف
تبعه الاخس والتقدير فعند الله ثواب الدنيا والاخرة له ان اراده ليحصل ربط الجزاء بالشرط وكان الله سميعا لاقوال المجاهدين
والطالبين بصيرا بمطامح عيونهم ومطارح ظنونهم فيجازيهم على نحو ذلك ثم بين ان كمال سعادة الانسان في ان يكون قوله
لله وفعله لله وحركته لله وسكونه لله فقال يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اختيار العدل
مجتنبين عن ارتكاب الميل شهداء لله لوجهه ولاجل مرضاته كما امرتم باقامتها ولو كانت تلك الشهادة ولو على انفسكم
او الوالدين والاقربين بان يتوقع ضرر من سلطان ظالم او غيره وفي كلام الحكما اذا كان الكذب ينجي فالصدق انجى او المراد
الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها وان تقول اشهد ان لفلان علي والذي كذا او على اقاربي
كذا وانما قدم الامر بالقيام بالقسط على الامر بالشهادة لله عكس قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا
العلم قايما بالقسط على الامر بالشهادة لله عكس قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قايما بالقسط
لان شهادة الله عبارة عن كونه خالقا للمخلوقات وقيامه بالقسط عبارة عن رعاية قوانين العدل في تلك المخلوقات
والاول مقدم على الثاني واما في حق العباد فالعدالة مقدمة على الشهادة تقدم الشرط على المشروط واعلم ان يكون
المشهود عليه غنيا او فقيرا فلا تكتموا الشهادة طلبا لرضى الغني وترحما على الفقير فالله اولى بامورهما ومصالحهما وكان
حق التسوية لو قيل فالله اولى به اي باحد هذين الا انه ثنى الضمير ليعود الى الجنسين كانه قيل فالله اولى بجنسي الفقير
والغني اي بالاغنياء والفقراء يريد بالنظر لهما وبارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها قال
السدي اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم غني وفقير وكان ميله الى الفقير راى ان الفقير لا يظلم الغني فابى الله الا ان
يقوم بالقسط في الغني والفقير وانزل الاية وقوله ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق واحتمال الاخر هو ان
يراد اتركوا الهوى لاجل ان تعدلوا اي حتى تتصفوا بصفة العدالة لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك احد
النقيضين فقد حصل له الاخر وان تلووا بادنى من لوى يلوي اذا فتل وبواو واحدة من الولاية والمعنى وان تلووا السنتكم
عن شهادة الحق وحكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم اي ان وليتم اقامة الشهادة او تكتموها واعلم ان الا
نسان لا يكون قايما بالقسط الا اذا كان راسخ القدم في الايمان فلهذا اردف ما ذكر بقوله يا ايها الذين امنوا امنوا وظاهره يشعر
بالامر بتحصيل الحاصل قال المفسرون ذكروا فيه وجوها الاول يا ايها الذين امنوا في الماضي والحاضر امنوا في المستقبل اي
دوموا على الايمان واثبتوا الثاني يا ايها الذين امنوا تقليدا امنوا استدلالا الثالث يا ايها الذين امنوا استدلالا اجماليا
امنوا استدلالا تفصيليا الرابع يا ايها الذين امنوا بالله وملايكته وكتبه ورسله امنوا ايمانا كنه الله تعالى وعظمته
وكذلك احوال الملائكة واسرار الكتب وصفات الرسل لا ينتهي اليها عقولكم الخامس قال الكلبي ان عبد الله بن سلام
واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمني اهل الكتاب قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك
وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فانزل الله هذه الاية فامنوا بكلها وقيل ان المخاطبين
ليسوا هم المسلمين والتقدير يا ايها الذين امنوا بموسى والتورية والانجيل امنوا بمحمد والقران وبجميع الكتب المنزلة من قبل
لا ببعضها فقط لان طريق العلم بصدق النبي هو المعجز وانه حاصل في الكل فالخطاب لليهود والنصارى او يا ايها
الذين امنوا باللسان امنوا بالقلب فهم المنافقون او يا ايها الذين امنوا باللات والعزى امنوا بالله فهم المشركون
والمراد بالكتاب الذي انزل من قبل جنسه فان قيل لم ذكر في مراتب الايمان امورا ثلثة وبالرسل وبالكتب وذكر في مراتب
الكفر خمسة واليوم الاخر لتاويلات الفاسدة فلما كان هذا الاحتمال قايما نص على ان منكر الملائكة واليوم كافر بالله فان

قيل لم قدم في مراتب الايمان ذكر الرسول على ذكر الكتاب وفي مراتب الكفر عكس الامر فالجواب ان الكتب مقدم على الرسول في مرتبة الرسول من الخالق الى الخلق واما في العروج فالرسول متقدم على الكتاب ويوجه اخر الرسول الاول هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عام له ولغيره فلما خص ذكره اولاً للتشريف جعل ذكره ثانيا الذكر الله لمزيد التشريف وليبان افضليته صلى ولغيره فلما خص ثم لمن رغب في الايمان والثبات عليه بين فساد طريقته من يكفر بعد الايمان فقال ان الذين امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا اما المراد الذين تكرر منهم الكفر بعد الايمان تارات واطوار قال القفال وليس المراد بيان العدد بل المراد تزددهم وتحيرهم على ذلك وقيل الذين تكرر منهم الكفر بعد الايمان تارات واطوارات قال القفال المراد وقيل اليهود دانوا بالتوراة وعيسى ثم كفروا بنفاقهم وكونه باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ثم ازدادوا كفرا بجدهم واجتهادهم في استخراج وجوه المكايد في حق المسلمين وقيل هم طايفة من اهل الكتاب قصدوا تشكيك المسلمين فكانوا يظهرون الايمان تارة والكفر اخرى على ما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا امنا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون ثم انهم بالغوا في ذلك وازدادوا الى حد الاستهزاء والسخرية بالاسلام وفي الاية دلالة على انه قد يحصل الكفر بعد الايمان وذلك يبطل مذهب القايلين بالموافاة وهي ان شرط صحة الاسلام ان يموت الشخص على الاسلام وهم يجيبون عن ذلك بانا نحمل الايمان على اظهار الايمان وفيها ان الكفر يقبل الزيادة والنقصان فيجب ان يكون الايمان كذلك لانهما ضدان متنافيان فاذا قبل احدهما التفاوت فكذا الاخر وكيف نزداد كفرهم فيه وجوه احدها انهم ماتوا على كفرهم وثانيها بسبب ذنوب اصابوها في حال كفرهم وعلى هذا فاصابة الطاعة وقت الايمان يكون زيادة في الايمان وثالثها استهزاؤهم بالدين اما قوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم فقيل عليه السلام يفيد نفي التاكيد وهذا لا يليق بالموضع انما اللايق به تاكيد النفي واجيب بان نفي التاكيد اذا ذكر على سبيل التهكم افادنا كيد النفي ثم اورد عليه ان الكفر قبل التوبة غير مغفور على الاطلاق وحينئذ يضيع الشرايط المذكورة في الاية وبعد التوبة مغفور ولو بعد الف مرة فكيف يصح النفي واجيب بان اللام في الذين المعهودين وهم قوم علم الله انهم يموتون على الكفر لا يتوبون عنه فقطع قوله لم يكن الله ليغفر لهم اخبارهم عن موتهم على الكفر او اللام للاستغراق وخرج الكلام على الكلام المعتاد وهو ان من كان مضطرب الحال كثير الانتقال من الاسلام الى الكفر لم يكن للايمان في قلبه وقع واحتشام فالظاهر من حال مثله انه يموت على الكفر فليس المراد انه لو اتى بالايمان الصحيح لم يكن معتبرا بل المراد منه الاستبعاد والاستغراب كالفاسق يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع فانه لا يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على الفسق ولا ليهديهم سبيلا اي الى الايمان عند الاشاعرة وعند المعتزلة الى الجنة او محمول على المنع من زيادة الالطاف بشر المنافقين تهكم كقولهم عتابك السيف وتحيته الضرب ايبتغون عندهم العزة كان المنافقون يوادون اليهود اعتقادا منهم ان امر محمد لا يتم وحينئذ ينتفعون بودهم ويحصل لهم بهم قوة وغلبة فخيب الله امالهم بقوله فان العزة لله جميعا وعزة الله تستتبع عزة الرسول والمومنين كقوله ولله العزة ولرسوله وللمومنين وجميعا حال من العزة اي مجموعة قال المفسرون ان المشركين كانوا بمكة يخوضون في ذكر القران في مجالسهم فيستهزؤن به وبين اظهرهم المسلمون ولا يدري لهم حينئذ بالانكار عليهم ظاهرا فنزلت اذ ذاك واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين في مجالسهم بعض المنافقين فانزل الله تعالى في هولاء المنافقين وقد نزل عليكم في هولاء المنافقين وقد نزل عليكم في الكتاب يعني في سورة الانعام ان اذا سمعتم ايات الله هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان مقدر والمعنى انه اذا سمعتم ايات الرحمن كونها يكفر بها ويستهزؤ بها وقال الكسائي المعنى اذا سمعتم الكفر بايات الله والاستهزاء بها ولكن اوقع فعل السماع على الايات كما يقال سمعت عبد الله يلام وفيه نظر لان ايقاع فعل السماع على الايات يمكن بخلاف ايقاعه على عبد الله انكم ايها المنافقون اذا مثلهم مثل الاحبار في الكفر واذ وهيهنا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل اي اذا انكرتم مثلهم وافرد مثلهم لانها في معنى المصدر نحو ان نومن لبشرين مثلنا وقد جمع في قوله ثم لا يكونوا امثالكم وانما حكم بكفر المسلمين بمكة لمجالسة المشركين الخايضين وحكم بنفاق هولاء بالمدينة لمجالسة احبار اليهود الخايضين لان مجالسة اولئك المسلمين كانت للضرورة وفي اوان ضعف الاسلام

ولم يرد

ولم يرد نهي بعد ومجالسة هولاء المنافقين كانت في وقت الاختيار وقوة الاسلام وبعد ورود النهي قال اهل العلم في الاية دليل على ان من رضي بالكفر ومن رضي بمنكر يراه يخالط اهله وان لم يباشر كان شريكهم في الاثم ثم حقق كون المنافقين مثل الكافرين بقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم والضمير في معهم يعود الى الكافرين المستهزئين بدلالة يكفر بها ويستهزا بها فاذا جامع بالتنوين لانه بعد ما جمعهم ولكن معهم بالضمير في معهم يعود الى الكافرين المستهزئين بدلالة يكفر بها ويستهزا بها واذا جامع بالتنوين لانه بعد ما جمعهم ولكن حذف التنوين تخفيفا في اللفظ والمعنى انهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بايات الله في الدنيا فكما اجتمعوا في عذاب جهنم يوم القيمة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب يتربصون بكم ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من نصر او خذلان فان كان لكم فتح من الله ظهور على اليهود قالوا الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين اي اليهود نصيب استيلاء ما في الظاهر قالوا الم نستحوذ عليكم الحوذ السوق السريع والاستحواذ الغلبة وهنا جاء بالواو على اصله كما جاء استروح واستصوب وفي الاية وجهان الاول الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم ثم لم نفعل شيئا من ذلك ومنعناكم من المومنين بان ثبطناهم عنكم بتوانينا انصيبا لنا ما اصبتم الثاني ان اولئك الكفار كانوا قد هموا في الدخول بالاسلام ثم ان المنافقين نفروهم واطمعوهم انه سيضعف محمد ويقوى امركم فالمراد الم نغلبكم على رايكم في الدخول في الاسلام ونمنعكم منه وارشدناكم الى مصالحكم فادفعوا الينا نصيبا مما وجدتم وفي تسمية ظفر المومنين فتحا وظفر الكافرين نصيبا تنبيه للمومنين وتعظيم لامرهم عليه من الدين ولشان الكافرين وتوهين لامرهم فكان ظفر المسلمين امر عظيم يفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اولياء الله وظفر الكافرين حظ دني ينقضي ولا يبقى منه الا الذم في الدنيا والعقاب في الاخرة فالله يحكم بينكم يوم القيمة اي بين المومن والمنافق والغرض انه تعالى ما وضع السيف على المنافقين في الدنيا ولكن اخر عقابهم الى يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا قال علي وابن عباس رضي الله عنهما المراد في الدنيا ولكن بالحجة اي حجة المسلمين غالبة على حجة الكل وقيل في الاخرة وقيل عام في الكل والشافعي بنا عليه مسايل منها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم واحرزه الى دار الحرب لم يملكه بدلالة هذه الاية ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي والله تعالى اعلم

التاويل النفس المومن كالمراة للزوج وتامي النساء صفات النفوس وما كتب لهن ما اوجب الله للنفوس من الحقوق وحاصل المعنى ان نفسك مطيتك فارفق بها واليه الاشارة بقوله والصلح خير واحضرت الانفس الشح فالروح تشح بترك حقوق الله والنفس تشح بحظوظها فلا تميلوا كل الميل في رفض حظوظ النفس فتذروها كالمعلقة بين العالم العلوي والعالم السفلي وان يتفرقا اي الروح والنفس فالروح يجتذب بجذبة دع نفسك وتعالي الى سعة غنى الله في عالم هويته فيستغني عن مركب النفس بالوصول الى المقصود والنفس تجتذب بسعي الروح بجذبة ارجعي الى ربك الى سعة غنى الله في عالم فادخلي في عبادي وادخلي جنتي يا ايها الذين امنوا امنوا الايمان ثلث مراتب ايمان للعوام ان يومن بالله وملايكته وكتبه ورسله وبالبعث والجنة والنار والقدر وهذا ايمان غيبي وايمان للخواص وهو انه تعالى اذا تجلى للعبد بصفة من صفاته خضع له جميع اجزاء وجوده وامن بالكلية وهذا ايمان عياني وايمان للاخص وهو بعد رفع الحجب الانانية حين افناه بصفة الجلال وابقاه بصفة الجمال فلم يبق له الاين وبقي في العين وهذا ايمان عيني ان الذين امنوا اي بالتقليد ثم كفروا اذ لم يكن للتقليد اصل ثم امنوا بالاستدلال العقلي ثم كفروا اذ لم يكن عقولهم مشرقة بالنور الالهي ثم ازدادوا كفرا بالشبهات والاعتراضات لم يكن الله في الازل غافرا لهم لنورهم عند الرشش ولا ليهديهم سبيلا لان الاصل لا يخطي بشر المنافقين اي بشرهم بان اصلهم من جوهر الكفار ولهذا اتخذوا الكافرين اولياء فان ابتلاهم هيهنا بنتيجة تعارف ارواحهم وكما يعيشون يموتون وكما يموتون يحشرون

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا ۝ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ۝ إلا الذين تابوا
وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف
يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ۝ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان
الله شاكرا عليما ۝ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا
عليما ۝ إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا ۝
إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ۝ أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين
عذابا مهينا ۝ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم
أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما ۝

الجزء السادس

القراءة في الدرك بسكون الراء حمزة وعلي وخلف وعاصم الا الاعشى الباقون بالفتح يؤتيهم حفص وعباس الباقون بالنون **الوقوف** خادعهم لعطف المختلفتين كسالى لان يراءون صفتهم قليلا بناء على ان مذبذبين نصب على الذم والاوجه انه حال اي يراءون مذبذبين بين ذلك ق قد قيل على تقدير الابتداء اي لا هم الى هؤلاء والاوجه انه بيان الذبذبة اي لا منسوبين الى هؤلاء ولا هؤلاء ط سبيلا مبينا النار لابتداء النفي مع العطف نصيرا للاستثناء مع المؤمنين ط عظيما وامنتم ط عليما الجزء السادس من ظلم ط عليما قديرا ببعض للعطف سبيلا لان ما بعده خبر ان وقيل ان الخبر محذوف اي هلكوا او ما تلوه مستأنف حقا لاحتمال ما بعده العطف والاستئناف مهينا اجورهم رحيما **التفسير** قال الزجاج اي يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم اي يظهرون له الايمان ويبطنون الكفر كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وهو خادعهم اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه قال ابن عباس يعطيهم نورا كما يعطي المؤمنين فاذا وصلوا الى الصراط انطفى نورهم وبقي نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم وقد مر تفسير المخادعة تقدم في اول البقرة كسالى جمع كسلان كسكارى في سكران اي يقومون متباطئين متثاقلين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيب نفس ورغبة وهو بمعنى الكسل والسبب في ذلك انهم يستثقلونها في الحال ولا يرجون من فعلها ثوابا ولا يخافون من تركها عقابا يراءون الناس اي لا يقومون الى الصلوة الا لاجل الرياء والسمعة ومعنى المفاعلة في الرياء ان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه استحسان ذلك العمل او فاعل ههنا بمعنى فعل بالتشديد كقولك ناعمه ونعمه ولا يذكرون الله اي ولا يصلون الا قليلا لانه متى لم يكن معهم من الاجانب لا يصلون واذا كانوا مع الناس فعند ذلك وقت الصلوة يتكلفون حتى يصيروا غائبين عن اعين الناس فان لم يجدوا منه وجها فحينئذ يصلون وقيل انهم في صلوتهم لا يذكرون الله الا قليلا وهو الذي يظهر مثل التكبيرات فاما الذي يخفى وهو القراءة والتسبيحات فهم لا يذكرونها وقيل انهم لا يذكرون الله في جميع الاوقات الا ذكرا قليلا في الندرة كما ترى في بعض

المنافقين بامر الدين لو صحبته اياما وليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق اوقاته ويحتمل ان يراد بالقلة العدم قال قتادة يريد ان الله لا يقبل صلوتهم لان ما رد الله فكثيره قليل وما قبله الله فقليله كثير ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرا ابن عباس مذبذبين بالكسر اي يذبذبون قلوبهم او دينهم او رايهم وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة والمعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة والدبة الطريقة والمعنى بين ذلك اي بين الكفر والايمان ذكر الكافرين والمؤمنين يدل على الكفر والايمان وذلك قد يشار به الى اثنين كقوله عوان بين ذلك واعلم ان السبب في التذبذب هو ان الفعل يتوقف على الداعي فان كان الداعي الى الفعل هو الاغراض المتعلقة باحوال هذا العالم وانها سيالة متغيرة لزم وقوع التغير في الميل والرغبة واذا تعارضت الدواعي والصوارف بقي الانسان في الحيرة والتردد اما ان كان مطلوبه في فعله اقتناء الخيرات الباقية واكتساب السعادات الروحانية ثم ان تلك المطالب امور باقية بريئة عن التغير والزوال لا جرم كان هذا الانسان ثابتا في ايمانه راسخا في شانه ولهذا المعنى وصف اهل الايمان بالثبات يثبت الله الذين امنوا الا بذكر الله تطمئن القلوب يا ايتها النفس المطمئنة قيل انه تعالى ذمهم على طريقة المؤمنين وطريقة الكفار والذم على ترك طريقة الكفار غير جائز قلنا انما ترك توجه الذم لانهم عدلوا عن الكفر الى ما هو اخبث وهو طريق النفاق ولهذا اوردتهم من المبالغات ما ورد من قوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء اي لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذ اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء وهي نهي للمؤمنين عن موالاة المنافقين والتخلق باخلاقهم ومذاهبهم ومعنى سلطانا حجة بينة على المنافقة لان ولي المنافق منافق لا محالة ومن قوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فان القعر الاخير من النار درك ودرك ومع ذلك وصف بالاسفل ودركات النار منازلها تقيض درجات الجنة فتبين ان المنافق في غاية البعد ونهاية الطرد عن حضرة الله تعالى وانه مع فرعون لان الدرك الاسفل اشد العذاب وقد قال في حقه ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقيل ان النار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض قال ابو حاتم جمع الدرك ادراك كفرس وافراس وجمع الدرك ادرك كفلس وافلس ثم قال ولن تجد لهم نصيرا احتجوا بهذا على اثبات الشفاعة في حق الفساق من اهل القبلة لانه تعالى ذكره في معرض الزجر عن النفاق فلو حصل نفي الشفاعة مع عدم النفاق لم يبق هذا زاجرا عن النفاق من حيث انه نفاق ثم استثنى منهم التائبين فشرط امورا اربعة اولها التوبة وثانيها اصلاح ما افسدوا من اسرارهم وثالثها الاعتصام بدين الله ورابعها الاخلاص لانه اذا كان مطلوبه جذب المنافع ودفع المضار تغير عن التوبة واصلاح العمل سريعا اما اذا كان مطلوبه مرضاة الله وسعادات الاخرة والاعتصام بحبل الله بقي على هذه الطريقة فلم يتغير عنها وعند حصول الشرائط قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل مؤمنون تشريفا للمؤمنين انهم متبوعون والمنافقون بعد الشرائط تبع لهم ثم بين وعد المؤمنين بقوله وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ليشمل المنافقين التائبين بالتبعية ثم برهن على ان فائدة الايمان والعمل الصالح انما يرجع على المكلفين فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم لان تعذيب الملوك بعض الرعية انما يكون للتشفي من الغيظ او لدرء الثار او لطلب المنافع او لدفع المضار وامثال هذه الامور في حقه تعالى محال وانما المقصود حمل المكلفين على فعل الحسن وترك القبيح لينالوا السعادة العظمى فمن امتثل واطاع فكيف يليق بكرمه تعذيبه قالت المعتزلة هذا صريح في انه تعالى لم يخلق احدا لغرض التعذيب وفي ان فاعل الشكر والايمان هو العبد والا صار التقدير ما يفعل الله بعذابكم ان خلق الشكر والايمان فيكم ومعلوم ان هذا غير منتظم والجواب مسلم انه تعالى غير منتفع بالتعذيب ولا بالاثابة لكن وقوع البعض في مظاهر اللطف والبعض في مظاهر القهر ضروري كما سبق واما انتهاء الكل الى ارادته وخلقه وتكوينه ضروري بواسطة او بغير واسطة فيؤول المعنى الى انه لا يعذبكم ان كنتم مظاهر اللطف وهذا الكلام في غاية الصحة قال في الكشاف وانما قدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر اولا الى النعمة فيشكر شكرا مبهما ثم اذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم امن واقول ان لم يكن الواو للترتيب فلا سؤال وان كانت للترتيب فلعله انما قدم الشكر في هذه الاية خلاف الايات التي قدم الايمان فيها على العمل الصالح وهو الاصل لان الاية مسوقة في عرض المنافقين ولم يقع نزاع في ايمانهم ظاهرا

ظاهرًا وانما يقع النزاع في بواطنهم وافعالهم التي تصدر عنهم عن مطابقة للقول الثاني فكان تقديم الشكر ههنا اهم
لانه عبارة عن صرف جميع ما اعطاه الله فيمن خلق لاجله حتى يكون افعاله واقواله على نهج السداد وسنن
الاستقامة وكان الله شاكرًا مثيبا على الشكر فسمي جزاء الشكر شكرا وفيه انه يجزي على العمل القليل ثوابا كبيرا
عليما بالكليات والجزئيات من غير غلط ونسيان فيوصل جزاء الشاكرين اليهم كما يليق بحالهم بل كما يليق بكرمه وسعة
فضله ورحمته ثم انه سبحانه لما هتك ستر المنافقين وفضحهم وكان هتك الستر منافيا للكرم والرحمة ظاهرًا
وذكر ما يجري مجرى العذر من ذلك فقال لا يحب الله الجهر الاية يعني انه لا يحب اظهار الفضائح الا في حق من ظلم
وهم المسلمون الذين عظم ضرر المنافقين وكيدهم منهم وايضا ان المنافق اذا تاب واصلح لم يكد يسلم من تعيير المسلمين
اياه على ما صدر منه في الماضي فبين تعالى ان تعييرهم بعد التوبة امر مذموم وانه تعالى لا يرضى به الا من ظلم نفسه
وعاد الى نفاقه قالت المعتزلة في الاية دلالة على انه تعالى لا يريد من عباده فعل القبائح لان محبة الله تعالى عبارة
عن ارادته وقالت الاشاعرة المحبة عبارة عن ايصال الثواب على الفعل وحينئذ يصح ان يقال انه اراده وما احبه
قال اهل العلم انه لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر ولكنه ذكر هذا الوصف لان كيفية الواقعة اوجبت ذلك كقوله اذا ضربتم
في سبيل الله فتبينوا فالتبين واجب في الظعن والاقامة اما قوله الا من ظلم فالاستثناء فيه متصل او منقطع وعلى الاول
قال ابو عبيدة تقديره الا جهر من ظلم بحذف المضاف وقال الزجاج الجهر بمعنى المجاهر اي لا يحب الله المجاهر بالسوء الا من
ظلم وعلى الثاني المعنى لكن المظلوم له ان يجهر بظلامته وماذا يفعل المظلوم قال ابن عباس له ان يرفع صوته بالدعا على من
ظلمه وقال مجاهد ان يخبر بظلم ظالمه وقال الاصم لا يجوز اظهار الاحوال المستورة المكتومة حذرًا من الغيبة والريبة لكن
له اظهار ظلمه بان يذكر انه سرق او غصب وقال الحسن له ان ينتصر من ظالمه وعن مجاهد ان ضيفا تضيف فاساؤا قراه فاشتكاهم
فنزلت الاية رخصت في ان يشكوا وقراءة الضحاك وزيد بن اسلم وسعيد بن جبير الا من ظلم على البناء للفاعل وقيل
انه كلام منقطع عما قبله اي لكن من ظلم فدعوه وخلوه وقال الفراء والزجاج معناه لكن من ظلم فانه يجهر بالسوء من القول
وكان الله سميعا عليما فليتق الله ولا يقل الا الحق ولا تقذف مستورًا ثم حث على العفو بقوله ان تبدوا خيرًا او تخفوه
وهو اشارة الى ايصال النفع او تعفوا عن سوء وهذا اشارة الى دفع الضرر وعلى هذا يدور المعاشرة مع الخلق فان الله
كان عفوًا قديرًا قال الحسن اي يعفو عن الجاني مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله وقيل عفوا لمن
عفا قديرا على ايصال الثواب اليه وقال الكلبي معناه ان الله اقدر على عفو ذنوبك منك على عفو صاحبك في الخبر ان ابا بكر
شتمه رجل فسكت مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يشتمني وانت جالس فلما رددت عليه قمت
قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اجلس عند مجي الشيطان ثم انه سبحانه تكلم
بعد ذكر احوال المنافقين في مذاهب اليهود والنصارى واباطيلهم وذلك انواع الاول ايمانهم ببعض الانبيا دون بعض فسلكهم
في سلك من لا يقر بالوحدانية ولا بالنبوات وهم الذين يكفرون بالله ورسله وفي سلك من يقر بالوحدانية وينكر
النبوات وهم الذين يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله في الايمان بالله والكفر بالرسل وذلك ان اليهود امنوا بموسى
والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والفرقان والنصارى امنوا بعيسى والانجيل وكفروا بمحمد والقران فامنوا
ببعض الانبيا وكفروا بالبعض وارادوا ان يتخذوا بين ذلك اي بين الايمان بالكل وبين الكفر بالكل سبيلا اي
واسطة اولئك اي الطوائف الثلاث هم الكافرون اما الطائفة الاولى فكفرهم ظاهر واما الثانية فلان تكذيب
الانبيا وانكارهم يستلزم تكذيب الله لان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما الطائفة الثالثة فان الدليل الدال على
نبوة بعض الانبيا هو المعجز ويلزم منه حصول النبوة حيث حصل المعجز فالقدح في بعض من ظهر على يده المعجز
هو القدح في كل نبي فقيل انه يلزمهم الكفر بكل الانبيا ولكن ليس اذا توجه بعض الالزامات على انسان لزم ان
يكون ذلك الانسان قايلا به فالزام الكفر غير والتزام الكفر غير فالجواب ان الالزام اذا كان خفيا يحتاج فيه
الى فكر وتامل فالامر كما ذكرتم اما اذا كان جليا واضحا لم يبق من الالزام والالتزام فرق وانتصاب حقا على انه
مصدر مؤكد لغيره كقولك زيد قائم حقا اي اخبرتك بهذا المعنى اخبارًا حقا وقيل المراد هم الكافرون كفرا حقا قطعي
الجاحد منه بان الكفر لا يكون حقا بوجه من الوجوه واجيب بان الحق ههنا الكامل الراسخ الثابت ثم ختم الفوج بوعد

المؤمنين ومعنى بين احد من اثنين منهم او جماعة لان احدًا في سياق النفي يفيد التعدد ومعنى سوف توكيد الوعيد لا التاخير
المجرد ولهذا قال سيبويه لن افعل نفي سوف افعل فالمعنى ايتاء الاجور كائن لا محالة وان تاخر التاويل ان المنافقين يخادعون
الله في الدنيا لان الله خادعهم في الازل حين رش نوره وشاهدوه ثم اخطاؤهم ان شكرتم نعم الله عليكم وامنتم انفسكم
من عذابه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من العوام ولا من التحدث بالنفس من الخواص ولا من الخواطر من الاخص الا من ظلم
ان يتقاضى دواعي البشرية من غير اختيار او بابتلاء او اضطرار من اضطراره وايضا لا يحب الله الجهر بالسوء من القول بافشاء
سر الربوبية واظهار مواهب الالوهية او بكشف القناع من مكنونات الغيب ومصنوعات غيب الغيب الا من ظلم
بغلبات الاحوال وتعاقب كوس الجلال والجمال فاضطر الى المقال فقال باللسان الباقي لا باللسان الفاني انا الحق
وسبحاني ان تبدوا خيرًا مما كوشفتم به من الطاف الحق تنبيها للخلق وافادة بالحق او تخفوه صيانة لنفوسكم من افات
الثواب ونظامها عن المشارب او تعفوا عن سوء مما يدعوا اليه هوى النفس الامارة او تتركوا الاعلان مما جعل
الله اظهاره سوء فان الله كان عفوًا فيكون عفوا متخلقا باخلاقه ان الذين يكفرون فيه اشارة الى ان الايمان لا
يتبعض وان كان يزيد وينقص مثاله شعاع الشمس اذا دخل كوة البيت فيزيد وينقص بحسب سعة
الكوة وضيقها ولكن لا يمكن تجزيتها بحيث يوخذ جزء منه فيجعل في شي اخر غير محاذي للشمس والله تعالى اعلم

يَسْئَلُكَ اَهْلُ الْكِتَابِ اَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَاَلُوا مُوسَى اَكْبَرَ مِنْ
ذَلِكَ فَقَالُوا اَرِنَا اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَاٰتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ
وَاَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَقَتْلِهِمُ
الْاَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
اِلَّا قَلِيلًا وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ اِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ رَسُولَ اللّٰهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَاِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي
شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللّٰهُ اِلَيْهِ وَكَانَ اللّٰهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا وَاِنْ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ اِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ
اللّٰهِ كَثِيرًا وَاَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَاَكْلِهِمْ اَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَاَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا اَلِيمًا لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ

والمؤتون الزكوة

بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن واتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا

القراءة لا تعدوا بتشديد الدال مع سكون العين ابو جعفر ونافع بخلف عن ورش وقرا ورش بفتح العين مشددة بل طبع بالادغام علي وهشام وابو عمرو عن حمزة بل رفعه مظهرا وبابه الحلواني عن قالون سيؤتيهم حمزة وخلف وقتيبة بالياء زبورا بضم الزاي حيث كان حمزة وخلف الباقون بالفتح الوقوف بظلمهم لان ثم لترتيب الاخبار مع ان مراد الكلام متقدم عن ذلك لان التقدير وقد اتينا ميثاقا غليظا غلف قليلا للعطف عظيما لان التقدير وفي قولهم رسول الله لان ما بعده يحتمل ابتداء النفي والحال شبه لهم منه الظن لاحتمال الاستيناف والحال يقينا لتقرير نفي القتل باثبات الرفع اليه حكيما قبل موته لان الواو للاستيناف مع اتحاد المقصود شهيدا للاية ولان في له فبظلم راجع الى قوله الى فبما نقضهم وقولهم متعلق حرمنا كثيرا بالباطل اليما واليوم الاخر عظيما من بعده للعطف مع تكرار الفعل وسليمن لان التقدير وقد اتينا لتخصيص داود باتيان الزبور زبورا لان التقدير وقد قصصنا رسلا عليك تكليما لاحتمال البدل والنصب على المدح الرسل حكيما بعلمه لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال يشهدون شهيدا بعيدا طريقا ابدا يسيرا

التفسير هذا نوع ثان من جهالات اليهود فانهم قالوا ان كنت رسولا من عند الله فاتنا بكتاب من السماء جملة كما جاء موسى بالالواح وقيل اقترحوا ان ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا معاينة حين ينزل فان استكبرت ما سالوه فقد سالوا اعظم من ذلك اباؤهم ومن هؤلاء على مذهبهم موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة وانما كان سؤال الرؤية اكبر من سؤال تنزيل الكتاب لان الكتاب التنزيل امر ممكن في ذاته بخلاف رؤية الله عيانا فانها ممتنعة لذاتها عند المعتزلة او ممتنعة في الدنيا عند غيرهم في قوله من بعد ما جاءتهم البينات وجوه احدها ان البينات الصاعقة لانها تدل على قدرة الله تعالى وعلى علمه وعلى قدمه وعلى كونه مخالفا للاجسام والاعراض وعلى صدق موسى عليه الصلوة والسلام في دعوى النبوة وثانيها انها انزال الصاعقة واحياؤهم بعد اماتتهم وثالثها انها الايات التسع من العصا واليد وفلق البحر وغيرها وفي الكلام ان هؤلاء يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء فاعلم انه لا يطلبونه منك الا عنادا ولجاجا فان موسى عليه السلام قد انزل عليه هذا الكتاب وانزل عليه سائر المعجزات القاهرة ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد

وابتلوا

وابتلوا على عبادة العجل وكل ذلك يدل على انهم مجبولون على اللجاج والعناد والبعد عن طريق الحق فعفونا عن ذلك حيث لم نستاصل عبدة العجل واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا حين امرهم بقتل انفسهم والمراد قوة امره وكمال جلاله وانكسار خصومه ففيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء الكفار الذين يعاندونه فانه بالاخرة يستولي عليهم ويقهرهم ثم حكى عنهم سائر جهالاتهم واصرارهم على اباطيلهم منها انه تعالى رفع الطور بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه ومنها قصة دخولهم الباب باب بيت المقدس ومنها قصة اعتدائهم في السبت باصطياد السمك وقد مر جميع هذه القصص في سورة البقرة وقيل ان العدو ههنا ليس بمعنى الاعتداء وانما هو بمعنى العدو والمراد به النهي عن العمل والكسب يوم السبت كانه قيل لهم اسكنوا عن العمل في هذا اليوم واقعدوا في منازلكم وانا الرازق ثم قال واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي العهد المؤكد غاية التاكيد على ان يتمسكوا بالتورية ويعملوا بما فيها فبما نقضهم ما مزيدة للتوكيد اي فبنقضهم وبسبب كذا وكذا ثم قال بل طبع الله عليها ردا لقولهم قلوبنا اوعية للعلم وتنبيها على انه تعالى ختم عليها فلهذا لا يصل اثر الدعوة والبيان اليها او تكذيبا لادعائهم ان قلوبنا في اكنة وذلك بحسب تفسيري الغلف كما مر في سورة البقرة فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بموسى والتورية على زعمهم والا فالكافر بنبي واحد كافر بجميع الانبياء فالقلة في الحقيقة بمعنى العدم وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما فانكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير اب وكذا انكارهم نبوة عيسى كفر وقذفهم مريم بهتانا عظيما لانه ظهر لهم عند ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات ما دلهم على براءتها من كل سوء وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويحتمل انه تعالى جعل الذكر الحسن مكان القبيح الذي كانوا يطلقون عليه من الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم لا بد لقوله شبه من مسند اليه وهو اما المقتول او يكون شبه مسندا الى الجار والمجرور وهو لهم اي وقع لهم التشبيه ولا يجوز ان يكون في شبه ضمير المسيح لانه المشبه به وليس بمشبه قال اكثر المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله الى السماء فخاف رؤساء اليهود وقوع الفتنة فيما بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لانه كان قليل المخالطة مع الناس وقيل اليهود لما علموا انه في البيت الفلاني مع اصحابه امر يهودا راس اليهود رجلا من اصحابه يقال له طيطانوس ان يدخل على عيسى ويخرجه ليقتله فلما دخل عليه اخرج الله تعالى عيسى من سقف البيت والقى على ذلك الرجل شبه عيسى فخرج فظنوا انه هو المسيح فقتلوه وصلبوه وقيل وكلوا بعيسى رجلا يحرسه وصعد عيسى في الجبل ورفع الى السما والقى الله الشبه على ذلك الرقيب وهو يقول لست عيسى وقيل ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه وكان معه عشرة من اصحابه فقال لهم من يشتري الجنة بان يلقى عليه شبهي فقال واحد منهم انا فالقى الله شبه عيسى عليه السلام عليه فاخرج وقتل ورفع الله عيسى وقيل كان رجل يدعي انه من اصحاب عيسى وكان منافقا فذهب الى اليهود ودلهم عليه فلما دخل مع اليهود لاخذه القى الله شبهه عليه فقتل وصلب وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل ان المختلفين هم اليهود لما قتلوا الشخص المشبه ونظروا الى بدنه قالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وقيل ان المختلفين هم النصارى وذلك انهم باسرهم متفقون على ان اليهود قتلوه الا ان كبار فرق النصارى ثلثة النسطورية والملكانية واليعقوبية فالنسطورية زعموا ان المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وهو قريب من قول الحكماء ان القتل ورد على الهيكل لا على النفس المجردة وعلى هذا فالفرق بين عيسى وبين سائر المصلوبين ان نفسه كانت قدسية علوية مشرقة قريبة من عالم الارواح فلم يعظم تالمها بسبب القتل وتخريب البدن وقالت الملكانية القتل والصلب وصل الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وقالت اليعقوبية القتل والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين والشك في الاحكام استواء طرفي نقيضه عند الذاكر وقد يطلق عليه الظن ولهذا ذم في قوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن واما العمل بالقياس فليس من اتباع الظن في شيء لانه عمل بالطرف الراجح لان العلم بوجوب العمل قطعي ثم قال وما قتلوه يقينا وانه يحتمل عدم تيقن القتل اي قتلا يقينا او متيقنين واليقين عقد جازم مطابق

ثابت لدليل ويحتمل يقين عدم القتل على ان يقينا تاكيد لقوله وما قتلوه اي حق انتفاء قتله حقا وهذا اولى لقوله
بل رفعه الله اليه وقيل هو من قولهم قتلت الشي علما اذا تبالغ فيه علمه فيكون تهكما بهم لانه نفى عنهم العلم اولا نفيا
كليا ثم نبه بقوله وكان الله عزيزا حكيما على ان رفع عيسى الى السما بالنسبة الى قدرته سهل وان فيه من الحكم والفوايد ما لا
يحصيها الا هو ثم قال وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته فقوله الا ليومنن جملة قسمية واقعة صفة لموصوف
محذوف وان هي النافية التقدير وما من اهل الكتاب احد الا ليومنن كقوله وما منا الا له مقام معلوم والضمير في به عايد الى عيسى
وفي موته الى احد عن حوشب قال لي الحجاج اية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شي منها يعني هذه الاية وقال اني اوتي بالاسير من اليهود
والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا احضره الموت ضربت الملايكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله
اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن به انه
عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكيا فاستوى جالسا فنظر الي فقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية
فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة
فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال ان خر من فوق بيت او احترق او اكله
سبع قال يتكلم بها في الهوا ولا يخرج روحه حتى يومن به وفايدة هذه الاخبار الوعيد والزام الحجة والبعث على معاجلة الايمان
به في اوان الانتفاع لانه اذا لم يمكن به من الايمان به فلان يومن به حال التكليف لينفعه عند الله اولى وقيل الضمير في
به وفي موته لعيسى فالمراد باهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله يروى انه ينزل من السما في اخر الزمان
فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يومن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى
ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه قال بعض المتكلمين ينبغي ان يكون هذا عند ارتفاع التكاليف او بحيث لا يعرف اذ لو نزل مع
بقاء التكليف على وجه يعرف انه عيسى عليه السلام فاما ان يكون نبيا ولا نبي بعد محمد او غير نبي وعزل الانبيا لا يجوز واجيب بامكان
نبيا الى مبعث محمد صلعم وبعد ذلك انتهت مدة نبوته فلا يلزم عزله فلا يبعد ان يصير بعد نزوله تبعا لمحمد صلعم قال في الكشاف
ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليومنن به على انه تعالى يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله
وما انزل له ويومنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم ويوم
القيمة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه الى الله وكذلك كل نبي شاهد
على امته قوله فبظلم التنوين للتعظيم يعني فباي ظلم من الذين هادوا والذنوب هي انواع الظلم على الخلق وهو قوله فبظلم والاعراض
عن دين الحق وهو قوله وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا ومن هذه القبيل اخذ الربوا بعد النهي
عنه واكل اموال الناس بالباطل اي بالرشى على التحريف فهذه الذنوب هي الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا والاخرة اما في
الدنيا فتحريم بعض المطاعم الطيبة كما يجي في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية واما في الاخرة
فقوله واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما واعلم ان في متعلق قوله فبما نقضهم وما عطف عليه قولين الاول انه
محذوف والتقدير فبنقضهم وكذا وكذا لعناهم او سخطنا عليهم او نحو ذلك ثم استانف قوله فبظلم ومتعلقه حرمنا وكذا
متعلق المعطوفات بعده الثاني ان متعلق الكل حرمنا وقوله فبظلم بدل عن قوله فبما نقضهم قال الزجاج ورجح
الاول بان حذف المتعلق المعطوفان بعده الثاني ان متعلق الكل حرمنا وقوله فبظلم بدل عن قوله فبما نقضهم قاله
الزجاج ورجح الاول بانه حذف المتعلق اتم ليذهب الوهم كل مذهب ولان تحريم الطيبات عقوبة خفيفة فلا يحسن
تعليقها بتلك الجنايات العظام قلت لو جعل قوله واعتدنا معطوفا على حرمنا زال هذا الاشكال اما تكرير الكفر
في الايات ثلث مرات ويلزم منه عطف الثالث على الاول وعلى الثاني عطف الشي على نفسه فقد اجاب عنه
في الكشاف بانه قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف
مجموع المعطوف على المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بايات الله وقتل الانبيا وقولهم قلوبنا
غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا
ثم وصف طايفة المومنين المحقين منهم فقال لكن الراسخون في العلم منهم يعني عبد الله بن سلام واضرابه من

ثبت في العلم منهم واتقن ما استنبط حتى جعل له المعارف بالاستدلال واليقين دون التقليد والتخمين لان المقلد يكون
بحيث اذا اشكل تشكك اما المستدل فانه لا يتشكك البتة والمومنون يريد المومنين منهم او المومنين من المهاجرين والانصار
والراسخون مبتدا ويومنون خبره اما قوله والمقيمين الصلوة ففيه اقوال روي عن عثمان وعايشة انهما قالا ان في المصحف
لحنا وستقيمها العرب بالسنتها ولا يخفى ركاكة هذا القول لان هذا المصحف منقول بالتواتر عن رسول الله صلعم فكيف يمكن ثبوت
اللحن فيه الثاني قول البصريين انه نصب على المدح لبيان فضل الصلوة والمؤتون رفع على المدح لبيان فضل الزكوة كقولهم
جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدايد فتقدير الاية اعني المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة والمؤمنون
بالله واليوم الاخر وطعن الكسايي في هذا القول بان النصب على المدح انما يكون بعد تمام الكلام وههنا الخبر هو قوله اولئك
الى اخره منتظر والجواب ان الخبر يومنون ولو سلم فالدليل على انه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتدا وخبره الثالث وهو اختيار
الكسايي ان المقيمين خفض عطف على ما في قوله بما انزل اليك والمراد بهم الانبيا لانهم لم يخل شرع واحد منهم من الصلوة قال تعالى
واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة والملايكة لقوله انا لنحن الصافون واعلم ان العلما ثلثة اقسام العلما باحكام الله
وتكاليفه وشرايعه والعلما بذات الله وصفاته الواجبة والممتنعة وباحوال المبدا والمعاد والعلما الجامعون بين العلمين
مع العمل بما يجب العمل به وهم الراسخون في العلم وانهم اكابر العلما والى الاقسام الثلثة اشار بقوله صلى الله عليه
وسلم جالس العلما وخالط الحكما ورافق الكبرا اللهم اجعلنا من زمرتهم بفضلك يا مستعان ثم انه سبحانه عاد الى الجواب
عن سوال اليهود وهو اقتراح نزول الكتاب جملة فقال انا اوحينا اليك الاية فبدا بذكر نوح لانه اول من شرع الله على لسانه
الاحكام والحلال والحرام ثم قال والنبيين من بعده ثم خص بعض النبيين بالذكر لكونهم افضل من غيرهم ولم يذكر فيهم
موسى لان المقصود من تعديد هولاء الانبيا انهم كانوا رسلا مع ان واحدا منهم ما اوتي كتابا مثل التورية دفعة واحدة
ثم ختم ذكر الانبيا بقوله واتينا داود زبورا يعني انكم اعترفتم ان الزبور من عند الله ثم انه ما نزل على داود جملة واحدة
وهذا الزام حسن قوي والزبور كتاب داود عليه السلام ومن قرا بضم الزاء فلعله جمع زبر وهو الكتاب كقدر وقدور
ثم قال وقد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك والمعنى انه تعالى ذكر بعض احوال الانبيا في القرآن والا
كثرين غير مذكورين على سبيل التفصيل وكلم الله موسى تكليما هذا ايضا من تتمة الجواب والمراد انه بعث كل هولاء الانبيا
والرسل وخص موسى عليه السلم بشرف التكليم معه ولم يلزم منه الطعن في ساير الانبيا فكيف يلزمهم الطعن بانزال التورية
عليه دفعة وانزال غيرها على غيره منجما رسلا مبشرين ومنذرين يعني ان المقصود من بعثة الانبيا الزام التكاليف
بالانذار والتبشير وقد يتوقف هذا المطلوب على انزال الكتب وقد يكون انزال الكتاب منجما مفرقا اقرب الى المصلحة
لانه اذا انزل جملة كثرت التكاليف فيثقل القبول كما ثقل على قوم موسى فعصوا ثم ختم الاية بقوله وكان الله عزيزا
حكيما والمعنى ان عزته تقتضي ان لا يجاب المتعنت الى مطلوبه اسرها في القدرة وكذا حكمته تقتضي هذا الامتناع لانه
لو فعل ذلك لاصروا على اللجاج في كل قضية واحتج الاشاعرة بالاية على ان معرفة الله لا تثبت الا بالسمع لقوله
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيكون قبل البعثة لهم حجة في ترك الطاعات والمعارف واجابت
المعتزلة بان الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون وكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة مع افادة تفصيل
امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرايع المعتزلة قالوا في الاية دلالة على ان تكليف ما لا يطاق لان عدم
ارسال الرسل اذا كان يصلح عذرا فبان يكون عدم القدرة والمكنة صالحا للعذر اولى وعورض وايضا فالاية
تدل على ان العبد يحتج على الرب فيبطل قول اهل السنة انه لا اعتراض عليه لاحد واجيب انه يشبه الحجة وليس
حجة في الحقيقة قوله لكن الله يشهد لا بد له من مستدرك لان لكن لا يبتدا به وفي ذلك المستدرك وجهان احدهما
ان هذه الاية باسرها جواب عن قول اليهود لو كان نبيا لنزل عليه الكتاب جملة وهذا الكلام يتضمن ان هذا
القران الفرقان ليس كتابا نازلا عليه من السماء فلاجرم قيل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله انزاله القرآن
حيث يعجز عن معارضته الاولون والاخرون يشهد لك بالنبوة بواسطة هذا القران الذي انزله عليك ثم فسر
ذلك واوضح بقوله انزله بعلمه اي متلبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره بسبب علمه الكامل مثل كتب بالقلم
وهذا كما يقال في الرجل المشهور بكمال الفضل اذا صنف كتابا واستقصى في تجويده انما صنف هذا بكمال علمه

يعني انه اتخذ جملة علومه آلة ووسيلة الي تصنيف ذلك الكتاب او انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه او انزله بما علم من مصالح العباد فيه او انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من شياطين الجن والانس والملائكة يشهدون لانهم لا يسبقونه بالقول فشهادة ذلك تستتبع شهادتهم ومن صدقه رب العالمين وملائكة السموات والارضين لم يلتفت الي تكذيب اخس الناس اباه وكفي بالله شهيدا وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا بمحمد والقرآن وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات كقولهم لو كان رسولا نزل عليه القرآن دفعة كما انزلت التورية علي موسي كقولهم ان شريعة موسي لا تنسخ وان الانبيا لا يكونون الا من اولاد هرون وداود قد ضلوا ضلالا بعيدا لان غاية الضلال ان يضم معه الاضلال ان الذين كفروا وظلموا محمدا بكتمان بعثته او عوامهم بالقاء الشبهات في قلوبهم ومعني قوله ولا ليهديهم طريقا انهم لا يسلكون الا الطريق الموصل الي جهنم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريقها والعامل في خالدين معني لا يهديهم اي يعاقبهم او يدخلهم النار خالدين فيها وكان ذلك علي الله يسيرا لانه لا صارف له عن ذلك فلا يتعذر عليه ايصال الالم اليه شيئا بعد شيء الي غير النهاية واللام في الذين اما للقوم معهودين علم الله منهم انهم يموتون علي الكفر واما للاستغراق فيجب ان يضمر شرط عدم التوبة وحمل المعتزلة قوله وظلموا علي اصحاب الكبائر بناء علي انه لا فرق عندهم بين الكافر وصاحب الكبيرة في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة التاويل ارنا الله جهرة لعل عزيمة موسي بلن تراني كانت بشوم القوم ومكانهم في انفسهم من سوء ادب هذا السوال لئلا يطمعوا في مطلوب لم يعط نبيهم فلما انحطوا بحالة نبيهم لانهم كانوا الاشقيا والسعيد من وعظ بغيره فكما زاد عنادهم زاد بلاؤهم وابتلاؤهم كرفع الطور فوقهم وعن ذلك قال اهل الاشارة ارتكاب المحظورات توجب تحريم المباحات والطيبات التي احلت لارواحهم الطيبين قبل التلوث بقذر المخالفات والاسراف في المباحات يستتبع حرمان المناجات والقربات لكن الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بقدم الصدق والعمل الي ان بلغوا معادن العلوم فاتصلت علوم الكسبية بالعلوم العطائية والدينية انا اوحينا اليك كما اوحينا الي نوح والنبيين من بعده اي كل ما اوحينا اليهم اوحينا اليك من سر ناحي الي عبده ما اوحي ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل اي ليلة المعراج ورسلا لم نقصصهم عليك الذي القرآن مفصلة انزله بعلمه نخلي له بصفة العالمية حتي علم بعلمه ما كان وما سيكون والملائكة يشهدون علي تلك الخلوة وان لم يكونوا معك في الخلوة وكفي بالله شهيدا علي ما جري فذكان ما كان سوالا ابوح به فظن خيرا ولا تسال عن الخبر والله اعلم

يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما ۝ يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا علي الله الا الحق انما المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وكلمته القيها الي مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفي بالله وكيلا ۝ لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ۝ فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما

ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ۝ يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا ۝ فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما ۝ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم

الوقوف فسيحشرهم بالنون المفضل ابا فوق بالياء خيرا لكم والارض حكيما الا الحق وكلمته للاستيناف مع اتحاد المقصود وروح منه لعطف المختلفتين ولكن فاء التعقيب توجب تعجيل الايمان مع تمام البيان ورسله ثلثة خيرا لكم اله واحد ولد لان المنفي منه مطلق الولد ولو وصل اوهم ان المنفي ولد موصوف بان له ما في السموات وما في الارض وكيلا المقربون جميعا من فضله اليما ولا نصيرا مبينا وفضل للعطف مستقيما يستفتونك الكلالة ما ترك لان ما بعده مبتدأ ولكن الكلام متحد البيان لها ولد لان جملة الشرط يعود الي قوله فلها نصف وبينهما عارض ما ترك لابتداء حكم جامع للصنفين الانثيين ان تضلوا عليم

التفسير لما بين فساد طريقة اليهود واجاب عن شبهتهم عمم الخطاب فقال يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق اي القرآن والقرآن معجز فيكون حقا او بالدعوة الي عبادة الله والاعراض عن غيره وهو الحق الذي يشهد له العقول السليمة فامنوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وكذا في انتهوا خيرا لكم لانه لما بعثهم علي الايمان والانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم علي امر فالمعني اقصدوا وايتوا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد فان الايمان لا شك انه احمد عاقبة من الكفر بل العاقبة كلها له وقيل انه منصوب علي خبرية كان اي يكن الايمان خيرا لكم والاول اصح لئلا يلزم الحذف من غير قرينة وان تكفروا فان الله غني عنكم لانه مالك الكل او هو قادر علي انزال العذاب لان الكل تحت نهيه وتسخيره او له عبيد اخر يعبدونه غيركم وكان الله عليما باحوال العباد حكيما لا يضيع اجر المحسنين ولا يهمل جزاء المسيء ثم لما اجاب عن شبهة اليهود خاطب النصاري ومنعهم عن الغلو في الدين وهو الافراط في شان المسيح الي ان اعتقدوه الها لا نبيا وحثهم علي ان لا يقولوا علي الله الا الحق الذي يحق ويمكن وصفه به وهو تنزيهه عن الحلول في بدن انسان والاتحاد بروحه واتخاذه الصاحبة والولد انما المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وكلمته وجد بامره من غير واسطة اب ولا نطفة القيها اي الكلمة الي مريم اي اوصلها اليه وحصلها فيه وروح منه اي انه طاهر نظيف بمنزلة الروح كما يقال هذه نعمة من الله او سمي بذلك لانه سبب حيوة الارواح او كمالها فلا يسمي القرآن روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اي رحمة منه كقوله وايدهم بروح منه ولا شك ان وجود النبي رحمة للامة قال تعالي وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فقال صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة وقيل الروح هو النفخ يعني ان النفخ من جبرائيل كان بامر الله تعالي فهو منه والتنكير للتعظيم اي روح من الارواح الشريفة القدسية العالية ومنه اضافة لذلك الروح الي نفسه للحمل التشريف فامنوا بالله ورسله اي امنوا كايمانكم بجميع الرسل ولا تجعلوه الها ولا تقولوا ثلثة هي خبر مبتدأ محذوف اي الله ثلثة ان كان معتقدهم ان الذات جوهر واحد وانه ثلثة بالصفات ويسمونها الاقانيم اقنوم الاب اي الذات واقنوم روح القدس وربما يقولون اقنوم الذات واقنوم العلم واقنوم الحياة او الالهية ثلثة ان كان في اعتقادهم انها ذوات قائمة بانفسها الاب والابن والعقل الفعال مرجعها الي واحد لانهم اذا جوزوا علي الصفات الانتقال والحلول في عيسي

وفي منزم فقد جعلها مستقلة بانفسها ولهذا لزم الكفر والشرك والا فمجرد اثبات الصفات لله تعالى لا يوجب الشرك
فالاشاعرة اثبتوا لله تعالى صفات ثمانية قدماء انتهوا عن التثليث واعتقدوا حقيقة الحكم انما الله اله واحد لا تركيب
فيه بوجه من الوجوه سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا ونزهه تنزيها من ان يكون له ولد فلا يتصل به عيسى
اتصال الابنا والاباء ولكن من حيث انه عبده ورسوله موجود بامره حيدا حيا من غير اب له ما في السموات وما في
الارض فكيف يكون بعض ملكه جزا منه على ان الجزا انما يصح في المنقسم عقلا او حسا وانه لا ينقسم بجهة من
الجهات لا العقلية ولا الحسية وكفى بالله وكيلا واذا كان كافيا في تدبير المخلوقات وحفظ المحدثات فلا حاجة
معه الى القول باثبات اله اخر مستقل او مشارك قال الكلبي ان وفد نجران قالوا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن
صاحبكم قالوا عيسى قال واي شي اقول قال تقول انه عبد الله ورسوله فقال لهم انه ليس بعار لعيسى ان يكون عبدا
لله قالوا بلى فنزلت لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله والتحقيق ان الشبهة التي عليها يقولون في دعوى
انه ابن الله هي انه كان يخبر عن المغيبات ويأتي بخوارق العادات كاحياء الاموات فقيل لهم لن يستنكف المسيح
بسبب هذا القدر من العلم والقدرة من عبودية الله تعالى فان الملائكة المقربين اعلى حالا منه لانهم مطلعون على اللوح
المحفوظ وحملة العرش مع عظمته ثمانية منهم ثم انهم لا يستنكفوا عن كونهم عباد الله تعالى فكيف يستنكف المسيح عن
ذلك اي يمتنع ويانف والتركيب يدل على التنحية والازالة من ذلك نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك
ونكفت عن الشي اي عدلت والقائلون بافضلية الملائكة استدلوا بهذه الاية وقد تقدم الاستدلال بها والجواب عليها
في سورة البقرة في تفسير قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم اما قوله ولا الملائكة فانه معطوف على المسيح وهو
الظاهر وجوز بعضهم عطفه على الضمير في يكون اوفي عبدا بمعنى الوصفية فيه فيكون المعنى ان المسيح لا يانف
ان يكون هو ولا الملائكة الموصوفين بالعبودية اولا يانف ان يعبد الله هو والملائكة وفي المعنيين انحراف عن الغرض فلا
ابكي ما المراد بالملائكة كل واحد منهم حتى تكون خبره ايضا عبدا او يكون الخبر عبادا وحذف لدلالة عبدا عليه ومن
يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه اي يجمعهم يوم القيمة الى حيث لا يملكون لانفسهم شيئا ثم انه
تعالى لم يذكر ما فعل بهم بل ذكر اولا ثواب المؤمنين المطيعين فقيل ان التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على
الفريقين والمفصل على فريق واحد فاجاب في الكشاف بانه كقولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه
كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به فحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر
الثاني كما حذف احد شقي التفصيل في قوله فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به او نقدم ثواب المؤمنين نظيره
كانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيستعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وبما يعاقب مع ذلك
بما يصيبهم من العذاب اقول لو جعل الضمير في قوله فسيحشرهم راجعا الى الناس حكما لم يحتج الى هذه التكلفات
ويحصل الترتيب بسبب العموم ومثله غير عزيز في القران كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصلحات انا لا نضيع اجر من
احسن عملا ثم عاد الى تعميم الخطاب بقوله يا ايها الناس قد جاءكم برهان الاية فيحتمل ان يراد بالبرهان والنور
كليهما القران ويحتمل ان يراد بالبرهان محمد صلعم لانه يقيم البرهان على تحقيق الحق وابطال الباطل وبالنور المبين
القران لانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فاما الذين امنوا بالله في صفاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه
واعتصموا به تمسكوا بدينه او لجاوا اليه في ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان فسيدخلهم في رحمة
منه وفضل قال ابن عباس الرحمة الجنة والفضل ما تفضل عليهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ويهديهم اليه اي الى عبادته
صراطا مستقيما هو الدين الحنيفي والتقدير صراطا مستقيما اليه فيحتمل ان يراد بالرحمة والفضل اللذات الحسية
الباقية والهداية اللذات الروحانية الدائمة ثم انه سبحانه ختم السورة بنحو ما بداها به وهو احكام المواريث
فقال يستفتونك الاية قال اهل العلم ان الله تعالى انزل في الكلالة ايتين احديهما في الشتا وهي التي اول هذه السورة
والاخرى في الصيف وهي هذه ولهذا يسمى اية الصيف عن جابر قال اشتكيت فدخل علي رسول الله صلعم وعندي
سبع اخوات فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله اوصي لاخواتي بالثلثين قال اجلس فقلت الشطر قال اجلس
ثم خرج وتركني قال ثم دخل وتركني قال ثم دخل فقال يا جابر اني لا اراك تموت في وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي

لاخواتك

لاخواتك وجعل لاخواتك الثلثين وروي انه اخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلعم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه
جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم اخذ من ميراثها ان ماتت فنزلت هذه وقد تقدم ان الكلالة اسم يقع على الوارث وهو من
عدا الوالد والولد وعلى الموروث وهو الذي لا ولد له ولا والد ان امرؤ هلك اي ان هلك امرؤ ويرتفع المرفوع بمضمر يفسره هذا الظاهر ومحل ليس
له ولد الرفع على الصفة اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد اعلم ان ظاهر الاية مطلق لا بد فيه من تقييدات ثلثة الاول ان
ان الولد مطلق والمراد به الابن لانه هو الذي يسقط الاخت واما البنت فلا يسقطها ولكنها تعصبها المارديني عن ابن
مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى في بنت وبنت ابن واخت بان للبنت النصف ولبنت الابن السدس والباقي
للاخت فعلى هذا فلو خلف بنتا واختا فللبنت النصف والباقي للاخت بالعصوبة الثاني ان ظاهر الاية يقتضي انه اذا لم يكن
للميت ولد فان الاخت تاخذ النصف وليس كذلك على الاطلاق بل الشرط ان لا يكون للميت ولد ولا والد لان الاخت لا ترث
مع الوالد بالاجماع الثالث قوله وله اخت المراد الاخت من الاب والام او من الاب لان الاخت من الام والاخ من الام
ذكر حكمها في اول السورة بالاجماع ثم قال وهو يرثها اي واخوها يرثها ويستغرق مالها ان قدر الامر على العكس من موتها
وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن كما قلنا ان ابن الابن يسقط الاخ دون البنت وايضا ان هذا في الاخ من الابوين
او من الاب اما الاخ من الام فانه لا يستغرق الميراث وايضا المراد ان لم يكن لها ولد ولا والد لان الاب ايضا يسقط الاخ لقوله
صلعم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ ثم قال فان كانتا يعني من يرث بالاخوة اثنتين
فالتثنية باعتبار الخبر كقولهم من كانت امك وكذا الكلام في قوله وان كانوا اخوة واراد بالاخوة الاخوة والاخوات لكنه
غلب جانب الذكور روي عن الصديق قال في خطبته الا ان الاية التي انزلها الله في سورة النساء في الفرايض اولها في
الوالد والولد وثانيتها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والتي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات من الاب والام
والتي ختم بها الانفال في اولي الارحام يبين الله لكم ان تضلوا قال البصريون المضاف محذوف اي كراهة ان تضلوا وقال
الكوفيون لئلا تضلوا وقال الجرجاني صاحب النظم يبين لكم الضلالة لتعلموا انها ضلالة فتجتنبوها والله بكل شي عليم
فيكون بيانه حقا وتعريفه صدقا ختم السورة ببيان كمال العلم كما انه ابتداها بكمال القدرة فيهما يتم الالهية ويحصل
الترهيب والترغيب للعاصي والمطيع والله المستعان **التاويل** وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض يعني
انتم منوا ينفي لكم ماله وان تكفروا فالكل له لا تغلوا في دينكم ولا تميلوا الى طرفي التفريط والافراط فاليهود فرطوا
في شانه فلم يقتلوه نبيا وتمنوا قتله والنصارى افرطوا في حبه فجعلوه ابن الله وكذلك كل نبي له سبحانه يبتغي بترك
احترامه وطلب اذيته وقوم بالزيادة في اعظامه حتى يعتقد فيه ما ليس مرضيا به كالخوارج والغلاة من الشيعة
ولهذا قال صلعم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم وروح منه لانه يكون بامر كن من غير واسطة اب كما
ان الروح يكون كذلك قل الروح من امر ربي ولغلبة جانب الروحانية عليه كان يحيي الاجساد الميتة اذ ينفخ فيها
وهذا الاستعداد الروحاني الذي هو من كلمة الله مركوز في جبلة الانسان فمن تخلص عن هوى الحيوانية من
معدن بشريته في اسنانيته يكون عيسى وقته يحيي الله تعالى بانفاسه القلوب الميتة ويفتح به اذانا صما
واعينا عميا فيكون في قومه كالنبي في امته ولا تقولوا ثلثة يعني نفسكم والرسول والله بل انتهوا عن النظر الى الحولة
عن رؤية الثلاثة فينكشف لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يتولد من وحدانيته شي له الوجود الحقيقي القائم الدائم
اولا واخرا وظاهرا وباطنا كل شي هالك الا وجهه وكفى بالله وكيلا كل شي هالك لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا
لله لان العبدية وهي حقيقة الامكان الذاتي واجبة له ولهذا نطق في المهد بقوله اني عبد الله ولا الملائكة المقربون
انما ذكرهم لان بعض الكفار كانوا يقولون الملائكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله قد جاءكم
برهان جعل نفس النبي برهانا لانه برهان بالكلية وبرهان غيره كان في اشيا غير انفسهم مثل ما كان برهان
موسى في عصاه فمن ذلك برهان بصره ما زاغ البصر وما طغى ومنه برهان انفه اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن
ومنه برهان لسانه وما ينطق عن الهوى وبرهان بصاقه يبصق في العين وفي البرمة فاكلوا من ذلك وهم الف
حتى تركوه والبرمة تغور كما هي والعين يجر وبرهان تفله تفل في عين علي عليه السلام وهي ترمد فبرا باذن الله
وذلك يوم خيبر وبرهان يده وما رميت اذ رميت وسبح الحصا في يده وبرهان اصبعه اشار بها الى القمر فانشق فلقتين وقد

والاخوات م

جري الماء بين اصابعه حتي شرب وربع منه خلق كثير وبرهان صدره كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل الم نشرح
لك صدرك وبرهان قلبه ينام عيناي ولا ينام قلبي نزل به الروح الامين علي قلبك وبرهان كله سبحان الذي اسري
بعبده اللهم ارزقنا الاقتباس من هذا البرهان والاقتباس من انوار القران انك انت الرؤف المنان

سورة المائدة وتسمي العقود مدنية وهي مائة وثلثة وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلي عليكم
غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد يا ايها الذين امنوا
لا تحلوا شعاير الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلايد ولا امين
البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا
ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا
علي البر والتقوي ولا تعاونوا علي الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله
شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير
الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما
ذكيتم وما ذبح علي النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس
الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف
لاثم فان الله غفور رحيم يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات
وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن
عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم احل
لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم

موب

والمحصنات

٣٣٨

والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا
اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر
بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين يا ايها الذين امنوا اذا قمتم
الي الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الي المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم
الي الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضي او علي سفر او جاء احد
منكم من الغايط او لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم
وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي
واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان
قوم علي الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوي واتقوا الله ان الله خبير بما
تعملون وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلي الله فليتوكل المؤمنون

امنوام

القراءة ولا يجرمنكم بالنون الخفيفة يروي عن رويس الباقون مثقله شنان قوم في الموضعين بسكون
النون ابن عامر واسمعيل وابو بكر وحماد وابن يزيد من طريق ابن وردان الباقون بالفتح ان صدوكم بكسر الهمزة ابن كثير وابو عمرو
والباقون بالفتح ولا تعاونوا بتشديد التاء البزي وابن فليح الميتة فمن اضطر كما مر في البقرة واخشون بالياء في الوقف
في الوقف وسهل ويعقوب واي حكم بالنصب ابن عامر ونافع وعلي والمفضل وحفص ويعقوب والاعشي في اختيار
الباقون بالجر **الوقوف** بالعقود لاستيناف الفعل حرم ما يريد ورضوانا لا ابتدا نهي ان تعتدوا ليلا يتوهم العطف
وحذف التاء من تعاونوا والتقوي لعطف المتفقين والعدوان كذلك واتقوا الله شديد العقاب بالازلام فسق واخشون
دينا لان الشرط من تمام التحريم لا ما يليه لاثم لان ما بعده جزا رحيم اصل لهم فصلا بين السوال والجواب الطيبات

للعطف اي وصيد ما علمتم مما علمكم الله لفاء التعقيب مع عطف المختلفتين عليه واتقوا الله الحساب الطيبات
لان ما بعده مبتدأ الحكم لعطف المتفقتين لمهملان قوله والمحصنات عطف على وطعام الذين لا على ما يليه احذا من علة لعطف
المختلفتين مع ان ما بعده من تمام جزاء الكفر معنى لخاسرين الكعبين لا نبتدأ حكم فاطهروا كذلك وايديكم منه تشكرون
واتقكم به لانه اذا ظرف المواثقة واطعنا لعطف المتفقتين مع وقوع العارض واتقوا الله الصدور بالقسط لعطف المتفقتين
مع زيادة نون التأكيد المؤذن بالاستيناف ان لا تعدلوا للاستيناف اعدلوا وقفة لطيفة لان الضمير مبتدأ مع شدة اتصال
المعنى التقوى واتقوا الله بما تعملون الصالحات لانما بعده مفعول الوعد اي ان لهم عظيم الجحيم ايديهم عنكم لاعتراض
الطرف بين المتفقتين واتقوا الله المؤمنون **التفسير** وفي بالعهد واوفى به بمعنى والعقد وصل الشيء بالشيء
على سبيل الاستيثاق والاحكام والعهد الزام مع الاحكام والمقصود من الايفاء بالعقود اداء تكاليفه فعلاً وتركاً والتحقيق
ان الايمان معرفة الله بذاته وصفاته واحكامه وافعاله وكانه قيل يا ايها الذين التزمتم بايمانكم انواع العقود وفوا بها يعني
ومعنى تسمية التكاليف عقوداً انها مربوطة بالعباد كما يربط الشيء بالشيء بالحبل الموثق وقال الشافعي اذا نذر صوم
يوم العيد او نذر ذبح الولد لغا لقوله صلعم لا نذر في معصية الله قال ابو حنيفة يجب عليه الصوم والذبح لقوله تعالى اوفوا
بالعقود غاية انه لغا هذا النذر في خصوص كون الصوم واقعا في يوم العيد وفي خصوص كون الذبح في الولد وقال ايضا
خيار المجلس غير ثابت لقوله تعالى اوفوا بالعقود وخصص الشافعي عموم الاية بقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما
بالخيار ما لم يتفرقا وقال ابو حنيفة الجمع بين الطلقات حرام لان النكاح من العقود بدليل ولا تعزموا عقدة النكاح وقال اوفوا
بالعقود تركنا العمل في الطلقة الواحدة بالاجماع فيبقى سايرها على الاصل والشافعي خصص هذا العموم بالقياس وهو
انه لو حرم الجمع لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم انه سبحانه لما مهد القاعدة الكلية ذكر ما يندرج تحتها فقال احلت لكم بهيمة الانعام
والبهيمة كل حي لا عقل له من قولهم استبهم الامر اذا اشكل ومنه باب مبهم اي مسدود ثم خص هذا الاسم بكل ذات
اربع في البر والبحر والانعام هي المال الراعية من الابل والبقر والغنم قال الواحدي ولا يدخل في اسم الانعام الحافر لانه مأخوذ
من نعومة الوطئ واضافة البهيمة الى الانعام للبيان مثل خاتم فضة بتقدير من وفائدة لفظ البهيمة مع صحة ما لو قيل
احلت لكم الانعام كما قال في سورة الحج هي فائدة الاجمال ثم التبيين وانما وحد البهيمة انها اسم جمع يشمل افرادها وجمع الانعام
كان النعم مفرد ايقع في الاكثر على الابل وعدها وقيل المراد بالبهيمة شيء وبالانعام شيء اخر وعلى هذا فوجهان احدهما ان
البهيمة الظبا وبقر الوحش ونحوها كانه اراد ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس الانعام في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت
الى الانعام لملابسة الشبه الثاني انها الاجنة عن ابن عباس ان بقرة ذبحت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس
بذنبها وقال هذه بهيمة الانعام وعن ابن عمر انها اجنة الانعام وذكوته ذكوة امه قالت التنوية ذبح الحيوان ايلام والايلام
قبيح وخصوصا ايلام من بلغ في العجز والحيرة الى حيث لا يقدر ان يدفع عن نفسها ولم يكن له لسان يحتج على من
يقصد ايلامه والقبيح لا يرضى به الاله الرحيم الحكيم فلا يكون الذبح مباحا حلالا فلعزة هذه الشبهة تبع البكرية من
المسلمين انه تعالى يدفع الم الذبح عن الحيوانات وقالت المعتزلة ان الايلام انما يقبح اذا لم يكن مسبوقا بجناية
ولا ملحوقا بعوض وههنا يعوض الله سبحانه وتعالى هذه الحيوانات باعواض شريفة فلا يكون ظلما وقبيحا كالفصد
والحجامة لطلب الصحة وقالت الاشاعرة الاذن في ذبح الحيوانات تصرف من الله تعالى في ملكه فلا اعتراض عليه قال
بعضهم احلت لكم بهيمة الانعام مجمل لاحتمال ان يكون المراد احلال الانتفاع بجلدها او عظمها او صوفها او بالكل والجواب
ان الاحلال لا يضاف الى الذات فتعين اضمار الانتفاع بالبهيمة فيشمل الانتفاع على ان قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء
ومنافع ومنها تاكلون يدل على الانتفاع بها من كل الوجوه الا انه الحق بالاية نوعين من الاستثناء الاول قوله الا ما يتلى
عليكم اي الا محرم ما يتلى عليكم اية تحريمه واجمع المفسرون على ان الاية قوله بعد ذلك حرمت عليكم الميتة والدم الى
اخره والثاني قوله غير محلي الصيد وانتم حرم داخلون في الحرم او في الاحرام قال الجوهري رجل حرام اي محرم والجمع
حرم مثل قذال وقذل وقيل معز ويستوي فيه الواحد والجمع كما يقال قوم جنب وانتصاب غير محلي على الحال من الضمير
في لكم اي احلت لكم هذه الاشيا لا محلين الصيد في حالة الاحرام وفي الحرم كان لقايل ان يقول ما السبب في اباحة الانعام في
جميع الاحوال واباحة الصيد في بعض الاحوال فقيل ان الله يحكم ما يريد فليس لاحد اعتراض على حكمه ولا سؤال بكم وكيف

انعام

ثم اكد

ثم اكد النهي عن مخالفة تكاليفه بقوله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله الاكثرون على انها شعيرة فعيلة بمعنى
مفعلة وقال ابن فارس واحدها ثم المفسرون اختلفوا على قولين انها عامة في جميع تكاليفه ومنه قول الحسن شعائر
الله دين الله والثاني انها شيء خاص من التكاليف ثم قيل المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في حال احرامكم من الصيد وقيل الافعال
التي هي علامات الحج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر وقال الفراء كانت عامة العرب لا يرون الصفا والمروة من
شعائر الحج فنهوا عن ترك السعي بينهما وقال ابو عبيدة الشعائر الهدايا التي يطعن في سنامها ويقلد ليعلم انها هدي وقال
ابن عباس ان الحطم واسمه شريح بن ضبيعة الكندي اتى النبي صلى الله عليه وسلم من اليمامة الى المدينة فخلف خيله خارج
المدينة ودخل وحده على النبي صلعم فقال له الى ما تدعوا الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة
فقال حسن الا ان لي امرا لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي بهم وقد كان صلعم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل يتكلم بلسان شيطان
ثم خرج من عنده فلما خرج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر وما الرجل بمسلم فمر
بسرح المدينة فاستاقه فطلبوه فعجزوا عنه فلما خرج رسول الله صلعم الى عمرة القضا سمع تلبية حجاج اليمامة فقال لاصحابه
هذا الحطم واصحابه وكان قد قلد ما نهب من سرح المدينة واهداه الى الكعبة فلما توجهوا في طلبه انزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تحلوا شعائر الله يريد ما اشعر لله وان كانوا على غير دين الاسلام وقال زيد بن اسلم كان رسول الله صلعم واصحابه
بالحديبية حين صدهم المشركون وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم نصد هؤلاء عن البيت كما صدنا اصحابهم فانزل الله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا
الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام اي قاصديه اياه فالمعنى لا تعتدوا على هؤلاء العمار لان صدكم عن
اصحابكم والشهر الحرام شهر الحج اعني ذي الحجة او المراد رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وعبر عنها بلفظ الواحد اكتفاء
باسم الجنس اي لا تحلوا القتال في هذه الاشهر والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك جمع
هدية والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر الحرم والمراد لا تحلوا ذوات القلائد
بالطريق الاولى كقوله ولا يبدين زينتهن فانه نهي عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها وللمفسرين
خلاف في الاية فذهب كثير منهم كابن عباس ومجاهد والشعبي وقتادة انها منسوخة وذلك ان المسلمين والمشركين
كانوا يحجون جميعا فنهي المسلمون ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس وما كان
للمشركين ان يعمروا مساجد الله وهؤلاء فسروا ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون
في انفسهم انهم على شيء من الدين وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقال الاخرون انها محكمة وانه تعالى
امرنا ان لا نخيف من يقصد بيته من المسلمين بدليل قوله يبتغون فضلا من الله اي ثوابا ورضوانا وان يرضى عنهم
وهذا انما يليق بالمسلم لا بالكافر وقال ابو مسلم المراد بالاية الكفار الذين كانوا في عهد النبي صلعم فلما زال العهد
بسورة براءة زال ذلك الحظر واذا حللتم فاصطادوا وظاهر الامر للوجوب الا انه لا يفيد ههنا الا الاباحة لانه لما كان المانع
من حال الاصطياد هو الاحرام لقوله غير محلي الصيد وانتم حرم فاذا زال الاحرام رجع الى اصل الاباحة ولا يجرمنكم معطوف
على لا تحلوا وجرم بمعنى كسب من حيث المعنى ومن حيث تعديه الى مفعول واحد تارة والى مفعولين اخرى تقول
جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه وهذا هو المذكور في الاية والشنان بالتحريك والتسكين مصدر
شنانه اشنأه وكلاهما شاذ فالتحريك شاذ في المعنى لان فعلان من بناء الحركة والاضطراب كالضربان والخفقان
والتسكين شاذ في اللفظ لانه لم يجئ شيء من المصادر عليه قاله الجوهري ومعنى لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء او لا يحملنكم
بغض على الاعتداء وقوله ان صدوكم من قرا بكسر الهمزة فهو شرط وجوابه ما يدل عليه لا يجرمنكم ومن قرا بفتح
ان فمعناه التعليل اي لان صدوكم قيل هذه القراءة اولى لان المراد منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه والمؤمنين
يوم الحديبية عن العمرة والسورة نزلت بعد الحديبية وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء او على كل
ما يعد برا وتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي وعلى كل ما يورث الاثم والتجاوز عن الحد
والحاصل ان الباطل والاثم لا يصلح لان تقتدي به ويعان عليه وانما اللائق بالاقتداء به والتعاون عليه هو الخير والبر
وما فيه تقوى الله سبحانه وتعالى ثم بالغ في هذا المعنى بقوله واتقوا الله في استحلال محارمه ان الله شديد العقاب

ثم شرع في تفصيل الاستثناء الموعود تلاوته في قوله الا ما يتلى عليكم فقال حرمت عليكم الميتة الاية والمجموع المستثنى
احد عشر نوعا **الاولى** الميتة كانوا يقولون انكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله قالت العقلاء الحكمة في تحريم
الميتة ان الدم جوهر لطيف فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس الدم في عروقه وتعفن فيحصل من اكله مضار كثيرة
الثانية كانوا ياكلون الفصيد وهو دم كان يجعل في معى فيصد عرق ثم يشوى فيطعم الضيف في الازمة ومنه المثل لم يحرم
من فصد له المعير وربما يقال من فزد له **الثالثة** لحم الخنزير قال العلماء الغذاء يصير جزءا من جوهر المتغذي فلا بد ان يحصل للمتغذي
اخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على الحرص والشره فحرم اكله لئلا يتكيف الانسان بكيفيته
واما الغنم فانها في غاية السلامة وكانها عارية عن جميع الاخلاق فلا يتغير من اكلها احوال الانسان **الرابعة** ما اهل لغير الله
به والاهلال رفع الصوت وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى وقد مر في سورة البقرة سائر ما يتعلق بهذه
الانواع الاربعة فليراجع اليها **الخامسة** المنخنقة كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت اكلوها وقد يخنق بحبل
الصائد وقد تدخل راسها بين عودين في شجرة فتختنق فتموت وبالجملة فباي وجه انخنقت فهي حرام **السادسة** الموقوذة
وهي المقتولة بالخشب وقذها يقذها اذا ضربها حتى ماتت ومنها ما رمي بالبندق فمات **السابعة** المتردية التي تقع في الردى
وهو الهلاك وتردى اذا وقع في بئر او سقط من موضع مرتفع ويدخل فيه ما اذا اصابه سهم وهو في الجبل فسقط على
الارض فانه يحرم اكله لانه لا يعلم ان زهوق روحه بالتردي او بالسهم **الثامنة** النطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بسببه
ولا يخفى ان هذه الاقسام الاربعة داخلة في الميتة دخول الخاص في العام فان قلت لم دخلت الهاء في المنخنقة والموقوذة
والمتردية والنطيحة لانها صفات الشاة بناء على الاغلب مما ياكله الناس والا فالحكم عام وانما اثبت في النطيحة مع ان فعيلا
بمعنى مفعول لا يدخله الهاء كقولهم كف خضيب ولحية دهين وعين كحيل لان الموصوف غير مذكور تقول مررت بامراة
قتيل فلان فاذا حذفت الموصوف قلت بقتيلة فلان لئلا يقع الاشتباه **التاسعة** ما اكل السبع وهو اسم يقع على
ما له ناب ويعدو على الانسان ويفترس الحيوان كالاسد وما دونه قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع
شيئا فقتله واكل بعضه اكلوا ما بقي فحرمه الله وفي الاية حذف التقدير وما اكل منه السبع لان ما اكله السبع فقد
ولا حكم له وانما الحكم للباقي قوله الا ما ذكيتم الذكاء في اللغة تمام الشيء فمنه الذكاء في الفهم وفي السن التمام فيهما والمذاكي
الخيل التي قد اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان وتذكية النار رفعها وقوة اشتعالها والتذكية كمال الذبح والمستثنى
منه نص علي وابن عباس والحسن وقتادة انه جميع ما تقدم من قوله والمنخنقة الى قوله وما اكل السبع والمعنى انك
ان ادركت ذكاته بان وجدت له عينا تطرف او ذنبا يتحرك او رجلا يركض فذبح فهو حلال فانه دليل الحيوة المستقرة وقيل
انه مختص بقوله وما اكل السبع وقيل انه استثناء منقطع من المحرمات كانه قيل لكن ما ذكيتم من غير هذا فهو حلال
او من التحريم اي حرم عليكم ما مضى الا ما ذكيتم فانه لكم حلال **العاشرة** ما ذبح على النصب وهو مفرد وجمعه انصاب
كطنب واطناب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله قاله الجوهري وضعف بانه حينئذ يكون كالتكرار لقوله وما اهل
لغير الله به وقال ابن جريج النصب ليس باصنام فان الاصنام احجار مصورة منقوشة وهذه النصب احجار كانوا ينصبونها
حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للاصنام وكانوا يلطخونها بالدماء ويشرحون اللحم عليها فالمراد ما ذبح على اعتقاد
تعظيم النصب ويحتمل ان يكون الذبح للاصنام واقعا عليها وقيل النصب جمع اما النصاب كحمر وحمار والنصب كسقف وسقف
الحادية عشر ما ابدعه اهل الجاهلية وان لم يكن من جملة المطاعم اي حرم عليكم ان تستقسموا بالازلام وانما ذكر مع الذبح
على النصب لانهم كانوا يفعلون كلا منهما عند البيت كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا اخر من معاظم
الامور ضرب القداح وكانوا قد كتبوا على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وتركوا بعضها غفلا اي خاليا
عن الكتابة فان خرج الامر اقدم على الفعل وان خرج النهي امسك وان خرج الغفل اعاد العمل فمعنى الاستقسام بالازلام
طلب معرفة الخير والشر بواسطة ضرب القداح وقال كثير من اهل اللغة الاستقسام ههنا هو الميسر المنهي عنه
والازلام قداح الميسر والتركيب يدور على التنحية والاحادة يقال ما احسن ما زلم سهمه اي سواه ورجل مزلم اذا
كان خفيف الهيئة وامراة مزلمة اذا لم تكن طويلة ذلكم فسق اشارة الى جميع ما تقدم من المحرمات اي تناولها فسق
ويحتمل ان يرجع الى الاستقسام بالازلام فقط وكونه فسقا بمعنى الميسر ظاهر وبمعنى طلب الخير والشر من جهة انهم

كانوا يجيلونها عند اصنامهم ويعتقدون ان ما يخرج من الامر والنهي هو ارشاد الاصنام واعانتها فلذلك كان فسقا وكفرا
وقال الواحدي انما حرم لانه طلب معرفة الغيب وانه تعالى مختص بمعرفته وضعف بان طلب الظن بالامارات المتعارفة
غير منهي كالتعبير والفال وكما يدعيه اصحاب الكرامات والفراسات ثم انه سبحانه حرض على التمسك بما شرع فقال اليوم يئس
وقيل ليس المراد يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والاتية كقولك كنت بالامس شابا وانت
اليوم شيخ وقيل المراد يوم معين وذلك انها نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي
صلعم واقف على ناقته العضباء وعن ابن عباس انه قرا الاية ومعه يهودي فقال اليهودي لو نزلت علينا في يوم لاتخذناه عيدا
فقال ابن عباس انها نزلت في عيدين اتفقا في يوم واحد يوم جمعة وافق يوم عرفة اي يئسوا من ان يحللوا هذه الخبائث بعد ان
جعلها الله تعالى محرمة او يئسوا من ان يغلبوكم على دينكم لانه حقق وعده باظهار هذا الدين على سائر الاديان فلا تخشوهم
واخشون اخلصوا الى الخشية قيل في الاية دليل على ان التقية جائزة عند الخوف لانه علل اظهار هذه الشرائع بزوال الخوف
من الكفار اليوم اكملت لكم دينكم سئل انه يلزم منه ان الدين كان ناقصا قبل ذلك فكيف يجوز ان يكون النبي صلعم مرابطا على
الدين الناقص اكثر عمره واجيب بانه كقول الملك اذا استولى على عدوه اليوم كمل عيدنا وزيف بان السؤال بعيد باق لان
ملك ذلك الملك لا بد ان يكون قبل قهر العدو ناقصا وقيل المراد اني اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام
دون ابنية القياس واصول الاجتهاد وضعف بانه يلزم ان لا يحصل لهم قبل ذلك اليوم ما كانوا محتاجين من الشرائع النازلة
من عند الله في كل وقت ناسخة او منسوخة او مجملة او مبينة او غير ذلك كافية بحسب ذلك الوقت وفي اخر زمان
البعثة حكم ببقاء الاحكام على حالها من غير نسخ وزيادة ونقص الى يوم القيمة قال نفاة القياس اكمال الدين ان يكون حكم كل
واقعة منصوصا عليه فلا فائدة في القياس واجيب بان اكماله هو جعل النصوص بحيث يمكن استنباط احكام نظايرها منها
قالوا تكليف كل احد ان يحكم بما غلب على ظنه لا يكون اكمالا للدين وانما يكون القاء للناس في ورطة الظنون والاوهام واجيب بانه
اذا كان تكليف كل مجتهد ان يعمل بمقتضى ظنه كان كل مجتهد قاطعا بانه عامل بحكم الله روي انه لما نزلت الاية على النبي صلعم
فرح الصحابة واظهروا السرور الا ابا بكر الصديق رضي الله عنه وعمر فانهما حزنا وقالا ليس بعد الكمال الا الزوال
وكان كما ظنا فانه لم يعمر بعدها الا احدا وثمانين يوما ولم يحصل بعدها في الشريعة زيادة ولا نسخ ولا نقص وكان
ذلك جاريا مجرى اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن قرب وفاته وذلك اخبار بالغيب فيكون معجزا احتجت الاشاعرة
بالاية على ان الدين سواء قيل انه العمل او المعرفة او مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل لا يحصل الا بخلق الله وايجاده فانه
لن يكون اكمال الدين الا واصله منه والمعتزلة حملوا ذلك على اكمال بيان الدين واظهار الشرائع ثم قال واتممت عليكم نعمتي
اي بذلك الاكمال لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام او نعمتي بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين ورضيت اي اخترت لكم الاسلام
دينا نصب على الحال او مفعول ثان ان ضمن رضيت معنى صير ثم اعلم ان قوله ذلكم فسق الى ههنا اعتراض اكد به
معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة واختيار دين الاسلام للناس من بين سائر
الاديان ثم بين الرخصة بقوله فمن اضطر في مخمصة اي في مجاعة واصل الخمص ضمور البطن غير متجانف منصوب
باضطر او بمضمر اي فتناوله غير منحرف الى اثم بان ياكل فوق الشبع او عاصيا بسفره وقد مر القول في هذه الرخصة مستوفى في
في سورة البقرة يسالونك ماذا احل لهم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سالوا عما احل لهم
والسوال في معنى القول وانما لم يقل ماذا احل لنا على حكاية قولهم نظرا الى ضمير الغايب في يسالونك ومثله يجوز فيه الوجهان
تقول اقسم زيد ليفعلن او لافعلن اما سبب النزول فعن ابي رافع ان جبريل عليه السلام جاء الى النبي صلعم فاستاذن عليه
فاذن له فلم يدخل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة فنظروا فاذا في بيوتهم
جرو فقال ابو رافع فامرني ان لا ادع بالمدينة كلبا الا قتلته حتى بلغت العوالي فاذا امراة عندها كلب يحرسها فرحمتها
فتركتها فاتيت النبي صلعم فاخبرته فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاء ناس فقالوا يا رسول الله ماذا
يحل لنا من هذه الامة التي تقتلها فسكت رسول الله صلعم الى ان نزلت هذه الاية فامر بقتل الكلب الكلب والعقور وما
يضر ويؤذي واذن في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها وقال سعيد ابن جبير نزلت في عدي بن حاتم وزيد الخيل الذي سماه
رسول الله صلعم زيد الخير حين قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فانها تاخذ البقر والحمر والظبا والضب

فمنه ما ندرك ذكاته ومنه ما يقتل فلا ندرك وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها قل احل لكم الطيبات اي ما ليس
بخبيث منها وهو ما لم تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد واحل لكم كل ما يستلذ ويشتهى عند اهل المروة والاخلاق
الجميلة واعلم ان الاصل في الاعيان الحل لانها خلقت لمنافع العباد هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ما يستثنى من ذلك
اصوله الاول تنصيص الكتاب على تحريمه كالميتة والدم وغيرهما والثاني تنصيص السنة كما روي عن جمع من الصحابة
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عام خيبر عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية والبغال كالحمير ولا يحرم الخيل عند
الشافعي لما روي عن جابر انه قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل الثالث
ما هو في معنى المنصوص كالنبيذ فانه مسكر كالخمر فيتناوله تحريمها والرابع كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير
وقد مر معنى السبع عن قريب فلا يحل لموجب هذا الاصل الكلب والاسد والذئب والنمر والفهد والدب والقرد
والفيل لانها تعدو بانيابها ولا يحل من الطيور البازي والشاهين والصقر والعقاب وجميع جوارح الطير الخامس ما امر
بقتله من الحيوانات فهو حرام لان الامر بقتله اسقاط لحرمته ومنع من اقتنائه ولو كان ماكولا لجاز اقتناؤه للتسمين
واعداده للاكل وقت الحاجة ومنه الفواسق الخمس روي انه صلى الله عليه وسلم قال خمس فواسق يقتلن في الحل
والحرم الحية والفارة والغراب الابقع والكلب والحداة السادس ما ورد النهي عن قتله فهو حرام لانه لو كان ماكولا
لجاز ذبحه ليوكل كما روي انه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الخطاطيف وكذا الصرد والنملة والنحلة والهدهد والخفاش
السابع الاستطابة والاستخباث لقوله تعالى قل احل لكم الطيبات قال العلما فيبعد الرجوع الى طبقات الناس
وتنزيل كل قوم على ما يستطيبون ويستخبثون لان ذلك يوجب اختلاف الاحكام في الحل والحرمة وذلك يخالف موضوع الشرع
فالعرب اولى امة بالاعتبار لان الدين عربي وهم المخاطبون اولا ولانه ليس لهم ترفه وتنعم يورث تضييق المطاعم على الناس
ولكن المعتبر استطابة سكان القرى والبلاد دون اجلاف البوادي الذين لا تمييز لهم وايضا يعتبر صاحب اليسار والترفه
دون اصحاب الضرورات والحاجات ايضا المعتبر حال الخصب والرفاهية دون حال الجدب والشدة فالحشرات
باسرها مستخبثة كالذباب والخنفسا والجعلان وحمار قبان الا الضب فانه صلى الله عليه وسلم قال لا اكله
ولا احرمه ومن الاصول انه لا يجوز اكل الاعيان النجسة في حال الاختيار وكذا اكل الطاهر اذا تنجس بملاقات النجاسة
كالدهن والسمن الذائب والدبس والخل ومن الاصول الكسب بمجاورة النجاسة ولكن كسب الحجام حلال عند الشافعي
ومن الاصول ما يضر كالزجاج والسم والنبات المسكر او المجنن قوله سبحانه وتعالى وما علمتم من الجوارح معناه
احل لكم صيد ما علمتم على حذف المضاف لدلالة فكلوا مما امسكن عليه ويجوز ان تكون ما شرطية والجزا فكلوا
وعلى هذا يجوز الوقف على الطيبات والجوارح والكسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والبازي والصقر قال
تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم وجوز بعضهم ان يكون من الجراحة وقال ما اخذ من الصيد فلم يسل منه
دم لم يحل وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم وفائدة هذا الحال مع الاستغناء عنها بعلمتم ان معلم الجوارح
ينبغي ان يكون ماهرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب نقل عن ابن عمر والضحاك والسدي ان ما صاد غير الكلاب
فلم يدرك ذكوته لم يحل اكله لان قوله مكلبين يدل على كون هذا الحكم مخصوصا بالكلب والجمهور على ان الجوارح يدخل
فيه كل ما يمكن الاصطياد به من السباع قالوا والمكلب مودب الجوارح ورائضها لان تصاد لصاحبها وانما اشتق من الكلب لكثرة
هذا المعنى في جنسه او لان سائر السبع يسمى كلبا كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله
الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال فلان كلب بكذا اذا كان حريصا عليه وهب ان المذكور في الاية اباحة
الصيد بالكلب لكن تخصيصه بالذكر لا ينفي حل غيره كجواز الاصطياد بالرمي وبالشبكة ونحوها ومع سكوت الاية
عنها تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من علم التكليب لان بعضه الهام من الله او مما عرفكم ان تعلموه من
اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره واعلم انه يعتبر في صيرورة الكلب معلما امورا منها ان ينزجر بزجر صاحبه
في ابتداء الامر وكذا اذا انطلق واشتد عدوه وحدته ويشترط ان ينزجر بزجره على الاشبه فيه يظهر التادب
ومنها انه يسترسل بارسال صاحبه اي اذا اغري بالصيد هاج ومنها ان يمسك الصيد لقوله فكلوا مما امسكن عليكم
وفي هذا اعتبار وصفين احدهما ان يحفظه ولا يخليه والثاني ان لا ياكل منه لقوله صلى الله عليه لعدي بن حاتم فان اكل

فلا تاكل فانما امسكه على نفسه وفي جوارح الطير يشترط فيها ان يهيج عند الاغراء وان يترك الاكل ولكن لا مطمع في انزجارها
بعد الطيران ويشترط عند الشافعي تكرر هذه الامور بحيث يغلب على الظن تادب الجارحة بها واقله ثلث مرات
ولم يقدر الاكثرون عدد المرات لان طباع الجوارح مختلفة فيرجع الى اهل الخبرة بطباعها وعن
سلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابي هريرة انه يحل وان اكل ويعتقدهم الامساك هو ان يحفظه ولا يتركه ومعنى الاية
كلوا ما بقي لكم من الجوارح وان كان بعدما اكلها منه وذكر في مما امسكن وقيل مغيلة وذلك ان بعض الصيد
لا يوكل كالعظم والدم والريش وقال سعيد بن جبير وابو حنيفة والمزني يوكل ما بقي من جوارح الطير ولا يوكل ما بقي من الكلب
والفرق ان تاديب الكلب بالضرب على الاكل ممكن وتاديب الطير غير ممكن ولا خلاف انه اذا كان الجارحة معلمة ثم نصبت
صيدا وجرحته وقتلته وادركه الصائد ميتا فهو حلال وجرح الجارحة كالذبح فان قتلته بالغم من غير جرح ففي حله خلاف
اما قوله سبحانه واذكروا اسم الله عليه فالضمير الى ان يعود الى ما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكوته او الى
ما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او الى الاكل وعلى هذا فلا كلام وعلى الاول فالتسمية محمولة على الندب عند الشافعي
وعلى الوجوب عند ابي حنيفة ويجيء تمام المسئلة في سورة الانعام ان شا الله تعالى اليوم احل لكم الطيبات فائدة الاعادة
ان يعلمنا ان هذا الحكم عند اكمال الدين واستقراره وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الاكثرون على ان المراد بالطعام الذبائح
لان ما قبل الاية في بيان الصيد والذبائح ولان ما سوى الصيد والذبائح محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان
صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة وعن بعض ائمة الزيدية ان المراد هو الخبز والفاكهة وما لا يحتاج
فيه الى الذكوة وقيل انه جميع المطعومات وطعامكم حل لهم اي يحل لكم ان تطعموهم من طعامكم لانه لا يمتنع ان يحرم
الله المطاعم منه ذبائحنا وايضا فالفائدة في ذكره ان يعلم ان اباحة الذبائح حاصلة في الجانبين وليست كاباحة المناكحة
فانها غير حاصلة في الجانبين والمحصنات الحرائر او العفائف من المومنات وعلى الثاني يحل نكاح الاما وقد رجح الاول
بانه تعالى قال اذا اتيتموهن اجورهن ومهر الاما لا يدفع اليهن بل الى ساداتهن وبان نكاح المحصنات ههنا مطلق
ونكاح الامة مشروط بعدم طول الحرة ولخشية العنت وبان تخصيص العفائف بالحل يدل ظاهرا على تحريم نكاح الزانية
وقد ثبت انه غير محرم ولو حملنا المحصنات على الحرائر لزم تحريم نكاح الامة ونحن نقول به على بعض التقديرات
وبان وصف التحصين في حق الحرة اكثر ثبوتا منه في حق الامة لان الامة لا تخلو من البروز للرجال والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم احتج بها كثير من الفقها في انه لا يحل نكاح الكتابية الا اذا دانت بالتورية والانجيل
قبل نزول الفرقان لان قوله من قبلكم في من دانتها بعد نزوله وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات اصلا متمسكا
بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وادلة الاية بان المراد
التي امنت منهن ومن المحتمل ان يخطر ببال احد ان الكتابية اذا امنت هل يحل للمسلم التزوج بها ام لا وعن عطاء ان الرخصة
كانت مختصة بذلك الوقت لانه كان في المسلمات قلة ولان الاحتراز عن مخالطة الكفار واجب لا تتخذوا بطانة
من دونكم اي خلطة اشد من الزوجية وقد يحدث ولد ويميل الى دين الام وقال سعيد بن المسيب والكتابيات
يشمل الذميات والحربيات فيجوز التزوج بكلهن واكثر الفقها على ان ذلك مخصوص بالذمية فقط وهو مذهب ابن
عباس فانه قال من اعطى الجزية حل ومن لم يعط لم يحل لقوله تعالى حتى يعطوا الجزية واتفقوا على ان المجوس قد سن
بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم اذا اتيتموهن اجورهن فيه انه من تزوج
امراة وعزم على ان لا يعطيها صداقا كان كالزاني والزنا ضربان سفاح وهو على سبيل الاعلان واتخاذ خدن وهو على
سبيل الاسرار فحرمهما الله تعالى في الاية واحل التمتع بهن على سبيل الاحصان وهو التزويج بالشروط والاركان ثم حث على
التزام التكاليف المذكورة بقوله ومن يكفر بالايمان اي بالله وقال قتادة وبالقران لانه يجب الايمان به هذه التكاليف التي
بد منها في الايمان فقد خاب وخسر وفيه ان اهل الكتاب وان حصلت لهم فضيلة المناكحة واباحة الذبائح في الدنيا
الا ان ذلك لا يفيدهم في الاخرة لان من كفر بالله فقد حبط عمله في الدنيا ولم يصل الى شيء من السعادات في
الاخرة البتة واعلم ان القائلين بالاحباط تمسكوا بقوله فقد حبط عمله بان عقاب الكفر يزيل ما كان حاصلا له من
ثواب ماله ومنكروا الاحباط قالوا ان عمله الذي اتى به بعد ذلك الايمان قد بان انه لم يكن معتدا به وكان ضائعا

في نفسه ثم انه سبحانه لما افتتح السورة بطلب الوفا بالعقود وكان العبد قال عهد الربوبية بلي وانت اولي بتنفيذ ثم
الوفا بعهد الربوبية فاجاب الله تعالى نعم انا اولي بعهد الربوبية والكرم ومعلوم ان منافع الدنيا محصورة في نوعين
لذات المطعم ولذات المنكح فبين الحلال والحرام من المطاعم والمناكح وقدم المطعوم على المنكوح لانه اهم وعند تمام هذا البيان كانه
قال قد وفيت بعهد الربوبية فاشتغل ايها العبد بوظايف العبودية ولاسيما بالصلوة التي هي اعظم الطاعات وعقد مسايلها
ولنبين تفسير الاية على مسايل الاولى ليس المراد بقوله اذا قمتم نفس القيام والا لزم تاخير الوضوء عن الصلوة وهو
بالاجماع باطل وايضا لو غسل الاعضاء قبل الصلوة قاعدا او مضطجعا لخرج عن العهدة بالاجماع فالمراد اذا اردتم القيام
الى الصلوة واردتم ذلك ووجه هذا المجاز ان الارادة الجازمة سبب لحصول الفعل واطلاق اسم المسبب على
السبب مجاز مستفيض الثانية ذهب قوم الى ان الامر بالوضوء تبع للامر بالصلوة وليس تكليفا مستقلا لانه
شرط القيام الى الصلوة والاصح انه عبادة برأسها لان قوله فاغسلوا امر ظاهر الوجوب غايته ذلك انه مقيد بوقت التهيؤ
للصلوة وايضا انه طهارة وقد قال تعالى في اخر الاية ولكن يريد ليطهركم وقال صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة
امتي غر محجلون من اثار الوضوء يوم القيمة والاخبار الواردة في كون الوضوء سببا لغفران الذنوب كثيرة الثالثة قال
داود يجب الوضوء لكل صلوة فانه لو كان المراد قياما واحدا في صلوة واحدة لزم الاجمال اذ لا دليل على تعيين تلك المرة والاجمال
خلاف الاصل فوجب حمل الاية على العموم وايضا ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب مشعر بالعلية فيتكرر بتكرره فيجب الوضوء
عند كل قيام الى الصلوة وايضا انه نظافة فلا يكون منها بد عند الاشتغال بخدمة المعبود وقال ساير الفقهاء ان كلمة
اذا لا يفيد العموم ولهذا لو قال لامرأته اذا دخلت فانت طالق لم تطلق مرة اخرى بالدخول ثانيا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يتوضأ لكل صلوة الا يوم الفتح فانه صلى الصلوات كلها بوضوء واحد قال عمر فقلت له في ذلك فقال عمدا فعلت ذلك يا عمر
اجاب داود بان خبر الواحد لا ينسخ القران وايضا في الخبر معنيان احدهما وجوب التجديد لكل صلوة لا اقل من استحباب
ذلك الثاني انه ترك ذلك يوم الفتح والاول يوجب المتابعة والثاني مرجوح لان الفتح يقتضي زيادة الطاعة لا نقصانها
وايضا التجديد احوط وايضا دلالة ظاهر القران قولية ودلالة الخبر فعلية والقولية اقوى ولناصر المذهب المشهور ان يقول
التيمم على المتغوط والمجامع واجب اذا لم يجد الماء لقوله تعالى او جاء احد منكم من الغايط الاية وذلك يدل على ان وجوب
الوضوء قد يكون بسبب اخر سوى القيام الى الصلوة فلم يكن هو موجبا فجعله مستقلا جاز تخلف الاثر بعلم التجديد
مستحب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفا بعده كانوا يتوضؤن لكل صلوة وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر
كتب الله له عشر حسنات وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الرابعة الاصح ان في الاية دلالة
على ان الوضوء شرط لصحة الصلوة لانه علق فعل الصلوة بالطهور ثم بين انه متى عدم الماء لم يصح الصلوة الا بالتيمم
فلو لم يكن شرطا لم يكن كذلك وايضا انه امر بالصلوة مع الوضوء فالاتي بها بدون الوضوء تارك للمامور به فيستحق
العقاب وهذا معنى البقاء في عهدة التكليف الخامسة قال ابو حنيفة النية ليست شرطا في الوضوء لانها غير مذكورة
في الاية والزيادة على النص نسخ ونسخ القران بخبر الواحد بالقياس غير جائز وعند الشافعي هي شرط فيه
لان الوضوء مامور به لقوله فاغسلوا وامسحوا وكل مامور به يجب ان يكون منويا لقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
والاخلاص النية الخالصة فاصل النية يجب ان تكون معتبرة وغاية ما في الباب انها مخصوصة في بعض الصور
فيبقى حجة في غير محل التخصيص السادسة قال مالك وابو حنيفة الترتيب غير مشروط في الوضوء لان الواو لا يفيد
الترتيب فلو قلنا بوجوبه كان زيادة على النص وهو نسخ غير جائز وقال الشافعي انه واجب لان فاء التعقيب
في قوله فاغسلوا اوجب تقديم غسل الوجه ثم ساير الاعضاء على الترتيب وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
ترتيب الصفا ابدؤا بما بدأ الله به وايضا الترتيب المعتبر في الحس هو الابتداء من الراس الى القدم او بالعكس والترتيب
العقلي افراد العضو المغسول عن الممسوح ثم انه تعالى ادرج الممسوح في المغسول فدل هذا على ان الترتيب المذكور
في الاية واجب لان اهمال الترتيب في الترتيب مستقبح فوجب تنزيه كلام الله تعالى عنه وايضا ايجاب الوضوء
غير معقول المعنى لان الحدث يخرج من موضع والغسل يجب في موضع اخر ولان اعضاء المحدث طاهرة لقوله المؤمن
لا ينجس حيا وميتا وتطهير الطاهر محال وكان الشرع اقام التيمم مقام الوضوء وليس في التيمم نظافة واقام المسح

علي

على الخفين مقام الغسل وانه لا يفيد في نفس العضو نظافة والماء الكدر العفن يفيد الطهارة وماء الورد لا يفيدها فلزم
الاعتماد على مورد النص ولعل في الترتيب حكمة خفية لا نعرفها انه محض التعبد وقد اوجبنا رعاية الترتيب في
الصلوة مع ان اركان الصلوة غير مذكورة في القران مرتبة فرعاية الترتيب في الوضوء مع ان القران ناطق به اولى
السابعة قال الشافعي وابو حنيفة الموالاة في افعال الوضوء غير واجبة لان ايجاب هذه الافعال قد يشترك بين ايجابها
على سبيل الموالاة وايجابها على سبيل التراخي وهذا القدر معلوم من الاية ومفيد للطهارة والزايد لا دليل عليه وايضا روي
انه صلى الله عليه وسلم راي رجلا توضأ وترك لمعة من عقبه فامره بغسلها ولم يامره بالاستيناف ولم يبحث عن المدة الفاصلة
وعند غيرهما اشترط كيلا يتخلل بين اجزاء العبادة ما ليس منها وحد التفريق المخل بالموالاة ان يمضي من الزمان ما يجف فيه
المغسول مع اعتدال الهوا ومزاج الشخص الثامنة قال ابو حنيفة الخارج من غير السبيلين ينقض الوضوء لان ظاهر الاية
يقتضي الاتيان بالوضوء لكل صلوة كما مر ترك العمل به عند ما لم يخرج الخارج النجس من البدن فيبقى معمولا به عند خروج
الخارج النجس وخالفه الشافعي تعويلا على ما روي انه صلى الله عليه وسلم احتجم وصلى ولم يزد على غسل اثر
محاجمه التاسعة قال مالك لا وضوء في الخارج عن السبيلين اذا كان غير معتاد وسلم في دم الاستحاضة لنا التمسك بعموم
الاية العاشرة قال ابو حنيفة القهقهة في الصلوة المشتملة على الركوع والسجود تنقض الوضوء وقال الباقون لا ينقض
لابي حنيفة ان يتمسك بعموم الاية الحادية عشر قال ابو حنيفة لمس المراة وكذا المس الفرج لا ينقض الوضوء
قال الشافعي ينقض تمسكا بالعموم الثانية عشر لو كان على جسده وبدنه نجاسة فغسلها بنية الطهارة من الحدث فذلك
الغسل هل يبيح وضوءه قال في التفسير الكبير ما رأيت هذه المسألة في كتب الاصحاب قال والذي اقوله انه يكفي لانه امر بالغسل
في قوله فاغسلوا وقد اتي به والقول الظاهر انه لا يكفي لانه لا يرتفع بغسلة واحدة نجاستان حكمية وعينية وهذا بخلاف
ما لو نوى التبرد او التنظيف فان النجاسة هناك حكمية فقط الثالثة عشر ولو وقف تحت ميزاب حتى سال عليه الماء
ونوى رفع الحدث هل يبيح وضوءه يمكن ان يقال انه لم يات بفعل وان يقال نعم لانه اتي بما افضى الى المقصود وهو الانغسال
ل الرابعة عشر اذا غسل اعضاء الوضوء ثم كشط جلده فالاظهر وجوب غسله لحصول الاستتار فان ذلك الموضع غير مغسول
الخامسة عشر لو رتب الاعضاء مع سيلان الماء عليها لم يكف لانه مامور بالغسل وهذا ليس بغسل وفي
الجنابة يكفي لانه هناك مامور بالتطهير ولكن يريد ليطهركم والتطهير يحصل بالترطيب السادسة عشر لو امر الثلج
على العضو فان ذاب وسال جاز والا فلا خلافا لمالك والاوزاعي لنا فاغسلوا وهذا ليس بغسل السابعة عشر التثليث
سنة لان ماهية الغسل يحصل بالمرة الثامنة عشر السواك سنة لا واجبة لان الاية ساكتة عنه وكذا القول في التسمية
خلافا لاحمد واسحق وكذا في تقديم غسل اليدين على الوضوء خلافا لبعضهم التاسعة عشر قال الشافعي لا يجب المضمضة
في الوضوء والغسل احمد واسحق يجب فيهما ابو حنيفة يجب في الغسل لا في الوضوء حجة الشافعي انه اوجب غسل
الوجه والوجه هو الذي يكون مواجها وحده من مبتدأ تسطيح الجبهة الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن
عرضا وداخل الفم والانف غير مواجه العشرون ابن عباس يجب ايصال الماء الى داخل العين لان العين جزء من
الوجه الباقون لا يجب لقوله في اخر الاية ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وادخال الماء في العين حرج الحادي والعشرون
غسل البياض الذي بين العذار والاذن واجب عند الشافعي وابي حنيفة ومحمد خلافا لابي يوسف لنا انه واجب قبل
نبات الشعر بالاجماع فكذا بعده ولانه من الوجه والوجه يجب غسله كله الثاني والعشرون ابو حنيفة لا يجب
ايصال الماء الى ما تحت اللحية الخفيفة الشافعي يجب لقوله فاغسلوا ترك العمل به عند كثافة اللحية دفعا
للحرج فيبقى عند عدم كثافتها على الاصل الثالث والعشرون الاصح عند الشافعي وجوب امرار الماء على ظاهر اللحية
النازلة طولا والخارجة الى الاذنين عرضا لانه مواجه مالك وابو حنيفة والمزني لا يجب لا جلدتها منابت يغسل ظاهرها
بتبعيتها الرابعة والعشرون لو نبتت للمراة لحية وجب ايصال الماء الى جلدة الوجه وان كانت لحيتها كثيفة لانا تركنا
العمل بظاهر الاية في اللحية الكثيفة للرجل دفعا للحرج ولحية المراة نادرة فخصصنا الكثيفة فيبقى حكمها على
الاصل الخامسة والعشرون يجب ايصال الماء الى ما تحت الشعر الكثيف في خمسة مواضع العنفقة والحاجب
والشارب والعذار والهدب لان قوله فاغسلوا يدل على وجوب غسل كل جزء ترك العمل به في اللحية الكثيفة

ونعا المحرج وهو الشعر خفيفة غالبا فيبقى السادسة والعشرون الشعبي ما اقبل من الاذن فهو من الوجه
فيغسل وما ادبر فمن الراس فيمسح ورد بان الاذن غير مواجه اصلا السابعة والعشرون الجمهور على ان المرفقين غسلهما
يجب وخالف مالك وزفر وكذا الخلاف في قوله وارجلكم الى الكعبين والمحققون ان الى تفيد معنى الغاية مطلقا
والمراد بالغاية جميع المسافة او حقيقة النهاية ثم ان حد الشي قد يكون منفصلا عن المحدود حسا انفصال الظلمة عن
النور في قوله ثم اتموا الصيام الى الليل فيكون الحد خارجا من المحدود وقد لا يكون كذلك نحو حفظت القران من
اوله الى اخره وبعتك هذا الثوب من هذا الطرف الى ذلك الطرف فيد خل الحد في المحدود ولا شك ان المرفق وهو
موصل الذراع في العضد سمي بذلك لارتفاق صاحبها غير متميزة في الحس عن محدودها فلا يكون ايجاب الغسل الى
جزء اولى من ايجابه الى جزء اخر فوجب غسلها وان سلم ان المرفق لا يجب غسلها لكنها اسم للجانبين عظم ولا نزاع في ان ما ورا طرف
العظم لا يجب غسله بهذا الجواب اختيار الزجاج وعلى هذا مقطوع اليد من المرفق يجب عليه امساس الماء بطرف العظم وان
كان القطع ما فوق المرفقين لم يجب عليه شي لان محل هذا التكليف لم يبق اصلا الثامنة والعشرون تقديم اليمنى
واليسرى مندوب وليس بواجب خلافا لاحمد لنا انه ذكر الايدي والارجل في الاية من غير تقديم لاحدى اليدين والرجلين
التاسعة والعشرون ذهب بعضهم الى ان مبدا الغسل يجب ان يكون الكف بحيث يسيل الماء من الكف الى المرفق
لان المرفق جعلت في الاية نهاية الغسل وجمهور الفقها على ان بيان الواجب فقط ما ورد في الاخبار ان تطويل الغرة
سنة مؤكدة الثاني والثلثون مالك يجب مسح كل الراس ابو حنيفة يتقدر بالربع لانه صلعم مسح على ناصيته
وانها ربع الراس الشافعي الواجب اقل ما ينطلق عليه اسم المسح لانه اذا قال مسحت المنديل فهذا لا يصدق الا عند
مسحه بالكلية اما اذا قال مسحت يدي بالمنديل كفى في صدقه مسح اليد بجزء من اجزاء المنديل فهكذا في الاية ولا
احتيج في تعيين المقدر الى دليل منفصل ونصير الاية مجملة وهو خلاف الاصل الثالث والثلثون لا يجوز الاكتفاء
بالمسح على العمامة لان ذلك ليس مسحا للراس وقال الاوزاعي والثوري واحمد يجوز لما روي انه صلى الله عليه وسلم
مسح على العمامة واجيب بانه لعله مسح البعض على الراس والبقية على العمامة الرابع والثلثون اختلف الناس
في مسح الرجلين وفي غسلهما فنقل القفال في تفسيره عن ابن عباس وانس بن مالك وعكرمة والشعبي وابي جعفر
ومحمد بن علي الباقر عليه السلام ان الواجب فيهما المسح وهو مذهب الامامية وجمهور الفقها والمفسرين على ان
فرضهما الغسل وقال داود يجب الجمع بينهما وهو قول الناصر للحق من ائمة الزيدية وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير
الطبري المكلف مخير بين المسح والغسل حجة من اوجب المسح قراة الجر في وارجلكم عطفا على برؤسكم ولا يمكن ان
يقال انه كسر على الجوار كما في قوله جحر ضب خرب لان ذلك لم يجي في كلام الفصحاء وفي السعة وايضا انه جاء
حيث لا لبس ولا عطف بخلاف الاية واما القراءة بالنصب فيكون العطف على محل برؤسكم حجة الجمهور اخبار وردت
بالغسل وبان فرض الرجلين محدود الى الكعبين والتحديد انما جاء في الغسل لا في المسح والقوم اجابوا بان اخبار القران
لا يفسخه بالمنع في محل النزاع ثم زعم الجمهور ان قراة النصب ظاهرة في العطف على مغسول فاغسلوا فان كان البعد من
اسهلها وقراة الجر تنبيه على وجوب الاقتصاد في صب الماء لان الارجل تغسل بالصب فكانت مظنة على الاسراف
الخامس والثلاثون جمهور الفقها على ان الكعبين هما العظمان الناتيان من جانبي الساق وقالت الامامية وكل من
قال بالمسح ان الكعب عظم مستدير موضوع تحت عظم الساق حيث يكون منتصل الساق والقدم كما في ارجل جميع
الحيوانات والمفصل يسمى كعبا ومنه كعوب الرمح لمفاصله حجة الجمهور انه لو كان الكعب ما ذكره الامامية لكان
الحاصل في كل رجل كعبا واحدا فكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما انه لما كان الحاصل في كل يد مرفقا واحدا
لا جرم قال الى المرافق وايضا العظم المستدير الموضوع في المفصل شي خفي لا يعرفه الا اهل العلم بتشريح الابدان
والعظمان الناتيان في طرفي الساق محسوسان لكل احد ومناط التكليف ليس الا امرا ظاهرا وبدليله ما روي انه
صلى الله عليه وسلم انه قال الصقوا الكعاب بالكعاب السادس والثلاثون الجمهور على جواز مسح الخفين خلافا للشيعة
والخوارج حجة الجمهور الاحاديث وحجة الشيعة الاية وان جواز المسح على الخفين جاء عامه فلو كانت ثابتة
مبلغ التواتر السابع والثلثون رجل مقطوع اليدين والرجلين سقط عنه هذان الفرضان وبقي عليه غسل الوجه ومسح

الراس

الراس فان لم يكن معه من يوضيه او ييممه سقط عنه ذلك ايضا لان قوله فاغسلوا وامسحوا مشروط بالقدرة عليه
فاذا فاتت القدرة سقط التكليف الثامن والثلاثون قوله سبحانه وان كنتم جنبا فاطهروا الاصل تطهروا ادغم التاء
في الطاء فاجتلبت همزة الوصل والجنابة سببان نزول المني لقوله صلى الله عليه وسلم الماء من الماء والثاني التقا الختانين
خلافا لزيد بن ثابت ومعاذ وابي سعيد الخدري لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى الختانان وجب الغسل وختان
الرجل هو الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة واما ختان المراة فان شفريها يحيطان بثلثة اشيا ثقبة في اسفل الفرج
وهو مدخل الذكر ومخرج الحيض والولد وثقبة اخرى فوق هذه مثل احليل الذكر وهو مخرج البول لا غير والثالث جلدة رقيقة
نابتة مثل عرف الديك فوق ثقبة البول وقطع هذه الجلدة هو ختانها فاذا غابت الحشفة حاذى ختانه ختانها وطلاق قوله
فاطهروا علم انه امر بتحصيل الطهارة في كل البدن والا خصت تلك الاعضا بالذكر كما في الطهارة الصغرى وعلم انه لا يجب
تقديم الوضو على الغسل خلافا لابي ثور وداود وعلم ان الترتيب غير واجب خلافا لاسحق فانه اوجب البداية باعلى البدن
وعلم ان الدلك غير واجب خلافا لمالك التاسع والثلثون لا يجوز للجنب مس المصحف خلافا لداود لنا قوله فاطهروا يدل على
ان الطهارة غير حاصلة والا لكان امرا بتطهير الطاهر وحينئذ لا يجوز له مس المصحف لقوله لا يمسه الا المطهرون
الاربعون الشافعي المضمضة والاستنشاق غير واجبان في الوضو لقوله صلى الله عليه وسلم اما انا فاحثي على راسي ثلث
حثيات فاذا انا قد طهرت ابو حنيفة هما واجبان لقوله تعالى فاطهروا والتطهير لا يحصل الا بطهارة جميع الاعضا ترك
العمل به في الاعضاء الباطنة لتعذر وداخل الفم والانف يمكن تطهيرها فيبقى داخلا في النص ولان قوله صلى الله عليه وسلم
بلوا الشعر يدخل فيه الانف لان في داخله شعرا وانقوا البشرة يدخل فيه حلقة داخل الفم الحادي والاربعون
لا يجب نقض الشعر ان لم يمنع من وصول الماء الى منابته لان المقصود التطهير وان منع وجب خلافا للنخعي الثاني والاربعون
ان كان المرض المانع من استعمال الماء حاصلا في بعض جسده دون بعض فقال الشافعي يغسل ما لا ضرر عليه ثم يتيمم للجنابة
وقال ابو حنيفة ان كان اكثر البدن صحيحا غسل الصحيح دون التيمم وان كان الاكثر جريحا يكفيه التيمم لان المرض اذا كان
حالا في بعض اعضائه فهو مريض الثالث والاربعون لو لصق على موضع التيمم لصوق يمنع وصول الماء الى البشرة
ولا يخاف من نزع ذلك اللصوق التلف قال الشافعي يلزمه نزع اللصوق حتى يصل التراب اليه اخذا بالاحوط وقال الاكثرون
لا يجب رفعا للحرج الرابع والاربعون قال الشافعي الاستنجا واجب اما بالماء او بالاحجار لقوله صلعم فليستنج بثلثة احجار
وقال ابو حنيفة اوجب عند المجي من الغائط اما الوضوء والتيمم ولم يوجب غسل موضع الحدث فدل على انه غير واجب الخامسة
والاربعون لمس المراة ينقض الوضو عند الشافعي ولا ينقضه عند ابي حنيفة وقد مرت المسئلة في سورة النساء
السادسة والاربعون لا يكره الوضو بالماء المسخن لقوله تعالى فلم تجدوا ماء وههنا قد وجدوا ماء وخالف مجاهد
السابعة والاربعون ابو حنيفة واحمد لا يكره المشمس لقوله تعالى فلم تجدوا ماء وهذا قد وجد ماء الشافعي يكره للحديث
الثامنة والاربعون لا يكره الوضوء بفضل ماء المشرك وبالماء في انية المشرك لانه واجد للماء فلا يتيمم وقد توضا النبي
صلعم من مزادة مشركة وتوضا عمر من ماء في جرة نصرانية وقال احمد واسحق لا يجوز التاسعة والاربعون يجوز
الوضوء بماء البحر لانه واجد للماء خلافا لعبد الله بن عمرو بن العاص الخمسون جوز ابو حنيفة الوضوء بنبيذ التمر في السفر
للحديث ولم يجوزه الشافعي وقال يتيمم لانه غير واجد للماء الحادي والخمسون ذهب الاوزاعي والاصم الى انه يجوز
الوضوء والغسل بجميع المايعات الطاهرة والاكثرون لا يجوز حجتهما فاغسلوا امر بمطلق الغسل وامرار المايع على العضو
غسل قال ومن حججهما ان يغسل الدمع كحلها لنا انه عند عدم الماء اوجب التيمم الثانية والخمسون الشافعي الماء المتغير
بالزعفران تغيرا فاحشا لا يجوز الوضو لان داخله يصدق عليه انه غير واجد للماء وخالف ابو حنيفة لان اصل الماء
موجود بصفة زايدة كما لو تغير وتغفن بطول المكث او بتساقط الاوراق بالاتفاق الثالثة والخمسون مالك وداود
الماء المستعمل في الوضوء بقي كما هو طهورا لانه واجد للماء وهو قديم للشافعي والقول الجديد انه طاهر غير طهور وبه قال
محمد بن الحسن وقال ابو حنيفة في اكثر الروايات انه نجس لان نجاسة الحكمية كالعينية الرابعة والخمسون
مالك اذا وقع في الماء نجاسة ولم يتغير بقي طاهرا طهورا قليلا كان او كثيرا وهو قول اكثر الصحابة والتابعين وقال
الشافعي ان كان اقل من القلتين ينجس وقال ابو حنيفة ان كان اقل من عشرة في عشرة ينجس حجة مالك انه لعد

الماء وترك العمل بهذا العموم في الماء القليل المتغير فيبقى حجة في الباقي ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا
لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه او لونه حجة الشافعي مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا
الخامسة والخمسون يجوز الوضوء بفضل ماء الجنب لانه قد اجله والجنب الماء وقال احمد واسحق لا يجوز الوضوء بفضل ماء
المرأة اذا خلت به وهو قول الحسن وسعيد ابن المسيب السادسة والخمسون اسآر السباع طاهرة مطهرة وكذا سؤر
الحمار لانه واجد للماء وقال ابو حنيفة نجسة السابعة والخمسون قال الشافعي وابو حنيفة والاكثرون لابد في التيمم
من النية لانه قال فتيمموا والتيمم عبارة عن القصد وهو النية وقال زفر لا يجب الثامنة والخمسون الشافعي لا يجوز
التيمم الا بعد دخول الصلوة لانه طهارة ضرورية ولا ضرورة قبل الوقت ابو حنيفة يجوز قياسا على الوضوء والظاهر قوله
اذا قمتم الى الصلوة يكون بعد دخول وقتها التاسعة والخمسون لا يجوز التيمم بتراب نجس لقوله تعالى صعيدا
طيبا الستون لا خلاف في جواز التيمم بدلا عن الوضوء اما التيمم بدلا عن غسل الجنابة فعن علي وابن عباس جوازه وهو قول
اكثر الفقهاء وعن ابن عمر وابن مسعود انه لا يجوز لنا ان قوله تعالى او لمستم اما يختص بالجماع او يدخل الجماع فيه الحادية
والستون الشافعي لا يجوز ان يجمع بتيمم واحد بين صلوتي فرض لان ظاهر قوله اذا قمتم يقتضي اعادة الوضوء لكل صلوة
ترك العمل به في الوضوء لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبقى في التيمم على ظاهره ابو حنيفة يجوز اداء الفرائض كالوضوء
احمد يجمع بين الفوائت ولا يجمع بين صلوتين وقتيتين الثانية والستون اذا لم يجد الماء في اول الوقت وتوقع في اخره
جاز له التيمم لان قوله اذا قمتم يدل على ان عند دخول الوقت ان لم يجد الماء جاز له التيمم وقال ابو حنيفة يؤخر الصلوة
الى اخره الثالثة والستون اذا وجد الماء بعد التيمم وقبل الشروع في الصلوة بطل تيممه لانه وجد الماء فلا يجوز له الشروع
في الصلوة بالتيمم وخالف ابو موسى الاشعري والشعبي الرابعة والستون لو فرغ من الصلوة ثم وجد الماء
لا يلزمه الخروج منها وبه قول مالك ولانه خرج عن عهدة التكليف خلافا لطاوس الخامسة والستون ولو وجد
الماء في اثناء الصلوة لا يلزمه الخروج منها وبه قول مالك واحمد لانه انعقدت صلوته صحيحة بحكم التيمم فلم يبطل صلوته
لا يصير قادرا على استعمال الماء لم يبطل صلوته بدونه وقال ابو حنيفة والثوري والمزني يلزمه الخروج لانه واجد للماء
السادسة والستون لو نسي الماء في رحله وتيمم وصلى ثم علم وجود الماء لزمه الاعادة على احد قولي الشافعي وهو قول
احمد وابي يوسف والثاني لا يلزمه وهو قول مالك وابي حنيفة ومحمد لان النسيان في حكم وكذا اذا ضل رحله في الرحال
بالطريق الاولى لان مخيم الرفقة اوسع من رحله ولو تيقن الماء في رحله واستقصى في الطلب فلم يجده وتيمم وصلى ثم
وجد فالاكثرون على انه يلزمه الاعادة لان العذر ضعيف وقيل لا لان حكمه حكم العاجز السابعة والستون لو صلى
بالتيمم ثم وجد ماء في بئر بجنبه يمكنه استعمال ذلك فان كان قد علمه اولا ثم نسيه فهو كما لو نسي الماء في رحله وان لم يكن
عالما فان كان عليها علامة ظاهرة فالاعادة والا فلا لانه كالعاجز الثامنة والستون اذا لم يكن معه ماء ولا
يمكنه ان يشتري الا بالغبن الفاحش جاز له التيمم لقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولو وهب منه الماء لزمه
القبول لان المنة فيه تسهل ولو وهب منه ثمنه لم يلزمه القبول لثقل المنة ووجود الحرج ولمثل هذا يجب قبول اعارة
الدلو لا هبته فهذه جملة المسائل الفقهية المستنبطة من الاية سوى ما مرت في سورة النساء واعلم ان قوله
سبحانه وتعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اصل معتبر في علم الفقه لانه يدل على ان الاصل في المضار الحرمة
وفي المنافع الاباحة وقد يتمسك به نفاة القياس قالوا ان كل حادثة فحكمها المفصل ان كان مذكورا في الكتاب
والسنة فذاك والا فان كان من باب المضار فالاصل فيها الحرمة وان كان من باب المنافع فالاصل فيها الاباحة
والقياس المعارض لهذين الاصلين يكون قياسا مقابلة النص فيكون مردودا اما قوله ولكن يريد ليطهركم فله
تفسيران احدهما واليه ذهب اكثر اصحاب ابي حنيفة ان عند خروج الحدث تنجس الاعضاء نجاسة حكمية فالمقصود
من هذا التطهير ازالة تلك النجاسة الحكمية وضعف بان اعضاء المؤمن لا تنجس لقوله تعالى انما المشركون نجس
ولقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن لا ينجس لا حيا ولا ميتا وبانه لو كان رطبا فاصابه ثوب لم ينجس ولو حمله انسان
وصلى لم تفسد صلوته بالاتفاق وبان الحدث لو كان يوجب نجاسة الاعضاء ثم كان يطهر الاعضاء الاربعة يوجب طهارة
كل عضو لوجب ان لا يختلف ذلك باختلاف الشرائع وبان خروج النجاسة من موضع كيف يوجب تنجس موضع اخر

وانفاقهم

وبان

وبان التيمم زيادة في التكدير فكيف يوجب النظافة والتطهير وبان المسح على الخفين كيف يقوم مقام غسل الرجلين وبان
الذي يراد ازالته ليس من الاجسام والا لكان محسوسا ولا من الاعراض لان انتقال الاعراض محال التاويل الثاني
ان المراد طهارة القلب عن صفة التمرد عن طاعة الله لان ايصال الماء والتراب الى هذه الاعضاء المخصوصة ليس يعرف فائدته
بعقلها المكلف فالانقياد لمثل هذا التكليف تعبد محض يزيل اثار التمرد ويؤكده الاخبار في ان المؤمن اذا غسل وجهه خرجت
خطاياه من وجهه وكذا القول في يديه وراسه ورجليه وليتم نعمته عليكم باباحة الطيبات الدنيوية من المطاعم والمناكح
النعمة الدينية وهي كيفية فرض الوضوء او ليتم برخصة كالتيمم وتحقق انعامه عليكم بعزايمه ثم ذكر ما يوجب عليهم
قبول تكاليفه وذلك من وجهين الاول لتذكر نعمته يعني التامل في هذا النوع الذي لا يقدر عليه غيره لان هذا النوع
وهو اعطاء نعمة الحياة والصحة والعقل والهداية والصون عن الافات والايصال الى الخيرات في الدنيا والاخرة حيث انه
يمتاز عن نعمة غيره وانه لا يقدر عليه غيره يجب تلقيه بالشكر وهو الاذعان لاوامره والانقياد لنواهيه فان قيل ذكروا
مشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانها مع تواترها وتواليها في كل لحظة ولمحة فالجواب انها لما تواليها كالامر المعتاد
صار من غاية الظهور كالامر المستور او المراد التوبيخ على عدم القيام بواجبها فكانها كالشيء المنسي الثاني ذكر الميثاق
ومعنى واثقكم به عاهدكم به عقدا وثيقا يعني ميثاق رسوله حين بايعهم تحت الشجرة وغيرها على السمع والطاعة في المحبوب
والمكروه وعن ابن عباس هو الميثاق الذي اخذه على بني اسرائيل حين قالوا امنا بالتوراة وبما فيها من البشارة بنبي اخر
الزمان ومن عرفها وقال مجاهد والكلبي ومقاتل انه اشارة الى قوله للذرية الست بربكم قالوا بلى وقال السدي هو ما ركز
في العقول من حسن هذه الشريعة وهو اختيار اكثر المتكلمين واعلم ان التكاليف وان كثرت الا انها منحصرة في نوعين
التعظيم لامر الله واليه الاشارة بقوله كونوا قوامين لله والشفقة على خلق الله وحث عليها بقوله شهداء بالقسط قال
عطا يقول لا تحاف في شهادتك اهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك اعداءك واضدادك وقال الزجاج تبينون دين الله
لان الشاهد يبين ما يشهد عليه ثم امر جميع الخلق بان لا يعاملوا احدا الا على سبيل العدل والانصاف ويتركوا الظلم والاعتساف
فقال ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم بغض قوم على ان لا تعدلوا اي فيهم فحذف للعلم ثم استانف فصرح لهم الامر بالعدل تاكيدا
فقال اعدلوا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل فقال هو اي العدل الذي دل عليه اعدلوا اقرب للتقوى اي الى
الاتقاء من عذاب الله او من معاصيه وقيل المراد سلوك سبيل العدالة مع الكفار الذين صدوا المسلمين عن البيت بان لا
تقتلوهم اذا اظهروا الاسلام او لا وان لا يرتكبوا ما لا يحل من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او نحو ذلك وفي هذا
تنبيه على ان العدل مع اعداء الله اذا كان بهذه المكانة فكيف يكون مع اوليائه واحبابه ثم ختم الكلام بوعد المؤمنين
ووعيد الكافرين وقوله لهم مغفرة بيان للوعد تقدم لهم وعدا ثم كانه قيل اي شيء ذلك فقيل لهم مغفرة او يكون وعد متضمنا
معنى قالوا فيجعل وعد واقعا على هذا القول ومن هو قادر على كل المقدورات عالم بجميع المعلومات غني عن كل الحاجات
فقد امتنع الخلف في وعده لان سبب الخلف اما جهل او عجز او بخل او حاجة وهو منزه عن الكل وهذا الوعد اليه قبل الموت
فيقبله السرور وعند سكرات الموت فيسهل عليه الشدايد وفي ظلمة القبر فيفضله نورا وفي عرصة القيامة فتزيده حبورا
والجحيم اسم من اسماء النار وهي كل نار عظيمة في مهواة كقوله قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم واصحاب الجحيم ملازموها
بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليد مدها الى البطش به عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق الناس
في العضاة يستظلون بشجرها فعلق النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه على شجرة فجاء اعرابي الى سيف رسول الله صلعم فسله ثم اقبل
عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا والنبي صلعم يقول الله فاغمد الاعرابي السيف فدعا النبي صلعم اصحابه فاخبرهم خبر
الاعرابي وهو جالس الى جنبه لم يعاقبه وقال مجاهد والكلبي وعكرمة قتل رجلان من اصحاب النبي صلعم رجلين من بني
سليم وبين النبي صلعم وبين قومهما موادعة فجاء قومهما يطلبون الدية فاتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان
وعلي رضي الله عنهم فدخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستقرضهم في عقلها فقالوا نعم يا ابا القاسم قد ان لك ان تاتينا
وتسالنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونستقرضك فنعطيك الذي تسالنا فجلس هو واصحابه فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم
لن تجدوا محمدا اقرب منه الان فجاء جبريل عليه السلام واخبره بذلك فخرج النبي صلعم وانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في قصة عسفان
حين هم الاعداء ان يوقعوا بهم فنزلت صلوة الخوف وقيل انها لم تنزل في واقعة خاصة ولكن المراد ان الكفار ابدا كانوا يريدون ايقاع

البلاد والنهب والقتل بالمسلمين فاعز الله المسلمين وقل شوكة الكفار وقوي دين الاسلام واظهره على الاديان
تاويل اخر سماع اسم الله وهو من صفات الهيبة يوجب الفنا والغيبة وسماع الرحمن الرحيم وهما من صفات اللطف
يورث البقا والقربة اوفوا ايها العشاق بالعقود الذي جرت بيننا يوم الميثاق بيوم التلاق فمن صبر على عهوده فقد فاز
بمقصوده عند بذل وجوده احلت لكم ذبح بهيمة النفس التي كالانعام في طلب المرام الا النفس المطمئنة التي تليت عليها
ارجعي الى ربك فنفرت من الدنيا لما فيها ما هي كالصيد في الحرم وانتم حرم بالتوجه الى الكعبة الوصال واحرام الشوق الى حضرة
الجلال والجمال ان الله يحكم ما يريد لمن يريد ويامر بذبح النفس اذا كانت متصفة بالبهيمية وبترك ذبحها اذا كانت مطمئنة
بذكر الحق ومتسمة بسمات الملك ثم اخبر عن تعظيم الشعائر من صدق الضماير فقال يا ايها الذين امنوا بشهود القلوب فقصد
زيارة المحبوب وخرجوا عن اوطان اوطار وسافروا عن ديار الاغيار لا تحلوا معالم الدين والشريعة ومراسم اداب الطريقة
والحقيقة وعظموا الزمان والمكان والاخوان والقاصدين كعبة الوصول الى الرحمن الذين اهدوا الله بان نفوسهم وقلدوها
بقلادة الشجرة الطيبة لياسوا عن مكر الاعداء الخبيثة واذا حللتم تممتم مناسك الوصول فاصطادوا ارباب الطلب بشبكة
الدعوة الى الله ولا يجرمنكم حسد الحساد الذين يريدون ان يصدوكم عن الحق على ان تعتدوا على الطالبين فيكونوا قطاع الطريق
عليهم في طلب الحق حرمت عليكم يا اهل الحق الميتة وهي الدنيا باسرها والدم ولحم الخنزير اي حلالها وحرامها قليلها وكثيرها
لان من الدم ما هو حلال والخنزير كله حرام والدم بالنسبة الى اللحم قليل وما اهل به اي كل طاعة هي لغير الله والمنخنقة والموقوذة
يعني القاين يخنقون انفسهم بالمجاهدات ويقذونها بالرياضات رياء وسمعة والمتردية والنطيحة الذين يتردون انفسهم
الى اسفل سافلين الطبيعة بالتناطح مع الاقران والتفاخر بالعلم والزهد بين الاخوان وما اكل السبع الظلمة المتغارسون
في جيفة الدنيا تناهش الكلاب الا ما ذكيتم بالكسب الحلال ووجه صالح يفدي صدقة للحال وما ذبح على النصب يا ذبح عليه
النفوس من المطالب الفانيه وان تستقسموا بالازلام اي يكونوا مترددين في طلب المرام فاذا انتهيتم عن هذه
المناهي تخلصتم عن هذه الدواهي فقد عاد ليلكم نهارا وظلمتكم انوارا اليوم يئس الذين كفروا من النفس وصفاتها
والدنيا وشهواتها من دينكم فلا تخشوهم واخشون فان كيدي متين اليوم اي في الازل اكملت لكم دينكم ولكن ظهر الامر
في حجة الوداع يوم عرفة واتممت عليكم نعمتي وهي اسباب تحصيل الكمال ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم فمن
اضطر في ابتلي بالتفات شي من الدنيا والاخرة غير مايل اليه للاعراض عن الحق من فترة للطالبين او وقفة للسالكين
يسالونك ماذا احل لارباب السلوك اذ الدنيا حرام على اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الله الطيبات كل ما كان شي
وملبوس يكون سببا للقيام باداء الحقوق فكلوا مما امسكن عليكم تناولوا ما اصطادت النفوس المطمئنة المعلمة بعلوم
الشريعة المودبة باداب الطريقة المنورة بانوار الحقيقة واذكروا عند تناول كل ما يرد عليكم من الامور الدنيوية
والاخروية اسم الله اي لا تتصرفوا فيه الا لله وبالله في الله اليوم يعني الذي فيه ظهر كمالية الدين الازلية وهو يوم عرفة
وهذه فايدة التكرار احل لكم الطيبات التي تتعلق بسعادة الدارين بل احل لكم التخلق بالاخلاق الطيبات وهي اخلاق
الله المنزهات عن المكيفات والكيفيات وطعام الذين اوتوا الكتاب وهم الانبيا عليهم السلام حل لكم اي غذيتم بلبان
الولاية كما غذوا بلبان النبوة وطعامكم حل لهم اي منبع لبن النبوة والولاية واحد وان كان الثدي اثنين قد علم كل اناس
مشربهم وللنبي صلعم وراء ذلك كله مشرب ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني والمحصنات من المومنات وهي ابكار
حقايق القران والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ابكار حقايق الكتب المنزلة على الامم السالفة اي التي ادرجت في
القران فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اذا اتيتموهن اجورهن وهي بذل الوجود محصنين في هذا البذل
ليكون على وجه الحق غير مسافحين على وجه الطبع ولا متخذي اخدان غير ملتفتين الى شي من الاكوان ومن يكفر
بالايمان بهذه المقامات فقد حبط عمله الذي عمل من دون المكاشفات يا ايها الذين امنوا ايمانا حقيقيا عن خطاب
الست بربكم اذا قمتم من نوم الغفلة الى الصلوة وهي معراجكم للرجوع الى مكامن قربكم فاغسلوا وجوهكم التي توجهتم بها
الى الدنيا وطلب حظوظها بالنظر الى الاغيار بما التوبة والاستغفار وايديكم الى المرافق اي اغسلوا ايديكم عن التمسك
بالدارين حتى الصديق الموافق والرفيق المرافق وامسحوا برؤوسكم ببذل نفوسكم وارجلكم الى الكعبين من طين
طينتكم والقيام بانانيتكم ولا بحي منكم ولا يجرمنكم حسد الحساد وعداوة الانذال على ان لا تعدلوا مع انفسكم

اذهم قوم من الشيطان والنفس والهوى ان يبسطوا اليهم ايديهم فكف ايديهم عنكم والله خير موفق ومعين
واذ اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني
معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله
قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار
فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا
قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع
على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ومن
الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ٢
ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك
المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك
السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت
اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم
بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض
وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من
الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير

القراءة فتنبئه حمزة وعلي والمفضل الباقون قاسية الوقف بني اسرايل للعدول عن الاصل الي
الحكاية مع اتحاد القصة نفيا للعدول عن الحكاية الي الاخبار معكم لان ما بعده ابتداء قسم محذوف جوابه لا تكفرن الانهار
السبيل قاسية لاحتمال الاستيناف والحال اي لعنام محرفين مواضعه لان ما نتلوه حال اي وقد نسوا ذكروا به العدول
عن الماضي الي المستقبل مع الواو باصفح المحسنين ذكروا به لعطف المتعقبين يوم القيمة يصنعون عن كثير مبين
لان قوله يهدي وصف للكتاب الي احسن الاية مستقيم المسيح ابن مريم الاولجميعا وما بينهما ما يشا قدير واحباره
بذنوبكم لتناهي الاستفهام الي الاخبار ممن خلق من يشاء وما بينهما للفصل بين ذكر الحال والمال المصير ولا نذير
للعطف مع وقوع العارض ونذير قدير التفسير انه سبحانه لما خاطب المومنين بذكر نعمته وميثاقه واردفه
ذكر ميثاق بني اسرايل و نقضهم اياه ثم لعنهم بسبب ذلك تحذيرا لهذه الامة مثل ما فعلوا وفعل بهم وبوجه اخر لما ذكر
غدر اليهود فانهم ارادوا ايقاع الشر بالنبي صلي الله عليه وسلم لولا دفع الله تعالى اردفه بذكر ساير فضايحهم ليعلم ان
ذلك لم يزل بجبلتهم والنقيب العريف فعيل بمعني فاعل لانه ينقب عن احوال القوم فيكون شاهدهم وضمينهم وقال
ابو مسلم بمعني مفعول يعني اختارهم علي علم بهم واصل النقب الطريق في الجبل ونقب البيطار سرة الدابة ليخرج
منها ماء اصفر والمناقب الفضايل لانها لا تظهر الا بالتنقب عنها ويقال كلب نقيب وهو ان ينقب حجرته ليلا يرتفع
صوت نباحه وانما يفعل ذلك البخلا من العرب ليلا يطرقهم ضيف قال مجاهد والكلبي والسدي ان الله تعالى
اختار من كل سبط من اسباط بني اسرايل رجلا يكون نقيبا لهم وحاكما فيهم ثم انهم بعثوا الي مدينة الجبارين
لينقبوا عن احوالهم فرأوا اجراما عظيمة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسي عليه الصلوة والسلام
ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا رجلين منهم ومعني اني معكم اي ناصركم ومعينكم والتقدير وقال الله لهم فحذف
الرابط للعلم به والخطاب للنقبا او لكل بني اسرايل والحاصل اني معكم بالعلم والقدرة فاسمع كلامكم واري
افعالكم واعلم ضمايركم واقدر علي ايصال الجزاء اليكم فهذه مقدمة معتبرة جدا في الترغيب والترهيب
ثم ذكر بعدها جملة شرطية مقدمها مركب من خمسة امور والجزاء هو قوله لاكفرن وهو اشارة الي ازالة العقاب
وقوله ولادخلنكم وهو اشارة الي ايصال الثواب واللام في لئن اقمتم موطية للقسم وفي لاكفرن جواب له ولكنه
سد مسد جواب الشرط ايضا والعزر في اللغة ومنه التادييب لانه يرده عن القبيح ولهذا قال الاكثرون معني عزرتموهم

نصرتموهم لان نصر الانسان رد اعدايه عنه ولو كان التعزير هو التوقير لكان قوله وتعزروه وتوقروه تكرارا وههنا
اسولة لم اخر الايمان بالرسل عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع ان الايمان مقدم علي الاعمال واجيب بعد تسليم
ان الواو للترتيب بان اليهود كانوا معترفين بان النجاة مربوطة باقامة الصلوة وايتاء الزكوة الا انهم كانوا مصرين
علي تكذيب بعض الرسل فذكر انه لا بد بعد الصلوة والزكوة من الايمان بجميع الرسل والا لم يكن لتلك الاعمال اثر
قلت يحتمل ان يكون التقديم والتاخير تنبيها علي ان الايمان انما ينفع معتدا به اذا اقترن
به العمل كقوله واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدي اوهو من القلب الذي يشجع عليه امن الالباس
او لعل اليهود كانوا مقصرين في الصلوة والزكوة فكان ذكرهما اهم سوال اخر ما الفايدة في قوله واقرضتم بعد قوله
واتيتم الزكوة واجيب بان الاقراض اريد به الصدقات قال الفرا ولو قال واقرضتم الله اقراضا حسنا لكان صوابا
ايضا الا انه اقيم مقام المصدر مثل وانبتها نباتا حسنا اخر ثم قال فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل
فان من كفر قبل ذلك ايضا فقد اخطاء الطريق المستقيم الذي شرعه الله لهم والجواب اضل ولكن الضلال بعد
الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم اشنع فلهذا خص بالذكر فبما نقضهم ميثاقهم بتكذيب الرسل وقتلهم
او بكتمانهم صفة محمد صلي الله عليه وسلم او بمخالفة الجملة الشروط المذكورة لعناهم قال عطا ابعدناهم من رحمتنا
وقال الحسن ومقاتل مسخناهم حتي صاروا قردة وخنازير وقال ابن عباس ضربنا الجزية عليهم وجعلنا
قلوبهم قاسية من قرا قسية فمعني القاسية ايضا الا انه ابلغ كعليم وعالم ومنه قولهم درهم قسي وردي مغشوش
لما فيه من اليبس والصلابة بخلاف الدرهم الخالص فان فيه لينا وانقيادا قالت المعتزلة معني الجعل ههنا
انه اخبر عنها بانها صارت قاسية كما يقال جعلت فلانا فاسقا او عدلا بحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة

اشد من الافتراء علي الله وتغيير كلامه ونسوا حظا نسوا نصيبا وافرا وقسطا وافيا مما ذكروا به التورية يريد ان تركهم
التورية واعراضهم عن العمل بها اغفال حظ عظيم او فسدت نياتهم فحرفوا التورية فزالت علوم منها عن حفظهم كما روي
عن ابن مسعود قد ينسي المرء بعض العلم بالمعصية وقال ابن عباس تركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم وهو الايمان بمحمد صلعم
ثم بين ان نكث العهود والغدر لم يزل عادتهم خلفا عن سلف فقال ولا تزال تطلع علي خائنة اي كالعافية والحادثة او صفة لمحذوف
مونث اي علي فعلة ذات خيانة او علي نفس او فرقة خائنة اوالتا للمبالغة مثل رجل راوية الشعر الا قليلا منهم وهم الذين
امنوا منهم كعبد الله بن سلام واشباهه او هم الذين بقوا علي الكفر من غير غدر ونقض لعهودهم فاعف عنهم واصفح بعثا علي
حسن العشرة معهم فقيل منسوخ باية الجهاد يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل المراد فاعف عن
مومنيهم ولا تواخذهم بما سلف منهم وقيل بناء علي ان القليل هم الباقون علي العهد منهم ان المراد لا تواخذهم بالصغاير
ما داموا باقين علي العهد وهذا قول ابي مسلم ان الله يحب المحسنين قال ابن عباس معناه اذا عفوت فانت محسن واذا
كنت محسنا فقد احبك الله وعلي قول ابي مسلم فالمراد بهولاء المحسنين هم القليلون الذين ما نقضوا عهد الله وفي هذا التفسير
بعد والله تعالى اعلم ثم قال ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل ومن النصاري لانهم انما سموا انفسهم بهذا الاسم ادعاء لنصرة
دين الله وهم الذين قالوا لعيسي عليه السلام نحن انصار الله وكانوا بالحقيقة انصار الشيطان حيث اختلفوا وخالفوا الحق اخذنا ميثاقهم
ان كان الضمير عايدا الي الذين قالوا فالمعني ظاهر وان عاد الي اليهود فالمعني اخذنا منهم مثل ميثاق اليهود في افعال الخير
والايمان بالرسل فاغرينا الصقنا والزمنا ومنه الغرا الذي يلصق به وغري بالشي لزمه ولصق به بينهم بين فرق النصاري
او بينهم وبين اليهود ثم دعا اليهود والنصاري الي الايمان بمحمد صلي الله عليه وسلم فقال يا اهل الكتاب ووحد الكتاب
لانه اخرج مخرج الجنس مما كنتم تخفون من الكتاب كصفة رسول الله صلي الله عليه وسلم وكصفة الرجم وهذا معجز لانه
لم يقرا كتابا وقد اخبرهم باسرار كتابهم ويعفوا عن كثير مما تخفونه فلا يبينه مما لا يليق اليه حاجة في هذا الدين وعن
الحسن ويعفوا عن كثير منكم لا يواخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور محمدا والاسلام وكتاب مبين هو القران
لابانته ما كان خافيا علي الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز ويحتمل ان يكون النور والكتاب هو القران والمغايرة
اللفظية كافية بين المعطوفين ولا شك ان القران نور معنوي يتقوي به البصيرة علي ادراك الحقايق والمعقولات يهدي
به الله اي بالكتاب من اتبع رضوانه من كان مطلوبه اتباع الدين الذي يرتضيه الله لا الذي الفه بحسب هواه سبل
السلام طرق السلامة او طرق دار السلام او سبيل دين الله ان الله هو المسيح ابن مريم بناء علي جواز الحلول فمن يملك من الله شيا
من الذي يقدر علي دفع شي من افعال الله ومنع شي من مراده وقوله ان اراد شرط جزاوه محذوف يدل عليه ما
تقدمه والمعني ان اراد ان يهلك المسيح المدعو الها وغيره فمن الذي يقدر علي ان يدفعه عن مراده ومقدوره والمراد
بعطف من في الارض علي المسيح وامه انهما من جنسهم وشكلهم في الصورة والخلقة والجسمية والتركيب وساير
العوارض فلما سلمتم كونه تعالى خالقا لغيرها وجب ان يكون خالقا لهما ومتصرفا فيهما وانما قال وما بينهما بعد ذكر السموات
والارض ولم يقل بينهن لانه اراد الصنفين او النوعين وفي قوله يخلق ما يشاء وجهان احدهما يخلق تارة من ذكر وانثي
وتارة من انثي فقط كما في حق عيسي وتارة من غير ذكر وانثي كادم عليه السلام وثانيهما ان عيسي عليه السلام اذا قدر صورة
الطير من الطين فان الله تعالى يخلق فيها اللحمية والحيوة معجزة لعيسي عليه السلام وكذا احياء الموتي وابراء الاكمه
والابرص نحن ابناء الله واحباوه قيل عليه ان اليهود لا يقولون ذلك فكيف يجوز نقل ذلك عنهم واما النصاري
فلا يقولون ذلك في حق انفسهم واجيب بان المضاف محذوف اي نحن ابناء رسل الله او اريد ان عناية الله تعالى بحالهم
اكمل واشد اعتناء الاب بالابن او اليهود زعموا ان عزير ابن الله والنصاري ان المسيح ابن الله وقد يقول اقارب
الملوك وحشمهم نحن الملوك وغرضهم كونهم مختصين بذلك الشخص الذي هو الملك عن ابن عباس ان النبي صلي الله عليه وسلم
دعا جماعة من اليهود الي دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن ابناء الله واحباوه
ومما يتلوا النصاري في الانجيل الذي لهم ان المسيح قال لهم اني ذاهب الي ابي وابيكم ثم انه سبحانه ابطل عليهم
دعواهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم فيسال ان موضع الالزام هو عذاب الدنيا وحينئذ يمكن المعارضة بوقعة
احد وبقتل احباء الله كالحسن والحسين عليهم السلام او عذاب الاخرة والقوم ينكرون ذلك ولو كان

بمجرد اخبار محمد صلعم كاذبا لكان بمجرد اخباره بانهم كذبوا في ادعاء انهم احباء الله كاذبا ويصير الاستدلال ضايعا
واجيب بان محل الالزام عذاب عاجل والمعارضة بيوم احد ساقطة لانهم وان ادعوا انهم الاحباء لكنهم لم يدعوا انهم
الابناء او عذاب آجل واليهود والنصارى يعترفون بذلك وانهم يمسهم النار اياما معدودة ويمكن ان يقال المراد مسخهم
قردة وخنازير بل هذا الجواب اولى ليكون الاحتجاج عليهم بشيء قد دخل في الوجود فلا يمكنهم الانكار بل انتم بشر ممن
خلق من خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ليس لاحد عليه حق يوجب ان يغفر له ولا قدرة تمنعه من ان يعذبه
وباقي الاية تاكيد لهذا المعنى يبين لكم في محل النصب على الحال فيجتمعان وهو الدين والشرائع وحسن حذفه
لان كل احد يعلم ان الرسول انما ارسل لبيان الشرائع او هو ما كتمتم تخفون وحسن حذفه لتقدم ذكره وان لا يقدر المبين والمعين
يبين لكم البيان وحذف المفعول اعم فائدة ومحله على فترة متعلق بجاءكم او حال اخر قال ابن عباس اي على حين فتور من
ارسال الرسل وفي زمان انقطاع الوحي وسميت المدة بين الرسولين من رسل الله فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرائع
وكان بين عيسى وبين محمد عليهما السلام خمسمائة وستون او ستمائة سنة وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف
وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي
واما العنسي فهو المتنبي الكذاب والمقصود ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وتطرق
التحريف والتغيير الى الشرائع المتقدمة وكان ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا
انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله تعالى عليهم بازاحة هذه العلة وذلك قوله ان تقولوا اي كراهة
ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم اي لا تعتذروا فقد جاءكم والحاصل ان الفترة توجب الاحتياج الى بعثة
الرسل والله قادر على ذلك لانه قادر على كل شيء فكان يجب في حكمته ورحمته ارسال الرسل في الفترات ازاحة للحجج واقامة
للبينات **التأويل** جعل في امة موسى عليه السلام اثني عشر نقيبا وجعل في هذه الامة من النجباء البدلاء اربعين
رجلا كما قال صلى الله عليه وسلم يكون في هذه الامة اربعون على خلق ابراهيم وسبعة على خلق موسى وثلثة على خلق
عيسى وواحد على خلق محمد صلعم وقال ابو عثمن المغربي البدلاء اربعون والامناء سبعة والخلفاء ثلثة وواحد قطب
والقطب عارف بهم جميعا ويشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه وهو امام الاولياء وهكذا حال الثلثة مع السبعة
والسبعة مع الاربعين فاذا انتقص من الاربعين واحد بدل مكانه من عجزهم واذا انتقص من السبعة واحد جعل مكانه
من الاربعين واذا انتقص من الاربعين واحد جعل مكانه واحد من السبعة واذا مضى القطب الذي به قوام اعداد
الخلق جعل بدله واحدا من الثلثة هكذا الى ان ياذن الله تعالى في قيام الساعة لئن اقمتم الصلوة بان تجعلها معراجك
الى الحق في درجات القيام والركوع والسجود والتشهد فبالقيام يتخلص عن حجب اوصاف الانسانية واعظمها الكبر
وهو من خاصية النار وبالركوع يتخلص عن حجب صفات الحيوانية واعظمها الشهوة وهو من خاصية الماء وبالتشهد
يتخلص عن حجب طبع الجماد واعظمها الجمود وهو خاصية التراب فاذا تخلصت من هذه الحجب فقد اقمت الصلوة مناجيا
ربك مشاهدا له كما قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه وآتيتم الزكوة بان تصرف ما زاد من روحانيتك تتعلق
القالب في سبيل الله وآمنتم برسلي استسلمتم بالكلية لتصرفات النبوة والرسالة واقرضتم الله بالوجود كله قرضا
حسنا فعوانا باخذ منكم وجودا مجازيا فانيا ويعطيكم وجودا حقيقيا باقيا كما تقول لاكفرن لاسترن بالوجود الحقيقي
عنكم سيآت الوجود المجازي ولادخلنكم جنات الوصلة تجري من تحتها انهار العناية ولا تزال تطلع على خائنة منهم لان
العصيان يجر الى العصيان فاغرينا بينهم العداوة حيث نسوا حظ الميثاق وابطلوا الاستعداد الفطري صارفا للسيع بنهار
يتجاوز بغفر لمن يشاء ويجذب من يشاء يجعل الغرائم مظهر لطفه وفضله واخرين مظهر قهره وعدله وهو اعلم بعباده ٥

واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم
ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب
الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوما

بالنوم

شي

نصف الجزء

جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان
من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب
انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق
بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس
على القوم الفاسقين **القراءة** جبارين بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو حيث كان فلا تاس بغير همز
حيث وقعت ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف **الوقوف** ملوكا جائز قد قيل لشبهة الابتداء بان ولكن كسر
الف ان للجيبة بعد القول معطوفا على الاول حتى يخرجوا منها لابتداء الشرط مع فاء التعقيب داخلون الباب لذلك غالبون مؤمنين
قاعدون الفاسقين سنة لانها تصلح ظرفا للتتيه بعده والتحريم قبله الفاسقين **التفسير** وجه النظم انه سبحانه كانه قال
اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وذكرهم موسى نعم الله وامرهم بمحاربة الجبارين فخالفوا في الكل ومن الله عليهم بامور ثلثة اولها
قوله اذ جعل فيكم انبياء وذلك انه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وثانيها قوله وجعلكم ملوكا قال السدي
اي جعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ما كنتم استعبدكم القبط وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة وفيها مياه
جارية وكان لهم اموال كثيرة وخدم يقومون بامرهم ومن كان كذلك كان ملكا وقال الزجاج الملك من لا يدخل عليه احد الا باذنه
وقيل الملك هو الصحة والاسلام والامن والقوت وقهر النفس وقيل من كان مستقلا بامر نفسه ومعيشته ولم يكن
محتاجا في مصالحه الى احد فهو ملك وقيل كان في اسلافهم واخلافهم ملوك وعظماء وقد يقال لمن حصل فيهم ملوك انهم
ملوك بمجاز وقيل كل نبي ملك لانه يملك امر امته وينفذ فيهم حكمه وثالثها وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق
البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الخوارق العظام وقيل اراد عالمي زمانهم ويروى
ان ابراهيم صلوات الرحمن عليه لما صعد جبل لبنان قال الله تعالى له انظر فما ادركه بصرك فهو مقدس وميراث لذريتك
وقيل لما خرج قوم موسى من مصر وعدهم الله اسكان ارض الشام وكانوا بنو اسرائيل يسمون ارض الشام ارض المواعيد
ثم بعث موسى عليه السلام اثني عشر نقيبا من الامناء ليتجسسوا لهم من احوال تلك الاراضي فلما دخلوا تلك البلاد
رأوا اجساما عظيمة هائلة قال المفسرون لما بعث موسى النقباء لاجل التجسس رآهم واحد من اولئك الجبارين فاخذهم
وجعلهم في كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه فقال متعجبا للملك هؤلاء يريدون قتالنا
فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم واخبروه بما شاهدتم فانصرف النقباء الى موسى واخبروه بالواقعة فامرهم ان يكتموا ما شاهدوه
فلم يقبلوا قوله الا رجلان كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف فانهما قالا هي بلاد
طيبة كثيرة النعم واجسامهم عظيمة الا ان قلوبهم ضعيفة واما العشرة الباقية فانهم اوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى
اظهروا الامتناع عن عدوهم والارض المقدسة هي المطهرة عن الافات وقيل عن الشرك وزيف بانها لم تكن وقت الجبارين
كذلك واجيب بانها كانت كذلك فيما قبل لانها كانت مسكن الانبياء ثم انها ما هي عن عكرمة والسدي وابن زيد هي اريحا
وقال الكلبي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الطور وما حوله وقيل بيت المقدس وقيل الشام ومعنى كتب الله لكم
وهبها لكم او خط في اللوح المحفوظ انها لكم وامركم بدخولها قال ابن عباس كانت هبة ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم سنهم
وقيل المراد خاص اي مكتوب لبعضهم وحرام على بعض وقيل ان الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط
لم يوجد المشروط وقيل حرم عليهم اربعين سنة فلما مضى الاربعون حصل ما كتب في قوله كتب الله لكم تقوية
لقلوب القوم وان الله سينصرهم مع ضعفهم على الجبارين مع قوتهم ولا ترتدوا على ادباركم لا ترجعوا عن الدين

لعجبهم الى الشك في نبوة موسى عليه السلام باخبار مهلكة النصبة او لان رجعوا عن الارض التي امرتم بدخولها الى التي خرجتم
منها تنقلبوا خاسرين في الاخرة بفوت الثواب ولحوق العقاب او
فترجعوا الى الذل او تؤدوا في التيه غير واصلين الى شيء من مطالب الدنيا ومنافع الاخرة والجبار فعال من جبره على الامر
بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وهو اختيار الفراء والزجاج قال الفراء لم اسمع فعالا من
افعل الا في حرفين جبار من اجبر ودراك من ادرك ويقال نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تنال الايدي
اليها والقوم كانوا في غاية القوة ونهاية العظم فخشي قوم موسى عنهم حتى قالوا على سبيل المبالغة في الاستبعاد وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون كقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال رجلان هما يوشع
وكالب من الذين يخافون الله وعصيانه انعم الله عليهما اي بالهداية والثقة بقوله والاعتماد على نصره مرفوع صفة لرجلان ويحتمل
ان يكون جملة معترضة قال القفال يجوز ان يكون المعنى في يخافون لبني اسرائيل والعائد الى الموصول محذوف تقديره
من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارين فعلى هذا الرجلان من الجبارين ادخلوا عليهم الباب مبالغة في الوعد
بالنصر والظفر كانه قال متى دخلتم باب بلدهم لم يبق منهم نافخ نار ولا ساكن دار فاذا دخلتموه فانكم غالبون علموه ظنا او
يقينا من عادة الله في نصرة رسله عامة ومن صنعه لموسى عليه السلام في قهر اعدائه خاصة وعلى الله فتوكلوا
الفاء للايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها والمعنى لما وعدكم الله النصر فلا ينبغي ان تصيروا خائفين من عظم اجسامهم
بل توكلوا على الله ان كنتم مؤمنين مقرين بوجود الاله القدير موقنين بصحة نبوة موسى انا لن ندخلها نفوا دخولهم
في المستقبل على وجه التاكيد المؤيس وزادوا في التاكيد بقولهم ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك قالت العلماء
لعلهم كانوا مجسمة يجوزون الذهاب والمجيء على الله تعالى او انهم لم يقصدوا حقيقة الذهاب كقولك كلمته فذهبت
يجيبني يريد القصد والارادة وقيل المراد بالرب اخوه هرون وسموه ربا لانه اكبر من موسى وقيل التقدير اذهب وربك
معين لك يزعمك ولكن لا يجاوبه فيزله فقاتلا ولا يبقى لقوله انت فائدة وامحمده ولا يخفى ان هذا القول منهم كفر وفسق فلهذا
قال موسى على سبيل الشكوى والبث رب اني لا املك الا نفسي واخي قال الزجاج في اعرابه وجهان الرفع على موضع
اني المعنى انا لا املك الا نفسي واخي كذلك او نسقا على الضمير في املك اي لا
املك انا واخي الا انفسنا والنصب على انه نسق على الياء اي اني واخي كذلك الا انفسنا او على نفسي اي لا املك الا
نفسي ولا املك الا اخي لان اخاه اذا كان مطيعا له فهو مالك طاعته وكانه لم يثق بالرجلين كل الوثوق فلهذا لم يذكرهما
او لعله قال ذلك تقليلا لمن يوافقه او اراد من يواخيه في الدين فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تباعد بيننا
وبينهم وتخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين او المراد فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لكل منا بما يستحق
وهو في معنى الدعاء عليهم بدليل الفاء التسبيب في قوله فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم يفتحها
الله عليهم من غير محاربة او المراد انهم يتيهون فالوا له لم دعوت علينا وندم على ما عمل فاوحى الله اليه فلا تاس اي لا
تحزن ولا تندم على القوم الفاسقين فانهم احقاء بالعذاب لفسقهم وجوز بعضهم ان يكون ذلك خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم
اي لا تحزن على قوم لم يزل مخالفة الرسل جوهرهم واعلم ان المفسرين اختلفوا في ان موسى وهارون هل بقيا في التيه ام لا
فقال قوم انهما كانا في التيه لانه دعا ان يفرق بينه وبينهم وكل نبي مجاب ولان التيه عذاب والانبياء لا يعذبون ولكن لسبب
ذلك العذاب التمرد وانهما لم يتمردا وقال آخرون انهما كانا مع القوم الا ان الله تعالى سهل عليهم ذلك العذاب كما ان النار
كانت على ابراهيم بردا وسلاما ثم من هؤلاء من قالوا ان هرون عليه السلام مات في التيه ومات موسى عليه السلام
بعده فيه بسنة ودخل يوشع عليه السلام اريحا بعد موته بثلاثة اشهر وكان ابن اخت موسى ووصيه بعد موته
ومات النقباء في التيه بغتة بعقوبات غليظة الا كالب ويوشع ومنهم من قال بقي موسى عليه السلام وخرج من التيه
وحارب الجبارين وقهرهم واخذ الارض المقدسة والله تعالى اعلم واختلفوا ايضا في التيه وهي المفازة التي تاهوا
فيها فقال الربيع مقدار ستة فراسخ وقيل تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا وقيل ستة في اثني عشر وقيل كانوا
ستمائة الف فارس ثم الاكثرون على ان قوله فانها محرمة تحريم منع كانوا يسيرون كل يوم على الاستدارة جادين حتى
اذا امسوا واصبحوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان مع ذلك نعمة الله عليهم من تظليل الغمام وانزال المن والسلوى

وعند ذلك متظاهرين كالوالد الشفيق يضرب ولده ويؤدبه ليتأدب ويتعفف ولكن لا ينقطع عنه معروفه واحسانه
ويشكل هذا القول بانه كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في ذلك القدر الصغير من المفازة سنين متطاولة بحيث لا يتفق لاحد منهم
ان يهتدي طريقا الى الخروج عنها ولو بامارات حركات النجوم فالجواب ان هذا من الخوارق التي يجب التصديق بها كسائر المعجزات التي
نستبعد وقوعها وقال بعضهم ان هذا التحريم تعبد وانه تعالى امرهم بالمكث في تلك المفازة اربعين سنة عقابا لهم على سوء
صنيعهم وعلى هذا فلا اشكال التأويل اشار موسى الروح الى القوى البدنية ادخلوا ارض القلب المقدسة التي كتبها الله
تعالى للانسان المستعد بالفطرة فهابوا تحمل اعباء المجاهدات ولزوم المخالفات والرياضات فقال لهم رجلان النفسان اللوامة
والمطمئنة انكم غالبون اذا دخلتم باب الجد والطلب فيستبدل الواحد بالتعب فلم يعبئوا ولم يتقوا فحرمهم الله تعالى ذلك عليهم اربعين
سنة وفي الاية نكتة هي ان موسى لما ظن انه يهلك نفسه ونفس اخيه ابتلاه الله في الدعاء على امته لان الملك الا انما يملك
نفسه اذا املكها عند الغضب فشتان بينه وبين من قال حين شج راسه وكسرت رباعيته اللهم اهد قومي
فانهم لا يعلمون اللهم صل عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآل كل بفضلك يا ارحم الراحمين

واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من
الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لأقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي
واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه
فقتله فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سوأة اخيه قال يا ويلتى أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي
فاصبح من النادمين من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس
او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد
جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم
تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا

به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم ۝ يريدون ان يخرجوا من النار
وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ۝ والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء
بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ۝ فمن تاب من بعد ظلمه واصلح
فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ۝ الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير ۝ ٥

القراءة لاقتلنك بالنون الخفيفة يروى المعدل عن زيد يدي اليك بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع من اجل
بكسر النون يزيد دقرا دشي بفتح النون موصولة برسلنا بسكون السين حيث كان ابو عمرو **الوقوف** بالحق على اذ
معول اذكر محذوفا لو وصل لاوهم انه معول اكل وهو محال من الاخر لاقتلنك المتقين لا اقتلنك لاحتمال اضمار اللام او الفاء
العالمين النار لاختلاف الجملتين الظالمين لاجل الفاء الخاسرين سواءة اخي لطول ما اعترض بين المعطوف والمعطوف عليه
النادمين من اجل ذلك لمكذلك لان قوله من اجل يصلح ان يتعلق بما قبله ويكتنا جميعا في الموضعين بالبينات لان ثم لترتيب
الاخبار لمسرفون من الارض عظيم عليهم لتناهي الاستثناء مع الجواب اي لا تعذبوا التائب فان الله غفور رحيم
تفلحون منهم لتناهي الشرط مع اتحاد المقصود من الكلام اليم منها لاتحاد المقصود مع اختلاف الجملتين مقيم من الله حكيم
يتوب عليه رحيم لمن يشاء قدير **التفسير** في النظم وجوه منها انه راجع الى قوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكانه
تعالى ذكر لاجل تسلية نبيه صلى الله عليه وسلم قصصا كثيرة كقصة النقبا وما انجر اليه الكلام من اصرار اهل
اهل الكتاب وتعنتهم بعد ظهور الدلائل القاطعة ثم ختمها بقصة ابني ادم وان احدهما قتل الاخر حسدا وبغيا ليعلم ان
الفضل كان محسودا بكل اوان ومنها انه عائد الى قوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان هذه القصة
وكيفية ايجاب القصاص بسببها كانت من اسرار التورية ومنها انه من تمام قوله نحن ابناؤا الله واحباؤه اي لا
ينفعهم كونهم من اولاد الانبيا مع كفرهم كما لا ينفع قابيل والمراد اتل على الناس او على اهل الكتاب خبر ابني ادم
من صلبه هابيل وقابيل تلاوة ملتبسة بالحق والصحة من عند الله تعالى او ملتبسة بالصدق موافقة ما في التورية
والانجيل او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد والتحذير من سوء عاقبة الحاسد اذ اتل عليهم وانت محق صادق
لا مبطل هازل كالاقاصيص التي لا غناء فيها اذ قربا قال في الكشاف نصب بالنباء اي قصتهم في ذلك الوقت او بدل من النبا
اي نبا ذلك الوقت على حذف المضاف والمقصود قرب كل واحد منهما قربانا الا انه جمعهما في الفعل اتكالا على قرينة الحكاية
او لان القربان في الاصل مصدر ثم سمي به ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة يروى ان ادم عليه السلام
كان يولد له في كل سنة بطن غلام وجارية فكان يزوج البنت من بطن الغلام من بطن اخر فولد قابيل وتوامته اقليما
وبعدهما هابيل وتوامته ليوذا وكانت توامة قابيل احسن واجمل فاراد ادم ان يزوجها من هابيل فابى قابيل فقال
انا احق بها وليس هذا امر الله وانما هو رايك فقال ادم لهما قربا قربانا فمن ايكما تقبل تزوجها منه فتقبل الله قربان هابيل بان نزلت
نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وقتل اخاه حسدا هذا ما عليه اكثر المفسرين واصحاب الاخبار وقال الحسن والضحاك
انهما ما كانا ابني ادم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل لقوله عز من قائل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل
ومن البين ان صدور الذنب من احد ابني ادم لا يصلح ان يكون سببا لايجاب القصاص على بني اسرائيل وزيف بان الاية
تدل على ان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم ذلك من الغراب ولو كان من بني اسرائيل لم يخف عليه قال مجاهد
اكل النار علامة الرد وجمهور المفسرين على ان ذلك علامة القبول وقيل ما كان في ذلك الوقت فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى
الله فكانت النار تنزل من السماء فتاكله وانما صار احدى القربانين مقبولا والاخر مردودا لان حصول التقوى شرط

في

في قبول الاعمال ولهذا قال تعالى حكاية عن المحق في جواب المبطل انما يتقبل الله من المتقين وذلك لانه لما كان الحسد
هو الذي حمله على توعده بالقتل فكانه قال له مالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على طاعة الله تعالى التي هي السبب في القبول
قيل في هذه القصة ان احدهما جعل قربانه احسن ما كان معه وكان صاحب غنم والاخر جعله اردأ ما كان معه وكان صاحب زرع
وقيل انه اضمر حينئذ في نفسه ان لا يزوج اخته من هابيل سواء قبل ادم ام لم يقبل فلذلك لم يكن قابيل من اهل التقوى وفي الكلام حذف فكان
هابيل قال في جواب المتوعد لم تقتلني قال لان قربانك صار مقبولا فقال هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين ثم حكى الله
سبحانه عن المظلوم انه قال لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك فذكر الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم
الفاعل مقرونا بالباء المزيدة لتاكيد النفي دلالة على انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع البتة قال مجاهد كان
اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت
وهذا الوجه قوله اني اخاف الله رب العالمين والمعنى لا ابسط يدي اليك لغرض قتلك وانما ابسط لغرض الدفع قال اهل
العلم الدافع عن نفسه يجب عليه ان يدفع بالايسر فالايسر وليس له ان يقصد القتل بل يجب عليه ان يقصد الدفع ثم ان
لم يندفع الا بالقتل جاز له ذلك ثم قال اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فسئل انه كيف يعقل ان يرجع القاتل مع اثم المقتول ولا تزر وازرة
وزر اخرى فقال ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة اي بحمل اثم قتلي واثمك الذي كان منك قبل قتلي وقال
الزجاج ترجع الى الله باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك وقال في الكشاف فانه يحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني
اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي سؤال اخر كيف جاز ان يريد معصية اخيه وكونه من اهل النار والجواب
ان هذا الكلام انما دار بينهما لما غلب على ظن المقتول انه يريد قتله وكان ذلك قبل اقدام القاتل على ايقاع القتل فكانه
لما وعظه ونصحه قال له ان كنت لا تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب هذه النصيحة فلا بد ان تترصد لقتلي في وقت غفلة وحينئذ
لا يمكنني ان ادفعك عن قتلي الا اذا قتلتك ابتداء بمجرد الظن والحسبان وهذا مني كبيرة ومعصية واذا دار الامر بين
ان اكون فاعل هذه المعصية انا وبين ان تكون انت فانا احب ان يحصل هذه الكبيرة لك لا لي ومن البين ان ارادة
صدور الذنب عن الغير في هذه الحالة لا يكون حراما بل هو عين الطاعة او المراد اني اريد ان تبوء بعقوبة قتلي ولا شك انه يجوز
للمظلوم ان يريد من الله تعالى عقاب الظالم ويروى ان الظالم اذا لم يجد يوم القيمة ما يرضي خصمه اخذ من سيئات
المظلوم وحمل على الظالم فعلى هذا يجوز ان يقال اني اريد ان تبوء باثمي الذي يحمل عليك يوم القيمة اذا لم تجد ما يرضيني
وباثمك في قتلك اياي وهذا يصلح جوابا عن السؤال الاول ايضا فطوعت له نفسه قتل اخيه وسعت ورخصت وسهلت
من طاع له المرتع واطاع اذا اتسع وله لاجل زيادة الربط كقول القائل حفظت لزيد ماله ومنهم من قال شجعته فعلت من الطوع
ان الانسان يعلم ان القتل العمد العدوان من اعظم الذنوب فهذا الاعتقاد يكون صارفا له عن فعله فلا يطاوعه النفس الامارة
حتى اذا اكثرت وساوسها انقادت لها وخضع واضافة التطويع والتزيين الى النفس لا ينافي كون الكل مضافا الى قضاء الله
تنبيه يحكى ان قابيل لم يدر كيف يقتل هابيل فظهر له ابليس واخذ طيرا وضرب راسه بحجر فتعلم ذلك منه ثم انه وجد هابيل
نائما فضرب راسه بصخرة فمات وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها
وذلك انه اول من سن القتل فاصبح من الخاسرين دنياه وآخرته لانه اسخط والديه وبقي مذموما الى يوم القيمة ثم يلقى
في النار خالدا قيل لما قتل اخاه هرب من ارض اليمن الى عدن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه
كان يخدم النار ويعبدها فبنى بيت نار وهو اول من عبد النار ويروى ان هابيل قتل وهو ابن عشرين سنة
وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم ويروى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض
فساله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث ادم بعده مائة سنة
لم يضحك وانه رثاه بشعر وهو هذا تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذي طعم ولون
وقل بشاشة الوجه المليح قال في الكشاف انه كذب بحت وقد صح ان الانبياء معصومون عن الشعر وضعفه في التفسير
الكبير فقال ان ذلك من غاية الركاكة بحيث لا يليق بالاحاد فضلا عن الافراد خصوصا من علمه حجة على الملائكة واقول
اما ان جميع الانبيا معصومون عن الشعر فلعل دعوى العموم لا يمكن فيه فكانه من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم ولهذا اثنى الله تعالى بقوله وما علمناه الشعر فكمال دعوى العموم لا يمكن فيه فكانه من خصائصه وما ينبغي له واما

شعر آدم عليه السلام

انه من الركاكة بالحيثية المذكورة لمكانه مع ان مقام البث والشكوى لا يحتمل الشعر المصنوع له والله اعلم
بحقيقة الحال قال المفسرون انه لما قتله تركه لا يدري ما يصنع به ثم خاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره
سنة حتى تغير فبعث الله غرابا يبحث في الارض وقال الاكثرون انه بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره [illegible] ثم القاه
في الحفرة فتعلم من الغراب وقال الاصم لما قتله وتركه بعث الله غرابا يحثي على المقتول فلما رأى القاتل ان الله تعالى
كيف يكرمه بعد موته ندم وقال ابو مسلم عادة الغراب دفن الاشياء فجاء غراب فدفن شيئا فتعلم ذلك منه ليريه اي
الله او الغراب اي ليعلمه وذلك انه كان بسبب تعليمه فكيف يواري محله نصب على الحال من ضمير ... يواري والجملة
منصوبة بيري مفعولا ثانيا اي ليريه كيفية مواراة سوأة اخيه اي عورته وما لا يجوز ان ينكشف من جسده وقيل
اي جيفة اخيه والسوأة الخلة القبيحة يا ويلتى كلمة عذاب يقال ويل له وويله ومعناه الدعاء بالهلاك وقد
تقال في معرض الترحم وانما طلب اقبال الويل هيهنا على سبيل التعجب والندبة اي احضر حتى تتعجب منك ومن فظاعتك
واحضر فهذا اوان حضورك والالف بدل من ياء المتكلم اعجزت استفهام بطريق الانكار ان اكون اي عن ان اكون
مثل هذا الغراب اي في الفعلة المذكورة ولهذا قال فاواري بالنصب على جواب الاستفهام من النادمين
الندم وضع اللزوم ومنه النديم لملازمته المجلس وانما لم يكن توبة لانه لما تعلم الدفن من الغراب صار من النادمين
على انه حمله على ظهره سنة او ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله بل سخط ابواه واخوته او ندم لانه تركه بالعراء
تهاونا وكان دون الغراب في الشفقة على مقتوله حتى صار الغراب دليلا وقد قيل اذا كان الغراب دليل قوم من اجل
ذلك اي بسبب ذلك القتل قيل هو من اجل شيء تاجله اجلا اذا اجاءه كتبنا على بني اسرائيل ان كان القاتل والمقتول
من بني اسرائيل فالمناسبة بين الواقعة وبين وجوب القصاص عليهم ظاهرة وان كانا ابني ادم من صلبه فالوجه
ان تكون ذلك اشارة الى ما في القصة من انواع المفاسد كخسران الدارين وكالندم على الامور المذكورة اي من اجل
ما ذكرنا في اثناء القصة من المفاسد الناشئة من القتل العمد العدوان شرعنا القصاص في حق القاتل ثم في
وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور في الاية ان قتل النفس الواحدة
جار مجرى قتل جميع الناس غير ثابت الا على بني اسرائيل والغرض بيان قساوة قلوبهم فانهم مع علمهم بهذا الحكم
اقدموا على قتل الانبياء والرسل فيكون فيه تسلية لرسول الله صلعم في الواقعة التي عزموا فيها على قتله ثم القائلون
بالقياس استدلوا بالاية على ان احكام الله تعالى قد تكون معللة بالعلل لانه صرح بان الكتبة معللة بتلك المعاني
المشار اليها بقوله من اجل ذلك والمعتزلة ايضا قالوا انها دلت على ان الاحكام معللة بمصالح العباد ويلزم منه
امتناع كونه تعالى خالقا للكفر والقبائح لان ذلك ينافي مصلحة العبد والاشاعرة شنعوا عليهم بلزوم الاستكمال
والتحقيق ان استتباع الفعل الغاية الصحيحة لا ينافي الكمال الذاتي وقد سبق مرارا بغير نفس اي بغير قتل نفس وهو
ان لا يقع على وجه الاقتصاص او فساد قال الزجاج انه معطوف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض كالكفر
بعد الايمان وكقطع الطريق وغيره من المهلكات فكانما قتل الناس جميعا وههنا نكتة وهي ان التشبيه لا يستدعي
المساواة بين المشبه والمشبه به من كل الوجوه فلا يكون قتل النفس الواحدة كقتل جميع الناس فان الجزء لا يعقل انه مساو
للكل فالغرض استعظام امر القتل العمد العدوان واشتراك القاتلين في استحقاق الاثم كما قال مجاهد قاتل النفس
جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يرد على ذلك والتحقيق فيه انه اذا قدم على
القتل العمد العدوان فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية الطاعة واذا ثبت الترجيح بالنسبة الى الواحد
ثبت بالنسبة الى كل واحد بل بالاضافة الى الكل لان كل انسان يدلي من الكرامة والحرمة بما يدلي به الآخر وفيه ان
حث الناس واجتهادهم في دفع قاتل شخص واحد يجب ان يكون مثل جهدهم في دفعه لو علموا انه يقصد قتلهم باسرهم
ومن احياها استنقذها من مهلكة كحرق او غرق او جوع مفرط ونحو ذلك والكلام في تشبيه احياء البعض باحياء
الكل كما تقرر في القتل ثم ان كثيرا منهم اي من بني اسرائيل بعد ذلك وبعد مجيء الرسل لمسرفون في القتل لا يبالون
بهتك حرمته ومعنى ثم تراخي الرتبة ثم انه سبحانه بين ان الفساد في الارض الموجب للقتل ما هو فقال انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله استدل بالاية من جوز ارادة الحقيقة والمجاز معا من لفظ واحد لان محاربة الله عبارة

عن المخالفة فقط ولا يمكن حملها على حقيقة المحاربة ويحتمل ان يقال انما حملت هذه المحاربة على مخالفة الامر والتكليف والتقدير
انما جزاء الذين يخالفون احكام الله واحكام رسوله او المراد انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله واولياء رسوله كما جاء في الخبر
من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ويسعون في الارض فسادا نصب على الحال اي مفسدين او على العلة اي للفساد
او على المصدر الخاص نحو رجع القهقرى لان فسادا نوع من السعي عن قتادة عن انس ان الاية نزلت في العرنيين الذين
قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم وامر بقطع
ايديهم وارجلهم ثم سمل اعينهم وتركهم حتى ماتوا فكانت الاية ناسخة لتلك السنة وعند الشافعي لما لم يجز نسخ السنة
بالقران كان الناسخ لتلك السنة سنة اخرى ونزل هذا القران مطابقا للسنة الناسخة وقيل نزلت في قوم ابي بردة الاسلمي
وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فمر بهم قوم من كنانة يريدون الاسلام وابو بردة غائب فقتلوهم واخذوا
اموالهم وقيل انها في بني اسرائيل الذين حكى الله عنهم انهم مسرفون في القتل وقيل في قطاع الطريق من المسلمين
وهذا قول اكثر الفقهاء قالوا ولا يجوز حمل الاية على المرتدين لان قتل المرتد لا يتوقف على المحاربة واظهار الفساد في الارض
وانه لا يجوز الاقتصار في المرتد على قطع اليد او النفي لان حده يسقط بالتوبة قبل القدرة عليه وبعدها ولان الصلب
غير مشروع في حقه ولان اللفظ عام وشرطوا في هذا المحارب بعد كونه مسلما مكلفا ان يكون معه القوة في المغالبة
مع البعد عن الغوث فيخرج الكفار والمراهقون والمعتمد على الهرب وكذا المتعرض للقادر على الاستغاثة بمن يغيثه
واتفقوا على ان هذه الحالة اذا حصلت في الصحرا كان قاطع الطريق واما في نفس البلد فكذلك عند الشافعي لعموم النص
وخالف ابو حنيفة ومحمد لانه يلحقه الغوث في الغالب فحكمه حكم السارق وللعلماء في لفظ او في الاية خلاف فعن ابن عباس
في رواية علي بن ابي طلحة وقول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد انها للتخيير ان شاء الامام قتل وان شاء صلب وان
شاء قطع الايدي والارجل وان شاء نفى وعنه في رواية عطا ان الاحكام تختلف بحسب الجنايات فمن اقتصر على القتل قتل
ومن قتل واخذ نصاب السرقة قتل وصلب ومن اقتصر على اخذ المال قطع يده ورجله من خلاف ومن اخاف السبيل ولم ياخذ
المال نفي من الارض واليه ذهب الشافعي والاكثرون والذي يدل على ضعف القول الاول انه ليس للامام الاقتصار على النفي
بالاجماع ولان هذا المحارب اذا لم يقتل ولم ياخذ المال فقد هم بالمعصية ولم يفعل وهذا لا يوجب القتل كالعزم على سائر
المعاصي فتقدير الاية ان يقتلوا او يصلبوا ان جمعوا بين القتل والاخذ او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اقتصروا على
الاخذ والتشديد في هذه الافعال للتكثير او ينفوا من الارض ان اخافوا السبيل والقياس الجلي يؤيده ايضا ويؤيد هذا التفسير
لان قتل العمد العدوان يوجب القتل فغلظ ذلك في قاطع الطريق بالتحتم وعدم جواز العفو واخذ المال يتعلق به قطع اليد
فغلظ في حقه بقطع الطرفين من خلاف اي يده اليمنى ورجله اليسرى فان عاد فاليسريان قيل وانما قطع هكذا لئلا يفوت
جنس المنفعة قلت هذا ايضا من باب التغليظ لان اليد اليمنى اعون في العمل والرجل اليسرى اعون في الركوب وان جمعا
بين القتل والاخذ يجمع بين القتل والصلب لان بقاءه مصلوبا في ممر الطريق اشهر وازجر وان اقتصر على مجرد الاخافة اقتصر
الشرع على عقوبة خفيفة هي النفي قال ابو حنيفة اذا قتل واخذ المال فالامام مخير بين ان يقتل فقط او يقطع ثم يقتل
ويصلب وعند الشافعي رضي الله عنه لابد من الصلب لاجل النص وكيفية الصلب ان يقتل ويصلى عليه ثم يصلب مكفنا
ثلثة ايام وقيل يترك حتى يتهرى او يسيل صديده اي صليبه وهو الودك وعند ابي حنيفة يصلب حيا ثم يزج
بطنه برمح حتى يموت او يترك بلا طعام وشراب حتى يموت جوعا ثم اذا نزل غسل وكفن وصلي عليه ودفن وان ترك
حتى يتهرى فلا غسل ولا صلوة اما النفي فان الشافعي حمله على معنيين احدهما انهم اذا قتلوا واخذوا المال فالامام ان ظفر
بهم اقام عليهم الحدود وان لم يظفر بهم طلبهم ابدا فكونهم خائفين من الامام هاربين من بلد الى بلد هو المراد من النفي الثاني
الذين يحضرون الواقعة ويعينون بتكثير السواد واخافة المسلمين ولكنهم ما قتلوا وما اخذوا المال فالامام
ياخذهم ويعزرهم ويحبسهم فيكون المراد بنفيهم هو هذا الحبس قال ابو حنيفة واحمد واسحق النفي هو الحبس لان
الطرد على جميع الارض غير ممكن والى بلد اخرى استضرار بالغير والى دار الكفر تعريض للمسلم بالردة فلم يبق
الا ان يكون المراد الحبس لان المحبوس لا ينتفع بشيء من طيبات الدنيا فكانه خارج منها ولهذا قال صالح بن عبد القدوس
حين حبس على تهمة الزندقة وطال لبثه: خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها * فلسنا من الاموات فيها ولا الاحيا اذا جاءنا

السجان بو ثالحاجة عجيا وقلنا جاء هذا من الدنيا ذلك لهم خزي ذل وفضيحة في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب
عظيم استدل المعتزلة بها على القطع بوعيد الفساق وعلى الاحباط وقالت الاشاعرة بل بشرط عدم العفو الا انه
تابوا قال الشافعي ان تاب بعد القدرة عليه لم يسقط عنه ما يختص بقطع الطريق من العقوبات لانه منهم حينئذ يدفع
العذاب عنه وفي ساير الحدود بعد القدرة عليه قبل يكفي التوبة اظهارا كما يكفي اظهار الاسلام تحت ظلال السيوف
والاصح انه لابد مع التوبة من اصلاح العمل لقوله تعالى في الزنا فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وفي السرقة فمن تاب من
بعد ظلمه واصلح ولعل الفايدة في هذا الشرط انه ان ظهر ما خالف التوبة اقيم عليه الحد وانما يسقط بتوبة قاطع الطريق
قبل القدرة عليه تحتم القتل فالولي نقيض ان يعفوا بناء على ان عقوبة قاطع الطريق لا تتمحض حدا بل يتعلق بها القصاص
وهو الاظهر اما اذا تممناه حدا فلا شيء عليه وان كان قد اخذ المال سقط عنه قطع الرجل وفي قطع اليد وجهان
الاظهر السقوط ايضا بناء على انه جزء من الحد الواجب فاذا لم يبق الكل لم يبق شيء من اجزائه بالاتفاق والثاني
انه ليس من خواص قطع الطريق لانه يجب بالسرقة ففي جواز الخلاف في ساير الحدود ثم انه سبحانه لما بين كما لجسارة
اليهود على المعاصي وغاية بعدهم عن الوسايل الى الله واراد الكلام الى ما له عاد الى ارشاد المؤمنين ليكونوا بالضد
منهم فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وايضا فانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه اي نحن
ابناء الانبيا وكان افتخارهم باعمال ابائهم فقيل للمؤمنين ليكن مفاخرتكم باعمالكم لا باسلافكم فقوله واتقوا
الله اشارة الى ترك المنهيات وقوله وابتغوا اليه الوسيلة عبارة عن فعل المامورات وان كان ترك المناهي ايضا من
جملة الوسايل الا ان هذا التقرير يناسب والفعل والترك ايضا يعتبران في الاخلاق الفاضلة والذميمة وفي الافكار
الصايبة والخاطئة واهل التحقيق يسمون الترك والفعل بالتخلية والتحلية او بالمحو والصحو او بالنفي والاثبات
او بالفنا والبقا والاول مقدم على الثاني فمالم يفن عما سوى الله لم يرزق البقا بالله والوسيلة فعيلة وهي كل ما يتوسل
به الى المقصود ولهذا قد يسمى السرقة والوسل الراغب الى الله قال لبيد بل كل ذي لب الى الله واسل التوسل واحد
ويقال وسل الى ربه وسيلة وتوسل اليه بوسيلة اذا تقرب اليه بعمل قالت التعليمية انه تعالى امر بابتغاء الوسيلة
اليه فلا بد من معلم يعلمنا معرفته واجيب بان الامر بالابتغاء موخر عن الايمان لقوله يا ايها الذين امنوا فعلمنا ان المراد بالوسيلة مسائل
هي العبادات الطاعات لم ان ترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي لما كان شاقا على النفس ثقيلا على الطبع لان العقل يدعوا
الى خدمة الله والنفس تدعوا الى اللذات الحسيات والجمع بينهما كالجمع بين الضدين اردفا التكليف المذكور بقوله
وجاهدوا في سبيله والمراد بهذا القيد ان يكون العبادة لاجله لا لعرض سواه وهذه مرتبة السابقين ثم قال لعلكم تفلحون
والفلاح اسم جامع للخلاص من المكروه والفوز بالمحبوب وهذه دون الاولى لان عرضه الرغبة في الجنة والهرب من النار وكلتا
المرتبتين مرضية ثم اشار الى مرتبة الناقصين بقوله ان الذين كفروا وخبران مع الجملة الشرطية وهي قوله لو ان لهم
ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به اي بالمذكور والواو بمعنى والعامل في المفعول معه وهو المثل ما في ان من معنى الفعل
اي لو ثبت من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم والغرض التمثيل بان العذاب لازم لهم وقد مر مثله في سورة ال عمران
وعن النبي صلعم يقول للكافر يوم القيمة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال قد سئلت
ايسر من ذلك يريدون ان يخرجوا اي يتمنون الخروج من النار ويقصدون ذلك قيل اذا رفعهم لهب النار الى فوق فهنالك يتمنون
الخروج وقيل يكادون يخرجون منها لقوتها ورفعها اياهم عمم المعتزلة هذا الوعيد في الكفار وفي الفساق وخصصه
الاشاعرة بالكفار لدلالة الاية المتقدمة ثم انه تعالى عاد الى تتميم حكم اخذ المال من غير استحقاق وهو الماخوذ على سبيل الخفية
لا المحاربة فقال والسارق والسارقة وهما مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه والاخفش والتقدير فيما فرض
او فيما تتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمها وعند الفراء واختيار الزجاج ان الالف واللام بمعنى الذي وخبرهما فاقطعوا
بدخول الفاء لتضمنها معنى الشرط كانه قيل الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما وقراءة عيسى ابن عمر بالنصب وفضلها
سيبويه على القراءة المشهورة لان الانشاء لا يحسن ان يقع خبرا الا باويل واما اذا نصبت فانه يمكن من باب
الاضمار على شريطة التفسير والفاء يكون سوذنا ثم ما قبلها وما بعدها مترادفان ولكنه ضعف قول سيبويه بانه
طعن في قراءة واطبق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجيح للقراءة الشاذة وفيه ما فيه على الاضمار الذي ذهب اليه

وهو خلاف الاصل الذي مال اليه الفراء دل على العموم وافق لقوله سبحانه جزاء بما كسبا فانه صريح بان المراد من الكلام الاول
هو الشرط والجزاء اما البحث المعنوي في الاية فان كثيرا من الاصوليين زعموا انها مجملة ولم يتبين نصاب السرقة وذكر الايدي
وبالاجماع لا يجب قطع اليدين ولان اليد يقع على الاصابع بدليل انه من حلف لا يلمس فلانا بيده فلمسه باصابعه فانه يحنث ويقع
على الاصابع مع الكف وعلى الاصابع والكف والساعدين الى المرفقين وعلى كل ذلك الى المنكبين وايضا الخطاب في فاقطعوا
اما الامام او الزمان فانه كما هو مذهب الاكثرين او لمجموع الامة او لطايفة مخصوصة فثبت بهذه الوجوه ان الاية مجملة وقال المحققون مقتضى
الاية ما ليتما في تقدير القرا عموم القطع بعموم السرقة الا ان السنة خصصته بالنصاب او تقول ان اهل اللغة لا يقولون لمن اخذ حبة
بانه سارق والمراد بالايدي اليدان مثل فقد صغت قلوبكما وقد انعقد الاجماع على انه لا يجب قطعهما معا ولا الا الابتداء باليسرى واليد
اسم موضوع لهذا العضو الى المنكب ولهذا ابيد في قوله وايديكم الى المرافق وقد ذهب الخوارج الى وجوب قطع اليدين الى المنكبين
لظاهر الاية الا ان السنة خصصته بالكوع والحاصل ان الاية عامة لكنها خصت بدليل منفصل فيبقى حجة في الباقي وهذا اولى
من جعلها مجملة غير مفيدة اصلا ثم ان جمهور الصحابة والفقها ذهبوا الى ان القطع لا يجب الا عند شروط كالنصاب والحرز وخالف
ابن عباس وابن الزبير والحسن وداود الاصفهاني والخوارج تمسكا بعموم الاية ولان مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة
فالذي يستقله الملك يستكثره الفقير وقد قال الشافعي لو قال لفلان على مال عظيم ثم فسره بالحبة يقبل لاحتمال انه يريد انه عظيم في
الحل او عظيم عنده لشدة فقره ولما طعنت الملحدة في الشريعة بان اليد كيف تقطع في قليل مع ان فيها خمسمائة دينار من
الذهب اجيب عنه بان ذلك عقوبة من الشارع له على دناءة واذا كان هذا الجواب مقبولا من الكل فليكن مقبولا
منا في ايجاب القطع على القليل والكثير وايضا اختلاف المجتهدين في قدر النصاب كما يجي يدل على ان الاخبار المخصصة
عندهم متعارضة فوجب الرجوع الى ظاهر القران ودعوى الاجماع على ان القطع مخصوص بمقدار معين غير مسموعة لخلاف
بعض الصحابة والتابعين كما قلنا واعلم ان الكلام في السرقة يتعلق باطراف المسروق ونفس السرقة والسارق اما المسروق
فمن شروطه عند الاكثرين ان يكون نصابا ثم قال الشافعي رحمه الله ربع دينار من الذهب الخالص وما سواه يقوم به وهو مذهب الامامية الشافعي
لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا قطع الا في ربع دينار وقال ابو حنيفة النصاب عشرة دراهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال لا قطع الا في ثمن المجن والظاهر ان ثمن المجن لا يكون اقل من عشرة دراهم وقال مالك ربع دينار او ثلثة دراهم وعن احمد روايتان
كالشافعي وكمالك وقال ابن ابي ليلى خمسة دراهم وعن الحسن درهم وفي مواضع اخرى من قطع يدك في درهم ومنها
ان يكون المسروق ملك غير السارق لدى الاخراج من الحرز فلو سرق مال نفسه من يد غيره كيد المرتهن والمستاجر او طرا الملكه
في المسروق قبل اخراجه من الحرز بان ورثه السارق او اتهبه وهو في سقط القطع ومنها ان يكون محرما كالخمر والخنزير ومنها
ان يكون الملك تاما قويا والمراد بالتمام ان لا يكون للسارق فيه شركة ولا حق كمال بيت المال وبالقوة ان لا يكون ضعيفا
كالمستولدة والوقف ومنها كون المال خارجا عن شبهة استحقاق السارق فلو سرق رب الدين من مال المديون فان
اخذه لا على قصد استيفاء الحق او على قصده والمديون غير جاحد ولا مماطل قطع وان اخذه على قصد استيفاء
الحق وهو جاحد او مماطل فلا يقطع سواء اخذ من جنس حقه او لا من جنسه واذا سرق احد الزوجين من مال الاخر كان
المال محرزا عنه فعند ابي حنيفة لا يجب القطع وعند الشافعي ومالك واحمد يجب ومنها كون المال محرزا لقوله صلى الله عليه
وسلم لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فاذا اواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن والحرز لكل شيء على حسب حاله
فالاصطبل حرز للدواب وان كانت نفيسة وليس حرزا للثياب والنقود والصفة في الدار وعرصتها حرزان للاواني وثياب
البذلة دون الحلي والنقود فان المعادة فيها الاحراز في الصناديق والخزاين وعند ابي حنيفة ان ما هو حرز لمال فهو حرز
لكل مال واما السرقة فهي اخراج المال عن الحرز وان يكون محرزا ولا بد من شرط الخفية فلا قطع على المختلس والمنتهب المعتمد على القوة
ولا على المودع اذا جحد خلافا لاحمد واما السارق فيشترط فيه التكليف والتزام الاحكام والاختيار فيقطع الذمي والمعاهد
ولا يقطع المكره وانما يثبت السرقة بثلث حجج باليمين المردودة او بالاقرار او بشهادة رجلين ويتعلق بها حكمان الضمان
والقطع وقال ابو حنيفة القطع والغرم لا يجتمعان حجة الشافعي قوله صلى الله عليه وسلم على اليد ما اخذت حتى ترد
يوجب الضمان وقد اجتمع في هذه السرقة امران حق الله لا يمنع حق العباد ولهذا يجتمع الجزاء والقيمة في الصيد المملوك
ولو كان المسروق باقيا وجب رده بالاتفاق حجة ابي حنيفة قوله تعالى جزاء بما كسبا والجزاء هو الكافي فهذا القطع كاف

في جناية السرقة ويرد بلزوم السرقة عندكونه ثانيا اما كيفية القطع اسا انه صلى الله عليه وسلم اتي بسارق فقطع
يمينه قال الشافعي فان سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان سرق ثالثا يده اليسرى فان سرق رابعا رجله
اليمنى وبه قال مالك ويروى ذلك عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند ابي حنيفة واحمد لا يقطع في
الثانية وما بعدها لما روي عن ابن مسعود انه قرا فاقطعوا ايمانهما وضعفه الشافعي بان القراءة الشاذة لا تعارض
ظاهر المقتضي لتكرار القطع بتكرر السرقة واتفقوا على انه يقطع اليد من الكوع والرجل من المفصل بين الساق
والقدم والسيد يملك اقامة الحد على مماليكه لعموم قوله فاقطعوا ولم يجوزها ابو حنيفة واحتج المتكلمون بالاية في انه
يجب على الامة نصب الامام لان هذا التكليف لا يتم الا به وما لا يتم الواجب الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب
وهو انتصاب جزاء ونكالا على انه مفعول لهما والعامل اقطعوا وان شئت فعلى المصدر من الفعل الذي دل عليه
فاقطعوا اي جزوهم ونكلوا بهم جزاء بما كسبا نكالا من الله فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح اي
يتوب بنية صالحة وعزيمة صحيحة خالية عن الاعراض الفاسدة فان الله يتوب عليه وعند بعض الائمة يسقط القطع
ايضا وعند الجمهور لا يسقط وما في الايات قد مر تفسيره واما قدم التعذيب على المغفرة طباقا لتقدم السرقة على التوبة
التاويل ان ادم الروح بازدواجه مع حواء القالب ولد قابيل النفس وتوامته اقليما الهوى ثم هابيل القلب وتوامته
البوذ العقل فكان الهوى في غاية الحسن في نظر النفس فيه تميل الى الدنيا ولذاتها وكان في نظر العقل ايضا في غاية
الحسن فيه تميل الى طلب المولى وكان العقل في نظر النفس في غاية القبح لانها به تتزجر عن طلب الدنيا وشهواتها وكذا
في نظر العقل ايضا في غاية الحسن فيه تميل الى طلب المولى وكان العقل في نظر النفس في غاية القبح وكذا في نظر القلب
لانها بالعقل تمتنع عن طلب الحق والفنا في الله ولهذا قابيل العقل عقيلة الرجال فحرم الله تعالى الازدواج بين التوامين
لان الهوى اذا كان قرين النفس اتى بها اسفل سافلين الطبيعة واذا كان قرين القلب كان عشقا فيوصله الى اعلى فراد
القرب واذا كان العقل قرين القلب صار عقالا له واذا كان قرين النفس حرصها على العبودية فرضي هابيل القلب وسخط
قابيل النفس وكان صاحب زرع اي مدبر النامية وهي القوة النباتية فقرب طعاما من اردا زرعه وهي القوة الطبيعة
وكان هابيل القلب راعيا المواشي الاخلاق الانسانية والصفات الحيوانية فقرب الصفة البهيمية وهي احب الصفات
اليه لاحتياجه اليها ضرورة التغذي والبقا ولسلامتها بالنسبة الى الصفات السبعية والشيطانية في ضعفها بانها
على جبل البشرية ثم دعا ادم الروح فنزلت نار المحبة من سماوات الجبروت فحملت الصفة البهيمية لانها حطب هذه النار
ولم تاكل من قربان قابيل النفس شيئا لانها ليست من حطبها بل هي حطب نار الحيوانية فتبوء باثمي واثمك اي اثم وجودي
واثم وجودك فان الوجود حجاب بيني وبين محبوبي فقتل قابيل النفس هابيل القلب والنفس اعدى عدو القلب فاصبح
من الخاسرين اما في الدنيا فبالحرمان عن الواردات والكشوف واما في الاخرة فبالبعد من جانب الوصول فبعث الله
غرابا هو الحرص في الدنيا ليشتغل بذلك عن فعلتها وفي تعليم الغراب اشارة الى انه تعالى قادر على تعليم العبادبای
طريق شاء ونزول تعجب الملائكة والرسل باختصاصهم بتعليم الخلق في الارض لمسرفون اي في الارض البشرية انما جزاء
الذين يحاربون اولياء الله ان يقتلوا بسكين الخذلان او يصلبوا بحبل الهجران على جذع الحرمان او تقطع ايديهم عن اذيال الوصال
وارجلهم من خلاف عن الاختلاف او ينفوا من ارض القربة والائتلاف يا ايها الذين امنوا اتقوا الله جعل الفلاح الحقيقي
في امور ثلاثة في الايمان هو اصابة رشاش النور في بدو الخلقة وبه يخلص العبد من ظلمة الكفر وفي التقوى وهو
منشاء الاخلاق المرضية ومنبع الاعمال الشرعية وبه الخلاص عن ظلمة المعاصي وفي ابتغاء الوسيلة وهو افناء الناسوتية
في بقاء اللاهوتية وبه يخلص عن ظلمة اوصاف الوجود وفي الجهاد في وسيلة وهو محو الانانية في اثبات الهوية وبه
يخلص من ظلمة الوجود ويظفر بنور الشهود وما هم بخارجين منها لانهم خلقوا مظاهر القهر السارق والسارقة كانا مقطوعي
الايدي عن قبول رشاش النور فكان قطع ايديهما اليوم الى الشباب الشقاوة من نتائج قصر ايديهما من نيل تلك السعادة
جزاء بما كسبا الان في عالم الصور نكالا من الله تقديرا منه في الازل والله اعلم بالصواب

يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم

ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين
يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا
ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان
يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم سماعون للكذب
اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم
فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين
وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما
اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون
الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا
عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن
لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس
والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن
تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون و
قفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه
الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون

القراءة السحت بضمتين ابن كثير الباقون بسكون العين واخشوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب
وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل والعين وما بعده بالرفع علي ووافق ابو عمرو وابن كثير
وابن عامر ويزيد في والجروح بالرفع والاذن وبابه بسكون العين نافع وليحكم بالنصب حمزة الباقون بالجزم الوقوف
قلوبهم اي ومن الذين هادوا قوم سماعون وان شئت عطفت ومن الذين هادوا على من الذين قالوا امنا ووقفت
عليها دوا على الذين قالوا امنا ووقفت على هادوا واستانفت بقوله سماعون راجعا الى الفريقين والاول اجود

لان التحريف محكي عنهم وهو مختص باليهود لان اخرين صفة لهم لم يأتوك مواضعه لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف
فاحذروا شيئا قلوبهم عظيم للسحت لان الشرط عن مخصوص ما يليه او عرض عنهم شيئا بالقسط المقسطين ذلك
لتناهي الاستفهام بالمؤمنين ونور لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف شهداء لاختلاف النظم ح فاء التعقيب قليلا الكافرون
بالنفس لمن قرا والعين وما بعده بالرفع بالسن لمن قرا والجروح بالرفع قصاص لابتداء الشرط كما كتب لهم الظالمون من التورية الاولى
لطول الكلام ونور لان الحال بعده معطوف على محل الجملة قبله الواقعة حالا للتنوين لمن قرا وليحكم بالنصب فيه الفاسقون
التفسير خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله يا ايها النبي في مواضع ولم يخاطبه بقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
ولا شك انه خطاب تشريف وتعظيم شرف به في هذه السورة التي هي اخر السور نزولا حيث تحققت رسالته في الواقع اما
وجه النظم فهو انه سبحانه لما بين بعض التكاليف والشرايع وكان قد علم مسارعة بعض الناس الى الكفر فلاجرم صبر رسول
الله عليه وسلم على تحمل ذلك وعده ان ينصره عليهم ويكفيه شرهم والمراد بمسارعتهم في الكفر تهافتهم فيه وحرصهم
عليه حتى اذا وجدوا فرصة لم يخطوها امنا بافواههم فيه تقديم وتاخير اي قالوا بافواههم امنا سماعون للكذب قابلون
لما يفتعله احبارهم من الكذب على الله وتحريف كتابه والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من قولك الملك يسمع كلام
فلان اي يقبله سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اي قابلون من الاحبار ومن الذين لم يصلوا الى مجلسك من شدة البغضاء
وافراط العداوة ويحتمل ان يراد نفس السماع واللام في الكذب لام التعليل اي يسمعون كلامك لكي يكذبوا عليك
سبدلين ومغيرين سماعون لاجل قوم اخرين وجهوهم عيونا ليبلغوا ما سمعوا منك يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي التي وضعها الله فيها
من امكنة الحل والحظر والفرض والندب وغير ذلك او من وجوه الترتيب والنظم فيهملوها بغير مواضع بعد ان كانت ذات
مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق ما علمتم وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا
وهو الباطل عن البراء بن عازب قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمما مجلودا فقال هكذا تجدون
حد الزنا في كتابكم قال نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذي انزل التورية على موسى هكذا تجدون
حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني لم اخبرك نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا
اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الوضيع اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا لنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع
فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من احيى امرك اذ اماتوه
فامر به فرجم فانزل الله الاية الى قوله ان اوتيتم هذا يقولون ايتوا محمدا فان افتاكم بالتحميم والجلد فخذوه وان افتاكم
بالرجم فاحذروا وفي رواية اخرى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التورية فكرهوا
رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم محمد
بالرجم فلا تقبلوا وان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل
عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا
نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدك بالله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق ال فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله
وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا
العذاب ثم سال رسول الله عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي
العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده قال العلماء انما
رجم الثيب الذمي ومنهم الشافعي ان كان الامر برجم الثيب الذمي من دين الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المقصود
وان كان مما يثبت في شريعة موسى عليه السلام فالاصل بقاؤه الى ظهور الناسخ ولم يوجد في شرعنا ما يدل على
نسخه وبهذا الطريق اجمع العلماء على ان قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس حكمه باق في شرعنا ومن
يرد الله فتنته ظاهر الاية ان المراد بالفتنة انواع الكفر التي حكاها من اليهود وغيرهم والمعنى من يرد الله كفره وضلالته
فلن يقدر احد على دفع ذلك ثم اكد هذا بقوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وفيه دليل على انه تعالى
لا يريد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل لامن والمعتزلة فسروا الفتنة بالعذاب

كقوله يوم هم على النار يفتنون او بالفضيحة او بالاضلال اي تسميته ضالا او المراد ومن يرد الله اختباره فيما
يبتليه من التكاليف ثم انه يتركها ولا يقوم باداءها فلن تملك له من الله ثوابا ولا نفعا ثم قالوا اولئك الذين لم يرد الله
ان يمد قلوبهم بالالطاف لانه تعالى علم انه لا فائدة في تلك الالطاف لانها لا تنجع في قلوبهم او يطهر قلوبهم من الحرج والغم
والوحشة الدالة على كفره او هو استعارة عن سقوط وقعه عند الله تعالى وانه غير ملتفت اليه بسبب قبح افعاله
وسوء اعماله ثم وصف اليهود بقوله سماعون للكذب اكالون للسحت وهو الحرام وكلها لا يحل كسبه من سحته واسحته
اي استاصله لانه مسحوت البركة ومال مسحوت اي مذهب قال الليث السحت حرام يحصل منه العار وذلك انه يسحت
فضيلة الانسان ويستاصلها ورجل مسحوت المعدة اذا كان اكولا لا يلفى الا جائعا ابدا كانه يستاصل كلما يصل اليه من الطعام
والسحت الرشوة في الحكم ومهر البغي وعسب الفحل وكسب الحجام وثمن الكلب وثمن الميتة والاستكساب في المعصية
روى ذلك عن علي وعمر وعثمن وابن عباس وابي هريرة ومجاهد وزاد بعضهم ونقص بعضهم وكل ذلك يرجع
الى الحرام الخسيس الذي لا يكون فيه بركة ويكون فيه عار بحيث يخفيه صاحبه لا محالة قال الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل
اذا اتاه من كان مبطلا في دعواه برشوة سمع كلامه ولا يلتفت الى خصمه فكان يسمع الكذب وياكل السحت وقيل كان فقراؤهم
ياخذون من اغنيائهم مالا ليقيموا على ما هم عليه من اليهودية فكانوا يسمعون اكاذيب الاغنياء وياكلون السحت وقيل سماعون
للاكاذيب التي كانوا ينسبونها الى التورية اكالون للربوا لقوله تعالى واخذهم الربوا فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض
عنهم خيره الله تعالى بين الحكم والاعراض فقيل ان هذا التخيير مختص بالمعاهدين الذين لا ذمة لهم وقيل انهم في امر
خاص وهو رجم المحصن قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير
وكان في بني النضير شرف وكانت ديتهم كاملة وفي قريظة نصف دية فتحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل الدية
سواء وعن النخعي والشعبي وقتادة وعطا وابي بكر الاصم وابي مسلم ان الاية عامة في كل من جاء من الكفار وان الحكم
ثابت في سائر الاحكام غير منسوخ وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وهو مذهب الشافعي ان هذا التخيير
منسوخ في حق غير المعاهدين بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله فيجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الذمة
اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام عليهم صغارا لهم واما المعاهدون فمنهم لا يريدون اقامة الحدود عليهم يذهبون
الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهود يين قبل نزول الجزية ثم انهم لا
يتحاكمون اليه الا لاسهل والاخف كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق عليهم وعادوه فامنه
الله بقوله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل والاحسان كما حكمت في الرجم
وكيف يحكمونك تعجيب لرسول الله صلى الله عليه من تحكيمهم لوجوه منها عدولهم عن حكم كتابهم ومنها رجوعهم الى
حكم من كانوا يعتقدونه مبطلا ومنها اعراضهم عن حكمه بعد ان حكموه وهذه غاية الجهالة ونهاية العناد والواو في قوله وعندهم
للحال من التحكيم والعامل ما في الاستفهام من التعجيب اما قوله فيها حكم الله فاما ان ينتصب حالا من التورية على ضعف وهي
مبتداء خبرها عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها والتقدير وعندهم التورية ناطقة بحكم الله فيكون عندهم متعلق الخبر
واما ان لا يكون محل ويكون جملة مبنية لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كقولك عندك زيد ينصحك ويشير عليك
بالصواب فما تصنع بغيره وانث التورية باعتبار صورتها بنا التانيث ثم يتولون عطف على يحكمونك وثم لتراخي الرتبة
اي ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم وما اولئك بالمؤمنين اخبار انهم لا يؤمنون ابدا او المراد انهم غير
مؤمنين بكتابهم كما يدعون او المراد انهم غير كاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم ثم رغب اليهود في ان يكونوا متقدين
من انبيائهم ومسلمي احبارهم فقال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور العطف يقتضي التغاير فقيل الهدى بيان الشرائع
والشرايع والنور بيان التوحيد والنبوة والمعاد وقال الزجاج الهدى بيان الحكم الذي جاؤا يستفتون فيه والنور بيان
ان امر النبي صلى الله عليه وسلم حق وقيل فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام فهما عبارتان
عن معنى واحد وقد يستدل بالاية على ان شرع من قبلنا يلزمنا لان الهدى والنور لا بد ان يكون احدهما يتعلق بالفروع والاخر
بالاصول والا كان تكرارا وايضا انها نزلت في الرجم ومورد الاية لا بد ان يكون داخلا فيها سواء قلنا ان غيره داخل او خارج
ويمكن ان يجاب بان التكرار بعبارتين عن محذور وبان في الكلام تقديما وتاخيرا والمراد فيها هدى ونور للذين هادوا

يحكم بها النبيون اما قوله الذين اسلموا فاورد عليه ان كل نبي مسلم فما الفائدة في هذا الوصف واجيب بانها صفة جارية
على سبيل المدح والتوضيح والكشف وفيه تعريض باليهود انهم بعداء عن ملة الاسلام التي هي دين الانبياء قديما وحديثا
لان غرض الانبياء الانقياد لتكاليف الله وغرضهم من ادعاء الحكم بالتورية اخذ الرشي من العوام فالفريقان متباينان
ولهذا اردفه بقوله للذين هادوا اي يحكمون لاجلهم قال في الكشاف قوله تعالى للذين اسلموا للذين هادوا مناد على ان
اليهود بمعزل عن الاسلام قلت هذا بناء على ان صفة الحاكمين يلزم ان يكون مغايرة لصفة المحكومين ولقائل ان يقول بعد تسليم
ذلك انه لا يكفي مغايرة العام للخاص وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسلف المراد بالنبيين هو محمد كقوله ان
ابراهيم كان امة لانه اجتمع فيه من الخصال ما كانت متفرقة في الانبياء وقيل اسلموا اي انقادوا لحكم التورية من الانبياء
من لم يكن شريعتهم شريعة موسى والربانيون قد مر تفسيره في ال عمران والاحبار عن ابن عباس هم الفقهاء الواحد حبر
بالفتح من قولهم فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا حسن الهيئة او حبر بالكسر من ذلك ايضا لقولهم حسن الحبر بالكسر
ايضا وفي الحديث يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه وتحبير الخط والشعر تحسينه او من هذا
الحبر الذي يكتب به لكون العالم صاحب كتب فالكم الفراء والكسائي وابو عبيد ثم ان ذكر الربانيين بعد النبيين يدل على
انهم اعلى حالا من الاحبار فيشبه ان يكون الربانيون كالمجتهدين والاحبار كاحاد العلماء وقوله بما استحفظوا اما ان يكون
من صلة يحكم اي يحكم بها الربانيون والاحبار بسبب ما استحفظوا او يكون من صلة الاحبار اي العلماء بما استحفظوا بما سألهم
انبياؤهم حفظه ومن في كتاب الله للتبيين وقد اخذ الله تعالى على العلماء ان يحفظوا الكتاب من وجهين احدهما ان
يحفظوه في صدورهم ويدرسوه بالسنتهم والثاني ان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرائعه وكانوا اي هؤلاء النبيون
والربانيون والاحبار عليه على ان كل ما جاء في التورية حق من عند الله شهداء رقباء لئلا يبدل ويحتمل ان يعود ضمير
استحفظوا الى النبيين وغيرهم جميعا والاستحفاظ من الله ان يكلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء ثم نهى
اليهود المعاصرين من التحريف لرهبة فقال ولا تخشوا الناس واخشون وعن التغيير لرغبة فقال ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الكافرون واحتجت الخوارج بالاية على ان كل من عصى الله فهو كافر والمفسرون في جوابهم وجوه
الاول انها مختصة باليهود ورد بان التغيير بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا ريب ان لفظ من في معرض الشرط
للعموم فلا وجه لتقديره ومن لم يحكم من هؤلاء المذكورين الذين هم اليهود لانه زيادة في النص وقال عطاء دون كفر
وقال طاوس ليس بكفر الملة والا لكن يكفر بالله واليوم الاخر فلعلهما اراد كفران النعمة وضعف بان الكافر
اذا اطلق اريد به الكافر في الدين وقال ابن الانباري المراد انه يضاهي الكافر لانه فعل فعلا مثل فعل الكافر ورد
بانه عدول عن الظاهر وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني معناه من اتى بضد حكم الله تعالى في كل ما انزل فيخرج
الفاسق لانه في الاعتقاد والاقرار موافق وان كان في العمل مخالفا واعترض بان سبب النزول يخرج حينئذ لانه
نزل في مخالفة اليهود في الرجم فقط ويمكن ان يقال الجزئي داخل في الكل وقال عكرمة انما يتناول الاية من انكر بقلبه
وجحد بلسانه واما العارف والمحل اذا اخل بالعمل فهو حاكم بما انزل الله عز وجل ولكنه تارك فلا يتناوله الاية ثم انه
سبحانه لما بين ان حكم الزاني المحصن في التورية هو الرجم واليهود غيروه اراد ان يبين ان نص التورية هو قتل
النفس بالنفس وانهم بدلوه حيث فضلوا بني النضير على بني قريظة فقال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس
والعين بالعين من قرا المعطوفات كلها بالنصب فظاهر ومن قرا ما سوى الاول بالرفع فللعطف على محل النفس
اذ المعنى وكتبنا عليهم في التورية النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما بطريق الحكاية كقولك كتبت
الحمد لله وقرات سورة انزلناها واما على سبيل الاستيناف والمعنى على جميع التقادير فرضنا عليهم فيها ان النفس
مقتولة اذا قتلتها بغير حق والعين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن
مقلوعة بالسن والجروح ذات قصاص اي مقاصة وهذا تعميم للحكم بعد ذكر بعض التفاصيل والمراد منه كل
ما يمكن المساواة فيه من الاطراف كالذكر والانثيين والاليتين واليدين والقدمين ومن الجراحات المضبوطة كالموضحة
مثلا وهي التي توضح العظم وتبدي وضحه وهو الضوء والبياض وكذا منافع الاعضاء والاطراف كالسمع والبصر
والبطش فاما الذي لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم او كسر في عظم وكخدش وادماء في جلد ففي ذلك ارش

صفحة

اد

او حكومة وتفاصيلها في كتب الفقه فمن تصدق به فهو كفارة له الضمير في به يعود في جواب التصدق الدال
عليه الفعل وفي له وجهان احدهما انه يعود الى العافي المتصدق لما روي عبادة بن الصامت ان رسول الله صلعم قال من
تصدق من جسده بشيء كفر الله تعالى عنه بقدره من ذنوبه وعن عبد الله بن عمر ويهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق
به والثاني انه يعود الى الجاني المعفو عنه اي لا يواخذه الله تعالى بعد ذلك العفو واما العافي فاجره على الله تعالى
وقفينا على اثارهم اي على اثار النبيين بعيسى ابن مريم اي عقبناهم به فتعديته الى المفعول الثاني بالباء وفي له
على اثارهم يسد مسد الاول لانه اذا قفي به على اثره فقد قفي به اياه مصدقا لما بين يديه اي مقرا بان التورية كتاب
منزل من عند الله تعالى وانه كان حقا واجب العمل به قبل ورود ناسخه وهو الانجيل المصدق ايضا لكونه مبشرا
بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم كالتورية اما النور فبيان الاحكام الشرعية وتكاليف الهدى الاول اصول الديانات
كالتوحيد والنبوات والمعاد والهدى الثاني اشتماله على البشارة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم لان ذلك سبب اهتداء الناس
الى نبوته واشتمال الانجيل على المواعظ والنصائح والزواجر فاهر وخص الجميع بالمتقين لانهم هم المتنفعون بذلك ومن قرا
وليحكم بالجزم فاما الجبار عما قيل لهم في ذلك الوقت من الحكم بما تضمنه الانجيل اي وقلنا لهم ليحكموا بما فيه واما امر مستانف
للنصارى بالحكم في كتابهم من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او بما لم يصر منسوخا بالقران ومن قرا
بالنصب فلانه علة فعل محذوف يدل عليه ما تقدمه اي ولاجل حكمهم بما فيه اتيناهم كتابهم وعلى هذا يجوز ان يكون
هدى وموعظة ايضا غرضين معطوفين للحكم والله اعلم واما قوله تعالى الكافرون الظالمون الفاسقون فللمفسرين
فيه خلاف قال القفال هو كقولك من اطاع الله فهو المؤمن فهو المتقي لان كل ذلك اوصاف مختلفة حاصلة
لموصوف واحد فهذه كلها نزلت في الكفار وقال اخرون الاول في الجاحد والثاني والثالث في المقر التارك وقال الاصم
الاول والثاني والثالث في اليهود والنصارى <u>التأويل</u> سماعون للكذبات الشيطان في وساوسه والنفس في
هواجسها سماعون لقوم اخرين يسنون السنن السيئة يحرفون يغيرون دقائق الشريعة بتمويهات الطبيعة وعن
حالها ولي القران والاحاديث على وفق اهوائهم سماعون للكذب اكالون للسحت لان الاخلاق الردية اورثتهم الاعمال
الدنية فالاخلاق نتايج الاعمال والاعمال نتايج الاخلاق وكلاهما من نتايج الاستعداد الفطري فان جاؤك فاحكم بينهم مداويا
مداواتهم ان رايت التداوي سببا لشفائهم او اعرض عنهم وان تيقنت اعواز الشفاء لشقاوتهم فان حكمت فاحكم بينهم
بالقسط دواهم على ما يستحقون من دوائهم بما استحفظوا من كتاب الله الفرق بين بني اسرائيل وبين هذه الامة
انهم استحفظوا التورية فضيعوها وحرفوها وقال في حقنا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكتبنا عليهم كما ان في
اهلاك النفس هلاك نفس المهلك ففي احياء نفس الطالب بمحو الدين حياة نفس محييها وفي معالجة عين قلبه
وانف قلبه واذن قلبه وسن قلبه معالجة هذه الاعضاء بمزيد الادراك فمن تصدق بهذا الاحياء فهو كفارة له
لما فرط من احياء نفسه ومعالجة قلبه طرفة عين ومن لم يحكم على نفسه بما انزل الله في تزكيتها وتحليتها
فاولئك الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق والله اعلم واحكم

وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ
فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ
شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ اُمَّةً وَاحِدَةً وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا اٰتٰيكُمْ
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ اِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
وَاَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ اَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا

انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا
من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن
يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم
مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتي بالفتح
او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ويقول الذين امنوا
اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا
خاسرين يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم
انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم
الغالبون يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا
ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون

القراءة يبغون بتاء الخطاب ابن عامر والخراز عن هبيرة الباقون بالياء ويقول بالواو وبالرفع عاصم وحمزة وعلي وخلف وقرا ابو عمرو وسهل ويعقوب بالنصب عباس مخير الباقون يقول بدون واو العطف من يرتدد بالادغام ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بالادغام والكفار بالجر ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي الباقون بالنصب عطفا على محل الذين اتخذوا وقرا ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه وابن رستم الطبري عن نصير طريق ابن مهران بالامالة **الوقوف** بالحق ومنهاجا الخيرات تختلفون لعطف وان احكم على ما قبله ومن وقف فلانه راس اية انزل الله اليك ذنوبهم لفاسقون يبغون يوقنون اولياء لئلا يلزم النهي عن اتخاذ الاولياء مطلقا اولياء بعض منهم الظالمين دائرة لتمام المقول نادمين لمن قرا ويقول بالنصب عطفا على ان ياتي جهد ايمانهم لان قوله انهم جواب

القسم

القسم لمعكم خاسرين ز يحبونه لان ما بعده صفة قوم الكافرين لشبه الاية لائم من يشا عليم راكعون الغالبون اولياء العطف ولطول الكلام مومنين ولعبا لا يعقلون **التفسير** من الله تعالى على نبينا صلى الله عليه وسلم بانزال القران اليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب اي جنسه وهو كل كتاب سوي القران نازلا من السماء وفي المهيمن قولان قال الخليل وابو عبيدة هيمن على الشي يهيمن اذا كان رقيبا على الشي وشاهدا ومصدقا وقال الجوهري اصله آمن يؤمن قلبت الثانية ياء لكراهة اجتماع الهمزتين ثم الاولى هاء كما في هرقت وهياك والمعنى انه امين على الكتب التي قبله لانه لا ينسخ البتة ولا يحرف لقوله وانا له لحافظون ومن هنا قرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هو من عليه بان حوفظ من التغيير والتبديل والذي هيمن عليه الله عز وجل كما قلنا او الحفاظ في كل بلد والقراء المشهود لهم بالاجادة فاحكم بينهم وبين اليهود بالقران ولا تتبع اهواءهم منحرفا عما جاءك من الحق او ضمن لا تتبع معنى لا تنحرف قيل لولا جواز المعصية على الانبياء لم يجز هذا النهي والجواب ان ذلك مقدور له ولكن لا يفعله لمكان النهي او الخطاب له والمراد غيره لكل جعلنا منكم ايها الناس او الامم امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلوات الله عليهم اجمعين لتقدم ذكر الثلث شرعة ومنهاجا قال ابن السكيت الشرع مصدر شرعت الاهاب اذا شققته وسلخته وقيل انه من الشروع في الشي الدخول فيه والشرعة والشريعة فعلة بمعنى مفعولة وهي الامور التي اوجب الله تعالى على المكلفين ان يشرعوا فيها والمنهاج الطريق الواضح وهما عبارتان عن معنى واحد هو الدين والتكرير للتاكيد ويحتمل ان يقال الشريعة عامة والمنهاج مكارم الشريعة فالاولى اقدم وهذه تتلوها وهي للطريقة وقال المبرد ابتداء الطريق والطريقة المنهاج المستمر ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوي امة واحدة اي دين واحد لا خلاف فيه وفيه دليل على ان الكل بمشيئة الله تعالى والمعتزلة حملوه على مشيئة الالجاء ولكن ليبلوكم اي جعلكم مختلفين ليعاملكم معاملة المختبر هل تعملون بالنواميس الالهية وتذعنون العقائد الحقة ام تفرطون في العمل وتبتغون الشبه ولذلك قال فاستبقوا الخيرات سارعوا اليها وتسابقوا نحوها ونعني بالخيرات ههنا ما هو الحق من الاعتقادات والحق من التكاليف ثم علل الاستباق بقوله الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر والمراد ان الامر سيؤل الى ما يحصل معه اليقين من مجازاة المحسن باحسانه والمسي باساءته وان احكم قيل معطوف على الكتاب اي وانزلنا اليك ان احكم على ان ان المصدرية وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال او على قوله بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم والاقرب يحتمل ان يكون ان مفسرة وفعل الامر محذوف اي وامرناك ان احكم وتكرير الامر بالحكم اما بالتاكيد واما لانهما حكمان لانهم احتكموا اليه في زنا المحصن ثم احتكموا في قتيل كان بينهم وزعم بعض الائمة ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وعن ابن عباس ان جماعة من اليهود منهم كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قوم خصومة ونحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله فيهم واحذرهم ان يفتنوك محله نصب على انه مفعول له اي مخافة ان يفتنوك او على انه بدل اشتمال من مفعول احذر والمراد بالفتنة ردة الى اهوائهم فكل من صرف الى الحق الى الباطل فقد فتن قال بعض اهل العلم في الاية دليل على ان الخطا والنسيان جائزان على النبي لان التعمد في مثل هذا غير جائز فلم يبق الا الخطا والنسيان فلو لم يكن جائزين لم يكن للحذر فائدة فان تولوا عن الحكم المنزل اي فان لم يقبلوا حكمك فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اما الاصابة فالمراد بها قتلهم واجلاؤهم واما ذكر بعض الذنوب فلان مجازاتهم ببعض الذنوب كافية في اهلاكهم وتدميرهم او اراد بالبعض ذنب التولي عن حكم الله وفيه ان لهم ذنوبا جمة وان هذا الذنب عظيم جدا كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة لان التنكير في معنى البعضية ايضا لفاسقون لمتمردون في الكفر وفيه ان التولي عن حكم الله فسق مؤكد جدا ثم استفهم منكرا لرايهم فقال افحكم الجاهلية يبغون وفيه تعيير لليهود بانهم اهل كتاب وعلم ومع ذلك يطلبون حكم الملة الجاهلية التي هي محض الجهل وصريح الهوى وقال مقاتل ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى فقال رسول الله صلى

الفضلي براي سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك نزلت وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله وسبيل ما دس
عن الرجل يفضل بعض ملوه علي بعض فتلا هذه الاية و اللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب
وهذا الاستفهام لهم لانهم الذين يعرفون انه لا احد اعدل من الله حكما ولا احسن منه بيانا قال عطية العوفي جاء عبادة
بن الصامت فقال يا رسول الله ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم حاضر نصرهم واني ابرأ الى الله والى الرسول من ولاية
يهود واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر ولا ابرأ من ولاية اليهود فقال رسول الله صلعم
يا ابا الحباب ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال قد قبلت فانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء تعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله اولياء بعض لان الجنسية
علة الضم ثم اكد ذلك بقوله ومن يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم ولذلك قال ابن عباس يريد انه
كافر مثلهم وفيه من التغليظ والتشديد ما فيه ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفر
يضعوا الولاة في غير موضعه عن ابي موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال مالك
قاتلك الله الا اتخذت حنيفا اما سمعت هذه الاية قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم
اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت لا قوام للبصرة الا به قال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد
مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الان فترى الذين في قلوبهم مرض امثال عبد الله بن ابي يسارعون
فيهم في موالاة اليهود والنصارى يهود بني قينقاع ونصارى نجران لانهم كانوا اهل ثروة وكانوا يمنونهم على مهامهم
ويقرضونهم يقولون يعتذرون عن الموالاة بقولهم نخشى ان تصيبنا دائرة قال الواحدي هي الدولة ومنها صروف
صروف الزمان ونوائبه وقال الزجاج نخشى ان لا يتم الامر لمحمد فيدور الامر كما كان قبل ذلك ثم سلى رسوله والمؤمنين
بقوله فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده وعسى من الله الكريم اطماع واجب والفتح ما فتح مكة او مطلقا دولة
الاسلام وغلبة دينه وقوله او امر من عنده الجهاد المراد به فعل لا يكون للناس فيه مدخل البتة كقذف الرعب في قلوب
بني النضير وغيرهم من الكفار وقيل هو ان يومر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا على ما اسروا
في انفسهم من النفاق والشك في امر الرسول نادمين ويقول الذين امنوا قال الواحدي حذف الواو ههنا كاثباتها
فلهذا جاء في مصاحف اهل الحجاز والشام بغير واو وفي مصاحف اهل العراق بالواو وذلك ان في الجملة المعطوفة ذكرا من
المعطوف عليها فان قوله اهؤلاء اشارة الى الذين يسارعون فلما حصل في كل من الجملتين ذكر من الاخرى حسن الوجهان
ووجه العطف مع النصب ظاهر ووجه ذلك مع الرفع على انه كلام مبتدأ اي ويقول الذين امنوا في ذلك الوقت ووجه
الفصل هو ان يكون جواب سائل يسأل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وانما يقولون هذا القول فيما بينهم تعجبا من حالهم وفرحا
بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص او يقولونه لليهود الذين كانوا يحلفون لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله
عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وقوله جهد ايمانهم اي باغلاظ الايمان نصب على الحال اي يجتهدون جهد ايمانهم او على المصدر
من غير لفظه حبطت اعمالهم من قول الله تعالى او من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها رياء
وفيه معنى التعجب اي ما احبط اعمالهم فما اخسرهم حيث بقي عليهم في الدنيا والعذاب في العقبى من يرتد منكم عن دينه
اي من يتول الكفار منكم فيرتد فليعلم ان الله تعالى يأتي بقوم اخرين ينصرون هذا الدين على ابلغ الوجوه وقيل
علم الله تعالى ان قوما يرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم فاخبرهم انه سبحانه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه
فتكون الاية اخبارا عن الغيب وقد وقع فيكون معجزا روي في الكشاف ان اهل الردة كانوا احدى عشرة فرقة
ثلث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن
واستولى على بلاده فاخرج عمال رسول الله صلعم فكتب رسول الله صلعم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه
الله على يد فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلعم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله
صلعم من الغد واتى خبره في اخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلعم من مسيلمة
رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب محمد صلعم من محمد رسول الله الى مسيلمة
الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجنود المسلمين وقتل

علي

علي يد وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي
وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلعم خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن
اسلامه وسبع في عهد ابي بكر فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة
بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها
مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد حاربهم ابو بكر وكفى الله امرهم
على يديه وفرقة واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الايهم كان يطوف بالبيت ذات يوم بعد ان كان اسلم على يد عمر
فرأى رجلا جاز ازاره فلطمه فتظلم الرجل الى عمر فقضى بالقصاص عليه فقال انا اشتريها بالف فابى الرجل فلم يزل
يزيد في الفداء الى ان بلغ عشرة الاف فابى الرجل الا القصاص فاستنظره فانظره عمر فهرب الى الروم وارتد
والمحبة قد مرت في سورة البقرة في قوله تعالى يحبونهم كحب الله واما قدم محبته على محبتهم لان محبتهم اياه نتيجة محبته
اياهم ليطابق ما قبلها تلك اصل وهذه فرع والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن للشرط محذوف معناه فسوف يأتي الله
بقوم مكانهم او بقوم غيرهم اذلة جمع ذليل لا ذلول لان ذلولا من الذل نقيض الصعوبة لا يجمع على اذلة وانما يجمع على ذلل
وليس المراد انهم مهانون عند المؤمنين بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب فان من كان ذليلا عند
انسان فانه لا يظهر الكبر والترفع البتة ولتضمين الذل معنى الحنو والعطف عدي بعلى دون اللام كانه قيل عاطفين
عليهم او المراد انهم مع شرفهم واستعلاء حالهم واستيلائهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ليضموا الى منصبهم
فضيلة التواضع اعزة على الكافرين يظهرون الغلظة والترفع عليهم من عزه يعزه اذا غلبه ونحو هذه
الاية قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم اما الواو في قوله ولا يخافون فاما ان يكون للحال اي يجاهدون وحالهم
في المجاهدة خلاف حال المنافقين حيث يخافون لومة اوليائهم اليهود واما ان يكون للعطف كقوله الى الملك القرم
وابن الهمام اي هم الجامعون بين المجاهدة لله وبين الصلابة في الدين اذا شرعوا في امر من الامور لا يزعجهم اعتراض
معترض وقدح لائم واللومة المرة وتنكير اللائم مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام ذلك الذي ذكر
من نعوت الكمال من المحبة والذلة والعزة فضل الله احسانه يؤتيه من يشاء قالت الاشاعرة انه صريح في ان الاعمال مخلوقة
لله تعالى والمعتزلة يحملونه على فعل الالطاف وضعف بان اللطف عام في حق الكل فلابد للتخصيص من فائدة
والله واسع علم تام القدرة كامل العلم يعلم اهل الفضل فيؤتيهم الفضل واعلم ان للمفسرين خلافا في ان القوم
المذكورين في الاية من هم قال الحسن وقتادة والضحاك وابن جريج هم ابو بكر واصحابه لانهم الذين قاتلوا اهل
الردة وقال السدي نزلت في الانصار وقال مجاهد اهل اليمن لانها لما نزلت اشار النبي صلعم الى ابي موسى الاشعري
وقال هم قوم هذا وقال اخرون هم الفرس لما روي انه صلعم سئل عن هذه الاية فضرب بيده على عاتق سلمان وقال
هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقالت الشيعة نزلت في علي كرم الله
وجهه لما روي انه صلعم دفع الراية الى علي يوم خيبر وكان قد قال لادفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه
الله ورسوله ولان ما بعد هذه الاية نازلة فيه باتفاق اكثر المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي هذه الاية من ادل
الدلائل على فساد مذهب الامامية لان الذين اتفقوا على امامة ابي بكر لو كانوا انكروا نصا جليا على امامة علي
لكان كلهم مرتدين ثم لجاء الله بقوم يحاربهم ويردهم الى الحق ولما لم يكن الامر كذلك بل الامر بالضد فان فرقة الشيعة
مقهورون ابدا حصل الجزم بعدم النص ولناصر مذهب الشيعة ان يقول ما يدريك انه تعالى لا يجيء بقوم يحاربهم ولعل
المراد بخروج المهدي هو ذلك فان محاربته من ذات بدي الاوائل مع محاربة الاوائل وهذا انما ذكرته بطريق المنع لا لاجل
العصبية والميل فان اعتقاد ارتداد الصحابة الكرام فظيع والله تعالى اعلم ثم انه سبحانه لما نهى في الاي المتقدمة عن
موالاة الكفار امر بعد ذلك بموالاة من يجب موالاته فقال انما وليكم الله ورسوله ولم يقل اولياؤكم ليعلم ان الولاية
لله اصل وللباقي تبع الله ورسوله والذين امنوا وفيه قولان الاول ان المراد منه عامة المؤمنين لان الاية نزلت على
وفق ما مر من قصة عبادة بن الصامت وروي ايضا ان عبد الله بن سلام قال يا رسول الله ان قومنا قد هجرونا
واقسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة اصحابك لبعد المنازل فنزلت هذه الاية قالوا رضينا بالله تعالى وبرسوله

ردّ على الرازي

آية الولاية

بالمومنين اولياء ثم قال الذين يقيمون الصلوة ومحله رفع على البدل او على هم الذين يقيمون او نصب بمعنى اخص
او اعني وفي الكل مدح والغرض تمييز المومن المخلص عن يدعي الايمان نفاقا ومعنى وهم راكعون قال ابو مسلم اي منقادون
خاضعون لاوامر الله تعالى ونواهيه وقيل المراد ومن شانهم اقامة الصلوة وخص الركوع بالذكر لشرفه وقيل ان الصحابة
كانوا عند نزول الاية مختلفين في هذه الصفات منهم من قدام الصلوة ومنهم من دفع المال الى الفقير ومنهم من كان
بعد في الصلوة راكعا فنزلت الاية على وفق احوالهم القول الثاني ان المراد شخص معين وجئ به على لفظ الجمع
ليرغب الناس في مثل فعله ثم ان ذلك الشخص من هو روى عكرمة انه ابو بكر وروى عطا عن ابن عباس انه علي
روي ان عبد الله بن سلام قال لما نزلت هذه الاية قلت يا رسول الله انا رايت عليا عليه السلام تصدق بخاتمه
على محتاج وهو راكع فنحن نتولاه وروي عن ابي ذر انه قال صليت مع رسول الله صلعم يوما صلوة الظهر فسال سايل
في المسجد فلم يعطه احد فرفع السايل يده الى السماء وقال اللهم اشهد اني سالت في مسجد الرسول صلعم فما اعطاني احدا
شيا وعلي كان راكعا فاومى اليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فاقبل السايل حتى اخذ الخاتم بمرأى النبي صلعم فقال اللهم
ان اخي موسى سالك فقال رب اشرح لي صدري الى قوله واشركه في امري فانزلت قرانا ناطقا سنشد عضدك باخيك
ونجعل لكما سلطانا اللهم وانا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيرا من اهلي
عليا اخي اشدد به ازري قال ابو ذر فوالله ما اتم رسول الله صلعم هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال يا محمد اقرا انما وليكم
الله الاية فاستدلت الشيعة بها على ان الامام بعد رسول الله صلعم هو علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه لان الولي
هو الاولى المتصرف في امور الامة وانه علي برواية ابي ذر وغيره واجيب بالمنع من ان الولي ليس ههنا هو المتصرف
بل المراد به الناصر والمحب لان الولاية المنهي عنها فيما قبل هذه الاية وفيما بعدها هو بهذا المعنى وكذا الولاية المامور بها وايضا
ان عليا لم يكن نافذ التصرف حال نزول الاية وانها تقتضي ظاهرا ان تكون الولاية حاصلة في الحال وايضا اطلاق لفظ
الجمع على الواحد لاجل التعظيم مجاز والاصل في الاطلاق الحقيقة فالمراد بالذين امنوا عامة المومنين وان بعضهم يجب
ان يكون ناصر البعض كقوله والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض وايضا الاية المتقدمة نزلت في ابي بكر كما تقدم
من انه هو الذي حارب المرتدين فالمناسب ان يكون هذه ايضا فيه ثم ان علي بن ابي طالب كان اعرف بتفسير القران من
هولاء الامامية فلو كانت الاية دالة على امامة علي لاحتج بها كما احتج بما ينقلون عنه انه تمسك يوم الشورى بخبر
الغدير وخبر المباهلة وجميع مناقبه وفضايله وقضيانها دالة على امامة علي لاحتج بها كما احتج لكنه ما كان نافذا
التصرف في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا انه سيصير اماما ونحن نقول بموجبه ولكن بعد الشيوخ
الثلثة ومن اين قلتم انها تدل على امامته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير فصل وايضا انهم كانوا عالمين بان
المتصرف فيهم هو الله ورسوله فلا حاجة بهم الى ذكر ذلك فالمراد بقوله انما وليكم الله ورسوله انه من كان الله ورسوله ناصر
له فاي حاجة الى طلب المتصرف مع امتنع ان يراد به معنى التصرف لانه لا يجوز استعمال لفظ المشترك في كلا معنييه معا
فكانه تعالى فنعم المومنين وتسميهم وجعل احدهما انضمام للاخر وايضا الزكوة اسم للواجب لا للمندوب ومن المشهور ان
عليا ما كان يجب عليه الزكوة ولو سلمنا فلانه بعاله ان يكون في الصلوة مستغرق القلب بالله فلا يفرغ لاستماع كلام السايل
ولا دفع الخاتم اليه لانه عمل كثير اللهم الا ان يكون الخاتم سهل المأخذ وكان نادى به للسايل فاخذه السايل فالحق انه ان
صحت الرواية فللاية دلالة قوية على عظم شان علي عليه السلام والمناقشة في امثال ذلك تطويل بلا طايل الا ان
اصحاب المذاهب لما تكلموا فيها حاصل كلامهم على سبيل الاختصار ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب من اقامه
المظهر مقام المضمر تشريفا والمراد فانهم هم الغالبون وحزب الرجل اصحابه المجتمعون لامر حزبهم وقيل الحسن جند الله
ابو روق اولياء الله ابو العالية شيعة الله وقيل انصار الله الاخفش هم الذين يدينون بدينه ويطيعونه فينصرهم
صاحب الكشاف يحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمومنين اي ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب
ثم عمم النهي عن موالاة جميع الكفار فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عن ابن عباس كان رفاعة بن زيد وسويد بن
الحرث قد اظهر الاسلام ثم نافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا ينافي اتخاذ
اياهم اولياء بل يجب ان يقابل ذلك بالشنان والبغضاء وانما عطف الكفار على اهل الكتاب مع ان اهل الكتاب ايضا كفار

والعطف

والعطف يقتضي المغايرة لانه اراد بالكفار المشركين الوثنيين خاصة لما ان كفرهم اغلظ فكانوا احق باسم الكفر ومعنى تلاعبهم
بالدين واستهزائهم به اظهارهم ذلك باللسان دون مواطاة الجنان واتقوا الله في موالاة الكفار ان كنتم مومنين حقا لان
الايمان الحقيقي يابى موالاة اعداء الدين قال الكلبي كان منادي رسول الله صلعم اذا نادى الى الصلوة وقام المسلمون اليها قالت
اليهود قد قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ركعوا لا ركعوا على طريق الاستهزاء والضحك فنزلت واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها
اي الصلوة او المناداة وهذا بعض ما اتخذوه من هذا الدين هزوا ولعبا فلهذا اردفه الاية المتقدمة الكلية وقال السدي
نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن قال اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار
ذات ليلة وهو نايم واهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت هو واهله وقال اخرون ان الكفار لما
سمعوا الاذان حسدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد لقد ابدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم الخالية فان كنت تدعي النبوة فانك خالفت فيما احدثت
من هذا الاذان الانبياء قبلك ولو كان في هذا الامر خير كان اولى الناس به الانبياء والرسل قبلك فمن اين لك صياح كصياح
العير فما اقبح من صوت وما اسمج من امر فانزل الله تعالى هذه الاية وانزل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله قال بعض
العلماء فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده فاقول لو قيل ان اصل الاذان بالمنام مع التقرير بنص
الكتاب كان اصوب ذلك الاتخاذ بانهم قوم لا يعقلون ما في الصلوة من المنافع لانها التوجه الى الخالق والاشتغال بخدمة
المعبود او لا يفهمون ما في اللعب والهزو من السفه والجهل قال بعض الحكماء اشرف الحركات الصلوة وانفع السكنات
الصيام

التاويل

وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي بالحقيقة لانه انزل على قلبه وانزل سائر الكتب في الالواح والصحف
فلهذا كان خلقه القران وكان مهيمنا على جميع الكتب تصديقا عيانيا لا ايمانيا بحيث يشاهد قلب المنزل عليه
بنوره حقايق جميع الكتب واسرارها بخلاف ما انزل في الالواح فان الالواح لا تشهد ولا تشاهد حقايق الكتب ومعا
لكل جعلنا منكم معاشر الانبياء شرعة تشرع فيها بالبيان ومنهاجا يسلك فيه بالعيان ولكن ليبلوكم ايها الامم فيما
فيما اتيكم من البيان والتبيان والحجج والبرهان والقوة والسلطان فابتلاكم بزينة الدنيا واتباع الهوى وتميل المنزلة
بين الهوى والنجاة في العقبى ليهتدي التابعون بالبيان ويفيد العالمون بالبرهان ويحكم العارفون بالسلطان بل يقصد
الزاهدون برفض الدنيا ويتقدم العابدون بنهي الهوى ويسلك المشتاقون بنفي المنى ويجذب العارفون بترك
الورى ويسلب الواصلون بالسلو عن الدنيا والعقبى فاستبقوا الخيرات من هذه المقامات الى الله مرجعكم جميعا
اختيارا بقدم التصدق واضطرارا بحلول الاجل فان تولوا عن قبول الحق فاعلم بطالعة القضا انما يريد الله في حكم
القدر ان يصيبهم مصيبة الاعراض ببعض ذنوبهم وهو الاعراض فان الحق سبحانه يلزم بشرط التكليف ويقدمهم ويقدر
بعين التصريف فالتكليف فيما اوجب والتصريف فيما اوجد والعقوبة بالايجاد لا بالايجاب لفاسقون لخارجون من جذبات
العناية افحكم الجاهلية يبغون ايطلبون منك ان تحيد عن المحجة المثلى بعدما طلعت شموس الدين وسطعت براهين
اليقين وانهتكت استار الريب واستنار القلب بانوار الغيب ببابا يحبهم ويحبونه لان شبيه الشيء منجذب اليه ان يأتي بالفتح
عين القلوب اولياء من عنده وهو الجذبة توازي عمل الثقلين ويقول الذين امنوا بانوار الغيوب في استار القلوب
فاصبحوا خاسرين بابطال الاستعداد الفطري بقوم يحبهم ويحبونه هم ارباب السلوك اخذهم عنهم بسطوات يحبهم ثم
ابقاهم به عند هبوب نفحات يحبونه فان محبة الله للعبد افناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ومحبة العبد لله ابقاء اللاهوتية
في فناء الناسوتية والشيخ نجم الدين الرازي المعروف بداية رحمة الله عليه قد عكس القضية فلعله فهم غير ما فهمنا ان انه تعالى
يحب العبد بصفة ذاته ازلا وهي الارادة القديمة المخصوصة بالعناية والعبد يحب الله بتلك الصفة ابدا اذلة على
المومنين لارتفاع الانانية اعزة على الكافرين ببقاء اللاهوتية واثبات الوحدانية يجاهدون في سبيل الله في طلب الحق
في البداية ببذل الوجود ولا يخافون لومة لائم عند غلبات الوجد في الوسط لدوام الشهود ذلك يعني صدق الطلب في البداية
وغلبات الوجد في الوسط والاختصاص بالمحبة في النهاية والله واسع كرمه قادر على ان يتفضل على كل احد لكنه عليم عالم
كل احد فلا يتفضل الا على من يستاهله يقيمون الصلوة يديمونها مراقبين حقوقها في الباطن بمواطاة السر ويؤتون الزكوة
ما زكا من وجودهم وهو الفنا في الله وهم راكعون راجعون الى الله بالانحطاط من مقام البشرية الى مقام العبودية هم الغالبون

على اهوائهم وانفسهم ما لدنيا والشيطان الذين اتخذوا دينكم يعني اهل الغفلة والسلوة المستهزئين باهل المحبة والقرب من الذين
اوتوا الكتاب اي العلوم الظاهرة والكفار يعني الفلاسفة ومقلديهم لانهم بمعزول عن العلوم اللدنية والمستهزئين والكتبة
واذا ناديتم الى الصلوة دعوتموهم الى محل القرب والقربة لا يعقلون بالوهم والخيال لمزادة تشهود ذلك الحال

قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند
الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت
اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل واذا جاءوكم قالوا امنا وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون
في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله
مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن
كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله
لا يحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم
جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء
ما يعملون يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته
والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين قل يا اهل الكتاب
لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن
كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين

ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

القراءة هل تنقمون وبابه مدغما حمزة وعلي وهشام وعبد الطاغوت بضم الباء ونصب الدال وجر الطاغوت
حمزة الباقون بنصب الطاغوت على ان عبد فعل ماض عطفا على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت مبسوطتان
مثل وزاده بسطة وقد مر في البقرة رسالته ابو عمرو وابن كثير وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون
رسالاته **الوقوف** من قبل لعطف وان اكثركم على ان امنا فاسقون عند الله لتنا في الاستفهام والتقدير هو من لعنه
الله ومن جعل محله جرا على البدل من شر لم يقف الطاغوت السبيل خرجوا به يكتمون السحت يعملون مغلولة وقيل لا وقف
لتتصل قوله غلت وهو جزاء قولهم يد الله مغلولة بما قالوا لئلا يوهم ان قوله بل يداه مبسوطتان مفعول قالوا مبسوطتان
لان قوله ينفق من مقصود الكلام فلا يبتدأ به كيف يشاء وكفرا يوم القيمة اطفأها الله فسادا المفسدين لان الواو للحال
اي وهم يسعون وفيه نظر فسادا المفسدين النعيم ارجلهم مقتصدة يعملون من ربك رسالته من الناس الكافرين من ربكم
وكفرا الاختلاف النظم مع فاء التعقيب الكافرين يحزنون **التفسير** لما حكى عنهم انهم اتخذوا دين الاسلام هزوا ولعبا
قال لهم ما الذي تنقمون من اهل هذا الدين نقمت على الرجل انقم بالكسر اذا عبت عليه ونقمت بالكسر لغة ونقمت
الامر ايضا اذا كرهته وانكرته وسمي العقاب نقمة لانه يجب على ما يكره من الفعل والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون
الايمان بالكتب المنزلة كلها وليس هذا مما يوجب عيبا وعتبا لان الايمان بالله رأس جميع الطاعات واما الايمان بمحمد وبجميع
الانبياء عليهم السلام فهو الحق الذي لا محيد عنه لان الطريق الى تصديق الانبياء هو المعجز وانه حاصل في الكل فلا وجه
للتكلم بالكفر ببعض ثم عطف عليه وان اكثركم فاسقون والمراد ما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم كانه قيل
ما تنكرون منا الا مخالفتكم فامنا وما فسقنا مثلكم وفيه من حسن الازدواج والطباق ما فيه كقول القائل هل تنقم مني
الا اني عفيف وانك فاجر ويجوز ان يعطف على المجرور اي ما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم خارجون
من الدين ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي ما تنكرون منا الا الايمان مع فسقكم لان احد الخصمين اذا كان متصفا بالصفات
الحميدة مع اتصاف الاخر بالصفات الذميمة كان اشد ذلك تأثيرا في وقوع البغض والحسد في قلب الخصم ويحتمل ان
يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف اي ما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم ولاجل فسقكم ومن هنا قال الحسن
في تفسيره لفسقكم نقمتم ذلك علينا ويجوز ان ينتصب بفعل محذوف يدل عليه ما قبله اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون
او يرتفع بالابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت محقق عندكم الا ان حب المال والجاه يدعوكم الى عدم الانصاف
وانما خص الاكثر بالفسق مع ان اليهود كلهم كذلك تعريضا باحبارهم ورؤسائهم الطالبين للرياسة والمال والتقرب
الى الملوك والمراد ان اكثرهم في دينهم فساق لا عدول فان الكافر المبتدع قد يكون عدلا في دينه او ذكر الاكثر لئلا يظن
ان من امن منهم داخل في ذلك قال ابن عباس اتى نفر من اليهود الى رسول الله صلعم فسألوه عمن يؤمن به من الرسل
فقال اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا
والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله تعالى قل يا اهل الكتاب هل انبئكم بشر من
ذلك يعني المنقوم وهو الايمان ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله
ومثوبة نصب على التمييز من شر وهي من المصادر التي جاءت على مفعول كالميسور والمجلود ومثلها المشورة
وقرئ مثوبة كما يقال مشورة والمثوبة ضد العقوبة واستعمال احد الضدين مكان الاخر مجاز وحسنه ارادة التهكم
مثل فبشرهم بعذاب اليم وقد اخرج الكلام ههنا على حسب قولهم واعتقادهم والا فلا شركة بين المسلمين وبين اليهود
في اصل العقوبة حتى يقال ان عقوبة احد الفريقين شر ولكنهم حكموا بان دين الاسلام شر فقيل لهم هب ان
الامر كذلك ولكن لعن الله وغضبه ومسخ الصور شر من ذلك قال المفسرون عني بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير
كفار مائدة عيسى عليه السلام ويروى ان كلا المسخين كانا في اصحاب السبت لان شبانهم مسخوا قردة ومشايخهم

مسخوا خنازير ولهذا كان المسلمون يعيرون اليهود بعد نزول الاية ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون
رؤوسهم واما قوله وعبد الطاغوت فقد ذكر الكشاف فيه انواعا من القراءة لا مزيد فائدة في تعدادها لشذوذها الا قراءة
حمزة والوجه فيه ان العبد بمعنى العبد الا انه بناء مبالغة كقوله رجل حذر وفطن للتبليغ في الحذر والفطنة قال الشاعر
ابني لبيني ان امكم امة وان اباكم عبد ابني لبيني لستم بيد الا يدا ليست لها عضد وقيل هما لغتان مثل سبع وسبيع وقيل
ان العبد جمع عباد كثمار وثمر الا انهم استثقلوا الضمتين فابدلت الاولى تخفيفا وقيل ايرادا عبد الطاغوت مثل فلس
وافلس الا انه حذف الالف وضم الباء لئلا يشبه الفعل والطاغوت ههنا قيل هو العجل وقيل الاحبار وقال الظاهر
انه كل ما عبد من دون الله وكل من اطاع احدا في معصية فقد عبده احتجت الاشاعرة بالاية على ان الكفر بجعل الله
تعالى وقالت المعتزلة معنى هذا الجعل انه حكم عليهم بذلك ووصفهم كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا وانه خذلهم حتى عبدوها اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا من المؤمنين قال ابن عباس ان مكانهم
سقر ولا شر امنه وقال علماء البيان هو من باب الكناية لانه ذكر المكان واريد اهله الذي هو ملزوم المكان واضل عن
سواء السبيل فضله ووسطه كان ناس من اليهود يدخلون على رسول الله صلعم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله
بشانهم وانهم يخرجون من مجلسه كما دخلوا لم يؤثر فيهم شيء من النصيحة والموعظة قط وقوله بالكفر وبه حالان
اي ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال وليفيد التوقع
ايضا وذلك ان امارات النفاق كانت لائحة على صفحات احوالهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لاظهار
الله اسرارهم والعامل في هذا الحال قالوا وفي الاولى دخلوا وخرجوا اي قالوا امنا وحالهم انهم دخلوا كافرين وخرجوا
كافرين وانما ذكر عند الخروج كلمة هم لتاكيد اضافة الكفر اليهم ونفي ان يكون من النبي صلعم في ذلك فعل اي لم يسمعوا منك
يا محمد عند جلوسهم ما يوجب كفرا فتكون انت الذي القيتهم في الكفر بل هم الذين خرجوا بالكفر باختيار انفسهم
وههنا استدل المعتزلي على صحة مذهبه ان الكفر من العبد لا من الله ولكنه معارض بالعلم والدواعي والله اعلم
بما يكتمون فيه ان حسدهم وخبثهم لا يحيط به الا الله فما اعظم ذلك وابلغ الاثم الكذب لقوله بعد عن قولهم الاثم والعدوان
الظلم وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم وقيل الاثم كلمة الشرك قولهم عزير ابن الله وفي الاية فوائد
منها ذكر كثيرا لان كلهم كان لا يفعل ذلك اذ بعضهم يستحيي فيتركه ومنها ان المسارعة انما تليق بالخيرات وانهم كانوا
يستعلون بها في المنكرات ومنها ان الاثم يتناول جميع المعاصي ثم ذكر بعده العدوان واكل السحت ليدل على انهما اعظم انواع
الاثم والكلام في معنى السحت وفي تفسير الربانيين تقدم في السورة عن قريب وقال الحسن الربانيون علماء الانجيل
والاحبار علماء التورية وانما قال ههنا لبئس ما كانوا يصنعون وفي الاولى يعملون لان الصنع ارسخ من العمل فلا يسمى العامل
صانعا ولا العمل صناعة الا اذا تمكن فيه وتدرب وينسب اليه فكان ذنب العلماء اذا تركوا النهي عن المنكر اشد واعظم
واثبت وارسخ وتحقيقه ان المعصية مرض الروح وعلاجه العلم بالله وصفاته واحكامه فاذا حصل هذا العلم ولم
تزل المعصية دل على ان مرض القلب في غاية الشدة والقوة كالمرض الذي شرب صاحبه الدواء فما زال وعن ابن
عباس هي اشد اية في القران وعن الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها فقالت اليهود يد الله مغلولة قيل في
هذه الاية اشكال لان اليهود مطبقون على انا لا نقول ذلك كيف وبطلانه معلوم بالضرورة لان اسم الموجود قديم قادر
على خلق العالم وايجاده وتكوينه وهذا الموجود يمتنع ان يكون يده مغلولة وقدرته ناقصة والجواب ان الله
تعالى صادق في كل ما اخبر عنه فلا بد من تصحيح هذا النقل عنهم فلعل القوم قالوا هذا على سبيل الالزام فانهم لما سمعوا
قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالوا من احتاج الى القرض كان فقيرا عاجزا مغلول اليدين ولعلهم لما
راوا اصحاب محمد صلعم في غاية الفقر والضر قالوا ان اله محمد كذلك وقال الحسن اراد انه لا يمسهم الله النار الا اياما
معدودة الا انهم عبروا عن كونه غير معذب لهم الا هذا القدر من الزمان بهذه العبارة الفاسدة فاستوجبوا
اللعن لفساد العبارة وسوء الادب وقيل لعلهم كانوا على مذهب بعض الفلاسفة انه تعالى موجب لذاته
وان حدوث الحوادث عنه لا يمكن الا على نسق واحد فعبروا عن عدم اقتداره عن تغيير ذلك النسق بغل اليد وقال
المفسرون كان اليهود اكثر الناس مالا وثروة فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وكذبوه ضيق الله عليهم

المعيشة فعند ذلك قالوا يد الله مغلولة اي مقبوضة عن اعطاء على جهة الصفة بالبخل والجاهل اذا وقع في البلاء
والشدة قد يقول مثل هذه الالفاظ وغل اليد وبسطها مجاز مستفيض عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وذلك ان اليد آلة لاكثر الاعمال لا سيما لاخذ المال واعطائه فاطلقوا اسم السبب
على المسبب فقيل للجواد فياض الكف مبسوط اليد سبط البنان رطب الانامل وللبخيل كز الاصابع مقبوض الكف
جعد الانامل ولا فرق عندهم بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه حتى انه يستعمل في ملك لا يعطي ولا يمنع الا
بالاشارة بل يقال للاقطع ما ابسط يده بالنوال وقد يستعمل حيث لا يصح اليد كقول لبيد قد اصبحت بيد الشمال زمامها فجازاهم
الله تعالى بقوله غلت ايديهم وهو الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم رعاية عليهم
تعليما للعباد كما علمهم الاستثناء في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وكما علمهم الدعاء على المنافقين
في قوله فزادهم الله مرضا وعلى ابي لهب في قوله تبت يدا ابي لهب ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي
حقيقة اي اغلالا قال الحسن يغلون في الدنيا اسارى وفي الاخرة معذبين باغلال جهنم فيكون الطباق من حيث
اللفظ وملاحظة اصل المجاز وانما لم يقل فغلت ايديهم مع ان الجزاء يناسب فاء التعقيب ليكون قوله غلت ايديهم
كالكلام المبتدا به فيزيده قوة ووثاقة لان الابتداء بالشيء يدل على شدة الاهتمام به وقوة الاعتناء بتقريره
ولعنوا بما قالوا قال الحسن عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الاخرة بالنار ومما وقع في عصرنا من اعجاب القران
ما حكي ان منقلبا من اليهود يسمى بسعد الدولة وهو من اشقى الناس كان قد سمع بهذه الاية فاتفق ان وصل الى
بغداد فنزل بالمدرسة المستنصرية ودعا بمصحف كان مكتوبا باحسن خط واشهره من خطوط الكتاب الماضين
وكان يعلم ان اهل هذا العصر لا يقدرون على كتابة مثله ثم قال اين هذه الاية يعني قوله غلت ايديهم ولعنوا
بما قالوا فاروه اياه فمحاها فلم يمض اسبوع الا وقد سخط السلطان عليه فبعث في طلبه وامر بغل يديه فغلوه
وجلوه اليه فامر بقتله ثم امر سبحانه برد على اليهود بقوله بل يداه مبسوطتان واليد في اللغة تطلق على
الجارحة المخصوصة وهو ظاهر وعلى النعمة لفلان عندي يد اشكرها له وعلى القوة اولي الايدي والابصار
فسر بذوي القوى والعقول ومنه لا يدين له وبهذا المعنى سلب كمال القدرة وعلى الملك هذا بيد فلان اي
ملكه قال تعالى بيده عقدة النكاح وقد يراد به شدة العناية قال لما خلقت بيدي ويقال يدي لك رهن بالوفاء
اذا ضمنت له شيئا ولا شك ان اليد بمعنى الجارحة في حقه تعالى محال للدليل الدال على انه ليس بجسم ولا ذي
اجزاء خلافا للمجسمة واما سائر المعاني فلا باس بها وكان طريقة السلف الايمان بها وانها من عند الله ثم تفويض
معرفتها الى الله فقد جاء في بعض اقوال ابي الحسن الاشعري ان اليد صفة سوى القدرة من شانها التكوين
على سبيل الاصطفاء لقوله لما خلقت بيدي والمراد تخصيص ادم بهذا التشريف ونص القران ناطق باثبات اليد
تارة يد الله فوق ايديهم وباثبات اليدين اخرى كما في الاية وباثبات الايدي اخرى كما عملت ايدينا انعاما
ووجه التوحيد والجمع ظاهر واما وجه التثنية فذلك ان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه فكان ابلغ في
رد كلام القوم خذلهم الله او المراد نعمة الدين ونعمة الدنيا ونعمة الظاهر ونعمة الباطن او نعمة النفع او نعمة الدفع او
نعمته على اهل اليمين ونقمته على اهل الشمال بل لطفه في حق اوليائه وقهره في شان اعدائه او المراد المبالغة في
وصف النعمة كقولهم لبيك وسعديك معناه اقامة على طاعتك بعد اقامة واسعادا بعد اسعاد ثم اكد الوصف بالقدرة
والسخاء فقال ينفق كيف يشاء وفيه انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة وقانون العدالة وعلى حسب المشيئة والارادة لا مانع
ولا مكره فمن اوجب عليه شيئا او اعترض على فعل من افعاله فقد نازعه في ملكه وحجر تصرفه وقد دخل ونسبه
الى ما لا يليق وليزيدن جواب قسم محذوف كثيرا منهم يعني علماء اليهود ما انزل اليك من القران طغيانا وكفرا
مجاوزة في الحد وغلوا في الانكار لان البعيد عن التقى كلما ازداد تمردا وشقوا والقينا بينهم بين اليهود والنصارى
وقال مجاهد والحسن اوقعنا بين اليهود العداوة والبغضاء لا يأتلف ولا يتساعد افئدتهم فمن اليهود جبرية وقدرية
ومرجئة ومشبهة ومن النصارى ملكانية ونسطورية ويعقوبية وكل ذلك الاختلاف يوجب السخط واللعن خلاف
هذه الامة فان اختلافهم رحمة ولتفرق قلوبهم وتشعب ارائهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله فلا يهمون بامر

من الامم وقد رجعوا بخفي حنين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم غلبوا وعن قتادة لا تلقى اليهود
ببلدة الا وجدتهم اذل الناس ويسعون في الارض فسادا اي يجتهدون كيدا للاسلام وذويه والله لا يحب المفسدين
فلا يجازيهم ولا ينجح لهم سعي قيل خالفوا احكام التورية فبعث الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي
ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين الى يوم القيمة ثم لما بالغ في تقبيح سيرتهم ذكر انهم
مع ما عدد من مساويهم لو امنوا بمحمد وما جاء به واتقوا المنكرات التي كانوا ياتونها لكون توبتهم نصوحا لكفرنا عنهم
تلك السيئات سترناها عليهم ولادخلناهم مع المسلمين جنات النعيم وفي النعم خلاف البوس اي ينعم صاحبها فما اوسع رحمة
الله تعالى وما اعظم عفوه وغفرانه ولو انهم اقاموا التورية والانجيل عملوا بما فيهما من الوفاء بعهود الله تعالى ومن
الاقرار بنبوة نبي اخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم او حافظوا على احكامهما وحدودهما او اقاموهما نصب اعينهم
لئلا ينسوا ما فيهما من التكاليف وما انزل اليهم من ربهم يعني القرآن او ساير الكتب الالهية كصحف ابرهيم وزبور داود
وكتاب شعيا وحبقوق ودانيال فان كلها مشحونة من البشارة بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وانهم مكلفون بالايمان
بجميعها لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي نزل عليهم بركات السماء وبركات الارض او يكثر لهم الانتجاب المثمرة
والزروع المغلة او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تناثر على وجه الارض
ويحتمل ان يراد به المبالغة في شرح السعة والخصب لا ان هناك فوقا وتحتا اي لاكلوا اكلا كثيرا متصلا ويشبه ان
يكون هذا اشارة الى ما جرى على بني قريظة وبني النضير من قطع نخيلهم وافساد زروعهم واجلائهم عن اوطانهم
والحاصل انه سبحانه وعدهم سعادة الدارين بشرط الايمان بما جاء به محمد صلعم وقدم السعادة الاخروية بقسميها وهما
دفع العذاب وايصال الثواب لشرفها ثم فصل حالهم فقال منهم امة مقتصدة طائفة متوسطة في العلو والتقصير
وذلك ان من عرف مقصوده فانه يكون قاصدا له على الطريق المستقيم من غير انحراف ولا اضطراب بخلاف من لا
لا مقصد له فانه يذهب متحيرا يمينا وشمالا فجعل الاقتصاد عبارة عن العمل المودي الى الغرض ومنهم من قال هم
الكفار من اهل الكتاب الذين يكونون عدولا في دينهم ولا يوجد فيهم عناد شديد ولا غلظة كاملة والثاني هم
المومنون منهم كعبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعين من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون فيه معنى
التعجب كانه قيل ما اسوأ عملهم لكونهم اجلافا متعصبين لا ينجع فيهم القول ولا يوثر فيهم الدليل قيل هم كعب بن الاشرف
واصحابه والروم ثم امر رسوله بان لا ينظر الى قلة المقتصدين وكثرة المعاندين ولا يتخوف مكرهم وهم فقال يا ايها
الرسول بلغ عن ابي سعيد الخدري ان هذه الاية نزلت في فضل علي ابن ابي طالب يوم غدير خم فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فلقيه عمر وقال
هنيئا لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مومن ومومنة وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي
وروي انه صلى الله عليه وسلم نام في بعض اسفاره تحت شجرة وعلق سيفه عليها فجاء اعرابي وهو نائم فاخذ سيفه
واخترطه فقال يا محمد من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف من يده وضرب براسه الشجرة
حتى انتثر دماغه ونزل والله يعصمك من الناس وقيل نزلت في امر زيد وزينب بنت جحش وقيل لما نزل ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عيب الهتهم فنزلت اي بلغ معايب الهتهم
ولا تخفها وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما بين الشرايع والمناسك في حجة الوداع قال هل بلغت قالوا نعم فقال صلى الله
عليه وسلم اللهم اشهد فنزل وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص المذكور بين وقال الحسن ان نبي الله قال لما بعثني
الله برسالته ضقت بها ذرعا وعرفت ان من الناس من يكذبني واليهود والنصارى يخوفونني فنزلت الاية
فزال الخوف وقالت عائشة سهر النبي صلعم ذات ليلة فقلت يا رسول الله ما شانك الا رجل صالح يحرسني الليلة
قالت فبينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد وحذيفة جئنا نحرسك فنام رسول الله
صلى الله عليه حتى سمعت غطيطه فنزلت هذه الاية فاخرج رسول الله صلعم راسه من قبة ادم فقال انصرفوا
ايها الناس فقد عصمني الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلعم يحرس فكان يرسل معه ابو طالب كل يوم رجالا
من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الاية فاراد عمه ان يرسل معه من يحرسونه فقال يا عماه ان الله تعالى قد عصمني من

يا ايها الرسول بلغ ما انزل

الجن والانس ومعنى قوله ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك وان لم تفعل ما امرتك به فما بلغت رسالته
من قرا على التوحيد فلان القرآن كله رسالة واحدة او لان الرسالة اسم للمصدر يقع على الواحد وعلى الجميع ومن جمع
به فما بلغت رسالاته من قرا على الوحيد فلان القرآن كله رسالة واحدة او لان الرسالة اسم المصدر فيقع على الواحد وعلى
جمع فلان كل اية او حكم رسالة فان قيل بمعنى قوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته اي لم تبلغ رسالته فاوجه صحته فالجواب
ان هذا اجاب على طريق التهديد والمراد ان لم تبلغ منها ادنى شيء فانت كمن لم يبلغ شيئا منها لان اداء بعضها ليس اولى من
اداء البعض الاخر كما ان لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها او المراد ان لم تفعل ذلك ما ترجمه كتمان الوحي كله وضع
السبب موضع المسبب وبعضهم ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال بعثني الله برسالاته وضقت به ذرعا فاوحى الله
الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فان قيل اين ضمان العصمة وقد جرى عليه يوم احد ما جرى
فالجواب ان الاية نزلت بعد يوم احد والمراد انه يعصمه من القتل وعليه ان يحتمل كل ما دون النفس والناس الكفار لقوله
ان الله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يمكنهم مما يريدون ثم لما امره بتبليغ اي شيء كان طاب للسامع او ثقل عليه امره
ان يقول لاهل الكتاب لستم على شيء اي على دين يعتد به كما يقول هذا ليس بشيء تريد تحقير شأنه وباقي الاية
مكرر للتاكيد ومعنى فلا تاس لا تاسف فلا تحزن عليهم بسبب زيادة طغيانهم فان وبال ذلك عايد عليهم او فلا تاسف
بسبب نزول اللعن والعذاب عليهم فانهم من الكافرين المستحقين لذلك يقال اسي على مصيبته بالكسر ياسى اسى
اي حزن ثم لما بين ان اهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا بين ان هذا الحكم عام في الكل وانه لا يحصل لاحد منقبة
ولا سعادة الا اذا امن وعمل صالحا وذلك ان كمال القوة النظرية لا تحصل الا بمعرفة المبدا والمعاد اعني الايمان بالله
واليوم الاخر وكمال القوة العملية انما يحصل بتعظيم المعبود والشفقة على المخلوق اعني العمل الصالح وغاية هذا الكمال
الخلاص من الخوف عما يستقبل ومن الحزن على ما مضى من طيبات الدنيا لانهم وجدوا امورا اعظم واشرف وقد تقدم
تفسير مثل هذه الاية في سورة البقرة الا انه بقي ههنا بحث لفظي وهو ان قوله والصابئون عطف على ماذا فقال الكوفيون
انه معطوف على محل الذين لان اسم ان اذا كان مبنيا جاز العطف على محله وان كان قبل ذكر الخبر فيجوز انك وزيد
ذاهبان وان لم يجز ان زيدا وعمرو قائمان وذهب البصريون الى عدم جواز ذلك مطلقا لانه يؤدي الى اعمال ان واعمال
معنى الابتداء معا في قائمان فيجتمع على المرفوع الواحد رافعان مختلفان وانه محال فاذن الصابئون مرفوع بالابتداء على
نية التاخير كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك فيكون هذه جملة معطوفة
على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها وفائدة هذا التقديم التنبيه على ان التوبة
مقبولة البتة وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا لانهم صبأوا عن الاديان كلها اي خرجوا فكانه قال
كل هؤلاء الفرق اذا اتوا بالايمان والعمل الصالح قبلت توبتهم حتى الصابئون ولو قيل والصابئين لم يكن من التقديم
في شيء لانه ثابت في مركزه الاصلي وانما يطلب فائدة التقديم في شيء لانه ثابت في مركزه الاصلي وانما يطلب فائدة
التقديم فيما يقتضي المزال عن موضعه والراجح الى اسم ان محذوف والتقدير من امن منهم كما في البقرة والله اعلم
التاويل شيء الفريقين من جعله الله مستعد القبول قبض القهر من اللعن والغضب وجعل صفة القردية والخنزيرية
اعني الحيلة والحرص والشهوة من بعض خصائصهم اولئك شر مكانا من القردة والخنازير لان القردة والخنازير
لا استعداد لهم وهؤلاء قد ابطلوا استعدادهم الفطري ومثله اولئك كالانعام بل هم اضل ولهذا دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا
به الربانيون مشايخ الطريقة والاحبار علماء الشريعة غلت ايديهم كانت ايديهم من اصابة الخير مغلولة ومثاليهم
عن تنسم عن روايح الصدق مزكومة فلهذا قالوا يد الله مغلولة وكل اناء يترشح بما فيه ولكنه ادركته العناية
الازلية وسلبت عنه صفات الظلومية والجهولية صلى الله عليه وسلم قال يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة
سحاء الليل والنهار ينفق كيف يشاء بيدي اللطف والقهر على المومنين من الهداية والاحسان وعلى الكافرين
من الغواية والخذلان والقينا بينهم العداوة والبغضاء فلا يوجد الا وبينه وبين صاحبه بغض الى ان يتوارثوا بطنا
بعد بطن ولو ان اهل العلوم الظاهرة امنوا بالعلوم الباطنة واتقوا الانكار والاعتراض ولو انهم امنوا بمتفقات
الكتب المنزلة ومستحسناتها لاكلوا من فوقهم ولرزقوا من الواردات الروحانية ومن تحت ارجلهم الى اعلى

منا ما منهم من العلما الظاهريين امة مقتصدة ان لم يكن سابقا بالخيرات والمقتصد هو العالم المتقي والمريد الصادق دون السابق وهو الواصل الكامل العالم الرباني بلغ ما انزل اليك بتدريج تحمله الوحي والالهامات والمنامات والوقايع والواردات والمشاهدات والكشوف والانوار والاسرار والاخلاق والمواهب والحقايق ومعاني النبوة والرسالة فلرسول ان لم يبلغ بعض هذه الحقايق الى العباد لم يمكنهم الوصول الى الله فلا يحصل مقصود ما ارسل به فلم يبلغ رسالته الا ان التبليغ مراتب كما انزل اليه فتبليغ بالعبارة وتبليغ بالاشارة وتبليغ بالتاديب وتبليغ بالتعليم وتبليغ بالتزكية وتبليغ بالمعاملة وتبليغ بالهمة وتبليغ بجذبات الولاية وتبليغ بقوة النبوة والرسالة وتبليغ بالشفاعة وللخلق ايضا مراتب بحسب قبول الدعوة بحسب الاستعداد المختلفة انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها والله يعصمك باوصاف لاهوتيته عن اوصاف ناسوتيتك لتتصرف في الخلق بقوة اللاهوتية فتوصلهم الى الله ولا ينقص من نبيك فيقطعوك عن الله يا ارباب العلوم الظاهرة لستم على شيء من حقيقة الدين حتى تقيموا ظاهركم وباطنكم بالاعمال والاحوال الواردة في الكتب الالهية وذلك بمقدمتين واربع نتايج فالمقدمتان الجذبة الالهية ونتيجتها الاعراض عن الدنيا والتوجه الى المولى ثم تربية الشيخ ونتيجتها تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالاخلاق الفاضلة والله اعلم وهو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ۝

وَلَقَدْ اَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي اِسْرَائِيلَ وَاَرْسَلْنَا اِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا
تَهْوَى اَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝ وَحَسِبُوا اَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا
وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي اِسْرَائِيلَ
اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ اِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَاْوَيهُ
النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ اَنْصَارٍ ۝ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَثَةٍ وَمَا مِنْ
اِلَهٍ اِلَّا اِلَهٌ وَاحِدٌ وَاِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ
عَذَابٌ اَلِيمٌ ۝ اَفَلَا يَتُوبُونَ اِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَاُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاْكُلَانِ الطَّعَامَ
انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْاَيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ اَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ اَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ قُلْ يَا اَهْلَ الْكِتَابِ
لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا اَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَاَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا
عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي اِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى

ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ
لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ
لَهُمْ اَنْفُسُهُمْ اَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ اَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝
لَتَجِدَنَّ اَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ اٰمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ اَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ اَقْرَبَهُمْ
مَوَدَّةً لِلَّذِينَ اٰمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا اِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِاَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا
وَاَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَاِذَا سَمِعُوا مَا اُنْزِلَ اِلَى الرَّسُولِ تَرَى اَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ
مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا اٰمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَا لَنَا
لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ اَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ۝ فَاَثَابَهُمُ
اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا اُولَئِكَ اَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝

الجزء الثامن

القراءة ان لا تكون بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف غير سهل وحفص وابي بكر وحماد الباقون بالنصب **الوقوف** رسلا انفسهم لان عامل كلما فوله كذبوا يقتلون كثير منهم بما يعملون ابن مريم وربكم النار من انصار ثلثة لئلا يوهم ان ما بعده من قول الكفار واحد اليم ويستغفرونه والوصل ايضا حسن بناء على ان الواو للحال اي هلا يستغفرون وهو غفور رحيم رسول لاحتمال ما بعده الصفة والاستيناف الرسل لان الواو للاستيناف لا للعطف صديقة لان ما بعده لا يصلح للصفة لان الضمير في كانا مثنى الطعام يوفكون ولا نفعا والوصل احسن على ان الواو للحال اي يعبدون ما لا ينفع ولا يضر والحال ان الله يسمع دعا المضطر ويعلم رجاء المعتر العليم السبيل ابن مريم يعتدون فعلوه يفعلون كفروا خالدون فاسقون اشركوا لطول الكلام والفصل بين الوصفين المتضادين نصارى لا يستكبرون الجزو السابع من الحق لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف الشاهدين من الحق لان الواو بعده للحال الصالحين خالدين فيها المحسنين الجحيم **التفسير** انه تعالى افتتح السورة اوفوا بالعقود وانجر الكلام الى ما انجر والان عاد الى ما بدا به والمقصود بيان عتو بني اسرائيل ومن شرعهم اي اخذنا ميثاقهم بخلق الدلائل وخلق العقل الهادي الى كيفية الاستدلال وارسلنا اليهم رسلا لتعريف الشرايع والاحكام قال في الكشاف كلما جاءهم رسول الى اخره جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع الى المحذوف محذوف اي رسول منهم واقول الاصوب جعلها جملة مستانفة جوابا لسايل يسال كيف فعلوا برسلهم ولهذا كان الوقف على رسلا مطلقا واما جواب الشرط فاختار في الكشاف انه محذوف لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان يقال ان اكرمت اخي اخاك اكرمت فالتقدير كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه لو عادوه وقوله فريقا كذبوا جواب قايل كيف فعلوا واقول

اما ان التركيب المذكور غير مستحسن فبعيد النزاع واما ان الرسول الواحد لا يكون فريقين فتغليط لان قوله كلما يدل على كثرة مجيء الرسل فلهذا صح جعلهم فريقين ومعنى بما لا تهوى انفسهم بما يضاد شهواتهم لرغبتهم عن التكاليف وفائدة تقديم المفعول وايراد تقتلون مضارعا ذكرناها في سورة البقرة ومن غرائب التفسير الكبير انه ذكر التكذيب بلفظ الماضي انه اشارة الى معاملتهم مع موسى عليه السلام في التيه وتمردهم عن قبول قوله وقد انقضى من ذلك الزمان اوان كثير وذكر القتل بلفظ المستقبل انه رمز الى ما فعلوا بزكريا ويحيى وعيسى على زعمهم وان ذلك الزمان قريب فكان كالحاضر وحسبوا ان لا تكون فتنة قال علماء الادب الافعال على ثلاثة اضرب فعل يدل على ثبات الشيء كالعلم والتيقن فيقع بعده ان المشددة الدالة على اثبات الشيء ايضا لتاكيد مقتضاه كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين فان خففت ودخل في الفعل لم يجز الا ان يكون مع فعله قد او سوف او السين او حرف نفي ليكون كالعوض من احدى النونين وقيل من حذف ضمير الشان مثل علم ان سيكون وفعل يدل على خلاف الثبات والاستقرار نحو اطمع واخاف وارجو فلا يجيء معه الا ان الخفيفة الناصبة للفعل كقوله والذي اطمع ان يغفر لي وفعل يحتمل المعنيين فيجوز فيه كلا الوجهين كقوله وحسبوا ان لا تكون قرئ بالنصب على ان المصدرية وكون الحسبان بمعنى الظن وبالرفع على ان المخففة اي انه لا تكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان ونزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم وما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه سد مسد المفعولين وكان تامة والمعنى وحسب بنو اسرائيل انه لا يقع فتنة وهي محصورة في عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فعذاب الدنيا اقسام منها القحط ومنها الوبا ومنها القتل ومنها العداوة والبغضاء فيما بينهم ومنها الادبار والنحوسة وكل ذلك قد وقع بهم وقد فسرت الفتنة بكل ذلك وحسبانهم ان لا يقع فتنة يحتمل وجهين الاول انهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وان نبوة اسلافهم تدفع العقاب عنهم ثم ان الاية تدل على ان عماهم عن الدين وصممهم عن الحق حصل مرتين فقال بعض المفسرين انهم عموا وصموا في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليه السلام ثم تاب الله على بعضهم حيث وفقهم الى الايمان به ثم عموا وصموا كثير منهم في زمان محمد صلى الله عليه وسلم فانكروا نبوته الا بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وقوله كثير منهم بدل عن الضمير كقولك رايت القوم اكثرهم وقيل انه على لغة من يقول اكلوني البراغيث وقيل خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم وقال بعضهم عموا وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا منه فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم بالتعنت وهو طلب رؤية الله جهرة وقال القفال انه يجوز ان يكون اشارة الى ما في سورة بني اسرائيل فاذا جاء وعد اولاهما فاذا جاء وعد الاخرة وقرئ عموا وصموا بالضم اي رماهم الله وضربهم بالعمى والصمم كما يقال زكمته اذا ضربته بالزكمة ثم انه سبحانه لما استقصى الكلام مع اليهود شرع في حكاية كلام النصارى فحكى عن فريق منهم انهم قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية القائلين ان مريم ولدت الها ولعل مرادهم انه تعالى حل في ذات عيسى واتحد به ثم حكى عن المسيح ما حكى ليكون لهم حجة قاطعة على فساد ما اعتقدوه فيه وذلك انه لم يفرق بين نفسه وبين غيره في الربوبية وفي ظهور دلائل الحدوث عليه ثم اكد ذلك المعنى بقوله انه من يشرك بالله اي في العبادة او في تجويز الحلول او الاتحاد او في اجراء نفسه في المخلوقين او بالعكس فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي منعه منها وما للظالمين من انصار من كلام الله تعالى او من حكاية قول عيسى لهم وقد مر تفسيره في اخر سورة ال عمران وفيه تقريع لهم لانهم كانوا يعتقدون ان لهم انصارا كثيرا فانهم يقولون ويعتقدون ومن الله تعالى او عيسى ذلك وان كانوا يريدون بذلك تعظيمه قال المفسرون ثالث ثلاثة معناه ثالث الهة ثلاثة ليلزم الكفر والا فما من اثنين الا الله ثالثهما يحكى ان النصارى يقولون اب وابن وروح قدس والثلاثة اله واحد كما ان الشمس تتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة قالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر وزعموا ان الاب اله واحد والابن اله واحد والروح اله واحد والكل اله واحد واعلم ان هذا معلوم البطلان بالبديهة لان الثلاثة لا يكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة فلا جرم رد الله مقالتهم بقوله وما من اله الا اله واحد فزاد من الاستغراقية والمعنى ما اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك ثم زجرهم بقوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا

قال

قال الزجاج يعني الذين اقاموا على هذا الدين لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية ومن في قوله منهم للتبعيض ويجوز ان يكون للبيان والمراد ليمسنهم ولكن اقيم الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر ورمزا الى انهم من الكفر بمكان حتى لو فسر الكفار المعذبين عنوا بذلك خاصة ومعنى عذاب اليم نوع شديد الالم من العذاب افلا يتوبون قال الفراء امر بلفظ الاستفهام وفيه تعجيب من اصرارهم على الكفر بعد الوعيد الشديد ثم احتج على ابطال معتقدهم بقوله ما المسيح ابن مريم الا رسول وهذا الترتيب في غاية الحسن لانه منعهم من الكفر اولا ثم حثهم على الاسلام ثانيا ثم شرع في حل شبهتهم ثالثا ومن هنا قيل ان المرتد يستتاب بلا مهلة ومناظرة ان عنت له شبهة بل يسلم اولا ثم يحل شبهته ثانيا والمعنى ما هو الا رسول من جنس الرسل الماضين لا يتعدى الرسل الى الالهية كما لم يتخطوا فان خلق من غير ذكر فقد خلق ادم من غير ذكر ولا انثى وان ابرأ الاكمه والابرص واحيى الموتى فقد جعل موسى العصا حية تسعى وذلك من ايات ربه الكبرى وامه صديقة كبعض النساء المؤمنات بالانبياء الصادقات في اقوالهن وافعالهن واحوالهن قال تعالى في وصفها وصدقت بكلمات ربها وكانت من القانتين اي من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم المجتهدون في اقامة مراسم العبودية وفيه تكذيب النصارى المفرطين فيها اذ جعلوها الها وفيه تكذيب اليهود المفرطين في شانها حيث نسبوها الى الزنا تعالى الله عن الكذب في ان عيسى خلق من غير اب وفيه ان من كان له ام فقد حدث بعد ان لم يكن فكان مخلوقا لا الها ثم اكد حدوثهما وعجزهما بقوله كانا يأكلان الطعام فان المحتاج الى الاغتذاء سيحتاج الى ما يتبعه من الهضم والنقص فكل هذه الافتقارات دليل ظاهر وبرهان باهر على حدوثهما او دخولهما في حيز الامكان ثم عجب من غاية عنادهم فقال انظر يا محمد او يا من له اهلية النظر كيف نبين لهم الايات الادلة الظاهرة على بطلان قولهم والعامل في كيف قوله نبين ومفعول انظر مجموع الجملة بل مضمونها اي تبصر هذه الحالة وتفكر فيها ومثله ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق افكه بالفتح يافكه بالكسر افكا بالفتح والسكون صرفه عن الشيء ومنه الافك بالكسر الكذب لانه مصروف عن الحق وارض مافوكة صرف عنها المطر ومعنى ثم التراخي والبون بين العجيبين اي بينا لهم الايات بيانا عجبا ولكن اعراضهم عنها اعجب ثم الصارف عن تامل الحق هو الله او العبد فيه خلاف مشهور بين الاشاعرة والمعتزلة وانت قد عرفت التحقيق فيها مرارا ثم اقام حجة اخرى على فساد قول النصارى فقال قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك اي شيئا لا يستطيع ان الذي لا يقدر على مثل ما يضركم به الله من البليات والمصائب او ينفعكم به من الصحة والخصب او بغير واسطة بل لم يملك شيئا من ذلك لنفسه فان اليهود كانوا يقصدونه بالسوء ولم يقدر على دفعهم ومن مذهب النصارى ان اليهود صلبوه ومزقوا اضلاعه ولما عطش وطلب الماء صبوا الخل في منخريه وكان عليه السلام مصروف الهمة الى عبادة الله ولو كان الها كان معبودا فقط لا عابدا والله هو السميع العليم بالطلبات وبعلم ضمائرهم فيجازيهم عليه وفيه من الوعيد ما فيه ثم عاد الى مخاطبة الفريقين فقال يا اهل الكتاب لا تغلوا والغلو مجاوزة الحد الا عند الله وانه شامل لطرفي الافراط والتفريط وان كان قد يخص بطرف الافراط فيجعل مقابلا للتقصير ولعل المراد هاهنا هو الاول فاليهود فرطوا فيه حيث نسبوه الى الزنا والكذب والنصارى افرطوا فيه حيث ادعوا فيه الالهية قال في الكشاف قوله غير الحق صفة للمصدر اي غلوا غير الحق وزعمه القول بان الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يبالغ في تقرير الحق وتوضيحه واستكشاف حقائقه وباطل وهو ان يتبع الشبهات على حسب الشهوات والثاني منهي عنه دون الاول وانى لما كان الغلو مجاوزة الحد وكل شيء جاوز حده شابه ضده فكيف يتصور غلو حق ولله در القائل كلا طرفي قصد الامور ذميم نعم فالاصوب ان يقال انتصب غير الحق على انه صفة قائمة مقام المصدر اي لا تغلوا غلوا كقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين اي افسادا وكقولهم يقال جالسا وقم قائما ولو سلم ان المصدر محذوف كان غير الحق صفة موكدة مثل نفخة واحدة وامس الدابر لا صفة مميزة فافهم ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا هي المذاهب التي تدعوا اليها الشهوة دون الحجة قال الشعبي ما ذكر الله تعالى لفظ الهوى في القرآن الا ذمه ولا تتبع الهوى فيضلك وما ينطق عن الهوى افرايت من اتخذ الهه هويه قال ابو عبيد لم نجد الهوى يوضع الا في الشر لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار وقال رجل لابن عباس الحمد لله الذي جعل هواي على هواك فقال ابن عباس كل هوى ضلالة قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم في النصرانية واليهودية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم واضلوا كثيرا من شايعهم على التثليث او التفريط في شان مريم وابنها وضلوا عن سواء السبيل عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فكذبوه

فكذبوه والغرض بيان استمرارهم على الضلال قديما وحديثا وقيل الضلال الاول عن الدين والضلال الثاني اعتقادهم
في ذلك الاضلال انه ارشاد الحق لعنهم الله في الزبور على لسان داود عليه السلام وفي الانجيل على لسان عيسى
عليه السلام وهذه تغيير لهم حيث اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخوا قردة واما اصحاب المائدة فلما اكلوا
منها ولم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ما فيهم امراة
ولا صبي وعن الاصم ان داود وعيسى عليهما السلام بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكذب به ذلك اللعن بسبب
عصيانهم واعتدائهم وفسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون المتناهي معنيان احدهما وعليه الجمهور انه تفاعل
من النهي اي كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رضي عمل قوم فهو منهم ومن
كثر سواد قوم فهو منهم وذلك ان في التناهي المامور به حسما للفساد فكان الاخلال به معصية وظلما والثاني انه بمعنى
الانتهاء اي لا يمتنعون ولا ينتهون عن معاودة منكر فعلوه لان النهي بعد الفعل والمراد لا يتناهون عن منكر ارادوا
فعله كالاية ولا ينتهون او لا ينتهون عن الاصرار على منكر فعلوه ثم تعجب من سوء فعلهم موكدا بالقسم المصدر فقال
لبئس ما كانوا يفعلون ترى لما وصف اسلافهم بما وصف شرع في نعت الحاضرين وانهم كثير منهم يتولون المشركين
والمراد كعب بن الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مر في سورة النساء عند قوله
هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا لبئس ما قدمت لهم انفسهم من العمل لمعادهم ومحل ان سخط رفع على انه مخصوص
بالذم اي بئس الزاد الى الاخرة سخط الله وسببه ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وهو موسى وما انزل اليه في التوراة
كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم فلهذا يتولون المشركين وقال
القفال ولو ان هؤلاء المشركين يؤمنون بالله ومحمد ما اتخذهم اليهود اولياء ثم وصف شكيمة اليهود ولين عريكة
النصارى فقال لتجدن يا محمد او كل من له اهلية الخطاب اشد الناس عداوة وقد تعلقت بها اللام في قوله للذين امنوا
كما تعلقت بالمودة فيما بعد وظاهر الاية يدل على ان اليهود في غاية العداوة للمسلمين وكيف لا وقد نبه على قدم قدمهم
في العداوة بتقديمهم على الذين اشركوا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله لكنه روي
عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي ان المراد به النجاشي وقومه الذين قدموا من الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامنوا به ولم يرد جميع النصارى مع ظهور عداوتهم للمسلمين وقال اخرون مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر
الى من خالفهم في الدين باي طريق كان بالقتل او بغصب المال او بوجوه الكيد والحيل وليس النصارى مذهبهم ذلك
بل الايذاء في دينهم حرام فهذا وجه التفاوت بالعداوة والمودة وقد اكد ذلك بوصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب
وفي الاية نكتة وهي ان التمرد والمعصية عادة لهم ففرغ قلبك يا محمد ولا تبال بمكرهم ولا تحزن على كيدهم ثم ذكر سبب
ذلك التفاوت فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا القس والقسيس اسم لرئيس النصارى في العلم والدين وكانه
وهو تتبع الشيء وطلبه قال قطرب هو العالم بلغة الروم وهذا مما وقع فيه الوفاق بين اللغتين وقال عروة بن الزبير
ضيعت النصارى الانجيل وادخلت فيه ما ليس منه وبقي واحد من علمائهم على الحق والدين يسمى قسيسا فمن كان على
هديه ودينه فهو قسيس والرهبان جمع راهب كركبان وفرسان في راكب وفارس وقيل انه واحد وجمعه رهابين
كقربان وقرابين ولكن النظم يأباه واصله من الرهبة بمعنى الخوف من الله تعالى وانما صارت الرهبانية ممدوحة
في مقابلة قساوة اليهود وغلظهم والا فهي مذمومة في نفسها لقوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ولقوله صلى الله عليه
وسلم لا رهبانية في الاسلام وههنا نكتة هي ان كفر النصارى حيث انهم ينازعون في الالهيات والنبوات جميعا اغلظ في
الحقيقة من كفر اليهود لانهم لا ينازعون الا في النبوات الا في بعضهم القائلين بان عزيرا ابن الله ثم ان النصارى
لما لم يشتد حرصهم على طلب الدنيا وعلى الحيوة واقبلوا على العلم والبراءة من الكبر خصهم الله تعالى بالمدح وذم اليهود
حيث قال ولتجدنهم احرص الناس على حيوة غلت ايديهم فتبين صحة قوله صلى الله عليه وسلم خاف على اصحابه من
المشركين فبعث جعفر بن ابي طالب وابن مسعود الى النجاشي وقال انه ملك صالح لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا
اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فلما وردوا عليه اكرمهم وقال لهم هل تعرفون شيئا مما انزل عليكم قالوا نعم فقرأوا
وحوله القسيسون والرهبان فكلما قرأوا اية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق وقال اخرون انه قدم جعفر بن ابي طالب

من الحبشة هو واصحابه ومعهم سبعون رجلا بعثهم النجاشي وفدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثياب
الصوف اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وهم بحيرى الراهب وابرهة وغيرهما فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة يس الى اخرها فبكوا وامنوا فنزلت والخطاب في ترى لكل راء وقد وضع الفيض الذي هو مسبب الامتلاء موضع
الامتلاء واصله يمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض بعد الامتلاء ويحتمل ان يكون الدمع مصدر دمعت عينه
وقصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء كان الاعين تفيض بانفسها ومعنى مما عرفوا من الحق اي مما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم
وهو الحق من الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع نشا من معرفة الحق والثانية لبيان ويحتمل التبعيض يعني
انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف لو عرفوا كله احاطوا بالسنة ربنا امنا المراد على انشاء الايمان لا الاخبار عنه فاكتبنا
مع الشاهدين مع امة محمد وقد مر مثله في ال عمران وما لنا انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع حصول موجبه
وهو الطمع في انعام الله عليهم بادخالهم دار ثوابه مع الصالحين قالوا ذلك في انفسهم او فيما بينهم او في جواب قومهم
حين رجعوا اليهم ولاموهم ومحل لا نؤمن نصب على الحال نحو ما لك قائما والعامل فيه معنى الفعل اي ما نصنع غير مؤمنين
وهو العامل ايضا في ونطمع ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو حذفتها وقلت وما لنا ونطمع لا اخلت ويحتمل ان يكون
ونطمع حالا من لا نؤمن كانهم انكروا ان لا يوحدوا الله وهم يطمعون في الثواب وان يكون عطفا على لا نؤمن اي ما لنا نجمع بين
التثليث وبين الطمع فاثابهم الله بما قالوا ظاهره يدل على انهم انما استحقوا الثواب بمجرد القول ولكن فيما سبق من وصفهم
بمعرفة الحق ما يدل على خلوص عقيدتهم فلا جرم لما انضاف اليه القول كمل الايمان ويحتمل ان يكون ماخوذا من قولك هذا
قول فلان اي اعتقاده ومذهبه وروى عطاء عن ابن عباس ان المراد بما سالوا من قولهم فاكتبنا مع الشاهدين قال
اهل السنة فيه دليل على ان المعرفة مع الاقرار يوجب حصول الثواب وصاحب الكبيرة له المعرفة والاقرار فلا
بد ان يؤول حاله الى هذا الثواب والمعتزلة سلموا ان الاقرار مع المعرفة يوجب الثواب ولكن بشرط عدم الاحباط
التاويل لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل مع ذرات ذريات ادم وارسلنا اليهم رسلا بالاجساد في عالم الشهادة ومن
الواردات الروحانية في عالم الغيب فريقا كذبوا يعني الالهامات والواردات وفريقا يقتلون في عالم الحس لقد كفر
الذين قالوا النصارى ارادوا ان يسلكوا طريق الحق بقدم العقل فتاهوا في اودية الشهوات وامة محمد صلى الله عليه وسلم سلكوا
الطريق باقدام جذبات الالوهية على وفق المتابعة الحبيبية فاسقط منهم بواهب الوصال كلفة الاستدلال ولهذا
كان الشبلي يغسل كتبه بالماء ويقول نعم الدليل انت ولكن الاشتغال بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال فحقق لهم ان عيسى
بعد التزكية والتحلية صار قابلا للفيض الالهي فكان يخلق ما يخلق ويفعل ما يفعل باذن الله كما ان المراد بالمعرفة تخرق
بما قبل من فيض الشمس انه من يشرك بالله ظاهرا فقد حرم الله عليه الجنة ومن يشرك باطنا حرم عليه القربة على لسان داود
وعيسى بن مريم هذا سر الخلافة فان الانسان الكامل المستحق للخلافة يتولى له قول الحق ورده رد الحق لا يتناهون سمي العصيان
منكرا لانه يوجب التنكر كما سمي الطاعة معروفا لانها توجب المعرفة ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا يعني ان تعارف الارواح
يوجب ائتلاف الاشباح فالنصارى ببركة علمائهم وعبادهم وصفاء قلوبهم وخضوعهم ثبتت له القربة والمودة من اهل الايمان
عرفوا الحق الذي سمعوه في الازل يوم الميثاق فامنوا وذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله في
يشاهدونه بلوامع المعرفة وطوالع المحبة فالاحسان ان تعبد الله كانك تراه والله اعلم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ لَا يُؤَاخِذُكُمُ
اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ
مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ

أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم
تشكرون يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل
الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء
في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله
وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ليس على
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد وآمنوا ثم اتقوا
تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب
أليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل
ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل
ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز
ذو انتقام أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد
البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام
قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في
السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب
وأن الله غفور رحيم ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب
لعلكم تفلحون **القراءة** بما عقدتم بالتخفيف حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل
وقرا ابن ذكوان عاقدتم بالالف الباقون عقدتم بالتشديد من اوسط مثل مبسوطتان فجزاء بالتنوين مثل بالرفع
يعقوب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل كفارة طعام بالاضافة ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون كفارة

بالتنوين

٣٦٦

بالتنوين طعام بالرفع قيما بغير الف ابن عامر **الوقوف** ولا تعتدوا المعتدين طيبا لعطف المتفقتين مؤمنون
الايمان لاختلاف النظم مع اتحاد الكلام وفاء التعقيب رتبة ثلثة ايام حلفتم للاضمار اي حلفتم وحنثتم ايمانكم تشكرون
تفلحون وعن الصلوة لابتداء الاستفهام لاجل التخويف مع دخول الفاء فيه منتهون واحذروا المبين واحسنوا المحسنين
بالغيب اليم وانتم حرم وبال امره سلف منه انتقام وللسيارة لطول الكلام و تضاد المعنيين وان اتفقت الجملتان لفظا
حرما لاطلاق الامر بالابتداء تحشرون والقلائد عليم رحيم البلاغ تكتمون كثرة الخبيث لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض
تفلحون **التفسير** انه سبحانه بعد استقصاء المناظرة مع اهل الكتابين عاد الى بيان الاحكام فبدا بحل المطاعم والمشارب
واستيفاء اللذات كيلا يتوهم متوهم ان مدح القسيسين والرهبان يوجب ايثار طريقتهم في هذا الدين قال المفسرون
جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الناس ووصف القيمة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس وبكوا
فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون منهم ابو بكر وعلي وابن مسعود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي
فاتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفراش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء
والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهم الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال اني لم اومر بذلك ان
لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم من رغب عن سنتي فليس مني
ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم
ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبا نيتهم
الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وصوموا رمضان فانما هلك من كان
قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله هذه الاية
فقالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه فنزلت لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم فهذا وجه اتصال الايات فان قيل ما الحكمة في قوله لا تحرموا ومن المعلوم ان توسع الانسان في
اللذات والطيبات يمنعه عن الاستغراق في تحصيل السعادات الباقيات ولهذا قالت الحكماء اذا شبعت الاجسام صارت
الارواح اجسادا واذا جاعت الاجسام صارت الاجساد ارواحا فالجواب ان الرهبانية المفرطة مما يوقع
الافة في الاعضاء الرئيسة التي هي القلب والكبد والدماغ والانثيان فيختل الفكر ويقل التامل في الجواهر الروحانية
ومباديها على ان النفوس القوية لا يمنعها التصرف في الجسمانيات عن التامل في الروحانيات فالرهبانية دليل الضعف
والقصور والكمال في الوفاء بالجهتين وكيف لا والرهبانية توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل وترك التزهد مع
رعاية وظائف الطاعة يفضي الى سعادة الدارين قال القفال انه تعالى قال في اول السورة اوفوا بالعقود فبين انه لا
يجوز تحليل المحرم وذلك انهم كانوا يحللون الميتة والدم ويحرمون البحاير والسوايب ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم ما احل
الله ولا تظهروا باللسان تحريمه او لا تجتنبوها اجتنابا يشبه اجتناب المحرمات فهذه الوجوه محمولة على الاعتقاد
والقول والعمل ويحتمل ان يراد لا تحرموا على غيركم بالفتوى او لا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين كقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل
الله لك او لا تخلطوا المملوك بالمغصوب والطاهر بالنجس خلطا لا يبقى التمييز فانه يحرم الكل والطيبات اللذات التي
تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب ثم نهى عن الاعتداء مطلقا ليدخل تحته النهي عن تحريم الطيبات تارة اخرى
فقال ولا تعتدوا او يحتمل ان يراد لا تتعدوا ما احل لكم الى ما حرم عليكم او يراد النهي عن الاسراف كقوله كلوا واشربوا
ولا تسرفوا وكلوا امر اباحة وتحليل مما رزقكم الله في ادخال من التبعيضية ارشاد الى الاقتصاد والاقتصار في
الاكل على البعض وصرف الباقي الى المحتاجين وفيه انه تعالى هو الذي يرزق عبيده وتكفل برزقهم قال في التفسير
الكبير قوله حلالا طيبا ان كان متعلقا بالاكل كان حجة للمعتزلة على ان الرزق لا يكون الا حلالا لانه يدل على الاذن
في اكل كل ما رزق الله تعالى وانما ياذن في اكل الحلال فيلزم ان يكون كل رزق حلالا اقول وهذا فرق ضعيف ولهذا
قال في الكشاف حلالا حال مما رزقكم الله مع انه من المعتزلة ثم اكد التوصية بقوله واتقوا الله وزاده تاكيدا بقوله
الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب اتقاءه في اوامره ونواهيه ثم قال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم

وقد ذكرنا وجه النظم آنفا وهو تقديم معنى يمين اللغو في سورة البقرة اما قوله بما عقدتم الايمان فمن قرا بالتخفيف فانه
صالح للقليل والكثير فلا اشكال ومن قرا بالتشديد فان ابا عبيدة اعترض عليه بان التشديد للتكثير فهذه القراءة توجب
سقوط الكفارة عن اليمين الواحدة واجاب الواحدي بان عقد بالتخفيف وعقد بالتشديد واحد في المعنى ولو سلم فالتكرير
يحصل بان يعقدها بقلبه ولسانه اما لو عقد اليمين باحدهما دون الاخر فلا كفارة ومن قرا بالالف فمثل القراءة المخففة كقولك
عاقبت اللص وعافاه الله والمعنى على القراآت ولكن يواخذكم بعقد الايمان او بتعقيدها او معاقدتها اذا حنثتم فحذف الظرف
للعلم به او المراد بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته اي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها احد هذه
الامور ويسمى بالواجب المخير وحاصله انه لا يجب الاتيان بكل واحد منها ولا يجوز الاخلال بجميعها ولكنه اذا اتى باي واحد
شاء منها فانه يخرج عن العهدة ومن هنا قال اكثر الفقهاء الواجب واحد لا بعينه من الاطعام والكسوة وتحرير الرقبة
فان عجز عنها جميعا فالواجب شيء اخر وهو الصوم اما مقدار الطعام فقد قال الشافعي نصيب كل مسكين مد اي ثلثا من وهو
قول ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب والحسن وقاسم لانه تعالى قال من اوسط ما تطعمون فان كان المراد ما كان
متوسطا في العرف فثلثا من من الحنطة اذا جعل دقيقا وخبز فانه يصير قريبا من المن وذلك كان لواحد في يوم واحد وان
كان المراد ما كان متوسطا في الشرع فقد اي الاسناد في قصة الاعرابي المفطر ان النبي صلى الله عليه وسلم امره باطعام
ستين مسكينا من غير مقدار فقال الرجل ما اجد فاتي النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه خمسة عشر صاعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اطعم هذا وذلك يدل على تقدير طعام المسكين بربع الصاع وهو مد ولا يلزم كفارة الحلق لانها شرعت بلفظ الصدقة
مطلقة عن التقدير باطعام الاهل فكان تكفيرها معتبرا بصدقة الفطر وقد ثبت بالنص تقديرها بالصاع لا بالمد
وقال ابو حنيفة الواجب نصف صاع من الحنطة او صاع من غيرها قال لان الاوسط هو الاعدل وما ذكره الشافعي هو ادنى
ما يكفي واما الاعدل فيكون بادام وهكذا روي عن ابن عباس مد بادامه والادام يبلغ قيمته مدا اخر وزيد في الاغلب
اجاب الشافعي ان الادام غير واجب بالاجماع فلم يبق الا حمل اللفظ على التوسط في قدر الطعام ومقداره ما ذكرنا وجنس
الطعام المخرج جنس الفطرة ثم قال الشافعي الواجب تمليك الطعام قياسا على الكسوة وقال ابو حنيفة اذا غدى وعشى
عشرة مساكين جاز لان ذلك اطعام ولان اطعام الاهل يكون بالتمكين لا بالتمليك وقد قال من اوسط ما تطعمون اهليكم
وللقائل ان يقول ذكر اطعام الاهل لتبيين مقدار المطعم لا لاجل كيفية الاطعام وقال ابو حنيفة لو اطعم مسكينا واحدا عشر
مرات جاز وقال الشافعي لا يجزي الا اطعام عشرة لان مدار الباب على التعبد الذي لا يعقل معناه فيجب التوقف على مورد
النص قال في الكشاف او كسوتهم عطف على محل من اوسط ووجهه بان البدل هو المقصود فكانه قيل فكفارته من اوسط
ما تطعمون والاظهر ان يكون من اوسط مفعولا اخر للاطعام سوا كان من الابتدا او للتبعيض ويكون كسوتهم معطوفا على الاطعام
والكسوة معناها اللباس وهو كل ما يكتسى به قال الشافعي يجزي في الكفارة اقل ما يقع عليه اسم الكسوة وهو ثوب
يغطي العورة ازار ورداء وقميص او سراويل او عمامة او مقنعة لكل مسكين ثوب واحد لما روي ابن عباس كانت العباءة
تجزي يومئذ وعن مجاهد ثوب جامع وقال الحسن ثوبان ابيضان والمراد بالرقبة الجملة كان الاسير في العرب يجمع يداه
الى رقبته فاذا اطلق حل ذلك الحبل فسمي الاطلاق من الحبل فك رقبة ثم اجري ذلك على العتق هكذا قيل في اصل هذا المجاز
ومذهب اهل الظاهر ان جميع الرقاب مجزية وقال الشافعي لا يجزي الا كل سليمة من عيب يخل بالعمل صغيرة كانت او
كبيرة ذكرا او انثى بعد ان كانت مؤمنة قياسا على كفارة القتل ولم يجوز اعتاق المكاتب ولا شري القريب وفي تقديم
الاطعام على العتق مع ان العتق افضل تنبيه على التخيير وان الامر مبني على التخفيف ويمكن ان يقال الاطعام افضل
لان الحر الفقير قد لا يجد الطعام ولا يكون هناك من يعطيه فيقع في الضر اما العبد فيجب على مولاه طعامه وكسوته فالعتق
يحتمل التاخير والاطعام قد لا يحتمل ذلك فمن لم يجد احد الامور الثلثة فعليه صيام ثلثة ايام قال الشافعي اذا وجد
قوت نفسه وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده
ذلك القدر جاز له الصيام وذلك انه علق جواز الصيام على عدم وجدان خصال الثلث فعند وجدانها وجب ان لا يجوز
الصوم تركنا العمل به عند وجدان قوت نفسه وقوت عياله يوما وليلة لان ذلك ضروري وتقديم حق النفس
على حق الغير واجب شرعا فبقي الاية معمولا بها في غيره وعند ابي حنيفة يجوز الصيام اذا كان عنده من المال ما لا

تجب

تجب فيه الزكوة ثم صيام الايام الثلثة مشروط عند ابي حنيفة بالتتابع تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود فصيام ثلثة
ايام متتابعات فان قراءتهما لا تتخلف عن روايتهما وقال الشافعي في اصح قوليه ان التفريق جائز والقراءة الشاذة
لا يعتد بها لانها لو كانت صحيحة لنقلت نقلا متواترا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له علي ايام من رمضان
افاقضيها متفرقات فقال صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان عليك دين فقضيت الدرهم فالدرهم اما كان يجزيك قال بلى قال
فالله احق ان يعفو ويصفح واذا جاز هذا التفريق في صوم رمضان ففي غيره اولى والمعتبر عموم اللفظ لا
بخصوص السبب مسئلة من صام ستة ايام عن يمينين اجزاه ولا حاجة الى تعيين احد الثلثين لاحد اليمينين
لان الواجب منها ثلثة ايام وقد اتى بها فيخرج عن العهدة ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم فحذف ذكر الحنث للعلم
عن كل
بان الكفارة لا تجب بمجرد الحلف ولان التنبيه على ان الكفارة لا يجوز تقديمها على اليمين واما بعد اليمين وقبل الحنث فيجوز
وبه قال مالك والشافعي واحمد موافقا لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا
فكفر عن يمينك ثم ائت بالذي هو خير ولان الكفارة حق مالي متعلق بسببين فجاز تعجيله بعد وجود احد السببين
كتعجيل الزكوة بعد وجوب النصاب هذا اذا كان يكفر بغير الصوم اما الصوم فلا يجوز تقديمه لان العبادات البدنية
لا تقدم على وقتها اذا لم تمس اليه حاجة كالصلوة وصوم رمضان ولان الصوم انما يجوز التكفير به عند العجز عن جميع الخصال
المالية وانما يتحقق العجز بعد الوجوب وان كان الحنث بارتكاب محظور كما لو حلف ان لا يشرب الخمر اجزاه التكفير
قبل الشرب ايضا لوجوب احد السببين والتكفير لا يتعلق به استباحة ولا تحريم بل المحلوف عليه حرام قبل اليمين وبعدها
وقبل التكفير وبعده لا اثر لها فيه جميع ما ذكرنا ظاهر مذهب الشافعي اما عند ابي حنيفة واصحابه فلا يجوز التكفير
قبل الحنث مطلقا واحفظوا ايمانكم فقللوها ولا تكثروا منها واحفظوها اذا حلفتم عن الحنث وعلى هذا تكون الايمان مختصة
بالتي الحنث فيها معصية كمن حلف ان لا يشرب الخمر بخلاف ما لو حلف ليشربن الخمر فانه لا يؤمر حينئذ بالحفظ عن الحنث
وقيل احفظوها بان تكفروها او المراد لا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان الشافي يبين لكم اياته واحكامه واعلام شريعته
لعلكم تشكرون نعمة البيان وتسهيل المخرج من الحرج ثم انه سبحانه استثنى من جملة الامور المستطابة الخمر والميسر وقد تقدم
معناهما وما يتعلق بهما في سورة البقرة وسلك في سلك التحريم الانصاب والازلام وقد ذكرناهما في اول هذه السورة
واعلم انه كانت تحدث قبل تحريم الخمر اشياء يكرهها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قصة علي بن ابي طالب عليه السلام
مع حمزة على ما روي في الصحيحين انه قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعطاني شارفا من الخمس فلما اردت ان ابتني بفاطمة بنت رسول الله صلعم واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع ان يرتحل
معي لاذخر اردت ان ابيعه من الصواغين فاستعين به في وليمة عرسي فبينا انا اجمع لشارفي متاعا من الاقتاب والغرائر
والحبال وشارفاي مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار اقبلت فاذا انا بشارفي قد جبت اسنمتهما وبقرت خواصرهما واخذ
من اكبادهما فلم املك عيني حين رايت ذلك المنظر وقلت من فعل هذا قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في البيت في شرب
من الانصار غنته قينته فقالت في غنائها الا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء ضع السكين في اللبات منها
وضرجهن حمزة بالدماء واطعم من شرائحها كبابا ملوحة على وهج الصلاء فانت ابا عمارة المرجى لكشف الضر عنا فالبلاء فوثب
الى السيف فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما واخذ من اكبادهما قال علي رضي الله عنه فانطلقت حتى دخلت على النبي
صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فعرف رسول الله صلعم الذي لقيت فقال ما لك فقلت يا رسول الله ما رايت
كاليوم عدا حمزة على ناقتي فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب قال فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بردائه ثم انطلق يمشي واتبعته انا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي هو فيه فاستاذن فاذن
له فاذا هم شرب فطفق رسول الله صلى الله عليه يلوم حمزة فيما فعل واذا حمزة محمرة عيناه فنظر الى رسول الله صلعم
ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال وهل انتم الا عبيد ابي فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ثمل فنكص على عقبيه
القهقرى فخرج وخرجنا فكانت هذه القصة من الاسباب الموجبة لتحريم الخمر قالت العلماء هذه الاية تدل على تحريمها من وجوه
منها تصدير الجملة بانما الدالة على الحصر معناه ليست الخمر الا الرجس وعمل الشيطان ومنها انه قرنها بعبادة الاصنام ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد وثن ومنها انه جعلها رجسا كما قال في موضع اخر فاجتنبوا الرجس من الاوثان

واصل الرجس العمل القبيح والمستقذر قال الفراء ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون اي العقاب والغضب وكانه ابدال
الرجز والرجس بالفتح الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير فلهذا اسمي العمل القوي الدرجة في القبح رجسا
ومنها انه جعله من عمل الشيطان ومن المعلوم انه لا يصدر منه الا الشر والخبث ومنها انه امر بالاجتناب وظاهر الامر
للوجوب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح فيكون القرب منها خيبة والضمير في فاجتنبوه عائدا الى الرجس او العمل
او الى المضاف المحذوف اي انما تعاطي الخمر ونحو ذلك ومنها شرح انواع المعاني المنتجة منها من التباعد والتباغض والصد
عن ذكر الله وعن الصلوة خصوصا وفيه ان غرض الشرب من الاجتماع تاكد الالفة والمودة ثم انها تورث نقيض المقصود
لان العقل اذا زال استولت الشهوة والغضب ويودي الى التنازع واللجاج وكذا القمار يفضي الى افناء المال والى ان
يقامر على لحيته واهله وولده وكل ذلك يورث العداوة والفتن فهذان من مكايد الشيطان ومضادان لمصالح الانسان
وايضا الخمر تهيج اللذة الجسمية والقمار يورث لذة الغلبة الخيالية وكلتاهما توجب الاشتغال عن اللذات الحقيقية
الحاصلة من الاستغراق في طاعة المعبود وانما افرد ذكر الخمر والميسر ثانيا لان الخطاب مع المومنين فغرضهما ولا يذكر الانصاب
والازلام تنبيها على انها جميعا من اعمال الجاهلية والشرك ثم افردها لان الكلام مسوق لتحريمها على المخاطبين حيث انهم
كانوا لا يتعاطون سوى هذين ومنها سوق الكلام بطريق الاستفهام في قوله فهل انتم منتهون كانه قيل قد تلي عليكم ما هو
كاف في باب المنع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توجروا ولهذا قال عمر انتهينا يا رب
اذ فهموا التحريم المؤكد ومنها انه قال عقيب ذلك واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فالظاهر ان المراد الطاعة فيما تقدم
من الامر بالاجتناب والحذر عن المخالفة في ذلك الباب ومنها تهديد من خالف هذا التكليف بقوله فان توليتم الاية
والمراد ان اعرضتم فالحجة قد قامت عليكم والرسول قد خرج عن عهدة البلاغ وقد اعذر من انذر وجزاء المخالف الى الله
المنتقم عن انس قال كنت ساقي القوم يوم حرمت في بيت ابي طلحة وما شرابهم الا الفضيخ البسر والتمر فاذا
منادي ينادي الا ان الخمر قد حرمت قال فجرت في سكك المدينة فقال لي ابو طلحة اخرج فارقها قال فارقتها فقالوا قتل فلان
وفلان وهي في بطونهم فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الطعم خلاف الشرب في
الاغلب وقد يقع على المشروب كقوله ومن لم يطعمه فانه مني فيجوز ان يكون المراد فيما شربوا من الخمر ويحتمل ان يكون
معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يوكل ويشرب جميعا فقد يقول العرب اطعم اي ذق ونظير هذه الاية قوله في نسخ القبلة
وما كان الله ليضيع ايمانكم والعامل في اذا ما اتقوا معنى الكلام المتقدم اي لا ياثمون في ذلك اذا اتقوا المحرمات لانهم
شربوها حين كانت محللة والمراد ان اولئك كانوا على هذه الصفة وهو ثناء عليهم وحمد لاحوالهم في الايمان والتقوى
والاحسان وزعم بعض الجهلة ان هذا الحكم متعلق بالمستقبل والا قيل لم يكن او ما كان جناح مثل وما كان الله ليضيع
ايمانكم والمعنى لا جناح على من طعمها اذا لم يحصل معه العداوة والبغضاء وسائر المفاسد المذكورة بل حصل معه انواع المصالح
من الطاعة والتقوى والاحسان الى الخلق والجواب ان صيغة طعموا وهي للمضي تاباه وايضا ان سبب نزول الاية تكذبه روى
ابو بكر الاصم انه لما نزل تحريم الخمر قال ابو بكر يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر واكلوا الربا وكيف بالغائبين
عنا في البلاد لا يشعرون بتحريم الخمر وهم يطعمونها فنزلت وعلى هذا فالحل قد ثبت فيما يستقبل لكن في حق الغائبين
الذين لم يبلغهم هذا النص ثم انه سبحانه شرط في نفي الجناح حصول التقوى والايمان مرتين وفي الثالثة التقوى
والاحسان فقال الاكثرون الاول فعل الاتقاء والثاني دوامه والثبات عليه والثالث اتقاء ظلم العباد مع الاحسان
اليهم وقيل الاول اتقاء جميع المعاصي قبل نزول الاية والثاني اتقاء الخمر والميسر وما في هذه الاية والثالث اتقاء ما
يحدث تحريمه بعد هذه الاية ومبدا نزول الاصم وقيل اتقوا الكفر ثم الكبائر ثم الصغائر وقال القفال الاول الاتقاء
من القدح في صحة النسخ ليثبت تحريم الخمر بعد ان كانت مباحة والثاني الاتيان بالعمل المطابق للاية والثالث المداومة
على التقوى مع الاحسان الى الخلق ثم انه سبحانه استثنى بعض الصيد من المحللات فقال على سبيل التوكيد القسمي
ليبلونكم اي ليعاملنكم معاملة المختبر بشيء من الصيد للتحقير وفيه انه ليس من الفتن العظام التي تدحض عندها
الاقدام كالابتلاء ببذل الارواح والاموال فامتحن الله امة محمد صلعم بصيد البر كما امتحن اصحاب ايلة بصيد البحر قال
مقاتل بن حيان ابتلاهم بالصيد وهم محرمون عام الحديبية حتى ان الوحش والطير يغشاهم في رحالهم فيقدرون

اخذها بالايدي وصيدها بالرماح وما راد مثل ذلك فقط فنهاهم الله عن ذلك ابتلاء قال الواحدي الذي تناله
ايديهم من الصيد الفراخ والبيض وصغار الوحش والذي تناله الرماح الكبار ومن في من الصيد للبيان او للتبعيض
وهو صيد البر او صيد الاحرام والمراد به العين لا الحدث بدليل عود الضمير في تناله اليه ليعلم الله ليظهر معلومه
وهو خوف الخائف او ليعاملكم معاملة من يطلب ان يعلم او ليعلم اولياء الله ومحل بالغيب النصب على الحال اي يخافه
حال كونه غائبا عن رويته او عن حضور الناس فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا
عن ابن عباس هو ان يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه لا تقتلوا الصيد قال الشافعي انه البري المتوحش
الماكول اللحم اما الاول فلقوله بعد ذلك احل لكم صيد البحر واما المتوحش فيدخل فيه نحو الظبي وان صار مستانسا
فخرج الانسي وان صار متوحشا ابقاء لحكم الاصل واما كونه ماكولا فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
فيعلم منه انه مما يحل اكله في غير الاحرام وقال ابو حنيفة المحرم اذا قتل سبعا لا يوكل لحمه ضمن وسلم انه لا يجب الضمان في
قتل الذئب وفي قتل الفواسق الخمس فقال الشافعي لا معنى في قتلها الا الايذاء فيلزم جواز قتل جميع الموذيات لا سيما وقد
جاء خمس يقتلن في الحل والحرم الغراب والحداة والحية والعقرب والكلب العقور وفي رواية زيادة السبع العادي
واحتج لابي حنيفة بقول علي عليه السلام صيد الملوك ارانب وثعالب فاذا ركبت فصيدي الابطال ويفيد بان
الثعلب عندنا حلال وانتم حرم اي محرمون بالحج وبالعمرة ايضا على الاصح وقيل دخلتم الحرم وقيل هما مرادان بالاية فهو
قول الشافعي فقوله لا تقتلوا يفيد المنع ابتداء والمنع تسببا فليس له ان يتعرض للصيد ما دام محرما او في الحرم بالسلاح
ولا بالجوارح من الكلاب والطيور سواء كان الصيد صيد الحل او صيد الحرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من قرا
جزاء بالتنوين ومثل بالرفع فالمعنى فعليه جزاء صفته كذا ومن قرا بالاضافة المصدر الى المفعول اي فعليه ان يجزي
مثل ما قتل قال بعض العلماء المثل مقحم للتاكيد اذ الواجب عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فهو كقولهم انا احب مثلك اي
احبك وقيل الاضافة بمعنى من اي جزاء من مثل ما قتل قال سعيد بن جبير المحرم اذا قتل الصيد خطاء لا يلزمه شي
وهو قول داود لان النهي ورد عن التعمد وهو ان يقتله ذاكرا لاحرامه او عالما ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان
قتله وهو ناس لاحرامه او رمي صيدا وهو يظن انه ليس بصيد او رمي غير صيد فعدل السهم فاصاب صيدا فهو
مخطي لا شي عليه لفقدان القيد المذكور ويتاكد هذا الراي بقوله ليذوق وبال امره وبقوله ومن عاد الي ما تقدم
ذكره وهو القتل العمد والانتقام ايضا يناسب العمد لا الخطا وقال جمهور الفقهاء يلزمه الضمان سواء قتل عمدا او خطا
قياسا على سائر محظورات الاحرام كحلق الراس وغيره وكما في ضمان مال المسلم فانه لما ثبتت الحرمة لحق المالك لم
يختلف ذلك بكونه عمدا او لا وانما وردت الاية بالتعمد لان العمد اصل والخطا ملحق به للتغليظ ولما روي انه عن لهم
في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت
الاية على وفق القصة وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا قال صلي الله عليه وسلم بالضبع
كبش اذا قتله المحرم وقالت الصحابة في الظبي شاة فلم يفرقوا في الضمان من غير فرق بين العمد والخطا ثم العلماء اختلفوا
في المثل فقال الشافعي ومحمد بن الحسن الصيد ضربان منه ما له مثل ومنه ما لا مثل له فتضمن بالقيمة وقال ابو حنيفة
وابو يوسف المثل الواجب هو القيمة قياسا على ما لا مثل له حجة الشافعي قوله تعالى من النعم فانه بيان للمثل وكذا
قوله هديا بالغ الكعبة وعن النبي صلعم انه حكم في الضبع بكبش وعن علي وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف
وابن عباس وابن عمر انهم حكموا في امكنة مختلفة وازمان متعددة في جزاء الصيد بالمثل من النعم فحكموا في النعامة
ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وفي الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الظبي بشاة وفي الارنب بحمل وفي ربوبة
بعناق وفي الضب بسخلة وفي اليربوع بجفرة وفي الحمام بشاة ونعني به كل ما عب وهدر كالقمري والدبسي والفاختة
والعب شرب الماء مرة والهدير ترجيع صوته وتغريده وفيه دليل على انهم نظروا الى اقرب الاشياء شبها بالصيد
من النعم ولو نظروا الى القيمة لاختلفت باختلاف الاسعار والظبي الذكر من هذا الجنس والغزال انثاه والجفرة
من اولاد المعز اذا انفصلت عن امها والعناق الانثى من اولاد المعز وايضا المقصود من الضمان جبر الهلاك فكلما
كانت المماثلة اتم كان الجبر اكمل مسايل الاولى جماعة محرمون قتلوا صيدا قال الشافعي واحمد واسحق لا يجب عليهم الا جزاء

واحد لان قتل الواحد واحد وابو حنيفة ومالك والثوري على كل منهم جزاء واحد كما لو قتل جماعة واحدا يقتص منهم جميعا وكذا
لو حلف كل منهم اذ لا يقتل صيدا واحد الزم كلا منهم كفارة واجيب بان قتل الجماعة بالواحد تعبدي وتعدد الكفارة لتعدد
الايمان **الثاني** الشافعي اذا دل المحرم غيره على صيد فقتله لم يضمن كما لا يجب بالدلالة كفارة القتل ولا الدية وكما لو دل على مال
المسلم وذلك لان الدلالة ليست بقتل ولا اتلاف ابو حنيفة تضمن لما روي ان عمر وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس اوجبوا
الجزاء على الدال **الثالث** الشافعي اذا جرح ظبيا فنقص من قيمته العشر فعليه عشر قيمة الشاة ارشادا الى ما هو الاسهل
لانه قد لا يجد شريكا في ذبح شاة ويتعذر عليه اخراج قسط من الحيوان وقال المزني عليه عشر شاة وقال داود لا ضمان
الا بالقتل لظاهر الاية حيث ربط الجزاء بالقتل فقط **الرابع** اذا قتل المحرم صيدا فادى جزاءه ثم قتل صيدا اخر لزمه جزاء اخر
خلافا لداود وينقل عن ابن عباس وشريح حجة الجمهور ان الحكم يتكرر بتكرر العلة بخلاف ما لو قال لنسائه من دخل منكن الدار
الدار فهي طالق فدخل واحدة مرتين فانه لا يقع الا طلاق واحد لان تكرر الحكم بتكرر الشرط غير لازم حجة داود ومن عاد
فينتقم الله منه فانه جعل جزاء العايد الانتقام لا الكفارة **الخامس** قال الشافعي اذا اصاب صيدا اعور او مكسور
اليد والرجل فداه بمثله والصحيح احب ما لكبير لاجل الصغير والذكر يفدي بالذكر والانثى والاولى ان لا يغير تحقيقا للمثلية
فالانثى افضل لانها تلد والذكر افضل من حيث ان لحمه اطيب وصورته احسن قوله سبحانه يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن
عباس اي رجلان صالحان فقيهان من اهل دينكم ينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به وبهذا احتج من نص
قول ابي حنيفة التقويم هو المحتاج الى النظر والاجتهاد واما الخلقة والصورة فمشاهدة لا تفتقر الاجتهاد ورده بان وجه المشابهة
بين النعم والصيد ايضا يتوقف على الاجتهاد عن قبيصة بن جابر انه ضرب ظبيا في الاحرام فمات فسال عمر وكان الى
جانبه عبد الرحمن بن عوف فقال له ما ترى قال عليه شاة قال وانا ارى ذلك فاذهب فاهد شاة قال قبيصة فخرجت الى
صاحبي وقلت ان امير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سال غيره قال ففاجاني عمر وعلاني بالدرة فقال اتقتل في الحرم وتسفه
الحكم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن قال الشافعي ما وجد فيه نص فهو متبع كما روي انه
صلى الله عليه وسلم قضى في الضبع بكبش وكلما حكم به عدلان من الصحابة او التابعين او من عصر اخر من النعم انه مثل
الصيد المقتول يتبع حكمهم ولا حاجة الى تحكيم غيرهم لانهم ادرى ونظرهم اعلى وقال مالك يجب التحكيم فيما حكمت به
من الصحابة وفيما لم يحكم وهل يجوز ان يكون قاتل الصيد حكما ان كان القتل عمدا عدوانا فلا لانه يورد الفسق والحكم موصوف
بالعدالة وان كان خطأ او كان مضطرا اليه وكذلك عند مالك كما في تقويم المتلفات وجوزه الشافعي لما روي ان بعض
الصحابة اوطا فرسه ضبيا فسال عمر فقال احكم فيه فقال انت خير مني واعلم يا امير المؤمنين فقال انما امرتك ان تحكم فيه
ولم امرك ان تزكيني فقال الرجل اري فيه جديا فقال عمر فذلك فيه وايضا فانه حق الله تعالى فيجوز ان يكون من عليه
امينا فيه كما ان رب المال امين في الزكوة ولو حكم عدلان بان له مثلا واخر بانه لا مثل له فالاخذ بقول الاولين ولو حكم
عدلان بمثل واخران بمثل اخر فاصح الوجهين انه يتخير والاصوب انه ياخذ بالاغلظ قيل في الاية دلالة على ان العمل بالاجتهاد
والقياس جائز واجيب بانه لا نزاع في الصور التي يتبعه كالاجتهاد في القبلة وكالعمل بشهادة الشاهدين وبتقويم
المقومين في قيم المتلفات واروش الجنايات وكعمل العامي بالفتوى وكالعمل بالظن في مصالح الدنيا انما النزاع في اثبات
شرع عام في حق جميع المكلفين بناء على وجه الدهر ولا يضاف ان يحكي بين الاجتهاد في القبلة ومثل الصيد المقتول امر كلي ايضا
وانتصب هديا على انه حال عن جزاء عند من وصفه بمثل لانه حينئذ قريب من المعرفة او بدل عن محل مثل عند من اضاف
او حال من الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية تقديره بالغ الكعبة والعرب تسمي كل بيت
مربع كعبة ولا سيما اذا كان مرتفعا ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح في الحرم لان الذبح والنحر لا يقعان في نفس الكعبة
ولا في غاية القرب والتلاصق منها فان دفع مثل الصيد المقتول الى الفقراء حيا لم يجز قال الشافعي يجب عليه ان يتصدق
به في الحرم ايضا لان نفس الذبح ايلام ولا قربة فيه وانما القربة في التصدق على فقراء الحرم وقال ابو حنيفة ان يتصدق
به حيث شاء لانها لما وصلت الى الكعبة فقد خرج عن العهدة قوله او كفارة عطف على قوله فجزاء وطعام مساكين
بيان له ومن اضاف فللبيان ايضا اي كفارة من طعام مساكين مثل خاتم فضة او عدل ذلك الطعام صياما نصب على
التمييز كقولك لي مثله رجلا وعدل الشيء ما عادله من غير جنسه والعدل بالكسر المثل يقول عندي عدل غلامك

اذا

اذا كان غلاما يعدل غلاما فاذا اردت قيمته من غير جنسه فتحت العين ثم مذهب الشافعي انه يجوز لكل نصف صاع
يوما وذلك بسبب الاختلاف في طعام مسكين واحد كما مر في كفارة اليمين وبالجملة فحاصل مذهب ابي حنيفة انه يوجب
قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته
طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن كل طعام كل مسكين يوما وحاصل مذهب الشافعي
ان الصيد قسمان ماله مثل من النعم وما ليس كذلك والاول جزاؤه على التخيير والتعديل فيتخير بين ان يذبح مثله فيتصدق
به على مساكين الحرم اما بان يفرق اللحم او يملك جملته اياهم مذبوحا وبين ان يقوم المثل دراهم ثم لا يجوز ان يتصدق بالدراهم
ولكن ان شاء اشترى بها طعاما ويتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما حيث كان والثاني
وهو ما ليس بمثلي كالعصافير ونحوها وبالجملة كل ما دون الحمام او فوقه ففيه قيمته ولا يتصرف بها بل يجعلها طعاما ثم ان شاء تصدق
بها وان شاء صام عن كل يوم مد فان انكسر مد في القسمين صام يوما لان الصوم لا يتبعض فالجزاء في القسم الاول
ثلاثة اركان الحيوان والطعام والصيام وفي القسم الثاني ركنان الطعام والصيام وهي اوها على التخيير في ظاهر المذهب
لا على الترتيب ووافق مالك وابو حنيفة لان او للتخيير غالبا وخالفا احمد وزفر فقالا انها في الاية للترتيب لان الواجب هنا شرع
على سبيل التغليظ بدليل قوله ليذوق وبال امره والتخيير ينافي التغليظ ثم القائلون في التخيير اتفقوا على ان الخيار في
تعيين هذه الثلاثة الى قاتل الصيد كما هو ظاهر الاية الا محمد بن الحسن فانه قال الخيار الى الحكمين فيما شاء على تعيين
المثل ثم ان لم يكن الصيد مثليا فالعبرة في القيمة بمحل الاتلاف قياسا على كل متلف متقوم والعبرة في الصرف الى الطعام
سعر الطعام بمكة وان كان مثليا واراد تقويم مثله من النعم ليرجع الى الاطعام او الصيام فالعبرة في قيمته بمكة يوم يريد
لانها محل الذبح لو كان يذبح ولا جزاء على المحرم باكل الصيد سواء ذبحه بنفسه او اصطيد له او بدلالته لانه ليس بنام
بعد الذبح ولا يؤول الى النماء فلا يتعلق باتلافه الجزاء كما لو اتلف بيضة مذرة هذا في الجديد من قولي الشافعي وفي قوله
القديم وبه قال مالك واحمد يلزمه القيمة بعد ما اكل واذا ذبح المحرم صيدا لم يحل له الاكل منه ولا لغيره في الجديد وبه
قال مالك واحمد وابو حنيفة لانه يكون ميتة كذبيحة المجوسي حتى لو كان مملوكا وجب مع الجزاء القيمة للمالك وهل يحل له بعد زوال
الاحرام اظهر الوجهين لا وكذا الكلام في صيد الحرم اذا ذبح اما قوله ليذوق فانه متعلق بقوله فجزاء اي فعليه جزاء
ليكفر ليذوق ويحتمل ان يقال يتعلق بمحذوف اي شرعنا ما شرعنا ليذوق سوء عاقبة فعله وهو هتك حرمة الحرم
والاحرام والتركيب يدور على الثقل ومنه وبيل اذا كان فيه وخامة وطعام وبيل ثقيل على الطبع وعلى المعدة وعلى الامور
الثلاثة اثنان منها نقص في المال فيثقل على الطبع والثالث وهو الصوم ثقيل على البدن ايضا فكل منها نوع عقوبة
عفا الله عما سلف في الجاهلية كانهم متعبدون بشرع من قبلنا او عما سلف قبل التحريم في الاسلام وعلى مذهب داود
عفى الله عما سلف في المرة الاولى بسبب اداء الجزاء ومن عاد فانه اعظم من ان يعفى بالجزاء فينتقم الله منه اي فهو
ينتقم الله منه والا لم يحتج الى ادخال فاء الجزاء لم يتناظر بنفسه احل لكم صيد البحر اي مصيداته ويعني بالبحر جميع
المياه والانهار وجملة ما يصاد منه ثلاثة اجناس الحيتان وجميع انواعها حلال والضفادع وجميع انواعها حرام وفيما سوى
هذين خلاف فقال ابو حنيفة حرام وقال ابن ابي ليلى والاكثرون حلال قوله وطعامه فالعطف يقتضي المغايرة وفيه
وجوه يروى عن ابي بكر الصديق ان الصيد ما صيد بالجملة حال حياته والطعام ما يوجد مما لفظه البحر او نضب عنه الماء
من غير معالجة في اخذه وقال جمع من العلماء الاصطياد قد يكون للاكل وقد يكون لغيره كاصطياد الصدف لاجل اللؤلؤ
واصطياد بعض الحيوانات البحرية لاجل عظامها واسنانها فالمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم
اكل الماكول منه وعن سعيد بن جبير ان الصيد هو الطري والطعام هو القديد منه وفي القرآن ضعف قال الشافعي
السمكة الطافية في البحر محللة لانه طعام البحر وقد قال تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه وقال صلى الله عليه وسلم
البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته متاعا لكم في الحضر طريا وللسيارة في السفر مالحا وانتصب متاعا على انه مفعول له وكانه
مختص بالطعام وقال الزجاج انه مصدر مؤكد لان قوله احل لكم في معنى التمتع وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
قال العلماء صيد البحر هو الذي لا يعيش الا في الماء اما الذي لا يعيش الا في البر والذي يمكن ان يعيش في البر
تارة وفي البحر اخرى فذاك كله صيد البر فالسلحفاة والسرطان والضفدع وطير الماء كل ذلك من صيد البر ويجب على قاتله

الجزا واتفق المسلمون على ان المحرم يحرم عليه الصيد الذي صاده اما الذي صاده الحلال فعن علي وابن عباس وابن عمر
وسعيد بن جبير وطاوس والثوري واسحق ان الحكم كذلك لاطلاق الاية ولما روي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اهدي اليه حمار وحشي وهو محرم فابى ان ياكله وقال مالك والشافعي واحمد ان لحم الصيد مباح للمحرم بشرط ان لا يصاده
المحرم ولا يصاد له لما روي ابو داود في سننه عن جابر ان رسول الله صلعم قال صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه او يصاد لكم وعن
ابي هريرة وعطا ومجاهد انهم اجازوا للمحرم ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه
وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه لما روي عن ابي قتادة انه اصطاد حمار وحش وهو حلال في اصحاب محرمين له فقال
رسول الله صلعم هل اشرتم هل اعنتم فقالوا لا فقال هل بقي من لحمه شي قالوا معنا رجله فاخذها النبي صلعم فاكلها وهذان
القولان متفرعان على تخصيص عموم القران بخبر الواحد وقال في الكشاف اخذ ابو حنيفة بالمفهوم فكانه قيل وحرم
عليكم ايها المحرمون ما صدتم في البر فيخرج عنه مصيد غيرهم ويرد عليه ان المفهوم ليس بحجة ثم حث على الطاعة
والاجتناب عن المعاصي بقوله واتقوا الله الذي اليه تحشرون وهو كلام جامع للوعد والوعيد وهو سبب
حرمة الصيد في الحرم وفي الاحرام فقال جعل الله اي حكم وبين بالخطاب والتعريف او صير بخلق دواعي التعظيم
في القلوب قياما للناس وهم العرب ووجه المجاز ان اهل بلدة اذا قالوا الناس فعلوا كذا ارادوا اهل بلدتهم فنطق
القران على مجري عادتهم وبيان القيام ان قوام المعيشة اما بكثرة المنافع وقد جعله بحيث يجبي اليه ثمرات
كل شي واما بدفع المضار وقد صيره حرما امنا واما بحصول الجاه والرياسة وتوفر الدواعي والرغبات وذلك
بدعا ابراهيم صلوات الرحمن عليه فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ثم المنافع الدينية الحاصلة من مناسكها و
شعايرها اكثر من ان تحصى واظهر من ان تخفى وانتصب البيت الحرام على انه عطف بيان على جهة التوضيح اذ
الكعبة اوضح من ان توضح ويحتمل ان يراد بالناس عامة الناس لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافع
الدينية والدنيوية وعن عطا بن ابي رباح لو تركوا عاما واحدا لم ينظروا ولم يوخروا وتفسير الشهر الحرام والهدي والقلائد
قد تقدم في اول السورة وانما كان الشهر الحرام سببا لقيام الناس وقوامهم لانه اذا دخل الشهر الحرام كان يترك لاحق فيهم
ويقدمون على الاسفار وتحصيل الاقوات قدر ما يكفيهم طول السنة فلولا حرمة ذلك لهلكوا من الجوع والهدي هو سبب
لاكتساب الثواب من نيل مناسك الحج واقامتها واما الهدي فانه نسك للمهدي وقوام لمعايش الفقرا وكذا القلايد
فكان من قلد الهدي او قلد نفسه من لحاء شجرة الحرم لم يتعرض له احد وكل ذلك لان الله تعالى اوقع في قلوبهم
تعظيم الكعبة وما يتعلق بها ذلك الذي ذكر من جعل الكعبة قياما للناس او من حفظ حرمة الاحرام والحرم مشروع
لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وذلك انه علم في الازل ان مقتضى طباع العرب الحرص على القتل
والغارة وكان ذلك مما يفضي الى الفنا وانقطاع النسل فدبر هذا التدبير المحكم والفعل المتقن كي يصير سببا للامان في
بعض الامكنة وفي بعض الازمان فيستقيم مصالح الانسان ولا ريب ان مثل هذا التقدير والتدبير لا يصح الا ممن يعلم
الكاينات واسبابها وغاياتها بل يعلم المعلومات باسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها عللها ومعلولها موجودها
ومعدومها وذلك قوله وان الله بكل شي عليم فما احسن هذا الترتيب ثم خوفهم واطمعهم بقوله اعلموا ان الله شديد
العقاب لمن انتهك محارمه وان الله غفور رحيم لمن حافظ عليها وذكر الوصفين في جانب الرحمة دليل على ان جانب
الرحمة اغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي ثم قرر ان الرسول ما كان مكلفا الا بالتبليغ فاذا بلغ خرج عن العهدة وبقي
الامر من جانبكم وانه تعالى يعلم سركم وجهركم وفيه من الوعيد ما فيه عن جابر ان النبي صلعم قال ان الله عز وجل حرم
عليكم عبادة الاوثان وشرب الخمر والطعن في الانساب الا وان الخمر لعن شاربها وعاصرها وساقيها وبايعها واكل ثمنها
فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله اني كنت رجلا كانت هذه تجارتي فاستفدت من بيع الخمر مالا فهل ينفعني ذلك المال
ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبي صلعم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة ان الله لا يقبل
الا الطيب وانزل الله عز وجل تصديقا لقوله صلعم قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث وهو عام في
حرام الاموال وفاسد الاعمال وصالحها وسقيم المذاهب وصحيحها ورديء النفوس وجيدها واخبث الخبايث الروحانية
الجهل والمعصية واطيب الطيبات الروحانية معرفة الله تعالى وطاعته والبون بين الصنفين في العالم الروحاني ابعد منه

بينهما في العالم الجسماني لان اثرهما في عالم الارواح ابقى وادوم واجل واعظم فلا تستبدل الخبيث يا انسان بالطيب
ولو اعجبك كثرة الخبيث لان كثرته في الحقيقة قلة ولذته في الاخرة ذلة وتفكه بعد صرف العمر في طلبه حيف

التاويل

لا تحرموا على انفسكم بالامتناعات النفسانية طيبات ما احل الله لكم دون ساير المخلوقات من المواهب الربانية ولا تعتدوا
ولا تجاوزوا من حد العبودية وكلوا مما رزقكم الله اجتهدوا في طلبه ما خصكم به الله من تجلي صفاته وجلاله حلالا طيبا
يحل فيكم بريا من سمات النقايص باللغو في ايمانكم ان تحلفوا بالانابة عن البرزخ من ولاية ملالة النفوس وكلالة القوى
واستيلاء النفس وغلبة سلطان الهوى في اثنا المجاهدات والمشاهدات ولكن يواخذكم اذا عزمتم على الهجران
وتعرضتم للخذلان فكفارته حينيذ اطعام عشرة مساكين الحواس الظاهرة والباطنة من اوسط ما تطعمون اهليكم
وهو القلب والسر والروح والخفي طعامهم الشوق والمحبة والصدق والاخلاص والتفويض والتسليم والرضا والانس
والهيبة والشهود والكشوف واوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر والشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجا
بشغل الحواس العشرة بهذه الامور او بكسوتهم لباس التقوى او تحرير رقبة النفس من عبودية الحرص والهوى فمن لم
يجد امسك في اليوم الماضي عما عزم عليه وفي اليوم الحاضر عما لا يعنيه في اليوم المستقبل عن العود اليه من لغو اليمين
عند ارباب اليقين ان الصادق عند غلبات الشوق ووجدان الذوق يقسم عليه بجماله وجلاله ان يرزقه
شيا من افضاله ووصاله وذلك في شريعة الرضى لغو وفي مذهب التسليم سهو ولكن يرجى له عفو بلا مواخذه
بمقاله لعلمه بضعف حاله والكمال في الثبات والاستقامة اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد ومن اللغو
في اليمين عندهم ما يجري على لسانهم في غلبات الوجد من تجديد العهد وتاكيد العقد كقول بعضهم وحقك ما نظرت
الى سواكا بعين مودة حتى اراكا فان هذا ابا في التوحيد واين في الدار ديار كلا بل هو الله الواحد القهار ليس على
الذين امنوا بالتقليد وعملوا الصالحات الاعمال البدنية الشرعية جناح فيما طعموا من المباحات اذا ما اتقوا الشبهة والا
وامنوا بالتحقيق بعد التقليد وعملوا الصالحات الاعمال القلبية الحقيقية من تخلية القلب عما سواه ومن تحليته بالاحوال
المضادة لهواه كالصدق والاخلاص والتوكل والتسليم وما عداه ثم اتقوا شرك الانانية وامنوا بهويته ثم اتقوا هذا
الشرك وهو الفنا في الفنا واحسنوا وهو البقا به فانهم جعل الله البلا لاهل الولا كاللهب للذهب فقال يا ايها الذين امنوا
ايمان المحسنين الذين تجردوا عن ملاذ الدنيا وشهواتها الحلال واحرموا بحج الوصول وعمرة الوصال ليبلونكم الله في
اثناء السلوك بشي من الصيد وهو المطالب النفسانية والمقاصد الدنيوية تناله ايديكم يعني اللذات البدنية
ورماحكم يعني اللذات الخيالية فله عذاب الرد والصد لا تقتلوا الصيد وانتم حرم يعني من احرم لزيارة كعبة الوصال
تغلبه حسم الاطماع من الحرام والحلال متعمدا اي عالما بما في الالتفات الى غيره من الفضا فمثل ما قتل من النعم يجازي
نفسه برياضة ومجاهدة بماثل المهالك اللذة ذوا عدل هما القلب والروح يحكمان على مقدار الاسلام وعلى حسب قوة
السالك بتقليل الطعام والشراب او بذل المال او ترك الجاه او بالعزلة وضبط الحواس هديا بالغ الكعبة خالصا
عن الخلق لاجل الحق طعام مساكين هم العقل والقلب والسر والروح والخفي كانوا محرومين عن اغذيتهم الروحانية فيطعمهم
المعاملات الروحانية من صدق التوجه والصبر على المكاره والفطام عن المالوفات ومن الشكر والرضا وغير ذلك او عدل
ذلك صياما هو الامساك عن الاغيار والركون الى الواحد القهار ليذوق النفس الامارة وبال امره فان كل هذه الامور
على خلاف طبعها ذو انتقام ينتقم من احبابه بنقاب الدلال ومن اعدايه بحجاب الملام والملال احل لكم صيد بحر المعارف
والكشوف ينتفعون بالواردات ويتطعمون منها السايرين الى الله اهل الارادات صيد البر ما يسنح للسايرين من مطالب
الدنيا ما دمتم حرما اي في حال الصحو جعل الله الكعبة كعبة الظاهر قياما للعوام والخواص يستنجحون بها حاجاتهم الدنيوية
والاخروية وكعبة القلب قواما للخواص وخواص الخواص يلوذون بها دوام الذكر ونفي الخواطر حتى تعلموا ان لا موجود الا هو
ولا وجود الا له البيت الحرام حرام ان يسكن في كعبة القلب غيره والشهر الحرام هو ايام الطلب حرام على الطالب فيها مخالطة
الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدي هو النفس البهيمية تساق الى كعبة القلب بع تلاديها كان الشريعة فيذبح على
عتبة القلب بسكين اداب الطريقة عن شهواتها فاذا وصل العبد الى كعبة القلب شاهد بانوار ان الله ما في السموات و
في الارض شديد العقاب سبيل الحجاب لغير الاحباب غفور رحيم للصادقين في الطلب يفتح الابواب ما على الرسول الا البلاغ بالمقال

تتلوا عليهم اياته وبالمال وبين كبيهم ماتندون تنفر بين اللسان وماتكلمت من تصديق المنان للغيث مايشغلك
عن الله ما في صلك الى الله بل الطبيب هو الله وهذا الكلام عن مرض وفي ذلك كثرة والله اعلم بالصواب

يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها
حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم ۝ قد سألها قوم
من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ۝ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة
ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ۝ يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما
كنتم تعملون ۝ يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين
الوصية اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض
تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان
ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين ۝ فان عثر على انهما استحقا
اثما فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله
لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ۝ ذلك ادنى
ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا
الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين ۝ يوم يجمع الله الرسل فيقول ما
ذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب ۝ اذ قال الله يا عيسى ابن مريم
اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد

وكهلا

وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص
باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات
فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ۝ واذ اوحيت الى الحواريين
ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون ۝ اذ قال الحواريون
يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا
الله ان كنتم مؤمنين ۝ قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان
حزب قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ۝ قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا
انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا واية منك وارزقنا
وانت خير الرازقين ۝ قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم
فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين ۝ واذ قال الله يا عيسى ابن
مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في
نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ۝ ما قلت لهم الا ما
امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما
توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ۝ ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ۝ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا
عنه ذلك الفوز العظيم ۝ لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير ۝

القراءة استحق على البنا للفاعل حفص والاعشى في اختياره الباقون على البنا للمفعول الاولون جمع الاول نقيض الاخر سهل ويعقوب وحمزة وخلف وعاصم غير حفص والاعشى في اختياره الباقون الاوليان تثنية الاولى الاخر الغيوب بكسر الغين حيث كان حمزة وحماد وابو بكر غير الشموني والبرجمي والخزاعي عن ابن فليح ساحر وكذلك في هود والصف حمزة وعلي وخلف الباقون سحر هل يستطيع بتاء الخطاب ربك بالنصب والاعشى في اختياره الباقون بالياء وبالرفع ان ينزل بالتخفيف من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد منزلها بالتشديد عاصم وابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عامر وحفص في ان بالفتح ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وحفص في اني بالفتح ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالسكون يوم ينفع نصب الميم نافع الباقون بالرفع **الوقوف** تسؤكم لابتداء الشرط اخر مع واو العطف تبد لكم عنها حليم كافرين ولا حام للاستدراك الكذب لا يعقلون اباءنا ولا يهتدون انفسكم لاحتمال الاستئناف او الحال اي احفظوا انفسكم غير مضرورين اذا اهتديتم تعملون مصيبة الموت فيقسمان لان قوله ولا نكتم من جواب القسم بشهادة لمن هذا الله بالمد الاثمين وما اعتدينا لظالمين والوصل اجوز لتعلق اذ بقوله وما اعتدينا الظالمين ايمانهم لابتداء الامر واسمعوا الفاسقين اجبتم لنا الغيوب والدتك لئلا يوهم انه ظرف لايدتك عامله محذوف والتقدير واذكر اذ ايدتك وكهلا والانجيل والابرص باذني الموتى باذني لان اذ يجوز تعلقه بما تعلق به اذ الاول ويمكن تعلق كل واحد بمحذوف اخر لتفصيل النعم سحر مبين ربع الجزء وبرسولي لاحتمال ان قالوا استئنافا وعامل في اذ اوحيت مسلمون من السماء الاولى مؤمنين الشاهدين واية منك لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض الرازقين عليكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب العالمين من دون الله ما ليس لي بحق قد قيل وهو تعسف لان المنكر لا يقسم به والقسم لا يجاب بالشرط بل الوقف على نحو علمته نفسك الغيوب وربكم على ان الواو للاستئناف او الحال اي فقد كنت فيهم لان عامل لما متاخر وفاء التعقيب دخلها عليهم لان الواو لا يحتمل الحال النعيم في كل شيء شهيد عبادك لابتداء الشرط مع الواو الحكيم صدقهم لاختلاف الجملتين بلا عطف ابدا العظيم عنه وما فيهن قدير **التفسير** عن انس انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثروا المسالة فقام على المنبر فقال سلوني فوالله لا تسالوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من ابي فقال ابوك حذافة بن قيس وقال سراقة بن مالك ويروى عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا في كل عام فاعرض عنه رسول الله صلعم حتى اعاد مرتين او ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما تركتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وقام اخر فقال يا رسول الله اين ابي فقال في النار ولما اشتد غضب الرسول صلعم قام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلعم نبيا فانزل الله هذه الاية فنهى عابدة الى قوله وما على الرسول الا البلاغ ما اتاكم الرسول فخذوه ولا تخوضوا في غيره فلعله يجيبكم بما يشق عليكم وايضا كان المشركون يطالبونه بعد ظهور المعجزات بمعجزات اخر كقوله حاكيا عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى تمام الاية وكان لبعض المسلمين ايضا ميل الى ظهورها فمنعوا من ذلك لان طلب الزيادة بعد ثبوت الرسالة من باب التحكم ولعلها لو ظهرت ثم انكرت استحق العقاب العاجل ويحتمل ان يكون وجه النظم قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتركوا الامور على ظواهرها ولا تسالوا عن اشياء مخفية ان تبد لكم تسؤكم والنحويون في منع صرف اشياء وجوه فقال الخليل وسيبويه اصلها شيئاء على وزن حمراء فهي اسم جمع لشيء استثقلوا الهمزتين في اخره فنقلوا الهمزة التي هي لام الفعل الى اول الكلمة فصار وزنه لفعاء وقال الفراء اصلها افعلاء بناء على ان شيئا مخفف شيء كما يقال هين في هين وقد جمع فيعل على افعلاء كنبيين وانبياء لكنهم استثقلوا اجتماع الياء والهمزتين فحذفوا اللام فبقي اشياء على افعاء وقال الكسائي وزنها افعال ومنع الصرف تشبيها له بحمراء ولا يلزم منه منع صرف ابناء واسماء لانه ما ثبت على خلاف الدليل لا يلزم اطراده ولكنه يكون مقصورا على المسموع والحاصل ان السؤال عن الاشياء ربما تادى الى ظهور احوال مكتومة يكره ظهورها وربما ترتب عليها تكاليف شاقة صعبة فالذي سال عن ابيه لم يامن ان يلحق بغير ابيه فيفتضح والسائل عن الحج كاد ان يوجبه وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسالته وكان عبيد بن عمير يقول ان الله تعالى احل

واحرم فما احل فاستحلوه وما حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك اشياء لم يحللها ولم يحرمها فذلك عفو من الله تعالى فاقبلوه وقال ابو ثعلبة ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ثم لما رتب المساءة على السؤال ذكر ان الابداء سيكون لان الوحي غير منقطع فقال وان تسالوا عنها حين ينزل القران اي في زمان الوحي لان الرسول بين اظهركم تبد لكم تلك الامور والتكاليف والحاصل انهم ان سالوا عنها ابديت لهم وان ابديت لهم ساءتهم فيلزم من المقدمتين انهم ان سالوا عنها ساءتهم وقيل السؤال قسمان احدهما السؤال عن شيء لم يجر ذكره في الكتاب والسنة فنهي عنه بقوله لا تسالوا والثاني السؤال عن شيء نزل به القران لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي وهذا السؤال غير مذموم فاشار الى هذا القسم بقوله وان تسالوا عنها المخرج وتمييزا لهذا القسم من الاول لما حسن عود الضمير في عنها الى الاشياء وان كانا في الحقيقة نوعين مختلفين لان كلا منهما مسؤول عنه في الجملة وقيل المعنى وان تسالوا عن تلك السؤالات هل هي جائزة تبد لكم والمراد ان يطلب الرخصة في السؤال اولا ثم يسال عفا الله عنها اي عما سلف من مسالتكم واغضابكم للرسول فلا تعودوا اليها او المراد بالعفو انه لما ظهر عند تلك المسائل ما يشق عليهم من التكاليف وقيل ان الجملة صفة اخرى للاشياء كما ان الجملة الشرطية والمعطوف عليها صفة لها والمعنى لا تسالوا عن اشياء امسك الله عنها وكف عن ذكرها كما جاء في الحديث عفوت عن صدقة الخيل والرقيق اي خففت عنكم باسقاطها قد سالها يعني المسالة التي دل عليها لا تسالوا قوم من قبلكم سال الناقة قوم صالح فعقروها وسال الرؤية قوم موسى عليه السلام فصاروا وبالا عليهم وسال المائدة قوم عيسى عليه السلام فكفروا بها ويحتمل ان يعود الضمير في سالها الى الاشياء فكان امة محمد صلى الله عليه وسلم سالوا عن احوال الاشياء والمتقدمون سالوا نفس الاشياء كالناقة والمائدة والرؤية فلما اختلفت الاسئلة اختلفت العبارة الا ان كل واحد من القسمين يشترك في وصف هو الخوض في الفضول والشروع فيما لا يعني فتوجه الذم عليهما جميعا ولما منعهم عن امور تكلفوا البحث عنها ذم سبيل قوم تكلفوا الالتزام امور لم يؤمروا بها ومعنى ما جعل ما حكم بذلك ولا شرع والبحيرة فعيلة من البحر الشق وهي ناقة اذا شق اذنها وهي بمعنى المفعولة قال ابو عبيدة والزجاج كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن وكان اخرها ذكرا شقوا اذن الناقة ومنعوا ركوبها وسيبوها لالهتهم لا تنحر ولا يحمل على ظهرها ولا تطرد عن ماء ولا ترد عن مرعى ولا ينتفع بها حتى لو لقيها المعيي لا يركبها تحرجا واما السائبة فانها فاعلة من ساب اذا جرى على وجه الارض يقال ساب الماء وسابت الحية فالسائبة هي التي تركت حتى تسيب الى حيث شاءت قال ابو عبيدة كان الرجل اذا مرض او قدم من سفر او نذر نذرا وشكر نعمة سيب بعيره فكان بمنزلة البحيرة في احكامها وقيل هي ام البحيرة كانت الناقة اذا ولدت عشرة ابطن كلهن اناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها او الضيف حتى تموت فاذا ماتت اكلها الرجال والنساء جميعا وبحرت اذن بنتها الاخيرة وكانت بمنزلة امها في انها سائبة وقال ابن عباس السائبة هي التي تسيب للاصنام اي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة وهم خدم الهتهم فيطعمون من لبنها ابناء السبيل وقيل هي العبد يعتق على ان لا يكون عليه ولاء ولا ميراث واما الوصيلة فاذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم فالوصيلة بمعنى الموصولة كانها وصلت بغيرها او بمعنى الواصلة لانها وصلت اخاها واما الحامي فيقال حماه يحميه اذا حفظه قال السدي هو الفحل الذي يضرب في الابل عشر سنين فيخلى وقيل ان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى الى ان يموت فان قيل اذا جاز اعتاق العبيد والاماء فلم لا يجوز اعتاق البهائم من الذبح والايلام والجواب ان الانسان خلق لعبادة الله تعالى فاذا ازيل الرق عنه كان ذلك معينا له على ما خلق لاجله اما النعم من الحيوانات فانما خلقت لمنافع المكلفين فتركها يقتضي تفويت كمالها عليها وايضا الانسان اذا اعتق قدر على تحصيل المنافع ودفع المضار بخلاف البهائم فانها عاجزة عن جذب الملايم ودفع المنافي في الاغلب فاعتاقها يفضي الى ضياعها فظهر الفرق ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب قال ابن عباس يريد عمرو بن لحي واصحابه كان قد ملك مكة شرفها الله وكان اول من غير دين اسمعيل عليه السلام فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه لقد

دابته في النار يوذي اهل النار بريح قصبه والقصب الامعاء هذا حال رؤسائهم والكثرة لا يعقلون يعني العوام
والاتباع ردا على اهل التقليد بقوله واذا قيل لهم الاية وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة فنفى العقل عنهم
هناك والعلم هيهنا مع نفي الاهتداء في الموضعين وفيه دليل على ان الاقتداء لا يجوز الا بالعاقل العالم المهتدي لابتناء
قوله على الحجة والدليل لا على التقليد والاصابة قيل قال اهل البرهان العلم ابلغ درجة من العقل ولهذا يوصف الله تعالى بالعلم
ولا يوصف بالعقل فكان دعواهم هيهنا ابلغ لقولهم حسبنا ما وجدنا فناسب ان ينفي عنهم العلم الذي هو ابلغ ثم ذكر انهم لا
الجهال مع ما تقدم من انواع المبالغة في الاعذار والانذار والترغيب والترهيب لم ينتفعوا بشيء منه بل اصروا على جهالتهم
وضلالتهم فلا تبالوا بهم ايها المومنون فان جهلهم لا يضركم اذا كنتم منقادين لتكاليف الله مطيعين لاوامره ونواهيه
يقول العرب عليك زيدا وعندك عمرا يعدونها الى المفعول كانه قيل خذ زيدا فقد علاك اي اشرف عليك وحضرك عمرو فخذه
وليس المراد في عليك انه حرف جر مع مجروره متعلق بمحذوف بل الجار والمجرور معا منقول الى معنى الفعل نقل الاعلام ولهذا سمي اسم فعل
فان قيل ظاهر الاية يوهم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بواجب فالجواب المنع فان الاية لا تدل الا على ان المطيع لربه غير مواخذ
بذنب العاصي ولهذا خطب ابو بكر الصديق فقال انكم تقرؤن هذه الاية وتضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله صلعم
يقول اذا راوا المنكر فلم يغيروه انه يعمهم الله بعقابه وعن عبد الله بن المبارك ان هذه اكد اية في وجوب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لان معنى عليكم انفسكم احفظوها والزموا صلاحها بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح
والسيئات لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم فامرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فانكم خرجتم عن عهدة تكليفكم كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وقيل ان الاية مخصوصة بما اذا خاف الانسان
عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على نفسه وعلى عرضه وعلى ماله وكان ابن شبرمة يقول من فر من اثنين
فقد فر ومن فر من ثلثة لم يفر وقيل انها مختصة بالكفار الذين علم انه لا ينفعهم الوعظ ويوكده ما روي في سبب النزول
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقر مجوس هجر بالجزية قال منافقوا العرب عجبا من محمد يزعم ان الله
بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا ولا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب فلا نراه الا قد قبل من مشركي اهل هجر ما رد على
مشركي العرب فانزل الله تعالى الاية لا يضركم ملامة اللائمين اذا كنتم على الهدى والحق وقيل كان المومنون تذهب
انفسهم حسرة على اهل العناد من الكفرة فنزلت تسلية لهم كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات وعن ابن مسعود ان الاية قريب عهده فقال ان هذا في اخر الزمان ومثله ما روي عن ابي ثعلبة الخشني
انه سئل عن ذلك فقال للسائل سالت عنها خبيرا سالت رسول الله صلعم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر
حتى اذا ما رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك ودع امر
العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض الجمر للعامل منهم اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم
قالوا له سفهت اباك والاموه فنزلت ثم انه سبحانه لما امر بحفظ النفس في قوله عليكم انفسكم امر بحفظ المال عن ابن
عباس ان تميما الداري واخاه عديا وكانا نصرانيين خرجا الى الشام ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا
للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه نسخة جميع ما معه واخفاه بين الاقمشة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم اوصى
اليهما وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب ودفعا
باقي المتاع الى اهله لما قدما فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى النبي صلعم فنزلت ومعنى شهادة
بينكم شهادة ما بينكم اي حين التنازع والتشاجر وانما اضيفت الشهادة الى التنازع لان الشهود انما يحتاج اليهم عند التنازع
واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي هذا دليل على ان الوصية مما لا ينبغي ان يتهاون فيها المسلم عند ظهور
امارات الموت فكان وقتيهما واحد وهما متلازمان وارتفع اثنان على انه قائم مقام الخبر اي شهادة اثنين او على انه
فاعل فعل محذوف والتقدير شهادة ما بينكم ان يشهد اثنان وفي قوله منكم ومن غيركم قولان فعن الحسن والزهري
وعليه الجمهور الفقهاء ان منكم اي من اقاربكم ومن غيركم اي من الاجانب والمعنى ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم من اقاربكم
فاستشهدوا على الوصية اجنبيين وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت بما هو اصلح وعن ابن عباس وابي موسى الاشعري
وسعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن جريج وابن سيرين ان منكم اي من اهل ملتكم ومن غيركم من اي كافر كان او

بهوديا

يهوديا او نصرانيا او مجوسيا او عابد وثن قال الشافعي مرض رجل من المسلمين في الغربة فلم يجد احدا من المسلمين
يشهد على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة واتيا ابا موسى الاشعري وكان واليا عليها فاخبراه بالواقعة
فقال ابو موسى هذا امر لم يقع بعد النبي صلى الله عليه وسلم فحلفهما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله
العظيم انهما ما كذبا وما بدلا واجاز شهادتهما والذاهبون الى هذا القول احتجوا بان الخطاب في منكم لجميع المومنين
فلزم ان يكون غيرهم كافرين وبان هذين الشاهدين لو كانا مسلمين لم يكن الاستحلاف وبانها مشروطة بالسفر لجواز
ذلك في الحضر ايضا بالاتفاق وبانه تعالى اوجب الحلف عليهما والشاهد المسلم لا يجب تحليفه البتة وبان الشاهدين
في سبب النزول كانا نصرانيين وبان ابا موسى قضى بذلك ولم ينكر عليه احد من الصحابة وبان الضرورات تبيح
المحظورات كالتيمم والافطار واكل الميتة والمسلم اذا قرب اجله ولم يجد مسلما لا يقبل شهادة الكفار ضاع اكثر مهماته
فقد يكون عليه زكوات وكفارات وديون وعليه ودائع وله مصالح فلمثل هذه الضرورة جوزنا شهادة النسا
فيما يتعلق باحوال النسا كالحيض والحبل والولادة وللاولين ان يجيبوا بان حذف المضاف يغني عن بيان وبان ذكر السفر
ليس لاجل اشتراط قبول الشهادة ولكن لاجل ان الغالب في السفر فقدان الاقارب ووجود الاجانب وبان الحلف
مشروط بالريبة وقد روي عن علي عليه السلام انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما وبان سبب النزول لا يلزم
ان ينطبق على الحكم حذو القذة بالقذة وبان قضية ابي موسى خبر الواحد وبان الضرورة كانت في اول الاسلام لقلة
المسلمين وتعذر وجودهم في السفر غالبا ومما يصلح ان يكون موكدا لهذه الاية وان لم يجز ان يكون ناسخا لها عند من
يرى انها لا بد من اخر الواردات نزولا قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم وليس المراد من العدالة الاحتراز عن الكذب
في النطق فقط بل في الدين والاعتقاد ولكذب الكافر اعظم من الفرية على الله تعالى وعلى رسله وانما تقبل شهادة
اهل البدع والاهواء من هذه الامة احتشاما لكلمة الاسلام تحبسونهما اي توقفونهما وتصبرونهما استيناف
كانه قيل فكيف نعمل ان ارتبنا فقيل تحبسونهما من بعد الصلوة قال ابن عباس من بعد صلوة دينهما وقال عامة المفسرين
من بعد صلوة العصر لان هذا الوقت كان معروفا عندهم بالتحليف بعده ولفعل رسول الله صلعم حيث دعا بعدي وتميم
فاستحلفهما عند المنبر بعد صلوة العصر ولان جميع اهل الاديان يعظمون هذا الوقت ويذكرون الله تعالى فيه ويحترزون
عن الحلف الكاذب واهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها وقال الحسن المراد بعد الظهر او بعد العصر لان اهل
الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وقيل بعد اي صلوة كانت لان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال الشافعي الايمان
تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد العصر بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة
عند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي سائر البلدان في اشرف المساجد وقد تغلظ بالتكرير والتعدد كما في
القسامة واللعان او بزيادة الاسماء والصفات وقال ابو حنيفة يحلف من غير التغليظ بزمان او مكان ولا يخفى ان قول
الشافعي اوفق للاية والمقسم عليه قوله تعالى لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى وقوله ان ارتبتم اعتراض والضمير
في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا ولو كان من نقسم له قريبا منا واذا
انه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا كقوله شهداء لله ولو على انفسكم وخص ذا القربى بالذكر لان الميل اليهم اتم
والمداهنة بينهم اكمل ولا نكتم شهادة الله التي امر بحفظها وتعظيمها واداءها انا اذا لمن الاثمين اي اذا كتمناها كنا
من الاثمين ونقل عن الشعبي انه وقف على قوله عز وجل شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض
حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يقول الله لقد كان كذا والمعنى بالله
فان عثر قال الليث عثر الرجل يعثر عثورا اذا هجم على امر لم يهجم عليه غيره وقريب منه العثار لان العاثر انما يعثر
بشيء كان لا يراه والمعنى فان حصل الاطلاع على انهما استحقا اثما وهو كناية عن الخيانة والحنث في الحلف فاخران خبر مبتدا
محذوف او فاعل فعل محذوف او صفة مبتدا محذوف اي فالشاهدان او فليشهد او فشاهدان اخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم قال في الكشاف اي الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته
وفي التفسير الكبير اي المال وانما وصف الموالي الميت بذلك لانه اخذ مالهم فكل من اخذ ماله غيره فقد حاول ذلك الغير
ان يكون تعلقه بذلك المال مستعليا على تعلق مالكه به فصح ان يوصف المالك بانه قد استحق عليه ذلك المال

وان تقع الاوليان علي انهما خبر مبتدا محذوف نكانه قيل ومن الاخران فقيل هما الاوليان ويجوز ان يكون بدلا من
الضمير في يقومان او من اخران ويجوز ان يرتفع باستحق اي من الذين استحق عليهم انتداب الاولين منهم للشهادة
لاطلاعهم علي حقيقة الحال قاله في الكشاف ومعني الاوليان الاقربان الي الميت والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهم
ومعرفتهما او الاحقان باليمين اما علي تقدير الرد وذلك عند الشافعي وكل من يري رد اليمين علي المدعي واما انقلاب
القضية عند من لا يري ذلك كابي حنيفة واصحابه فان من ادعي الاخر بدينه ثم ادعي انه قضاه حكم برد اليمين الي الذي
ادعي الدين او لانه صار مدعي عليه انه قد استوفاه وفي هذه القضية ادعي الوصيان ان الميت باع منهما الاناء فانكر الورثة
انكروا فكان اليمين حقا لهم ومن قرا الاولين علي الجمع فعلي انه نعت للذين استحق عليهم او منصوب علي المدح
ومعني الاولية التقدم علي الاجانب في الشهادة او التقدم في الذكر في قوله يا ايها الذين امنوا وكذلك اثنان ذوا
عدل منكم ذكرا قبل قوله او اخران من غيركم ومن قرا استحق علي البنا للفاعل عليهم الاوليان فقد قال في الكشاف معناه
من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوها للقيام بالشهادة ويظهروا بها كذب الكاذبين
وفي التفسير الكبير ان الوصيين الذين ظهرت خيانتهما هما اولى من غيرهما بسبب ان الميت عينهما للوصية
ولما خانا في مال الوصية صح ان يقال ان الورثة قد استحق عليهم الاوليان اي خان في مالهم الاوليان روي انه لما نزلت
الاية الاولي صلي رسول الله صلي الله عليه وسلم صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر بالله
الذي لا اله الا هو انه لم يوجد منا خيانة في هذا المال فخلا رسول الله صلعم سبيلهما وكتما الاناء مدة ثم باعوا فوجد بمكة
وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا قد اشتريناه فقالوا الم نقل هل باع صاحبنا شيئا فقلتما لا فقالا
لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر فكتمنا ثم رفعوا القصة الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فانزل الله تعالي فان عثر علي
الاية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة فحلفا بالله تعالي بعد العصر لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا
في طلب هذا المال وفي نسبتهم الي الكذب والخيانة فدفع رسول الله صلعم الاناء اليهما والي اولياء الميت وكان تميم الداري
يقول بعد اسلامه صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء فانا اتوب الي الله تعالي وعن ابن عباس انه بقيت تلك الواقعة
مخفية الي ان اسلم تميم الداري فقال حلفت كاذبا وقد بعت الاناء انا وصاحبي بالف وقسمنا الثمن ثم دفع خمسمائة من نفسه
ونزع من صاحبه خمسمائة اخري ودفع الالف الي اولياء الميت ذلك الحكم الذي شرعناه والطريق الذي بيناه اقرب
الي ان ياتوا بالشهادة علي وجهها اي كما هو في الواقع او يخافوا ان ترد في مثل هذه القضية ايمان علي الورثة بعد ايمانهم
وهذا التفسير من يري رد اليمين واما من لا يري ذلك فمعني عنده ان تكرر ايمان شهود اخرين لانقلاب المدعي عليه مدعيا
وعلي التقديرين يظهر كذبهم والحاصل ان هذا الحكم يصير باعثا للشهود علي اداء الشهادة للمدعي او للصارف
واتقوا الله في الايمان واسمعوا مواعظه سماع قبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مناهج شرايعه
واحكامه وفيه من الوعيد ما فيه قال المفسرون هذه الاية في غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما روي الواحدي
في البسيط عن عمر بن الخطاب ان هذه الاية اعضل ما في هذه السورة من الاحكام ولهذا ذهب اكثر الفقها علي ان حكم
هذه الاية منسوخ ثم انه سبحانه ختم الاحكام بوصف احوال القيمة وذكر بعض ما يجري هناك من الخطاب والعتاب
جريا علي عادته في هذا الكتاب من خلط التكاليف بالالهيات والنبوات واحوال المعاد فقال يوم يجمع الله الرسل
قال الزجاج تقديره واتقوا الله يوم كذا علي انه ظرف لانهم غير مامورين بالتقوي في ذلك اليوم ولكن انه بدل اشتمال
من اسم الله ويجوز ان يكون ظرفا لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ او منصوبا باضمار اذكر او ظرفا لما يجي
بعده وهو قالوا وعلي هذين الوجهين تكون الاية منقطعة عما قبلها وماذا منصوب باجبتم ولكن انتصاب المصدر
علي معني اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم وفائدة السوال توبيخ قومهم كما كان سوال الموؤدة
توبيخا للوائد ثم قال ظاهر قوله لا علم لنا يدل علي ان الانبياء لا يشهدون لاممهم فالجمع بين هذا وبين قوله فكيف اذا جينا
من كل امة بشهيد مشكل فالجمع من المفسرين ان للقيمة زلازل واهوالا تزيل العقول فالانبياء عندها ينسون اكثر
الامور فهنالك يقولون لا علم لنا ثم اذا عادت اليهم عقولهم شهدوا للامم ولا يرد عليه قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان مواقف القيمة مختلفة ولان عدم الخوف في العاقبة لا ينافي الحيرة والدهشة

اولنا

الم تكلم

دعناهم

٣٧٢

اولا وقال الحسن المراد منه المبالغة في توبيخ الكفرة فان ذلك هو المقصود من السوال كما تقول الواحد لغيره ما تقول
في فلان فيقول انت اعلم به مني فكانك قلت لا يحتاج فيه الي الشهادة لظهوره وقيل مع التوبيخ اظهار لتشكي الانبيا
ممن كذبهم وعاداهم وقال ابن عباس نفوا العلم عند انفسهم عند علام الغيوب ليعلم ان علمهم هناك كلا علم وقيل المراد
نفي العلم بخاتمة احوالهم وما كان منهم بعد وفاتهم وانما الامور بخواتيمها وقال في التفسير الكبير ان الذي عرفوه منهم في الدنيا
كان مبنيا علي ظاهر احوالهم كما قال نحن نحكم بالظاهر وكان ظنا غالبا والاحكام في الاخرة مبنية علي حقايق الامور وبواطنها
فلهذا نفوا العلم فان الظن لا عبرة به في القيامة مع ان السكوت وتفويض الامر الي الاعلم الاعدل اقرب الي الادب
وقري علام الغيوب بالنصب علي ان الكلام قد تم عند قوله انت اي انت الموصوف بالجلال والكبرياء ثم نصب علام الغيوب
علي الاختصاص او علي النداء عدد انواع نعمه علي عيسى عليه السلام واحدة فواحدة تنبيها علي انه عبد وليس
باله وتوبيخا للمتمردين من الامم واولي الامم بذلك النصارى الطاعنون في ذات الله سبحانه باتخاذه الصاحبة والولد
وموضع اذ قال رفع بالابتدا علي معنى ذاك اذ قال الله او نصب باضمار اذكر او هو بدل من يوم يجمع وانما ذكر القول
بلفظ الماضي دلالة علي قرب القيمة حتى كانها قد قامت ووقعت كما يقال الجيش قد اتى اذا قرب اتيانهم او ورد
علي الحكاية كقول الرجل لصاحبه كانك بنا وقد دخلنا بلدة كذا فصنعنا كذا او يحمل يا عيسى مضموم علي انه منادى
مفرد معرفة او مفتوح لانه وصف بابن مضاف الي علم وهو المختار للتخفيف وكثرة الاستعمال نعمتي عليك اراد الجمع ويجوز
لانه مضاف يصلح للجنس وانما قال وعلي والدتك لان النعمة علي الولد نعمة علي ابويه لان مكارم الاخلاق دليل علي
طيب الاعراق اذ ايدتك بدل من نعمتي اي قويتك بروح القدس اي جبريل والقدس هو الله كانه اضافه الي
نفسه تعظيما له او بالروح الطاهرة المقدسة وقد تقدم في البقرة تكلم الناس في المهد وكهلا في هاتين الحالتين
من غير تفاوت واذ علمتك الكتاب الخطاب وجنس الكتب والحكمة النظرية والعملية والتورية والانجيل يعني
الاحاطة بالاسرار الالهية بعد العلوم المتداولة فتنفخ فيها الضمير للكاف لا للهيئة المضاف اليها لانها ليست من
خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فيكون والكاف نحو تشبه بحسب المعنى لدلالتها علي الهيئة التي هي كهيئة
الطير ومذكر في الظاهر فلهذا اعاد الضمير اليه مذكرا تارة كما في ال عمران ومونثا اخرى كما في هذه السورة وكرر باذني اي بتسهيلي
ليعلم ان الكل باقدار الله تعالي وتمكينه واظهار الخوارق علي يديه والا فهو عبد كسائر عبيده واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ
هذه المعجزات العجيبة قصد اليهود قتله فخلصه الله تعالي برفعه الي السما ان هذا الا سحر مبين منكرا بغير الف اشار
الي ما جاء به او اراد انه ساحر فاطلق عليه الحدث مبالغة ومنكرا بالالف اشار الي الرجل واللام في البينات يحتمل ان يكون
للجنس فيحتمل ان يراد بها المعجزات المذكورة وذكر قول الكفار في حقه ان هذا الا سحر مبين يحتمل ان يكون من تمام القصة
استطرادا ويمكن ان يراد بذلك تعداد النعم ايضا لان كل ذي نعمة محسود وطعن الكفار فيه يدل علي علو شانه وسمو مكانه
واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل ولا ابتهاجه بهذه النعم الجسام والمنن العظام وكان يلبس الشعر
وياكل الشجر ولا يدخر شيا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اين ما امسى بات واذ اوحيت
الي الحواريين ان كانوا انبيا فظاهر والا فالوحي بمعنى الالهام كقوله واوحي ربك الي النحل واوحينا الي ام موسى وهذا ايضا
من جملة النعم لان كون الانسان مقبول القول عند الناس محبوبا في قلوبهم من اعظم نعم الله تعالي وقدم الايمان علي الاسلام
ليعلم انهم امنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم هل يستطيع ربك من قرا بالتاء وبالنصب فظاهر والمراد هل تستطيع سوال ربك
اي هل تساله ذلك من غير صارف يصرفك عن سواله ومن قرا بالياء وبالرفع فمشكل لانه تعالي حكى عنهم انهم قالوا امنا فكيف
يتصور مع الايمان شك في اقتدار الله تعالي واجيب بوجوه منها ان حكاية الايمان عنهم لا يوجب كمالهم واخلاصهم في ذلك
ولهذا قال لهم عيسى اتقوا الله ان كنتم مومنين ومنها انهم طلبوا مزيد الايقان والطمانينة ولهذا قالوا وتطمين قلوبنا ومنها
انهم ارادوا هل هو جايز في الحكمة ام لا وهذا علي اصول المعتزلة من وجوب رعاية الاصلح او ارادوا هل يقضي بذلك وعلم
وقوعه ام لا فان خلاف معلومه غير مقدور وهذا عند الاشاعرة ومنها قول السدي ان السين زائدة وكذا التاء اي هل يطيع
ربك ومنها لعل المراد بالرب جبريل لانه كان يربيه ومنها ان المراد بالاستفهام التقرير لكن بالتاكيد ضعيف ويقول هل يقدر
السلطان علي اشباع هذا ابريد ان ذلك امر جلي لا يجوز للعاقل ان يشك فيه قال الزجاج المايدة فاعلة من ماد يميد

ظنها

اذا تحرك فكانها تميد بما عليها وذلك انها لا تسمى مائدة الا اذا كان عليها طعام فاذا لم يكن عليها طعام فهي خوان وقال ابن
الانباري هي من ماده اذا اعطاه كانها تعطي من تقدم اليه وقال ابو عبيدة تسمى مفعولة مثل عيشة راضية مرضية كان صاحبها
اعطاها الحاضرين قال عيسى اتقوا الله في تعيين المعجزة فانه كالتحكم وايضا اقتراح معجزة بعد معجزة كثيرة تعنت او امرهم بالتقوى
ليتوسلوا بها الى المطلوب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاجاب الحواريون بانا لا نطلب هذه المعجزة
بمجردها ولكنا نريد ان ناكل منها فان الجوع قد غلب علينا ولا نجد طعاما اخر فقد يروى انهم سالوها في مفازة في غير ماء ولا طعام وان
نزيد يقيننا وعرفاننا طمانينة فان التي شاهدناها امثال معجزات ارضية وهذه سماوية فيكون اعجب واغرب وان نعلم صدقك
في دعوة النبوة او فيما وعدتنا فذلك انه كان قال لهم صوموا ثلثين يوما واذا تم صومكم فكلما سالتموه الله تعالى فانه يعطيكم
واذا شاهدنا المعجزة كنا عليها من الشاهدين الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله تعالى بالقدرة
ولك بالنبوة تكون لنا عيدا صفة للمائدة او استيناف وقرئ بالجزم جوابا للامر كان نتخذها يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى
عيدا والعيد ما يعود اليك في وقت معلوم ومنه العيد لانه يعود كل سنة بفرح جديد لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي
لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا او ياكل منها اخر الناس كما ياكل اولهم او للمقدمين منا والاتباع وقرئ لاولنا واخرنا
بمعنى الامة او الجماعة فقول عيسى ربنا ابتدا بذكر الحق وانزل علينا انتقال منها اخر الناس كما ياكل اولهم والمقدمين منا
والاتباع وقرئ لاولنا واخرنا بمعنى الامة اما الجماعة فقول عيسى ربنا ابتداء بذكر الحق وانزل علينا انتقال منها اخر الناس كما
ياكل اولهم او المقدمين منا والاتباع وقرئ لاولنا واخرنا بمعنى الا الصفات وقوله تكون لنا عيدا اشارة الى ابتهاج الروح
بالنعمة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انها صادرة عن المنعم وقوله واية منك اشارة الى كون المائدة دليلا لاصحاب النظر
والاستدلال وقوله وارزقنا اشارة الى حصة النفس والحواريون قدموا غرض النفس واخروا الاغراض الدينية وان
عيسى بدا بالاشرف حتى انتهى الى الاخس ثم قال وانت خير الرازقين وهو عروج مرة اخرى من الخلق الى الخالق وعند
ظهور التفاوت بين النفوس الكاملة والناقصة اللهم اجعلنا من اهل الكمال والاشراف نعم بفضلك وجسيم طولك منزلها
بالتخفيف والتشديد بمعنى وقيل بالتشديد بالتكثير وبالتخفيف مرة واحدة عذابا لا اعذبه احدا قال ابن عباس يريد مسخهم
خنازير وقيل قردة وقيل جنسا من العذاب لا يكون موخرا الى الاخرة وعذابا نصب على المصدر اي تعذيبا والضمير في
لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء الموضعين فقيل اعذبه بعذاب لا اعذب به احدا
والمراد بالعالمين عالمي زمانهم واختلف في ان عيسى عليه السلام سال المائدة لنفسه او سالها لقومه وان كان اضافها الى نفسه
في الظاهر وكذا اختلف في انها نزلت ام لا فقد قال الحسن ومجاهد ان المائدة ما نزلت بل القوم لما سمعوا العذاب استغفروا وقالوا
لا نريدها والدليل هذا القول بانه وصف المائدة بكونها عيدا لاولهم واخرهم فلو نزلت لبقي العيد الى يوم القيمة وقال جمهور
المفسرين انها نزلت لانه سبحانه وعد انزالها بقوله اني منزلها عليكم ثم ان يوم نزولها كان عيدا لهم ولمن بعدهم ممن كان
على شرعهم يروى ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعا لبس الصوف ثم قال اللهم انزل بقوله اني منزلها علينا فنزلت سفرة
حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام فقال اللهم
اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قال ليقم احسنكم عملا ويكشف عنها ويذكر اسم
الله عليها ويأكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال
بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من
انواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى
الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله
بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه
الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وقيل ان عيسى كان شرط عليهم ان لا يسرقوا في الاكل ولا يدخروا فعصوا
فمسخوا واذ قال الله معطوف على مثله والصحيح ان هذا القول ايضا يوم القيمة لقوله عقيب ذلك هذا يوم ينفع وقيل
هذا عند رفع عيسى نظرا الى ان اذ للماضي وقد مر توجيه ذلك ءانت قلت للناس استفهام بطريق الانكار والغرض

منه

منه توبيخ النصارى قال بعض المتكلمين انا ما علمنا من النصارى لم يذهب الى القول بالهية عيسى وامه مع القول بنفي الهية الله تعالى واجيب بان الاله هو الخالق وانهم يعتقدون ان خالق المعجزات والكرامات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى ومريم وليس بتقدير الله سبحانه ففي ذلك مدخل لهذا التاويل مع ما حكي عنهم واقول يشبه ان يكون المراد بقوله من دون الله اي بعد الله فيكون التوبيخ على التثليث او المراد انه لما دل البرهان على نفي هذا الاله فمن قال بالهية عيسى او امه لزمه القول بنفي المعبود الحق تعالى عن ذلك ولهذا قال عيسى سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ثم لم يجب باني قلت او ما قلت لان ذلك يجري مجرى الطهارة والتنزيه بل اجاب بقوله ما يكون اي ما ينبغي لي ان اقول لا يحق لي ان اقوله اظهارا لغاية الخضوع والاستكانة ثم فوض الامر الى علمه المحيط بالكل فقال ان كنت قلته فقد علمته ثم علل ذلك بقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وذكر النفس ثانيا لاجل المشاكلة وانه من فصيح الكلام او تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي او تعلم ما عندي ولا اعلم ما عندك او تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل عبارات للمفسرين ثم اكد ما ذكر بقوله انك انت علام الغيوب ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة فالمفسر اما فعل القول او فعل الامر ولا وجه لكليهما اما فعل القول فيحكى بعد الكلام بلا ان فيقال ما قلت لهم الا اعبدوا الله اللهم الا ان يقال ان المضاف محذوف والتقدير ما امرتني بقوله فيكون تفسير المضاف القول المقدر كالفعل المأول بالقول في علم الظهور حتى يجوز توسط ان واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها مصدرية عند من يجوز دخولها على الطلبية فان كان بدلا من ما امرتني والمبدل في حكم المنحى كان المعنى ما قلت لهم الا عبادته ولا يستقيم لان العبادة لا تقال وان جعلته بدلا من الهاء في به لم يصح ايضا لانه يؤول المعنى بعد طرح المبدل الى قولك الا ما امرتني بان اعبدوا الله فيبقى الموصول بلا عائد فاذن الوجه ان يحمل فعل القول على معناه فيكون اصل المعنى ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم الا انه وضع القول موضع الامر رعاية للادب كيلا يجعل نفسه وربه امرين ويدل على الاصل بذكر ان المفسرة قال في الكشاف ويجوز ان يكون ان مصدرية عطف بيان لها لا بدلا وحينئذ يبقى العائد بحاله وكنت عليهم شهيدا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من التدين بما يوجب التكفير ما دمت فيهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كنت انت الحافظ عليهم المراقب لاحوالهم وانت على كل شيء شهيد من الشهادة او من الشهود الحضور وان تغفر لهم فيه سؤال وهو انه كيف جاز لعيسى هذا القول والله تعالى لا يغفر الشرك والجواب ان قوله لعيسى انت قلت للناس ينبئ عن ان قوما من النصارى حكوا عنه هذا الكلام والحاكي لهذا الكفر عنه لا يكون كافرا بل يكون مذنبا فقط ولو سلم انه شرك فغفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة لان العقاب حق الله على المذنب وليس في اسقاطه على الله تعالى مضرة بل كلما كان الجرم اعظم كان العفو احسن الا ان الدليل الشرعي في شرعنا على انه لا يكون فلعل هذا الدليل السمعي لم يكن موجودا في شرع عيسى عليه السلام او لعل عيسى جوز ان يكون بعضهم قد تاب عنه اما من زعم ان هذه المناظرة والمحاورة انما كانت عند رفعه الى السماء فلا اشكال اصلا لان المراد ان توفيتهم على هذا الكفر وعذبتهم فانهم عبادك فلك ذلك وان اخرجتهم بتوفيقك من ظلمة الكفر الى نور الايمان وغفرت لهم ما سلف منهم فانك انت العزيز القادر على ما تريد الحكم في كل ما تفعل لا اعتراض لاحد عليك وفي مصحف عبد الله فانك انت الغفور الرحيم وضعفه العلماء لان ذلك يشعر بكونه شفيعا لهم لا على تفويض الامر بالكلية الى حكمه تعالى والمقام مقام هذا لا ذاك وعن بعضهم ان ذكر الغفور الرحيم يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة اما العزة والحكمة فلا يوجبان الا التعالي عن جميع جهات الاستحقاق لحصول المغفرة بعد ثبوت هذا الاستغناء والعزة تكون ادل على كمال العفو والرحمة فان العفو عند المقدرة قال بعض العلماء في الاية نوع شفاعة لفساق امته فلان ثبت ذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لفساق امته اولى هذا يوم ينفع الصادقين من قرا بالرفع فظاهر وانه في تقدير الاضافة اي هذا يوم منفعة الصادقين ومن قرا بالنصب فاما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتداء والظرف خبر اي هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع في هذا اليوم كقولك القتال يوم السبت وقال

اعبدوا

الفرا يوم اضيف الي ما ليس باسم فبني على الفتح كما في يومئذ وحطاة النصريين وقالوا انما يبنى الظرف اذا اضيف الي
المبني كالماضي في نزل النابغة ۵ على حين عاتبت المشيب على الصبي ۵ او مثل لا في قوله تعالى يوم لا تملك واجمعوا على ان هذا
اليوم يوم القيمة والمراد ان صدقهم في الدنيا ينفعهم يوم القيمة كما قال قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان
الله وعدكم وعد الحق فصدق وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه واما عيسى فكان صادقا في الدنيا والاخرة فنفعه صدقه
وفي هذا الكلام تصديق العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واما اذا صح الانسان نسبة العبودية
علم ان العبد لا يكون له ارادة واختيار فيكون ارادته مغمورة في ارادة ربه ذلك الفوز العظيم اشارة الى جميع المذكورات
او الى الجزء الاشرف الاقرب وهو الرضوان وما فيهن لم يقل ومن فيهن ليكون ادل على العموم وليتنبه على ان عقول ذوي
العقول وعلوم ارباب العلوم بالنسبة الى علمه كلا علم وانامهم دعزهم تحت قهره وتسخيره سواء واعلم انه سبحانه افتتح السورة
بقوله اوفوا بالعقود وهو التشريع والبداية ختم السورة بهذه الاية الدالة على فناء الكل في جنب جلاله وكبريائه
وهو الحقيقة والنهاية فما احسن هذا النسق وايضا في السورة باب الشرائع والاحكام الكثيرة والمناظرة مع اليهود
والنصارى فهذه الاختتام ذكر فيه انه سبحانه مالك لجميع الممكنات والكائنات موجب لجميع الارواح والاجساد بصح
التكليف على اي وجه اراد وليكون ردا على اليهود بحكم المالكية في نسخ شريعة موسى ووضع شريعة محمد صلى الله عليه
وليكون ردا على النصارى في ان عيسى ومريم عليهما داخلان في المخلوقات موجودان بايجاد الله ولا معنى للعبودية
الا هذا وايضا لما اخبر عن فناء وجودهم المجازي لم يبق هناك مجيب فاجاب بنفسه لله ملك السموات والارض كقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولعل في هذه الخاتمة من الاسرار اضعاف ما عثرنا عليه والله تعالى اعلم باسرار كتابه
التاويل اخبر عن كثرة السوال انها تورث الملال وذلك ان علوم القال غير علوم الحال والصنف الاول يحمل فيه
السوال والثاني يذم فيه ذلك ان يحصل بالعيان لا بالبرهان كما كان حال الانبيا عليهم السلام مع الله وكذلك نري ابل
لقد راى من ايات ربه الكبرى وقال صلى الله عليه وسلم ارنا الاشيا كما هي وقال الخضر لموسى عليه السلام فان اتبعتني
فلا تسئلني عن شي وقال موسى في الثالثة ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني فان تعلم العلم اللدني بالحال
في الصحبة والمتابعة والتسليم وفي السوال الانقطاع عن الصحبة وان تسالوا عنها حين ينزل القران اي ان كان لابد
لكم من السوال عن حقايق فاسالوا عنها بعد نزول القران اعن القران ليخبركم عن حقايقها على قدر عقولكم والله غفور لمن
لمن تاب من طلب علوم الحقايق بالقال حليم لمن يطلب بالحال فيصدر عنه في اثناء الطلب سوال قد سالها قوم من قبلكم
كقدماء الفلاسفة اعرضوا عن متابعة الانبيا واقبلوا على مجرد العقل بالقال فما وقعوا في اودية الشبهات والضلال ما جعل
الله من بحيرة قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هم الحيدرية والقلندرية يشقون اذانهم وذكرهم فيجعلون فيها
حلق الحديد ويحلقون لحيتهم ولا سايبة هم الذين يضربون في الارض خليعي العذار بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة ويدعون
انهم اهل الحقيقة ولا وصيلة هم اهل الاباحة الذين يتصلون بالاجانب بطريق المواخاة والاتحاد ويرفضون الاقارب
لاجل العصبة والعناد ولا حام وهو المغرور بالله يظن انه بلغ مقام الحقيقة فلا يضره مخالفات الشريعة واذا قيل
لهم تعالوا الى ما انزل الله من الاحكام والى الرسول لمتابعته قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اي مشايخنا واهل
صحبتنا او لو كان اباؤهم لا يعلمون شيا من الشريعة والطريقة لا يهتدون الى الحقيقة عليكم انفسكم اي اشتغلوا
بتزكية نفوسكم ثم بارشاد الغير فان الغريق الذي لم يتعلم السباحة اذا تشبث به مثله هلكا معا الى الله مرجعكم جميعا فالطا
بجذبات العناية والمطلين بسلاسل القهر والثكانة اذا حضر احدكم الموت اي النفس بموت عن صفاتها الذميمة بالرياضة
والمجاهدة فتوصي بصفاتها لورثتها وهم القلب فاوصافه والوصيان اثنان ذوا عدل منكم هما العقل والسر من الروحانيات
او اخران من غيرها لروحانيات هما الوهم والخيال من النفسانيات فالعقل والسر يشهدان الحق وان كان على ذي قرابة
من الروحانية والوهم والخيال شهادتهما الصدق والكذب ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم في السفليات
فاصابتكم مصيبة الموت اي نصيب النفس جذبة الحق فتموت تحبسونهما ان كنتم في بعد من الروحانيات من بعد الصلوة
من بعد حضورهما مع الله وتوجههم الى الحق ومراقبة تامة فيشهد على التشاهد بالقسم والتجريب بالله ان
يجريا شهادة الحق ويدفعان تركة النفس وهي صفاتها الى ورثتها وهم القلب وصفاتها ولا تصرفانها في شي من

السفليات فان كل خلق اذا استعملته النفس كان صفة ذميمة فاذا استعمله القلب كان وصفا محمودا فالحرص اذا
استعمله النفس في طلب الدنيا ولذاتها كان وصفا مذموما واذا استعمله القلب هما التذكر والتفكر الصايب ينظران في
عواقب الامور ويشهدان على ان الاخرة خير من الدنيا والباقي خير من الفاني لشهادتنا احق من شهادتهما لان الوهم والخيال
مالا الى الحظوظ بكتمان الحقوق والتذكر والتفكر الى مالا حفظ الحقوق بترك الحظوظ ان ياتوا بالشهادة على وجهها اي
العقل والسر ياتيان في بدو الامر باستعمال صفات النفس للسعادة الاخروية اوبخافا عواقب الامور بان يشدد على
انفسهم بالاستعمال وتضييع الزمان واستعدادتهم بالتفكر والتذكر ويرجح الامر الى وجوب رعاية الحقوق يجمعنا جاز الى كثرة
الرياضة ماذا اجبتم قالوا هم مستغرقون في بحر الشهود لا علم لنا اي بواطن الامور وحقايق واذ اوحيت الى الحواريين
اي في عالم الارواح يوم الميثاق قالوا بسبب ذلك التعارف في عالم الاشباح امنا ان بعض الحواريين المقلدين في الايمان
قالوا يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك فاراعوا الادب مع نبيهم حيث لم يقولوا يا رسول الله ادع ربك ادع ربهم حين تشككوا
في كمال قدرته ثم اظهروا دناءة همتهم حيث طلبوا بواسطة مثل عيسى من المواهب مائدة جسمانية لا مائدة روحانية فقال
عيسى اللهم انزل علينا مائدة الاسرار والحقايق من سماء العناية عليها اطعمة الهداية تكون لنا اي لاهل الحق والصدق
عيدا افراح بها لاولنا لاول انفاسنا واخرها فان اهل الحق يرا نبوت الانفاس لتصعد مع الله وتهوي مع الله وانت
خير الرازقين لان الذي ترزق يرزق منك وما يرزق غيرك يرزق من غيره فمن يكفر بعد منكم بان لا يقوم بحقها فيجعلها شبكة
يصطاد بها الدنيا فاني اره ده من المراتب الروحانية الى المهالك الحيوانية وهو المسخ الحقيقي ويوم القيمة ايضا يحشرون
على صفاتهم التي ماتوا عليها كما قال صلى الله عليه وسلم يموت الناس على ما عاشوا فيه ويحشر على ما مات عليه انت قلت
للناس الخطاب مع الامة الا ان من سنته سبحانه ان لا يكلم الكفار وكلم عيسى بدلا منهم او المراد بالقول التكوين
فالمعنى انت خلقت فيهم اتخاذك وامك الهين ام انا خلقت ذلك فيهم حذ لانا لهم انك انت علام الغيوب
الغيب ما غاب عن الخلق ويحتمل ان يجعله الخلق وغيب الغيب ما غاب عنهم ولا يمكنهم ان يعلموه والله تعالى اعلم بحقايقه

سورة الانعام مكية وهي مائة وخمس وستون اية وعن ابن عباس الا ست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ۵
الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون ۝ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم
انتم تمترون ۝ وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم
ويعلم ما تكسبون ۝ وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين ۝
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انبؤا ما كانوا به يستهزءون ۝ الم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم
مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا
اخرين ۝ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا

إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ۝
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ۝ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ
فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝

القراءة وانشأنا بغير همز حيث كان ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف ولقد استهزئ وبابه بالهمز ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وقرأ يزيد والشموني وحمزة في الوقف بغير همز الباقون بغير همز مطلقا فحاق بالامالة حيث كان **الوقف** والنور لان ثم لترتيب الاخبار يعدلون اجلا تمترون على الارض وقيل لا وقف لمصير التقدير وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وفيه تعديل المعنى وهو المستحق للعبودية فاهل السموات واهل الارض تكسبون تكسبون معرضين لمجازاتهم للابتداء بالتهديد يستهزءون مدرارا لعطف المتفقين اخرين سحر مبين عليه ملك لا ينظرون يلبسون يستهزءون المكذبين **التفسير** عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزلت الانعام جملة واحدة ونزلت معه من الملائكة سبعون الف ملك فلاذوا بابين الاخشبين قد عار رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتبوها من ليلتهم سوى ايات معدودات وعن انس ان رسول الله صلعم قال لقد بعث بها الي جبرئيل عليه السلام مع خمسين ملكا او خمسين الف ملك يزفونها حتى اقروها في صدري كما يقر الماء في الحوض ولقد اعزني الله تعالى واياكم بها عزا لا يذل لنا بعدها ابدا فيها دحض حجج المشركين وعد من الله لا يخلفه ولاشتمال هذه السورة على دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ولنزولها جملة ذهب علماء الكلام الى ان علم الاصول مع جلالة قدره يجب نقله على التواتر لا على التراخي بخلاف الاحكام فانها تنزل لكفاء المصالح بحسب الحوادث والنوازل واعلم ان قوله الحمد لله مذكور في اوائل سور خمس واختص كل منها بصفة لكن اعمها صدر فاتحة الكتاب الحمد لله رب العالمين فان العالم كل موجود سوى الله سبحانه فكان سائر السور تفاصيل لهذه الجملة اثنى الله سبحانه على نفسه بقوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض والثناء على النفس قبيح في الشاهد ففيه دليل على انه لا يمكن قياس الحق على الخلق فكما انه واحد في ذاته فهو واحد في صفاته وافعاله لا اعتراض لاحد عليه والتحقيق فيه ان استحقاق المدح بحسب الفضيلة والكمال ولا يوجد في الممكن صفة كمال الا وهي مشوبة بالنقص والاختلال في ادناه الافول في افق الامكان بخلاف واجب الوجود فانه لا غاية لكماله ولا نهاية لعظمته وجلاله فلا ينبغي ان يمدح الا هو ولا يثني الا عليه ولا ان يشكر بحمد الاله ثم الاوصاف الجارية عليه سبحانه انما تذكر زيادة في المدح لا لاجل التوضيح والكشف اسمائيا لم نزده معرفة وانما الذي ذكرناها وقد تقدم في الاسماء ان معنى الخلق راجع الى التقدير والتقدير عائد الى العلم فالمراد انه اوجد السموات والارض على حسب علمه الازلي قال بعض العلماء السماء كالدائرة والارض كالمركز وحصول الدائرة يوجب تعين المركز ولا ينعكس لامكان ان يحيط بالمركز الواحد دوائر لا نهاية لها فلهذا ذكر السماء قبل الارض مع ان ظاهر التنزيل يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء وجمع السموات حقيقة وكذا افراد الارض وقد يجمع الارض باعتبار الطبقات وسوف يجيء تقرير ذلك في قوله ومن الارض مثلهن والمقصود من هذا الوصف الزام فان تخصيص حجم الفلك لمقدار معين وتخصيص كل من اجزائه بحيز معين وتخصيص الفلك بالحركة والارض بالسكون مع اشتراكهما في الطبيعة الجسمية وتخصيص كل حركة بحد معين من السرعة والبطء بجهة معينة دلائل ظاهرة على وجود فاعل مختار واحد في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وايضا ان الحركة كانت ازلا لان حقيقة الحركة انتقال من حالة الى حالة يقتضي المسبوقية بالغير وعدم الاولية ينافي المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال واذا ثبت ان لكل حركة اولا فاول فاختصاص ابتداء حدوثه بوقت معين يدل على الفاعل المختار وكذا ايضا في بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية مع تساوي الكل في تمام الماهية وايضا ان خارج العالم الجسماني خلاء لا نهاية له كما ثبت في الكلام فحصول هذا العالم في حيزه الذي حصل فيه دون سائر الاحياز

امر ممكن يحتاج الى مرجح قادر مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء هذا اذا نظرنا في ذوات هذه الاجرام اما ان اعتبرنا ما وكيفية تأثير العلويات وهي الاباء في العنصريات وهي الامهات لتحصيل المواليد الثلاثة المعادن والنباتات والحيوانات ابتغينا من ذلك ايضا العجب العجاب وقد يرد صح حينئذ تنبيه اعلى واجل من رتب الممكنات اما قوله وجعل الظلمات والنور فمعناه احدث وانشأ ولهذا اقتصر على مفعول واحد ولو كان بمعنى صير اقتضى مفعولين وانما لم يقل وخلق لانه اراد التضمين اعني انشاء شيء من شيء كقوله وجعل منها زوجها فالنور والظلمة لما تعاقبا صار كل واحد منهما كانه تولد من الاخر وقيل لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار ولهذا جمع الظلمات اذ لكل جرم ظل والظل ظلمة ووحد النور لان النار واحد وهو منها والظلمة والنور ههنا الامران المحسوسان بالبصر لان الاصل في الاطلاق الحقيقة وللقرينة ذكر السموات والارض وعن ابن عباس ان الظلمة ظلمة الشرك والنفاق والنور نور الاسلام واليقين وعلى الاول فانما جمع الظلمات ووحد النور لان النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم انها تقبل التناقص قليلا قليلا وتلك المراتب كثيرة او لانه قصد بالنور الجنس وعلى الثاني فذلك لان الحق واحد واما طرق الكفر فاكثر من ان يحصى وانما قدمت الظلمة على النور لان عدم المحدثات سابق على وجودها والظلمة عدمية عند من يجعلها عدم النور او شبيهة بالعدم عند من يجعلها هيئة مضادة للنور وقد ورد في الاخبار ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على قوله الحمد لله والمعنى انه حقيق بالحمد على ما خلق ثم الذين كفروا يعدلون عن طريق الانصاف فيكفرون بربهم او على خلق السموات معناه انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون اي هم يسوون به ما لا يقدر على شيء من ذلك فعلى المعنى الاول يعدلون من العدل وعلى الثاني هو من العدول ومعنى ثم ههنا وفي قوله ثم انتم تمترون تراخي الرتبة واستبعاد مضمون الجملتين واحدهما عن الاخر ثم دل دليل اخر على اثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسماني فقال هو الذي خلقكم من طين اي من ادم لانه مخلوق من طين او خلقكم من النطفة المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر لا ريب ان خلق الاغذية المتنوعة من العناصر المتشابهة الاجزاء ثم تولد النطفة المتشابهة الاجزاء من تلك الاغذية المختلفة ثم خلق الاعضاء المختلفة في الصفة والصورة واللون والشكل كالقلب والدماغ والكبد والعظام والغضاريف والرباطات والاوتار وغيرها من المادة المتشابهة لا يمكن الا بتقدير مقدر حكيم ومدبر عليم ثم ان تلك القدرة والحكمة باقية بعد موت الحيوان فيكون قادرا على اعادتها واعادة الحياة فيها وذلك يدل على صحة القول بالمعاد اما قوله ثم قضى اجلا فاعلم ان لفظ القضاء قد يرد بمعنى الحكم والامر وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبمعنى الخبر والاعلام وقضينا الى بني اسرائيل وبمعنى صفة الفعل اذا تم فقضاهن سبع سموات ومنه قولك قضى فلان حاجة والاشبه ههنا هو الاول والاجل في اللغة بمعنى الوقت المضروب لانقضاء الامد واصله من التأخير ومنه الاجل نقيض العاجل ثم ان ظاهر الاية يدل على حصول اجلين لكل انسان فقال ابو مسلم اجال الماضين لانهم لما توفوا صارت اجالهم معلومة والثاني اجال الباقين لانها غير معلومة بعد وانما هي مسماة عند الله تعالى وقيل الاول اجل الموت والثاني اجل القيامة لانه لا اجل له ولا يعلم احد كيفية الحال في هذا الاجل الا الله تعالى وقيل الاول ما بين ان يخلق الى الموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول مقدار ما انقضى من عمر كل احد والثاني ما بقي من عمره وقال حكماء الاسلام الاول الاجل الطبيعي الذي يمكن بالنسبة الى المزاج الاول لكل شخص لو بقي مصونا عن الافات الخارجية والثاني الاجل الاخترامي الذي يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق والقتل واللدغ وغيرها من الامور المنفصلة ومعنى مسمى اي مذكور اسمه في اللوح المحفوظ ومعنى عنده اي في حكمه وعلمه كما يقول هذه المسألة عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا وانما رفع اجل بالابتداء وجاز ذلك مع تنكيره لمكان وصفه فقارب المعرفة وانما لم يقل وعنده اجل مسمى تعظيما لشأن هذا الاجل فكانه قيل واي اجل مسمى عنده والمرية والمعنى ثم تستبعدون ان تمتروا عن مثل هذه الحجة الباهرة الموجبة للتيقن في امر المبدأ والمعاد ثم قرر انه سبحانه عالم بجميع المعلومات ردا على من زعم انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع من العاصي ولا تمييز اجزاء بدن عمرو فقال وهو الله في السموات ونزهه عن الجسمية بهذا ونحو قوله أأمنتم من في السماء انه سبحانه مستقر

في السما قالوا ويوكده وقف بعض القراء على السموات والابتدا بقوله وفي الارض يعلم اي يعلم سركم وجهركم الموجودة
في الارض ولو سلم ان لا وقف فالاجماع حاصل على انه ليس موجود في الارض ولا يلزم من ترك الحمل باحد الظاهرين
ترك الحمل بالظاهر الاخر من غير دليل ونوقض بانه تعالى قال في مواضع لله ما في السموات فلو كان هو في السموات
لزم ان يكون مالكا لنفسه ولا يخفى ضعف هذا النقض لانه مخصوص بالقرينة كقوله ان الله على كل شيء قدير
وبانه اما ان يراد كونه في سما واحد وهو ترك الظاهر او في السموات وهو يقتضي كونه اجزا او حصول المتحيز الواحد
في مكانين وكلاهما محال والحق انه لا يلزم من استصحاب المكان الانتقال البتة ولا التجسم والتحيز به وهو دفع يقول بهم
من دون له وبانه من كان موجودا في السموات لكان محدودا متناهيا فيكون قابلا للزيادة والنقصان فيكون
اختصاصه بمقدار معين لمخصص فيكون محدثا ويرد عليه انه لم لا يجوز ان يكون في السموات وفوقها الى ما ينتهي للسما
عند من يقول ان ورا هذا العالم خلا غير متناه وبانه لو كان في السموات فانه يقدر على عالم اخر فوقها لزم تحيزه
وان قيل فلو فعل لحصل تحت ذلك العالم والقوم ينكرون كونه تحت العالم والاعتراض انه لا يلزم من القدرة الايجاد وقال
غير المجسمة المراد وهو الله في تدبير السموات والارض كما يقال فلان في امر كذا اي في تدبيره واصلاحه وعلى هذا
يكون في السموات خبرا بعد خبر ويوقف على اسم الله ثم يبتدا بما بعد ذلك ويكون المعنى انه يعلم في السموات والارض
سرائر الملائكة والانس والجن وهو المعبود فيهما والمعروف بالالهية والمتوحد بها او هو الذي يقال له الله فيهما
لا شريك له في هذا الاسم والسر من صفات القلوب وهي الدواعي والصوارف والجهر من اعمال الجوارح ولانه الاول
مقدم على الثاني طبعا فلا جرم قدم عليه وصفا والجملة اعني قوله يعلم سركم وجهركم مقررة لما قبلها او خبر ثالث
او كلام مبتدا ويعلم ما تكسبون الكسب اخص من الاعمال السرية والجهرية لان الفعل المفضي الى اجتلاب نفع او
دفع ضرر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بانه كسب وافراد الاخص بالذكر بعد الاعم للتقريب والتاكيد او لنفي
اهم حسن لا يلزم منه عطف الشيء على نفسه والمراد انه عالم بما يستحقه الانسان على افعاله من ثواب او عقاب ثم لما
فرغ من دلائل التوحيد والمعاد شرع في النبوات وذكر احوال الكفار مع الانبيا في ثلث مراتب الاولى كونهم معرضين
عن التامل في الدلائل وذلك قوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى للاستغراق والثانية للتبعيض والمراد
ما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار الا وهم على حالة الاعراض لقلة تدبرهم وفرط غفلتهم
الثانية كونهم مكذبين وهذه اشد مما قبلها لان الاعراض قد يكون للغفلة لا للتكذيب واذا كذبوا فقد اعرض
وتدارك العلماء المعاني هيهنا حذف كانه قيل انا كانوا معرضين عن الايات فقد كذبوا بما هو اعظم اية وهو الحق
قال ابن عباس هو انشقاق القمر بمكة انفلق فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة وقيل هو القران الذي تحدوا به فعجزوا
عنه وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل شرعه وقيل وعده ووعيده وتبشيره وانذاره والاولى الحمل على الكل المرتبة الثالثة
كونهم مستهزئين لان التكذيب اذا انضم معه الاستهزاء كان غاية في العداوة وذلك قوله فسوف ياتيهم انباء ما
كانوا اي اخبار الشيء الذي كانوا به يستهزؤن وهو القران وغيره من المعجزات وليس المراد نفس الانباء بل العذاب
الذي انبا الله تعالى به كقوله ولتعلمن نباه بعد حين ثم يقال ستعرف نبا هذا اذا انزل بك ما تحذره وذلك ان
الغرض من الخبر حصول العلم بالمخبر عنه وذلك انما يتحقق بعد المعاينة ومعنى الاية سيعلمون باي شيء استهزؤا
وانه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند نزول العذاب بهم في الدنيا كيوم بدر وغيره او في الاخرة ثم لما زجرهم
عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء واوعدهم على ذلك عاد الى الموعظة والنصيحة بتذكير احوال الامم الماضية
والقرون الخالية والقرن القوم المقترنون في زمان من الدهر المفترقون بعد ذلك بالموت وذلك الزمان في الاغلب
ستون سنة وقيل سبعون وقيل ثمانون والاقرب انه غير مقدر بزمان لا يقع فيه زيادة ولا نقصان ولكنه اذا
انقضى الاكثر من اهل كل عصر فقد انقضى القرن وليس المراد ان يصدق الكفار محمدا في هذه الاخبار لانهم يصدقوا التكذيب
فسيكذبونه فيها ايضا وانما المراد انما يختص بالمنقد مين منهم مشهور بين الناس فيبعد ان يقال انهما سمعوا تلك الحكايات
ومجرد سماعها يكفي في الاعتبار ثم وصف تلك القرون بثلثة اوصاف الاول تمكينهم في الارض مكن له في
الارض جعل له مكانا ومكنه فيها اثبته ومعناهما متقاربان ولهذا جمع بينهما في الاية والمعنى لم يعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود

وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاسباب الدنيا الثاني ارسال السماء عليهم يعني المغيث او السما
او السحاب او المطر لان المطر ينزل من ذلك الصيب والمدرار كثير الدر ومنه الدر اللبن اذا اقبل على الحالب منه شيء كثير ومدرارا
نعت المطر ويقال ايضا سحاب مدرار اذا تتابع امطاره ومفعال من ابنية المبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث الثالث
وجعل الانهار تجري من تحتهم اي من تحت امكنتهم والمراد انهم اصحاب البساتين والقصور والمنتزهات فان قيل
الهلاك غير مختص بهم وانما يجري ذلك على الانبيا والمومنين ايضا قلنا لدفع هذا الاشكال كرر قوله واهلكناهم
بذنوبهم فان الاهلاك بسبب المعاصي والاثام لا يكون الا بالعذاب والايلام ثم نبه بقوله وانشانا من بعدهم قرنا اخرين
على كمال عزته واستغنائه ونهاية قدرته واستعلائه كقوله ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد فالبلاد والعباد
عباده بيده التخريب والتعمير واليه الاعدام والايجاد ثم ان الذين يتمردون عن قبول دعوة الانبيا طوائف متعددة
منهم من بالغ في حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها على وفق هواه ومناه لا على قانون الحق والعدل فتمنعه ذلك عن
التزام التكاليف وهو المذكور في الاية وفيه ان لذات الدنيا ذاهبة وعذاب الكفر باق وليس من العقل تحمل العقاب
الدائم لاجل اللذات الفانية ومنهم من حمله العصبية والعناد على تكذيب معجزات الانبيا وجعلها من قبيل السحر
الذي لا اصل له وهم الذين عنى بقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس والمعنى انه لو نزل الكتاب جملة واحدة
في صحيفة واحدة فراوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه وقالوا انه سحر وههنا سوال وهو ان نزول الكتاب
جملة واحدة في صحيفة واحدة فراوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه وقالوا انه سحر وههنا سوال وهو ان
نزول الكتاب من السما جملة ان لم يكن من باب المعجزات لم يكن انكاره منكرا وان كان من قبيل الاعجاز فالملك
يقدر على انزاله من السماء وقبل الايمان بصدق الرسل لم يكن عصمة الملائكة معلومة وحينئذ يجوز ان يكون نزول
ذلك من قبل بعض الجن والشياطين او من بعض الملائكة الذين لم يثبت عصمتهم فلا يكون دليلا على الصدق واجيب
بان المقصود من الاية ليس بيان الاعجاز ولكن المراد انهم اذا لمسوه بايديهم بقي الادراك البصري بالادراك اللمسي وبلغ
الغاية في القوة والظهور ثم ان هولاء لا يبقون شاكين في ان ذلك الذي راوه ولمسوه هل هو موجود ام لا وذلك يدل
على انهم بلغوا في الجهالة الى حد السفسطة قال القاضي في الاية دليل على وجوب اللطف لانه بين انما لم ينزل هذا الكتاب
من حيث انه لو انزله لقالوا هذا القول فيعلم منه انهم لو قبلوه وامنوا به لانزله لا محالة ورد بان المفهوم ليس بحجة
ولو سلم فوقوع اللطف لا يدل على وجوبه ومن الكفرة من قال النبوات بايراد الشبهات والاقتراحات قال الكلبي ان
مشركي مكة قالوا يا محمد والله لن نومن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون
انه من عند الله وانك رسوله وذلك قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك فاجاب الله تعالى عن مقترحهم بقوله ولو انزلنا
ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ومعنى القضا الاتمام والالزام كما مر وتقرير الجواب ان انزال الملك على البشر اية باهرة
وحينئذ فلو لم يومنوا يجب اهلاكهم بعذاب الاستيصال او لعلهم اذا شاهدوا الملك زهقت ارواحهم الا ترى ان
رسول الله صلعم لما راى جبريل على صورته الاصلية غشي عليه وان جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كاضياف
ابراهيم عليه السلام وكالذي تسور المحراب وان جبريل تمثل لمريم بشرا سويا وفائدة ثم ان عدم الانظار اشد من
قضاء الامر لان مفاجاة الشدة اقطع من نفس الشدة ثم انهم كانوا يطعنون في نبوة محمد صلعم من جهة اخرى
وهي انه بشر مثلهم ويقولون لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وتقرير الشبهة ان الرسل اذا كانوا من زمرة الملائكة
كانت علومهم اكثر وقدرتهم اشد وصفاتهم اعظم وامتيازهم عن الخلق اكمل والاشتباه في نبوتهم ورسالتهم
اقل والحكيم اذا اراد تحصيل مهم اختار ما هو اسرع افضاء الى المطلوب فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله
ولو جعلناه اي الرسول ملكا اي جعلناه رجلا لان انزال الملك اية ظاهرة جارية مجرى الالجاء واناله الاختيار وذلك
مناف لغرض التكليف ولان الجنس الى الجنس اميل ولان البشر لا يطيق رؤية الملك لقوة فيحتقرون طاعة البشر ويستعظمون
اقدامهم على المعاصي فلا يصبرون معهم ولان انزال الملك يقوي الشبهة من وجه اخر وذلك ان اي معجزة ظهرت
عليه قالوا هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القوة والقدرة لفعلنا مثل ما فعلت
ثم قال وللبسنا عليهم ما يلبسون لبست الامر على القوم البسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ومنه لبس

الثوب لانه يفيد الستر والمعنى اذا جعلنا الملك في صورة البشر كان فعلنا نظير لفعلهم في التلبيس وانما كان ذلك لبسا لان الناس يظنونه ملكا لانه لبس بملك او يظنونه بشرا مع انه ليس ببشر وانما كان فعلهم لبسا لهم لانهم يخلطون على انفسهم ويقولون ان البشر لا يصلح للرسالة فلا ينقطع السؤال ابدا ويبقى الامر في حيز الاشتباه وعلى هذا التفسير يكون قوله ما يلبسون مفعولا مطلقا ويجوز ان يراد ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ يكون مفعولا به يعني ان القوم اذا راوا الملك في صورة الانسان اشتبه الامر عليهم واذا كنا نحن فعلنا ذلك كان اللبس منسوبا الينا ثم تسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق اي نزل وقال الفراء عاد عليهم والتركيب يدور على الاحاطة ومنه الحوق بالضم ما استدار من الكمرة ما كانوا اي الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اسند الحق اليه حيث اهلكوا لاجل الاستهزاء به فيحتمل ان يراد بلفظة ما العذاب الذي كان يخوفهم الرسول بنزوله وهم يستهزئون بذلك ثم امر رسوله بان يقول لهم لا تغتروا بما وجدتم من زخارف الدنيا وسيروا في الارض لتشاهدوا اثار الامم السالفة الذين كذبوا رسلهم ونزل بهم ما نزل فان الاسفار نوع من الاعتبار وفي موضع اخر انظروا فالفاء لمجرد اعتبار ترتيب النظر على السير وتفيد الاستيصال واعلم انه سبحانه قال ههنا ثم انظروا وفي موضع اخر فانظروا فالفاء بمجرد اعتبار ترتيب النظر على السير وثم لتباعد ما بين المباح والواجب فان السير مباح والنظر واجب وايضا شتان بين السير الصوري بقدم الاشباح وبين السير المعنوي بقدم الارواح والله اعلم **التاويل** حمد نفسه القديم الازلي بكلامه القديم الازلي على ان خلق سموات القلوب وارض النفوس وجعل الظلمات اي الصفات البهيمية والسبعية في النفوس والنور في القلوب وهو صفاتها الروحانية والخلق بالاعيان لانها من عالم الصورة ولهذا لما ذكر صورة ادم قال اني خالق بشرا من طين وحيث اراد معناه قال اني جاعل في الارض خليفة ثم بعد هذا الجعل والخلق مال نفوس الكفار بغلبات الظلمات الى طاعة الهوى فجعلوه عديلا لربهم ثم قضى اجلا للروح المفارقة عن حضرته لايام فراقه واجل مسمى عنده وهو اجل الوصال بعد الفراق بجذبة ارجعي الى ربك ثم انتم تمترون يا اهل الوصال كما يمترى اهل الفراق وهذا محال وهو الله في سموات القلوب وفي ارض النفوس يعلم سر الخلافة الذي اودع فيكم وجهركم الذي يظهر عنكم ويعلم ما تكسبون باستعمال الاستعداد السري والجهري في المامورات والمنهيات في الخير او الشر من اية من ايات ربهم في الافاق وفي انفسهم مكناهم في طلب الحق من قهر النفس باسباب الخيرات والطاعات وارسلنا مطر الواردات من سماء القلوب عليهم مدرارا متواليا وجعلنا انهار الحكمة تجري من تحت نظرهم فاهلكنا مع هذه المقدمات ارواحهم بسموم ذنوب طلب الدنيا ما لها وجاهها وانشانا من بعدها قرنا اخرين من الطلاب الصادقين الثابتين المستغنين ولو جعلناه رجلا ليفهموا خطابه ويكون واقفا على الاحوال البشرية فيعالجهم بما يرى فيه صلاح حالهم كما قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم قل سيروا في الارض بقدم التقوى ومخالفة الهوى الى ان يبلغوا سواحل بحار القلوب فتشاهدوا بانوار الله المودعة فيها عاقبة من هلكوا في بوادي القطيعة او ساروا بقدم الطبيعة والله اعلم

قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ۝ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ

بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝

القراءة اني امرت بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع اني اخاف بفتح الياء هما وابن كثير وابو عمرو من يصرف بالياء مبنيا للمفعول الباقون بالياء من نصر مبنيا للفاعل سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون مبنيا للمفعول ائنكم بهمزتين عاصم وخلف وحمزة وعلي وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة اينكم بالياء بعد الهمزة ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد اينكم بالمد والياء ابو عمرو ويزيد وزيد وقالون يرى يعني حيث كان يزيد وحمزة في الوقف يحشرهم ثم يقول بياء الغيبة فيهما يعقوب الباقون بالنون ثم لم تكن بتاء التانيث حمزة وعلي وحماد والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بالياء فتنتهم بالرفع ابن كثير وابن عامر وحفص والمفضل الباقون بالنصب والله ربنا بالنصب على النداء حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون بالجر على البدل او البيان **الوقوف** والارض ط قل لله ط الرحمة ط لان قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وقيل لا وقف ليجمعنكم جواب معنى القسم في كتب وفيه نظر لان كتب وعد وليجمعنكم وعد منتظر لا ريب فيه ط بناء على ان الذين مبتدا وفيه معنى الشرط لا يؤمنون والنهار ط العليم ولا يطعم ط من المشركين العظيم رحمه المبين الا هو قدير عباده الخبير شهادة ومن بلغ ط اخرى ط لانتهاء الاستخبار الى الاخبار قل لا اشهد ط لانتساق الكلام بلا عطف تشركون ابناءهم لئلا يوهم ان ما بعده وصف لا يؤمنون بآياته الظالمون تزعمون مشركين يفترون **التفسير** انه سبحانه وتعالى لما برهن على اثبات الصانع وتحقيق النبوات وتقرير المعاد وانجز الكلام الى الامر باعتبار احوال الصابرين عاد الى اثبات هذه المطالب بطريق الالزام واخذ الاعتراف وذلك ان اثار الحدوث وسمات الامكان لائحة على صفحات السمويات والارضيات حتى بلغ في الظهور الى حيث لا يقدر منكر في انكاره فكان في السؤال تبكيت والخام وفي الجواب تقريع والزام اي هو الله بلا مراء ولا شقاق ولا نزاع الملك والملك الا اذا كان قادرا على الاعادة كما هو قادر على الابداء ولن تحصل حكمة الاعادة الا بثواب المطيعين وعقاب العاصين وما لا يحسن ايصال الثواب والعقاب الا بعد نصب الدلائل وارسال الرسل فلاجل ذلك قال كتب على نفسه الرحمة اي بنصب الادلة وازاحة العلة ايجاب الفضل والكرم وقيل هذه الرحمة هي انه يمهلهم مدة عمرهم ولا يعاجلهم بالاستيصال او فوض على نفسه الرحمة لمن ترك التكذيب بالرسل وتاب واناب وصدقهم وقيل اشر بعثهم وتلك الرحمة

هي انه يجمعهم الي يوم القيمة فانه لولا هذا التهديد لحصل الهرج وارتفع الضبط وكثر الخبط كما قيل لما علم ان
كل من في السموات والارض لله تعالى وانه مالك الكل فاعلموا ان الملك الحكيم لايهمل امر عبيده ولايحيف في حكمته التسوية بين
المطيع والعاصي والغافل والساهي ومعنى ليجمعنكم ليضمنكم وقيل فيه حذف اي ليجمعنكم الي المحشر في يوم القيمة فان الجمع يكون
الي المكان لا الي الزمان وقيل ليجمعنكم في الدنيا خلقكم قرنا بعد قرن الي يوم القيمة قال الاخفش الذين خسروا بدل من
ضمير المخاطبين في ليجمعنكم وقال الزجاج انه مبتدا وخبره فهم لايؤمنون وذلك لتضمنه معنى الشرط فكانه قيل ما المشركين
مع وضوح الدليل الباهر لايؤمنون فاجيب الذين خسروا انفسهم اي في علم الله وسابق قضائه فهم لايؤمنون في طرف
الابد فكانت امتناعهم الايمان مسببا عن سبق القضا عليهم بالخسران والخذلان قال في الكشاف الذين خسروا نصب او رفع
على الذم بمعنى اريد الذين او انتم الذين ولما بين انه له المكان والمكانيات اتبعه في البيان كما هو شان الترتيب الطبيعي كما هو احق
من ذلك عند الحسن وهو الزمان والزمانيات فقال وله ما سكن في الليل والنهار عن ابن عباس ان كفار مكة اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا قد علمنا انه انما يحملك على ما تدعونا اليه الحاجة فنحن نجعل لك نصيبا من اموالنا حتى تكون
من اغنانا رجلا وترجع عما انت عليه فنزلت وله ما سكن الاية قيل اشتقاقه من السكون والتقدير كل ما سكن وتحرك كقوله سرابيل
تقيكم الحر اي تقيكم الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر للعلم به والاصوب ان يقال اشتقاقه من السكنى كما يقال
فلان سكن ببلدة كذا اي حل فيه والمراد كل ما حل في الوقت والزمان سواء كان متحركا او ساكنا او ثابتا وذلك ان الدخول تحت
الزمان يستلزم التغير والحدوث ولابد له من محدث يتقدم عليه وعلى نفس الزمان وهو السميع العليم الذي يسمع نداء
المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين فيوصل كل ممكن الي كماله اللايق به والمستعد له ثم لما كان لزاعم ان يزعم ان الذي يتعالى عن المكان
وعن الزمان قد يكون ممكنا في نفسه كالمفارقات التي تثبتها الفلاسفة لاجرم قال قل اغير الله اتخذ وليا انكر الاتخاذ غير الله
وليا ولذلك قدم المفعول لكونه اهم ولو كان حرف الاستفهام داخلا على الفعل توجه الانكار اولى الي نفس اتخاذ الولي
وانه غير مهم فاطر السموات عطف بيان من الله او بدل وقرئ بالرفع على اضمار هو وبالنصب على المدح وعن ابن عباس
ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وقال ابن الانباري اصل الفطر
الشق وقد يكون شق اصلاح كقوله فاطر السموات والارض اي خالقها ومنشئها بالتركيب الذي سبيله ان يحصل فيه
الشق والتاليف عند ضم بعض الاشيا الي بعض وقد يكون شق افساد ومنه قوله تعالى هل ترى من فطور اذا
السما انفطرت وهو يطعم ولا يطعم اي هو الرازق لغيره ولا يرزقه احد والرزق الاطعام وان كانا متغايرين والا لم
يحسن العطف في قوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون الا انهما متقاربان فحصل جعل احدهما كناية عن
الاخر وقرئ وهو يطعم ولا يطعم مبنيا للمفعول ولا يطعم مبنيا للفاعل على ان الضمير لغير الله وقرئ وهو يطعم وكلاهما للفاعل
والمعنى هو يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله والله يقبض ويبسط والثاني بمعنى لا يستطيع وحاصل الاية انه يجب شغل
القلب كله بالله وقطع العلائق بالكلية عما سواه لانه الجواد المطلق الذي يهب لا للعوض ولا للانتفاع ثم بين ان النبي صلعم
ايضا داخل في التكليف المعرفة بل هو اسبق قدما في ذلك فقال اني امرت منه العلاج ثم ذكر ان النبي صلى الله عم مع جلالة
قدره بصدد المواخذة على تقدير المخالفة فقال قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ولا يلزم من هذا اصراني
المعصية عنه لان الغرض قد يتعلق بالمستحيل كقولك ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة بمتساويين من يصرف مبنيا
للفاعل فالضمير فيه عايد الي الله والمفعول وهو العذاب محذوف لكونه معلوما او مذكورا قبله قال في الكشاف ويجوز ان
ينتصب يومئذ على انه مفعول به ليصرف اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله ومن قرا على بناء المفعول فهو مسند
الي ضمير العذاب ولم يسم الفاعل وهو الله به الرحمة فقد رحمه اي الله الرحمة العظمى كقولك ان اطعمت زيدا من جوع
فقد احسنت اليه يعني كمال الاحسان او المراد فقد ادخل الجنة فانه من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب تفضلا واستيجابا
قالت الاشاعرة في الاية دلالة على ان ايصال الثواب على الطاعة غير واجب وانما هو ابتدا فضل واحسان والا لم يحسن
ذكر الرحمة ههنا الا ترى ان الذي يقبح منه ان يضرب زيدا فاذا لم يضربه لا يقال انه رحمه وذلك اي صرف العذاب
وايضا الثواب على سبيل التفضل والاستيجاب الفوز المبين لانه المطلب الاعلى والمقصد الاسنى لكل مكلف ثم اكد
المعنى المذكور وهو انه لا يجوز للعاقل ان يرغب في اتخاذ ولي غير الله بقوله وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك

الآن هنا نزم

من البليات

من البليات فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير عمم الحكم ليندرج تحته كل
خير والحاصل انه انفرد جميع المضار بقدرته وكذا حصول جميع الخيرات لان كل ما عداه فانما هو تحت قهره وتسخيره وقد
حصل بايجاده وتكوينه فان الممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته وراس المضار هو الكفر وسنام الخيرات هو
الايمان ولن يحصل نفرة الكفر وداعية الايمان الا بتقدير الله تعالى وكل ما يتصور انه قد ينفع او يضر من الجمادات او المختارات فان ذلك
ينتهي الي تخليق الله وجعله ذلك الشيء واسطة لذلك النفع او الضر فلا ضار ولا نافع بالحقيقة الا هو سبحانه ثم زاد لهذا
المعنى بيانا فقال وهو القاهر فوق عباده وهو اشارة الي كمال القدرة وهو الحكيم الخبير وانه اشارة الي كمال العلم والحكمة
اعم من العلم لانها عمل بعلم والخبير اخص من العلم لانه العليم ببواطن الامور وخباياها فاذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم
بكماله او غايته وقد استدل بظاهر الاية من اثبت الفوقية لله تعالى وعورض بوجوه منها انه لو كان فوق العالم فان كان
ثبت لا يتميز منه جانب من جانب كالجوهر الفرد مثلا لا يقول به عاقل وان كان ذاهبا في الاقطار كلها كان متجزيا والجواب
انه لا يجوز ان يكون نورا قائما بذاته غير متناه ولا متجزيا ومتبعضا كما هو الجمع الانوار غالبا على جميع الاشيا لا غاية لجوده ولا نهاية
لوجوده واما انه كيف يتصور بلانهاية مع انه لا ينقسم ولا يتبعض فمجرد استبعاد فلا يصلح حجة وادراك شيء من هذا النور يحتاج
الي نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ومنها انه لو كان غير متناه من كل الجهات لزم اختلاطه بالقاذورات والجواب
ان هذا الكلام مخيل فلا يستعمل في البرهان واما انه لو لم يكن خارج العالم خلا ولا خلا لاستلزم ان يكون حصول ذات الله تعالى فيه وان كان
خلا فحصوله في جزء من اجزاء ذلك الخلاء دون ساير اجزائه يحتاج الي مخصص فيكون الواجب مفتقرا فيكون محدثا هذا
خلف والجواب انا ذكرنا انه نور الانوار لا يتناهى وانه يتناهى بما لا يتناهى فيسقط هذا الاعتراض ومنها انه سبحانه موجود
قبل الخلاء والخير والجهة فلا يكون بعد حصولها في هذه الاشيا موجودا فيها والا لزم التغير في ذاته والجواب بالفرق بين العينية
وبين الافتقار ومنها ان العالم كرة فاما ان يكون الله تعالى فوق اقوام باعيانهم وحينئذ يلزم ان يكون تحت اقدام من
مقابلهم واما ان يكون فوق الكل فيكون فلكا محيطا بساير الافلاك وهذا لا يقول به مسلم والجواب اللازمي بعد تسليم كون
العالم كرة انا نختار القسم الاول ولا يلزم المحذور لان البحث من جميع الجوانب هو المركز فالفوق ما يلي السماء والقسم
الثاني ولا يلزم من احاطته بجميع الاشيا كونه فلكا كساير الافلاك واما المحققون ففسروا ومنها ان لفظ الفوق في الاية مشعر
بالقهر ويراد به القدرة والمكنة ويحوف بلفظ عباده وانه مشعر بالملوكية والعبودية فالمناسب ان يراد بالفوق ايضا
فوقية القدرة ولا يلزم التكرار لان المراد ان القهر والقدرة عام في حق الكل والجواب ان حمل الوسط على الطرفين ليس اولى
من العكس بل لا نزاع في مفهوم العباد وانما النزاع في مفهومي القاهرية والفوقية وليس حمل احدهما على الاخر اولى من عكسه ومنها
ان الاية سيقت ردا على من اتخذ غير الله وليا وهذا انما يحسن لو كان المراد بالفوقية القدرية لا الجهة والجواب ان الفوقية بالوجه
الذي قررناه في جواب الاعتراض الاول لا يفيد الاستعلاء المطلق وذلك يوجب ان يكون النفع بل عليه في كل الامور اذ لا وجود
ولا ظهور لشيء من الاشيا الا بفيضه ونوره وقد يلزم للمتامل في هذه الاجوبة بعد التنزيه عن التشبيه والتجسيم والحلول
والاتحاد اسرار غامضة شريفة ان كان اهلا لها وكل ميسر لما خلق له قال الكلبي ان روسا مكة قالوا يا محمد ما نرى احدا
يصدقك بما تقول من امر الرسالة ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد
لك انك رسول كما تزعم فنزلت قل اي شيء اكبر شهادة الاية قال العلما انها دلت على ان اكبر الاشيا واعظمها شهادة
الله حاصله على انها لم تدل على ان تلك الشهادة لاثبات اي المطالب فقيل انها لاثبات نبوة محمد صلعم لما ذكرنا من سبب النزول
والمعنى قل يا محمد اي شيء اكبر شهادة حتى تعترفوا بان اكبر الاشيا شهادة هو الله تعالى فاذا اعترفوا بذلك فقل ان الله
شهد لي بالنبوة بان اظهر على وفق دعواي معجزا هو القران الذي عجز تم معاشر الفصحا والبلغا عن معارضته وقيل
ان حصول هذه الشهادة في وحدانية الله تعالى وذلك ان الوحدانية ليست مما يتوقف صحته على صحة السمع فلا
يمتنع اثباتها بالسمع والمعنى قل الله شهيد بيني وبينكم في اثبات الوحدانية والبراءة عن الاضداد والانداد والامثال والاشباه
واوحي الي هذا القران لانذركم به والمعنى انه هو التوحيد والشرك مردود واستدل الجمهور بالاية على انه يصح اطلاق الشيء
على الله تعالى وخالف جهم محتجا بقوله تعالى الله خالق كل شيء اذ لا يمكن دعوى التخصيص فيه فان التخصيص انما يجوز في
صورة شاذة لا يلتفت اليها لقلة اعتبارها فيطلق لفظ الكل على الاكثر تنبيها على ان البقية جارية مجرى العدم فلو كان

مابلي

الباري تعالى شيا لكان اعظم الاشيا واشهرها فيكون اخراج من هذا العموم محض الكذب وايضا احتج بان الشي يطلق
على المعدوم لقوله تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله والشي الذي سيفعله غدا معدوم في الحال
فالشي لا يفيد صفة مدح فلا يطلق عليه والجواب عن الاول ان اخراج الاكثر من العموم جايز عندنا ولو سلم فانه تعالى
واحد من الاشيا والمخرج بهذا الاعتبار اقل عددا من الباقي وعن الثاني ان لفظ الشي اعم الالفاظ ومتى صدق الخاص
كالذات والحقيقة صدق العام بالضرورة قال جمهم قل الله شهيد جملة مستقلة بنفسها لا تعلق لها بما قبلها فلا يحسن السكوت لكم
قلنا قل اي شي سوال ولا بد له من جواب وهو اما مذكور اي قل الله اكبر الاشياء شهادة ثم ابتدي فقيل شهيد اي وهو
شهيد بيني وبينكم او محذوف والمعني قل هو الله والله شهيد بيني وبينكم وحسن الحذف لانه اذا اشتغل عن اكبر الاشيا
شهادة وذكر بعد ذلك ان الله شهيد علم جزما ان اكبر الاشيا شهادة هو الله اما قوله ومن بلغ فمعطوف على ضمير
المخاطبين والعايد الي من محذوف اي لانذركم يا اهل مكة وانذر كل من بلغه القران من العرب والعجم وقيل من الثقلين
وقيل من بلغه الي يوم القيمه وعن سعيد بن جبير من بلغه القران فكانما راي محمدا صلم وقيل ومن بلغ اي بلغ الحلم
وبلغ اوان التكليف وعلى هذا فلا حاجة الي اضمار العايد ثم استفهم منكرا فقال اينكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى وصف
الجمع بصفة الواحدة كالاسما الحسنى كالرجال فعلت ثم دل على ايجاب التوحيد بتلك جمل اولاها قل لا اشهد اي بما تذكرونه من
اثبات الشركا وثانيها قل انما هو اله واحد وكلمة انما تفيد الحصر وثالثها وانني بري مما تشركون ومن هنا قالت العلما يستحب
لمن اسلم ابتدا ان ياتي بالشهادتين ويضم اليهما التبري عن كل دين سوي دين الاسلام ولما زعم المشركون بمكة انهم سالوا
اليهود والنصاري عن نعت محمد صلي الله عليه فقالوا ليس له عندنا ذكر كذبهم الله تعالى بقوله الذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه اي يعرفون رسول الله بنعوته وحلاه الثابتة في الكتابين كما يعرفون ابناهم بالنعوت والحلي لا يخفون عليهم ولا
ولا يشتبهون بغير ابنايهم الذين خسروا انفسهم اما بدل او بيان من الذين الاولى ويكون المقصود وعيد المعاندين منهم
والجاحدين واما مبتدا والكلام جملة مستانفة شاملة لجميع الجاحدين من اهل الكتاب ومن المشركين والمراد بخسران
النفس الهلاك الدايم الذي يحصل لهم بسبب الكفر قيل ما من احد الا وله منزل في الجنة الا من كفر صارت منزله الي من
اسلم فيكون قد خسر نفسه وماله واهله بان ورث منزلته غيره ثم بين سبب خسرانهم مستقيما على سبيل الانكار
فقال ومن اظلم وذلك انهم جمعوا بين امرين متنافيين اثبات الباطل وهو الافترا على الله وجحد الحق وهو التكذيب
بايات الله فمن الاول ان المشركين كانوا يقولون للاصنام انها شركا الله والله امرهم بذلك وكانوا يقولون الملائكة
بنات الله وهولا شفعاونا عند الله واليهود والنصارى كانوا يزعمون ان التورية والانجيل ناطقان بعدم النسخ
وانهم ابنا الله واحباوه وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة الي غير ذلك من مفترياتهم ومن الثاني قدحهم
في القران وفي صحة نبوة محمد صلم انه لا يفلح الظالمون الذين وضعوا الشي في غير موضعه الباطل مكان الحق والحق بازا
الباطل ثم كشف عن حالهم فقال ويوم نحشرهم وناصبه محذوف اي ويوم كذا كان كيت وكيت ترك ليبقي على الابهام
الذي هو ادخل في الوعيد ويحتمل ان يكون مفعولا اذكروا ومعطوف على محذوف اي لا يفلح الظالمون في الدنيا ويوم الحشر اين
شركاوكم الهتكم التي جعلتموهم شركا الذين كنتم تزعمون هم شركا فحذف المفعولان والمقصود من هذا الاستفهام التقريع
والتبكيت ويجوز ان نشاهدهم الا انهم حيث لم ينفعوهم فكيف غيب عنهم ويجوز ان يحال بينهم وبين الهتهم
في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا ابهم الرجاء فيها فيزداد حسرتهم ويحتمل ان يقال اين شفاعتهم لكم
وانتفاعكم بهم والغرض من جميع الوجوه ان يتقرر في نفوسهم ان الذي يظنونه ما يرون منه بنصير ذلك تنبيها لهم في دار الدنيا
على فساد هذه الطريقة ثم لم تكن فتنتهم من قرا بالرفع على انه اسم كان فالخبر الا ان قالوا والتقدير ثم لم تكن فتنتهم الا قولهم
ومن قرا بالنصب مع تذكير يكن فلعكس ما قلنا والتقدير شي الا ان قالوا واما مع تانيث تكن فلوقوع الخبر مونثا كقولهم
من كانت امك او تاويل مسالتهم قال الواحدي الاختيار قراة من قرا بالنصب لان اذا وصلت بالفعل لم يوصف فاشبهت
بامتناع وصفها المضمر كما ان المضمر والمظهر اذا اجتمعا كقولك كنت القايم كان جعل المضمر اسما اولي من جعله خبرا فكذلك
ههنا قال الزجاج تاويل هذه الاية تاويل حسن في اللغة لا يعرفه الا من وقف على معاني كلام العرب وذلك انه تعالى بين
كون المشركين مفتونين بشركهم متهالكين في حبه فذكر ان عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا

به وقال انه دين ابايا لم تكن الا الجحود والتبري والحلف على عدم التدين به ومثاله ان ترى انسانا يحب شخصا مذموم
الطريقة فاذا وقع في محنة بسببه تبرا منه فيقال له ما كانت محبتك اي عاقبة محبتك لفلان الا ان تبرات منه وتركته
فعلي هذا فتنتهم هي شركهم في الدنيا كما فسرها ابن عباس ولكن لا بد من تقدير مضاف وهو العاقبة ويجوز ان يراد
ثم لم تكن جوابهم الان قالوا فسمي فتنة لانه كذب قال القاضيان الجبايي وابو بكر ان اهل القيمه لا يجوز اقدامهم على
الكذب لانهم يعرفون الله تعالى بالاضطرار فيكونون ملجيين الي ترك القبيح وكيف لا وانهم يعلمون ان ذلك لا يخرجهم
حينيذ لا يستفيدون بذلك الا زيادة المقت والغضب من الله تعالى عليهم لا يجوز ان يقال انهم لما عاينوا القيمة اختلت
عقولهم واضطربت فلهذا قالوا الكذب وانهم تشوفوا انهم مشركين في الدنيا لانه لا يليق بحكمته تعالى ان يحشرهم ثم
يحكي عنهم ما يجري مجري الاعتذار عند اختلال عقولهم ولان تجويز ثبات امر كان عليه الشخص مدة عمره نوع من
السفسطة وايضا انهم لو كذبوا في موقف القيمه ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد اقدموا على نوعين من القبيح وان
عوقبوا على ذلك صارت الاخرة دار التكليف وان لم يعاقبوا كان اذنا من الله تعالى في ارتكاب الذنوب وكلاهما محال
فاذن الوجه في الاية ان يقال ان القوم كانوا يعتقدون في انفسهم وظنوا بهم انهم موحدون فاجابوا بقولهم والله
ربنا ما كنا مشركين اي نحن اعتقادنا وظنوننا وعلى هذا انكرت صادقين فيما اخبروا عنه لانهم كانوا غير مشركين
عند انفسهم فيجب تاويل قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم بان المراد كذبهم في دار الدنيا كقولهم انهم
على صواب وان ما هم عليه ليس بشرك وان الهتهم ستشفعهم عند الله فلهذا قال وضل عنهم اي وانظر كيف
غاب عنهم في الاخرة ما كانوا يفترونه اي يفتعلون الهته وشفاعته والحاصل ان الاية سيقت لبيان تنافي حالهم
في الدنيا وفي الاخرة بالكذب وبالصدق ولكن حيث لا ينفعهم الصدق لان الصدق في الاخرة انما يعتبر اذا كان مقرونا
بالصدق في الدنيا هذا اجمل كلام القاضيين وقال جمهور المفسرين ان قول القايل المراد ما كنا مشركين في اعتقادنا
وكيف كذبوا على انفسهم في الدنيا مخالفة الظاهر وان الكفار قد يكذبون في القيمه لقوله تعالى يوم يبعثهم الله
جميعا فيحلفون له الي قوله الا انهم هم الكاذبون ولو سلم انهم لا يكذبون فحد الا ان الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه
حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا
يقضي عليهم واختلال عقولهم حال ما يتكلمون بهذا الكلام لا يمنع كمال عقلهم في ساير الاوقات **التاويل**
ما في الكون سوى الله لا داع ولا مجيب فلهذا يسال ويجيب قل لمن في السموات والارض قل لله وله ما سكن في ليل البشرية
الي التمتعات الحيوانيه وفي نهار الروحانية الي المواهب الربانيه وهو السميع انين من سكن اليه العليم بحنين من اشتاق
اليه فلا غير الله اتخذ اليوم وليا وقد اتخذني الله في الازل حبيبا فاطر سموات القلوب على محبته وفاطر ارض النفوس
على عبوديته وهو يطعم ارواح العارفين طعام المشاهدات ويستقيم كووس المكاشفات ولا يطعم لانه لا يحتاج الي
نزول الفيض من غيره فالانوار عنه كالذرات اول من اسلم لاني خلصت من حبس الوجود بالكلية وحدي ولهذا
تقول الانبيا نفسي نفسي وانا اقول امتي امتي ان عصيت ربي لرؤية الغير عذاب يوم عظيم هو وقت الالتفات الي غير مقام
التوحيد من يصرف عنه عذاب الشرك يوم تقدم الشرك للاقدام والتوحيد للاقدام وان يمسسك الله بضر ان دابرتي الي بدايته
متصلة بابديته وكل نقطة من الدايرة نظير البداية والنهاية فكل ما صدر عنه فلن ينتهي الا به وهو القاهر فوق عباده
فهو الكفار تموت القلوب فضلوا في ظلمات الطبيعة وفهو نفوس المومنين بانوار الشريعة فخرجوا من ظلمات الطبيعة
وفهو قلوب المحبين بلدغات الاشواق الي يوم التلاق وفهو ارواح الصديقين بسطوات الجلال في اوقات الوصال
وهو الحكيم فيما يقهرهم فلا يخلوا من حكمة الخبير لمن يستاهل كل صنف من قهره فتوره به الله اكبر شهادة لانه محيط بحقايق
الاشيا ولا يحيط به شي من الاشيا ومن بلغ ومن بلغه الله القران ووقف على حقايقه ويؤول بوجه حياتي للمشركين
اينكم لتشهدون الذين اتيناهم الكتاب يعني العلما بالقران يعرفونه الله او النبي وفيه اشارة الي ان الاباوقد يحقق
عندهم انهم مصادر الابنا فكذلك اهل المعرفه يحقق عندهم ان الله مصدر جميع الاشيا الذين خسروا انفسهم بافساد
الاستعداد الفطري ويوم نحشرهم جميعا يعني اهل المعرفه والنكرة اين شركاوكم من الهوي والدنيا كذبوا على انفسهم
في القيمه لانهم كذبوا في الدنيا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى والله اعلم بحقيقة الحال

ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا
ان هذا الا اساطير الاولين ۝ وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون
الا انفسهم وما يشعرون ۝ ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا
نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين ۝ بل بدا لهم ما كانوا يخفون
من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ۝ وقالوا ان هي الا حياتنا
الدنيا وما نحن بمبعوثين ۝ ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا
بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ۝ قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا
فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون ۝ وما الحيوة الدنيا
الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون ۝ قد نعلم
انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات
الله يجحدون ۝ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا
حتى اتيهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين ۝ وان
كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما
في السماء فتاتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من
الجاهلين ۝ انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون ۝ وقالوا
لولا نزل عليه اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون ع

القراءة ولا نكذب ونكون بالنصب فيهما حمزة وحفص ويعقوب وافق ابن عامر في ونكون الباقون بالرفع وللدار

نصف الجزء

الاخرة بالاضافة ابن عامر ربنا وبل الساعة الاخرة الباقون بتعريف الدار على الوصفية تعقلون بتا الخطاب ابو جعفر ونافع
وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص وكذلك في الاعراف يكذبونك بالتخفيف من اكذبه اذا وجده كاذبا علي ونافع والاعشى
في اختياره الباقون بالتشديد من كذبه اذا نسبه الى الكذب ان ينزل بالتخفيف ابن كثير **الوقوف** وقرا بها الاولين ۝
وينأون عنه لابتداء النفي مع واو العطف وما يشعرون ۝ من المؤمنين ۝ من قبل لكاذبون ۝ بمبعوثين ۝ نصف الجزء ربهم بالحق
وربنا تكفرون بلقاء الله لان حتى للابتدا فيها لان الواو للحال على ظهورهم يزرون ۝ ولهو يتقون ۝ تعقلون ۝ يجحدون ۝ نصرنا
لانقطاع النظم مع اتحاد المقصود لكلمات الله كذلك المرسلين ۝ باية من الجاهلين ۝ يسمعون ۝ يرجعون ۝ من ربه لا يعلمون ۝
التفسير لما بين احوال الكفار في الاخرة اتبعه بعض اسباب ذلك فقال ومنهم من يستمع اليك قال ابن عباس حضر
رسول الله صلعم ابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر ابن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف
واستمعوا الى حديث رسول الله صلعم فقالوا للنضر ما تقول في محمد فقال ما ادري ما يقول الا اني اري تحرك شفتيه
يتكلم بشي وما يقول الا اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون
الاولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه فنزلت الاية والاكنة جمع كنان وهو كل ما وقى شيئا استتره وهي الاغطية
والعقل منه اكننت وكننت وان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه والوقر الثقل في الاذان والتركيب يدور على
الثقل ومنه الوقر بالكسر الحمل واوقار الحمل وفي الاية دلالة على ان الله تعالى هو الذي يصرف عن الايمان ويحول بين المرء
وبينه وقالت المعتزلة لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والا كان لهم فيها حجة للكفار ولانه يكون تكليفا للعاجز ولم يتوجه ذمهم
في قولهم وقالوا قلوبنا غلف فلا بد من التاويل وذكروا من وجوه الاول قال الجبائي ان القوم كانوا يستمعون لقراءة الرسول
ليتوسلوا بسماع قراءته الى مكانه بالليل فيقصدوا قتله وايذاه فكان الله تعالى يلقي على قلوبهم النوم والغفلة على اذانهم
الثقل وزيف بان المراد لو كان ذلك لقيل ان يسمعوه بدل ان يفقهوه بان قوله وان يروا كل اية اي كل دليل وحجة لا يؤمنوا
بها لا يناسبه الثاني ان الكافر الذي علم الله تعالى انه لا يؤمن وانه يموت على الكفر يسم قلبه بعلامة مخصوصة
ليستدل الملائكة بها ويبعد تسمية تلك العلامة بالكنانة مع انها في نفسها ليست مانعة عن الايمان الثالث
يقال انه جبل على كذا اذا كان مصرا عليه وذلك على جهة التمثيل الرابع لما منعهم الالطاف التي تصلح ان يفعل بالمهتدي
وفوض امورهم الى انفسهم لم يبعد ان يضيف ذلك الى نفسه الخامس ان هذا حكاية قولهم في اذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب واعترضت هذه الادلة بالعلم والدواعي وذلك ان الله تعالى علم من الكافر انه لا يؤمن وخلاف علم محال
وانه سبحانه هو الذي خلق فيهم داعية الكفر ومع وجود تلك الداعية يستحيل الايمان فهو المعني بالكنان وتحقيق
المسالة تقدم في اول سورة البقرة في قوله ختم الله على قلوبهم والافراد في يستمع والجمع في قلوبهم اعتبار اللفظ من
تارة ولمعناه اخرى حتى اذا جاءوك هي حتى الابتدائية التي يقع بعدها الجمل كقوله حتى ماء دجلة اشكل والجملة ههنا
مجموع الشرط والجزاء اعني قوله اذا جاءوك يقول ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان يكون جارة اي حتى وقت مجيئهم
ويجادلونك حال بحاله ويقول تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الايات الى حالة المجادلة ثم فسر الجدال بانهم
يقولون ان هذا الا اساطير الاولين واصل السطر هو ان يجعل شيئا ممتدا مولفا في صف ومنه سطر الكتاب وسطر من
نخل وجمعه اسطار وجمع الجمع اساطير واحد الاساطير سطورة كاحاديث واحدوثة وقال ابو زيد لا واحد له كعبادة
قال ابن عباس معناه احاديث الاولين كانوا يسطرونها اي يكتبونها ومن فسر الاساطير بالخرافات والترهات
نظرا الى الاغلب هو ان تكون فيها فايدة معتبرة كحديث رستم واسفنديار ولذلك معنى وليس ثم ان غرض القوم من هذا
القول هو القدح في كون القران معجزا كان تلك الكتب المشتملة على الاخبار والقصص ليس بمعجزة والجواب ان هذا فرع
بالتحدي وقد عجزوا عن اخرهم دون ذلك فقطع العرق ثم اكد طعنهم في القران بقوله وهم ينهون عنه قال محمد بن الحنفية
وابن عباس في رواية والسدي والضحاك اي عن القران وتدبره والاستماع له وينأون عنه والناي البعد نأيته ونأيت
عنه ونأى الرجل اذا بعد لغة في ناء وحملوه على القلب لان المصدر لم يجئ الا على الناي وقيل الضمير للرسول والمراد النهي
عن اتباعه والتصديق بنبوته جمعوا بين فنيي الضلال الناي والنهي فضلوا واضلوا وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس انها نزلت
في ابي طالب يريدون سوءا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو طالب والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد بالتراب دفينا

ناصدع بامرك ما عليك غضاضة * وابشر وقر بذاك منك عيونا * وعرضت دينا لا محالة انه * من خير اديان البرية دينا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم امينا * لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك يقينا
وضعف هذه الرواية بان قوله وما يهلكون الا انفسهم يعني بالنقدم ذكره ولكن النهي عن اذيته حسن لا يوجب الهلاك ويمكن
ان يجاب بان الذم توجه على الهيئة الاجتماعية الحاصلة من النهي مع الناي كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
ولو سلم فلم لا يجوز ان يرجع الذم الى القسم الاخير فقط ثم بين انه كيف يعود الضرر اليهم فقال ولو ترى اذ وقفوا على النار وجواب
لو محذوف اي لرايت سوء منقلبهم ونحو ذلك وجاز حذفه للعلم به ولما في الحذف من تفخيم الشان وهو ذهاب الوهم كل
مذهب كما لو قلت لغلامك والله ان قمت اليك وسكت عن الجواب ذهب فكره الى انواع المكاره من الضرب والقتل ونحوهما
بخلاف ما لو قلت لاضربنك ولمثل هذا من ارادة المبالغة ما لو قيل بلفظ الماضي مع ان الدال على المضي كان هذا الامر وقع
وتحقق فكان من حقه ان يخبر عنه بلفظ الماضي اي وقفوا على ان يدخلوا النار وهو يعاينونها او وقفوا عليها وهي تحتهم
او عرضوا وقولهم وقفت على المسالة الفلانية وقوفا اي عرفوا حقيقتها تعريفا والمراد انهم في جوف النار غائصين فيها
فيكون على بمعنى في وجاز لان النار دركات بعضها تحت بعض فلا يخلوا من معنى الاستعلاء يا ليتنا نرد هو داخل في
حكم التمني اما قوله ولا نكذب ونكون فمن قرا بالنصب منهما فاضمار ان على جواب التمني والمعنى ان رددنا الى دار
التكليف لم نكذب ونكن من المومنين ومن قرا بالرفع فيهما فوجهان احدهما ان التمني تم عند قوله نرد ثم ابتدا ولا نكذب
ونكون اي ونحن لا نكذب ونكون كانهم ضمنوا ان لا يكذبوا ويكونوا من المومنين سواء حصل الرد او لم يحصل وشبهه سيبويه
بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني وثانيهما ان يكونا معطوفين على نرد او حالين على
معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المومنين فيدخل المجموع تحت حكم التمني واورد على هذا الوجه ان التمني
لا يكون كاذبا وقد كان تعالى قال وانهم لكاذبون واجيب بان هذا التمني قد تضمن معنى الوعد فجاز ان يتعلق به التكذيب
كقول القايل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك فهذا متمن في حكم الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه كذب
لانه كانه قال ان رزقني الله مالا احسنت اليك واما قراة ابن عامر فمعناه ان رددنا غير مكذبين ونكون من المومنين
ثم رد الله تعالى عليهم بانهم ما تمنوا العود الى الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين في الايمان
بل لاجل خوفهم من العذاب الذي شاهدوه وعاينوه فقال بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وما الذي كانوا يخفونه في
الدنيا قال اكثر المفسرين ان المشركين في بعض مواقف القيمة يجحدون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فينطق
الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك حين بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وقال المبرد بدا لهم وبال عقايدهم واعمالهم
وسوء عاقبتها وذلك ان كفرهم ما كان ظاهرا لهم وانما ظهر لهم يوم القيمة وقال الزجاج بدا للاتباع ما اخفاه الروساء منهم
من امر البعث والنشور بدليل قوله بعد ذلك وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهذا قول الحسن وقيل انها
في المنافقين كانوا يسرون الكفر فيظهر نفاقهم على رؤس الاشهاد يوم القيمة وقيل هو في اهل الكتاب فظهر لهم ما
كانوا يكتمونه من صحة نبوة محمد صلعم والاولى حمل الاية على الكل لانه يوم تبلى السرائر فلا جرم تظهر الفضايح والقبايح
وينكشف من الاسرار وتنهتك الاستار اللهم كفر عنا سيئاتنا في ذلك اليوم ثم قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فقيل
كيف يتصور هذا وانهم قد عرفوا الله تعالى حينئذ بالضرورة وشاهدوا الاحوال والاهوال واجاب القاضي بان
المراد ولو ردوا الى حالة التكليف وعلى هذا التقدير لا يبقى المعرفة لا تبقى ضرورية فلا يمتنع صدور الكفر عنهم وضعف
بان المقصود من ايراد هذا الكلام المبالغة في غيهم وتماديهم واصرارهم على الكفر واذ فرض عودهم الى حالة التكليف
زال التعجب كما هو الان فاذن لا تحصل الفايدة الا ان يقال المراد تاكيد جريان القضا السابق فيهم بحيث لو شاهدوا العذاب
والعقاب ثم سالوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك ولم يمنع ذلك فيهم وانهم لكاذبون فيما وعدوا في
ضمن التمني او في كل شي ولهذا قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ان نافية والضمير عايد الى حقيقة الحيوة المعلومة في الاذهان
ولهذا اضيف الى ضمير جميع المتكلم اي ما لنا حيوة الا هذه الحيوة التي هي اقرب الينا وما نحن بمبعوثين بعدها وقيل ان تقدير
الاية لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولانكروا البعث ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ثم لما قرر انكارهم كشف عن حالهم
يوم القيمة فقال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ثم تمسك بعض المشبهة بهذا على ان الله تعالى يغيب تارة ويحضر اخرى ورد بان استعلاء

شي على ذات الله تعالى محال بالاتفاق فوجب تاويل الاية بانه مجاز عن الحبس للتوبيخ والسوال كما يوقف العبد
الجاني بين يدي مولاه للعتاب او المضاف محذوف اي على جزاء ربهم او على اولى حسابه بثواب المومنين وعقاب الكافرين
او هو من قولك وقفته على كذا اي اطلعته عليه ثم كان لسايل ان يقول ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه قال اليس هذا
الذي عاينتموه من حديث البعث والجزاء بالحق الذي حدثتموه قالوا بلى وربنا وفيه دليل على ان حالهم في الانكار يئول
الى الاقرار ثم كان سائل ماذا قيل لهم بعد الاقرار فاجيب قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم وذلك ليعلم ان
الاقرار في غير دار التكليف لا ينفع وذلك لان جوهر النفس اللطيفة القدسية بعث الى هذا العالم الجسماني الكثيف واعطي
الالات الجسمانية لتحصيل المعارف اليقينية والاخلاق الفاضلة التي يعظم منافعها بعد الموت فاذا استعملها الانسان بناء
على ان اعتقاد عدم المعاد في تحصيل اللذة الفانية والسعادات المنقطعة الى ان ينقضي اجله فقد ضاع راس المال ولا
ربح وذلك قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي ببلوغ الاخرة وما يتصل بها من عقابها وعن ذلك بلقاء الله لانه لا حكم
لاحد هناك الا الله تعالى بخلاف الدنيا فانه قد يظن ان للانسان تصرفا واختيارا وملكا وحمل اللقاء على الروية ايضا
غير بعيد عند اهل السنة وحتى غاية يكذبوا للخسر لان خسرانهم لا غاية له اي لم يزل بهم التكذيب الى
تحسرهم وقت مجي الساعة بل وقت موتهم فان امارات السعادة والشقاوة تلوح على صفحات احوال المكلفين وقتئذ
وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وسمي يوم القيمة الساعة لسرعة الحساب فيه
كانه قيل ما هي الا ساعة الحساب او لانها تجاء الناس في ساعة لا يعلمها الا الله تعالى ولهذا قال بغتة اي فجارة وانتصابها
على الحال اي باغتة من بغتة اذا فاجاه او على المصدر العام اي بغتتهم الساعة بغتة او الخاص لان البغت نوع
من المجي قالوا يا حسرتنا مثل يا ويلتي وقد مر في المايدة اي احضري فهذا وقتك على ما فرطنا اصله يدل على
الترك والهمزة في الافراط للازالة ذلك وقولهم فرطت القوم اي سبقتهم الى الماء معناه تركتهم من ورائي حتى حصل
لي التقدم اما الضمير في فيها فقال ابن عباس اي في الدنيا وان لم يجر لها ذكر في الاية بدلالة العقل لان موضع التقصير
هو الدنيا وقال الحسن اي في الساعة على معنى قصرنا في شانها والايمان بها واعداد الزاد وتحصيل الاهبة لها
وقال محمد بن جرير الطبري يعود الى الصفقة والتابعية بدلالة ذكر الخسران وقيل الى ما في فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال
والطاعات التي تركناها وقصرنا فيها ثم بين تضاعف خسرانهم بانهم لم يحصلوا لانفسهم موجب الثواب ولكن حصلوا
موجب العقاب فقال وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم هي الاثام والخطايا واصل الوزر الثقل ومنه الوزير لانه يحمل
ثقل صاحبه والوزر الملجا لانه يدفع عنه ما اصابه فكانه حمله اما كيفية حملهم الاوزار فقال في الكشاف انه مجاز عن حصول
لهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي قال الزجاج الثقل قد يكون
في الحال والثقة تعالى عن خطاب فلان اي كرهه والمعنى انهم يقاسون عذاب ذنوبهم مقاساة يثقل ذلك عليهم وقيل
هو كقولك شخصك بعينه عيني اي ذكرك لازم وتالجع من المفسرين ان المومن اذا خرج من قبره استقبله شي
هو احسن الاشيا صورة واطيبها ريحا فيقول انا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا اي ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله شي من اقبح الاشيا صورة واخبثها ريحا
فيقول انا عملك الفاسد طالما ركبتني في الدنيا فانا اركبك اليوم قال قتادة والسدي الا ساء ما يزرون بيس شيا
يزرون ويحملونه ثم رغب في الحيوة الباقية وزهد في الحيوة العاجلة فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو قال ابن عباس
يريد حيوة اهل الشرك والنفاق لان حيوة المومن يحصل فيها اعمال صالحة فلا يكون لعبا ولهوا قال اخرون هو عام
في حيوة المومن والكافر وذلك ان مدة اللهو واللعب وكل شي تلهيك وتشغلك عما لا اصل له قليله سريعة الانقضاء
والزوال ومدة هذه الحيوة كذلك وايضا اللعب واللهو لا بد ان تنتهيا في اكثر الامر الى شي من المكاره ولذات الدنيا
كذلك ولهذا ارفضها العلماء المحققون والحكماء المتالهون وللدار الاخرة قال ابن عباس هي الجنة وانها خير لمن اتقى الكفر والمعاصي
وقال الاصم التمسك بعمل الاخرة خير وقال اخرون نعيم الاخرة خير من نعيم الدنيا من حيث انها دايمة باقية مصونة عن
شوايب الافات والمخافات امنة من نقص الانقضاء والانقراض امن للمتاب يتيقنون فيه ان هذه الخيرية انما تحصل لمن
اتقى الكفر والمعاصي فاما الكافر والفاسق فالدنيا بالنسبة اليهما خير كما قال صلعم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر افلا تعقلون

قال الواحدي من قرا بتاء الخطاب فالمعني قل لهم افلا تعقلون ايها المخاطبون ومن قرا بالياء فمعناه افلا يعقل الذين
يتقون ان دار الاخرة خير من هذه الدار وذلك ان خيرات الدنيا ليست الا قضاء الشهوات التي يشاركه فيها سائر الحيوانات
بل ربما كان من تلك الحيوانات فيها اكمل فالجمل اكثر اكلا والديك والعصفور اكثر وقاعا والذئب والنمر والحيات اقوى غضبا
وقهرا وكل من وقف عمره على هذه المطالب لم يكن له عند العقلاء وزن ولا عند الحكماء والعلماء قدر وكل من صرف عمره في
تحصيل الكمالات الدائمات والسعادات الباقيات كان له في العيون مهابة وفي القلوب قبول وذلك دليل على شهادة
الفطرة الاصلية بخساسة اللذات الجسمانية وعلو مرتبة الكمالات الروحانية وهب ان النوعين تشاركا في الفضل
والمنقبة اليس المعلوم عن المظنون وان خيرات الاخرة معلومة تقطعا والوصول الى خيرات الدنيا في الغد غير معلوم
ولا مظنون فكم من سلطان قاهر بكره وصار تحت التراب عشية وكم من معزول متغلب فاصبح اميرا كبيرا ثم امسي
فقيرا وحقيرا وهب انه بعد هذا اليوم يوما اخر فان يمكنه الانتفاع بكل ما جمع من الاسباب ولو انتفع فقلما تخلص من
شوائب الكدورات والافات كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من طلب ما لم يخلق انعب نفسه ولم يرزق قيل وما
هو يا رسول الله قال سرور يوم بتمامه وهب ان الذين له قدم اليس ثمال كل ذلك الى الزوال والانقراض وكفى بذلك
نقصا وكدرا كما قال كامل الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال
قد تعلم والمراد كثرة العلم والمبالغة فيه كما مر في قوله قد نرى تقلب وجهك في السما في انه ضمير الشان وكسرت بعد
العلم لمكان لام الابتدا في ليحزنك وما ذلك الحزن قال الحسن قولهم شاعر كاهن مجنون وقيل نعتهم بانهم لا يؤمنون
ولا يقبلون دينه وقيل بنسبتهم اياه الى الكذب فانهم لا يكذبونك قال ابو علي ونقلب الكذبة وكذبه بمعني وقيل اكذبت
الرجل العشية كاذبا وكذبه اذا قلت له كذبت قال الكسائي اكذبته اذا اخبرت انه جاء بالكذب وقال الزجاج معني
كذبته قلت له كذبت ومعنى اكذبته ان الذي اتى به كذب في نفسه من غير ادعاء ان ذلك القائل تكلف ذلك
الكذب واتى به على سبيل الافتعال والقصد فمن قرا بالتخفيف نظر الى ان القوم كانوا يعتقدون ان محمدا ما ذكر
ذلك على سبيل الافتعال والتزوير بل تخيل صحة ذلك وانه بني الان تخيله باطل ثم ان ظاهر الاية يقتضي انهم لا يكذبون
محمدا صلعم ولكنهم يجحدون بايات الله وفي الجمع بين الامرين وجوه الاول ان القوم ما كانوا يكذبونه في السر ولكنهم
كانوا يكذبونه في العلانية ويجحدون القران ونبوته عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هنا احد يسمع
كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة
والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقال ابو ميسرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه
فقالوا يا محمد انا والله ما نكذبك انك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت وقال مقاتل نزلت في الحرث
بن عامر بن نوفل كان يكذب النبي صلعم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب ولا احسبه الا
صادقا فاذن هذه الاية نظيرة له تعالى في قصة موسى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا الثاني في تاويل
الاية انهم لا يقولون انك كذاب لانهم جربوك الدهر الطويل وما وجدوا منك كذبا وسموك الصادق الامين فلا يقولون بعدانك
كاذب ولكن جحدوا صحة نبوتك ورسالتك اما لانهم اعتقدوا ان محمدا اعرض له نوع خبل ونقصان فلاجل ذلك تخيل له
انه رسول لا انه كذب في نفسه او لانهم زعموا انه امين في كل الامور الا في هذا الواحد الثالث انه لما ظهرت المعجزات
على يديه ثم ان القوم اصروا على التكذيب فقال لهم ان القوم ما كذبوك وانما كذبوني ونحوه قول السيد لغلامه
اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني ومثله قوله سبحانه ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
فكانه تسلية له عن حزنك لنفسك وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك لجحود ايات الله والاستهانة
في كتابه الرابع قيل في التفسير الكبير اي لا يخصونك بهذا التكذيب بل ينكرون دلالة المعجز على الصدق مطلقا
ويكذبون جميع الانبيا والرسل وقوله ولكن الظالمين من اقامة المظهر اقامة المضمر تسجيلا عليهم بالظلم
في جحودهم لان من وضع التكذيب مقام التصديق فقد ظلم ثم صبر رسوله معلما ذلك القوم فقال ولقد كذبت
رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا فانت اولى بحفظ النبوة لانك مبعوث الى كافة
الخلايق فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا ولا مبدل لكلمات الله الى لمواعيده في نحو قوله لاغلبن انا ورسلي ونحو قوله ولقد

سبقت

سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبا المرسلين قال الاخفش من زائدة والاصح
انها للتبعيض لقلة مجي زيادة من في الاثبات ولان الواصل اليه بعض قصص الانبيا كقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم
من لم نقصص عليك فالتقدير ولقد جاءك بعض انبائهم وكان يكبر على النبي صلعم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل وان كان
كبر اي شق عليك اعراضهم عن الايمان وصحة القران فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم
باية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والجواب محذوف وحسن العلم به والنفق سرب في الارض له مخلص الى مكان ومنه
اشتقاق المنافق والسلم واصله السلامة الذي يرتقى عليها واصله من السلامة كانه يسلمك الى مصعدك والمراد بيان حرصه
على اسلام قومه وانه لو استطاع ان ياتي باية من تحت الارض او من فوق السما لكل ما اقترحوه رجاء ايمانهم فنحوى ان يكون
ابتغاء النفق او السلم هو الاية كانه قيل لو استطعت ذلك لفعلت لعل ذلك يكون لك اية يؤمنون عندها ثم قال ولو شاء
الله لجمعهم على الهدى قال اهل السنة فيه دليل على ان الله تعالى لا يريد الايمان من الكافر وقالت المعتزلة المراد مشية
الالجاء المنافي للتكليف والالجاء هو ان يعلمهم انهم لو حاولوا غير الايمان لمنعهم منه فيضطرون الى الايمان مثاله ان يحصل
شخص بحضرة السلطان وهناك خدمه وحشمه فيعلم انه لو هم بقتل ذلك السلطان لقتلوه في الحال فيصير هذا العلم
مانعا له من القتل دعوه بالعلم والداعي كما مر مرارا واما قوله فلا تكونن من الجاهلين اي من الذين يرومون خلاف
ما امر الله فهذا النهي لا يقتضي اقدامه على مثل هذه الحالة ولكنه يفيد التغليظ وتاكيد الامتناع عن الجزع والا
والحزن والاسف على ايمان من لم يشا الله ايمانه ثم بين السبب في كونهم بحيث لا يقبلون الايمان فقال انما يستجيب الذين
يسمعون يعني ان الذين حرص على قوله ايمانهم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم
الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة انه تعالى هو الذي يقدر على احياء قلوب هؤلاء الكفار بحيوة الايمان
وانت لا تقدر على ذلك والمعنى ان هؤلاء الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يحشرون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل
الى اسماعهم اما فيه تشبيه الكفرة بالموتى فلان حيوة الروح بالعلم ومعرفة الصانع كما ان حيوة الجسد بالروح ثم ذكر
شبهة اخرى للطاعنين في نبوة محمد صلعم وهي انه ما جاء باية قاهرة ومعجزة باهرة فكانهم طعنوا في كون هذا القران
معجزا على سبيل العناد او قياسا على سائر الكتب السماوية وطلبوا معجزات تقرب الى حد الالجاء كالتنق الجبل فلق
البحر فان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم من تسبيح الحصا وانشقاق القمر وغير ذلك ليس باقل منها واقترحوا نزول
الايات بطريق التعنت واللجاج والمراد قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم الله
تعالى بقوله قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون ان فاعلية ليست الا محض المشية عند اهل
السنة واما على وفق المصلحة عند المعتزلة لا على موجب اقتراحات الناس ومطالباتهم او انه لما ظهرت المعجزة الباهرة
والدلالة الكافية من القران وغيره لم يبق لهم عذر ولا علة فلو اجابهم الى تفرحوه فلعلهم يقترحون اقتراحا ثانيا وثالثا
وهلم جرا وذلك يفضي الى ان لا يستقر الدليل ولا يتم الحجة وهذا خلاف المقصود او لا يعلمون انه لو اعطاهم سولهم
لم يؤمنوا لاستوجبوا الاستيصال او لا يعلمون انهم لما طلبوا ذلك على سبيل العناد لا لاجل الفائدة وقد علم الله ذلك
لم يعطهم مطلوبهم ولو كان غرضهم طلب الحق ونشليته لاعطى مطلوبهم على اكمل الوجوه التاويل ومنهم من
يستمع اليك انكارا واحتيارا وجعلنا على قلوبهم من شوم انكارهم حالا عين الانكار وفي اذانهم وقرا من فساد
الاستعداد الفطري وان يروا كل اية بعين الظاهر لا يؤمنوا بها من عمي القلوب وهم ينهون من نور الايمان فيها وهم ينهون
الطلاب عن الحق وان يهلكون بنفي الخلق عن الحق الا انفسهم لان التباعد عن اهل الحق هو البعد عن الحق
وهو الهلاك الحقيقي ولو ترى اذ وقفوا على النار اي ان ارباح الاشقيا بعد الخلاص عن حبس الطبيعة عرفوا الم عذاب
القطيعة فقالوا يا ليتنا نرد الى عالم الصورة والى الاستعداد الفطري بل بدا لهم ما كانوا يخفون اي يظهر عليهم اثار الشقا
التي كتبت لهم كانوا يتكلفون سترها في عالم الصورة بلباس البشرية ولو ردوا الى عالم الصورة لعادوا لما نهوا عنه
من اتباع الهوى فيفسدون استعدادهم مرة اخرى وانهم لكاذبون فيما يدعون لانهم خلقوا لاجل التكذيب لا لاجل
التصديق ولهذا انسوا ما شاهدوا يوم الميثاق من الالطاف والاعطاف وقالوا بلى في جواب خطاب الست بربكم
اذا وقفوا على ربهم عرفوا بوبية ربهم ولو عرفوها في الدنيا لم يذوقوا عذاب البعد في العقبى حتى اذا جاءتهم الساعة

بغتة هي الساعة التي تنجذب العبد فيها عن اوصاف البشرية بجذبات المحبة عبادة وهي قيامة اخرى لان فيها
تبدل ارض البشرية غير الارض واشرقت الارض بنور ربها فينظر المحب الصادق بالنور الساطع الى ايام ضاعت عنه
في طلب غير الحق فيتاسف عليها ويقول ايها القارض ما احسنت صيد الطيبات فاتك الشرب وما نودت عن الحسرات
وهم يحملون اثقال التعلقات الزايدة على ظهورهم بجودهم فان الوجود على السالك ثقل مانع عن السلوك فكيف ما زاد
عليه الا لعب ولهو كلعب الصبيان ولهو اهل العصيان وللدار الاخرة هي السير من البشرية الى الروحانية والا قبال
على الله والاعراض عما سواه خير للذين يتقون غير الله افلا تعقلون ان الانسان خلق لهذا الشان لا لغيره كقوله
واصطنعتك لنفسي قد نعلم انه ليحزنك من ضيق نطاق البشرية اثر في حبيب الله تعالى مقالة الجهلة ولا مبدل لكلمات
سبقت ارادته التي قدرها ودبرها من الازل الى الابد بكلمة كن ولو شاء الله لجمعهم في عالم الارواح عند رشاش النور على الهدى
فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعلمون الحكمة في جعل التعرض فتظاهر اللطف والتعرض لتظاهر القهر والنهي في حقه
صلى الله عليه وسلم نهي الامتناع عن الكينونة اي خلقت في الازل ممتنعا عن الجهل بواسطة كلمة لا تكن كما انه خلق مستعدا
للكمال بكلمة كن قل ان الله قادر على ان ينزل اية في كل لحظة ولمحة ولكن اكثرهم لا يعلمون دلالة المكانيات على المكون والممكنات ۵
على الواجب والمصنوعات على الصانع وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد

وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب
من شيء ثم الى ربهم يحشرون ۝ والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات من
يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ۝ قل ارايتكم ان اتاكم عذاب
الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين ۝ بل اياه تدعون فيكشف
ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ۝ ولقد ارسلنا الى امم من قبلك
فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون ۝ فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن
قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ۝ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا
عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ۝ فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ۝ قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به انظر كيف نصرف الايات ثم
هم يصدفون ۝ قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم
الظالمون ۝ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن امن واصلح فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب

بما كانوا يفسقون ۝ قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول
لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون ۝

القراءة ارايتكم وبابه بتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف ارايتكم وبابه بغير همز على الباقون
اراتكم بالتحقيق نفحا بالسكة بد بن يد وابن عامر به انظر بضم الهاء ويدي الاصفهاني **الوقوف** امثالكم يحشرون من
الظلمات بضلله لانتهاء شرط اخر مستقيم تدعون لان جواب ان منتظر محذوف تقديره ان كنتم صادقين فاجيبوا مع اتحاد
الكلام صادقين تشركون يتضرعون يعملون كل شيء مبلسون ظلموا العالمين ياتيكم به يصدفون الظالمين ومنذرين يحزنون
يفسقون اني ملك للاستدار بالنفي مع اتحاد القائل والمقول الي والبصير تتفكرون **التفسير** لما بين ان انزال المعجزات
لو كان مصلحة لهم لفعل ذلك اكده بما يدل ان اثار فضله واحسانه ولطفه وامتنانه واصله الى جميع الحيوانات فلو
كانت مصلحة المكلفين في اظهار تلك المعجزات القاهرة الملجئة لم يبخل بذلك البتة وفيه ايضا مزيد تقريب لامر البعث
وانه حاصل لجميع الحيوانات فضلا عن الانسان فان الحيوان اما ان يكون بحيث يدب اويكون بحيث يطير وانما خص من
الدواب بالذكر دون ما في السما او في الما ولان رعاية مصالح الادون يستلزم رعاية مصالح الاشرف ويمكن ان يقال
ان الماء ايضا من جملة الارض لانهما جميعا كرة واحدة قال اهل المعاني انما وصف الدابة بكونها في الارض والطاير بانه
يطير بجناحيه ليعلم انهما باقيان على عمومهما اذ بقيتها بخواص الجنسين ولولا ذلك لاحتمل ان يقدر فيهما صفة نحو ترتع
او تصيد فيتخصصا اولادهم ان المراد بهما غير الجنسين المتعارفين لقوله بعده الا امم امثالكم وقد يقول الرجل لعبده
طر في حاجتي والمراد الاسراع قال الحماسي طاروا اليه زرافات ووحدانا وقيل ذكر يطير بجناحيه ليخرج عنه الملائكة
دون الاجنحة فان المراد ذكر من هو ادون حالا وقيل ان الوصف للتاكيد كقولهم نعجة انثى وكما يقال مشيت اليه
برجلي وانما جمع الامم مع انه افرد الدابة والطاير لان النكرة المستغرقة في معنى الجمع قال الفرا كل صنف من البهايم
امة وفي الحديث لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها وما وجه المماثلة بين البشر والدابة والطاير نقل الواحدي
عن ابن عباس انه قال يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني كقوله وان من شيء الا يسبح به كل قد علم صلاته وتسبيحه
وعن ابي الدرداء ابهمت عقول البهايم الا عن معرفة الاله وطلب الرزق ومعرفة الذكر والانثى وهذا قول طايفة
عظيمة من المفسرين وقيل وجه المماثلة كونها جماعات وكونها مخلوقة بحيث يشبه بعضها بعضا ويانس بعضها
ببعض ويتوالد بعضها من بعض وضعف بان هذا امر معلوم مشاهد لا فايدة في الاخبار عنه وقيل انه تعالى
دبرها وخلقها وتكفل برزقها واحصى احوالها وما يجري عليها من العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة
ولذلك قوله عقيبه ما فرطنا في الكتاب من شيء وقيل هو انها تحشر يوم القيمة ويوصل اليها حقوقها وفي
الحديث يقتص للجما من القرنا ولكن قوله بعد ذلك ثم الى ربهم يحشرون يصير كالمكرر وعن سفين بن عيينة ما في
الارض من ادمي الا وفيه شبه من بعض البهايم فمنهم من يقدم اقدام الاسد ومنهم من يعدو عدو الذيب ومنهم
من ينبح نباح الكلب ومنهم من يتطوس كفعال الطاوس ومنهم من يشبه الخنزير لو القي اليه الطعام الطيب
تركه واذا قام رجيعه لعب فيه وكذلك نجد من الادميين من يسمع خمسين كلمة من الحكمة لا يحفظ واحدة منها
وان اخطات مرة واحدة حفظه ولم يجلس مجلسا الا رواه واعلم يا اخي انك تعاشر البهايم والسباع فبالغ بالحذر
والاحتراز وذهب اهل التناسخ الى ان الارواح البشرية ان كانت سعيدة مطيعة لله تعالى موصوفة بالمعارف
الحقة موسومة بالاخلاق الفاضلة فانها بعد موتها تنتقل الى ابدان الملوك وربما قالوا انها تتصل الى مخالطة عالم
الملايكة وان كانت شقية جاهلة فانها تنتقل الى ابدان الحيوانات وكلما كانت اكثر شقا فانها تنتقل الى بدن
حيوان اخس واكثر تعبا وعناء قالوا وذلك لان لفظ المماثلة يقتضي حصول المساواة في جميع الصفات الذاتية
ثم زعموا ان الله تعالى ارسل الى كل جنس منها رسولا من جنسها لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير واستشهدوا
بقصة النمل وحديث الهدهد وعن ذلك في تعداد مذاهب ارباب التناسخ طول والله تعالى اعلم بحقيقته

الحال ما فرطنا في الكتاب من شيء من مزيدة للاستغراق اي ما تركنا وما اغفلنا شيئا قط وقيل للتبعيض اي ما اهملنا
فيه بعض شيء قط وقيل للتبعيض اي ما اهملنا فيه بعض شيء يحتاج المكلف الى معرفته والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل
على جميع احوال العالم على التفصيل وقيل القران لانه هو الذي يسبق اليه الاذهان بما بين اهل الايمان واورد عليه انه ليس
فيه تفاصيل علم الطب والحساب ولا تفاصيل كثير من العلوم ولا تفاصيل مذاهب الناس ودلائلهم في علم الاصول والفروع
واجيب بان لفظ التفريط لا يستعمل الا فيما يجب ان يفعل والمحتاج اليه انما هو الاصول والقوانين لا الفروع التي لا تنضبط ولا تتناهى
وما علم الا في القران اصله ومنه شرفه وفضله كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا للطب وقوله وهو اسرع الحاسبين للحساب
وكقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين للاخلاق واما تفاصيل علم الفروع فذكر العلما ان السنة والاجماع والقياس
كلها مستندة الى الكتاب كقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وكقوله ويتبع غير سبيل المومنين
وكقوله فاعتبروا يا اولي الابصار وقيل ان القران واف ببيان جميع الاحكام لان الاصل براءة الذمة عن التكاليف كلها وشغل الذمة
لا بد فيه من دليل منفصل وكل حكم لم يكن مذكورا في القران بالمطابقة او التضمن او الالتزام لم يكن ذلك تكليفا او
يكون باقيا على اصل الاباحة والله تعالى اعلم اما قوله الى ربهم يحشرون فللعقلاء فيه قولان الاول قول الاشاعرة
انه تعالى يحشر الدواب لان ايصال العوض اليها واجب بل بمجرد الارادة والمشية ومقتضى الالهية الثاني قول المعتزلة
لن يحشر الطيور والبهائم الا لايصال الاعواض اليها لان ايصال الالام اليها من غير سبق جناية لا يحسن الا للعوض وفرع
القاضي على ذلك فقال كل حيوان استحق العوض على الله تعالى بما لحقه من الالام وكان ذلك العوض لم يصل اليه
في الدنيا فانه يجب على الله تعالى حشره في الاخرة ليوفر عليه ذلك العوض والذي لا يكون كذلك فانه لا يجب
حشره عقلا الا ان السمع ورد بحشر الكل فنقطع بذلك فرع اخر كل حيوان اذن الله تعالى في ذبحه فالعوض
على الله تعالى وكذا الذي اذن في قتله لكونه موذيا او المه بمرض او سخره للانسان لاجل حمل الاثقال واما
اذا ظلمها الناس فالعوض على الظالم وكذا اذا ظلم بعضها بعضا ولو ذبح الماكول لغير ماكله فالعوض على الذابح ولهذا ورد
النهي عن ذبح الحيوان لغير ماكلة والمراد من العوض منافع عظيمة بلغت في الجلالة الى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة
وعلمت انه لا سبيل الى تحصيل تلك المنافع الا بواسطة تحمل ذلك الذبح لرضيت به اخر مذهب القاضي واكثر المعتزلة
ان العوض منقطع وبعد ذلك تصير ترابا وحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال ابو القسم البلخي يجب دوام العوض
منقطع لانه لا يمكن قطع ذلك العوض الا باماتة تلك البهيمة واماتتها توجب الالم ليوجب عوضا اخر وهلم جرا الى
لا نهاية له واجيب بالمنع من ان الاماتة لا يمكن تحصيلها الا بالايلام اخر البهيمة اذا استحقت عوضا على بهيمة اخرى
فان كانت البهيمة الظالمة قد استحقت عوضا على الله تعالى فانه ينقل ذلك العوض الى المظلوم والا فانه تعالى يتكفل
بذلك العوض وهذا القدر يكفي في احكام الاعواض بحسب المقام وهو سبحانه اعلم ولما ذكر من خلائقه واثار قدرته ما
ينادي على عظمته ويشهد لربوبيته وينبئه على رحمته الكاملة وعنايته الشاملة قال والذين كذبوا باياتنا
صم لا يسمعون كلام المنبه وبكم لا ينطقون بالحق خائضون في الظلمات ظلمة الكفر وظلمة الشرك وظلمة الجهل وظلمة الضلال
ثم بين ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيئته وارادته وتسخيره وتدبيره فقال من يشا الله
يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم والجبائي اول الاية المراد انهم كذلك في الاخرة كقوله ونحشرهم
يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما او انهم شبهوا بمن حاله كذا وهو محمول على الشتم والاهانة واما قوله من
يشاء الله يضلله اي عن طريق الجنة ولا يشاء الاضلال الا لمن يستحق عقوبته كما انه لا يشاء الهدى الا للمومنين
او المراد بالاضلال منع الالطاف لانهم ليسوا من اهلها وبالهداية منحها لانه من اهلها ثم بين غاية جهالة الكفار
وانهم مع جحودهم يفزعون الى الله في البليات فقال قل ارايتكم هو منقول من رايت بمعنى ابصرت او عرفت
كانه قيل ابصرته وشاهدت حالته العجيبة او عرفت فلا يستعمل الا في استخبار عن حالة عجيبة بشيء فهذا من باب
ايقاع السبب لان الاخبار انما يكون بعد المشاهدة او العرفان اما اعرابه فالتاء ضمير الفاعل والكاف للخطاب فالتاء
يكون بلفظ واحد في التثنية والجمع والتانيث ويختلف هذه المعاني على الكاف نحو ارايتك ارايتكن والتاء في جميع ذلك
مفتوحة والكاف حرف الخطاب وليست اسما والا لكانت اما مجرورة ولا جار واما مرفوعة وليست الكاف من ضمائر

المرفوع والمرفوع ايضا لان التاء فاعل ولا يكون لفعل فاعلان واما منصوب به وهو باطل من وجوه احدها ان هذا الفعل قد يتعدى
الى مفعولين نحو ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا لكان ثالثا للتاء وثانيها لو كان مفعولا لكان هو الثاني في المعنى وليس
المعنى على ذلك اذ ليس الغرض ارايت نفسك بل ارايت غيرك ولذلك قلت ارايتك زيدا وزيد غير المخاطب ولا هو بدل منه وثالثها
لو كان منصوبا على انه مفعول لظهرت علامة التثنية والجمع والتانيث في التاء نحو ارايتماكما وارايتكم وارايتكن وقد ذهب الفرا
على انه اسم مضمر منصوب في معنى المرفوع نحو ما ضربت الا اياك فاما مفعولا ارايت في الاية فقيل هما محذوفان تقديره ارايتكم
عبادتكم الاصنام هل ينفعكم عند مجي الساعة ودل عليه قوله اغير الله تدعون وقيل لا يحتاج ههنا الى المفعول لان الشرط وجوابه
قد حصل معنى المفعول واما جواب الشرط فقد دل عليه الاستفهام في قوله اغير الله تقديره ارايتكم ان اتتكم الساعة دعوتم الله وحاصل
الاية قل يا محمد لهولاء الكفار ارايتكم ان اتيكم العذاب في الدنيا او عند قيام الساعة اتخصون الهتكم بالدعوة ام تدعون
الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الالهة فيكشف ما تدعون اليه كشفه ان شاء لان قوارع الساعة لا تكشف
عن المشركين وعلى هذا يكون قوله استجب لكم باقيا على اطلاقه لكن في الدنيا ولو علقت بالمشية بل تبقى العذاب في الدنيا
كان قوله ادعوني استجب لكم ايضا مقيدا بالمشية وتنسون ما تشركون قال ابن عباس تتركون الاصنام ولا تدعونهم
لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع والجوهري اراد لا تذكرون الاصنام في ذلك الوقت لان اذهانهم مغمورة بذلك وحاصل
والمقصود من الاية تبكيت الكفار كانه قيل اذا كنتم ترجعون عند نزول الشدائد الى الله تعالى لا الى الاصنام فلم
تقدمون عبادتها وفيه ان مبنى الدين على الحجة والدليل لا على محض التقليد ثم سلى النبي صلعم بان اعلم انه قد ارسل قبله
الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم فلم يخضعوا واصروا على كفرهم خلاف الاقوام
المذكورين الذين يفزعون الى الله في الشدائد ويحتمل ان يقال ان حكم الطائفتين واحد لان التضرع والالتجاء الى الله لطلب
ازالة البلية لا على سبيل الاخلاص غير معتبر وفي الاية محذوف تقديره ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فكذبوهم
فاخذناهم بالباساء والضراء وحسن الحذف لكونه مفهوما والباساء والضراء البوس والضر او القحط والجوع والضراء
الامراض والاوجاع والمرض ايا لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون واصله الانقياد وترك التمرد وضرع الرجل ضراعة فهو
ضارع اي ذليل ضعيف احتج الجبائي بالاية على انه تعالى انما ارسل الرسل وسلط الباساء والضراء عليهم
ارادة ان يتضرعوا ويومنوا فهو يريد الايمان والطاعة من الكل واجيب بان الترجي في حقه تعالى محال فانهم يحملونه على
الارادة ونحن نحمله على انه تعالى يعاملهم معاملة المترجي فلا ترجيح على ان الفسق وتزيين الشيطان وكل ما يفرضونه
لا بد ان ينتهي الى خلق الله وتكوينه واما قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا فمعناه نفي التضرع وكانه قيل فلم يتضرعوا
اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا التحضيضية ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا العناد والقسوة والاعجاب
ثم بين انه لما لم ينجع فيهم المواعظ والزواجر نقلهم من الباساء والضراء الى الراحة والرخاء بفتح ابواب الخيرات
عليهم وتسهيل موجبات المسرات لديهم كما يفعله الاب المشفق لولده يخاشنه تارة ويلاينه اخرى ومعنى كل شيء كان
مغلقا عنهم من الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي ظنوا ان ذلك باستحقاقهم ولم يروا الا بطرا اخذناهم بغتة قال
الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال صلعم اذا رايت الله تعالى يعطي للعاصي فان ذلك استدراج من الله تعالى
قال العلما وانما اخذوا في حال الرحمة والرخا ليكون اشد لتحسرهم على ما فاتت من السلامة والعطا فاذا هم مبلسون ايسون
من كل خير وقال الفراء المبلس الذي انقطع رجاوه ولذلك قيل للذي سكت عند انقطاع حجته قد ابلس وقال الزجاج المبلس
الشديد الحسرة الحزين واذا ههنا للمفاجات وهي ظرف مكان وهم مبتدا ومبلسون خبره وهو العامل في اذا فقطع دابر
القوم الدابر التابع الشيء من خلفه كالولد للوالد دبر فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا اذا كان اخرهم ابو عبيدة دابر القوم اخرهم
الذي يدبرهم الاصمعي الدابر الاصل قطع الله دابره اي اصله والحمد لله رب العالمين حمد نفسه على ان ترك احد منهم
واستاصلهم لان ذلك جار مجرى النعمة على اولئك الرسل او على اولئك الهالكين كيلا يزيدوا كفرا وعنادا فيزدادوا
عذابا وعقابا او حمد على ما انعم عليهم قبل ذلك وهوان كلهم وازال عنهم الاعذار والعلل وبعث الانبيا والرسل
واخذهم بالباساء والضراء ثم نقلهم الى الالاء والنعما الا انهم لم يزدادوا الا انهماكا في الغي والضلال فطهر وجه
الارض عن شركهم وفيه ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك كل ظالم فان ذلك من جملة الاء الله سبحانه ثم عاد الى الدلالة

علي وجود الصانع الحكيم المختار وبيان وحدته جل جلاله قل ارايتم ان اخذ الله وتقرير ذلك ان اشرف اعضاء الانسان
هو السمع والبصر والقلب كما عودنا منافعها في اوايل الكتاب ولا ريب ان القادر على تحصيل قواها وصرفها عن
الافات والمخافات ليس الا الله وحده ومعنى اخذ السمع والبصر تبطيل منافعهما ومعنى الختم على القلب ازالة العقل
حتى يصير كالمجانين قال ابن عباس انه الطبع والامانة حتى لا يعقل الهدى والصلاح يأتيكم به اي بذلك الذي اخذ
من السمع والبصر والقلب ووضع الضمير موضع الاسم الاشارة بناء على ان الضمير المذكور بحكم الاستعمال يلزم ان يكون
لذي عقل لو فرضنا والاحسن ان يقال انه ذكر اشياء متعددة فوجب ان يعود الضمير المذكور الي جميعها مونثا اذ لا ترجيح
وحيث لم يكن الضمير مونثا علم انه اراد المذكور مطلقا فيقتضي ان يشار اليه بذلك ثم انه اقام الضمير المذكور مقامه او
يعود الي ما اخذ ويختم عليه لوضوح من عن التكلف المذكور بحكم التغليب انظر يا محمد او كل من له اهلية النظر كيف
نصرف الايات نوردها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقوي ما قبله في الايصال الي المطلوب
ومعنى ثم التفاوت بين الحالين ويصدفون اي يعرضون ويقال امراة صدوف التي تعرض وجهها عليك ثم تصدف
اي تعرض والصدف ميل في الحافر الى الشق الوحشي وصدف الدبة عنثا وهما ميل فيه فاك الكعب لو خلق الله فيهم الاعراض
والصد لم ينكر عليهم وقالت الاشاعرة لولا منع تعالى لجمع فيهم الدلايل القاطعة للاعذار ثم عمم الدليل بقوله قل
ارايتكم ان اتيتكم والمعنى انه لا دافع لنوع من انواع العذاب الا الله سبحانه فوجب ان لا معبودا الا هو ثم العذاب
المفروض اما ان يجي من غير سبق امارة تدل على ذلك وهو البغتة واكثر ما يكون ذلك بالليل او مع سبق امارة وهو
الجهرة واكثره بالنهار ولهذا قال الحسن معناه ليلا ونهارا اما قوله هل يهلك الا القوم الظالمون اي لا يهلك مع
قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فمعناه ان الهلاك بالحقيقة وهو هلاك التعذيب والسخط
مختص بالظالمين الاشرار لان الاخيار وان عمهم العذاب الا انهم يستفيدون بذلك ثوابا جزيلا فهو لهم بلاء في الظاهر
والا فالحقيقة خلاف الظلمة فانهم يحشرون في الدنيا والاخرة ومثله قوله صلعم ان امر المومن خير كله ان اصابته ضر او قصر
كان خيرا له وان اصابته سراء فشكر كان خيرا له واعلم انه ذكر ههنا ارايتكم مرتين فواذ خطابا واحد لان عذاب الا
ستيصال ما عليه من مزيد فناسب زيادة الخطاب لاجل التاكيد وفيما بينهما قل ارايتم حيث لم يكن كذلك وكذلك في
يونس ثم ذكر الانبيا والرسل بعثوا للتبشير والانذار فقط ولا قدرة لهم على اظهار الايات وانزال المعجزات التي
اقترحوها في قوله وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه وان ذلك مفوض الى مشية الله وحكمته فقال وما نرسل المرسلين
الا مبشرين بالثواب على الطاعات ومنذرين بالعقاب على المعاصي فمن قبل قولهم واتي بالايمان الذي هو من افعال
القلب والعمل الصالح الذي هو من افعال البدن فلا خوف عليهم والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب ومعنى المس
القاء الشي على غيره فصل قال في الكشاف جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الالام وفيه نظر
لان المس ليس من خواص الاحيا نعم انه من خواص الاجسام فلو ادعيت المبالغة
من هذا الوجه لم يكن بعيدا قال القاضي انه علل عذاب الكافرين بكونهم فاسقين فيكون كل فاسق كافرا
واقول هذا من باب ايهام العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينفي من
نفسه امورا ثلثة فقال قل لا اقول لكم عندي خزاين الله وهي جمع خزانة المكان الذي يخزن فيه الشي والخزن
الشي احرازه بحيث لا تناله الايدي ولا اعلم الغيب محله النصب عطفا على قوله تعالى عندي خزاين الله لانه من
جملة القول اي لا اقول لكم ذلك لا هذا قلت ويحتمل ان يكون عطفا على لا اقول اي قل لا اعلم الغيب فيكون فيه
دلالة على ان الغيب بالاستقلال لا يعلم الا الله بخلاف كون خزاين الله عنده وكونه ملكا فان النبي صلعم يحتمل ان
يكون له هذه المقامات ولكن لا يظهرهما واختلف المفسرون في فايدة نفي هذه الامور فقيل المراد اظهار التواضع
والخضوع لله تعالى بعبوديته حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد اليهود والنصارى في المسيح وقيل المقصود ابداء العجز
والضعف وانه لا يستقل بايجاد المعجزات التي كانوا يقترحونها كقولهم لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
الي قوله هل كنت الا بشرا رسولا وقيل اي لا ادعي سوى النبوة والرسالة ولا ادعي الالهية ولا الملكية فما ذا تنبهوا
كل بخلاف سورة هود حيث قال ولا اقول اني ملك لانه تقدم ذكر لكم في قوله اني لكم نذيرا فاكتفي بذلك قال الجبايي

ذكرهم

في الآية

٣٠٥

في الاية على ان الملك افضل اذ المراد لا ادعي فوق منزلتي قال القاضي ان كان الغرض التواضع فالاقرب بذلك يدل على ان
الملك افضل وان كان المراد نفي قدرته عن افعال لا يقوى عليها الا الملكية لم تدل على افضلية الملك ان اتبع الا ما يوحي
الي قيل هذا النص يدل على انه صلعم لم يكن يحكم من تلقاء نفسه ولا بالاجتهاد في شي من الاحكام ولا يجوز للحدثين امته
ان يعمل الا بالوحي النازل عليه لقوله فاتبعوه فلا يجوز العمل بالقياس واكد هذا الحكم بقوله تعالى قل هل يستوي الاعمى
والبصير وذلك لان العمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحي يقوم مقام عمل البصير ثم قال افلا
تتفكرون تنبيها يجب على العاقل ان يعرف الفرق بين هذين واجيب بان اصل الاجتهاد والقياس اذا كان بالوحي
لم يلزم الضلال والاية مثل للضال والمهتدي او لمن ادعي المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية والملايكة
افلا تتفكرون فلا يكونوا ضالين كالعميان او فتعلوا الي ما ادعيت سوى ما يليق بالبشر والله اعلم التاويل
وما من دابة تدب في ارض البشرية وتتحرك من الحواس والجوارح والنفس وصفاتها الا امم امثالكم في السوال
عن احوالهم وافعالهم كقوله ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسيولا ما فرطنا ما تركنا في القران من
شي يحتاج اليه الانسان ظاهره وباطنه ذاته وصفاته في السير الي الله من الاوامر والنواهي والندب والادا
ثم الي ربهم يحشرون ههنا بالسير وجذبات العناية او هناك بالسلاسل والاغلال يسحبون في نار القطيعة
على وجوههم لان من شانهم التكذيب كما قال والذين كذبوا باياتنا بدلايلنا الموصلة الينا صم اذان قلوبهم عن
استماع الحق بكم السنة احوالهم عن اجابة دعوة الحق في ظلمات صفات البشرية والاخلاق الذميمة بل اباه تدعون
لان رجوعه الي ربه مركوز في روحانيته ولقد ارسلنا الي امم اي ارسلنا اليهم نعمة الصحة والكفاف والامن والعفاف
فشغلوا بها عنا فارسلنا اليهم بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة تدعوهم الينا فلم يهتدوا فاخذناهم بالباسا
والضراء التي هي موجبة للالتجاء فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا وعلموا ان حقايق الطافنا مدرجة في دقايق صور قهرنا
وتحققوا ان ذرر محبتنا مودعة في اصداف شدايد باسنا فاستقبلوها بصدق الالتجاء وحسن التضرع في الدعا
فلما نسوا بسبب القساوة ما ذكروا به من معارضة الباساء والضراء فانها تذكر ايام الرخاء وتعرف قدر النعمة
والنعماء تودي الي رؤية المنعم فتحنا عليهم ابواب كل شي من البلاء في صورة النعماء لارباب الظاهر من النعم الظاهرة
من المال والجاه والقبول وامثالها ولارباب الباطن بالنعمة الباطنة من فتوحات الغيب وانشاءها حتى اذا فرحوا
بما اتوا وظنوا انهم قد استغنوا عن صحبة الشيخ وتعلم تصرفاته فشرعوا في الطلب على وفق هواهم اخذناهم بغتة
بفقد الاحوال والاشتغال بالقال فاذا هم مبلسون متحيرون في تيه الغرور الحمد لله على اظهار اللطف لارباب والقهر
لاصحابه ليعلم ان الكل بقدرته كما قال تعالى قل ارايتم الاية الا القوم الظالمون الذين ظلموا انفسهم بصرف استعداد
عبودية المولى في عبادة الهوى فاما من ابتلى بعذاب الله من الافات والمخافات والامراض ونحوها ابتلاء فتاب
ورجع فهو عن هالك على الحقيقة قل لا اقول لكم لم يقل عندي خزاين الله ليعلم ان خزاين الله وهي العلم بحقايق
الاشيا وما هياتها عنده بارادة سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وباستجابة دعايه في قوله ارنا الاشيا كما
هي ولكنه يكلم الناس على قدر عقولهم ولا اعلم الغيب اي لا اقول لكم هذا مع انه كان يخبرهم عما مضى وعما يكون
باعلام الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم في قصة ليلة المعراج نظرت في خلق فطرت علمت ما كان وما يكون ولا اقول
لكم اني ملك وان كنت قد جزت عن مقام الملك حتى قلت لجبرايل تقدم فقال لو دنوت انملة لاحترقت ان اتبع الا ما يوحي الي اخرهم
وقل لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير فلا يستوي مع الاعمى كلام البصير فكيف اخبركم عما عمي الله ابصاركم عنه وانا به بصير انه يوحي

وَاَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ اَنْ يُحْشَرُوا اِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ

من الظالمين ۝ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من
بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين ۝ واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من
بعده واصلح فانه غفور رحيم ۝ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ۝
قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت
اذا وما انا من المهتدين ۝ قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما
تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ۝ قل لو ان عندي
ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين ۝ وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا
حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ۝ وهو
الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل
مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ۝

القراءة بالغدوة مضمومة العين ساكن الدال مفتوح الواو وكذلك في الكهف ابن عامر الباقون بفتح العين والدال وبالالف انه بالفتح فانه بالكسر ابو جعفر ونافع وقرا ابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب جميعا بالفتح الباقون بالكسر فيهما ولتستبين بياء الغيبة يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بالتاء الفوقانية سبيل بالنصب ابو جعفر ونافع ويزيد الباقون بالرفع يقص ابن كثير وابو جعفر ونافع وعاصم الباقون يقضي الحق **الوقوف** يتقون ۝ وجهه ط الظالمين ۝ من بيننا ط الشاكرين ۝ الرحمة لمن قرا انه بكسر الالف رحيم المجرمين ۝ من دون الله اهواءكم لتعلق اذا بما قبله اي قد ضللت اذا اتبعت المهتدين وكذبتم به تستعجلون به لله الفاصلين ۝ وبينكم بالظالمين الا هو والبحر مبين مسمى لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تعملون ۝ **التفسير** لما وصف الرسل بكونهم مبشرين ومنذرين امر الرسول صلعم بالانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال وانذر به قال الزجاج وابن عباس اي بالقرآن وهو المذكور هناك في قوله ان اتبع الا ما يوحى الي وقال الضحاك اي بالله قيل والاول اولى لان الانذار والتخويف انما يقع بالقول وفيه نظر لان الانذار لا نزاع فيه انه قول ولكن المنذر به فلا يكون قولا كقوله وانذرهم يوم الازفة فانذرتكم نارا تلظى ولو زعم ان المراد وانذرهم النار او العذاب بواسطة القرآن فقد يرد مثله ههنا والمعنى انذرهم العذاب بقوله ينجي عن شدة سخط الله وعقوبته اما الذين يخافون ان يحشروا فقيل انهم الكافرون الذين سبق ذكرهم فلعل اناسا من المشركين من حالهم انهم يجوزون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكونوا حقا فيهلكوا انهم ممن يرجى ان ينجع

ينهم الانذار فامر ان ينذر هؤلاء دون المتمردين منهم ثم قال هذا القائل ولا يجوز حمله على المؤمنين لانهم يعلمون انهم يحشرون والعلم خلاف الخوف والظن وضعف بان الخوف شامل للناس كافة لعدم الجزم بالثواب وقبول الطاعة وان كانوا متيقنين بصحة الحشر والنشر فالظاهر ان الضمير يتناول الكل لان العاقل لا بد ان يخاف الحشر سواء كان جازما به او شاكا فيه وايضا انه مامور بتبليغ الكل فلا وجه للتخصيص وقيل انهم قوم مسلمون مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحى اليه لعلهم يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين وقيل هم اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ومعنى الى ربهم الى حكمه وقضائه فلا يلزم منه مكان ولا جهة اما قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع فقال الزجاج ان الجملة في موضع الحال من ضمير يحشروا اي يخافوا غير منصورين ولا مشفوعا لهم فان كان الضمير للكفار فظاهر وان كان للمؤمنين فشفاعة الملائكة والرسل اذا كانت باذن الله تعالى فانها تكون بالحقيقة من الله تعالى فصح انه ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع الا الله واذا لم يكن الله ناصرا وشفيعا لزم ان لا يكون ناصر اصلا لعلهم يتقون قال ابن عباس لكي يخافوا في الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي قالت المعتزلة فيه دلالة على انه اراد من الكفار التقوى والطاعة واجيب بان الترجي راجع الى العباد ولما امر بانذار عموم المكلفين ليتقوا اردفه بذكر المتقين وامر بتقريبهم واكرامهم وعن ابن مسعود ان الملأ من قريش مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء اتريد ان نكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال صلعم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون ثم الحوا فقالوا للرسول صلعم اكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة ودعا عليا ليكتب فنزلت ولا تطرد الآية فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا ومن يومئذ حتى يمس ركبتيه ركبتنا وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات اثنى الله عليهم بانهم يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس والحسن ومجاهد ان يصلون صلاة الصبح والعصر وقيل اي يذكرون ربهم طرفي النهار والمراد بالغداة والعشي الدوام والغدوة لغة ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس والعشي ما بين الزوال والغروب قال الجوهري غدوة بالتنوين نكرة وبدونها معرفة غير مصروفة كسحر وسحر يريدون وجهه نصب على الحال وعلى الاستئناف كانه قيل ما ارادوا بالمواظبة على الدعاء فاجيب بقوله يريدون وجهه ولا يتشبث بالله عضو كما زعمت المجسمة ولكن المراد به التعظيم فقد يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته كما يقال هذا وجه الرأي وذاك وجه الدليل وايضا المحبة تستلزم طلب رؤية الوجه فلهذا السبب حصل الوجه كناية عن المحبة وطلب الرضا ثم علل النهي بقوله ما عليك من حسابهم من شيء وقيل الضمير عائد الى المشركين اي لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك ذلك الى ان تطرد المؤمنين والاولى ان يعود الى الفقراء ليناسب قوله فتطردهم كما في قصة نوح ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم وقالوا يا محمد انهم فعلوا دينك ولا منوك لاجل المأكول والملبوس فقال الله ان كان الامر على ما زعموا فليس الا اعتبار الظاهر ان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم لا يتعدى اليك فالجملتان لهما مؤدى واحد وهو المفهوم من قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل ما عليك من حساب رزقهم من شيء ولا من حساب رزقك عليهم من شيء وانما الرازق لك ولهم هو الله سبحانه فدعهم يكونوا عندك اما قوله فتطردهم فهو جواب النفي في عليك وفي انتصاب فتكون وجهان احدها انه جواب النهي والثاني انه عطف على فتطردهم على وجه التسبب لان كونه ظالما معلول من طردهم ومسبب عنه فان طرد من يستوجب التقريب والترحيب وضع للشيء في غير موضعه ومن هنا طعن بعض الناس في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم قالوا وكان يقول كلما دخل اولئك الفقراء عليه بعد هذه الواقعة مرحبا بمن عاتبني ربي

منهم او لفظ هذا معناه والجواب انه ما طردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما افرد لهم مجلسا
تاليفا لقلوب المشركين وتكثيرا لسواد الاسلام مع علمه بانه لا يفوت الفقراء بسببه المصلحة امرهم في الدنيا ولا في الدين
فغاية ذلك انه لا يكون من باب ترك الاولى والافضل وكذلك اي مثل ذلك الفتن العظيم فتنا ابتلينا بعض الناس
ببعض فاحد الفريقين وهم الكفار يرى الاخر متقدما عليه في المناصب الدينية فيقول اهؤلاء المترذلون
من الله عليهم بالملك من بيننا كقوله االقي عليه الذكر من بيننا والفريق الاخر يرى الاول متقدما في الخيرات
العاجلة والخصب والسعة والراحة والدعة فيقول هذا هو الذي فضله الله علينا واما المحققون منهم الذين يعلمون
ان كل ما فعله الله فهو صواب ولا اعتراض عليه بحكم المالكية وبحسب رعاية الاصلح وبالجملة فصفات الكمال غير مجتمعة
ولا يجتمع في انسان واحد البتة بل هي موزعة على الخلائق وكلها محبوبة لذاتها فكل انسان ان يجد صاحبه على ما اتاه
الله تعالى من صفة الكمال ومن عرف سر القدر رضي بنصيب نفسه وسكت عن التعرض لغيره وعاش عيشا طيبا
في الدنيا والاخرة قال هشام بن الحكم الافتتان الاختبار والامتحان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يعلم الجزئيات الا
عند حدوثها والجواب انه يعامل المكلف معاملة المختبر وقد مر مرارا وقالت الاشاعرة في الاية دلالة على مسئلة
خلق الاعمال لان تلك الفتنة التي القاها الله تعالى ليست الا اعتراضهم على الله والاعتراض عليه كفر فهو تعالى
خالق للكفر وايضا منة الله عليهم ليست الا بالايمان ومتابعة الرسول فلو كان الموجد للايمان هو العبد كان العبد
هو المان على نفسه اجاب المعتزلة بان معنى فتنا خذلنا ليؤاخذ الناس حتى آل امرهم الى ان قالوا فيكون اللام لام العاقبة
وزيف بانه عدول عن الظاهر مع انه ينقل الكلام الى الخذلان فلا بد من الانتهاء اليه تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين
فمن يصرف كلا مما انعم به عليه فيما اعطاه لاجله فيتطرق على حسب معلوم الله تعالى وقال في الكشاف اي الله اعلم
بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق واذا جاءك الذين يؤمنون
باياتنا قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم وكان اذا راهم بداهم بالسلام
وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابداهم بالسلام وقال ماهان الحنفي اتى قوم النبي صلعم فقالوا انا اصبنا ذنوبا
عظاما واظهروا الندامة والاسف فما اجابهم بشيء فلما ذهبوا وتولوا نزلت الاية قال في التفسير الكبير الاقرب
ان تحمل الاية على عمومها فكل من امن بايات الله تعالى يدخل تحت هذا التشريف والاكرام ابدي استشكالا في ان هذه
السورة انها نزلت بسبب الامر الفلاني قلت لا استبعاد في ان منزل السورة دفعة وتنزل الصحابة كل اية منها على
واقعة تناسبها كيف وهم اعرف بحقائق التنزيل واعلم بدقائق التاويل لانهم اهل مشاهدة الوحي وارباب من الطب
الامر والنهي واعلم ان ما سوى الله تعالى فهو اثار وجود الله تعالى فانها لا انفكاك محض يجب على المكلف ان يكون
ملتفتا جوهرته كالسابح في تلك البحار والسائح في تلك القفار ليكون دائما مترقيا في معارجها متوقعا ان يفيض عليه
الانوار من مدارجها فيستعد لاشارة سلام عليكم وبمناهل الكرامة كتب ربكم على نفسه الرحمة فقل سلام عليكم
اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبداهم بالسلام اكراما لهم قال الزجاج سلام اما
مصدر سلمت سلاما وتسليما مثل كلمت كلاما وتكليما ومعناه الدعا بان يسلم من الافات في نفسه ودينه واما
ان يكون جمع سلامة وقيل السلام هو الله اي الله عليكم اي على حفظكم ولعل هذا الوجه انما يتاتى في المعرف
لا في المنكر كتب ربكم من جملة المقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة ومعنى كتب على نفسه
اوجب على ذاته ايجاب الكرم لا ايجابا يستحق بتركه الذم وقالت المعتزلة كونه عالما بقبح القبائح وباستغنائه عنها
يمنعه عن الاقدام عليها فلو فعل كان ظالما وايجاب الرحمة ينافي القول بانه منع الكافر من الايمان ثم امره حال كونه ممنوعا
بالايمان ثم يعذبه على ذلك الايمان واجيب بانه فاعل لما يشاء ولا اعتراض عليه انه من عمل من قرا بالفتح فعلى
الابدال من الرحمة ومن قرا بالكسر فعلى الاستئناف كان الرحمة لما استفسرت فقيل انه من عمل منكم سوءا بجهالة
وهو في موضع الحال اي عمله وهو جاهل والمراد انه فاعل فعل الجاهل لان من عمل ما يضره في العاقبة وهو عالم بذلك
او شاك فهو من اهل السفه لا من اهل الحكمة والتدبير او انه جاهل بعاقبته ومن حق الحكيم
ان لا يقدم على من لا يعرف مآل حاله ثم تاب من بعده بان يندم على ما فعله واصلح العمل في المستقبل فانه غفور رحيم

العقاب عنه ويرحم بوصل الثواب اليه من قرا بالكسر فعلى ان الجملة جزاء للشرط ومن قرا بالفتح فعلى ان الخبر والمبتدا
محذوف اي فغفرانه كائن او فامره انه غفور وقيل ان الاية نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما طلبوا ولم يعلم
انها مفسدة وكذلك اي كما فصلنا في هذه السورة دلائلنا على التوحيد والنبوة والقضاء والقدر ونفصل الايات ونميزها لك
في تقرير كل حق ينكره اهل الباطل ولتستبين معطوف على محذوف كانه قيل ليظهر الحق ولتستبين او متعلق بمحذوف اي
ولتستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل البين من رفع السبيل فمن التستبين بالياء او بالتاء لان السبيل يذكر ويؤنث
ومن نصب السبيل فمن التستبين بتاء الخطاب مع الرسول يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته واستبانة سبيل المجرمين
يستلزم استبانة طريق المحقين فلذلك اقتصر على احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد وانما ذكر المجرمين
دون المحقين لان طريق الحق واحد والمجرمون اصناف يتشعب امرهم فمنهم من هو مطبوع على قلبه ومنهم من يرجى فيهم
قبول الاسلام ومنهم من دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده فينبغي ان يتوضح سبيلهم ليعامل كلا منهم
بما يجب ومن جملة ذلك انه نهي عن عبادة معبودهم وذلك قوله قل اني نهيت اي صرفت بالدلائل العقلية والسمعية ان
اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم لان عبادة المصنوع والمخلوق محض التقليد وعين الهوى قد
ضللت اذا وما انا من المهتدين اثبت الضلال اذ ذاك ونفى الهدى مع انهما متلازمان للتقرير والتاكيد وفيه تعريض
بهم انهم كذلك ثم نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي على حجة واضحة من معرفة ربي وانه لا معبود
سواه وكذبتم انتم به حيث اشركتم به غيره فيقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا
عنده بدليل وقيل اي على حجة من جهة ربي وهي القران وكذبتم انتم به حيث اشركتم به غيره فيقال انا على بينة
ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قوله ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء قال الكلبي نزلت في النضر بن الحرث ورؤساء قريش كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاء
منهم ان الحكم الا لله مطلق يتناول الكل فقالت الاشاعرة لا يقدر العبد على امر من الامور الا اذا قضى الله تعالى فيمتنع
منه فعل الكفر الا بارادة الله واحتجت المعتزلة بقوله يقضي الحق اي كل ما قضى به فهو الحق وهذا يقتضي ان
لا يريد الكفر من الكافر ولا المعصية من العاصي لان ذلك ليس بحق ويمكن ان يقال ان جميع احكامه حق وصدق بلا اعتراض
لاحد عليه بحكم المالكية وانتصاب الحق على انه صفة مصدر اي يقضي القضاء الحق او مفعول به من قولهم قضى
الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره ومثله من قرا يقص الحق كقوله نحن نقص عليك احسن القصص اي يتبع
الحق او يتبعه سيقص اثره وهو خير الفاصلين اي القاضين وانما تنقص في المصاحف بغير ياء لانها سقطت
في اللفظ لالتقاء الساكنين وليوافق قراءة يقص قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب
لقضي الامر امر الاهلاك بيني وبينكم عاجلا غضبا لربي والله اعلم بالظالمين فهو يعلم بهم الى وقته وانا لا اعلم
ما يجب في الحكمة من وقت عقابهم ومقداره فان قلت اما ينافي هذا قوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم
ان لم يؤمنوا فان استعجال الهلاك ينافي الحرص على الايمان لان من حرص على طول حياته طمعا في ايمانه قلت لا بل
يكره لا يستوي كل من الحكمين في الاستعجال اللازم للشيء به في قوله وكان الانسان عجولا ثم بين سبحانه اختصاصه
بقوله على سبيل الاستعارة وعنده مفاتح الغيب الالات المتوصل بها الى المغيبات وحده كمن عنده مفاتح اقفال المخازن
ويعلم فتحها ولم يمنعه من ذلك مانع والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح او جمع مفتح بضم الميم وهو المخزن قال الحكيم في بيانه
ان العلم بالعلة التامة يوجب العلم بالمعلول وكل ما سوى الواجب فانه موجود بايجاده وتكوينه بواسطة او بوسائط
فعلمه بذاته يوجب العلم بجميع اثاره على ترتيبها المعتبر كليات كانت او جزئيات وعلمه بذاته انه لم يحصل الا لذاته
فصح انه يقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وفيه انه لا ضد له ولا ند اذ لو كان في الوجود واجب اخر لكانت مفاتح
الغيب حاصلة ايضا عنده فيبطل هذا الحصر ولا يمكن ان يكون تلك المفاتح عند شيء من الممكنات لان المحاط لا يحيط بالمحيط
فلا يحيط ما دون الواجب بالواجب ولا يكون المفتاح الاول للعلم بجميع المعلومات الا عنده ثم ان قوله وعنده مفاتح
الغيب قضية معقولة مجردة والانسان الذي يقوى على الاحاطة بمعنى هذه القضية نادر جدا والقران انما
نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الامور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية امثالا لها ليعين

المحسّ العقل فقال ويعلم ما في البر والبحر لان ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقته عظمة لذلك المعقول وقد ذكر
البر لان الانسان قد شاهد احوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن والنبات والحيوان
واما البحر فاحاطة الحس باحواله اقل الا ان كثرة ما فيها من العجايب والغرايب ايضا ثم افرد من هذه المحسوسات قسما
فقال وما تسقط من ورقة الا يعلمها اي لا يتغير حال الورقة الا والحق يعلمها ثم عدل من التعجب من كثرة المدركات الى
التعجب من صغر المدرك وخفايه فقال ولا حبة في ظلمات الارض وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين
اولى ثم عاد الى ذكر القضية الكلية المحوجة بعبارة اخرى فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب
مبين قال في الكشاف ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط شي من هذه
الاشيا الا وهو يعلمه وقوله الا في كتاب مبين علم الله او اللوح قال علما التفسير يجوز ان تكون الله جل ثناؤه اثبت
كيفية المعلومات في كتاب من قبل ان خلق الخلق ليقف الملايكة على نفاذ علمه في المعلومات وانه لا يغيب عنه
شي فيكون في ذلك عبرة كاملة للملايكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون به ما يحدث في العالم فيجدونه موافقا
له ولانه اذا كتب احوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها والا لزم الكذب او الجهل
فيصير كتبه جملة الاحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في انه يمتنع تقدم ما تاخر وتاخر ما تقدم ثم لما بين كمال علمه
اردفه ببيان كمال قدرته بقوله وهو الذي يتوفكم اي ينيمكم فان النفس التي بها تقدرون على الادراك والتمييز وذلك ان الارواح
الجسمانية تغور حالة النوم من الظاهر الى الباطن فتتعطل الحواس عن بعض الاعمال واما عند الموت فيصير جملة
البدن معطلة عن كل الاعمال فلهذا كان النوم اخا الموت فصح لفظ الوفاة على النوم من هذا الوجه ويعلم ما جرحتم
اي ما كسبتم من العمل بالليل والنهار ومنه الجوارح للاعضاء والسباع ثم يبعثكم فيه اي يرد اليكم ارواحكم بالنهار ليقضى
اجل مسمى اي اعماركم المكتوبة وقضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت ثم لما ذكر انه يميتهم اولا ثم يوقظهم
ثانيا كان ذلك جاريا مجرى الاحيا بعد الاماتة فلا جرم استدل بذلك على صحة البعث في القيمة فقال ثم اليه
مرجعكم فينبيكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وجميع احوالكم واوقاتكم واعلم ان في الاية اشكالا لان قوله ويعلم
ما جرحتم بالنهار كان ينبغي ان يكون بعد قوله ثم يبعثكم فيه فان البعث في النهار مقدم على الكسب فيه بل على
تعلق العلم بالكسب ويمكن ان يجاب بان المراد ويعلم ما جرحتم بالنهار الماضي بدليل قوله جرحتم دون تجرحون ثم يبعثكم
في النهار الاتي والغرض بيان احاطة علمه وقدرته بالزمانين المحيطين بالليل ولعل صاحب الكشاف عدل عن التفسير
الى ان قال وهو الذي يتوفكم بالليل الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كالجيف والانسداح الانبطاح او الا
ستلقا ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الاثام فيه ثم يبعثكم من القبور فيه اي في شان ذلك الذي قطعتم
به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام في النهار ومن اجله كقوله فيم دعوتني فيقول في امو كذا ليقضى
اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزايهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف
الحساب والاصوب عندي ان يقال الخطاب عام وكذا الكسب في النهار ينبغي ان لا يقيد بالاثام اما الضمير
في فيه فيكون جاريا مجرى اسم الاشارة الى الكسب والبعث هو البعث من القبور الى اخر ما قال والله اعلم
التاويل وانذر به اي بهذه الحقايق والمعارف الذين يخافون اي يرجون ان يحشروا الى ربهم بجذبات العناية
ويتحققون انهم ان ليس لهم في الوصول الى الله من دونه ولي من الاوليا ولا شفيع يعني من الانبيا لان الوصول لا يمكن الا
بجذبات الحق ولا تطرد الذين يدعون اخبر عن الفقرا انهم جلساوه بالغدوة والعشي كما قال انا جليس من ذكرني فلا تطردهم
من مجالستك فانهم يطلبون في متابعتك لا يريدون الدنيا ولا الاخرة ولكن يريدون وجهه وكل له سول وذين وندب
ووصلكم سولي ودين محبتكم قال المحققون الارادة اهتياج يحصل في القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل الى الله
فصاحب الارادة لا يجد ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون الوصول الى الله سبحانه سكونا ولا قرارا ما عليك من
حسابهم من شي يعني الذي لنا معك في الحساب من المواصلة والتوحيد في الخلوة فانهم ليسوا شي ذلك ليكون
عليك ثقلا وما من حسابك عليهم من شي اي الذي لنا معهم في الحساب من التفرد للوصول والوصال ليس
لك الى ذلك حاجة ليثقل عليهم فتطردهم فتكسر قلوبهم بالطرد فتكون من الظالمين بوضع الكسر مقام الجبر فانك بعثت

لجبر قلوبهم لا لكسر قلوبهم كقوله واخفض جناحك للمومنين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليشكر الفاضل ويصبر
المفضول فيستويان في الفضل فلهذا قيل لسليمان ولايوب كليهما نعم العبد مع قدرة سليمان على اسباب الطاعة وعجز ايوب
عنه ومن فتنة الفاضل في المفضول رويته فضله على المفضول او تحقيره ومنع حقه في فضله ومن فتنة المفضول
في الفاضل حسده على فضله وسخطه عليه في منع حقه من فضله عنه فان المعطي والمانع هو الله ومنها ان لا يرى الفاضل
مستحقا للفضل فيقول اهولاء من الله عليهم من بيننا فقل سلام عليكم انه سبحانه من كمال فضله على الفقرا احلهم محل
الاكابر والملوك في الدنيا فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم كن مبتديا بالسلام عليهم وفي الاخرة قال لهم الملايكة انهم يسلموا
عليهم في الجنة سلام عليكم طبتم بل سلم بذاته عليهم سلام قولا من رب رحيم وكل ذلك تحية سلامتهم من ظلمة
الخلقة باصابة رشاش النور في الازل فلهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة اي الرحمة الخاصة كما خص الخضر
في قوله واتيناه رحمة من عندنا والرحمة العامة كما جاء في الحديث ان باب الجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشا من عبادي
من عمل منكم اي من المومنين سوءا بجهالة اي بجهالة الجهولية التي جبل الانسان عليها لا بجهالة الضلالة التي هي
نتيجة اخطاء النور فان هذه لا توبة لها ثم تاب من بعده اي رجع الى الله بقدم السير من بعد افساد الاستعداد الفطري
واصلح الاستعداد بالاعمال الصالحة لقبول الفيض قل اني نهيت في الازل باصابة النور المرشش ما عندي ما تستعجلون
به من غلبة الهوى لقضي الامر بيني امر القتال والخصومات ولا سرحت منادينكم لان الشي انما ينفعل عن ضده لا
شبهه وعنده مفاتح الغيب يعني العلوم العقلية التي هي سبب فتح باب صور عالم الشهادة كالنقاش يثبت الصور
في ذهنه ثم يصورها في الخارج فاما وحد الغيب جمع المفاتح لان عالم الغيب عالم التكوين وهو واحد في جميع الاشيا
وفي الملكوت كثرة ويعلم التكوين يعلم ما في البر وهو عالم الشهادة وفي البحر وهو عالم الغيب وهذا العلم ما تسقط
من ورقة عن شجرة الوجود الا يعلمها لانه مكونها ومسقطها ولا حبة في حبة الروح في ظلمات صفات ارض النفس
او حبة المحبة في ظلمات ارض القلب ولا رطب ولا يابس الرطب الموجود في الحال واليابس ما يصير موجودا وما قد
صار او الرطب الروحانيات واليابس الجمادات او الرطب المومن واليابس الكافر او الرطب العالم واليابس الجاهل
او الرطب العارف واليابس الزاهد او الرطب اهل المحبة واليابس اهل السلوة او الرطب صاحب الشهود واليابس
صاحب الوجود او الرطب الباقي بالله واليابس الباقي بنفسه وهو الذي يتوفكم بالليل ليل القضا ويعلم ما جرحتم
اهل السلوة ليل القضا ويعلم ما جرحتم بالنهار نهار القدر او الليل ليل صفات البشرية والنهار نهار الشهود في عالم الوحدة

وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى اِذَا جَاءَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا احد
وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا اِلَى اللّٰهِ مَوْلَيهُمُ الْحَقِّ اَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ اَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ
قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ اَنْجَانَا مِنْ
هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللّٰهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ اَنْتُمْ تُشْرِكُونَ
قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى اَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ اَوْ مِنْ تَحْتِ اَرْجُلِكُمْ اَوْ
يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَاْسَ بَعْضٍ اُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْاٰيَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ نَبَاٍ مُسْتَقَرٌّ
وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وَاِذَا رَاَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي اٰيَاتِنَا فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى

يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم
الظالمين ٥ وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون
وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس
بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا
يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم ٥
بما كانوا يكفرون ٥ قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على
أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له
أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم
لرب العالمين ٥ وأن أقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون ٥ وهو الذي
خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون ٥ قوله الحق وله
الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ٥

حزب

القراءة توفته واستهوته بمالة حمزة الباقون بتاء التانيث قل من ينجيكم من الانجاء سهل ويعقوب
وعباس الباقون بالتشديد ويخفيه بالكسر حيث كان ابو بكر وحماد الباقون بالضم انجانا بمالة حمزة وعلي
وخلف انجانا بدون الامالة عاصم الباقون انجيتنا قل الله ينجيكم بالتشديد يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم وهشام
الباقون بالتخفيف بعض انظر واشاه ذلك بكسر التنوين ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن الشنبوذ
عن اهل مكة وابن ذكوان ينسينك بالتشديد ابن عامر **الوقوف** حفظة لا يفرطون الحق الحاسبين وخفية لاحتمال
الاضمار اي يقولون لئن انجيتنا ونعلق لئن بمعنى القول في تدعونه اجيج الشاكرين تشركون باس بعض يفقهون
وهو الحق بوكيل مستقر للابتدا بسوف على التهديد مع شدة اتصال المعنى ولاحتمال ان يكون الذين صفة اولئك
ونوله لهم شراب خير الهدى ائتنا الهدى العالمين لان التقدير وامرنا بان اقيموا واتقوه تحشرون بالحق فيكون
في الصور والشهادة الخبير **التفسير** من الدلائل الدالة على كمال قدرته وحكمته قوله وهو القاهر فوق عباده
والمراد منه الفوقية بالقدرة والتسخير كما يقال امر فلان اعلى وانفذ منه ولا ريب ان الممكنات باسرها تحت تصرف
الواجب ينقلها من حيز العدم الى حالة الوجود وبالعكس ويتصرف فيها كيف يشا علويات كن او سفليات
ذوات او صفات نفوسا وابدانا اخلاطا او اركانا ومن جملة قهره ارسال الحفظة وهي جمع حافظ على عبيده
لضبط اعمالهم من الطاعات والمعاصي والمباحات لانهم مطلعون على احوال بني ادم لقوله ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد وعلى افعالهم لقوله يعلمون ما تفعلون واما صفات القلوب كالجهل والعلم وليس في الايات
ما يدل على اطلاعهم عليها وعن ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما عن يمينه والاخر عن يساره

فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله ان
يتوب عنها فان لم يتب كتب عليه قالت العلما من فوايد هذه الكتبة ان المكلف اذا علم ان الملائكة الموكلين عليه
يكتبون اعماله في صحايف يعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك زجرا له عن القبايح ومنها ان توزن
تلك الصحايف يوم القيمة فان وزن الاعمال غير ممكن ومنها التعبد فعلى المكلف ان يومن بكل ما ورد به الشرع وان
لم يعرف وجه الحكمة في بعض ذلك وقال بعض الحكما الحفظة النفوس والقوى الجسمانية التي تحفظ الاركان
مع طبايعها المتضادة على امتزاجها وقال بعض العلما منهم النفوس البشرية والارواح السفلية روح شماوي هو لها
كالاب المشفق والسيد الرحيم يعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة وعلى سبيل الالهامات اخرى
فالارواح الخيرة لها مبادي من عالم الافلاك وكذا الارواح الشريرة وتلك المبادي في مصطلحهم يسمى بالطباع التام لان
تلك الارواح في تلك الطبايع والاخلاق تامة كلها وهذه الارواح السفلية المتولدة منها اضعف منها لان المعلول في كل
باب اضعف من علته ولاصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير وقيل ان النفوس المفارقة تميل الى ما
يناسبها ويساويها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالابدان فيحفظها ويعينها حتى اذا جاء احدكم الموت
اي وقته او امارته توفته رسلنا اي باذننا وتفويضنا فالمتوفي بالحقيقة هو الله تعالى كما قال الله يتوفى الانفس
حين موتها وهؤلاء الرسل اتباع ملك الموت في قوله يتوفيكم ملك الموت وهم الحفظة باعيانهم امروا بذلك وقيل ان
اشهرها الثاني ليكون ملائكة الروح والريحان وهم الروحانيون غير ملائكة الكرب والاحزان وهم الكروبيون
وعن مجاهد جعلت الارض مثل الطشت لملك الموت يتناول من يتناوله ومامن اهل بيت الا يطوف عليهم
في كل يوم مرتين وهم لا يفرطون لا يقصرون فيما امرهم الله تعالى وفيه موجب لهم بالعصمة ثم ردوا الى الله اي
الى حكمه وجزائه مولاهم الحق صفتان والضمير في ردوا اما للملائكة يعني كما يموت بنو ادم الموت اولئك الملائكة
او الى البشر اي انهم بعد موتهم يردون الى الله تعالى والمعنى انهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي
الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب فاذا ماتوا تخلصوا الى تصرف المولى الحق وفيه اشعار بان
الانسان شيء اخر وراء هذا الهيكل المحسوس فان الهيكل يبقى ميتا والانسان مردود الى الله تعالى وفي
لفظ الرد اشارة الى ان الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق به زمانا ثم رد الى موضعه الاصلي وهو عالم
الارواح لجذبة ارجعي الى ربك الا له الحكم كقوله ان الحكم الا لله وهو اسرع الحاسبين حسابا وقيل انه تعالى يحاسب
الخلق بنفسه دفعة واحدة فلا يشغله كلام عن كلام وقيل يحاسب كل انسان واحد من الملك باذن الله تعالى
لانه لو حاسب الكفار بذاته لتكلم معهم وهو محال لقوله ولا يكلمهم الله وقال الحكيم معنى سرعة المحاسبة ظهور
الملكات في الهيات على النفس في ان قطع التعلق قليلة كان او كثيرة جليلة او ذميمة وبعض تعارض البعض
بالبعض يبقى ما هو الاغلب فيجب ذلك يكون الثواب او ضده وذلك انه لا يحصل للانسان لحظة ولا لمحة
ولا حركة ولا سكون الا ويظهر في جوهر نفسه اثر من اثار السعادة او ضدها قل او كثر وهذا المراد بكتبة
الاعمال قال الجبائي جهينا لو كان كلامه قديما لوجب ان يكون متكلما بالمحاسبة الان وقبل خلقه وذلك محال
لان المحاسبة تقتضي حكاية عمل تقدم وعورض بالعلم فانه كان قبل العالم عالما بانه سيوجد وبعد وجوده صار
عالما بانه وجد ولا يلزم منه تغير لا لعلم ثم عدد لطفه واحسانه بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر مجازا عن
مخاوفهما واهوالهما فيقال ليوم الكريهة يوم مظلم وذو الكواكب كانه اظلم عليه وجه الخلاص ويحتمل ان يكون الظلمات
بالحقيقة وظلمات البر ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة البحر هامع ظلمة الماء تدعونه تضرعا وخفية مفعول
لاجلهما او تمييز او مصدر خاص والمراد ان الانسان عند حصول هذه الشدايد ياتي بامور احدها الدعاء والثاني
التضرع والثالث الاخلاص بالقلب وهو المعنى بقوله وخفية والرابعها التزام الشكر وهو قوله لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين فبين الله سبحانه انه شهدت الفطرة السليمة في هذه الحالة بانه لا ملجأ الا الى الله
ولا معول الا عليه وجب ان يبقى هذا الاخلاص عند كل الاحوال والاوقات ثم بين انه ينجيهم من تلك المخاوف
ومن سائر موجبات الحزن والكرب ثم ان ذلك الانسان يقدم على الشرك الجلي وهو عبادة الاوثان او الخفي وهو

اتباع الهوي وبالجملة فعادة اكثر الخلق ذلك اذا شاهدوا الخوف اخلصوا واذا انتقلوا الي الامن والرفاهية اشركوا
ثم ذكر نوعا اخر من دلايل التوحيد مقرونا بنوع من التخويف فقال قل هو القادر واللام للعهد او للجنس فيفيد انه هو
الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كالمطر او الحجارة مثل ما امطر علي قوم لوط
وعلى اصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من قبل اكابركم وسلاطينكم او من
جهة سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا جمع شيعة اي يخلطكم فرقا مختلفين
علي اهواء شتى كل فرقة منكم تابعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال
عن رسول الله صلعم سالت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته
ان لا يجعل باسهم بينهم شديد فمنعني واخبرني جبريل ان فنا امتي بالسيف قالت الاشاعرة في قوله او يلبسكم شيعا
دلالة علي ان الاهواء المختلفة والاراء الفاسدة والبدع كلها من الله تعالى وفي قوله ويذيق بعضكم باس بعض
اشارة الي ان المعاصي وانواع الظلم مستندة الي الله تعالى وقالت المعتزلة الاية لا تدل الا انه تعالى قادر علي القبيح
والنزاع في انه هل يفعل ام لا واجيب بان الاية دلت علي ان القدرة علي هذه الامور مختص به وهذه الامور واقعة
فتكون معرفا علما بالضرورة انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون فلا نعرض عنهم بل نكررها لعلهم يفقهون
وكذب به اي بالعذاب المذكور في الاية السابقة قومك يعني قريشا وعن دان يدينهم وهو الحق اي لا بد ان ينزل
بهم وقيل اي بالقران وهو الحق لانه كتاب منزل من عند الله وقيل اي بتصريف الايات لانهم كذبوا كون هذه
الاشيا دلالات قل لست عليكم بوكيل اي بحافظ حتى اجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلايل
انما انا منذر لكل نبا اي لكل خبر يخبره الله تعالى مستقر استقرار وموضع استقرار والمراد بالنبا المنابة لان
النبا قد حصل والمقصود ان لعذاب الله تعالى او لاستيلاء المسلمين علي الكفار بالقتل والاسر والقهر وقتا و
مكانا يحصل فيه من غير خلف ولا تاخير وسوف تعلمون فيه من التهديد ما فيه ثم بين ان اولئك المكذبين
ان ضموا الي كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن في الرسول فانه يجب الاحتراز عن مجالستهم فقال واذا
رايت ايها السامع الذين يخوضون في اياتنا والخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة علي وجه اللعب والعبث وفي
منه قول المفسرين انه في الاية الشروع في ايات الله علي سبيل الطعن والاستهزاء وكان قريش في انديتهم
يفعلون ذلك فاعرض عنهم بقوله بعد ذلك فلا تقعد وقيل المطلوب اظهار الانكار وكل طريق افاد هذا الغرض وان
كان غير القيام عن مجلسهم فانه يجوز المصير اليه هذا عند عدم الخوف اما مع الخوف فهذا الغرض ساقط والتقية
واجبة نعم كل ما وجب علي الرسول صلعم فعله وجب علينا سوا ظهر اثر الخوف او لم يظهر والا لم يبق الاعتماد علي
التكاليف التي يبلغها واما ينسينك الشيطان ان شغلك بوسوسة حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد بعد الذكرى
بعد ان تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم قال الليث
الذكرى اسم للتذكرة وقال الفراء الذكر والذكرى واحد قال في الكشاف بناء على مذهبه يجوز ان يراد وان كان الشيطان
ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك
عليه معهم قال الجبائي اذا كان عدم العلم بالشي يوجب سقوط التكليف فعدم القدرة على الشي اولى بان
يوجب سقوط التكليف وهذا يدل علي ان تكليف ما لا يطاق لا يقع ودليل علي ان الاستطاعة حاصلة قبل الفعل
لانها لو لم تحصل الا مع الفعل لم يكن الكافر قادرا على الايمان فوجب ان لا يتوجه عليه الامر بالايمان قال ابن عباس
قال المسلمون لئن كنا كلما استهزا المشركون بالقران وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام
وان نطوف بالبيت فنزلت الرخصة ان يقعدوا معهم ويذكروهم ويفهموهم بقوله وما على الذين يتقون اي الشرك
والكباير والفواحش من حسابهم من ذنوبهم التي يحاسبون عليه من شي ولكن ذكرى اي ولكن عليهم ان يذكروا
ولكن الذي تامرونهم به ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا علي محل من شي كقول القايل ما في الدار من احد لكن
زيد لان قوله من حسابهم يابى ذلك فان الذكرى ليس من حساب المشركين ثم اكد الاعراض عنهم بقوله
وذر الذين والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم والمبالاة بهم لا ترك انذارهم وتخويفهم كقوله فاعرض عنهم

وعظم

وعظهم وصفهم بوصفين الاول انهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يعني انه اتخذوا الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام
لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزءوا او اتخذوا لهما هو لعب ولهو يعني عبادة الاوثان وغيرها دينا لهم او المراد ما كانوا
يحكمون به بمجرد التقليد والهوى كتحريم البحاير والسوايب او المراد ان عادة المشركين واهل الكتاب اتخذوا اعيادهم لعبا ولهوا
لا كالمسلمين حيث اتخذوا اعيادهم كما شرعه الله تعالى قاله ابن عباس او هو اشارة الي من جعل دين الاسلام وسيلة الي
المناصب والرياسات والغلبة والجدال لا لانه حق وصدق في نفسه ويوكد هذا الوجه الوصف الثاني وهو قوله وغرتهم
الحيوة الدنيا كانهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الي حطام الدنيا وذكر به اي بالقران
او بالدين القويم مخافة ان تبسل نفس قال الحسن ومجاهد ان تسلم الي الهلاك والعذاب وترتهن بسوء فعلها واصله
المنع فالمسلم اليه وهو العذاب يمنع المسلم ومنه الباسل الشجاع لامتناعه من قرنه قال قتادة تحبس في جهنم وعن
ابن عباس تفتضح ليس لها اي للنفس من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل ان تفد كل فداء لان الفادي يعدل المفدي
بمثله لا يوخذ منها عدل فيعني المفدي به فيصح اسناده قلت ان فيه الاخذ بالقبول كما في قوله وياخذ الصدقات اي يتقبل
العرف اولئك المخدوعون هم الذين ابسلوا بما كسبوا ثم بين ما بهم صاروا مرتهنين وعليه محبوسين بقوله لهم شراب
من حميم ثم رد على عبدة الاصنام بقوله قل اندعوا انعبد من دون الله النافع الضار ما لا ينفعنا ولا يضرنا الا يقدر على النفع
والضر ونرد داخل في الاستفهام اي انرجع الي الشرك بعد اذ هدانا الله منه بهدانا للاسلام فان الردة عود الي الحالة
الاولى التي كان الانسان عليها من الجهل كقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا كالذي استهوته محله
النصب على الحال من الضمير في نرد اي ننكص علي العقبين مشبهين من استهوته وهذا استفعال من هوى في الارض
اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه اي سقوطه من الموضع العالي الي الوهدة العميقة كقوله ومن يشرك بالله فكانما خر
من السماء وقيل اشتقاقه من اتباع الهوى وحيران حال اخرى لكن من الضمير في استهوته وكذا الجملة بعده ومعنى الحيرة التردد
في الامر بحيث لا يهتدي الي مخرجه منه ومنه تحيرت الروضة بالماء اذا امتلات فتردد فيها الماء له اي لهذا المستهوي
اصحاب رفقة يدعونه الي الهدى اي ان يهدوه الطريق المستوي فيكون مصدرا او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون
له ايتنا او الدعاء في معنى القول لهذا نادى على ما يزعمه العرب وتعتقده من ان الجن والغيلان يستهوي الانسان فيستولي عليه
فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه الي الحق وقد اعتسف المهمة تابعا للجن غير
ملتفت اليهم وقيل ان ذلك للكافر اصحابا يدعونه الي ذلك الضلال ويسمونه بانه هو الهدى وروي ان الاية نزلت في عبد الرحمن
ابن ابي بكر الصديق فانه كان يدعو اباه الي عبادة الاوثان قل ان هدى الله هو الاسلام هو الذي يجب ان يتبع وحده وما
وراه غي وضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا قال الزجاج لا بد من تاويل يستقيم العطف فالتقدير وامرنا بان نسلم
ولان نسلم وامرنا ان اسلموا وان اتقوا والسر في العدول عن الظاهر ان المكلف كالغايب ما لم يسلم فاذا اسلم صار كالحاضر وتقدير
الاية ان تعلق الامر اما ان يكون من باب الافعال او من باب التروك والاول اما ان يكون من افعال القلوب او من افعال
الجوارح ورييس اعمال القلوب الايمان بالله والاسلام وهو قوله لنسلم ورييس اعمال الجوارح الصلوة وهو قوله وان اقيموا
ثم اشار الي جوامع التروك بقوله واتقوه ثم قال وهو الذي اليه تحشرون ليعلم ان منافع هذه الاعمال انما تظهر في يوم الحشر
ثم دل على وجود الحاشر بقوله وهو الذي خلق السموات والارض قايما او ملتبسا بالحق بالحكمة البالغة والغايات الصحيحة والاغراض
المطابقة وذلك انه اودع في هذه الاجرام قوى وخواص واثارا يقتضي مصالح الابدان ومناجح نوع الانسان وهكذا خلق
يوم يقول كن فيكون قوله الحق فقوله فاعل يكون ويوم مفعول خلق والمعنى انه تعالى خلق العالم من الافلاك والطبايع
والعناصر والمواليد وخلق يوم القيمة لرد الارواح الي الاجساد بطريق كن فيكون وعلى هذا يجوز ان يكون قوله الحق
مبتدا وخبر استينافا وقوله الحق مبتدا ويوم يقول ظرف دال علي الخبر مثل يوم الجمعة القتال اي القتال واقع يوم
الجمعة والمراد ان قضاءه في ذلك اليوم حق وصدق خال عن الجور والعبث ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله
لمن الملك اليوم والمقصود انه لا ملك في ذلك اليوم الا له من غير دافع ولا منازع والمقصود باتفاق اكثر اهل الاسلام قرن
ينفخ فيه ملك من الملايكة كما جاء في مواضع من القران ونفخ في الصور فصعق ففزع فاذا نقر في الناقور وقال ابو
عبيدة الصور جمع صورة مثل صوف وصوفة وخطاء الايمة فقالوا لا يجمع علي لفظ الواحد واحده بزيادة هاء فيه

كالصوف اما اذا اسبق الواحد الجمع فليس كذلك كعزفة وعزف ولهذا يجمع صورة الانسان على صور بالفتح كقوله فاحسن
صوركم ومن اسكن فقد احفظ ومما يدل على ان الصور ههنا القرن لا جمع صورة الانسان انه تعالى لم يصف النفخ الى نفسه كما قال
ونفخت فيه من روحي فنفخنا فيها من روحنا ثم انشأناه خلقا اخر ثم لما بين كمال قدرته بقوله وله الملك ذكر كمال علمه
بقوله عالم الغيب والشهادة اي هو العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات لا يتم الا بقدرة كاملة وعلم تام كيلا
يشتبه المطيع والعاصي والصديق والزنديق **التأويل** وهو القاهر لوصف الجلال للاولياء فيهلك ببعض الجبروت
للاعداء ويرسل عليكم حفظة من صفات قهره حتى لو ارادت النفس الخروج عن قيد مجاهدتها قهرتها سطوات العناد فردتها الى
بذل الجهد واذا اراد قتلها فرحته عن مطالبات العزة فقهرته صدمات الهيبة فردته الى توديع الهجر لما اراد روحه
استوجها من الحرمات فقهرته بوادة التجلي فردته الى بذل البهجة حتى اذا جاء احدكم الموت يعني الفناء عن اوصاف الوجود
توفته رسل صفات قهرنا وهم لا يفرطون في افنائه عن الاوصاف ثم ردوا الى البقاء بالله قل الله ينجيكم من ظلمات بر الا
نحو الارواح فان عالم الارواح بالنسبة الى عالم الالوهية ظلمانية تدعونه تضرعا بالجسم وخفية بالروح ومن كل كرب
انه وفتنة ثم انتم تشركون حين يتجلى لكم نور من انوار صفاته فبعضكم يقول انا الحق وبعضكم يقول سبحاني ما اعظم
شاني عنه ابا من فوقكم مسدل حجاب العزة والعظمة بينه وبينكم او من تحت ارجلكم حجابا من اوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى
عليكم او يلبسكم شيعا يجعل الخلق بينكم فرقا فرقا منهم الصديقون ومن قابلهم الزنديقون ويذيق بعضكم بأس بعض
بالقتل والصلب وقطع الاطراف انظر كيف نصرف الايات المعارف السائرين الى الله لعلهم يفقهون بشرائط السير
ولا يبقون في مقام دون الفناء عن كلية الوجود بالبقاء بشهود المعبود وكذب بهذا المقام قومك المنكرون وهو الحق قل
لست عليكم بوكيل لا اسلك طريق هذا المقام بوكالتكم لانه ليس للانسان الا ما سعى كما قال لكل نبأ مستقر اي لكل سائر
واقف مستقر من درجات القرب او دركات البعد واذا رايت الذين يخوضون في اقوال الرجال واحوالهم بطعنها فاعرض
عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غير تلك الطامات التي هي زيغ في شبح وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
لان همتهم في لبس الخرقة والتزيي بزي الطالبين انما هو الدنيا وغرتهم الخلق ان تبسل نفس اي كراهة ان يبطل استعدادها
بالكلية بما كانوا يكسبون بمقامات الرجال من الوصول والوصال قل اندعوا من دون الله انطلب غير الله الذي هو النافع
الضار والنفع الحقيقي هو الفوز بالوصول اليه والضر الحقيقي هو الانقطاع عنه ونرد على اعقابنا الى مقام الانسانية
التي كنا فيها بعد اذ هدانا الله الى الوحدة كالذي اضلته شياطين الجن والانس في ارض البشرية باتباع الهوى
حيران من اعمالهم وامرنا لنسلم بترك الوجود كالكرة في ميدان القدرة مستسلما لصولجان القضاء وان اقيموا الصلوة
بمحافظة الاسرار عن الاغيار واتقوه بالانقياد عن غيره يحشر اليه لا الى الجنة والنار كما قال الا من طلبني وجدني وهو الذي
خلق السموات والارض بالحق اي لاظهار صفاته فجعل المخلوقات مرآة لجلاله وجماله واذا اراد ان يري عبدا من عباده
تلك الصفات يقول الله كن يرانا فيكون ولن يصير رائيا بعد بصيرة لان قوله في حق الانسان كن رائيا هو الحق وله الملك
وملك الرؤية ينفخ الاله في صور القلب وهو الحكيم فيما اختص الانسان برائعة الانسانية الجنسية بل يخصه من بين الناس بالارادة

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝
وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَنَّ
عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ
بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ
فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ

مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ۝ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا
تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ وَكَيْفَ
أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ
الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ
نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝

القراءة اني اراك بفتح الياء ابو عمرو وابن كثير وابو جعفر ونافع لابيه آزر بالضم على النداء يعقوب راى كوكبا
بالامالة الهمزة ابو عمرو غير عباس والبخاري عن ورش وكذلك راه ورآك وقرأ حمزة وعلي وخلف ويحيى وعباس وهبيرة
بطريق الخراز بكسر الراء والهمزة وافق ابن ذكوان في راى فقط وخالفهم فيما اتصلت بالكاف والهاء في سورة النجم وافق ابن مجاهد
والنقاش بالامالة وكسر الراء في سورة اقرا باسم راى القمر وراى الشمس ونحوهما بكسر الراء وفتح الهمزة حمزة وخلف ونصير
وعباس ويحيى والخزاز وهبيرة خلف عن يحيى بكسر الراء والهمزة اتحاجوني بتخفيف النون ابو جعفر ونافع وابن ذكوان
الباقون بادغام نون الاعراب في نون الوقاية وقد هدان بالامالة علي وقرأ سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل
بالياء في الحالين وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل درجات بالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف ويعقوب **الوقوف**
الهة لا لابتداء ان مع اتحاد المقول مبين الموقنين لان جواب لما قوله راى كوكبا مع اتحاد الكلام بلا عطف ربي لا لان
جواب لما منتظر مع فاء التعقيب فيها الافلين هذا ربي لتلك الضالين هذا ربي الضالين هذا اكبر كذلك تشركون
المشركين لاحتمال الواو الحال اي وقد حاجه قومه هدان لانتهاء الاستفهام شيئا علما تتذكرون سلطانا لا للاستفهام
بعد تمام الاستفهام بالامن لان جواب ان منتظر محذوف التقدير ان كنتم تعلمون فاجيبوا مع اتحاد الكلام تعلمون لتناهي
الاستفهام والابتداء باخباره لو وصل لاتصل ما قبله مهتدون على قومه من نشاء عليم **التفسير** انه سبحانه كثيرا
ما يحتج على مشركي العرب باحوال ابراهيم صلوات الرحمن عليه لانه يعترف بالفضل والتقدم عند جميع الطوائف والملل
وذلك انه سلم قلبه للرحمن ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم ان ظاهر الاية يدل
على ان اسم والد ابراهيم هو آزر ومنهم من قال اسمه تارخ قال الزجاج لا خلاف بين النسابين ان اسمه تارخ ففي الملحدة
من طعن في هذا النسب لهذا السبب والجواب ان اجماع النسابة لا عبرة به لان ذلك ينتهي الى قول الواحد والاثنين مثل
وهب وكعب او غيرهما سلمنا ان اسمه كان تارخ لكنه من المحتمل ان يكون احدهما لقبا والاخر اسما اصليا او يكون آزر مخصوصا
في لغتهم كالمخطئ والمخذول وقيل ان آزر هو الشيخ الهرم بالخوارزمية وهذا عند من يجوز اشتمال القرآن على الفاظ
قليلة من غير لغة العرب وقيل ان آزر اسم صنم ويجوز ان يلقب به لملازمته عبادته فان من بالغ في محبة ما جعل
اسم المحبوب اسما للمحب قال تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقال الشاعر: ادعى باسماء نبزا في قبائلها كان اسماء
اضحت بعض اسمائي اذا ازر بدل تعابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل ان والد ابراهيم كان تارخ وكان
آزر عما له والعم قد يطلق عليه اسم الاب بدليل قوله نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق ومعلوم ان
اسمعيل كان عما ليعقوب ومما يدل على صحة ظاهر الاية ان اليهود والنصارى والمشركين كانوا حراصا على تكذيب الرسول

واظهار بغضه فلو كان النسب كذبا لامتنع في العادة سكوتهم عن تكذيبه وحيث لم يكذبوه علمنا ان النسب
صحيح قالت المعتزلة ومن يجري مجراهم ان احدا من اباء الرسول صلعم ما كان كافرا ومنها قوله وتقلبك في الساجدين
بانتقاله من ساجد الى ساجد فاكده بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لم ازل انتقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات
وان آزر كان عم ابراهيم ومكان والده لان ابراهيم شافهه بالغلظة والجفا في قوله اني اريك وقومك في ضلال مبين
وقد قال تعالى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما ولانه ناداه باسمه في قراءة من قرا آزر بالضم والنداء بالاسم دليل الاستخفاف
ولهذا لم يقرا بالضم في قوله وقال موسى لاخيه هارون اخلفني واجيب بان قوله وتقلبك في الساجدين يحتمل وجوها
اخر سوف يجي ذكرها وبان قوله لم ازل انتقل محمول على انه لم يقع في نسبته ما كان سفاحا والتغليظ ابراهيم انما كان لاجل اصراره
على الكفر كما قال فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه لا لاجل السفه والجفا لقوله ان ابراهيم لحليم اواه منيب ثم ان ابراهيم
على فساد اعتقاد عبدة الاصنام بقوله منكرا على آزر وقومه اتتخذ اصناما الهة اي معبودين وذلك ان الاصنام
لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافيا فدل ذلك على عجزها وان كثرت احتج بعضهم بالاية على
وجوب معرفة الله تعالى وعلى ان وجوب الاشتغال بشكره معلوم بالعقل لا بالسمع لان ابراهيم حكم عليهم بالضلال
من حيث النظر والاستدلال واجيب بانه لعله عرف ضلالهم بحكم شرع الانبياء المتقدمين عليه اي مثل ما اريناه من
قبح عبادة الاصنام والاشتغال بغير الله نريه ملكوت السموات والارض والنكتة فيه ان التخلي عن غير الله يوجب
رفع الحجاب وبقدر ذلك يكون حصول التخلي والتحلي بالله وانما لم يقل اريناه بلفظ الماضي لانه اراد الحكاية كانه قيل كيف
بلغ ابراهيم هذا المبلغ في قوة الدين والذب عنه فاجيب انا كنا نريه الملكوت وقتا فوقتا لاجل ان يصير من الموقنين
زمان بلوغه الى المقصود وبيان ارتقائه في معارج الكمال وازدياده في ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فان مخلوقات الله
تعالى وان كانت متناهية في الذات وفي الصفات الا ان جهات دلالاتها على ذاته وصفاته سبحانه غير متناهية
كما قال امام الحرمين معلومات الله غير متناهية كما قال فان الجوهر الفرد يمكن وقوعه في احياز لا نهاية لها على البدل
فكل تلك الاحوال التقديرية معلوم الله تعالى وكل تلك الاحوال دال على حكم الله تعالى وعظمته وقدرته واذا كان الجوهر الفرد
كذلك فكيف كل الملكوت ولهذا قيل السفر الى الله تعالى له نهاية فاما السفر في الله سبحانه فانه بلا نهاية والملكوت
هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة قال بعضهم انه سبحانه اراه الملكوت بالعين قالوا
شق له السموات حتى راى العرش والكرسي الى منتهى الاجرام العلوية وشق له الارض الى ما تحت الثرى فراى ما فيها
من البدايع والعجايب عن ابن عباس انه لما اسري بابراهيم الى السما واري ما فيها وما في الارض من العجايب راى عبدا
على فاحشة فدعا عليه وعلى اخر بالهلاك فقال الله تعالى كف عن عبادي فهم بين حلال وحرام اما ان اجعل منهم
ذرية طيبة او يتوبون فاغفر لهم او النار من ورائهم وقال اخرون ان هذه الاراءة كانت بعين البصيرة لان ملك السموات
والارض لا يرى وانما يعرف بالعقل ولو اريد نفس السموات والارض صار لفظ الملكوت ضايعا وايضا قوله فلما جن عليه
الليل جار مجرى الشرح والتفسير لتلك الاراءة فثبت انه استدل بتغير الاجرام وامكانها وحدوثها على وجود
الاله الواجب الحكيم ثم قال بالاخرة وتلك حجتنا والرؤية بالعين لا تكون حجة على قومه وايضا الاراءة بالعين تفيد
العلم الضروري بالاله القادر ومثل هذه المعرفة لا توجب المدح والثواب كما للكفار في الاخرة وايضا اليقين عبارة
عن تحصيل علم بالعاقل اذا كان مسبوقا بالشك فالمراد نري ابراهيم ليستدل بها وليكون من الموقنين نريه او فعلنا ذلك وذلك
ان الاراءة قد تكون سببا بالجحود لا الايقان كما في حق فرعون ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى وايضا الانسان
لا يمكنه ان يرى بالعين اشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال وبتقدير الامكان لا يكون لها دوام وبقاء وبتقدير
البقاء يكون للترائي عن الله اما اذا نظر بعين البصيرة في المخلوقات وعرف حدوثها وامكانها وعرف حدوثها وعرفانها
وعرف ان كل ممكن محتاج الى الصانع الحق الواجب فكانه بهاتين المقدمتين قد طالع صحيفة الملكوت بعين عقله
وسمع باذن قلبه شهادتها دائما بالانقياد لله وهذه الرؤية باقية غير زايلة ولا شاغلة عن الله بل هي شاغلة للقلب بالروح
بالله وهذه الرؤية باقية غير زايلة ولا شاغلة للقلب فالروح بالله وهذه الرؤية وان كانت حاصلة لجميع الموحدين لقوله
سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الا ان الاطلاع على تفاصيل اثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقاته تحقق للعا

ثلث ع

بحسب

بحسب اجناسها وانواعها واصنافها واشخاصها وعوارضها ولواحقها كما هي لا يحصل الا لاكابر الانبياء ولهذا قال صلعم في دعايه
ارني الاشيا كما هي ثم ان الانسان في اول استدلاله لا ينفك قلبه عن اختلاج شبهة فيه فاذا كثرت الدلايل وتوافقت
وتطابقت كان لكل واحد منها نوع تاثير وقوة ويكون جاريا مجرى تكثر المدرس الواحد وازدياد النفس بكل منها نورا
واشراقا وانبساطا الى ان يحصل الجزم ويكمل الايمان ويطلع شمس العلم والعرفان الى حيث انتهى لها من الارتقاء والتصاعد
وذلك قوله فلما جن عليه الليل قال في الكشاف انه معطوف على قوله واذ قال ابراهيم وقوله وكذلك نري ابراهيم
جملة وقعت اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه يقال جن عليه الليل ما جنه الليل والتركيب يدور على الستر منه الجنة
والجن والمجنون والجنين وقيل جن عليه الليل اي اظلم عليه ولاجل هذا التضمين عدي بعلى واما اجنه فمعناه ستره من
غير تضمين معنى الظلم واعلم ان كثيرا من المفسرين ذكروا ان ملك هذا الزمان راى رويا وعبرها المعبرون بانه يولد غلام
ينازعه في ملكه فامر بذبح كل غلام يولد فحملت ام ابراهيم عليه السلام وما اظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت
الى كهف في جبل ووضعت ابراهيم وسدت الباب بالحجر فجاء جبريل فوضع اصبعه في فيه فمصه فخرج منه رزقه
وكان يتعهده جبرايل عليه السلام وكانت امه تاتيه احيانا وترضعه وبقي في الغار حتى كبر وعرف ان له ربا فسال الام
فقال لها من ربي فقالت انا فقال من ربك فقالت ابوك فقال للاب من ربك فقال ملك البلد فعرف ابراهيم جهلهما بربهما
فنظر من باب ذلك الغار ليرى ما يستدل به على وجود الرب سبحانه فراى النجم الذي كان اضوا النجوم في السما فقال هذا
ربي الى اخر القصة ثم منهم من قال كان هذا بعد البلوغ واوان التكليف ومنهم من قال كان هذا قبل البلوغ واوان التكليف واكثر
المحققين على فساد هذا القول لوجوه منها ان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر لا يجوز على الانبيا بالاتفاق ومنها ان
ابراهيم كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة لان الله تعالى اخبر عنه انه دعا اباه الى التوحيد بالرفق مرارا بقوله يا ابت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر الايات وفي هذا الموضع دعا اباه الى التوحيد بالكلام الخشن والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة
والغلظة ومنها ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه ملكوت السموات والارض بدليل فاء التعقيب في قوله فلما جن ومنها انه
تعالى وصفه بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم ومدحه بقوله ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي من اول زمان الفطرة ومنها
قوله عقيب هذه القصة وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على نفسه ومنها انه قال بعد القصة يا قوم اني
بري مما تشركون مع انه ما كان في الغار لا قوم ولا صنم ومنها قوله وحاجه قومه وفيه دليل على انه انما اشتغل بالنظر في
الكواكب بعد ان خالط قومه وراهم يعبدون الاصنام ويدعونه الى عبادتها فقال لا احب الافلين ردا عليهم وتنبيها على
فساد قولهم ويؤكده قوله وكيف اخاف ما اشركتم لانه يدل على انهم كانوا قد خوفوه بالاصنام كما في قصة هود ان نقول الا اعتراك
بعض الهتنا بسوء ومنها ان تلك الليلة كانت مسبوقة بالنهار وكان ينبغي ان يستدل اولا بغروب الشمس على عدم
الهيتها ثم يبطل الهية القمر وساير الكواكب بالطريق الاولى ولما لم يكن كذلك علمنا ان المقصود الزام الخصوم وانما
والابتداء بافول الكواكب لانه اتفقت مكالمته مع القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتدت المناظرة الى ان طلعت الشمس ثم
غربت ايضا لان الاولى ان يقال ان هذا كلام ابراهيم بعد البلوغ ولكنه ذكره بالمعظم حتى يرجع اليه فيبطله مثاله ان يقول
في مناظرة من يزعم قدم الجسم الجسم قديم فاذا كان كذلك فلم نشاهده ونراه متركبا متغيرا فقولك الجسم قديم اعادة
لكلام الخصم لالزام الحجة عليه والمراد هذا ربي في زعمكم واعتقادكم كقول الموحد للمجسم الاله جسم محدود اي في زعمه
واعتقاده قال تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركاي وقال ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك وقال صلعم
يقول يا اله الالهة في زعمهم اما المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار الا انه اسقط حرف الاستفهام لدلالة الكلام
اذا اضمر القول اي يقولون هذا ربي واضمار القول كثير واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان
ربنا والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا او ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء
وانه عليه السلام قد عرف من تقليدهم لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلايل انه لو صرح بالدعوة لم يقبلوها ولم
فمال الى الاستدراج وذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم مع ان ابراهيم كان مطمينا بالايمان فكان بمنزلة المكره على
كلمة الكفر حيث لم يجد الى الدعوة التي امر بها طريقا سوى ذلك فاذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة تعود الى شخص
واحد كقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان فلان يجوز ذكرها لتخليص جم غفير من الكفر والعقاب الابدي كان اولى

قالت العلماء ان المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى قتل استحق الاجر ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم انه لو اشتغل بالصلوة
انهزم عسكر الاسلام فههنا يجب عليه ترك الصلاة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال اثم وان من كان في الصلوة
فرأى طفلا او اعمى اشرف على غرق او حرق وجب عليه قطع الصلاة لانقاذهما ومثل هذه الواقعة قوله فنظر نظرة في
النجوم فقال اني سقيم وذلك انهم يستدلون بعلم النجوم على الحوادث المستقبلة فوافقهم ابراهيم على هذا الطريق في الظاهر
مع انه كان بريئا عنه في الباطن ليتوصل بذلك الى كسر الاصنام قال المتكلمون انه يصح من الله تعالى اظهار خوارق العادات على
من يدعي الالهية لان صورة هذا المدعي وشكله يدل على كذبه فلا يرجح التلبيس ولكنه لا يجوز اظهارها على من يدعي النبوة
كاذبا لان التلبيس يرجح حينئذ فكذا ههنا قوله هذا ربي لا يوجب الضلال لان دلائل بطلانه جلية وفي ذلك استدراج لهم
لقبول الدليل فكان جائزا الاحتمال الثاني انه ذكر ذلك قبل البلوغ فلعله خطر بباله لشدة ذكائه قبل بلوغه في اثناء هذا الفكر
فقال عند افول الشمس اني بريء مما تشركون واعلم ان القصة التي ذكرناها من ان ابراهيم عليه السلام ولد في الغار
وترك فيه وكان جبريل يربيه محتملة في الجملة لان الارهاص وهو تقدم المعجز على وقت الدعوى جائز عندنا ولم يجوزه
القاضي الا اذا حضر في ذلك الزمان رسول من الله تعالى فيكون تلك الخوارق معجزة لذلك الرسول قال في الكشاف فان
قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب
وانما قال الاحتجاج بالبزوغ في الاية لا يصح لانه تعالى بين انه نظر الى الكوكب وقت كونه طالعا لاجيا بزوغه لئلا يلزم مشاهدة
النقض والانتقال وكذا القمر والى الشمس ولعله انما تعرض اي الشمس بزوغ بل بانه طالعا ولو سلم فان احسن الكلام ما يحصل الیہ
فيه حصة الخواص والاوساط والعوام والخواص يفهمون من الافول مطلق الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج
الى القديم واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب فكل كوكب يغرب فانه يزول نوره ويذهب سلطانه
ويصير كالمعزول ومن كان كذلك فانه لا يصلح للالهية اقصى ما في الباب ان يقال ان لها تاثيرات في احوال العالم السفلي
ولكن تلك التاثيرات لم لم تكن لها بد انها لتم استناد الكل الى الواجب سبحانه وهو الاله الاعظم القادر على خلق
السموات والنجوم النيرات فيجب ان يكون قادرا على خلق البشر وعلى تدبير السفليات بالطريق الاولى فلا يلزم من وضع
الواسطة نفي المبداء بحال ويعلم من قوله لا احب الافلين انه تعالى ليس بجسم ما لا كان غائبا عنا فكان افلا وانه لا يصح
عليه المجي والذهاب والنزول والصعود ولا الصفات المحدثة وفيه ان معارف الانبياء استدلالية لا ضرورية وانه لا سبيل
الى معرفة تعالى الا النظر والاستدلال اما قوله فلما راى القمر بازغا يقال بزغ القمر او الشمس اذا ابتدا بالطلوع واصل
البزوغ الشق كانه يبزغ بشق الظلمة شقا فانه الا ارى هذي وفي قوله انه لم يهدني ربي اشارة الى ان الهداية ليست الا
من الله عز وجل والمعتزلة حملوها على التمكين واراحة الاعذار ونصب الدلائل ومنه تعارفه لذلك كان حاصلا
فالهداية التي كان يطلبها بعد ذلك لابد ان يكون زائدا عليها فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي اراد هذا
الطالع او هذا المرئي او ذكر بتأويل الضياء والنور او باعتبار الخبر وهو الرب مع رعاية الادب وهو ترك التانيث
عند اللفظ الدال على الربوبية كما لم يقولوا في صفة الله علامة وان كانت تأويل مبالغة هذا اكبر اي اكبر الكواكب جرما
ونورا فقد برهن في الهيئة على انها مائة ونيف وستون مثلا لكرة الارض وانما لم يقتصر على ذكر الشمس اولا
مع انه يلزم منه علم ربوبية ما دونها من القمر والكوكب لانه اراد الاخذ من الادون الى الاعلى لمزيد التقرير
والتصوير يا قوم اني بريء مما تشركون فيه لا يلزم من نفي ربوبية النجوم نفي الشريك مطلقا والجواب
ان القوم لم يدعوه الا في الصور المذكورة فلما اثبت انها ليست اربابا ثبت بالاتفاق نفي الشركاء على الاطلاق
ومعنى وجهت وجهي للذي وجهت عبادتي لاجله فان من كان مطيعا لغيره منقادا لامره فانه يتوجه وجهه اليه
فجعل توجيه الوجه اليه كناية عن الطاعة واصل الفطر الشق يقال تفطر الشجر بالورق والورد اذا ظهرها والحنيف
المائل عن كل معبود سوى الله تعالى قال ابو العالية الذي يستقبل البيت في صلوته ثم ان قومه حاجوه متمسكين بالتقليد
تارة كقولهم انا وجدنا اباءنا على امة كقول لهم للرسول صلى الله عليه وسلم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء
عجاب وتخويفه اياهم بالاصنام اخرى فاجابهم بقوله اتحاجوني في الله وقد هدان اي لما ثبت بالدليل الموجب
للهداية صحة قولي فكيف التفت الى حجتكم الواهية ولا اخاف ما تشركون به لان الخوف انما يحصل ممن يقدر على النفع

والنظر

والمعنى لا ان يشاء الا وقت مشية ربي شيئا يجوز ان يحذف المضاف اي الا ان اذنبت فيشاء انزال العقوبة بي او
الا ان يريد ابتلائي بمحنة او الا ان يمكن بعض تلك الاصنام من ضري مثل ان يرجمني بكوكب او كان فيقع
فيصيبني مكروه من جهتها باذن الله تعالى وفائدة الاستثناء انه لو حدث به شيء من المكاره في الايام
المستقبلة لم يحمله الحمقى والجهلة على قدرة الاصنام وسع ربي كل شيء علما فلا يفعل الا الخير والصلاح افلا
تتذكرون ان نفي الانداد عن رب الارباب لا يوجب حلول العقاب ونزول العذاب وان الضعيف لا يساوي والفاسد
والعاجز لا يساوي القادر ثم اكد ذلك بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل
به سلطانا اذ لا سلطان فيترك وقيل انه لا يمنع عقلا ان يؤمر باتخاذ تلك التماثيل والصور قبلة للصلوة والدعاء ولكنه
لم يؤمر به والمعنى ما لكم تنكرون على الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ثم قال
فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه والغرض
احق بالامن ان كنتم تعلمون ثم استانف الجواب عن السؤال بقوله الذين امنوا الاية والمعنى ان الذين حصل
لهم الامن المطلق هم المستجمعون لكمال القوة النظرية وتسميه الايمان ولكمال قوة العملية وهو وضع الاشياء في مواضعها
واليه الاشارة بقوله ولم يلبسوا اي لم يخلطوا ايمانهم بظلم قالت الاشاعرة شرط في الايمان الموجب للامن عدم الظلم
ولو كان ترك الظلم داخلا في الايمان لم يكن لهذا التقييد فائدة فثبت ان الفاسق مؤمن وقالت المعتزلة شرط في
حصول الامن حصول الامرين الايمان وعدم الظلم فوجب ان لا يحصل الامن للفاسق وذلك يوجب حصول له الوعيد ابدا
واجيب ان الظلم ههنا الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم واجتماعه مع الاقرار بالصانع ممكن وحينئذ يصح اطلاق
الجنس يعني الخلط ويكون المراد الذين امنوا بالله ولم يثبتوا له شريكا في العبودية ويؤيده ان القصة وردت في نفي الاضداد
والانداد وايضا لا يلزم من عدم الامن المطلق حصول القطع بالعذاب الابدي واعلم ان المحاجة في الله تارة تكون
موجبة للذم والانكار كمحاجة قوم ابراهيم وتارة تكون موجبة للمدح وذلك اذا كان الغرض تقرير الدين الحق والمذهب
الصدق كمحاجة ابراهيم من قوله فلما جن عليه الليل الى ههنا واليها الاشارة بقوله وتلك حجتنا اتيناها ارشدناه
اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء من قرأ بالاضافة فظاهر لان رفع يتعدى الى واحد ومن قرأ بالتنوين فيكون
كقوله ورفع بعضهم درجات وقد مر في البقرة واختلف في تلك الدرجات فقيل اعمال في الاخرة وقيل تلك الحجج
درجات رفيعة لانها تقتضي ارتفاع الروح من حضيض العالم الجسماني الى اعلى العالم الروحاني وقيل يرفع من يشاء
في الدنيا بالنبوة والحكمة وفي الاخرة بالجنة والثواب او يرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم يرفع الدرجات
بمقتضى الحكمة والعلم لا بموجب التشهي والجزاف التاويل راي ابراهيم ملكوت الاشياء بواطنها ليكون من الموقنين
عند كشفها كما كانا موقنا عند كشف الضلال المودع في ازر وقومه فلما جن عليه ظلمة ليل البشرية استتر سحاب العناية
غيث الهداية على ارض قلبه فانبتت بذر الخلة المودعة في ملكوت قلبه فراى نور الرشد في صورة الكوكب طالعا في
من افق السماء روحانيته فقال هذا ربي اشار به سنو الكوكب لا الكوكب وانه لم يشعر به نفسه كما قيل فهو كي ما ادري
ولم يعلم به بدني فالجسم في غربة والروح في وطن فان كذبت الشمس فيما قالت للكوكب هذا ربي ما كذب الفؤاد ما راى
من الكوكب فقال هذا ربي فلما احتجب كوكب نور الرشد بغلبات صفات الخلقية عند رجوعه الى اوصافه وانحجب كوكب
السماء بالغروب فان سره لا احب الافلين فلما اتسع انفتاح روزنة القلب الى الملكوت بقدر النور تجلى له قمر الربوبية
في مرآة القلب قال هذا ربي فلما افل عند رجوعه الى اوصافه ازداد الشوق قال لئن لم يهدني ربي بحجب الاوصاف
ويبقيني على وجود الخلقية لاكونن من القوم الضالين عن الحق كما ترى وقومه فلما انخرقت حجب الاوصاف وخرجت
شمس الهداية من غيم البشرية واشرقت ارض القلب بنور ربها قال هذا ربي فلما افلت شمس الهداية بعد ما ادركها
ليعرف ابراهيم عن نكتة الانانية ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب ثم تبرأ عن الاضداد والانداد
ونزعته همة الخلة عن الجهات وخلصته تجلي صفة الجمال عن شبكة الوهم والخيال فقال يا قوم اني بريء مما تشركون
وتحقيق ذلك في الخلد ان ابراهيم عليه السلام حين علته ظلمة الشبهة نظر اولا في عالم الاجسام فوجدها افلة في افق الغ
فلم يرها تصلح للالهية فارتقى منها الى عالم النفوس المدبرة للاجسام فرآها افلة في افق الاستكمال فكان حكمها حكم ما دونها

فصعد منها الى عالم العقول المجردة فصادفها افلة فى افق الامكان فلم يبق الا الواجب الحسى ومن الناس من حمل الكوكب على الحس والقمر على الخيال والشمس على الوهم والعقل ومراده ان هذه القوى المدركة الثلثة ناقصة متناهية القوة ومدبر العالم قاهر لها مستولى عليها وحاجه قومه ليبطلوا سوى شبهتهم على شموس عرفانه وقد هدان اليه بالبيان بعد توانى البرهان الا ان يشاء ربى شيئا من الخذلان وهذا محال لانه وسع ربى كل شئ علما فهو اعلم باهل العرفان وباصحاب الخذلان ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك الا التفات الى غيره من الاكوان حتى قال لجبرائيل اما اليك فلا وتلك يعنى اراءة الكل وشواهد الربوبية فى هواة الكواكب وصدق التوحيد الى الحق والتبرى عما سواه والخلاص عن شرك الانانية والايمان الحقيقى بالعيان حتى ارتقى من الافعال الى الصفات ثم الى الذات اتيناها ابراهيم بذاتنا من غير واسطة حتى جعلها حجة على قومه نرفع درجات من نشاء بجذبات الالوهية عن حضيض الانانية والله اعلم بالصواب ٥

ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين ٥ وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين ٥ واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ٥ ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ٥ ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ٥ اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ٥ اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده قل لا اسئلكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ٥

القراءة ٥ واليسع بتشديد اللام حمزة وعلى وخلف الباقون بالتخفيف اقتدى باشباع الهاء ابن عامر الحلوانى عن هشام مختلسة ويحذفون الهاء فى الوصل سهل ويعقوب وحمزة وعلى وخلف الباقون بسكون هاء السكت على الاصل **الوقوف** ويعقوب كلا هدينا لان ونوحا مفعول ما بعده ولو وصل التبس لانه مفعول ما قبله مع اتفاق الجملتين وهرون المحسنين للعطف والياس من الصالحين للعطف ولوطا العالمين للعطف واخوانهم لبيان ان قوله واجتبينا يعود الى قوله كلا هدينا كقوله ومن هدينا واجتبينا ولاحتمال الواو الحال اى وقد اجتبيناهم وذكر هديناهم بعده مستقيم من عباده يعملون والنبوة بكافرين اقتده اجرا للعالمين **التفسير** لما ذكر حجة ابراهيم صلوات الرحمن عليه فى التوحيد والذب عن الدين الحنيفى عدد وجوه نعمه واحسانه عليه بعد نعمة ايتاء الحجة ورفع الدرجة فقال ووهبنا باللفظ الدال على العظمة كما تقوله عظماء الملوك ليدل بذلك على عظم العطية وذلك انه جعل اشرف الناس وهم الانبياء والرسل من نسله وعقبه قيل وانما لم يذكر اسمعيل مع اسحق وان كان هو ايضا ابنه لصلبه لان المقصود بالذكر ههنا انبياء بنى اسرائيل وهم باسرهم اولاد اسحق ويعقوب واما اسمعيل فانه ما خرج من صلبه احد من الانبيا الا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذكر محمد فى هذا المقام لانه امر محمدا ان يحتج على العرب بان ابراهيم لما ترك الشرك واصر على التوحيد رزقه الله بالنعم الجسام فى الدين والدنيا ومن جملة ذلك ان اتاه اولادا كانوا ملوكا وانبياء فاذا كان

المبلغ بهذه الحجة هو محمدا صلى الله عليه وسلم امتنع ان يذكر نفسه فى هذا المعرض فلهذا السبب لم يذكر اسمعيل مع اسحق اما قوله ونوحا هدينا من قبل فالمقصود منه بيان كرامة ابراهيم بحسب الاباء ايضا مثل نوح وادريس وشيث عليهم السلام واما الضمير فى قوله ومن ذريته فقد قيل انه يعود الى نوح لانه اقرب ولان الله تعالى ذكر فى جملتهم لوطا وهو كان ابن اخى ابراهيم وما كان من ذريته بل كان من ذرية نوح لان ولد الانسان لا يقال انه ذريته فعلى هذا اسمعيل عليه السلام ما كان من ذرية ابراهيم وكان من ذرية نوح ولان يونس عليه السلام لم يكن من ذرية ابراهيم على قول بعضهم وقيل الضمير عائد الى ابراهيم لانه هو المقصود بالذكر فى هذا المقام واعلم ان الله تعالى ذكر ههنا من الانبيا منهم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ثم ذكر من ذريتهم اربعة عشر نبيا داود وسليمن وايوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوط فالمجموع ثمانية عشر وانه لم يراع الترتيب بينهم فى الابوة ولا بحسب الفضل والشرف ولا بحسب الزمان والمدة فاستدل العلما بذلك على ان الواو لا يفيد الترتيب وقال فى التفسير الكبير ان وجه الترتيب انه تعالى خص كل طايفة من طوايف الانبيا بنوع من الكرامة فمن المراتب المعتبرة عند الجمهور الملك والسلطنة وقد اعطى داود وسليمان من ذلك نصيبا عظيما والرتبة الثانية البلاء والمحنة وقد خص ايوب بذلك والثالث استجماع الحالتين وذلك فى حق يوسف فانه ابتلى اولا ثم اوتى الملك ثانيا الرابعة قوة المعجزات وكثرة البراهين والبينات وذلك حال موسى وهرون الخامسة الزهد الكامل كما فى حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا وصفهم بانهم من الصالحين السادسة الانبيا الذين ليس لهم فى الخلق اتباع ولا اشياع وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط وما المراد بقوله كلا هدينا ونوحا هدينا قيل المراد الهداية الى طريق الجنة بدليل قوله وكذلك نجزى المحسنين فان جزاء المحسن على احسانه لا يكون الا الثواب وقيل لا يبعد ان يقال المراد الهداية الى الدين والمعرفة لانهم اجتهدوا فى طلب الحق فجازاهم الله بالوصال والوصول كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل انها الارشاد الى النبوة والرسالة لان الهداية المخصوصة بالانبيا ليست الا ذلك وهذا انما يصح عند من جوز ان يكون الرسالة جزاء على عمل ما استدل بعضهم بقوله وكلا فضلنا على العالمين على ان الانبيا افضل من الملائكة وذلك ان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملائكة وكذا الاولياء وقيل فضلناهم على عالمى زمانهم فلا يتم الاستدلال قال القاضى ويمكن ان يقال المراد فكل من الانبيا يفضلون على كل من سواهم من العالمين ثم الكلام فى ان اى الانبيا افضل من بعض كلام آخر لا تعلق له بالاول ثم قال ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم وانه معطوف على كلا اى فضلنا بعض ابائهم فالاباء هم الاصول والذريات هم الفروع والاخوان فروع الاصول وفيه دليل على انه تعالى خص كل من تعلق بهؤلاء بنوع من الشرف والكرامة ثم ان قلنا المراد من الهداية الهداية الى الثواب والجنة فقوله من ابائهم وكلمة من للتبعيض تدل على انه قد كان فى اباء هؤلاء الانبيا من كان غير مؤمن ولا واصل الى الجنة وان فسرنا الهداية بالنبوة لم يفد ذلك الا انه يفيد انه لا يكون المراد رسولا ولا نبيا واجتبيناهم اى اصطفيناهم من جبيت الماء فى الحوض اى جمعته ذلك هدى الله اشارة الى معرفة التوحيد والتنزيه بدليل قوله ولو اشركوا لحبط وفيه دليل على ان الهداية من الله وليس للعبد فيها اختيار وفيه تهديد عظيم لئن اشركت ليحبطن عملك والغرض من ذلك زجر الامة اولئك يعنى الانبياء الثمانية عشر الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة لا بد حكما لعطف من تغاير الامور الثلثة ووجهه بان الحكام على الخلق ثلث طوايف الحكام على بواطن الناس وهم العلماء والحكام على ظواهر الخلق وهم السلاطين والجامعون بين الامرين وهم الانبيا فالامور الثلثة اشارة الى هذه الاصناف الثلثة ومعنى ايتاء الكتاب الفهم التام بما فى الجنس والعلم والمحيط بحقائقه واسراره ولو قيل المراد بالايتاء الابتداء بالوحى والتنزيل كصحف ابراهيم وتورية موسى وانجيل عيسى لم يشمل كل المذكورين لانه تعالى ما انزل على كل واحد منهم كتابا على التعيين فان يكفر بها اى بالامور الثلثة او بالنبوة هؤلاء يعنى اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم بتعهده ويحافظ عليه ومن القوم قيل كل مؤمن وقيل اهل المدينة وهم الانصار وقيل هم والمهاجرون وقال الحسن هم الانبيا الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج لقوله عقيب ذلك اولئك الذين

هدي الله وقال ابو حيان يعني الملائكة وضعف بان اسم القوم قلما يقع على غير بني ادم وفي الاية دلالة على انه تعالى
سينصر نبيه ويظهر دين الاسلام على كل الاديان وقد وقع ما وعد وكان اخبارا بالغيب فهو من اعجاز القران وفيها استدلال
للاشاعرة على انه تعالى خلق قوما للايمان ولو كان خلق الكل للايمان والبيان والتمكين وفعل الالطاف مشترك بين الكل
لم يصح هذا التخصيص اجاب الكعبي بانه زاد المومنين من الالطاف ما لا يحصيه الا الله وبتقدير ان يسوي فاذا لم
ينتفع به الكافر صح بحسب الظاهر ان يقال انه لم يحصل له تلك الالطاف ورد بان الالطاف الداعية الى الايمان مشتركة
فيها بين الكافر والمومن وبان الوالد لو سوى بين الولدين في العطية ثم ان احدهما ضيع نصيبه فاي عاقل يجوز
ان يقول اعطاه الاب ما انعم عليه وما اعطاه شيئا فبهداهم اقتده من حذف الهاء في الوصل فعلى الاصل ومن اثبتها
في الوصل كما في الوقف اراد موافقة المصحف فان الهاء ثابتة في الخط فكره مخالفة الخط في الحالين واما قراءة ابن
عامر فقال ابو بكر ابن مجاهد انها غلط وقال ابو علي الفارسي ليست بغلط ووجهها ان يجعل الهاء كناية عن المصدر
الدال عليه الفعل والتقدير فبهداهم اقتد الاقتداء وتقديم المفعول للاختصاص اي لا تقتد الا بهم ولا خلاف في انه
امر محمد صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بالانبياء المذكورين انما الكلام في تفسير الهدى فمن الناس من قال المراد الذي
اجمعوا عليه وهو القول بالتوحيد والتنزيه عن كل ما لا يليق به في الذات والصفات والافعال وقال اخرون الاقتداء
بهم في شرايعهم الا ما خصه الدليل وعلى هذا فيلزمنا ما شرع من قبلنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل على الكل الا ما خصه
الدليل المنفصل قال القاضي هذا بعيد لان شرايعهم مختلفة متناقضة ولا يمكن الاتيان بالامور المتناقضة معا
ولان الهدى عبارة عن الدليل دون نفس العمل ودليل ثبات شرعهم كان مخصوصا بتلك الاوقات ولان منصبهم
يلزم ان يكون اجل من منصبه لانه امر باستجماع خصال الكمال وصفات الشرف التي كانت متفرقة فيهم كالشكر
في داود وسليمان والصبر في ايوب والزهد في زكريا ويحيى وعيسى والصدق في اسمعيل والتضرع في يونس والمعجزات
الباهرة في موسى وهرون ولهذا قال لو كان موسى حيا لم يسعه الا اتباعي ولما امره بالاقتداء بالانبياء فكان من جملة
هداهم ان لا يطلبوا الاجر في المال والجعل في ايصال الدين وابلاغ الشريعة قيل له قل لا اسالكم عليه اجرا ايها الامة
عليه على البلاغ اجرا ان هو يعني القران الا ذكرى للعالمين يريد كونه مشتملا على كل ما يحتاجون اليه في المعاش
والمعاد وفيه دليل على انه صلعم كان مبعوثا الى الناس كافة لا الى قوم دون قوم **التاويل** وما رفعنا به درجات
ابراهيم انا وهبنا له اسحق ويعقوب ولعله انما ذكر اسمعيل لكان محمد صلعم واجتبيناهم في الازل لهذا الشان وهديناهم
الى الابد لو اشركوا بان لاحظوا غيرنا فاثبتوا شيئا من دوننا ونسبوا شيئا من الحوادث الى غير قدرتنا او لم يبدلوا انانيتهم
في هويتنا لحبط عنهم لتلاشي عرفانهم وتلف ما سلف من احسانهم فبهداهم اقتده لانهم سلكوا حتى انتهى سير
كل منهم الى ما قدر له ادم في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة
وهرون في الخامسة وموسى في السادسة وابراهيم في السابعة وجميع الملائكة المقربين الى سدرة المنتهى
وانت يا محمد الى مقام قاب قوسين او ادنى قل لا اسالكم ايها الانبياء عليه على الاقتداء اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ليعلموا ان الطريق
الى الله لا يسالك الا بالاقتداء ولا اسالكم ايها الامة على دعوتكم الى الحق اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين يبين الله به المنهج

وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها
وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون ۝ وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام
القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن
قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة
باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على
الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون ۝ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة
وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم
شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ۝ ان الله فالق الحب والنوى يخرج
الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون ۝ فالق الاصباح
وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ۝ وهو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون ۝
وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ۝
وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج
منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون
والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لايات لقوم
يؤمنون ۝ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون

القراءة يجعلون يبدونها ويخفون بياء الغيبة ابو عمرو وابن كثير الباقون على الخطاب ولتنذر ام
القرى بياء الغيبة ابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب بينكم بفتح النون نافع وابو جعفر وعلي وحفص والمفضل الباقون
بالرفع وجعل الليل على لفظ الماضي ونصب الليل عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون وجاعل الليل على لفظ اسم الفاعل
وبالاضافة وجنات بالرفع الاعشى والبرجمي الباقون بالنصب فمستقر بكسر القاف ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب
الباقون بالفتح ثمره بضمتين حمزة وعلي وخلف وكذلك في اخر السورة وينعه الباقون بفتحتين وخرقوا بالتشديد
ابو جعفر ونافع الباقون بالتخفيف **الوقوف** من شيء ط لمن قرا يجعلونه بياء الغيبة ومن قرا بالتاء فوقفه
جائز لانتهاء الاستفهام مع اتفاق الخطاب على تقدير وقد علمتم اباؤكم ط قل الله ط لان قوله ثم ذرهم معطوف على قل
يلعبون ومن حولها ط يحافظون انزل الله ط ايديهم ج لاتساق الكلام معنى مع تقدير حذف اي يقولون اخرجوا انفسكم
لان المراد من اليوم يوم القيامة تستكبرون ظهوركم ج لاتحاد القول والوقف اوضح لابتداء النفي وانقطاع النظم شركاء ط

تزعمون والنوى من الحب لن تفكرينا فالق الاصباح لمن قرأ وجعل لانقطاع النظم واتصال المعنى على تقدير فلق وجعل
او وقد جعل وعامل الحال في معنى الفعل في فالق وحسبانا العليم والبحر يعلمون ومستودع يفقهون ماء للعدول مع اتحاد
المقصود متراكبا لمن قرأ وجنات بالرفع بالعطف على قنوان لفظا مثل يعتبره وتفقه على دانية والا فليعطف ونفهم ان الجنات
من جملة النخل ومن خفض توقفه على متراكبا جاز بالعطف على قوله خضرا مع وقوع العارض غير متراكب متشابه
وينعه يؤمنون بغير علم يصفون **التفسير** اعلم ان مدار القرآن على اثبات التوحيد والنبوة والمعاد فبعد
ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك شرع في تقرير امر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس اي ما عظموا
الله حق تعظيمه حيث انكروا النبوة والرسالة وقال ايضا في رواية ما امنوا بان الله على كل شيء قدير وقال ابو
العالية ما وصفوه حق وصفه وقال الاخفش ما عرفوه حق معرفته اي في اللطف باوليائه او في القهر لاعدائه
وقال الجوهري قدر الشيء مبلغه وقدرت الشيء اقدره واقدره قدرا من التقدير اي حزرته وعرفت مقداره ثم بين
سبب عدم عرفانه بقوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء وانما كان منكر البعث والرسالة غير عارف بالله تعالى
لانه اما ان يدعي انه تعالى ما كلف احدا من الخلائق تكليفا اصلا وهو باطل لانه فتح باب المنكرات والقبائح
باسرها واما ان يسلم انه تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي ولكن لا على السنة الرسل وهذا ايضا جهل فان قيل
لم لا يجوز ان يكون العقل كافيا في ايجاب الواجبات وحظر المنكرات فالجواب هب ان الامر كذلك الا انه لا يمتنع
تاكيد التعريف العقلي بل يجب تفصيل ذلك المجمل بالتعريفات الشرعية على السنة الرسل لان اكثر العقول قاصرة
على ادراك مدارك الاحكام الشرعية كما ان نور البصر قاصر عن ادراك المبصرات الا اذا اعين بنور من خارج كنور الشمس
او السراج وايضا تفويض مصالح العباد الى مقتضى عقولهم يودي الى التنازع والتشاجر لتصادم الاهواء وتناقض
الاراء فلا بد من ان يتفقوا على واحد لا يصدرون عن رايه وتعيين ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح
واشراف على الضلال لاحتمال الخطا في اجتهادهم فلعل الخير في نظرهم يكون شرا في نفس الامر فلزم ان يكون
التعيين من الله تعالى لكونه اعرف بالبواطن كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وانما يعرف ذلك التعيين بظهور
المعجزة على وفق دعواه تصديقا بمقاله ومن انكر ذلك ولم يجوز خرق العادة فقد وصف الله بالعجز ونقصان القدرة وقد
طعن بعض الملحدة في الاية بان هؤلاء القائلين ان كانوا كفار قريش او البراهمة فهم ينكرون رسالة كل الانبياء كما ينكرون رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ابطال قولهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى على قوله تجعلونه قراطيس تبدونها
الخطاب انما يليق باليهود وان كانوا اهل الكتاب فهم لا يقولون ما انزل الله على بشر من شيء بل يعترفون بنزول التوراة
على موسى والانجيل على عيسى والاكثرون اتفقوا على ان السورة مكية وانها نزلت دفعة واحدة ومناظرات اليهود
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مدنية فكيف يمكن حمل الاية على تلك المناظرة والجواب انهم ان كانوا كفار قريش
فانهم كانوا مختلطين باليهود والنصارى وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل التواتر على ظهور المعجزات على يد موسى
كالعصا وفلق البحر واظلال الجبل وغيرها وكان من جارى بالمجرى يجلبهم الاعتراف بنبوة موسى وعلى هذا لا يبعد ايراد نبوة موسى
الزاما لهم في قولهم ما انزل الله على بشر من شيء ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى متشاركين في انكار محمد
صلى الله عليه وسلم لم يبعد ان يكون الكلام الواحد خطابا لكفار قريش اولا ولاهل الكتاب اخرا واما ان كانوا
اهل الكتاب فعلى المشهور عند الجمهور فالوجه ما روي عن ابن عباس ان مالك ابن الصيف من احبار اليهود ورؤ
سائهم وكان رجلا سمينا دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله انشدك بالذي انزل التوراة على
موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم
فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني
ثم ان اليهود لاجل هذا الكلام عزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف فلعل مالك بن الصيف تاذى من الكلام المذكور
طعن في نبوة الرسول فقال ما انزل عليه من شيء البتة فامروا ان يقولوا في جوابهم من انزل الكتاب الذي جاء به موسى
اي لما سلمت ان الله تعالى انزل الوحي والتنزيل على بشر وهو موسى فكيف يمكنك ان تقطع بانه ما انزل على بشر شيئا غاية
ما في الباب ان يطالب النبي بالمعجز والحاصل انهم قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار

به من انزال التوراة على موسى واندرج تحت الالزام توبيخهم بالتحريف وابداء بعض وقيل اللفظ وان كان مطلقا
بحسب اللغة الا انه مقيد بحسب العرف بتلك الواقعة فكانه قال ما انزل الله على بشر من شيء في انه يبغض الحبر السمين
وهذا كما اذا ارادت المراة ان تخرج من الدار فغضب الزوج وقال ان خرجت من الدار فانت طالق فان كثيرا من الفقهاء قالوا التعليق
مقيد بتلك المرة حتى لو خرجت مرة اخرى لم تطلق ويرد على هذا التوجيه ان قوله من انزل الكتاب الذي جاء به موسى
لا يكون مبطلا لكلام الخصم اما قوله ان السورة مكية والمناظرات مدنية فاجيب عنه بان السورة مكية الا هذه الاية
فانها نزلت بالمدينة في هذه الواقعة والله اعلم ومن الاحكام المستنبطة من الاية ان قوله وما قدروا الله حق قدره يفيد ان
عقول الخلق قاصرة عن كنه معرفة الله تعالى وان كانوا مقرين بالنبوة والرسالة لاطلاق قوله في موضع اخر وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته ومنها ان النكرة في سياق النفي تعم والا لم يكن قوله من انزل مبطلا لقوله ما انزل
الله على بشر من شيء ومنها ان النقض يقدح في صحة الكلام والا لم يكن في قوله من انزل حجة ويعلم منه ان قول من يقول
ابداء الفارق بين الصورتين يمنع من كون النقض مبطلا ضعيف والا لبطلت حجة الله تعالى في هذه الاية فان لليهودي
حينئذ ان يقول معجزات موسى كانت اظهر وابهر من معجزاتك فلا يلزم من تركك ومنها ان الغزالي رحمه الله تكلف رد الحاصل
الاية يرجع الى ان موسى انزل الله عليه شيئا واحد من البشر ما انزل الله عليه شيئا فينتج من الشكل الثاني ان
موسى ما كان من البشر وهذا خلف محال وليس هذه الاستحالة بحسب شكل القياس ولا بحسب صحة المقدمة الاولى فلم يبق
الا انه لزم من فرض صحة المقدمة الثانية وهي قولهم ما انزل الله على بشر من شيء فوجب القول بكونها كاذبة فثبت
ان دلالة هذه الاية على المطلوب انما يصح عند الاعتراف بصحة الشكل الثاني والاعتراف بصحة قياس الخلف ثم انه سبحانه
وصف كتاب موسى بكونه نورا وهدى للناس والعطف يقتضي المغايرة فالمراد بالنور ظهوره في نفسه وبالهدى
كونه سببا لظهور غيره كقوله في وصف القرآن ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا قال ابو علي الفارسي
يجعلونه قراطيس اي ذات قراطيس اي تودعونه اياها قيل اذا كان جميع الكتب كذلك فلم ذكر في معرض
الذم قلنا لانهم جعلوه قراطيس معرفة مبعضة ليتوصلوا بذلك الى ابداء بعض واخفاء بعض مما فيه نعت محمد صلعم
او شيء من الاحكام التي لا توافق هواهم كالرجم وغيره وعلمتم ايها اليهود على لسان محمد صلعم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل كانوا يقرؤن
الايات المشتملة على نعت محمد صلعم وما كانوا يفهمون معانيها الى ان بعث الله محمدا فظهر ان المراد منها هو البشارة بمقدمه
وقيل الخطاب لمن امن من قريش لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قل الله انزله فانهم لا يقدرون على ان يكابروا ذلك فان كقوله م
العقل السليم والطبع المستقيم يشهد بان الكتاب الموصوف المؤيد قول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله
سبحانه ونظيره قل اي شيء اكبر شهادة قل الله والمقصود انه بلغت هذه الدلائل الى حيث يجب على كل عاقل ان
يعترف بها فسواء اقر الخصم به او لم يقر فالغرض حاصل ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه
انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويحتمل ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة
له او لذرهم والمعنى انك اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فقد قضيت ما عليك
كقوله ان عليك الا البلاغ قيل انها منسوخة باية السيف وفيه نظر لانه مذكور لاجل التهديد فلم يكن نزول
اية القتال رافعا لشيء من مدلولات هذه الاية ثم لما ذكر حال التوراة اعقبه بذكر القرآن فقال وهذا كتاب انزلناه
وفائدة هذا الوصف انه كان من الممكن ان يظن ان محمدا مخصوص من الله بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب القرآن
على هذا النسق من الفصاحة فنفى ذلك الوهم وبين ان الله هو الذي تولى انزاله بالوحي على لسان جبريل عليه السلام
مبارك كثير خيره دائم نفعه باعث على الخيرات زاجر عن المنكرات لما فيه من العلوم النظرية والعملية وقد جرت سنة
الله تعالى بان الباحث عنه والمتمسك به يحرز بعزه في الدنيا وسعادة في الاخرة وقد جربت ذلك مصدق
الذي بين يديه اي بان الباحث عنه والمتمسك موافق لما قبله من الكتب الالهية اما في الاصول فلانه يمتنع وقوع
التفاوت فيه بحسب الازمنة والامكنة واما في الفروع فلانها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلعم ويحصل منه
ان التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت ظهوره ثم تصير منسوخة ولتنذر من قرأ بالخطاب فظاهر ومن

نا على الغيبة فلانه اسند الانذار الى الكتاب مجازاً لانه سبب الانذار انما انذركم بالوحي وهو معطوف على ما دل
عليه سائر الاوصاف كانه قيل انزلناه للبركة ولتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار قال ابن عباس سميت مكة ام القرى
لان الارضين دحيت من تحتها وقال ابو بكر الاصم لانها قبلة اهل الدنيا فصارت هي كالاصل وسائر البلاد تبعا وايضا
الناس يجتمعون اليها للحج والتجارة كما يجتمع الاولاد الى الام وقيل لان الكعبة اول بيت وضع للناس وقيل ان مكة اول بلدة
في الارض ولا بد من تقدير مضاف محذوف اي اهل ام القرى ومن حولها وقيل المراد اهل جزيرة العرب فاستدل اليهود
بذلك على انه مبعوث الى العرب فقط واجيب بان تخصيص هذه المواضع بالذكر لا يدل على نفي ما عداها لا سيما وقد ثبت
بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الى العالمين ويحتمل ان يقال ما حوالي مكة يتناول جميع البلاد والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به
اي بهذا الكتاب لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وليس لاحد من الانبياء مبالغة
في تقرير قاعدة البعث والقيمة مثل محمد وفيه ان كفار مكة يبعد فيه قبول هذا الدين لانهم كانوا لا يعتقدون
البعث والحشر وهم على صلاتهم يحافظون يعني ان الايمان بالاخرة كما انه يحمل المكلف على الايمان بالنبي وبالكتاب كذلك
يحمله على محافظة الصلوات وخص الصلوة بالذكر لانها عماد الدين وسنام الطاعات كان المحافظة عليها ان يأتي
باحوالها كلها ويجتنب المنكرات باسرها ثم ذكر ما يدل على وعيد من ادعى النبوة وانزال الكتاب عليه فرية
وامتراء فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المفسرون نزلت في الكذابين مسيلمة الحنفي والاسود العنسي
عن النبي صلعم رايت فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما
فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي اذ قال اوحي الي ولم
يوح اليه شيء كان مسيلمة يقول محمد رسول الله في بني قريش وانا رسول الله في بني حنيفة واعلم ان العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب فكل من ينسب الى الله تعالى ما هو بريء في الذات واما في الصفات واما في الافعال كان داخلا
تحت هذا الوعيد ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال المفسرون هو النضر بن الحرث كان يدعي معارضة القران وهو
قوله لو نشاء لقلنا مثل هذا وهو ايضا عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزل ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين املاه الرسول فلما وصل الى قوله انشاناه خلقا اخر عجب عبد الله من تفصيل
خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي صلعم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله فقال لئن كان محمد
صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله صلعم
مكة فر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه عنده حتى اطمان اهل مكة ثم اتى به رسول الله صلعم فاستامن له
ثم فصل ما اجمل من الوعيد فقال ولو ترى الاية وجوابه محذوف اي لرايت بالانسان امرا عظيما اذ الظالمون معنى الذين
ذكرهم من اليهود والمتنبئة فاللام للعهد ويحتمل ان يكون للجنس فيندرج هؤلاء فيه وغمرات الموت شدائده
وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم
قيل انه لا قدرة لهم على اخراج ارواحهم من اجسادهم فما الفائدة في هذا الخطاب واجيب بوجوه منها ان المراد
ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى غمرات الموت في الاخرة اذا دخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم
هناك من انواع الشدائد والتعذيبات والملائكة باسطوا ايديهم بالعذاب يبكتونهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم
من هذا العذاب الشديد ان قدرتم ومنها ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت عند نزول الموت بهم في الدنيا
والملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الافات
والالام ومنها هاتوا ارواحكم واخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد في ازهاق الروح
من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويقول اخرج
الي مالي عليك ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك ومنها انه ليس بامر وانما هو وعيد وتقريع كقول القائل امض
الان لترى ما يحل بك والتحقيق ان نفس المؤمن حال النزع تنبسط في الخروج الى لقاء ربه ونفس الكافر تكره ذلك وتشق
عليها الخروج وقطع التعلق لانها تصير الى اشد العذاب واليه الاشارة في الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه

الحيم

ومن

ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهؤلاء الكفار تكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى فراق المالوف وفي الاية دلالة
على ان النفس الانسانية شيء غير هذا الهيكل المحسوس لان المخرج يجب ان يكون مغايرا للمخرج منه اليوم يريدون
الاماتة والوقت الممتد الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيمة تجزون عذاب الهون كقولك رجل سوء بالاضافة
لان العذاب شرطه ان يكون مضرة مقرونة بالاهانة كما ان الثواب ان يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب يدل
على قلة المبالاة بالشيء ومنه الهون بالفتح السكينة والوقار وهان عليه الشيء اي خف واهانه استخف به والاسم الهون
بالضم والهوان والمهانة والحاصل انه جمع هو بين الامرين الايلام والاهانة بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته
تستكبرون يعني ان هذا العذاب الشديد انما حصل لمجموع الامرين الافتراء على الله والتكبر على ايات الله وهو عدم الايمان
بها قال الواحدي وكنتم عن اياته تستكبرون اي لا تصلون لقوله صلعم من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فقد برئ
من الكبر ولقد جئتمونا يحتمل ان يكون معطوفا على قول الملائكة اخرجوا انفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة اما الملائكة الموكلون
بقبض ارواحهم واما الملائكة الموكلون بعذابهم ويحتمل ان يكون القائل هو الله تعالى ان جوزنا انه يتكلم مع الكفار فرادى
جمع فرد ولا يبون ولاحقه قيل فرد على غير قياس وقيل فردان كسكارى وسكران قال ابن قتيبة وقيل فرد بذكر ديف ورداء
في وجه الحداة والاعوان لانه اذا اغنى احدهم خلقه الاخر كما خلقناكم اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد مثل خلقناكم
اول مرة والمراد التوبيخ والتقريع لانهم بذلوا جهدهم وصرفوا وكدهم في الدنيا الى تحصيل امرين احدهما المال والجاه والثاني
انهم عبدوا الاصنام وجعلوها شركائهم فبطلوا القضية وذلك مع الحقيقة وذلك ان النفس الانسانية انما تعلقت بالجسد لكون
البدن الة لها في اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة فاذا فارقت البدن ولم تحصل لهذان المطلوبان عظمت حسرتها
وطال حرمانها فاستحقت التوبيخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى اي منفردين عما يجب من الاعمال وللعقاب بدم انهما وذكر
الكتبنا الرجاء بهما لانه افنى العمر في تحصيلهما وانها ليست مما يبقى معها فلاجرم استحق التقريع لقوله وتركتم ما خولناكم اي اعطيناكم
وتفضلنا به عليكم وراء ظهوركم يعني انها كالشيء الذي يبقى وراء الظهر للانسان لم يمكنه الانتفاع به وربما بقي معوج
الراس بسبب التفاته اليها وما نرى معكم شفعاءكم اي ليسوا معكم حتى تردوا وليس معكم بالشفاعة والنصرة كما زعمتم
بدليل قوله لقد تقطع بينكم الاية من قرأ بالنصب على الظرف فمعناه وقع التقطع بينكم كقوله وتقطعت بهم الاسباب
فقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره وقيل المراد لقد تقطع بينكم كقولهم اذا كان غدا
فاتني اي اذا كان الرجاء او البلاء غدا فاتني فاضمر لدلالة الحال ومن قرأ بالرفع فلانه اسند الفعل الى الظرف اتساعا
كما تقول قوتل خلفكم وامامكم او لان المراد بالبين الوصل وانما حسن استعماله في معنى الوصلة مع ان اصله الافتراق
والتباين لانه يستعمل في الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض الوجوه كقولهم بيني وبينه شركة
وبيني وبينه رحم والمعنى لقد تقطع وصلكم قلت ويحتمل ان يكون البين بمعنى الافتراق ويفيد المبالغة كقولهم
جد جده فاذن العاقل من يكسب الزاد ليوم المعاد حتى لا يندم بقوله ولقد جئتمونا فرادى ويصرف الال في وجوه التعظيم
لامر الله والشفقة على خلق الله حتى لا يخاطب بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من زمرة وما تقدموا
لانفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا يطول حسرته يوم ينقطع بين النفس والجسد وصله ثم انه سبحانه لما فرغ من
تقرير التوحيد والنبوة والمعاد عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته ليعلم ان حاصل المباحث
العقلية والنقلية انما هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله فقال ان الله فالق الحب والنوى اي بالنبات
والشجر عن مجاهد اراد الشقين اللذين في الحنطة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفلق هو الخلق
ووجهه بان العقل يتصور من العدم ظلمة منفصلة لا انفراج فيها ولا انشقاق فاخراج الشيء من الوجود شق لذلك العدم
وفلق بحسب التخييل والتمثيل واعلم انها اذا وقعت الحبة والنواة في الارض الرطبة ثم مر بها قدر من المدة اظهر الله
في اعلاها شقا وفي اسفلها شقا اما العالي فيخرج منها الشجرة الصاعدة الى الهوا واما السافل فانه يخرج الشجرة الهابطة
في الارض وهي المسماة بعروق الشجرة وههنا عجائب منها ان طبيعة الشجرة الصاعدة ان كانت تقتضي الهوا في
الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة الى الهواء وبالعكس فاتصال الشجر يتم على التبادل ليس بمقتضى الطبع
والخاصية بل بمقتضى ارادة الموجد المختار ومنها ان باطن الارض جسم صلب كثيف لا ينفذ فيه المسلة ولا السكين

العدم الخ

ثم انا نشاهد اطراف تلك العروق مع غاية دقتها تقوى على النفوذ والغوص في جرم الارض بحصول هذه القوة الشديدة
في الجرم الضعيف ليس الا بتقدير العزيز العليم ومنها انه يتولد من النواة شجرة ويحصل من الشجرة اغصان واوراق وازهار
واثمار والثمر قشر اعليه وقشر اسفل وفيه اللب وفي اللب الدهن الذي هو المقصود الاصلي فتولد هذه الاجرام المختلفة
في طبايعها وصفاتها والوانها وطعومها واشكالها مع تساوي تاثيرات النجوم والطبايع في المادة الواحدة يدل على وجود
الفاعل المختار ومنها قد نجد الطبايع الاربع حاصلة في الفاكهة الواحدة فالاترج قشره حار يابس ولحمه بارد رطب
وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه بارد يابس ولحمه حار رطب ومنها انك تجد احوال
الفواكه مختلفة فبعضها يكون لبه في الداخل وقشره في الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون فاكهته المطلوبة في
الخارج والخشبة في الداخل كالخوخ والمشمش وبعضها يكون نواها حب كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض الفواكه
يكون مطلوبا الخالق بهذه الاحوال المختلفة والاشكال المخالفة ينقضي حكما وفوايد لا يعلمها الا مبدعها ومنها انك اذا
اخذت ورقة واحدة من اوراق الشجرة وجدت في وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه النخاع في بدن الانسان ولا
يزال يستدق حتى يخرج عن ادراك الحس ثم ينفصل عن ذلك الخطوط خطوطا دقاقا اصغر من الاول فكانه سبحانه
اوجد ذلك ليقوى به الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري
الضيقة فاذا وقفت على عناية الخالق في ايجاد تلك الورقة الواحدة علمت ان عنايته في ايجاد جملة تلك الشجرة
اكثر وعلمت عنايته بتخليق الحيوان الذي خلق النبات لاجله يكون اكمل وكذا عنايته بحال الانسان الذي خلق لاجله
النبات والحيوان فيصير ذلك مرقاة لك الى وجود الصانع الخبير والحكيم القدير ثم بين كونه فالق الحب والنوى بقوله
يخرج الحي من الميت لان فلق الحب والنوى والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت قال ابن عباس خرج
من النطفة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحي نطفة او يخرج من البيض دجاجة ومن الدجاجة بيضا او يخرج المومن من
الكافر كما في حق ابراهيم والكافر من المومن كنوح وابنه او المطيع من العاصي والعاصي من المطيع او العالم من الجاهل والجاهل
من العالم بل الكامل من الناقص والناقص من الكامل وقد يجعل الضار نافعا وبالعكس يحكى ان انسانا سقى
الافيون في الشراب ليموت فلما تناوله القوم انه سيموت رفعوه وجعلوه في بيت مظلم فلدغته حية فصارت ظلم
تلك اللدغة لقوة حرارة سم الحية سببا لدفع ضرر برد الافيون ونقل عن عبد القاهر الجرجاني انه قوله ومخرج الميت
معطوف على قوله يخرج وانما حسن عطف الاسم على الفعل ههنا لان لفظ الفعل يدل على اعتناء الفاعل بذكر الفعل في كل
وقت وبخلاف لفظ الاسم ولهذا قال هل من خالق غير الله يرزقكم ليفيد انه يرزقهم حالا وساعة فساعة اوانث
هذا فيقول الحي اشرف من الميت فذكره بلفظ الفعل ليدل على ان الاعتناء باخراج الحي من الميت اكثر من العكس
ذلكم الله المدبر الخالق النافع الضار المحيي المميت فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره ام كيف
يستبعدون البعث والنشور لان الاعادة اهون من الابداء ثم عدل عن الاحوال الارضية الى الاستدلال بما فوقها وهي
الاحوال الفلكية فقال فالق الاصباح وهو مصدر سمي به الصبح والمراد فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش في اخر الليل
وكان الافق كان بحرا مملوا من الظلمة ثم انه سبحانه شق ذلك البحر المظلم باجراء جدول من النور فالمعنى فالق ظلمة الاصباح
بنور الاصباح وحسن الحذف للعلم به او المراد فالق الاصباح بياض النهار واسفاره ومنه قولهم انشق عمود الفجر وانصدع
الفجر او المراد مظهر الاصباح بواسطة فلق الظلمة فذكر السبب واراد المسبب او الفالق بمعنى الخالق كامر وقد سلف لنا نوع
الصبح في تفسير قوله عز وجل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم ان كون الصبح بسبب وقوع
ضوء الشمس على ضلع مخروط ظل الارض في جانبه الشرقي لا ينافي كون الله سبحانه فالق الاصباح بالحقيقة كما ان وجود
النهار بسبب طلوع جرم الشمس عن الافق لا ينافي ذلك والامام فخر الدين الرازي اراد ان يبين ان ذلك بتقدير الله
فنفى كونه بسبب ضوء الشمس بحجج اعتراضا عنها من غفله وكلها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فلذلك
اسقطناها عنه بجهة الاعتبار النوع الثاني من الدلايل الفلكية الدالة على التوحيد قوله وجاعل الليل سكنا وجه
من قرا باسم الفاعل المعطوف عليه اسم فاعل ووجه من قرا بصيغة الفعل ان قوله بعد ذلك والشمس والقمر
منصوبان ولا بد من عامل وما ذاك الا ان يقدر جاعل بمعنى جعل والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمين اليه من زوج او

حبيب

٤٠٨

حبيب منه قيل للنار سكن كما سموها المونسة لانها يستانس بها والليل يطمين اليه المتعب بالنهار لاستراحته
فيه وجمامه ويحتمل ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه كما قال لتسكنوا فيه فالليل والنهار من ضروريات مصالح هذا العالم
فهما نعمتان من الله تعالى وايتان على وحدته وقدرته النوع الثالث قوله والشمس والقمر حسبانا اي سبب حسبان لان
حساب الاوقات يعلم بسيرهما ودورهما والحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل انه جمع حساب
مثل شهاب وشهبان قال في الكشاف الشمس والقمر قرئا بالحركات الثلث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل
او يعطفان على محل الليل لان اسم الفاعل يراد به ههنا الاستمرار كما تقول الله عالم قادر فلا يقصد زمان دون زمان
فيكون الاضافة غير حقيقية فيكون الليل محل نصب فهذا اسنا قض لما ذكره في مالك يوم الدين من انه يجوز ان يراد به
زمان مستمر حتى تكون الاضافة حقيقية ويصح وقوعه صفة المعرفة واما وجه الجر فظاهر ووجه الرفع كونهما مبتداين
محذوف الخبر اي والشمس والقمر مجعولان او محسوبان حسبانا وذلك الجعل تقدير العزيز الذي غلب بقدرتها العليم
الذي دبرها وذلك ان تقدير اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة وهيآتها المحدودة واوضاعها المعينة لا يتم الا بقدرة
شاملة بجميع الممكنات وعلم نافذ في الكليات والجزئيات النوع الرابع قوله وهو الذي جعل لكم النجوم عد
ههنا من منافع النجوم كونها سببا للاهتداء الى الطرق والمسالك في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها
لهما وقيل المراد ظلمات البر التعطيل ونحو التشبيه فان اختصاص كل من هذه الكواكب بمحال وصفة اخرى مع تشاركها
في الجسمية وقبل ظاهر على مختار قادر وايضا اتصافها بالاعضاء والابعاض والحدود والاحيان مع انها لا تصلح
للالهية بالاتفاق دليل على تنزيه الله سبحانه من هذه السمات ولهذا قال قد فصلنا الايات لقوم يعلمون يستدلون لون
بالمحسوس على المعقول او ينتقلون من الشاهد الى الغايب ثم عدل عن الايات الافاقية الى ايات الانفس فقال
وهو الذي انشاكم اي خلقكم بطريق التنشوء والنما من نفس واحدة هي ادم وحوا مخلوقة من ضلع من اضلاعه
وكذا عيسى لانه من مريم وان كان لغير وسط كلمة كن او بالنفخ وهي من ادم فمستقر ومستودع بكسر القاف فالتقدير منكم مستقر
ومنكم مستودع الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول ومن قرا بفتح القاف فالتقدير فلكم مستقر ولكم مستودع
فيكون كلاهما اسمي مكان او مصدر اوذلك ان استقر لازم فلا يجيء منه المفعول به بلا واسطة فينبغي نفسه مستودع
ايضا ليتشاكلا استحسانا عن ابن عباس ان المستودع الصلب والمستقر الرحم بقوله ونقر في الارحام ما نشاء ولان
النطفة في الرحم اكثر مكثا ويكون لفظ القرار بتلك انسب بخلاف المستودع فانه في معرض الاسترداد ساعة فساعة
وهذا شان المني في الاصلاب فانه بصدد الاراقة في كل حين واوان وقيل المستقر صلب الاب والمستودع الرحم
لان النطفة قد حصلت في صلب الاب اولا واستقرت هناك ثم حصلت في الرحم على سبيل الوديعة ولان هذا الترتيب
يناسب تقديم المستقر على المستودع وعن الحسن المستقر حاله بعد الموت لان سعادته او شقاوته يبقى
وتستقر على حالة واحدة والمستودع حاله قبل الموت لان الكافر قد ينقلب مومنا والفاسق صالحا والوديعة
على شرف الزوال والذهاب وقال الاصم المستقر الذي خلق من النفس الاولى والوجود والمستودع الذي لم يخلق
بعد وسيخلق وعنه ايضا المستقر في قرار الدنيا والمستودع من في القبور الى يوم البعث وعن قتادة بالعكس
وعن ابي مسلم الاصفهاني المستقر الذكر لان النطفة انما تستقر في صلبه والمستودع الانثى لانها تستودع النطفة
وحاصل الكلام ان الانسان خلق من نفس واحدة ثم انه ينقلب في الاطوار ويتردد في الاحوال وليس هذا بمقتضى
الطبع والخاصية والا لتساوى الكل في الاخلاق والامزجة فلذلك اذن تدبير فاعل قدير مختار حكيم ولهذا قال
قد فصلنا الايات ميزنا بعضها عن بعض لقوم يفقهون لان الغاية نفوذ الذهن وان كان الارشاد عاما ولان ايات
الانفس اقرب الى الاعتبار واهون لذي الاستبصار ختم الاية بالفقه وخصص خاتمة الاية الاولى بالعلم لان العلم
ان الغافل عن هذه لا فطنة له ولا ذكاء اصلا فضلا عن العلم ثم عدد ما هو نعمة ابين فيه من كونه اية فقال
وهو الذي انزل من السماء ماء قيل اي من جانب السماء وقيل اي من السحاب لان العرب تسمي كل ما فوقك
سماء كسماء البيت وقال اكثر اهل الظاهر اي من السماء نفسها لانه تعالى فاعل مختار قادر على خلق الاجسام كيف
شاء واراد ونحن قد حكينا في اول سورة البقرة مذهب الحكماء في هذا الباب والله تعالى اعلم قال ابن عباس

يريد بالماء ههنا المطر ولا ينزل من السماء الا ومعها ملك والفلاسفة نبات كل شي قال الفراء اي نبات كل شي له نبات فيخصص
نبت كل صنف من اصناف النامي ونخرج ساعدا ذلك وفي الاية التفاتان الاول من الحكاية الي الغيبة حيث لم تقل هو الذي
انزل لنا والثاني من الغيبة الي الحكاية وانت خبير بان نقل الكلام من اسلوب الي اسلوب باب من ابواب البلاغة وصيغة
الجمع لاجل التعظيم كما هو دين الملوك ثم لما بين ان السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف كثيرة فصل ذلك بعض التفصيل
حسب ما ذكر في قوله ان الله فالق الحب والنوى فقال فاخرجنا منه اي من النبات خضرا اي شيئا اخضر وهو ما يتشعب من
اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه اي من ذلك الخضر حبا متراكبا بعضه على بعض قال ابن عباس يريد القمح والشعير
والسلت والذرة فاصل ذلك هو العود الاخضر ويكون السنبلة راكبة عليه من فوقه والحبات متراكبة وفوق السنبلة اجسام
دقيقة حادة كالابر والمقصود من تخليقها ان تمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة ولما ذكر ما ينبت من الحب اتبعه
ذكر ما ينبت من النوى فقال ومن النخل وهو خبر وقوله من طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان او الخبر محذوف
لدلالة اخرجنا عليه والتقدير ومخرجة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو كصنوان وصنو والقنو العذق وهو من التمر
بمنزلة العنقود من العنب والطلع اول ما يبدو من عذق النخلة قال ابن عباس يريد العراجين التي قد تدلت من الطلع
دانية من تحتها وعنه ايضا انه اراد عذوق النخلة اللاحقة بالارض قال الزجاج ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لان ذكر
احد القسمين يغني عن الاخر كما قال سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يقال ترك البعيدة لان النعمة في القريبة اكمل واتم
وقيل المراد بكونها دانية انها سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشي الداني القريب المتناول وان النخلة وان كانت صغيرة
ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وجنات من اعناب بالنصب عطفا على خضرا اي واخرجنا به جنات من اعناب
ومن قرا بالرفع فعلى انها مبتدا محذوف الخبر اي وثم جنات من اعناب او وجنات من اعناب مخرجة ولا يجوز ان
يكون عطفا على قنوان وان جوزه في الكشاف اذ يصير المعنى وحاصله او مخرجة من النخل من طلعها جنات حصلت من
اعناب اما قوله والزيتون والرمان بالنصب فللعطف على المنصوبات قبلها او للاختصاص بفضل هذين الصنفين
قال الفراء اراد شجر الزيتون وشجر الرمان فحذف المضاف اعلم انه سبحانه قدم الزرع على الاشجار لانه غذاء وثمار الاشجار
فواكه ثم قدم النخل على سائر الفواكه لان التمر يقوم مقام الغذاء ولاسيما للعرب ومن فضائلها ان الحكماء بينوا ان بينه
وبين الحيوانات مشابهات كثيرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم
ثم ذكر العنب عقيب النخل لانه اشرف انواع الفواكه وانه ينتفع به من اول ظهوره الي اخر حاله فاوله خيوط خضر دقيقة
حامضة الطعم لذيذة وقد يمكن اتخاذ الطبائخ منه ثم يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء وللمرضى من اصحاب الصفرا
ثم يتم العنب فيؤكل كما هو ويدخر ويتخذ منه الزبيب والدبس والخمر والخل ومنافع كل منها لا تحصى الا ان الخمر حرمها
الشرع لاسكارها واحسن ما في العنب عجمه والاطباء يتخذون منه جوارشنات للمعدة الضعيفة الرطبة ويتلو
العنب في المنفعة الزيتون لانه يمكن تناوله كما هو وينفصل منه الزيت الذي يعظم عناؤه واما الرمان فحاله عجيبة
جدا لانه قشر وشحم وعجم وماء والثلاثة الاول باردة يابسة ارضية كثيفة قابضة عفصة واما ماء الرمان فبالضد
من هذه الصفات فانه الذ الاشربة والطفها واقربها الي الاعتدال واشدها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية
للمزاج الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه فكانه سبحانه جمع بين المتضادين فيكون دلالة القدرة
والرحمة والحكمة فيه اكمل وانواع النبات اكثر من ان تفي بشرحها المجلدات فاكتفى بذكر هذه الانواع الخمسة تنبيها على
البواقي واما قوله مشتبها وغير متشابه ففي تفسيره وجوه الاول ان هذه الفواكه تكون متشابهة في اللون والشكل
مع انها تكون مختلفة في الطعم واللذة فان الاعناب والرمان قد تكون متشابهة وغير متشابهة ففي تفسيره ثم انها
تكون مختلفة في الحلاوة والحموضة وبالعكس الثاني ان اكثر الفواكه يكون ما فيها من القشر والعجم متشابهة في
الطعم والخاصية واما ما فيها من اللحم والرطوبة فانها تكون مختلفة ومنهم من قال بعض حبات العنقود متشابهة
وبعضها غير متشابه وذلك قد تاخذ العنقود من العنب فترى جميع حباته مدركة نضيجة حلوة طيبة الا حبات
مخصوصة فانها بقيت على اول حالها من الخضرة والحموضة والعفوصة ومعنى اشتبه وتشابه واحد يقال اشتبه الشيئان
وتشابها كقولك استويا وتساويا وانما قال مشتبها ولم يقل مشتبهين اما اكتفاء بوصف احدهما او على تقدير والزيتون

مشتبها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوي رماني انظروا الي ثمره
من قرا بفتحتين فلانه جمع ثمرة مثل بقر وبقرة وشجر وشجرة ومن قرا بضمتين فعلي انه جمع ثمار ايضا مثل خشب وخشبة
قال تعالى كانهم خشب مسندة او على ان ثمرة جمعت على ثمار ثم جمع ثمار على ثمر اذا اثمر اذا اخرج ثمره وينعه يقال ينعت
الثمرة ينعا وينعا بالفتح والضم اذا ادركت ونضجت امر بالنظر في حال ثمر كل شجر اول حدوثها وفي اخر حالها فانها قد تكون
موصوفة بالخضرة والحموضة ثم تتغير الي السواد والحلاوة وربما كانت في اول الامر باردة بحسب الطبيعة ثم تصير حارة
الطبع وقد يخرج صلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به ثم يتوك الي الكمال اللذة والمنفعة فحصول هذه الانتقالات والتغيرات لا بد له
من سبب مستقل في التاثير سوى الطباع والفصول والافلاك والنجوم وما ذاك الا السبب الاول ومبدع الكل ولهذا
ختم الاية بقوله ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون قال القاضي المراد لمن يطلب الايمان بالله لانه اية لمن امن ولمن لم يومن
ويحتمل ان يقال خص المؤمنين لانهم المنتفعون به بذلك دون غيرهم او المراد ان هذه الدلالة على قوتها وظهورها دلالة
لمن سبق قضاء الله تعالى في حقه بالايمان والا فلا ينتفع به البتة ويكون في زمرة من قال في حقهم وجعلوا لله شركاء
الجن قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان فالله خالق الناس والدواب
والانعام وابليس خالق الحيات والسباع والعقارب قال في التفسير الكبير هذا مذهب المجوس فانما قال ابن عباس
هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زرادشت نزل عليه من عند الله يسمى بالزند
والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم انهم قالوا كل ما في هذا العالم من الخيرات
فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشرور فهو من اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم
على ان اهرمن محدث ولهم في كيفية حدوثه اقوال عجيبة كقوله ان الله تعالى فكر في مملكة نفسه فاستعظمها فحصل
نوع من العجب فتولد الشيطان من ذلك العجب وكقولهم شك في قدرة نفسه فتولد من شكه الشيطان والاقلون
منهم قالوا انه قديم ازلي والحاصل يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة وعسكر ابليس هم الشياطين والملائكة فيهم كثرة
عظيمة وهم ارواح طاهرة مقدسة تلهم الارواح البشرية الطاعات والشياطين فيهم ايضا كثرة عظيمة يلقون الوساوس
الي الارواح البشرية والله تعالى مع عسكره يحاربون ابليس مع عسكره فلهذا السبب حكى الله عنهم انهم اثبتوا شركاء
من الجن بلفظ الجمع وان كان شريكه عندهم في الحقيقة واحدا وهو اهرمن وانتصاب الجن على انه بدل او بيان لشركاء او على
انه مفعول اول وشركاء ثانيه ولله ظرف لغو وفائدة تقديم المفعول الثاني على هذا القول استعظام ان يتخذ لله
شريك كائنا من كان ملكا او جنيا او انسيا ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ بالجر بالرفع كانه قيل من هم
فقيل الجن والجر على الاضافة التي للتبيين وقيل ان الاية نزلت على الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات الله وسمي
الملائكة الجن على الملائكة لاستتارهم عن العيون ومعنى كونهم شركاء هذا العالم ومعينة لله اعانة الولد الوالد وعن
الحسن وطائفة من المفسرين ان المراد ان الجن دعوا الكفار الي عبادة الاوثان والي القول بالشرك فاطاعوهم كما يطاع
الله فاما قوله وخلقهم فاشارة الي الدليل القاطع على ابطال الشرك والضمير فيه اما ان يعود الي الجن او الي الجاعلين
فان عاد الي الجن فان قلنا ان الاية نزلت في المجوس فتقريره ان الاكثرين منهم يعترفون بان ابليس محدث ولو
لم يعترفوا بذلك فالبرهان العقلي قائم على ان ما سوى الحق الواحد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محدث فيكون حينئذ
كل محدث مخلوق وله خالق وما ذاك الا الله سبحانه وحينئذ يلزمهم نقض قولهم لانه ثبت ان اله الخير قد خلق اعظم
الشرور وهو ابليس الذي هو مادة كل شر وان قلنا انها نزلت في كفار العرب القائلين الملائكة بنات الله فظاهر
لانهم يسلمون ان الملائكة مخلوقون وانهم تولدوا منه تولد الولد من الوالد وان عاد الضمير الي الجاعلين فالمعنى وعلموا ان الله
خالقهم دون الجن كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولم يمنعهم علمهم بان يتخذوا من لا يخلق
شريكا للخالق والجملة في موضع الحال اي وقد خلقهم وقرئ خلقهم بسكون اللام اي اختلاقهم للافك يعني جعلوا
لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الي الله في قولهم الله امرنا بها وحكي عن قوم اخرين نوعا اخر من الاشراك فقال
وخرقوا له بنين وبنات وذلك قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة ومن صنا بعلم ضعف
قول من قال وجعلوا لله شركاء الجن نزل في كفار قريش لانه يلزم التكرار من غير فائدة ظاهرة يقال خرق الافك وخلقه

واخترقه واختلقه بمعنى قال الحسن كلمة عربية كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها
والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا اشقه اي اشتقوا له بنين وبنات اما قوله بغير علم فالمشبهة على ابطال
قولهم فان من عرف الاله الحق معرفته استحال ان يثبت له ولد لان ذلك الولد ان كان واجب الوجود لذاته كان موجودا
بايجاد الواجب وكان عبدا له لا ولدا وايضا الولد انما يحتاج اليه ليقوم مقام الوالد بعد فنائه ومن تقدس عن الفنا
لم يحتج الى الولد وايضا الولد جزء من اجزاء الوالد ومن لم يكن مركبا استحال ان ينفصل منه جزء يتولد منه
الولد ثم نزه نفسه عما لا يليق به فقال سبحانه وهذا على لسان المسبحين وتعالى عما يصفون وهذا له في نفسه سواء يسبحه
مسبح ام لا والمراد بالتعالي العلو بالشرف والرفعة بدليل قوله عما يصفون **التأويل** وما قدروا الله حق قدره
حين انكروا انزال الكتب والبعثة على انهم لو عرفوا بذلك ايضا لم يعرفوه حق معرفته لان المحاط لا يحيط بالمحيط ثم
يزداد معرفته بازدياد معرفة اوصافه يجعلونه قراطيس اي في القراطيس وما يجعلونه في قلوبكم بالتخلق بالاخلاق
وعلمتم بتعليم محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم كقوله ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون ومن الحكمة ما بين سره الذي يكون تعليمه نسي التابعة سأل بنبي باضار باصناف والذي علم النبي هو اس
في خلق ما سوى الله ولهذا قال قل الله مبارك على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى الخواص بان يهديهم الى ربهم وعلى
خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم ويخلقهم باخلاقهم وفي كتاب المحبوب شفاء لما في القلوب مصدق الذي بين
يديه لانه يصدق حقائق جميع ما في الكتب ولتنذر ام القرى وهي الذرة المودوعة في القلب التي هي المخاطب في
الميثاق وقد وجبت جميع ارض القلب من تحتها ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر والفؤاد والصفات
والاخلاق بان تنوروا بانواره وينتفعوا باسراره ويتخلقوا باخلاقه والذين يؤمنون بالاخرة فسيعلمون الادوات
والالات في امور الدنيا والاخرة لان الدنيا الفانية وشهوات النفس وهواها يؤمنون بالقران وهم على صلواتهم
بالتقرب من صفاتهم الى التخلق باخلاق القران يداومون فان الصلوة معراج المؤمن ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
باظهار المواجد والحالات رياء وسمعة من غير ان يكون له منها نصيب او قال اوحي الي الاشارات ولم يلهم نفسه شيئا
منها ومن قال متشدقا متفيهقا سانكلم مثل كلام الله من الحقائق والاسرار فيظهر مضرة ظلمه وافترائه عند سكرات
الموت وانقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس عن القالب كرها لتعلقها بالشهوات واللذات وطلب الربا
ويكون شدة النزع والهوان بحسب التعلقات ولقد جئتمونا فرادى عن الدنيا وما يتعلق بها او فرادى عن تعلقات
الكونين كما خلقناكم اول مرة في اول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب وتركتم بالتجريد عن الدنيا وبالتفريد عن الدنيا
والاخرة ما خولناكم من تعلق الكونين وراء ظهوركم وما نرى معكم الاعمال والاحوال التي ظننتم انها توصلكم الى الله
لقد تقطع بينكم وبينها عند انتهاء سيركم كما انتهى سير جبريل عند سدرة المنتهى وحينئذ لا يصل الى الوصلة الا
بجذبة ارجعي الى ربك ولو لم يدركه الجذبة المتصلة الى العناية لانقطع عن السير في الله بالله وبقي السير وهو يقول
وما منا الا له مقام معلوم ان الله فالق حبة الذرة التي اخذ منها الميثاق المزروعة في جنة القلب عن نبات المحبة فالق
الحب والنوى ذكر لا اله الا الله في ذكر القلب عن شجرة الايمان كلمة طيبة كشجرة طيبة تخرج نبات المحبة التي هي من
صفات الحي القيوم من الميتة والميتة الانسانية ومخرج الافعال الطبيعية التي هي من صفات الكفار والموتى من
المؤمن الحي في الدارين وايضا يخرج نخل الايمان الحي من نوى الحروف الميتة في كلمة لا اله الا الله ومخرج ميت النفاق من
الكلمة الحية وهي لا اله الا الله فالق الاصباح فالق ظلمة الحادثة بصباح العقل والحجة والرشاد وفالق ظلمة الجهالة
بصباح الفهم والادراك وفالق ظلمات العالم الجسماني بتخليص النفس القدسية الى صحبة عالم الافلاك وفالق ظلمات
الاشتغال بعالم الممكنات بصباح نور الاستغراق في معرفة مدبر المحدثات والمبدعات وبالجملة فالق انوار الروح
عن ظلمة ليل البشرية ستراء عن ضياء شمس الروح ليسكن فيه النفس الحيوانية والاوصاف البشرية والشمس والقمر
حسبانا يعني تجلي شمس الروحانية وطلوع قمر القلب بالحساب لئلا يفسد امر القلب والقالب وايضا تجلي شمس
الربوبية وطلوع قمر الروحانية لليل البشرية بالحساب لئلا يفسد امر الدين والدنيا على العبد بالتفريط والافراط
فان افراط طلوع شموس المعارف والشهود انه انا الحق وسبحاني وتفريطه اقرانا ربكم الاعلى وعبادة الهوى ذلك تقدير

بات

الام

العزيز

العزيز العليم الذي لا يهتدي اليه الا به العليم عمن يستحق الاهتداء اليه وهو الذي جعل لكم النجوم انوار الغيوب
في سموات القلب لتهتدوا بها في ظلمات بر البشرية وبحر الروحانية الى عالم الربوبية وهو الذي انشاكم
من روح واحد هو روح محمد صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله روحي كما خلق اجسادكم من جسد واحد هو جسد ادم
ابي البشر فمن الارواح ما تعلق بالاجساد فمستقر وما هو بعد مستودع في عالم الارواح وايضا من الارواح هو مستقر منه
نور صفة الايمان وما هو مستودع فيه جذبات الحق ومنها ما هو مستقر في انانيته مع علو رتبته بالبقاء وما هو
مستودع انانيته بالفنا ومنها ما هو مستقر بفنا ذاته بالحق باق وما هو مستودع في بقاء البقاء عن الفنا قد فصلنا دلالات
الوصول والوصال لقوم يفقهون اشارات القلوب وهو الذي انزل من سماء العناية ماء الهداية فاخرجنا به نبات كل شئ
من انواع المعارف فاخرجنا منه خضرا طريا في المعارف والاسرار نخرج به من الحقائق ما يركب بعضها بعضا مترتب
بعضها على بعض ومن النخل يعني اصحاب الولايات من طلعها من ثمرات ولاياتهم ما هو متدان للطالبين اي منهم من يكون
مربيا فينتفع بهم اتباعه ولا بنه ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين وجنات يريد ارباب الزهد والتقوى
والعقول الذين لم يبلغوا رتبة الولاية من اعناب الاجتهاد وفي تزيين الاصول ورمان الفروع مشتبها الى متفقا في الاصول
والفروع وغير متشابه اي مختلفا في مذاهب العلماء انظروا الى ثمر الولايات كيف ينتفع بها الخواص والعوام وانتفعه اي الى الكامل
منها ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون باحوالهم وينتفعون باقوالهم واحوالهم وجعلوا لله شركاء اشارة الى انه كما يخرج بماء اللطف
من ارض القلوب لارباب انواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من ارض النفوس لاصحابها انواع الضلالات والله اعلم بعاقبة الامور

بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ذٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ ۝ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا
أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۝ وَكَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ
ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ
جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا
يُؤْمِنُونَ ۝ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ ۝ ۝ ۝

عشر
الجزء الثامن

القراءة ولم يكن بياء الغيبة قتيبة درست بتاء التأنيث ابن عامر وسهل ويعقوب دارست بتاء الخطاب
من الدراسة ابن كثير وابو عمرو والباقون بتاء الخطاب درست من الدرس عدوا على فعول الضم يعقوب الباقون عدوا
على فعل انها اذا جاءت بالكسر ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وقتيبة ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالفتح
لا يؤمنون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة والباقون على الغيبة الوقوف والارض صاحبة كل شيء لاحتمال الواو
الحال والاستئناف عليم ربكم لاحتمال الجملة الاستئناف والحال والعامل معنى الاشارة الا هو لان قوله خالق بدل الضمير
المستثنى او خبر ضمير محذوف فاعبدوه لاحتمال الواو الحال للاستئناف وكيل لا تدركه الابصار لاختلاف الجملتين مع ان
الثانية من تمام المقصود يدرك الابصار لاحتمال الواو الاستئناف والحال اي يدرك الابصار لطيفا خبيرا الخبير
ربكم للابتداء والشرط مع فاء التعقيب فلنفسه كذلك مع الواو فعليها بحفيظ يعلمون من ربك لاحتمال الجملة الواحد
والاستئناف على انها جملة معترضة الا هو للعطف مع العارض المشركين ما اشركوا حفيظا للابتداء بالنفي مع
اتحاد المعنى بوكيل بغير علم يعملون ليؤمنن بها وما يشعركم لمن قرأ انها بكسر الالف لا يؤمنون يعمهون التفسير
لما نبه اجمالا بقوله بغير علم على الدليل الدال على ابطال من خرق له بنين وبنات فصل ذلك بقوله بديع السموات
والارض الاية والمراد هو بديع السموات ويجوز ان يكون بديع مبتدأ والجملة خبره فجعله خبرا وتقرير الدليل انكم اما ان
تريدوا بكون عيسى ولدا له انه احدثه على سبيل الابداع من غير تقدم نطفة ولا اب وحينئذ يلزمكم القول
بانه والد السموات والارض بكونه مبدعا لهما وهذا باطل بالاتفاق واما ان تريدوا به الولادة كما هو المألوف في
الحيوانات وهذا ايضا محال لان تلك الولادة لا تتصور الا ممن كانت له صاحبة من جنسه وينفصل منه جزء يحتبس في
رحمها وهذه الاحوال انما تثبت في حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحد والنهاية
والشهوة واللذة وكل ذلك على الله محال واشار الى هذا بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وايضا الولد
بهذا الطريق انما يتصور في حق من لا يقدر على خلق الاشياء دفعة واحدة اما الذي اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
فذلك في حقه مستحيل والى هذا اشار بقوله وخلق كل شيء وايضا هذا الولد لا يكون ازليا والا كان واجبا لذاته غنيا
عن غيره فيبقى ان يكون حادثا فنقول انه تعالى عالم بكل المعلومات ازلا وابدا كما قال وهو بكل شيء عليم فان كان قد علم
ان له في تحصيل ذلك الولد كمالا او نفعا او لذة لتعلقت ارادته بايجاده في الازل دفعا لذلك الاحتياج والنقصان
فيكون الولد ازليا على تقدير كونه حادثا هذا خلف فتبين ان اله العالم فرد واحد صمد منزه عن الشريك والنظير والاضداد
والانداد والاولاد ثم لما اوضح بالنتيجة فقال ذلكم الله فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم الموصوف
الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله الى اخره وانما قال ههنا لا اله الا هو خالق كل شيء وفي المؤمن بالعكس لانه
وقع ههنا بعد ذكر الشركاء والبنين والبنات فكان دفع الشركاء اهم وههنا وقع بعد ذكر خلق السموات والارض فكان
تقديم الخالقية اهم ثم قال فاعبدوه وهو مسبب عن مضمون الجملة المتقدمة يعني ان من استجمعت له هذه الكمالات
كان حقيقا بالعبادة وهو مع تلك الصفات على كل شيء وكيل يحفظه ويدبره ويراقبه قال في التفسير الكبير انه سبحانه
اقام الدليل على وجود الخالق ثم زيف طريق من اثبت له شريكا وهذا القدر لا يوجب التوحيد المحض لكن العلماء في اثبات
التوحيد طرق منها ان الدليل قد دل على وجود صانع والزائد على الواحد لم يدل دليل على ثبوته فليس عدد اولى من عدد
اخر فيلزم الهة لا نهاية لها او القول بعدد معين بلا ترجيح وكلاهما محال فلم يبق الا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها
انا لو قدرنا الهين قادرين على كل المقدورات عالمين بكل المعلومات فكل فعل يفعله احدهما صار كونه فاعلا لذلك
الفعل مانعا للاخر من تحصيل مقدوره وذلك يوجب ان يكون كل واحد يعجز الاخر وهو محال واذا كان في احدهما كونه عجز
ونقص لم يصلح للالهية ومنها انا لو فرضنا الها ثانيا لكان اما ان يكون الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال اولا
وعلى الاول لابد ان يحصل الامتياز بامر ما والا لم يحصل التعدد فذلك المميز ان كان من صفات الكمال لم تكن جميع صفات
الكمال مشتركا بينهما وان كان من صفات النقص فالموصوف به لا يصلح للالهية وكذا ان لم يكن الثاني مشاركا للاول في جميع
صفات الكمال فثبت التوحيد بهذه الدلائل مع ان الدليل النقلي في التوحيد كاف والله اعلم قال الاشاعرة عموم قوله خالق كل
شيء يدل على انه خالق افعال العباد وقالت المعتزلة انما ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولكنه لا يتمدح بخلق الزنى والكفر

والنواظ

والنواظ وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا وايضا احتج لترهن المعتزلة على نفي الصفات وعلى ان القران مخلوق
اما الثاني فلان القران شيء فيدخل تحت العموم واما الاول فلان الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم ان يكون
مخلوقة له واجيب بانكم تخصصون هذا العام بحسب ذاته ضرورة انه يمتنع ان يكون خالقا لنفسه وبحسب افعال العباد
فنحن ايضا نخصصه بحسب الصفات وبحسب القران واما الفرق بين قوله وخلق كل شيء وقوله خالق كل شيء فذلك لان الاول
يتعلق بالزمان الماضي والثاني يتناول الاوقات كلها على سبيل الاستمرار ثم بين ان شيئا من القوى المدركة لا يحيط بحقيقته
فان عقلا من العقول لا يقف على كنه صمديته فقال لا تدركه الابصار وهذه الاية من مشهورات استدلالات المعتزلة
على نفي رؤيته تعالى قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل ان قول القائل ادركته ببصري وما رأيته متناقضان
ثم ان قوله لا تدركه الابصار يقتضي انه لا يراه شيء من الابصار في شيء من الاحوال بصحة الاستثناء وايضا انه ذكر
الاية في معرض المدح والثناء وكل ما كان عدمه مدحا ولم يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا كقوله لا تأخذه
سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فوجب كون الرؤية نقصا في حقه تعالى وانما قيدنا بما لا يكون من باب الفعل كان ثبوته نقصا
لقوله واجيب بالمنع من ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية لانه في اصل اللغة موصول واللحوق ومنه قال اصحاب موسى
انا لمدركون اي لملحقون وقوله حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه وادرك الغلام اي بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت واذا ثبت
ذلك فنقول الرؤية جنس والادراك اي ادراك البصر نوعه مع الاحاطة ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي ادراك
البصر نفي الرؤية سلمنا ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية لكن قوله لا تدركه الابصار لا يفيد الا نفي العموم وانتم تدعون عموم
النفي فان ذاك غير هذا وانما قلنا انه لا يفيد الا نفي العموم لان صيغة الجمع لا يحمل على الاستغراق فقد يحمل على المعهود
السابق ايضا فقوله لا تدركه الابصار يفيد انها لا تدركه في الدنيا وانما تدركه اذا انبدلت صفاتها وتغيرت احوالها
في الاخرة او يقول قول القائل لا تدركه الابصار يفيد سلب العموم ولا يفيد عموم السلب فلم لا يجوز ان يفيد انه يدركه
بعض الابصار ان محمدا اما اخبر به كل الناس فانه يفيد انه اخبر بعض الناس سلمنا ان الابصار لا تدركه البتة فلم
لا يجوز حصول ادراك الله تعالى بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيمة كما هو مذهب ضرار بن عمرو الكوفي
او نقول سلمنا ان الابصار لا تدركه فلم قلتم ان البصر لا يدركه اما قوله ان الاية مذكورة في معرض المدح فنقول
لو لم يكن الله تعالى جائز الرؤية لما حصل المدح بقوله لا تدركه الابصار وانما التمدح لو كان بحيث يصح رؤيته
ثم انه تعالى يحجب الابصار عن رؤيته لغاية جلاله ونهاية كماله والتحقيق فيه ان النفي المحض والعدم الصرف لا
يكون موجبا للمدح والعلم به ضروري بل اذا كان النفي دليلا على حصول صفة ثابتة من صفات المدح فثبت ان ذلك
النفي يوجب التمدح كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم فانه لا يفيد المدح نظرا الى هذا النفي فان الجماد ايضا لا تأخذه سنة ولا نوم
الا ان هذا النفي في حق الباري تعالى يدل على كونه عالما بجميع المعلومات من غير تبدل وزوال فقوله لا تدركه الابصار
ممتنع ان يفيد المدح الا اذا دل على معنى موجود وذلك ما قلناه من كونه قادرا على حجب الابصار ومنعها عن الاحاطة
فثبت بما ذكرنا ان هذه الاية عليكم لا لكم لانها افادت انه تعالى جائز الرؤية بحسب ذاته ثم نقول اذا ثبت ذلك يجب
القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيمة لان القائل قائلان قائل بجواز الرؤية مع ان المؤمنين يرونه وقائل لا يرونه
ولا يجوز رؤيته واذا بطل هذا القول بقي الاول حقا لان القول بجواز رؤيته مع انه لا يراه احد قول لم يقل به احد
وهذا الاستدلال لطيف ثم ان القاضي استدل ههنا على نفي الرؤية بوجوه اخر خارجة عن التفسير لا يليق بالاصول
قالوا ان الحاسة اذا كانت سليمة وكان المرئي حاضرا وكانت الشرائط المعتبرة حاصلة وهي ان لا يحصل القرب
المفرط والبعد البعيد وان يرتفع الحجاب وكان المرئي مقابلا او في حكم المقابل فانه يجب حصول الرؤية والا جاز ان يكون
بحضرتنا بوقات وطبول ونحن لا نسمعها ولا نراها وهذا يوجب السفسطة اذا ثبت هذا فنقول القرب والبعد البعيد
والحجاب والمقابلة في حقه تعالى ممتنع فلو صحت رؤيته كان المقتضي لحصول تلك الرؤية سلامة الحاسة وكون
المرئي بحيث يصح رؤيته وهذان المعنيان حاصلان في هذا الوقت فوجب ان يحصل رؤيته وحيث لم يحصل
علمنا ان رؤيته ممتنعة في نفسها واجيب بان ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات ولا يلزم من ثبوت حكم لشيء ثبوت
مثله لما يخالفه وثانيها لو صحت رؤيته لاهل الجنة لرآه اهل النار ايضا لان القرب والبعد والحجاب ممتنع في حقه

تعالى واجيب بانه لم لا يجوز ان يخلق الله تعالى الرؤية في عيون اهل الجنة ولا يخلقها في عيون اهل النار وثالثها
ان كل ما كان مرئيا كان مقابلا او في حكم المقابل والله تعالى منزه عن ذلك واجيب بمنع الكلية وبانه اعادة
لعين الدعوى لان النزاع واقع في ان الموجود الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل تجوز رؤيته ام لا ورابعها ان اهل
الجنة يلزم ان يروه في كل حال الآن حتى عند الجماع لان القرب والبعد عليه تعالى محال ولان رؤيته اعظم اللذات
وفوات ذلك يوجب الغم والخوف وذلك لا يليق باهل الجنة واجيب بانهم ومنها لعلهم يشتهون في حال دون حال
كسائر الملاذ والمنافع في تعديد الوجوه الدالة على جواز الرؤية منها هذه الآية كما بينا ان موسى عليه السلام طلب
الرؤية فدل ذلك على جوازها ومنها انه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ومنها قوله
للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقد اتفق الجمهور على ان النبي صلعم فسر الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية ومنها قوله
فمن كان يرجوا لقاء ربه ونحو ذلك من الآيات الدالة على اللقاء ومنها قوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا والاقتصار
على النزل لا يجوز فالزائد على جنات الفردوس لا يكون الا اللقاء ومنها قوله ولقد رآه نزلة اخرى وسوف ياتي في سورة
النجم ان شاء الله ومنها قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون
المؤمنون غير محجوبين ومنها قوله فيها ما تشتهي الانفس ولا شك ان القلوب الصافية تحن له على حسب معرفة
الله تعالى على اكمل الوجوه واكمل طرق المعرفة هو العيان ومنها قوله واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا فمن قرا
بفتح الميم وكسر اللام واما الاخبار فكثيرة منها الحديث المشهور سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته
المراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي منها ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه
وسلم هل راى الله تعالى ليلة المعراج ولم يكفر بعضهم بعضا بهذا السبب فدل ذلك على انهم مجمعون على امكان
الرؤية اما قوله تعالى وهو يدرك الابصار ففيه دليل على انه سبحانه مبصر للمبصرات وادلة البينات مطالع على ما هيأتها
عليم بغوامضها وذاتياتها ثم قال وهو اللطيف الخبير وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهو رقة القوام فان ذلك
من صفات الاجسام بل المراد لطف صنعه في تركيب ابدان الحيوانات من الاجزاء الدقيقة والاغشية الرقيقة والمنافذ
الضيقة التي لا يعلمها الا مبدعها او المراد انه لطيف في الانعام والرحمة لا يامرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم
او الغرض انه يثني عليهم بالطاعة ولا يقطع مواد احسانه عنهم بالمعصية او المراد انه بلطف عن ان يدركه الابصار
او المراد انه بلطف عن ان يدركه الابصار الخبير بكل لطيف ولا يلطف شيء عن ادراكه ثم عاد الى تقرير امر الدعوة
والرسالة فقال قد جاءكم بصائر اي موجباتها والبصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين فمن ابصر الحق فلنفسه ابصر
واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر قالت المعتزلة فيه تصريح بان العبد متمكن من الامرين الفعل
والترك وعرض بالعلم والداعي وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ
عليكم ثم حكى شبه المنكرين بقوله وكذلك اي مثل ذلك التقرير البليغ نصرف الآيات ناتي بها متواترة حالا بعد حال
وليقولوا عطف على محذوف اي ليلزمهم الحجة وليقولوا او متعلق بما بعده اي وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست
قرات وتعلمت من الدرس ومن قرا دارست اي قرات على اليهود وقرؤا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة
ومذاكرة واما قراءة ابن عامر درست فهي من الدروس يعني ان هذه الآيات قدمت وعفت اي هذه الاخبار التي
تلوتها علينا من جملة اساطير الاولين القرون الخالية قالت العلماء التركيب يدل على التذليل والتليين لان من درس
الكتاب فقد ذلله لكثرة القراءة ومنه قيل للشرب الخلق دريس لانه قد لانه فكانه تعالى ذكر الوجه الذي لاجله صرف
الآيات وهو امران احدهما دارست والثاني قوله ولنبينه اما الثاني فلا اشكال فيه لانه بين ان الحكمة في هذا التصريف
ان يظهر منه البيان والعلم والضمير في لنبينه للآيات لانها في معنى القرآن او يعود الى القرآن وان لم يجر ذكره للعلم به او الى
التبيين الذي هو مصدر الفعل نحو ضربته زيدا اي ضربت الضرب زيدا واما الاول فقد امره وتطبيقه انه فهم الرسول
دارست لمن منهم بالقرآن والرسول وعلى هذا فيعود مسئلة الجبر والقدر اما الاشاعرة فاجروا الكلام على ظاهره فقالوا
معناه انا ذكرنا هذه الدلائل حالا بعد حال ليقول بعضهم دارست فيزدادوا كفرا على كفرهم وتبيينه لبعض فيزدادوا
ايمانا على ايمان كقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما المعتزلة فقال الجبائي منهم والقاضي ان الاثبات يحمل على النفي

والتعذير بصرف الآيات لئلا يقولوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا والمراد لام العاقبة وزيف بان حمل الاثبات
على النفي تحريف لكلام الله وفتح هذا الباب يخرج الكتاب عن ان يكون حجة وايضا انه مناف للمقصود لان انزال الآيات
نجما فنجما هو الذي اوقع الشبهة للقوم في ان محمدا انما اتى بالقرآن على سبيل المدارسة والمذاكرة مع اقوام آخرين ولهذا
كانوا يقولون لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة فالجواب الذي ذكره انما يصح لو كان التصريف علة لان يمتنعوا من هذا القول
لكنه موجب له فسقط كلامهم وايضا حمل اللام على لام العاقبة مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى ثم انه لما حكى عن الكفار
انهم ينسبونه في شان القرآن الى الافتراء والى الاخذ والمدارسة من اقوام وانه استفاد هذه العلوم منهم ثم نظمها قرآنا وادعى انه من الله
اتبعه قوله اتبع ما اوحي اليك من ربك لئلا يصير ذلك القول سببا لفتوره في تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه
وازالة الحزن الذي يعتريه بسماع تلك الشبهة ونبه بالجملة المعترضة والحال المؤكدة وهي قوله لا اله الا هو على انه سبحانه لما
كان واحدا في الالهية فانه يجب طاعته ولا يجوز الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين ثم ختم الآية
بقوله واعرض عن المشركين وحمله بعضهم على انها منسوخة بآية القتال وضعف بان المراد ترك مقاتلتهم بأنواعه من
سفه وان تعدل صلوات الله عليه الى الطريق التي يكون اقرب الى القبول وابعد عن التنفير والتغليظ ولو شاء الله ما اشركوا
مذهب الاشاعرة فيه ظاهر وحمله المعتزلة على مشيئة الالجاء والقسر واجيب بعد المعارضة بالعلم والداعي بان
الايمان الاختياري هب انه انفع وافضل من الايمان القهري الا انه تعالى لما علم ان ذلك لا يقع ولا يحصل فقد كان يجب
في حكمته ان يخلق فيه الايمان القهري كي يخلص من العقاب وان لم يجب له الثواب كما ان الاب المشفق اذا علم ان
ابنه لا يحسن الغوص يقول له اترك الغوص في البحر ولا تطلب اللآلي فانك لا تجدها واكتف بالرزق القليل مع السلامة
فاما ان يامره بالغوص في البحر مع اليقين التام بانه لا يستفيد منه الا الهلاك فان ذلك من الرحمة والشفقة بمعزل ثم ختم
الكلام بما يكمل به تبصرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى انه جمع القرآن بطريق المدارسة وكان لا يبعد ان يغضب له المسلمون
لسب ذلك فيسبوا آلهتهم نهى الله تعالى عن ذلك فقال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله وذلك ان المسلمين اذا شتموا
آلهتهم فربما غضبوا وذكروا الله بما لا ينبغي من القول وفيه تنبيه على ان خصمك اذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك
ان تقدم على مشافهته بما يجري مجراه كلامه فان ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والمسافهة وانه لا يليق بالعقلاء قال ابن
عباس لما نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون لئن لم تنته عن سب آلهتنا وعيبها لنهجون
الهك فنزلت وقال السدي لما حضر ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنامرنه ان ينهى عنا
ابن اخيه فانا نستحي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن
الحارث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري الى ابي طالب فقالوا انت
كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء
النبي صلعم فقال له ابو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى عم ماذا يريدون قالوا نريد ان تدعنا وآلهتنا
وندعك والهك فقال ابو طالب قد انصفك قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلعم ارايتم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطي
كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشر امثالها فما هي قال قولوا
لا اله الا الله فابوا واشمازوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فان قومك قد فزعوا منها فقال يا عم ما انا بالذي
اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا او لنشتمنك
ولنشتمن من يامرك فانزل الله تعالى هذه الآية قالت العلماء ان القوم كانوا مقرين بوجود الاله تعالى فكيف يتصور
اقدامهم على شتم الله تعالى واجيب بانه ربما كان بعضهم قائلا بالدهر ونفي الصانع فما كان يبالي بهذا النوع من السفاهة
او لعل مرادهم شتم الرسول فاجرى الله تعالى شتمه مجرى شتم الله كما في قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
او لعلهم من جهالتهم اعتقدوا ان شيطانا يحمله على ادعاء الرسالة ثم انهم سموا ذلك الشيطان بانه اله محمد وههنا
سؤال وهو ان شتم الاصنام من اصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى ان ينهى عنه والجواب ان هذا الشتم
وان كان طاعة الا انه اذا وقع على وجه يستلزم منكرا وجب الاحتراز عنه لان هذا الشتم كان يستلزم اقدامهم على
شتم الله تعالى وشتم رسوله وفتح باب السفاهة ويقتضي تنفيرهم عن قبول الدين وادخال الغيظ والغضب

في قلوبهم ومنه ان الامر بالمعروف قد يقبح اذا ادى الى ارتكاب منكر والنهي عن المنكر يقبح اذا ادى
الى زيادة منكر وغلبة الظن قايمة مقام اليقين في هذا الباب ومنه تأديب لمن يدعو الى الدين كيلا يتشاغل
بما لا يفيد في المطلوب فان وصف الاوثان بانها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفي في القدح في الهيتها فلا حاجة مع ذلك
الى شتمها يقال عدا فلان عدوا وعدوانا اذا ظلم ظلما متجاوزا عن القدر قال الزجاج عدوا منصوب على المصدر لان
المعنى فيعدوا عدوا وقرئ عدوا بفتح العين والتشديد اي حال كونهم اعداء ومعنى بغير علم على جهالة بالله
وبما يجب ان يذكر به كذلك اي مثل ذلك التزيين زينا لكل امة عملهم قالت الاشاعرة فيه دلالة على انه تعالى هو
الذي زين للكافر الكفر وللمؤمن الايمان وللعاصي المعصية وزينه الكعبي تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم
وبقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت فان المراد انه تعالى زين لهم ما ينبغي لهم ان يعملوا وهم لا يفقهون او المراد
زينا لكل امة من الكفار عملهم اي خليناهم وشأنهم وامهلناهم حتى حسن عندهم سوء عملهم وامهلنا الشيطان حتى زين
لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا وضعف بعد المعارضة بالعلم والداعي بان قوله كذلك زينا يدل
على انه فيسبوا الله مشعر بان اقدامهم على ذلك المنكر انما كان بتزيين الله تعالى وايضا الانسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء
مع العلم بكونه كفرا وجهلا والعلم بذلك ضروري بل انما يختاره لانه اعتقد كونه ايمانا وعلما حقا وصدقا ولولا سابقة
الجهل الاول والا لما اختار الجهل الثاني ولا يذهب الجهالات الى غير النهاية فلا بد ان ينتهي الى جهل اول يخلقه الله تعالى فيه
وهو بسبب ذلك الجهل ظن الكفر ايمانا والجهل علما قال واقسموا بالله جهد ايمانهم والغرض حكاية شبهة اخرى لهم في ان
هذا القرآن كيف كان امره فليس من جنس المعجزات البتة ولو اتيتنا يا محمد بمعجزة باهرة وبينة قاهرة لامنا
بك واكد واهذا المعنى بالايمان والاقسام قال الواحدي انما سمي اليمين بالقسم لان اليمين موضوعة لتوكيد الخبر وكانت
الحاجة الى ذكر الحلف عند انقسام الناس وقت سماع الخبر الى مصدق او مكذب فعنى بالاقسام ان القسمة
وجعل الناس كلهم مصدقين بواسطة الحلف واليمين عن محمد بن كعب قال كلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قريش فقالوا يا محمد تخبرنا ان موسى كانت معه عصى تضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتي عشرة عينا وان عيسى كان
يحيي الموتى وان صالحا كانت له ناقة فاتنا ببعض تلك الايات حتى نصدقك فقال رسول الله صلعم اي شيء تحبون ان اتيكم
به قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا قال فان فعلت تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعون فقام رسول الله
يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال ان شئت اصبح الصفا ذهبا ولكن لم ارسل باية فلم يصدق بها الا انزلت
العذاب وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلعم اتركهم حتى يتوب تائبهم فانزل الله الايات
الى قوله ولكن اكثرهم يجهلون قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه وقال الزجاج معناه بالغوا
في الايمان والمراد بقوله ان جاءتهم اية ما ردوا من جعل الصفا ذهبا وقيل هي الاشياء المذكورة في قوله وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا الايات وقيل كان النبي صلعم يخبرهم بان عذاب الاستيصال كان ينزل بالامم المتقدمين المكذبين
فالمشركون طلبوا مثلها قل انما الايات عند الله اي هو مختص بالقدرة على امثال هذه الايات لان المعجزات لا يحصل
الا بتخليق الله تعالى او المراد بالعندية هو العلم بان احداث هذه المعجزات هل يقتضي ايمانهم ام لا كقوله وعنده مفاتح
الغيب او المراد انها وان كانت معدومة في الحال الا انه تعالى متى شاء احدثها وليس لكم ان تحكموا في طلبها كقوله وان
من شيء الا عندنا خزائنه وما يشعركم ما استفهام والجملة خبره ثم من قرا انها بكسر الهمزة على الابتداء وهي القراءة
الجيدة فالتقدير وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتدا فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون واما قراءة الفتح فقال سيبويه سالت
الخليل عن ذلك فقال لا يحسن لانها تصير عذرا للكفار لان معنى قولنا لقايل ما يدريك انه لا يفعل هو انه يفعل فمعنى
الاية انها اذا جاءت امنوا وذلك يوجب مجيء هذه الايات ويصير هذا الكلام عذرا لهم في طلبها لكن القراءة لما
كانت متواترة فلا جرم ذكر العلماء فيه وجوها قال الخليل ان بمعنى لعل تقول العرب ائت السوق انك تشتري لنا شيئا اي
لعلك ويقوي هذا الوجه قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وثانيها ان يجعل لا صلة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد
وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون وثالثها ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الاية ويتمنون
مجيئها فقال الله وما يدريكم ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون على انها بمعنى انكم لا تدرون ما سبق به علمي من انهم لا يؤمنون

واما من قرا لا تؤمنون بتاء الخطاب فالمراد وما يشعركم ايها الكفار قال القاضي والجبائي في الاية دلالة على انه تعالى يجب
ان يفعل كل ما في مقدوره من الالطاف اذ لو كان في المعلوم لطف يؤمنون عنده ثم انه لا يفعل ذلك لم يكن لتعليل ترك
الاجابة بانهم لا يؤمنون وجه وايضا لو كان الايمان يخلق الله تعالى ولم يكن لفعل الالطاف اثر في حمل المكلف على الطاعات
لم يكن لاظهار تلك المعجزات اثر واجيب بان تاثير المعجزات عندهم مبني على وجوب اللطف فلو اثبت اللطف به لزم
الدور وبان الاية التي بعد هذا وهو قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم تدل على ان الكفر والايمان بفضل الله وقدره ومعنى
تقليب الافئدة والابصار هو انهم اذا جاءتهم الايات القاهرة التي اقترحوها وعرفوا كيفية دلالتها على صدق الرسول
الا انه تعالى اذا قلب قلوبهم وابصارهم عن ذلك الوجه الصحيح بقوا على الكفر ولم ينتفعوا بتلك الايات والتقليب
تحريك الشيء عن وجهه وكان صلعم يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك والمراد انه تعالى يقلب القلوب
تارة من دواعي الخير الى داعي الشر وبالعكس وانما قدم ذكر تقليب الافئدة على تقليب الابصار لان موضع الدواعي
والصوارف هو القلب فاذا حصلت الداعية في القلب انصرف البصر عنه والحاصل ان السمع والبصر تابعان للقلب فلهذا السبب
وقع الابتداء بتقليب القلب قال الجبائي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم في جهنم على لهب النار وحرها لنعذبهم
ورد بان قوله تعالى ونذرهم انما يحصل في الدنيا وهذا يستلزم سوء النظم وقال الكعبي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم
بانا لا نفعل بهم ما نفعل بالمؤمنين من الفوائد والالطاف حيث اخرجوا انفسهم عن هذا الحد بسبب كفرهم وضعف بانه انما
استحق الحرمان من تلك الالطاف والفوائد بسبب اقدامه على الكفر فهو الذي اوقع نفسه في ذلك الحرمان فكيف يحسن
اضافته الى الله تعالى في قوله ونقلب وقال القاضي القلب بان على حالة واحدة الا انه تعالى ادخل التقليب والتبديل
في الدلائل واعترض بان تقليب القلب نقله من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة اما قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة
فقال الواحدي فيه حذف والتقدير فلا يؤمنون بهذه الاية كما لم يؤمنوا بظهور الايات اول مرة يعني اول ما اتتهم
الايات مثل انشقاق القمر وغيره والكناية في به اما عايدة الى القرآن او الى محمد او الى ما طلبوا من الايات وقيل الكاف
للجزاء اي كما لم يؤمنوا اول مرة فكذلك نقلب افئدتهم وابصارهم عقوبة لهم قال الجبائي ونذرهم اي لا نحول بينهم وبين
اختيارهم ولا نمنعهم بمعاجلة الهلاك وغيره لكنا نمهلهم فان اقاموا على طغيانهم فذلك من قبلهم وانه يوجب تاكيد
الحجة عليهم وقالت الاشاعرة انا نقلب افئدتهم من الحق الى الباطل ونتركهم في ذلك الطغيان والضلالة والعمه
التاويل قد جاءكم بصائر ودلالات السعادات الباقية فمن ابصرها بنظر البصيرة فاشتغل بتحصيلها وامتثل على
الله لسلوك سبيلها فذلك تحصيل لنفسه فان الله غني عن العالمين ومن عمي فبالعكس ولا تسبوا الذين يدعون
لا تخاطبوا اهل الضلال على مواجب نوازع النفس والطبيعة فيحملهم ذلك على ترك الاجلال واظهار الضلال بل خاطبوهم
بلسان الحجة والتزام الحجة ونفس الشبهة واقسموا بالله حسبوا ان البرهان يوجب الايمان ولم يعلموا انهم مقهورون
تحت حكم السلطان وما ينبغي وضوح الادلة لمن لم يدركه سوابق الرحمة ونقلب افئدتهم عن الاخرة الى الدنيا وابصارهم عن
شواهد الحق الى مشاهدة النفس والهوى كانهم لم يؤمنوا يوم الميثاق اذ قلت الست بربكم قالوا بلى والله اعلم

الجزء الثامن

وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ۝ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ
نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۝
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ۝ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي

انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق فلا تكونن من الممترين ۝ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته
وهو السميع العليم ۝ وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان
يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ۝ ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين ۝ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ۝ وما
لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما
اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين ۝
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ۝
ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون ۝

القراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بضمتين منزل بالتشديد ابن عامر وحفص والمفضل كلمة ربك عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب الباقون كلمات من يضل من الاضلال الاصفهاني عن نصير فصل على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل وقرأ ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وحفص جميعا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيهما ليضلون بضم الياء عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح **الوقوف** يجهلون غرورا يفترون ٥ مقترفون مفصلا الممترين وعدلا لكلماته لابتداء الضمير المنفصل مع احتمال الواو الحال اي لا تبديل لكلماته وهو السميع العليم عن سبيل الله يخرصون عن سبيله بالمهتدين مومنين اليه بغير علم بالمعتدين وباطنه يقترفون لفسق ليجادلوكم لمشركون **التفسير** هذا شروع في تفصيل ما اجمله قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون وكان المستهزءون بالقرآن خمسة الوليد بن المغيرة المخزومي والعاص بن وائل السهمي والاسود بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب والحارث بن حنظلة اتوا الرسول صلى الله عليه وسلم في رهط من اهل مكة فقالوا ارنا الملائكة يشهدون بانك رسول الله وابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم احق ما تقول ام باطل وائتنا بالله والملائكة قبيلا اي كفيلا على ما تدعيه فنفى الله عنهم الايمان وان اوتوا هذه المقترحات قال ابن زيد يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة كلها بمعنى واحد وهو المواجهة رواه الواحدي وقال ابو عبيدة والفراء والزجاج قبلا بكسر القاف معناه معاينة روي عن ابي ذر قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أكان آدم نبيا قال نعم كان نبيا كلمه الله تعالى قبلا واما قبلا بضمتين فقيل انه جمع قبيل ومعناه الجماعة يكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب قال الاخفش في تفسيره اي قبيلا او معناه الكفيل والعريف من قبل به وتقبل قبالة والمعنى لو حشرنا عليهم كل شي كفلوا بصحة ما نقول امنوا وموضع الاعجاز فيه ان الاشيا المحشورة منها ما ينطق ومنها ما لا ينطق ومنها حي ومنها ميت فاذا حشرها الله تعالى

على اختلاف طبايعها مجتمعة في موقف واحد ثم انطقها واتفقوا على تصديق هذه الكفالة كان ذلك من اعظم المعجزات اما قوله تعالى ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ايمانهم فقد قالت الاشاعرة فلما لم يؤمنوا دل على انه تعالى ما شاء ايمانهم وقالت المعتزلة لو لم يرد منهم الايمان لما وجب عليهم الايمان ولكانوا بامرهم به لم يجب ولو اراد الكفر من الكافر لكفره مطيعا لله لانه لا معنى للطاعة الا فعل المراد ولو جاز من الله تعالى ان يريد الكفر لجاز ان يامر به ولجاز ان يامرنا بان يريد الكفر فالمراد من الاية انه يشاء من الكل الايمان الاختياري وما شاء الايمان القهري والمعنى ما كانوا ليؤمنوا ايمانا اختياريا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار فحينئذ يؤمنون واعترف بان الاختيار لا بد معه من حصول داعية يترجح بها احد طرفي الممكن ولا تحصل تلك الداعية الا بتخليق الله تعالى فكانه لا اختيار قال الجبائي قوله الا ان يشاء الله يدل على حدوث المشية اذ لو كانت قديمة وهي الشرط لزم من حصولها حصول المشروط واجيب بانها قديمة الا ان تعلقها باحداث المحدثات في الحال اضافة حادثة ثم ختم الاية بقوله ولكن اكثرهم يجهلون وقالت الاشاعرة اي لا يعلمون ان الكل بقضاء الله وبقدره وقالت المعتزلة انهم كانوا لا يدرون انهم يبقون كفارا عند ظهور الايات التي طلبوها والمعجزات التي اقترحوها فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هولاء لا يؤمنون الان لجهلهم فيطمعون في ايمانهم الاختياري بمجيء الايات المقترحات ثم قال وكذلك قيل انه منسوق على قوله وكذلك زينا اي وكما زينا لكل امة عملهم جعلنا وقيل ان المشار اليه المحذوف اي وكما خلينا بينك وبين اعدائك وكذلك فعلنا لمن قبلك من الانبيا واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر قالت الاشاعرة لا شك ان تلك العداوة معصية وكفر فان جعلها شرا لانه يدل على ان خالق الخير والشر والطاعة والمعصية والايمان والكفر هو الله قال الجبائي المراد بهذا الجعل انه حكم وبين فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه كفره واذا اخبر عن عدالته قيل عدله وقال الكعبي انه امر الانبيا بعداوتهم واعلمهم بكونهم اعداء لهم فاقتضى ذلك انهم صاروا اعداء للانبيا لان العداوة تكون من الجانبين اجاب ابو بكر الاصم بانه لما ارسل محمدا الى العالمين وخصه بتلك المعجزات صار ذلك التخصيص سببا للحسد والعداوة والبغضاء فهذا هو المراد لجعلهم اعداء وزيف بان الافعال مستندة الى الدواعي وهي من الله تعالى او بان العداوة والمحبة متعلق بالطبع لا بالارادة والتكلف فلا يقدر عليها الا الله تعالى وانتصاب الشياطين كما مر في قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال الزجاج وابن الانباري عدوا في معنى الجمع ولقائل ان يقول لا حاجة الى هذا التكلف لصحة قولنا وكذلك جعلنا لكل واحد من الانبيا عدوا واحدا اذ ليس يجب ان يحصل لكل واحد من الانبيا اكثر من عدو واحد عن ابن عباس كل عات متمرد من الجن والانس فهو شيطان وقال مجاهد وقتادة والحسن ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين وان شياطين الجن اذا اعياه المومن ذهب الى متمرد من الانس فهو شيطان الانس فاغراه بالمومن ليفتنه عليه روي ان النبي صلعم قال لابي ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقيل ان الجميع من ولد ابليس الا ان الذي يوسوس الانس يسمى شيطان الانس والذي يوسوس الجن يسمى شيطان الجن وزيف بان المقصود من الاية الشكاية من سفاهة الكفار الذين هم الاعداء وهم الشياطين وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شياطين الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا ومعنى الايحاء الايماء او القول السريع اي يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وكانه لا يتخصص وسوسة الانس الى الجن الا على تقدير القول بالتشخيص زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي والتحقيق فيه ان الانسان ما لم يعتقد في امر من الامور خيرا نه او نفعا لم يرغب فيه ثم ان كان هذا الاعتقاد مطابقا للنفس الامر فهو الحق والصدق والالهام وكان صادرا من الملك والا كان مزخرفا اي يكون باطنه فاسدا وظاهره مزينا قال الواحدي غرورا نصب على المصدر لان ايحاء الزخرف من القول في معنى الغرور ولو شاء ربك ما فعلوه استدلال الاشاعرة به ظاهر والمعتزلة يحملون على مشيئة الالجاء فذرهم وما يفترون منصوب على انه مفعول او مفعول به اي وافتراءهم او ما يفترونه قال ابن عباس يريد ما زين لهم ابليس وغرهم به وفيه تحذير من الكفر وترغيب في الايمان وتسلية لرسول الله صلعم وتنبيه له على ما اعد للكفرة

من العقاب والثواب بسبب صبره علي سفاههم ونلطفه بهم الصغو في اللغة الميل يقال في المستمع انه مصغ اذا
مال بحاسته الى ناحية الصوت واصغي الاناء اذا اماله حتى انصب بعضه في البعض ويقال للمرأة اذا مالت للغروب صغت واصغي
قال الجوهري صغا يصغو ويصغى صغوا اي مال وكذلك صغى بالكسر يصغى بالفتح صغى وصغيا واللام في ولتصغى
لابد له من متعلق فقالت الاشاعرة التقدير وانما جعلنا مثل ذلك الشخص عدوا للنبي ليميل اليه اي الي قوله المزخرف
افئدة الكفار وسعد وبعد لك السبب عن قبول دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وليرضوه وليختاروه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا
من الاثام ما هم مقترفون وقال الجبائي ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزجر كقوله واستفزز من استطعت
منهم بصوتك ونحو بان حمل لام كي علي لام الامر تخويف وقال الكعبي هي لام العاقبة تقديره ولتميل الي ما ذكر من عداوة
الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار جعلنا لكل نبي عدوا وعن ابي مسلم انها معطوفة على موضع غرورا والتقدير
يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغتروا بذلك ولتميل قلوب الكفار الى المذاهب الباطلة واورد عليه ان ميل القلوب
الي الاراء الفاسدة هو عين الاغترار فيلزم عطف الشيء علي نفسه وههنا بحث وهو ان الاشاعرة قالوا البنية ليست
شرطا للحيوة فالحي هو الجزء الذي قامت الحيوة به والعالم هو الجزء الذي قام العلم به وقالت المعتزلة الحي والعالم هو الجملة
لا ذلك الجزء حجة الاشاعرة انه جعل الموصوف بالميل والرغبة في القلب لا جملة الحي وبمثله استدل من جعل المتعلق
الاول للنفس هو القلب لا مجموع البدن ثم انه سبحانه لما ذكر انه لا فائدة لهم في اظهار الايات التي اقترحوها بين بقوله
افغير الله ابتغي حكما الاية ان الدليل الدال علي نبوته قد حصل وكل ما زاد علي ذلك لا يجب الالتفات اليه وانما
قلنا ان الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين الاول ان الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انه انزل عليه الكتاب
المبين المشتمل علي العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته واشار الى هذا الوجه بقوله
افغير الله ابتغي حكما يعني قل يا محمد انكم تحكمون في طلب سائر المعجزات فهل يجوز في العقل ان يطلب غير الله حكما
فان كل احد يقول ان ذلك غير جائز الوجه الثاني اشتمال التورية والانجيل على ان محمدا رسول الله حقا وعلى ان القران
كتاب حق من عند الله واشار اليه بقوله والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ثم قال فلا
تكونن من الممترين والخطاب لكل احد اي اذا ظهرت الدلايل فلا ينبغي ان يمترى فيه احد وقيل الخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به الامة وقيل الخطاب للرسول في الحقيقة والمراد التهييج والالهاب كقوله
ولا تكونن من المشركين او المراد فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يريبك
جحود اكثرهم قال الواحدي الحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة وقال بعض اهل التاويل الحكم اكمل من الحاكم لان الحاكم
كل من يحكم والحكم هو الذي لا يحكم الا بالحق ثم لما بين ان القران معجز قال وتمت كلمت ربك اي القران وقوله صدقا وعدلا
مصدران ينتصبان على الحال من الكلمة ومعنى تمامها انها وافية كافية في كونها معجزة دالة على صدق محمد او كافية
في بيان ما يحتاج المكلفون اليه في الفقه علما وعملا او المراد بالتمام انها ازلية لا يحدث بعد ذلك شي فاعلم ان كل ما حصل
في القران نوعان الخبر والتكليف فالخبر كل ما اخبر الله تعالى عن وجوده او عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وحصول
صفاته اعني كونه تعالى قادرا سميعا بصيرا بل يعنيه الخبر عن صفات التقديس والتنزيه كقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا
تاخذه سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن اقسام افعال الله تعالى وكيفية تدبيره للملكوت في السموات وفي الارض وفي
عالمي الارواح والاجسام ويدخل فيه الخبر عن احكام الله تعالى في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ويدخل فيه
الخبر عن اقسام اسماء الله تعالى والخبر عن النبوات واقسام المعجزات والخبر عن احوال النشر والقيمة وصفات اهل الجنة
والنار والخبر عن احوال المتقدمين والخبر عن المغيبات واما التكليف فيدخل فيه امر ونهي توجه منه سبحانه على
عبيده سواء كان ملكا او بشرا او شيطانا وسواء كان ذلك في شرعنا او في شرايع الانبياء المتقدمين او في حق اشخاص
الملائكة المقربين الذين هم سكان السموات والجنة والنار والعرش وما وراءه مما لا يعلم احوالهم الا الله فاذن الاية
وتمت كلمات ربك صدقا ان كان من باب الخبر وعدلا ان كان من باب التكليف وهذا ضبط حسن وقيل انه
كل ما اخبر الله تعالى عنه من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق لانه لابد ان يكون واقعا وهو بعد وقوعه
عدل لان افعاله منزهة عن ان تكون بصفة الظلم ثم قال لا مبدل لكلماته والمعنى ان هؤلاء الكفار يلقون الشبه في

الاية هو هم

كون

كون القران دالا علي صدق محمد الا ان تلك الشبهات لا تاثير لها في هذه الدلالة البينة لجلاء الدلائل ووضوحها او المراد
ان كلماته تبقى مصونة بصفتها مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والغرض انها
مبراة عن التناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والمعنى ان احكام الله تعالى لا تتغير ولا
تتبدل لانها ازلية والازلي لا يزول وهذه الحجة احد الاصول القوية في اثبات الجبر لانه يلزم منه ان لا ينقلب العبد
شقيا بالسعيد ثم لما اجاب عن شبه الكفار بين ان منطوي المحجة وتبين الحجة لا ينبغي للعاقل ان يلتفت الي كلمات الجهال
فقال وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله والمضل لابد ان يكون ضالا ويعني بهم الذين ينازعون النبي في الدين عن
فالطعن بصحة مذاهبهم كالزنادقة وعبدة الكواكب والاصنام وكالذين يحرمون البحاير والسوايب والوصايل ويحللون الميتة
فيحكمون علي الحق بانه باطل وعلى الباطل بانه حق فلا يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون يقدرون انهم علي شيء ويكذبون
في ان الله احل كذا وحرم كذا واصل الخرص حزر ما على النخل والرطب تمرا وليس لنفاة القياس تمسك بالاية
من قبل توجه الذم على متبع الظن لان المذموم من اتباع الظن هو الذي لا يستند الى امارة كظن الكفار والمستند الى
تقليد اسلافهم فقط اما اذا كان الاعتقاد الراجح مستندا الى امارة فلم قلتم انه كذلك ثم قال ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين والمراد انك بعد ما عرفت ان الحق ما هو والضال من هو فيجازي كلا منهما بما يليق بعمله او المراد ان هؤلاء
الكفار وان اظهروا من انفسهم ادعاء الجزم واليقين فهم كاذبون والله تعالى عالم باحوالهم وبواطنهم ومطلع على تحيرهم
في اودية الجهالة وتيه الضلالة قال النحويون افعل التفضيل لا يعمل في مظهر ففي الكلام محذوف اي يعلم من يضل عن سبيله
فان لم يقدر محذوف نزل بالباء كما في العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وههنا هو الاصل وانما حسن
هذا السبق بالحذف موافقة لقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وعدل الي لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاضافة
لان اكثر ما يستعمل مع الماضي نحو اعلم من دب ودرج واحسن من قام وقعد وافضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ
المستقبل التبس بالاضافة تعالى الله عن ذلك وجوز بعضهم ان تكون من للاستفهام كقوله لنعلم اي الحزبين
احصى ثم قال فكلوا ما قتله الله احق مما قتلتم انتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله
عليه وهو المذكى بسم الله فان قيل ان القوم كانوا يبيحون ما ذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع
في اكل الميتة فانهم كانوا يبيحونها والمسلمون يحرمونها فالحكم في اثبات الحكم في المتفق عليه وترك الحكم في المختلف فيه
فالجواب لعل القوم كانوا يحرمون اكل المذكاة ويبيحون اكل الميتة فرد الله تعالى عليهم في الامرين بقوله فكلوا مما ذكر
اسم الله وبقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه او بقول المراد اجعلوا اكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه وعلى
هذا فيكون المراد تحريم الميتة الى اخر الاية واعترض عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة من اخر ما نزل بالمدينة
والمائدة يقتضيه ان يكون التفصيل متقدما على هذا المجمل بل الاولى ان يقال المراد قوله تعالى بعد هذه الاية قل لا اجد فيما اوحي
الي محرما الى اخرها فان هذا القدر من التاخير غير مانع وقوله الا ما اضطررتم اليه اي دعتكم الضرورة الي اكله بسبب
شدة المجاعة وان كثيرا ليضلون المبالغة في قراءة ضم الياء اكثر لان كل مضل فانه يكون ضالا وقد يكون الضال غير مضل
قيل انه عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه اول من غير دين اسمعيل واتخذ البحاير والسوايب واكل الميتة وقوله باهوائهم
بغير علم يريد ان عمرو بن لحي اقدم على هذه المذاهب من الجهالة الصرفة وقال الزجاج المراد منه الذين يحللون الميتة
ويناظرون في احلالها ويحتجون عليها بقوله اذا احل ما تذبحونه انتم فلان يحل ما يذبحه الله تعالى اولى وكذلك كل ما
يضلون فيه من عبادة الاوثان والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دلالة على ان القول في الدين بمجرد التقليد
حرام ان ربك هو اعلم بالمعتدين فيجازيهم عليها وفيه من التهديد ما فيه ثم ذكر اية جامعة فقال وذروا ظاهر
الاثم وباطنه فقيل ظاهره الزنى في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر قال الضحاك كان اهل الجاهلية يرون
الزنى حلالا ما كان سرا والاصح ان النهي عام اذ لا دليل على تخصيصه ثم قيل المراد ما اعلنتم وما اسررتم وقيل ما عملتم
وما نويتم وقال ابن الانباري يريد وذروا الاثم من جميع جهاته كما تقول ما اخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا اي ما
اخذت بوجه من الوجوه قريب منه قول من قال المراد النهي عن الاثم مع بيان انه لا يخرج عن كونه اثما بسبب اخفايه
وكتمانه وقيل المراد النهي عن الاقدام على الاثم ظاهره وباطنه لينظر بذلك ان الداعي له الي ترك ذلك الاثم خوف الله لا خوف الناس

وقيل ظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وارادة الشر للمسلمين ويدخل فيه الا
عتقاد والعزم والنظر والظن والتمني والندم على افعال الخيرات ومنه يعلم ان ما يوجد في القلب قد يواخذ به وان لم يقترن
به عمل ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون اي يكتسبون من الاثام ومنه الاعراف بمحو الاثر الى كما
قال التوبة تمحو الحوبة وظاهر النص يدل على انه يعاقب المذنب البتة الا ان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب لم يعاقب
واهل على انه اذا لم يتب احتمل العفو ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله نقل عن عطا انه كل ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه اذا تاب
تمسكا بعموم الاية واجمع سائر الفقها على تخصيص هذا العموم بالذبح ثم اختلفوا فالك كل ذبح لم يذكر اسم الله تعالى عليه من
طعام او شراب فهو حرام ترك الذكر عمدا او نسيانا وهو قول ابن سيرين وطائفة من المتكلمين ابو حنيفة ان ترك عمدا حرم
وان ترك نسيانا حل الشافعي متروك التسمية ولقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم بهذه المناظرة
كانت في مسئلة الميتة وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة من قتلها اذا ماتت قال الله قتلها قالوا فتزعم ان
ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتل الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله الاية المراد من الشياطين ههنا
ابليس وجنوده وسوسوا الى اوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا واصحابه في اكل الميتة وقال عكرمة وان الشياطين
يعني مردة المجوس ليوحون الى اوليائهم من مشركي قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من اهل فارس
فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة وان محمدا واصحابه يزعمون ان ما يذبحونه حلال وان ما يذبحه الله حرام فوقع
في انفس ناس من المشركين شي فنزلت الاية ثم قال وان اطعتموهم يعني في استحلال الميتة انكم لمشركون قال
الزجاج وفيه دليل على ان كل من احل شيا مما حرم الله تعالى وحرم شيا مما احل الله فهو مشرك لانه اثبت حاكما سوى
الله تعالى ثم قال الشافعي الفسق في اية اخرى وهي قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى قوله او فسقا اهل لغير الله
به مفسر بما اهل به لغير الله فعلمنا ان الفسق في هذه الاية ايضا مفسر تنزلنا عن هذا المقام وهو التمسك بالمخصصات فلم
قلتم انه لم يوجب ذكر الله تعالى ههنا لما روي انه صلعم قال ذكر الله مع المسلم سوا قال او لم يقل فيحمل هذا الذكر على ذكر
القلب لحتى نقول هب ان هذا الدليل يوجب الحرمة الا ان معنا ما يدل على الحل واذا تعارض الحل والحرمة فالحل راجح لان
الاصل في الاشيا الاباحة والعمومات الدالة على الحل كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا كلوا واشربوا ولانه مستطاب
وقد قال احل لكم الطيبات ولان الطبع يميل اليه وقد نهى عن اضاعة المال هذا تقرير مذهب الشافعي ومع ذلك فالاولى
بالمسلم ان يحترز عنه لقوة ظاهر النص قال الكلبي في الاية دلالة على ان الايمان اسم لجميع الطاعات لانه تعالى سمى
مخالفته شركا واجيب بانه لم لا يجوز ان يراد بالشرك ههنا اعتقاد ان الله تعالى له شريكا في الحكم التاويل
فكلهم الموتى اي قلوبهم الميتة وحشرنا اي ابنائهم جميع الايات المودعة في المكونات الا ان يشا الله فان المشية بغير
السعة والعناية الازلية كفاية الابد به ولكن اكثرهم يجهلون ان الهدى ليس بالمنى وانه بمشية المولى احزان البلايا
لسائرين الى الله هي المطايا فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن في النفس الامارة التي هي اعدى
الاعداء الذينة ابتلاهم الكتاب هدينا هم بنون الكتاب الحضرة الجلال فلا يكون بنى التكوين في الازل وتمت كلمة ربك
كلامه وقضاوه في الازل صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم بالوجود والعدم والسعادة والشقاوة والرد والقبول والخير
والشر والحسن والقبح والايمان والكفر واحسن شي خلقه هو الانسان لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكذلك
شر شي هو الانسان عند فساد استعداده ثم رددناه اسفل سافلين ولاهل الكمال ترق في كمال الحسنى الى الابد
ولاهل النقصان تسفل في القبح الى الابد ايضا اظهارا للقدرة الكاملة غير المتناهية وهو السميع لحاجة كل ذي
حاجة العليم بما يناسبه كل موجود وان تطع اكثر من في الارض وهم اهل الاهوا وانهم اهل الحق وان هم الا يخرصون
في دعوى طلب الحق فان سبيل الحق لا يسلك بالهوى وانما يسلك بالصدق والهدى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه في امارات
الانسان انه يا كلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع ويذبحوه بذكر الله كما قال صلى الله عليه وسلم اذيبوا طعامكم
بذكر الله فالاكل على الغفلة والنسيان والاستعانة على العصيان يورث موت الجنان والحرمان على الجنان وقد فصل
لكم يا اهل الله ما حرم عليكم وهو الدنيا وهي الدنيا وما فيها والاخرة ونعيمها الا ما اضطررتم اليه من ضروريات المعيشة
في الدارين بامر المولى لا بالطبع والهوى ان ربك هو اعلم بالمعتدين الذين جاوزوا الموجود كما في الدنيا والعقبى

وذروا ظاهر الاثم يعني الاعمال الطبيعية وباطنه يعني الاخلاق الذميمة الردية سيجزون بما كانوا يقترفون لان
الاخلاق الظلمانية توجب فساد مراة القلب وبذيبها بينا الى ان يصير حجابا بين العبد وبين الله ولا تاكلوا
طعاما الا بامر الله وعلى ذكر الله وفي طلب الله ليندفع بنور الذكر ظلمة الطعام وانه يعني ظلام الطعام يودي الى
الفسق الذي هو الخروج من النور الروحاني الى الظلمة النفسانية وان الشياطين ليوحون فان للشيطان مجالا للوسوسة
اذا كانت النفوس في المجادلة مع القلوب ليدعوها الى متابعة الهوى الله حسبي ٤٠

أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ
لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي
كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝
وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۝ اللَّهُ أَعْلَمُ
حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ
شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ۝ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ
يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ
الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَيَوْمَ
يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ
رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ
فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ
عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا
وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ

القراءة ميتا بالتشديد ابو جعفر ونافع ويعقوب وسهل ويعقوب رسالته بالنصب والتوحيد ابن كثير وحفص

والمفضل الباقون برسالاته على الجمع وبالكسر في موضع النصب ضيقا وبابه بالتخفيف ابن كثير حرجا بكسر الراء ابو جعفر
والمفضل الباقون ونافع وسهل وابو بكر وحماد الباقون بالفتح يصعد من الصعود ابن كثير يصاعد من التصاعد بادغام التاء
في الصاد ابو بكر وحماد الباقون يصعد بالادغام من التصعد نحشرهم بياء الغيبة حفص الاخرون بالنون **الوقوف**
بخارج منها يعملون منها وما يشعرون رسل الله برسالاته يكرون للاسلام لابتداء شرط اخر مع العطف في السماء لا يؤمنون
مستقيما يذكرون يعملون جميعا لحذف اي يحشرهم ويقول لهم مع اتحاد المقصود من الانس الاول لتبدل القائل مع اتفاق
الجنس اجلت لنا قال النار يغلط الصوت على الثاني اشارة الى ان النار مبتدا وبعد القول وليست فاعله شاء الله عليم
يكسبون يومكم هذا كافرين **التفسير** انه سبحانه بعد ان ذكر ان المشركين يجادلون المومنين ضرب مثلا للمومنين
فبين ان المومن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعله الله حيا واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو
في الظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون متحيرا على الدوام وهل هما خاصان او عامان فيه قولان الاول قال ابن
عباس يريد حمزة بن عبد المطلب وابا جهل وذلك ان ابا جهل رمى رسول الله صلعم بفرث وحمزة لم يومن بعد فاخبر حمزة
بما فعل ابو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول
يا با يعلى اما ترى بما جاء به سفه عقولنا وسب الهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من
دون الله اشهد ان لا اله الا الله لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فانزل الله الاية وعن مقاتل نزلت في النبي صلعم
وابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن
به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت وعن عكرمة انها في عمار بن ياسر وابي جهل وعن الضحاك هي في عمر بن الخطاب وابي
جهل والقول الثاني انها عامة في كل مومن وكافر لحصول المعنى في الكل وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة
والوقفة فهو كالموت الذي يوجب السكون وايضا الميت لا يهتدي الى شيء وكذلك الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان
الفوز بالمطالب كالحيوة والنور قال بعض العلماء قوله او من كان ميتا اشارة الى اولى مراتب النفس الانسانية وهي الاستعداد
المحض المسمى بالعقل الهيولاني عند الحكماء وقوله فاحييناه اشارة ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهي ان يحصل
لها العلوم الكلية الاولية وقوله وجعلنا له نورا اشارة الى ثالثة المراتب وهي التي قد حصلت لها المعقولات
المكتسبة ولكنها لا تكون حاضرة بالفعل بل تكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها قدر عليه
ولهذا يسمى عقلا بالفعل اي الفعل القريب وقوله يمشي به في الناس اشارة الى رابعة المراتب وهي النهاية المسماة
بالعقل المستفاد وقد حصلت المعارف القدسية والجلايا الروحانية للنفس حاضرة للعقل وصار جوهر الروح مشرقا
بتلك المعارف مستضيئا بها ويمكن ان يقال الحيوة عبارة عن الاستعداد التام بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور
الوحي والتنزيل فانه لا بد في الابصار من امرين سلامة الحاسة والنور الخارجي من الشمس او السراج فكذلك
البصيرة لا بد لها في الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحي فلهذا قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القران
ومنهم من قال نور الدين او نور الحكمة والاقوال متقاربة واما مثل الكافر فهو كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها
وفيه ان ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة له لا يكاد يزول عنه فيبقى متحيرا خائبا نعوذ
بالله من هذه الحالة ومعنى المثل ههنا الصفة الغريبة اي كمن صفته هذه فالمراد كمن هو في الظلمات ثم قال كذلك زين
للكافرين ما كانوا يعملون والمزين هو الله بالتحقيق عند الاشاعرة والشيطان بالحقيقة او الله مجازا عند المعتزلة
والاضافة الى الله بالحقيقة والمجاز يدل عليه قوله وكذلك جعلنا اي وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا
في كل قرية اكابر هي جمع الاكبر ومجرميها مضاف اليه والظرف مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل التقدير
جعلنا مجرميها اكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين اكابر لانهم لاجل رياستهم اقدر على الغدر والمكر وترويج الاباطيل
على الناس من غيرهم لان كثرة المال وقوة الجاه تحمل الناس على المبالغة في حفظهما وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الاخلاق
الذميمة من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والشح والايمان الكاذبة وكفى بهذه الامور دليلا على خساسة المال
والجاه واللام في ليمكروا على اصله عند الاشاعرة واستدلوا به على ان الشر بارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام
العاقبة مجازا كما حملوا الجعل في قوله وكذلك جعلنا على التخلية والخذلان ثم قال في معرض التهديد وما يمكرون

الا بانفسهم لان وباله يعود عليهم وما يشعرون وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد
بالنصرة ثم انه سبحانه حكى قول ابي جهل واضرابه زاحمنا بني عبد مناف في الشرف الى اخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت
النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا فقال واذا جاءتهم اية اي معجزة قاهرة او وجدوا قالوا
لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال الضحاك اراد كل واحد منهم ذلك كما في الاية الاخرى بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة ويشبه ان يكون هذا الكلام الخبيث هو المراد بالمكر المذكور في الاية المتقدمة وللمفسرين
في مقترحهم قولان احدهما وهو الاشهر انهم ارادوا ان يحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلعم وان يكونوا متبوعين
لا تابعين ومخدومين لا خادمين وثانيهما عن ابن عباس والحسن ان المعنى اذا جاءتهم اية من القران تامرهم باتباع
محمد قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من الله تعالى الى ابي جهل والى فلان
وفلان فالقوم ما ابتغوا النبوة وانما طلبوا ايات باهرة ومعجزات قاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين تدل على صحة
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله سبحانه في جوابهم على سبيل الاستيناف الله اعلم حيث يجعل رسالته على القول
الاول ظاهر واما على القول الثاني فوجهه ان القوم اذا اقترحوا تلك الايات فلو اظهر الله تعالى تلك المعجزات على وفق
التماسهم لكانوا اقلوا قربا من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح متساوية في تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة
لبعضها دون بعض تشريف من الله تعالى واحسان وتفضل وقال اخرون بل النفوس مختلفة بجواهرها وماهياتها فبعضها
خيرة عن علائق الجسمانيات مشرقة بالانوار الالهية مشتغلة مؤثرة وبعضها خسيسة كدرة محبة للجسمانيات فالنفس ما لم
تكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحي والرسالة ومراتب الرسل ايضا مختلفة فمنهم ذو معجزة واحدة ومنهم
ذو معجزتين او اكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من امن جم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان مدار
امره على التغليظ والتشديد وفي الاية تعريض بان حصول النبوة والرسالة لا بد فيه من قلب سليم والمفتخرون
منهم من المكر والحسد ما فيهم فكيف يقبل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم ما يناسب اخلاقهم واحوالهم ولهذا
قال تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وهوان عند الله اي في الاخرة او في الدنيا بحكمة الله وايجابه من الاسر
والقتل والمراد من عند الله بحذف او قوله عند الله مستانف اي معد لهم ذلك واعلم ان كمال العقاب لا بد فيه
من امرين الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا عن طاعة محمد صلى الله عليه وسلم طلبا للعز والكرامة فالله تعالى بين انه
يقابلهم بضد مقصودهم فاول ما يوصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد جميع ذلك بسبب مكرهم ومكرهم
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يقال شرح فلان امره اذا اظهره واوضحه ومنه شرح المسئلة اذا
بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول ذلك الامر ولا شك ان توسيع الصدر غير ممكن
على سبيل الحقيقة ولكن ههنا معنى وهو انه اذا اعتقد الانسان في عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره راجح
مال طبعه اليه وقوي ميله ورغبته في حصوله وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله فسميت هذه الحالة
سعة الصدر وان حصل في القلب علم او اعتقاد او ظن بكون ذلك العمل مشتملا على ضرر زائد ومفسدة راجحة
دعاه ذلك الى تركه وحصل في النفس نبوة عن قبوله فيقال لهذه الحال ضيق الصدر لان المكان اذا كان ضيقا
لم يتمكن الداخل من الدخول فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه واكثر استعمال شرح الصدر في جانب الحق
والاسلام وقد ورد في الكفر ايضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا قال المفسرون لما نزلت هذه الاية
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كيف يشرح الله صدره فقال رسول الله صلعم يقذف الله تعالى فيه
نورا حتى ينفسح وينشرح فقيل له وهل لذلك من امارة يعرف بها فقال صلى الله عليه وسلم الانابة الى دار الخلود
والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله هذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود
لا بد ان تترتب الى اعتقاد ان عمل الاخرة زائد النفع والخير والتجافي عن دار الغرور انما ينبعث عن اعتقاد كون
عمل الدنيا زائد الضرر والشر والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الامرين الزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة
واما قوله حرجا فمن قرا بكسر الراء فعلى النعت ومن قرا بالكسر فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج
الحرج في اللغة الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذي لا تناله الراعية حكى الواحدي

باسناده عن ابن عباس انه قرأ هذه الاية فقال هل هيهنا احد من بني بكر فقال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم
قال الوادي الكثير الاشجار المستمسك الذي لا طريق له فقال كذلك قلب الكافر ومعنى يصعد في السما كانما يزاول
امرا غير ممكن لان صعود السما مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة فكان الكافر في نفوره عن الاسلام
وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الصعود الى السما وقيل المراد ان قلبه يتباعد عن الاسلام ويتولاه تباعد ما بين
الارض والسما كذلك يجعل اي كما جعل ضيق الصدر في قلوبهم كذلك يجعل الرجس عليهم وقال الزجاج اي مثل ما قصصنا
عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان سلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وعن عطاء
الرجس هو العذاب وقال الزجاج هو اللعنة في الدنيا والعذاب في الاخرة قالت الاشاعرة في الاية دلالة على ان
الهداية والضلال من الله تعالى ان بيانه ان العبد قادر على الايمان وعلى الكفر وقدرته بالنسبة الى الامرين سوا يمتنع
الا لداعية ولا معنى للداعية الا علمه او اعتقاده او ظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زائدة ومجموع القدرة
مع الداعي يوجب الفعل ولا بد ان ينتهي تلك الداعية الى تخليق الله تعالى وتكوينه دفعا للتسلسل فاذا خلق الله تعالى في
قلبه اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة وهو المراد بشرح الصدر مال القلب اليه واذا خلق في قلبه اعتقاد ان الايمان يجهد
سبب للمفاسد الدنيوية والدينية نبا في طبعه عنه وبقي على الكفر فحاصل الاية ان من اراد الله منه الايمان قوي دواعيه
اليه ومن اراد منه الكفر قوي صوارفه عن الايمان وقالت المعتزلة انه لا دلالة في الاية على قولكم لانه ليس منها
اكثر من انه اذا اراد ان يهدي انسانا او يضله فعل به كيت وكيت ليس فيها انه اراد ذلك او لم يرد نظيره قوله لو اردنا
ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فبين انه كيف يفعل اللهو لو اراده ثم انه لم يرد ذلك بالاتفاق وايضا لم قلتم انه اراد
ومن يرد ان يضله عن الايمان بل المراد من يرد الله ان يهديه يوم القيمة الى طريق الجنة يشرح صدره للاسلام حتى
يثبت عليه وتفسير الشرح هو انه يفعل به الطافا تدعوه الى البقاء على الايمان والثبات عليه ومن يرد ان يضله عن
طريق الجنه فعند ذلك يلقي في صدره الضيق والحرج لا في كل الاوقات بل في بعضها كيلا يمكن دفعه وخصوصا عند
ظهور نصرة المومنين وبدو الذل والصغار في الكافرين وايضا لم لا يجوز ان يقال المعنى فمن يرد الله ان يهديه الى الجنه
يشرح صدره للاسلام في ذلك الوقت الذي يهديه فيه الى الجنه لما راى من فوايد الايمان وتتابع من الدرجات العالية
والمراتب الشريفة فيزداد رغبته فيه ومن يرد ان يضله يوم القيمة عن طريق الجنة ففي ذلك الوقت يضيق صدره ويحرج
الشديد الذي ناله عند الحرمان من الجنه والدخول في النار وقال في الكشاف فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان
يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام ويسكن اليه نفسه ويحب الدخول
فيه ومن يرد ان يضله اي يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى
يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان واجيب عن قولهم ليس في الاية انه اراد ذلك ام لم يرد
بان قوله اخر الاية كذلك يجعل الله الرجس تصريح بانه فعل به ذلك الاضلال لان الكاف للتشبيه والتقدير كما جعلنا ذلك الضيق
والحرج في صدره كذلك يجعل وفيه ايضا دلالة على ان المراد من قوله ومن يرد ان يضله هو انه يضله عن الدين وتفسير
الضيق والحرج باستيلاء الغم والحزن على قلب الكافر بعيد لان اكثر من يعتريه الحزن في الدنيا هو المومن ولهذا اشد الناس
حظ البلا الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ولو خص ذلك في الاخرة كان من ايضاح الواضحات فمن المعلوم لكل احد ان
يضله الله عن طريق الجنه فانه يضيق قلبه في ذلك الوقت والجواب على قول صاحب الكشاف ما هو من ان فعل الايمان
يتوقف على ان يحصل في القلب داعية جازمة الى الايمان وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى وكذا القول في جانب الكفر
فان سمي الداعي احد باللطف والخذلان فلا مشاحة في الاسامي قال القاضي في تفسيره روي عن محمد بن كعب القرظي
انه قال تذاكرنا امر القدرية عند ابن عمر فقال لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا فاذا كان يوم القيمة نادى مناد
وقد جمع الناس بحيث يسمع الكل اين خصماء الله فيقوم القدرية فالو لا يخفى انهم ينسبون افعال العباد الى الله قضا وقدرا
وخلقا لانهم يقولون الذنب لله فاي ذنب لنا حتى تعاقبنا انت الذي خلقته فينا واردته منا وقضيته علينا ولم تخلقنا الا له
ولا يتوب لنا غيره وهؤلاء لابد ان يكونوا خصماء الله اما الذين قالوا ان الله تعالى مكن وازاح العلة وانما اتي العبد من قبل
نفسه فكلامه موافق لما يعامل به من انزال العقوبة فهؤلاء منقادون لله تعالى لا خصماؤه هذا كلام القاضي ويتعجب منه الاشاعرة

جعلناه

تعالوا

تعالوا كيف يكون خصم الله من يقول ليس للعبد على الله حجة ولا استحقاق بوجه من الوجوه وان كل ما يفعله الرب في العبد
فهو حكمة وصواب وليس للعبد على ربه اعتراض ولا مناظرة وكل ما يصل منه الى عباده حتى الملائكة والانبيا فهو تفضل
منه واحسان لكن الخصم من يدعي عليه وجوب الثواب والعوض ويقول لو لم يعط ذلك لخرجت عن الالهية وصرت معزولا
عن الربوبية وكنت من السفها وان من واظب على الكفر سبعين سنة ثم انه في اخر من حيوته قال لا اله الا الله محمد رسول الله
عن القلب ثم مات قال يا رب العالمين اعطاه النعم الباقية سنين غير محصورة ثم انه لو ترك ذلك لحظة واحدة قال العبد
له انك معزول عن الالهية يحكى ان الشيخ ابا الحسن الاشعري لما فارق مجلس استاذه ابي علي الجبائي وترك مذهبه
وكثر اعتراضه على اقاويله عظمت الوحشة بينهما فاتفق ان ابا علي اتخذ مجلس التذكير وحضر عنده جم غفير فذهب
الشيخ ابا الحسن الى ذلك المجلس مختفيا عن الجبائي وقال لبعض من حضر هناك من العجائز اني اعلمك مسئلة فاذكريها
لهذا الشيخ قولي له كان لي ثلثة من البنين واحد في غاية الزهد واخر في غاية الفسق والثالث كان صبيا لم يبلغ فاتوا على
هذه الصفات فاخبرني ايها الشيخ عن احوالهم فقال الجبائي اما الزاهد ففي درجات الجنه واما الكافر ففي دركات النار واما
الصبي فمن اهل السلامة فقال قولي له ان الصبي لو اراد ان يذهب الى تلك الدرجات العالية التي حصل فيها اخوه الزاهد فهل
يمكن منه قال الجبائي لا لان الله تعالى يقول له ان الصبي لو اراد ان يذهب لانه اتعب نفسه في العلم والعبادات فليس معك
ذلك فقال ابو الحسن قولي له لو ان الصبي يقول يا رب العالمين ليس الذنب لي لانك امتني صغيرا قبل البلوغ ولو ابقيتني
زدت على اخي الزاهد في الزهد فقال الجبائي يقول الله تعالى له علمت انك لو عشت لطغيت وكفرت وكنت تستوجب
النار فراعيت مصلحتك فقال ابو الحسن قولي له ان الاخ الكافر يرفع راسه من الدرك الاسفل من النار وقال يا رب
العالمين ويا ارحم الراحمين ويا احكم الحاكمين لم راعيت حال الاخ الصغير وما راعيت حالي ومصلحتي قال الراوي فانقطع الجبائي
ونظر فراى ابا الحسن الاشعري فعلم ان المسئلة منه لا من العجوز ثم ان ابا الحسن البصري جاء بغداد ما رأى اكثر عجبا
عن الجبائي فانا لا نحن لا نرضى بهذا الجواب وانما نقول الجواب مبني على مسئلة اختلف شيوخنا فيها وهي انه هل
يجب على الله تعالى ان يكلف العبد ام لا فقال البصريون انه غير واجب ولكنه تفضل واحسان وقال البغداديون
انه واجب وعلى الاول لله تعالى ان يقول لذلك الصبي اني طولت عمر الاخ الزاهد وكلفته على سبيل التفضل ولم
يلزم من كوني متفضلا على احد ان اتفضل على غيره بمثله وعلى قول البغداديين فلله ان يقول انما اطلت عمر اخيك لان
توجيه التكليف في حقه لم يستلزم مفسدة الغير فلا جرم فعلته اما اطالة عمرك وتوجيه التكليف عليك فكان يلزم منه
عود مفسدة الى غيرك فلهذا ما فعلته وتطلى الغرق وارد على القسم الاول انه تعالى لما اوصل التفضل الى احدهما
فالامتناع من ايصاله الى الثاني قبيح منه عقلا لانه ليس فعلا شاقا عليه ولا ينتقص بذلك شي من ملكه والصبي محتاج
الى الاحسان اليه ومثل هذا الامتناع قبيح في الشاهد كمن منع غيره من النظر في المرآة المنصوبة على الجدار لعامة
الناس فان كان حكم العقل في التحسين والتقبيح مقبولا فليكن هيهنا ايضا مقبولا والا فلا يقبل في شي من الصور
ويبطل كلية مذهبكم واورد ان الشق الثاني ان قولنا تكليفه يتضمن مفسدة ليس معناه ان ذات التكليف
تتضمن المفسدة والا لم ينفك تكليف عن المفسدة وانه باطل بالاتفاق فمعناه اذن انه تعالى علم انه اذا كلف
هذا الشخص فان انسانا اخر يختار من قبل نفسه فعلا قبيحا فان اقتضى هذا القدر ان يترك الله تعالى تكليفه
وجب ان يقبح تكليف كل من علم الله من حاله انه يكفر والا لزم محض التحكم هذا ما ناظره الفريقين ولعلك قد عرفت
التحقيق مما سلف فتذكر ثم قال وهذا صراط ربك وفي المشار اليه وجوه منها ان المذكور في الاية المتقدمة
اما على مذهب الاشاعرة وهو ان الفعل يتوقف على الداعي وحصول تلك الداعية من الله تعالى فيكون الفعل من الله
تعالى ويلزم استناد الكل الى قضائه وقدره واما على مذهب المعتزلة والمراد هذا الذي قررناه طريقة التي اقتضتها
الحكمة وعادته الجارية في عباده من التوفيق والخذلان ومعنى مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على الحالة المؤكدة والعامل
فيه ما في اسم الاشارة من معنى الفعل او هو محذوف وفا اضافة وعن ابن عباس يريد هذا الذي انت عليه يا محمد دين
ربك وقال ابن مسعود يعني القران قد فصلنا الايات ذكرناها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالاخر
قال في التفسير الكبير قد بين الله تعالى صحة القول بالقضاء والقدر في ايات من هذه السورة متوالية متعاقبة [illegible]

ووجوه مختلفة وختم الاية بقوله لقوم يذكرون لانه تقرر في عقل كل واحد ان احد طرفي الممكن لا يترجح على الاخر
الا لمرجح فكانه يقول للمعتزلي تذكر ما تقرر في عقلك ان الممكن لا يترجح احد طرفيه الا لمرجح حتى يزول الشبهة
عن قلبك فان حصول الفعل عن القادر لو لم يتوقف على الداعي مع تساوي طرفيه وجب ان يحصل هذا الاستغناء في
كل الممكنات والمحدثات وحينئذ يلزم نفي الصانع وابطال القول بالفعل والفاعل والتاثير والمؤثر ثم لما بين عظمة نعمته
في الصراط المستقيم بين ما اعد لهم لقوم يذكرون فقال لهم دار السلام اي دار الله يعني الجنة والاضافة للتشريف والتعظيم
كما قيل الكعبة بيت الله او دار السلامة من كل آفة وكدر والسلام والسلامة مثل الضلال والضلالة والرضاع والرضاعة كلاهما
مصدر وقيل السلام جمع السلامة لان انواع السلامة حاصلة في الجنة ومعنى عند ربهم انها معدة عنده وفي ضمانه كما يقال
لفلان عندي حق لا ينسى وذلك نهاية في بيان وصولهم اليها وكونهم على ثقة من حصولها وهو وليهم اي قريب منهم
بالرحمة والرضوان او مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم وذلك ان القوم قد عرفوا ان المدبر والمقدر ليس الا الله جل
جلاله وان النافع والضار ليس الا هو سبحانه فانقطعوا عن كل ما سواه فكان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه
ولم يكن انسهم الا به فلما صاروا بالكلية لاجرام قال سبحانه وهو وليهم على انه متكفل بجميع مصالحهم دينا ودنيا
ثم قال بما كانوا يعملون اي بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون لئلا ينقطع العمل ولا يتكلوا وذلك ان بين النفس
والبدن تعلقا شديدا وكما ان الهيئات النفسانية قد تترشح في البدن كحمرة الخجل وصفرة الوجل فالهيئات البدنية
قد تتصعد من البدن الى النفس فاذا واظب الانسان على اعمال الخير ظهرت الآثار المناسبة لها في جوهر النفس فلا
بد للسالك من العمل بعد كمال العلم والمعرفة ثم لما بين حال من تمسك بالصراط المستقيم اردفها بذكر من تعلق بضده
فقال ويوم يحشرهم والمراد واذكر يوم كذا او ويوم يحشرهم قلنا او يوم متعلقه محذوف والتقدير ويوم يحشرهم وقلنا
يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير اما ان يعود الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم في قوله شياطين
الجن والانس او يعود الى جميع المكلفين الذين علم ان الله تعالى يبعثهم من الثقلين ويجمعهم ويكون القائل على تقدير
حذف القول هو الله تعالى كما انه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر لا يكون الا للتبكيت وانهم اذا تمردوا
في الدنيا انتهى حالهم في الآخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن
لا يبعد ان يكلم الله تعالى بنفسه مع الكفار لقوله ولا يكلمهم الله قد استكثرتم من الانس لا بد فيه من اضمار لان
الجن لا يقدرون على الاستكثار من نفس الانس فالمراد قد استكثرتم من اضلال الانس واستتباعهم فحشر
معكم منهم الجم الغفير كما يقال استكثر الامير من الجنود اما قوله وقال اولياؤهم من الانس فالاقرب عند بعضهم
ان فيه حذفا فكما قال للجن تبكيتا ناسب ان يقول للانس ايضا مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس
القبول ولما بحث الله كلا الفريقين حكى جواب الانس من قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض وفيه قولان الاول ان
المراد استمتاع الجن بالانس والانس بالجن وعلى هذا ففي الاستمتاع وجهان احدهما ان الرجل كان اذا سافر فامسى بارض
قفر واو خاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت امنا في نفسه فهذا استمتاع الانس
بالجن واما استمتاع الجن بالانس فهو ان الانسي اذا عاذ بالجني كان ذلك تعظيما منهم للجن وذلك الجني يقول قد سدت
الجن والانس لان الانسي قد اعترف له بانه يقدر ان يدفع عنه وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبي وابن جريج
وتفصيله قوله سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وثاني الوجهين ان الانس كانوا ينقادون
للجن ويطيعون حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالاتباع فانتفعوا بالانس انتفاع الرئيس بالخادم واما انتفاع
الانس بالجن فهو ان دلوهم على الشهوات واللذات الى ان بلغوا هذا المبلغ الذي عنده ايقنوا بسوء عاقبتهم وهذا اختيار
الزجاج القول الثاني انه النفعين كليهما من الانس لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر قليل نادر وبلغنا اجلنا
الذي اجلت لنا اي ذلك الاستمتاع كان حاصلا الى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من حيث لا ينفع
وما ذلك الاجل قيل هو وقت الموت وعلى كل من مات من مقتول وغيره فانه يموت باجله لانهم اقروا بانهم بلغوا
اجلهم فيهم المقتول وغير المقتول وقيل هو وقت التخلية والتمكين وقيل وقت المحاسبة في القيمة قال الله تعالى في جوابهم
النار مثواكم مقامكم ومقركم من ثوى بالمكان يثوي ثويا اذا اقام به قال ابو علي الفارسي المثوى اسم للمصدر

دون المكان لان قوله تعالى خالدين فيها حال واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار اهل ان يقيموا فيها خالدين
الا ما شاء الله قيل المراد منه اوقات المحاسبة ووقت كونهم في المحشر كانه قيل خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء
الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم وقال ابن عباس استثنى الله قوما سبق في علمه انهم يسلمون
ويصدقون النبي صلعم وعلى هذا يلزم ان يكون ما بمعنى من وفيه خلل آخر وهو ان الاستثناء انما هو من يوم القيمة الذي
يحشرون فيه وقيل المراد الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير ويروى انهم يدخلون واديا
فيه برد شديد بدنهم يطلبون الرد من ذلك البرد الشديد الى حر الجحيم وقال في الكشاف ويكون هذا من قول الموتور الذي
ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب عليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت فيكون
قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم لانه اطماع محض وتأييس كلي وقال ابو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى الخلود
وانما هو راجع الى الاجل المؤجل لهم كانهم قالوا وبلغنا اجلنا الذي سميته لنا الا من اهلكته قبل الاجل المسمى يعني الا من اخترمته
ان ربك حكيم فيما يفعله من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازات عليم بما يستاهله كل طائفة ثم قال تعالى بقوله انما حكمت
لهؤلاء بعذاب الابد لعلمي انهم يستحقونه ذلك ثم لما حكى عن الجن ان بعضهم يتولى بعضا بين ان ذلك انما حصل بتقديره وقضائه
فقال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وذلك ان القدرة صالحة للعداوة والصداقة فترجيح احد الجانبين لا يكون
الا بداعية يخلقها الله تعالى قطعا للتسلسل وايضا لما بين انه سبحانه اولى باهل الجنة بقوله وهو وليهم ذكر ان اولياء اهل النار من
يشبههم في الظلم والخزي والنكال وانتساب الية بقوله بما كانوا يكسبون اي بسبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم وهذا
مناسبة في غاية اللطف لان الجنسية علة الضم فالطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين وفي الاية دلالة على ان الرعية
متى كانوا ظلمة فان الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فان ارادوا الخلاص منه فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار قال جاء
في بعض الكتب السماوية انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه
نقمة لا تشغلوا انفسكم بسبب الملوك لكن توبوا الى اعطفهم عليكم ثم بين ان كفار الثقلين لا يكون لهم الى الجحود يوم
القيمة سبيل وانهم لا يعذبون الا بالحجة فقال يا معشر الجن والانس قال اهل اللغة المعشر كل جماعة مختلطة يجمعهم
امر واحد الم يأتكم رسل منكم استفهام على سبيل التقرير فلا جرم استدل الضحاك بالاية وبقوله وان من امة الا
خلا فيها نذير على ان من الجن رسلا كالانس ولان استئناس الجنس بالجنس اكمل وهذا قال سبحانه ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا والاكثرون على انه ما كان من الجن رسول البتة انما كان الرسل من بني آدم وزعموا ان ذلك مجمع عليه
ورد بانه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف واستدل بعضهم على المطلوب بقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل
ابراهيم وآل عمران على العالمين والمراد بالاصطفاء ههنا النبوة بالاجماع واجيب عن قول الضحاك بان الاية تقتضي ان
رسل الجن والانس يكون بعضا من ابعاض هذا المجموع فكان هذا القدر كافيا في حمل اللفظ على ظاهره فلا يلزم اثبات
رسول من الجن وايضا لا يبعد ان يقال ان الرسل كانوا من الانس ثم كان من الجن نفر يستمعون من رسول الانس ويبلغون
قومهم بذلك كما قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية وقد يسمى رسول الرسول رسولا كما انه تعالى سمى رسل عيسى
رسل نفسه فقال اذ ارسلنا اليهم اثنين ثم انه سبحانه يكون قد بكت كفار الثقلين بهذه الاية لانه ازال العلة وازاح
العذر بسبب انه ارسل الرسل اليهم فاذا وصلت البشارة والنذارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل المقصود وقال
الواحدي اراد رسل من احدكم وهو الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اي من احدهما وهو الملح الذي ليس بعذب وعن
الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد صلعم يبعثون الى الانس ورسول الله صلعم بعث الى الجن والانس اما قوله يقصون
عليكم آياتي فالمراد منه التنبيه على الادلة بالتاويل والتلاوة وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي يخوفونكم عذاب
هذا اليوم فلم يجدوا بدا من الاعتراف فلذلك قالوا شهدنا على انفسنا والسبب في انهم اقروا في هذه الاية وجحدوا
في قوله والله ربنا ما كنا مشركين هو انهم يختلفوا الاحوال في يوم القيمة مضطربون فتارة يقرون واخرى يجحدون
ومنهم من حمل هذه الشهادة على شهادة الجوارح عليهم ثم اخبر الله تعالى عن حالهم في الدنيا بقوله وغرتهم الحيوة
الدنيا وعن حالهم في الآخرة بقوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين والمقصود من شرح احوالهم في القيمة
زجرا مثالهم في الدنيا عن الكفر والمعصية وقد يستدل بالاية على ان لا وجوب قبل ورود الشرع والا لم يكن لهذا

التوبيخ والتبكيت فاترك **التأويل** او من كان ميتا في حالة العدم فاحييناه بالحيوة الحقيقية اي بالحي الذي لا يموت
وجعلنا له نور الوجود الحقيقي الذي يمشي به في الناس وبه يسمع وبه يبصر كمن هو محبوس في ظلمات الطبيعة وكذلك جعلنا
في كل قرية اي كل قالب اكابر مجرميها من النفس والهوى والشيطان ليمكروا فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع مثل ما
اوتي رسل الله من القلب والسر والروح يشرح صدره اي ينظر الى قلبه بنظر العناية فينوره بنور جماله وهو نور الايمان فينشرح
الصدر بضوء النور الواقع في القلب وهذا الضوء المسمى بنور الاسلام معد النور ان يقبل الزيادة والاستعداد الى ان يصير الايمان
ايمانا والايقان عيانا والعيان عينا ضيقا حرجا لتراكم ظلمات صفات البشرية حرجا للتعلقات بالدنيا وشهواتها كانما يصعد في السماء
لانه سفلي بالطبع لا يصعد الا بالتصعيد والقسر وهذا الذي بينا من الهداية والضلالة صراط ربك باللطف والقهر فمن جذبات
اللطف يهدي السعيد وبسطوات القهر يضل الشقي لهم دار السلام اي السلامة عن القطيعة في مقام العندية بالوصول الى
الوحدة بعد الخروج عن ظلمات الاثنينية ويوم نحشرهم في موقف القالب البشري بالحكمة البالغة والقدرة الكاملة يا معشر الجن
اي الصفات الشيطانية قد استكثرتم من الانس اي غلبتم على الصفات الانسانية وقال اولياؤهم من الانس يعني النفس الامارة
ربنا استمتع بعضنا ببعض واستمتاع النفس الامارة بالشيطان هو ان يستعين بصفات يكيده على تحصيل شهواتها ولذاتها
العاجلة وحظوظها واستمتاع الشيطان بالانس هو ان يستعين به على اضلال الخلق واغوائهم كما استعان بحواء على اغواء آدم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني ان مدة الاستمتاع وما جرى بيننا انما كان بمقتضى قضائك وقدرك فاجابهم بان المثوى
في النار ابدا بقضاء الله الا ان شاء الله فيتوب عليهم ان ربك حكيم في نفوذ الاستمتاع عليهم باهل الجنة وباهل النار وكذلك
اي كما جعلنا مردة الجن والانس بعضهم اولياء بعض فكذلك يجعل بعض الظالمين اولياء بعض بما كانوا من افساد
الاستعداد الفطري الم يأتكم رسل منكم يعني الالهامات الربانية وشهدوا على انفسهم اقروا عند الحرمان عن السعادة الفطرية
انهم بدوا انهم كانوا اصداء مرآة قلوبهم وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وهو حسبي ونعم الوكيل ۝

ذَلِكَ اَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَاَهْلُهَا غَافِلُونَ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ اِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ
بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا اَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ۝ اِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا اَنْتُمْ
بِمُعْجِزِينَ ۝ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ اِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ
لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْاَنْعَامِ
نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ اِلَى اللَّهِ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ اِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ اَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝ وَقَالُوا هَذِهِ اَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا اِلَّا مَنْ نَشَاءُ
بِزَعْمِهِمْ وَاَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَاَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ

سيجزيهم

٤٢٠

سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْاَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ
عَلَى اَزْوَاجِنَا وَاِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ اِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ قَدْ خَسِرَ
الَّذِينَ قَتَلُوا اَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝

القراءة عما تعملون بتاء الخطاب ابن عامر مكاناتكم بالجمع حيث كان ابو بكر وحماد الباقون مكانتكم على التوحيد
من يكون بالياء التحتانية حمزة وعلي وخلف الباقون بتاء التانيث بزعمهم بضم الزاي علي وكذلك ما بعده الباقون بالفتح
زين على البناء للمفعول قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر ابن عامر الآخرون زين على البناء للفاعل قتل بالنصب
اولادهم بالجر شركاؤهم بالرفع وان تكن بتاء التانيث ابن عامر ويزيد وابو بكر وحماد ميتة بالرفع ابن كثير وابن عامر ويزيد
وقرا ابو بكر ميتة بالتثقيل يزيد ابن كثير وابن عامر الباقون بالتخفيف **الوقوف** غافلون ۝ عما يعملون ۝ ذو الرحمة ط
لان الواو تعلقه بالحال بمعجزين ۝ عامل ج لابتداء التهديد مع فاء التعقيب تعلمون لا لان ما بعده مفعول سواء كان من استفهامية
او موصولة عاقبة الدار ط الظالمون ۝ لشركائنا ج للشرط مع الفاء الى الله ج للفصل بين المتضادين معنى مع الاتفاق نظما شركائهم ط
يحكمون ۝ دينهم ط يفترون ۝ افتراء عليه ط لابتداء الشرط مع العطف شركاء ط وصفهم ط عليم ۝ على الله ط مهتدين ۝
التفسير ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر
ذلك ويحتمل ان يكون مبتدا خبره ان لم يكن وهو للتعليل والمعنى الامر ما قصصنا عليك او ذلك الذي ذكرنا لانتفاء كون
ربك مهلك القرى فان هي الناصبة للافعال او مخففة من الثقيلة وعلى هذا يكون ضمير الشان محذوفا اي لان الشان لم
والحديث كذا ويجوز ان يكون انه لم يكن ربك بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع ومعنى
بظلم اي بسبب ظلم اقدموا عليه وهو الشرك او بما اصولها الاشياء عرفوا المراد قالوا لهم فيكون من فعل الله وهذا انسب باصول
المعتزلة ومعناه انه تعالى لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لم ينتبهوا برسول ولا كتاب كان ذلك ظلما لهم وعلى هذا التفسير يمكن للاشاعرة
ان يقولوا انه لو فعل ذلك لم يكن ظلما ولكنه يكون في صورة الظلم فاطلق الظلم على نفسه مجازا والا فهو تعالى يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد ولا اعتراض لاحد عليه في شيء من افعاله واما قوله واهلها غافلون فليس المراد من هذه الغفلة ان يتغافل
الموعظة عما يوعظ به وانما معناه انه لا يبين لهم كيفية الحال وانه لا ينزل عذرهم وعلتهم قالت الاشاعرة في الاية دلالة
على انه لا يحصل الوجوب قبل الشرع وان العقل المحض لا يدل على الوجوب البتة لانها تدل على انه تعالى ما يعذب احدا
على امر من الامور قبل بعثة الرسل لكن بعدها قالت المعتزلة قالوا انها تدل من وجه اخر على تقرير الوجوب قبل الشرع
لان قوله بظلم لو كان راجعا الى العبد دل على انه يمكن ان يصدر منه الظلم والقبيح قبل البعثة وان كان عائدا الى الله تعالى
فقد ثبت الاعتراف بتحسين العقل وتقبيحه ثم لما شرح احوال اهل الثواب والعقاب ذكر كلاما كليا ولكل درجات اي ولكل
عامل في عمله درجات وعلى حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر ومعنى مما عملوا اي من جزاء اعمالهم
وقيل ان الاولى الاية مختصة باهل الطاعة لان لفظ الدرجة يليق بهم لا باهل المعصية بكون الدرجات والبها الاشارة بقوله
وما ربك بغافل عما يعملون قالت الاشاعرة في الاية دليل على مسئلة الجبر والقدر لانه تعالى حكم لكل واحد بدرجة معينة
بوقت معين بحسب فعل معين عما ثبتت تلك الدرجة في اللوح المحفوظ واشهد عليها الملائكة وخلاف علمه واثباته واشهاده
محال ثم بين انه ليس يحتاج الى طاعة المطيعين ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين فقال تعالى وربك الغني ذو الرحمة اما انه
غني في ذاته وصفاته وفي افعاله وفي احكامه عن كلما سواه فلوجوب وجوده وان ما سواه ممكن لذاته مفتقر في الوجود
وفي الامور التابعة للوجود اليه فلا غني الا هو واما انه ذو الرحمة فلان كلما ادخل في الوجود من الخيرات والراحات والكرامات
والسعادات من الروحانيات ومن الجسمانيات فهو من الحق وبايجاده وتخليقه والاستقراء دل على ان الخير غالب كالصحة
والشبع والسمع والبصر وما ذاك الا لرحمته الكاملة ورأفته الشاملة والذي نتصوره من رحمة الوالدين وغيرهما فانما
ذلك بايجاد داعية ذلك فيهم ومع ذلك فتمكين الشخص من الانتفاع بها ليس الا منه تعالى ومن هذا يعلم تنزهه تعالى عن

الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف الخلايق ليعرضهم للمنافع الباقيات الدايمات ثم لما وصف نفسه بانه ذو الرحمة كان لظان ان يظن ان الرحمة معدنا مخصوصا ومصرفا معينا فبين تعالى بقوله ان يشا يذهبكم انه قادر على وضع الرحمة في هذا الخلق وقادر على ان يخلق قوما اخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن العالمين اكمل واتم ومعنى الاذهاب الاهلاك وان لا يبلغهم مبلغ التكليف ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فايت ونقوله ما يشا اي خلق ثالث ورابع ثم اختلفوا فقال بعضهم خلقا اخرين من امثال الجن والانس لكن اطوع وقال ابو مسلم يعني خلقا ثالثا مخالفا للثقلين ليكون اقوى في دلالة القدرة ثم بين سبب قدرته على ذلك فقال كما انشاكم من ذرية قوم اخرين لان من قدر على تصوير النطفة المتشابهة الاجزاء بهذه الصور المخصوصة قدر على تصويرها بصور اخرى مخالفة لها وقال في الكشاف المعنى كما انشاكم من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام ثم ذكر حال المعاد فقال انما توعدون لات قال الحسن اي من مجيء الساعة لانهم كانوا ينكرون القيمة ويحتمل ان يقال انما توعدون لات اشارة الى لطفه اي كلما يتعلق بالوعد والثواب فهو ات لا محالة وقوله وما انتم بمعجزين اي خارجين عن قدرتنا وحكمنا اشارة الى قهره يقال اعجزه الشي اي فاته فالجزم في جانب الوعد والتعريض في جانب الوعيد دليل على ان جانب الرحمة والاحسان ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بتهديد منكري البعث فقال قل يا قوم اعملوا على مكانتكم قال الواحدي قراءة الافراد وجه لان المصدر لا يجمع في اغلب الاحوال وقال في الكشاف المكان يكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فمعنى الاية اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على حالكم وجهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل مكانتي التي انا عليها فالمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والغرض تفويض الامر اليه على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شيتم فسوف تعلمون ايا تكون له العاقبة المحمودة والفاء لتعقيب الجزاء الابعاد قل اعملوا فتبعها به وكذا في سورة الزمر بخلاف هود حيث لم يقل هناك قل فصار استينافا ومحل من نصب ان كان بمعنى اي وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهي مصدر كالعاقبة وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف وادب ووثوق بان المنذر محق ولهذا قيل له فان الكافر تكون العاقبة عليه لا له ثم حكى انواعا من جهالاتهم وركاكات اقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفيرا للعقلاء عن الالتفات الى اقوال امثالهم فقال وجعلوا قال الزجاج وجعلوا لله نصيبا ولشركايهم نصيبا بدليل قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركاينا وجعل الاوثان شركا لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونها عليها ثم قال فما كان لشركايهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركايهم وفي تفسيره وجوه قال ابن عباس كان المشركون يجعلون لله تعالى من حروثهم وانعامهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم انفقوه عليه وما كان لله اطعموه الضيفان والمساكين ولا ياكلون منه البتة ثم ان سقط شي مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط شي مما جعلوه للاوثان في نصيب الله تعالى اخذوه وادوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير وانما ذلك لحبهم الهتهم وايثارهم لها وعن الحسن والسدي كان اذا هلك او انتقص شي احد واند لهم مما لله ولا يفعلون مثل ذلك بما لله تعالى وقال مجاهد انه اذا انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله عز وجل سدوه وان كان على ضد ذلك تركوه قال قتادة اذا اصابتهم سنة استعانوا بالله واذا اصابتهم حسنة نسبوها الى شركايهم وقال مقاتل ان زكا ونما نصيب الالهة ولم يزك نصيب الله تركوا نصيب الالهة وقالوا لو شا زكى نصيب نفسه وان زكا نصيب الله ولم يزك نصيب الالهة فانهم قالوا لا بد لالهتنا من نفقة واخذوا نصيب الله تعالى فاعطوه السدنة ومعنى فلا يصل الى الله انه لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق الى المساكين ومعنى الوصول الى شركايهم انهم ينفقون عليها بذبح النسايك عندها والاجرا على سدنتها ونحو ذلك وقوله مما ذرا فيه ان الله تعالى كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذراه اي خلقه ثم انه سبحانه ذم فعلهم فقال ساء ما يحكمون وذكر العلما فيه وجوها الاول انهم رجحوا جانب الاصنام في الرعاية والحفظ على جانبه وهو سفه الثانية جعلوا بعض الحرث لله وبعضه لغيره مع انه تعالى هو الخالق للجميع الثالثة ان ذلك حكم احدثوه من قبل انفسهم فلم

يشهد

يشهد بصحته عقل ولا شرع واشار اليه بقوله بزعمهم الرابعة لو حسن افرازهم نصيب الاصنام لحسن افرازهم نصيب لكل حجر ومدر الخامسة لا تاثير للاصنام في حصول الحرث والانعام ولا قدرة لها على الانتفاع بذلك النصيب فافراز النصيب لها عبث النوع الثاني من احكامهم الفاسدة قوله وكذلك زين كان اهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر او من التزويج وكان الرجل يحلف بالله ان ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما فعل عبد المطلب على ابنه عبد الله والشركا على الوجه الاول الشياطين الذين اطاعوهم في معصية الله تعالى وعلى الثاني هم السدنة والخدام والاول قول مجاهد والثاني للكلبي وتقدير الكلام ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والالهة او مثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين زين لهم شركاوهم من الشياطين او من سدنة الاصنام قتل اولادهم بالواد او بالنحر ثم ان وجه القراءة الكثيرة ظاهر ولا لبس فيها الا تقديم المفعول وذلك لتعلق الاعتنا به واما قراءة ابن عامر فخطاها الزمخشري من جهة الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده وحمله على ضرورة الشعر مع الاستكراه والحق عندي في هذا المقام ان القران حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والقرات السبع كلها متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد في القران المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بحسنه وفصاحته وان لا يلتفت الى انه هل ورد له نظير في اشعار العرب وتراكيبهم ام لا وان ورد فكثيرا ام لا ومع ذلك فقد وجهه بعض الفضلاء بان المضاف اليه من الاول محذوف على نحو قوله بين ذراعي وجبهة الاسد والمضاف مضمر مع الثاني كقراءة من قرا والله يريد الاخرة بالجر على تقدير عرض الاخرة فتقديره قتل اولادهم قتل شركايهم اولادهم ومعنى ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء قال ابن عباس ليردوهم في النار واللام محمول على العاقبة ان كان التزيين من السدنة وعلى حقيقة التعليل ان كان من الشيطان وليلبسوا عليهم دينهم ليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا الذي اتاهم بهذه الاوضاع الفاسدة ازالهم عن ذلك الدين الحق وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل ليوقعوهم في دين ملتبس ولو شاء الله ما فعلوه كما فعل المشركون ما زين لهم او لما فعل الشياطين والسدنة التزيين والارداء واللبس او جميع ما ذكر ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة والمعتزلة حملوا هذه المشية على مشية الالجاء والقسر ثم قال فذرهم وما يفترون على قوله اعملوا ما شئتم وفيه مع التهديد التسجيل على المامور بانه لا يات منه الا الشر والنهي قيل انما قال في هذه الاية ولو شا الله ما فعلوه ليكون مناسبا لقوله وجعلوا لله وقال فيما قبل ولو شا ربك ما فعلوه لانه وقع عقيب ايات فيها ذكر الرب كقوله قد جاءكم بصاير من ربكم الايات النوع الثالث من احكامهم الباطلة انهم قسموا انعامهم اقساما ثلثا فاولها انهم قالوا هذه انعام وحرث حجر وهو فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمونث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات واصل الحجر المنع وسمي الحجر لمنعه من الفنايح وفلان في حجر القاضي اي في منعة كانوا اذا عينوا شيا من حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا لا نطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النسا وثانيها ان قالوا هذه انعام حرمت ظهورها وهي البحاير والسوايب والحوامي وقد سبق في المايدة وثالثها انعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل هي انعام لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها وانما فعلوا ذلك كله من غير حكم من الله وشرع منه بل افتراء عليه وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر موكد لان قولهم ذلك في معنى الافترا ثم قال سيجزيهم بما كانوا يفترون والمقصود منه الوعيد والنوع الرابع من قضاياهم الفاسدة انه قالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحاير والسوايب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ان ولد حيا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء واي اشتراك فيه الذكور والاناث من قرا بنصب ميتة فتقديره وان يكن ما في بطونها ميتة ومن قرا بالرفع فعلى ان كان تامة او لان التقدير وان لم يكن لهم او هناك ميتة وانما جاز تذكير الفعل وتانيثه لان تانيث الميتة غير حقيقي او لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل ميت ولهذا جاز عود الضمير اليه مذكرا في قولهم فهم فيه شركاء وتذكير الضمير في قوله فهم للتغليب سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم على الله الكذب في التحليل والتحريم انه حكيم عليم ليكون الجزاء وافقا على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق فان قيل كيف انث خالصة وذكر محرم قلنا الاول حملا على المعنى لان ما في بطون الانعام في معنى الاجنة والثاني حمل على اللفظ وفي الاول وجهان اخران ان يكون التاء للمبالغة

مثل ربانية الشعرواني يكون مصيرا كالعاقبة اي دون خالصة ثم انه سبحانه جمع قبايح احكامهم وافعالهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم وبالضلال وعدم الاهتداء فقال قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الاية وذلك ان الولد نعمة عظيمة من الله يبقي ذكره ونسله فالسعي في ابطال مثل هذه النعمة لضرر مظنون هو الفقر او نحوه او لغاية موهومة هي الغيرة الي الاصنام دليل خفة العقل وعدم العلم ولانه موجب لخسران الدارين وكذا تحريم ما احل الله من الطيبات بالهوى والتقليد بل لمحض الافترا على الله وان ذلك من اعظم الذنوب واكبر الكباير ولهذا سجل عليهم اخر بالضلال ثم بعدم الاهتداء ليحصل كلا الامرين لهم بالمطابقة كما حصل بالتضمن والله اعلم
التاويل
مهلك القري اي قري اشخاص الانسان بظلم وهو صرف الاستعداد الفطري في استيفاد اللذات الفانية واهلها غافلون لم يبلغوا مبلغ التكليف وربك الغني عن كل مخلوق عامة وعن الانسان خاصة ذو الرحمة خلقهم ليربح عليه لا ليربح عليهم اعملوا على مكانتكم اي على ما جبلتم عليه اني عامل على ما جبلت عليه قتل اولادهم شركاؤهم من الشياطين والنفس والهوى والدنيا ليبحثهم بما كانوا يفترون لانهم ذهبوا مذهب الطبع لا مذهب الشرع والعمل بالطبع وان كان فيه نوع من مجاهدة النفس لا يكون له نور اذا لم يكن لامتثال الشرع قد خسر الذين قتلوا اولادهم لان ذلك نتيجة انتزاع الرحمة عن قلوبهم وحرموا ما رزقهم الله صورة وهو ظاهر ومعنى وهو استعداد حصول مراتب اهل القرب وما كانوا مهتدين لان خشية الفقر حملتهم على قتل الاولاد وقال اهل التحقيق من امارات اليقين وخفايقه كثرة العيال على بساط التوكل

وهو الذي انشاء جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا
اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا
حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ۞ ومن الانعام حمولة
وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ۞
ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل ءالذكرين حرم ام
الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ۞
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل ءالذكرين حرم ام الانثيين اما
اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصيكم الله بهذا فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ۞
قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما
مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فان ربك غفور رحيم ۞ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم

حرمنا

حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم
ببغيهم وانا لصادقون ۞ فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن
القوم المجرمين ۞ سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا
من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه
لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون ۞ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء
لهديكم اجمعين ۞ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم
ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون ۞

القراءة حصاده بفتح الحاء ابو عمرو وعاصم بالكسر وابن عامر وسهل ويعقوب بالكسر وكلاهما مصدر بالضان بفتح همزة ابو عمرو وغير شجاع وابن فليح والاعشى والاصبهاني عن ورش ويزيد وحمزة في الوقف ومن المعز ساكن العين عاصم وحمزة وعلي وخلف ونافع وابو جعفر وابن فليح ويزيد والخزاعي عن البزي والنواس عن ابن مجاهد وابي عون عن قنبل عنه الباقون بفتحها الا ان يكون بالتاء التانيث ابن كثير وابن عامر ويزيد وحمزة وعباس طريق ابن مهدي عنه ميتة بالتخفيف والرفع ابن عامر ويزيد التشديد الباء ونا لنصب الحوايا ممالة علي وحمزة وخلف فقل ربكم ذو بالحلواني عن قالون والبرجمي
الوقوف متشابه ولا تسرفوا المسرفين لان قوله حمولة منصوب بانشا وفرشا الشيطان مبين لان ثمانية منصوب بانشا ازواج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى المعز اثنين ارحام الانثيين لانتهاء الاستفهام صادقين لان اثنين منصوب بانشا ايضا ومن البقر اثنين ارحام الانثيين لان ام في قوله ام كنتم بمعنى الف الاستفهام بهذا لابتداء الاستفهام مع الفاء لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى علم الظالمين لغير الله به رحيم ظفر لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى ببغيهم للابتداء بان واثبات وصف الصدق مطلقا والوصل بعده لان المعنى وانا لصادقون فيما اخبرنا من التحريم ببغيهم واسعة لاختلاف الجملتين المجرمين من شيء باسنا لنا تخرصون البالغة للشرط مع الفاء اجمعين حرم هذا كذلك معهم لتناهي جزاء الشرط مع العطف يعدلون
التفسير انه سبحانه وتعالى جعل مدار هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وانه بالغ في تقرير هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح احوال السعداء والاشقياء ثم انتقل منه الى تهجين طريق منكري البعث والقيامة ثم اتبع حكايات اقوالهم الركيكة تنبيها على ضعف عقولهم فلما تم هذه المقاصد عاد الى ما هو المقصود الاصلي وهو اقامة الدلايل على اثبات ذاته ووجوب توحيده فقال وهو الذي انشاء الاية نشاء التي ينشاء ينشاء اذا ظهر وارتفع وانشاءه الله بنشيه انشاء اظهره وفيه جنات معروشات وغير معروشات يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا يعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعض الاعناب يعرش وبعضها يبقى على وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ وقيل المعروشات ما يحتاج الى ان يتخذ له عريش يحمل عليها فتمسكه وهو الكرم وما يجري مجراه وغير معروشات وهو القائم من الشجر المستغني باستواء فوق ساقه عن التعريش وقيل المعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فيبقى غير معروش والنخل والزرع فسر ابن عباس بجميع الحبوب التي يقتات منها مختلفا اكله بالاكل كل ما يوكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى باعادة الذكر على احدهما كقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها اي اليهما والمراد ان لكل شيء منهما طعما غير طعم الاخر

ومختلفا حال مقدرة اي انشاءه مقدرا اختلاف اكله لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك متشابها وغير متشابه في القدر
واللون والطعم ثم قال كلوا من ثمره وقد قال في الاية المتقدمة اعني نظير هذه الاية وذلك قوله تعالى وهو الذي انزل
من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الاية انظروا الى ثمره تنبيها على ان الامر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم متقدم
على الاذن في الانتفاع بها لان الحاصل من الاولى سعادة روحانية ابدية والحاصل من الانتفاع سعادة جسمانية
زايلة وفائدة هذا الامر الاباحة وتقدم اباحة الاكل على اخراج الحق كيلا يظن انه يحرم على المالك تناوله لمكان شركة
المساكين فيه وفي الاية اشارة الى ان ظاهر هذه النعم اما للاكل اما للتصدق والاول لكونه حق النفس مقدم على
الثاني لانه حق الغير وفيه ان الاصل في المنافع الاباحة والاطلاق لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل ويمكن ان
يستدل به على ان الاصل عدم وجوب الصوم ومن ادعى ايجابه فهو المحتاج الى الدليل وان المجنون اذا افاق في اثناء
النهار لا يلزمه قضاء ما مضى وان الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام قال علماء الاصول من العلوم من لغة
العرب ان صيغة الامر تفيد ترجيح جانب فعلها على الاباحة او الوجوب لا تنصيصا لتاليه الا بدليل منفصل وفائدة قوله اذا اثمر
وقد علم انه اذا لم يثمر لم يوكل منه ان يعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع
اما قوله واتوا حقه يوم حصاده فعن ابن عباس في رواية عطاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وطاوس والضحاك ان
الاية مدنية والحق هو الزكوة المفروضة وعلى هذا فكيف يؤدى الزكوة يوم الحصاد والحب في السنبل والجواب ان المراد
فاعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واهتموا به حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء وقال مجاهد الاية مكية
وان هذا حق في المال سوى الزكوة وكان يقول اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه واذا دسته واذا نقيته
كيله فاعزل زكوته وزيف بانه صلى الله عليه وسلم ليس في المال حق سوى الزكوة وبان قوله واتوا حقه وانما يحسن
ذكره لو كان ذلك الحق معلوما قبل ورود هذه الاية والا لزم الاجمال وعن سعيد بن جبير ان هذا كان قبل وجوب الزكوة
فلما فرض العشر او نصف العشر فيما سقي بالسواني نسخ والقول الاول اصح ثم ان ابا حنيفة احتج بالاية على وجوب
الزكوة في الثمار لانه قال واتوا حقه بعد ذكر الانواع الخمسة وهي العنب والنخل والزرع والزيتون والرمان واعترض
عليه بان لفظ الحصاد مخصوص بالزرع واجيب بان الحصد في اللغة عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج
هو ايضا بها على ان العشر واجب في القليل والكثير للاطلاق والجواب انه بيانه في الحديث ليس فيما دون خمسة
اوسق صدقة ثم قال تعالى ولا تسرفوا ولاهل اللغة فيه تفسيران نعني ابن الاعرابي السرف تجاوز ما حد لك
فعلى هذا اذا اعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف لما جاء في الخبر ابدا بنفسك ثم بمن تعول وروي
ان ثابت بن قيس بن شماس عمد الى خمس مائة نخلة فجذها وقسمها في يوم واحد ولم يدخل الى منزله شيئا فنزلت الاية ولا
تسرفوا اي لا تعطوا كله واذا منع الصدقة فقد اسرف وبه فسر الاية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد يكون
الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال غيره السرف المال ما ذهب منه في غير منفعة وعلى هذا فقد قال مقاتل معناه
لا تشركوا الاصنام في الانعام والحرث وقال الزهري لا تنفقوا في معصية الله تعالى ثم سرف وهذا المعنى اراد
حاتم الطائي حين قيل له لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ثم ختم الاية بقوله انه لا يحب المسرفين والمقصود
منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله تعالى فانه من اهل النار لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب
اليه قوله حمولة وفرشا معطوف على جنات اي وانشاء من الانعام هذين الجنسين فالحمولة ما يحمل الاثقال فعولة
بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح او ينسج من وبره او صوفه وشعره الفرش مصدر بمعنى مفعول وقيل الحمولة
الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش
المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله قالت المعتزلة اي مما احله لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تسلكوا الطريقة الذي
يدعوكم اليه في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين بين العداوة وفي انتصاب
ثمانية ازواج وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا وجوز غيره ان يكون مفعول كلوا والعرب تسمي الواحد زوجا
اذا كان وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان قال تعالى فجعل منه الزوجين الذكر
والانثى وقال ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين اي زوجين اثنين ومن المعز اثنين وفي الابانة

الثانية ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهري الضان خلاف الماعز والجمع يعني اسم الجمع الضان والمعز مثل
راكب وركب وسافر وسفر وضان ايضا مثل حارس وحرس وقال في الكشاف انه قرئ بفتح العين والضان ذات
الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها قل الذكرين حرم ام الانثيين نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده لا
يعمل فيه ما قبله والمراد بالذكرين من الضان وهو الكبش والذكر من المعز وهو التيس وبالانثيين الانثى من الضان
وهي النعجة والانثى من المعز وهي العنز وذلك على طريق الجنسية والمشاكلة ومعنى الاستفهام انكار ان يحرم الله من
جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما يشتمل عليه ارحام الانثيين اي ما يحمل اناث الجنسين
وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر يعني الجمل والثور والانثيان منهما الناقة والبقرة وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا
يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا
يقولون قد حرمها الله فقيل لهم انكم لا تقرون بنبوة نبي ولا شريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم
واكد ذلك بقوله نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله
حرمه واعلم انه سبحانه من على عباده بانشاء الازواج الثمانية من الانعام لما فيهم وبالاحتجاج الا انه فصل بين بعض
المعدود وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك باجنبي وانما هي جملة معترضة جيء بها تاكيدا وتشديدا للتحليل
والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد اما قوله ام كنتم شهداء فام منقطعة اي بل اكنتم شهداء ومعناه التهكم
بمعنى انكم اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل وتقولون ان الله حرم هذا فلم يبق الا المشاهدة تهكما
بهم بذلك وسجل عليهم وعلى امثالهم بالظلم بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم قال
المفسرون يريد عمرو بن لحي ابن قمعة الذي غير شريعة اسمعيل وبحر البحاير وسيب السوايب والاقرب ان اللفظ
عام فيتناول كل مفتر واذا استحق هذا الوعيد على افتراء الكذب في تحريم مباح فكيف اذا كذب على الله تعالى في مسايل
التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملايكة وفي النبوات وفي المعاد قال القاضي في الاية دلالة على ان الاضلال عن
الدين مذموم فلا ينسب الى الله تعالى واجيب بانه ليس كل ما كان مذموما منا كان مذموما من الله تعالى فان تمكين
العبيد من اسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم مذموم منا دون الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين قال القاضي لا
يهديهم الى الحق ابدا الى الجنة بان الهدى التي يختص بها المهتدي بها وقالت الاشاعرة معناه انه لا ينقل المشركين
من ظلمات الكفر الى نور الايمان ثم لما بين فساد طريقة الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم اتبعه البيان الصحيح في الباب
فقال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما اي طعاما محرما على طاعم يطعمه على اكل ياكله الا ان يكون ذلك الماكول او الموجود او الطعام
ميتة او دما مسفوحا مصبوبا سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الانعام وهي احياء وما يخرج من الاوداج عند الذبح
فلا يدخل فيه الكبد والطحال لجمودهما ولا ما يختلط باللحم من الدم فانه غير سائل وسئل ابو مجلز عما يتلطخ باللحم من الدم وعن
القدر التي ترى فيها حمرة الدم فقال لا باس به انما النهي عن الدم المسفوح وباقي الاية ظاهر مما سلف في امثالها او فسقا
نصبا على انه معطوف على المنصوبات قبله واهل صفة له منصوبة المحل سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب
الفسق كما يقال فلان كرم وجود وجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وعلى هذا فقد عطف اهل على يكون والضمير
في به يعود الى ما رجع اليه المستكن في يكون قالت العلماء ان هذه السورة مكية وقد بين في الاية انه لم يجد فيما اوحي اليه قرانا
او غيره محرما سوى هذه الاربعة وقد اكد هذا بما في النحل وفي البقرة مصدرة بكلمة انما الدالة على الحصر فصارت
المدنية مطابقة المكية والذي جاء في المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله وما اكل السبع الا ما ذكيتم من اقسام
الميتة ولكنه خص بالذكر لانهم كانوا يحلونها على تلك الاشياء بالتحليل فثبت ان الشريعة من اولها الى اخرها كانت
مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقي الكلام في الخمر وفي ساير النجاسات والمستقذرات فنقول انه سبحانه
قد وصف الخمر بانه رجس وههنا علل تحريم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا ان النجاسة علة لتحريم الاكل وكل نجس فانه
يحرم اكله وهذا بعد اجماع الامة على تحريم الخبائث والنجاسات وان جوزنا تخصيص عموم القران بخبر الواحد كما روي
انه صلى الله عليه وسلم نهى عن كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور فلا اشكال وقيل المراد انه وقت نزول هذه الاية
لم يكن محرم غير هذه الاربعة وزيف بان تحريم شيء خامس نسخ والاصل عدمه ثم بين انه سبحانه حرم على اليهود اشياء

اخر سوي هذه الاربعة فقال وعلى الذين هادوا حرمنا وذلك نوعان الاول انه حرم عليهم كل ذي ظفر وفيه لغات
ضم الفاء والعين وهي الفصحى وكسرها وهي قراءة ابن السماك والضم مع السكون والكسر مع السكون وهي قراءة الحسن
واختلف في الظفر فعن ابن عباس في رواية عطا انه الابل فقط وعنه في رواية اخرى وهو قول مجاهد انه الابل
والنعام وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة وزيف بان الحافر
لا يكاد يسمى ظفرا وبان البقر والغنم مباحات لهم كما يجي مع انها حافر اذا ذن يجب حمل الظفر على المخلب والبراثن من الجوارح
والسباع بل على كل ما له اصبع من دابة وطاير وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا اعم التحريم فعموم التحريم خاص بهم
ولهذا اقدم الجار في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فيستدل بذلك على حل بعض هذه الحيوانات على المسلمين وهو ما سوى
ذوات المخلب والناب فيكون الحصر مبينا للاية لا مخالفا كما ظن صاحب التفسير الكبير النوع الثاني قوله ومن البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال في الكشاف هو كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة يعني اضافة الاخذ الى
زيد زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم من كل ذي ظفر كله ومن البقر والغنم بعضها وذلك شحومهما فقط
وهذا ايضا مبني على الاطلاق لقوله الا ما حملت ظهورهما قال ابن عباس الا ما علق من الشحم فاني لم احرمه وقال قتادة
الا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما وقيل الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة وهي الشحمة التي على
الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين الى الوركين وهي بالحقيقة لحم سمين لانه يحمر عند الهزل ولهذا لو حلف لا ياكل الشحم
فاكل من ذلك اللحم السمين لم يحنث على الاصح والاستثناء الثاني قوله او الحوايا قال الجوهري الحوايا الامعاء واحدها حوية
وفي معناها حاوية البطن وحاويا البطن وقال الواحدي وهي المباعر والمصارين والمعنى او ما اشتمل على الامعاء يعني ان
الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين غير محرمة والاستثناء الثالث او ما اختلط بعظم قال جمهور المفسرين يعني شحم
الالية وقال ابن جريج كل شحم في القوايم والجنب والراس وفي العينين والاذنين فانه مخلوط بعظم فهو حلال لهم
والحاصل ان الشحم الذي حرم الله عليهم هو الثرب وشحم الكلية وقيل ان الحوايا غير معطوف على المستثنى وانما هو
معطوف على المستثنى منه والتقدير حرمنا عليهم شحومهما او الحوايا او ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم
ودخول كلمة او كدخولها في قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا والمعنى كل هو لا اهل ان يعص فاعص هذا واعص هذا
فكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا او هذا ذلك الجزا وهو تحريم الطيبات جزيناهم ببغيهم بسبب قتلهم الانبيا واخذهم
الربا واستحلالهم اموال الناس بالباطل ونحو ذلك من قبايح افعالهم وانا لصادقون في هذا الاخبار او فيما نوعد به العصاة
قال القاضي نفس التحريم لا يجوز ان يكون عقوبة على جرم صدر عنهم لان التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب احسان عقوبتهم
واجيب بان المنع من الانتفاع يمكن ان يكون لمزيد الثواب ويمكن ان يكون لشوم الجرم المتقدم فان كذبوك في ادعاء
النبوة والرسالة او في تبليغ الاحكام وعلى اصول المعتزلة فان كذبوك في ايجاب ايعاد العصاة دون غفران الله واسع الرحمة
وانه يخلف الوعيد جودا وكرما فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك لا يعجل بالعقوبة ولا يرد باسه اذا جاء وقت عذابه
عن القوم المجرمين يعني المكذبين وعلى اصولهم رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع ذلك عن الذين ارتكبوا
الكباير ثم حكى اعذار الكفار الواهية فقال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وانما جاز العطف
على الضمير المرفوع المتصل من غير ان اكد بالمنفصل لمكان الفصل بعد حرف العطف بل الزايدة لتاكيد النفي اخبر الله تعالى
بما سوف يقولونه ولما قالوه قال في سورة النحل وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وانما قال في سورة
النحل بزيادة نحن من دونه مرتين لان الاشراك مستكره مطلقا فلفظ الاشراك يدل على اثبات شريك لا يجوز اثباته
وعلى تحليل اشيا وتحريم اشيا من دون الله فلم يحتج الى لفظ من دونه واما العبادة فانها غير مستكرهة على الاطلاق
وانما المستكره عبادة شيء مع الله سبحانه ولا بد لتحريم شيء فلم يكن بد من تقييده بقوله من دونه فلما حذف من الاية
لفظة من دونه مرتين حذف معه نحن ليطرد الاية في حكم التخفيف اما تفسير الاية فزعمت المعتزلة انها تدل على
قولهم في مسالة ارادة الكاينات من سبعة اوجه الاول ان الذي حكى عن الكفار في معرض الذم والتقبيح وذلك
قولهم ولو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك هو صريح قول المجبرة فيكون هذا المذهب مذموما الثاني قوله كذلك كذب
الذين من قبلهم فلم يذكر المكذب به تنبيها على انهم جاوا بالتكذيب المطلق لان الله عز وجل ركب في العقول وانزل

في الكتب ما دل على رضاه وبراءته من مشية القبايح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبايح من الكفر
والمعاصي بمشية الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله ورسله وكتبه ونبذ ادلة السمع والعقل وراء
ظهره والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتاخرين في تكذيب الانبياء وفي دفع دعوتهم
عن انفسهم لانهم يقولون الكل بمشية الله الثالث قوله حتى ذاقوا باسنا وذلك يدل على انهم استوجبوا الوعيد من الله
تعالى في هذا المذهب الرابع قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانه استفهام على سبيل الانكار اي لا علم لهولاء
القايلين ولا حجة الخامس ان تتبعون الا الظن السادس وان انتم الا تخرصون السابع قل فلله الحجة البالغة لانه اذا لا علم
بالتكذيب والافتراء فلم يبق لكم على الله حجة وانما الحجة البالغة له عليكم وذلك انكم تقولون لو اتينا بعمل على خلاف مشية الله
لزم ان يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذا الكلام غير لازم لان الله قادر على ان يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجا
الا ان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف وهذا هو المراد بقوله فلو شا لهديكم اجمعين ووجه اخر ان كان الامر كما
تزعمون ان ما انتم عليه بمشية الله فلله الحجة الكاملة عليكم فان تعليقكم دينكم بمشية الله يقتضي ان تعلقوا دين مخالفكم
ايضا بمشيته فتوالوا جميع اهل الاديان ولا تعادوهم اجابت الاشاعرة بانا قد بينا الدلايل القاطعة من اول القران
الى ههنا صحة مذهبنا فوجب تاويل هذه الاية دفعا للتناقض فنقول ان القوم كانوا يتمسكون لمشية الله تعالى في ابطال
دعوة الانبيا وفي ان التكليف عبث فبين الله تعالى ان ذلك من تكاذيبهم واكاذيبهم وان التشبث بهذا القول لا ينفعهم
لانه الله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه شا الكفر من الكافر ومع ذلك بعث الانبيا
وامر بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان اول ما خلق الله القلم فقال
اكتب القدر فجرى بما يكون الى قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكذبون بالقدر مجوس هذه الامة
ثم ان ظاهر اخر الاية معناه وهو قوله فلو شا لهديكم اجمعين وحمل المشية على مشية الالجا والقسر تعسف والله اعلم
لما ابطل جميع حجج الكفار بين انه ليس لهم على قولهم شهود فقال قل هلم ومعناه اذا كان لازما اقبل واذا كان متعديا
احضر قال الخليل اصله لم من قولهم لم الله شعثه اي جمعه كانه قال لم نفسك الينا اي اقرب وها للتنبيه واستعملت
الماموم وحذفت الفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتانيث في لغة اهل الحجاز
واهل نجد يصرفونها هلما هلموا هلمي هلممن والاول افصح وقد يوصل باللي كقوله تعالى والقايلين لاخوانهم هلم الينا وقال
الفراء اصلها هل ام ارادوا بها حرف الاستفهام ومعنى ام اقصد وقيل ان اصل استعماله ان قالوا هل لك في الطعام
ام اي اقصد ثم شاع في الكل امر الله تعالى نبيه باستدعاء اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر ان لا شاهد لهم
على تحريم ما حرموه وانما لم يقل شهدا يشهدون لانه ليس الغرض احضار اناس يشهدون بالتحريم وانما المراد احضار
شهدايهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبهم ولهذا قال فان شهدوا اي فان فرضت شهادتهم
فلا تشهد معهم اي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لان شهادتهم محض الهوى والتعصب لاجل ذلك قال ايضا موضع
ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا فوضع الظاهر مقام المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب وليرتب ما في الاية فيعلم
ان المتصف بهذه الصفات لا يكون شهادتهم عند العقلا مقبوله التاويل وهو الذي انشا جنات
في القلوب معروشات من شجرة الاسلام والايمان والاحسان وغير معروشات هي الصفات الروحانية التي
جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة والفتوة والشفقة والعفة والحلم والعلم والعقل والشجاعة
والقناعة ونخل الايمان وزرع الاعمال الصالحة وزيتون الاخلاق الحميدة ورمان الاخلاص متشابها اعمالها وغير
متشابه احوالها كلوا من ثمره انتفعوا من ثمار الايمان والاعمال والاخلاق بالشواهد والاحوال لا بالدعاوي والقيل
والقال واتوا حقه وحقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة يوم حصاده اوان بلوغ السالك
مبلغ الرجال البالغين عند ادراك ثمرة الكمال الواصلين دون السالك الذي يتردد بعد بين المنازل والمراحل
ولا تسرفوا بالشروع في الكلام في غير وقته والحرص على الدعوة قبل اوانها ومن الانعام اي ومن الصفات الحيوانية
التي هي مركوزة في الانسان ما هو مستعد لحمل الامانة وتكاليف الشرع ومنها ما هو مستعد للاكل والشرب اصلاح
القالب وقيام البشرية كلوا مما رزقكم الله من رزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان ومن رزق الروح هو المحبة بصدق الحجرة

عن الاكوان ورزق الشرع هو شهود العرفان بلحظ العيان فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر ما ينبغي انه لكم عدو مبين محرجكم بالتقريب الى ضد المقصود ثم ان الصفات الحيوانية ثمان بعضها ذكور وبعضها اناث يتولد منها صفات اخر كلها محمودة اذا استعملت في محالها وبمقدار ما ينبغي من الضان اثنين ومن المعز اثنين والضان والمعز من جنس الوحشية كما ان الابل والبقر من جنس الحمولة والذكر من الضان والمعز هما صفة شهوة البطن والانثى منهما صفة حسن الخلق عن الاستمتاع بها وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكر من الابل والبقر وصفتا الظلومية والجهولية والانثيان هما الحمولية والاستسلام للاستعمال فبهذه الصفات الثمانية صار الانسان حامل اعباء الامانة التي ابت المكونات عن حملها وبين اهلية عرش القلب فانهم وقد احل الله تعالى استعمالها واستعمال المتولد منها على قانون الشريعة والطريقة ومن زعم انه يجب تركها وقطعها بالكلية فقد افترى لو شاء الله ما اشركنا الكلام في نفسه حق وصدق الا انهم لما ذكروه في معرض الالزام دفعا للاذية والالام كذبوا فيما قالوا والله سبحانه بالصواب اعلم

قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا
ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما
ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصيكم به
لعلكم تعقلون ۝ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا
الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان
ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون ۝ وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به
لعلكم تتقون ۝ ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل
شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون ۝ وهذا كتاب انزلناه مبارك
فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ۝ ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من
قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين ۝ او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب
بايات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب
بما كانوا يصدفون ۝ هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك او ياتي بعض

امات

ايات ربك يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من
قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ۝ ان الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ۝
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
وهم لا يظلمون ۝ قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم ۝ دينا قيما ملة ابرا هيم
حنيفا وما كان من المشركين ۝ قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين ۝ قل اغير
الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر
وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ۝
وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات
ليبلوكم في ما اتاكم ان ربك سريع العقاب ۝ وانه لغفور رحيم ۝

القراءة تذكرون بتخفيف الذال حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وحفص والحديد الباقون بالتشديد لاجل ادغام تاء التفعل في الذال وان هذا بسكون النون ابن عامر ويعقوب وان هذا صراطي بكسر الهمزة وتشديد النون حمزة وعلي وخلف الباقون وان بالفتح والتشديد صراطي بفتح الياء ابن عامر والاعشى والبرجمي فتفرق بتشديد التاء البزي وابن فليح ان ياتيهم بالياء التحتانية وكذلك في النحل علي وحمزة وخلف الباقون بالتاء الفوقانية فارقوا وكذلك في الروم حمزة وعلي الباقون فرقوا بالتشديد عشر بالتنوين امثالها بالرفع يعقوب الباقون بالاضافة ربي الى بفتح ياء المتكلم ابو عمرو وابو جعفر ونافع قيما بكسر القاف وفتح الياء ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بالعكس مع تشديد الياء محياي بالسكون ومماتي بالفتح ابو جعفر ونافع الباقون بالعكس وانا اول بالمد نافع وابو جعفر

الوقوف شيئا لحذف اي واحسنوا بالوالدين احسانا لابتداء النهي مع احتمال العطف اي وان لا تفعلوا من املاق واياهم للعطف مع العارض وما بطن للفصل بين الحكمين المعطوفين مع اتفاق الجملتين بالحق لانتهاء بيان الاحكام الى توكيد الايصاء لتلك الاحكام تعقلون اشده للفصل بين الحكمين بالقسط لاحتمال ما بعده الحال او الاستئناف ذا قربى لتناهي جواب اذا وتقدم مفعول اوفوا تذكرون لمن قرا وان هذا بالكسر فاتبعوه للفصل بين النقيضين معنى مع الاتفاق نظما عن سبيله تتقون يؤمنون ترحمون لان التقدير فاتبعوه لئلا تقولوا من قبلنا لغافلين للعطف اهدى منهم للفاء مع ان قد لتوكيد الابتداء ورحمة للاستفهام مع الفاء وصدف عنها يصدفون بعض ايات ربك خيرا منتظرون في شيء يفعلون امثالها لابتداء شرط اخر مع العطف لا يظلمون مستقيم لاحتمال ان دينا نصب على البدل من محل الى صراط او على الاغراء اي الزموا حنيفا لابتداء النفي مع اتحاد المعنى المشركين العالمين لا شريك له المسلمين كل شيء لانتهاء الاستفهام الى الاخبار الا عليها لتعصل

الامرين على النهي بل مع اتفاق الجملتين اخرى لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تطلعون انكم العقاب المنفصل
بين تحذير وتبشير والوصل العطف اوضح رحيم **التفسير** لما بين فساد ما يقوله الكفار في باب التحليل والتحريم
اتبعه البيان الشافي في الباب فقال قل تعالوا وهو من الخاص الذي صار عاما لانه اصله ان نقوله من كان في مكان عال لمن هو
اسفل منه وما في قوله ما حرم اما منصوب بفعل التلاوة اي اتل الذي حرمه ربكم فالعامل محذوف وقوله عليكم يكون متعلقا
باتل او بحرم واما منصوب بحرم على ان ما استفهامية فلا تراجع والمعنى اتل اي شيء حرم لان التلاوة نوع من القول فتقديم
المفعول للتخصيص فان قيل قوله ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما اجمله في قوله ما حرم فيلزم ان يكون ترك
الشرك والاحسان الى الوالدين محرما فالجواب ان المراد من التحريم البيان المضبوط والكلام تم عند قوله ما حرم ربكم
ثم ابتدا فقال عليكم ان لا تشركوا وان مفسرة اي ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا وهذا في النواهي واضح واما الاوامر فيعلم
بالقرينة ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله
ولا يجوز ان يجعل ان ناصبة والا لزم عطف الطلب على الخبر واعلم انه سبحانه فرق المشركين في هذه السورة احسن بيان
وذلك ان منهم من يجعل الاصنام شركاء لله تعالى فاشار اليهم بقوله اذ قال ابراهيم لابيه اتتخذ اصناما الهة ومنهم
عبدة الكواكب الذين ابطل قولهم بقوله لا احب الافلين ومنهم الثنويون يزدان واهرمن ومنهم الذين يقولون الملائكة بنات
الله والمسيح ابن الله ورد عليهم معتقدهم بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ثم عمم النهي
بقوله لا تشركوا به شيئا ثم حث على احسان الوالدين وكفى به خصلة شريفة ان جعله تاليا لتوحيده ثم اوجب رعاية حقوق
الاولاد بعد رعاية حقوق الوالدين ومعنى من املاق اي من خوف الفقر كما صرح بذلك في الاية الاخرى ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق كانوا يدفنون البنات احياء بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الاملاق وهو السبب الغالب فلذلك بين ان ذلك الوهم
بقوله نحن نرزقكم واياهم فكما يجب على الوالد الاتكال في رزق نفسه على الله فكذا القول في حال الولد قال بعضهم املق
لازم ومتعد املق الرجل اذا افتقر واملق الدهر ما عنده اذا افسده وانما قال ههنا نحن نرزقكم واياهم وقال في
سبحان بالعكس لان التقدير في الاية من املاق بكم نحن نرزقكم واياكم وهناك زيدت الخشية التي تتعلق بالمستقبل
والتقدير خشية املاق يقع بهم نحن نرزقهم واياكم ثم نهى عن قربان الفواحش كلها ومعنى ما ظهر منها وما بطن كما مر في
قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه وفيه ان الانسان اذا اجتنب عن المعصية في الظاهر ولم يجتنب عنها في الباطن دل على ان
احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله تعالى وامتثال امره ولكن لاجل الخوف من مذمة الناس ثم افرد من جملة الفواحش
النفس المحرمة تنبيها على فظاعتها ولما نيط بها من الاستثناء وهو قوله الا بالحق وذلك ان قتل النفس المحرمة قد يكون حقا
لجرم صدر عنها كما جاء في الحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير
حق ويدخل في سلكه جزاء قاطع الطريق والحاصل ان الاصل في قتل النفس هو الحرمة وحله لا يثبت الا بامر منفصل ثم لما
بين النواهي الخمسة اتبعه الكلام الذي يقرب الى القلوب القبول فقال ذلكم وصاكم لما في لفظ التوصية من الرأفة والاستعطاف
ومعنى لعلكم تعقلون لكي تعقلوا فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا ثم ذكر اربعة انواع اخر من التكاليف
وذلك قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي السعي في تثميره واثماره ورعاية وجوه
الغبطة لاجله كما مر في اول سورة النساء حتى يبلغ اشده اي احفظوا ماله الى هذه الغاية اي اوان الاحتلام
ولكن بشرط ان يونس منه الرشد قال الفراء واحد الاشد شد في القياس او شد ولم يسمع وقال ابو الهيثم الواحد
شدة كانعم في نعمة والشدة القوة ومنه قولهم بلغ الغلام شدته وقيل انه واحد جاء على بناء الجمع كآنك ولا
نظير لهما واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والسوية وايفاء الكيل اتمامه خلاف البخس وقوله والميزان
اي الوزن بالميزان فان قيل ايفاء الكيل والوزن هو عين القسط فما فائدة التكرير قلنا امر الله المعطي بايفاء ذي
الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذ حقه من غير طلب الزيادة فقال لا نكلف نفسا الا وسعها ليعلم
ان الواجب هو القدر الممكن من العدالة والسوية لا التحقيق المؤدي الى الحرج والعسر قالت المعتزلة ههنا انه هذا القدر
من التضييق حين لم يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر الايمان مع انه لا قدرة له عليه او يخلق القدرة الموجبة للكفر
والداعية المقتضية له ثم نهاه عنه وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا واذا قلتم فاعدلوا ولو كان المقول او عليه ذا

قربى حمله المشهور على اداء الشهادة وعلى الامر والنهي والاولى ان يحمل على الاقوال كلها فيدخل فيه قول الحق
في الدعاء الى الدين وتقرير الدلائل عليه بان يذكر الدليل ملخصا عن الحشو ومبرأ عن النقص ومجردا عن العصبية
والجدال على مقتضى الهوى والتشهي وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذا الحكاية والرواية والرسالة وحكم
الحاكم بحيث يسوى فيه بين القريب والبعيد ولا يبتغي الا رضاء الله وختم الاوامر بقوله وبعهد الله اوفوا كما قال
اوفوا بالعقود ويندرج في هذه الخاتمة بالحقيقة ومجردا عن العصبية والجدال على مقتضى الهوى والتشهي ومن
قرا بالفتح والتخفيف فبما عالوا في ضمير الشان والتقدير تعالوا اتل ما حرم واتل انه هذا صراطي وكذا فيمن قرا بالتشديد
وبالفتح الا ان ضمير الشان لا يقدر وان شئت جعلتها خفضا متعلقا بما قبله اي ذلكم وصيكم به وبان هذا وبما بعده
والتقدير ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ومن كسر فلان التلاوة في معنى القول او على الاستئناف والمعنى
اتبعوا صراطي انه مستقيم ولا تتبعوا السبل المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع
والضلالات فتفرق بحذف الباء للتعدية اي فتفرقكم ذلك الاتباع عن سبيله المستقيم وهو دين الاسلام وعن
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله
خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية فهذه الاية بالحقيقة اجمال لما في الايتين
المتقدمتين ولهذا ختمها بالتقوى التي هي ملاك العمل وخير الزاد وختم الاولى بقوله لعلكم تعقلون لانها امور
ظاهرة جلية يكفي في تعقلها ادنى مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لعلكم تذكرون لان الذكر انما يكون في امور خفية
يحتاج الى التدبر والتذكر حتى يقف بها على موضع الاعتدال او تقول الامور الخمسة المذكورة في الاية
الاولى كلها عظام جسام وكانت الوصية بها من ابلغ الوصايا فختم الاية بما في الانسان من اشرف السجايا وهي العقل الذي
امتاز به الانسان عن سائر الحيوان واما المذكورة في الثانية فانما يقبح تعاطيها وارتكابها وكانت الوصية بها تجري
مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تذكرون اي تتعظون بمواعظ الله تعالى قوله ثم اتينا موسى الكتاب
معطوف على وصاكم فيسأل كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل واجيب بان التكاليف
التسعة المذكورة تكاليف لا تختلف بحسب اختلاف الشرائع كما روي عن ابن عباس ان هذه الايات محكمات
لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب
الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شيء في التورية واما الشرائع التي كانت التورية مختصة
بها فهي انما حدثت بعد تلك التكاليف التسعة فكانه قيل ذلكم وصيكم به يا بني ادم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك
ان اتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل ان في الاية حذفا تقديره ثم قل يا محمد انا اتينا والمعنى
اتل ما اوحي اليك ثم اتل عليهم خبر ما اتينا موسى وقيل موسى معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله
ووهبنا له اسحق ويعقوب وقوله تماما على الذي احسن مفعول له اي لتتم نعمتنا على الذي احسن اي على
من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه وقرئ احسن بالرفع على الذي هو احسن دين وارضاه
وتفصيلا لكل شيء فيدخل في ذلك بيان نبوة رسولنا صلى الله عليه وسلم وصحة دينه وشرعه وهدى دلالة ورحمة
لكي يؤمنوا بلقاء ثواب وعدم ربهم به من ثواب من عقاب وهذا كتاب انزلناه لا شك انه القران مبارك كثير
الخير والنفع او ثابت لا ينطرق اليه النسخ كما في الكتابين فاتبعوه واتقوا لكي ترحموا لان الغرض من التقوى رحمة الله
تعالى او اتقوا لترحموا جزاء على التقوى واتقوا مخالفته على رجاء الرحمة قال الفراء قوله ان تقولوا مفعول واتقوا
وقال الكسائي التقدير انزلناه لئلا يقولوا وقال البصريون انزلناه كراهة ان تقولوا والخطاب لاهل مكة انما انزل الكتاب
اي التورية والانجيل على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى وان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام في لغافلين هي
الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا ومعنى الدراسة القراءة وانما قالوا لكنا اهدى منهم لحدة اذهانهم وثقوب
حفظهم لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها وامثالها مع كونهم اميين فقطع الله عذرهم بانزال القران عليهم
ثم قال فقد جاءكم بينة من ربكم فيما يعلم سمعا وهدى فيما يعلم سمعا وعقلا ورحمة من الله في صلاح المعاش
والمعاد فمن اظلم بعد هذه المعجزات والبينات ممن كذب بايات الله وصدف عنها اي منع غيره منها لان الاضلال

والثالث اضلال ثم ختم الاية باشد الوعيد وابلغ التهديد ثم ذكر انهم بعد نصب الادلة وازاحة العذر لايومنون وشرح
احوالا لاتوجب المبادرة الي الايمان والتوبة فقال هل ينظرون اي ينتظرون ومعني الاستفهام النفي وتقدير الاية
انهم لايومنون بك الاعند مجي احد هذه الامور مجي الملايكة او مجي الرب ومعنيه عذابه وباسه كما سلف في البقرة او
مجي المعجزات القاهرة قال في الكشاف الملايكة ملايكة الموت او ملايكة العذاب ثم قال يوم ياتي بعض ايات ربك
واجمعوا علي ان المراد بهذه الايات علامات القيمة عن البراء ابن عازب قال كنا نتذاكر امر الساعة اذ اشرف النبي
صلعم فقال ما تتذاكرون الساعة انها لاتقوم حتي ترون قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسوف
بالمغرب بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسي ونارا تخرج من عدن والمراد
انه اذا بدت اشراط الساعة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع نفسا لم تكن امنت من قبل ايمانها ولانفسا ما كسبت
في ايمانها خيرا ثم اوعدهم بقوله قل انتظروا انا منتظرون ثم سلي رسوله صلي الله عليه وسلم بقوله ان الذين
فارقوا دينهم او فرقوا ومعني القرائتين في الحقيقة واحد لان الذي فرق دينه بمعني انه اقر ببعض وكفر ببعض فقد فارقه
قال ابن عباس يريد ان المشركين بعضهم يعبدون الملايكة ويقولون انهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام ويقولون
هولاء شفعاونا عند الله فصاروا شيعا اي فرقا واحزابا في الضلال والشيعة كل فرقة يتبع اماما لها وقال مجاهد
وقتادة هم اليهود والنصاري تفرقوا فرقا وكفر بعضهم بعضا واخذ وابعضا وتركوا بعضا كقوله افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وعن مجاهد انهم من هذه الامة وهم اهل البدع والشبهات وفي الحديث افترقت
اليهود علي احدي وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصاري علي اثنين وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي علي ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة لست منهم
في شي اي انك بعيد من اقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم علي تلك الاباطيل مقصور عليهم لايتعداهم اليك
وقال السدي معناه لم تؤمر بقتالهم فلما امر بقتالهم نسخ ويحتمل ان يقال ان النهي عن القتال في وقت لاينافي الامر به
في وقت اخر فلا نسخ انما امرهم الي الله بالاستيصال والاهلاك ثم ينبيهم بما كانوا يفعلون وفيه من الوعيد ما فيه
وفي الاية حث علي ان كلمة المسلمين يجب علي ان تكون واحدة ليبينا هلوا الثواب الجزيل كما قال من جاء بالحسنة قيل
هي لا اله الا الله والسية الشرك والاولي حملها علي العموم فله عشر امثالها اقيم صفة الجنس المميز مقام
الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها كقراءة من قرا عشر امثالها بالرفع والتنوين قيل هذا اقل الموعود وقد وعد
سبعماية بغير حساب وقيل ليس المراد التحديد بل اراد الاضعاف مطلقا كقول القايل لين اسديت الي معروفا
لاكافينك بعشرة امثاله وفي الوعيد لين كلمتني واحدة لاكلمنك عشرا يروي ابوذر ان النبي صلعم قال عن الله تعالى
الحسنة عشر او ازيد والسية واحدة او اعفو فالويل لمن غلبت احاده اعشاره وقال صلعم يقول الله تعالى اذا هم عبدي
بحسنة فاكتبوها له حسنة وان هم بسية فلا تكتبوها وان عملها فسية وهم لا يظلمون اي لاينقص من ثواب طاعتهم
ولايزاد علي عقاب سياتهم اسولة ما الحكمة في الاضعاف جوابه كان للامم اعمار طويلة وطاعات كثيرة فمنح الله لهذه الامة
ليلة القدر خير من الف شهر واضعاف الاعمال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
ماية حبة انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب وايضا لان الخصما يتعلقون بهم يوم القيمة فيذهبون باعمالهم الي ان
يبقي الاضعاف فيقول الله اضعافه ليس من فعلهم هو من رحمتي فلا اقبض منهم ابدا اخر كيف يوجب الكفر عقاب الابد
جوابه ان الكافر كان علي عزم الكفر لو عاش ابدا فاستحق العقاب الابدي بناء علي ذلك الاعتقاد بخلاف المسلم المذنب
فانه يكون علي عزم الاقلاع فلاجرم يكون عقوبته منقطعة وايضا الذي جهله الكافر هو ذات القدم سبحانه وصفاته
شي لانهاية له فيكون جهله لايتناهي فكذا عقابه اخر اعتاق الرقبة الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو
في كفارة الظهار وتارة بدلا عن صيام ايام اخر فلا بل احدث في راس انسان موضحتين وجب ارشان فان عاد ورفع
الحاجز بينهما صار الواجب ارش موضحة واحدة فهيهنا ازدادت الجناية وقل العقاب اخر قد يجمع بسبب
اطراف ثمان ولطايف نزال ديات متعددة اذا حصل الاندمال وقد يرتقي الي نيف وعشرين الاذنان وابطال حسها

العينان او البصر الاجفان المارن الشفتان اللسان او النطق الاسنان اللحيان اليدان الذكر الانثيان والحلمتان والشم

والاليتان الرجلان العقل السمع الشم الصوت الذوق الامناء او الاحبال ابطال لذة الجماع ابطال لذة الطعام
الافضاء البطش المشي وقد تجتمع اليها في موجبات الجوايف والمواضح وساير الشجات فان مات الجاني قبل الاندمال وجب
الرقبة او دية بتصفيتين لم تجب الا دية النفس وكل ذلك يدل علي ان رعاية المماثلة غير معتبرة في الشرع والجواب عن
الاسولة الثلثة ان هذه الامور من تعبدات الشرع المطهر وتحكماته فلا سبيل لعقولنا اليها ويمكن ان يجاب عن الثالث
بان بدل الاطراف لما لم يستقر بالاندمال دخل في دية النفس لعسر ضبط ذلك والجزاء الحقيقي موكول الي يوم الجزاء والله
اعلم قال اهل السنة كل الثواب تفضل من الله تعالى فلا اشكال وقالت المعتزلة ان بين الثواب والتفضل فرقا لان
الثواب هو المنفعة المستحقة والتفضل هو المنفعة التي لايكون مستحقة ثم اختلفوا فقال الجبايي العشرة تفضل
والثواب غيرها اذ لو كان الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لزم ان يكون الثواب دون التفضل فلا يكون للتكليف فايدة
وقال اخرون لايبعد ان يكون الواحد ثوابا الي انه يكون اعلي شانا من التسعة الباقية ثم لما علم رسوله انواع الدلايل والرد
علي انواع المشركين وبالغ في تقرير اثبات القضاء والقدر ورد علي اهل الجاهلية اباطيلهم امره بان يقول هداني ربي لنعلم
انا الهداية لاتحصل الا بالله عز وجل ودينا ينصب انه مصدر بمعني القيام نعت لصنع والكسر وصف بطلبا للعدة وملة ابراهيم
عطف بيان وحنيفا حال من ابراهيم او من الملة والمعني هداني ودعرفني ملة ابراهيم حال كونه اوكونها موصوفا بالحنيفية ثم قال
في صفة ابراهيم وما كان من المشركين ردا علي من زعم غلبه بشيء من ذلك ثم كما عرفه الدين القويم والطريق المستقيم
علمه كيف يصنع به ويؤديه فقال قل ان صلاتي ونسكي اي عبادتي وتقربي اليه كما روي تغلب عن ابن الاعرابي
انه قال النسك سبايك كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الاثام وصفاها
كالسبيكة المخلصة من الخبث وقيل المراد بالنسك هيهنا الذبايح جمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر
وقيل صلاتي وحجي اخذا من مناسك الحج ومحياي ومماتي اي حيوتي وموتي مصدران ميميان وقال في الكشاف المراد
وما اتيه في حياتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح وفيه انه لايكون في العبادات اتي بها مثلي كيف كانت
بل لابد ان يكون جميع حركات المرء وسكناته لله رب العالمين وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام
نبي متقدم علي اسلام امته وقال في التفسير الكبير انه تعالى امر رسوله ان يبين ان صلوته وساير عباداته وحياته
ومماته كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه وحكمه وذلك ان الحيوة والممات بخلق الله فكذا الصلوة والنسك
وبذلك من التوحيد امرت ثم لما امر نبيه صلعم بالتوحيد المحض امره ان يذكر ما يجري مجري الدليل عليه فقال قل اغير
الله ابغي ربا وتقريره ان طوايف المشركين من عبدة الاصنام والكواكب ومن اليهود والنصاري والثنوية كلهم
معترفون بان الله تعالى خالق الكل فكانه سبحانه قال قل يا محمد منكرا اغير الله اطلب ربا مع ان هولاء الذين
اتخذوا من دونه الهة معترفون بانه خالق تلك الاشيا ولايدخل في العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب والمولي
ووجه اخر الموجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته وقد ثبت ان الواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته
لايوجد الا بايجاد الواجب لذاته فهو اذن رب كل شي وصريح العقل شاهد بان المربوب لايكون شريكا للرب فلا يختص
اذن بالربوبية غيره ثم لما بين الدليل القاطع علي التوحيد ذكر انه لايرجع اليه من كفرهم وشركهم ذم وعقاب
وهذا كما يرد لقول لهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم بين ان رجوع هولاء المشركين الي موضع لاحاكم هناك الا الله
فقال ثم الي ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ثم ختم السورة ببيان حال المبدا والوسط والمعاد علي سبيل
الاجمال فقال وهو الذي جعلكم خلايف الارض قيل الخطاب لبني ادم لانه جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضا وقيل
لامة محمد صلعم لانه خاتم النبيين خلفت امته ساير الامم وقيل الخواص الامة الذين هم خلفاء الله في ارضه يملكونها
ويتصرفون فيها بالحق كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ورفع بعضكم فوق بعض درجات
في الشرف والعقل والجاه والمال والرزق لا للعجز والجهل ولكن لاجل نشئة الابتلاء والامتحان وظهور الموفق المفتر
وتمييز المطيع من العاصي حسب ما يقتضيه الحكمة والعدالة والتدبير والتقدير ثم وصف نفسه بالقدرة الكاملة علي
ايصال العقاب وابقاء الثواب فقال ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم وادخل اللام في قرينة الترغيب و
اسقطها عن قرينة الترهيب ترجيحا لجانب الرحمة والغفران فان اللطف والرحمة يقتضيه بالذات والقهر والتعذيب



يصدر عنه بالعرض لان ذلك من ضروريات الملك ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي وانما وصف العقاب وانما
وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو آت قريب وانما لم يسقط اللام عن قرينة العقاب في سورة الاعراف وفي قصة
اصحاب السبت لان ذلك قد ورد عقيب المسخ فناسب التاكيد باللام وانما اخر قرينة الرحمة في الموضعين ليقع
ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون ادل على كمال رافته ووفور احسانه **التاويل** من السلف فيه ترك
التوكل على الله وعدم الثقة بالله واوفوا الكيل اي فاوفوا بكيل العمر وميزان الشرع حقوق الربوبية واستوفوا بكيل
الاجتهاد وميزان الاقتصاد حظوظ العبودية من الالوهية وبعهد الله اوفوا بان لا تعبدوا ولا تحبوا ولا ترجوا الا اياه وان هذا
صراطي مستقيما اشارة الى ان الصراط المستقيم الحقيقي الى الله تعالى هو صراط محمد صلعم تماما على الذي احسن اي على من احسن
من امتك اسلامه وفيه ان الكتب المنزلة كلها وشرايع الانبيا عليهم السلام كانت تتمة للدين الحنيفي الذي هو الاسلام
ولهذا امر بان يقتدي بالانبيا بالجمع بين هداه وهداهم ويحتمل ان يراد بالذي احسن النبي صلعم والاحسان ان تعبد الله
كانك تراه انزلناه مبارك وبركته انه انزل على قلبه فكان خلقه القران فقد جاءكم بينة ما بين لكم طريق السير الى الله
وهدى ما يهديكم الى الله انتم والكل ما جاء في الكتابين ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين هل ينظرون الا ان تاتيهم
الملائكة عيانا ويسوقهم الى الله قهرا والجاء او ياتي ربك اليهم اذ لم يانوا اليه في متابعتك قل انتظروا للمتخيلات انا
منتظرون للميعاد في المعاد ان الذين فارقوا الدين الحنيفي الذي فيه كمالية الانسان وكانوا شيعا فرقا مختلفة من
المبتدعة والزنادقة والمتزهدة ريا وسمعة وعلماء السوء والجهلة المتفلسفة لست منهم في شي لانك على الحق وهم
على الباطل وبينهما تضاد انما امرهم الى الله في بدو الخلقة وقسم الاستعداد كما شاء ثم ينبئهم يوم الجزا بما يستحقه كل منهم
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قبل ذلك حتى يقدر على الاتيان بتلك الحسنة وهي حسنة الايجاد من العدم وحسنة
الاستعداد حيث خلقه في احسن تقويم وحسنة التربية وحسنة الرزق وحسنة بعثة الرسل وحسنة انزال
الكتب وحسنة تبيين الحسنات من السيئات وحسن التوفيق للحسنة وحسنة الاخلاص في الاحسان وحسنة قبول
الحسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لان السيئة بذر يزرع في ارض النفس والنفس خبيثة لانها امارة
بالسوء والحسنة بذر يزرع في القلب والقلب طيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج منه الا نكدا والتحقيق
انه كما للاعداد ثلث مراتب الاحاد والعشرات والمايات وبعد ذلك يكون الالوف الى حيث لا يتناهى فكذلك
للانسان اربع مراتب النفس والقلب والروح والسر فالعمل الواحد في مرتبة النفس اي اذا صدرت عنها
يكون واحدا وفي مرتبة القلب يكون بعشر امثالها وفي مرتبة الروح يكون بماية وفي مرتبة السر يكون بالف الى
اضعاف كثيرة بقدر صفاء القلب وخلوص النية الى ما لا يتناهى وهذا اسر ما جاء في القران والحديث من تفاوت
الجزا للحسنات والله تعالى اعلم ورسوله قل انني هداني ربي من اسفل سافلين القالب بجذبة العناية الازلية
ونسكي اي سيري على منهاج الصلوة معراج المومن ومحياي اي حيوة قلبي وروحي اي مماتي اي موت نفسي
لطلب رب العالمين والوصول اليه وانا اول المسلمين عند الايجاد لامر كن كما قال اول ما خلق الله نوري قال اغير
الله كيف اطلب غير الله وهو حسبي والمحب لا يطلب الا الحبيب واذا هو رب كل شي فيكون ما له لي وان طلبت
غيره دونه يكون ذلك الغير علي لا لي كما قال ولا تكسب كل نفس الا عليها لان النفس امارة بالسوء والسوء عليها
لا لها ولا تزر وازرة وزر اخرى فان كان القلب معلولا من كدورات صفات النفس بانيا على ما جبلت عليه من
حب الله تعالى وطلبه لا يواخذ بمعاملة النفس ولا يتالم بعذابها وانما يكون النفس فقط ماخوذة بوزرها معاقبة
بما هي اهله فان كان القلب منقلب الحال وازاغة الله تعالى باصبع القهر الى مجاورة النفس فيصدا مراة
القلب بصفات النفس واخلاقها ويتبع النفس وهواها فيزيد ويزيد وعنه الصفا والطهارة والسلامة والذكر
والفكر والتوحيد والايمان والتوكل والصدق والاخلاص ورعاية وظايف العبودية فيكون ماخوذا بوزره لا
بوزر غيره وهو الذي جعل كل واحد من بني ادم ادم وقته وخليفة ربه في الارض وسر الخلافة انه صوره
على صفات نفسه حيا قيوما سميعا بصيرا عالما قادرا مريدا متكلما ورفع بعضكم فوق بعض درجات في
استعداد الخلافة ليبلوكم ليظهر من المتخلق باخلاقه منكم القايم به وبامره في العباد والبلاد ومن الذي



رجع القهقرى الى صفات البهايم وابطل الاستعداد بالخلافة بالختم والطبع والجنس في سجين الطبيعة
غفور رحيم لمن وفقه لرضاته ورفع درجاته والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

T.C
İZMİR
HİSAR KÜTÜPHANESİ
SAYI
304





Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı İZMIR
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No. 46-1